﴿ الجزء الاول ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

الهداية

مجلة دينية علمية أدبية اجتماعية

منشئها

(الشيخ) عبد العزيز جاويش

﴿ أصحاب امتيازها ﴾

حسين بك تيمور وشركاؤه ﴾

(تصدر في آخر كل شهر قمري)

﴿ بدل الاشتراك ﴾

﴿ ستون قرشاً صحيحاً في القطر المصري ﴾

(واربعون قرشاً للطلبة والدفع سلفاً)

« وعشرون فرنكا في الخارج »

﴿ الرسائل ﴾

(ترسل برسم مجلة الهداية)

(أو باسم منشئها في القاهرة)

(ولا ترد لمرسلها بحال)

(مطبعة الهداية بشارع رحبة عابدين بمصر)

(اعلان)

ترجو ادارة مجلة الهداية عموم حضرات مشتركي المجلة بجميع الجهات ان يتكرموا بارسال المتأخر طرف حضراتهم من بدل اشتراك المجلة عن سنة ١٣٢٨ الماضيه لداعي تصفية حسابها كذلك ترجو رسال بدل اشتراك سنة ١٣٢٩ الحاضرة للادارة التي مركزها بشارع رحبة عابدين او تسليم ذلك الى حضرة وكيل المجلة بالجهة المقيم بها المشترك ويعتمد ايصال البوسته او ايصال مطبوع ومختوم بختم الادارة وبتوقيع امضاء الوكيل المذكور

(الى حضرات المشتركين)

ترجو ادارة مجلة الهداية حضرات عموم مشتركيها بالقاهرة أن لا يعطوا بدل الاشتراك لاحد ما الا بايصال مطبوع أو ممهور بامضاء رئيس الشركة والمستلم واذا ظهر خلاف ذلك يكون لاغيا وليعلم حضرات المشتركين أيضا أن الوكيل الوحيد لمجلتنا هذه في القاهرة هو حضرة عبده أفندي خليفه فنرجو اعتماده فقط

(الوكلاء)

(١) حسن أفندي محمد بمدريات الغربيه والمنوفيه والقليوبيه والدقهلية والبحيرة ومركزه طنطا

(٢) الشيخ مصطفي نوح بمديرية الشرقيه مركزه أبو كبير

(٣) ابراهيم أفندي صالح زكي بالاسكندريه وضواحيها ومركزه بالاسكندرية بادارة العلم

(٤) حضرة الشيخ أحمد عزت وكيلا ومحصلا لمديرية المنيا وأسيوط وبني سويف وجرجا وسكنه سوهاج

(٥) الشيخ سيد سعودي مطر وكيل مدريات الجيزه وبني سويف والفيوم واقامة الجيزة

الهداية تباع بمكتبة المعارف والهلال بالفجاله والتأليف باول شارع عبد العزيز والمكتبة العباسية بشارع محمد علي

تباع غنية المؤدبين بمكتبة مصر الفتاة بالاسكندرية

(المطبوعات)

جميع الكتب والجرائد والمجلات ترسل برسم مجلة الهداية بشارع رحبة عابدين بمصر

(اعلان)

سنزيد في الهداية المواد الآتية

تاريخ الاسلام — وتاريخ أوربا من بدء القرن السادس عشر — وأيضاً سنفتح بابا لتقريظ وانتقاد الكتب التي ترسل لادارة الهداية لنعطي كل ذي حق حقه

﴿ الجزء الاول ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

الهداية

غزلان

﴿ القاهرة فى محرم سنة ١٣٣٠ هـ يناير سنة ١٩١٢ م ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة الثالثة للمجلة

الحمد لله الذى تبارك الاعمال باسمه الكريم والصلاة والسلام على رسوله الصادق الامين وعلى آله وصحبه البررة المصلحين (وبعد) فقد منّ الله تعالى جده وتبارك اسمه بأن أبرز للعالم الاسلامى هذه المجلة مبتغياً بها المثوبة لدى من وعد العاملين لخير المسلمين احسانه وأجره . غير مبال بما قد يرميني به المتنطعون المتفيهقون من الهنات فان الله يعلم أنني ما رغبت في شيء من شكرهم ولا أجرهم ولا ابتغيت الا أن أعمد الى القرآن الكريم فأنفض عنه غبار التأويل الذى حجبه عن أعين المبصرين وآذان المستمعين . فلقد تصدى لكتاب الله أقوام أساءوا بيانه وأغمضوا جليّه وأغمدوا نصوصه فى

قراب من الشبهات فلم يبد منه لرائيه سوى الاعوجاج ولم يكفهم جميع ما فعلوه من تلك السيئات المنكرة زعموه ناقصاً يحتاج الى الاتمام وهنالك عمدوا الى الاسرائيليات المفتريات التي أفسدت قبل ذلك التوراة فجعلوا يشوهون بها القرآن ويلوثون بحمأتها جمال دين الفطرة زاعمين أن جلال الله وبالغ قدرته لا يتجليان الا بتلك الخرافات ولا يثبتان الا بما يفترون من خوارق العادات جاهلين أن فى كل ذرة من ذرات هذا الكون أنطق دليل بوجوده ووحدانيته وان فى كل حركة آية على تدبيره وربوبيته

فما لهم عموا عن هذه الآيات البينة والتمسوا الله فى ظلمات الشبهات والشكوك وما لا يحيط به العقل من الخوارق التى استحدثوها وملؤا بها بطون الصحف ثم لم يفهموها

أنزل الله القرآن بلسان عربى مبين ذلك بأنه أراد أن يتدبره الناس فيهتدوا بهديه ويسيروا على سنته ولم يرد الله تعالى أن يخاطب الناس بما لا تسعه عقولهم من الاحاجى والالغاز فان ذلك لا يلائم حكمة الحكيم ولا يتأدى به بلاغ الله ورسالاته

« وان فريقاً منهم ليلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »

وبالجملة فان ما غصت به بطون التفاسير من التحريف والتأويل قد أبعد عامة المسلمين عن فهم كتاب ربهم ولولا أنه حال بينهم وبينه لرؤا وسمعوا كل ساعة من آياته البينة ما هو كفيل بسعادتهم فى الدنيا والآخرة

فاذا أنا تصديت لتفسير القرآن فما ذلك الا لأنني أحاول رفع تلك الحجب

التي سترت أسرار كتاب الله عن بصائر المسلمين حتى يعتادوا الاستقلال في تدبره وتفهم بشاراته ونُذرِه عسى أن يعينهم ذلك على تقويم شؤونهم المعاشية والمعادية ويظاهرهم على اعادة الاسلام الى سالف عهده فحسبنا ما أصاب جماعة المسلمين من البلاء والرزايا حتى طمعت فيهم أحقر الامم شأنا وأقلها عدداً . ذلك لأنهم أعرضوا عن الكتاب الكريم واستمسكوا بما شوهته طائفة أساءت تأويله وحرمت على العقول تدبر محاسنه والتماس عظاته وأمثاله

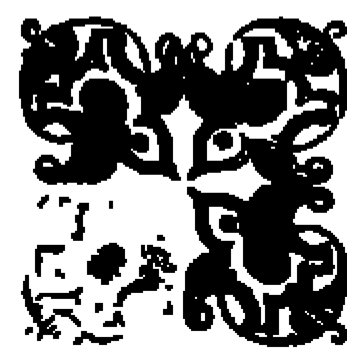
ولقد جرأني على المثابرة على ذلك مع كثرة أعمالي وخلوّ يدى واضطراب شؤوني من جراء الارتباك والخلل السياسيين في الديار المصرية انني رأيت بعيني ثمرات ما قصدته فلقد ازداد عدد النابتين التائبين الى ربهم المعتصمين بحبل كتابهم منذ أخذ المرحوم السيد جمال الدين الافغاني ينشر في مصر آثار هديه

ولقد اقتفى آثاره المبينة المرحوم الاستاذ الشيخ محمد عبده فجاهد في سبيل الله حق جهاده ولم تفتر له يوما ما عزيمة عن التزام الدعوة الى القرآن والتعرض لدفع شبهات المبطلين عنه والحث على الاخذ بآياته الشريفة وما زال كذلك حتى عاجلته المنية ولو أنه وقف أواخر سني حياته على هذا العمل الجليل لجاء في خدمة الاسلام والمسلمين بما لم يسبقه اليه أحد من المصلحين على أنه رحمه الله تعالى لم يمت حتى فتق من الابصار وأطلق عن الالسن وفتح السبيل لمن رزقوا القدرة على اقتفاء أثره

ولما كان حقاً على كل مسلم قادر على الدعوة والاصلاح أن يأخذ

بأيدى هذه الامة التى عثر جدها وضل قادتها كى يخرجها من هذه الورطة التى كادت تؤيس الحكماء والمفكرين وتلحقها بالغابرين الهالكين لم يصدفنى صادف عن التعرض لكتاب الله تعالى أنفى عنه القذى وأصونه عن اللوثات التى الصقها به الجاهلون

ولقد ضاعف عزمي وشد ساعدى ما رأيته من كثرة المهتدين بالبيان الذى سبق نشره فى هذه المجلة مما زحزح حجب الشبهات وطهر الآيات من سيئات الخزعبلات وسخافات الاسرائيليات فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والله أسأل أن يجعل التوفيق رائدي والاصلاح غاية مقصدى فما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه أنيب



أسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

جاءت هذه الآية الكريمة بالتاسع من آلاء الله ونعمه على بني اسرائيل تذكيراً لأولئك الجاحدين لرسالة خاتم النبيين بما أسبغ الله على آبائهم من النعم وتبيانا لان كل شئ مرجعه الى خالق الكائنات ومبدع الارض والسموات وأنه اذا اختص سلفهم بشيء من الكرمات والمزايا فما كان ذلك من كسبهم ولا من ثمرات مجهوداتهم

ضل بنو اسرائيل في التيه كما تبين من الآيات السالفة فجاءوا موسى يطلبون منه ما ينقع غلة عطشهم ويرطب جمود ألسنتهم فأما موسى فقد ألهمه الله تعالى أن يضرب حجراً من جبال جزيرة الطور بعصاه. هنالك جعل موسى يضرب عصاه فيرسلها فى أعماق تلك الارض فتخرج المياه على أثرها ينابيع متفجرة. وما زال يفعل ذلك حتى أوجد لكل قبيلة من الاسباط الاثنى عشر مشربا اختصها به وحرم على غيرها وروده والدنو منه

فلما بثق الله لهم العيون في الارض وأنزل عليهم المنّ والسلوى وظلل عليهم الغمام أوحى الله اليهم وألقى فى قلوبهم أن كلوا واشربوا من رزق الله الذى لم تحصلوا عليه بأيدكم واجتهادكم ولم تحدثوه بارادتكم وتدبيركم ولكنه فضل الله واحسانه أسبغه عليكم واختصكم به فما كان لكم بعد ذلك أن تعثوا في الارض مفسدين فتنتهكوا الحرمات وتأخذكم العزة بالاثم فما كان لبشر أن يؤتيه الله من فضله رزقا واسعاً ثم يرم أنفه ويضيق بالكبر صدره ثم يمشى فى الارض مختالا فخوراً . وانما على الانسان اذا ما اجتباه الله وأفاض عليه من صنوف احسانه أن يستزيد احسان الله بالشكر ويستديم رضوانه بالاقرار والحمد فلا تبطره النعمة ولا يفضى به التقلب في مهاد الاحسان الى نسيان المحسن .

واذا اختص الله طائفة من عباده بجميل احسانه فما كان لسلفهم وسلالتهم أن يفرطوا في المفاخرة بهم والعجب بما تقلبوا فيه من نعمة حتى ينسوا بذلك أن سلفهم ما أصابوا أسباب العزة ولا اشتملوا بمطارف النعم الا فيض الله ونعمته ما أصابوا وما اشتملوا فما كانوا بالخالقين ولا كان حقاً على الله تعالى أن يغمرهم بآثار رحمته وانما ذلك منه منة محضة وتفضل بحت . اذاً فما كان لبني اسرائيل على عهد رسول الله أن تنفر نفوسهم من دعوته أو أن يستكبروا عن قبول آياته فان الله تعالى أن يؤتى الحكمة من يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لما قضاه وقدره بعلمه .

(تحذير)

قد خلط المفسرون كثيراً في هذه الآية وحاولوا أن يحملوها على أن تكون رامية الى بيان معجزات موسى عليه السلام . ولا تسل عما صور لهم

الوهم اذ أخذوا يشرحون حقيقة العصا وأنها من آي الجنة وانها التي نزل بها آدم واذ جعلوا يصفون الحجر بما لا يطابق الا أوهامهم المحضة فقد جعلوه ذا أوجه وزعموا أن موسى ضربه بعصاه فجعل ينبت بعد كل ضربة كثدي المرأة وكذلك زعموا أن موسى كان وضع عليه ثيابه وهو يغتسل فلما رماه بنو اسرائيل بأنه آدرَ فرّ الحجر بالثياب حتى تمكن هؤلاء من رؤية عورته فتبينوا سلامته من ذلك المرض . ولقد رووا فى هذا الباب من أمثال هذه الخرافات التي وضعها بنو اسرائيل ما شوهوا به وجه القرآن فليحذرها المسلمون فانها ضلال وبهتان ·

أما رأينا في هذه العصا وفي الحجر فانما نرى اليوم ما كان يعرفه الاقدمون ونستعمل ما كانوا يستعملون . نرى كثيراً من العصيّ المتخذة من الحديد تستعمل فى امتحان الارض وسبر أغوارها لمعرفة الطبقات المائية فيها وطعم ما تبلغه تلك المسابر من المياه حتى اذا امتحن المسبار فدل على أن هنالك ماء عذبا على بعد ما من سطح الارض ركبت هنالك أنابيب مجوفة تصعد فيها المياه الى سطح الارض . وقد لا تحتاج الى هذه الانابيب بل يكون مجرد تشقق الحجر والصخر كافياً فى انبثاق الماء وتفجره وذلك يكون منحدرا الى باطن الارض من جبال عالية مرتفعة عن سطح الارض التي وقع فيها تكسير الصخر وتشقيقه . يعرف ذلك من يعلم كيف تسير المياه فى باطن الارض وكيف تنحدر وتصعد طبقاً للقاعدة المقررة المسلمة قاعدة توازن السوائل .

ولقد جاء القرآن باطلاق كلمة الحجر على ما يشمل الكتل الحجرية كبيرة كانت أو صغيرة . صخرية صلبة كانت أو رخوة هشة . فليس الحجر فى

الآية الا ذلك المعنى فأما دعوي أن اللام فى الحجر للعهد وأن المراد به في الآية ذلك الذى زعموا فانما هى دعوى باطلة سخيفة لا تعتمد الا على تلك الخرافات التي اقتطفنا لك نبذا منها .

والخلاصة أن الآية لا تدل الا على أن موسى أمره الله اذ استسقاه لقومه أن يضرب الارض الحجرية التى كان بها بعصاه « التي يجوز أن تكون من حديد » فضرب بها الحجر الى أن بلغت مياها عذبة كانت تسير فى جوف الارض منحدرة من جبال مرتفعة فلما تشققت عنها الارض بعصا موسى صعدت الى سطح الارض منفجرة مروية أولئك الاقوام الذين كاد يقتلهم الظمأ . وبذلك تمت نعمة الله على بنى اسرائيل اذ أفاض عليهم قبل ذلك من رزقه الذى منّ به عليهم ثم أنقذهم من فتكات العطش بما فجّر لهم من عيون الارض . وبذلك تمت نعمة الله على بني اسرائيل فكان حقاً عليهم أن يبدلوا الشكر بالكفر والاعتراف بالبطر وأن يعلموا أنه لو لا رحمة الله ونعمته لما أكلوا وشربوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .

ولقد يقرأ كلماتى هذه من طبع الله على قلبه وأعمى بالجهالة بصره فيزعم أننى أحاول جحد المعجزات والحط من كرامة الانبياء أو يزعم أننى ذاهب مذاهب الطبيعيين الذين لا يقولون بغير ما يريدون من النواميس التى تسير بقوابينها الارض والكواكب العلوية . أما أنا فلا أرجو لمثل هذا الغبي الا أن يكشف الله عن بصيرته وأن يوفقه الى ادراك أسرار الخالق فى خليقته فان لوجود الله وعظمته وجلاله آيات يستكشف عنها الخلائق العظيمة والحقيرة والعاديات المألوفات والخوارق المعجزات فاذا تجلى الله تعالى لخليقته في الكائنات غير المألوفة فانه يتجلي فى كل شئ لطالبي أسرار خليقته ومتدبرى

حكمته في بريته لا فرق في ذلك بين الطير المحلق فى السماء والذر المنبث فى الهواء ولا بين الانسان البديع التركيب والدود المتخلق في قليب

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

فما حاجة الله الى أن تدل على المعجزات أو تشهد بربوبيته خوارق العادات وهو الذى ينطق كل كائن عظم أوصغر بوجوده ووحدانيته والذى يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده

وفى هذه الآية الكريمة ما يدل على أن للانسان أن ينعم بما أسبغ الله عليه من الرزق فما كان لأحد أن يتحرج عن الطيبات من الرزق ويعكف على البلغة الخشنة من العيش واللباس فان الله لا يعطى خلقه مواهبه الا ليرى آثارها عليهم . ذلك ما يشير اليه قوله تعالى « كلوا واشربوا من رزق الله» وقوله « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »

أجل ان الله لم يحرم على خليقته شيئاً من الطيبات ولكن (إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)

(وإذْ قُلْتُمْ ياموسى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَقِثَّائِها وفُومِها وَعَدَسِها وَبَصَلِها قالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ . اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ)

هذه الآية تقص علينا الحلقة العاشرة من سلسلة النعم المتواصلة التى شمل بها بني اسرائيل . وقد خاطب القرآن بهذه الآية أولئك اليهود الذين كانوا على عهد المصطفى لا لانهم هم الذين خاطبوا موسى وطالبوه بتلك الاصناف النباتية ولكن ذلك لانهم كانوا نسوا ما أسبغ الله على آبائهم من الرحمة والاحسان دون أن يتخذوا عند الله عهداً وميثاقا يوجب عليه أن يخرجهم من تلك الارض الرملية الجرداء المرداعة الي الامصار الجميلة الشاملة لضروب النعيم وصنوف الترف ذات الاسواق التى تعرض بها المآكل خشنها وناعمها . وباردها وحريفها . حلوها وحامضها

أرسل الله لبنى اسرائيل لذائذ الطعوم وعذب المياه ومكنهم من الاستمتاع بها بقوله « كلوا واشربوا من رزق الله » حتى اذا ملتها نفوسهم التى جعلت تصبو الى ما ألفوه في الامصار من العدس والبصل والثوم والقثاء ومن الكرفس والنعنع والكراث ونحوها من بقول الارض جاءوا موسى ضجرين متألمين أن يقصروا على السلوى ونحوها مما منّ الله به عليهم وابتغوا اليه أن يبتهل الى الله تعالى أن يخرج لهم تلك الاصناف التى صبت اليها نفوسهم بعد اذ ألفوها قديما . فلما أصروا على ذلك وأبوا الا أن يستبدلوا تلك النباتات الخشنة بما كانوا يستمتعون به من اللذائذ أمروا أن ينزلوا باحد الامصار حيث الاسواق غاصة بما اشتهت نفوسهم . وبذلك مكنهم الله تعالى من نعمته وأجابهم الي طلبتهم فأباح لهم دخول الامصار والاستمتاع بمختلف الطعم من النباتات ولم يحل بينهم وبين ذلك ما ركبوه من الآثام والجرائم وعبادة العجل وبالغ البغى والعناد

رزقهم الله ما شاءوا من الماء والطعام ونهاهم أن يعيثوا فى الارض بالفساد

فبدل أن يقابلوا نعمة الله بالشكر ويذكروا ما اختصهم الله به من الاحسان والفضل كفروا بآيات الله وقتلوا بغير الحق بعض الانبياء كيحيي وشعياء وزكرياء أمعنوا في هذه الكبائر التي يسرها عليهم كثرة عصيانهم لأوامر الله واعتدائهم على حدود شرائعه ونواميسه الالهية: ولا جرم أن الاقتراب من المحارم والاقدام على المعاصي والمآثم يسهل التدرج في سبيل الكفر بالآيات واجتراح عظائم السيئات . ولهذا كان من الناس من يتباعد عن الشبهات خوف الوقوع في المحظورات ومنهم من يتجافى الصغائر حذر التورط في الكبائر وذلك أن النفس ما حلت منزلة الا تطلعت الى ما فوقها فالنفوس الابية الشريفة كلما نالت منزلة من المجد والعظمة تطلعت الى مايليها علواً ورفعة والنفس الخاطئة اذا اقترفت اثما زلت قدمها حتى تبلغ ما يليه من المحارم وهكذا يتدرج من صغيرة الى كبيرة . ومن كبيرة الى أكبر حتى ينتهي بمجمع الرذائل وعماد الضلال ذلك هو الشرك بالله تعالى الذى لم يكن الله ليغفره ولا يهدى صاحبه سبيلا (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا مبينا)

قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله وكفر به) وقال (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكِّرُوا به)

فبما اجترحوا من السيئات وما ارتكبوا من المظالم انقلبت قلوبهم قاسية فلا يخشعون لذكر الله ولا يبالون أن يحرفوا كلمات التوراة ويسيئوا تأويلها بل كلما ذُكِّرُوا بها أعقلوا منها ما لا يطابق بيوتهم وشهواتهم حتى لا يعودوا يذكرونه . ولقد أفرط أولئك اليهود في بغيهم وعصيانهم حتى استخفوا بالانبياء فقتلوهم وبآيات الله فكفروا بها ولما لم تفدهم العظات ولم تهدهم

الآيات ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وردّهم بغضب منه لا يقيهم دونه واق ولا يعصمهم منه عاصم . ذلك معنى قوله تعالى

(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ . ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ . ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) .

فاستخفافهم بالتكاليف يسّر عليهم العصيان والعدوان . فلما أسرفوا فى المعصية « وما المعصية الا بريد الكفر » قتلوا الانبياء بغير الحق وجحدوا آيات الله واستكبروا عنها. ولكن أملى لهم الله تعالى حتى ظنوا أنهم غالبوه فحاربوه جهرة وكفروا به عناداً ولكن الله تعالى ضرب عليهم الذلة والمسكنة فهدم صروح مجدهم ونقض أساس ملكهم ومكن ذوى الملل الاخرى من رقابهم فلم يفلت واحد منهم من ربقة الاستعباد ولم يستطيعوا على وفرة أموالهم وكثرة عددهم أن يكونوا يوما ما سادة أنفسهم وحماة مصالحهم . واذا صح أن المراد بقوله تعالى للسيد المسيح « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » هم بنو اسرائيل فقد كتب عليهم بهذا الوعيد ألا يقوم لهم مُلك ولا تعلو لهم كلمة حتى تقوم الساعة . ولقد رأينا من سلالة أولئك الاقوام من أحرزوا جميع قبائلهم وحاكوهم فى كل رذائلهم حتى أنهم ليستبيحون أموال غيرهم استباحة فلا يفتأون يتصيدون أموال الناس بفاحش الربا . ثم لا يألون أن يخربوا البيوت ويسوقوا مدينيهم الى المحاكم بعد أن يحوطوا أموالهم وأسبابهم بالتزوير والاحتيال ويستغرقوا بدينهم القليل الزهيد ما ملكت أيدى أولئك الجاهلين الاغرار

ولقد تتنبه لهم بعض الامم فتستبيح دماءهم وأموالهم أو تطردهم من أوطانهم وعقر ديارهم . ذلك كما فعلت الروسيا منذ نحو ثمانى سنوات اذ جاءت فى ايلامهم والبطش بهم ما أكسبهم رحمة القلوب القاسية وسخاء الايدى الشحيحة . ولقد تحن لهم القلوب أو ينزل بهم البلاء ويرهقهم الذل والشقاء ولكن كثرة مايكيدون الامم التى تؤيهم وتحنو عليهم قد بصرت بهم القلوب الغافلة وفتحت دونهم الابصار المغضوضة ومن شاء ان يعرف كيف يكيدون للمسلمين مثلا فليعتبر بما فعلوا معهم فى الجزائر وتونس ومايفعلون اليوم فى طرابلس . فانهم لا يكادون يرتقبون احتلالا أجنبيا حيثما كانوا حتى يأخذوا للمكيدة عدتها ويلبسوا لكل أمة مغيرة لباسها حتى اذا جاءت ساعة الاغارة وجد المغير من بينهم من يرشده الى الخفايا والخبايا واتخذ منهم من يطلعه على العورات ومواطن الضعف ومكامن حماة الاوطان ومبلغ ماعندهم من آلات القتال ومقادير الاقوات وأين خزائن الاموال وكنوز النساء والرجال ولقد نزل الطليان بطرابلس فكم أسرفوا في القتل مدفوعين الى ظلم الابرياء بسعاية يهودي يريد أن يتخذ لديهم يدا تزيده مالا أو تكسبه جاها .

مارأينا فيما يسجل التاريخ ان يهوديا في البلاد الاسلامية انضم مرة الى صفوف الذائدين عن حياضهم الطالبين لاستقلالهم المجاهدين فى سبيل حريتهم . بل كم من مغير ظاهروه وغاصب مالؤه وكم من فتنة أوقدها كيدهم وأكبرها نفاقهم.

على ان موضع العجب فى تصرفاتهم هذه أنهم يأتونها وهم يعلمون انهم لا يرجون من ورائها ان يكون فيهم التاج ولا الصولجان ولا ان يكونوا بين الامم المغيرة أعز شأناً مما كانوا بين تلك الامم التى عاشوا معها القرون

الطوال وسلبوها ماعز وتفس من الاموال . بل أنهم يعلمون فوق ذلك أنهم لا يزدادون الا ذلة ولا يجنون الا فقرا ومسكنة . فمادام ذلك دأبهم يعصون أوامر الله ويعتدون على حقوق العباد فبشرهم بما ضرب الله على سلفهم من الذلة والمسكنة بما كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير الحق وبما عصوا وكانوا يعتدون أما اذا آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا. ولقد كان من آبائهم الاولين من أخبتوا الى ربهم واستجابوا له فائتمروا بأمره وانتهوا بنهيه مؤمنين بآياته مصدقين برسالاته مقرين باليوم الآخر فهل نقصهم الله شيئاً من أعمالهم ليهوديتهم ؟ كلا فكم يهودي ونصرانى وكم من صابئ يعبد الكواكب وأشباهها كم منهم من غضب الله عليه حتى اذا أناب الى الله وآمن باليوم الآخر وعمل الصالحات غفر الله سالف كفره وأجزل له العطاء وشمله باحسانه

(انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)

كذلك اتخذوا عند الله عهدا بايمانهم به وباليوم الآخر وعملهم الصالح غير الضار من الاعمال وما الله بمخلف أحدا وعده . فالاولئك اليهود الذين كانوا لعهد الرسول عليه السلام يغيرون ويبدلون ويسعون بالفساد في الارض ثم يكفرون بآيات الله ويجحدون رسالة رسوله ويتخذون من قبور أنبيائهم آلهة تعنو لها وجوههم وتعفر بترابها جباههم ثم لا يبالون مع ذلك ان يقولوا (نحن أبناء الله وأحباؤه) ويقولوا (لن تمسنا النار الا أياما معدودة) كأنهم

اتخذوا عند الله عهداً لا يخلفه أم يقولون على الله مالا يعلمون. فما بالهم يأتون المنكرات ويجترحون السيئات وينتهكون الحرمات ويجحدون الآيات وينكرون الرسالات ويؤذون الناس فى صنوف المعاملات ثم يرجون من وراء ذلك ان يتقبلهم الله بالحسنى فلا يجازيهم بما كسبت أيديهم وكيف وهو يقول فى قرآنه الكريم

(لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً)

العالم الإسلامي

حياة المسلمين في العصر الحاضر

أخذ العالم الاسلامى يستيقظ بعد أن مضى عليه مئات من السنين وهو في سبات عميق ونوم طويل وأخذ يلتفت يمنة ويسرة فيرى أعداءه واقفين له بالمرصاد يتآمرون على اقتسام دياره واستعباد بنيه. حقاً انها لحالة تدعو الى الحزن وان كانت لا تدعو الى اليأس والجزع. فهل ييأس من روح الله الا القوم الكافرون

يستقبل المسلمون هذه السنة الجديدة والاسلام يجتاز أزمة سياسية شديدة من الازمات التى كثيراً ما اعترضته في طريقه وظن أعداؤه أنها

تكون القاضية عليه ولكن تغلب عليها بحمد الله وحسن توفيقه . « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره »

يجتاز الاسلام أزمة شديدة الوطأة فمن أقصى العالم الاسلامى الى أقصاه نرى الدول المسيحية الاوروبية تنشب أظفارها السامة فى البلاد التي سلمت الى الآن من بغيها وعدوانها فالمملكة المراكشية المتسعة الارجاء الغنية التربة المتباعدة الاطراف قد فقدت استقلالها واحتلت الجنود الفرنسية عاصمتها وصار سلطانها الشرعى ألعوبة فى أيديهم يحكمون البلاد التى تحت طاعته وأخذ الفرنسيون الآن بعد أن أقرتهم الدول الاوروبية على احتلالهم للديار المراكشية يضعون البرامج ويرسمون الخطط لحكم تلك الديار الاسلامية التي كانت فى القرون الوسطى تهدد جنوب أوروبا بالزحف من حين الى حين والتي كانت قديماً ممر الغزاة المسلمين الذين فتحوا الاندلس ودوخوا الدول المسيحية الاوروبية في ذلك العهد . فقدت تلك المملكة الاسلامية استقلالها بعد أن كانت الآمال معقودة بسلطان حكيم يهبه الله لها لمراكش كما وهب الله الامير عبد الرحمن خان لبلاد الافغان فيأخذ في اصلاح شؤونها ويعد لبلاده ما يستطيع من أسباب المنعة والقوة ليحصنها ويجعلها بمأمن من هجمات أعدائها الواقفين لها بالمرصاد من زمان طويل .ولكن أبى حظ تلك البلاد التعسة الا أن تشقى بسلطانها عبد الحفيظ كما شقى كثير من بلاد الاسلام بأمرائها فكان هذا السلطان لا يهمه منذ ولي الاحكام الا أن يحافظ على حياته ويبقى على أريكة سلطنته ولو ضاعت البلاد وضاع استقلالها

هذا ما يحصل الآن في البلاد المراكشية وفى طرابلس الغرب رأينا تلك الدولة الطاغية الباغية تجلب عليها بخيلها ورجلها وتعلن استلحاقها وترسل

اليها أساطيلها ومدافعها وجنودها راغبة فى فتحها وتقليص ظل السلطة الاسلامية من ربوعها — معاذ الله — وكادت الآمال في بقاء تلك البلاد الاسلامية ملكا للمسلمين تتلاشى أمام ايهامات دولة الطليان لولا أن هب المسلمون فى تلك الاصقاع يدفعون القوة بالقوة ويقسمون أن لا يهدأ لهم بال ولا يغمض لهم جفن الا اذا سحقوا أولئك الطغاة البغاة سحقاً وطهروا الارض منهم تطهيراً

وبينما أبطال الصحراء وغزاة العثمانيين فى طرابلس الغرب يدافعون عن أوطانهم بمهجهم وأرواحهم وقفت مصر موقفاً غريباً ومؤلماً معادل على أن أظافر الدولة الانكليزية قد امتدت الى احشاء مصر فصارت حكومتها لا ارادة لها الا كما يريد رجال السياسة البريطانية حتى ولو ظهرت الحكومة المصرية بمظهر خارق للقوانين والمعاهدات الدولية بل مناف لصفتها الاسلامية

كان الناس يعللون النفس بأن انجلترا مهما تداخلت فى شؤون مصر فهي تقف عند حد مركزها الدولى فلا تغيره ولا تمسه بسوء ولكن ظهر الآن فى الحرب الطرابلسية أن مركز مصر الدولى الحقيقي قد تغير تغيراً محزنا فان الدولة العلية لم تفاتح الحكومة المصرية فى أن تتبع مثلها فى قطع العلائق بينها وبين الحكومة الايطالية كما فعلت فى الحرب اليونانية وظل قناصل ايطاليا فى مصر كأنما هم في بلد على الحياد ليس بينه وبين الدولة العلية أى ارتباط ولا أى تبعية سياسية بل أعلنت الحكومة المصرية أنها متخذة

خطة الحياد فكأنها بعد الثلاثين عاما التي مرت على الاحتلال الانكليزى في مصر قد انسلخت أو كادت عن الدولة العلية حتى صارت تعتبر من البلاد التي على الحياد

أليس من المؤلم أن بلاداً اسلامية كمصر تفصل بين ولايتى طرابلس الغرب وسوريا تكون حجر عثرة فى سبيل وصول الامداد الى الغزاة المسلمين فى الاصقاع الطرابلسية كأنما هي بلاد أجنبية ومسيحية معاً لانه لا يعقل أن بلاداً اسلامية ذات حكومة اسلامية تكون حائلا دون وصول القوات العثمانية من الحدود السورية الى الحدود الطرابلسية ولكننا رأينا أنفسنا أمام حيدة غريبة مرت عليها فترة من الزمن كادت تنقلب الى شدة ومصادرة للحرية وزج فيها قوم فى السجون ونفى آخرون لا لذنب عنده سوى اتهامهم باتصال الامداد والذخائر الى المجاهدين فى طرابلس الغرب ثم خفت وطأة الحيدة أخيراً باعلان الحكومة في كل ذلك ونحن لا ندرى لهذا التغير في سياسة الحكومة المصرية سببا ولا سراً بل لا يعلم ذلك رجال الحكومة الوطنيون أنفسهم بل مصدر هذا التغيير تغير موقف انجلترا فى الحرب التركية الايطالية

يحصل ذلك فى القارة الافريقية ثم نرى ما هو أشد ايلاما للنفس فى الجزء الاسلامى من القارة الاسيوية . نرى المطامع الروسية قد ظهرت بمظهر وحشى فى بلاد الفرس حيث أخذت حكومة القيصر تتملك بالحكومة الفارسية وتختلق المشاكل لتنتحل لنفسها عذراً تتداخل به فى شؤون تلك الامة الاسلامية العريقة فى المجد فاختلقت مشكلة المستر شوستر واجتازت

جنودها حدود فارس ووصلت الى تبريز فاحتلتها وارتكبت فيها من الفظائع ما تقشعر منه الابدان ولا تزال المملكة الفارسية الى الآن مهددة الكيان بين المطامع الروسية ومطامع الانجليز فى جنوبها وخشى الكثيرون على استقلالها من طغيان هاتين الدولتين القويتين

كل ذلك يصيب العالم الاسلامي فى وقت واحد بينما نرى العالم الاصفر قد نفض عنه غبار الموت وأخذ بأسباب الحياة دون أن تتخطفه الدول الأوروبية فتلك هى الصين بلاد أربعمائة مليون من الشعوب الصفراء قد أعلنت فيها أكبر جمهورية فى العالم وصار الحكم فيها فى يد رجال علماء لا يقلون فى كفاءتهم وعلمهم عن رجال أوروبا أعلنت الجمهورية فى الصين ولم تصبها ضربة من ضربات الدول الأوروبية ولا هاجمتها فى ديارها كما تفعل فى العالم الاسلامى . فهل كتب على المسلمين دون سواهم أن تكون بلادهم نهباً لتلك الدول الجشعة ؟

يحار الباحث فى معرفة ذلك السر الدفين لتلك الحالة السيئة ولكن الذى ينفذ بفكره الى صميم الحقائق ويخرق تلك السحب التى تبعث اليأس فى القلوب لا يلبث أن تقوى عزيمته ويقوى أمله أو على الاقل لا يسعه الا أن يعتقد أن ما ينتظر العالم الاسلامي من خير أو شر انما هو راجع الى ما يعمله المسلمون أنفسهم ومهما تألبت الدول الاوروبية عليهم وتآمرت على اقتسام بلادهم فلو عمل المسلمون على أن يحيوا حياة عزيزة لحالوا بعملهم دون أن تتحقق آمال الطامعين فيهم ولقضوا على أمانيهم ثم استردوا من ايديهم البلاد التى أوغلوا فيها وتحكموا فى شؤونها

لقد كان من سوء حظ العالم الاسلامى اقترابه من القارة الأوروبية فانه بهذا الموقع كان أول هدف للمطامع الأوروبية فلو أن العالم الاسلامي فى موقع عالم الشعوب الصفراء كالصين واليابان لكان يأمن من غزوات الدول الأوروبية أو لكان على الاقل أبعد عن الخطر الأوروبى لان مثل تلك الدول الأوروبية فى حملاتها على العالم الاسلامي كمثل متوحشى العصور القديمة الذين أغاروا على الدولة الرومانية القديمة فان أوروبا الوسطى وشمال ايطاليا كانت أول هدف لفتوحات متوحشي العصور القديمة من القبائل الهمجية وكان شمال أفريقية مع أنه من أملاك الدولة الرومانية أبعد عن خطر أولئك المتوحشين من البلاد التى صادفوها أولا فى طريقهم وما ذلك الا لبعدهم عنهم . فكذلك حال العالم الاسلامى حيال هجمات متوحشى العصور الحديثة من الدول الأوروبية لان هذه الغارات الاستعمارية التى أصيب بها العالم الاسلامى ما هى الا غارات وحشية منظمة لا يقصد منها الا السلب والنهب وسفك الدماء

ان من الخطأ الكبير أن نظن أن هذه الغارات التى أصيب بها العالم الاسلامى من شأنها أن تجعل المسلمين عبيداً فى بلادهم الى ما شاء الله: لان من ينظر الى هجوم الأوروبيين على الاسلام فى مظهره الاخير ويقارن بينه وبين مظهره فى القرن التاسع عشر يجد فرقا كبيراً بين المظهرين يدل حقيقة على أن حيوية العالم الاسلامى قد ارتقت وقويت وانه وان كان المغيرون الأوروبيون لا يزالون أقوى من المسلمين عدداً وأكثر عدواً الا أن المقاومة التى يلقونها الآن فى هجومهم الاخير تقوى الامل في أن هذه الهجمات

المتوالية لا تستمر طويلا وأن استعبادهم للأمم الاسلامية لن يطول أجله

في القرن التاسع عشر انتقصت أوروبا العالم الاسلامي من أطرافه واستولت على كثير من ممالكه ففقدت الدولة العلية معظم أملاكها فيأوروبا واستولت الروسيا على بلاد الشراكسة وامتدت بنفوذها وسلطانها الى ممالك وامارات التركستان الاسلامية ففقدت استقلالها ثم فتحت فرنسا بلادالجزائر وأعلنت حمايتها على تونس واحتلت انجلترا الديار المصرية وفتحت السودان بجنود مصر ومالها وتوغلت فرنسا في أواسط أفريقية واحتلت البلاد الاسلامية الواسعة الارجاء في تلك الجهات

أصاب الاسلام كل ذلك فيالقرن الماضي وقبل هذا القرن وما كانت الدول الأوربية تجد من جانب المسلمين مقاومة شديدة أو تضامناً في العواطف من سكان الممالك الاسلامية المتباعدة .

نعم كان المسلمون في بعض البلاد التي فتحتها الدول الأوروبية فيالقرن الغابر يدافعون عن أوطانهم دفاع الابطال ولكن الحق يقال ان الدول الأوروبية في كثير من المواطن ما كانت تلقى مقاومة شديدة ولم تكن تشعر بذلك الاحساس الذي يسري الآن في جميع الامم الاسلامية عندما تهاجم دولة أوروبية أرضاً اسلامية فالمقاومة التي يلقاها الايطاليون مثلا في طرابلس الغرب ما كانت لتلقاها دولة أوروبية أخرى في السنوات الماضية لان الدول الأوروبية في غاراتها على البلاد الاسلامية التي استولت عليها قديما ما كانت تسمي تلك الغارات بحروبات وما كانت تضطر الى تجنيد مائة ألف جندي كما تفعل الآن ايطاليا في طرابلس الغرب بل كانت تسمي

غاراتها بحملات استعمارية تتكون من بضع عشرات الالوف من الجنود . وكذلك ما كانت دولة كبيرة مثل الدولة الروسية لتقف موقف المتردد حيال فارس فان الروسيا وان كانت قد اجتازت حدود فارس الا أنها لا يسهل عليها البتة أن تقضي على استقلالها القضاء الاخير مثلما قضت على استقلال ممالك التركستان قديما لانها ستجد الآن مقاومة الشعب الفارسى نفسه تلك المقاومة التى تضطر دولة كبيرة كالدولة الروسية الى حشد مآت الالوف من الجنود لاذلال شعب كبير كالشعب الفارسى وليس من السهل على الروسيا فى الظروف الحاضرة أن تجند هذا العدد الكبير بينما العداوة بينهما وبين ألمانيا تزاد كل يوم

فهذان المثلان — مثل طرابلس ومثل فارس — يدلان المتأمل على أن الزمن الذى كانت أوروبا تنهب بلاد الاسلام وتستولى عليها غنيمة باردة قد مضى وانقضى وأن المسلمين قد بدءوا يشعرون بأن عليهم واجباً دينياً كبيراً ازاء هذا الخطر الأوروبى المحدق بهم وهو واجب التضامن وبذل الروح دفاعا عن بلادهم وهو شعور ما كان موجوداً وقت أن كانت أوروبا تتقاسم العالم الاسلامى والمسلمون في غفلة ساهون . فمن من المسلمين كان يتألم لما يتألم منه المجاهدون فى طرابلس الغرب ومن كان يجد فى نفسه باعثاً على مديد المساعدة الى الغزاة فى تلك الاصقاع ؟ ألم يجاهد الجزائريون عشرات من السنين دفاعا عن استقلال بلادهم وهل لم يظهروا فى ذلك الجهاد الشريف من الشهامة والاستبسال ما كان جديراً بأن يلتفت اليه العالم الاسلامى ويجمع حول أولئك الابطال اعجاب المسلمين ومساعدتهم ؟ ومع ذلك فهل

وجد سكان الجزائر تعضيداً من المسلمين كما يجد الآن سكان طرابلس الغرب كلا وربك بل ظلوا يجاهدون وحدهم حتى لم يجدوا مساعدة ممن كانوا بجوارهم من عرب الصحراء كما يجد الآن المجاهدون فى طرابلس الغرب

فالفرق كبير جداً بين مقاومة المسلمين الآن بهجمات الدول الأوروبية ومقاومتهم لها فى القرن الغابر وهذا ما يبشرنا بأن فكرة المقاومة ستتغلب شيئاً فشيئاً على مبدا الخضوع والاستسلام الذى كان سائداً في بلاد الاسلام والذى كان العامل الاكبر الذى استخدمته الدول الأوروبية فى اذلال المسلمين واستعبادهم

فيجب علينا معشر المسلمين في مشارق الارض ومغاربها أن نبث فكرة المقاومة والحياة وأن نعمل متضامنين على الاخذ بأسباب القوة حتى نتبع سنن آبائنا الذين نزل فيهم قوله تعالى « أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » فلا نلومنّ الدهر ولا نسخطن على الظروف التى تحيط بنا بل لنتوجه الى قلوبنا ففيها الدواء من الحالة التى نشكوا النها وفى أعمالنا العلاج الشافى الذى نبتغيه . « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »

المصرف الاسلامى

بالبوسنه والهرسك

فتوى اسلامية

أخذ المسلمون فى جميع أقطاب الارض يشعرون بتداخل الاجانب فى شؤونهم الحيوية بكافة الوسائل التى تصل اليها أيديهم لاسيما فى المسائل المالية والاقتصادية فينشؤون الشركات والمصارف التى يبتزون بها الاموال ويستنزفون ثروة البلاد التى يحلون فيها حتى ضاقت الامم الاسلامية ذرعاً من جراء ذلك التحكم فى حياة البلاد المادية

ولقد أخذت الامم الاسلامية تشعر بضغط اليد الاجنبية على مصالحها الحيوية لدرجة كادت تسوء بها الحال وحتى كادت تكون غريبة فى أوطانها حيث وضع الاجانب أيديهم على مرافقها التجارية والصناعية وغيرها

ولما كان أقوى الاساسات التى تبنى عليها حياة البلاد هى المصارف المالية التي هى دعامة المشروعات النافعة فى كل بلد والتى بها تحفظ الثروة من الانتقال الى بلد أجنبي عنها فقد أخذت البلاد الاسلامية تشعر بحاجاتها الى انشاء مصارف كبرى تضارع المصارف الاوربية في رأس مالها وأعمالها

بيد أنهم وجدوا من الشريعة الاسلامية السمحاء أحكاماً تطابق الزمان والمكان فنهضوا الى مباراة الامم الاخرى في انشاء تلك المصارف

من ذلك انه بناء على الفتوى الصادرة من المشيخة الاسلامية بالاستانة المبيحة انشاء المصارف بذل مسلمو البوسنه والهرسك قصارى جهدهم فى ايجاد عدة مصارف صغيرة متفرقة بعدة جهات حتى تحفظ للمسلمين أملاكهم الواسعة من الوقوع في أيدى المرابين من اليهود ونصارى النمسا ولكنهم رأوا فى الايام الاخيرة من منافسة مصرف (اغرار) النمساوى صاحب الاعمال الواسعة ورؤوس الاموال الكبيرة ما كاد يعرقل حركاتهم ويعطل مجهوداتهم الاقتصادية النافعة

ففى الايام الاخيرة اجتمع أغنياء المسلمين بالولايتين ومديروا المصارف الصغيرة الاسلامية وتناقشوا فى هذه المسألة الحيوية فقرروا عمل كل تضحية وبذل همتهم لانشاء مصرف اسلامي عام فوفقوا لجمع مبلغ ستة ملايين قرون جعلوها رأس مال مصرفهم المركزى المسمى (مسلمان سنترال بانق)

وسيبدأ هذا المصرف قريباً أعماله متخذا كل الطرق فى المحافظة على أملاك المسلمين وترغيبهم فى زراعة أراضيهم بانفسهم وترقية صنائعهم ويعمل جهده في استرداد كافة أراضي المسلمين المرهونة بالمصارف النمسوية بفوائد باهظة حتي لا تثقل عاتقهم وانا نسأل الله تسديد خطواتهم في سبيل الصواب ونتمنى أن نرى الممالك الاسلامية وخصوصاً مصر مقتفية أثرهم فى هذا السبيل المحمود

ولقد أرسل مسلموا البوسنه والهرسك الى المشيخة الاسلامية يسألونها رأيها في انشاء مصرف اسلامى ببلادهم سداً لحاجيات البلاد واحتفاظاً بمصالحهم الاقتصادية وسبب هذا السؤال أن انشاء المصارف من المسائل

المختلف عليها فى الشريعة الاسلامية فأحيل على باب الفتوى الجليلة فصدرت من لدنها بتاريخ ٢٨ شوال سنة ١٣٢٨ الجواب المهم الآتى

أن السؤال المقدم من فخر الدين دفيرفيك بتاريخ ١٠ شوال سنة ٣٢٨ المتضمن بيان المحسنات والفوائد الكثيرة العائدة من انشاء المصارف بالممالك الاسلامية والمستفتى عن جواز أو عدم جواز انشائها الذى سبق احالة فضيلة شيخ الاسلام على دار الفتوى قد قرىء. وبعد الاطلاع على النصوص الشرعية حررنا الجواب الآتى

أن مشايخ الاسلام السابقين قرروا أن مادامت الاموال المودعة بهذا المصرف والتى تستقرض او ترد والمبالغ التى تؤخذ أو تترك باى صورة ما دامت تعود بربح قليل وتسير حسب احدى الطرق التى نص عنها فقهاؤنا الكرام فهى والحالة هذه مشروعة محللة

اللغة والأدب

الادب الصغير

لابن المقفع

ظهر فى عالم المطبوعات كتاب جليل مملوء بالحكم العالية والآداب الراقية ونعنى به كتاب الادب الصغير لا بن المقفع الذى أخرجه الى عالم الظهور الاستاذ المحقق احمد زكى باشا صاحب الايادى البيضاء فى خدمة اللغة العربية وآدابها فكان خير ما يستخرج من الكتب النافعة لغة وموضوعاً

وقد رأينا نشر شيء مما تضمنه من الحكم البالغة شاكرين لمخرجه هذه الهدية الثمينة التى أهدى اللغة والادب اياها

وعلى العاقل أن يحصى على نفسه مساويها فى الدين وفي الاخلاق وفي الآداب : فيجمع ذلك كله في صدره أو فى كتاب . ثم يكثر عرضه على نفسه ويكلفها اصلاحه ويوظف ذلك عليها توظيفا من اصلاح الخلة والخلتين والخلال فى اليوم أو الجمعة أو الشهر

فكلما أصلح شيئاً محاه وكلما نظر الى محو استبشر وكلما نظر الى ثابت اكتأب

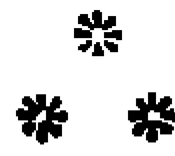
وعلى العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحفظها على نفسه ويتعهدها بذلك مثل الذى وصفنا فى اصلاح المساوى

*
* *

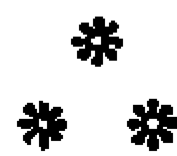
وعلى العاقل أن لا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس — ما استطاع — الا ذا فضل فى العلم والدين والاخلاق فيأخذ عنه. أو موافقاً له على اصلاح ذلك فيؤيد ما عنده. وان لم يكن له عليه فضل

فان الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى الا بالموافقين والمؤيدين وليس لذى الفضل قريب ولا حميم أقرب اليه ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته

ولذلك زعم بعض الاولين أن صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب اليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال



وعلى العاقل أن لا يحزن على شئ فاته من الدنيا أو تولى. وأن ينزل ماأصابه من ذلك ثم انقطع عنه منزلة مالم يصب. وينزل ماطلب من ذلك ثم لم تدركه منزلة ما لم يطلب. ولا يدع حظه من السرور بما أقبل منها ولا يبلغن ذلك سكراً ولا طغياناً. فان مع السكر النسيان ومع الطغيان التهاون. ومن نسى وتهاون خسر



وعلى العاقل أن يؤنس ذوى الالباب بنفسه ويجرئهم عليها حتى يصيروا حرساً على سمعه وبصره ورأيه : فيستنيم الى ذلك ويريح له قلبه. ويعلم أنهم لا يغفلون عنه اذا هو غفل عن نفسه

وعلى العاقل أن لا يستصغر شيئاً من الخطأ في الرأى. والزلل فى العلم

والاغفال فى الامور . فانه من استصغر الصغير أوشك أن يجمع اليه صغيراً وصغيراً فاذا الصغير كبير . وانما هي ثلم يثلمها العجز والتضييع . فاذا لم تسد أوشكت أن تنفجر بما لا يطاق. ولم نر شيئاً قط الا قد أوتى من قبل الصغير المتهاون به : قد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر به. ورأينا الصحة تؤتى من الداء الذى لا يحفل به. ورأينا الانهار تنبثق من الجدول الذى يستخف به

وأقل الامور احتمالا للضياع الملك لانه ليس شئ يضيع — وان كان صغيراً — الا اتصل بآخر يكون عظيما

ومن نصب نفسه للناس اماماً فى الدين فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها فى السيرة والطعمة (١) والرأى واللفظ والاخدان . فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه . فانه كما أن كلام الحكمة يونق الاسماع فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم

*
* *

الدنيا دول. فما كان لك منها أتاك على ضعفك. وما كان عليك لم تدفعه بقوتك

*
* *

اذا جعل الكلام مثلا . كان ذلك أوضح للمنطق وأبين فى المعنى وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث

*
* *

أشد الفاقة عدم العقل. وأشد الوحدة وحدة اللجوج . ولا مال أفضل

(١) أي وجه المكسب . يقال : فلان عفيف الطعمة . أي نقي المكسب

من العقل . ولا أنيس آنس من الاستشارة

* * *

مما يعتبر به صلاح الصالح وحسن نظره للناس . أن يكون اذا استعتب المذنب ستوراً لا يشيع ولا يذيع. واذا استشير سمحاً بالنصيحة مجتهداً للرأى واذا استشار مطرحاً للحياء منفذاً للحزم معترفا للحق

* * *

أفضل ما يعلم به علم ذى العلم . وصلاح ذى الصلاح أن يستصلح بما أوتى من ذلك ما استطاع من الناس ويرغبهم فيما رغب فيه لنفسه من حب الله . وحب حكمته . والعمل بطاعته . والرجاء لحسن ثوابه فى المعاد اليه . وأن يبين الذى لهم من الاخذ بذلك والذى عليهم فى تركه . وأن يورث ذلك أهله ومعارفه ليلحقه أجره من بعد الموت

* * *

الدين أفضل المواهب التى وصلت من الله الى خلقه وأعظمها منفعة . وأحمدها فى كل حكمة . فقد بلغ فضل الدين والحكمة أن مدحا على ألسنة الجهال . على جهالتهم بهما وعماهم عنهما

* * *

أحق الناس بالسلطان أهل المعرفة . وأحقهم بالتدبير العلماء . وأحقهم بالفضل أعودهم على الناس بفضله . وأحقهم بالعلم أحسنهم تأديباً . وأحقهم بالغنى أهل الجود . وأقربهم الى الله أنفذهم فى الحق علما وأكملهم به عملاً .

وأحكمهم أبعدهم من الشك فى الله . وأصوبهم رجاءً أوثقهم بالله . وأشدهم انتفاعاً بعامه أبعدهم من الاذى . وأرضاهم فى الناس أفشاهم معروفاً . وأقواهم أحسنهم معونة . وأشجعهم أشدهم على الشيطان . وأفلحهم بحجة أغلبهم للشهوة والحرص . وآخذهم بالرأى أتركهم للهوى . وأحقهم بالمودة أشدهم لنفسه حباً . وأجودهم أصوبهم بالعطية موضعاً . وأطولهم راحة أحسنهم للأمور احتمالاً . وأقلهم دهشاً أرحبهم ذراعا . وأوسعهم غنى أقنعهم بما أوتى . وأخفضهم عيشاً أبعدهم من الافراط . وأظهرهم جمالاً أظهرهم حصافة. وآمنهم في الناس آكلهم نابا ومخلباً . وأثبتهم شهادة عليهم أنطقهم عنهم وأعدلهم فيهم أدومهم مسالمة لهم . وأحقهم بالنعمة أشكرهم لما أوتى منها

أفضل ما يورث الآباء الابناء . الثناء الحسن والادب النافع والاخوان الصالحون

فصل ما بين الدين والرأى . أن الدين يسلم بالايمان. وأن الرأى يثبت بالخصومة . فمن جعل الدين خصومة . فقد جعل الدين رأياً . ومن جعل الرأى ديناً . فقد صار شارعاً . ومن كان هو يشرع لنفسه الدين . فلا دين له . قد يشتبه الدين والرأى فى أماكن . لولا تشابههما لم يحتاجا الي الفصل

العجب آفة العقل . واللجاجة قعود الهوى . والبخل لقاح الحرص . والمراء فساد اللسان . والحمية سبب الجهل . والانف توأم السفه. والمنافسة أخت العداوة

اذا هممت بخير فبادر هواك . لا يغلبك . واذا هممت بشر فسوّف هواك . لعلك تظفر . فان ما مضى من الايام والساعات على ذلك هو الغنم

*
* *

لا يمنعنك صغر شأن امرئ من اجتناء ما رأيت من رأيه صواباً . والاصطفاء لما رأيت من أخلاقه كريماً . فان اللؤلؤة الفائقة لا تهان لهوان غائصها الذى استخرجها

*
* *

من أبواب التوفق والتوفيق فى التعلم . أن يكون وجه الرجل الذى يتوجه فيه من العلم والادب فيما يوافق طاعة ويكون له عنده محمل وقبول . فلا يذهب عناؤه فى غير غناء . ولا تفنى أيامه في غير درك . ولا يستفرغ نصيبه فيما لا ينجع فيه. ولا يكون كرجل أراد أن يعمر أرضا تهمة (١) فغرسها جوزاً ولوزاً وأرضاجلساً (٢) نخلا وموزاً .

*
* *

العلم زين لصاحبه فى الرخاء ومنجاة له في الشدة .

*
* *

بالادب تعمر القلوب . وبالعلم تستحكم الاحلام

*
* *

العقل الذاتى غير الصنيع كالارض الطيبة الخراب

---

(١) الارض المتصوبة الى البحر

(٢) الجلس : الارض الغليظة . وما ارتفع عن الغور

مما يدل على معرفة الله وسبب الايمان أن يوكل بالغيب لكل ظاهر من الدنيا (صغير أو كبير) عيناً : فهو يصرفه ويحركه. فمن كان معتبراً بالجليل من ذلك . فلينظر الى السماء فسيعلم أن لها رباً يجرى فلكها ويدير أمرها . ومن اعتبر بالصغير . فلينظر الى حبة الخردل فسيعرف أن لها مدبراً ينبتها ويزكيها ويقدر لها أقواتها من الارض والماء . يوقت لها زمان نباتها وزمان تهشمها . وأمر النبوة والاحلام وما يحدث في أنفس الناس من حيث لا يعلمون . ثم يظهر منهم بالقول والفعل . ثم اجتماع العلماء والجهال والمهتدين والضلال على ذكر الله وتعظيمه واجتماع من شك فى الله وكذب به على الاقرار بأنهم أنشئوا حديثاً . ومعرفتهم أنهم لم يحدثوا أنفسهم .

فكل ذلك يهدى الى الله ويدل على الذى كانت منه هذه الامور . مع ما يزيد ذلك يقيناً عند المؤمنين بأن الله حق كبير ولا يقدر أحد على أن يوقن أنه بالباطل .

*
* *

ان للسلطان المقسط حقاً لا يصلح بخاصة ولا عامة أمر الا بارادته . فذوا اللب حقيق أن يخلص لهم النصيحة . ويبذل لهم الطاعة . ويكتم سرهم ويزين سيرتهم ويذب بلسانه ويده عنهم . ويتوخى مرضاتهم ويكون من أمره المؤاتاة لهم والايثار لأهوائهم ورأيهم على هواه ورأيه . ويقدر الامور على موافقتهم وان كان ذلك له مخالفاً . وأن يكون منه الجد في المخالفة لمن جانبهم وجهل حقهم . ولا يواصل من الناس الا من لا تباعد مواصلته

اياه منهم . ولا تحمله عداوة أحد له ولا اضرار به على الاضطغان عليهم (١) ،
ولا مؤاتاة أحـد على الاستخفاف بشيء من أمورهم والانتقاص لشيء من
حقهم . ولا يكتمهم شيئاً من نصيحتهم . ولا يتثاقل عن شيء من طاعتهم
ولا يبطر اذا أكرموه . ولا يجترئ عليهم اذا قربوه . ولا يطغى اذا سلطوه
ولا يلحف اذا سألهم . ولا يدخـل عليهم المؤونة . ولا يستثقل ما حمّلوه .
ولا يعتز عليهم اذا رضوا عنه . ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه وأن يحمدهم
على ما أصاب من خير منهم أو من غيرهم فانه لا يقدر أحد على أن يصيبه
بخير الا بدفاع الله عنه بهم

(١) أى حمل الضغينة وهي الحقد

تاريخ الباطنية

٦

(تابع ما قبله)

وصف الدعوة وترتيبها

(الدعوة الخامسة) — وهي مترتبة على ماقبلها — وذلك أنه اذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد أخذ الداعى يقرر أنه لابد ان يكون مع كل أمام قائم فى كل عصر حجج متفرقون فى جميع الارض عليهم تقوم. وعدة هؤلاء الحجج أبدا اثنا عشر رجلا فى كل زمان كما أن عدد الائمة سبعة. ويستدل لذلك بأمور. منها أن الله تعالى لم يخلق شيئاً عبثا ولابد في خلق كل شئ من حكمة والا فلم خلق النجوم التى بها قوام العالم سبعة وجعل أيضاً السموات سبعا والارضين سبعا والبروج اثنى عشر والشهور اثنى عشر شهرا ونقباء بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا ونقباء رسول الله من الانصار اثني عشر نقيبا وخلق تعالى فى كف كل انسان أربع أصابع فى كل أصبع ثلاث شقوق تكون جملتها اثني عشر شقا وأصابعه كالجزائر الاربع والشقوق التي فى الاصابع كالحجج والابهام الذى به قوام جميع الكف وسدادالاصابع كالذى

يقوم الارض ويقدر مافيها والشقان اللذان في الابهام اشارة الى أن الامام وسوسه لا يفترقان ولذلك صار فى ظهر الانسان اثنتا عشرة خرزة اشارة الى الحجج الاثنى عشرة وصار فى عنقه سبع فكان العنق عاليا على خرزات الظهر وذلك اشارة الى الانبياء النطقاء والائمة السبعة وكذلك الثقوب السبعة التى فى وجه الانسان العالى على بدنه . وأشياء من هذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعو مادعاه اليه الداعى وتقرر نقله حينئذ الى الدعوة السادسة .

(الدعوة السادسة) لاتكون الا بعد ثبوت جميع ما تقدم فى نفس المدعو . وذلك أنه اذا صار الى الرتبة الخامسة أخذ الداعى فى تفسير معانى شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأمور مخالفة للظاهر بعد تمهيده قواعد تبين فى أزمنة من غير عجلة تؤدى الى أن هذه الاشياء وضعت على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض وتصدهم عن الفساد فى الارض حكمة من الناموسيين للشرائع وقوة في حسن سياستهم لاتباعهم واتقانا منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد في نفس المدعو فاذا طال الزمان وصار المدعو يعتقد أن أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن لها معانى أخر غير مايدل عليه الظاهر نقله الداعى الى الكلام فى الفلسفة وحضه على النظر فى كلام أفلاطون وارسطو وفيثاغورس ومن فى معناهم ونهاه عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزين له الاقتداء بالادلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقر ذلك عنده واعتقده نقله بعد ذلك الى الدعوة السابعة — ويحتاج ذلك الى زمان طويل —

(الدعوة السابعة) لا يفصح بها الداعي مالم يكثر أنسه بمن دعاه ويتيقن أنه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة أعلى مما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال أن صاحب الدلالة والناصب للشريعة لايستغنى بنفسه بل لابد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الاصل والآخر عنه كان وصدر وهذا انما هو اشارة الى العالم السفلى ولما يحويه العالم العلوى فان مدبر العالم فى أصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه أول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه واليه الاشارة بقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون اشارة الى الاول فى الرتبة والآخر وهو القدر الذى قال فيه انا كل شئ خلقناه بقدر . وهذا معنى مانسمعه من أن الله أول ماخلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب فى اللوح ما هو كائن وأشياء من هذا النوع موجودة فى كتبهم وأصلها مأخوذ من كلام الفلاسفة القائلين الواحد لا يصدر عنه الا واحد (وقد أخذ هذا المعنى المتصوفة وبسطوه بعبارات أخر فى كتبهم فان كنت ممن ارتاض وعرف مقالات الناس تبين لك ماذكرت) واذا تقرر ماذكر في هذه الدعوة عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة الثامنة

(الدعوة الثامنة) — متوقفة على اعتقاد سائر ما تقدم — فاذا استقر ذلك عند المدعو دينا له قال له الداعى أعلم أن أحد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود والصادر عنه انما تقدم السابق منهما على اللاحق تقدم العلة على المعلول وكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن الصادر الثانى بترتيب معروف فى بعضهم . ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يعبر عنه ولا يقيد فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز

وكذلك سائر الصفات فان الاثبات عندهم يقتضي شركة بينه وبين المحدثات والنفى يقتضى التعطيل . وقالوا ليس بقديم ولا محدث بل القديم أمره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته كما هو مبسوط فى كتبهم . فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عنده الداعى أن التالى يدأب فى أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت فى الارض يدأب فى أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وأن الداعى يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء .وهكذا تجرى أمور العالم فى اكواره وأدواره . فاذا اعتقده المدعو قرر عنده الداعى أن معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء ينتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوى معاني فلسفية تنبئ عن حقيقة أنية السماء والارض وما يشتمل العالم عليه بأسراره من الجواهر والاعراض فتارة برموز يعقلها العالمون وتارة بأفصاح يعرفه كل أحد فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس ويقرر عنده أيضا أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناه سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الذهن اليه فليس يوم القيامة الا حدوث أدوار عند انقضاء أدوار من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة فى كتبهم . فاذا استقر هذا العقد عند المدعو نقله الداعى الى الدعوة التاسعة

(الدعوة التاسعة) هى النتيجة التى يحاول الداعى بتقرير جميع ما تقدم رسوخها فى نفس من يدعوه فاذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر فى كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد

١

الطبيعة والعلم الالهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه وقال

(ما ذكر من الحدوث والاصول رموز الى معانى المبادئ وتقلب الجواهر وأن الوحى انما هو صفاء النفس فيجد النبى فى فهمه مايلقي اليه ويتنزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذى ينظم به النبي شريعته بحسب مايراه من المصلحة في سياسة الكافة ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فانه لا يلزمه العمل بها ويكفيه معرفته فانها اليقين الذى يجب المصير اليه وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فانما هي أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة بمعرفة الاغراض والاسباب. ومن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء أصحاب الشرائع انما هم لسياسة العامة وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة وأن الامام انما وجوده في العالم الروحانى اذا صرنا بالرياضة فى المعارف اليه وظهوره الآن انما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أولياء ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم — وهذا حاصل علم الداعي ولهم فى ذلك مصنفات كثيرة منها اختصرت ماتقدم ذكره — (هذا يقول ولم يعين شيئاً يرجع اليه)

هذا ما ذكره المقريزى فى بيان الدعوة الاسماعيلية في القاهرة وتعاليمها أما تعاليمها فى المشرق فلا تختلف كثيرا عنها كما نقله المؤرخون اذ كل ماعمله حسن بن الصباح ادخال بعض النظام فى هذه الدعاوى ووضع قيود وشروط لمن تلقى اليه .

قالوا أن أساس التعاليم الدينية التي وضعها حسن لطائفته (أن ليس شئ

صحيحا وكل شيء مستحل) أي انه كان أباحيا يدعو الناس للاباحة المطلقة. ومنها أن جميع الرتب يجب أن تعطى لمختارين قليلين وأن الروح القدس يحل في الرئيس وأن أوامر الرئيس آتية من عند الله . وكان معظم أتباعه يعلمون مايكفى لتشويق عقولهم وجعلهم متعلقين أشد التعلق برئيسهم .

قالوا هـذا وقالوا انه كان يأمر بصرامة بالمحافظـة على كل الفروض الاسلامية (فانظر هذا مع قولهم أنه كانا أباحيا يدعو الناس للاباحة) .

أما القوانين التي وضعها حسن للدعاة ليسيروا عليها فهي

(١) الذوق وهو التفرس فى حالة المدعو هل هو قابل أولا ولذلك منعوا القاء البذر فى السبخة (أى دعوة غير الاهل) والتكلم فى بيت فيه سراج (أى فقيه)

(٢) التأنيس وذلك أن يستميل الداعى كل أحد بما يميل اليه من زهد وخلافه

(٣) التشكيك — وذلك أن يلقى اليه من الشرعيات أشياء غير بينة الحكمة مثل وجوب الصوم على الحائض دون الصلاة ونحوه مما قدمنا ذكره ليتعلق قلب المدعو بمراجعته في كشف سرها .

(٤) الربط — وهو أخذ الميثاق منه بحسب اعتقاده الا يفشى له سراً وأن يحيل كل ما أشكل عليه على الامام

(٥) التدليس — وهو أن يغر الداعى المدعو بادعاء أن أكابر الشريعة وأعاظم العالم على مذهبه وقائلون بقول الاسماعيلية (وهذا ما يفعله البابية اليوم).

(٦) التمهيد — وهو أن يلقى اليه مقدمات ليبني عليها ماسيلقيه اليه .

(٧) الخلع — وهو الطمأنينة الى اسقاط وجوب الافعال البدنية

(٨) السلخ — وهو الخروج عن جميع الاعتقادات وحينئذ يأخذون في الاباحة واستحلال اللذات وتأويل الشرائع .

هذا ماقيل عن الاسماعيلية القدماء أما اسماعيلية اليوم الموجودون فى الجهات التى قدمنا ذكرها فلا يوجد عنهم خبر صحيح يبين معتقداتهم لما هم عليه من شدة الحرص على أخفائها ولم يسمع أن واحدا منهم أفشى لهم سرا.

غير أن المشهور عنهم أنهم يعبدون مقدم المرأة وقيل لا بل يعظمونه ويتخذون المرأة قبلة لهم فى صلاتهم وليست كل امرأة تصلح لذلك عندهم بل لابد من أن يوجد فيها شروط مخصوصة

ولهم رئيس روحي يسمونه الداعى ومقره فى اليمن وقيل فى الهند وله عليهم نذور وعوائد يجمعونها في كل سنة ويذهب بعد مدة من السنين بما جمع من هذه العوائد شيخ مخصوص منهم الى مقر امامهم الداعى ويقدمها له ويجيء لهم بآثار مقدسة يتبركون بها — قيل أن هذه الآثار بعض طمث المرأة المعبودة — وقد ثبت ذلك بدعوى أقيمت على بعض المشايخ الذين ذهبوا لتقديم هذه العوائد الى الداعى بسبب انه لم يوصلها اليه

وهم يتهمون بأنهم فى الليلة الاولى من كل سنة يكون عندهم عيد فيجتمع رجال كل قرية في بيت يعدونه لذلك ويؤدون فيه بعض عبادات ودعوات ثم ينتهون بأطفاء المصابيح وفتح الابواب فتدخل اليهم نساء القرية فيأخذ كل منهم من يعثر عليها وربما كانت عن محارمه (ويسمى هذا عيد البقبيشة)

وأمثال هذه الاشياء المنسوبه اليهم كثير فى بطون الكتب نكتفي في الدلالة عليه بما أوردناه

ثم أنا لا ننتهي من هذا الفصل حتى ننبه القارئ الى أنا لا نظن بهذه الاشياء الا الافتراء المحض ولو كان الامر على خلاف مانظن لكان التهوس والجنون الذى يمكن أن يصل اليه الجنس البشرى لانهاية اليه .

هذا ما أمكن ايراده مما قيل من معتقدات الاسماعيلية ونحن نتركه للقارئ ينظر فيه بعين البصيرة ونظر المؤرخ الناقد ليرى فيه رأيه مستقلا عما نبديه له من رأينا وان كنا لا نتركه من تنوير الطريق له بختم هذه الرسالة بكلمة نبين فيها رأينا فى صحة هذه التعاليم وما يمكن ان يكون معقولا منها كما وعدنا بذلك سابقاً

فوائد الختان

ورد الينا هذا المقال من أحد الاطباء الافاضل فآثرنا نشره لاهميته :

الاسلام دين الفطرة لم يأمر الا بمقتضيات السنن الطبيعية والقوانين الصحية وكل مسألة لم نفقه المراد منها ولم نستكنه سر تشريعها لقصر معلوماتنا لا تلبث حوادث الزمن ومكتشفات أسرار الطبيعة أن تجلي لنا غامضها وتبين لنا حكمتها فتعنو الوجوه لقدرة الله ويعترف المكابر بان الاسلام دين العقل والحكمة

هذه مسألة الختان التى أمر الله عباده المطهرين باجرائها كانت مثار خلاف الطوائف المسيحية في هل يصح لاتباع الكنيسة الاختتان أولا وبعد عراك طال أمده واختلف سنده حرموا الختان لانه من مميزات

المسلمين واليهود وليس له من فائدة تذكر الا تشويه ما خلقه الله أما قوم موسى فيدعون بان الختان أمر الله به نبيه ابراهيم حتى يكون من المطهرين فى العالمين وكنا نعرف أن الاسلام ودين ابراهيم عليه السلام اتحدا اذ ما بعث من نبي ولا رسول الا داعياً الي دين الفطرة وقانون العقل والاسلام حتى اذا انحرف قومه عن جادة الصواب بدلوه وأخرجوه عن الحنيفية الاولى

الختان كان فاشياً بين سكان أوستراليا الاولين ولا يزال موجوداً بين قبائل الانتيز بامريكا والبونتوس بافريقيا وأثبت التاريخ أن قدماء المصريين عمموه فى بلادهم وسمعنا بعض العلماء الرحالة يقولون ان بعض القبائل الهمجية تختتن فمن كل ما تقدم يرى القارىء أن الاسلام لم يأمر الا بما توحيه الفطرة السليمة نعم أن بعض فلاسفة الغرب ادعوا بان الختان تتمسك به بعض القبائل كعلامة مميزة واشارة فارقة لهم عمن جاورهم من الشعوب وليس له حكمة أخرى ولكنى أقول بان هذا التعليل سقيم اذ فى الاستطاعة اتخاذ غير هذه العلامة خصوصاً أن عملية الختان مؤلمة ومصحوبة ببعض الخطر عند الامم الجاهلية لجهلهم باصول الجراحة العقيمة ووسائل المطهرات

وادعى بعض فلاسفة الغرب أيضا أن الختان كالوشم من الزينة عند بعض الاقوام ولكنى أقول باني ماسمعت بان الوشم عام فى أمة بل في أمم كما هو الحال فى الختان ولو عرف أولئك المتقولون أن الوشم أصل استعماله كان كدواء وهو لا يزال في البلاد التى لم ترق بعد في المدنية من أنجع طرق العلاج في الرضوض والآلام العصبية الموضعية وتمزق بعض الاربطة وغير ذلك لما نسبوه الى مجرد الزينة

وليت المدعي الذي ظن الوشم للزينة فقط زار قطراً شرقيا كمصر وتونس وطرابلس والسودان ليرى صدق قولي ويدرك أن الوشم ما خرج عن معناه الاصلي وأصبح يستعمل كزينة الا بعد تقدم الطب واكتشاف علاجات أسهل وأنجع منه

وفوق ماتقدم فشتان ما بين الوشم والختان حتى يقال للقول بان الختان لمجرد الزينة حتى لو سلمنا جدلا بان حكمة الوشم هي الزينة لان الختان اذا كان عند بعض الامم لمجرد الزينة أو انه علامة مميزة أو عادة لم يعرف لها سبب كما يدعي فلاسفة الغرب فهو في الاسلام حكم مشروع وفريضة مطلوبة لم توضع عبثاً بل لغايات سامية وحكم عالية وقد جاء الطب الحديث يبين للناس نفعها ويثبت تحقيق ماقاله القرآن الكريم بشأن المكذبين (سنريهم آياتنا ظاهرة في الآفاق وفي أنفسهم وهم لا يشعرون) . نعم أن من حكمة الله وأصدق الادلة على أن القرآن كلامه القديم ان نرى الاطباء في الغرب ينادون بوجوب الختان ويتخذونه من وسائل العلاج في كثير من الامراض وجاءوا اليوم يبرهنون على انه من وسائل الوقاية في بعض الامراض المعضلة واني أقدم للقارىء شواهد قليلة خالية من التطويل

(اولا) عند ما يدخل أحد المصابين بالسيلان الى المستشفى يجري الطبيب له عملية الختان اذا لم يكن مختوناً في صغره وبهذه الواسطة لا يمكن اعادة عدواه من الجراثيم التي قد تبقى بالغلفة بعد التبول ليسهل على الطبيب اجراء الغسيل والتطهير الموضعي بخلاف الحالة عند وجود الغلفة

(ثانياً) عند الاصابة بقرح زهرية بالقضيب يستحسن أن يختن المريض

حتى يوضع الملاج على الجراح مباشرة فيتم التئامها بسرعة وعا انه من المحتمل وجود القرحة الزهرية تحت الغلفة وربما لا يتألم منها المريض قد تبقى مخفيه عن المريض حتى ينقضي الدور الاول بدون اتخاذ المركبات الزئبقية أو الحقن بمركب (٦٠٦) الجديد حتى يمنع التشويهات القطعية التي تصيب المريض في الدور الثاني وكلنا نعرف أن تخفيف وطأة المرض والتأثير على سيره المقبل في جسم المصاب يتوقف على المبادرة بتعاطي الدواء المكافح لهذا الداء ولذلك يستحسن اجراء عملية الختان للاولاد قبل بلوغ سن الحلم احتياطا لهذا الخطر

(ثالثا) قد يصيب الغلفة تضيقا وتصلبا يؤدى الى اختناق الحشفة وفضلا عن الآلام الناتجة عن هذه الحالة فقد تصاب الحشفة من جراء ذلك بتشويه دائم وأنجع طريقة لعلاج هذه العلة أن يختن المريض ولو كان المريض مختونا لما تجرع كاس الالم ولنجا من تشوه حشفته ولما أصيب بهذه العلة قط

(رابعا) قد تصاب الغلفة بالتهابات حادة تؤدى الى التصاقها بالحشفة دائما فهذه الحالة فضلا عن كونها تعيق الانتشار لدرجة معينة فلها تأثير سيء على الباضعة حتى قد تصل بالرجل الى عدم استطاعة حيوناته المنوية على تلقيح البويضات أي الى درجة العقم الغير طبيعي ولو كان الرجل مختونا لما حصل هذا الالتصاق ولا نتجت عنه هذه الاسباب

(خامسا) قد توجد فى مياه الأنهار والبرك بويضات بعض الديدان المؤذية كالبلهارسيا وغيرها فاذا اغتسل الرجل فيها ربما تدخل فى الغلفة بعضها وتبقى هنالك في حرارة تلائم أفراخها مع رطوبة ناشئة من فضلات البول

بالغلفة فاذا ما تم افراخها سعت حتى تدخل قناة مجرى البول وهنالك تبدأ في اتلافها أو تصل الى الدورة الدموية ومن ثم تسبب آثارها الضارة بالجسم وكل مصري يعرف ما توجده البلهارسيا من حصوات و نواصير الى أورام وفقر دم وقس عليها الديدان الاخرى التي لا تعرفها العامة ويدرسها الاطباء كل يوم فلو كان الرجل مختونا ماجدت البويضات مكانا ملائما لافراخها ولا دخلت ديدانها الجسم وأظهرت آثارها. ولقد كتب استاذ علم الامراض بجامعة شيكاغو مقالا عن الختان بمجلة (ذي ميدكال بريف) جاء فيه العبارة الآتية (ومما يثبت رقى قدماء المصريين فى الطب وتمكنهم من دراسة علم الامراض بدقه أنهم عمموا الختان فى بلادهم وهى خير طريقة للوقاية من العدوى بكثير من الديدان المائية وخصوصا البلهارسيا المتفشية بمصر والسودان وكثير من البلاد الحارة وقد أدرك عالم الطب اليوم ثاقب نظرهم واصابة فكرهم وعرف أن هذه العادة وضعت لقاعدة طبية لا للطقوس الدينية المجردة كما كنا نظن قديما) ثم أخذ ينصح لحكومات الدول المستعمرة التى يكثر ببلادها هذا المرض بختن الاهلين وجماعة الاوربيين الذين ينوون الاقامة بهذه الاصقاع وقاية لهم من هذا المرض العضال الذى لم نعرف له علاجا بعد ومن الحكم المأثورة (درهم وقاية خير من قنطار علاج) ما كان محمد من الساحرين ولا كان من اليهود بل كان نبياً أمياً ورسولا كريما أتى بدين الحق هدى ورحمة للعالمين وكفى دليلا أن فى أمره بالختان ما ذكرته من الفوائد بكل ايجاز فضلا عن النظافة التامة ولربما كشف الزمان لنا حكما أضعاف مامر

أدب النفس بالنفس

شتان بين علاج ما يعترى الانفس فى أجسامها وعلاج ما يعتريها فى أخلاقها من العلل . اذا نجع العلاج فى الحال الاولى ما كان بيد الغير وأنجعه في الحال الاخرى ما كان من النفس واليها . ولذا قيل

لا ترجع الانفس عن غيها　　ما لم يكن منها لها زاجر

ويروى عن عبد الله بن المقفع قوله انما تأدبت بنفسى. كنت أرى الخير فاتبعه وأرى الشر فاجتنبه

لم نعرف النفس بذاتها وانما عرفناها بصفاتها . عرفناها أمارة بالسوء ومطمئنة وانها كالطفل وأن الظلم من شيمها الخ فهى قابلة للخير والشر متأثرة بما يغلب عليها منها بالاكتساب أو التأديب أو المعالجة

غير أن أحب العلاج اليها ما كان بيدها (لا بيد عمرو) ولعل ذلك لما جبلت عليه من حب الاستبداد أو الحرية المطلقة فى الخير وفى الشر معاً

فى استطاعة كل امرىء أن يهدي نفسه الى الخير كما تقوده هي اليه الى الشر . غير أن ما فى سبيل الاول من المشاق وما له من خشونة الملمس من ذاته قد رغب باكثر الناس عن سبيله فهجروه فبعدت عليهم الشقة وضعفت فيهم ملكة الخير أضعاف ما قويت ملكة الشر حتى قيل

والناس أهدى فى القبيح من القطا　　وأضل فى الحسنى من الغربان

وقال المتنبي

انا لفى زمن ترك القبيح به ‏ ‏ من اكثر الناس احسان واجمال

والا فالنفوس كلها أمام الخير والشر سواء كما ان هذين السبيلين ممهداً أمامها تسلك منهما ما تشاء « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين » والضمير عائد على الانسان

وليس انسان مهما كانت درجته في العلم أو الجهالة خاليا من بعض القواعد الادبية المنزلة على النبيين والمرسلين أو الموضوعة على ألسنة الحيوان أو الجارية على لسان الانسان فى أى شكل من أشكال النظم والنثر الصحيح منه والفاسد ليدخل فى هذا الباب كثيرمن الامثال العامية منظومةومنثورة

وعلى فرض أن انساناً فاته كل شيء من ذلك فهيهات أن يفوت أحد من الناس (العقلاء) يقينه فى البادىء جل وعلا وهو الذى يقول « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » الآية « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » الآية

يقول ذلك في مقام مدحهم والامتنان بحسن جزائهم وجزيل مثوبتهم وفى الكتاب العزيز كثير من أمثال هذه الآى دالا على أن الذكرى أو التذكر أو الذكر بمعنى يقظة النفس من غفلة الشهوات من أكبر أسباب السعادتين

وما هذه اليقظة الا ما نقصده فى موضوعنا هذا . ومن أحوج منا الى مثل هذا الموضوع . وقد غمرتنا سفاسف الحياة فانستنا معاليها ففقدنا السعادتين وخسرنا الصفقتين

ان الهموم والشهوات لا تتمكن من النفس الا وهى فى غفلة عن تلك الذكرى طوعاً أو كرها . وربما كانت أقرب شيء اليها وأهون عمل عليها . وفى الحديث « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر شاربها حين يشربها وهو مؤمن » أو كما قال

* * *

تنزل بالانسان الفاجعة فتسد عليه منافذ الفضاء وتحجب عنه نور العقل الذى به يهتدى الى الصواب فى القول والعمل والاعتقاد حتى اذا راجع نفسه هنيهة أو سمع من جليسه كلمة أو وقع بصره على الحكمة فى كتاب أو التقطها من أى وعاء اذا به قد استرجع ربه وثاب الى رشده فصغرت المصيبة بل الدنيا فى عينه واستنار له سبيل الرشاد

يفجع الواحد منا فى ولده الفرد أو أمه أو أبيه أو زوجه أو أخيه فيخيل له أنه هو المنعي أو يظن ان لا حياة له بعد فقيده ولا سعادة له دونه وكل شيء بعده فى عينه أسود وكل نعيم قد استحال الى شقاء حتى اذا ذكر ان الله الذى رباه وجعل له زوجا وذرية ليس بعزيز عليه ان يعوضه خيرا مما فقد فى هذه الدار أو فى الدار الاخرى

ثم يفكر فيقول فى نفسه : لو شاء الله لسقاني هذه الكأس دون من فقدت . ومالى أجزع ولى أحسن الاسوة بمن سبق فقيدي من الانبياء والاصفياء ومن سيلحقهم من العظماء والكبراء . وانى ولا ريب عما قريب لاحق بسابق وسابق بلاحق

بل لو ذكر ان الموت بلاء منتظر وان وقوعه عاجلا خير من انتظاره آجلا كما قال ذلك أحد الفلاسفة لتلاميذه وقد جاءه نعي ولده الفرد وهو يلقى الدرس فلم يزد على ان حوقل واسترجع ثم تابع الدرس

يحل ببدنه الداء العضال فتوسوس له نفسه انه الواحد الفرد فى هذا المصاب وان الله ما امتحنه به الا بعد أن جرده من نعيم الدنيا وأعد له عذاب الآخرة فتتضاءل نفسه عن حمل الداء والصبر على ألم الدواء ثم يستولى عليه اليأس من امكان الشفاء فيكره كل شئ حتى الحياة وقد يحاول قطع الصلة التى بينه وبينها

ولكن لفتة منه الى مثل قوله تعالى « ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين » الآية وقوله حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام « الذى خلقني فهو يهدين والذى هو يطعمني ويسقيني واذا مرضت فهو يشفيني » الآية تنقله الى زمرة الصابرين. فلا يلبث بعدها ان يتأسى بالكثير من أمثاله ذوى العاهات وحملة الامراض والآفات وربما رأى نفسه أسعدهم حظا وانعمهم بالا . بل ربما استحال الى أستاذ في الصبر وقدوة فى التأسى

بينا يكون المرء بين أهله وعشيرته يتقلب فى النعيم ويعاقر كؤوس المسرة واذا بحادث نزل نفرق الاحباب وجميع الاوصاب وحال بين المرء وزوجه وأهله وولده اما الى غربة أو الى سجن فيضيق صدره ويستوحش مما هو فيه . ولكن كلمة من أمثال قوله

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

أو قوله

قالوا سجنت فقلت ليس بضائري   سجني وأي مهند لا يغمد

تدع ليل الخطب نهاراً وضيق الازمة فرجا حتى ليكاد يستوى لديه ما صار اليه وما كان فيه . وكأني به وهو يخاطب نفسه بقوله :

ما هذا الخور والقلق ؟ الست ذلك الرجل الذى انما خلق ليحمل الكل ويحارب الدهر وهو ذلك الذى قال فيه الشاعر

كتب القتل والقتال علينا   وعلى الغانيات جر الذيول

وقال الآخر

فان عليات الامور مشوبة   بمستودعات من بطون الاساود

***

يكون الرجل في أعلى المناصب آمنا في سربه واثقامن رئيسه أشد من ثقته بربه فما هى الاعشية أوضحاها حتى يحل الخوف محل الأمن فتضطرب سفن الامور وتتقطع الاسباب .

هنا لك تحدثه نفسه بان عياله قد ماتوا جوعا أو هلكوا ظمأ وان أسباب الرزق قد انقطعت دونهم وأبواب السماء قد سدت فى وجه عائلهم . وانه سيبقى عاطلا أبدالدهر . وفيما هو كذلك واذا بريح قد هبت من لدن اللطيف الخبير والذى يقلب القلوب والابصار ويولج النهار في الليل ويولج الليل فى النهار والذى بيده التنصيب والعزل والاعطاء والسلب فبددت تلك السموم وغلت عن قلبه الهموم . فيذكر عندئذ قول القائل

ربما تكره النفوس من الأ مر له فرجة كحل العقال

يكد الطالب فى الدرس ويصل ليله بنهاره فى المذاكرة حتى اذا جاء الامتحان وأقيم الميزان كان نصيبه السقوط وحظ من هو أدني منه الصعود فتذهب نفسه حسرة وسرعان ما تجحد فضل ربها فى الماضى وتيأس من روحه فى المستقبل حتى انها لتحاول التقلص من مسكنها والتخلص من حالها ومستقبلها ناسية قول عالم الغيب والشهادة « ولا تقتلوا أنفسكم — ولا تبطلوا أعمالكم » الآيتين

ولولا أن ذلك الطالب رمي ببصره الى مستقبل من الرجاء فسيح الارجاء والى رحمة من الله عرضها الارض والسماء . بل لو ذكر أنه كذلك الجندى فى ساحة الوغى لا يليق به أن ييئسه الانكسار فى البيان ولا أن يبطره الانتصار في النهاية لرجع الى الحق يحمل سلاح العمل وهو يقول

على المرء أن يسعى الى الخير جهده وليس عليه أن تتم المقاصد

ولو أن مثل هذا الطالب كان صحيح الايمان قوى العزيمة لأخذ لنفسه العدة قبل نزول البلاء فاعتصم بحبل التوكل على الفاعل المختار بعد قيامه بما ينبغى عليه من درس ومذاكرة . انه ان فعل ذلك استراح من عناء الطمع فى النجاح والجزع من السقوط . ولم يقلق بنفسه من ذلك الا اثارة من رجاء تخلفها مسكة من الصبر

على أن أبواب النجاح أكثر من أن تعد وأشهر من أن تذكر فليفزع الى غير أبواب الشهادات متى أعياه أمرها وليقل مع القائل

اذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

يتفق للرجل أن يكون ذا مال وجاه أو ذا أدب وعلم فيغلبه حب المال والاعجاب بالجاه والعلم على أن يتفضل على قومه بزكاة ما أعطاه الله من ذلك ناسياً قوله

ومن يك ذا فضل فيبخل لفضله　　على قومه يستغن عنه ويذمم

ولكني لا أخاله اذا ذكر الله الذى يقول « انما أموالكم وأولادكم فتنة — ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم » الآيتين. ثم جرى على قلبه قول البحترى

وأري الجود نشاطا يعترى　　سادة الاقوام والبخل كسل

ألا مسرعاً الى الدخول فى زمرة أولئك السادة منزعجا عن الانتظام فى سلك الكسالى مستعيذاً مما استعاذ منه عليه الصلاة والسلام فى قوله « رب أعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل » الحديث

تعرض للمرء وهو رئيس أو مرءوس غنى أو فقير مواقف يلوّح له فيها العدل بالانتصار له ويتنمر له فيها الظلم طلباً للركون اليه

ولكن النفس المطمئنة لا تنزعج للقوة مهما أرعدت وأبرقت ولا تتجافى عن الحق وان كان نضو آلام وأسقام . وكأنه بالمتنبي وهو بجانبه فى تلك الساعة ينشده قوله

اذا غامرت فى شرف مروم　　فلا تقنع بما دون النجوم

(وقوله)

فطعم الموت فى أمر حقير　　كطعم الموت فى أمر عظيم

(وقوله)

واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا

وقوله

يرى الجبناء أن العجز عقل وتلك خديعة المطبع اللئيم

ثم يرفع بصره فاذا هو بغلام أبي الطيب وهو يستفزه الى القتال ويدفعه الى أن يدب عن حوضه ويمنع حريمه مذكراً له بقوله

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فلم يلبث أن كر على عدوه وما زال يقاتل حتى مات شهيد الشهامة والحق

*
* *

هذا بعض ما يقال في هذا المقام وللقارئ أن يقيس على ذلك ما يعرض له من المواقف وما يعترى نفسه من العلل. وله أن يدبر لها من الدواء ما يلائم الطبع والعادة ولا ينافي العلم والأدب حتى تكون نفسه كجسمه صحة وقوة. ولا يكن الى مداركة جسده بالعلاج أسرع منه الى مداواة نفسه فذلك من أكبر آفات الانسان ومن أعجب فعاله

ان الرجل منا (لا سيما في هذا العصر) ليس أقل عقلا ولا أضعف نفساً من ذلك الاعرابي الذي وقف للحجاج يتأول كلامه ويتلقى سخطه بالرضا وجهله بالحلم. فلما قال له الحجاج لأحملنك على الادهم (القيد) قال مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب. قال. انما أردت الحديد. فقال: لان يكون حديداً خير من أن يكون بليداً

ولا هو أعلم بفضل العقل ولا أقدر للحرية من ذلك الذي حبسه الحجاج فجاء اليه أهله في السجن يحثونه على دعوى الجنون ليكون في ذلك مخلص

له من العذاب . فما كان منه الا أن قال لهم : معاذ الله ان أجحد فضله فاستبدل أقبح نقمة بأكبر نعمة . انى اذن لمن الظالمين

وروى ان عمر رضى الله عنه مر بصبية يلعبون وفيهم عبد الله ابن الزبير فلما رأوا عمر فروا من وجهه الا عبد الله فانه ثبت مكانه فسأله ابن الخطاب لم لم تفر معهم . فقال له ليس الطريق ضيقا فاوسع لك ولا أنا مجرم فأخافك

وكم من مواقف لامثال هؤلاء لايكاد المرء يملك فيها نفسه دهشة وعجبا بل لا يكاد يصدق الخبر بوقوعها. وليس أكثر ذلك من طبيعة النفس وانما هو حكم العادة وثمرة التربية .وما ترويض النفس على خلع سيئ العادات ونبذ فاسد التربية على أحد ببعيد

ان أكثر ما درجنا عليه فى عاداتنا وتربيتنا وقد وقف بنا عند وسائل الحياة فشغلنا بها عن مقاصدها السامية بل قدسناها تقديسا يكاد يبلغ حد العبادة ومن الذي ينكر فرط حبه المال والجاه والحياة لذاتها حتى اذا ماعرض له ان يضحى بالجزء عن الكل ويبذل الوسيلة دون المقصد أبى واستكبر أو جبن واستكان . وهو لا يدرى انه خسر الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

ومن ينكر انا أهملنا ملكات الشجاعة والحرية والنجدة والصبر في سبيل وفرة المال وجمال الحياة وخفض العيش واطمئنان القلب ونحن لا ندرى انا نحافظ على ما نفقد حالا أو مآلا ؟ ؟

لا يحصل الانسان على القليل مما يحب الا بالكثير مما يكره « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » فلا سبيل الي ان نحصل على سعادة تامة خالدة

الا بالانتفاع بتلك الملكات وان بذلنا جزءا من المال وشطرا من الحياة وأقلقنا النفس بضع ساعات طوعا أو كرها فردا أو جماعات

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يعدم والاقدام قتال .

يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة والعز بين رسيم الانيق الذال .

المواسم والاعياد

(دخل الديانة البوذية فى الديانة المسيحية)

قال في دائرة المعارف العربية فى شرح ديانة البوذية :

وقد كذب قسيسو النصارى الاوروبيون فى زعمهم ان البوذية مذهب من المذاهب النصرانية ومأخوذة عن (نسطور) وأتباعه وكذبهم ظاهر لان النسطوريين لما طردوا من بلاد الروم فى القرن الخامس للميلاد التجأوا الى بلادفارس في حكم الساسان وديانة البوذية قديمة جدا ووارد ذكرها فى كتب سابقة على المسيحية بجملة أجيال . فالواجب اذن القول بأن النصرانية دخلها أمور من البوذية ولاعكس .

(الصليب من علامات المعبود بوذا)

قال فى دائرة المعارف العربية فى شرح صفات المعبود (بوذا) رب الهنود :

ويصورونه فى الاصنام واقفا على دولاب كبير ويجعلون تحت قدميه شمسية أو خرطوم فيل أو سدرة (شجرة سدرة المنتهى) أو هيئة جبل « ميرو » أو شمس أو قمر أو نمر أو « صليب » ثم يرسمون حول رأسه هيئة شعاع نور عظيم فى وسط الهواء وهيئة انتشار رائحة عطرية عظيمة منبعثة من صورته

﴿ استخدام الاختلافات الدينية فى سياسة الامم ﴾

من دائرة المعارف العربية للبستاني في شرح دين البوذية :

قال المؤلف : ولما كان دينه شديدا علي البراهمة مضيعاً لكثير مما كانوا يدعون فقد ساعد الاسكندر وخلفاؤه من المكدونيين على نشره فى الهند لاسقاط نفوذ البراهمة وبذلك آمنوا شرهم وتأثيرهم فى العامة بما كان لهم من النفوذ فى المذاهب القديمة الخ ومن ذلك يعلم أن لاغراض الملوك دخلا في مسائل الاديان والمذاهب

(رأى رجال الدين فى الامبراطور قسطنطين صاحب البدع المذكورة)

قال صاحب ريحانة النفوس في خاتمة كتابه :

ان الديانة المسيحية كانت في أول الامر بسيطة جدا وقد حصل فى القرن الرابع تغيير فيها عظيم. فانه بعد ارتقاء قسطنطين الكبير الى تخت السلطنة زيدت زيادات عظيمة على العوائد والطقوس الموجودة قبلا ومن جملتها اطالة العبادة في الكنيسة واستعمالها باحتفالات وزخارف خاصة . وليس خافياً على قارئ هذه الرسالة أن أكثر هذه العوائد قد ابتدأ من زمن قسطنطين وبعده

وجميع مؤرخي الكنيسة يشهدون بتكثير الطقوس بغتة وبنوع مفرط في القرن الرابع . وكثير منها قد نقل عن عبادة الاوثان نفسها . فان شلاغل الكاثوليكى المشهور يقول (لا شك ان قسطنطين ارتكب غلطات كانت في نتائجها مضرة للديانة المسيحية لانه أعطى الاكليروس الانعامات القديمة التى كانت لكهنة الوثنيين الخ)

هذا مايعترف به علماء الدين المسيحي أنفسهم فما بالك بما يخفونه مما لو اعترفوا به لاضاعوا منزلتهم في نظر العامة وفقدوا مكاسبهم ومعاشهم

أما الكلام على ما يخفونه فنأخذه عن غيرهم من الفلاسفة والعلماء المتنورين الذين لا غاية لهم الا الحق وتجريد الاديان من الاباطيل.

(الباب الثالث)

(أقوال العلماء البروتستانت فى الاعياد والاعتقادات والطقوس)

ملخص من كتاب ريحانة النفوس فى أصل الاعتقادات والطقوس تأليف القس بنيامين شنيدر والكلام منقول كما هو ولم نغير منه الا ترتيب الابواب والفصول والفروع مع مراعاة الاختصار والاقتصار على الهام منها

(الفصل الاول)

قال في الباب الاول من الكتاب

انا قبل ان نشرع فى ذكر الامور الخصوصية من هذا الموضوع نذكر بعض أمور عمومية

(الاول) ان الاعياد لم يأمر المسيح بحفظها وليس لها ذكر بين أوامر الرسل . ولو كان قد حفظ منها فى قرون الكنيسة الاولي . ومما يستحق

الاعتبار ان المسيح لم يعين يوما لاجل تذكار شيء مامن حوادث حياته كميلاده وموته وصعوده الى غير ذلك ماعدا السبت الذى نقل (ربنا بأمره) من اليوم السابع الى اليوم الاول من الاسبوع تذكارا لقيامته . ومع ان هذه الحوادث هى من أعظم الامور التى ظهرت فى العالم والبعض منها قد تأسست عليه الديانة المسيحية لم نقرأ فى مكان أنه أمر بتذكارها فى يوم مخصوص اذ لم يعين يوما لصوم ولا يوما لعيد. وهكذا يقال أيضاً عن الرسل. وهو من القضايا المسلم بها التى لا يشك فيها مهما كانت الغاية ومهما استغربه بعض الناس

نعم ان المسيح ورسله كانوا يغتنمون الفرصة فى أعياد اليهود لكي يعلموا الشعب ولاجل هذه الغاية كانوا يدخلون المجامع والهياكل فى هذه الاعياد ولكن لا ينتج من ذلك ان حفظ هذه الاعياد واجب على أتباعهم بل على عكس ذلك لاحظ بولس الرسول ان البعض كانوا يريدون ان يكلفوا المسيحيين حفظ سنن اليهود كالاعياد وغيرها كأنها واجبة عليهم وكان يقاوم ذلك بكل عزم وغيرة (ونجد الجزء الاعظم من رسائله مشتغلا بهذه المقاومة لانه لم يرض ان المسيحيين يكونون تحت نير مثل هذه العبودية بل يريد ان يتمتعوا بالحرية التى اعطاهم اياها الانجيل)

وبناء على ذلك مهما سمعنا من مدح حفظ الاعياد لاجل نمو التقوى لا ننس أنه غير مأمور بها فى الانجيل ولو سلمنا أنه يليق بالمسيحى أن يحفظ يوما لتذكار ميلاد المسيح أو موته أو آلامه أو حلول الروح القدس الى غير ذلك فهذا ليس موضع البحث لاننا لا نبحث الآن عن اثبات اللياقة لهذا الامر اونفيها عنه بل

مقصودنا هو ان تثبت هذه القضية البسيطة وهى (أنه فى العهد الجديد لا يوجد وصية بحفظ الاعياد)

(الامر الثانى) ان جميع الاعياد المحفوظة لبعض أيام الرسل فى الكنائس الاولى ماعدا الاحد كانت اختيارية بالكلية ولم يطلب حفظها قط كأنها واجبة وجوب الوصية فان سقراط الذى كتب تاريخا للكنيسة سنة ٤٤٠ وسنة ٤٥٠ للمسيح وثبتت أقواله من نيبفورس يقول (لا بولس ولا أصحاب الانجيل وضعوا نير عبودية على الذين قبلوا تعليمهم. بل تركوا حفظ الفصح وأعياد أخرى الى اختيار الجميع. وكذلك لا الرب يسوع ولا رسله سنوا شريعة بخصوص هذه العوائد توجب حفظها تحت التهديد والقصاص كما أوجبت شريعة موسى على اليهود. الخ)

(الامر الثالث) ان عدد هذه الاعياد كان فى الاول قليل جداً. فانه الى أيام أوريجانوس الذى توفى سنة ١٥٤ لم يكن أعياد عمومية الا جمعة الآلام والفصح والعنصرة والاحد الذى كان دائما يعتبر عيداً عموميا وفى القرن الرابع وجد أيضا عيد الميلاد. ثم بعد ذلك زاد عدد الاعياد ولم تزل تكثر بالتدريج حتى صارت كثيرة جدا. وصار كثيرون من القرن الرابع الى الثامن يتضجرون من كثرتها. وأما أسباب هذه الزيادة فكانت كثيرة يذكر منها أحد مشاهير المعلمين هذه الاسباب الآتية مع غيرها وهي: تذكار الشهداء سنويا. وسنن مرسومة من قسطنطين الكبير ورغبة المسيحيين فى مساواة الاراتقة الذين كانوا يرسمون أعيادا مختلفة عما كان عند المستقيمي الرأى ورسم عيد الميلاد الذى صدرت منه أعياد كثيرة وطلب اجتذاب المسيحيين عن

الاشتراك فى أعياد الوثنيين وعوائد اليهود التى كانوا مائلين اليها . ويتضح انهم كانوا مائلين الى ذلك ميلا شديدا من الوقوف على كتابات الآباء وأحكام المجامع التي كانت في تلك الايام .الخ

(فرع أول)

(عيد تطهير مريم العذراء)

هذا العيد رسم فى القرن السادس ودليل ذلك قد ذكره بنكهام الخ . وأما سبب رسمه فيوجد أساس متين للظن بأن أصله من العوائد الوثنية . فأن كثيراً من المؤرخين على هذا الرأى مثل هسينيان وبوجرتن وشميد والبابا هلد براند وأوغسطي . وكان شهر شباط الذي يحفظ فيه هذا العيد محسوبا من أعظم الاعياد الاحتفالية فى رومية الوثنية . واسم هذا الشهر باللاطينية .

(لغة الروم) فبروارى ومعناه التطهير كما ذهب جمهور القدماء وفي آخر هذا الشهر كان يحفظ كل سنة عيد تطهيرعظيم اكراما (لغبروا) أم الالة المريخ الخ

(فرع ثان)

(عيد انتقال مريم الى السماء)

ان العهدالجديد لم يذكر موت مريم البتة . وفى الاربعة القرون الاولى لم يدع أحد آباء الكنيسةالاولى معرفة شيء من ذلك الخ ولكى يتبين كيف كان الجميع يجهلون هذا الامر بالكلية نحتاج الى ذكر الآراء المختلفة المتعلقة به فقط فنقول

(الرأى الاول) ذهب قوم الى أنها ماتت موتا طبيعاً غير ان نفسها أخذت حالا الى السماء الخ

(الرأى الثانى) ذهب الآخرون الى أنها ماتت موت الشهداء الخ

(الرأى الثالث) ذهب جماعة الى أنها لم تمت منكرين ان يكون لها طبيعة بشرية . ولهذا لم يكن للموت سلطان عليها »

(الرأى الرابع) تردد آخرون بين ان جسدها ترك على الارض أو رفع الى السماء

(الرأى الخامس) ذهب الاكثرون فى القرن الخامس الى ان مريم نقلت بجسدها ونفسها الى السماء — الخ

(فرع ثالث)

(فى أصل عبادة القديسين والملائكة)

أن المسيحيين فى القرون الثلاثة الاولى كانوا يحترسون جدا فى عبادتهم من كل مايشبه عبادة الخليقة . وكانت عبادتهم لله وحده . ولم تنتشر عبادة القديسين والملائكة كثيراً الى القرن الرابع والقرن الخامس الخ

وقد ذكر أحد المعلمين المشهورين أعظم الاسباب وأقواها لهذه العبادة وهي :

(١) شدة اعتبارهم لامر الشهداء الخ

(٢) بناء كنائس على قبور الشهداء الخ

(٣) عبادة الوثنيين لابطالهم الاموات واعتقادهم بوجود آلهة يحرسونهم — الخ

(فرع رابع)

(فى أصل رسم اشارة الصليب وعبادته)

أنه لا يوجد دليل فى الكتاب المقدس على رسم اشارة الصليب . ولكن يظهر أن هذه العادة دخلت قديما بين المسيحيين الاولين . الخ

وقيل ان هيلانة أم قسطنطين فى سنة ٣٢٦ وجدت الصليب الحقيقى فى اورشليم وشاعت الاخبار عنه بأن عجائب عظيمة صنعت بواسطته وبواسطة قطع منه حتى بواسطة الصور المأخوذة عنه أيضاً

ولا نقول هنا شيئاً من جهة صدق الخبر عن وجود الصليب الحقيقى مع أنه الآن لا يصدق عند جمهور العلماء ولكن سواء كان ذلك صحيحاً أو غير صحيح فقد وجدنا أن هذا تقليد وعلى الخصوص الاشاعة بأنه حدثت عجائب عظيمة بواسطته كان سبباً لصيرورته موضوعاً لأعظم نوع من العبادة . انتهى ملخصاً

(نقول) وقد أجمع المعتزلة من المسيحيين وأصحاب التواريخ على أن هيلانه وقسطنطين لايجوز الاقتداء بهما فى الدين ولا تصديقهما

(فرع خامس)

(في المسح بالزيت واستعمال الميرون)

فى المعمودية وتكريس الاساقفة والاكليريوس ومسح المرضى بالزيت أما أصل استعمال ذلك فى المعمودية فقد ذهب أكثر العلماء الى أنه ناتج من لفظة (مسيحى) وقد برهنوا على ذلك بأن لفظ (مسيح) أو

(مسيحى) بما أنها مأخوذة من كلمة عبرانية معناها مدهون فقد استحسن المسيحيون الاولون استعمال المسح أيضاً بعد المعمودية الخ

(ملحوظة)

والاصل فى المسح عند اليهود دهن الملك بالدهن المقدس وهى عادة فى جميع الاديان القديمة ومذكورة فى التوراة من عهد موسى بوصية من الله على قول سفر اللاويين والمؤرخون يقولون انها عادة عبدة الاصنام والمجوس وقدماء المصريين وغيرهم ممن ظهر كذب أديانهم وأن المجوس لا يزالون يمسحون أنفسهم بالرماد كمسح اليهود أنفسهم بالزيت

(فرع سادس)

(عيد القيامة وعيد النعصرة)

قال المؤلف :

قد جمعنا هذين العيدين لان الظاهر أن ابتداءهما كان فى زمان واحد فالاول منهما تذكار لموت المسيح وقيامته والثانى لحلول الروح المقدس على الرسل وبيان أنهما قد حفظا قديما جداً حتى أنه يوجد برهان على أنهما كانا فى القرن الاول وربما فى أيام الرسل أيضاً مع أنه ليس لنا دليل على أن الرسل رسموهما . نعم ان الرسل ربما ارتضوا بهما حتى دخلا ابتداء بهذا المقدار وأنهم وان لم يأمروا بهما لم يكونوا غير راضين باستعمالهما لكى يرسخ وطيداً بواسطتهما فى عقول المسيحيين أمر ان من أعظم التعاليم الانجيلية الاساسية. وهما الكفارة بواسطة آلام المسيح وموته وفيض الروح القدس على الكنيسة

شذور علمية

الجدري

كيف اكتشف التطعيم

الجدرىّ مرض من الامراض الوبائية القديمة : قاسى المجتمع الانسانى منه أشـد الاهوال فيما مضى فـكان كلما فشى فى جهـة من الجهات حصد الخلائق وفتك بها ومن نجا من الموت به عاش مشوه الوجه كفيف البصر

ويقول بعض المؤرخين ان أصحاب الفيل لمـا ذهبوا الى بلاد العرب ليكرهوهم على العبادة في الكنائس ولينسوهم بذلك بيت الله الحرام لم يستطيعوا البقاء في تلك الديار ولا المقدرة على محاربة المسلمين لان هذا المرض تفشى فيهم ففتك بهم فتـكا ذريعاً

بيد أن أهوال هذا المرض كانت مروعةحتى ضاقت صـدور الناس ولـكنهم لاحظوا أن الذى يصاب به مرة لا يصاب به ثانية وبلغ بهم الفزع أن قبل الشخص منهم أن يلقح نفسه بسمه النوعى على قدر معـلوم فيصاب بالمرض علي شكل أخف ومن ثم يتقى بذلك شر هجوم المرض على حين فجأة فيكون عرضة لفقد حياته

وظلت هذه الطريقة متبعة لوقاية الانسان من الجـدرى الى أن اكتشف التطعيم المعروف الآن

واكتشاف التطعيم جاء كـكثير من الاكتشافات نتيجة الملاحظة من العامة اذ لوحظ قبل الاكتشاف أن الذين يصابون مرة بجدرى الانعام (البقر) وذلك يكثر فى النساء اللواتى يشتغلن بحلب اللبن لا يصبن بجدرى الانسان.

وهذا الجدرى يصيب الحالبات بدخول سمه الموجود بالبثور الصديدية حول حلمات الثدى فيحدث شقوقا أو خدشات في أيديهن يدخل منها الى الدورة الدموية فظهر من ذلك أن الجسم تحصن ضد عدوى الجدرى البشرى بالنسبة لسابق اصابته بشبيهه

ولما لقح أحد الاطباء الانجليز (واسمه رولف أف ثورنرى) ستين شخصا بسم جدرى الانسان لم يظهر عليهم جميعا أعراضه لسابق اصابتهم بالجدرى البقرى

وفي سنة ١٧٧١ ميلادية طعم نفسه قصاب انجليزى من بلدة (برديورت) بمادة الجدرى البقرى بقصد الوقاية من الجدرى البشرى فتحقق أمله اذ لقحوه بعدئذ دفعتين ولم تظهر عليه أعراض المرض

وفى سنة ١٧٧٤ طعم المدعو (بنيامين يستى الانجليزى) زوجته وولديه لاقتناعه بالفائدة المرجوة وهي تحصين الجسم ضد مرض الجدرى فى وقت كان فيه انتشار الجدرى مخيفا مفزعا ويمكن اعتبار ذلك أول مثال حقيقى لاستعمال التطعيم بمادة الجدري البهيمى الخفيف الوطأة واقيا من الجدرى البشرى الفظيع بشكل قطعي.

وفي سنة ١٧٤٩ ولد ادوارد جنر فى بلدة بركلى بانجلترا وطعم وهو فى الثامنة من عمره ضد الجدرى واشتغل ادوارد عند أحد الاطباء ببرستول وهناك ظهرت له فائدة المادة البهيمية للوقاية من الجدرى البشرى وساعدته معلوماته التى حصل عليها فى مساعدة الطبيب بعدئذ فى ابحاثه

ورجع الى لندره بعد ان أتم تعليمه وكان لا يزال يهتم بمسألة الجدرى فابتدأ فى عمل تجاربيه وطعم الكثيرين بكل نجاح وظهرت وقايتهم حينما لقحوا بمادة الجدرى البشرى كما سبق فى حالة القصاب فعن له أن يكتب رسالة فى الموضوع ليقدمها الى المجمع العلمى الملوكى بلندرا فقوبلت بالاعراض ولم يحفل بها أحد ولم يكن ذلك مبنياً عن تحقق من خطائها بل هكذا كان ويكون شأن كل اختراع واكتشاف فى أوله وهكذا سيقاسى المكتشفون نتيجة جهل السلطات ولكنه وفق في سنة ١٧٩٨ الى طبع رسالة أسماها (بحث فى أسباب ونتائج الجدرى) أظهر فيه اعتقاده بفائدة التطعيم للوقاية من الاصابة بالجدرى ومن ثم ابتدأ التطعيم

وظل يكافح ادوارد معارضيه وغيرهم ممن يحكمون فى الاشياء بغير تجربة فى ظروف وصل الاعتقاد فيها بحدوث قرنين كقرون البقر للذى يطعم نفسه حتى قضى على هذه الاوهام تدريجيا فكافأته حكومته

ولقد أخذت تتغير طرق التطعيم وتشعبت الآراء فى قوته الواقية فى مبدأ الامر وهم الآن ينتقون العجول القوية البنية ثم يلاحظونها فى معيشتها زمناً غير قصير للتأكد من حالتها الصحية ثم تلقح بعد ذلك بسم الجدرى من طفل صحيح وقد يظن البعض أن المادة التى تؤخذ من بعض الاطفال تستعمل

بذاتها لتطعيم الآخرين والواقع أنهم يلقحون بها هذه العجول وبعد أيام معلومة تظهر فى محل التلقيح دمامل تؤخذ منها المادة وتوضع فى أنابيب رفيعة بعد اضافة شيء من الجلسرين او الكلوروفورم عليها لقتل الجراثيم الغريبة التي قد تكون موجودة فى المادة الجدرية

ثم أنه لو لقحت الاطفال بعضها من مادة بعض لرجعنا بالعمل الى العصور الاولى ولساعدنا على انتشار المرض بطريق العدوى

اذا أردنا ان ندافع عن قضية التطعيم فيكفى القول بأن الطريقة المتبعة الآن تتفق مع سير الجراثيم به الامراض الاخري فجراثيم الدفتيريا بمرورها فى جهازات الحصان تعطينا المصل المعروف الذى أتى بنتائج مفيدة جداً في مقاومة انتشار ذلك المرض الخبيث

الاسلام في الهند

اجتماع اسلامى كبير

نشرت جريدة كومريد التي تصدر فى كلكتا بالهند صورة خطاب وجهته جمعية مسلمي السند الى سمو السير اجا سلطان محمد شاه اجا خان من أكبر زعماء مسلمى الهند وقد رأينا تعريب شيء من هذا الخطاب لاهميته قالت بعد الديباجة

نحن أعضاء جمعية السند الاسلامية بالاصالة عن أنفسنا وبالنيابة عن

مسلمى مقاطعة السند نقدم الى سموك الترحيب الخالص الصادر من أفئدتنا بمناسبة زيارتك لمدينة كاراشي عاصمة السند

نحن بطبيعة الحال نفخر بمقاطعتنا هذه لان ضوء الاسلام ونوره بزغا فيها قبل أن ينتشرا فى أنحاء الهند الاخرى ولانها امتازت باتساع تجارتها مع البلاد الفارسية والافغان والروسيا وغيرها من بلاد العالم المختلفة ولانها مسقط رأس سموك الذى هو أكبر وأشهر زعيم للمسلمين فى هذا العصر . وهذه الظروف التى ساعدتنا على الاعتراف لسموك بأنك زعيم المسلمين فى الهند فى كل ما يتعلق بالامور العلمية والاجتماعية والسياسية هى التى تلجئنا الى الترحيب بك ترحيباً يفوق كل ترحيب قام به مسلمو الهند فى أى جهة فنحن فى سرور كبير لأن نرى سموك — خير ابن أنتجته هذه الارض — فى وسطنا اليوم كما أننا سعداء بتنازلك الى قبول خطابنا هذا اليك بأن وضعتنا فى موقف نستطيع فيه الاعراب عن أعمالك النبيلة التى تقوم بها فى سبيل الانسانية تلك الاعمال التى قمت بها والتى لم تزل تقوم بأمثالها بغرض نشر التربية والتعليم بين اخوانك المسلمين وبغرض تحسين حالتهم

نحن نقرر بكل سرور أن سموك قد امتزت بأنك المؤازر الحقيقى للتربية الاسلامية فى الهند فانك بما امتزت به فى حياتك العامة بكونك زعيم المسلمين فيها وبحماستك التى لا يعتريها الكلل وباخلاصك الخالى من الاغراض الشخصية فى سبيل تقدم المسلمين أخذت مكانا رفيعا فى قلب كل مفكر مسلم ووطنى مسلم وجعلت تقدمهم راجعاً الى فضل مجهوداتك تلك المجهودات التى ستبقى فى صحف التاريخ على توالى الدهور مدونة بحروف ظاهرة واضحة

نحن نغتنم هذه الفرصة لنعيد الى ذاكرتنا بعضا من الحقوق والامتيازات التى أعطتها الحكومة للمسلمين بفضل تداخلك ومجهوداتك فمن هذه الحقوق مشروع الاصلاح الذى نفذ بناء على تصريح ملك الانجليز السابق: ومنها توسيع المجالس التشريعية حتى أمكن تمثيل الهنود (ولا سيما المسلمين) فيها أكثر من قبل وحتى وجدت لديهم فرصة لمشاركة الحكومة فى ادارة هذه البلاد أكثر مما كان لديهم فى الماضى. ان نجاح سموكم الكبير فى دفع الحكومة الى الغاء قوانين الحجر الصحى التي تنفذ ضد الحجاج الذين يبحرون من الهند الى مكة المكرمة قد استوجب لك الثناء والدعوات من العالم الاسلامى بأسره

أما كون المعاملة الرديئة التى يعامل بها الهنود فى جنوب أفريقيا والصعوبات الهائلة التى يقاسونها هناك قد حركت عواطفك فبذلت أشد المجهود فى سبيل انقاذهم وتخليصهم مما هم فيه فهذا أمر لا يحتاج الى بيان كما أن الامر لا يحتاج الى بحث المسؤليات الكبيرة والاتعاب الجمة التى أخذت على نفسك القيام بها فى سبيل ادارة جمعية (رابطة جميع مسلمى الهند) فهى أشهر من نار على علم

ان جميع ساسة هذا العصر قد أجمعوا على أن الله قد جعل الهندوس والمسلمين شركاء فى هذه الامبراطورية التى هي أقوى وأمجد ما وجد على الارض وأن الهند فى أشد الحاجة فى الوقت الحاضر الى ايجاد وحدة وطنية صحيحة بواسطة تقوية العلائق المتبادلة بين الطائفتين العظيمتين اللتين تتكون منهما الامة الهندية وان تنبذ المنازعات والعداوات والاختلافات الدينية.

ويسرنا أن نقول أن الرغبة الشديدة التى تخالج قلوب أنصار السلام

والاخلاص للبلاد قد نجحت فى انشاء مؤتمر السلام الاسلامي الذي ظهر بسعى سموك وتبعك فيه السيد أمير علي والسير وليم ودربرن ثم انضمت اليه الامة باسرها . ولا نجد أمامنا شيئاً جديراً بالفرح والسرور اكثر من رؤية زعماء الطائفتين مجتمعين فى مؤتمر واحد فى مدينة الله أباد فى أول السنة الماضية وانتخابهم لجنة منهم لبحث المسائل التى عرضت على المؤتمر

لقد وضعت المشروعات العديدة لتقدم طائفة المسلمين ولكننا نؤكد لسموك بان قليلا من الزعماء قد عرفوا موضع الداء حق المعرفة كما عرفته لاننا نرى أن المجهودات التى تبذلها موجهة فى اكثر الاحوال الى نشر التعليم والتربية بين الطبقتين العالية والواطئة والغنية والفقيرة فى جميع طوائف الهند على العموم وسعيك فى جعل هذا التعليم على نسق يكفل ترقى الحالة الاجتماعية والافكار والنفوس والاخلاق والاجسام ويؤهل المتعلمين للقيام بحاجاتهم حسب الظروف التى يوجدون فيها فى مستقبل حياتهم وهذا (اذا صدق حدسنا) هو ما حدا بك الى فكرة انشاء جامعة تخصص لتعليم المسلمين

ان التبرعات الخيرية الخاصة التى تبرعت بها لاجل نشر التعليم بين شبان المسلمين وتبرعك السنوي بـ ١٢٠٠٠ روبية (الروبية تساوي نحو عشرة قروش صحيحة) . وتبرعك بـ ٦٠٠٠ لكلية عليكره ومثلها لمدرسة انجمان اسلام بمدينة بومباى وتبرعك بـ ٣٥٠٠٠ روبية فى سبيل انشاء كلية العلوم . كل ذلك كان سبباً فى تحريك عواطف المسلمين فى كافة أطراف الهند ولاجل ان تتوج هذه الاعمال الجليلة نراك قد وهبت ٧٥٠٠٠ روبية لانشاء مسجد لندرا

ثم هنأوه بعد ذلك برتبة جديدة منحه اياها ملك الانجليز ودعوا له بطول

العمر والتوفيق فى خدمة المسلمين ثم قدموا اليه هذه الخطبة فى صندوق صغير من الفضة

*
* *

بعد ذلك قام سموه فى وسط الهتاف وتكلم كلاماً طويلاً نقتطف منه ما يأتى.

يجب علىّ أن أشكر جمعية مسلمى السند شكراً جزيلا لتقديمهم الىّ هذا الصندوق الفضى الجميل كما أشكركم على ما شرفونى به من الدعوة الى الحضور هنا . لقد ذكرتمونى بانى من أبناء هذه المدينة ومع أنى أعيش فى الدكن فانى أؤكد لكم بان هذا ليس هو السبب الوحيد الذي يحملنى على الاهتمام بهذه المقاطعة بل من الاسباب القوية أيضاً هو أنها مملوءة بالمسلمين الذين يكونون الاغلبية فيها

لقد تكرمتم فاشرتم الى خدماتى الضعيفة التى أقوم بها فى سبيل النهضة السياسية الاسلامية فى الهند وفى انشاء جمعية (رابطة جميع مسلمى الهند) وفى غير ذلك ولكن الحقيقة أن كل ذلك يرجع الى عامل واحد وهو أن الاسلام قد انتشر في بعض انحاء الهند انتشاراً هائلاً لم يعهد له مثيل من قبل في بحر سنوات قليلة انتشاراً ان لم يمتد لواؤه الى هذه المقاطعة فى القريب فانه سيكون من أسباب تأخر المسلمين فيها عن غيرهم فى المقاطعات الاخرى التى خطت خطوات واسعة فى سبيل الرقى

أيها السادة — انى أرى أن مسلمى هذه المقاطعة لديهم فرص كبيرة لا تقل فى عظم شأنها عما لدى المسلمين فى انحاء الهند الاخرى

ثم قال أيها السادة . انكم اذا سمحتم لى بان ألقي عليكم نصيحة فانى أقول انه

مما يوجب الحزن والاسف الشديد — ذلك الاسف الذي يشعر به كل فرد من أقصى الهند الى أدناها . والذى يشعرون به فى جوجرات ومدارس وغيرها من البلدان — انه لا يوجد فى بلاد السند الآن رابطة تربط المسلمين مع أن الكثير من بقاع الهند قد وجدت فيها جمعيات لهذا الغرض . وليس الامر قاصراً على عدم وجود تلك الجمعيات بل لم يبذل احد مجهودا ما فى سبيل تربية الشعب التربية اللائقة به

لقد أشرتم الى الذى قام به الغير وقت به معهم فيما يختص بالمعاملة الرديئة التي يقاسيها اخواننا الهنود في جنوب أفريقيا .

نحن نعمل على الدوام ضد الموقف المؤلم الذى تقفه الحكومة الاستعمارية والمستعمرون ولكنى فى الوقت نفسه أؤكد لكم ان حالتنا هذه ناتجة من خطأ نا لانه بسبب حاجتنا الي التعليم وبسبب انتشار المفاسد الاجتماعية وتأخرنا الاقتصادى قد وضعنا أنفسنا فى مركز يسمح للغير بان يسيء الينا كما يشاء ولكن اذا بذلت المجهودات فى سبيل التقدم الاجتماعى والعلمى والوطنى فلا بد ان تتحسن المعاملة التى يلاقيها اخواننا . أن حاجة الهنود الكبيرة وحاجة المسلمين الاكبر منها هى التعليم اذ ليس مما يكفى أن ترسل الاطفال الى المدارس لان هذا ليس الطريق الذى تقوم به الاخلاق . وارسال الاولاد الى المدارس لمجرد تلقى الدروس يجعلهم كالببغاوات يحفظون كلاماً لا يفهمون معناه وليس له تأثير فى نفوسهم وأخلاقهم وهذا هو الخطر لانه يضر بهم اكثر مما ينفعهم

ان التعليم الخالى من التربية الدينية هو قضاء على النفوس لانكم بتعليم

الاولاد على هذا النمط لا تستطيعون تغذية نفوسهم بروح التضحية ولا بروح الجنسية ولا يمكنكم ان تعلموهم الغرض الاسمي الذى وجد لاجله الانسان فى هذه الحياة .

ثم استمر يتكلم في حض المسلمين على التآزر والتعاضد وتقوى الروابط بينهم ما نشأ الجمعيات الدينية الخيرية لنشر العلم والتربية الصحيحة بين المسلمين مبينا لهم انها الطريق الوحيد لتقدم أحوالهم وترقى شؤونهم

النقد والتقريظ

كتاب تاريخ حرب المانيا وفرنسا

الكتب التاريخية من أفضل الكتب وأنفعها فهي كمرآة يرى فيها القارئ الحوادث وأسبابها ونتائجها ويستطلع من خلال سطورها التقلبات والتطورات التى أصابت المجتمع الانسانى والاسباب التى جعلت مراكز الامم حيال بعضها على ماهى دليه الآن

من الحوادث التاريخية الهامة التى ارتجت لها الدنيا وأوروبا على الاخص الحرب الالمانية الفرنسية التى نشبت فى سنة ١٨٧٠ وانتهت فى سنة ١٨٧١ تلك الحرب التى ذهبت بالنفوس الكثيرة والاموال الطائلة والتى أصاب فيها الفرنسيون ماأصابهم من الويلات والخسائر الفادحة حتى وصلت الجنود الالمانية الى مدينة باريس وحاصرتها حصاراضيقاً بعد كثير من المواقع الحربية الهائلة

ولقد كان كل محب لنشر الكتب التاريخية المفيدة يتمنى ان يرى كتاباً باللغة العربية حاويا تفاصيل تلك الحرب الكبرى ووقائعها فلم نلبث حتى رأينا حضرة المؤرخ الشهير جورجي أفندي بني الطرابلسي منشئ مجلة المباحث الغراء يبرز الى قراء العربية كتابا وافياً لم يترك فيه شاردة ولا واردة عن هذه الحرب الا أحصاها .

أهدانا حضرته هذا المؤلف الكبير فألفيناه كتابا ضخما تبلغ صفحاته ٢١٦ صحيفة محلى بصور مشاهير تلك الحرب وكثير من قادتها وساساتها ووقائعها الحربية . وقد عنى حضرته بجمعه من الموارد الانجليزية ورتبه ترتيبا دقيقا واصفا الوقائع الحربية أدق الوصف حتى ليكاد القارئ يظن نفسه امام القلاع والمدافع وبين صفوف المتحاربين

وقد فصل فيه أسباب الحرب المذكورة ونتائجها تفصيلا جعل الكتاب تاما في موضوعه ومرجعا يستطيع كل من أراد الوقوف على شئ يتعلق بتلك الحرب ان يجده بين صحفه .

وقد توخي فى وضعه حسن الرواية والوضع فجاء الكتاب جديراً بأن يكون فى مكتبة كل قارئ

ونحن نثنى على همة حضرة المؤرخ لوضعه هذا الكتاب الجليل الذي سد نقصا فى الكتب التاريخية العربية ونرجو أن يداوم على نشر أمثال هذه الكتب النافعة راجين لكتابه الرواج لاسيما وانه خصص ٢٠ فى المائة من ثمنه اعانة للاسطول العثمانى

أسئلة وأجوبتها

كتب الينا حضرة محمود أفندى العدوى ما يأتى :

(قال عليه الصلاة والسلام النساء عوج لا يعدلهن غير الطلاق)

وقال أيضاً

(النساء خلقن من ضلع أعوج ان قومته انكسر)

ماذا تقولون فى تفسير هذين الحديثين وصحتهما ولكم الشكر

(الهداية) لم نعثر فى كتب الحديث على ذلك النص ولكن ورد فى معناه فى الجملة أحاديث أخرى . عن أبى هريرة (١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المرأة كالضلع ان ذهبت تقيمها كسرتها وان تركتها استمتعت بها على عوج . وفى لفظ آخر استوصوا بالنساء فان المرأة خلقت من ضلع أعوج (شىء فى الضلع أعلاه) فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء

وعن سمرة بن جندب (٢) ان المرأة خلقت من ضلع وانك ان ترد رخامة الضلع تكسرها فدارها تعش بها

وعن أبى هريرة ان المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وفى الباب أحاديث أخرى لا تكاد تخرج عن هذا المعنى . والذى

---

(١) راجع نيل الاوطار جزء ٦ صفحة ١٢٥ (٢) راجع الجامع الصغير جزء أول صفحة ٤٣٢

يفهم من هذه الاحاديث الشريفة ان النساء يشبهن الاضلاع فى ان الانتفاع بهن لايتم الا بما فيهن من شائبة الاعوجاج الذي فيهن فذلك مافطرن عليه من سرعة الانفعالات وشدة الغيرة وهذه الخلال وان كانت فى نظر الحكيم اعوجاجا وضعفا قد طبع الله عليها المرأة حتى تؤدى ماقصد منها فى الحياة الدنيا فان وظيفة المرأة فى هذه الحياة لاتتأدى على كافة ماينبغى اذا كانت المرأة على مايشاء الفيلسوف الحكيم من التؤدة والرزانة وغلظ الكبد والبعد عن الغيرة الشديدة التى امتاز بها النساء

أراد الله للنساء ان يكن شفيقات القلوب مخففات للويلات قائمات باعباء المنازل ساهرات العيون فى سبيل تربية أولادهن وتعليلهن ووقايتهن من السوء والاذى كما أراد لهن ان يقمن بحاجات أزواجهن الذين يقضون جل حياتهم فى النصب والشقاء والتماس الرزق لمن يعولون من النساء والاطفال غير قادرين على التفرغ بل ولا الاشتغال بشئ من الشؤون المنزلية كتدبير المآكل والملابس وتنظيم المنزل وتنظيف الفراش وتطهير الهواء وهكذا من مطالب الحياة المنزلية . لذلك خلق الله المرأة سريعة الادراك سريعة التنبه سريعة الانفعالات النفسانية

ولما كان الحياة الزوجية لاتتم غايتها الا بان يسكن الرجل للمرأة وان تدوم بينهما المودة والرحمة خلق الله المرأة شديدة الغيرة على زوجها حرصا عليه ووقاية له ان يشتغل بغيرها عنها فلا تستقيم بذلك حياتها ولا حياة أولادها ولا ينتظم لافرادهم بعد ذلك عقد

فالغيرة وسرعة الانفعالات النفسانية قد ينظر اليها الحكيم الفيلسوف

كأنهما من صنوف العوج والاخلاق الرديئة ولكن الله تعالى فطر المرأة عليها لما ينجم عنها من تلك الفوائد الجمة . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « وان تركتها استمتعت بها على عوج » أى كما تؤدى الضلع وظيفتها الطبيعية بما فيها من الاعوجاج ولو أنك حاولت تقويم الاضلاع لما حصلت منها على فائدة مافان فائدتها فى اعوجاجها على ان من يعرف أخلاق النساء ولا أريد كل واحدة منهن بل الجملة لا ينكر أن فى النساء أخلاقا لو أراد الرجل ان يعالجها لما اهتدي الى سبيل ولأفضى به الامر الى علاج واحد وهو الطلاق لذلك أمر المصطفى بمداراتهن أو الغض عن هفواتهن والتغافل عن بعض أفعالهن وأقوالهن بل أنه استوصانا فوق جميع ذلك بهن . وحسبنا فى بيان ذلك ماورد في خطبة الوداع اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيراً فانما هن عندكم عوان (١) ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك (٢) الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . ان لكم من نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا . فاما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فراشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون . الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن رواه ابن ماجه والترمذي :وعن معاوية ان النبي سأله رجل ما حق المرأة على الزوج قال تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فى البيت (٣) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ومما يجب التنبه له هنا ان الناس يخطئون في فهم الضرب الذى أباحه

---

(١) أساري (٢) التمتع (٣) أى في المضجع

الله للزوج ويرتكبون من القسوة والغلظة فى معاملة نسائهم مالا يفعله غير الوحوش وحسبنا ان نقتطف للقراء ماورد فى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه (١) فى تفسير قوله تعالى واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن قال تلك المرأة تنشز وتستخف بحق زوجها ولا تطيع أمره فأمره الله ان يعظها ويذكرها بالله ويعظم حقه عليها فان قبلت والا هجرها فى المضجع ولا يكلمها من غير ان يذر اصابتها وذلك عليها شديد فان رجعت والا ضربها ضربا غير مبرح لا يكسر لها عظما ولا يجرح لها جرحا . وسئل عن ضرب غير مبرح فقال بالسواك ونحوه

وأخرج البخارى عن عبد الله بن زمعة قال قال الرسول أيضرب أحدكم زوجته كما يضرب العبد ثم يجامعها في آخر اليوم . قال فى فتح البيان فى هذا دليل على ان الامر ترك الضرب للنساء فان احتاج فلا يوالى بالضرب علي موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة . وقيل ينبغى ان يكون الضرب بالمنديل واليد لا بالسوط والعصا

ذلك مجمل قول الرسول وأئمة السلف الصالح فى معاملة المرأة مما لا يدل الا على منتهى الشفقة والاحسان بالمرأة فويل لاولئك الذين شوهوا سمعة الدين الاسلامى بغلظتهم وسوء معاملتهم لزوجاتهم

(١) فتح البيان جزء ٢ صفحة ٢٣١

فهرست الجزء الاول

من السنة الثالثة

صحيفة

أجزخانة وادي النيل

﴿ رقم التليفون ١٤٦٩ ﴾

أصبحت هذه الاجزاخانة مشتملة علي أحدث أنواع العقاقير والادويه الطبية من
معامل أوربا . فضلا عن زهادة الأثمان وسرعة تحضير التذاكر على اختلاف أنواعها
...ية موادها . قد خصص جزء من ايراد هذه الصيدلية للاعمال الخيرية العامة فنحث
...رين كافة ... يقصدوها اغتناما للاجر واعانة على البر

اعلان

...اب غنية المؤدبين الذي كانت نظارة المعارف قررته لمدارس المعلمين بعد
... لى ولقد زاد فيه مؤلفه ما جعله كافياً لطلاب علم التربية وهو خير مرجع لمن
...ا...رق الحديثة التي بسطها علماء التربية في كثير من مستحدثات كتبهم
...فحاته نحوا من مائتي صحيفة وهو حسن الطبع والوضع والتنسيق فمن
...ارة مطبعة الهداية فى رحبة عابدين بالقاهرة وكذلك من حضرة مؤلفه
... جاويش بجريدة العلم ومن جميع المكاتب الشهيرة وثمنه ثمانية قروش صاغ

(مطبعة الهداية)

...ن ادارة الهداية ومطبعتها ان لاعلاقة لهـا أصلا بالمكتبة المسماة بمكتبة الهداية
...بها على أفنـدي سري وانها ستكلفه محو الاسم الذى وضـعه لمكتبته من غير وجه
فنحذر العامة والخاصة من معاملته باسمنا ومن شاء عملا من الاعمال المطبعية فعليه
مطبعة الهداية برحبة عابدين بالقاهرة

اعلان

(مجلة الهدايه) ترجو حضرات المشتركين أن يخابروها عند انتقالهم من محلاتهم
بعنواناتهم بالضبط حتي لا تتأخر عنهم في مواعدها



محلنا المذكور يبيع كل المصوغات الذهبية والفضة بعيارات مضمونة واسعار متهاوده مع الصدق والأمانة في جميع المعاملات

والورشة التابعة لمحلنا تقوم بعمل كافة ما يطلب منها من الأشغال المتعلقة بالصياغة

ويباع أيضاً لسان العرب

{ الجزء الثاني والثالث } { السنة الثالثة }

الهداية

مجلة دينية علمية أدبية اجتماعية

منشئها

(الشيخ) عبد العزيز جاويش

—﴿ أصحاب امتيازها ﴾—

حسين بك تيمور وشركاؤه

(تصدر في آخر كل شهر قمري)

﴿ بدل الاشتراك ﴾

﴿ ستون قرشاً صحيحاً في القطر المصري ﴾
(واربعون قرشاً للطلبة والدفع سلفاً)
" وعشرون فرنكاً في الخارج "

﴿ الرسائل ﴾

(ترسل برسم مجلة الهداية)

(أو باسم منشئها في القاهرة)

(ولا ترد لمرسلها بحال)

(مطبعة الهداية بشارع رحبة عابدين بمصر)

(اعلان)

ترجوادارة مجلة الهداية عموم حضرات مشتركي المجلة بجميع الجهات ان يتكرموا بارسال المتأخر طرف حضراتهم من بدل اشتراك المجلة عن سنه ١٣٢٩ الماضيه لداعي تصفية حسابها كذلك ترجو ارسال بدل اشتراك سنة ١٣٣٠ الحاضرة للادارة التي مركزها بشارع رحبة عابدين او تسليم ذلك الى حضرة وكيل المجلة بالجهة المقيم بها المشترك ويعتمد ايصال البوسته او ايصال مطبوع ومختوم بختم الادارة وبتوقيع امضاء الوكيل المذكور

(الى حضرات المشتركين)

ترجو ادارة مجلة الهداية حضرات عموم مشتركيها بالقاهرة أن لا يعطوا بدل الاشتراك لاحد ما الا بايصال مطبوع أو ممهور بامضاء رئيس الشركة والمستلم واذا ظهر خلاف ذلك يكون لاغيا وليعلم حضرات المشتركين أيضا أن الوكيل الوحيد لمجلتنا هـذه فى القاهرة هو حضرة محمد أفندى توفيق فنرجو اعتماده فقط

(الوكلاء)

(١) حسن أفندي محمد بمدريات الغربيه والمنوفيه والقليوبيه والدقهلية والبحيرة ومركزه طنطا

(٢) الشيخ مصطفي نوح بمديرية الشرقيه مركزه أبو كبير

(٣) ابراهيم أفندي صالح زكي بالاسكندريه وضواحيها ومركزه بالاسكندرية بادارة العلم

(٤) حضرة الشيخ أحمد عزت وكيلا ومحصلا لمديرية المنيا وأسيوط وبنى سويف وجرجا وسكنه سوهاج

(٥) الشيخ سيد سعودي مطر وكيل مدريات الجيزه وبنى سويف والفيوم واقامة الجيزة

الهداية تباع بمكتبة المعارف والهلال بالفجاله والتأليف باول شارع عبد العزيز والمكتبة العباسية بشارع محمد علي

تباع غنية المؤدبين بمكتبة مصر الفتاة بالاسكندرية

(المطبوعات)

جميع الكتب والجرائد والمجلات ترسل برسم مجلة الهداية بشارع رحبة عابدين بمصر

(اعلان)

سنزيد في الهداية المواد الآتية

تاريخ الاسلام — وتاريخ أوربا من بدء القرن السادس عشر — وأيضاً سنفتح بابا لتقريظ وانتقاد الكتب التي ترسل لادارة الهداية لنعطي كل ذي حق حقه

﴿ الجزء الثانى والثالث ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

الهداية

﴿ القاهرة فى صفر وربيع الاول سنة ١٣٣٠ هـ فبراير ومارس سنة ١٩١٢ م ﴾

اسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصارَى والصَّابِئِينَ مَن آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ

بينت الآية السابقة لهذه أن الله قد غضب على بنى اسرائيل بعد أن غمرهم بجميل احسانه ووالى عليهم شآبيب رضوانه وأجابهم الى كل ماسألوه وكذلك بعد أن جعل فيهم النبوة والكتاب وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين . ذلك بأنهم عصوا أمر ربهم وقتلوا بغير الحق أنبياءهم واعتدوا على حدود الله تعالى فأكثروا الفساد فى الارض ولم يتناهوا عن منكر

فعلوه فكان حقاً عليهم أن يضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وأن يزودهم بغضبه وسخطه فيجعل ذلك نكالا لما بين أيديهم وما خلفهم وموعظة للمتقين وما كان لله أن يظلم هؤلاء ليهوديتهم ولا أولئك لنصرانيتهم . اللهم الا اذا أشركوا به غيره أو أنكروا اليوم الآخر أو هجروا صالحات الاعمال فأولئك لا يأجرهم الله ولا يؤمنهم من الفزع والخوف . أما الذين آمنوا من قوم ابراهيم واليهود والنصاري والصابئين الذين ليسوا على دين من تلك الاديان (١) فان الله لا يفرق بين أحد منهم ما داموا يؤمنون بتوحيده وبالحياة الآخرة ويأتون من الاعمال صالحاتها فما الله بفضل قوم على قوم حتى يقيموا توحيده وتطمئن نفوسهم الى دينه فاز فعلوا ذلك ثم أتوا من الاعمال ما يصلح لاسعاد الحياتين الدنيوية والاخروية فلهم أجرهم عند ربهم لا ينقصهم منه شيئاً .

أما الاعمال الصالحة فقد سبق لنا (٢) أن المراد بها كل ما يكسب الانسان قوة فى الدنيا وازدلافا الى الله فى الآخرة . فمن صالحات الاعمال كل ما يفضى الى غنى الامم وعلو مكانتها كما أن من صالحات الاعمال كل ما يخفف ويلات أصحاب الويلات ويؤدى الى اصلاح الشؤون العامة اجتماعية كانت أو علمية أو اقتصادية . ومن البديهى أنه ما عنيت أمة بذلك الا ذهب الخوف والفزع عن نفوسها وملأ السرور والفرح صدورها

ولقد خالفنا المفسرين فى تأويل قوله تعالى (ان الذين آمنوا) ذلك أن القرآن الكريم سمى ابراهيم بالمسلم ودعا دينه الاسلام (اذ قال له ربه أسلم

---

(١) مأخوذ من قولهم صبأت ثنية الطفل اذا خرجت (٢) راجع مجموعة الهداية للسنة الثانية

قال أسلمت لله رب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنيّ ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) والمراد من هذه الآية بيان أن الدين عند الله الاسلام وأنه من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين

أما معنى الاسلام الذى كان دين ابراهيم الخليل فانه توحيد الله تعالى بالربوبية واختصاصه بالعبادة (وأن ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) على تلك القاعدة العظيمة القويمة بنى دين ابراهيم ومن تبع سنته من أهل مكة كما بني دين سيد الكائنات محمد المصطفى وأهل مكة (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولىّ المؤمنين)

واجمال القول أن النجاة من الخوف والفزع ونيل المثوبة والاجر أمران منعقدان بأن يؤمن الانسان بالله وباليوم الآخر وأن يأتى من الاعمال ما هو لصلاح الدنيا والآخره فمن فعل هذا فله أجره عند ربه ولا خوف عليه ولا حزن لا فرق في ذلك بين من كانوا على ملة ابراهيم ومن كانوا على دين غيره من الانبياء كموسى وعيسى بل وغيرهم ممن لم يدينوا بشيء من تلك الاديان . وهذا على نحو قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله) فان الله تعالى (لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا مبيناً) فما بال أولئك القوم يقسمون رحمة ربك فتقول اليهود ليست النصارى على شيء وتقول النصارى ليست اليهود على شيء . ثم ما بالهم خالفوا دين الله بعد اذ

تبينت لهم الآيات وتجلت لا بصارهم الادلة فقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم هم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه وانما هم بشر ممن خلق يغفر لمن آمن منهم وعمل صالحا ويعذب من أشرك به غيره وسعى فى الارض فساداً (والله لا يحب المفسدين)

ولقد ذهب المفسرون فى تأويل الصابئين مذاهب شتى والذى يظهر ان المراد الخارجون عن دين ابراهيم وموسى وعيسى من أصحاب الملل والنحل الاخري مما جاءت به النذر الخالية في مشارق الارض ومغاربها (وان من أمة الاخلا فيها نذير). ذلك أن الله تعالى أرسل من الرسل واصطفى من الانبياء من لم يقص على رسوله منهم الا النذر القليل (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فمن آمن من هؤلاء بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فهو كغيره من أرباب تلك الملل المذكورة آنفا (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون). فلا ميزة لاحد من أهل دين على غيره من أهل دين آخر مادام جميعهم يقولون بالتوحيد ويؤمنون باليوم الآخر ولا يفسدون فى الارض

قد علم مما أسلفنا المراد من تلك الآية طبقا لما يدل عليه نظامها ووضعها وللمفسرين فى بيانها وبيان أسباب نزولها أقوال: فمن ذلك أنها نزلت فى أصحاب لسلمان الفارسى رضى الله عنه كان يصحبهم فى الجاهلية فقال له أحدهم ان زمان نبي قد أظل فان لحقته فآمن به وقد كان رأى منهم عبادة عظيمة وايمانا وثيقا فلما بعث الرسول عليه السلام جاءه ثم قص عليه من خبرهم فنزلت هذه الآية. وقد روى عن ابن عباس أنها نزلت فى أول الاسلام ثم نسخ ماقدر من ذلك بقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يتقبل منه وهو فى الآخرة من

الخاسرين) وللقوم هنا كلام كثير غير هذا فحسبك ماقدمناه لك فى صدر الكلام من التفسير (وإذْ أخَذْنا مِيثاقكم ورَفعنا فوقكم الطُّور خُذُوا ما آتيناكُمْ بِقُوَّةٍ واذكُروا مافيه لعلَّكُمْ تتقُون . ثُمَّ تولَّيْتُمْ مِنْ بعدِ ذلك فلوْلاَ فضلُ اللهَ عليكُمْ ورحْمتُهُ لكُنْتمْ من الخاسِرين) خلق الله الاناسى وأعد عقولها لادراك الادلة الناطقة بوجوده الدالة على بالغ قدرته وعلى حكمته وكذا على صدق أنبيائه ورسله «١» فبذلك العقل الذى جعله الله مناط التكليف وآلة الادراك والتفكر وبما أعد له من الادلة والحجج التى تنطق بها آثاره الشاخصة علويها وسفليها.

ومامن آية من آيات الكتاب العزيز ورد بها الميثاق وأخذ الله اياه الا كان المراد بها ماذكرنا هنا فلا ينبغى ان يعنى بما يطيل المفسرون من التأويلات فى أمثال هذه الآية

وخلاصة القول ان الله تعالى أراد ان يذكر بني اسرائيل بما كان منهم اذ كشف لهم الحقائق وأقام لهم الادلة والشواهد فلقد رأوا بأعينهم موسى يناجى ربه على جبل الطور «٢» حيث كلمه الله تعالى وأوحى اليه بألواح التوراة فيها هدى ونور وموعظة للمتقين

كانوا اسفل ذلك الجبل ينظرون الى موسى شاخصة أبصارهم وجلة قلوبهم وقد أشرفت عليهم قُنَّتُهُ حتى كان كأنه ظُلَّةٌ وظنوا انه واقع بهم.

رأوا ذلك رأى العين فلم يكن حديث موسى اذ ناجاه ربه وأوحي اليه بكتابه المقدس حديثا يفترى أو رواية أمر غائب عن الشهود على أنهم مع

---

(١) راجع الجزء الاول من تفسير أبي حيان (٢) تفسير القرطبي.

ذلك تولوا وأعرضوا بجانبهم كان لم تر أبصارهم ولم تسمع آذانهم ولم تفقه قلوبهم رأوا ذلك بأبصارهم فما كان لهم على الله من حجة اذ أمرهم أن يأخذوا كتابه بقوة فيعتصموا بحباله وليهتدوا بآياته ويقيموا تكاليفه وحدوده والا ينسوا ما أودعه من الآداب المطهرة للنفوس والاحكام الكفيلة بنظام الحياة فان الذكرى تنفع المتقين والغفلة مرتع الخاسرين (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (ولقد يستنبط المتدبر لهذه الآية الكريمة ان بركة الكتب المقدسة انما تكون باتباع مافيها من الاحكام والتجمل بما تحويه من الآداب ومكارم الاخلاق. ولا جرم ان تلك الغاية التي هي المقصود بالذات من وحي الله وتعاليمه التي ينزلها على قلوب أنبيائه الطاهرين ورسله المصطفين فأما مابين دفتي تلك الكتب من النقوش والصور الرسمية فان من الخطأ اعتقاد أنها تدرأ عذاب الله عن العاصين أو تجلب الخير للقاعدين الغافلين) وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)

ومن هذا القبيل ما رواه الترمذي عن جبير بن نضير عن أبي الدرداء قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره الى السماء ثم قال هذا أوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء فقال زياد بن لبيد الانصاري كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا فقال ثكلتك أمك يازياد ان كنت لأعدك من فقهاء المدينة. هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى . فماذا تغني عنهم ؟ بذلك علمنا الرسول الامين انه لايغني عن الناس الا تدبر كتبه واتباع ما جاء بها من

الحدود والعمل بما تحويه من مكارم الاخلاق . فأما اذا عطلت فلم يحفظ منها الا رسمها ولم يدخر منها الا رسمها فما هي بالتي تغني فتيلا عن معطليها أولئك الذين يسيئون تأويلها أو ينسبون ما فيها . فليتدبر هذا من يدعون الاسلام زوراً ويزعمون أنهم في منجي من العذاب ما داموا يدخرون المفضض والمذهب من المصاحف وفي مأمن من الحريق ما بقي البخاري في مساكنهم وان مغفرة الله ورحمته تجلب بإستئجار حفاظ القرآن ليرتلوا شيئاً من سورة بكرة وعشيا . وليفقه تعاليم القرآن من يظلون يسلبون وينهبون حتي اذا تخمت بطونهم بالاسلاب ودنت أرواحهم من الحناجر حبسوا شيئاً مما غصبوه للضعفاء والمساكين فوقفوه على التكايا أو على قراء القرآن لدى مقابرهم زاعمين ان ذلك يكفر عنهم من سيئاتهم أو يخفف عنهم من عذابهم . ولو أنهم تدبروا الكتاب الذى بين أيديهم لرأوا فيه (من يعمل سوءا يجزبه) . (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ولو أنهم تدبروا شريعة المصطفى لعلموا ان حقوق العالم لا يكفرها الا ردها الى أهليها أو تنازل هؤلاء عنها وكم من عنق مطوق بحقوق العباد وأيد ملوثة بالجرائم والآثام وقلوب في أكنة من ظلمات الغفلة عن الله وعن مراقبته . فما ذا عسى ان يدرأ العذاب والنكال عن أصحاب تلك الجوارح الخاطئة سوى توبة الاعتبار والتفكر فيما تحويه الكتب المطهرة من العظات والامثال وما تدعو اليه آياتها من العدل والاحسان .

على أنه لو يعجل الله لليهود الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم ولكانوا من الخاسرين لخيري الدنيا والاخرى ولكن الله أرحم من يحارب من جاهروا بعدوانه وبطروا نعمته فهو جدير أن يملي لهم لعلهم يفقهون

ويزيدهم احساناً لعلهم يشكرون . ولولا ان الله كان سريع الانتقام في الدنيا لما أرخى الاعنة لبني اسرائيل يمرحون في الارض فرحين بما ملكت أيديهم من المال الوفير والخير الكثير بعد اذ كفروا بانعم الله ونقضوا ميثاقه وقتلوا بالباطل أنبياءه وبعد اذ أكثروا من الدل على رسلهم والتشدد في طلب الآيات الخارقة ولذيذ المطعومات وعير المياه فيما كلفوا من الاراضي المرملة المقفرة . ولكن الله تعالى حليم لا يعجل فلقد ضاعف لهم الاحسان وعمهم ببركة فضله ولولا فضل الله عليهم ورحمته بهم لكانوا من الخاسرين

سيقت هذه الآية في معرض تذكير بني اسرائيل بما فعل الله تعالى معهم اذ لطف بهم وأسبغ عليهم فضله ورحمته بينما هم مخالفون لعهوده ناقضون لمواثيقه معرضون بجانبهم عما أرادهم عليه من مكارم الاخلاق وصالحات الاعمال .

ولما كانت النفوس قد لا يكسبها الغنى ألا البطر وكفر النعمة لا سيما نفوس أمثال أولئك الخسرة المعاندين حسن أن نقرن آيات الامتنان وسرد النعمة بآيات الروع والزجر والانتقام والتنكيل حتى تأخذ كل نفس من فنون التذكير والتهذيب ما يشاكلها ويناسب أطوارها لذلك اتبعت الآية التي نحن بصدد وشرحها بقوله تعالى

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ

حرم الله على بني اسرائيل فيما ورد في الآثار صيد الحيتان والاسماك في يوم السبت امتنانا لقوة ايمانهم وتذرعا الى اظهار مبلغ ما يدعونه من الاستمساك بالدين والانقياد لما جاءتهم به الصحف السماوية من الآداب

والتكاليف الآلهية (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون)

فماذا فعل أولئك المبطلون ؟ أرادوا أن يسلكوا طريقا من الضلال لا يهتدى اليه العامة من الناس ظاهره الانقياد والخنوع لله تعالى وباطنه عصيان أمره دون حذر ولا استحياء عمدوا الى طريق الحيل فجعلوا يصورون أعمالهم المنكرة فى صورة يفرون بها من النقد والتجريح . قصدوا الى ابتداع طريقة يلبسون فيها الامر على الناس وما دروا من جهلهم انهم يخشون الناس والله أحق أن يخشوه . صبغوا قبيح أعمالهم بالوان الشريعة التي يدينون بها يستخفون بذلك عن الابصار وما علموا ان الله معهم أينما كانوا وكيفما تشكلوا. أرادوا أن يخالفوا أمر خالقهم انقياد الشهوات نفوسهم واطاعة لارادة ميولهم فاتخذوا الحيل الشيطانية زاعمين أنها تحجبهم عن أعين من يعلم سرهم ونجواهم. جعلوا يبتدعون ما تسول لهم نفوسهم من الوسائل كي يتمكنوا من صيد الحيتان وأكلها دون ان يظهر للعامة مخالفتهم لتعاليم دينهم فمنهم من كان يعمد الى جزء من الماء فيقيم فى طريق مجراه سدا مثقبا لا يحول مرور الماء من خلاله حتى اذا لم يبق الا ما كان فى ذلك الماء من الاسماك قبضوا عليه بأيديهم فاذا ما سئلوا فى ذلك قالوا انما حرم علينا صيده يعنون بطرق الصيد المألوفة بينهم . ومنهم من كان يعمد الى أساليب شتي في هذا السبيل وما مغبتها الا الحصول ما منعوه من الصيد

ولقد نجحوا فى التعمية والتغرير ومخادعة الجاهلين ولكن هل أغناهم ذلك

من دون الله نقيراً أو فتيلا ؟ اكتسبوا بتلك الحيل كثيراً من مآربهم واستمتعوا بدنئ شهواتهم ولكن هل سلموا من بطش الله وعقوبته ؟ وهل استطاعوا أن يختفوا بقبيح عصيانهم عن العين التى لا تنام ولا تغفل ؟ كلا فلقد أصابهم السوء بما كسبت أيديهم كما ضربت عليهم الذلة والحقارة . ذلك أن الله تعالى بعد أن بيّن لهم المحجة ووضح لأبصارهم سبل الحق وحذرهم أن يخالفوه متسترين بشفاف أثواب الحيل والتمويه كيلا يكون لهم عليه من حجة ابتلاهم بتحريم الصيد فى السبت فحينما خضعوا لشهواتهم وتبرموا بالحيل من انقيادهم لأمر بارئهم واستخدموا مواهبهم العقلية فى تدبير الاساليب والمخارج التى يتسللون بها من دائرة تكاليف دينهم كتب الله لهم أن يكونوا فى حياتهم لا كالانسان يفكر ويقدر ويفعل ما يقضى به عقله السليم الانسانى بل كالقردة يخيل الى رائيها أنها ذات عقل رشيد وفهم ثاقب وان هى الا حيوان كل ما يجيده ويتقنه انما هو المحاكاة والتقليد بذلك كتب الله لهم أن يكونوا حيث أنزلوا أنفسهم حيوانا ليس له من التفكر والتعقل ما هو من شأن الانسان العاقل المفكر بل قردة يحاكون ويتشبهون على أنهم فوق ذلك في ذل خالد وضعة أبدية . صب الله عليهم تلك العقوبة لتكون نكالا لما بين يديها من المارقين الذين انتهكوا حرمات شريعتهم واستهانوا بتعاليم دينهم وحاولوا أن يتغفلوا علاّم الغيوب ويحتجبوا عن أعين الذى لا يخفى عليه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم . وكذلك جعلها الله نكالا لما خلفها ممن اقتفوا آثارهم وعطلوا مواهب ربهم فهم دائماً قردة خاسئون أذلاء ليس لهم من الانسانية الا صورة الانسان وشكله . أما أنهم قردة فلما علمت واما أنهم خاسئون أذلاء فذلك لأنهم هبطوا عن مرتبة

الانسان فاستحقوا ألاّ يعيشون معه فى منزلة واحدة وان شاركوه فى صورته وشكله . ذلك تأويل هذه الآية فيما نرى فلم يكن الامر فى قوله (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أمر تكوين كما ظنه بعضهم وانما أريد منه أن يكونوا فى المنزلة التى ارتضوها لأنفسهم وهبطوا اليها بارادتهم وهى ألاّ يكونوا أناسيّ في تصرفاتهم وأفكارهم وعقولهم بل أن يكونوا قردة لا يجيدون الا المحاكاة والتشبه ذلك مثلهم فى القرآن الكريم

قال مجاهد انهم لم يمسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله لهم [١] وحكى عن مجاهد أيضاً انه مسخت قلوبهم حتى صارت كقلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تعي زجرا اه وهذا لا يكاد يخرج عما بسطناه آنفا وروى مسلم عن ابن مسعود ان الرسول عليه السلام قال لمن سأله عن القردة والخنازير أهى مما مسخ فقال ان الله لم يهلك أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك . [٢] هذا وليحذر طلاب الحقائق ان يغتروا بالمفتريات الاسرائيلية التى تشغل بها المفسرون هنا صحفهم فانها كذب لم يصح شيء منه رواية ولا دراية

وفى هذه الآية عظة للمتقين الذين يخشون الله فيقفون عند حدوده ويصدقون زواجره وتواعدته فلا يحومون حول المنكرات والمناهي التى أبلغهم اياها على لسان رسله وبينها لهم فى ألواحه وكتبه

ولقد كان علماء الاسلام وأئمته أحق الناس بأن يتعظوا بتلك الآية

« ١ » أنظر تفسير أبي حيان « ٢ » لقد أسرف المفسرون هنا فى نقل أكاذيب لاسرائيلية حتى أنهم جاءوا بما لا يقبله العقل ويؤيده النقل مما حمل عامة الناس على اعتقاد أانه من الدين الحنيف وحمل النابتة المفكرة علي اساءة الظن بالقرآن الكريم وقصصه . ولو اتقى الله أولئك المفسرون أو لو أنهم استوثقوا مما ينقلون وتحروا الصواب فيه لما جنوا على الاسلام هذه الجناية المشئومة

ويعتبروا بما أصاب بنى اسرائيل بسبب ماارتكبوا من مخادعة الله فى الظاهر ومحاربته فى الخفاء ولكنهم اتبعوا سنة بنى اسرائيل قديما وحديثا فلجأوا الى الحيل وجعلوها من أبواب الدين وتعاليمه حتى انهم ليعقدون الابواب والفصول تحت عنوان (الحيل الشرعية) فيقصون على الاغرار من مستمعي أقوالهم ومصدقى أحكامهم ما الشرع منه برئ . يقصون عليهم الكثير من أساليب الحيل والمخادعات التى عذب بنو اسرائيل بواحدة من أشباهها . ولو ان الادعياء من علماء الاسلام عرفوا الله حق معرفته وقدروه حق قدره لما سلكوا معه ذلك المسلك الذى لا يكاد يروج حتى على الاغرار الجاهلين من الناس فعسى ان يكون فى أمثال تلك الآية الكريمة مزدجر وعظة للغافلين عن كتابه الجاهلين لاسرار دينه التابعين لسنته من كانوا يحاربون الله من وراء ستار الحيل وينالون جميع شهواتهم ومآربهم بتغفل من حولهم من الناس ولنا عودة الى موضوع (الحيل)

هجرة الاستاذ

والهلال العثماني

اذا تعلقت النفوس بامرئ كثر التساؤل عنه ولهجت الالسنة بذكره فاندمج فى المتحدثين عنه بعض الشانئين . ولكل ذي فضل حسود يتقول عليه الاقاويل ويعزو اليه الاباطيل . غير أن صفاء السماء فى اليوم السجسج لا يكدره العثير يتطاير من تقلب البرذون . وقد أذاع بعض الذين أكلت الحفيظة صدورهم من الحسد ان حضرة الاستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز جاويش غادر هذه البلاد خيفة أن يناله من الحكومة مكروه . وانه نسي مصر فلم يعد يهزه اليها الشوق فيذكرها فيخدمها . كبرت كلمة تخرج من أفواههم انهم ليخرصون

ما نسي الاستاذ هذا البلد ولا هاجر منه فراراً من الميدان الذى كان فارسه المعلم ولكنه فكر فدبر وما رأى الا الحق الذى لا ريب فيه فصحت عزيمته على أن يتوسط الميدان بعد الجولان فى أحد أطرافه فشد رحله الى دار الخلافه الاسلامية وهنالك نشر الهلال العثمانى تلك الصحيفة التي وطن النية على أن يخدم بها الاسلام وما مصر الا من بلاده . وسيرى المصريون الشيخ غائباً كما كانوا يرونه حاضراً يناضل عنهم ويطالب بحقوقهم ويهاجم مغتصبيها بما عرفوه فيه من القوه . وفى الهلال العثمانى يخدم الدولة العلية خدمة يعلم المصريون أن قسطهم من فوائدها وافر . وهل يجحدون حنين الاستاذ الى الدولة أيام كان بين ظهرانينا يكتب عنها ما يشفي الصدور .

انه انما تحول الى دار الخلافة ليجد من المجال متسعاً وهى فكرة قديمة طالما عاودته فلما أعد العدة وأيقن أن الامر قد استتب وانه لا شك واجد ما يتمنى من التمكن من تعميم الخدمة للاسلام ودع مصر وداع المحب الوامق وأمّ أم المدائن الاسلامية فأنشأ هلاله العثمانى وفى مقدمته ما يبدد غياهب الشبهات التى أراد أعداء الحق أن يحجبوه بها لكى لا يعلم محبوه أنه انتقل من وطنه الخاص الى وطنه العام ليخدمهما معاً قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . والسلام على رسوله سيد الكائنات. وبعد فقد ضرب الله للناس الامثال ليبين لهم أن الارض لا يرثها سوى الصالحين لعمارتها من عباده . وابتلى الغافلين من الامم بتوهين الاركان وتنقيض البنيان وفساد الكيان فى البر والبحر ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون . سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولو شاء ربك أن يعدل عن قانون نظام كونه مع أمة ما لكان المسلمون أولى بفيوضاته ومواهبه بعد اذ شرفهم برسالة خير خليقته . ولكنه جل شأنه أرانا بالامثال والعبر أن حياطته اياهم وتأييده لهم معقودان بأن يسلكوا سبيل الهداية ويلتزموا نواميس السنن الكونية فلا يكونون خير أمة أخرجت للناس حتى يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويسارعوا فى الخيرات الصالحات من الاعمال . ثم أنذرنا نار التباغض الحاميه . ورحى الاختلاف الطاحنه . وحذرنا ان نقنع بالتواكل فانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أو ان نعتمد على باطل الامانى وتضليلات الاحلام فان الامانى والاحلام تضليل (ليس

بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه)

ثم لو شاء ربك أن يخالف سننه الكونية مع أحد من الناس لكان أجدرهم بذلك أصفى أصفيائه وسيد أنبيائه فهل فضله بالضعف والخمول وأيده بالجهل والفضول ونصره بالسبح واطالة الذيول ؟ كلا ولكن ملا قلبه باليقين والحكمة وجمل أخلاقه بالكرم والعظمة . وجده ضالا فهداه وعائلا فأغناه ثم علمه كيف يسدد السهام . ويطير الهام . ويحتفر الخنادق . ويمتطى الجياد . ويقود الكتائب . ويخترق الصفوف . وينازل الالوف . علمه كيف يأخذ الحذر ويتدبر العواقب . وكيف يكون شديداً فى لين . وعظيما فى تواضع . وعدلا فى رحمه .

علمه الصبر على المكاره واتباع أولى العزم من الرسل فلم يثنه عن شريف مقاصده ما طالما لحقه من أذى الجاهلية كما لم يصده عن نبيل أعماله افك الافاكين ولا استهزاء المستهزئين . بل كان يدعوهم الى الحق بالحكمة ويجادلهم بالموعظة الحسنة حتى اذا ضاق صدره لعنادهم وابتهل الى الله أن يؤيده بما كانوا يريدونه من غرائب المعجزات. وخوارق العادات. ناجاه ربه الا تذهب نفسه عليهم حسرات . وعلمه أن دين الفطرة لا تؤيده تلك المطالب الجاهلية وانما هو أن يدعو الى الحق على بصيرة (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) وأن يتلو عليهم كتابا يهديهم الى سعادتى الدنيا والآخرة

« أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » بتلك الآداب الالهية والتعاليم القدسية سار الرسول الفطرى فى سبيله مهتدياً هادياً مصطبراً غازيا يقرع الحجة بالحجة

ويفل الحديد بالحديد ويقهر الابطال بعنيف النزال . ولقد كان يتساقط عليه اذى قومه فلا يزيده ذلك الا قوة فى العزم وثباتا فى القلب وشدة فى المعارضة ومضاعفة فى الاقدام . فلم يحزن لما كان من فقره ولم يهن لوحدته وضعفه . ثم لم يثنه عن تأدية دعوته ان قومه كانوا كثيرى العدد وفيرى المال شداد البأس يرسل احدهم صوته فى الفضاء فيتسابق اليه الفرسان والرجال متخطفين بكلمة يطلقها لسانه أرواح الابطال

ولولا ذلك ما كان فى مقدمة ما منّ الله به على رسوله سليمان وقومه أن علمه صنعة الدروع السابغة ليقيهم بها شر السهام المسنونة والسيوف القاضية فهى من وحيه والهاماته التى أراد أن يؤيد بها دينه وينصر أصفياءه وخاصته قال تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) بلى قد علمه ذلك وجعله من أجل أنعم الله عليه وعلى أمته بعد اذ أسال له عين القطر والهمه كيف يقدر في السرد ويجيد صنعة حلقات الدروع وكيف يحكم وضعها ويقي بها أنصاره واعوانه غارات اعدائه وجاحدى تعاليمه القدسية (والناله الحديد ان اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير .)

تلك هى سنة الله التى اختطها لكونه ورسمها لخلقه فلا عجب اذا رأينا مجوس اليابان باتباعها سادة الشرق وقاهرى دولة الروس الفخمة العظيمة . كذلك لا عجب اذا رأينا ما حاق بالمسلمين من الحشرات منذ عدلوا عن مجاراة السنن الكونية وغفلوا عن نواميس الحضرة الالهية

ولقد لطف الله بعباده المسلمين بعد اذ كادت المكايد تستأصلهم والغفلة تلحقهم بالامم الخالية فاراهم من آياته ما زحزح الاغشية عن أبصارهم وفتح

الإقفال عن قلوبهم فهم اليوم ينفضون عن أنفسهم غبار القبور ويمزقون عن أجسادهم اكفان الموت وسيحيون تلك الحياة التى يذكرها التاريخ لسلفهم الصالح أيام شمل سلطانهم الخافقين واشتدت أنوار عدلهم وحضارتهم فى المشرقين

ولقد يتطير بعض الناس بفارس وبلاد المغرب الاقصى اذ انتقضت صروحهما وانهارت أركان استقلالهما فهم يخشون ان تفرغ دول أوروبا بعد ذلك لدولة الخلافة صانها الله تعالى

أما نحن فعلى العكس من أولئك المتطيرين فان الاسلام ما انبنى الا على دعامة واحدة وهى التوحيد فاذا وجد التوحيد فى السياسة كانت سلامة العالم الاسلامى كما انه اذا وجدت عقيدة التوحيد وجد الاسلام ، ذلك أن كثرة الادعياء من الخلفاء والامراء يكسب المسلمين الفشل ويوقع العداوة والبغضاء بينهم حتى اذا اشتدت فيهم الفتن والدسائس أوقدوا نيران المنازعات ثم انقلبوا لها حطبا ثم لا يزالون يتناطحون ويتقاتلون على مرأى ومسمع من اعدائهم الاقوياء المستيقظين حتى يتهافتوا ويتساقطوا غنيمة لكل آكل ونهبا لكل ناهب وما عهدنا بابى حمارة وأبى عمامة وأشباههما من الجهلة المف.دين بالعهد البعيد

ولقد كنا نتمنى أن يكتب الله لملجأ الخلافة العظمى السلامة من شر الاختلاف ولكن أبت المقادير الا أن يقوم رجال لا نعتقد فيهم الخيانة لبلادهم أو البغض لدولتهم أو الرغبة فى زوال استقلالهم ولكنه لرأى فيما

نعتقد ذهابهم الى بعض الحركات الخلافية التى قد أولت اما خطأ أو صوابا بأنها غير ملائمة للاحوال الحاضرة .

ونحن مع احترامنا لحرية القول وحرية الفكر لا يسعنا الا الجهر بأن الحزم كان يوجب لا سيما على المخلصين منهم أن يعتبروا بما تفعله الامم الاخرى فلقد رأينا حديثاً كيف اجتمعت الاحزاب الايطالية على باطلها وظاهرت حكومتها على ما جاءته من العدوان الشائن والحرب الوحشية ثم رأينا كيف هنأ نواب تلك الدولة كنيفا ذلك الزعيم الذى جاء من صنوف الغلظة والفظاعة فى معاملة أهل طرابلس ما لم تأته الامم المتبربرة والوحوش الكاسرة

اننا لا نرمى بهذا الى استهجان الاجتهاد والاستقلال بالرأى أو الى استقباح مخالفة غير المصلحين من القائمين بالامر فى الامم كما لا نريد أن نقول ان الحزم يقضى بالكف عن مناقشة ذوى الحل والعقد وانتقاد أعمالهم ولكن للنصح طرقا لا تجامع التشهير والتجريح وأساليب لا تنافر الحكمة والسداد

ولقد حللنا منذ شهرين عاصمة الاسلام العظمى فرأينا أن أكثر ما يشاع من الانباء المنفرة والقصص المكدرة لنفوس المخلصين لدولة الخلافة الحريصين على سلامتها انما سببه ما يسمى بسوء التفاهم الواقع بين الاحزاب والشعوب ثم التحريف والتبديل فيما يروى من الاحاديث والحوادث ثم المسخ والتشويه لما يضمره القابضون على أزمة الاعمال .

ولقد أبصرنا آثار ذلك التنافر بادية فى الشعوب النائية عن مقر الخلافة البعيدين عن الاسباب التى بها يتعرفون حقائق الشؤون الادارية والسياسية.

لهذا رأينا ان ننضم الى صفوف المجاهدين في سبيل التوفيق والاصلاح فعقدنا النية على اصدار هذه الجريدة راجين من الله تعالى ان يجعلها نبراسا تتبين به الحقائق النافعة والعظات المفيدة

وما نحن بحمد الله من أولئك الذين تأخذهم فى الحق والعدل صولة الصائلين ولومة اللائمين

وما كانت هجرتنا الي دار الخلافة خوفا من أمير ، أو فراراً من خطر كبير ولا كانت اقامتنا بها طمعاً في مال أو طلب الوظيفة ولكننا نزلنا فى أقوام يقيمون العدل ويحترمون الحرية ويؤيدون الحق ويحمون الدستور: نزلنا فيهم ثم وقفنا حياتنا على تأييدهم ماداموا على الحق ونصحهم بالحسنى ما سقطوا فى هفوة من الهفوات .

وما أنا بالذى يترك بلاده التى ولد بها وتكون من ترابها عقوقا لها وجحودا لفضلها فقديما هاجر الرسول عليه السلام من مكة مسقط رأسه ومنبت جسمه ومبدأ وحيه ثم عاد اليها يوم نسخت آية هديه ظلمات الشرك ورفع أنصاره من أهل المدينة رايات المساواة والحرية والعدل وحديثاً رأينا احرار العثمانيين فى أوروبا وغيرها يكتفون بالخبز القفار وقد يطوى أحدهم الليل والنهار على الجوع ثم هم اليوم فى ربوعهم آمنون وبثمرات اعمالهم فرحون مستبشرون . على انى ان تركت اليوم مصر الى مقر الخلافة فانما تركت وطنى الصغير لاخدمه فى جملة ذلك الوطن العظيم الذى يضم مصر بين جوانحه وليسعدها برقيه وسعادته ولقد عزمنا على أن تكون صفحات الهلال فى الشهر الاول من وجوده أربعاً احداها تركية ثم نزيد فيها حتى ينقلب الهلال بدراً كاملا ان شاء الله تعالى وسنقف علي هذه الجريدة جميع

ما وهبنا الله من العلم والعمل والمال فى سبيل خدمة الامة العثمانية والعالم الاسلامى عامة كي نقضى بذلك بعض ما وجب علينا لله ولرسوله ولكتابه الكريم تلك آمالنا التى نرجو من الله تحقيقها

وما كان ينبغى لاحد أن يتهجم فيرمي جريدة الهلال بما رمى قبل تخلقها وظهور شيء من آثارها الصالحة ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم

عبد العزيز جاويش

الزكاة فى الاسلام

ظهر الدين الاسلامى فى وقت اشتد فيه ظلم الرؤساء وتعاظمت فيه سطوة الاقوياء . فكانوا لا تأخذهم شفقة على بائس . ولا تستلين قلوبهم رقه على ضعيف . فلما أشرق نوره بدد عنهم ظلام تلك الجهالات . وأرشدهم الى أوضح سبل الهدايات ، بما افترضه عليهم من العبادات وسن لهم القوانين التى نقلت العالم من ظلام حالك الى نور عم الامصار . ويقين ملأ القلوب .

والعبادات منها البدنية ومنها المالية فمن أجل العبادات المالية الزكاة . وهى ركن من أركان الاسلام ذكرها الله عز وجل فى كثير من القرآن الكريم مقرونة بالصلاة فقال « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم »

وقال « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو

مولاكم » الى غير ذلك فى كثير من الآيات ولا تكاد توجد آية ذكرت فيها الصلاة الا قرن ذكرها بالزكاة

ولقد ورد فى صحيح البخارى كثير من الاحاديث التى يوجبها وتنذر مانعها بعذاب واقع . ما له من دافع قال « حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن زكريا بن اسحق عن يحي بن عبد الله بن صيفى عن أبى معبد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مُعاذاً الى اليمن فقال له أدعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فان هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثّل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه « يعني شدقيه » ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا لا يحسبن الذين يبخلون الآية»

والحكم فى ايجاب الزكاة أمور بعضها يرجع الى معطى الزكاة وبعضها الى آخذ الزكاة فمن الامور التى ترجع الى معطى الزكاة

«١» ان الاستغراق فى حب المال يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت حكمة الشرع تكليف مالكه باخراج طائفة منه ليصير ذلك الاخراج كسرا من شدة الميل الى المال ومنعاً من انصراف النفس اليه وتنبيهاً لها . على أن سعادة الانسان لا تحصل عند الاشتغال بطلب المال وانما تحصل بانفاق المال فى مرضاة الله تعالى فايجاب الزكاة علاج صالح

متعين لازالة مرض حب الدنيا عن القلب فالله أوجب الزكاة لهذه الحكمة وهو المراد من قوله تعالى(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) أى تطهرهم من الاستغراق في طلب الدنيا

«٢» ان كثرة المال توجب شدة القوة وكمال القدرة والاسترسال فى الشهوات . والانغماس فى الملذات . وهى تدعو أن يتهالك الانسان فى حبه . ويتفانى في طلبه فقطع الله عليه ذلك بصرف جزء منه فى مرضاته ليصرف النفس عن طريق الظلم الذى لا آخر له ويقبل على عبادة الله ورضوانه

«٣» ان الخلق اذا علموا أن الانسان ساع فى ايصال الخير اليهم ودفع الاذى عنهم أحبوه ومالت نفوسهم اليه لا محالة وقد قال عليه السلام «جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها» فالفقراء اذا علموا أن الرجل الغنى يصرف لهم طائفة من ماله وأنه كلما كثر ماله زاد ما يصرفه لهم من ذلك المال أمدوه بالدعاء له وهذا ما يشير اليه الحديث الشريف حصنوا أموالكم بالزكاة

«٤» ان المال غاد ورائح وهو سريع الزوال مشرف على التفرق فاذا أنفقه الانسان فى وجوه البر والخير بقى بقاء لا يمكن زواله واستحق من أجله الشكر الدائم فى الدنيا والثواب المقيم فى الآخرة

«٥» اخراج الزكاة يوجب حصول الالفة والمودة بين المسلمين وازالة الأحقاد من صدورهم فلا يبيت فقير لغني شراً ولا يحمل له حقداً كل هذه الامور تعود على مخرج الزكاة

والفائدة التى تعود على من يأخذ الزكاة فهى

«١» ان المال الفاضل عن الحاجة الاصلية اذا أمسكه الانسان بقي

معطلا عن المقصود الذى لأجله خلق المال وذلك سعى فى المنع من ظهور حكمة الله فأمر بصرف جزءمنه الى الفقير حتى لا تصبر تلك الحكمة معطلة

«٢» أن الفقراء عيال الله والاغنياء وكلاؤه على أمواله التي في أيديهم وديعة فاذا ما صح هـذا فليس بمستبعد ان يقول الله لوكلائه على ماله انفقوا جزءاً من تلك الاموال على المحتاجين من عبيدى

«٣» ان الشرع لما أبقى فى يد المالك اكثر المال وصرف للفقير منه جزءاً يتمكن المالك من جبر ذلك النقصان بالاتجار وغيره من طرق الاستثمار . أما الفقير ليس له شيء أصلا فلولم يصرف اليه ذلك الجزء من أموال الاغنياء لبقى معطلا وليس له ما يجبره فكان الاولى ذلك

«٤» أن الاغنياء اذا لم يقوموا باصلاح شؤون الفقراء فربما حملتهم شدة الحاجة ومضرة المسكنة على اقتحام الافعال المنكرة كالسرقة والقتل وغيرهما من ضروب الايذاء التي يتجشم الجائع من أجلها كل هول ويستحل كل محرم ويفعل كل محظور

«٥» كأن الله تعالى يقول للفقير ان كنت قد منعتك الاموال الكثيرة ولكنى جعلت نفسى مديناً من قبلك وان كنت أعطيت الغني أموالا لكنى كلفته أن يعدو خلفك حتى تأخذ منه ذلك القدر فتكون كالمنعم عليه بان خلصته من النار فان قال الغنى قد أنعمت عليك بهذا الدينار قل أيها الفقير انا المنعم عليك حيث خلصتك فى الدنيا من الذم والعار . وفى الآخرة من عذاب النار

(توزيع الزكاة)

قال الله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)

قال أبو يوسف فى كتاب الخراج أما المؤلفة قلوبهم .فقد ذهبوا وأما العاملون عليها « أى الصدقة » فيعطيهم الامام من غير سرف ولا تقتير وبقية الصدقة للفقراء والمساكين سهم وللغارمين وهم الذين لا يقدرون على قضاء ديونهم سهم وفى أبناء السبيل المنقطع بهم سهم يحملون ويعانون وفى الرقاب سهم فى الرجل يكون له أب مملوك أو أخ او ما أشبه ذلك فيعان في شرائه ومن هذا النظام البديع تعلم أن الامة الاسلامية انما سادت فى صدر حياتها الاولى بالعمل بهذا وأشباهه من قواعد الاسلام التى ترمى كلها لغرض واحد وهو سعادة المسلمين

ولو استمروا بالعمل بما في الكتاب الكريم ولم يحد أولياء الامور عن هذا النهج القويم لما عرف فرد من أفرادهم شفاء الحياة التى تعانيها الطبقة النازلة الآن

(الزكاة أحد أركان الدين وتعطيلها هدم للدين)

الزكاة ركن من أركان الاسلام الخمسة . وقد قاتل عليها أبو بكر رضى الله عنه أهل الردة وليس المراد أنهم ارتدوا عن دين الاسلام بل اعتبرهم مرتدين لتركهم ركناً من أركان الاسلام وهو الزكاة وترى الآن أن هذا الركن قد تهدم عند المسلمين والذى هدمه انما هم بعض المتسمين بسمه أهل

العلم بوضع حيلة يزعمون أنها تبرئ ذمة صاحب المال من أداء الزكاة عنه وهى أن يهب ماله حين ما يحول الحول شخصاً آخر ثم يستوهبه اياه ثانية منه ويالها من حيلة لم يكف صاحبها الاثم بترك ركن من أركان الاسلام حتى اجترح اثماً آخر وهو اثم الاحتيال على دين الله القويم الذى يبرأ الى الله ممن يتنكب عن طريقه المستقيم ويتحكم فيه بعقله السقيم

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

« م »

متفرقات وشذرات

(الجرائد فى أمريكا) من اطلع على أحوال الجرائد الامريكية في السنوات الاخيرة يوقن بأن سيكون لها مستقبل باهر بعد قليل من السنوات فان الجرائد الكبيرة منها قد رتبت ادارتها على نمط غريب جدا اذ لكل جريدة معمل للورق الخاص بها وقطرات مخصوصة للسكك الحديدية وسفن لنقل الاخبار والجرائد وتوزيعها على المشتركين وخطوط تلغرافية خصوصية لاستجلاب الاخبار من أقاصى البلدان وفى عزم البعض من رجال السياسة والتحرير هناك حصر أخبار العالم في ادارة للاخبار ينشؤونها ففيها تعرف أحوال العالم وأخبار التقدم فى العلوم والفنون وكل ما يهم الانسان وستكون لتلك الادارة جريدة تطبع في آن واحد بشكاغو وبوستن وفى فيلادلفيا وسان

فرنسسكو وبعض مدائن أوروبا الشهيره بحيث أن ما تتضمنه احداها تنشره الاخرى في اليوم نفسه

(الجرائد في العالم) يطبع في أرجاء المعمورة ٥٠٠٠٠ جريدة منها ٢٠١٦٩ فى الولايات المتحدة و ٦٣٠٠ في فرنسا و ٦٠٠٠ فى المانيا و ٨٠٠٠ في انكلترا و ٢٠٠٠ فى اليابان و ١٥٠٠ في ايطاليا و ١٢٠٠ فى النمسا و ١٠٠٠ في أرجاء آسيا ماعدا اليابان و ٨٥٠ في أسبانيا و ٨٠٠ في الروسيا ومثلها فى أوستراليا و ٦٠٠ في اليونان و ٤٥٠ في سويسرا و ٣٠٠ في هولانده و ٣٠٠ فى بلجيكا و ١٠٠٠ فى بقية البلدان وفى جهات القطب الشمالى جرائد تطبع منها جريدة اسكيموبولتن التى تنشر فى رأس البرنس دى غال بالقرب من بوغاز بهرن وليس هذا بغريب فقد أنشأ الانكليز مدرسة لهم فى تلك الجهة التى تأتى منها باخرة واحدة فى كل عام وفيها نسخة سنوية من تلك الجريدة مطبوعة على صحيفة واحدة

(الفواق) - الفواق ينشأ من تشنج مجهول الاسباب يصيب الحجاب الحاجر وهو وان يكن سريع الزوال في أغلب الاحوال ولكن قد يدوم بعضها زمناً طويلا ويؤدي الى عواقب خطيرة . وللفواق أدوية كثيرة منها شرب الماء ببطء ولعل هذا والحكمة من حديث

(مص الماء مصاً ولا تعبه عباً) والضغط على المعدة أو على الجزم لاعلى من البطن أو على الصدغين ووضع المكمدات من الماء البارد واطالة العنق بشدة كمن يتشوف للاطلاع على شيء لا يراه وتقوية استنشاق الهواء بسرعة ووضع قطعة من السكر فى الفم مبللة بالخل وضغط بنان ابهام احدى اليدين على بنان الخنصر منها وعمل مثل ذلك فى اليد الاخرى وقد جربوا هذه

الطريقة عند ظهور الفواق فكانت قاطعة له وهناك طريقة أخرى لمن يصيبهم الفواق فى منازلهم وهى الاستلقاء على ظهورهم فوق سطح من الخشب ومد أيديهم الى جهتين متضادتين

(ثياب النساء والجراثيم) — ألصقت بلدية فينا على جدران الشوارع اعلانات مكتوبة بحروف غليظة تنبه فيها على السيدات بأن لا يدعن ذيول ثيابهن تجرّ على الارض معللة هذا التنبيه بأن جرّ هذا الذيل يدعو الى ثورة العثير فاذا كان مختلطا بجراثيم الادواء المعدية لا سيما داء السل الرئوي كان ذلك الفعل منهن سبباً فى اصابة المارة بالعدوى وقد كان السبب في اقرار المجلس البلدى على توسيع هذا المنع أن طبيباً من أطباء العاصمة النمسوية نشر فصلا علمياً ضافياً فى احدى المجلات كشف فيه عن وجوه الضرر من جر الذيول في الطرقات لانه حلل ذيل احداهن تحليلا كيماوياً فظهر له من التحليل أنه أصبح عشاً لمئات الملايين من جراثيم الأمراض ولسنا ندرى اذا كانت النساء النمسويات سيرضخن لأوامر البلدية أو يقمن على رعاية الزى القاضى باطالة الذيول ولكن البلدية رجحت ثانى الامرين فقررت الزام المخالفات لأمرها بدفع غرامة تخالها رادعة لهن

(الاميون في البلاد المتمدنة) وضع عالم انكليزى احصاء الاميون فرأى أن سكان رومانيا والصرب والروسيا أكثر أهل أوروبا جهلا وأقلهم مدنية وحضارة لان الذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة منهم يبلغ عددهم ٨٠ في المائة

أما الاجناس اللاتينية فاكثر أممها جهلاء وأقلهن معرفة والماماً بالقراءة والكتابة الامة الاسبانية فان عدد الاميين فيها يبلغون ٦٣ في المائة ثم تليها

ايطانيا بنسبة ٤٨ فى المائة ثم فرنسا وبلچيكا بنسبة ١٤ فى المائة . ويوجد فى هنكاريا ٤٣ فى المائة من سكانها يجهلون القراءة والكتابة وفى النمسا ٣٩ وفى ارلندا ٢١ وفي هولاندا ١٠ وفى انكلترا ٨ وفى الولايات المتحدة « للعنصر الابيض » ٨ وفى القيوسة ٧ أما البلاد الجرمانية فعدد الاميين فيها لا يزيد على واحد فى المائة أما فى اسوج ونروج فلا يوجد من أهلها من يجهل القراءة والكتابة

« نباهة النمل » انقسم العلماء الطبيعيون قسمين فى الحكم على نباهة النمل فى تصرفاته وأعماله فنشرت المجلة الطبيعية الامريكية فصلا للاستاذ ويلر اورد فيه شواهد وادلة استنتج منها أن النمل ليس بذكي وان لا أثر للتصور والتعقل . ولكن ذهب غيره الى ضد هذا الحكم فقال انه شاهد بنفسه نملا يسطو على شجرة كبيرة فيقطع أوراقها ويذهب بها الى منازله ليدخرها فيها فخطر على باله ان يحفر حول الشجرة قناة وملأها بالماء ليمنع النمل من الوصول الى الشجرة ففعل ذلك وقضى ليلته معتقداً أن النمل لا يمكنه الوصول الى الشجرة لقطع أوراقها كعادته ولكن الذهول تولاه حينما شاهد في الصباح أن النمل أتى ببعض الورق الذى أخذه فى الليالي الماضية والقاه فى القناة بحيث صار كقنطرة بين ضفتيها وأخذ يمر فوقها ويصل الى الشجرة بسهولة كأن لم يكن ماء فجزم بهذه المشاهدة الغريبة ان الرائد للنمل فى أعماله شيء من النباهة والذكاء يفوق الغريزة التى تبني الحيوانات عليها أعمالها

« طوابع البوسطة » لا حاجة الى بيان شغف بعض الناس بجمع طوابع البوستة لا سيما النادر منها حتى أن بعض المجموعات من هذه الطوابع بلغت أثمانها حداً لا يسلم به العقل . ويظهر أن الحكومات الاوروبية أرادت مساعدة

المولعين بطوابع البوستة على اعلاء شأن مجموعاتهم ورفع قيمتها فقررت فرنسا في العام الغابر تغيير شكل طوابعها ونشر طوابع أخرى بشكل جديد وأوصت حكومة بلغاريا معامل بطرسبورج على اصطناع طوابع جديدة برسمها توضع فيها صورة البرنس فرديناند بدلا من صورة الاسد وتعد الحكومة الروسية طوابع جديدة لمناسبة مرور مائتي عام على تأسيس مدينة بطرسبورج عاصمتها واقتدت بها اسبانيا في تهيئة طوابع بصورة الملك الفونس الثالث عشر لقرب الاحتفال بتتويجه أما انكلترا فقد استبدلت طوابعها القديمة بطوابع جديدة رسمت عليها صورة الملك ادوارد السابع . وقررت حكومة سويسره رسم صورة آثارها الفخيمة على طوابع البريد بدلا عن الرموز المرسومة عليها الآن . ومنذ غرة ديسمبر الماضي باعت الولايات المتحدة كمية عظيمة من طوابع البريد التي طبعتها تذكاراً لقتل الرئيس ما كنلي

(قاض عادل) ليت لكل محكمة من محاكم الدنيا قاضياً عادلا طالما جور كاميل أحد قضاة ولاية أوهيو من الولايات المتحدة فانه حفظه الله كان قد أفرط من المسكر ذات يوم حتى ضاع صوابه فعربد في الطريق وأكثر من أعمال الهمل فلما كانت صبيحة اليوم التالي وافتتح جلسة للنظر في شؤون الناس حكم على نفسه بدفع غرامة قدرها خمسة ريالات ثم أخرج هذا المبلغ من كيسه ودفعه الى صراف المحكمة وأخذ وصلا منه باستلامه وأنذر نفسه في الحكم بانها اذا عادت الى غيها وأمرته بالسوء ضاعف الحكم عليها بالغرامة بل ربما زجها في السجن جزاء ما تأتيه من المنكرات التي تليق بمكانتها من السمو والفضل

« البحث عن رجل صالح » في مدينة شيكاغو امرأة مثرية تدعى

مدام نانسى ارفنج تسيء الظن فى الناس وتلصق بهم وصمة الكذب والخيانة فتذكرت ذات يوم ما فعله الفيلسوف ديوجينس الكلبي حيث خرج ذات يوم والشمس فى رابعة النهار وبيده مصباح تيلمس الطرقات كأنه يبحث عن شيء مفقود فى ظلام حالك فلما سأله بعضهم عم يبحث اجاب أننى أبحث عن رجل ولست أجد رجلا ثم قالت لنفسها ان مصباحى الساطع الضياء انما هى دنانيرى الصفراء . ولم تكن الا ساعات حتى نشرت الجرائد السيارة فى تلك المدينة أن مدام نانسي ارفنج تقول ان الفلاح فى الاعمال لا يكون في هذا العصر الا بالمين والتمويه في الاقوال وانها تمنح جائزة قدرها الف دلاو (٢٠٠ ج.م) لمن من التجار يقيم الدليل الواضح على انه أمضى شهراً واحداً بدون أن يتدرع بالكذب فى ترويج بضاعته وتقول صاحبة المكافأة أنها لا تخشى خسارة مبلغ المكافأة لأن الصدق فى المعاملة اذا دام شهر أجلب الخراب على صاحبه وجعله فقيراً معدما . فليتنافس في نيل هذه المكافأة من تجار مصر باعة الطرقات وجماعة البقالين وغيرهم ممن يغشون الشارين مرتين مرة في النوع ومرة في الكم

(النساء الطبيبات) يؤخذ من احصائية أمريكية أن عدد الطبيبات الحائزات فيها الشهادة النهائية في العلوم الطبية بلغ ٨٠٠٠ يؤدين أعمالهن بالجد والنشاط . ويبلغ هذا العدد فى فرنسا ٨٥ فقط ولكن اذا قل عدد الطبيبات فى فرنسا فان ما تثيره من المشاكل السياسية كثيراً جداً .

وفى معية نجاش الحبشة طبيبة - ويسرية الاصل قد حازت ثقة النجاشي وقرينته نايتو

الحوادث والأجيال

تاريخ الباطنية

٧

(رأينا في تعاليم الاسماعيلية)

قلنا فيما سبق أن هناك أموراً تحملنا على الشك فى صدق أغلب مانسب الى الاسماعيلية وعددنا منها ما عددنا وليس ذلك منا استبعاداً لما قيل عنهم فى ذاته بل لانه لم توجد مصادر موثوق بها يصح أن يركن اليها المؤرخ المنصف البعيد عن التحيز للطوائف والشيع والا فالاسماعيليون طائفة من غُلاة الشيعة. وغلاة الشيعة لهم من قديم الزمن جنون بآل البيت أخرجهم فيما يقولون عنهم وما يعتقدون فيهم عن أن يعدوا من العقلاء . وهذه أقوال عبد الله بن سبأ رأس الغلاة فى علي رضي الله عنه وفعل علي به من جراءة أقواله أشهر من أن نحتاج لذكرها .

لكن مجرد جواز الشيء وعدم استبعاده وقوعه من المنسوب اليه فى ذاته لا يكفى لصحة النسبة ولا يبرر المؤرخ أمام الذمة والعقل والدين في دعواه نسبة قول الى غير قائله والصاق فعل بغير فاعله .

فاذا انضم الى هذا أن أغلب ما قيل عنهم كتب بيد مدت القلم بعد أن

عجزت عن مد السيف وأسالت المداد حين قصرت عن اسالة الدماء وأملاه جنان لو كشف عنه لوجد مستعرا من نار الحقد والحسد زاد المؤرخ المنصف شكا في صحة النسبة وكان الى التكذيب أميل منه الى التصديق وكان أقل حاله ان يقف مترددا بين النفي والاثبات كما ذكرنا آنفا

وغاية ما يمكننا ان نقوله عن الاسماعيليين واثقين بصحته أنهم طائفة سياسية كانت تدعو الى سل الخلافة من أيدى العباسيين وتسليمها بآل علي من نسل اسماعيل بن جعفر الصادق رضي الله عنه

كان لهذه الجمعية تعاليم سرية يسيرها في الناس دعاة يسيرون تحت ستر الخفاء ويتبع الدعاة — رفاق غير مسموح لهم بالدعوة وقد شابوا هذه الدعوة السياسية بتعاليم دينية تشبه تعاليم الصوفية يؤدون بها دعوتهم ولا شك في أنها كانت تشتمل على نسبة التنزيه والتقديس لآل البيت — وهكذا جميع الدعاوى السياسية التي وجدت في الاسلام وكان محورها الامامة حملت على أعناق الدين يسير بها في كل مكان ويتغلغل بها الى أعناق القلوب

انتشرت هذه الجمعية بواسطة دعاتها في بلاد الشرق والمغرب وغلبوا على ماذكرنا من الدول حتى أنه في سنة ١٠٥٨ من الميلاد أخذ الباسيرى بغداد وخطب فيها باسم الخليفة المستنصر من خلفاء الفاطميين وضرب السكة باسمه أيضاً

هذا مايمكننا ان نجرأ على قوله بالنسبة للاسماعيليين معتمدين فيه على الشواهد الجلية والاسانيد القوية من التاريخ أما دعوي أنهم قوم أرادوا هدم الدين من طريق الدين كما يؤخذ منه مجموع كلام المؤرخين فما لا يكاد يتفق مع الطريقة التي ساروا عليها في جميع دولهم فانه لم يك من عمدة لهم

فى دعوى الناس الى المهدى من آل على آل الدين فكيف يليق بهم ان يحاولوا هدم ما عليه يعتمدون واليه يستندون على أن الناظر فى الدعاوي الدينية التى نسبوها اليهم مفصلة فى المقريزى ونقلناها عنه لايلبث ان يرى عليها أثر الصنعة والافتراء

ولهذا كان لنا من الحق ان نسائلهم عن مصادرها وعن المرجع الذى يرجعون اليه فيها وان نقول لهم كيف تجمعون بين صدقكم فيما تنسبونه اليهم وبين ما يؤخذ منه من أنهم كانوا يحرصون أشد الحرص على كتمانه ولا يلقون به الا الى من لم يربهم صدقه لهم ريبة ما وبعد أن يكونوا قد أخذوا لانفسهم أوثق الحيطات من افشاء سرهم وشيوع أمرهم؟

من أين ساغ للمقريزى وغيره أن يصلوا الى مثل هذه التفاصيل التى ذكروها عنهم على أنهم لم يذكروا لنا سندا ولا مصدرا ولا أن فلانا من الناس دخل فى مذهبهم وبعد ان اطلع على دخيلة أمرهم خرج عليهم وأشاع فى الناس سرهم ولا أن فلانا من الناس قتل بيد من أيديهم من جراء اذاعة ما ائتمنوه عليه.

نعم مما لاشك فيه ان هذه الاقوال التى يرويها المؤرخون وينسبونها اليهم قد وجدت فى المسلمين وشاعت بينهم ولقائل أن يقول اذا لم تكن هذه الاقوال دعاوى الاسماعيلية فما منشؤها ؟

وجوابنا عن ذلك ان هذه الاقوال يمكن ان يفرض منشؤها ثلاثة أمور

(١) أن العباسيين وسلاطين الترك افتروها على الاسماعيليين أما الاولون فيثيروا الناس عليهم ويدفعوا العار عن أنفسهم فى عجزهم عن مدافعتهم عما

غلبوا عليه من أملاكهم وأما الآخرون فليقدموا بين يدى اغارتهم عليهم واضطهادهم لهم عذرا يحول بينهم وبين سخط الناس عليهم .

(٢) ان ناسا من الفرس والهنود وغيرهم من أعداء الدين أشاعوها بين المسلمين طلبا لافساد دينهم عليهم وانتهزوا فرصة قيام الدعوات للامامة وتأليف الجمعيات السرية السياسية لاشاعتها حتى تنسب الى طائفة من الطوائف وجمعية من الجمعيات السرية وكان من نصيبها ان نسبت الاسماعيليين .

(٣) ان يكون المسلمون أنفسهم لما احتكوا بالاجانب من الفرس والهنود وغيرهم نقلوا عنهم خرافاتهم وسخافاتهم كما كان ذلك شأن اليهود والنصارى الذين خالطوا الفرس والهنود فان مؤرخيهم وعلماء دياناتهم يقولون ان النصرانية واليهودية فسدتا أيما فساد وتغيرتا عن تعاليمها عندما دخلتا بلاد الهند والفرس.

هذه فروض ثلاثة لا يمكن ان نفرض سواها منشأ لهذه التعاليم بعد فرض أنها مذهب الاسماعيليين الذى لم يقم دليل عليه .

أما فرض انها انما اشتقت من الدين الاسلامي نفسه فمما لا يقول به ذو المام ما بالاسلام وتعاليمه فانه لا مناسبة مطلقا بينها وبين تعاليمهم .

لكن هذه الفروض الممكنة ليست بمثابة واحدة فى القرب من الحقيقة بل هى متفاوتة فى ذلك . اذا فرض ان أعداء الدين لما رأوا أنفسهم عجزوا عن ان ينالوا من المسلمين بالقوة عمدوا الى ان ينالوا منهم بافساد دينهم عليهم فادخلوا فيه المعتقدات الغريبة السخيفة يبعد أنه فرض وهمي لم يبن على شواهد محققة وحوادث ثابتة

وأما فرض ان منشأ ذلك افتراء العباسيين وغيرهم على الاسماعيليين أو احتكاك المسلمين بمن ذكرنا فعندى انهما فى درجة واحدة وانهما أقرب

الى المعقول من سير الحوادث والمعروف .فى التاريخ عن الامم الفاتحة عند مخالطتها للامم المغلوبة واندماجها فيها واصطباغها بصبغتها بل لا يبعدان يكون هذان الفرضان به اجتمعا ونشأت عنهما هذه الاقوال .

هذا ما يمكننا ان نقوله في هذا الموضوع وقلبنا مطمئن وضميرنا هادئ وهو كما ترى ليس الا ظنا وتخمينا راجحا عندنا وهكذا شأننا فى مثل هذه المشكلات . الملتبسات . انما نأخذ بالاحرى .

على انه لا يعنينا كثيراً أن نمكث طويلا من الزمن لنبحث عن منشأ هذه المعتقدات والأقاويل ونتركها تتغلغل فى المسلمين تفتك بدينهم فتكاذريعا اذ لا يكون مثلنا في ذلك الا كمثل من اشتعلت النار فى بيته فتركها تلتهمه غير متخذ الوسائل لاطفائها ثم ذهب يبحث عن الفاعل .

ليكن منشأ هذه الامور ما يكون فما ذا يهمنا من معرفته الا مجرد العلم التاريخى لكن الطريق الناجح فى ذهاب ضررها عن أمتنا هو ان نتعاضد ونتساند ونجرد السنتنا وأقلامنا للدفاع عن الدين بابعاد الدخيل عنه واظهاره للناس بمظهره الجلى النقى غير مشوب بالمشوهات المنفرات التى لحقت به سواء فى ذلك ما صنعناه بأيدينا وما صنعه العدو بنا اذ بعض البلية بل اعظمها منا.

هذه جرائدنا فى تلك الايام أخذت تحمل على المستر سكوت وعلى نظارة المعارف من جراء كتاب الفه ذلك المستر وقررته بنظارة المعارف ضمن كتبها المدرسية مع انه محتويا لطعن على الاسلام ونسبة الشنائع اليه .

كانت تحمل الجرائد على المؤلف والنظارة ما بين متطرفة ومقتصدة والمقتصدة منهما من تقرير النظارة الكتاب على عدم اطلاعها عليه ثقة منها ببعض مقرظيه من الانكليز . لكنا قد بلغنا عن الثقات ان كل ما قاله

المؤلف في كتابه مؤيد بنقول و نصوص عن علمائنا وفضلائنا مدونة في كتبنا التي نتداولها و نعدها من أمهات الكتب في الشريعة الغراء .

فليت شعري هل دس ذلك علينا أيضاً أعداء الدين باسم الدين أو هو من عمل من لا يدافعون في التدين والجلوس على عرش الامامة الدينية حتى ان لهم فينا منزلة القادة الذين يقولون فتنحني الرءوس لأقوالهم ويأمرون فيطاعون وينهون فلا يعصون وشأننا معهم ان ننبذ صريح الكتاب والسنة لاقوالهم وآرائهم ويحتمون علينا الجهلاء تقليدهم غير ناظرين الى نهى الدين ونهي من يحتمون علينا تقليدهم عن التقليد واتباع غير ما يقوم عليه الدليل . وفقنا الله الى ما فيه صلاحنا وصلاح المسلمين أجمعين

اثارة من نثر الفونس كار

الكاتب الفرنسى الذائع الصيت

نبذة من روايته (تحت ظلال الزيزفون) مما سيذكر فى الجزء الثانى من (بلاغة الغرب)

يتهوفن

تكون ضفاف الحياة فى بادئ أمرها باسمة مخضرة نضرة ، شذية النسيم، طيرها مغرد فوق أيكها، تنبئ شمسها المشرقة وراء أشجار الصفصاف بيوم بهى هنيء . بينا فلكك ماخر سائر الهوينا وأنت محسن الظن بغدك فتحمد بطأه وينعم روحك وجسمانك برغد العيش الذى يرغب الناس ويشوقهم الى الحياة

وعلى كثب منك الذين سبقوك فى النهر وهم ينادونك صائحين فلا تكاد أصواتهم تظهر من حفيف الاشجار وخرير الماء الذى يؤرجح خمائل الخيزران

حذار أن تصبو نفسك الى هذه الملذات التى تفتن منك الحواس فانها خيالات وأشباح كاذبة لا تلبث أن تغيب عن العيون

ان الذين مروا ليس لهم فى شواطئهم غير ضغث مصفر محترق من العشب وأشجار قديمة جافة من التنوب وقليل من ماء لا يكاد يجرى وبرك راكدة آسنة . يودون لو يضادون سير التيار وهيهات أن تستطيعه قوة انسان . يظنون أن ضفاف الحياة المونقة ولت عنهم أو استحالت بعد بهائها كلا ! بل تجاوزوها وسيمر عليها بدورهم من سيأتون بعدهم

الحياة مناطق : أمل ومتاع وحسرات ومهما عظمت قوتك فلا بد لك أن ترد ما ورده غيرك

تود أن تحدق بنبات وتستنشق ريا نوره فيصدك التيار الجارف قائلا لك تم ترحالك واذهب لشأنك . السرور باق على حالته وأنت أنت الذى فررت من جمال النبات وعرف الزهر وتغريد الطير . وسيقبل وراءك غيرك وان هى الا لحظة لا يكادون يتمتعون فيها مثلك ثم يمرون وقد ذهبت نفوسهم حسرات

ما أتم (استيفن) قوله الا وقام الى الموقد المستعر ليدفىء يديه وكان بالبهو جمع من الخلان فقال له أحدهم :

لا بد أن تكون خرجت هذا الصباح من دارك برجلك اليسرى أو قابلك غراب البين لانى لا أبصر الا وجوهاً كئيبة حزينة بجانب الموقد .

كلا ! ثم لاح على وجهه تبسم خفيف لم يكد يظهر الا واختفى كسحب

الصيف لا تثبت أمام ذكاء. ثم قال : انني خرجت راكباً فرساً ولم أصادف الا فتاة فتانة مع محبها وهـذا فأل حسن أجمل من رؤية القمرى . ولكن الذى يحزنني نبأ سمعته البارحة مساء

فتحولت اليه أنظار من حوله واشرأبت أعناقهم

هذا الخبر المشؤوم هو وفاة بيتهوفن وكانت فى السادس والعشرين من شهر اذار . فاكفهرت الوجوه أسفاً واستمر (استيفن) فى حديثه.

لم يتمتع بيتهوفن مدى عمره الا بلحظة من السعادة كلمح البصر كانت عليه القاضية .

عاش فقيراً معتزلا الخلق لازدرائهم اياه فاحتدت أخلاقه وطباعه من هذا الظلم المبين . وقد ألف من القطع الموسيقية والالحان ما خلب العقول واسترق القلوب وما لم يستطع غيره من الموسيقيين أن يأتى بمثاله أو ينسج على منواله . كان يخاطب الناس بهذه اللغة الجليلة الفخمة. كما تخاطبهم الطبيعة بأنغام الهواء والماء وتغريد الطيور وما من مصغ ولا سميع

ظل هذا النابغة مجهول القدر خامل الذكر الى حد أن كان يشك فى نبوغه وذكائه . ومن الغريب المدهش أن (هيدن) الموسيقى الشهير لم يجد تعبيراً يطريه غير قوله : « كان ماهراً فى التوقيع على الكلافسين » وكمثل من مدحوا (چيريكو) المصور الطائر الصيت بقولهم : « كان يسحق الاصباغ جيداً » والذين أثنوا على زعيم شعراء الالمان (جوت) بقولهم : « لم يخطىء قط فى الاملاء وكان جميل الخط »

كان له صديق يسمى (هوميل) ولكن الفقر المدقع والظلم المنكر

أوغرا صدره وجعلاه حاد الطبع في بعض الاحيان فكان ذلك داعية لنفورهما وافتراقهما . وقد كمل بؤسه ومصائبه بذهاب سمعه

ثم انتقل الى (بادن) وعاش فيها والبؤس حليفه والانفراد أليفه لا يملك غير ما لا يكاد يقوم بحاجته . وكان يهيم عقله فى جمال غابة على مقربة من المدينة فتسعده بنغمات مدهشات فكتب ما كتب من روائع الموسيقى . وكانت تصعد روحه الى عنان السماء وتتحول الى أنغام شجية تخاطب الملائكة بلهجة طلية لم يفهمها الناس

وبينما كان قليل الاشجان اذ اتاه كتاب اضطره الى الخروج الى العالم من سجن عزلته وكانت فى انتظاره هموم جديدة لم تدر بخلده اذ أرسل اليه ابن أخيه من (ڤينا) وكان به معتنياً وله محباً لما ناله من بره وخيره يقول له انه مرتبك فى أمر منغص ولا ينجيه منه الا حضور عمه . فرحل اليه وقطع جانباً من رحلته راكباً نعليه ليقتصد قليلا من نفقات سفرته. ثم ألقى عصا الترحال ذات ليلة أمام بيت صغير عتيق واستضاف أهله لانه أمسى واهي القوى ولم يستطع أن يتمم طريقه فاكرموا وفادته وبعد تناول العشاء جلس بجانب المرقد على كرسى رب البيت الذى قام وجلس أمام (الكلاڤسين) وأخذ كل من أولاده الثلاثة آلته الموسيقية وطفقوا يصلحونها ويوفقون بين أصواتها وكانت زوجته وابنته تشتغلان باعمال البيت . ثم اشترك الوالد مع أولاده فى توقيع قطعة شائقة مما جادت به قرائح الالمان الغريزية وفطروا له دون غيرهم . ويلوح أن ما ضربوه كان من الاهمية بمكان اذ تفرغت اليها نفوسهم وأجسامهم وتركت المرأتان عملهما وهرولتا الى سماع

الموسيقى . وارتسم على وجوه الجمع اضطراب يدل على ان بقلوبهم شيئاً كثيراً من متاعب الحياة

لم يستطع بيتهوفن أن يشاركهم فى مسراتهم لانه ما كان يقدر أن يسمع نغمة واحدة لصممه بل أمسى يراقب حركات الضرب ويقرأ عواطفهم المرتسمة على وجوههم المنبئة بتأثرهم الشديد. ففكر فى أفضلية هؤلاء الرجال على الموسيقيين الايطاليين واستحسن نظام آلاتهم

ولما انتهوا تصافحوا وانظارهم ناطقة بتبادل العواطف وارتياحهم السعيد الذي يشعرون به وارتمت البنت مبللة الخدين بدمعها بين ذراعى والدتها

ثم تشاوروا فى استئناف سرورهم وعادوا الى الموسيقى وفى هذه المرة زاد اضطراب عواطفهم واغرورقت أعينهم اللامعة

فقال لهم (بيتهوفن) أني سيء الحظ حيث لم يتسن لى ان أقاسمكم هناءكم وانى مولع مثلكم بالموسيقى وقد شاهدتم أننى أصم ولا أستطيع أن أسمع لحناً واحداً. فحبذا لو تفضلتم وسمحتم لى بقراءة هذه القطعة الموسيقية التى أشجت منكم الافئدة

ثم تناول كراسة الموسيقى ولم يكد يقع عليها ناظراه الا واكفهر وجهه ودارت عيناه فى أم رأسه ووقفت أنفاسه ثم خانه الدمع وتسلسل من آماقه ووقعت الكراسة من يده

لان هذه القطعة التى وقعها أهل البيت كانت (لا ليجريتو) من انشاء (بيتهوفن) فدهش الحضور وأخذ العجب منهم كل مأخذ واستولت عليهم تنهدات تشنجية منعتهم من الكلام ثم قال ضيفهم : « انا بيتهوفن »

فكشفوا رؤوسهم وغضوا أبصارهم احتراماً واجلالا ومد لهم يده

فجعلوا يلثمونها بشدة متيقنين أنهم فى حضرة رجل أعظم قدراً من الملوك، فحدقوا به ليقرؤا فى وجهه سيما الذكاء والنبوغ ورأوا هالة من نور تحف جبينه. ثم مد اليهم ذراعيه فعانقه الاب وزوجته وأولاده وابنته. ثم نهض الى (الكلافسين) وأشار الى الشبان الثلاثة فاستعدوا لمشاركته وضرب بنفسه قطعته هذه التى سارت بذكرها الركبان. فيا لها من ساعة شهية هنيئة لم تسمع اذن مثلها فى العالم الموسيقى. ولما أتموا القطعة لبث بيتهوفن وحده أمام (الكلافسين) وارتجل قطعاً من أغانى الهناء وتمجيد الخالق كانت أعظم ما كتبه. ومر هزيع من الليل والكل مكب على استماعه. وكان هذا آخر أعماله ومنشآته

ثم أجبر رب البيت ضيفه على قبول سريره ولكنه وعكته الحمى ليلا وتاقت نفسه الى الهواء الرطب علّه يطفىء لهيبه فخرج لا يلوى على احد حافى القدمين الى الخلاء فرأى الطبيعة تنبعث منها موسيقى شجية والريح تهز افنان الدوح فتتلاطم وتهب آونه فى ممر الدغل مزمجرة كاسرة ما تصادفه فى مهبها

فمكث طويلا ولما آب احس بقشعريرة وتثلج جسمه. فبعثوا الى (فينا) يستدعون طبيباً فانبأهم بانه مصاب باستسقاء صدرى وعالجه يومين فلم ينجع فيه دواء واخبرهم بانه سيوافيه اجله المحتوم فى القريب. فكانت لا تمر عليه لحظة الا وانتقل من سيء الى أسوأ

أخذه النزع والحشرجة وعاده صديقه القديم الوحيد عند ما سمع بمرضه وحمل اليه جانباً من المال يستعين به فى سقمه ولكن لات حين اسعاد وعواد

اذا اعتقل لسانه فنظر اليه بطرف يشف عن الاعتراف بالجميل والمروءة . فحنا عليه (هومل) ووضع فى أذنه بوقاً وكلمه بصوت عال معبراً عن توجعه وأسفه على مصابه لانه ماكان يستطيع أن يسمع الا بهذه الطريقة

ثم ظهرت على (بيتهوفن) علامات صحو الموت وانتعاشه ففتح عينيه وقال (لهوميل)

«أما كنت المعيا مسعدابالمواهب الربانية والنفحات العلوية ؟»

فكانت هذه الكلمات آخر ما نطق به ثم سكن انسان عينيه وانفتح فمه وفاضت روحه ودفن فى مقبرة (دوبلينج) م ؟

محمد كامل حجاج

كلمات كبيرة

للآراء رجال برأهم الله سراة الاخلاق نبلاء النفس كرماء المحسر ان قالوا أصابوا شاكلة السداد . وان كتبوا مزقوا ظلمات الاشكال . يتوخى الواحد منهم فى نصحه مناهج الرشد دون أن يأبه بما يصادفه من العقبات فى سبيل ابدائه لانه ثابت الايمان راسخ العقيدة بأنه لا بد محمود العقبى

من هؤلاء العظماء الذين كانوا جماع أقوامهم يأوون اليهم فى رأيهم وسؤددهم ذلك الحكيم الرومانى النابه الذكر (ماركس اريليس انتونيس) الذى لم يتردد الكاتب المتانق (ماتيو ارنلد) في كتابته عليه (في أنه فخر العالم وآية التاريخ وأجلى مظاهره)

ولد ذلك الحكيم فى روما سنة ١٢١ قبل الميلاد ولما طويت صحيفة خاله انتو نيس بيس خلفه في سلطانه وجلس علي عرش روما فى سن الاربعين ومكث فى حكمه تسعة عشر عاما

لهذا الحكيم آراء سديدة ترتفع لها حجب الاسماع.صاغها فى كلمات كأنها الدر المرصوف وهأنذا أترجم منها لقراء (الهداية) بعض شذرات والله ولىّ التوفيق : —

(١) وقر المواهب التى تبدى الرأي النجيح وتستنزل الفكر الاصيل

(٢) وقر خير من فى الوجود وهو الذى يستدر من كل أمر منافع ويدبرها ووقر أيضاً خير ما فيك من الخصال

(٣) اذا تنبهت من سباتك ورأيت نفسك صلد الذهن سقيم الفهم لا تكاد تفهم قولا ولا تفقه حديثاً فاستحضر قواك العقلية وقل « انى يقظت من نومي لأؤدى عمل عامل فى الحياة فكيف أتثاقل عنه ومن أجله برئت وله وجدت »

(٤) لتلك سبهة الابد اذا تغلب الجهل والغي على الحكمة والرشد

(٥) ما أصاب الانسان من أمر الا كان قادراً بفطرته على احتماله

(٦) ليست الحياة الا متعة وما ثمرة هذه الحياة الدنيا الا نبل النفس وجزالة المروءة والعمل لمصلحة المجتمع

(٧) اذا أحييت الغنى ونلت السعادة فلا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا وكن أبداً على استعداد لزوالهما

(٨) لا ترهق نفسك فرقا من تفكيرك فى كل أيام حياتك واذكر

ان المستقبل لا يضرك وأن الماضى لا يغشاك منه أذى انما أنا حذيرك من أيامك الحاضرة

(ما مضى فات والمؤمّل غيب   ولك الساعة التي أنت فيها)

(٨) لا تجعل لأمور المستقبل تأثيراً فى شعورك ووجدانك فانك ان مدّ الله فى أجلك لا بد ملاقيها وستأخذ لها الاسباب التي أنت آخذها فى أمورك الحاضرة

(٩) ما أعجب صنع الخلائق ! انهم لا يظهرون محامد من يعيش معهم و بين ظهرانيهم وانما يود كلهم ان تطنب فى فضائله ذريته وذوو رحماه وان يذيع مناقبه قوم لم تقع عليهم باصرتاه وهؤلاء لديه موضع التجله والاكبار

(١٠) كن نقى الفؤاد صالحا طاهر الاخلاق حازما خلوا من الملق والمداجاه محبا للعدل مؤديا فروض الله شفيقا رحيا غيورا مجدا فى كل أعمالك

(١١) من يستطيع ان يمنعك من ان تكون صالحا ؟

(١٢) لا يصيبك خير أوشر الا كان فى كتابك مسطورا من الأزل (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)

(١٣) اعتبر ان ما ينالك فى حياتك عدل وانك اذا تقصيت فى التدقيق وانعمت نظرك فى الامور رأيت ذلك حقيقيا

(١٤) ليس فى الحياة شئ يثلج النفس وترتاح له الافئدة أكثر من أمثلة الفضائل التي تعرض فى نماذج العظماء الذين يعيشون بيننا

علي ع

كلمات في الاخلاق

٢

الحياء والثبات

لست أرى بين الورى كلمتين أجحفت الناس بحقوقهما حتى تسرب اليأس الي قلبيهما بما أدخل عليهما من الهم والغم وسوء التأويل وفساد التعبير كما أرى في لفظتي الحياء والثبات اللتين طالما طلبتا عدل الانسان فما نالتاه

فانك بقولك رأيت انسانا ذا حياء لا تقصد بلفظة الحياء غير النبيل الاخلاق الكثير الفضائل بخلاف ما تعودنا سماعه في هذه الايام التى أصبح فيها هذا اللفظ عنوانا لمن خلا من الشهامة وفاضه ولم يأخذ من العلم قسطا يرفع انتاضه

ولا نعني بقولنا فلان رجل ثبات وتجلد غير من صبر على الشدائد وعرف كيف يقابل الأزمات ولم يستعمل السيف حيث تستعمل العصا ولا العصا حيث يكفى اللسان وتعلم كيف يخرج من الملمات عالى الرأس طاهر الذيل لا كما نري اليوم من أن المقصود برجل الثبات هو ذاك الفاجر الزنيم والعاتى الاثيم الذي يخرق سياج الفضائل وينتهك حرمات الآداب غير واجد من نفسه وازعا ومن خلقه منازعا

ان أردت ان اعرّف الحياء لا أجد له أبلغ من وصفه بأنه تبصر اللبيب في وحدته وفى صحبة غيره بكل أمر يخطر على باله أو يطرأ عليه من الخارج

حتى يوفى نفسه حقها آن أحسنت أو يعرضها لوخزات الضمير ان هي أساءت . وليس هذا فقط هو الحياء بل الحياء شعور المرء دائما أبدا بأنه معرّض لسهام الملام وقوارص الكلام الذى يصيبه من كل من يعلم قدر عمله سواء في ذلك من رآه ومن سمع به

وبذا ترى الحيي رجل اخلاق فاضلة في الوحدة وبين الجماعات على حد السواء — يخجل من اتيان الدنايا بين الجدران كما لو كانت تلحظه عيون الانسان لأن له من نفسه خير وازع ومن ضميره خير ناصح ومن فكره خير صاحب ومن ارادته خير دافع

ان تسأل عن مثل لهذا الانسان عددت لك من أصحاب الاخلاق الفاضلة كثيرين ولكن أبلغ الامثال هو ذلك الامير الشاب الذى سارت بذكره قديما مجالس الرومان وردّدته أصوات الزمان . اقترف والد هذا الامير كثيراً من الاثم وابتز كثيراً من الاموال من رعايا سيد ائتمنه نخان ونصبه ليعدل فاتبع خطوات الشيطان . فدعى الولد ليدافع عن أبيه فوقع بين المخلب والناب تسوقه الفضيلة لاتباع طريقها ليخلد له ذكرها ويجذبه الحنو الابوى ليقضى له حقا

أى لسان يتكلم والمظالم قداقترفت وأي جنان يلى والآثام قد سطرت بل كيف لا يتلعثم الخطيب ويذهل الصنديد عند معاداة الفضائل ومصافاة الرذائل . ما كاد هذا الامير يقف حتى شخصت اليه أبصار من بالمجلس فجمد في مكانه كأنه قد أصابته وجمة ولم يكن بالخائر الجبان بل لأنه سيعلن حربا على الفضائل ويشهد عليه من حضر ان هو دافع عن الاب وجرائمه .

أوحى حياؤه لضميره بالامساك عن أمداده بآلات الدفاع فحفظ بذلك

شرفه من الضياع وكان حياؤه سببا فى فك أسر والده الذى أخرج للعالم روما تتجسم فيها مكارم الاخلاق

ولكنى لا أعتبر حييًا من يحجم عن القول حيث يجب الكلام ويجبن حيث تتطلب الشجاعة ويتوارى حيث يجب الظهور ويتجاهل حيث يجب العلم : وبالجملة من يتبع طريقا من الفضائل وهو لا يدرى انه مسوق اليه بما يسميه الحياء — مثل ذلك رجل تلطم الناس على وجهه وتشد بذقنه وهو لا يحرك ساكنا ثم اذا قيل له بورك فيك أيها الاستاذ رضى بما لحقه من الاهانة . مثل ذلك رجل أوجدته الظروف وسط جماعة من الناس فكان أقلهم قولا وأخورهم عزما وأكثرهم خجلا فغمطوا لذلك حقه لأنهم لم يعرفوا قدره

هذا وانى أعتبر الثبات حذق الانسان فى كبح جماح نفسه وامتلاك رشده أو ان شئت قلت هو الوقوف فى وجه أى قول والحيلولة بين أى عمل لم ترصد عنه النفس التى تنزهت عن الهوى بدون ارتباك في العقل او تزعزع في الجنان

وعليه فكل ما يجب أن يتكمل به رجل الثبات في هذه الحياة قوة فى الارادة وعزمة وقت الحاجة والاخذ بقسط وسط من العلم بما يحيط به فى هذه الحياة حتى لا يقع فيما تحرمه شرعة الفضائل أو يدخل تحت أعلام الرذائل

وانسان هذه عدته مهما عابه الناس لحاجة في نفوسهم او أساءوا فهم ما يرمى اليه لعوز فى أخلاقهم أرى ان له فى نفسه خير مسلى فى الوحدة وخير معين على مقابلة كل ما يبديه الغير ضده بالاستخفاف

ولست أرانى مضطراً لأصور لك صورة حية تدل على من هو رجل

الثبات سيما وقد ذكرت لك من هو رجل الثبات ولكني سأصور لك صورة شيطان تقمص ثوبا بشريا واتبع طريقا معوجا لم تسلم الناس من شره . مثل هذا الرجل الذى آلى على نفسه ألا يثبت الا فى الاضرار بالناس . مثل هذا الرجل من أخذ علي عاتقه أن يكيد لاشراف الناس . مثل ذلك الرجل الذى أغوى الفتيات فاخرجهن من خدورهن وسلب عفتهن . مثل هـذا الرجل ذلك المدرس الذى افتضح أمره منذ زمن غير بعيد

كانت تلوح على هـذا الرجل علامات الثبات مطلية بطلاء الاخلاق الكاذبة التي يظهر بهـا عادة كبار المجرمين ضـد الفضيلة والانسانية . تلك الاخلاق التي تفصلها سفالة لصوص الماديات ونذالة قطاع الطريق لان هؤلاء يسلبون الحلي وهذا الوحش يسلب العفة و يرضي الشهوة فيصبح بيت العفة فى حداد وشبحها فى اصفاد

جنى هذا الوحش وهو من فريق يجدر بهم ان يتحلوا بالفضائل والذين يعتمد عليهم العالم فى نشرها بين صغار الابناء

جنى هذا الوحش وهو ثابت الجأش (الا فليخسأ مثل هذا الثبات) غير مروع ولا مزعزع فدخل بيتا شريفا هو وصاحب له تحت ستار أطباء بعد ان أغويا فتاة من بيت مجد منعها أبواها من الخروج للطرقات

دخـلا على أبويها وأمراهما بالسماح لها بالخروج لتنزه النفس وترويح القلب وذلك ليقضيا لبانتهـما فـكان لهما ما أرادا فـكان خروجها من مهدها للحدها ومن خدر أبيها الى حيث ضاع شرفها وقبر مجد عائلتها.

فعل معها أحدهما ما تأنف النفس من ذكره وما تجمد الدماء من تصوره بغى عليها وعلي نفسه بثباته الذى اعتبر الجبن أجدر منه بالمدح

أعود فأقول يجب على العاقل ان يربى فى نفسه ملكتى الحياء والثبات بمناهما الذى عرفته فان فقدان الثبات يعد خرقا فى العمل ويجعل الانسان ألعوبة تستفزها ترهات المتهوسين أو غمزات المعاندين كما أن عديم الحياء يعد فى الدنيا بمثابة عوسج يختلف على البستانى ورده أو بمثابة هيكل لطخت الرذائل وجهه

الا تدرى أيها القارئ أن مثلنا الذى قدمناه لك خاصا بالحياء جمع فى الحقيقة بين صفتي الثبات والحياء اذ أن الامير ان لم يكن ثابتا لخانته قواه عند الوقوف أمام من حكموا المشرقين واداروا دفة السياستين واذا لم يكن حييا لكان عثرة فى سبيل الفضيلة فدافع عن والدجنى على العباد وعاث في أرض الله بالفساد

ثم ألا ترى مثل من ثبت عنه الضرر بالناس يجمع بين الجراءة وعدم الحياء اذ أنه لو كان حيياً لما أقدم على سلب عفة. ولو لمن يكن ثابتا لا نفضح أمره فسلم الناس من شره قبل أن يهم بانفاذ مشروعه

اذن يظهر لك ان الحياء والثبات خلتان خليلتان يمكن أن يجتمعا فى قلب انسان واحد وباتحادهما واختلاطها تأتى الثقة بالنفس وهى الحد الوسط بين الخجل (وهو الجود فى الحياء) والجراءة (وهى ذهاب ماء الوجه عند اتيان المنكر)

وكما أن الشخص تجتمع فيه خلتا الثبات والحياء كذلك يجوز ان تجتمع فيه أضدادهما: أمثال ذلك من لم يتكمل بالعلم أو الادب اذ بينما تراه أمامك يتلعثم عند الكلام ويتلجلج عند النطق بجملتين اذا به أسرع الناس الى ارتكاب الوزر واقتراف الاثم

فى النهاية أقول ان اتباع هذين الفضيلتين والاكثار من استعمالهما يعطيان الانسان لذة فى عمله ويكسيانه حلة الحق والصراحة فى قوله وان الرذائل لا تجد لها سبيلا الا تحت جناح من عدا حده من هاتين الخلتين

ابن الوليد المصرى

مقطعات شعرية ونثرية

للشيخ محمود الشاعر المدرس بالمدرسة الاعدادية الثانوية

رأيت زمانى ينصر الغبن والظلما ... ويخذل فى الناس الفضيلة والعلما
فقلت هى الايام من لم تواته ... على قدره واتت على سعيه رغما
واقبلت أسعى للمعالى أريدها ... وان ذقت من انياب ما أطلب السما
وقلت لطلاب المناصب والدنا ... لكم دينكم انى فتى أطلب الاسمى
لئن تأكلوا تبرا فانى لآكل ... ترابا وعرضي لا أبيح له طعما
وان تسكنوا بيتا رفيعا عماده ... فانى سكنت الحلم والحزم والعزما
وان تلبسوا أبهى من الخز رونقا ... فانى لبست المجد واخترته وسما
وان تعبدوا الدينار أو تعبدوا له ... فمالى سوى الرحمن أعبده دوما
وان ترفعوا الاسماء مرضاة أهلها ... فحسبي رضى الله الذى رفع الاسما
ولا تحسبوا انى أرى المال سبة ... أو الرتبة العلياء فى ذاتها وصما
ولكن هو المعروف والفضل والتقي ... اذا قومت بالمال ألفيته ذما
ولو شئت عيشا مثلكم لاصبته ... ولكنني أرمى الى الغاية العظمى

ومن يحى لا يعدم من القوت بلغة ... ومن لم يمت بالمال مات به غما
ومن فاته حظ المروءة والوفا ... وان أحرز الدنيا كمن لم يعش يوما
وما المرء فى الدنيا سوى الفضل والحجا ... والا لكان الشحم واللحم والعظما
تحملت قلبا يحمل الهم والاسي ... ولكنه لا يحمل الذل والضيما
يرى نصرة الاوطان أرفع رتبة ... وان كره الباغى وان سدد السهما
وكم موقف فيه يزل أولو النهى ... وقفت به ثم انثنيت فتى شهما
اذا ساورتنى الحادثات ضربتها ... بسيف من الآمال يقصمها قصما
وان نام هذا الدهر أيقظت عزمة ... تفل شباة الخطب لا تعرف النوما

فى التغرب عن الاوطان

تسائلنى فيم التغرب والنوى ... وأنت غنى مثقل الظهر بالاهل
فقلت لها كفى ملامك واعلمى ... بأني امرؤ لا أطلب العز بالجهل
فسيان عندى غربة واقامة ... متى كنت فى عز من القول والفعل
وما الاهل الا الاقربين مودة ... وان بعدوا فى الفرع عنى وفى الاصل
وما وطنى الا الذى أنا قاطن ... أقاسمه ما يستذل وما يعلى
أغرك انى قانع متجمل ... فايقنت انى ذو عقار وذو نخل
رويدك ما فى المال عندى من غنى ... اذا لم يحصن بالسماحة والبذل
وما المال الا واحداً من ثلاثة ... هى المال والدين المؤزر بالعقل
ولكنهم بالمال جن جنونهم ... فهبوا اليه مستبيحين كالنحل
فلو أن قتل النفس فى ساحة الوغى ... بسيف من الدينار حنوا الى القتل

وقلت لقوم مرجفين

أيها المرجفون مالى أراكم ... ترسلون الوعيد اثر الوعيد
وتخوضون فى أقاويل شتى ... مالها عند سبرها من وجود
هل أتاكم علم بما هو آت ... فنظرتم الى غد من بعيد
أم يئستم من رحمة الله حتى ... قد ضربتم من حولها بحديد
أم نظرتم لفائت قد تقضى ... فبكيتم له بكاء الوليد
أيها المرجفون مهلا فانا ... بيد الله لا برأى العبيد
ان ربا قضى مع العسر يسرا ... لكفيل بفك هذى القيود
مالكم ويحكم خفقتم قلوبا ... للذى لم يزل بعيد الوفود
فكأنى بكم وقد نزل الخطب رفات فى مستقر اللحود

(وقلت وأنا في بلد خبيث منذ سنين)

سكنت وبي من لوعة الشوق ثائر ... وسامحت أيامي وانى لقادر
وداويت نفسى بالتصبر والرضا ... وأسعد خلق الله راض وصابر
أعاشر جار السوء والارض رحبة ... واسكن أرض السود وهي مقابر
ولو أنصفتنى مصر مارمت عزها ... ولا صرفتني عن هواها الضرائر
ولكن نفسا فى مراتع عزها ... سواء عليها مصرها والجزائر
وما ضرنى انى غريب مفارق ... وليس له من جانب الاهل زائر
حسبي كتابي والذى بين أضلعي ... فهذا يؤاسينى وذاك يسامر

(وكتبت الى صديق وفيّ)

لو قيل لى زالت الدنيا بأجمعها ... وأنت باق لكذبت الذى قيلا

أما الوفاء فمنك الناس تأخذه ... فما عليك اذا علمته النيلا
هلا تركت لاهل الارض واحدة ... من الوفاء ترد الغدر مخذولا
جاء الكتاب فما زلنا نرتله ... كما نرتل آيـ الله ترتيلا
ونجتلي فيه منك الود مبتسما ... نكاد نلمسه ضما وتقبيلا

....

أقصى أمانيّ ان ألقاك مغتربا ... عن مصر لا نشتكي قالا ولا قيلا
فمصر والصين والسودان واحدة ... مادام حبلك بالآمال موصولا
من فارق الاهل والاوطان يرض بما ... يلقى ويشفى فؤادا كان مغلولا

(فى الرآسة)

ان الزمان بها لا بخل باخل ... الا على رجلين لن يتهيبا
رجل تقلدها فلم يعبث بها ... بطراً وآخرنا لها فتذأبا
ينسى الزمان وربه وحسابه ... مادام يذكر رتبة أو راتبا
ياويله تخذ الرآسة لعبة ... لم يدر أن يديه تحمل عقربا
طوراً تدب به الى من تحته ... ولقد تدب اليه حتى يعطبا
حسب الرآسة حطة ومهانة ... غر تراه الى العماية أقربا
لا يبصر الخطب الجسيم ببابه ... ويظن كل الخطب ان يستعتبا
ويصم سمعا عن نصيح مخلص ... ويبوّئ الواشين صدراً أرحبا
من زانه تاج الرئيس مذهبا ... فليتخذ تاج العفاف مهذبا
ان الذى منح الرآسة تاجها ... للقاسطين لموشك أن يسلبا

كلمات شتى

(مرتبة على أحرف المعجم باعتبار أوائلها)

انت كل يوم رجل جديد . اذا لم تكن عالما فكن عاقلا . أشقى الناس من يحاول اصلاحهم . اتق الرئيس كما تتقى العدو والصديق . اذا قربت من حب المال شبرا بعدت عن الفضيلة ميلا . طالب الحرية يجد الغنى . اذا كان للعمل رجلان يمشى بها فهما الصدق فيه والصبر عليه . ان كان فى الدنيا صديق حميم فليكن العمل . آفة الحياة اليأس . إصحب الناس على علاتهم . أعزما في الدنيا الحرية .. أحب ما فيها السرور وأبقى ما عليها الحكمة . أفضل الجهاد جهاد الظلم . ان كان شئ أشرف من العمل فليكن اتمامه . أعرف الناس وان لم يعرفوك

بذر العداوة سوء الظن . البلادة من السعادة . البخيل بخيل ولو أمًّا والاحمق أحمق ولو عالما

تأخذ أخلاقك من بين مدح الصديق وقدح العدو . تفعل الشدة بالانسان ما يفعله الصخر بالحديد : يفله أو يشحذه . تكاليف الحياة شاقة وأشق منها ان لا غنى عنها . التوظف رق منظم .

ثلاثة من عبدة الاوثان البخيل والعاشق والمتملق . ثلاثة تملك ثلاثة : التواضع يملك الكبار والاحسان يملك الصغار والاخلاص يملك الاقران

الجمال زهرة قريبة الذبول .

الحياة دولة مليكها العقل ووزراؤها العلم والتجربة والفضيلة . الحكماء فى دنيا غير هذه الدنيا

الدنيا ثلاثة المال والجمال والجاه ، دواء الحماقة الموت

ربما هذبك ولدك

زمام الاحمق اذنه وزمام العاقل قلبه

الشهرة غطاء العيوب . شاور غيرك ثم تخير لنفسك . الشرق في تفريط والغرب فى افراط فمتى يعتدلان ؟ ....

الصبر عنصر الفضائل

الظلم جنون

العزلة روضة الفكر ومهبط الحكمة وطريق السلامة ومهاد الحرية .

عملك ولدك فربّه كيف شئت

الغربة سبيل الجهاد . الغرور أحلام المستيقظ

الفخور ابن عم الكذوب

كاد المال ان يكون الها . الكتب قلوب الناس فى أيدى الناس . كاتم السر كالقابض على الجمر . الكبر مطية الظلم

لو انصف الناس استراحوا

المناصب قيود من ذهب أو من فضة أو من حديد . من هجاك بالباطل فقد هجا نفسه بالحق . مفشى السر كـكاشف العورة . من أخذ فى العمل فقد فرغ منه . من صبر على التعليم صبر على كل شئ . المال شر لا بد منه . المداراة ملح المعاشرة . من لم تعلمه الايام فالنار أولى به . المصيبة فى الجزع من المصيبة . من لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره . المناصب فتنة . المال الكثير من أسباب الجنون

الناس بعضهم لبعض عدو حتى الاصدقاء . نصف المصائب من المال والنصف من الرآسة

الوهم أكذب منظار

وأكذب ما يكون المرء لوما اذا لم تدعه للكذب حاجه

لا سم كاليأس . ولا سيف كالاقدام . لا تستقل السيئة ولا تستكثر الحسنة . لا باطل أشبه بالحق من (السياسة) (١) لا عداوة فى الدنيا ولا صداقة وانما هو تنازع البقاء . لا تخاصم رجلا حتى تصالح رجالا

اليائس أخو الميت

المواسم والاعياد

(عيد القيامة وعيد العنصرة)

(تابع ما قبله)

وأما قدم ابتداء هذين العيدين فيعلل مورخو الكنيسة عنهما بأن الفصح والعنصرة العيدين اليهودين كانا سنويا فى نفس الايام التى كان فيها أخيراً عيد المسيحيين . ومعلوم أن اليهود المنحازين الى الديانة المسيحية فى فلسطين وربما فى غيرها أيضاً كانوا ولم يزالوا يحفظون هذين العيدين اليهوديين مدة دوام الهيكل . وبما أن كثيرين من المسيحيين الاولين كانوا في الاصل من جنس اليهود لا بد أنهم كانوا يرغبون حفظ هذين العيدين على نوع من الانواع ما لم ينهوا عن ذلك فكان أمراً طبيعياً أن يتحول حفظهما عاجلا

(١) المراد من هذه الكلمة أعمال رجال الاستعمار وأعوانهم ومن على شاكلتهم من أهل الشرق والغرب

الى تذكار موت المسيح وقيامته وفيض الروح القدس العجيب من غير التفات خصوصي الى مقصدهما الاصلي أي انهما يتحولان الى عيدين مسيحيين . وبما أن هذين العيدين كانا محفوظين عند اليهود يصح أن يقال انهما من أصل يهودى وبما أن المسيح هو المرموز اليه بواسطة الخروف الذى كان يذبح ويؤكل فى فصح اليهود كان موافقاً للطبيعة أن موت المسيح؟ الذى كما يقول الرسل (لان فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا) يحفظ له عيد عوض الفصح ؟ وبما أن تأسيس الكنيسة المسيحية يحسب ابتداؤه الحقيقي من حين حلول الروح القدس وآمن ثلاثة آلاف فى يوم واحد يستحق هذا الحادث العظيم ان يذكر عوض المقصد الاصلي الذى لاجله رتب عيد الفصح اليهودى . الخ

ثم ان عيد الفصح كان في أول الامر يتقدمه صوم اختيارى كانت تختلف مدته باختلاف الاماكن . الا أنه كما يبقي فى أكثر الاماكن فقط أربعين ساعة كما أخبرنا ترتليانوس وايريناوس . والظاهر أنهم اختاروا هذا العدد من الساعات لانه يطابق المدة التى أقام فيها مخلصنا فى القبر . ولكن مع ان ذلك الصوم كان اختياريا في الابتداء صار مع تمادى الزمان محتوما ضروريا علي جميع المؤمنين . ثم اخذ يطول شيئا فشيئا بالتدريج حتي أنه فى أيام (ديونسيوس) الاسكندرى نحو سنة ٢٥٠ وصل الى أسبوع أو كثر الخ

وأخيرا أوصله غريغوريوس الثانى فى القرن الثامن الى أربعين يوما الخ

ثم ان بعض العلماء قد ذهبوا الى ان هذا الصوم الاربعيني مرتب من الرسل لان باشيليوش الكبير وأمبر وسيوس ولاون الكبير لقبوه سنة الهية)

ولكن يجاب على ذلك بالكفاية ان هؤلاء الاشخاص فى كلامهم الشعرى وصفوا مراراً ما كانوا يحسبونه مفيدا بكونه الهياً أو رسوليا . الخ فمن الواضح ان هذا الصوم ولو كان بعض الآباء قد وصفوه أحيانا بكونه الهيا أو (رسوليا) لم يكن مرادهم بذلك انه قد ترتب من الرسل أو بأمر من الله (انتهى ملخصا عن كتاب ريحانة النفوس)

(الفصل الثانى)

(استنتاج من أقوال ريحانة النفوس)

يستنتج مما ذكر جملة أمور جوهرية فى الديانة المسيحية وهى

(١) أنه لا يوجد دليل على أن رسل عيسى عليه السلام أى «الحواريين» هم الذين رسموا عيدى الفصح والعنصره

(٢) ان وجود هذين العيدين المسيحيين في زمن الحواريين أمر مشكوك فيه كما يستفاد ذلك من قوله (وربما فى أيام الرسل أيضاً) ومن قوله (ان الرسل ربما ارتضوا بهما) ولا يخفى أن الشك لا يعول عليه فيما يكون فرضا

(٣) انه كان يوجد قبل المسيحية عيدان يهوديان وهما عيد الفصح وعيد العنصره — ثم صار تحويلهما بدون أمر من عيسى (صلعم) ومن رسله (رضعم) الى عيدين مسيحيين

(٤) ان هذين العيدين اليهودين تحولا الى عيدين مسيحيين (تذكار موت المسيح وفيض الروح القدس العجيب) وان المسيح (صلعم) حل محل الخروف الذى يذبحه اليهود فى عيدهم قبل ظهور عيسى عليه السلام

(٥) ان تاريخ تأسيس الكنيسة المسيحية بحسب ابتداؤه الحقيقى من

حين ظهور (روح القدس) الذى آمن به ثلاثة آلاف فى يوم واحد وتنصروا

(٦) ان الصوم في هذين العيدين لم يرسم الا فى الجيل الثانى من التاريخ المصطلح عليه بأنه تاريخ ميلاد المسيح :

(٧) ان ماورد فى كتب قدماء النصارى من وصف بعض الامور التى أحدثوها بعد الحواريين بأنها من الفرايض أصله استحسانهم لتلك الامور استحسانا غلب على أفكارهم صوابه

(الفصل الثالث)

(ملحوظات على عيد الفصح والعنصرء فى النصرانية واليهودية)

(الفرع الأول)

(عيد الفصح والعنصره عند اليهود)

مذكور بالاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج من أسفار الثوراة ما ملخصه ان الله أمر بني اسرائيل وهم فى مصر بأن يأخذ كل واحد منهم شاه بحسب بيوت الآباء شاة للبيت ثم يذبحونه فى العشية ويأخذون الدم ويجعلونه على القائمتين والخشبة العليا من بيوتهم ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويا بالنار مع فطير على أعشاب مرة الى أن قال : فأنى اجتاز في أرض مصر هذه الليلة واضرب كل بكر من الناس والبهائم أحكاما بكل آلهة المصريين.أنا الرب ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم الخ

ويكون حين يقول لكم أولادكم ما هذه الخدمة لكم انكم تقولون هى ذبيحة فصح للرب الذى عبر عن بيوت بنى اسرائيل فى مصر لما خرب المصريين وخلص بيوتنا : الخ فارتحل بنواسرائيل من رعمسيس الى سكوت

وخبزوا العجين الذى أخرجوه من مصر فطيرا اذ كان لم يختمر لانهم طردوا من مصر ولم يقدروا ان يتأخروا فلم يصنعوا لانفسهم زادا . الخ

(وفى الاصحاح الثالث عشر) ولا يؤكل خميرة اليوم أنتم خارجون فى شهر ابيب ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين — تصنع هذه الخدمة فى هذا الشهر سبعة أيام تأكل فطيرا وفى اليوم السابع عيد للرب الخ

ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين — انك تقدم للرب كل فاتح رحم وكل بكر من نتاج البهائم التي تكون لك الذكور للرب ولكن كل بكر حمار تفديه بشاه وان لم تفده فتكسر عنقه — وكل بكر انسان من أولادك تفديه الخ

فذبح الخروف في هذا العيد فدية لاولاد بني اسرائيل لكون الرب لم يضربهم كما ضرب المصريين لان الله حقن دمهم بهذا الذبح ومما يجب أمعان النظر فيه هنا هو ان الله قال لبنى اسرائيل فى هذا العام (فتحفظون فى هذا الامر فريضة لك ولاولادك الى الابد فمن جهة قد جعل دم الخروف كافيا الفدية الانسان ومنع نزول العذاب أليه ومن جهة أخرى جعل العيد واجبا مؤبداً ومعني المؤبد معلوم فلا يجوز الانقطاع عنه ولا تبدله بغيره فلا معنى اذا للفصح الذى أخذه المسيحيون بدلا من هذا الفصح ولا لتغير معنى الفدية بالدم البشري فضلا عن سبق تشريع الفداء على لسان ابراهيم عليه السلام

(الفرع الثانى)

(فى عيد الخماسين عند اليهود)

هذا العيد تذكار لكتابة الالواح العشرة ونزولها على موسى (صلعم) من عند الله وهو فى جبل طورسينا وكان ذلك بعد خروج بني اسرائيل من

مصر وعيد الفصح الذى جعلوه تذكاراً للخروج ٥٠ يوما . ولذلك اطلقوا عليه اسم (عيد السبعة أسابيع) ولم يطلقوا عليه اسم عيد الخماسين الا بلغة اليونان فى زمن حكم اليونان على ملة اليهود بعد الاسكندر فقالوا عيد الخمسين (بانتيكوت) أي الخمسين يوما بدلا من (عيد السبعة أسابيع) وحساب هذه الاسابيع يبتدئ من يوم عيد الفصح الي نهاية السبعة أسابيع أى مدة ٤٩ يوما وفى اليوم المتمم للخمسين يكون العيد عند اليهود . فأصل هذا العيد كما ترى كتابة العشر كلمات أو نزول العشرة ألواح

فلننظر الآن فى تشريع عيد الخمسين فى المسيحية وسببه

(الفرع الثالث)

(حادثة عيد الخمسين عند النصاري)

لا يوجد أقل مناسبه بين نزول الالواح على موسى الذى جعل من أجله عيد الخمسين وبين عيد الخمسين الذى اتخذه النصارى اقتداء باليهود قالوا ان روح القدس ظهر للحواريين وتلاميذهم يوما من الايام على هيئة نار فى السماء منقسمة واستقرت على رأس كل واحد منهم والهمتهم التكلم بلغات مختلفة على قدر لغات الامم والاجناس الموجودة فى مدينة القدس من اليهود الذين جاءوا لحضور عيد الفصح من كل الجهات . وان هذه المعجزة ادخلت نحو ثلاثة الالف نفس في دين الحواريين فهذا محل نظر وتأمل من جهة ظهور هذه المعجزة فى يوم الاحد السابع بعد الاحد الذى قالوا ان المسيح رفع فيه الى السماء فاننا نجد الاتفاق موجودا بعد الف سنة في ظهور نور الاله فى الديانتين كما نجد ظهور الوحى والتعليم فيهما فى وقت واحد حالة ان

الحساب القمري لا يوافق الحساب الشمسي في دورة الايام لان اليهود يحسبون على حركة القمر والنصارى على دورة الشمس وعدد أيام الشهور في الحسابين لا يتفق ومن جهة أخرى فانك قد رأيت ان تقديس الاحد أصله من زمن الوثنية فلذلك اعترض بعض المعتزلة على اطلاق اسم (عيد الخمسين) اليهودى على عيد ظهور روح القدس الذي قال عنه الحواريون اعتراضا وجيها حيث قال ان عدد الايام التى بين الاحد الاول والاحد السابع الذي يحتفلون فيه بالعيد تسعة وأربعون يوما فقط . فكان يجب ان يقال (عيد التسعة والاربعين) لا عيد الخمسين وان لا يجعلوه يوم أحد في جميع السنين لان عيد التسعة والاربعين عند اليهود لا يشترط وقوعه يوم أحد وبما ان النصارى يحسبون عيدهم بعد عيد الفصح العبرى فكان يجب عليهم الاقتداء بهم من كل الوجوه .

(الباب الثالث)

في ذكر ما دخل ملة التوحيد من ديانة الصابئة والوثنية

(الفصل الأول)

في تأثير اختلاط قوم موسى بقدماء المصريين على ملة التوحيد

قال المؤرخ العصرى (ميرو) رئيس دار الآثار المصرية في هذا الوقت في كلامه على شرع بني اسرائيل بالصحيفة (٢٩٠) من كتابه تاريخ الامم الشرقية القديم ما معناه :

وقد اشتمل شرع موسى فوق الوصايا العشرة على أحكام : منها ماهو مفصل ومنها غير المفصل فمن ذلك أحكام العبادات والطقوس التى تعلمها بنو اسرائيل في مصر من رؤيتهم المصريين في معابد (فاح) و (أمون) فأخذوها

عنهم وقلدوها فى عبادة الله . وأصل الشرع العبرى قليل جداً والاحكام التى يمكن نسبتها الى موسى عليه السلام هى الوصايا العشرة وبعض أحكام داخلة ضمن ما نسب اليه فيما كتبه غيره . واذا صح أن موسى عليه السلام سن لبني اسرائيل شرعا وضاع فان ذلك لا يحط من قدر أعماله الجليلة في قومه لما كان له من المنزلة العظمى والشأن الكبير بينهم . انتهي ملخصا

علي أن مجرد الاطلاع على أسفار التوراة وما فيها من حوادث فرعون مع موسى عليه السلام وسيرة خروج بنى اسرائيل من مصر يدل بأجلى بيان على أن مجيء الشرع الموسوى المذكور فى الاسفار كان عقب خروجهم من مصر وهم فى وادى التيه . فعند ذلك يسلم الانسان بما يقوله المؤرخون من تأثير اختلاط بنى اسرائيل بالمصريين علي عقولهم وعوائدهم وأعمالهم ولا يستبعد ما ذهبوا اليه من الاستنتاج لان الفرق ظاهر بين أحكام ملة التوحيد فى سفر الانبياء وبين الاسفار المنسوبة لسيدنا موسى عليه السلام

فلهذا نذكر ماجمعه المؤرخون من الاقوال فى أعياد قدماء المصريين في ذلك الوقت وأعياد الامم الصابئة المجاورة لمصر من العرب والكنعان والكلدان ليتبين مافيها من الشبه ولان جميع تلك الامم من أصل واحد

(الفصل الثانى)

(فى أعياد قدماء المصريين ومواسمهم)

قال صاحب العقد الثمين : كانت مواسمهم تنقسم الى أربعة أقسام ، القسم الاول أعياد السنة وفيه ثلاثة أعياد عيد رأس السنة وعيد السنة الكبيرة وعيد السنة القصيرة والقسم الثانى من الاعياد أعياد الشهور وفيه عيدان العيد

الاول عيد الحر الكبير وهو فى أول شهر أمشير والثانى عيد الحر الصغير وهو فى أول برمهات

والقسم الثالث من الاعياد أعياد الايام وفيه عشرة أعياد . العيد الاول عيد غرة الشهر ثم عيد ثانى يوم ثم عيد ثالث يوم ثم رابع يوم ثم خامس يوم ثم ثامن يوم ثم عيد الخامس عشر ثم عيد السابع عشر ثم التاسع عشر ثم الثلاثين من كل شهر ثم عيد أيام النسئ الخمسة

القسم الرابع من الاعياد فيه تسعة أعياد خصوصية . الاول عيد ظهور الشعرى اليمانية في غرة شهر توت . والثانى عيد (والك) وميعاده السابع عشر والثامن عشر من كل شهر . والثالث عيد المعبود (توت) وهو (هرمس) وميعاده التاسع عشر من شهر (توت) والعيد الرابع عيد ركوب النيل والسفر فى البحر . والعيد الخامس عيد أول الفيضان وهو الآن عيد نزول النقطة . العيد السادس عيد السفينة (تبث) . والعيد السابع العيد الكبير والعيد الثامن العيد الطيب وكان يعمل فوق الجبل . والعيد التاسع عيد (عماشيع) أى عيد الرجل الكبير .

(ملحوظة — معني عيد السفينة عيد حركة الشمس فى الفلك لانهم كانوا يقولون أن السماء بحر تسبح فيه الكواكب كالفلك فى البحار)

وذكر المؤرخ « هيرودوتس » ان أعيادهم كانت تعمل فى جملة مدن من البلاد البحرية والقبلية مثل « بسطة » و« صا الحجر » و« المطرية » و« بوتو » التى آثارها الآن على ساحل البحر الملح مما يلى بحيرة البرلس وفى مدينة « بايرميس » التى اندثرت معالمها — ولعلها « بهرمس » من قرى مديرية الجيزة أو بلد آخر بهذا الاسم فى غير هذا الاقليم

وتلك الاعياد كان لها صفة دينية و سياسية معاً ويحضرها الملك أو من ينوب عنه من عائلته والملكة وخلق كثير. وأكبر الاعياد عيد كان يعمل على رأس كل ثلاثين سنة مرة وكان لمن تتم هذه الاعياد فى زمنه من الفراعنة الفخر العظيم والصيت البعيد

قيل وكان يصدر من المصريين فى هذه الاعياد كثير من الفحش والفجور وكانت الاعياد المذكورة مرتبطة بأوقات الزراعة فى كل سنة . وأول أعيادهم كانت عند شروق كوكب الشعرى اليمانية فى أشعة الشمس ووقته غرة شهر توت وهو أول شهورهم . وكانو يذبحون فيه واحدة من السمان قرباناً لمعبوداتهم (ايزيس) . ويخرج الكاهن من معبد مدينة (آبو) فى هيا كل مقدسة محمولة على هوادج على أعناق جماعة من الكهنة يختلف عددهم من اثني عشر الى ستة عشر بالنسبة الى ثقل الهيكل . وهكذا في باقى المواسم . وبعد مضى أيام من هذا الشهر كان يعمل موسم (توت) الشهير باسم (هرمس) ولذلك كان يسمى هذا الشهر باسمه (توت). وكان من عوائدهم فى هذا الموسم أكل التين وشرب العسل ويقال بعد أكله (ما أحلى الحق)

ومن أعيادهم عيد كان يعمل فى اليوم السادس من شهر بابه وهو عيد حمل (ايزيس) بولدها

(هربوخراث) يشيرون بذلك الى القاء الذرع فى الارض بعد نزول ماء النيل عنها . وفى هذا الموسم كان يعمل طاسم فى عنق تمثال (ايزيس) يسمونه (كلمة الحق). وفى الثامن عشر من هذا الشهر موسم «آمون راع» فى مدينة «بابريس» وكان من عادتهم فيه أن الكاهن فى الليلة المتقدمة على

العيد يأخذ هيكل معبودهم ويضعه فى برزخ مذهب بموضع مقدس قريب من المعبد وفى الغد يقربون القرابين . وبعد الفراغ منها عند زوال الشمس يقوم بعض الكهنة عند الهيكل ويقف الباقون عند باب المعبد وبأيديهم العصى والمساوق لمنع دخول الهيكل فى المعبد. فاذا جاء حاملو الهيكل وجدوا باب المعبد مغلقاً فيقع بينهم وبين من به من الكهنة وغيرهم مضاربة وقتال كبير يجرح فيه كثير من الناس فيسيل دمهم ولا يكفون عن القتال حتى يدخل الهيكل فى المعبد ويستقر فى مكانه . ويزعم الكهنة أنه لم يحصل قط ضرر لأحد من تلك الجراح . وكان المصريون يشيرون بهذه الاحوال الى أن «حور» بن «إيزيس» أراد الدخول على أمه ليزنى بها فمنعه حراسها عن مرامه فجمع أحبابه وأصحابه وقاتل حتي غلب الحراس ونال مرامه والسر فى ذلك هو أن حرارة الشمس المعبر عنها بالمعبودة «إيزيس» دخلت في جوف الارض لتخصبها . وفى الثامن والعشرين من هذا الشهر كانوا يعملون أيضاً موسم «عصا الشمس» ويعنون بها تقدمها فى العمر ونقص حرارتها وضعف قوتها ولذلك جعلوها كأنها احتاجت الى عصا تتوكأ عليها ويمدون في هذا الوسم موكبا تحمل فيه صورة عجلة صغيرة يطوفون بها حول المعبد سبع مرات اشارة الي أن «ايزيس» تفتش على جثة زوجها «اذريس» بعد أن قتله «صفون»

«ملحوظة وهذه الحادثة تشير الى تغلب الشر على الخير وتنازع الليل والنهار والحر والبر والحوادث الطيبة والرديئة من أحوال السماء والارض»

وفي السابع والعشرين من شهر «هاتور» كان يعمل في المدن المعروفة الآن باسم «بوصير» عيد وقوع «أذريس» فى قبضة «صفون» عدوه

والقاء الثانى الاول في النهر . ولذا كان هـذا اليوم عندهم معـدوداً من أيام النحوس وفيه يكون ماء النيل قد انحسر عن أرض الزراعة وانحصر فى مجراه بين ضفتيه .

وكان مدة هـذا الموسم أربعة أيام يدور فيها المصريون بثور قرونه مذهبة وعلى ظهره قطعة قماش من القطن أو الـكتان مصبوغة باللون الاسود . يشيرون بالثور الى المعبودة « ايزيس » وبقطعة القماش الى مصر لان لونها بعد انحسار النيل عنها يكون أسود . وكانوا بعد هذا الموسم يظهرون الحزن والـكدر لنقص النيل ولتغلب الرياح الجنوبية المـكنى عنها بصفون على الرياح الشمالية فى ذلك الاوان ولقصر النهار بطول الليـل ولتجرد الارض عن الخضرة وكان الحزن فى هـذا الموسم عموميا عنـد النساء والرجال لحزن « ايزيس » على زوجها « أذريس » وكانوا يكثرون فيه من الصـلاة والقيام وتقديم القرابين من فحول البقر . وكان من عادتهم أن لا يؤخذ من هذه القرابين بعد ذبحها الا الجلد والامعـاء والفخذان والـكتفان والرقبة ولحم الـكفل . وما عدا ذلك من البدنة يملأ بالدقيق والعسل والتين والعقاقير الطيبة الرائحة ويحرق بالنار ويزيدونه اشتعالا بصب كثير من الزيت عليه . وفى ذلك الوقت يكثر النساء من الصياح والنوح والبكاء والعويل ويلطمن وجوههن وصدورهن ويقطعن شعورهن . وبعد ذلك يأكل الناس ما أخذوا من لحوم القرابين . وكانوا يعملون فى هذا الموسم وغيره من بقية المواسم أعمالا منكرة منها أن يجرح الرجال بعضهم بعضا جروحا بالغة وتشدخ النساء أفخاذهن بحجارة حارة حتى يسيل الدم من هذه الجراح اظهاراً لشدة الحزن والجزع . الخ

وفى الثالث والعشرين كان موسم دفن « اذريس » يشيرون بذلك الى انحباس النيل في مجراه مبدأ زراعة الخريف .

وفي اليوم الاول من شهر كيهك كان يعمل موسم عظيم فى مدينة اسنا لمعبودهم فيها ومن رسومهم فى هذا العيد اظهار جميع أوانى المعبد والحلى ويتقربون بها بالخبز والخمر وغيره من المشروبات وبالارز وفحول البقر والمزروعات على اختلافها

وفى اليوم التاسع من شهر طوبة كان موسم رجوع (ايزيس) من بلاد فلسطين « بعد عثورها على جثة زوجها » وكانت القرابين فيه من فطير فوقه صورة فرس البحر مسلسلة بالقيود . وفى هذا اليوم خاصة كان يرخص لاهل مدينة عين شمس « المطرية » بأكل لحم التمساح . وبعد هذا الموسم بأيام كان يعمل موسم تعويض مذاكير (اذريس) بمثلها من الخشب. والغالب أنهم كانوا يشيرون بذلك الى غرس الاشجار فانه يكون بعد هبوط النيل

وفي التاسع عشر من هذا الشهر كانوا يتخذون بمدينة صالحجر عيداً كبيراً مشهورا بالوقدة التي كانت تعمل فيه وكانوا يشيرون بذلك الى زوال الظلمة التى عمت الارض بموت « اذريس » فكان الكهنة يذهبون في الليل صوب النيل في موكب عظيم به خلق كثير حاملين هيكل « اذريس » مزينا بأنواع الزينة والحلى وفيه قدح صغير من الذهب يملأونه من النيل في وقت معين . وعند ذلك يقول الكاهن وجميع الحاضرين بصوت عال « هاهو جسد اذريس قد اهتدينا اليه » فكأنهم كانوا يشيرون بذلك الى رجوع الشمس وكان يتخذ كل واحد منهم صورة هلال يضعها من الطين المعجون بماء النيل المعطر ببعض الاشياء الذكية

وفى شهر أمشير كان عيد مشاهـدة « أزيس » لاذريس . يشيرون بذلك الى ظهور المحصولات الصيفية على وجه الارض

وكان لهم فى شهر برمودة أعياد أخر . أولها عيـد تطهير « ازيس » قبل البذر . ثانيها عيد الخصب ووقته سادس عشر هذا الشهر وكانت تجعل فيه بهيكل « اذريس » مذاكير مصنوعة من الخشب أو غيره على صورة أعضاء التناسل للانسان (اشارة الى عملية التلقيح من القدرة)

وفي الغد من اليوم المذكور عيد دخول « أذريس » فى القمر يعنون بذلك اجتماع الشمس والقمر عند الاعتدال . (وكلاهما من الارباب)

ثالثها موسم ولادة « حور » فى الثامن عشر من هذا الشهر .

رابعها موسم معبودتهم « تيت » في مدينـة « بوبست » وهو موسم شهير ولعله أصل الموسم الذى يعمل الآن فى البرارى للقديسة « دميانة »

وكان لهم فى شهر بؤنه عيد يتقربون فيه بفطير مرسوم عليه صورة حمار مسلسل يشيرون بذلك الى تغلب « اذريس » على « تيفون » أى ابتـداء النيل فى الزيادة ويزعمون أن تلك الزيادة ناشـئة عما سكبته « ازيس » من الدموع في بكائها على « اذريس » زوجها .

قال هيرودوتس وهذا العيد هو عيد مولد الشمس الذى كان يعمل فى مدينة عين شمس لان الانقلاب الصيفى يحصل في هـذا الآن وهو عبارة عن ابتداء الشمس فى النزول بعد انتهائها في الصعود .

وقد حافظ قبط مصر على عادة الاحتفال بليـلة النقطة التى تكون فى الليلة الثانية عشرة من هذا الشهر .

وكان لهم موسم في شهر مسرى لمولد « هربوخرات » ويعرف عندهم

بموسم السكوت . واشارته حلقة صغيرة كانت توضع على الفم . ولعل هذا العيد هو عيد وفاء النيل . وكانوا يتقربون فيه بكلاب شقراء كما كان اليونان والرومان يتقربون بها ثاني يوم « مسرى » الى كوكب الشعرى .

فمن ذلك يتضح لك جلياً سبب الزيادات على ملة ابراهيم وتقليد بني اسرائيل لقدماء المصريين في كثرة الاعياد على خلاف ما كان عليه جدهم ابراهيم عليه السلام

فمنها تعلموا تعظيم الايام والفصول والمواسم والاحتفال بالزرع والقلع والمحصول وغير ذلك مما لعبادة الشمس وتأثيرها له فيه دخل

(الباب الرابع)

(في أساس العبادة المصرية القديمة وعلاقتها بالاعياد والايام)

ذكر الباحث (لبسيوس) ان قدماء المصريين عرفوا أحوال بعض النجوم السيارة وهى المشترى والمريخ وزحل والزهرة وعطارد وبعض النجوم الثوابت وذكر الباحث (دى روجية) أنهم كانوا يشبهون الارض بالكواكب ويذهبون الى أنها تنتقل كالمريخ والمشترى . وذكر (شباس) أنهم ذهبوا الي ان الشمس مركز جميع الافلاك وتسير في السماء مع الكواكب السيارة وأن السماء عبارة عن يم محيط بالارض والافلاك سائحة فيه وأن النجوم الثابتة عبارة عن مصابيح تضئ بقدرة الله في كل ليلة . وقد اتخذوا بعض الكواكب معبودات عظموها وجعلوها أول الكواكب .

وقد رصدوا الكواكب وحسبوا سيرها وجعلوا مبدأ حسابهم أحوال الشعرى اليمانية وقالوا ان ظهورها أول السنة ومبدأ فيضان النيل ثم قسموا

الشهر الى ثلاثين يوما وجعلوا السنة (٣٦٠ يوما) وقسموا السنة الى ثلاثة فصول فقط . الأول فصل زيادة النيل . والثانى فصل الزراعة . والثالث فصل الحصد. وجعلوا الشهر ثلاثة أعشار كل عشرة أيام جزءا . وقسموا الليل والنهار أربعا وعشرين ساعة متناصفة .

ولما وجدوا أن هذا الحساب لا يوافق حساب منازل القمر والسنة تنقص خمسة أيام وربع أضافوا خمسة أيام على كل سنة وهى أيام النسئ أما الربع يوم فجعلوه فى كل أربع سنين يوما كاملا وأطلقوا عليه اسم يوم الشعرى اليمانية . وقد كانوا يعظمون هذا الكوكب كثيراً ويتخذون له الاعياد والافراح فى هيكل (شيسوحور) .

﴿ فصل فى ذكر اختلاف أديان الكنعانية والفلسطين ﴾

(والكلدان وقدماء المصريين وقصة قيامة الارباب)

جاء فى كلام المؤرخ « مسبرو » صاحب تاريخ الامم الشرقية القديمة على ديانات القبائل والشعوب الكنعانية وبنى اسرائيل والفنيقيين ما معناه بوجه الاختصار : ان ذكر ديانة الكنعانية فى أول أمرهم كاملة على حقيقتها من أصعب الامور لانهم دخلوا تارة فى حكم الكلدان وتارة فى حكم مصر فدخل في دينهم وشرعهم أشياء من دين المتغلبين وأحكامهم فمن ذلك اتخاذ المعبود « السمك » الذي كان يعبده أهل بابل عبده الكنعانيون باسم « داجون » ومن ذلك تقليدهم « عشتار » البابلى باسم « عشيرته » وقد يجوز أن الكنعانيين كانوا يعرفون هذه المعبودات فى بلادهم الاصلية قبل هجرة أجدادهم من شواطئ خليج العجم المجاور لبلاد الكلدان « شواطئ

بلاد العرب الغربية ». أما ما قلدوا فيه المصريين من العلوم الدينية والعبادات فقد جاء متأخراً والاظهر أنهم عرفوه في عصر ملوك الدولة الثامنة عشرة المصرية.فمن ذلك الحين دخل التغيير والتبديل فى ديانة « الفنيقيين » فانصبغت بصبغةمصرية فأخذوا عن المصريين قصة«ايذيس»و (اذريس)ووفقوها على معبودهم (أدونيس) وربهم « عشيرته » فقالوا ان جسد «أوزريس» لما ألقاه « صفون » فى البحر نقلته الامواج من مصر الى أن وصل شواطئ الشام فاستقر بها جملة سنوات . وكذلك أخذوا عن المصريين العقيدة في المعبود (توت) رب العلوم والحكمة والاخبار ويقال ان أصل قصة قيامة (تموز) من ديانة الكلدان

وقد دلت الاخبار على أن الساميين الذين سكنوا مصر فى زمن الفراعنة كانوا يعتقدون ويعبدون ما اعتقده وعبده أبناء جلدتهم المقيمون في بلاد الكنعانيين وسوريا وفينيقيا فمن ذلك استنتج الباحثون أن التوفيق بين الديانةالمصرية والسامية جاء من الجانبين فاشترك فيه المصريون والساميون معاً

وعلى كل حال فان ديانات الكنعانيين والفنيقيين وأهل (ايدوم) وسائر القبائل والشعوب المثبوت نسبها الى (سام) ومن التحق بهم مثل (الحيت) وأهل (فلسطين) كانت كديانة الكلدان والاشوريين ولكن الكلدان كان لديانتهم رآسة حافظت عليها فلم يدخلها كثرة التشعب والتشتت أما أهل (سوريا) فأكثروا من اتخاذ المعبودات حتى صار لكل مدينة معبود خاص بها لكثرة القبائل والنِّحَل الا أن كل فريق كان يصف معبوده بالقدرة والتصرف فى العباد . فمن معبوداتهم (آدون) أي المولى و (بعل) أى الملك والسيد ويضاف اسم الجهة التي تعبده فيقولون (بعل صور) و(بعل صيدون)

مثلا وكانوا يطلقون على أكبر هذه المعبودات أسماء مخصوصة مثل اسم (ملك الملوك) ويعتقدون فيهم النسبة والتولد من نور السموات ومن الشمس التى خلقت الاكوان وتنصرف فيها وتحركها .

ومن هؤلاء الارباب الموصوفين بهذه العظمة المعبود (ايل) معبود أهل (بيبلوس) والمعبود (كمش) رب بنى (موآب) والمعبود (عمان) معبود بنى (عمون) وهكذا

وكان لكل (بعل) بعلة مثله موصوفة بالقدرة ويطلق عليها اسم (عشترته) وينسب للزوجين التصرف والتدبير فى أمر من الامور السماوية والحوادث الارضية والقوى الطبيعية وهكذا

ثم أخذ السوريون فى الاتفاق على توحيد الارباب واقتصروا على القول بالمعبود (ايل) والمعبوداة (أيلات) ولعلها (اللات) التى عبدها العرب فى الجاهلية . ثم المعبود (بعل) و (بعلة) ووصف (بعل) برب الارباب وملك السموات والدهر والازل وبالشمس ووصفت زوجته بالقمر

ومن الفرائض الدينيةالتى كانت فى ديانة (بعل) تقديم الضحايا البشرية وأمور أخرى مخلة بالعرض والشرف أما عبادة (بعلة) فكانت أخف من ذلك وأثقل مافيها أن يضرب الانسان نفسه ليتألم حبا فيها وتقربا اليها وبعضهم كان يقطع آلة تذكيره لينال القرب فى خدمتها وربما اتخذوا الصبيان والنساء للقيام بذلك

وأشهر الاعمال التى كان يأتيها عبدة (بعلة) احتفالهم الذى كانوا يحتفلونه بالقرب من مدينة (بيبلوس) فكان الناس يهرعون من كل ناحية

مرتين في السنة فى فصل الربيع والخريف ويحجون الى حرم (آفاقه)عند وادي نهر (آذونيس) ليتشهدوا حفلة (قتل الصيف للربيع) وقصةذلك من أعجب القصص مأخوذة عن الكلدان وقدماء المصريين

وهى على قولهم أن ملكة السموات كانت تحب ملك السموات ولكن شيطان من الشياطين كان يحبها ويغار عليها ومن شدة غيظه من زوجها أضمر له الشر ونوى قتله ودخل فى جسم حلوف وتمكن من غرضه وأعدم حياته فأخذت ملكة الملوك جثته لتدفنها ودفنتها بالفعل الى أنه بعدئذ قام من بين بعد سبعة أيام وعاد الى مكانه ومنزلته واجتمع بزوجته

فكان جميع الفنيقيين يحزنون حزنا عاما فى أسبوع الآلام اكراما لملكة الملوك ومواساة لها على قتل زوجها ويسمون ذلك (الحزن على تموز) والاحتفال عبارة عن اتخاذ هيآت نعوش من الخشب يضعون فيها تماثيل للمعبود من الخشب المنقوش بالالوان على هيئة القتيل ويسهرون عليها سبعة أيام فى أشد الكرب وغاية الحزن ثم يدفنونها وفى أثناء الحداد تهرع النساء في الشوارع والحارات والخلوات نائحات باكيات مرسلات الشعور أو محلقات ممزقات الثياب لاطمات مجرحات الخدود ضاربات على الصدور وهن فى أشد حال من الحزن والكرب . وفى اليوم الثامن يصلون على صورة القتيل صلواتهم المذكورة فى كتبهم ثم يدفنونه ومن أول يوم يتخذون قصارى يرشقون فيها غصونا خضراء ويتركونها بلا ماء فتجف من حرارة الشمس

ومتى انقضى فصل الصيف وجاء فصل الخريف تنزل الامطار الغزيرة فى بلادهم وتجرى الى البحر الملح لتصب فيه فيرونها حمراء نازلة في المياه البيضاء

فيقولون هذا الاحمر دم المعبود (أدونيس) نازل على شاطئ البحر وتجدد أحزانهم عليه ويبكون عليه بكاءشديداً مدةسبعة أيام وفى اليوم الثامن تبشرهم القسس بقيامــة ربهم وصعوده الى السماء والتقائه بملــكة المــلوك فى سمائها فينقلب الحزن فرحا عظيما ويلعبون العابا تشبه قيام الميت من الموت .

وكانت النساء فى تلك الايام تحلق شعورها ولكن المتبرجات كن يضنين بشعورهن فيفــدين حلقها بالتسليم فى أعراضهن للاجانب ويدفعن الاجرة لصندوق المعبد . انتهي ملخصا .

حقائق ثابتة

١

لما رأيت أن مباحث مجلة الهداية قد قصر أغلبها على الآداب الدينية والدنيوية مع أن مبدأ المجلة دينى علمى أدبى اجتماعى وجدت ان بذل جهــدى بطرق باب المواضيع العلمية سالــكا طريقاً سهلا وهو الاتيان بالشذرات المفيدة التي تهم الانسان وتكمل معلوماته لان الاطالة في موضوع واحد فى كل مرة تملّ للقارئ لان القلوب تمل كما تملّ الابدان وسأبدأ من اليوم بالــكتابة علّ قولى يصادف اصــغاء لانى جديد ولــكل جديد لذة (الفلك)

ان كثيراً من الناس يخطئ فى الاتيان بسبب لاحمرار الافق عند بزوغ

الشمس وعند غروبها وأكثر من هؤلاء من جهل ذلك بالمرة مع أن الاثنين لو علما أن الضوء الابيض الذى ترسله الشمس الينا مكوّن من ألوان عدة منها الاحمر والبرتقالى والاصفر والاخضر واللاذوردى والازرق وغيرها وهي التي تُكوّن طيف النور. ولو عرفا أن الضوء يخترق الفضاء على شكل أمواج دقيقة تنتجها سرعة اهتزاز الاجرام السماوية اللامعة ولو فهما ان هذه الامواج المرسلة تختلف طولا وحجما اذ ان الاحمر والبرتقالى يرسلان خيوطا متموجه يفوق طولها وحجمها من تلك التي يرسلها الازرق علي الخصوص. ولو فحصا الجو فشاهدا تلك الذرات المختلفة من أتربة ورمال « وميكروبات» التى تنتشر فى الفضا لعلما أن الامواج المنبعة من الخيوط الزرقاء تنشعب فى الفضاء لقصرها واختلاطها بتلك الذرات الموضحة هنا بينما تلك التى تفوقها طولا — الحمراء والبرتقالية — تصل الى العين لعدم تشعبها كلها.

ولما كان من المثبون علميا أن الشمس عند ماتكون بالافق تقطع خيوطها مسافة أكبر مما لو كانت فى وقت الزوال أرى من السهل علينا أن نفهم ان الخيوط الضوئية التى تصل الينا فى وقتى الشروق والغروب أى عند ماتكون الشمس بالافق هي الحمراء والبرتقالية وليست الزرقاء

وان السر فى رؤيتنا السماء متوشحة بحلة زرقاء وليست فى الغالب غيرها هو لقصر أمواج هذا اللون كما ظهر لنا اذ باختلاطه مع الذرات الغريبة المنتشرة في الطبقات الجوية يتشعب فى الفضاء فيكسب كل ماحوله لونه

(الجغرافيا)

يقف الناس دهشين حيارى عند ما يرون نوعين من الاحجار كالجرانيت وحجر الخفان « وهو المستعمل فى تنظيف الاقدام » قذفهما بركان واحد

فوجدا مختلفين الواحـد جميل المنظر متبلور والآخر مظلم قبيح . ولكنهم لا يدهشون اذا ماعلموا ان الجرانيت هو حجر نارى يبرد ببطء فى منبطح الارض ويأخذ شكلا بلوريا لان جزئياته عندفقدهاحرارتها تنتظم فى مواضع مختلفة بأشكال متباينة فينتج من ذلك شكل بلوريا يعرف عندنا بالجرانيت

وأما حجر الخفان فهو مادة ذائبة ملأى بالغازات المختلفة التي عند ما تقذف من البركان يتطاير غازها ويملأ بالمسام جسمها . ولما كان تعرضها على حالتها للجو البارد بسبب سرعة انكماشها نرى جزئياتها غير قادرة على الانتظام فى المواضع المناسبة لتجعل منها شكلا بلورياً وعليه تنتج لنا هذا الحجر المظلم أى الخفان

ومن هنا نعلم أن تركيب الجسم كيماوياً يدخل في اعطائه نوعه ولكن المؤثر الاكبر هو الوسط المناسب للسرعة وللبطء انكماش جزئيات الجسم اذ من الوسط تأخذ الشكل المميز لنوعها

لانك اذا أخذت حمض الازوتيك المشبّع بالبوتاسا وقسّمته قسمين تركت الواحد لدرجة البرودة الطبيعية وأثرت على الآخر بالبرودة الصناعية ترى أن الاول ينتج أزوتات متبلورة بينما الثانى ينتج جسما غير بلورى ذا مسام عديدة .

وظائف الاعضاء

يتساءل بعضنا عما يصيب انسان عينه من صغر الحجم وقلة النظر عند تعرضه للضوء الشديد واتساعه فى البقاع المخيم بها الظلام مع أننا لو عرفنا أن انسان العين هو الكوّة الامامية التى تسمح للضوء بالانعكاس على شبكية العين ولو فهمنا أن هذا النسيج الدقيق السريع التأثر عاجز عن تأدية وظيفته

الحقيقية فى شدة الضوء الا اذا انكمش قليلا قليلا ليضيق قطر دائرته ويخفف وقع الضوء الساطع على الشبكية ليجعله طبيعياً لحكمنا بأنه لا بد أن يتسع طبقاً لما يحيط به من ضعف الضوء أو شدة الظلام ليكسب بذلك ضوءا أفقده اياه الوسط الذى وُجد به

هذا من جهة الضوء وأما من جهة الخطأ الذي يقع فيه الانسان عند ما يرى المطر يهمى صفوفا منتظمة مع أن الحقيقة أثبتت أن المطر ينزل نقطا مختلفة الحجم متباينة الوزن سريعة العدْو فذلك راجع الى أن تأثير أى شئ على الشبكية الحساسة لا يمكث سوى جزء من عشرة من الثانية بعد انعكاسه عليها ولذا ترى أنه لسرعة سقوط الذرات تُحدث الواحدة أثراً قبل أن يفارق الشبكية أثر الذرة التى قبلها وبذا تستمر العين تحت هذا التأثير بدون توقف لفاصل بين أى ذرتين لسرعة سقوطهما وهذا ما يجعلنا نرى المطر ينزل خيوطا منتظمة بدل نقط أفقية

النباتات

رأى بعضهم شجرة تبغ فتعجب من امتداد جذرها في بطن الارض بدلا من أعلى سطحها ومن انبساط زهرها ليلا وانقباضه نهاراً مع أنه لو علم وظيفة هذا الجذر أو هذه الازهار لما اعترضه اذ أن للجذر الذي يعد من الاعضاء النباتية الحيوية وظائف مخصوصة يجب أن يؤديها ولأجل تأديتها يجب أن يغرس فى باطن الارض ويظل به ما دام النبات حياً اذ عليه تثبيت النبات فى الارض وامتصاص العصارة المكونة من ذوبان الاملاح الارضية فى مياه الرى وبالجملة لولا وجود الجذر فى باطن الارض لما نما نبات ولما أورق فرع فحمل زهراً

وأما مسألة الزهر فان شجرة الدخان من الشجيرات التى لا ينتشر نوعها الا بمساعدة الحشرات لها وشجرة التبغ لها حشرة مخصوصة تدب ليلا وتنزوى نهاراً واليها يرجع سر نماء وانتشار هذا النبات . ولذا تجد أن زهرة التبغ البيضاء اللون لشدة عرفها تجذب هذه الحشرات الليلة اليها فتحوم حولها لتمتص شرابها فتحمل معها اللقاح من الذكر وتذهب به وهي غير عالمة الى الشجرة الانثى فتكون سبباً فى نماء الزرع واكثار النوع

علم الطبيعة

اتفق أن ذهب أحد اخوانى الى أرض جبلية فلاحظ أنه لما صعد الى قمة الجبل وجد هناك جواً بارداً خلافا لما هو فوق السهل مع أنه فى الحالة الاولى كان أقرب للشمس منه فى الحالة الثانية . ثم أنه لما أراد أن يأكل اجتهد في شيّ بيض الدجاج وهو بأعلى الجبل فلم يفلح مع أن الماء كان يغلى ولما أن تذاكرنا سويا اتضح لنا أن حرارة الجو ناشئة من الحرارة التي تدخرها الارض من الشمس وتشععها الى الطبقات الجوية لخفتها عن الهواء البارد ولم تكن ناشئة عن أشعة الشمس مباشرة هذا من جهة ومن جهة أخرى نرى أن الانسان كلما ارتفع كلما قلت الطبقات الجوية وينشأ عن ذلك انخفاض الضغط ولانخفاض الضغط لا يجد التشعع الارضى مقاومة فيتجاوزه ويظل الجو على حاله الطبيعى وأما مسألة شيّ البيض فان زلاله لا ينضج الا اذا عُرِّض لحرارة توازى ١٠٠ درجة سنتغراد أو ٢١٢ فارهنت وهذه هى درجات غليان الماء فوق السهل من الارض التي فيها الضغط الجوي يوازى خمسة عشر رطلا بكل بوصة مربعة ومعلوم أنه كلما ارتفع الانسان كلما قلّ الضغط الجوي لقلة الطبقات المنسبية له وبما أن درجة غليان الماء تابعة للضغط

الجوى مباشرة ينتج أنه كلما ارتفع الانسان كلما نزلت درجة الغليان الى أقل من ١٠٠ سنتغراد. فاذا فُرض أن صاحبنا كان على قمة جبل يرتفع عن سطح الارض بمقدار ١٨٠٠٠ قدم فان درجة الغليان تكون ٨٠ درجة سنتغراد بدل من ١٠٠ درجة وفي هذه الدرجة لا ينضج البيض

يتلى خالد المصري

التربية ومواضع البناء

لتربة الارض تأثير على صحة ساكن المنازل المقامة بها حتى لقد يحق أن يقال انه لو كان الموقع غير صحي فليس فى الامكان جعل المنزل صحيا بحال من الاحوال والاعتقاد السائد بانه بقدر ما تكون الارض رخوة (ذات مسام كالرمل والحصى) تكون موافقتها للصحة صحيح على وجه العموم لان الارض تكون حينئذ جافة ولكن هذا الحكم ليس عاما اذأن وجود هذه المسام يسهل تلوثها من المجارى والبالوعات الواكفة لووجدت هذه

وقد تخلل الارض ذات المسام كثير من الماء والهواء ولا يمكن اعتبار الصخور التى لا مسام فيها كالصوان والصلصال والحجر غير ممتصة بل تعتبر صماء ويوجد بين الارض الرملية والارض الصخرية مراتب مختلفة من وجهة قابليتها للترشيح والامتصاص ولنتكلم الآن على الطبقة السطحية ذات المسام فنقول

ان الطبقة الارضية المكسو طبقة أخرى صخرية وتحتوى فى مسامها هواء

يسمى (الهواء الارضى) وتحتها ماء أيضاً على أبعاد مختلفة وهو يسمى (الماء الارضى) ونسميها أيضاً (مياه النشع)

ويكون الماء من مياه الامطار التى تتخلل الارض وتعوقه عن السير فيها طبقة غير نافذة ويوجد فوق سطح هذا الماء الهواء الذى سبق ذكره

ويختلف بعد مياه النشع عن سطح الارض على حسب علو الاقليم وما جاوره وعلى حسب بعد الطبقة التى لا ينفذ منها الماء عن سطح الارض وبحسب سهولة سير الماء فيها نحو مخرجه الطبيعي سواء كان ذلك عنيا أو نهراً أو بحرا فلا يبعد الماء كثيراً عن سطح الارض فى الاراضى المنخفضة كالسهول والوديان ويكون مستوى ذلك الماء غير ثابت فقد يكون بعيداً أو قريبا من سطح الارض بحسب الاسباب فبعد هطول الامطار يقرب المياه من سطح الارض

ويكون سير الماء الارضى فى الجوانب متجها نحو أقرب المجارى كالبحر والآبار والشقوق الصخرية وغير ذلك . ويتبع التغيير فى الارتفاع من حين الى حين تغيير فى مقدار الهواء الموجود فوقه فعندما يكون الماء الارضى كثيراً يطرد الهواء الذى فوقه الى الخارج وعندما يقل هذا الماء يتخلل الارض هواء بقدر النقص فى الماء: وهناك عوامل أخرى فى سير الهواء الارضى لا تأثير لها في الماء أهمها اختلاف الضغط الجوى ودرجة الحرارة وهبوب الريح فيظهر مما تقدم أن بين الارض ذات المسام ورئة الانسان تشابها لدخول الهواء وخروجه بين آن وآخر فهذه الاعتبارات ذات أهمية كبرى وعلى الاخص في الاراضى التى تبنى عليها المنازل

الهواء الارضى رطب فى الغالب وفاسد دائما وتزيد رطوبته بنسبة قربه

سطح الارض. وفساده ناتج من تحلل المواد العضوية التي يأتى بها اثناء نزوله فى الارض أو التى قد تكون موجودة بطبيعة الحال فى التربة ويدلنا على فساد الهواء فى الاراضى التى لا تزال على طبيعتها ولم تدنس بالسكنة قلة الاوكسوچين وزيادة حمض الكربونيه

تتسرب الاقذار الحيوانية التي ربما كانت موبوءة فيها جراثيم أمراض معدية من البالوعات والمجارى البرازية، الراكنة بجوار المساكن الى الماء والهواء وكذلك يحدث من المواد المعفنة فى المقابر والمواد العضوية فى الاراضي المصنوعة من قمامات المنازل وذلك مضر جداً بصحة ساكنى هذه المنازل وتحليل المواد العضوية (حيوانيه كانت أو نباتية) بالتعفن والتجمد هو بتأثير الجراثيم الموجودة بها والتى نعيش بفضلها يتناهى وقتئذ تحللها الى مخاليط بسيطة (حمض كربون ونوشادر وماء) ويتوقف فعل الجراثيم هذا على وجود الاوكسوچين والماء والحرارة المناسبة فالاوكسوچين موجود فى هواء الارض والماء من الماء الارضى والحرارة دائما مناسبة الا وقت نزول الجليد (فى البلاد الباردة) فالارض اذن تشبه المعمل الكيماوى الطبيعي فيه تسهلك المواد العضوية الضارة بواسطة التعفن السابق ذكره

ما ذا ينتج من ارتفاع الماء الارضى — عندما يزيد مقدار الماء فى الارض يرتفع ويقرب سطحه من سطح الارض فيطرد من الهواء الارضى بقدر الزيادة فى الماء وتزيد رطوبة الهواء المنزلى وبرودته بتحيز بعض الماء الزائد وتسري الرطوبة (طوعا للجازبية) في جدر المنزل وتتحيز عندئذ برودة الهواء ورطوبته ويكون ساكنى المنزل عرضة للرثية (الروماتيزم) والزكام والصداع والنزلات الشعبية والرئوية والدفتريا والحصبي والسعال

الديكى ولذلك وجب صحيا أن توضع أنابيب تحت سطح الارض لتنقل المياه عن ارتفاعها عن الحد المناسب — ولقد أظهر الدكتور بودتش بالولايات المتحدة والدكتور بكانان بانجلترا في أبحاثهما العلاقة القوية بين رطوبة التربة والسل الرئوى وهذا الاخير ابان نقص خطر هذه الامراض عما كانت عليه فى البلاد التى عملت لها مجارى المواد البرازية وأخرى لتصفية الارض من مائها الزائد. فحيث نقصت الرطوبة كثيراً نقص عدد الوفيات من السل الي الثلثين أو النصف عن ذى قبل

كذلك أظهر الاستاذ بتنكوفر ما بين ظهور الحمى التيفودية بشكل وبائى وعلو الماء الارضى من العلاقة فى ميونخ فبين أن الوباء يكون أكثر انتشاراً عند ما تكون المياه في الآبار قليلة خصوصا بعد هطول الامطار الوفيرة

وبلدت ميونخ هذه قائمة على أرض رملية ذات مسام وكان بها بالوعات للمراحيض فصارت تتسرب المواد البرازية من هذه البالوعات فى التربة المجاورة لها بسرعة وبديهي أنه عند نزول الامطار بكثرة تنقل المياه هذه المواد الى الآبار وربما ينشر وباء الحمى بعد مرور أسبوعين أو ثلاثة على هذا الاختلاط وبعد انخفاض المياه التى فى الارض

وفى الحقيقة ليس لاختلاف علو المياه الارضية فى ذاته من تأثير كبير بل ان التأثير الكبير على الصحة يرجع الى ما ينجم من ذلك من ظهور الهواء الارضى فى المساكن ومن تلويث الآبار كما ذكرنا آنفا

وأظهر أيضاً الاستاذ المذكور مثل هذه العلاقة فى انتشار الكوليرا والاسهال كما أظهر أن رطوبة الارض فى مصلحة حياة البعوض المسبب للحمي الصفراء: تنتشر عدوي حمى الملاريا بواسطة نوع من البعوض يعيش حيث توجد

المستنقعات فاذا أريد جعل هـذه المستنقعات خالية من الحمى وجب تجفيفها وذلك اما بوضع الانابيب في الارض لتصفيتها أو باكثار الزرع فيها اذ له أهمية كبرى كما يظهر فى المناطق الحارة حيث يمتص من الارض ماء كثيراً يتبخر من أوراقه الخضراء

ولقد قدر أن شجرة البلوط تبخر من الماء ما يوازى ثمانية أمثال ونصف كمية المطر النازل على الارض المظللة بها بينما يتبخر من شجر اليوكالبتوس كمية توازى كمية ذلك المطر أحـد عشر مرة ولذا أكثروا من زرعـه فى المناطق التي تتفشى فيها حمى الملاريا بقصد تحسين حالتها الصحية اذ بتجفيف الارض لا يعيش البعوض الضرورى لانتشار العدوى

ويجب أن يلاحظ أن الرطوبة تساعد على تحليـل المواد القابلة للتعفن ولذلك فان الارض الجافة أطهر من الارض الرطبة والهواء الذي يخرج منها أنقى من هواء تلك: فالاوفق في الاقاليم شـديدة الرطوبة أن ترفع البيوت عن الارض على حنايا مفتحة للهواء والمساكن الخشبية على عمد من خشب وأن يصفى ما جاورها من المستنقعات ويردم ثم يزرع بحشائش يداوم على قصها وأن يستأصل ما يكون عادة بالمستنقعات من النباتات الـكثيفة بالحريق ونحوه

لا تصلح الاراضى المنخفضة القريبة من المـاء للاقامة لاحتمال قرب مائها الارضى من سـطحها أو لبقائه بها أكثر السـنة ولرطوبتها وتعرضها للضباب ولعدم ضمان الاساس بها وان كانت على جوانب نهر فانها تصـير عرضة للفيضان ويصعب كثيراً حفظ الاساس من الرطوبة وتصريف المواد البرازية المنزلية

يستنتج مما تقدم أنه يجب أن يكون البناء فى موقع جاف طلق الهواء مشمس وأرض جافة نقية ذات مسام فى مرتفع ينحدر قليلا لتسهل بذلك التصفية الطبيعية فوق الارض وفى جوفها الوديان الممتدة على اتجاه سير الرياح أجف فهى اذاً أصح من سواها والارض الرملية والحصوية العميقة التى لا يتخللها ماء بالنسبة لعلوها وعدم اشتمالها على طبقات طينية تمنع مرور المياه فيها والاراضى المعتدلة والباردة أصلح أرض للسكنة لانها أدفأ لكثرة امتصاصها للحرارة وأجف الجميع : أما التربة الطينية فهى باردة لقلة امتصاصها للحرارة. ورطبة لحفظها المياه بها ولذا كانت أقل صلاحية للصحة من الاراضى النضاحة ويقل ضررها اذا كانت منحدرة اذ بذلك تسهل التصفية

والاراضى التى من الطباشير جافة ولكنها باردة لقلة امتصاصها للحرارة

ثم ترتيب الاراضى بحسب موافقتها للصحة هو كالآتى. الاراضي الحصوية فالرملية . فالاحجار الرملية فالطباشيرية ثم الصخور (الاراضى الصوانية والاردوازية والحجر الجيرى) والاراضى الطينية والمنخفضة المائية وآخرها الاراضى المصنوعة «المصطنعة »

يشتد الحر فى الصيف فى الارض الرملية حيث لا يوجد فيها النبات لانه يلطف المناخ بتظليله وبما يتبخر منه من الماء وتزداد الرطوبة حيث تكثر الاشجار لان الهواء يسكن فيقل التبخر

كيف تصفى الارض من الماء — لما كان من الضرورى صحيا ألا يقرب الماء من سطح أكثر من عشرة أقدام وجب أن تصفى الارض من المياه المتراكمة فيها وذلك بوضع أنابيب فخارية غير مصقولة ولا مدهونة فى الارض بغير أحكام فى اتصالاتها ثم تغطى بعدئذ بالحصى . فيتسرب الماء

الى هذه الانابيب ويجرى فيها ويجب أن يلاحظ أن هذه الانابيب تصب فى حفرة أو مجارى معـدة لذلك خاصة والا تتصل بالمجارى المعـدة للمواد البرازية فى المنازل أو فى الطرق الا عند الضرورة وأن يكون ذلك بعد عمل «الفاصـل المعروف» بينها ولا تحتاج التربة ذات المسام كالارض الرملية مثلا لأكثر من خط واحد من هذه الانابيب بخـلاف الارض الصماء لمنع الهواء والماء الارضى من الدخول بالمساكن — تغطى الارض داخل جدر المنزل بطبقة من مخلوط السمنت والحصى سمكها ستة قراريط ويكفي بعد ذلك في منازل المدن الكبرى التى تنخفض طبقتها السـفلى عن الشارع أن تغطى بالاسفلت أو البلاط أو بكتل الخشب الثقيلة التى لخلوها من الشقوق لا تصير ملجأ للحشرات التى توجد عادة في مثل هذه الطبقة من المنازل

وفي المنازل التى لا توجد بها هذه الطبقة المعروفة «بالبدروم» يجب أن يترك بين قاعدة المنزل والارض خصوصاً التى لم تغط بالسمنت مسافة قدمين تتصل بالهواء الخارجي بواسطة نوافذ صغيرة فى جدر المسكن

أساس المسكن والرطوبة — يجب أن يراعى فى بناء الاساس بعـده عن المياه والرطوبة والا تجمعت المياه حواليه فيرطب الدور الاسفل

واذا كان البناء على سطح مائل يجب حفظه في الجهة التى تعترض سير المياه الارضـية ويجب أيضاً أن تكون قاعدة البناء من طينة واحـدة لمنع التخلخل فى المقاومة وأن تفحص الاراضى الطباشيرية لانه ينشأ عن كسر القناوات والمجارى الطبيعية التى ربما تكون موجودة فيها هبوط في البناء لا تستحسن البقع الطينية المنحدرة في البناء لجواز انتفاخها بالمطر الزائد وضمورها بالجفاف وذلك مضر بالمبانى

الجدر التى تبنى من الآجر العادى والمونة مسامها كثيرة وتمتص ماء وفيراً لان القالب الواحد يمتص ستة عشر أوقية من الماء فلمنع الماء من الصعود بالسريان فى جدر البناء يفصل بين الاساس وما يعلوه من بقية بناء الحائط بمادة غير موصلة للرطوبة كالاردواز أو الاسمنت أو طبقة سمكها نصف قيراط من الاسفلت أو ما شابه ذلك فوق الارض بقليل كما يجب أن تفصل جوانب جدران المنازل ذات الرصيفات السفلى عن الارض المحيطة بها بطبقة من الهواء تمتد حتى سطح الارض وتترك مفتوحة ان أمكن والا وجب تغطيتها بمادة غير موصلة للرطوبة وبذا تصبح تلك الطبقات غير رطبة

فى الاقاليم كثيرة الامطار يجب حفظ جدر المساكن من الرطوبة اما بتغطيتها بالاردواز أو ببلاط من الصينى أو بالاسمنت وهو أفضلها

تظهر الرطوبة داخل المنازل الحديثة البناء على ورق الحيطان وذلك نتيجة تبخر الماء من القوالب والمونة وكذلك المياذيب الغير محكمة ينشأ عنها رطوبة فى الجدران

﴿ المسكن ﴾

(اعتبارات عمومية)

يجب أن يكون بناء المنزل بحيث تقابل قاعات النوم الجهة التى يأتى الهواء الجاف الهادئ منها عرضة لرياح الامطار وأن يكن لأشعة الشمس الدخول وقتاً ما بالنهار فى كل قاعات السكنة وأن يكون النور مناسباً لان كثرة الشبابيك عن اللازم تجعل القاعة شديدة الحر والبرد

كما يجب أن يكون النور كافياً فى السلم والبهو والطرقات وأن تكون تهويتها من الخارج رأساً وأن يكون موقع قاعات النوم بحيث يسمح بقدر

الامكان لدخول شمس الصباح وأن يكون نورها الطبيعي كافياً وبيت الاطعمة في الجهة الباردة من المنزل وتهويته سهلة متوفرة وأن تغطى نوافذه بألواح الزنك المثقب لمنع الحشرات من الدخول فيه

ويجب أيضاً أن تكون المداخن متقاربة وأن تحفظ من البرودة لمنع رجوع الدخان فيها وأن تغطى جدر المراحيض والحمامات ومحال أدوات الطباخة بالبلاط الصيني أو أن تدهن بالسمنت وفوقه الطلاء الزفتي

الاوفق لقاعات النوم أن لا تورق وتوريق قاعات الجلوس أوفق ولا بد من انتقاء الورق مصقولا ومطلياً لا خشناً مصاصا للتراب وغيره . تغطية أرض العزف فتوضع ألواحه جنباً لجنب على مساند من الخشب أيضاً يبعد الواحد عن مجاوره بمقدار قدم وبذلك تترك فراغ بعض قراريط بين الالواح والارض أو السقف الذى تحتها وهذه الطريقة غير مستحسنة لان الفراغ يصير مخزنا للتراب المتساقط من شقوق الخشب ولذا يفضل أن توضع المساند بجانب بعضها حتى لا يبقي هنالك فراغ يسقط فيه التراب

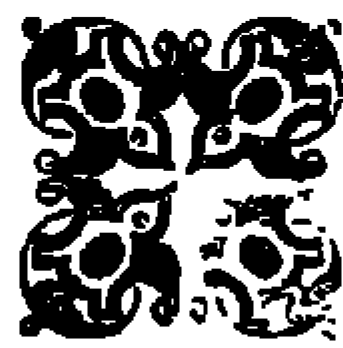
الافيد أن ترصف المراحيض والمغاسل وقاعات النوم وقاعات الطبخ ومخازن الاطعمة وأن تستعمل القوالب المدهونة أو البلاط وأحسن ماينتقى لرصف باقى المنزل هو الكتل الخشبية التى تطلى بعد سد شقوقها بشمع النحل أو الالواح الاخرى

والافضل أن يغطى السقف بمادة غير مصاصة ولا مرشحة اذ أن الخشب يمتص الرطوبة ويأوي الحشرات ويزيد الخطر عند حدوث حريق والاردواز خفيف الا أنه موصل جيد للحرارة فهو لذلك مجلبة للبرد فى الشتاء وللحر فى الصيف والبلاط ثقيل وموصل رديء للحرارة فهو أدفأ فى

الشتاء وأبرد فى الصيف من الاردواز ولقد استعمل الزنك والنحاس والرصاص فى تغطية السقوف فكانت كالاردواز في توصل الحرارة والبرودة وفي عدم ترشيحها

أثاث المنزل — يجب أن يجتنب فى فرش المنازل كل ما يسهل تشبعه بالاتربة ويصعب تنظيفه كالاصواف والستائر الكبيرة والزخارف الاخرى والا تكون السجاجيد كبيرة مثبتة بمسامير فى الارض بل صغيرة سهلة الرفع لتنظيفها من الغبار والعثير

ويجب أن يستعمل في بناء الجدران المواد الصلبة الصماء بقدر الامكان سواء كانت طوبا أو خشباً أو حجراً



موضوعات عمومية

الدين

هل وجدت أم توجد الآن قبائل انحطت في النمو لدرجة أن ليس لها أفكار دينية مطلقاً ؟ هذا هو السؤال الذى مضى عليه قرون يؤيده بعض الناس وينفيه البعض الآخر وكل يعتقد صدق قوله مع عقم الحقائق التى يبنى كل منهما براهينه عليها . اذا لجأ علماء علم الانسان الي نظرية الارتقاء ليشرحوا الحضارة واعتبروا أن سلسلة درجات الرقي تنشأ احداها من الاخرى فلا بد أن يتلقوا خبر وجود قبائل لا دين لها بكل غرابة ودهشة وان يقولوا — بالطبع — هنا أناس لا دين لهم لأن أسلافهم كانوا خلوا من العقائد الدينية . وهؤلاء الناس يمثلون العهد الانسانى الذى لم يعرف ما هو الدين . ذلك العهد الذى تولد منه العهد الديني طبق سنة الارتقاء . على أنه لا يجدر بنا في البحث في موضوع الرقى الدينى أن نبتدئ من هذه النقطة . اذ لو صدق هذا نظريا لما أيده الواقع . ويشبه هذا ما قيل من أن فى الوجود قبائل لا لغة لها وأخرى لا تستعمل النار . حقاً لا يوجد فى طبيعة الاشياء ما يمنع امكان وجود ذلك ولكن فى الواقع لا نجد هؤلاء القبائل . فمثلا القول بان فى الدنيا قبائل لا دين لها مع أنه ممكن نظريا وربما أيدته الحقائق لا توجد الآن البراهين الكافية لاثباته

كثيراً ما نجد كاتبا يقول على وجه العموم بان فى الوجود أمماً متوحشة لا أثر للمظاهر الدينيـة عندهم ثم تجد فى موضع آخر من كتابه حقائق تنفى

قوله هذا . فمثلا الدكتور لانج لم يكشف بقوله وان همجي استراليا لا فكر لهم في اله أو معبود . ولا معبد عندهم بل قال « بالاختصار هؤلاء الناس لا فرق بينهم وبين الحيوانات من حيث الاعتقاد » واعتمد كثير من الكتاب على جملته هذه ولم يلتفتوا الى التفصيلات التي حواها كتابه والتي منها نستنتج أن هؤلاء الناس قد يلحقهم مرض كالجدري ينسبونه الى « نفوذ (بوذيه) وهو عفريت سوء يتلذذ بفعل الضر » وله يترك اللصوص بعض العسل في الخلايا التي يسرقونها . . وفي كتابه أيضاً يقول ان من قبائل « كويتزلان » من يقدم البنات قرباناً لأله الشر إرضاء لخاطره وان مستر ردلي « لاحظ من محادثاته مع الهمجيين أن لهم أساطير . تتعلق بموجود غير طبيعي يسمى « بئيام » الرعد صوته وكل الموجودات من عمله . وآخر اسمه « تراموللم » يعسوب الشياطين مسبب الامراض والضر وصاحب الحكمة ويظهر في مجتمعاتهم في شكل ثعبان . الخ »

شهادات كثيرين ممن جالوا في استراليا تتفق على أن سكانها كانوا عند اكتشافها ولا يزالون يعتقدون وجود الارواح والشياطين والآلهة

ولا يقل قول مستر « مفات » عن قول الدكتور لانج غرابه اذ يقول في سكان بتشيوانا « لم يسمع أصلا عن هؤلاء الناس بخلود الروح » مع أنه قال قبل هذا بجملة « ان اسم ارواح الاموات عندهم (ليريتي) »

ولا قول « دون فلكس دى ازارا » باقل غرابة من قولهما اذ تكلم على كذب القسيسين الصراح في ادعائهم أن سكان جنوب أمريكا لا يتدينون بدين ما . وقال ان أهالي تلك الجهة لا دين لهم ولكنه في سياق كلامه في كتابه ذكر أخباراً تدحض قوله هذا . مثال ذلك قوله أن « البايجوى »

يدفن أدرعا وملابس مع الاموات ويعتقد أن بعد الممات حياة أخرى وأن سكان « جوانا » يعتقدون أن هناك موجوداً يعاقب على فعل السوء ويكافئ على فعل الحسنة .

ولقد استحق هذا المؤرخ ـ بانكاره وجود دين أو قانون للقبائل المنحطة بدون مبالاة أو ترو ـ انتقاداً مراً من (دور بيني) هذه ترجمته « هذا ما يقوله سيو ازارا فى كل أمة يصفها بينما هو يبرهن على كذب قوله بما يذكره من الحقائق تأييداً لقوله »

هذه الاقوال ترينا كيف تغشنا الافكار التي تتعلق بالعموميات اذا ما استعملت فى ايضاحها كلمات عامة فى معانى خاصة

« لانج » و « مفات » و « ازارا » مؤلفون مدين لهم علم الانسان بانباء مفيدة عن القبائل التى رأوها . ولكن يظهر أنهم يزعمون أن كل اعتقاد مخالف للاديان الشائعة بين الامم الراقية ليس من الدين فى شيء . فينسبون من يخالفهم فى الاعتقاد الى عدم التدين كما كان ينسب علماء الدين من آلهتهم تخالف الهتهم الى الكفر بالله فقديما وصف الآريون الفاتحون قبائل الهند الهمجية بكلمة « اديفا » أى لا اله لهم . ووصف اليونانيون المسيحيون بمثل ذلك الى العهد القريب منا الذى كان يرمى فيه بالزندقه كل من لم يؤمن بالسحر ثم الى عهدنا هذا اذ يعتقد المجادلون أن الطبيعيين الذين يؤيدون نظرية الرقى النوعي لا بد أن يكونوا كفارا . هذه أمثلة عن فساد الاراء فى الحكم في المسائل الدينية التى من نتائجها ما عم من عدم فهم أديان الامم المنحطة بدرجة تستعجل المستنيرين بذهل . . لا شك فى أن بعض المرسلين يفهمون ما حوته عقول الهمجيين الذين يحتكون بهم ومن هؤلاء حصلنا على أفيد المعلومات

عن درجات الاعتقاد بين الامم المنحطة ولكن كثيراً من « المتـدينين » يكرهون اعتقاد «الكفار» ويحتقرونه ولذلك لا يضيعون وقتاً فى فهم ماعليه هؤلاء الناس الممقوتون عندهم الذين تسود فى خرائط المرسلين البقاع التي يسكنونها . ما من يهتمون بفهم معنى الدين وطبيعته فى أول درجاته فينظرون المتوحشين بغير هذا الظن . وهؤلاء مع علمهم بالخرافات المعتقدة والفظائع المرتكبة باسم الدين — يبحثون بشغف عن كل أثر للانسـان فى السعى وراء معرفة الحق بما كان لديه من النور . فهم يفكرون فى معانى الاعتقادات مهما كانت طفولية — وقد يكون المتمسكون بهـا تمام التمسك فى عمى عن فهم كنهها ويبحثون عن المعانى المعقولة التى أوصلت الهمجيين الى الاخذ بهذا الاعتقادات التى صارت الآن فى الظاهر أو فى الحقيقة خرافات مبتذلة ينسب صاحبها الى الغفلة الفاضحة . . ويعلمون انه « ما من الامة خلا فيها نذير » أما مكافأة هؤلاء الباحثين فهى فهمهم اعتقادات من يختلطون بهم فهما معقولا . ولا يتسني لعـارف الدين فهمه الا كما يتسني للعارف باللغة فهمها . ولا ديانة منفردة تمام الانفراد عن الديانات اذ آساس وقواعد الديانة المسيحية مثلا متصلة باعتقادات كانت قبل المسيح بمدة تقرب من عهد ابتداء الحضارة لا بل من بداية الانسان

اذا كان الباحثون الذين درسوا ديانات الهمجيين لم يقدروا الحقـائق التى رأوها حق قدرها فلا عجب من تسرع من يحكمون على الاشياء وليس لديهم من الحقائق ما يؤيد حكمهم الذى لا أهمية له بغيرها حكى سائح من سياح القرن السادس عشر عن سكان « فلوردا » قال « أما هؤلاء النـاس الذين لم نفهم لغتهم ولم نهتد الى محادثتهم بالاشارات فنظن أن ليس لهم ديانة

مطلقاً وأنهم يتبعون أهواءهم » أما الاخبار الصحيحة المختصة بهؤلاء الناس فتنبئ بان لهم دينا . ولقد نفت الاخبار الصحيحة كثيراً من الاحكام التى تسرع أصحابها في النطق بها مثل قول « الس » أن سكان مدغشقر لا فكر لهم فى الآخرة ولا كلمة تؤدى معنى روح أو عفريت . وقول « دبييه » انه بحث عن ديانة سكان « تيمور » فأخبر ان لا دين لهم

وقو سر «تمس رو » ان « الهوتنتوتيين لا يعرفون الها ولا دينا » . .

ومن بين الاخبار العديدة التى جمعها لورد « آفبرى » وقدمها كبراهين على عدم وجود دين لبعض الامم الهمجية أو أن أديانهم منحطة ما هو عرضة للانتقاد من الوجهة التى تقدمت

من ذلك أن قوله ان سكان جزيرة « سموا لا دين لهم يدحضه وصف « ترنر » الدقيق لديانة سكان سموا . وقوله أن » تيوبينامبي » برازيل « ليرى »و« دى لاريه »وآخرون عن مبادئ لا دين لهم لا نسلم به مع وجود مادون ما يعتقده وما يعمل به الجنس « التيوبيى » ولشد ما يصعب على الانسان فى بعض الاحيان أن يستنبط من الهمجيين تفصيلات دينهم مع علمهم بلغتهم وعنايته وطول اختياره لهم اذ يجتهدون في اخفاء عبادة آلهتهم عن الاجانب الذين يتنسمون الاخبار وكأن آلهة المتوحشين تنكمش أمام اله الابيض القوى كما ينكمش الهمجي أمام الابيض وما شاهده مستر «اسبروت» من هذا القبيل مثال حسن . قال « أقمت بين ظهرانى « الاهتيين » سنتين وعقلى دائما موجه نحو موضوع اعتقادهم وعجزت عن اكتشاف ما اذا كانوا على شيء من اعتقاد قوة كبيرة حاكمة أو بعث بعد الممات . وكان يخبرنى التجار الذين على الشاطئ كما كان يخبرنى من هم على بينة بالاهالى أن ليس لهم هذا

الاعتقاد . وكان يحقق هذا القول محادثتى لبعض الهمجيين الاغبياء ولكنني اهتديت بعد المشقة الى نتيجة راضية »

واتضح أخيراً أن « الاهتيين» كانوا طول المدة مسرين سلسلة مبادئ دينية عن الروح وسرحها وعفاريت السوء وملائكة الرحمة والاله المتعال . اذاً يجب علينا ألا نصدق نفس ماينفيه الباحثون القليلو الخبرة بالقبائل والعديمو العطف عليها. ولو لم يكن لديها من دامغ الحقائق ما يثبت أن لهذه القبائل دينا

اذا أراد الانسان أن يدرس ديانة الامم المنحطة درسا نظاميا فيجب عليه أولا أن يضع تعريفا بسيطا للدين لانه اذا جعل ضمن تعريفه الدين اعتقاد اله أكبر أو مناقشة الحساب بعد الممات أو تخيل الاصنام أو تقديم القربان فلا ريب فى أن ذلك يحمل قبائل عديدة تعد غير مدينة بدين . ولكن هذا التعريف الضيق يخطئ قائله فى اعتباره الدين مطابقا تمام المطابقة لبعض درجاته الراقية وكان الواجب أن يجعله مطابقا للوازع النفسي الباعث للاعتقاد. وان خير تعريف ما تضمن المنبع الاساسى ألا وهو اعتقاد الموجودات الروحانيـة . اذا لاحظنا هذا الاساس فى الحكم على تدين القبائل المنحطة نحصل على هـذه النتيجة وهى : لا يمكن أن نحكم قطعيا بان كل قبيلة موجودة تعتقد الموجودات الروحانية لان حال كثير من القبائل غامض ولا يهدينا الى نتيجة لهذه المسألة وربما لن نهتدى أصلا لسرعة تغير هـذه القبائل او زوالها واذا همنا بذكر كل قبيلة ذكرت فى التاريخ أو عرفناها مما اكتشف من الآثار القديمة بانها وصلت الى أقل درجات الدين فلا اعتماد على قولنا . وما أبعدنا من الحكمة اذا قررنا ان هذا الاعتقاد الهمجى طبيعي ألهمه المخلوقات فى جميع الاجيال ، اذ ليس لدينا حقائق تؤيد القول بان

الانسان القابل للنمو العقلي الكثير لا يمكن أن يكون قد خرج من غير حالة دينية الى الحالة الدينية التي رأيناها عليه في الحالة الهمجية لما وصلنا الي معرفته. ولكن الواجب علينا الآن أن يكون أساس بحثنا النظر والاستقراء لا التفكير البحت . وحينئذ نقول أن ما وصل الى أيدينا من كثير الحقائق يجعلنا نصرح بان اعتقاد المخلوقات الروحانية شائع بين جميع الطبقات المنحطة التي عرفناها حق المعرفة. أما من يخالف قولنا فاما أن يكون كلامه على القبائل القديمة أو على القبائل الحديثة التي لم تعرف حق المعرفة

علاقة هذا الكلام بمسألة أصل الدين تنحصر على ما يأتي: اذا برهن على وجود قبائل في أى زمن كان لا دين لها فذلك مما نقابل بانشراح اذ ندعى أن هؤلاء يمثلون حالة الانسان قبل أن يرتقى الى حالة التدين ولكن ليس من الضرورى أن نقدم هذه الحجة لان اثبات وجود قبائل غير متدينة يتوقف على حقائق لا يشوبها تشويه أو تقصير . وزيادة على ذلك أن رفض هذه الحجة لا يضعف نظرية نشوء الدين وارتقائه اذ من الجائز ألا نجد فى أيامنا قبيلة غير متدينة وهذا لا مساس له بمسألة رقى الدين الا بقدر ما تمس مسألة استحالة وجود قرية انجليزية الآن ليس فيها مقص ولا كتب بمسألة أنه مر زمن على بلاد الانجليز لم يكن لهذه الاشياء أثر فيها .

قلنا ان لكل مخلوق دينا على قدره بيد أن أربعة منها تمكنت من قلوب المخلوقات ونجم عنها حروب غيرت وجه الممالك . هذه هي أكبر الديانات أهمية وأشملها انتشاراً . وهى الاسلام والنصرانية والبوذية والهندية. ولنبدأ بذكر علاقات بعضها ببعض سياسياً . وما قوبلت به كل ديانة من الممالك والحكماء الذين خضعوا لها .

مضي زمن طويل قبل تدوين التاريخ كان الانسان خاضعا فيه لعدة آلهة وتعددت فيه العبادات التي نتجت عن الاساطير الخيالية ونتج تباينها عن تباين أحوال الامم وجدودها . ولا تزال تمثل الدين في هذه الدرجة أمم أواسط أفريقية .

في الامم الهمجية ترى أن الاشغال الانسانية والالهية ممتزج بعضها ببعض كأنها سواء . ولا يمكن أن نفرق بينها . ولكن لما أتمت الفرق السياسية ابتدأت تفصل الواجبات الانسانية عن الالهية لدرجة أنك ترى في بعض الامم الآن ان الضرورات العملية المتعلقة بالحكومات النظامية والاخلاق العمومية تفضل على كل شئ ديني

قد تنمو وتنشر فكرة تعدد الالهة في الامم الراقية عقلا وحضارة . بدلنا على ذلك تاريخ اليونان والرومان. ولكن تأثيرها في الاشغال السياسية في اليونان لم يكن قويا وان كانت قد أثرت بعض الشئ في الاخلاق . كانت وظيفة الحكومة — طبقاً لآراء اليونان — أن تشرع في كل ما يتعلق بالانسان وان تعلي شأن الاخلاق . فكانت قوانينهم تحرم انتهاك حرمة الدين وتعاقب على كل قول أو فعل من شأنه الحط من كرامة الدين

وتعاقب على كل ما يظن أن فعله يجلب على الناس السخط الالهي

أما فلاسفة اليونان فكانوا يعلمون الناس الاخلاق المعقولة ويحتقرون الاساطير ولكنهم نشروا بين الناس واجب احترام الآلهة وحضور الاجتماعات العمومية

كان مستوطنو كل محل يتبعون ماعودوه من العبادات بحرية تامة

ولكن حرية الدين كما فهمها الاولون بينها وبين أصول الحدودة الدينية الحديثة بون شاسع . فمثلا فى عهد الحكومة الرومانية كانت العلاقة بين الحكومة والدين كانت تزداد وثوقا باتساع ملك رومة وقوتها وكان للحكومة الرومانية الاشراف التام على الرسوم الدينية التى كانت معتبرة تابعة لقسم من الادارة : الغرض منه توثيق الروابط بين الناس بجامع الدين المتبع لتفريق الوحدة السياسية والاجتماعية . حقا ان الرومان لم يتداخلوا فى الشؤون الدينية فى مستعمراتهم لان سياستهم فى الاستعمار كانت كسياسة الانجليز فى الهند أى من شأنها الابتعاد عن مس كرامة الدين . فسهلت تلك السياسة عليهم حوز ممتلكات شاسعة فى زمن يسير فاستفادوا من وراء ذلك ماديا . على أن رومه كانت تسعى فى توحيد مراكز جميع العبادات . فكانت توقر آلهة الامم المغلوب على أمرها وترضيهم وكان القواد من الرومانيين يتضرعون ويطلبون اليهم ان يكافؤوهم ويشملوهم بعنايتهم . ثم يجعلون لهم أسماء رومانية وينتخبون لكل اله الها رومانيا يمثله فى « البانثين » — أى ان الالهة الاجانب كانوا في الحقيقة يصبغون صبغة رومانية كما كانت تصبغ القبائل والمدن الاجنبية . على هذه الكيفية جمعت الامبراطورية الرومانية بين التسامح الديني وعظيمة الحكومة المركزية . ونجم عن الارتباط السياسى ادخال بعض صفات الهية فى عالم السياسية فصار الملك يعتبر مثال القوة والبطش ثم صار يعتبر الصورة الظاهرة للنفوذ فى منتهاه . وقبل هذه السياسة كل بسطاء أوروبا .

ولم يسبق للرومانيين — على دهائهم حتى ذلك الوقت عهد بحمية دينية ولا بمعجزات ولا بتمسك بالدين . ولكن كثر توجهم واتسعت تجارتهم فى الشرق فبدخولهم آسيا . أغرق أوروبا طوفان الديانات الشرقية فاحتكت

رومه بعوامل دينية قوية يصعب أن تخضع لنظام كالذى خضعت له الديانات الاوروبية ذوات الآلهة المتعددة . ولكن أفلح الرومانيون في سياسة وضع الدين تحت سيطرة السياسة فى ولاياتهم الاسيوية . وتحديد امتيازات المعابد ووضع القسيسين تحت ادارة القناصل المتقاعدين وبعد ذلك صار للالهة الرومانية اعتبار فى آسيا

ظهر الدين المسيحى بمشايخه ورهبانه المتعبدين - داعيا الى التقديس لاله واحد ومنكرا على الامبراطور صبغته الالهية وكانت ديانة الامبراطورية الرومانية على شفا جرف من الانهيار .

فقامت الحرب بين الحكومة والديانة الحديثة التى كانت تقاومها وأسفرت النتيجة عن انتصار الديانة المسيحية وانتشارها فى طول الامبراطورية وعرضها. فانعكست الحال وصارت الكنائس أكبر نفوذا من الحكومة لا بل صارت الحكومة آلة تشتغل لنشر الدين . كانت الحكومة ذات الآلهة المتعددة تصدر قررات ضد الديانة المسيحية فلما فازت الديانة المسيحية صارت هى التى تصدر القرارات ضد منازعتها وتوصد أبواب معابدها حتى أتى عهد قسطنطين فحدث الحادث الجلل وهو اصدار قسطنطين أمره بأن تكون الديانة المسيحية فقط ديانة شعبه .

بعد ذلك أتى عهد سقوط الدولة الرومانية الغربية باغارة الامم المتبربرة عليها . سقطت فبنى على انقاضها الكنيسة الكاثوليكية الكبرى التى حافظت على السلطان الاستبدادى وكانت وظيفة الكنيسة العظمى جمع اشتات الامم الغربية المختلفة المشارب السياسية تحت لواء واحد ذلك هو لواء الدين .

لم تلبث الديانة المسيحية وقد استتب لها الأمر — أن دوهمت بالديانة

الاسلاميـة التى هزتها هزة اقتلعتها من جـذورها . اقتلعتها من غرب آسيا ومن الشواطئ الجنوبية للبحر الابيض المتوسط .

أما الدولة الرومانية الشرقية فكانت ملاءى بالاختلافات الدينية المرة. وأما أتباع خاتم الانبياء صلي الله عليه وسـلم فكانوا متحدى الكلمة لذلك ساروا سريعا على سورية ومصر ثم محيت الكنيسة اللاتينية واللغة اللاتينية من شمال أفريقا وهزم الفارسيون وتدين السواد الاعظم من أهل بلاد فارس بالاسلام ثم فتحت أسبانيا وصباء أهلها . ثم فتحت الدولة الرومانية الشرقية بالعثمانيين . ولقد أخطاء المسلمون فى تسامحهم الدينى مع البلقانيين اذ نشأ من ذلك بلاً مبين وشر مستطير ولو أنهم أجبروهم على الاسلام كما أجبر الاسبانيون المسلمين على النصرانية لأمنا اثارة الروسيا لمسيحي البلقان رغبة فى جعل عالى الاسلام سافله .

ان اصطدام الاسلام والنصرانية طويلا عند الحدود الاوروبية والاسيويه هو بداية الحروب الدينية التي سودت تاريخ الامم الغربية وسببت استمرار اللدد المتمكن من قلوب كل من الاسيويين والاوروبيين . ثبتت قدم النصرانية فى أوروبا وصار للاسلام نصف آسيا . ولكن الاصطدام الشديد بين الدينين سبب التعصب الديني فى نفوس النصارى فكانت الحروب الصليبية باعثة لروح التعصب والبغضاء لدرجة لم نعهدها قبل هذه الحروب في تاريخ الاديان وصار بعدها الغرض من الفتوح والاستعمار نشر الدين بواسطة المبشرين .

ولما حدث الاصلاح الدينى فى القرن السادس عشر انقسم سكان أوروبا الى قبائل متعادية واشتعلت نار الحروب السياسية التى هاجتها معضاة العداوة الدينيـة . لذلك دون في تاريخ أوروبا وغرب آسيا انه كان بين الحكومات

وديانتها الارثودكسية علاقات وثيقه كان لها أشد التأثير في سياسة الامم وجدها أو سوء طالعها ردحا طويلا .

لغاية القرن السادس عشر كانت سياسة الاسلام والنصرانية اجبار الناس على الاستمساك بالارثودكسيه وكان عن واجبات الحكومة العمومية أن تضرب على أيدى الكفار أو تنفيهم من الارض أو أن يصبأوا . اذ كانت الحكومات تعتقد أن توحيد الدين فى المملكة ضرورى لتوطيد الوطنية اذ من الصعب رسوخ قدم الحكومة الا اذا كانوا مخلصين لها ملتفين حول عرشها وهذا لا يتأتى فى أمة كثرت فيها الفرق الدينية المختلفة .

على هذه المبادئ رسخت دعائم الاسلام والنصرانية متحدة مع حكوماتها ومنذ الحروب الدينية التى حدثت في القرنين السادس عشر والسابع عشر لم تتغير الحدود الجغرافية ولا المذاهب المتباينة لهذين الدينين تغيراً ماديا

ولننظر الآن الى تاريخ الدين فى الشرق الاقصى الذى لم يدخل فى فتوح اليونان أو الرومان ولم تصل اليه حضارتهما ولذلك لا تزال الاعتقادات والافكار الدينية التى كانت قبل النصرانية منتشرة فيه لكننى سأقصر بحثى على العلاقة بين الدين وحكومتى الهند والصين اذ الديانة الهندية والبوذية لا تزالان ضاربتين أطنابهما في هاتين المملكتين

لقد علمنا ما كان للناس من قوة التأثير في حروب الغرب وسياسته . أما الدين فى شرق آسيا فلم يكن له مثل ذلك . فالحروب الدينية — واعنى بها التي نشأت من تنازع الاديان للسيادة — كانت فيما نعتقد نادرة ولم تظهر في الشرق فيما نظن حتى فتح الاسلام لبلاد الهند . ويظهر أن الحركات والتغيرات الدينية في تلك البقاع لم تكن نتيجة حروب أو فتوح أو ثورات سياسية

السعادة

لقد اشكل على الناس وجود السعادة وادراك كنهها وهل هى منحة من منح الله التى ليس للانسان يدفيها أولها طريق سنة الله لمن يريدالوصول اليها وهل هي ثابتة لا تتغير باختلاف الازمان والاشخاص أو سعادةالانسان تتبدل بكر الليالى وباختلاف البيئة التي يعيش فيها كل ذلك كان موضع البحث قديما وحديثا فذهب كثير من القدماء كفيثاغورس وافلاطون الى ان السعادة هى تلك الراحة المنفسية التى ينتعش من أجلها الانسان عند بلوغه غايته فراحة العاقل بعد اداء واجبه سعادة . ولذة السياسى لتحرير بلده سعادة ... الخ ويرى هؤلاء الفلاسفة أن تلك الحالة النفسية لا يحتاج معها الى غيرها من فضائل البدن وغيرها فقد يكون الرجل سعيداً وهو ناقص الاعضاء معدم وذهب فريق آخر الى ان السعادة النفسية لا تكون بالغة منتهاها حتى تصحبها سعادة البدن أما الاسباب التى اعتبرها الكثير مصدرا للسعادة فهى الصحة والمال . والدين : أما الصحة فانها تكفينا شر كثير من الآلام الجسمية وتجعلنا قادرين على مزاولة العمل اللازم فى تحصيل المأكل والملبس والمسكن غير أنها لا تعطى الا القدرة والاستعداد فقط

وقد تتعطل القدرة بسبب من الاسباب كأن يكون الرجل بالغا منتهى الصحة وهو مع ذلك فى أشد حالات الضنك والاحتياج وما ذلك من موجبات السعادة .

وأما المال فانه يضمن لصاحبه عيشه اليومى ويسهل له اجتياز الكثير من المتاعب المادية غير ان المال لا يفيد شيئاً فى اجتياز المتاعب الادبية فمن شأنه الميل بالهمة الى الفتور واضعاف الارادة .

ومن أهم أسباب السعادة الامل . والمال لا يجعل للامل محلا لانه يسهل الحصول فورا على المراد وذلك يؤدى الى ضعف لذة الانتظار فالمال يضيع الاهتمام بكل شئ ومتى ضاع . الاهتمام فقد الرجل ذوق سعادة الحياة ذوقا صحيحا فلا يحفل بشئ ولا يحمله شئ على الا اهتمام .

بقى علينا الدين . وقد اعتبر بعضهم كافيا فى تحصيل السعادة فان الدين يساعد كثيراً على اجتياز متاعب الحياة النفسية الا انه ان لم يصادف فى نفس صاحبه قدرة على العمل واستعدادا للكد كان تأثيره قاصراً على التوكل والاستسلام الى حكم الايام ولقد يتذرع الناس بذلك الاستسلام الى الكسل والخمول ويقولون فى أنفسهم ان الحياة لا تساوى تلك المتاعب. فالدين اذا فسد العمل به يصير آلة ضعف وانحطاط مع أنه قوام الحياة وفيه أكبر معين على تحصيل السعادة ولكن الناس يعزون أنفسهم اذا فسدوا بقولهم ان الله يبتلى عباده المخلصين أو بقولهم (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) الى غير ذلك من الترهات والاباطيل ولقد ينال الاستعداد للعمل بالتربية الدينية الصحيحة ثم لنبين الآن ان التعاليم الاسلامية هى المصدر الاصلى لتحصيل السعادة

اذا قلنا ان السعادة حالة ارتياح تقوم بنفس أولئك الذين يتغلبون على متاعب الحياة كما يقول علماء الاجتماع فان الدين الاسلامى الحنيف يدعوا الى تلك السعادة ويحث عليها فالدين الاسلامى يطالبنا بالعمل ويتوعدنا على الكسل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) يطالبنا بالصبر على المكاره ومغالبة كوارث الحياة . حبب الينا الاسلام الهجرة لاعلاء كلمة الله ونشر دينه وهى الاساس الوحيد للاستعمار (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه

الموت فقد وقع أجره على الله) ولقـد دعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس الى الخروج عن أوطانهـم مهاجرين حتى ينتشر الدين بانتشارهم فى الآفاق فقال أيها الناس ليس الحجاز بدار لكم الاعلى النجعـة فاخرجوا الى تلك الاراضى التى وعدكم الله بفتحها

واذ اعتبرنا السعادة في ركوب البحار واقتناص الصيد كما اعتبرها أهل اسپارطة فقـد دعانا النبي الى ذلك اذ قال علموا أولادكم الرماية والسـباحة وركوب الخيل واذا كان الفيلسوف يري السعادة في البحث عن أسرار الطبيعة وعجائب المخلوقات فان الاسلام رأي ما رأى أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت)

واذا كان السياسي يرى ان سعادة الامم فى استعدادها لصـد غارات الطامعين فان الاسلام قد طلب ذلك من أهله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)

واذا كان الخلقي يرى السعادة فى كبح جماح الشهوات وعمل الخير للخير فان الاسلام يدعو الي ذلك ويحض عليه — (وعباد الرحمن الذين يمشون فى الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما) فالاسلام هو الطريقة القويمة لنيل السعادة ولقـد كانت حكومته فى الازمنة السابقة أعز الحكومات وأشدها بأسا لمكانة الدين من القلوب فلما خضع الناس لسلطان الهوي وعكفوا على الشهوات أصابتنا من الضعف والتفرق ما جعلنا هدفا لسهام الاعداء . فعلينا معشر المسلمين ان نرجع الى كتاب الله وسنة رسوله ونسير على سنتهما حتى يرجع للاسلام عزه التليد ومجده الاثيل .

الشعر العصري

نجلو على قارئ الهداية قطعا شعرية لشاعر عرفه الشعر فارس ميدانه وصدر ديوانه ورافع أركانه وذلك هو الشاعر البليغ الطائر الصيت السيد حسن القاياتي المصري

انا لانقول في وصف هذا الشاعر أكثر مما ينم عليه به شعره ومايتم الاعن شاعرية وافية وألمعية يفخر بمثلها قالة الشعر وبراعة ترفعه الى مكانة أمثاله في المتقدمين

وانا ليسرنا أن يخص حضرته هذه المجلة بنفثاته البليغة فيما يتوخاه من مختلف المقاصد . قال حفظه الله تحت عنوان :

الحرب الحاضرة

بعض التدلل ياكل الأماني — هذا غرامك مود بالقياتي
ما بال هجرك مقضيا توعده — وليس وعد تدانينا بمقضي
أهل لرفقك مطوى الضلوع على — جمر ذكى وداء غير مطوي
ماعهد(احسان) منسيا فهل تركت — لى المولة عهداً غير منسى
سقيا لليل تلاق ماظمئت به — الا ترشفت من معسولها ربي
يهدى لى الشوق خديها ويتحفها — بخدى الشوق ورديا بوري
وفى (الجزيرة) كم زارت بمعصمها — خصري كمهدك بالرقص الفرنجي

قولا (لتركية) العينين رامية ... مهلا كفاك الترامي كل (تركي)
لله أهلوك اذ ردوا عداتهم ... الى الهدى بعد طول الزيغ والغى
هم أشبعوا القوم طعنا فى (طرابلس) ... بالسمهرى وضربا بالسريجى
لا در در بنى (الطليان) اذ حسبوا ... أن ليس وعد تلاقينا بمأتى
مناعم النوك أن يعطوا (طرابلسا) ... ولا تنال المعالى بالامانى
هيهات أو يتلقوا دون ساحتها ... قوما من الجن فى زى الاناسى
لم يحسبوا الثغر محميا كما تركوا ... فى (دورهم) كل (ثغر) غير محمى
ويلى على (حضري) [١] قاد (صبيته) ... جهلا الى كل مر الطعن (بدوى)
لاقى بهلكى اذا جد الطعان بهم ... لاذوا من الطعن بالدين الحنيفى [٢]
تلك (القواذف) قد خارت شقاشقها ... صمت المحدث من ضعف ومن عى
ماذا تنال العدي من جمع معتزم ... عز الحنيفى فيه با (لمسيحي)
اذا الملوك استبدت فى رعيتها ... لم تخش حيف عقيد العدل (شورى)
سد ما تشاء (أمير المؤمنين) فما ... يرتاب قومك فى النصر السماوي
هذا اليمانى فاجعل حده حكما ... ان الحكومة فى حد اليمانى

وقال تحت عنوان

نفثة مصدور

بغيرى لا بى أوقع الضيم أو هما ... فرغما لمن يغضى على ذلة رغما
أبيت فما تهوى الى دار سبة ... خطاى ولو أن المنى كلها ثما

(١) هو قائد الطليان (٢) اشارة الى ما يصنعه الطليان اذا استمر فيهم القتل

أجانب ورد الماء في صفوة قذى ... واشرب دون العز أطلبه السما
اذا ما استذم المرء للناس لم يكد ... يرى عاذرا من لا يقطعه ذما
كفى شرفا ضخما حياء وعفة ... لمن لم يصب في بيته الشرف الضخما
لدى النجم حاج يستهام بها فتى ... يرى نفسه هانت اذا ركب النجما
نجيب من الفتيان من أولعت به ... لياليه من جهل فأوسعها حلما
أذم زمانا أخملتني صروفه ... وهل ردمن غرب الحوادث من ذما
ضياعا لتلك الشمس ان هي أشرقت ... فلم تر فيمن طالعته سوى أعمى
من النبل ان تخفى على الناس طلعة ... وان يعرفوا منك المحامد والاسما
رأوني فقالوا ان تحت ردائه ... هلالا ترجيه المكارم لو تما
عليّ لهم أن ينطق البكم شائق ... من الشعر أهديه وان يسمع الصما
أفي الحق الا يذكر الناس ناشئاً ... بعلم كأن السن تكسبه علما
يعدون نجم الذكر لا القول شاعراً ... وأولى به من كان في شعره نجما
منحناهم جم الملاحة فانثنوا ... الى كل من يونيهم السخف الجما
يسمون للبلوى . فلانا . مبرزاً ... هزيننا بمن سموا طويلا ومن سمى
لقد كان طول الصمت حزما لقوله ... أطالوا هراء القول لوفقهوا الحزما
حمونا كما قالوا الاجادة بتة ... الا كذبوا ان الاجادة لاتحمى
أعيذك ان ترتاب في زي كاشح ... فتحسبه سلما وليس الفتى سلما
سأقطع من لا يمنح النصف أهله ... وان مضّ قطعيه الفؤاد وان أدمى
دعوني ممن يرأم الظلم جانبا ... أبى شرفي الوضاح أن أرأم الظلما

التمثيل العربي

وجورج ابيض

نرى جميع الامم الغربية الراقية تجل النقد وتعتبره أعظم منظم للأعمال ومثقف للعقول ولولاه ما بلغت أعمالهم مبلغها من الاتقان وسلامة الذوق

يخرج الكاتب أو الشاعر للناس ما نفحه به خياله والعالم ابحاثه والمصور ما جاد به بنانه وريشته والحفار تماثيله ويتمنى أن ينتقده مشاهير المنتقدين واثقاً بأنه سيستفيد من دروسهم أعظم مما أحرزه فى المعهد الذى تهذب فيه وياويل من لم تنل عمله أقلام النقد فانه ينقلب على عقبيه بالخسران ويقضى على عمله بالازدراء والنسيان

ان خلا النقد من الغرض وكان رائده الصدق والاخلاص عادبالنفع وقابله الرأي العام بالارتياح ولكننا معشر المصريين نتذمر منه ونتبرم به ونعده من وسائل الانتقام وتصبو نفوسنا الى المدح والتقريظ ونستجدي الكتاب ليغدقوا علينا من فيوض تقريظهم قبل ظهور أعمالنا ولا نزال نلحف في السؤال ونضايقهم ونسد عليهم المسالك فى المنازل والطرق فلا يجدون لهم مفرجا من كربهم ومخلصا من ضيقهم الا التقريظ فيكتبون ما يخالف ضميرهم وما ينفخ أوداج حضرة المؤلف الفاضل بالغرور

تمنينا لو نرى يوما من يستنقذ التمثيل العربى من هاوية انحطاطه فقيض الله لنا جورج افندي أبيض ودخل فى احد المعاهد الاهلية لتعليم التمثيل بفرنسا (كونسير ڤاتوار) فنال فيه الجائزة الثانية فى (التراچيدى) والاولى

فى النطق والثانية فى (الكوميدى) ثم سافر مع الممثل الشهير (سيلفان) الى المغرب وبعض بلاد أوروبا ولم يمكث معه طويلا. فبعمله هذا يستحق وافر الثناء والاجلال لا سيما حينما نعلم أنه ليس من المثرين وانه استعان على نفاذ مشروعه ببيع عين كان يملكها وضحى وظيفته في احدى محطات الاسكندرية ولم يجد من برد وأعانه الا قبيل خروجه من (الكونسير ڤاتوار) فحبذا العزيمة ونعم الاعتماد على النفس لبلوغ الغاية

لم يبلغ نوابغ الممثلين مثل (مونى سوللي) و(لامبير) و(سيلفان) و(كوكلان وأخيه) و(دوفيرودى) و(لوبارچى) و(لولوار) وغيرهم ومشاهير الممثلات مثل (ساره برنار) و«ريچان» و«مرجيريت مورينو» و«ديلفير» و«چان ايدنج» و«وسوزان ديبريس» وغيرهن ما أحرزوه من الصيت وحسن المنزلة الا بعد ما عالجوا التمثيل أعواما طوالا متنقلين من مسرح الى آخر أرقى منه حتي بلغوا غاية الغايات. وفضلا عن نبوغهم فى الفن نراهم معدودين من أفاضل الكتاب والروائيين. ومن ضمن مؤلفاتهم رواية «شيخوخة دون چوان» لمونى سوللى وله أيضاً شعر رائق وخطب جيدة. وقد كتب «كوكلان اينيه» عدة مؤلفات منها «الفن والممثل» و«الممثلون» و«فن قول المونولوج» ومما كتبه أخوه الاصغر «كتاب الناقهين» و«المونولوج الحديث» و«الهراء» و«الضحك» و«المزاح» وغيرها. ومما كتبته «ساره برنار»: «خلال السحب» ورواية «الاعتراف» ورواية «ادريين لوكوڤرور» وقد حازت اقبالا عظيما وفاقت أختها التى وضعها «اسكريب»

من مميزات الممثل التى تؤهله للنبوغ أن يكون عالما بلغته وآدابها ليفقه

خفى المعانى ودقيقها فى المنثور والمنظوم حتى ينبعث فيه التأثر وتترجم نغمة القائه عن شعوره ويطابق تمثيله الحقيقة ولا يتكاف الاشارات والحركات وأن يكون فصيح اللسان ذا صوت مناسب لدوره الذى اختص بتمثيله وذاكرة قوية تغنيه عن الاستغاثة بالملقن والتمتم عند الالقاء

شاهدت تمثيل جورج افندى أبيض باللغة الفرنسية فى رواية « اندروماك » فلم يعجبنى منه الا حسن النطق والالقاء ولكن لهجته ونغمته كانت واحدة لا تتغير وكان يسرع في القائه لدرجة لا تسمح له أن يتمكن من تنويع الالقاء حسب تأثره وشعوره ووفق مقتضيات كل مقام وكان من ضمن جوقه ممثل وممثلتان أدهشوا الحضور بتفنهم وابداعهم وكان أبيض أفندى بجانبهم أشبه بتلميذ لهم وما كان ذلك رأيي وحدى بل شاركني فيه من كانوا حولى من نبهاء الافرنج المولعين بفن التمثيل. وكانت حركاته ملؤها التكلف خالية من الرشاقة وخفة الحركة

ما فتئت هذه الصفات باقية في تمثيله العربى بل زادها سوء النطق وتكلف الالقاء واللحن الفاضح

كان فى « أوديب الملك » عاطلا من هيبة الملوك وعظمتهم وروائهم ولولا ما امتاز به من الملابس لعددناه فردا من الحاشية. ولكنه كان أحسن قليلا فى دور « لويس الحادى عشر » ولولا التأوه وتكلفه فى الاشارات والحركات لما وجدنا للنقد اليه سبيلا

وان كان بعض القراء رأوا « أوديب الملك » حينما مثلها « مونى سوللى » منذ بضع سنين بمسرح الاوبرا فانهم يستقلون نقدنا وينفرون من تمثيله العربي ولو علم القراء أن هذا الممثل العظيم كف بصره منذ أكثر من عشرة

أعوام لزاد تعجبهم ودهشهم. وقد مثل أيضاً منذ عشر سنين تقريباً « لويس الحادي عشر » بمسرح الاوبرا « الـكومندوراريميتى نوفيللى » زعيم ممثلى ايطاليا فأدهش المتفرجين مع كون أغلبهم يجهل اللغة الايطالية فكان آية فى البراعة والمهارة يمثل تمثيلا لا يختلف عن الحقيقة دون تكلف مع طلاقة اللسان وفصاحة التعبير وحسن الالقاء وتنوع السحنة مع التأثر

مثل الممثل الطائر الصيت « لوبارجى » فى اليوم الثلاثين من شهر مارس من هذه السنة رواية « سيرانودوبيرجيراك » وهي المؤلف الرئيسى لنابغة شعراء العصر فى فرنسا « أدمون روستان » بمسرح برينتانيا فوطدت العزم على مشاهدتها ولو أنى رأيتها عدة مرات من غيره وكانت نفسى تحدثنى قبل رؤية التمثيل كيف يكون شأن هذه الرواية مع ممثلنا هذا لانها ليست من النوع الذى يمثله ولم يسبق له تمثيلها وخالجنى الشك لان الرواية شملت أغلب أنواع التمثيل من رقيق المزاح الى شائق النكات ومن شهى المناقشات فى الحب الى رقيق الحيل ومن حماسة الابطال الى رقة المحبين ومن رشاقة فتيان « الجاسكون » وخيلائهم وكبريائهم الى آلام الحب والمصائب وبحران الموت

وما تم التمثيل حتي بهت وأخذ منى الدهش كل مأخذ وحرت في أمرى ولم أعرف من الافضل فى تمثيل هذه الرواية « كوكلان » أم (لوبارجى)

ومن الغريب أن هؤلاء النوابغ لا يقلد بعضهم بعضاً اذ كل واحد منهم يختلف عن الآخر فى القائه ولهجته وحركاته واشاراته وهو الذى يبتدع لنفسه شكلا خاصاً من عندياته

كان يدعونى فضولى الى تكرار رؤية الرواية الواحدة من عدة ممثلين من هؤلاء المشاهير لاقارن بينهم وأرى ابتداع كل منهم . وقد شاهدت

رواية « البخيل » من مؤلفات (موليير) من (كوكلان) و (دوفيرودى) و(لولوار) فلم أر واحداً يشبه الآخر وكلهم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها

يخيل الى أن جورج أفندى أبيض لا يعنى بتدريب جوقه تمام الاعتناء لانى لاحظت أن فهيم أفندى وهو يمثل دور العراف فى (أوديب الملك) يصيح صياح الفتيان الاشداء بصوت كالرعد مع كونه يمثل دور شيخ هم يناهز التسعين وكان هو هو فى دور الكاهن الهرم فى رواية (لويس الحادى عشر) . وشاهدت بعضاً من المنشدين يهزون رؤوسهم بشكل مضحك أشبه بمنشدى الاذكار في الموالد وكل الممثلين لا يحفظون جيداً أدوارهم وينصتون الي الملقن الذى يقرأ بصوت عال يسمعه جميع الحاضرين

ومما يغبط عليه ابيض افندى ان أتاح له الله عبد الرحمن افندى رشدي ذلك الشاب الحقوقى الاديب الفاضل من كان فى عقد جوقه درة يتيمة وفى سماء المسرح بدراً تماً ولقد جمع بين الفصاحة وحسن الالقاء واجادة التمثيل معبراً عن شعوره وتأثره باصوات تختلف نغماتها دالة على ما يخالج فؤاده من رقيق العواطف وشديدها . وكان رشيقاً فى مشيته خفيفاً فى حركاته وسكناته وقد ظهرت آيات مهارته في دور نيمور في رواية (لويس الحادى عشر) حتى سحر الالباب ببراعته وانطلقت اليه الالسنة من كل صوب ناطقة بالثناء والاعجاب والاكف بالتصفيق الحاد

كان المتفرجون يتساءلون كيف برع هذا الشاب لاول وهلة دون أن يعالج التمثيل أو يطرق أبواب (الكونسير فاتوار) ؟

يذهب عنهم العجب لو علموا أنه منذ صغره وهو مولع بالآداب العربية

والافرنجية وانه قرأ مؤلفات (ڤيكتور هوجو) و(لا مارتين) و (الفريد دوموسيه) و (موليير) و (راسين) و (كورنيي) و(جوت)و (شكسبير) وغيرهم من شعراء الافرنج وكان يحل العويص من شعرهم ويفهم خفى المعانى دون اجهاد فكر . وما كان ليفوته ممثل عظيم سواء كان فرنسياً او ايطالياً او انكليزياً أو صقليا وقد رأى أخيراً (جراسو) عدة مرات بمسرح عباس وهو يمثل بلغته الصقلية .فمعرفته بالآداب ومواظبته على رؤية التمثيل الجيد وذوقه السليم الرفيع وميله الشديد الى التمثيل هى التى هذبته وأهلته لهذه المنزلة السامية فى الفن وسيكون له شأن عظيم بعد قليل من الزمن

ألحان الاناشيد جيدة هى والموسيقى ولكن عدد الموسيقيين قليل جداً ويلزمه على الاقل خمسة وعشرون ويكون فيها بعض الآلات النحاسية لتوازى قوة أصوات المنشدين ولا تغطى عليها وعدد الموسيقيين بمسرح الاوبرا ستون دائما . وما الفائدة اذن من وجود عدد قليل من الموسيقيين لا يظهر صوت آلاتهم الوترية بين أصوات المنشدين

لاحظت عليهم أيضاً انهم لا يوقعون بين الفصول الا ادواراً تركية ولا أدرى ما الذى حداهم الى هذه الفكرة هل اعتقادهم بأنها ارقي موسيقى فى العالم أم ظنوا أن أذواق جميع الحاضرين ميالة اليها . لا أنكر عليهم الرأى الاخير وان كان فيه استثناء كثير ولكن السبب راجع الى عدم التعود الذى جعلنا نسمع الموسيقى الغربية باشمئزاز وننفر منها لجهلنا بها وعدم اعتياد آذاننا سماعها . فالاجدر بهم اذن أن يضربوا تارة قطعة تركية وطورا دوراً

غريباً لنرضى الفريقين ونعتـاد شيئاً فشيئاً فهم أسرارها الخفية ونغماتهـا السامية ومعانيها الدقيقة

ومن الغريب أن رواية مثل (أوديب الملك)تبلغ من العمر ٢٣٢٧ عاماً ويوقعون لها فى أدوار رقصها (ڤالزات) حديثة من المبتذلة فى قهاوي الرقص الافرنجية فكان الاولى لهم أن ينتخبوا لها فصولا من رقص الاوبرات القديمة وهذا شيء لا يعد . أما رقص رواية (لويس الحادى عشر) فكان مناسباً جداً للمقام ولقد أحسن الشيخ سلامه حجازى فى وضع لحن نشيده على نغمة رقص (التارنتيلا) الذى كان يرقصها القرويون يصحبها قطع أخرى متنوعة فى الرقص فكان الغناء والحركات والموسيقي على نغمة وحركة واحدة وهذا مما يدل على ما أسعد به الشيخ سلامه من سلامة الذوق

وقبل التكلم على تعريب الروايات وانشائها نلفت القراء لامر وهو ان التمثيل واسطة لتسهيل فهم ما استتر من خفى المعانى وعويصها وابراز الانشاء للسامع باكمل معانيه وأبهى محاسنه والفضل فى ذلك راجع الى فصاحة الممثل ومهارته فى الفن وحسن الالقاء . والناس لا يهرعون الى المسارح تطلعاً الى المناظر أو شوقاً لرؤية الوقائع والحوادث اذ لو كان الامر كما ذكرنا لاغنانا (السينماتوغراف) عن أهم المسارح ولكننا نؤمها طلباً لاستماع شعر رائق أو نثر شائق تزينه بلاغة نادرة ومعان باهرة يتخللها من رقيق العواطف ما يلين الافئدة القاسية وحبذا لو أسعدت باسأن ممثـل فصيح ماهر يزيدها جمالا وتأثيراً

من أنعم النظر فى ترجمة الروايات وجـدها ممسوخة مشوهة ركيكة التعبير سخيفة الالفاظ والتراكيب مما ذهب بمعانيها الرائقة وكساها اطماراً

بالية سترت محاسنها ونفرت منها الاسماع والقلوب . واليكم أيها القراء بعض أمثلة من رواية (أوديب) — فان كان ذلك كذلك - يا امرأة (وقد تكررت مراراً عديدة فى خطاب الملك لزوجه والملكة لخادمها) مع أن الترجمة الفرنسية لم يذكر فيها غير (سيدتى) وأظن أن المعرب رأى أن لفظ (امرأة) ملائماً للآداب السامية اكثر من لفظ (سيدتى) — وكان مشهدموتها مشهداً هائلا — المواشي - (وهى كلمة ابتذلت على السنة العوام والقرويين وتكررت بلفظها من اول الرواية لآخرها وان كان العلم بارح الصدور فانه لم يفارق السطور وحولنا من كتب اللغة والمترادفات شيء وافر) وكثيرا مايتكلف السجع السمج ومن ضمن سجعاته التي حفظها عن كتاب الف ليلة وليلة قوله : فاصبح فى هم شديد وغم ما عليه من مزيد — يلتمس تخلصاً يتخلص به — وقد فاته انه من الادب أن لا يستعمل الكاتب لفظاً مهما كان عربياً فصيحا ان كان معناه فى العامية قبيحا كاستعماله (البشر) عدة مرات وهاكم بعض نماذج من فصيح انشاء (لويس الحادي عشر) يعد له فى روايته نحو الثمانين مرة قوله (ومع ذلك (— مع ذلك نراه غيرة من ولى عهده حريصا على التاج يريد أن يحمله وحده وان ناء به الحمل فهو وان يكن نصف حي رجل فى القصر ورجل فى القبر لا يزال قابضاً على مطلق السلطان نعم هذا رسمه هذا هو بالذات

نراه فى الصحيفة السادسة فى الفقرة التي يخاطب بها (كواتييه) (كومين) وأولها بل (بل هو فى نظرى شديد) قد مسخها ولم يراع الاصل وترك منها خمسة أبيات وهي السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر من الفقرة . ومن رقيق عبارات هذه الجملة قوله : ثم هو الذى أشار على بدخولى البلاط معللا

ایای بسمو المكانة وتسلطت بعلمي على ذلك المتسلط عليكم جميعا — فنيمور — اذن سبب نعمتى مع ذلك ما استطعت حمايته — وقوله فى مواضع أخرى — مخافة واش يشى بك (وهي أشبه بقولهم كوشن شين واشكوك كوكك كي ينفك عن كدرى — فان لا استبد به يستبد هو بى ولعمري أما هو مستبد بى — أنا ثم أنا على انه اذا كان — لقد نكد عيشى لذلك أنكد عيشه — على أن الجو جميل اليوم والفلاحين فى رقص وطرب وذلك مما يجعل زيارة الملك لبيعة العذراء بهيجة الرونق فيبعث الى نفسه شعاع السرور — بين أيدى مراضع جاهلات منصرفاً الى الالعاب الصبيانية بلا تعلم ولا تربية — ومنذ أتى بى الى هنا أى شئ أفدته — لسرعان ماتنسين كلام أبيك — لا تمل ربما فوالله لاخلعن فؤاده رعباً ولو لم يشعر الا بهذا العذاب لكنى — أريد أن أشاهد جبينه الملكى يصفر أمامي فقد رأى هو اصفرار جبيني — اذن فليمنحنى اياها — تلك بعض أمثلة من صدر الرواية وما على القارئ الا أن يطالعها لآخرها ليشاهد الفصاحة المتدفقة والبلاغة المتفجرة والبيان الساحر والاعجاز الباهر

وسنكتب كلمتنا على تمثيل رواية (عطيل) حينما نشاهدها في اليوم التاسع من ابريل

شاهدت رواية (عطيل) فوجدت فيها جورج أفندى أبيض كما شاهدته فى رواية (أوديب) بل زاد جمودا فى الحركات وبطأ فى الاشارات فكان يخيل الي أنه شيخ في السبعين من عمره وكان فى صياحه المتواتر يخرج من حلقه صوتا أشبه بخوار البقر ورأيته لا يفارق الملقن لعدم حفظه دوره

رأيت عزيز أفندى عيد في هذه الرواية وحدها فاعجبني قليلا فى تمثيل

دور لئيم شرير نمام منافق ولكنه سيء النطق ضعيف الذاكرة جداً وان حفظ كلمة يذ ى ثلاثا . ينطق بكلمات متقطعة كطفل يتهجي وقد وجدته سمجا فى حركاته وسكناته . ولا حظت ان فهيم أفنـدي فى دور (الدوج) أحسن من دروه في الروايتين السابقتين لانه يحسن دور الملوك والامراء لاختصاصه به من عهد بعيد

ولقد اخمد تأثير المشهد الاخير في فؤادي جمود الجند والحاشية وعدم تأثرهم ودهشهم من رؤية هاته الجثث الهامدة المضرجة بدمائها فكانوا كالنيام أو الخشب المسندة

ما فتئت الموسيقى توقع فى أدوار الرقص (الفالزات) المبتذلة المرذولة المهجورة وقد تحققت الآن ان أغلب الموسيقيين لا يستطيعون ان يوقعوا ادواراً من الموسيقى الراقية « كالاوبرات » فالاجدر بابيض افندي ان يستعين بالموسيقيين الافرنج ولا يترك في جوقه من الوطنيين الا القادرين على توقيع اية قطعة مهما بلغت صعوبتها ونصف الموسيقيين بمسرح الاوبرا من المقيمين بالقاهرة والمدينة حافلة بمئات من مهرة الموسيقيين

أما ترجمـة (عطيل) وانشاؤها فهما كالحسناء وخيالها فى المرآة جمعت بين البلاغة النادرة ومتانة الاسلوب وسبك المعانى الافرنجية فى قالب عربى صميم يزينه ذوق سليم وتراكيب تستهوى الافئـدة رقة وعـذوبة وتقع فى الآذان كرنات المثالث والمثانى . فلا فض فوك أيها الكاتب القـدير وان عظام (شكسبير) لتثني عليك فى قبرها فقد حافظت على جمال انشائه ومعانيه وابرزتها لمصر فى ثوب قشيب من البلاغه

وانى أقترح على أبيض أفنـدى أمرا نافعا مفيداً يأتى بالغاية المنشودة

وهو ان يعمد فى الترجمة الى سبيل المنافسة العامة ويعلن للملأ الرواية التى يريد تعريبها ويعين جائزة لا تقل عن أربعين جنيها تعطى لمن يحوز قصب السبق فى مضمار الترجمة والانشاء وينتخب بعد الاستشارة لجنة تحكيم من أعظم النابغين في الآداب الافرنجية والعربية وأفاضل الكتاب فى العربية يناط بهم اختبار الترجمة والانشاء

سمعت ان جورج افندى سيحضر رواية سيرانودوبيرچيراك بعد الانتهاء من ترجمتها فاخذ منى العجب كل مأخذ لصعوبة دور «سيرانو» ودور «روكسان» وقد بينا ذلك فى موضعه . وفضلا عن ذلك فان الرواية جمعت من النكات الافرنجية والهزل مالا يستملح الا فى لغتها وعند قومها وكلنا نعلم ضعف الممثلات فاين نجد من يستطيع ان يمثل دور « روكسان »

لعمرك قد سلكت طريقا وعرا تحفه العقبات وان استطعت سلوكه فانك لا تجنى منه الا السخرية والا زدراء

وقد فاتتك رواية عربية قريبة المنال فى التمثيل طار صيتها فى الآفاق وجمعت بين رقيق القريض وساحرا لمعانى وشائق الالفاظ ومكارم الاخلاق والآداب السامية العربية كانت تستحق ان تكون فاتحة لتمثيلك الا وهى رواية (عنترة) للشاعر المجيد (شكرى أفندى غانم) من تفتخر به سورية بل الشرق أجمعه وقد أبت وطنيته الا أن يبدأ بتمثيلها على مسرح شرقي فاختار الاوبرا الخديوية ومن حظه ان كان جوقها وقتئذ مركبا من خيرة الممثلين وفى مقدمتهم الممثلة الطائرة الصيت (مرجيريت مورينو) و (داراجون) و (مونتو). وقد حازت الرواية اقبالا عظيما فى مصر ثم انتقلت الى المسارح الاوروبية وابتدئ بتمثيلها فى مسرح (الاوديون) فاعجب بها الغربيون ايما اعجاب

ودهشوا ان راوا شرقيا يكتب بلغتهم هذا الشعر الشائق وقرظتها أعظم الجرائد والمجلات الفرنسية

تلك كلمات تشف عن خالص النصح واوحى الى بها الوفاء والولاء فان قابلتها بالارتياح وحسن الظن وعملت بها نلت أرقى الدرجات ونهضت بالتمثيل الى اوج علاه وحزت رضا الامة والله يهدى من يشاء الى أقوم السبل والسلام

محمد كامل حجاج

ينبوع الحضارة العربية

صحيفة من كتاب « حضارة العرب » الذى عربه محمد افندي مسعود المحرر الفني بنظارة الداخلية ويقوم الآن بطبعه خدمة للاسلام والمسلمين

*
* *

لما انتقل العرب بظهور الدين الاسلامي بينهم من البداوة الى الحضارة كان نبراس الحضارتين الفارسية والبيزنطية لامع الضياء متألق السناء. وكانوا كلما ازدادوا عراقة فى المدنية ورسوخا في الحضارة علت كلمتهم وارتفع شأنهم اذ لم تمض سنوات قليلة حتى دالت لهم الايام واستولوا على البلاد وأخضعوا لشوكتهم رقاب العباد وصار اسمهم علما على الصولة والاقتدار والعزة والفخار

وما استقر لهم الامر وأمنوا عداوة الخصوم لما وثقوا به من قوتهم وعلمود من شدة بأسهم ورسوخ قدمهم حتى وجهوا تيار عزمهم الى تحصيل العلوم والفنون فزال سناء ذلك النبراس وانبعثت في مطارح أشعته أنوار

الحضارة العربيـة التي ملأت الآفاق سناء ولألاء ثم لم يلبثوا أن شادوا فى أمهات المدائن التي فتحوها معاهد للتعليم والتربية واستدعوا اليهم من أقاصى البلدان جهابذة الاساتذة ونبهاء العلماء لتعريب المصنفات اليونانيـة الشهيرة فى العلوم ومهد لهم القيام بهذا العمل الجليل ان اللغتين اليونانية واللاطينية كانتا الى ذلك العهد على ألسنة المتكلمين فى فارس والشآم اذ معلوم أنه لما نقم ملوك بيزنطية (الروم) على النسطوريين ونزع هـؤلاء الى الفرار طلباً للنجاة بحياتهم تفرقوا فى بلاد آسيا الصغرى أيدى سبا واتخذوا بعض بلدانها مقاما لهم فأسسوا بالجزيرة مدرسة كان من خريجيها جملة من فحول العلماء والادباء الذين تصدوا فيما بعد لبث ما جنوه من ثمار العلوم اليونانية فى تلك المدرسة بين أهل المشرق. ثم اتفق أن جاء ذو النون فعطلها وأغلق أبوابها وأخنى عليها وبدد شمل معلميها فى الاقطار فلجأ بعضهم الى ملوك ساسان الذين حكموا على بلاد فارس من سـنة ٢٢٦ الى سـنة ٦٥١ من الميلاد يستصرخون بهم ويلتمسون حمايتهم وقصد آخرون أرباب المظاهر والحيثيات ليعيشوا فى أكنافهم ويتفيأون ظلالهم فقوبلوا بما هو فوق أملهم من اكرام المثوى وهطلت عليهم غيوث النعم حيث شيدت لهم المعاهد العلمية الكبرى التي تولوا فيها التدريس فبرز منها على أيديهم الكثيرون من العلماء والادباء

وقد اتفق فى ذلك الحين ان الامبراطور الرومانى (يوستنيانوس) عطل مدرستي اثينة والاسكندرية وشرّد علماءهما واساتذتهما فلم يسعهم سوى الانضمام الى أولئك العلماء الاسيويين الذين كانوا طردوا من بيزنطية ليستظلوا معهم بعدل أولئك الملوك الذين آووهم اليهم واحلوهم عندهم المراتب العلية من التكريم والتبجيل فلما وصلوا اليهم قوبلوا منهم بالبشر والايناس

وشاركوهم فى ترجمة مؤلفات ارسطو وجالينوس وافلاطون وابقراط وغيرهم من فحول فلاسفة اليونان وكان لأولئك الاقيال ولع شديد بالاطلاع على ما تضمنته من كنوز العلوم والعرفان لافاضته على رعيتهم وابناء ملتهم

فلما سقطت بلاد الشام وفارس التى كانت خاضعة لحكم أولئك الملوك فى قبضة العرب وجدوا بها بقية صالحة من نفائس العلوم اليونانية فأقبلوا على نقلها الى العربية من اللغات التى كانت ترجمت اليها كالسريانية والفارسية ثم جاؤا بمصنفات غيرها مما هو مدوّن باللغة اليونانية ولم يتناوله النقل وجدّوا فى ابرازه من هذه اللغة الاعجمية الى اللغة العربية الفصحى ودأبوا على ذلك حتى توفرت لديهم معدّات العمل وأصبح ما حصلوا عليه من نفائس العلوم واعلاق المعارف اليونانية كافياً لارشادهم الى طريق الاجتهاد والتوسع فيه بقدر ما يؤذن به استعدادهم

وما كانوا يبلغون الى المرحلة الاخيرة من هذه الطريق ويعلمون أن ما بين أيديهم من المنقولات أصبح دون همتهم وصار في عداد الحقائق البديهية بالنسبة لهم حتى عمدوا الي تعلم اللغة اليونانية نفسها وسبر أغوارها للتوصل الى استكناه أسرار العلوم وفك طلاسم المعارف التى لم تتناولها أيدى المترجمين فأبرزوها فى أبهى حلة من اللغة العربية وجعلوها قريبة المتناول لجميع الطالبين

وقد ذكر المؤرخون الذين طهرت ضمائرهم من اقذاء الاغراض أن العرب لما استولوا على الاندلس تعلموا اللغة اللاطينية وغيرها من اللغات التى كانت شائعة الى عهدهم فى بلاد أسبانيا وأنه لا يزال يوجد فى مكتبة

الاسكوريال منها مصنفات وضعها مسلمو العرب باللغة العربية مع احدى اللغات اليونانية أو اللاطينية أو الاسبانية وهي من قبيل ما يوضع في أيامنا من المعاجم لمفردات لغتين من اللغات

يؤخذ من ذلك أن العلوم اللاطينية واليونانية كانت لكل عربي أراد الايغال في ميادين العلوم الاساس الذي يركن اليه وأن اليونان هم الاساتذة الذين تلقى العرب عليهم الدروس الابتدائية في العلوم والفنون وهذه الحقيقة لا يأتيها الريب ولا يعترضها الشك ولكن مما لا مراء فيه أيضاً ولا مشاحة هو أن العرب لم يقفوا عند حد ما علمهم اليونان اياه بما نقلوه من كتبهم الى لغتهم ولم يكتفوا من بحر العلم بعصة الوشل بل تجاوزوا ذلك الحد مندفعين الى الامام أنفة منهم أن يقال أنهم جمدوا على تلك القشور وأنهم آثروا البقاء في سلك التتلمذ لليونان فتوسعوا فيما حصلوه وبنوا على مقدماته النتائج وكان لهم من حسن الاستعداد وصدق الميل والنشاط الذاتي للتحصيل أقوى مساعد وأكبر معين

والمطلع على المصنفات التي وضعوها وتنزلت كتب اليونان منها بمنزلة الآلات للمقاصد والمقدمات للنتائج لا يسعه الا أن يقف مبهوتا أمام الأثر الباذخ الذي شادوه بفضل اجتهادهم في تحصيل العلوم . فاذا كان ثمت أمة نافست العرب في اجتهادهم وبلغت فيه مبلغهم فلسنا نعتقد قط بوجود أخرى حازت قصب السبق عليهم وتركتهم بعدها من المختلفين لان العرب جعلوا دأبهم تعميم العلوم واذاعتها في سائر الارجاء فكانوا كلما دخلوا قرية أو امتلكوا مدينة شادوا بها مسجدا ومدرسة الى جانبه ولسنا نغالي اذا قلنا ان هذه المدارس كان يبلغ عددها في المحلة الواحدة مبلغا لا يكاد الانسان يسلم

بصحته على انه الحقيقة التى لامراء فيها . ولقد ذكر المؤرخ بنيامين المولود بمدينة طليطلة والمتوفي بها سنة ١١٧٣ من الميلاد وهو من قوم اشتهروا بالحقد على مسلمي اسبانيا والكراهيه للاسلام أنه زار مدينة الاسكندرية فألفى بها اكثر من عشرين بناية فسيحة الجوانب رفيعة العماد شيدت بأمر الخلفاء وعلى نفقاتهم الخاصة لتكون معاهد للتعليم والتربية وهى عدا ما لا يعد من المدارس الصغرى التى تلقن بها للتلاميذ الذين يريدون الدخول فى تلك المعاهد العليا مبادئ العلوم الابتدائية

وكان فى كل مدينة من المدائن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة وغيرها سرى أمثال تلك المعاهد والمدارس مراصد فلكية ومعامل كيماوية ومكاتب عمومية ومنشئات من شأنها تمهيد الاكتشافات العلمية

وقد أجلت التحقيقات الاحصائية فى أمر المكتبات العمومية بديار الاندلس أنه كان يوجد بها منها سبعون مكتبة وان المكتبة الخاصة بالخليفة الحكم بقرطبة كانت تحتوى على اكثر من ٦٠٠ الف مجلد من المصنفات النفيسة والمؤلفات النادرة استغرق حصر اسمائها ٤٤ جلداً وقد كانت مكتبة الملك شارل العاقل الذي حكم فرنسا من سنة ١٣٦٤ الى سنة ١٣٨٠ من الميلاد أي بعد الخليفة الحكم بنحو أربعمائة سنة لا تحتوى فى أزهى مدة من عهده الاعلى ٩٠٠ مجلد فقط

وبعد ان استقصى العرب كتب اليونان واستخرجوا منها دفائن العلوم أدركوا أن التجربة والمشاهدة هما المرشدان الوحيدان الى الغاية التى امتدت اليها أعناقهم وسمت نحوها مطامحهم من التوسع فكدوا وكدحوا فى استنباط

المخترعات والمكتشفات التي تتقلب في بحبوحتها الآن الشعوب الاوربية العريقة في الحضارة والعمران

ولقد أجمع مؤرخو الافرنجة على أن روجر بيكون وهو ذاك العلامة الانكليزي الذي عزى اليه اختراع البارود أول من اتخذ المشاهدة رائداً والتجربة مرشداً في الابحاث والتحقيقات العلمية وهو زعم اكبره وهم أولئك المؤرخين أن الافرنجة سباقو غايات في كل باب ومطلب ولكن لم يلبث الباحثون في آثار السلف أن اجمعوا على بهتانه ذلك لما نهض عندهم من الادلة على أن العرب كانوا أول من رجع الى تينك القاعدتين في حل عويصات المسائل العلمية واستكناه الحقائق الفنية ولما قرره العلماء الذين عانوا البحث والتنقيب في الكتب العربية مثل المؤرخ همبولدت الذي أثبت أن العرب كانت لهم القدم الثابتة في العلوم وانهم أول من بنوا معلوماتهم على أساس متين من التجربة والمشاهدة حيث قال : « ولقد بلغ العرب الى هذه الدرجة وسموا منها الى ما يليها من الدرجات »

وقال المؤرخ سيديو : « ان الذي أبعد صيت مدرسة بغداد في آفاق المشرق والمغرب وجعلها رفيعة الرتبة ملحوظة المنزلة انما هو سلطان العمل الذي استولى على أساتذتها وطلابها وسائق البحث الذي ذهب بهم من توطيد أركان المعلومات الى استخراج أسرار المجهولات ومن الخيالات الى الحقائق ومن الاسباب الى المسببات ومن المقدمات الى النتائج حتى صار من ديدنهم ان لا يسلموا بقضية من القضايا الا بعد التمحيص الطويل والتعزيز بالادلة الوطيدة وقد عكفوا حتى القرن التاسع من الميلاد سائرين على هذه الخطة التي اقتفى أثرهم فيها الاوربيون منذ عهد حديث فكانت مما مهد لهم

سبيل الوصول الى أبعد غايات المدنية وأقصى مرامى العمران »

فالمشاهدة والتجربة كانتا من القواعد والاصول التى أعتمد عليها علماء العرب في أعمالهم العلمية بعكس الاوربيين الذين كانوا حتى اخريات القرن الثامن عشر لا يطمئنون الا الى ما دون فى أساطير الاولين فلقد ذكر المؤرخ الفلكى (دلامبر) فى كتابه الذى ضمنه تاريخ علم الفلك «أنه كان لا يوجد من علماء اليونان القدماء سوى ثلاثة فقط كانوا يمانون رصد النجوم ومراقبة دورتها فى أفلاكها بخلاف العرب فان الراصدين منهم كانوا يحسبون بالمئات » والذى يراجع التاريخ القديم لا يرى فيه ما يدل على أنه قام من بين اليونان كيماوى واحد طبق العلم على العمل وقاس قواعده على التجربة والمشاهدة أما العرب فقد نبغ بينهم من أصحاب التجارب فى الكيمياء من لا يحيط بهم العد

ولقد كان من ثمار انتهاج العرب سبل المشاهدة والتجارب أن قاموا فى زمن قصير بما لم يستطع فحول علماء اليونان أن يقوموا بشيء منه فى قرون متتابعة وأحقاب عديدة وأن من أوثق الادلة على بلوغ النهضة العربية شأواً بعيداً في القرون الوسطى أن مصنفاتهم فى العلوم كانت ما برحت متداولة بين الطلاب بمدارس أوربا الجامعة في عهد قريب منا وان قد خضعت لشوكتهم قروناً عديدة اكبر الممالك الاوربية المشهورة فى أيامنا هذه بالقوة والغنى والجاه كفرنسا وايطاليا واسبانيا وغيرها

العالم الاسلامي

ضحايا الجهل في مراكش

جاء فى رصيفنا (الهلال العثماني) الاغر تحت هذا العنوان بعدده الصادر يوم ٢٧ مارس ما يلي :

نزح العرب الى مصر فتونس فالجزائر فمراكش ومن ثم أشرقت على أوربا شمس المدنيـة الاسـلامية ومكارم الاخلاق المحمدية . ولم يكد يتخطى العرب العدوة الدنيا الى العدوة القصوى من قارة أوربا حتى سارت تلك المدنية الصحيحة ورافقها العلم والصناعات والعدل

ولقد ظلوا فى بلاد الاندلس القرون المعدودة فكان يختلف الى مدارسهم الامم اليهودية والمسيحية وتتلمذ لفحولهم طلاب العلوم والفنون والفلسفة من الاسبانيين والاتينيين والجرمان

فلما أخذت أوربا حظها من تلك المدنية وأعادت للعرب ما أفادوها من أساحة العلم الجديدة كان هؤلاء قد أصيبوا بامراض الترف والنعيم فسكنت حركتهم وخدرت أعصابهم وخلت من العلم مدارسهم وعقولهم ومن الشهامة والاباء صغارهم وكبارهم . وقد تمكنت الغفلة من خاصتهم وعامتهم حتى أنهم ما كانوا ليفكروا فيما تضمر لهم الامم المجاورة المسيحية ولا ليعرفوا كيف يكون مصير أمرهم

ولقد أفرطوا في الغفلة والاهمال ثم أسرفوا في التخاصم حتى وهن

أمرهم وخف شأنهم وساءت سياستهم وضل تدبيرهم فشغلوا بانفسهم عن عدوهم وتمكنت بينهم العداوة والبغضاء حتى جعلوا يتقاتلون على القاب الامارة ومراسم العظمة فتمزق شملهم وتقطعت أوصالهم وانقسموا طوائف « لكل أمير المؤمنين ومنبر »

ولقد كان من بينهم من جعل يستعين الاسبانيول ويلحق بحاشيته جنودهم وقادتهم فيحكم بذلك سيوفهم فى مرقاب اخوانه المسلمين ويمهد السبيل لحكومة الاسبانيين وهو جاهل لا يفقه وغافل لا يشعر

بتلك المقدمات تمكن الاسبانيول من طرد العرب عن بلادهم بعد أن عمروها عدة قرون فلم يبقوا لهم عيناً ولا أثراً . ولقد سجل التاريخ على برابرة جبال البرانى ما جاءوا فى معاملة المسلمين من الوحشية الفظيعة وما ارتكبوا من الآثام فى سبيل اخراجهم وكأننا بتلك النيران الممتدة اللهب المسودة اللون لا تزال تتسعر فى الميادين والغياض فيلقى فيها من لم يتقبل من العرب الكثلكة ولم يركع خاشعاً أمامها

وكاننا بالناجين من المسلمين الفارين بدينهم وأرواحهم سراعاً يقطعون اللجج مختفين تحت أستار ظلمات الليالى قاصدين سواحل أفريقيا الغربية

سبحانك اللهم وبحمدك . كم في تلك الحوادث من عظة يتعظ بها المسلمون وذكرى يستيقظ بها الغافلون ؟ ولكن القوم فى مراكش نسوا آلام تلك النار التى كوت جنوبهم ولفحت وجوههم

نسوا تلك الفظائع التى بددت شملهم وسلبتهم ملكهم . نسوا ما أصاب حرماتهم من الاستباحة وصغارهم من التنصير والاسترقاق . نسوا جميع

ذلك فاعادوا ماضي تاريخهم وتاريخ جيرانهم من أهل اندلس فاشتد البأس بينهم واستحوذ التنافر والتناكر والتباغض على نفوسهم

ظلوا عدة قرون ينظرون كل يوم الي أوربا التي لا تغيب عن مرمى انظارهم فلا يبصرون ما يدبر بها من المكايد لهم . ويبصرون فيها آيات المدنية والحضارة فلا يهمون باقتباس شيء من آثارها

تطبع من حولهم الكتب وتنشر الصحف فلا ينهضون الى الحصول عليها لتعرف شيء مما بها

ينشر الاسبانيول والفرنسيون برنامجهم الاستعمارية في بلادهم ومطامعهم الاشعبية فيهم فلا تجد منهم من يقرأها أو يبحث عما فيها بله المفكر في محاربتها ونقض أركانها

يبصر المراكشيون السفن تجرى في مياههم فلا يدرون أيجريها البخار أو عفاريت الجن .

يبصرون القطرات تجري على القضبان الحديدية فتحمل الاثقال ونقل الجبال فلا يفكرون في مفارقة بغالهم وجمالهم .

يقع بصرهم على الارض فلا يدركون غير الطبقة التي تطأها أقدامهم ولو عقلوا لابصروا ما في بطونها من المعادن والمناجم والبترول ونحوها من الكنوز الثمينة

يفتح الاوربيون في طنجه ومللادوسبتا ونحوها المدارس ويقيمون المصانع وأولئك يرتعون في أودية الجهالة ويستمرئون عيش الخمول والجمود .

نفثت فيهم الدسائس الاجنبية حتى قام فيهم أولئك الجهلة الاغرار بالغارات والقلاقل والسلاطين هناك عاكفون على اللهو واللعب مشغولون عن الملك والدين بما تحتوى قصورهم من صنوف الشهوات

كذلك ظلت مرا كش القرون الطوال حتى نضجت للآكلين وطابت للمستمتعين من المستعمرين

ولقد أعاد مولاها عبد الحفيظ تاريخ من خلا من ملوك الطوائف في الاندلس اذ قام يبتهل الى فرنسا أن تمده بالجيوش والمدافع وتزوده بالضباط النابغين يريد بذلك ان يطفئ نيران القبائل الثائرة ويؤدب العصابات الخارجة. وما أسرع ما أجابت فرنسا طلبته فلقد حشرت فى أرضه الآلاف من جنودها وحملت لبلاده المدافع الضخام والخفيفة والبنادق المخترعة الحديثة وماعلم ذلك المسكين أنه سيكون هو ومجده هدفا لرصاص تلك البنادق وغرضا لقنابل المدافع

جهل كل ذلك فلا عجب أن خف لاستقبال تلك القوى الفرنسية فرحا مستبشرا ظانا أنها جاءت لنصرته وقهر أعدائه .

ومن غريب شأن هذا السلطان أنه كان يحسن الظن بفرنسا ويستظهر بها على أعدائه والخارجين عليه من قبائل المغرب الاقصى بينا هى مسترسلة في مفاوضة المانيا وأسبانيا في أمر بسط الحماية على أملاكه الواسعة الغنية أنى لم يعرف كيف يسر بها ولا كيف يعمرها

سنحت فرنسا فى مداولاتها ومؤامراتها السرية والجهرية الايام بل السنين ومولاى عبد الحفيظ بمعزل عن هذا العالم لايطلع على بعض شؤونه ولايهتم بمعرفة شئ من مكايده ولا يقرأ حرفا واحدا مما تنشره صحفه وتلغرافاته حتى قضى الامر واجتمعت كلمة الدول على ان تبسط فرنسا رواق حمايتها على أرض تلك المملكة الاسلامية وان تملك تراث موسى بن نصير وطارق

ابن زياد بعد نحو من ثلثمائة سنة وألف . ذلك التراث الثمين الذى صانه الله القرون العديدة للمسلمين الغافلين لعلهم يستيقظون فيستفيدوا منه ويذودوا عنه

فرغت فرنسا من مجادلات دول أوروبا بشأن الغرب وحملت بيدها جواز اعترافهم بحمايتها فلم يبق امامها الا ذلك السلطان الذى اعتبرته أوروبا خلال تلك المجادلات والمخاصمات كمية مهملة فلم تحسب له حسابا ولم تستطلع له رأيا

أوفدت فرنسا سفيرها السابق فى تلك الديار ليحمل السلطان على الاعتراف لها بحق حماية بلاده وبعبارة أخرى على أن يقلب عرشه وينقض حكمه ويزيل ملكه ويطوق عنقه وأعناق رعاياه بالاطواق الاروبية المسيحية. ثم على أن يؤذن فى دين مملكته بالارتحال وفى نفوذ الاسلام بالاضمحلال والزوال

هنالك استفاق ذلك السلطان من رقدته ورأى ببصره كيف أحدق به الخطر المسيحي الفرنسى الذى محا آثار الاسلام من جارته (الجزائر) وشرد فى الجبال والادغال اخوانه من المسلمين فى تلك البلاد

لقد انفتق اليوم بصره فرأى أن نجم سلطانه وشيك الافول وان مصيره وعاقبة أمره ان يكون كباى تونس لا يستطيع أن يحتكم حتى فى شؤون قصره وخاصة أمره . فهو اليوم كما تقول الجرائد الفرنسية عرضة للنوبات العصبية وما هى الا نوبة اليقظة وقد وقعت الواقعة وصحوة الندم ولات ساعة مندم فلنبحث الآن عما عسى أن يكون من أمر هذه النوبات العصبية وماذا أعدت فرنسا لعلاجها ؟

قدمنا أن ذلك السلطان دعا فرنسا لتأديب الخارجين عليه من قبائل البربر وأنها ما لبثت ان ملأت عليه الارض بأداة القتال والجنود والضباط . ثم نزيد هنا أنها استدرجته حتى أخرج من كان يدرب جنوده من الضباط

الترك وزينت له أن يستبدل بهم ضبـاطا من الفرنسيين فيحلفون بين يديه أيمان الطاعة ويكونون له خداماً أمناء

وقد خدعته تلك التمويهات والزخارف حتى كان كل ما أرادوا فماذا يستطيع أن يصنع اليوم وقد سلب القوة وغلت يداه عن المقاومة

اذا صح أن الحاضر يقاس بالماضي وان أمراء المسلمين الغافلين متشابهون في أطوارهم واخلاقهم فان فرنسا ستتخذ لنيل بغيتها أحد أمرين اما ان تفتن عبد الحفيظ بالمال فلا تزال تقرضه وتقرض حكومته حتى تحيط أعناقهما بالاطواق وأيديهما وأرجلهما بالسلاسل والاغلال واما أن ترجع الى عبد العزيز المخلوع فتدفعه الي المطالبة بالملك وتستهوى الجهال والمنـافقين بالمـال والآمال حتى ينـادوا به ثانية سلطانا عليهم ثم تشعل بينهما نيران الفتنة ثم تظاهر ذلك الذى فتنته قديما حضارتهـا وملكته زخارفها ورأى فى سياحاته الحديثة فى الشرق والغرب من دهانها ولين ملمسها مالم يدرك معه حقيقة نياتها

وما نحن بغالين اذا جزمنا بان فرنسا ما ادخرته هناك الا لهـذه الساعة ولا حملته على سياحاته التى ألمعنا اليها الا لتحمله على احسان الظن بها والركون اليهـا فى محاربة أخيه فى سبيلها ولقد رأينا منذ أيام قليلة التلغرافات العمومية تعلن أن فرنسا قد قررت ملايين الفرنكات لاعمال حربية في مراكش فعلمنا أن فرنسا تمهد السبيل لتلك الحركات التى كشفنا آنفا ستارها

وسنرى فى المستقبل القريب كيف تستفيد فرنسا من عبد العزيز ان استمر أخوه (فى نوباته العصبية) فيمثل لها هنالك ما مثله فى أرض فارس محمد على شاه الذى ادخرته روسيا تلك السنين لتنال به من الحكومة الفارسية الدستورية مأربهـا اذ تكثر الملاحم وتراق الدماء وتهن العزائم فتنضبج

مراكش لفرنسا كما نضجت العجم لروسيا وبعد قليل يصبح عبد العزيز وعبد الحفيظ وملك المغرب الاقصى من عالم الاخبار والاحاديث التاريخية وهنالك يتذكر « مولاى عبد العزيز » ما قلناه له وهو في فندق الكنتنتال بمصر (آفة الاسلام أمراؤه) وعما قريب ينقرض الاسلام من تلك الديار فلا يبقى للمسلمين بها عين ولا أثر . وتلك عقبي الجاهلين .

فهرست العدد الثانى والثالث

﴿ الجزء الرابع والخامس ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

الهداية

مجلة دينية علمية أدبية اجتماعية

منشئها

(الشيخ) عبد العزيز جاويش

أصحاب امتيازها
حسين بك تيمور
وشركاؤه

رئيسها المسئول
محمد عبد الملك حمزه
المحامي

(تصدر فى آخر كل شهر قمري)

بدل الاشتراك

٦٠ قرشاً فى القطر المصري
٤٠ قرشاً للطلبة والدفع سلفاً
٢٠ فرنكا فى الخارج

الرسائل

(ترسل برسم مجلة الهداية)
ولا ترد لمرسلها بحال

(مطبعة الهداية بأول شارع درب الجماميز بمصر)

(أعلان)

ترجو ادارة مجلة الهداية عموم حضرات مشتركي المجلة بجميع الجهات ان يتكرموا بارسال المتأخر طرف حضراتهم من بدل اشتراك المجلة عن سنه ١٣٢٩ الماضيه لداعي تصفية حسابها كذلك ترجو ارسال بدل اشتراك سنة ١٣٣٠ الحاضرة للادارة التي مركزها بشارع درب الجماميز او تسليم ذلك الى حضرة وكيل المجلة بالجهة المقيم بها المشترك ويعتمد ايصال البوسته او ايصال مطبوع ومختوم بختم الادارة وبتوقيع امضاء الوكيل المذكور

(الى حضرات المشتركين)

ترجو ادارة مجلة الهداية حضرات عموم مشتركيها بالقاهرة أن لا يعطوا بدل الاشتراك لاحدما الا بايصال مطبوع ومختوم بختم الادارة والمستلم واذا ظهر خلاف ذلك يكون لاغيا وليعلم حضرات المشتركين أيضا أن الوكيل الوحيد لمجلتنا هـذه فى القاهرة هو حضرة حسن أفندى محمد فنرجو اعتماده فقط

(الوكلاء)

(١) حسن أفندي محمد بمديريات الغربيه والمنوفيه والقليوبيه والدقهلية والبحيرة ومركزه طنطا

(٢) الشيخ مصطفي نوح بمديرية الشرقيه مركزه أبو كبير

(٣) ابراهيم أفندي صالح زكي ومركزه بادارة الملح باسكندرية ومحمد افندي عوض جبريل بالاسكندريه وضواحيها ومركزه بالاسكندرية بالميدان

(٤) حضرة الشيخ أحمد عزت وكيلا ومحصلا لمديرية المنيا وأسيوط وبنى سويف وجرجا وسكنه سوهاج

(٥) الشيخ سيد سعودي مطر وكيل مديريات الجيزه وبنى سويف والفيوم واقامة الجيزة

الهداية تباع بمكاتب المعارف والهـلال بالفجاله والتأليف باول شارع عبد العزيز والمكتبة العباسية بشارع محمد علي وبادارتها

تباع غنية المؤدين بمكتبة مصر الفتاة بالاسكندرية وادارة مجلة الهداية بمصر

(المطبوعات)

جميع الكتب والجرائد والمجلات ترسل برسم مجلة الهداية بشارع درب الجماميز بمصر

(اعلان)

سنزيد في الهداية المواد الآتية

تاريخ الاسلام — وتاريخ أوربا من بدء القرن السادس عشر — وأيضاً سنفتح بابا لتقريظ وانتقاد الكتب التي ترسل لادارة الهداية لنعطي كل ذي حق حقه

﴿ الجزء الرابع والخامس ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

الهداية

غزلان

﴿ القاهرة في ربيع الثاني وجماد أول سنة ١٣٣٠ هـ ابريل ومايو سنة ١٩١٢ م ﴾

أسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ

جاءت هذه الآية الكريمة لتقص على بنى اسرائيل كيف كان سلفهم يقابلون تكاليف الله تعالى وأوامره ولتبين كيف كان موسى عليه السلام يصبر على مشاقتهم وعنادهم

ولقد يبتلى الله عباده بالتكاليف مهما كان نوعها ليتبين طيبهم من خبيثهم، ومؤمنهم من منافقهم والمطيع منهم من معاندهم ومكابرهم (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم)

ابتلى الله بنى اسرائيل بذبح البقرة فعدوا ذلك دعابة وهزؤا فلما تبرأ موسى من ان يكون أحمق جاهلا يأتيهم باللغو الباطل من التكاليف وأبان لهم ان ذلك وحي أوحى اليه وما عليه الا البلاغ أخذوا يستوصفونه اياها ويعنتون فى إعناته بما طلبوه من شرح مميزاتها .ولو أنهم جاءوا أول الامر الى بقرة ما فذبحوها لأجزأت عنهم ولما عوملوا بالضيق والشدة التى جرها عليهم استهزاؤهم باحكام الله واستخفافهم برسوله صلى الله عليه وسلم

وخلاصة أوصاف البقرة التى أمروا بذبحها انها بقرة لافارض (١) ولا بكر (٢) وانما هى عوان بين الفارض والبكر . فلما فرغوا من تعيين مايختص بسنها سألوا موسى عن لونها ليتعرفوه فقال لهم انها بقرة صفراء فاقعة اللون (٣) ولقد كان يكفيهم فى تعرفها ماسمعوه من المشخصات والمميزات ولكنهم عادوا فسألوا موسى بعض مميزات أخرى اذا تشابه عليهم كما قالوا البقر فلم يعرفوا ماذا يذبحون .هنالك قال لهم موسى انها بقرة غير مذللة لحرث الارض وكرابها ولا مسنى عليها لسقى الارض وما تخرجه من النبات كما أنها لم تخالط

(١) الفارض المسنة يقال فرضت البقرة فروضا فهى فارض (٢) البكر التى لم تلد
(٣) الفقوع أشد مايكون من الصفرة

صفرتها اثارة من الالوان الاخرى وسلمت من كل عيب أو مرض

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة ان البقرة المراد ذبحها كانت معينة خاصة وانما أرادوا بتلك المسألة ان يمتحنوا موسى ليعلموا هل يطلعه الله على صفاتها ومشخصاتها فيبينها لهم فيتعرفوا بذلك صدقه وانه يوحى اليه من عند ربه

يدل على ذلك قولهم فيما وقع لهم من المناقشة لموسى (الآن جئت بالحق) فان الحق الامر الثابت فاذا لم يعلموا شيئاً من أمرها ما وقفوا مع موسى عند هذا الحد ولا اعترفوا له بأنه جاء بالامر الثابت الذى لم يسعهم عنده التردد فى قبوله والتسليم به

واذا نحن أعرضنا عما يرويه المفسرون من القصص الخرافية التى اقتطفوها من الاسرائيليات وضربنا صفحا عما ينسبونه باطلا لابن عباس وما يعزونه الى الرسول عليه السلام مما لم يصح منه شئ فيما نعلمه استنبطنا من سياق الآية وفهمنا من أسلوبها العربى المبين ان بنى اسرائيل لابد ان يكونوا قد بيتوا فيما بينهم ذبح بقرة معينة ذات صفات خاصة ثم جاءوا موسى يمتحنونه أيطلعه الله على ما بيتوه وهل يوحى اليه بصفات تلك البقرة التى اختاروها فلما جاءوا موسى وهم على ما بيتوا أنزل الله على قلبه ان يأمرهم بان يذبحوا بقرة فلما شعروا بأنه قد ظهر على أمرهم حاولوا طرق التعمية والتلبيس فقالوا اتتخذنا هزوا فلا تخاطبنا بالجد وهل تعمد الى مداعبتنا غير قاصد ماتقول . كأنهم يريدون بذلك ان يلبسوا عليه الامر وان يوقعوه فى الريب والشك حتى لا تطمئن نفسه الى وحى الله تعالى

ولكن موسى كان يعلم انه ما ينطق عن الهوى وان ما جرى على قلبه

انما كان وحيا يوحى . لذلك (قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين)

فلما عرفوا يقينه وثبات قلبه وجزمه بأن الوحى لم يكذبه فيما بلغه أخذوا يسألونه عن أوصافها ومشخصاتها حتى استقصاها لهم وسردها طبقا لما أضمروه وعرفوه من صفاتها وأحوالها . هنالك لم يسعهم الا أن يذبحوها وما كادوا يفعلون ذلك لا لانهم لم يريدوا ذبحها ولا لعصيان ما أمرهم به موسى ولكنهم لكثرة ما تشددوا فى امتحان موسى عليه السلام وما أسرفوا فى التثبط والتعنت كانوا كأنهم لا يريدون ذبحها طلبا للاستزادة من امتحان رسولهم فيها واستيصافه اياها وحرصا على مشاققته وافراطا فى معاندته وابتلائه . وما قولهم (وانا ان شاء الله لمهتدون) الا وسيلة أرادوا ان يتذرعوا بها الى إفهام موسى انهم غير معاندين ولا هازئين واستدراجه رويداً رويداً ليعلموا مبلغ صدق نبوته وحقيقة أمره

ولقد جاءت هذه القصة ساردة ما كان من المحاورة بين موسى وقومه وكيف أراهم موسى فى ذلك من آيات الله مالم يبق لهم معه ريب

وللمفسرين هنا كلام كثير لو اننا رأينا له سنداً من كتاب الله أو صحيح الاحاديث لتقبلناه خاضعين وقلنا به مسلمين . ولكننا تصفحنا أدلة ما أسرفوا فيه من الاقوال فوجدناها لا تكاد تتجاوز حد الاسرائيليات ولا تخرج فى بعض الموضوعات عن دائرة الروايات الملفقة تلفيقا

ومن الغريب اننا لا نتصفح ماوضع من تفاسير القرآن الا ونجدها متشابهة الالفاظ متحدة المعانى والمصادر . يخطئ سالفهم فيما يكتب أو يقصر فى البحث والتحرى فلا يعنى من يليه من المفسرين بتمحيص الحقيقة وتعرف الصواب ونقض ما أبرمه سلفه عمداً أو خطأ ولكنهم يتعاقبون على القديم

فيروونه ولو خالف المعقولات أو ناقض السنة والآيات

وانا ننصح لاخواننا المسلمين ان يغضوا أبصارهم عن كل مايرد للمفسرين مما لم تثبته السنة أو يؤيده الكتاب فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وعسى الله ان يأتي بيوم يطهر فيه الاسلام وكتبه من كل ما أبعده عن أفهام النابتة الاسلامية ولاسيما الذين نشئوا في المدارس الحديثة التي تلقى بها العلوم المادية كالكيميا والطبيعة والفلسفة . فلكم أستهوت هذه العلوم نفوس المتعلمين واستدرجتهم الى حيث الالحاد والكفر بالله تعالى وبشرائعه . ولقد وجد الجحود سبيله الى قلوب كثيرين ممن لم يؤخذوا بالشريعة المطهرة ولم ينبتوا في بيوتهم نباتا حسنا . ولقد رأينا منهم من كانت الشبهة تحاول ان تسكن قلبه فيفزع الى كتب التفسير أو الحديث أو التوحيد يلتمس لنفسه مقرا منها فلا يكاد يلجأ اليها حتى يجد من خرافاتها وتشكيكاتها ومجادلاتها وهذياناتها مالا يزيده الا ريبا ولا يرجعه الا خاسرا

واذا كانت النصيحة من الايمان فاني أعزم على اخواني المسلمين ان يبتعدوا عن تلك الكتب حتى يجدوا غيرها أو يقووا على السلامة مما جاء بها. هذا ولنعد الى مانحن بصدده فنقول :

بعد أن جاءت الآية السالفة ببيان ما أتى به اليهود قديما من معاندة رسولهم ومحاولتهم إعناته أراد الله جل شأنه ان يذكرهم بنعمة شرعها لهم لدرء الشر عنهم وايجاد الامن والسكينة في ربوعهم قال تعالى :

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

تذكر هذه الآية الكريمة بنى اسرائيل بما كشف الله لهم من الجناية التى أخفاها مقترفها ثم بما كان من أمر الله نبيه موسى عليه السلام ان يقتص منه وقد ثبت اثمه وجرمه. والمفسرون يروون فى هذه الآية ان أحد اليهود قتل عما له لاسباب بسطوها مختلفين فيها ثم حمل هذا القتيل الى جهة أخرى يريد بذلك ان يبرئ نفسه وان يلقى الجزاء على غيره فلما علم أهل تلك المحلة بوجود القتيل قريبا منهم فزعوا الى موسى ليدعو الله فيظهر لهم من فعل تلك الفعلة فلما جاءوا موسى أمرهم بذبح بقرة فكان ما كان من عنادهم وتشددهم واستهزائهم بنبيهم عليه السلام وما زال موسى بهم حتى ذبحوها وما كادوا يفعلون ثم أمرهم أن يضربوا القتيل ببعضها فقام القتيل فقال قتلنى فلان ثم اضطجع ميتاً كما كان فسيق الجانى الى القصاص فقتل

ذلك مجمل قولهم هنا ولهم فى تفاصيل ذلك روايات وقصص لم يصح شئ منها وانما هى رجوم وظنون

ومن المفكرين من نظر الى القرآن الكريم وحده معرضاً عما ورد من الخرافات والقصص السخيفة وتباعد عن حمل الكتاب المقدس عليها قاصراً بحثه على ما تؤديه عباراته من حيث أنه كتاب عربى مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

وخلاصة رأيه فى هذه الآية الكريمة أن نظامها وسياقها يدل على أنه

قد قتل قتيل فى بنى اسرائيل فجاء القوم الى موسى يتدارءون يحاول كل منهم أن يسقط الآخر فى هذه الجناية لينال عقابها جزاء وفاقا . فلما سمع موسى عليه السلام الخصومة وتبين له خلال التخاصم من هو القاتل أوحى الله اليه أن يأمر القوم أن يضربوا القاتل بالنفس أى يرموه بها وهذا مأخوذ من قولهم ضرب ببليته أى رمى بها وأصيب . كذلك هذا القاتل لما ثبتت جنايته أمر موسى قومه أن يصيبوه بها أى بجزاء ما فعل بها وهو القصاص

قال الليث وبعض العرب يصل بكلمة « بعض » كما يصل بالحرف « ما » فى نحو « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم » وذلك كما فى قوله تعالى فى قصة مؤمن آل فرعون وما أجراه على لسانه فيما وعظ به آل فرعون « ان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم » يريد يصيبكم الذى يعدكم « باعتبار كلمة بعض صلة زائدة لا يراد معناها » وقيل ان المراد يصبكم كل الذى يعدكم أى ان يك موسى صادقا يصبكم كل الذى ينذركم به ويتوعدكم لا بعض دون بعض لأن ذلك من فعل الكهان وأما الرسل فلا يوجد عليهم وعد مكذوب . انتهى بتصرف من لسان العرب صفحة ٣٨٨ جزء ٨

والمعنى على هذا أن الله تعالى قد شرع لبنى اسرائيل فى هذه الحادثة القود اذ أمر أن يقتص من القاتل بعد أن عجز عن درء التهمة عن نفسه . ولا يخفى أن هذه المنة من أكبر المنن وأعظم المواهب الآلهية فان القتل كما يقولون أنفى للقتل كما أن الله تعالى جعل فى القصاص حياة الارواح

وقد جرت العادة أن العرب يسمون القتيل اذا لم يقد له ويقتص من قاتله ثَوًى وَهَدَرًا بخلاف من اقتص من قاتله فانه يعتبر كأنه حيٌّ لم يذهب الموا قال الشاعر

ويذهب بينها المرّئى لغواً كما ألقيت فى الدّية الحُوار

وخلاصة هـذا القول أن منة الله على بنى اسرائيـل هنا فظهرها أن شرع لهم من الدين ما يحمى أرواحهم ويمد رواق الامان والسـلام عليهم لذلك فرض القتل على من يقتل منهم نفساً حرم الله قتلها

« وكتبنا عليهم فيهـا « أى التوراة » أن النفس بالنفس والعين بالعـين « والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصـاص فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم »

ولقد شـدد الله على قاتل الانفس المحرمة حتى اعتبر فاعل ذلك كأنه قتل الناس جميعاً

« منْ أجلِ ذلكَ كتبنا علَى بَنى اسرائيلَ أنهُ منْ قتلَ نفساً بغير نفس أوْ فسادٍ فِى الارض فكأنما قتلَ الناسَ جميعاً ومنْ أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً »

فلما شرع لهم موسى من أمر القصاص ما شرع أخذ الجانى فقتل فى قتيله جزاء وفاقا . وبذلك لم يطل دم القاتل ولم يذهب هدراً والهواً وهـذا ما يشير اليه قوله تعالى « كذلك يحيى الله الموتى »

ولقد يشعر بهـذا المعنى من طرف خفى قوله فى ختام الآية « ويريكم آياته لعلكم تعقلون » فانه لولا ما شرعه لهم من الحكم معقول والامر مقبول ما حقنت الدماء ولا أمنت الابرياء فأخـذ القاتل بقتيله يرضى أصحاب الدم فلا يحملهم فقدان فقيدهم على الثأر له من قاتله ومن العاقلة التى يعتزى اليها فان المقاصـة تطفئ نيران الاحقاد وتذهب الغل من الصدور كما أنها زجر وردع وكفارة لمن قتل النفس البريئة وأقوى نذير لغيره ممن يهمون باغتيال النفوس والسعي بالفساد فى الارض

كذلك أراد جل شأنه بما شرع لهم من القصاص أن يحذروا عاقبة أمر القتل بغياً وعدواً ولكن اليهود بعد أن رأوا آيات الله وحكمته البالغة فيما شرع لهم على لسان موسى خالفوا مقتضيات العقل ونسوا حظاً مما ذكروا بهِ فقستْ قلوبهمْ منْ بعدِ ذلكَ فهيَ كالحجارةِ أوْ أشدُّ قسوةً وانَّ من الحجارةِ لمَا يتفجرُ منهُ الانهارُ وانَّ منها لمَا يَشَّقّقُ فيخرجُ منهُ الماء وَانَّ منها لمَا يَهبط منْ خشيةِ الله

فالحجارة التي هي من عالم الجمادات والتي لا تشعر ولا تدرك قد خضعت للنواميس الآلهية التي سير الله دليها كونه دون أن تعدى له أمراً أو تنقض له قانونا. فمنها على جمودها تنفجر الانهار وتدبثق العيون ومنها ما اذا ألقيت به في الهواء اطاع ناموس بارئه فهبط الى حيث الارض التي تجذبه الى مركزها وما كان له أن يعصى أمر ربه فيطلب غير ما قدر له من الاوضاع والمواقع. وأما بنو اسرائيل فقد رزقوا آلة التفكر والارادة وهي العقل ثم منحوا الجوارح تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه ثم أوضح الله لهم السبل وميز لهم الخبيث من الطيب وفرق بين الحق والباطل على ألسنة رسله كيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. فهل أطاعوا أمر ربهم واستخدموا هبة العقل والجوارح فيما خلقت له؟ وهل كفوا عن الاثم والاذى وتناهوا عن الفحشاء والمنكر؟ وهل ملكت الحكمة معاقد قلوبهم واخذت العظات بأزمة شهواتهم وميولهم؟ كلا. فما زادتهم الآيات الا كفرانا ولا النذر الصادقة الا طغيانا

فان اتكلوا على انهم احباء الله وابناؤه فان اقرب الناس منزلة من الله اتقاهم وان ظنوا انهم يستخفون فيما يبيتون فما الله بغافل عما يعملون .

وماذا عسى ان يغنيهم من الله تناولهم صريح آياته بالتأويل وهم يعلمون ان الله تعالى لا ينظر الى الصور والظواهر وانما ينظر الى القلوب والمقاصد .

وكيف ترجى الاستقامة على الطريق لقوم يحاربون الله مستخفين بأمره ونهيه لاجئين الى ابواب الحيل واساليب التلبيس التى لا تغني عنهم شيئاً من الله لو عقلوا

الى هذا يشير قوله تعالى:

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

فان من الحزم والسداد ألاَّ يطمع الانسان في هداية من يضلون على علم ويفسدون على تعمد فما ذا تغنى الآيات والنذر عمن يرون الشمس فيغضون دونها ابصارهم ويتبينون الحجة جلية واضحة فينصرفون عنها قاصدين ويسلكون معوجات السبل متعمدين . فأمثال هؤلاء لا يجوز لاحد عقد الآمال بهم ولا ترقب رشدهم وهدايتهم

صرح البخارى وقال به طائفة من الفقهاء والمحدثين أن تحريف اليهود للتوراة انما وقع في التأويل فقط لا في تغيير الالفاظ وتبديل العبارات

وقال ابن وهب قال ابن زيد في قوله « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه » ان اليهود كانوا يحرفون التوراة التى أنزل الله عليهم يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقاً . اذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله واذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك

الكتاب فهو فيه شق . واذا جاءهم أحد يسألهم شيئاً ليس فيه حق ولا رشوة أمروه بالحق

كذلك كانت تفعل اليهود فى محاربة الله تعالى . وكذلك استثاروا غضب الله عليهم حتى جعل منهم القردة والخنازير

وان المسلمين بعد الصدر الاول للاسلام ولا سيما فى القرن الثالث فما بعده قد سلكوا مسلك اليهود في تأويل أحكام الله وتحريف قرآنه على نحو ماحرف هؤلاء توراتهم بل انهم أمعنوا في التأويل وأسرفوا في اختراع الحيل التى بها عطلوا أحكام الله واستلبوا حقوق البشر وما زالوا يجرأون على الله باسم الله ويعطلون الدين باسم الدين حتى ابتدعوا الابواب الواسعة وعقدوا الفصول المطولة داعيها باسم « الحيل الشرعية » فلم يقفوا من قرآنهم موقف اليهود من توراتهم بل جعلوا يهينون الاسلام وهم يزعمون أنهم حماته ويهدمون قواعده وهم مدعون أنهم بناته وما زالوا ينقضون أركانه ويعالجون بمعاول حيلهم الشيطانية صروحه حتي كاد يستنكره الراءون وينصرف عنه الباحثون

ولقد يجمل بنا أن نقتطف هنا من أقوال أئمة المسلمين السابقين ماعسى أن يكون ذكرى للغافلين وعظة للمتعظين . قال فى اعلام الموقعين (١) مانصه وتجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة فان الشارع يسد الطريق الى المفاسد بكل ممكن والمحتال يفتح الطريق اليها بحيله فأين من يمنع من الجائز خشية الوقوع في المحرم الى من يعمل الحيلة في الوصول الى المحرم . فهذه الوجوه وأضعافها تدل على تحريم الحيل والعمل بها والافتاء بها فى دين

(١) جزء ثالث صفحة ١٣٦

الله ومن تأمل أحاديث اللعن وجدها عامتها لمن استحل محارم الله أو أسقط فرائضه بالحيل كقوله لعن الله المحال والمحال له . لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا منها . لعن الله الراشي والمرتشي . لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده . (الى أن قال) والله تعالى مسخ الذين استحلوا محارمه بالحيل قردة وخنازير جزاء من جنس عملهم فانهم لما مسخوا شرعه وغيروه عن وجهه مسخ وجوههم وغيرها عن خلقتها

والله تعالى ذم أهل الخداع والمكر ومن يقول بلسانه ما ليس في قلبه وأخبر أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وأخبر عنهم بمخالفة ظواهرهم لبواطنهم وسرائرهم لعلانيتهم وأقوالهم لأفعالهم وهذا شأن أرباب الحيل المحرمة وهذه الاوصاف منطبقة عليهم فان المخادعة هى الاحتيال والمراوغة باظهار أمر جائز ليتوصل به الى أمر محرم يبطنه والخداع على قسمين خداع فى الاصول وخداع فى الفروع فخداع الاصول أن يقول المنافق بلسانه أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ولما يدخل الايمان في قلبه وانما قال ذلك اما حقناً لدمه واما ليطلع على أمر المسلمين فيكشفه لاخوانه من المشركين

وما أتم الموازنة بين من يخادعون فى أصول الدين ومن يخادعون في فروعه فان كليهما يتغفل الله ويحارب الدين بأسلحة مصنوعة من أحكام الدين المفتعلة

قارن بين أولئك المنافقين وبين قول المرابى بعتك هذه السلعة بمائة وليس لواحد منهما غرض فيها بوجه من الوجوه ولا مبطنا لحقيقة هذه اللفظة ولا قاصداً لها ولا مطمئناً بها وانما تكلم بها متوسلا الى الربا وكذلك

قول المحلل تزوجت هـذه المرأة أو قبلت نكاحها وهو غـير مبطن لحقيقة النكاح ولا قاصـد له ولا مريد أن تكون زوجته بوجـه ولا هى مريدة لذلك ولا الولى أيضاً . هل تجد بينهما من فرق فى الحقيقة أو العرف فكيف يسمى أحـدهما بخادع دون الآخر . فالاول نفاق فى أصل الدين وهـذا نفاق فى فروعه . يوضح ذلك ما ثبت عن ابن عباس أنه جاءه رجـل فقال ان عمى طلق زوجته ثلاثا أيحلها له رجل فقال من يخادع الله يخـدعه وصح عن أنس وعن ابن عباس أنهما سئلا عن بيع العينة فقالا ان الله لا يُخدَع هذا مما حرم الله

وقال أيوب السختيانى فى أهـل الحيل يخادعون الله كأنما يخادعون الصبيان فلو أتوا الامر عيانا كان أهون علىّ . وقال شريك بن عبـد الله القاضى فى كتاب الحيل هو كتاب المخادعة (الى أن قال) ومدار الخـداع على أصلين أحدهما اظهار فعل لغير المقصد الذى جعل له وأريد هو منه . الثانى اظهار قول لغير مقصوده الذى وضع له وهذا منطبق على الحيل المحرمة : وقد عاقب الله تعـالى المتحيلين على اسقاط نصيب المساكين وقت الجـداد بجد جنتهم عليهم واهلاك ثمارهم فكيف بالتحيل على اسقاط فرائض الله وحقوق خلقه .

وقد نقـل ابن القيم عن شيخ له (١) أن بنى اسرائيـل أكلوا الربا وأموال الناس بالباطل وهو أعظم من أكل الصـيد فى يوم بعينه (٢) ولم يعاقب أولئك بالمسخ كما عوقب به من استحل الحرام بالحيلة لان هؤلاء لما كانوا أعظم جرما كانت عقوبتهم أعظم فانهم بمنزلة المنافقين يفعلون مايفعلون

(١) اعلام الموقعين (٢) يوم السبت

غير معترفين بالذنب بل فسدت عليهم عقيدتهم وأعمالهم بخلاف من أكل الربا وأموال الناس بالباطل والصيد المحرم عالما بتحريمه فانه يقترن بمعصيته اعترافه بالتحريم وخشيته لله تعالى واستغفاره وتوبته يوما ما واعترافه بأنه مذنب عاص وانكسار قلبه من ذل المعصية وازدراؤه على نفسه ورجاؤه لقوة ربه له وعد تفه مه مع المذنبين الخاطئين وهذا كله ايمان يفضي بصاحبه الى خير بخلاف الماكر الخادع المحتال على قلب دين الله ولهذا حذر النبي عليه الصلاة والسلام من ارتكاب الحيل فقال: لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل. فحقيق بمن اتقى الله وخاف نكاله أن يحذر استحلال محارم الله بأنواع المكر والاحتيال وأن يعلم أنه لا يخلصه من الله ما اظهره مكرا وخديعة من الاقوال والافعال وأن يعلم أن لله يوما تكع فيه الرجال وتنسف فيه الجبال وتترادف الاهوال وتشهد فيه الجوارح والاوصال وتبلى فيه السرائر وتظهر الضمائر ويصير الباطن فيه ظاهرا والسر علانية والمستور مكشوفا والمجهول معروفا وتجرى أحكام الرب هنالك على القصود والنيات كما جرت أحكامه فى هذه الدار على ظواهر الاقوال والحركات. يوم تبيضّ وجوه بما فى قلوب أصحابها من النصيحة لله ورسوله وكتابه أوما فيها من البر والصدق والاخلاص للكبير المتعال. وتسودّ وجوه بما في قلوب أصحابها من الخديعة والغش والكذب والمكر والاحتيال

هنالك يعلم المخادعون أنهم لانفسهم كانوا يخدعون وبدينهم كانوا يلعبون وما يمكرون الا بانفسهم ولكن لا يشعرون

وقد فصل قوله عليه الصلاة والسلام « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » الامر فى هذه الحيل وانواعها فأخبر أن الاعمال تابعة

لمقاصدها ونياتها وأنه ليس للعبد من ظاهر قوله وعمله الا ما نواه وأبطنه لا ما أظهره وأعلنه . وهذا نص فى أن من نوى التحليل كان محللا ومن نوى الربا كان مرابيا ومن نوى المكر والخداع كان ماكراً مخادعا

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » أى بأسهلها وأقربها لان المطلق ثلاثا مثلا من أسهل الحيل عليه أن يعطى بعض التيوس المستعارة عشرة دراهم ويستعيره لينزو على امرأته نزوة وقد طيبها وجملها له كما يفعل القوادون بخلاف الطريق الشرعية التى هى نكاح الرغبة بقصد المشاركة فى الحياة فانها يصعب معها عودة المرأة الى الزوج الاول جداً

(قال ابن القيم) وكذلك من أراد أن يقرض ألفاً بألف وخمسمائة فمن أدنى الحيل أن يعطيه ألفاً الا درهما باسم القرض ويبيعه خرقة تساوى درهما بخمسمائة وكذلك كانت حيلة اليهود بنصب الشباك يوم الجمعة وأخذ ما وقع فيها يوم السبت من أسهل الحيل التى حاولوا بها الخروج من تحريم الصيد فى يوم السبت

وروى عن محمد بن عبد الله الحافظ المعروف بمطين فى كتاب البيوع له عن أنس أنه سئل عن العِينَة (١) فقال ان الله لا يخدع . هذا مما حرم الله ورسوله

(١) العينة أن يبيع رجل من آخر سلعة بثمن معلوم الى أجل معلوم ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به فوراً فيكون فرق ما بين الثمنين فى الحقيقة ربا احتيل عليه بتلك الطريقة وهذا البيع فاسد متى اشترط على المتعين أن يبيعها من بائعها الاول سواء كان الشرط صريحاً أو مفهوما من القرائن على ما نرى

ولقد يلجأ الى بيع العينة وأشباهها من حيل المبايعات من يريدون انتهاز فرصة اضطرار المضطرين ليسلبوهم أموالهم ويغنموا الربح من وراء ضروراتهم مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن بيع المضطر نهيا مغلظا فقد روى عن حذيفة أنه حدث عن سيدنا الرسول ان بعد زمانكم هذا زمانا عضوضا يعض الموسر على ما فى يديه ولم يؤثر بذلك يبايعون كل مضطر . الا أن بيع المضطر حرام . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخونه . ان كان عندك خير فعد به على أخيك ولا تزده هلاكا الى هلاكه

قال ابن القيم ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعوا على تحريم هذه الحيل وابطالها واجماعهم حجة قاطعة بل هى من أقوى الحجج وآكدها

واذا كان هذا قولهم فى التحليل والعينة ونحوهما فما ذا يقولون فى التحليل لاسقاط حقوق المسلمين بل لاسقاط حقوق رب العالمين ولاخراج الابضاع والاموال عن ملك أربابها وتصحيح العقود الفاسدة والتلاعب بالدين

قال الامام أحمد فى رواية موسى بن سعيد الديدانى لا يجوز شئ من الحيل وقال فى رواية الميمونى وقد سأله عمن حلف بيمين ثم احتال لابطالها فقال نحن لا نرى الحيلة وقال فى رواية بكر بن محمد اذا حلف على شئ ثم احتال بحيلة فصار اليها فقد صار الى ذلك الذى حلف عليه بعينه وقال من احتال بحيلة فهو حانث وقال فى رواية صالح وأبي الحرث وقد ذكر له قول أصحاب الحيل فأنكره وقال فى رواية اسماعيل بن سعيد وقد سئل عمن احتال فى ابطال الشفعة فقال لا يجوز شئ من الحيل فى ابطال حق امرئ مسلم . وقال فى رواية أبى طالب وغيره فى الرجل يحلف وينوى غير ذلك فاليمين على نية

ما يحلفه عليه صاحبه اذا لم يكن مظلوما فاذا كان مظلوما حاف على نيته ولم يكن عليه من نية الذى حلفه شئ ونقل فى رواية عبد الخالق بن منصور من كان عنده كتاب الحيل فى بيته يفتى به فهو كافر بما أنزل الله على محمد

استدل أهل الحيل بجملة أدلة أقوى ما يعتمدون عليه منها آية أيوب عليه السلام اذ حلف ليضربن امرأته مائة ضربة فأباح الله له أن يضربها بضغث مؤلف من مائة عصا ضربة واحدة (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أوّاب)

أخذ أصحاب الحيل من هذه الآية أنه يجوز الخروج من موجبات الأيمان والنذور بصنوف الحيل نغلوا حتى أضاعوا حقوق العباد وعطلوا حدود الله وفتحوا الباب لعامة المسلمين حتى تداعت أركان الشريعة وطمست معالمها الواضحة ففشا الربا الفاحش المدمر واختلطت الانساب بالتحليل الذى لا يراه الشارع الا زنا بحتاً. ثم عطلت الزكاة التى هى عماد النظام الاجتماعى والسياسى للعالم الاسلامى

وما زالت الحيل تنشى وتنتشر على أيدى أولئك الضالين المضلين حتى تبدلت معالم الاسلام وحلت البدع وصنوف الضلال محل كتاب الله المبين وسنة رسوله الامين

ولقد تصدى لبيان آية أيوب وتحقيقها ابن القيم فى اعلام الموقعين فأتى عن شيخه بما لم يبق معه ريب لمرتاب ولا باطل لمبطل

وتنحصر توجيهاته فيما يلى

(١) ان من الفقهاء فى شرعنا من يرون أن لمن حلف ليضربن عبده

أو امرأته مائة أن يضرب تلك الضربات مجموعة أو مفرقة . فلا حيلة فى هذه الآية اذاً

(٢) ان ذلك كان شرعا لأيوب لا شرعا لنا. واذا نحن قلنا برأى من يرى أن شرع من قبلنا شرع لنا فان ذلك مشروط بألاّ يكون فى شرعنا ما يناقضه

(٣) ان ما يجب تفريقه شرعا اذا كان المضروب صحيحاً يجوز جمعه اذا كان المضروب مريضاً ميئوساً منه بالاجماع أو مريضا على الاطلاق عند بعضهم كما ثبتت بذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانت امرأة أيوب عليه السلام ضعيفة عن احتمال مائة الضربة التى حلف أن يضربها اياها وكانت كريمة على ربها فخفف عنها برحمته الواجب باليمين بأن أفتاه بجمع الضربات بالضغث كما خفف عمن كان فى حكمها من المرضى فالجمع بالضغث على هذا ليس من الحيل فى شئ وانما هو حكم الله رحمة بعباده وتخفيفا عليهم . ألا ترى أن السنة قد جاءت فيمن نذر الصدقة بجميع ما له أن يجزيه الثلث فاقام الثلث فى النذر مقام الجميع رحمة بالناذر وتخفيفا عنه . كما أقيم الثلث فى الوصية مقام الجميع رحمة بالوارث . وفى السنة كثير من أشباه ذلك وقد أتى ابن القيم على عدة منها فلتراجع

وأصح تلك الاوجه فيما نرى هو آخرها . والخلاصة أن كل ما أفضى من الحيل الى استباحة حرام أو اسقاط واجب أو ابطال حق فهو باطل حرام على كل مسلم محاولته . وليس من ضروب الحيل المحظورة المعاريض القولية والتوريات التى تستعمل للتخلص من ظالم أو نحوه مما لم يتضمن مفسدة فى الدين أو الدنيا فان ذلك جائز لا حرج فيه

ولقد تبين للمسلم الطاهر النفس النقى الايمان أن المسلمين اليوم على سنة يهود الصدر الاول . أولئك الذين بدلوا وغيروا وفسروا وتأولوا واتخذوا من الحيل ذرائع استعملوها فى نيل مآربهم وشهواتهم وأضاعوا بها الحقوق البشرية وعطلوا بها الحدود الالهية . ذلك شأن المسلمين اليوم فهل نعجب اذا نحن رأينا لعنات الله تتساقط عليهم وغضبه حائقا بهم واذا أبصرنا الامم الصليبية تتخطفهم من كل جانب وتفتك بهم فى كل حين . ثم هل نعجب أن يتساهم الله اذ نسوه ويكلهم الى أنفسهم بعد أن أعرضوا عن كتابه وحاربوا تعاليمه وأحكامه

نعمد فى التخلص من أحكام الشريعة الى الحيل فأنفسنا نخادع أم الله ؟ لقد ضلت الاحلام وعم الفساد ولم يبق الا أن نتدارك أمرنا ونرجع الى ديننا الذى دانت الدنيا لمن اعتصم به من أسلافنا الصالحين والا فكأننا بصوت القضاء الالهى يؤذن فينا بالفناء والزوال

هذا وبعد أن ضرب الله لنا المثل بما أصاب اليهود من عواقب مخادعتهم اياه أراد أن يرينا مضار النفاق وتبييت المكايد وعاقبة المنافقين والماكرين وجزاء المحتالين المخادعين فقال فى اليهود الاقدمين :



ابن رشد وتعاليمه

لحضرة الفاضل صاحب الامضاء

قبل ان نذكر حياة الرجل وبيان تعاليمه وأثرها فى العالم نذكر نبذة صغيرة نبين فيها أدوار العلم والفلسفة فى بلاد الاندلس

أدوار الفلسفة فى بلاد الاندلس

لما دخلت الفلسفة بلاد الاندلس قام الفقهاء الجامدون وأفهموا العامة أن الفلاسفة انما يقصدون هدم الدين ونقض أساسه فمن ذلك انقسم الناس الى حزبين حزب يكره الفلسفة ويحقد على المشتغل بها وهم الفقهاء ومن تبعهم من العامة. وحزب آخر كان ينصر الفلسفة ويعزز المشتغل بها وهؤلاء هم العقلاء الذين عرفوا كيف ترقى الامم وكيف تؤسس الفضائل على دعائم الحق

والملوك كانت رغباتهم مختلفة وأهواؤهم متباينة لذلك كنت تراهم في بعض الاحيان يعطفون على الفلاسفة ويجلونهم ويستشيرونهم فى مشكلات الامور ومعضلاتها لما رأوه من بعد نظرهم ورجاحة عقلهم. وفى بعض الاوقات كنت ترى الفلاسفة معذبين مضطهدين لا ينالون من الامراء الا العسف ولا من العامة الا المهانة. واذا نظرت الى سبب ذلك رأيته تابعا لاميال الامراء ورغباتهم

فالامير العادل لا يرمى الا الى الخير ويرى ان أكبر معوان له على ذلك الفيلسوف . لذلك كان يقربه اليه لينتفع بآرائه السديدة

أما الامراء الظلمة فانهم لا يسيرون الاوراء شهواتهم ولا يرضون الا أهواءهم ولوكان فى سبيل ذلك شقاء الرعية. ولما كانوا لا يرون من الفلاسفة الا محاربة الشهوات ودك اركانها وبث الفضائل في نفوس الناس ساموهم خسفا وأجلوهم نفيا لئلا يكونوا حربا عوانا عليهم

ولم تنفق سوق الفلسفة ويكثر طلاب العلوم والآداب الامنذ ان تبوأ الحكم المستنصر عرش امارة الاندلس فانه كان يرسل الرسل العديدة الى الاقطار النائية لجمع الكتب القديمة والحديثة وكان له فى الاسكندرية ودمشق وبغداد والقاهرة رجال يبتاعون له الكتب ويرسلونها اليه مهما أدّى ذلك الى كثرة النفقات . وكان قصره مملوءاً بالفلاسفة والنساخين والادباء والمجلدين حتى صار فى مكتبته ٤٤ الف كتاب

ولقد كانت نتيجة محبة هذا الامير للعلم وعنايته بأهله كثرة الفلاسفة والادباء على اختلاف مللهم ونحلهم . كنت ترى المسيحى واليهودى والمسلم يدرسون على أستاذ واحد وينطقون بلسان واحد حتى خضع الجميع لسلطان العلم والفلسفة ولدولة المسلمين التى كانت تبسم بمقدمهم وترحب بهم كما كانت ترحب بأبنائها .غير ان ذلك العصر ما لبث أن درست آثاره فان هشام بن الحكم لما اغتصب منه الحاجب المنصور الملك أراد أن تجتمع له كلمة العامة تقوية لعرشه الجديد واضعافا لحزب هشام فأخذ يضطهد العلماء والمشتغلين بالفلسفة وحصر قرطبة عاصمة العلم واسقط قصر الخلفاء فيها وأمر باحراق كتب الفلسفة والمنطق والفلك

وما زالت العلوم فى تأخر من جراء تلك الجناية التى اقترفتها يد الحاجب حتى سقطت دولة المرابطين وقامت على انقاضها دولة الموحدين فقيض الله من أمرائها من كانت حياة الفلسفة والآداب على عهده بعد زوال أثرها. ذلك الامير هو عبد المؤمن بن على فانه كان مؤثرا لاهل العلم محبا لهم يستدعيهم من البلاد ليغدق عليهم نعمه ويجرى عليهم رزقه

ولما مات عبد المؤمن وآل الملك لابنه ابى يعقوب يوسف اقتفى أثر أبيه في الاحتفاء بالعلماء والاكبار من شأنهم حتى طمحت نفسه الى تعلم الفلسفة فصار يجمع له من كتبها حتى اجتمع له ما اجتمع للحكم المستنصر. وكان ممن صحبه من العلماء أبو بكر محمد بن الطفيل كان شديد الحب له عظيم الاعجاب به حتى كان يقيم معه في القصر أياما عديدة ليلا ونهاراً وفى أيامه اشتهر أبو الوليد بن رشد وذاع ذكره

حياة أبي الوليد

ابن رشد

نشأته

هو محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد ويكنى أبا الوليد ولد فى قرطبة في شهر شوال سنة ٥٢٠ هـ - ١١٢٦م ولما ترعرع اشتغل بدراسة الفقه على مذهب الامام مالك والاصول وعلم الكلام حتى صارت له اليد الطولى فيها . وقد روى الحديث عن أبى مروان بن سراج وعن أبى عبد الله محمد بن خيرة وعن أبى محمد عبد الله بن فرج وعن أبى على الغسانى وقد أجاز له ما رواه أبو العباس المذرى

أما أساتذته في العلوم الدينية فهم أبو القاسم بشكوال وأبو مروان بن مسرة وأبو بكر بن سمحون وأبو جعفر بن عبد العزيز وهؤلاء كانوا أعظم فقهاء الاندلس في ذلك العصر. وبعد ان تمكن من العلوم الدينية تاقت نفسه الى تعلم الطب والفلسفة والرياضيات فتعلمها وبرع فيها حتى صار المرجع فى مشكلات الفلسفة ومعضلات السياسة. ولما جعله السلطان من أطبائه وكان من بينهم أبو مروان بن زهر قويت بينهما أواصر المودة حتى ان ابن رشد لما الف كتابه الكليات فى الطب رغب الى صديقه ابن زهر ان يكتب كتابا فى الجزئيات (أى التعرض للامراض الجزئية والتكلم عليها جزئية جزئية فكتب ابن زهر كتابا فى ذلك سماه التيسير فكان جملة كتابيهما كتابا كاملا في الطب)

رفعته وسبب شرحه
كتب أرسطو

لما أقام الامير عبد المؤمن بن علي بمراكش كان ابن رشد في ريعان شبابه فاستدعاه اليه الامير فعبر البحر سنة ٥٤٨ حتى وصل الى مراكش وأقام فيها مساعدا للامير عبد المؤمن على تنظيم المدارس وتشييد دور العلم

ولما مات عبد المؤمن وآل الملك لابنه يوسف الذى كان أكبر الملوك علما قرب اليه الفيلسوف الكبير أبو بكر محمد بن الطفيل فانتهز بن الطفيل هذه الفرصة وملأ بلاط الملك بالفلاسفة والعلماء كابن رشد وابن بجا وغيرهما

قال الفقيه أبو بكر بن يحيي القرطبي أحد تلاميذ ابن رشد سمعت أبا الوليد يقول غير مرة: لما دخلت على أمير المؤمنين أبى يعقوب وجدته هو وأبو بكر بن الطفيل ليس معهما أحد فأخذ أبو بكر يثنى على ويذكر

نسبي وسلفي ويضم الى ذلك أشياء لا يبلغها قدري فكان أول ما فتحني به أمير المؤمنين بعد أن سألني عن نسبي أن سألني هذا السؤال مارأى الفلاسفة في السماء أقديمة هي أم حادثة فأخذني الحياء والخزى فأخذت أتعلل وأنكر اشتغالي بالفلسفة ولم أكن أدري ماأتفق عليه أمير المؤمنين وأبو بكر ففهم أمير المؤمنين مني الروع والحياء فالتفت الى ابن الطفيل وأخذ يتكلم على المسألة التي سألني عنها ويذكر ما قاله ارسطو وأفلاطون وسائر فلاسفة اليونان ويورد مع ذلك احتجاج أهل الاسلام عليهم فرأيت غزارة حفظ لم أظنها في أحد من المشتغلين بالفلسفة ولم يزل يبش في وجهي ويبش حتى تكلمت على المسألة فعرف ما عندي فلما انصرفت أمر لي بمال وخلعة سنية ومركب

هذا هو السبب في اكبار الامير لابن رشد وفي حفاوته به . ومن ذلك الحين أخذ ابن رشد يستوى على عرش القضاء متنقلا من بلد الى آخر

ففي سنة ٥٦٩ هـ ولي قضاء اشبيلية ثم نقل منها الى مراكش سنة ٥٧٣ ثم نقل ثانية الى اشبيلية سنة ٥٧٤ وبقي بها الى سنة ٥٧٨ ثم استدعاه الامير يوسف الى المغرب وجعله طبيبه الخاص مكان ابن الطفيل وولاه منصب قاضي القضاة في قرطبة

ولقد كان مع اشتغاله بالقضاء مكبا على الفلسفة مواليا التأليف فيها فقد أتم كتاب الحيوان في اشبيلية ولما عاد الى قرطبة اشتغل بشرح كتب ارسطو وكان السبب في ذلك ان أبا بكر بن الطفيل استدعاه يوما وأخبره ان أمير المؤمنين قد تشكى من قلق عبارة المترجمين لكتب ارسطو وغموض أغراضه وانه ليود ان يتاح لهذه الكتب من يعرف أغراضها ويفهمها فهما جيدا فيلخصها

حتى يقرب على الناس من مأخذها . فان كان فيك فضل قوة لذلك فافعل وانى لأرجو ان تفى بذلك لما أعلم من جودة ذهنك ووفرة عقلك وقوة نزوعك الى هـذه الصناعة وانى لم يمنعنى عن ذلك الا كبر سنى واشتغالى بالخدمة . ذلك ما حمل ابن رشد على تلخيص كتب أرسطو وشرحها مع ميله الطبيعى الى ذلك

اضطهاده ونفيه

قلما يخلو بلد من البلدان من رسل الشر الذين توغر صدورهم وتملأ قلوبهم حقداً وحسداً على العلماء والفلاسفة بما نالوه من حظاوة واكرام يعز على هؤلاء ان يروا النعم تجرى على أولئك الفلاسفة والخلع تخلع عليهم فلا يجدون وسيلة ينالون بها ما يريدون الا الدسائس والوشايات. غير أن تلك السعايات قد تكون صرخة في واد اذا ما كانت بطانة الامير من العلماء المخلصين وكان الامير من العقلاء الذين يزنون الرجال وأعمالهم . ولقد كان ذلك شأن المنصور فى أول أمره فانه كان يضرب صفحا عن أقوال الواشين الذين كانوا يرمون ابن رشد بجحد القرآن وبتعريضه بالخلافة

وقد تكون تلك الوشايات فى ارهقاق هؤلاء الفلاسفة ذلا وسومهم خسفا وأكثر ما يكون ذلك اذا كان الامير مأفون الرأى متخذا بطانته من أعداء العلم ونصراء الباطل

هذا ابن رشد ذلك الذى كان ديدنه الاخلاص وخيمه الحق ذاك الذى يبغض الالقاب الضخمة التى يلقب بها الملوك قد ختمت حياته بالاهانة والنفى من غير ما ذنب جناه سوى اخلاصه لامته واشتغاله بالفلسفة وعلوم الحياة التي

نال بها الحظوة عند الامراء فعز على أعدائه ان يروه محترما مقربا من الملوك فنصبوا مكايدهم حتى أوقعوه فى أحبولتهم

وانى لذاكر الاسباب التي ذكرها المؤرخون لتعلم ان كانت تصلح باعثا للامير على نفي الرجل أو هي الاحقاد وجدت سبيلا الى نفس الامير فأخذ يتجسم له الخيل فظن أن الرجل ضال . ولو كان الامير ممن يحب الانصاف فاتخذ سبيله العدل لعلم ان ما بلغه من المشاءين انما يقصد به الانتقام من ذلك الذى كان يحتقرهم ولا يأبه لاقوالهم. قال المراكشي فى المعجب : ان السبب فيما أصاب أبو الوليد من النفي والاضطهاد انه أخذ في شرح كتاب الحيوان لارسطو فهذبه وبسط أغراضه وأبان مراميه وزاد فيه ما رآه لائقا به فقال في هذا الكتاب عند ذكره الزرافة وكيف تتولد وبأى أرض تنشأ (وقد رأيتها عند ملك البربر) جاريا فى ذلك على سنن العلماء فى الاخبار عن ملوك الامم غير ملتفت الى ما يتعاطاه خدمة الملوك من الاطراء والتقريظ وغير ذلك من طرق الخداع والنفاق فكان ذلك سببا لحقد الملك عليه . فأخذ أعداؤه بعد ذلك يكيدون له المكايد لينالوا منه فأخذوا يتصفحون كتبه حتى عثروا على عبارة كان يحكيها عن قدماء الفلاسفة فأخذوها وبتروها وقدموا للملك هذه العبارة (فقد ظهر ان الزهرة أحد الآلهة) فاستدعاه الامير بعد ان جمع له الرؤساء والاعيان من كل طبقة فلما حضر أبو الوليد قال له الامير بعد ان نبذ اليه بالاوراق أخطك هذا فأنكر فقال أمير المؤمنين لعن الله كاتب هذا الخط وأمر الحاضرين بلعنه ثم أمر باخراجه على حال سيئة وابعاده وابعاد كل من يتكلم فى شيء من علوم الفلسفة وأمر الناس ان يحرقوا كل ما عثروا عليه من كتب الفلسفة الا ما كان

من الطب والحساب وما يتوصل به من علم النجوم الى معرفة أوقات الليل والنهار

وروى الانصارى سببا آخر فقال ان سبب نكبة أبي الوليد اختصاصه بأبي يحيي أخى المنصور والى قرطبة ثم ذكر السبب الذى نقلناه عن المراكشى بصورة أخرى فقال : ويقال ان من أسباب نكبته أن قال فى كتاب الحيوان له ورأيت « الزرافة عند ملك البربر » وأن ذلك وجد بخطه فاطلع المنصور عليه فهم بسفك دمه فوافق أن كان بالمجلس صديقه أبو عبد الله الاصولى فقال وقد جرى فى مجلس المنصور منع العمل بالشهادة على الحق منعت الشهادة على الحق فى الدينار والدرهم وتجيزونها فى قتل المسلم ثم قال ان ابن رشد قد كتب « ورأيت الزرافة عند ملك البربر » فاستحسن ذلك فى الوقت وأسرها المنصور فى نفسه

وقد حكى الضبي سببا آخر فقال:

لقد شاع فى الشرق والاندلس على ألسنة المنجمة أن ريحا عاتية تهب فى يوم كذا وكذا فتهلك الناس ولقد استفاض ذلك حتى اشتد جزع الناس فاتخذوا القيعان والانفاق ليكونوا فى مأمن من هذه الريح

ولما ذاع ذلك فى انحاء البلاد حتى صارت تلك الريح حديث الناس فى نواديهم استدعى والى قرطبة اذ ذاك طلبتها وفاوضهم فى ذلك وكان فيهم ابن رشد قاضى قرطبة وقتئذ فقال بعض الحضور اذ صح أمر هذه الريح فهي ثانية الريح التى أهلك الله بها قوم عاد فانبرى ابن رشد لهذا السائل وقال والله وجود قوم عاد ما كان حقا فكيف سبب هلاكهم فسقط فى أيدى الحاضرين وأكبروا هذه الزلة التى لا تصدر الا ممن امتلأ قلبه كفرا فلم يصدق آيات القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تلك

هى الاسباب التى ذكرها المؤرخون غير أننا اذا اطلعنا على آراء الرجل وعقائده لا نشك فى كذب تلك الاسباب التى لها مساس بالدين فان قوله (قد ظهر ان الزهرة أحد الآلهة) كان حكاية لرأى أرسطو لا اختباراً منه وهاك عبارة أرسطو: لقد ورد فى أقوال الاقدمين فى سياق أسطورة من الاساطير أن الاجرام السماوية آلهة وان الالوهية تشمل الطبيعة كلها. فاذا جردنا هذا القول من ثوبه الخرافى ونظرنا الى ما تحته من المعنى الدقيق الذى ماله أن العقول الاولى التى خلقت الكون هى آلهة أمكننا أن نقول ان ذلك القول فى غاية الصواب

فحكى ابن رشد حكاية أرسطو واستنتج من عبارته أن الزهرة أحد الآلهة الا أن أعداءه أخذوا العبارة وبتروها لينالوا من الرجل

أما انكاره قوم عاد والريح التى أهلكتهم فان صح فان الرجل لم ينكر الا تلك الخرافات التى يذكرها المؤرخون فى شأنهم وفى شأن تلك الريح التى أبادتهم فأخذ حساده من ذلك فرصة ينالون بها ما يريدون فغيروا الكلم عن مواضعه ليغيروا قلب الامير فيحنق على الرجل فيوقع عليه من ضروب العسف والاهانة ما تقر به أعينهم ويهدأ به خاطرهم وان فى حوادث الوشاة من تغييرهم أقوال الناس وتبديلها بما يوافقهم لدليلا بيناً على صحة ما أقول. فالرجل لم يحد عن طريق الحق ولم يقل بشئ يخالف القرآن الكريم بل السياسية قد فعلت به ما فعلت باسم الدين حتى تخضع النفوس لحكمها ويعتقد الناس أن من أمطر عليه العذاب لا يستحق الاشفاق والحنان فحكمت عليه بالنفي الى (أليسانه) (بلد قريب من قرطبة سكنه من اليهود) ونشرت المنشورات فى بلاد الاندلس والمغرب لتحذير الناس من الاشتغال بالفلسفة

وان ما أصاب أبا الوليد قد أصاب كثيراً من اخوانه الفلاسفة فان سقراط قد اتهم بتغيير آلهة الوطن فحكم عليه بالقتل سيما مع أنه كان من أكبر المحافظين عليها كأن الطبيعة كما قال أرسطو ضنت على الفلاسفة بالراحة والنعيم وأمطرت عليهم النفي والقتل ليعلم الناس صفاء قلوبهم وأن ليس لهم غرض الا سعادة الانسان

العفو عنه ووفاته

لبث ابن رشد فى (اليسانه) منفاه هادئ البال لا يهمه أن يكون الامير راضيا عنه أو ساخطا لانه لم يجن ذنباً حتى يطلب الغفران. لم يبك على تلك السرر المرفوعة والنمارق المصفوفة. لم يألم من اتخاذه الارض مهداً والسماء سقفاً بعد الفراش الوثير لان السعادة فى نظر الفيلسوف راحة الضمير والسير فى طريق الفضيلة مهما كلفه ذلك من العناء والنصب

مكث ابن رشد فى منفاه ينشر مبادئه بين أولئك اليهود الذين أصبح بينهم حتى التفوا حوله وصاروا من المعضدين لفلسفته العاملين على نشرها

ولما علم الامير أن الرجل من المخلصين وانه لم يجن ذنباً عفا عنه وعن سائر المنكوبين ورضى عنهم فرجعوا الى بلدهم. غير أن ابن رشد لم يعش بعد العفو طويلا فانه مات فى السنة التالية فى مراكش ليلة الخميس التاسعة من صفر سنة ٥٩٥ ودفن بجبانة تاغزوت ثلاثة أشهر ثم حمل الى قرطبة فدفن بها فى روضة سلفه بمقبرة ابن عباس وقد صلى عليه ابنه أبو القاسم

ولقد خلف ابن رشد أولادا عدة منهم أبو محمد عبد الله الذي صار بعد ذلك طبيباً للخليفة الناصر

ولقد كسدت سوق الفلسفة بعد وفاة أبي الوليد فان أهلها قد طواهم الدهر والامراء قد شغلوا عن العلم بالحروب التي كانت بينهم وبين الفرنجة وانتهت بهزيمة المسلمين وذهاب علومهم وبلادهم غنيمة للفاتحين

اخلاقه

كان أبو الوليد مثال الوقار والحلم والصمت الحسن والهدى الصالح كان مصدر النزاهة والاخلاص كان كبير النفس والهمة لا يعرف النفاق والملق كان سهل اللقاء كثير النفع لخاصته وأصحابه جميل العشرة لهم حافظا لعهدهم كثير البر بهم كان يخاطب الامير دائما بقوله أيها الاخ ولم ترعه أبهة الملك لانه يرى أن المسلمين سواء لا فضل لأحدهم الا بما يقدمه من عمل نافع

كان اذا رأى من الامير حفاوة واكراما لم يشمخ بأنفه ولم يعجب بنفسه كما هو شأن الجهلاء المغرورين بل كان لا يأبه لذلك شأن الفلاسفة العقلاء يدل على ذلك ما رواه ابن أبي أصيبعة قال:

كان ابن رشد مكينا عند المنصور وجيها في دولته ولما كان المنصور بقرطبة وهو متوجه الى غزو الفنش وذلك في عام احدى وتسعين وخمسمائة استدعى أباالوليد بن رشد فلما حضر عنده احترمه احتراما كثيراً وقربه اليه حتى تعدى به الموضع الذي كان يجلس فيه أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص الهنتاني صاحب عبد المؤمن وكان أبو محمد هذا قد صاهره المنصور وزوجه بابنته لعظم منزلته عنده فلما قرب المنصور ابن رشد وأجلسه الى جانبه حادثه ثم خرج من عنده وجماعة الطلبة وكثير من أصحابه ينظرونه

فهنأوه بمنزلته عند المنصور واقباله عليه فقال : والله ان هذا ليس مما يستوجب الهناء فان أمير المؤمنين قربني دفعة الى أكثر مما كنت أؤمل فيه أو يصل رجائي اليه

ولقد كان الرجل محباً لبلده لا يؤثر عليه بلداً آخر بدا، على ذلك انكاره فى كتاب الكليات على جالينوس الذى كان يقول ان أجود هواء فى الدنيا هواء اليونان. فقال ان أجود هواء واصحه هواء قرطبة. ولما كان يشرح جمهورية افلاطون رأى ان فيلسوف اليونان يخص قومه بالذكاء والاستعداد للعلوم العقلية فأخذ يدافع فى الشرح عن أهل بلده ويشركهم فى ذلك الفضل وحسب الرجل ما قدمه لقومه من المؤلفات وما خلفه من الآراء والتعاليم فان ذلك أعظم عمل يقدمه الفيلسوف لامته

مؤلفاته

لقد وقف الرجل حياته على التأليف حتى أبرز للناس كتبا عدة فى فنون شتى وان مؤلفاته على كثرتها لا يوجد منها الا القليل فى بلاد المشرق مع انتشارها فى بلاد الغرب فى اسبانيا وباريس وليدن وغيرها وهاك مؤلفاته

كتاب الكليات فى الطب. شرح على أرجوزة ابن سينا فى الطب. تلخيص كتاب العلل والاعراض لجالينوس. تلخيص كتاب الجسميات لجالينوس. تلخيص كتاب المزاج لجالينوس. تلخيص كتاب الادوية المفردة لجالينوس تلخيص كتاب حيلة البرء لجالينوس. مراجعات ومباحث بين أبى بكر بن الطفيل وبين أبى الوليد بن رشد فى رسمه للدواء فى كتاب الكليات. كتاب ما بعد الطبيعة. كتاب الكون والفساد. كتاب جوامع كتب ارسطو

فى الطبيعيات والآلهيات.. كتاب السماء والعالم. كتاب القوى الطبيعة. شرح كتاب النفس لارسطو. شرح كتاب الاسطقسات لجالينوس. مقالة فى اتصال العقل بالانسان. مسألة فى الزمان. كتاب فى الفحص عن مسائل وقعت فى العلم الالهى في كتاب الشفاء لابن سينا. مقالة فى دحض شبهة من اعترض على الحكيم وبرهانه فى وجود المادة الاولى. مقالة فى الرد على أبى على بن سينا فى تقسيمه الموجود الى ممكن على الاطلاق وممكن بذاته والى واجب بغيره وواجب بذاته.. مقالة فى الزمان. مقالة فى حركة الفلك. مختصر المجسطى. مقالة فى بيان ما خالف فيه أبو نصر ارسطو. كتاب الآثار العلوية. جوامع سياسة أفلاطون. تلخيص كتاب الاخلاق. مقالة فى علم النفس. مايحتاج اليه الانسان من كتاب اقليدس فى المجسطى. شرح عقيدة الامام المهدي. مقالة فى البذور والزرع مقالة فى ان الله يعلم الجزئيات. كتاب تهافت التهافت رد على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالى. كتاب القياس. كتاب البرهان. كتاب المقولات. كتاب منهاج الادلة فى علم الاصول. كتاب نهاية المجتهد فى الفقه. كتاب التحصيل جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين. كتاب المقدمات في الفقه

الآراء والتعاليم

(الفلسفة والشريعة)

لقد قام ببلاد الاسلام نفر حقدوا على الفلسفة وعلى المشتغلين بها غير ان هؤلاء لم يدعموا آراءهم بالبرهان بل سلكوا طرقا أعمتهم عن الحق وأبعدتهم عن سبل الهدى ويمكن حصر الطوائف التي عادت الفلسفه وأهلها فى ثلاث

(١) طائفة الفقهاء. جل هذه الطائفة لم يشتغل بالفلسفة ولم يعرف من أصولها ما يبرر له هذا العداء وانما ابغضوا الفلاسفة لمخالفتهم لهم فى كثير من العقائد زعموا أنها أصل الدين فمخالفتها كفر وانتحال غيرها زندقة ولو ثابوا الى عقولهم لعلموا أنهم فى زعمهم واهمون وما مخالفة الفلاسفة لهم الا كمخالفة الكرامية للمعتزلة والاشاعرة للماتريدية وانما نترك هذه الطائفة تتخبط في جهلها فأنها لا تخضع لحق ولا تحترم رأيا

(٢) الطائفة الثانية اشتغلت بالفلسفة وعرفت كثيرا من مبادئها واصولها غير أنها لم ترجع الى كتب القوم أنفسهم بل اعتمدت فى نقلها واشتغالها على كتب ابن سينا وأبى نصر الفارابى الذين كثيرا ما خالفوا الاقدمين وذهبوا الى غير ماذهبوا. وهؤلاء لم يكفروا الفلاسفة الا فى مسائل معدودة سنتكلم فيها بعد. ولقد كان الاجدر بهؤلاء أن يرجعوا الى كتب القدماء قبل أن ينبروا للرد عليهم. ومن هذه الطائفة الامام الغزالى قال في كتابه تهافت الفلاسفة

انا سنقتصر على اظهار التناقض فى رأى مقدمهم الفيلسوف المطلق والمعلم أرسطو فانه رتب علومهم وهذبها بزعمهم وحذف الحشو من آرائهم وانتقى ماهو الاقرب الى أصول أهوائهم وقد رد على كل من كان قبله حتى على استاذه افلاطون ثم أعتذر عن مخالفته له بأن أفلاطون صديق والحق صديق الا أن الحق أصدق منه وانما نقلنا هذه الحكاية ليعلم أن لا ثبت ولا ايقان لمذهبهم عندهم وانهم يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور العلوم الحسابية والمنطقية ويستدرجون به ضعفاء العقول ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين نقية عن

التخمين كعلومهم الحسابية والمنطقية مااختلفوا فيها كما لم يختلفوا في العلوم الحسابية ثم المترجمون لكلام ارسطو لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج الى تفسير وتأويل حتى أثار ذلك ايضا نزاعا بينهم واقومهم بالنقل والتخمين من المتفلسفة الاسلامية ابى نصر الفارابى وابن سينا فلنقتصر على ابطال ما اختاراه ورأياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم في الضلال فان ما هجراه واستنكفاه من المتابعة فيه لا يتمارى في اختلاله ولا يفتقر الى نظر طويل في ابطاله فليعلم انا مقتصرون على رد مذهبهم بحسب نقل هذين الرجلين

الطائفة الثالثة — اشتغلت بالفلسفة واحاطت بكثير من فروعها الا انها قد غفلت عن كثير من الاصول لهذا تراها تعترض على بعض الاصول غافلة عن البعض الآخر ومن هذه الطائفة ابن خلدون قال في مقدمته:

ان ضرر هذه العلوم في الدين كثير فوجب أن يصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد فيها وذلك ان قوما من عقلاء النوع الانساني زعموا ان الوجود كله الحسي منه وما وراء الحس تدرك ذواته واحواله الانظار الفكرية والاقيسة العقلية كأن تصحيح العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل وقد بحثوا عن ذلك وشمروا له وحوموا على اصابة منه ووضعوا قانونا يهتدى به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق وقد زعموا ان السعادة في ادراك الموجودات كلها ما في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين وان الجهل بذلك هو الشقاء السرمدى وامام هذه المذاهب الذى حصل مسائلها ودوّن علمها وسطر حججها أرسطو المقدونى ثم كان من بعده في الاسلام من أضله الله من منتحلي هذه العلوم فأخذوا بتلك المذاهب واتبعوا فيها رأيه الا في

القليل وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابي فى المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وأبو علي بن سينا فى المائة الخامسة لعهد نظام الملك بن بويه بأصبهان

فهذه الطوائف على اختلاف آرائها قد اتفقت على أنه لا اتصال بين الشريعة والفلسفة والاشتغال بها مضر غير أن أبا الوليد بن رشد لم يلتفت الى هذه الآراء ولم يأبه لقائليها فبحث حتى وصل الى الاتصال المتين بين الشريعة والفلسفة وذهب الى أن الاشتغال بها وبعلوم المنطق من الواجبات التي طالب بها الشرع وهذه المسألة من المسائل التي لم يسبق بها ابن رشد فهي من بنات أفكاره وحسبنا أن نلخص رسائله التي كتبها فى هذه المسألة

الحكمة أو الفلسفة النظر فى أحوال الموجودات على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية فالفيلسوف لا يشغل بشيء أكثر من النظر فى الموجودات من جهة دلالتها على الصانع فان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة صنعها فكلما كانت المعرفة بصنعها أتم كانت المعرفة بالصانع أكمل

واذا كان الشارع قد طلب منا اعتبار الموجودات وحث على ذلك فان ما يدل عليه الاسم اما واجب بالشرع أو مندوب اليه فأما ان الشرع دعا الى اعتبار الموجودات بالعقل وطلب معرفتها به فذلك بين فى غير ما آية من القرآن مثل قوله تعالى (فاعتبروا يا أولى الابصار) وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي أو العقلي والشرعي معا ومثل قوله تعالى (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء) وهذا نص بالحث على النظر فى جميع الموجودات وقال تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت) وقال (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) الى غير ذلك من الآيات. واذا تقرر ان الشرع قد أوجب النظر بالعقل فى

الموجودات واعتبارها وكان الاعتبار ليس شيئاً أكثر من استنباط المجهول واستخراجه منه وهذا هو القياس فواجب ان نجعل نظرنا فى الموجودات بالقياس العقلى وبين ان هذا النحو من النظر الذى دعا اليه الشرع وحث عليه هو أتم أنواع النظر بأتم أنواع القياس. واذا كان الشرع قد حث على معرفة الله تعالى وموجوداته بالبرهان كان الافضل لمن أراد ان يعلم الله وسائر الموجودات بالبرهان ان يتقدم أولا فيعلم أنواع البراهين وشروطها وبماذا يخالف القياس البرهانى القياس الجدلى والقياس الخطابى والقياس المغالطى ولا يمكن ذلك دون ان يتقدم فيعرف قبل ذلك القياس المطلق وكم أنواعه وما منها قياس وما ليس بقياس وذلك لا يمكن أيضاً دون ان يتقدم فيعرف أجزاء القياس أعنى المقدمات وأنواعها. اذن يجب على المؤمن بالشرع فيمتثل أمره بالنظر فى الموجودات ان يتقدم قبل النظر فيعرف هذه الاشياء التى تنزل من النظر منزلة الآلات من العمل فكما ان الفقيه يستنبط من الامر بالتفقه فى الاحكام وجوب معرفة المقاييس الفقهية على أنواعها كذلك يجب على العارف ان يستنبط من الامر بالنظر فى الموجودات وجوب معرفة القياس وأنواعه بل هو أحرى بذلك لانه اذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى (فاعتبروا يا أولى الابصار) وجوب معرفة القياس الفقهى فبالحرى ان يستنبط من ذلك العارف بالله وجوب معرفة القياس العقلى

واذا تقرر انه يجب بالشرع النظر فى القياس العقلى وأنواعه كما يجب النظر فى الفقهى فتبين انه ان كان أحد ممن قبلنا لم يتقدم بالفحص عن القياس العقلى وأنواعه انه يجب علينا ان نبتدئ بالفحص عنه وان يستعين فى ذلك المتقدم بالمتأخر حتى تكمل المعرفة فانه عسير أو غير ممكن ان يقف واحد

من الناس من تلقائه وابتداء على جميع مايحتاج اليه من معرفة أنواع القياس الفقهى بل معرفة القياس العقلى أحرى بذلك وان كان غيرنا قد فحص عن ذلك فبين انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا فى ذلك سواء كان المتقدم مشاركا لنا فى الملة أو غير مشارك فان الآلة التى بها تصح التزكية ليس يعتبر فى صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا فى الملة أو غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة

واذا كان الامر هكذا وكان كل ما يحتاج اليه من النظر فى أمر المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء اتم فحص فقد ينبغى ان نضرب بأيدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان كله صوابا قبلناه منهم وان كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه فاذا فرغنا من هذا الجنس من النظر وحصلت عندنا الآلات التى بها نقدر على الاعتبار فى الموجودات ودلالة الصنعة فيها فقد يجب ان نشرع فى الفحص عن الموجودات على الترتيب والنحو الذي استفدناه من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية وتبين أيضاً ان هذا الغرض انما يتم فى الموجودات بالفحص عنها واحداً بعد واحد وأن يستعين فى ذلك المتأخر بالمتقدم على مثال ما عرض فى علوم التعاليم. فانه لو فرضنا أن صناعة الهندسة فى وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة الهيئة ورام انسان من تلقاء نفسه أن يدرك مقادير الاجرام السماوية وأشكالها وابعاد بعضها ما أمكنه ذلك ولو كان أذكى الناس طبعاً الا بوحى أو شبه وحى بل لو قيل له ان الشمس أعظم من الارض بنحو مائة وخمسين ضعفاً أو ستين لعد هذا القول جنونا من قائله وهذا شئ قد قام عليه البرهان فى علم الهيئة قياس لا يشك فيه من هو من أصحاب هذا العلم. ولو رام انسان اليوم أن يتفقه من تلقاء نفسه على جميع الحجج

التي استنبطها النظار من أهل المذاهب في مسائل الخلاف التي وضعت المناظرة فيها بينهم في أكثر بلاد الاسلام لكان أهلا أن يضحك لكون هذا ممتنعاً وهذا أمر بين بنفسه ليس في الصنائع العلمية فقط بل وفي العملية فانه ليس منها صناعة يقدر أن ينشئها واحد بعينه فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة

واذا كان الامر كذلك فقد يجب علينا ان الفينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظراً في الموجودات بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه

يتلى

اثارة من نظم شيلير

نابغه شعراء الالمان

وهي مما سيذكر فى الجزء الثاني من بلاغة الغرب

الغواص

من منكم أيها الفرسان والفتيان النبلاء يقدم على الاندفاع فى هذه الهاوية؟ لقد رميت قدحا من نضار فابتلعته الحفرة المهلكة فمن آنس فى نفسه قدرة على أخذه فليحتفظه لنفسه منحة مني

فما أتم الملك كلامه حتى رمى من ذروة الصخور المنحدرة المشرفة على اللجج المائلة قدحا من عسجد فى مياه (كربد) وكرر نداءه:

«من منكم يعهد فى نفسه الاقدام على غوص هذه الاعماق؟»

عم السكوت وخيم السكون وما من مجيب وما هي الا هنيهة حتى هب بغتة شاب سرى جمع بين اللطف والجرأة فتقدم وحل منطقته وتجرد من عباءته فدهش كل من رآه من رجال ونساء وأعجبوا به أيما اعجاب. وبينا هو على حافة الصخر يتأمل فى هذا المهوى اذ اندفعت اللجج من أغوارها مزمجرة كالرعد

صفر هذا الضارى ثم أزبد وغلى كماء المراجل تحتها النار وارتفعت نوافير الماء والبخار الى عنان السماء وتبعت اللجة اللجة. فكأن قوة هذا المهلك تتجدد ولا تنفد أو كأن المحيط يتمخض ليلد يما آخر

ثم سكن هذا التيار الدوار ولمح الناس وسط الزبد الابيض فوهة

سوداء لا قرار لها فاغرة فمها كالجحيم لا تلبث أن تزدرد ما يهوى فيها من الموج المضطرب

وفى هذه الآونة اعتمد الشاب على الله وطلب منه الرعاية ... ثم سمع على حين غفلة صياح الفزع والرعب اذ ابتلعت اللجة هذا الغواص المقدام وانطبق عليه فم الوحش الكاسر

صمت كل شئ على وجه الماء ولكن الانواء ما فتئت تدوى فى ظلمات الحفرة وطفق كل متفرج يقول: « الوداع الوداع أيها العزيز » وما برح هزيم الهاوية يهبط شيئاً فشيئاً حتى هلعت القلوب وحارت العقول

ثم صاح أحد المشاهدين: « لئن رميت تاجك فى هذا النور المائل قائلا: « الملك لمن يرده » ما سولت لى نفسى أن اتطلع اليه اذ لم تستطع نفس حية أن تقول ما شاهدته فى هذه الحادس والمهاوى »

« كم من فلك اختطفت هذه الاغوار ولم تزد منها الا حطاما وساريات مهشمة ودفن باقيها فى بطون الرموس » ثم علت زمجرة اللجج بغتة واقتربت أصواتها

زأر الكاسر الرهيب وهاج وأرغى وأزبد وعلت لججه كالاطواد وأنشأت تنقض على الشاطئ فيسمع لصدماتها هزيم كالرعد .

ثم شوهدت على الموج المظلم العنيف ذراع وعنق وضاح كالجليد: وما هو الا الشاب السرى يسبح بقوة عظيمة وعاد متهللا حاملا القدح بيده اليسرى

استنشق الهواء طويلا ثم حيى نور السماء فصاح الناس مستبشرين فرحين: « ها هو حى! ولم يستطع قبر اللجج أن يحجزه واقتحم الغواص الجرئ الخطر وظهر عليه »

اقتربَ الفتى فالتف حوله المتفرجون ثم ركع تحت قدمى الملك وقدم له الكأس الذهبية . فأشار الملك الى ابنتـه العزيزة بأن تملأها من رحيق فاخرفصاح الغواص :

«أمد الله فى عمرك ايها الملك ان السعداء من يستنشقون هذا الهواء النقى ! وهاته الهاوية ترتاع منها القلوب الشـداد . فلا ينبغى للانسان ان يبلو الأرباب ويتطلع الى معرفة ما عندهم من الرحمة والحنان وما اختفى تحت أستار الظلام»

«هـويت الى هنـاك بأسرع من البرق فقذفتنى لجة عاتية الي صخرة ثم حملتني أخرى لا تقل عنها بأساً ودورتني كالخزروف فلم استطع ان اثبت امامها»

«أرانى الآله الذى استغثت به عند ما حفت بى المخـاطر الهائلة فرجة فى الصخرة وبها نجوت من الموت . . . وقـد لمحت ثمت الـكأس معلقة فى شعب المرجان التى منعتها من السقوط الي الاغوار السحيقة»

« ابصرت تحتى اعماقا لا قرار لها ولم تسمع اذنى اقل جلبة وارتعدت فرائصي عنـد ما شاهدت الحيتان والتنانين ووحوشا غيرها جائلة في هـذه الحفرة الجهنمية

«كنت ثمَّ عـديم النصير لا اسمع صوتا آدميا وحيداً فى مخبأى المزعج اتأمل فى هذه الوحوش الفظيعة وافكر فى حظى . فاقتربت مني مئات منها وهي تحاول ان تنقض على فتركت المرجان من الهول ثم ارتفعت الموجة وحملتنى الي سطح المهلك »

فنظر اليه الملك باعجاب وقال له : «هـذه الكأس لك وسأعطيك ايضا

خاتما ذهبا مرصعا بالاحجار الكريمة فجرب النزول الى اللجج ثانية ثم تعال الىّ لتحدثني عما رأيت »

فاصغت اليه الفتاة وارتسمت على وجهها عاطفة حنان وقالت له بلهجة تسيل توسلا وتعطفا :

« اعدل ابت عن هذه التجربه القاسية فأن هذا الشاب اقدم على مالم يقدم عليه آخر قبله ورجع من مكان لم يعد منه حي قط »

« وبيناهى تتكلم اذ رمى الملك القدح قائلا : ايها الفتى ، أن أتيتنى به جعلتك من فرساني الأخصاء وزوجتك من توسلت الىّ لأجلك »

فآنس غواصنا فى نفسه قوة سماوية وتوقدت الشجاعة فى عينيه ولمح ابنة الملك وقد علت وجهها الحمرة ثم بهت لونها فوقعت على العشب . فأراد ان يظفر بهذه المنحة الفتانة فطوح بنفسه فى الموج ليخوض غمار المنون مرة أخرى

أنشأ الناس يسمعون هزيم اللجج وينحنون وفرائصهم ترتعد على حافة الهاوية فكانت اللجج تنتفخ وتزبد وتعلو وتهبط ثم تعلو ولم تأت بالغواص

الانتظار

أأسمع الباب الصغير يفتح أم صرير المزلاج ؟ كلا ! بل ذالك صوت الرياح التى تهب بين أشجار الحور فتترنم بحفيفها

أيتها الاوراق الخضراء تزيني فانك ستلاقين اللطف والجمال . أيتها " هيأى مخبأ ظليلا يحميها فى الليل الصامت الانق . تيقظ يانسيم الصبا

وامسح ورد خديها بخطراتك حينما تقبل ساأرة بخفة الى مواطن ينتظرها فيها الهوى

صه صه ! ماهذه الجلبة التي أسمعها بين الخمائل ؟ انه لطائر نافر هرب من هذه الايكة

اطفىء يانهار سراجك الوهاج وتعال أيها الليل الهنىء بأسرارك الحلوة وانشر حجبك فوق هاتيك الحقول الارجوانية ونسيج الاوراق المشتبكة: فان الحب يبتعد حين صفوه وسعادته عن الآذان التي تنغمس فى حماة الفضول وتسترق مالا يعنيها كما أنه يهرب من الضوء المسئم الممل . وكوكب المساء الامين هو الذي تعهد اليه وحده الاسرار

ما الذى أسمعه هنالك من همس أشبه بصوت خافت ؟ لا، فذاك البجع يمرح فوق الماء الرائق ملتفا كالحلقة

نعم شجى يردده الهواء والينبوع يتفجر ماؤه بخرير لطيف والزهر ينحني من لثمات النسيم

مالى أرى جميع الكائنات تميل من نشوة الملذات وعنقود العنب يعطف على الخوخ اليانع الشهى المستتر بين الاوراق والهواء الشذى يمتص حرارة خدى الملتهبين

أماسمعت وقع أقدام وراء الحرجة ؟ كلا ! فانها ثمرة ناضجة سقطت من ثقلها

طفقت اشعة النهار تنعدم شيئاً فشيئاً حتى بهت لونها وأخذت الازهار التى تخشى حرارة الشمس تتفتح فى الشفق البليل ثم أشرق القمر الفضى وظهرت الاشياء جليا بعد غموضها وحلت المناطق فتجلى جمال الطبيعة عاريا أمام ناظرى

تلك حلة بيضاء تلمع هناك أم ثوب من خز ؟ لا ، فما هى الا العمد البيضاء ينعكس لونها على السور المظلم

أيها القلب الجزوع ! لا تصب الي لعب لا يجدى يصدر من الغيد الحسان. امد ذراعى لمانقة من أهوى فلا أجد فيهما شيئاً والخيال الغرور لايقنع فؤادي . آتونى بقرّة عينى ودعونى أشم يدها الجميلة وانظر أطراف عباءتها وسأسلك سبيل الحياة من طريق الامانى الخادعة

أقبلت ساعة الهناء العميم بسكينة كأنها هبطت من أعالى السماء واقتربت الحبيبة العزيزة دون ان ترى فأيقظت محبها بقبلها الحارة المنعشة

اقتسام الارض

(قال چوپيتير) يوما من على عرشه للناس : « خذوا الدنيا فهى لكم وامتلكوها وتمتعوا بكل ما اشتملت عليه وما أوصيكم الا بالعدل والاخاء فى القسمة »

هب الناس سراعا وأقبل كل من يستطيع ان يحرز له نصيبا من شبان وشيوخ ، فاستولى الزارع على الحرث واختص السرى بالغاب واختار الراهب الصهباء المعتقة ووضع الملك حواجز فوق القناطر وحول الطرق ونادى : «الخراج لى وحدى »

انتهت القسمة من أمد بعيد وأقبل الشاعر من أقصى الارض ولنكد حظه لم يبق شئ الا أصبح فى حوزة مالكه. فارتمى أمام عرش رب الارباب متوسلاً شاكياً : « يالشقائى وتعسى ! أيصبح أدنى أبنائك نسياً منسيا دون

الناس كافة « فأجابه :» لاتتهمني ان ضللت في عالم الخيال والاماني : أين كنت حينما اقتسم الناس الدنيا »

— « كنت بجانبك أشاهد بهاءك منصتا الى الانغام العلوية . فاصفح عن عقل فتن بنورك فنسي نعيم الدنيا » فأجابه بصوت جهوري رنان :

— « ليت شعري ما الرأي ما العمل ؟ قضي الامر واقتسمت الارض ووزعت الثمرات والصيد والاسواق وأصبحت ملكا للناس. فلو شئت ان تأتي الي سمائي وتعيش بجانب عرشي وجدت أبوابي مفتحة لك متي أردت »

اثارة من شعر الفرنسيين

قصيدة لفخر شعراء فرنسا الفيلسوف الحكيم (الكونت الفريد دو ڤيني) وهي مما سيذكر في الجزء الثاني من (بلاغة الغرب)

غضب شمسون

صحراء خرساء وسرادق منفرد فأي راع شجاع نصبه في مفاوز الرمال والسباع ؟ — لم يسكن الليل بعد وما فتئ الهواء ملتهباً من آثار حمارة القيظ وقد هبت ريح خفيفة في الافق وجعدت ما انتشر من لجج العجاج كما تعبث بوجه بحيرة رائقة راكدة وطفقت تداعب نسيج الخيمة الابيض نخفق من ملاعبتها وتأرجح . وكانت مشكاة من بيض النعام ساكنة ساهرة فوق مسافرين ككوكب دري وقد رمت ظلين طويلين منهما على نسيج الصيوان. أحدهما كبير عظيم والآخر تحت قدميه ذليل حقير : وان هما الا دليلة ورفيقها الفتي القوى مغلول اليدين والركبتين بعد ما كان البأس والبطش طوع بنانه

جلست بجانب محبها كفهد جميل خفيف الحركة يروق منظره ويروع مخبره وقد أسبلت غدائرها المسترسلة على قدميه تنظره بعينين نجلاوين ناعستين توقدتا مما ارتسم فيهما من حب الشهوات التي يبتغيها طرفها المنبعث منه ضوء بهي متقطع كبرق خلب . وقد تصببت ذراعاها النقيتان الناعمتان عرقا فاتراً وتربعت على رجلين شائقتين . لها عطفان مرتفمان يزريان باعطاف الغزلان . متحلية بأساور وخواتم وأقراط من ذهب . وقد زهت بلونها الاسمر كبنات (هطصور) ربة الجمال وتدلت على نهديها تمائم قديمة وضايقتهما حال سندسية شآمية

ضمت ركبتا شمسون بوثاق متين فأمسى يمثل (انوبيس) وقد غفلت عنه من أسرته ولبثت ضاحكة تؤرجحها يدها المسندة الى رأسها وتخاف من بطشها الاسود . أنشأ يتمتم اليها بأناشيد الموت والآلام بلهجته العبرية فلم تفقه لغته الاجنبية ولكن الغناء جلب الى رأسها نعاسا ورنق في عينها سنة وليست نائمة

« تنتشب حرب عوان فى كل زمان ومكان . على بساط الصحصحان . وفي حضرة الملك الرحمن . بين طيبة الرجل وخداع المرأة وهي مخلوق مدنس الروح والجثمان

« الرجل دائما فى حاجة الي الملاطفة والحب وقد ارضعته أمه أفاويقهما مذ ظهر فى عالم الوجود فكانت ذراعها أول من أرجحه وخدّره من الملاطفة والمسح فأشرب فى قلبه الميل الى الحب وفتور الهمة . فتراه ان نغص فى عمله أو كدر صفوه فى مقاصده ونواياه حن الى الحضن الدافئ وأناشيد الليل وقبل السحر والشفة الملتهبة بنار الحب البنوى التي كانت تنقض عليها

شفته انقضاض النسر على فريسته . والشعر المنثور الذى كان يلتوى على جبينه. فان مشى وتعب عاودته ذكرى المهد فذهبت نفسه حسرات. وكلما شب وبسل زاد خذلانه وقهره كالنهر ما كبر واتسع الا وزاد اضطرابه وكثرت أمواجه

« وحينما يكشر له القضاء عن أنيابه الحداد ويشهر عليه هو وما أقلته وأظلته من العوالم حربا يستعر لظاها ويشيب من هولها الولدان يضطر لان يبحث له عن حضن يستريح فيه بعد نصبه وقبلة تكفكف ما انهمر من عبراته . ولكنه قبل أن يتخلص من مصابه وأوصابه وما انهال عليه من صنوف الأحن تشن عليه غارة أخرى خفية ملئت غدراً وجبنا وتحتدم تحت ذراعه وفوق فؤاده وما أصلاها الا المرأة وكل امرأة (دليلة)

« تضحك ظافرة بسماجة متقنة وتجلس بين أترابها متباهية مفتخرة بأنها لم تكابد قط نيران الحب وتعترف لأعز خليلاتها بان الناس يحبونها دون أن تعرف للحب معنى وانها ترتعد من سيطرة الرجال

« انها لاتحب الا اللذات والرجل فظ قاس لا يهمه الا ان يأخذ من الشهوات قسطا وافراً دون ان يعلم كيف يرده لغيره بدوره

« ان ضحيه غالية يضرب بها الامثال لترفع شأن ربة الجمال الفتاك الفتان في عين أترابها أكثر مما يعمله النضار الوهاج فتعرف كيف تروى قدميها من دم ثمين مهدور

« اللهم انى لا أجد ما أتمناه ! — وأصبحت من هى قبلة الحب ومنبع الحياة تفتخر ان صارت لنا عدوا لدودا وظلت المرأة الآن أسوأ منها فى الزمن الغابر الذى فيه تبرأ البارىء من الناس . وسيرحلون فى القريب العاجل

الى دولة ممقوتة ويؤسسون هناك مدينة (عمورة) للنساء وبجانبها (سدوم) للرجال وينفصل كل من الجنسين بمعزل عن الآخر وينظران الى بعضهما شزرا من كثب الى ان يفني كل منهما فى مواطنه

« أيها الدائم قهار الجبابرة ! انك تعلم ان نفسى لم يكن لها غذاء الاحب امرأة فاغترفت من حياض الهوى قوة وعزما يفوقان ما منح شعرى المقدس قلبي من السطوة والبأس — فاحكم بيننا وأنت خير الحاكمين — هاهى نائمة على قدمي وقد باعت سرى وحياتى ثلاث مرات سكبت فى كل منها دمع المكر والخداع فلم يدار حنقا وكلما يتلألأ ن في عينيها وتغلب خجلها على دهشها لافتضاح أمرها وغفران ذنبها لان طيبة الرجل عظيمة قوية ولطفها عند المغفرة يتهر هذا المخلوق الضعيف الكاذب

« قد كلت ورزحت نفسى تحت أثقالها ومتاعبها وأصبح جسمى العظيم ورأسى القادر القوى اللذان يستطيعان ان يقلا عمد الفولاذ لا يقدران ان يحملاها هى وهمومها وأتراحها

« ما برحت أنظر الافعي ذات اللون الذهبي زاحفة فى حمأها المسنون ظانة أنها مجهولة متوارية . وهذا القرين الذى مازال قلبه مفعما شكا وريبا هى المرأة بل الطفل المريض بل الدنسة النجسة . تعمل جهدها فى حفظ غضبها بقلبها المهان كمثل محراب اضطرمت فيه النار فالتهمت ما حوله . وقد حرم عليها ان تنظر أو تبكى حتى أصبحت قاسية القلب جامدة العين !

« رب ان هذا لا يطاق ! — وان سبقت مشيئتك به فامتنى وأرحنى من هذا العالم . بحت بسرى الى دليلة فباعته وأذاعته فبارك اللهم فى قدم سعت الى لتنذرنى بالموت ! ولتتم ارادتك كما تشاء »

قال ذلك ثم نام بجانبها الى ان حانت الساعة التي ضربت لحضور الفرسان فذعروا حينما دخلوا ذراه واشتروا شعره بزنته ذهبا . وغلوا يديه وفقأوا عينيه بحديد محمي وقادوه مخضبا بدمائه راسفا في سلسلة ينوء عن حملها ستة أزواج من الثيران . ثم أوقفوه صامتا أمام الهيكل (داجون) الذى زأر بصوت مختنق ودار دورتين على قاعدته فاصفرت وجوه الكهان من الرعب والذهل فاطلقوا البخور وأدبوا مأدبة فاخرة سمع لغطها من أبعد جبل في المدينة وأجلسوا دليلة بجانب القربان المذبوحة تحت قدمى الهيكل وهى بنى شاحبة اللون متوجة محبوبة مليكة الوليمة فقالت وهى ترتعد : لن يرانى!

أيتها الارض والسماء! هل طرتما فرحاً حينما رأيتما هاته الخليلة الكاذبة تتبع فريستها ناظرة بطرف وحشى الى عينيه الغارقتين فى دمائهما وهما تبحثان عن الشمس وهيهات لما تجداه ؟

ثم انتهى الامر بان تمطى شمسون بين العمادين الحاملين لهذا الهيكل المعظم فهدمها! وانقض المعبد على أعدائه وعدتهم ثلاثة آلاف فاهلكهم هم وأربابهم ومحاريبهم

أيتها الارض والسماء ! هلا جازيتما بمثل هذا القصاص العادل الغدر المدبر بحب كاذب كله تصنع ورياء وافشاء سر قلوبنا الذي نزعته من بين أذرعنا قبل كاذبة خادعة ؟

محمد كامل حجاج

كلمات كبيرة

للحكيم الروماني النابه الذكر (ماركس اريليس انتونيس)

(١٦) احذر المداجاة حذرك النزق فكلاهما ينشأ عن نزاع النفس الى الأنانية وكلاهما يؤذي

(١٧) هل تعرض حياة الانسان شيئاً أكبر من العدل والحكمة والشجاعة ؟

(١٨) الانهماك في الملذات أضر وأعود عليك بالملامة من الانهماك في الالام

(١٩) لشد ما يضر الانسان نفسه اذا غلبه السرور أو الأسى على أمره

(٢٠) انني لأستطيع في أي مكان يطوح بي اليه المقدور ان أكون رجل مجد وسعادة لان السعادة معناها وقف النفس على الفضائل الحقيقية الصالحة وما تلك الفضائل الا أخلاق رضية وفكر سديد وأعمال صالحة .

(٢١) اذكر ساعة كآبتك ووجدك أن حياة المرء لحظة وأننا بعد قليل ستطوى صحائفنا ونودع الرمس .

(٢٢) أذكر أنك خلقت للبقاء

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد

(٢٣) لاتجبن ولا تأس اذا لم تنجح في أي عمل قمت به وفاق مبدئك الصحيح وعقيدتك الثابتة

(٢٤) هل قمت بعمل للمصلحة العامة ؟ اذن لقد نلت جزائي

(٢٥) ليس اطراء القوم الا رنين نغمات الألسنة

(٢٦) يقرأ المحبوب في ايجاز المحب كل شيء

(٢٧) لا يأبه الرجل الصالح بالبواطن الغفلة والقلوب المريضة

(٢٨) مقاومة المرء لأخيه مقاومة للطبيعة

(٢٩) يجب ان نسارع الى العمل لا لاننا نقترب على مر الزمن من الموت بل لأن حركة التفكير في الاشياء وادراكها ستفنى فينا قبل ان نموت

(٣٠) عجيب صنع الانسان ! أنه يحب ذاته أكثر من حبه لغيره

(٣١) لقد طال عجبي من هذا الانسان ! أنه يؤثر نفسه على بقية المخلوقات ولكنه مع ذلك لا يحسن الموازنة بين رأيه وآرائهم

(٣٢) كن جذلا مستبشرا ولا ترتقب آية مساعدة أو سكينة يهبك غيرك اياها

(٣٣) تتجلى نهاية الكمال الأخلاق فيما يأتي : ان تمضي كل يوم كسابقه وألاّ تكون سريع الغضب شديده ولا جامد الحركة ثقيلها ولا ملاّقا مذّاقا

(٣٤) انني أؤكد وأنا بنجوة عن الشك ان السكينة ليست الا رزانة الحصاة ونظام العقل الصالح

(٣٥) هب ان انسانا يمتهني ويزدريني . ذره يتطلع الى ذلك . بيد أنني يجب عليّ ألاّ أعمل عملا أو أقول قولا يستحق المهانة والازدراء

(٣٦) ثلاثة هي الانسان : جسم ضئيل وحياة قصيرة وادراك فأما الجسم والحياة فهما له ما دام يعني بهما وأما الادراك فهو خاصيته عني به أو أهمله

(٣٧) لا أمر أجلب للعار وأدعى الى المنديات من صداقة مدخولة ووداد مكذوب

(٣٨) أحق الناس ان يسخر منه ويعجب له من يدهش لامر يحدث في الحياة

ع . علي

فى عالم الاكتشافات

رسائل الكبتن اسكت

الرحلة القطبية

— أسباب التأخير —

(خطر هوات جليدية وجلاميد ثلج عوامة)

ان رسائل الكبتن (اسكت) التي أرسلت تلغرافيا من (نيوزيلند) فى أول ابريل تنبئ بأن كلا من الفريقين — مكتشفى القطب جنوبا ومكتشفيه شرقا — سيستمرون فى رحلتهم سنة أخرى تحت قيادة لفتننت (كمبل)

فى يوم ٣ يناير كان الكابتن اسكت وأتباعه على استعداد تام لاتمام بقية الرحلة اذ لم يبق بينهم وبين القطب سوى ١٥٠ ميلا . وكانت المؤن بكميات وافرة . وكانوا فى صحة جيدة . فرسموا الخطة وعينوا الامكنة التي فيها توضع المأكولات الاحتياطية

بناء على هذا نظن أن الكابتن اسكت وصل القطب بعد شهر من وصول الكابتن المندسن والحملة النرويجية التي وصلت فى ١٤ ديسمبر الماضى

تقريرات المكتشف

ان الرسائل التي أتت للسفينة ترانوفة من المستر اسكت تنقسم الى ثلاثة أقسام . القسم الاول منها مؤرخ فى ٣ اكتوبر سنة ١٩١٢ من المأوى الشتوى فى (ماك مردوسوند) فيه أخبار عن الاستعدادات للرحلات

الاساسية . أما الاخرى فتاريخها ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١١ وصف فيها مبدأ الرحلات القطبية — أما القسم الثالث وهو أعظمها أهمية فتاريخه ٣ يناير وكتب عند خط ٨٧ درجة و ٣٢ دقيقة جنوبا وفيه وصف منتهى الرحلة بالقرب من القطب

ان صحة أعضاء الرحلة جيدة جداً ما عدا صحة اللفتنت (افتانس) اذ أصابه مرض من الامراض الجلدية ولكن صحته آخذة فى التحسين

ان السفينة (ترا نوفة) سترجع الى الجنوب في نوفمبر القادم

المآوى الشتوية

ان تقريرات الكبتن اسكت هي كما يأتى : —

المأوى الشتوية بقرب (مك مردوسوند)

فى ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١١

اشتغلت فرقة مكونة من ١٢ رجلا ومعهم ثمانية أفراس وكلبان من الكلاب التى تجر العربات على الثلج لغاية ٣٠ يناير — بعمل قاعدة للمأوى الثابت الاساسى فى شرق (مركز العشش). ثم اتخذت محلات في ركن المأوى الاساسى ومواضع أخر

رجعت مع الكلاب من هذا المأوى الى المأوي الاساسى فى (الجزيرة البيضاء) ولما كان الضوء ضئيلا سقطت الكلاب فى هوة

أما أنا (وميرز) والعربة فتعلقنا على جسر ثلجى وكانت هذه من معجزات الزمان. وبعد أن جاهدنا ثلاث ساعات أمكننا أن نخرج الكلاب

ولما وصلنا (مركز العشش) وصلتنا الاخبار عن السفينة (ترانوفة) والسفينة (فرام) أما اللفتنت (بورز) والمستر (تشرى) و (جارارد)

و (كرين) وأربعة أفراس ممهرة فانقطعوا عنا على جامود ثلج لما تفكك الثلج في أول مارس. ولكن شددنا العربات ولاقينا في ذلك كل صعوبة. ولقد خفي أثر أحد الافراس أما الاخريات فصارت تقفز من جلمود الى جامود حتى وصلت الى الحاجز. فلما علمنا ما أصاب هذه الفرقة ذهبنا لنجدتهم وقد تمكنا من تخليص الرجال بواسطة حبل (أللبي)

كانت الجلاميد مرتفعة عن سطح الماء وطرقها حزنة. وكانت الحيتان على بعد ياردات قليلة عنا. وقد نجت فرس واحدة أما الاخريات فسقطت بينما كانت تقفز من جلمود الى آخر

ولقد وجدنا كوخ الاكتشاف مملوءاً بالثلج فجلسنا كأننا نحن من الهمجيين أو تعودنا عيشتهم ولقد وجدنا صندوقا مملوءاً جرائد قديمة فسررنا جداً من ذلك وارتاح خاطرنا لوجودنا في ذلك المحل

وفي يوم ١٥ مارس رجعت الفرقة الجيلوجية الغربية فصار جمعنا يبلغ ١٦ نفساً وهذه الفرقة الجيلوجية الغربية كانت قد أمضت ستة أسابيع في مسح الاودية الجافة مسحاً دقيقاً

أما درجة البرودة في مدة الاربعة الاشهر الشتوية في محطتنا فلم تكن أقل من ٤٠ درجة (فارنهيت). ولقد كنا نلقي بعض المحاضرات ونلعب بكرة القدم

وفي الاول كان مركز كلاب (ميرز) المأوى الاساسي. ولقد نزل بأربعة منها مرض لم نعرف له اسما تغلب عليها. كان كل كلب تظهر عليه علامات الصحة ثم نراه يموت بعد ساعات قليلة وقد عزونا ذلك الى جراثيم تلحق المخ فتصيب الكلب حالا ولكن هذا رجم بالغيب

أما استعداداتنا للسياحة الجنوبية فتامة. ولقد صممت على ألاّ أعرض أفراسي الى البرد الشديد حتى يتسنى لنا ان نستعملها فى اكتشافاتنا ولذلك عزمت على ارجاء يوم قيامنا للاكتشاف عن اليوم الذى كنت عزمت عليه من قبل

منذ خمسة أيام قامت فرقة بمركبات بخارية تحمل وقوداً ولقد لاقت من الصعوبات فى البحار الثلجية مالم يخطر لنا على بال كلما أدمنا فى المسير ازداد المناخ رداءة وازدادت عاصفات الجليد وسد السماء غمام مكفهر حتى صارت الارض لايمكن ادراك لونها بحاسة البصر

ولقد وصلنا خط (٨٣ درجة، ٢٤ دقيقة) يوم ٤ ديسمبر وكانت الرياح شديدة والثلج يتساقط علينا كالصواعق. ولقد كنا نكابد مشقات كثيرة فى الكشف عن الامهار ومسح الثلج عن الاكواخ ثم صارت درجة الحرارة ٣٥ فوق الصفر (!) فساح الثلج وأغرق شيئاً كثيراً من متاعنا. وكان سمك الثلج السطحى (١٨ بوصة). ولولا أننا ألبسنا المهر المرشد حذاء المسير على الثلج ولبسنا أحذية الثلج لما كان فى استطاعتنا الاستمرار فى التجوال. كنا نقطع كل ٨ أميال فى ١٤ ساعة مادمنا لابسين أحذية الزلق على الثلج. ولقد نفد طعام الامهار فاستغنينا عنها.

اليوم وصلنا الى الممر ثم عرجنا على جلمود (تيردمور). وانى مرسل هذه المذكرة مع الكلاب الآتية

(يوم ٢١ ديسمبر) — نحن الآن عندخط العرض (٧ ٥ ٨٥) جنوبا وخط الطول (٤ ٣ ١٦٣) شرقاً على مكان ارتفاعه عن سطح البحر ٦٨٠٠ قدم بعيدين عن جبل (دارون) بمقدار ٣٠ ميلا غربا و٤ أميال جنوبا.

بعد خمسة أيام تجمد سطح الارض . ومنذ ١٦ ديسمبر تمكنا من المسير بسرعة فكنا نقطع من ٢٣ ميلا الى ٣٠ ميلا فى اليوم .

طبقا للترتيبات التى رسمتها . تأهبت للبعد عن خط العرض (٨٥) مع ٨ رجال و٨ وحدات وانا نرجو أن يصلنا ٣٠ وحدة من الطعام حين نبلغ (بيدمود) . ومقدار الوحدة مايكفى أربعة أشخاص مدة أسبوع .

الافراس الباقية عشر ولكن منها فرس لايعتمد عليها وواحدة نشك فى صلاحيتها

ربما لايتمكن الفرقة البعيدة التجول فى الجنوب لا يمكن أن تصل الى السفينة (نرانوفا) قبل ان تضطر الى مغادرة مكانها .أما أنا فقد صممت على الاقامة هنا سنة أخرى

(ابتداء التجول)

فى يوم ٢٤ نوفمبر عند خط الطول (٨١ درجة و١٥ دقيقة)

لقد غادرنا مركز الا كواخ مساء يوم ، نوفمبر مصممين على الاستراحة نهاراً والمسير ليلا . فاقتفينا أثر المركبات وبعد مسير ٦٠ ميلا انقطع عنا الأثر أى بعد مسير ٨ أيام لأنى كنت صممت على ألاّ أسير الا خمسة عشر ميلا فى الليلة الواحدة

ولقد وجدنا فرقة المركبات تنتظرنا عند خط العرض (٥و٨٠ درجة جنوبا) أما فقدان أثرها فمنشأه أن آلاتها البخارية ازدادت حرارتها فاضطربت ولما وصلنا مع فرقة المركبات الى خط العرض (٨١ درجة و ١٥ دقيقه) استمررنا قاصدين الجنوب مؤملين أن نجد مناخا خيرا مما نحن فيه. وعند خط

العرض (٨٢ درجة و ١٠ دقائق) استغنينا عن مهر وعند خط (٨٣ درجة ، ٤٥ دقيقة) استغنينا عن آخر . وعند خط (٨٣ درجة) استغنينا عنها لا لأنها عجزت عن المسير ولكن لانا احببنا ان نوفر غذاءها للكلاب

آخر رسالة

(احتمال النجاح)

خط العرض (٣٢ و٨٧ جنوبا) الارتفاع (٩٨٠٠ قدم)

فى يوم ٣ يناير سنة ٩٠٢

بعد ان غادرنا مأوانا البحرى قصدنا الجنوب الغربى وسرنا في تلك الجهة ومين ومن اجل ذلك لم نتمكن من رؤية الهوات وما فى تلك الجهة من العقبات الجمة ومنذ تركنا المأوى كانت سرعتنا زيادة عن ٥٠ ميلا فى اليوم حتى اننا يوم عيد ميلاد المسيح وصلنا الى خط العرض ٨٦

ومن حسن طالع عيدنا أننا سرنا يومئذ ١٧ ميلا ولكن كانت النتيجة أننا لم نجد سرورا فى اليوم التالى فقد اشتدت صلابة سطح الارض وصعب المسير لما قربنا من خط العرض (٨٧)

فى يوم عيد رأس السنة وضعنا عند خط (٥٦و٥٦) ٣ وحدات من المؤن . أما الآن فنحن على بعد ١٥٠ ميلا من القطب

وسأدمن فى المسير الى الامام مع فرقة مكونة من خمسة رجال واني مرجع ٣ رجال تحت قيادة لفتننت (ايفانز) مع هذه المذكرة .

أما فرقة الادمان فى السير الى الامام فمكونة من :

الكبتن اسكت

الدكتور ولسن رئيس الفرقة العلمية

الكبتن أوتس المسؤول عن الامهار والبغال لتننت (بورز)

ضابط بوليس

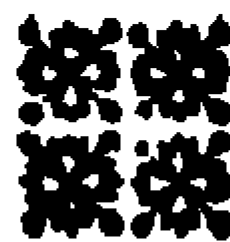
الضابط (ايفانز) المسؤول عن المركبات والمعدات

أما هذه الحملة فمها من المؤن ما يكفيها شهراً وأمامها أمل فسيح فى النجاح على شرط ان تلاقى مناخا حسنا وألاّ يصادفها من العقبات مالم يكن لها فى حسبان .

أما مناخ الهضبة فنى الجملة حسن . اذ الشمس بازغة دائما ولكن درجة الحرارة منخفضة . (اذ تبلغ ٢٠ درجة تحت الصفر)

جميع استعداداتنا حتى الآن على ما يرام . انه من المحتمل جدا ألاّ تصل منا أخبار بعد هذه فما مدة السنة الحالية . اذ سنرجع متأخرين

الامضا (ربرت . ف اسكت)



اللغة والأدب

الانتقاد

(رسالة كتبها الاستاذ الشيخ عباس الجمل الطالب بمدرسة القضاء الشرعى)

معنى النقد

النقد تمييز الدراهم وغيرها كالتنقاد والانتقاد والتنقد وقد نقدها وانتقدها وتنقدها اذا ميز جيدها من رديئها انشد سيبويه

تنفي يداها الحصى فى كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

والنقد اختلاس النظر نحو الشئ يقال ما زال فلان ينقد بصره الى الشئ اذا لم يزل ينظر اليه كأنه شبه بنظر الناقد الى ما ينقده ويقال ناقدت فلانا اذا ناقشته الأمر

وقد كنت أظن ان العرب لم يستعملوا هذا اللفظ استعمالنا له حتى عثرت فى لسان العرب على حديث رواه أبو الدرداء قال عليه الصلاة والسلام ان نقدت الناس نقدوك وان تركتهم تركوك وقال صاحب اللسان معنى نقدتهم عبتهم واغتبتهم وهذا الاستعمال صريح أو يكاد يكون صريحا فيما نفهم من هذه اللفظة وان كنا توسعنا فيه فالعرب من قبلنا توسعوا فيه

منشؤه

يشبه الانتقاد أن يكون فطريا عند الانسان فانك لا تكاد ترى شيأ

الا حكمت عليه بأثره فى نفسك. ورأيت كاتبا في الانتقاد جعل منشأه تنازع البقاء فقال ان الحياة ميدان حرب لاتخمد شعلتها ولا تنطفي جذوتها يظفر فيها القوى بالضعيف والشاكي بالاعزل وقد كان الانسان بدء نشأته يكافح بأظفاره وانيابه ثم ارتقى فحارب بالحجر والخشب ثم ارتقى فقاتل بالسيف والرمح ثم هو الآن وقد قرب من غاية الرقى أصبح يناضل بلسانه وقلمه وكاد يترك حرب الحسام الى حرب الأقلام . فالانسان محارب بفطرته لم يلق سلاحه من يده ولكنه حال الى ما نراه

اليوم سلاحا ماضيا يناله من النفوس ما لا ينال السيف وذلك السلاح هو الانتقاد

ولست أرى رأيه هذا فما كان الانتقاد فى يوم سلاحا يسطو به القوى يزحزح به الضعيف عن مكانه ليرثه وما رأينا الكلام ينوب عن الحسام عند الخصام بل يحكم السيف فى الخصمين اذا عجز رائد السلام ولن يأتى يوم فيه يقر السيف فى غمده ويتخلى الفارس عن ميدانه للكاتب فان لكل مقاما لا يغني فيه صاحبه . ولا يسمع صوت القلم حين يتكالب الانسان على شيء من هذه الحياة وانما القول الفصل حينئذ للسيف ينطقه الساعد المفتول . وانما مجال القلم بين الآراء والعقائد اذا تنازعت البقاء فتقرع الحجة بالحجة ويرمى الدليل بالدليل حتى يستقر صبح اليقين بعد ليل الشك فيعرف الرأى الحكيم والعقيدة السديدة ويمحوان ما سبقهما من رأى اخطل وعقيدة خاطئة ولعل الكاتب شبه له مقام السيف بمقام اليراع فقال ما عرفت مكان الخطأ منه

وأرى ان منشأ الانتقاد هو طلب الكمال والاحساس بغاية يساق اليها الانسان ليدركها وهذه الغاية وان كانت أعلامها مشتبهة وحدودها غير واضحة فانها مجال القصد ونهاية المسير له خيال يتجلى للانسان وهو مقياس الكمال

لما يراه فاذا رأى شيئا دون ذلك الخيال عابه وذمه واذا رآه قريبا منه استحسنه ومدحه وان رأى له حظا من الكمال ونصيبا من النقص حكم له وحكم عليه وهذا هو الانتقاد

ودليل دعواى ان النقد اظهر فى اخلاق المتعامين منه فى اخلاق العامة لأن الغاية يضئ طريقها بالعلم وهو مظلم عند الجاهلين وظلامه يطمس آثاره فلا يترك نور القصد يشع لتلك العقول فترى ان ادراكهم للفرق بين النقص والكمال قليل

هذا هو منشأ الانتقاد وسيدور بخلدك ان للانتقاد بواعث ليست فى شئ من طلب الكمال فاعلم ان كثيرا من الاشياء التى تدعو اليها الفطرة قد خرج بها الناس عن معناها حتى صارت ليست فى شئ مما قصدت له والتأنق فى الملبس و المطعم والسمو بالبناء حتى يناطح السحاب ليس فى شئ من اتقاء الحر والبرد وسد الرمق . وليس الانتقاد بدعا فى الخروج به عن معناه فان الأثرة اجاءت اصحابه الى تداول ما يظنون نافعا لهم وان كان عملهم سافلا غير فاضل وللأثرة عمل في اختلاف اغراض الناقدين حتى كانوا اصنافا متباينة وانواعا مختلفة لاتتلاقى غاياتهم وقد اتحد طريقهم

أصناف الناقدين

(١) قصد نصيب عبد العزيز بن مروان بأول شعر صنعه فى مدحه وكان منه قوله

أعنى على برق أريك وميضه تضئ دجنات الظلام لوامعه
اذا اكتحلت عينا محب بضوئه أضاءت له حتى الصباح مضاجعه

فمر على الفرزدق فأحب أن يعرض عليه شعره ليرى لن كان يحسن لمنه

يقصد بمثله الامراء وأسمعه اياه فقال له الفرزدق ويلك أهذا شعرك الذى تريد به الملوك لست في شيء ان استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل فقام كاسفا خجلا فأومأ اليه قرشي سمعه ينشد وقال أهذا شعرك قال نعم قال قد والله أحسنت والفرزدق شاعر وقد حسدك وانا نعرف محاسن الشعر فامض لوجهك. فالفرزدق لم يعب من شعر نصيب معيبا وانما خاف ان تعرفه الملوك فيزاحمه والشعراء أحرص الناس وأشدهم اثرة

فهذا الصنف فى النقاد لا يطلب الكمال لمن ينقده وانما يقطع على السائرين طريقهم نحو الكمال لينفرد بالفضل ونباهة الذكر

(٢) قال جرير والله مايهجونى الاخطل وحده وانه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلهم عربى ليس بدونه وذلك انه كان اذا أراد هجائى جمعهم على شراب فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً وينتحل هو القصيدة بعد ان يتموها

وجرير شاعر نابه والاخطل ينافسه فأراد أن يحط منه ليخلص من قرين شديد يزاحمه فغمزه غمزتين فى كلمة اذ جعله منتحلا لشعر غيره وجعله من عامة الشعراء الذين يوجد منهم خمسون في طبقة واحدة. وقال حافظ فى شوقى انه لم يغادر معنى من معانى العرب والفرنجة الاسلاخه ثم مسخه وهو مهزول اللفظ غامض المعنى يحتاج الناظر فى كلامه الى طوالع الرمل وتخوت التنجيم وقد قصر همه على اصطحاب طائفة من الالفاظ لايعدوها الى غيرها حتى أصبح بعضها علامة تدل على شعره وان كان غفلا من ذكره وحافظ فى كل هـذا مثل جرير فى محاولة الزعامة لتخلص له من غير منازع

وهذا صنف فى النقاد لا يريد ان يحسن الى من نقده ولكن الناس ينتفعون بنقدهم اذ كانوا أقدر على تمييز الجيد من الرديء وأعرف بمواطن

الضعف اذا أرادوا الاحتجاج لما يقولون كما فعل أبو فراس حين وقف للمتنبي ينشد بين يدى سيف الدولة فما كاد يسلم للشاعر بيت من قصيدته فحين قال المتنبي

يا أعدل الناس الا فى معاملتي　　فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

قال له مسخت قول دعبل وادعيته

ولست أرجو انتصافا منك ماذرفت　　عيني دموعا وأنت الخصم والحكم

ولما قال

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا　　بأنني خير من تسعى به قدم
أنا الذى نظر الاعمى الى أدبي　　وأسمعت كلماتى من به صمم

قال له سرقت هذا من قول ابن عروة

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت
دهراً وأظهرت اغرابا وابداعا
حتى فتحت باعجاز خصصت به　　للعمي والصم أبصارا وأسماعا

ولما قال

الخيل والليل والبيداء تعرفني　　والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال له وما أبقيت للأمير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة أتمدح نفسك بما سرقته من شعر غيرك

انا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى　　وجود المذاكى والقنا والقواضب

فقال المتنبي

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره　　اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال له سرقت هذا من معقل العجلي

اذا لم أميز بين نور وظلمة　　بعيني فالعينان زور وباطل

ولما قال

ان كان سركمو ما قال حاسدنا　　فما لجرح اذا أرضاكمو ألم

قال له سرقت هذا من قول الشاعر

اذا رضيتم بأن نجفى وسركمو　　قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر

وطال الكلام بينهما على هذا النسق وان كان أبو فراس يرمي بنقده الى اسقاط المتنبي ونيته غير صالحة فنقده مفيد لمن يريد أن يعرف الاجادة والتقصير في الشعر والمتبع من المبتدع لا لمن يتعلم الاخلاق

(٣) وصنف ثالث تجده بين الخاملين يريدون النباهة بغير عمل فيعمدون الى كبار النابهين من قومهم وينقدونهم بحق أو بباطل فيظن الناس أن هؤلاء لو لم يكونوا كباراً لما أقدموا على نقد الكبار

ونحن نعرف من هؤلاء من ابتدأ وهذه حاله ثم حمد مغبة السرى وسمع باسمه تتداوله الافواه فحبب اليه النقد حتى صار له صناعة ولو كان ينقد للحق لانتفعنا به ولكنه ينقد كما اتفق بالحق وبالباطل ليقال ان فلانا نقد صنيع فلان

(٤) وصنف رابع وهم المتعصبون لغيرهم يعجب الواحد منهم برجل نابغة ثم يشغف به فيذى كل فضل لغيره وينكره ان رآه ولا يزال دابا يحط من قدر منافسيه يتتبع سيآتهم بالنقد والتشهير

وكثير من هؤلاء ينطق بما يوحى اليه صاحبه وهو أدرى منه بتثالب من يزاحمه

(٥) وهذه الاصناف ساقها الى النقد سبب غير فطرى كما رأيت

والصنف الخامس وهو أشرف الناقدين ومن يسمع قوله منهم هو من ينقد لان المنتقد دون الغاية بعيد عن الكمال ويبعثه للانتقاد ما يراه فى المنتقد من نقص يرشد اليه ويدعو الى إصلاحه وبعض هؤلاء الناقدين قد يشتد فى عبارته حتى يظن الظان أنه يشفى بالانتقاد غلة فى صدره وقد يكون الباعث على الشدة غضبا للحقيقة لفحش الغلط وبعده عن الصواب أو يكون الغلط صغيراً ولكن ادعاء المنتقد وكبره يثير غضب الناقد فيكبر صغيرته ولا يقيل عثرته

وبعض أساتذة الانشاء فى المدارس يمكن أن يعد من هذا الصنف من النقاد ومنعنى أن أقول كلهم أن كثيراً منهم لا يقوم بعمله وسيان أن يكون التقصير عن جهل أو كسل فالمرء لا يستحق صفة لا يقوم بواجباتها

ولم أستقص أصناف الناقدين فقد رأيت أنهم اختلفوا باختلاف الاغراض والاغراض لا نهاية لها ولكنى ذكرت من الاصناف من ظننت عدده أكثر من غيره

الحاجة الى النقد

رأى قوم أن لا حاجة الى النقد وقالوا ان الناقد فى نقده انما يطلب من الكاتب أن يكتب على هواه وأن يخرج للناس صوراً غير التى في خياله فالنقد لا يكشف ما فى نفس الكاتب ويكشف ما فى نفس الناقد وفى حكم الناقد على العمل المنتقد اهمال لآراء الكاتب وحط لدرجته بحيث لا يكون له رأى فيما يكتب ونسى هؤلاء أن الناقد يراعى فى نقده الذوق العام لان الكاتب لا يكتب لنفسه فالنقد تضييق لدائرة الشذوذ وحكم الناقد ارجاع

للكاتب الى ما تداوله الناس وأجمع عليه ذووا الرأى منهم ولذا كان خروج الكاتب عنه عيباً يؤاخذ عليه

والنقد لا يكشف عما فى نفس الناقد وحده بل انه يكشف ما فى نفس الكاتب ويستخرج من ثنايا عباراته ما يجول فى نفسه ثم يحكم عليه بما ظهر من مكنون قلبه لان كلام المرء مرآة ما فى نفسه . فاذا رأيت عبد الله بن قيس الرقيات ينشد بين يدى مصعب بن الزبير

انما مصعب شهاب من اللـــه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رأفة ليس فيـ ـه جبروت وليس فيه رياء

ثم رأيته بين يدى عبد الملك بن مروان يقول له

ان الاغر الذى ابوه أبو العـ ـاصى عليه الوقار والحجب
يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

فانك ترى فرقاً كبيراً فى نفس الشاعر بين الاميرين الممدوحين وقد قال له عبد الملك وأدرك ما فى نفسه تمدحنى بالتاج كأني من العجم وتقول فى مصعب

انما مصعب شهاب من اللـــه تجلت عن وجهه الظلماء

واذا رأيت مدحة المتنبي التى يذكر فيها خروج شبيب ويمدح كافوراً ورأيته يقول فيها

عدوك مذموم بكل لسان وان كان من أعدائك القمران
ولله سر فى علاك وانما كلام العدى ضرب من الهذيان
أتلتمس الاعداء بعد الذى رأت قيام دليل أو وضوح بيان

ويقول

برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكانا على العلات يصطحبان
فان يك انساناً مضى لسبيله ... فان المنايا غاية الحيوان
وما كان الا النار فى كل موضع ... يثير غباراً فى مكان دخان
نفى وقع اطراف الرماح برمحه ... ولم يخش وقع النجم والدبران

ويقول

وقد قتل الاقران حتى قتلته ... باضعف قرن فى أذل مكان
أتته المنايا في طريق خفية ... على كل سمع حوله وعيان
ولو سلكت سبل السلاح لردها ... بطول يمين واتساع جنان

فاذا نظرت الى هذه الابيات التى كلها تمجيد لشبيب وذم لكافور وهو يمدحه وعرفت أن الذى نقب عن قلب المتنبي انما هو الناقد حكمت بفائدة النقد واعتقدت خطأ من لم ير الحاجة اليه

علم الاخلاق والنقد

قال علماء الاخلاق فى تبيان فائدته ان علم الاخلاق يعتبر بانياً وهادما لانه يتتبع الاخلاق والعادات فما كان منها قبيحا حث على تركه والتخلص منه و بذلك يزيل من بناء المجتمع غير الصالح للبقاء فهو من هذه الجهة هادم

ثم هو يحسّن ويرشد الى ما حسن أن يكون في الاخلاق والعادات ويحث على التمسك به فيدخل فى بناء الاخلاق ما يزينه ومن هنا يعتبر بانيا

ويدل هذا على أن علم الاخلاق انما هو ضرب من الانتقاء

وقالوا عند الكلام على القوانين ان في القانون عيوبا لا يتمكن معها أن يستقل بالاصلاح منها ان أمره لا ينفذ الا بالقوة واستعمال القوة فى النظم العادلة مضر بها

ومنها ان القانون لا يطلع على القلوب ولا يرى الا ظاهر الاعمال فاذا كانت القلوب بعيدة من الخير كانت أوامر القانون رسوما لا روح فيها ولا اصلاح معها

ومنها أن أحوال الناس في تغير مستمر والقانون وضع في حال مخصوصة فاذا تغيرت الحال لم يعد صالحا واستنتجوا من هذا ان الكافل لسير الاخلاق فى طريق الرقى انما هو الرأى العام فاذا وجد في الأمة رأى عام ينشط المحسن بالثناء ويردع المسيء بالانكار عليه فلا حاجة الى القانون .

ونرى أن الرأى العام انما هو صوت الناقدين مجتمعا وهذا دليل على أن دعامة الاخلاق الصالحة هو النقد

منزلة النقد من الدين

كان الكتاب الكريم ناقداً فى كثير من مواطنه فى حجاج المشركين فمرة يقول (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)

وتارة يقول (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها)

وكثيراً ما انتقد بعض أعمال الرسول عليه الصلاة والسلام ومن ذلك قوله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى، فأنت عنه تلهى . كلا انها تذكرة)

وقد نقل الينا بعض ما انتقد به الرسل أممهم كقول هود عليه السلام لقومه (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا

بطشتم بطشتم جبارين — وأمر بالنقد حين يقول (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

وعاب تاركي النقد اذ يقول (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقادة لا يترك عملا من أعمال أصحابه الا بين لهم مكانته من الحسن وأظهر لهم ما فيه من قبح بعبارة تؤخذ مثلا للنقد المقبول الذى يترك في النفوس أثراً صالحا يبلغ ما يريد صاحبه لا يؤلم أحدا بشدته أو يخجل انسانا بصراحته فقد كان عليه الصلاة والسلام اذا أراد النهي عن عمل أو نقد من أتاه قال ما بال رجال يصنعون كيت وكيت ولا يصرح بأسمائهم لئلا يترك فيها أثراً يدافع الاصلاح

هذا الى ما سنه الدين من تضامن المسلمين وتضافرهم على اقامة الحق وازهاق الباطل وتشديده فى ذلك حتى أوقع جميعهم فى الاثم اذا لم يأخذوا على يد الظالمين حين يقول تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)ويقول عليه الصلاة والسلام ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وقوله عليه الصلاة والسلام المؤمن مرآة أخيه صريح فى الأمر بالنقد واخلاص النصيحة فان المرآة أصدق ناقد لا تداجي ولا تحابي ولا تهضم الحق

لو احتذى الناس على مثال   منها لقلت كثرة الضلال

والى ما أمر به من اقامة الدعوى والشهادة احتسابا على من خالف بعمل يعود ضرره الى الناس واعطائه حق التعزير لافراد المسلمين اذا رأوا أحدهم يرتكب اثما كل هذا يدلك على ان الاسلام ترك للنقد عملا كبيراً فى اصلاح

النفوس وحمل على عاتقه حملا ثقيلا فى تهذيب الاخلاق وهذا من الشارع اقرار له واذن به وحضّ عليه

فضل الانتقاد

يتسع للكاتب فى هذا الموضوع أن يكتب ما شاء ثم يطرد القلم حتى لا يقف عند غاية فان فضل النقد أكبر من أن تحيط به الاوراق. وحسبى أن أقول ان للنقد فى العلم والادب والصناعة والاختراع أثراً هو أثر المربى الذى تعهد كل ما ذكرت وحاطه وساسه حتى بلغ أشده وصار مما ينتفع به ولولا النقد لوقفت الافكار ولم يقتدحها زناده وبقى العالم طفلا فى مهده. وحسبك من الاطناب هذا الايجاز

قدرة الناقد على العمل

رأيت كثيراً من الناس يردون نقد الناقد لانه لا يحسن أن يصنع كالصنيع المنتقد. ورأيت من يقول أقدر الناس على الانتقاد أعجزهم عن العمل

كان الاولين يشترطون للناقد أن يكون قادراً على أحسن مما نقد حتى اذا عاب شيئاً وضع فى مكانه ما يصلح له. ولو تم هذا لكل ناقد لكان النقد أكثر نفعا وأكبر أثراً ولكنى لا أرد نقد من لا يحسن المنتقد فان الاحساس بالنقص يكون عند ادراكه ولا يجب أن يكون عن قدرة على التمام. فاذا رأيت من ينتقص عملا لانه قرنه بغيره فنقص عنه فأبان مكان الخطأ فيه وعدد عيوبه وكانت مقارنته بين العملين صحيحة على أساس من النظر العادل فبأي حق تطرح نقده حتى يصنع أحسن مما انتقد وقد عمل ملوفي وسمعيو أرى أنه ناقد يحترم رأيه وينظر فيه وينتفع به

وأما صاحب القول الثاني فلعله نظر الى رجل من طلاب الكمال أولع به وأحبه له ولغيره فهو يهدى من حاد عن الجادة ويبين للعاملين مكان النقص من أعمالهم واذا أقدم على العمل خشى ما أخذه على غيره فيعمل حذراً متأنياً فظنه لهذا عاجزاً وهو قدير ان عمل بز العاملين فان كان عمله قليلا فهو كبير الأثر

أما اذا أراد من يعيب الشيء لانه ليس على ذوقه ولم يرق لديه فاذا استوضحته القول وطلبت البرهان لم تجده عنده فمثل هذا وان كان كثير الكلام فليس من جماعة الناقدين فلا يؤاخذون به ولا يحاسبون عليه

وكل مااشترط للناقد ألا ينقد حتى يفهم وأن يقيم الدليل المقبول اذا نقد

نظر الناس الى النقد

رأيت كراهة النقد تشتد حيث يكون الاحساس بالتقصير ورأيت النقد حبيباً الى الكامل والى من يطلب الكمال

فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يسمع للناقد ويعدل عن رأيه ليعمل برأى الناقد المصيب مثنياً عليه داعياً له وهو الذى يقول الدين النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم

وكان من بعده من الراشدين وهم أقرب الناس الى الكمال يحبون أن تنتقد أعمالهم وأن يراقبهم المسلمون ويحمد الله عمر ان رأى فى المسلمين من يقوم اعوجاجه بالسيف لا باللسان

ولما أحس من بعدهم من الخلفاء بنقص فى سياستهم بجملهم دون من قبلهم سمعنا معاوية بن أبى سفيان يضع حداً للناقدين ويتوعد من يشتد فى نقده حيث يقول فى بعض خطبه

أيها الناس انا قدمنا عليكم وانما قدمنا على صديق مستبشر أو عدو مستتر وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون

ولست واسماً كل الناس فان كانت محمدة فلا بد من مذمة فلوما هونا وايا كم والتي ان أخفيت أوبقت وان ذكرت أوثقت

وقد قصرت سياسة من بعده عنه وازداد أحساسهم بالنقص حتى وقف عبد الملك بن مروان على المنبر يقول للناس من قال لي اتق الله ضربت عنقه

وهكذا ترى أكثر الناس عيوبا وأكبرهم نقصا أخوفهم للنقد وأشدهم فرقا منه وأحوطهم لمنعه ولهذا ترى ألقاب المدح وأسماء التعظيم لا تكثر الا عند من يرى نقص نفسه فيفزع الى هذا البهرج الكاذب يستتر وراءه كما ترى من يطلب ألا يزينه غير عمله ويلقاك باسمه لا تحيط به هالة الثناء الرسمية ولكن يحيط مجد صاحبه ساكتا غير ناطق

وأنا آسف اذ رأيت القوم في الغرب لا يملون عن النقد ويرغبون فيه يجعلونه رائدهم الى الكمال ومن أهمل منهم فلم ينتقده الناقدون كسف باله وراح حزينا يرى أنه من الخمول بحيث لا يؤبه له وجسد حتى يكون غرض الناقدين

وأرانا نكاد نجمع على بغض النقد كما أجمعنا على حب الثناء حتى صار الناقد عدو من ينتقده وحتى لا تجد للنقد عندنا فائدة

فاذا ذكرت ما افتتحت به هذا الفصل عرفت مكاننا من طلب الكمال ومبلغ حبنا للحق

يقول ناس منا لا ينبغي للناقد ان يترك عبارته جافة خشنة وعليه ان

يتلطف بمن ينقد وان يجمل بين يدى نقده طائفة من المدح ليجـذب اليه المنتقد وفى نهايته شيئاً من الثناء ليخفف وقع النقد كأنهم يرون ان مر الحق لا يساغ الا اذا مزج بحلو الثناء ويريدون للناقد ان يكون للمنتقد كالأم لطفلها في الشفقة به والحدب عليه

وأناأرى أن من الخير لنا ان نمرن على سماع الحق وان نعتادالاعتراف بالخطأ وان نقبل من النصيح ولو خشنت عبارته

ولعلهم أعرف مني بما يصلح قومهم لطول ما اختبروا من عاداته وعرفوا من أخلاقه

الى هنا انتهيت من المقدمات العامة التي أردتها وعرفت منها ان للنقد الاشراف على كل عمل ولا يسعنى ان أريك حكمه فى جميع الاعمال وكيف يجد السبيل الى فقدها

ولكنى اكتفي ببيان ماينتقده مما يأتى

الرجال — الشعر — المؤلفات

انتقاد الرجال

لايعاب الناقص اذا لم يقـدر على التمام وفى بعض الرجال نقص ليس من كسبهم لا يرى النقد سبيلا الى مؤاخـذتهم به فاذا قلت ان فلانا طويل جـداً يحسن أن يكون أقصر من ذلك أو أنه قصـير يحسن أنه يطول كان الـكلام ضربا من العبث

وكذلك امتداح الرجال بما ليس من عملهم لا يكبرون به فاذا قلت لفلان انه حسن الوجه مليح القسـمة تام الخلقة معتدل القامة كان هـذا تعريفا به.

لامدحاله . وترى العرب يتمدحون بصفات فى الجسم فيقول قائلهم مادحا

بيض الوجوه كريمة أحسابهم   شم الانوف من الطراز الأول

ولكنهم لا يقفون بالمدح عند تلك الصفات بل يريدون ما يلازم صفات الجسم من أخلاق صاحبه فقد كانوا يدّعون الحلم لواسع الصدر والعزة للطويل والذكاء للانزع والانفة للاشم وكانوا يرجون الخير عند حسان الوجوه ونفهم من قول القائل

الا يكن عظمى طويلا فانني   له بالخصال الصالحات وصول

ولا خير فى حسن الجسوم ونبلها   اذا لم يزن حسن الجسوم عقول

انهم ما كانوا يتمدحون بتلك الصفات لنفسها ولذا تراهم قد ساد فيهم من لم يرزق حظا من الوسامة فضرب المثل بالاحنف فى السيادة وما كان منظر يذم الا رأيته فيه كان ضئيلا أصلع الرأس متراكب الاسنان وكان برجايه حنف ولم يمنعه ذلك ان يكون سيد قومه ورئيس ناديه اذا غضب غضب له مائة الف سيف لايسألون فيم غضب

فنقد الرجال بعد هذا تكون وجهته الاخلاق والأعمال وقد اراد من قال

جبلت على ما فىّ غير مخير   هواى ولو خيرت كنت المهذبا

الا تحمل تبعة اخلاقه ولو علم ان بيده تغيير ما ساء منها لما دفع النقد عن اخلاقه بأنه مضطر غير مختار

ولا نجيز لك اذا بحثنا نقد الاخلاق والاعمال ان تقول اذا حكمت على من نقدت ان فلانا أثيم لانه قتل أو سرق أو كذب حتى تنظر الى غايته وترى ان كان ما يجنيه المجتمع من ثمرة عمله يعدل جنايته عليه وحتى تقرنه برجل غيره له مثل تلك الغاية وترى أيهما كان أقل اجراما في سبيل الوصول الى غايته

فاذا رأيت سيرة زياد والحجاج وكان كلاهما والي العراقين يريد ضبطهما وكلاهما قتل وسفك الدماء وعذب المجرمين والابرياء ثم رأيت زيادا قد استقام له الأمر وخافه الناس ، حتى أمن بعضهم بعضا ولم يعن التاريخ بتعداد من قتلهم لانه ما ارتاع من كثرة الدماء التي سالت كما هاله ما أراقه الحجاج فأحصى له مائة ألف قتيل صبرا ثم لم يستقم له الامر وكانت البلاد أيامه تضطرب وتثور بالفتن المرة بعد المرة ولم يضبط الكليات ليفرغ للجزئيات فللناقد أن يقول ان الحجاج أثيم اذا قاسه بزياد

وقد يرى الناقد مثل عبد الرحمن الاموى الذي فر من العباسيين وأسس الدولة الاموية بالاندلس ولم يجن فى سبيل تأسيسها ماجنى عبيدالله مؤسس الدولة العبيدية بالمغرب من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغرير بعامة المسلمين بدعوى المهدوية وشعوذة اتباعه الذين سبقوه للتمهيد له والتبشير به ثم فتكه بهم لما خافهم فيعد عبيد الله آثما بجانب عبد الرحمن

وقد تختلف الغاية ويقرن بين الرجلين يفاضل بينهما فللناقد ان يزن الغايتين ثم يحكم لصاحب الغاية السامية على اخيه اذا كان طريقهما اليها واحدا

فاذا مر بك عمر بن الخطاب وعامت عدد من قتل فى فتوحه وحروبه التى شب نارها واضرم جمرها فاتهمت خلقا كثيرا من الناس ومر بك نابليون وقتلاه تزيد عن قتلى عمر وكانت غاية الأولى اصلاح الناس واخراجهم من ظلمة الى نور ومن ضلال الى هدى وتخليصهم من جور الملوك الذين استعبدوهم واستبدوا بأموالهم وأجسادهم فسعى اليها سعيه حتى أدرك من غايته الكثير ونابليون ان كانت له غاية كانت حب الفخر والزهو وترسيم سلطانه لا ليدفع

عن الناس بلاء واقعا ولكن ليقول انى ملكت الارض ولهذه الغاية اضرم أوروبا وجعلها جذوة تشتعل زمناغير قليل حتى التهمت جذوتها ناسا كثيرين ذهبوا صرعى شهوة باطلة وغاية كاذبة فاذا قيس نابليون الى عمر كان شريرا ولو وجدت من وصل الى ما وصل اليه عمر من غير ان يريق الدماء التى أراقها عمر كان فى نظر الناقد خيرا منه

وان قرن رجلين اتحدا فى غاية لا يرضى بها الاخلاق كنابليون والاسكندر كان كلاهما آثما شريرا وكان اقلهما شرا اقلهما سفكا للدماء

هكذا يصنع الناقد ان كان لمن ينتقد غاية فان كان ينتقد رجالا لا غاية لهم فقد انتقلنا الى رجرجة الناس الذين لا يأتون بعظيم لا فى الخير ولا فى الشر واؤلئك هم أصحاب الاخلاق الضعيفة يتأثرون بكل شئ ولا يصنعون شيئا والمنتقد لهؤلاء ينظر الى الباعث لهم على العمل فاذا اجترم أحدهم جرما لباعث كبير كان اقل إثما ممن اجترمه لباعث ضعيف وكلاهما أثيم ان وجدبدا منه ثم فعله هذا ان نظرا اليهم من جهة الجرائم والذنوب

فان نظر من جهة الحسنات فانه يعدها عداً فان زاد عديدها عن عديد السيئات كان صاحبها اقرب الى الخير منه الى الشر

هكذا تنتقد أعمال الرجال ولو قصر نظر الناقد فحكم على الرجل لعظم جريمته كان ضعاف الاخلاق من الناس الذين لا يجترمون كبيرة خيراً من عظماء الرجال ثابتى العزائم الذين يجترمون كبير الجرائم فى طريق غاياتهم الكبيرة وهذا حكم بيّن مكان الخطأ فيه

أما انتقاد الاخلاق فالناقد يعرف مجموعة أخلاقية جاءت بها الشرائع وتعارف الناس انها فاضلة ويجانبها مجموعة نهت عنها الشرائع واتفق الناس

على ذمها والنفرة منهـا ولا نجد تعبا فى تمييز ما يرجع الى احدى المجموعتين فاذا وجد فى انسان خلقا من المجموعه الثانية كان له ان ينتقده ويطلب اليه تغييره ولـكن لا يعده اثيما الا اذا استقصى ما عنده من الاخلاق ورأى فاضلهـا أقل من مذمومها أما اذا كانت الاخلاق الفاضلة اكثر فهو رجل قريب من الفاضلين ولا يمنعك هـذا ان تنقد ما عنده من تلك الاخلاق وتحثه على التخلص منها ما استطاع

ولكن هناك خلقا دونه الاخلاق فاذا وجد الناقد رجلا ليس له هذا الخلق فحكم عليه بالسقوط لا يكون جائراً فى حكمه وذلك هو خلق التدين فانك ترى من يسمي أحمد أو محمداً او عليا أو غير ذلك من أسامي المسلمين واذا أحصوه فى احصاء البلد عـدوه واحداً منهـم ثم لا تجده يقوم بفروض دينه فان كان ذلك لزلزلة فى اعتقاده به ولا يعلن رجوعه عنه فهو منافق غاش يحتقر نفسه باظهاره غير ما يبطن وهـذا لا يرجي منه خير وان كان لكسل واهمال تعوده فهو مهمل لأ تمم الإخلاق وماذا عسي أن يكون لباقيها من القيمة

مقدمة تاريخية لنقد الشعر

النقد عند العرب — كان العرب أغنى الناس فى مادة اللغة وكانت صناعتهم صـناعة الـكلام وكان أنفس كلامهم الشعر فكان خلق النقد متجليا فى تمييز الشعر وتقديم بعضه على بعض وكان لذلك النقد أثر عند الشعراء فكان الشاعر يخفى ما استطاع ما يشك فيه من شعره ولا يظهر الا ما وثق به واستشار فيه يخاف ان تحفظ له كلمة ساقطة يسقط معها

وكان من فائدة ذلك النقد معرفة الشعراء بمنازلهم بعضهم من بعض

فقد وقف أعرابي على حسان بن ثابت وهو ينشد. فقال له كيف تسمع يا اعرابي فقال لا أسمع بأسا فغضب حسان وقال لاصحابه الا تسمعون لما يقول الاعرابي ما كنيتك أيها الرجل فقال أبو مليكة فقال ما كان أهونك على قومك اذ كنوك بامرأة فما اسمك قال الحطيئة فسكت حسان وأطرق

ويمتاز النقد عند العرب بالسكوت عن الساقط واطراحه والثناء على الجيد وتقديمه ولم أرهم تعرضوا لتبيين مواضع الخطأ حين ينتقدون الا فيما نقلوه عن تحاكم امرئ القيس وعلقمة الفحل الى أم جندب أيهما اشعر فاقترحت عليهما شعراً يصفان فيه الخيل فقال امرؤ القيس

خليليّ مرّا بي على أم جندب　　نقضّ لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة

ذهبت من الهجران في كل مذهب　　ولم يك حقاً كل هذا التجنب

ثم أنشداها فقالت لامرئ القيس علقمة أشعر منك لانك قلت

فللسوط ألهوب وللساق درة　　وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فاجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك — وقال علقمة

فأدركهن ثانيا من عنانه　　يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجر

وما ينقلونه عن الخنساء في نقد بيت حسان حين أنشده النابغة وأمرها النابغة بنقده فقالت قلت

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى　　وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فجعلت الجفان غراً ولو جعلتها بيضاً لكان أجود وقلت يلمعن بالضحى

وأى شئ لا يلمع بالضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أحسن وقلت يقطرن من نجدة دما فدللت على قلة القتلى ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم وقلت الجفنات فقللت العدد ولو قلت الجفان لكان أبلغ

وفى النفس شئ من نسبة هذا النقد الى الخنساء فهو كما تراه متكلف لا يلتئم مع ما نسمعه من جرى العرب وراء الفطرة وجموع القلة والكثرة انما عرفناها من النحاة .

وقال قدامة بن جعفر يرد وجوه النقد هذه . انه لم يرد بالغر اللون وانما أراد الشهرة والذكر نقول يوم أغر أى مشهور وقول القائل على لسانها وأى شئ لا يلمع بالضحى خلاف الحق وعكس الواجب لانه ليس يكاد يلمع بالنهار من الاشياء الا الساطع النور الشديد الضياء فأما الليل فأكثر الاشياء مما له أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه وهذه الكواكب تلمع بالليل ويقل لمعانها بالنهار حتى تخفى وكذلك السرج والمصابيح ينقص نورها كلما أضحى النهار وأما قوله أن يجرين خير من يقطرن لان الجرى أكثر لانصباب الدم فلم يرد حسان الكثرة وانما ذهب الى ما يلفظ به الناس ويعتادونه من وصف الشجاع القاتل بقولهم سيفه يقطر دماً ولعله لو قال يجرين دما يعدل عن المألوف المعروف

وفى كلام قدامة ما يدل على شكه فى نسبة النقد وأكبر ظنى أن تلك القصة موضوعة واضعها غير حاذق فانه وضع على لسان قوم لم يراع ذوقهم فيما نسبه اليهم

ومما يلاحظ فى أحكامهم اذا نقدوا الشعر أن الناقد منهم يعجبه البيت

من الشعر فيقول لقائله هو أشعر العرب وقد يتعدد هذا الحكم من واحد لعدة شعراء كما نقلوا عن الحطيئة أنه سأل من الذى يقول

اذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

قالوا الشماخ قال أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب ثم قال أبلغوا أهل ضابئ أنه أشعر العرب حيث يقول

لكل جديد لذة غير أننى وجدت جديد الموت غير لذيذ

وكما ينقلون عن النابغة الذبيانى أنه قال للبيد حين أنشده

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

اذهب فأنت أشعر العرب. وقال للخنساء حين أنشدته فى عكاظ لو لا أن أبا بصير أنشدنى آنفاً لقلت انك أشعر الجن والانس

وأنت ترى تضاربا فى هذه الاحكام وأسهل ما يجاب به عنها انكارها أو انكار بعضها ولكنى أرى أنها أحكام وقتية شعورية فقد يعجب المرء بالبيت ويصادف هوى فى نفسه فيحكم حكمه فاذا زال أثر ذلك البيت من نفسه وحضره بيت لشاعر آخر يأخذ من نفسه ذلك المأخذ حكم له ما حكم للأول وقد يراد ببعض هذه الاحكام أن الشاعر أشعر العرب فى هذا البيت فى ذلك المعنى فاذا رأى لغيره بيتا فى معنى آخر أجاد قائله فيه ما أجاد الاول قال ان صاحبه أشعر العرب يريد فى ذلك البيت فى هذا المعنى

ومن أحسن ما يلاحظ فى نقدهم ان أخلاق الشاعر كانت تؤثر فى شاعريته فاذا ساءت أخلاقه كانت سببا فى تأخره عن المبرزين كما نرى فى جواب الحطيئة حين سأله ابن عباس من أشعر الناس قال من الماضين أم من الباقين قال من الماضين قال الذى يقول

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتقي الشتم يشتم

وما يدونه الذى يقول

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أى الرجال المهذب

ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا (يعني نفسه) والله يا ابن عم رسول الله لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الماضين.

وهذا خلق فى النقد وددت لو كان فينا ولكننا نهمل السؤال عن أخلاق المرء اذا أعجبتنا منه مقالات يحبرها وكلمات ينمقها حتى أصبح ساقطو الاخلاق منا كبيري المنزلة فى قلوبنا

وبقي لنقد الشعر تلك الحياة حتى جاء الاسلام فوقفها واشتغل الناس عنه بنوع آخر من النقد هو نقد الدين والاخلاق وبعد ان هدأت ثائرة النقد الديني وبلغ المصلحون ما يريدون كان العرب لا يزالون بعيدين عن الاشتغال بأنواع العلوم والصنائع فاذا أتى الرجل منهم سينه قافلا من الجهاد أمضى أيامه فى عبادة وتحنث أو فى صيد وقنص أو فى ذكر مآثر وتعداد مفاخر وفيما بين ذلك يستمعون أقوال الشعراء ويتداولونها ثم يتناولها عارفهم بالنقد وهكذا عاد الانتقاد الى ما يشبه حاله فى عصر الجاهليين وينقلون عن عمر بن الخطاب كثيراً من المجالس كانوا يفاضلون فيها بين الشعراء الاقدمين وينشدون أجود ما يروون. قال عمر بن الخطاب لابن عباس هل تروى لشاعر الشعراء قلت ومن هو قال الذى يقول

ولو ان حمداً يخلد الناس أخلدوا ... ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت ذاك زهير قال فذاك أشعر الشعراء قلت وبم كان أشعر الشعراء

قال لانه كان لا يماظل فى المنطق وكان يتجنب وحشى الكلام ولم يمدح أحداً الا بما فيه

عصر الامويين — واستمر النقد قريبا من هذا عصر الامويين الا أنه كثر وكان محور حركة جريراً والفرزدق والاخطل ويعاصرهم جميل وكثير ونصيب وعدي بن الرقاع والعرجي وذو الرمة وكثيرا ما كان يفاضل بين الثلاثة الاولين ويشتد فيهم الجدال وتأخذ العصبية مأخذها فى النفوس حتى قال يونس ما شهدت مشهدا قط ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما

وكان للخلفاء يد فى حياة النقد ينقدون الشعراء ويسمعون لمن ينتقد بحضرتهم ويصل صدى أقوالهم للناس فيتردد بينهم ويتناقلونه

أنشد كثير عبد الملك قوله فيه

على ابن أبى العاص دلاص حصينة ... أجاد المريثى نسجها وأذالها
يود ضعيف القوم حمل قتيرها ... ويستظلع القرم الاشم احتمالها

فقال عبد الملك قول الاعشى أحسن من قولك

واذا تجيء كتيبة ملمومة ... شهباء يخشى الراثدون نزالها
كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما ابطالها

فقال وصفتك بالحزم ووصفه بالخرق

وأنشد عبد الملك قول كثير فيه

فما تركوها رغبة عن مودة ... ولكن بحد المشرفى استقالها

فأعجب به فقال الاخطل ما قلت لك ياأمير المؤمنين أحسن منه

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا ... موالى ملك لا طريف ولا غصب

قال صدقت . وأرى ان هذا النقد قاصر فان كثيراً صادق والاخطل كاذب كما أنبأنا التاريخ ولكنهم كانوا يرون الجودة فى المعنى المبالغ فيه ثم لا يسألون أصدق أم كذب

ومن جيد النقد نقد كثير لعدى بن الرقاع حين أنشد قصيدته التى يقول فيها

وقصيدة قدبت أجمع بينها　　حتى أقوم ميلها وسنادها

فقال كثير لو كنت مطبوعا أو فصيحا أو عالما لم تأت فيها بميل ولا سناد فتحتاج الى تقويمها ثم أنشد

نظر المثقف فى كعوب قناته　　حتى يقيم ثقافه منآدها

فقال كثير لا جرم ان الايام اذا تطاولت عليها عادت عوجاء ولان تكون مستقيمة لا تحتاج الى ثقاف أجود لها ثم انشد

وعلمت حتى ما اسائل واحدا　　عن علم واحدة لكى ازدادها

فقال كثير كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك أمير المؤمنين (وكانا بحضرة عبد الملك) بأن يسألك عن صغار الامور دون كبارها حتى يتبين جهلك

ويعجبني من النقد فى هذا العصر محاسبة الشاعر على أقواله اذا لم يعمل بها فقد وفد عروة بن أذينه على أحد خلفاء بنى أمية يطلب العطاء قال الخليفة ألست القائل

لقد علمت وما الاشراف من خلقى　　بأن رزقى وان لم أسع يأتينى

أسعى اليه فيعيينى تطلبه　　وان قعدت أتانى لا يعنينى

أراك قد سعيت اليه فلم يسعه الا أن يكر راجعا ولم ينتظر العطاء

ووقفت عليه امرأة وقالت له أنت الذى يزعم الناس انك امرؤ صالح وأنت القائل

اذا وجدت اوار الحر فى كبدى　　ذهبت نحو سقاء الماء ابترد
هذا بردت ببرد الماء ظاهره　　فمن لنار على الاحشاء تتقد

والله ما خرج هذا من قلب سليم

وكان جرير يختم مجلسه بالتسبيح ويطيل فقال له شاب ما يغنى عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات فقال يا ابن أخى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم والله يا ابن أخى انهم يبدءوننى ثم لا أحلم وليت تلك الملاحظة اضطردت فتقل مخالفة الاعمال للاقوال

عصر العباسيين — جاء هذا العصر الذى تفتقت فيه الاذهان وتناولت طوائف العلوم بحثا واختراعا وتعريبا وكان النقد ممن انتفع بتلك الحركة فهو فى الحياة العلمية محور تدور عليه دائرتها وكان انتفاع نقد الشعر انه امتاز بشئ من دقة النظر فى تبيين مواضع الخطأ كما تراه فى نقد بشار لكثير حين سمع قوله

الا انما ليلى عصا خيزرانة　　اذا غمزوها بالاكف تلين

فقال لله أبو صخر جعلها عصا خيزرانة أما انه لو قال عصا زبد لهجنها الا قال كما قلت

اذا قامت لمشيتها تثنت　　كأن عظامها من خيزران

ولعله انما تنبه الى خطأ كثير حين نبه الى غلطه فى قوله

انما عظم سليمى حبتي　　قصب السكر لا عظم الجمل
واذا أدنيت منها بصلا　　غلب المسك على ريح البصل

وكما تراه فى نقده لابى العتاهية وكان جالسا عند المهدى وأبو العتاهية ينشد والمحفل حافل

الا ما لسيدتى مالها تدل فاحمل ادلالها
والا ففيم تجنت وما جنيت سقى الله اطلالها
الا ان جارية للاما م قد أسكن الحب سربالها

فقال بشار لمن بجانبه ما أدرى من أي أمريه أعجب من ضعف شعره أم من تشببه بجارية الخليفة يسمع ذلك بأذنه فلما قال

أتته الخلافة منقادة اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الارض زلزالها

قال بشار وقد اهتز طربا ترى الخليفة لم يطر عن سريره طربا لما يأتى به هذا الكوفي

وكان الشعراء المتنافسون في أوائل هذا العصر بشار وحماد وابن مناذر وأبو العتاهية ثم والبة وابو نواس ومسلم بن الوليد وعباس بن الاحنف والحسين بن الضحاك ثم دعبل وأبو تمام ثم البحترى وبين ابى تمام والبحترى كتب الطائى موازنته بينهما وهى من أمتع ما كتب فى نقد الشعر

وقد اوجدت السياسة او الاستبداد نوعا من الانتقاد ما وجد قبل بشكله فى هذا العصر ومن ذلك ان شاعراً مدح ابا دلف بقوله

انما الدنيا ابو دلف بين باديه الى حضره
فاذا ولى ابو دلف ولت الدنيا على أثره

وبلغت الابيات المأمون فغضب على الشاعر أن بالغ في ممدوحه ولم يقبل للشاعر عذراً وسفك دمه ولم يبلغ الامويون هذا المبلغ فقد قال جرير للحجاج

من سد مطلع النفاق عليكمو أم من يصول كصولة الحجاج

وبلغت أبياته عبد الملك فلم يقل الا كلمة عتاب قالها لجرير حين استأذن في انشاد مدحه ما عسى أن تبلغ فينا بعد ما قلت للحجاج

وقال أبو نخيلة يمدح مسلمة بن عبد الملك

أمسلم انى يا ابن كل خليفة ويافارس الهيجاويا جبل الارض

فنعته بوصف لو وصف به انسان فى زمن المأمون لعوقب هو ومادحه ولكنا لم نسمع أن أبا نخيلة عرض له أحد ولا بعتاب

وبقى النقد فى هذا العصر كما كان فى العصور التى تقدمته يدور على الالسنة ولا تحتويه الكتب حتى ذهب الشعراء الذين سميتهم فى هذا العصر ثم جاءت بعدهم فترة جاء بعدها المتنبي فشغل الناس فى حياته وبعد مماته بشعره ولم يعن بشعر أحد ما عنى بشعر المتنبي فقد شرح شروحا كثيرة وكتب فيه الادباء فصولا طوالا تبين عيوبه وتعد سرقاته . وفى ظني أن المتنبي كان من أكبر الاسباب فى تدوين النقد وقبله ما عرف أنه كتب فيه الا الشئ اليسير

واذا حاشينا الشريف الرضى وأبا العلاء لم نجد بعد المتنبي من الشعراء من يلفت الابصار نحوه ولذا اشتغل الادباء بعدهم بتداول شعر المتقدمين ونقده ولما كانت ملكة الشعر فيهم ضعيفة كان نقدهم ضعيفاً قاصراً على اللفظ ووقف عند ما كتبه علماء البديع من النظر فى المحسنات والجناس ثم أخذه الرقاد الذى بدأ ينتبه منه منتصف القرن الماضى

وكانت أثناء الحياة العلمية عصر العباسيين فى الشرق حياة أخرى فى الغرب في بلاد الأندلس كان لنقد الشعر فيها عمل كثير لا يتسع لى الوقت لبيان أطواره ولكن من يقرأ كتاب العقد الفريد وكتاب الامالى الذى أملاه هنالك القالي وكتاب المصدعى يعرف طريقة نقد الشعر ومنزلته في تلك البلاد

أما النقد فى عصرنا فأرجو أن أفيدك عنه فائدة فيما أكتبه تحت عنوان نقد الشعر (يتلى)

المواسم والاعياد

« فصل فى ذكر ما اتخذه بنو اسرائيل عن الكنعان وأعيادهم الاولى »

قال (مسبرو) فى تاريخه المذكور ما ملخصه ان عقائد الامتين كانت قريبة جداً فى أول الامر مما يدل على ان أصلهما من بلد واحد فالكل كانوا يقولون بتصرف الملائكة وسكان السموات . وبنو اسرائيل كانوا يعتقدون ان لكل جماعة ملكا كما لكل فئة من الكواكب ملكا وان للسماء ملكا وان (يهوا) هو ملك الملوك رب بنى اسرائيل كما كان (ملكرت) ملك سور ويصفون ربهم بالغيرة وكثرة الغضب وتسلط غضبه على حلمه ورحمته وشدة انتقامه ممن يكفر به ويزعمون أنه يحب تصويره على هيئة انسان وثور وثعبان من خشب أو معدن أو طين أو عمدان ويقولون بظهوره فى الريح الشديدة والعواصف لمن أراد من عباده وأن الصاعقة صوته والهواء نفسه والنور رداؤه واذا غضب على قوم حبس عنهم المطر ومنع مجارى المياه التي في السماء من النزول الي ارضهم ولا يمطرهم الا اذا انصرف غضبه عنهم قالوا وفى أول الامر كان عرشه فوق جبل سيناء وسعير ثم تحول الى المدن بعد الفتوحات فغلب سلطانه ملك الارباب التى كانت معبودة فى (نونل) و (شيلوح) و (سخيم) وقد تصوروا أسبابا لتغلب اسمه على أرباب هذه المدن

تناسب المقام فقالوا ان ذلك تم لان ابراهيم كان نزل مدينة (عبرون) ويعقوب نزل فى (شيلوح) و(سخيم) و(بوئيل) و(محانائيم) الخ ولم يكن للعبرانيين قبل نزولهم أرض كنعان أعياد خلاف الاعياد التى توافق معيشة رعاة الاغنام وأحوالهم مثل عيد (جذ صوف النعاج) أما الكنعانيون فاتخذوا أعياداً توافق معيشة الفلاحين والمشتغلين بزراعة الكروم وعظموا المحصولات والحصيد وقطف العنب وفصول السنة الزراعية وفرضوا على أنفسهم تقديم بكر المحصولات لربهم كأجرة لارضه التي أنعم الله بها عليهم

قال ولما اشتغل بنو اسرائيل بالفلاحة مثل الكنعانيين قلدوا احتفالاتهم الدينية واتخذوا المعابد وتعودوا الاعياد والمواسم والالعاب التى كانت عندهم الخ

ونقل فى سيرة الملك يوشيا اليهودي الذى تولى الملك حوالى سنة ٦٤٠ قبل التاريخ المسيحى ماذكره التوراة في سفر الايام الثانى بالباب الرابع والثلاثين من اعتناء هذا الملك بأمر الدين وتطهيره بلاد (يهوذا) ومدينة (أورشليم) عاصمة مملكته من المرتفعات والسوارى والتماثيل والمسبوكات وأمره بهدم مذابح البعليم وتماثيل الشمس التى عليها من فوق قطعها وكسر السوارى والتماثيل والمسبوكات ودقها ورشها على قبور الذين ذبحوا لها واحراق عظام الكهنة على مذابحهم ثم انه أرسل (شافان) بن (أصليا) وجماعة من الرؤساء لترميم بيت الرب الهه فجاؤا الى حلقيا الكاهن العظيم وأعطوه الفضة المدخلة الى بيت الله التى جمعها اللاويون . وعند اخراجهم الفضة المدخلة الى بيت الرب وجد (حلقيا) الكاهن سفر الشريعة المكتوب بيد (موسى) وسلمه لشافان الذى أوصله الى الملك يوشيا الى آخر ماهو مذكور في أخبار هذا الملك فليراجع في محله من السفر

ثم قال (مسبرو) بعد هذا النقل : ولاأزيدك علما بغرض أهل الشرق من قولهم ان هذا أو ذاك الكتاب وجد فى بيت الرب الفلانى فان هذه العبارة لا تفيد سوى أن مؤلف الكتاب تحايلا منه لكي يصدق الناس ما كتبه فيه ينسبه للاله أو للوحى السماوى فقد كان قسس قدماء المصريين يزعمون أنهم تلقوا من الوحى أسفار كتاب الاموات المقدسة وتفاسيرهم التى يكتبونها من افكارهم. وكذلك زعم بعض علماء اليهود الذى لم يعرف اسمه أن ما كتبه من الشريعة فى كتابه هو من عمل موسى لانه رأى أن اليهود كانوا يقولون إن موسى خلص أجدادهم من مصر فاستحسن ان ينسب اليه الكتاب وزعم أن موسى لما دنا أجله أمر بكتابة الشريعة التى أوحاها الله اليه ليتبعها بنو اسرائيل بعده (الى أن قال) والاعياد الكبيرة التى فرضت فى كتاب الشريعة المذكور لا تزيد عن ثلاثة أعظمها عيد الفصح فى شهر أبيب شهر السنابل وهذا العيد معتبر عندهم تذكارا لخروجهم من مصر أما العيدان الآخران فلا علاقة لهما الا بفصول السنة فأولهما وهو عيد البذور يكون بعد سبعة أسابيع من تاريخ أول الحصيد والثاني وهو عيد المظلات « الخيم » يكون فى آخر زمن المحصولات وقد جعل لرجال الدين نصيب مما يذبح فى هذه الاعياد والعشر على القمح والنبيذ وبكر المواشي كل سنة أو كل ثلاث سنوات الخ

قال ولا يزال سفر الشريعة الذي زعموا أنه أنزل على موسى موجوداً محشوراً ضمن السفر الذى يطلقون عليه اسم « سفر تثنية الاشتراع الخ انتهي ملخصا من تاريخ مسبرو من الصحفة « ٥٨٩ » وبعدها

« فصل فى ذكر أقدم بقاع الارض مظهراً لملة التوحيد والشرك وأعيادهم »

نقل المؤرخ « مسبرو » في تاريخ أمم الشرق القديمة أقوال المؤرخين فى ديانة قدماء الكلدان وعباداتهم المختلفة واعتقادهم فى أرباب السماء ودرجاتهم وفى الملائكة والشياطين وتعظيمهم للقمر والشمس والنور وتصويرهم للافلاك والارض ورأيهم فى تصرف الارباب فى الكائنات وعلاقة أرباب السماوات بمملكة الارض واعتقادهم فى الموت والروح والآخرة والعذاب وماشابه ذلك من العقائد ثم قال بالصحيفة « ١٦٧ » أن الساميين وقت دخولهم بلاد الكلدان كانوا يعبدون الشمس ويعظمونها فوق كل معبود سواها وكانوا يصفون الارباب بالذكورة والانوثة ويقولون أن لكل رب قدرة على ايجاد الطبيعتين فالرب «أنو» ملك السماء مؤنثه «أناث» والرب «بعل» المولى مؤنثة (بعليت) أو (مردوح) أو (زربنيت) ثم اختلطت عقائدهم ودياناتهم بديانة وعقائد الامم السابقة عليهم فى سكن بلاد الكلدان بطول المعاشرة فتحول المعبود (أنو) صاحب النور الى رب الشمس واسمه عند الساميين (ساماس) وتحول اسم المعبود (انليل) الى (بعلو) واسم المعبودة (أزارى) أو عسارى الى (مردوخ) وهكذا من أنواع الخلط بين القديم والجديد

ولم يكن فى أول الامر نظام وترتيب لدرجات الارباب والملائكة من حيث علاقاتهم ببعضهم وتفضيل بعضها على بعض فلذلك كانت كل جهة تقيم الاعياد للمعبود الذى تستحسنه أو يستحسنه الغالبون ففى زمن تغلب قوم (أور) تغلب رب القمر على سائر الارباب وفى زمن تغلب قوم (لارسام) تغلب رب الشمس وقد حصل مثل هذا الامر في مصر قديما حيث كان لملك الدنيا والسلطنة دخل فى رفع ذكر الارباب وخفضه حتى أن الناس كانوا

يدخلون على معبودهم الاصلي صفات معبود المتغلبين عليهم تبعا للحوادث .

وقد ظهر فى مدينة (عريدو) الكلدانية فرقة من علماء الاديان قالت بتوحيدالذات الالهية ووجهوا عبادتهم لله وحدهالا أنهم لم يظهروا على عبادة الشرك ولم يتغلبوا على المشركين نخفى دينهم

ويتبين من أخبار تلك الازمان أن علماء الدين رأوا وجوب ترتيب درجات الارباب وجعل بعضهم فوق بعض وذلك ظاهر من احوال الكلدان فى عصر الملك (شرجينا الاول) وابنه (نارامسين) قبل التاريخ الميلادي بأربعة آلاف سنة وفى سيرة الملك(حمورابي) ما يدل على أن مملكة الكلدان اتخذت دينا حكوميا يدين به الناس كلهم تبعا لملكهم بدلا من كثرة الارباب

وهذا الدين الذى اتخذوه مبنى على تثليث الذات الالهية العظمي فقالوا أنها عبارة عن ثلاث ذوات وهى (انو وبعل وايا اوعيا) وكانوا يصورون (انو) رب السماء القديم ابا الارباب ملك الدنياوصاحب العدم ورب خزائن الغيب على صورة انسان بذيل نسر لابس جلد سمكة على رأسه وكتفه ووسطه . ويصورون (بعل) احد نصفى الذات الالهية ملك الدنيا وسيد الممالك جميعها وملك الارواح كلها على هيئة ملك جالس على عرشه واهل بابل كانوا يعرفون ذاته بوصفين أحدهما « بعل مردوخ » والثانى « بعل دجان » ويصورونه على هيئة سمكة بوجه انسان .

أما الذات الثالثة وهى ذات « ايا » أوعيا الدالة على صفات العلم المتصرفة فى المرئيات وواهبة الفهم والعظمة والحياة التى جعلت الروح فى الماء فكانوا يصورونها ملكا بأربعة اجنحة كملائكة الكروبين وكل واحد من هذه الثلاثة ذوات ينبعث منه ذات مؤنثة مثله فى الصفات وهى « أنات وبعليت ودمكينا »

ولكن اسم « بعليت » غلب على الاسمين الآخرين لانه الجوهر الاصلي للكائنات الموصوف بالرطوبة والخصوبة. هذا وصف تثليث الكلدان من الوجهة المعنوية أما من الوجهة الحسية فانهم جعلوا للذوات الثلاثة مظاهر رمزية من الكائنات المرئية وهي القمر والشمس والسحاب ثم يتلوهم أرباب خمسة متصرفة في الكواكب الخمسة « لنينو » وهو زحل و « مردوخ » وهو المشترى و « نرجال » وهو المريخ و « عشتار » وهو الزهرة و « نابو » وهو عطارد. الخ

أقول ان ما ذكره « مسبرو » يقرب كثيراً مما قاله ابن خلدون فى الكتاب الثانى فى ذكر أمم العالم حيث يقول: وليس لدينا من أخبار آدم وذريته الا ما وقع فى المصحف الكريم وهو معروف من الائمة واتفقوا على ان الارض عمرت بنسله أحقابا وأجيالا بعد أجيال الي عصر نوح عليه السلام وأنه كان فيهم أنبياء مثل شيث وادريس وملوك فى تلك الاجيال معدودون وطوائف مشهورون بالنحل مثل (الكلدانيين) ومعناه الموحدون ومثل السريان وهم المشركون. وزعموا أن أمم الصابئة منهم وأنهم من ولد صابئ ابن لامك بن اخنوخ وكان نحلتهم فى الكواكب والقيام لها كلها واستنزال روحانيتها وان من حزبهم الكلدانيين أى الموحدين. وقد الف ابو اسحاق الصابئ الكاتب مقالة فى انسابهم ونحلتهم. وذكر اخبارهم ايضا (داهر) مؤرخ السريانيين والبابا الصابئ الحرانى وذكروا استيلاءهم على العالم وجملا من نواميسهم الخ

اقول ايضا ان الملك (حمورابى) المذكور هو من ملوك العرب الذين تغلبوا على ملك بابل فى قديم الزمان وشهرتهم بالشرائع وتنظيم

الحكومات لا تحتاج لبيان. ولهم في بلاد الكلدان والفرس آثار باهرة تشهد للجنس العربي بالسبق في مضمار الحضارة والعلوم والشرائع

واقول كذلك ان الزمن الذي يقول «مسبرو» بظهور مذهب التوحيد فيه وهو زمن الملك (شرجينا) يوافق على حساب مؤرخي التوراة زمن ظهور آدم وبنيه لغاية قتل قابيل لهابيل سنة ٣٨٧٥ قبل التاريخ المسيحي ولكن المشهور ان اول من نزل بلاد بين النهرين وبابل هو نوح وبنوه بعد الطوفان وزمن نزولهم يوافق سنة (٢٣٤٨) قبل الميلاد فالحال لا تخلو من احد امرين فاما أن التوحيد قديم في بلاد الكلدان من قبل نوح واما ان حساب اهل التوراة خطأ لاسيما وأنه لا يوجد في التاريخ تعيين مضبوط لمحل ظهور آدم وبنيه لغاية نزول نوح ارض السوس والكلدان وبابل والمشهور ان ملك اولاد آدم كان جهة سيحون وجيحون شرقي بلاد الفرس بين بلاد الترك والهند والمغول والتاريخ الذي يعينه اهل التوراة لتشييد اولاد نوح لبابل هو سنة ٢٢٤٧ قبل الميلاد فكل ذلك مما يوجب الشك في تاريخ اهل التوراة لعدم موافقته تاريخ السريان والفرس والهنود وابحاث المتأخرين وتحقيقاتهم لمعرفة صدق تاريخ التوراة من عدمه

(الباب الخامس)

في ذكر دخول علوم صابئة اليونان ثم الروم على عقائد التوحيد وتاريخه

(فصل في ذكر أول من أدخل ديانة اليونان)

المشركين على محللات ومحرمات الموحدين بالاكراه قبل ظهور المسيحية بنحو جيلين

نقلا عن كتاب تاريخ يوسف بن كربون بالفصل الثاني منه .

قال في ذكر ملك انطيوخس المكدوني اليوناني وما جرى على اليهود في أيام ملكه:

ثم ارتحل انطيوخس راجعا الي بلاده وخاف على أورشليم رجلا من أصحابه يقال له فليكس وآمره ان يطالب اليهود بالسجود لاصنامه ويأمرهم بأكل لحم الخنزير ويمنعهم من الختان ومن حفظ السبت وأن يقتل كل من خالف أمره ويحسن الى كل من اطاعه ففعل فليكس كما امره انطيوخس وطالب اليهود بذلك فامتنعوا منه فقتل منهم خلقا كثيراً وأحسن الي أولئك القوم الاشرار والى من تشبه بهم فى طاعته وقبول أمره ورفع منزلتهم فانبسطت يدهم على الناس وعظم شرهم وكانوا على اليهود أضر من كل أحد وسببا لكل ما جرى عليهم من المكروه الخ

(فصل في ان انطيوخس أول من أكره الموحدين)

(على قبول عقيدة تأليه الادميين كالصائبة وعذبهم عليها)

قال يوسف فى سيرة انطيوخس: ثم سعى الى فليكس بسبعة اخوة من اليهود فأمر بالقبض عليهم ووجه بهم الى انطيوخس لانه لم يكن رحل عن أورشليم الى ذلك الوقت. فلما وصلوا اليه أمر باحضار أكبرهم. فلما مثل بين يديه أمره بترك ديانته وقبول ما قد أمر الناس به من السجود لصورته وتسميته الها الخ فهذا المارد طالب الشاب المتقدم فى السبعة وكان يسمي (افقيم) بأن يسجد لتماثيله ويأكل من ضحاياه فدحض أمره ورد عليه قائلا (أيها الملك انما تجب علينا طاعتك ان أمرتنا بما ليس فيه مخالفة لشريعتنا. وأما ما لا يجوز لنا فعله فلسنا من الطائعين له ولا لديانتنا من المضيعين. وذلك أنا لسنا نعرف سوى التمذهب بدين (الله) عز وجل وما تقلدناه من نبيه موسى ولا نسجد لما ليس (بأله) عند ذلك احتد انطيوخس وتزايد غضبه وأمر باحضار قدر كبير من نحاس وأمر بوضعه على النار فلما حميت أمر أن تقطع يداه.

ورجلاه ولسانه وأن يسلخ جلده ووجهه ورأسه ثم يلقى جسده بالقدر . فلما صار ما أمر به ذلك الجبار فعلا وقارب (اقفيم) الموت أمر بأزالة النار من تحت القدر ليطول عذابه فبقى كذلك الى أن مات وانما أراد بذلك تخويف أمه واخوته فما زادهم الا شجاعة وتشديدا وقوة منه وتأييداً الى أن استظهروا على المتجبر العنيد. ثم احضروا الثانى وهكذا (الى أن قال بعد ذكر عذاب الباقين)

ثم ان أمهم سألت الله عز وجل أن يقبل نفسها فماتت وذلك أنها لما شاهدت أعضاء بنيها متفرقة طرحت ذاتها فى النار المضطرمة ولم تنتظر أن يطرحها فيها انسان. فعلى هذه الكيفية استكمل هؤلاء حياتهم الخ

ثم ان انطيوخس رحل عن أورشليم راجعاً الى بلاده بعد ما استخلف صاحبا له يقال له (فيلكس) على بلد اليهودية وتقدم اليه والى جميع عماله المتولين اعماله أن لا يبقوا على أحد من اليهود الا من قبل أمر الملك ولم يخالفه . ففعل أصحاب انطيوخس كما أمرهم وأكثروا من قتل اليهود فأهلكوا من الامة خلقا كثيراً. الخ

فمن ذلك يعلم ان اليونان لما حكموا اليهود أخذوا فى اكراههم على الدخول فى ملة الشرك وقبول القول بتأليه بنى البشر والسجود لهم وأكل لحم الخنزير وتحليل محرماتهم وتغيير حكم السبت والختان. وقد أفلحوا ووجد لهم أنصار نشروا دينهم بين الاهالى فى زمنهم وزمن الروم وحكمهم على اليهود بعد اليونان كما سترى ذلك مما يأتي ذكره لتعرف كيف تمتزج الاديان وتختلط العقائد وان الذين تربوا على الدين المبدل يتمسكون به على جهل بما أصاب المتمسكين بالحق قبل التغيير

وقال يوسف بن كريون في ذكر فرق اليهود بعد كلامه على تداخل

الروم في أمور اليهود : كان اليهود في ذلك الزمان ثلاث فرق الواحدة تسمى (الفروسيم) وهم الفريسيون ويسمون أيضاً المعتزلة والفرقة الثانية يسمون الصدوقيين نسبة الى رجل فقيه من أصحاب العلماء يسمى صادوق . أما الفرقة الثالثة فيسمون الحسديم وتأويل هذا الاسم الصالحون لأنهم كانوا يذهبون الى العمل بما هو أفضل وهو الاخذ من هذين المذهبين بما هو أحوط في الدين واسلم في التقوي وهم المشتغلون بالتسبيح المنعكفون على العبادة . وكان الصدوقيون يعادون الفريسيين عداوة شديدة ويباينونهم . وكان هركانوس وآباؤه من الفريسيين ثم انه انتقل بعد ذلك الى الصدوقيين وباين الفريسيين وعاداهم الخ

وكانت العامة بأسرهم وبعض الخواص مع الفريسيين فعظمت الشرور منذ ذلك الوقت في اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضاً الخ

﴿ فصل في الوقت الذى بدأ فيه رؤساء اليهود بالتظاهر ﴾

(بتقليد حكام الروم فى أمورهم ودينهم)

قال يوسف في الفصل السادس فى كلامه على أيام الامبراطور أوغسطس ملك الروم :

فلما كان بعد أيام يسيرة ورد قائد من اوغسطس قيصر الى اورشليم فقبض على ارخلاوس وقيده وحمله الى رومية فمات فيها وكانت مدة ملكه سبع سنين وملك بعده انطيقوس أخوه ابن هيرودس

ولما ملك أوغسطس انطيغوس بعد أخيه سماه هيرودس أيضاً باسم ابيه وكان هيرودس هذا أشر من اخيه ارخلاوس واقبح افعالا وكان مسرفا في النسوة والملاهى وهو الذي اخذ امرأة فيلبس اخيه وهو حي وله منها

ولدان واسم المرأة هيروديا . فلما انكر علماء اليهود وأئمتهم عليه ذلك قتل منهم جماعة كثيرة وقتل يوحنا بن زكريا الحبر الاعظم والكاهن الاكبر لما انكر عليه اخذ امرأة اخيه وهو حي خصوصاً لان له منها ولدين . ويوحنا هذا هو الذي ابتدأ يعمل المعبوغات لليهود والتطهيرات والتكفير للخطايا وهو المسمى عند النصارى يوحنا المعمدان بن زكريا .الخ

فمن هنا يظهر لك ان ديانة الوثنيين دخلت في دين اليهودية في زمن أو غطس وصار لها أنصار من رؤساء الدين . ولا يخفى ما وراء ذلك من التأثير على عقول العامة والاميين واتباعهم دين الرؤساء كما هي العادة

(فصل فى ذكر أساس ديانة التعدد)

(وما بينها وبين التوحيد من الشبه فى طرق العبادات مع اختلاف الأساس)

قال الامام ابن حزم في الكلام على من قال ان فاعل العالم ومدبره أكثر من واحد بالجزء الاول من كتاب الفصل في الملل والنحل بالصفحة ٣٤ :

وقد يضاف الى جملة من قال مدبر العالم أكثر من واحد الصائبون وهم يقولون بقدم الاصلين على ما قدمنا من نحو قول المجوس الا أنهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر ويصورونها فى هياكلهم ويؤتون الذبائح والدخن ولهم صلوات خمس فى اليوم والليلة تقرب من صلوات المسلمين ويصومون شهر رمضان ويستقبلون فى صلاتهم الكعبة البيت الحرام ويعظمون مكة والكعبة ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويحرمون من القرائب ما يحرم على المسلمين . وعلى نحو هذه الطريقة تفعل الهند (بالبدة) في تصويرها على أسماء الكواكب وتعظيمها . وهو كان أصل

الاوثان فى العرب والدقاقرة فى السودان حتى آل الامر مع طول الزمان الى عبادتهم اياها . وكان الذى ينتحله الصابئون أقدم الاديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا الى آن احدثوا فيه الحوادث وبدلوا فى شرائعه بما ذكرنا فبعث الله عز وجل ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم بدين الاسلام الذى نحن عليه الآن وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التى أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى الخ

(فصل فى ذكر بعض محللات ومحرمات الصابئة)

(الذين منهم اليونان والروم مؤسسى المسيحية)

قال الشهرستانى بالجزء الثانى من الملل والنحل صحفة ١٥٤

الصابئة كلهم يصلون ثلاث صلوات ويغتسلون من الجنابة ومن مس الميت وحرموا أكل الخنزير والجزور والكلب ومن الطير كل ما له مخلب والحمام ونهوا عن السكر فى الشراب وعن الاختتان وأمروا بالتزويج بولى وشهود . ولا يجوزون الطلاق الا بحكم الحاكم ولا يجمعون بين امرأتين . انتهى .

هذا أصل دين الصابئة في بلاد الشرق الا أن اليونان والروم كانوا احدثوا فيه كثيراً من البدع وأحلوا لحم الخنزير واتخذوا (التعميد) بالماء الذي يقابل الختان . وقد قبلت المسيحية الرومانية كثيراً من هذه القواعد التى ذكرها الشهرستانى على خلاف ما كان عليه اليهود . ولم يرد فى كتاب يوسف بن كربون ما يدل على أن المسيح عليه السلام أحل أو حرم شيئاً من أحكام التوراة في هذه الأمور

ويوسف هذا من رؤساء اليهود وكبرائهم وقد أدرك حروبات الرومان كلها وكان يحاربهم الى أن غلب ووقع فى أيديهم وشاهد خراب القدس

وسافر مع الرومان الي رومية بعد الخراب في الجيل الذي يقال بظهور السيد المسيح فيه فهو أدرى الناس بما جرى لملته في الوقت الذي تغير فيه دينهم على يد ملوك الروم المشركين ولم يثبت عنه ان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام جاء بأحكام توافق ملة اليونان والروم ومحللاتهم ومحرماتهم ولم يذكر ظهوره

وعلى ذلك صح قول القس بنيامين شنيدر بأن كل البدع التي دخلت على المسيحية الصحيحة من عمل الوثنيين ومن التقليد الباطل

(فصل في ذكر بعض ما كان عليه اليونان والروم)

(من العقائد الفاسدة أيام اختلاطهم بالموحدين)

قال المسعودي في مروج الذهب في ذكر الكهانة وما قيل في ذلك وما اتصل بهذا الباب مما نراه وحد النفس الناطقة : تنازع الناس في الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن . وكانوا يدعون العلوم من الغيوب . فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت . فهي مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ما تريد أن يكون منها لان صور الاشياء عندهم في النفس الكلية . وصنف منهم أدعى ان الارواح المنفردة وهي (الجن) تخبرهم بالاشياء قبل كونها وان أرواحهم قد صفت حتى صارت تلك الارواح من الجن متفقة . وذهب قوم من النصارى ان السيد المسيح انما كان يعلم الغائبات من الامور ويخبر عن الاشياء قبل كونها لانها كانت فيه نفس عالمة بالغيب ولو كانت تلك النفس في غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب . ولا أمة خلت الا كان فيها كهانة . ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانة واشتهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروبا من الوحي اصفاء نفسه وتجردها من ادران هذا العالم . والصابئة تذهب الي ان

(ازرياسيس)و (اواسيس)و (اويس الثانى) وهما هرمس و (اغا ممنون) كانوا يعلمون الغيب ولذلك كانوا انبياء عند الصابئة . ومنعوا ان تكون الجنة اخبرت من ذكرنا بشيء من ضروب الغيب لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم . وطائفة ذهبت الى ان التهكن سبب نفسانى لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ونظافة الحس . الخ فمن ذلك ترى خلل ديانات هذه الامم التى دخلت على أساس التوحيد والاعتقاد فى الانبياء واختصاص فطرتهم لتلقي علوم الوحي بنعمة الهية

فصل في ذكر بعض آثار الوثنية

اليونانية والرومانية فى ديانة الانبياء الموحدين

قال الامام ابن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والنحل جزء ٢ ص ٧٣:

واعلموا انهم كلهم باجمعهم متفقون على ان يصوروا فى كنائسهم صورة يقولون هى صورة البارى عز وعلا وأخرى صورة المسيح وأخرى صورة مريم وصورة بطرس وصورة بولس والصليب وصورة جبريل وميكائيل واسرافيل ويسجدون للصور سجود عبادة ويصومون لها تدينا وهذا هو عبادة الاوثان بلاشك والشرك المحض وهم ينكرون عبادة الاوثان ثم يعبدونها علانية وحجتهم فى هذا حجة عبادة نفسأوهي أنهم يتقربون بذلك الى تلك الصور لا الى الصور بأعيانها

واعلموا أنهم لم يزالوا بعد المسيح بأزيد من مائة عام يصومون فى شهر كانون الآخر أثر عيد الحجيج أربعين يوما متصلة ثم يفطرون ثم يعيدون الفصح مع اليهود اقتداء بالمسيح الى أن أبطل ذلك عليهم خمسة من البطاركة أجمعوا على ذلك ونقلوا صيامهم وفصحهم الى ما هم عليه اليوم (الى أن قال)

وقولهم كلهم ان المسيح أتي ليأخذ بجراحته آلامنا وبكلومه ذنوبنا

ليت شعرى أي ألم آخذ بجراحته أم كيف تؤخذ ذنوب الناس بكلوم المسيح ما نراهم ألا يألمون ويذنبون كما يألم غيرهم ولا فرق (الى أن قال)

ودعواهم أن هيلانة والدة قسطنطين أول من تنصر من ملوك الروم بعد ازيد من ثلثمائة عام من رفع المسيح وجدت الخشبة التي صلب فيها المسيح والشوك الذى جعل على

رأسه والدم الذي طار من جنبه والمسامير التي ضرب بها في يده. فليت شعري أين وجدوا هذا كله وأهل ذلك الدين كلهم مطرودون مقتولون حيث وجدوا والمدينة خالية أزيد من مائتي عام لاأنيس بها .

ثم من لهم بانها تلك وأين يبقى أثر الدم ومسامير وشوك وخشبة تلك المدة العظيمة في البلاد الخالية المتغيرة . ولا شك انه اذ صلب كما يقولون كان أصحابه مختفين وأعداؤه لا يلتفتون الى أمره . انتهى .

وقد سبق لنا ذكر ما يقوله عقلاء المسيحين من البروتستانت في أمر الصليب وفي تقليد محللات ومحرمات الصابئة و الوثنية فليراجع ليعلم صدق رواية يوسف بن كربون

فصل في ذكر مايقوله مؤرخو الاديان من الفرنجة المتأخرين في تشابه دينهم ودين البوذية

قال الاستاذ ماكس مولر في كتابه تاريخ الأديان بالصحيفة (٣٠١) ضمن كلامه على البوذية ومؤسسها (بوذا) مامعناه : ان اعظم الاصلاحات التي أتى بها دين البوذية جاء في أحكام المعاملات الدنيوية وتهذيب الأخلاق والحكم والمواعظ لافي العقائد ولا في علوم الغيب ولا في الامور الغير المرئية

فأقواله في الاخلاق والحكم من احسن ماجاءت به الشرائع في العالم كله : وقد شهد له بذلك الكل حتى مخالفوه وأعداؤه فمن أعدائه الذين أعجبوا به المبشر المسيحي (سبنس هاردي) الذي قال في كلامه على كتاب (ضما بادم) أي الخطوات الشرعيه ان المواعظ التي في هذا الكتاب لو جمعت لكانت أعظم كتاب مواعظ في الاديان الوثنية وقال العلامة (لابولاي) أحد اعضاء جمعية العلماء الفرنسية الاعلام فيما كتبه عن هذا الدين بصحيفة الاخبار المعروفة باسم (ديبا) بتاريخ ٤ ابريل سنة ١٨٥٣ ما معناه (انه لمن المتعذر على عقولنا أن تدرك كيف يمكن للبشر الوصول الى هذا المقام العالي والدنو من مكان الحكمة بهذا المقدار من غير مدد الوحي) الى أن قال المؤلف بعد ذكر محاسن شرع بوذا وأحكامه : ان العلماء كانوا يظنون بوذا اسم على غير مسمى وان الهنود أخذوا أقوال يسوع المسيح ونسبوها لبوذا . وكان أتباع (مانو) يعتقدون أن (بوذا) و (يسوع المسيح) و (مانو) شخص واحد وقد استمر هذا الخطأ لغاية الجيل التاسع عشر بعد ميلاد المسيح والعلماء يزعمون أن (بوذا) عبارة عن واحد من مشاهير أصحاب الاديان في غير الهند مثل توت المصريين أو

(عطارد) اليونان أو (ودان) الجرمان أو (زردشت) الفرس أو (فيثاغورس) اليونان ولكن ظهر الآن للعلماء أن (بوذا) ذات على مسمى ظهر فى الهند بالدين المنسوب له مخالفا للبراهمة واتبعه الناس وكان له شأن عظيم . انتهى ملخصا . والذى يستنتج من أقوال هذا العلامة (ماكس مولر) ان الدين اليسوعي والبوذى والمانوى والتوني والعطاردي والزردشتى تكاد تكون واحدة بعد الذى أصابها من الخلط من وجوه واحدة

وقد حقق المؤرخون تاريخ ظهور (بوذا) فوجدوه سابقا علي ظهور المسيح بجملة أجيال

فيحسن بنا أذن ذكر قواعد هذا الدين الاساسية من عقائد ومواعظ لمقارنتها بمثلها ونظائرها نقلا عن الثقات من المؤلفين فنقول!

ذكر المؤلف (جاكو ليوت) بالباب الثامن عشر من كتاب (خرستنا) معبود الهنود ما معناه ان بعض العلماء الاوربايين أخطأوا فيما قالوه عن تعظيم الهنود لأمر النسل واعضاء التناسل حيث زعموا أن تصويرهم للاعضاء وتعظيمهم لها والاحتفال بها في معابدهم وما يحصل منهم من القبائح فوق الازهار والنباتات المنشورة فى المعابد أثناء الاحتفال يدل علي أن اعتقادهم فى أمر الخلق والخليقة فاسد وأنهم يقولون بتناكح الارباب فى السماء وأن الكائنات السماوية والارضية تتبع طريقة واحدة فى تولدها وتناسلها وتخلقها .

قال: وهذا الاستنتاج الذي زعمه الباحثون فى غير محله وهذه العادة الهندية هي أصل العوائد التي من قبيلها فى الاديان القديمة وما هي الا رمز وتعبير حسى عن آراء علمية فى مسألة التكوين والخليقة والتناسل لان كتب علمائهم تذكر أن ذات الخالق منزهة عن الجسمية وأنها لا تدرك بالحواس .

قال: أما تعظيمهم لاعضاء التناسل وتصويرها فى المعابد وسائر ما يفعلونه من هذا القبيل فقد اتخذه عنهم قدماء المصريين واليونان وكثير من الامم القديمة كما يشهد بذلك عيد (البالوص) في (مصر) قال واتخاذ الرموز كان عاما عند الامم لتفهيم العوام العقائد وهو كتحفيظ كتب العلوم وتعليقها فى ذهن المشتغلين بالعلم ويؤيد ذلك عادة قدماء المصريين فى تخصيص العلوم بالجماعات ثم نقل ما ذكره (كليمان) الاسكندري في كلامه على احتفال قدماء المصريين بعيد معبودتهم (ازيس) وما كان لكل جماعة من النصيب فى حفظ العلوم وهاك ما قاله (كليمان) :

(فى موكب ايزيس كان الرئيس الذى عليه النشيد يحمل آلة من آلات الطرب رمزا للنشيد والغنا وسفرين فيهما حكمة المعبود عطارد فى أحدهما الاناشيد التي تقال للمعبودات

وفى الثاني أسماء الملوك . ثم يأتى بعد الرئيس العالم المخصوص بعلوم الطالع والنظر فى الزمن وفى يده قصبة الكتابة أى القلم ومزولة رمزا لعلم الفلك . ويشترط فى هذا العالم حفظ أربعة أسفار من أسفار عطارد فى أحدها علم ترتيب الافلاك وفى الثانى مطالع الشمس والفجر وفى الثالث والرابع مطالع الكواكب الاخرى وهيئاتها ثم يأتي خلفه الكاتب المقدس وعلى رأسه الاقلام تقليد الصور المعبود كنيب وفى يده سفر وقصبة كتابة ويشترط فيه أن يكون عالما بالكتابة المستعملة فى النقش والتصوير على الاحجار وعلم وصف الكائنات وسير الشمس والقمر والسيارات وأسماء السنة وثلاثين مديرية ومجرى النيل واستعمال الآلات ثم الزينات المقدسة وأسماء المعابد والمحلات المعظمة والمقاييس والموازين والمكاييل . ثم يأتى خلفه حامل الفرجية ومعه ذراع الحق أو مقياس النيل وقدح فيه الشراب المقدس ويشترط فى هذا العالم أن يكون حافظا للعشرة أسفار الخاصة بالقرابين والاغانى والصلوات والتقدمات والاحتفالات والاعياد

ثم يأتى وراءه النبي حاملا على صدره قلة مكشوفة وخلفه حملة خبز ويشترط فى هذا النبي أن يكون حافظا عشرة أسفار مقدسة حاوية الشريعة وديانة جميع الارباب ونظام القائمين بخدمة الدين . وهذا النبي مكلف برئاسة الاسرار الدينية

فجميع تلك الاسفار اثنان واربعون سفرا منها ستة وثلاثون يحفظها أرباب المناصب من هؤلاء فى صدورهم غيبا . والستة الاسفار الباقية من واجبات الحملة الآخرين وهي تشتمل على علوم الطب وعلم تركيب الجسم البشري والكلام على الامراض ووصف الآلات الطبية واستعمالها والادوية واستعمالها انتهي كلام كليمان الأسكندرى من علماء النصرانية بالجيل الثالث بعد الميلاد .

قال جاكوليوت فأنت ترى مما ذكر أن حفظ العلوم في الصدور كان من طرق المحافظة عليها عند الاقدمين ليتيسر لهم اعادتها الى بطون الاوراق والصحف اذا مد الزمان اليها أيدى الحدثان . انتهى كلام جاكوليوت

أقول أن هذا المؤلف يرمى بكلامه هذا الى بعيد لأنه ينكر النبوات ويقول بوضع جميع العقائد والعبادات ولا يؤمن بشيء منها غير القول بالخالق جل وعلا وهذا شيء لانتعرض له فيه وانما فى كلامه كثير من الحقائق التاريخية فى موضوع التقليد الدينى وفى الكلام على أقدم الاديان فى العالم فاكتفينا بما نقلناه عنه للدلالة على الباقى

وقال صاحب دائرة المعارف العربية فى شرح الديانة البوذية وما بينها وبين الديانة المسيحية من وجوه الشبه :

يقولون ان (صمذي) رأس الحيوة الروحانية وهو يقوم بأربع درجات وهي (١) الاعتقاد بوحدانية الاشياء (يريدون وحدة الوجود) و يميز كل شيء عن الآخر تميزا تاما. وفي هذا الاعتقاد ضمانة وكفالة لنوال الخلاص من الخطيئة (٢) الاعتقاد بجواز استحالة أشياء كثيرة الى شيء واحد مع اللذة في ذلك (٣) عدم المبالاة بالتمييز بالحكم حال كون الشعور والذكر لايزالان عاملين مع شعور ضعيف محسن الحالة الجسدية (٤) الزهد التام وعدم المبالاة وتجريد النفس من كل شعور للذة أو ألم .

وعندهم ان صفاء الذهن والتفكر يوصلان الانسان الى السماء الثامنة والعشرين . ومتى تأمل الانسان لا بد له من الوصول ولا يعوقه عائق . هذا قولهم في الصمذية . ويقولون ان ما وراء السماء الثامنة والعشرين سماء تحجب دون (الترفانا) لايدرون هل هي دار النعيم الازلي أو نهاية (الخلاص) و (الاستحقاق) والخير كله . ويقولون ان ثمرة (صمذى) العلم والاحاطة بكل شيء والقدرة على كل شيء . وهذا هو نهاية (الخلاص)

ويعتقدون أن البوذية أكبر نعمة على العالم لأنها أدخلت جميع الخلق في حكم الخلاص وجمعتهم بالكهنة . وقد كان الناس قبل ذلك محرومين من هذه النعمة الكبرى وهذه العقيدة لها نظير في العقائد المسيحية مع اختلاف أساس الديانتين

(الوصايا البوذية التي جعلت باسم مسيحية)

وقال في ذكر الوصايا البوذية :

وقد أخذ النصارى من تعاليم البوذية قولهم (احبوا أعداءكم واحسنوا الى مسيئكم) وقد علمتهم تجنب الشر ما أمكن الخ

(فصل في ذكر ماحققه المؤرخون الاثريون المتأخرون من ان الملك قسطنطين جمع العلوم والشرائع ومزجها ببعضها)

ذكر العلامة (اوجين ريفيلو) الفرنسي معلم الشرائع في مدرسة لوفر بمدينة باريس في مقدمة كتابة الموسوم (بالعقود في شرائع قدماء المصريين والامم القديمة) مامعناه: ان الشرائع الرومانية تهذبت واتسعت بعد احتكاك الرومان بالامم الشرقية ومعاشرتهم لهم وأن حكام الرومان استفادوا كثيرا من معاشرتهم للشرقيين فأخذوا في تغيير شرائعهم القديمة شيئاً فشيئا مما أستفادوه من شرع الاجانب

قال: وكنا نظن ان التحسين الذي طرأ على أحكام الالواح الاثنى عشر من ابتكار الافكار الرومانية قبل ثورنا عليها آثار الامم الشرقية كالمصريين والكلدان والسريان وسائر أولاد

سام . ولكن ظهر للناس فيما بعد أن لا فضل لعلماء الرومان فى هذا التحسين بل الفضل كله للشرائع الشرقية التى أخذتها حكام الرومان بعد اطلاعهم عليها

وقد ذكر المؤلف كثيرا من الاحكام التى نقلها ملوك الروم وأمروا الناس بالعمل بها . الى ان قال

ومن ذلك اكرام المعلمين وتشديد العقاب على من يسىء اليهم واعفاؤهم من الحضور أمام الحكام كما يحضر سائر الناس ورفع المغارم عنهم. والذى أمر بذلك هو الامبراطور (قسطنطين) الشهير بحبه للعلوم والمعارف

ومن مآثر هذا الامبراطور ما ذكره عنه العلامة (أوبيرت) المؤرخ الباحث فى علوم الاقدمين حيث يقول ان قدماء الكلدان كانوا يتخذون اشارة مثل اشارة الصليب تماما كما ظهر ذلك من مراجعة كتبهم القديمة العهد جدا وكان اسمه فى لغاتهم (لاباروم) . فلما امر قسطنطين بتصوير علامة الصليب على الاعلام والبنود أطلق عليها اسم (لاباروم) كما هو فى لغة قدماء الكلدان مع التقليد الاصلى . ولم يغير شكله القديم الذى وجد مصورا على صدور ملوك السريان .

ومعنى (لاباروم) باللغة السريانية الازل والقدم والسرمد كما أن الصليب المصري القديم ذي الحلقة المصور على حيطان معبد (سرابيوم) وكان سببا فى تغيير ديانة كثير من الخلق فى عهد (تيوفيل) كان رمزا الى الحياة . انتهي

فمن ذلك يظهر لك جليا أن الحاكم الرومانى الذي اتخذ الديانة المسيحية واكره الناس على اتباعها والعمل بها وتعليم عقائدها للاهالي وانتشارها فى جميع البلدان الخاضعة لحكم الرومان أخذ هذا الدين من علوم المشرقيين وخصوصا من علوم البابليين الصابئة الذين كانوا يعتقدون فى رب الشمس والنور والحرارة ويقولون بالمخلص الذى يظهر لتخليص النور من الظلام والخير من الشر

(فصل فى ذكر اقرب الاديان المجوسية الى ديانة الروم وقت ظهور المسيحية)

قال صاحب دائرة المعارف الفرنسية في تعريف ديانة الرب (مهر) : الرب (مهر) من معبودات الهنود وله ذكر فى كتاب الحق المقدس الهندي وهو اسم معبود الايرانيين ووارد ذكره فى الديانة (المزدية) وربما كان المعبودان فى الديانتين ذاتا واحدة فى الاصل الا أن الذات التي اشتهرت عبادتها فى العالم شهرة واسعة هى ذات الرب (مهر) المزدى

(تعريف مهر في دين قدماء الفرس)

(مهر) و(اهرمن) و (اناهيتا) عبارة عن الذوات الثلاثة التي تتألف منها الذات الالهية في ديانة ملوك دولة الفرس الاولى الذين اشتهروا بانقاذ بلادهم من حكم (المادين) وقد ورد ذكر هذا المعبود في كثير من كتب الدين القديم وفي كتب قدماء مؤرخي (الاغريق) ذكرا يدل على قدم عبادته و كثرة انتشارها وعظيم شأنها ·

وهو الذي نسب اليه الشهر المسمى باسمه (مهر) وفيه يحتفلون بعيده احتفالا عظيما جدا وقد يحتفلون به لغاية الآن في بلاد العجم بعد ظهور الاسلام ويسمون عيده عيد (المهرجان)

وهو في عقيدتهم عبارة عن نور الشمس ونور القمر وسائر النجوم ذلك النور الذي تصدر منه الحياة والخصبة وكل شيء خير وطيب في عقيدتهم (نور السموات والارض)

وقد ورد وصف طبيعته في كتب الزردشتية بأنه النور المطلع على كل شيء وأنه عنوان الحقيقة · فهو ذات الحق المطلع بنور بصيرته على أحوال الكائنات الظاهرة والباطنة وهو خير الشاهدين المطلع على حال الموفين بالعقود والناكثين لها والمنتقم ممن يحيدون عن طريق (النور) أى عن طريق الحق ورب الحق وذات الحق

(في انتشار ديانة مهر في العالم)

لما ظهرت عقائد (زرد شهت) في بلاد الفرس تغلبت على دين (مهر) في بلاده الا أن دينه كان انتشر في بلاد الامم السامية والاغريقية واللاطينية وحل محل عبادة (اهرمن) وغيره من الأرباب الذين كانوا معتقدين وقت انتشاره وظهر في البلاد الغربية من بلاد العجم ديانة (مهروية) داخلها شيء من العقائد غير الفارسية الاصلية . ولما توغل الفاتحون من العجم في أسيا اتبعهم رؤساء الدين الفارسي ونشروا عقائدهم في البلاد التي حلوا بها · فدخلت في بلاد الموصل عبادة (مهر) وامتزجت بعبادة (اناهيتا) امتزاجا كليا حتى أن بعض المؤرخين غير العالمين بأصل الديانتين يظنون أن المعبودين من دين واحد سرياني الاصل · وقد اقيم لمهر معبد في مدينة بابل وعندما دخل الرومان بلاد الكلدان وجدوا الكلدان يقصدون تلك البلاد للتبرك والحج باعتبار أنها الارض المقدسة عند عبدة (مهر)

وكذلك اشتهرت عبادة (مهر) في بلاد (الارمن) وفي بلاد (كبدوش) وبلاد (القوط) حتى اتخذ ملوك أسيا الصغرى القابا معظمة انتسبوا بها للرب مهر تعظيما لشأنهم — ولعل لقب (مهران) من تلك الاسماء (كقول ملوك العرب عبد شمس وقول ملوك الفراعنة رعمسيس)

ومن بلاد أسيا الصغرى سرت عبادة (مهر) الى بلاد اليونان ثم الى بلاد الشام ثم الى

مصر وهكذا . وقد عرف الرومان عبادة مهر بعد تغلبهم واختلاطهم بأهالي تلك البلاد فسرت الى بلادهم وتأصلت وصارت من الاديان المعتبرة . ذكر المؤرخ (فلوطرخس) أن جماعة الملاحين اتخذوا عبادة الرب (مهر) واشهروها في جبال (اولمبيا) المقدسة عند اليونان ومن ذلك ظن المؤرخون أن هؤلاء البحارة هم الذين أشاعوا هذا الدين في بلاد المملكة الرومانية

والظاهر أن هذا القول ضعيف ولكن على كل حال قد حصل ان هذه الديانة اشتهرت في مملكة الرومان قبل التاريخ الذي اصطلحوا على جعله ميلاد المسيح عيسى بن مريم بنحو مائة سنه تقريبا

واول ظهورها في الهيئة الحاكمة الرومانية كان على يد العساكر والجنود المجموعة من اطراف المملكة : واشهر المعابد التي اتخذت لهذه العباده كانت بالبلاد الغراقية على نهر الطونة وشواطىء نهر الرين وفي اقليم بريطانيا من فرنسا وغيرها. وزاد اشتهار هذه العبادة في عصر الامبراطور (طرخاز) من كثرة العبيد والاسرى الذين قدموا في حروباته فكانوا كرسل لنشر هذه الديانة في جميع البلدان التي وجدوا بها . ومن العامة انتقلت عقائده الى الخاصة شيئا فشيئا حتى صار من الاديان المعظمة وزاد تعظيمه بدخول الامبراطور (قومود) فيه وبصدور الأوامر باتباعه رسخ وقوى . وصار دين المملكة من العامة والخاصة بعد ظهور المسيحية حتى بعد أن اختار الملك قسطنطين دين المسيحية وأمر الناس باتباعها والخروج من دين (مهر) وترك سائر الاديان المخالفة للمسيحية اليهودية .

أما اعتقاد الامم في (مهر) فكان محشوا بعقائد سائر الارباب القديمة عند الامم التي اتخذتها ودخلت في دينه . فكل جماعة دخلوا ديانة مهر كانوا يصبغونها بصبغة معبوداتهم وعقائدهم القديمة

فلذلك نجد لهذا الرب في كل بلد معجزات وخوارق وقصصا كما قيل عن سائر الارباب المشهورين في العالم فبعضهم كان يقول انه مولود من قرآن الرب (اهرمزدة) بوالدته . وبعضهم كان يقول انه مولود من صخرة مباركة . وآخرون أنه امر الصخر والاحجار بأن يلدوا فولدوا ومن معجزاته انه رمى صخرة بقوس فنبع منها ماء الخ

ومن اشهر التماثيل التي وجد الباحثون الرب مهرا مصورا بها صورته وهو واقف وبيده سكين وبيده الاخرى تبعث نور الشمس على رأس ذات ساجدة بين يديه وتفسير ذلك ان الساجد هو الشمس ومهر ربها يفيض عليها النور

ومن الرموز المصورة على تماثيله ما تعبيره انه صاد ثورا وركبه وذبحه في المغارة

المقدسة بمشاهدة غراب مرسل من قبل الشمس . والسبب فى تصوير ذلك هو أن عقيدة المزدية مؤسسة على القول بأن الثور هو أول المخلوقات التي خلقها (اهرمزد) وان ذبح الثور هو أصل الخليقة وان النباتات أصلها من جسده وأن الحيوانات خلقت من جسده ولكن بعد أن طهرها القمر . وبقية الصورة التى فى التمثال المذكور مرسوم عليها عقرب رمز الى (اهرمن) أي الشيطان وهو يحاول منع ذبح الثور لكى لايتم القربان . فيلدغ الثور فى خصيته ، ولكن لدغه لايأتي بفائدة حيث يذبح (مهر) القربان فيسيل من جسد الثور الدم ويشرب منه الكلب والثعبان . ولايخفى أن هذه العقيده كانت عامة فى ديانة عبدة الكواكب حيث زعموا أن اصل الخليقة من دم القربان الذي خلق اولا وذبح بعد حرب الثور مع الظلام والصالح الذي اعقبه هلاك المخلوقات التي كانت على وجه الارض وتجديدها من دم ثور ودم (ريباس) . ومن ذلك ما كان يقال عن الرب (اريسته) ابن الشمس انه ابعد الطاعون عن اهل (سيوس) بقربان ذكر المؤرخ (ميرجيل) أنه كان ثورا . ومن عقائد دين (مهر) انه الخلاق وأن خلاص العالم سيكون على يده وانه سيقدم عجلا قربانا للخلاص وفداء للخلق وانه هو الذى يبعث من فى القبور ويدخل الناس الدار الآخرة ويشفع ويغفر وهكذا . ومما وجد مصورا فى مغارة (مهر) المخصصة لعبادته صورة تين ماء رمزا الى الرطوبة وصورة أسد رمزا الى النار وصورة ثعبان رمزا الى الارض وهكذا أما اعياده فاعظمها عيد ميلاده الواقع فى ٢٥ ديسمبر وبقية الاعياد مجهولة الاصل والتاريخ ، والمعابد التي كان يعبدونها عبارة عن مغارات فيها صورة (مهر) وهيئة ذبح الثور وحوض لنزول الدم واحواض فيها مياه مقدسة . والصلوات عبارة عن دعوات وخشوع بارشاد اصحاب الوظائف المخصصين لخدمة العبادة والارشاد فى المعابد اما خارج المعابد فكان يوجد موظفون آخرون لأداء الرسوم والقيام بفرائض الدين المهروى فى الجنازات والمآتم وغيرها ، ولهم درجات ورتب مختلفة . وحاصل القول أن الدين المهروى وعلومه وطقوسه وعباداته تكاد تكون عبارة عن الديانة المسيحية النصرانية من كل وجه . ولما ظهرت وجوه الشبه للناس بين الديانتين فى الجيل الثالث بعد تاريخ ميلاد المسيح ارتابوا ودخلهم الشك فى المسيحية ، فلذلك كان رجال الدين المسيحى يقولون لهم ان هذا من فعل الشيطان خوفا على خروجهم من دينهم ومنعا لتفضيلهم دين مهر على المسيحية اما أسباب المشابهة بين الديانتين طبيعية لأن المروجين للديانتين من بلاد واحدة ومن جنس واحد واحوالهم واميالهم واحدة من اصل الفطرة واختلاطهم فى المعيشة والمعاملات واطلاعهم على افكار وعلوم بعضهم . فكانوا اذا استحسن بعضهم شيئا من

دين الآخرين أضافه على دينه وعلمه لاتباعه حتى اختلط الدينان ببعضهما وصارا كانهما دين واحد (انتهى ملخصا من دائره المعارف الفرنسية)

(فصل فى ذكر ما اتخذه الروم من الاعياد المجوسية الفرسية)

(نقلا عن دائرة المعارف الفرنسية)

كان قدماء الفرس فى آخر السنة يقدمون قرابين عظيمة لطلب الغفران والرحمة في الشهر الذي يوافق شهر فبراير في حساب الاورباويين وعيدهم هذا يشبه العيد الذي اتخذه الرومان فى مثل ذلك الوقت لزيارة الاموات . وقد حافظت الفرس الثانية (الدولة الفارسية الثانية) على الاعياد التي اتخذها اسلافهم على حساب حركة الشمس . وتلك الاعياد موفقة على تقدير ان السنة ستة فصول وان لكل فصل عيدا ولايام الكبس عيدا خاصا بالارواح . وأكبر تلك الاعياد أربعة مجعولة لاحوال الشمس فى الاعتدال والانتقالات ومدة كل عيد منها ستة أيام . أما أعياد الفصول الستة فكانت تمكث خمسة أيام وينسب كل عيد منها الى رب ومعبود من معبوداتهم كالاعياد الرومانية التي يطلق عليها اسم الخماسية . فمنها عيد تعظيم النار . وعيد انتصار (ايران) على (توران) . وانتصار افريدون على الضحاك . وعيد الفتك بالشياطين . وعيد الكروم . وعيد (البو) الذى كان عبارة عن احتفال سخرى بصورة متخذة على هيئة انسان راكب على برميل . وهذا العيد يشبه عيد المسخرة (الكرنفال) الذى يحتفل به الاورباويون فرحا بدخولهم في الصوم . ثم عيد الاموات الذى كان يقع فى أوائل شهر نوفمبر

وقد كان لهذه الاعياد الفارسية دخل عظيم فى أعياد الامم المجاورة لهم . ولما انتشرت ديانة الرب (مهر) الفارسى فى بلاد آسيا الصغرى انتقلت منها بأعياده الى جميع البلاد التابعة لمملكة الرومان .

وأكبر الاعياد فى هذا الدين كان عيد ميلاد (رب الشمس) الموافق الآن لعيد ميلاد المسيح عند النصارى الاورباويين الواقع فى الخامس والعشرين من شهر دسمبر .

وقد كان هذا العيد معظما فى جميع البلاد الشرقية والغربية الى أن استبدل بعيد ميلاد المسيح . ولا يخفى ان معظم الاعياد النصرانية أصلها أعياد فارسية قديمة . الخ

مطاردة النصرانية للاسلام

يدهش المرء أيما دهشة اذا رمى بنظره الى تلك الحرب الهائلة التى يقيمها المبشرون بالنصرانية على الدول الاسلامية وتزيد دهشته وحيرته اذا علم بما تبذله جمعيات التبشير من الهمة فى تنصير المسلمين وما تتخذه من الوسائل المتنوعة للوصول الى غايتها الخطيرة

ولقد بلغ من شدة الثقة فى نجاح تلك الجمعيات ان القائمين بالامر فيها ينشرون كتباً ضخمة فى نتائج أعمالهم ويظهرون للعالم النصرانى انهم لا يدعون وسيلة من وسائل تنصير المسلمين الا اتوها حتى انهم اعتبروا الاشتغال بتنصير المجوس والوثنيين وغيرهم من أصحاب الاديان الاخرى انما هو اشتغال بالعبث فى جانب تنصير المسلمين وبرهنوا على ذلك بان الخطر الاسلامى هو العامل الوحيد فى انشاء تلك الجمعيات النصرانية فيجب ان يكون له من العناية ما يستحقه ولو ادى ذلك الى ترك الاشتغال بكل شئ غيره

ترى تلك الجمعيات النصرانية ان الاسلام هو الخطر الهائل ولذلك فهى تنشر فى أقطاره مبشريها وقساوستها مزودين بالمال محملين بالكتب معضدين بالحكومات المحلية والقنصليات المختلفة

ترسلهم ليستميلوا الضعيف ويخلبوا عقل المرأة والصغير ويفسدوا على الناس ابناءهم وبناتهم فى مدارسهم النصرانية

ترسلهم لينشئوا المستشفيات المجانية فيظهروا للناس فى لبوس الملائكة الذين يرسلهم الله لانقاذ الانسان من الامراض والعاهات حتى اذا ما خلوا

به وسوسوا اليه ان الذى ارسلهم واسمعهم صوته الشريف انما هو المسيح

ترساهم لينشئوا النوادى الادبية فيجتمع اليهم المسلم الاديب والحقوقى الباحث والطبيب النطاسى والمهندس البارع والتلميذ المجتهد ويسمعوا من النكات الظريفة والملح اللطيفة ما يروق الاسماع ويسترق القلوب لمن موضوع ادبى الى غناء شعرى ومن فكاهات وملح الى طرائف غريبة وتحف حتى اذا طاب للقوم المقام ولذلهم استماع الكلام قام أولئك القسيسين يصلون صلاتهم النصرانية ! ! فمن كان من الحاضرين نصرانيا اشترك فى الصلاة معهم ومن كان مسلما قضى عليه الذوق وحتمت علية اللياقة ان يراعى احساسهم فيقوم واقفاً على قدميه اجلالا واعظاما

بعد انقضاء الصلاة وتأدية مراسمها (أمام المسلمين) وقبل انصراف الجمع من ذلك النادى الادبى يذهب كل من حضر الى (البوفيه)

وهناك يجد من أنواع المطاعم والمشارب ما يستهوى القلوب ويحبب الى العودة ! ! فيأخذوا القوم ما شاءوا بغير حساب جزاء لهم على احترامهم للصلاة وموافقتهم على عملها وتحبيباً لهم فى أهل هذا النادى وفى جميع ما يفعلون ومن ذلك (الدين النصرانى) .لم تقتصر تلك الجمعيات على ذلك فى استهواء الانئدة الى الدين النصرانى ومطاردة الاسلام أينما حل بل ذهبت فى السعي الى أكثر من هذا

أرسلت مبشريها الى القرى الصغيرة حيث يقيم الفلاح المسلم ومعه امرأته وأولاده فى راحة بال وهناء من العيش ومع تلك المبشرة أو المبشر أحمال من الكتب المقدسة وغيرها من كتب النصرانية ينثرها على القوم نثر التراب فيأخذها الريح الى حيث لا يعلم لها قرار ولا صلاح . الا أن عزائم

أولئك القوم لم تضعف بعد. بل يتجدد عندهم الأمل فى كل يوم بأن يتنصر المسلمون ويكونوا عبدة المسيح. والذى يحرج الصدور ويستفز غضب الحليم ان بعض المدارس النصرانية التابعة للملك الجمعية تختطف أولاد المسلمين من أهلهم اختطافا بين سمع الامة وبصرها فتغير أسماءهم بأسماء نصرانية حتى اذا سأل والد التلميذ عن ابنه باسمه الحقيقى لم يعرفوه به وأنكروا أن عندهم شخصاً بهذا الاسم. وقد حدثت هذه الواقعة مراراً وآخر ما اتصل بنا من نوعها كان فى مدينة الزقازيق

بمثل هذه الطرق تطارد النصرانية الاسلام ويظن القائمون بهذا الامر أنهم ينصرون دينهم ويرفعون من قدره بما يأتون من الاعمال الصبيانية فى مطاردة الاسلام. ويظهر لى أنهم وجدوا النقود وحدها لا تكفى فى شراء دين المسلم منه فصرح رئيسهم فى كتابه الذى نشره أخيراً والذى عربت منه بعض الجرائد نبذاً بأنه لا بد للمبشرين من قوة يلجأون اليها اذا اعترضهم عائق فى تنصير المسلمين. ولا أظن تلك العوائق الا تمسك المسلم بدينه الحق وعدم اصغائه الى خرافات المبشرين بالنصرانية الذين يملأون المدينة سعياً وراء تنصير جاهل من جهلاء المسلمين وما هم بفائزين

يقول الله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى)

ويقرر الاسلام هذه القاعدة العمرانية العالية واثقاً أن الاسلام دين الفطرة وأنه كالشمس فى رائعة النهار لا تكسف نوره السحب ولا تحجبه عن أعين العقلاء ظلمات التشكيك والخلط. لذلك وكل الى عقل العقلاء أمره ولم يجبرهم على الأخذ به كما أنه حببهم اليه ولفتهم الى معانيه الواضحة وأوامره الصالحة

ولو كان الاسلام دين عسف وجور لما بقي من أهل أوربا الآن من يجرأ على مناوأته ومطاردته بمثل هذه الوقاحة واللصوصية

نعم ولو لا الاسـلام لبقيت أوربا الآن فى ظلمات الهمجية والوحشية وان كانت هى الآن على تمدينها أقرب الى تلك المرتبة المنحطة

أنا لا أدرى ما الذى صنعه الاسـلام من القبيح مع أوربا حتى قامت فى هذا القرن تناصبه العداء وتقف له كل مرصد بل ما ذا عمـل المسلمون حتي يكونوا عرضة لسهام أوربا المسيحية وعدوانها

لو عدت أوربا من جناية الاسلام عليها ان أخرجها من طور البهيمية ومنّ عليها بالعلوم الفلسفية والطبية والهندسية والدينية لكان ذلك مما يحير الالباب

ولو عدت من جناياته عليها ان عرفها كيف تحارب الاعـداء وتصون دم الاحياء وترفع عنها ثقـل العبودية وتخرج من نير الاستبداد الى نعيم الحرية لكان ذلك غاية العجب

اذاً فماذا تحفظ أوربا للاسلام غير هـذه المنح والمواهب حتى يقوم أهلها عن بكرة أبيهم باذلين أموالهم حابسين على مطاردته نفوسهم

لقـد دفع الغرور أهـل أوربا المسيحية الى أنواع من المنكرات يستنكف الادنياء أن يأتوا بها فان الاسلام فى ابان عزه ومجـده وفى أيام عظمته وقوته قد حافظ على نفوس النصارى واعتبرهم أهـل ذمة لهم ما لنا وعليهم ما علينا وكان فى وسـعه وقتئذ ألاّ يكون فى الارض نصرانى ولا يهودى فكان جزاؤه منهم بعد حبه لهم والحنو عليهم ماتراه اليوم من المضايقة

والمعاكسة والاجتراء على الاسلام والمسلمين ساداتهم من قبل وأولوا الفضل والنعمة عليهم وعلى آبائهم

من ذا الذى كان يظن أن نصرانياً مشوش العقيدة زائغ العقل مخلوط الفكر يتقدم الى مسلم موحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ثم يجعل يهمس له بأن دينه باطل وان النصرانية خير منه وأقوم ؟؟

بل من ذا الذى يصبر على أن يكون فى بلاد اسلامية كمصر قوم يضللون عقائد العامة ويفتنونهم عن دينهم الحق تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب وآونة بالاغتصاب والسرقة ؟؟

هل كان يخطر على فكر المسلمين فى العصر الاول هذه الحال السيئة وهذا المآل الشنيع وهل كان يخطر على بال المصريين أنفسهم أن يكون بين ظهرانيهم من المجلات النصرانية ما تطفح صحفه بالسب فى دين الاسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ؟؟

ان ذلك أمر لم يكن فى الحسبان ولكن الايام سترينا أكثر من هذا ما دمنا مسلمين بالقول فقط

ان الدول الأوربية تعتبر كل مستعمرة لها ربحاً للنصرانية . ولئن استفادت الدول الأوربية من مستعمراتها شيئاً فانما ذلك أمر ثانوى بالنسبة الى ما تستفيده الكنيسة من بث العقائد النصرانية بين سكان تلك المستعمرة وخصوصاً المسلمين منهم

ومعلوم أن الحكومة لا تستقر فى مملكة تخالف عقائد الاهالى فيها عقائد الرؤساء ما دام الاهالى متمسكين بدينهم حق التمسك ولذلك فالحكومة تحتاج الى أهل الكهنوت ليكونوا عونا لها على تثبيت قدمها

بنشر النصرانية . فالحكومة والكنيسة قوتان متساندتان هذه تساعد تلك وكلتاهما تسعى الى نشر النصرانيـة اما قصداً واما وسيلة . على هذه القاعدة جرت فرنسا في مستعمراتها الافريقية وبهـذه الطريقة تجري في كل مستعمراتها التي يسكنها المسلمون ولذلك فهى ترتكب من الفظائع فى انتهاك حرمة الاسـلام وأماكنه ما يوقظ فى المسلمين الحمية الدينية ويذبهم الى أنهم محكومون بأمة نصرانية تسعى في القبض على رقابهم بكل وسيلة تراها ناجحة وقد ارتأت أنه لا يخضع للنصرانى الا النصرانى فسعت فى تنصيرهم أو على الاقل سعت فى جرح احساسهم الديني وانشاء طائفـة من أبنائهم على ما تريد هى من التعاليم والعقائد فجرّت على نفسها الوبال الوبيل

أما غير فرنسا من الدول الكبيرة الحاكمة لعدد عظيم من المسلمين فقد رأت ان خير طريق لتثبيت قدمها فى مستعمراتها ان تحافظ على معتقدات المسلمين فيها . وليس ذلك منها حبا فى المسلمين أو عملا بواجب ترك الحرية الدينية بل هو ما تحتمه السياسة وتقتضيه الظروف الملجئة . وذلك بأن يكون المسلمون فى تلك المستعمرة هم الاقلية الجاهلة التي لا تعنى بمصلحة الاكثرية المستنيرة بل قد تخلق المشاكل الدينية الواهيـة جريا وراء الدسائس ورغبة فى الشر أو سذاجة وعمى فى البصائر والابصار فترك الحرية للمسلمين يحببهم فى حكم تلك المملكة الاجنبية النصرانيـة خصوصا اذا علمنا ان منهم أهل المناصب العالية والمراتب الفخمة . وهذا الحب الاعمى له نتيجة خطيرة تلاحظها تلك الدولة فى كل ساعة ودقيقة تلك النتيجة ألاّ تقوم للمستعمرة قائمة مادام كل من الفريقـين سيء الظن بالآخر وما دامت الاقليـة شرهة جاهلة والاكثرية وحدها غير قادرة

يدلنا على ذلك ان الحرية الدينية التي يتمتع بها سكان تلك المستعمرة الكبيرة لا تتعدى المباحث الدينية البحتة فاذا خرجت منها الى السياسة كان ذلك هو الشر والبلاء . هنالك تسلب تلك الحرية منهم ويحرمون من لذتها الموهومة ثم ينقلبون على عقبهم وقد خسروا الدنيا والآخرة فلاهم حافظوا على صداقة مواطنيهم فكانوا لهم عونا على العدو المغتصب ولاهم انتفعوا بتلك الحرية الموهومة فى اصلاح بلادهم الذى هو أساس لاصلاح دينهم

على ان تلك الدولة العظيمة لم تقصر فى نشر القسس والمبشرين فى انحاء المستعمرة ولم تأل جهداً فى تنصير المسلمين وغيرهم من أهل الاديان الاخرى كالبوذية والبرهمية.وكانت نتيجة هذه المساعى الكبيرة ان تنصر خمسة أو ستة من المسلمين الهنود وكان منهم أكبر مبشر مسيحى !!!!

وقد أعمى الجهل والغرض السيء شيخاً من مشايخ السوريين فذهب الى الهند كمبشر انجليزى وكانت وظيفته ان ساعد على تمكين تلك الفكرة الخبيثة التي دبت فى عقول الاقلية الهندية فزاد بذلك سخط المسلمين عليه وانكشفت نواياه السيئة وأغراضه الخبيثة وكان أولى له ان يخدم الاسلام باظهار الحقيقة ولكنه أبى الا أن يرجع الي أصله وينمى الى طينته فيخدم الاغراض والاهواء النفسية

كان حقا عليه لو كان مسلما ان ينظر نظرة بسيطة الى هذه الحال السيئة التي أصبح المسلمون يشكون منها وهى تحكم الاجانب فيهم ومراودتهم عن دينهم فيسعى فى تخليصهم من ربقتهم ثم يسعى الى اصلاح الفاسد من الدين والاخلاق

اذ كيف ينمو الدين وهو مضايق بالحكومة أولا وبالمبشرين بالنصرانية

ثانيا والمرء بينهما لا يستطيع حراكا ؟ فاذا تخلص المرء من نير الاجانب استطاع ان يزيل الكابوس الآخر (المبشرون) بمنعهم من دخول بلاده . وكيف لمن بمصر مثلا ان يمنع هؤلاء اللصوص وليس له من الامر شئ ؟ حتى في نفسه فضلا عن غيره ؟؟

اللهم تدارك برحمتك المسلمين وأرهم طريق الهدى والنجاح

بقي ان نبحث فيما يجب على المسلمين ازاء هذه المطاردة العفينة من دول أوربا جماء وازاء هذا الخطر السريع الذى يحمله الينا المبشرون المسيحيون

(١) يجب ان يعلم كل مسلم يغار على دينه ان مدارس الفرنج هى مدارس دينية قبل كل شئ وان مدارس الفرير والجزويت وسنمارى وغيرها كل تلك المدارس تعلم الصغار من المسلمين التعود على مشاهدة الصلاة المسيحية والتعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر - فالمدارس الاهلية كثيرة وناقص سليم العاقبة خير من تام وخيم العاقبة ولنسع فى اصلاح مدارسنا لنستغني عن مدارس الفرنج

(٢) من الواجب على كل مسلم ان يحتاط لنفسه عند دخول المستشفيات الاوربية فانها كنائس وأطباؤها قسس وخدامها كهنة

(٣) المسلم الذى يغار على دينه يجب ألا يذهب بأبنته الى مدرسة افرنجية فان شعور البنات ارق من شعور الرجال والفتنة فيهن اسرع

(٤) يجب على كل مسلم ان يتشدد فى التمسك بدينه فان قليل التهاون مدعاة الي كثيره وذلك مدرجة الى الفتنة ومزلق من مزالق الايمان والعياذ بالله. وليكن كل مسلم فى المحافظة على دينه وصلاته وعوائدقومه بحيث يكون ممثلا للمسلم الحقيقي الذى يتخذ منه النصراني انموذجاً للكمال فربما هداه الله الى الاسلام.

(٥) يجب على كل تلميذ مسلم اذا ذهب الى بلده فى المسامحة ان يحذر أهله واهل بلده من المبشرين بالمسيحية وان يدعوهم الى طردهم اورفع أمرهم الى الحكومة والالحاح في طردهم

(٦) يجب ألاّ يصغى المرء الى كلام دعاة السوء وعبدة الشيطان والاهواء من المخرفين الذين يزعمون انهم طبيعيون فانهم قوم تخبطوا فكانوا ضالين عن الدين وعن العقل بل هم قوم أرادوا ان يخلقوا لهم عذرا فى التهتك بالمعاصى فادعوا انهم طبيعيون خروجا من انتقاد قومهم وماعلموا ان عذرهم أقبح من ذنبهم . وانى اختم هذه المقالة بكلمة الى المسلمين علها تصادف منهم أذنا صاغية وقلبا واعيا

ذلك انه لا خير فى الامة ولارجاء فى صلاحها اذا هى لم تحافظ على دينها وتذود عن حوضه وتتخذ الوسائل لصيانة ابنائها من عبث العابثين وكيد المفسدين

وانى أرى خير وسيلة لهذه المحافظة ان يخرج المسلمون أبناءهم من المدارس المسيحية التى تعلم الاطفال فانها خطر كبير على الدين بل هي انما أنشئت لتنصير المسلمين ثم أنصح للمتفرنجين من أبناء المسلمين ان يدعوا هذا التفرنج فان مضاره على الدين أكثر من مضار الحشيش على العقل السليم . وانى أعجب كيف يستحل المرء ان يترك عادات قومه وأوامر دينه ثم يرجو منه أصحاب دين آخر وعادات أخرى شيئاً من الفائدة . الا أنه اذا فقدت من المرء المحبة لقومه ودينه وعاداته فاولى به ان يرمى بنفسه فى البحر فانه لاخير لاحد فيه بعد ذلك وان نظرة واحدة فى أولئك المتفرنجين تكفى للحكم

قطعاً بأنهم قوم ممن قال الله فيهم (أرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة)

ولو ان هؤلاء المتفرنجين قلدوا الفرنج فى حسناتهم لهان الامر وقل الخطر ولكنى لا أراهم يقلدونهم الا في النقائص ولا يجرون معهم الا في ميدان اللذات البهيمية والاغراض الشيطانية فأما ماعدا ذلك من الحسنات فهم عنه بمعزل. فلو أنهم قلدوهم فى حب الدين . فى التمسك بالعادات القومية . في حب الوطن وتقديسه . لقلنا أنهم استفادوا مايزيدهم فى قومهم حبا ولوطنهم خدمة ولدينهم انتشارا ورفعة

ان الفرنج قد قاموا قيام رجل واحد يبذلون المال عن سخاء لارسال المبشرين الى الاقطار الاسلامية فهلا اقتدى بهم فى ذلك المتفرنجون الذين يعدون متابعتهم أحق بالتقديم من كل شئ ؟؟

اذاً لرأينا الاسلام ينشر جناحيه على أهل أوروبا بما فيه من الحكمة المعقولة والمبادئ الصحيحة والاغراض الجميلة والعقبى الصالحة

اذاً لما صرنا الى ما نحن فيه من المطاردة العنيفة والمضايقة فى كل مكان حتى فى منازلنا وبين أهلنا وأولادنا

اذاً لكان كل مسلم مبشراً اسلاميا يجتهد أن يعرّف القسيس النصرانى المسكين حقيقة حاله ويشفق عليه ويدعوه الى الاسلام ليقضي بقية حياته سعيداً بما سيكون له عند ربه وبما يفعله من ارضاء العقل والفطرة باسلامه

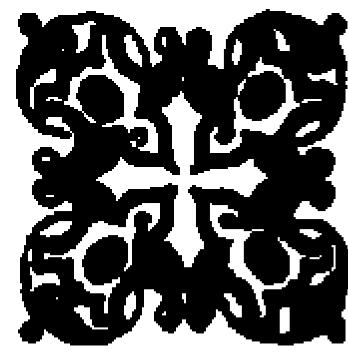
غير ان نحس الطالع قضى بأن يتولى مدرسة (الدعوى) والارشاد قوم ذووا أغراض شخصية ومقاصد خبيثة خفية يسوقهم الى الشر

سياسيون يعرفونله كيف يستفيدون من غفلتهم ان كانو غافلين وينتفعون بخبثهم ان كانوا خبثاء ماكرين

فانه لا يقدم على هذا المشروع المحوط بالشكوك والريب والمملوء بالاغراض والشبه والمغضوب عليه من دار الخلافة الاسلامية صانها الله الا خبيث يريد التضليل أو غرّ جاهل لا يدرى أين يسير

على ان الله قد فضح مقاصد صاحبه فى رحلته الاخيرة وانكشف بها بعض ماخبأه من الغايات والمقاصد وسيظهر المستقبل ان رضيت الامة بالابقاء على هذه المدرسة ما يحقق للناس ان الباطل لا تظهر عليه الشمس حتى تطيره كما تطير الندى والسلام على من سمع القول فاتبع الهدى

(متعلم)



أسئلة وأجوبتها

حضرة الاستاذ منشئ الهداية

نرجو من حضرتكم الاجابة على الاسئلة الآتية

(١) ما هي الادلة التي بنيتم رأيكم عليها في طلاق الغضبان وهل هو مذهب أحد من الائمة المشهورين

(٢) ما معنى الكلمة الطيبة التي جاء ذكرها في سورة ابراهيم

(٣) هل المرأة مكلفة شرعا بخدمة زوجها من نحو طبيخ وغسيل ونظافة منزل .... الخ أم الزوج مكلف بذلك

(٤) من هم الذين لا يقدرون على الصيام وتجب عليهم الفدية

(٥) ما الذي وصلت اليه جمعية أم القرى وهل ظهر لها مطبوعات غير محاضر جلساتها التي نشرت في سنة ١٣١٦ هجرية

محمد عبد العزيز

بالسودان

(الهداية) (١) يدل على عدم وقوع طلاق الغضبان ما روى عن عائشة رضي الله عنها لا طلاق في اغلاق قال الامام أحمد الاغلاق الغضب وكذلك فسره أبو داود وهو قول القاضي اسماعيل بن اسحاق أحد أئمة المالكية وقد فسره بذلك أيضاً مسروق والشافعي فهذا مسروق والشافعي

وأحمد وأبو داود والقاضى اسماعيل قد فسروا الاغلاق بالغضب وهو من أحسن التفسير لان الغضبان قد أغلق عليه باب القصد بشدة غضبه . ولقد قال بعدم وقوع طلاق الغضبان علىّ وابن عباس

(٢) قال بعض المفسرين ان المراد بالكلمة الطيبة الايمان بالله وانما مثله بالشجرة لان الشجرة لا تستحق أن تسمى شجرة الا بثلاثة أمور عرق راسخ واصل قائم وأغصان عالية كذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أمور معرفة القلب واقرار اللسان وعمل البدن

وقال بعض المفسرين نقلا عن ابن عباس ان المراد بالكلمة الطيبة قول لا اله الا الله لانها منشأ كل عمل صالح فهى كالشجرة الطيبة التى تخرج الثمار الطيبة

والظاهر أن المراد بالكلمة الطيبة كل كلمة حسنة فيشمل ما تقدم وغيره

(٣) لا تكلف المرأة شرعا بشئ من الطبخ والغسل ونحوهما بل الزوج وحده هو المكلف بذلك فهو مكلف بنفقات زوجته واعداد مايلزم لخدمتها وتكليفها بشئ مما تقدم ينافى مالها من الحقوق بل يزيدها واجبات لم يكلفها بها الشرع غير أن واجب المجاملة والمحاسنة يقضى بأن يتسامح الزوجان فى المعاملة والمعاشرة فكما أن الزوج قد يزيد فى مقدار النفقة ويوسع على عياله بما لا يلزمه به الشرع كذلك الزوجة قد تسامح فتقوم لزوجها بما يلزمه من طبخ وغسل ونحو ذلك

(٤) قد اختلف العلماء فى تعيين من تجب عليه الفدية اذا لم يقدر على الصوم فذهب بعضهم الى أنه الشيخ والشيخة لا يستطيعان أن يصوما وزاد

بعضهم عليهما الحامل والمرضع اذا خافتا على الرضيع والجنين (١)

(ع) هذه الجمعية خيالية كان يقصد بها صاحبها الشيخ عبد الرحمن الكواكبي وضع نظام اسلامي على مثل ما تخيله لينبه المسلمين الى واجبهم نحو دينهم وما دخله من البدع والسعي في تطهيره منها

* * *

حضرة الاستاذ منشئ الهداية

ما رأيكم فيمن طلق امرأته ثلاثا بلفظ واحد

(الهداية) كان المطلق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي زمن خليفته أبي بكر وفي صدر من خلافة عمر اذا جمع الثلاث بفم واحد جعلت واحدة كما ثبت ذلك في الصحيح فقد روى مسلم في صحيحه عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وثلاث سنين من خلافة عمر لا يقع الا واحدة ولقد روى ذلك الحديث أيضاً أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه الا أنه رواه بطريق آخر غير طريق طاوس

أما ما حكم به عمر بعد ذلك فلأنه رأى أن الناس قد استهانوا بأمر الطلاق وكثر منهم ايقاعة جملة واحدة فرأى من المصلحة عقوبتهم بامضائه عليهم ليعلموا أن أحدهم اذا أوقعه جملة بانت منه المرأة وحرمت عليه حتى تنكح زوجا غيره نكاح رغبة يراد للدوام لا نكاح تحليل

وان من يفهم اللغة ويعرف أساليبها لا يفهم من قوله تعالى (الطلاق مرتان) الا وقوعه مرة بعد مرة وما كان مرة بعد مرة لم يملك المكلف

(١) نيل الاوطار جزء رابع صفحة ١٢٣ و ١٢٤

ايقاع مراته كلها جملة واحـدة كالامان فانه لو قال أشهد بالله أربع شهادات انى لمن الصادقين كان مرة واحدة ولو حلف فى القسامة وقال أقسم بالله خمسين يميناً أن هذا قاتله كان ذلك يميناً واحدة

وقال صلى الله عليه وسلم من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمده ثلاثا وثلاثين وكبره ثلاثا وثلاثين الخ الحديث لا يكون عاملا به حتى يقول ذلك مرة بعد مرة لا يجمع الكل بلفظ واحد

فالكتاب والسنة والقياس والاجماع القديم الذى لم يأتى بعده اجماع يبطله وقوع الثلاث بفم واحد طلقة واحدة فلا نرى غير هذه ما دمنا متمسكين بشريعتنا عاملين بسنتنا وفقنا الله للصواب وهدانا الى ما فيه المصلحة

***

حضرة الاستاذ منشئ الهداية

نرجو أن تذكر لنا من القرآن أدلة تثبت دوران الارض وأدلة أخرى تثبت كرويتها حسن زكى

(الهداية) الدليل على حركتها قوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) فانه يقال دحى الصبي الكرة اذا قذفها وتفسير المفسرين الدحى بالبسط لا ينافى ذلك فان المراد بالبسط ما يظهر فى رأى العين او المعنى أنها لا تنقبض على ما يلقي فيها من البذر وما يسير فيها من الماء (أخرج منها ماءها ومرعاها)

ومما استدل به على حركتها قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مرّ السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ» فان أصحاب الرأى السديد من المفسرين لا يتأولون ذلك بادعاء أن يكون قبل القيامة من

تحول الكائنات الى الفناء على نحو ما جاء فى آية (يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً) ونحو (اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها)... وانما يفسرون تلك الآية بسير الجبال على حين أنها تحسب جامدة لا حراك لها بدليل قوله فى ختامها «صُنْعَ الله الذى أتقن كل شىء» ولا يخفى أن هذه الخاتمة لا تلائم حال التدمير والتخريب مما سيكون فى انتهاء هذه الحياة الدنيا

***

حضرة الاستاذ منشىء الهداية

أرجو أن تذكر لنا عقيدتك فى مسألة البعث فان كثيراً من الناس رموك بأنك تنكره

أحد المشتركين

(الهداية) لقد بينا فى الجزء الثانى من السنة الاولى من الهداية رأينا فى هذه المسألة عند الكلام فى قوله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) فليرجع اليه من شاء أن يعرف عقيدتنا

***

حضرة الاستاذ منشىء الهداية

نرجوكم أن تجيبونا على الاسئلة الآتية

(١) لِمَ لم يكن النبي عارفا بجميع اللغات وقد أرسله الله للناس كافة وما معنى قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه)

(٢) ما السبب فى اختلاف القراءات

(٣) سمعت بعض الناس يقول لم يرد عن العرب (أرض قاحلة) وانه

الذى ورد وصفه بذلك هو النبات فما رأيكم فى هذا

(٤) ما هى جمعية الماسونية وما مقاصدها ولم لا تظهر مبادئها ليعلمها الناس كافة

حافظ النشاوى

(الهداية) انما لم يعرف النبي عليه الصلاة والسلام غير لغة العرب ليكون ذلك أدل على اعجاز القرآن وأنفى للشكوك التى يثيرها المعاندون فان احاطته باللغات الكثيرة ولو من طريق الوحى تدعو الى الظن بانه أخذ القرآن من الكتب الاخرى . على أنا قد وجدنا بين أهل الشرك والعناد من رموه صلى الله عليه وسلم بأن قد كان يعلمه القرآن بعض أحبار اليهود (وقالوا انما يعلمه بشر . لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) . فاذا كان ذلك حظ الرسول من المعاندين الكافرين على أميته المطلقة وعدم علمه بلغة قومه فما بالك لو كان علم بلغات أخرى ولا سيما لغات العلم والفلسفة كلغة اللاطين ولغة الاغريق

أما ارساله للناس كافة فلا ينافى جهله باللغات فانه كان يرسل البعوث الى الناس ممن عرفوا لغاتهم وأحاطوا بلهجاتهم

ومعنى الآية الكريمة أن الله يرسل الرسول بلغة قومه لا بلغة أمة أخرى لكى يستطيع أن يبين لهم من أمر دينه ما يتيسر معه اقناعهم وحملهم على قبول ما جاء به دون مشقة ولا تراخ

(٢) العرب قبائل شتى ولكل قبيلة لهجات مخصوصة ونظام مخصوص فى الجمل والتراكيب فقبيلة تميل وقبيلة أخرى لا تميل وقبيلة تنصب الخبر الواقع بعد ما وقبيلة لا تنصب وقبيلة تبدل الحرف بحرف آخر وقبيلة لا تبدل وهكذا من أنواع التبديل فهذه القبائل جميعا كانت تتلو القرآن كانت تلاوة

كل قبيلة تابعة للهجاتها المخصوصة ونظامها الكلامى المخصوص والنبي صلى الله عليه وسلم حينما كان يسمع تلك اللهجات كان يقرها لانه لم يكن يترتب على ذلك تغير في المعنى. فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن على سبعة أحرف ، ان النبي عليه الصلاة والسلام قد أقر قارئي القرآن على تلاوتهم ولهجاتهم فاعتبر ذلك الاقرار نزولا

العالم الاسلامي

مراكش

مكثت بلاد المغرب الاقصى تلك الازمنة الطويلة بعيدة عن المطامع سليمة من الاغتصاب لا يتداخل في شؤونها أجنبي حتى انتقلت السلطنة الى ذلك الغر الجاهل عبد الحفيظ فمهد السبل للاجانب حتى ملكوا ناصيته وسلبوه بلاده وملكه

يزعم ذلك الغبي انه يدلي بنسبه الى النبي وان الرسول ليبرأ من كل خائن يبيع بلاده رغبة فى دراهم يرضى بها شهواته . طالما تشدق ذلك المأفون بأنه أولى بالخلافة من آل عثمان فأين هو من أولئكم الابطال الذين يفدون بلادهم بأرواحهم . وإنا نذكر شيئاً من وصفها الطبيعي وشيئاً من ماضيها وحاضرها ليرى الناس ان دول الغرب يعز عليهم ان يعيش المسلمون فى ربوعهم آمنين وان يتمتعوا بثمار أراضيهم

وصفها الطبيعي

مراكش مملكة واقعة فى الشمال الغربى من القارة الافريقية وهى محدودة من جهة الشرق بمستعمرة الجزائر ومن الشمال بالبحر الابيض المتوسط وبوغاز جبل طارق والمحيط الاطلانطيق ومن الغرب بالمحيط الاطلانطيق ومن الجنوب بالصحراء الكبرى

والبلاد المراكشية غنية جداً بأوديتها الخصبة وسهولها الجمة وجبالها المكسوة بالغابات وفيها مراع جمة للانعام وبها من مختلف المعادن مالو عملت فيه يد الانسان لأغنت به هذه المملكة وجعلتها درة تتلألأ فى افريقيا

ويبلغ مسطح مراكش ٨١٥٠٠٠ ك م م وهى مساحة تعادل القطر المصرى مع السودان المصرى مرتين ولكن الاراضى المنزرعة الآن فى القطر المصرى لا تذكر فى جانب الاراضى العاطلة بسبب تراكم الرمال فيها أو لكونها مستنقعات وبحيرات أو لغشيانها بالجبل والآكام أو لاحتياج تربتها الى تنظيفها من الاملاح المتشبعة بها وان أراضى مراكش وان حرمت من نهر عظيم كالنيل فانها لم تحرم من وسائل الرى ومن الامطار التى تساعد على نمو الحبوب المختلفة وليست أراضيها حافلة بالبحيرات والبرك ولا هي محتاجة الى غسلها من الاملاح وجبالها محتوية على منبسطات مخضلة الجنبات حافلة بالغابات. وبالجملة فان هذه البلاد لا يعوزها الا تنظيم طرق الرى فى المناطق التى يمكن زرع قصب السكر والقطن بها فى المستقبل

ومحصولات البلاد المراكشية أغلبها زراعية أو متعلقة بها

أما الزراعية فهي القمح والشعير والذرة والبرتقال ويوسف أفندى

والليمون والتين والمشمس والبلح والزيتون وبها غابات غاصة بأشجار البلوط والتين ولكن هذه الغابات لم تستغل حتى الآن نخيراتها سيتمتع بها غير أهل البلاد

وأما ما يتعلق بالزراعة فهي الانعام والطيور فأما الانعام فأكثرها الغنم والبقر والخيول والجمال والبغال والحمير وأنواع الطيور كثيرة أهمها الدجاج والبيض كثير فى مراكش وتصدر منه مقادير عظيمة الى البلاد الاجنبية

هذه هى أهم محصولات البلاد وهي المحصولات التي اعتاد أهلها على استغلالها فى الاراضى المراكشية منذ عهود بعيدة وهي بالطبع محصولات لا تكاد تذكر بجانب ما ينتج من القطر المصرى مع ان الاراضى الصالحة للزراعة فى مراكش أضعاف الاراضى الصالحة للزراعة فى مصر ومع قلة أنواع هذه المحصولات فان مجموع الحركة التجارية مابين صادرات وواردات يبلغ ١٠٠ مليون فرنك منها أربعون مليونا فى الصادرات ٦٠٠ مليونا فى الواردات وهذا المبلغ جسيم بالنسبة لبلاد معاملاتها مع الاجانب مقصورة على بعض الثغور ولا يزال الاجانب يخافون من التوغل فى داخل البلاد فكيف اذا ما عملت فيها يد الاستعمار عملها وأدخلت عليها من طرق التحسين والابتداع ومن الآلات الحديثة ما يضاعف هذه المحصولات مراراً عديدة وما يزيد عليها أنواعاً عديدة

ماضيها وحاضرها

لقد أخذت هذه البلاد في عصورها السالفة حظها من المدنية والحضارة

ورفلت في أثواب النعيم وامتد سلطانها على ما جاورها من الأقطار الافريقية كما انبسط على شطر كبير من البلاد الاندلسية

ولكنها عادت الى الوراء ثانية وتغلب عليها الضعف وضربت عليها الجهالة والغفلة فاستكانت الى الجمود ولم تجار الدول العصرية في الاخذ باسباب العلوم والفنون والصنائع وطمحت اليها الدول الاستعمارية حينما ابصرتها لاهية عن مستقبلها غافلة عن كنوزها المدفونة وخيراتها الوافرة ولقد ازداد طمعهم حينما رأوها مجردة من السلاح والقوة

ومنذ سنة ١٤٩٢ اشتبكت الدولة المراكشية مع اسبانيا في حروب كانت سجالا بين الطرفين ولكن نظر الكاردينال كزيمليس طمح الى إنشاء امبراطورية مسيحية فيها وفي سائر بلاد البربر كالجزائر وتونس والصحراء بل لقد وصل شارلكان الى ابواب الجزائر وتونس بالفعل بيد ان الاسبان عادوا فانثنوا عن مراكش وما جاورها موجهين انظارهم الى مناجم الذهب في الهند الغربية فقضوا على مجهوداتهم وثروة بلادهم بالضياع في تلك الانحاء النائية دون ان يرجعوا منها بفائدة ثم التفتوا الى الحروب الصليبية والي اكتشاف العالم الجديد فتلاهوا بهذه المشاغل عن المملكة الخصبة الغنية القريبة ثغورها من ثغورهم والتي لا تكلفهم من العناء غير اجتياز البحر في مدة قليلة

وما انقضى القرن السادس من الميلاد حتى تقلص ظل الاسبان من مراكش الا من سبتة ومليلة اللتين بقيتا في قبضة ايديهم

ومن الغريب أن تحرش الاسبان بمراكش مرة فأخرى لم يلفت المراكشيين الى الاخطار المحدقة بهم بل ظلوا في جهالتهم يعمهون لا همّ لهم

سوى السلب والنهب وقطع السبل على القوافل وافتخارهم بالقوة العضلية وامتطاء الجياد أو الابل وحمل السلاح اما العلوم فقد أخذت تتلاشى من تلك المملكة وبدأ الجهل يضرب بجرانه فى أرضها ولم تعد تنفذ أحكام الشرع الشريف ودب بين القبايل و بعضها دبيب الشقاق فدارت بينهم دوائر المنازعات والمشاجرات وصار كل زعيم قبيلة يدعي السلطة العليا ويحاول أن يخضع القبائل الاخرى لسلطانه وأصبح سلطان مراكش مقيما فى فاس ونفوذه غير ممتد الا على القبائل المحيطة بفاس ومكناسة وبعض ثغور السواحل وكان الريفيون وسكان الجنوب يعتبرون انفسهم مستقلين غير خاضعين لنفوذ السلطان الذى ترك السلطة الفعلية وتشبث بلقب الخلافة ينازع فيه الخليفة الحقيقى الذي أجمع العالم على مبايعته والاعتراف به الا سلطان مراكش وشاه فارس . على الانجليز كانوا قد أحكموا الصلات مع طنجة عقب استيلائهم على جبل طارق وكلما كانت متاجرهم تزداد اتساعا فى هذا الثغر كان خوفهم يزداد من إفلاته من ايديهم لان الدولة الفرنسية أخذت تطمح الى امتلاك الشواطئ الافريقية منذ الحرب الصليبية التى مات فيها سان لويس ورأت نفسها أحق بهذه الشواطئ لأنها أكبر دول العنصر اللاتيني المشرفة على البحر الابيض المتوسط فهى أحق بأن تكون خليفة الرومانيين وعظمتهم . أخذ الانجليز ترتعد فرائصهم كلما رأوا فرنسا أو اسبانيا تاقي بنظرها الى البلاد المراكشية لعلمها بان كل دولة تستولى على مراكش لابد ان تستولى على طنجة وهذا مما يقلل من خطارة بوغاز جبل طارق بالنسبة للانجليز بل يجعل مركزهم فى جبل طارق قابلا للتزعزع . ولم تكن انظار الانجليز متوجهة فى ذلك العهد الى الفتوحات الاخرى ولو لم تكن مشغولة فوق فتوحاتها

بحروبها الداخلية والحروب التى كانت تنشب بينها وبين فرنسا على الدوام لما تأخرت فى الشروع فى احتلال مراكش لتأمن غارة الدول الاجنبية عليها

أما أول عهد اتصلت فيه فرانسا بالعلائق التجارية المنظمة مع شواطئ افريقية فهو عهد السلطان سليمان حينما أحكم فرنسوا الأول روابط الولاء معه وجعل الاسطول الفرنسي يمخر عباب البحر الابيض المتوسط تحت ظل الاسطول العثمانى الذى كان قائده البطل البحرى المشهور خير الدين بربروسا. فمن ذلك العهد شرعت السفن الفرنسية تختلف الى الثغور الافريقية وتنقل اليها المتاجر وتستورد منها المحاصيل. على ان هذه الصداقة لم يطل عهدها فان الولاة الافريقيين صاروا يضربون الضرائب الفادحة على السفن الاجنبية التى تأتى اليهم فلما تبوأ عرش فرانسا لويس الرابع عشر أراد ان يتخلص من هذه الاغلال التى تعيق سير التجارة الفرنسية فاشهر حروبا بحرية كبيرة على العثمانيين الذين كانوا مستولين اذ ذاك على الجزائر وأطلق المدافع على الثغور الجزائرية فتخلصت السفن الفرنسية بهذه الوسيلة مدة طويلة من الضرائب التى كانت تثقلها وكان هذا من جملة الاسباب فى زيادة الصلات التجارية التى قد بدأت تستحكم بين مرسيليا والثغور الافريقية التى تواجهها ثم أخذت فرانسا تهتم بالصيد فبعد أن خلصت فرانسا من وطأة الغرامات الباهظة التى كانت تدفعها لهم عادوا الى مطاردة صيادي المرجان والى تقرير الضرائب الفادحة على السفن التجارية الواردة من مرسيليا

وفى أثناء الثورة الفرنسية الكبرى كان يمكن الانجليز أن يشتغلوا بفتح البلاد المراكشية غير ان الهند فى ذلك الحين لم تكن فى عداد المستعمرات الانجليزية والانجليز كانوا يجدون كل الجد فى التحاقها باملاكهم وبذل الشركات

الاجنبية الاخرى تعمل فيها وانجلترا لم تكن على يقين من امتلاك الهند كل ذلك كان يحول دون نشوب حرب بين الانجليز والمراكشين لاخذ شيء من المملكة المراكشية

ولقد انتهزت اسبانيا تلك الفرصة التى انصرفت فيها الدول عن مراكش فتمكنت من الاتفاق مع سلطان مراكش على أخذ ترخيص منه باحتلال ايفنى

ظلت مراكش آمنة من الاحتلال الاجنبي ومن النفوذ الاستعمارى حتى ابتدأت فرنسا تحتل الجزائر وتحارب أهلها وتنتزع من أيديهم بلدانها واحدة بعد أخرى فأخذ كثيرون من الجزائريين ينزحون الى مراكش ويستنجدون بقبائلها واشتبكت بالفعل عدة قبائل من المراكشيين مع الجزائريين بالجنود الفرنسية لان المراكشيين وان كانوا قد ظلوا العصور الطوال غارقين فى بحار الجهل لا يعرفون من الدين الاسلامى الا اسمه فانهم مرتبطون باخوانهم الجزائريين برابطة الدين واللغة فلما رأوا الخطر قد أحدق باخوانهم ساعدوهم لانقاذهم من مخالب ذلك العدو المغير على بلادهم الطامع فى أملاكهم وأراضيهم . فلما رأت فرنسا مساعدة المراكشيين وأبصرتهم يتوقدون غيرة وحقدا على كل مغير على بلاد المسلمين أخذت تتودد الى القبائل المتاخمة للجزائر وتقدم لهم العطايا كي تصرفهم عن مساعدة اخوانهم الجزائريين لترسخ قدمها فى الجزائر . غير ان المراكشين لم ينصاعوا لفرنسا بل ظلوا دائبين على مساعدة الجزائريين وصاروا يشنون الغارات من وقت لآخر على الفرنسيين وطالما دخلت فرنسا معهم فى معارك لم تخرج منها الا خاسرة مهزومة ولم تكن فرنسا وقتئذ تقدر على الدخول مع

مراكش فى معامع لما رأته من قيام قبيلتين مجاورتين لمليلة وتنكيلهما بالجنود الاسبانية الموجودة فى مليلة على عهد السلطان حسن. وفى الحقيقة ان أيام السلطان حسن كان العز والسؤدد حليفى مراكش لما كان عليه الرجل من الشهامة وبعد النظر وكان السفراء يحترمونه ويخشون بأسه كما كانت القبائل تحامى سطوته ولو كان ذلك السلطان تفرغ لترقية بلاده وتنظيم جيشها على الطراز الحديث واستخدم تودد الدول الاجنبية اليه في استخدام بعض كبار الضباط الاجانب لتنظيم جيش كبير من المراكشيين ووضع أساساً منظماً لسير الحكومة فى مملكته لنهضت البلاد ولا مكنها ان تدفع عن نفسها غائلة الاستعمار الاجنبي ولكن السلطان حسن اقتصر على توطيد سلطانه بين القبائل التي عصت على اسلافه

ولكن اذا كان ذلك السلطان قد وقى بلاده من تداخل الاجنبي فانه أيضاً سمح للدول الاوروبية بتوسيع دوائر معاملاتها التجارية وهو أول سلطان اقترض من الدول الاجنبية مالا وعلى كل حال فان فرنسا لبثت تترقب اليوم الذى فيه يموت السلطان حتى تمثل دورها السياسى فما لبثت ان ارسلت مدرعتين الى مياه طنجة بمجرد علمها بموت الرجل

ولما تولى عبد العزيز عرش مراكش أخذت تتحبب اليه وتهديه من التحف والهدايا الثمينة لتوقعه فى الشرك المنصوب ولما رأت انجلترا ذلك أخذت تنافس فرنسا فى استجلاب سلطان مراكش اليها خوفا من بسط فرنسا الحماية على مراكش فتكون عقبة فى طريقها الى الهند فاجتذبت كلتا الدولتين عدداً كبيراً من الاهالى

وبعد ذلك اجتهدت فرانسا في أن تثقل كاهل عبد العزيز بالقروض المتتالية كما أخذت تقرض الاهالى فلم تمض الا بضع سنوات حتى أصبحت أموال فرانسا فى مراكش تعد بعشرات الملايين من الفرنكات وكانت هذه الخطوة فى سبيل التداخل فى مراكش

ولقد انتهز سفراء الدول ضعف عبد الحفيظ وطيشه فزينوا له الضلال وأركبوه أخشن المراكب حتى لم يبق بجانبه وزير ناصح ولما آنس أعمامه واخوته منه الضعف ورأوا الخطر المحدق ببلادهم أرادوا أن يتخلصوا من هذا البلاء المبين غير انهم لم يسلكوا سبل الحكمة والرشاد بل قاموا على بعضهم البعض وزعم كل واحد انه أحق بالسلطان دون سواه

وفى سنة ١٩٠٥ بلغ نفوذ الفرنسيين فى مراكش درجة عظيمة ورأوا انه لا بد من وضع حد لمطامع الانجليز والالمان

ولقد كادت حادثة فشودة تشعل الحرب بين الفرنسيين والانجليز غير ان الفرنسيين رأوا ان من الحكمة ترك فشودة للانجليز لتكون انكلترا عونا لهم فى مراكش أو راضية عن عمل فرانسا .

وفى هذه الآونة كان الانجليز قد أتموا فتح السودان وأصبحوا فى حاجة شديدة الى الاموال اللازمة لتعميره واصلاح مدنه التى خربتها الحروب العديدة وفى صندوق الدين المصرى مبلغ كبير يريدون أن يتصرفوا فيه ولكن لا سبيل الى ذلك الا باسترضاء فرنسا التى لها حظ كبير فى الديون المصريةولا تنال انجلترا ذلك الا اذا تنازلت عن حقوق لفرنسا تعادل مصالح الفرنسيين فى مصر فكان هذا منشأ اتفاق سنة ١٩٠٤ القاضى بترك مصر لانجلترا ومراكش لفرنسا.غير ان المانيا قد لعبت دوراً مهما في

المسألة المراكشية لان سفيرها المسيو تاتباخ زاحم المسيو نابانديه سفير فرنسا هنالك فى التحبب الى السلطان وتسليفه ما يشاء من الاموال فتأخرت سياسة فرانسا وكاد يتقاص ظلها بعد ذهاب غليوم الثانى الى طنجة وتظاهره بموالاة الاسلام والمحافظة على مراكش من غوائل الاستعمار

ولما رأت ان نفوذها فى مراكش أو شك ان يذهب صارت تحرض القبائل ليقوموا بالمشاغبات والفتن ضد السلطان لتتخذ من ذلك سلاحا تقضى به على السلطان فنجحت فى مسعاها وتولى عبدالحفيظ باغراء ومساعى فرنسا

ولقد كادت الحرب تستعر بين المانيا وفرانسا من أجل مراكش لولا ان المانيا رأت ان انجلترا فى استعداد لمساعدة فرنسا فعمدت الى اخف الضررين وهو مطالبة فرنسا بالتقدم الى مؤتمر الجزيرة الذى عقد فى سنة ١٩٠٦

ثم أخذت بعد ذلك فرنسا تبث الشقاق بين القبائل حتى قاموا يحاربون بعضهم ثم تداخلت بحجة حفظ الامن والسلام حتى ملأت البلاد بالعساكر والمدافع ثم أخذت تستهوى ذلك الغر المأفون بأنواع الملاذ حتى رضى بان يستظل بحماية فرنسا وأخذ يثنى ويكذب على التاريخ ان اسلافه كانوا أصدقاء فرنسا وأحباءها . ولا ندرى ان كان ذلك الخائن يجهل تاريخ آبائه أو يريد ان يغرر بالناس ويزين سوء عمله. وانا نذكر كلمته التى قالها عند امضاء الحماية ثم نعقبها بشئ من كلام اسلافه ليرى الناس الفرق بين السلف الصالح والخلف الفاسد

قال عبد الحفيظ بعد خطبة المسيو رينو الذى كلف باتمام مأمورية الحماية :

« أهنئ نفسى بالطريقة الودادية اللطيفة التى سلكتموها لاتمام المأمورية

التي نيطت بعهدتكم كما انى مسرور برؤية انجاز هذه المأمورية على غاية ما
يرام بواسطتكم

ولا غرو اذا استمرت العلائق الحسنة الموجودة بين الحكومة الفرنسية
والحكومة الشريفة لان تلك العلائق كانت من السنن المرعية لدى والدى
واسلافى . واتمنى ان يجد المغرب وفرنسا من هذه المشاركة الحكمة ترضية تامة
لمصالحهما ». يزعم ذلك الغر الجاهل ان أباه واسلافه كانت الصلة بينهم وبين
فرنسا متينة وانه لا يريد الا دوام تلك الصلة . فمن من اسلافه باع ملكه
واستقلاله فى نظير دراهم يبتغى بها شهواته . ان آباءك أيها الخائن كانت كلهم
عيون ترقب الخطر الذى ينجم من تداخل الاجنبي فى شؤونها . ان آباءك
كانت ترتعد فرائص أوروبا منهم لم تقدر دولة من دول أوروبا فى عهد اسلافك
على التداخل فى شؤون بلادك . ولكن فرنسا اتخذت من شهواتك سلاحا قتلتك
به . أليس من اسلافك سلاطين مراكش يوسف ابن تاشفين الذى أرسل
كتابه الى الفونس يدعوه الى الاسلام أو أداء الجزية أو الحرب ويقول : بلغنا
يا ألفونس انك دعوت الناس الى الاجتماع بك وتمنيت ان يكون لك
فلك تعبر البحر عليها الينا فقد أجزناه اليك وإن جمع الله فى هذه العرصة بيننا
وبينك سترى عاقبة ادعائك وما دعاء الكافرين الا فى ضلال » . فانظر الى
اسلافك وما كانوا عليه من الشدة والبسالة ووقوفهم امام الاعداء وقفة
الاسد المصور وانظر الى نفسك كيف اضعت بلادك وتراث آبائك
وأصبحت تسبح بحمد فرنسا التى ستت ومك المذاب اصناما وتستدر خيرات
بلادك وأنت تتطلع اليها تطلع العطشان الى السراب حتى اذا مددت يدك

تريدان تأخذ شيئاً من ثمرات أرضك نهرتك وامطرت عليك عذابها ونكلت بك وستكشف عاقبة جهلك وغرورك مما يجملك تندم حيث لا يجديك ندم ولا تنفعك توبة

مسائل الاتحاد الاسلامى

العالم

ان أوربا تضمن تفوقها على العالم الاسلامي بشيئين

(١) سعيها الحثيث فى منع انتشار العلوم والمعارف والصنائع والمدنية الغربية فى مستعمراتها

(٢) تقهقر العالم الاسلامى في العلوم والمعارف

هذه الخطة تسير عليها جميع دول الغرب بكل جد واهتمام وبناء عليه لو أراد المسلمون استرداد حقوقهم فأول ما يجب عليهم حصر قواهم وهمتهم فى هذه المسألة وذلك فرض عين على كل فرد منهم ولنكن على ثقة بأن أنجع طريق لخلاص ونجاة العالم الاسلامى من أسره الحالى المعارف والعلوم فبها ترتفع قدره أكثر من الاعتماد على نظريات الموازنات الدولية والانقلابات والاضطرابات والحروب والمؤتمرات الدولية ما دامت أوربا تبز العالم بعلومها وتحرمنا ما استطاعت من المعارف وبذا تسنى لها التسلط علينا وارهاقنا والتجبر فينا فمن الواجب علينا ان نفقه سر هذا التفوق جيداً وندرك ان العلم هو الاساس الوحيد فلنتسلح به ما استطعنا لنضمن فوزنا وظفرنا فى معترك الحياة

ان أخص آمال حكومات أوروبا صاحبة الاموال وغاية أمانيها ان تبقى الحكومة العثمانيـة فى اغلال الديون أكثر ممـا هى فيه وان توسع دائرة نفوذ مجلس الديون العمومية الدولى بالآستانة . وبهذه الواسطة تتمكن من تحويل أموالنا المخصصة للدفاع الوطنى والمعارف العمومية الى سـداد أقسام الديون وان الاحلام اللذيذة والخيلات الدنيئة التى تشغل فكر الغرب الآن هى جعل الدولة العثمانية لا تعمل شيئاً قط فى سبيل المعارف (نشر التعليم) وبهذه الواسطة تتغلغل دول الغرب ساميا بسـياستها اللينة الملمس فى احشائنا حتى تصبح بلادنا كأحد أملاكهن غير قادرة على الدفاع عن بيضة شرفها القومى وبذا تنحط وتضعف

وانى لاستطيع ان أبرهن على دعواى هذه بألف دليل ودليل وألف واقعة وواقعة ولكن هل هنالك من حاجة لاعلان واثبات البديهى المعلوم ؟

ان أوروبا تذرعت بكل طريقة لمحو المعارف واللغات الاسـلامية حتى أنها قد توجد طرقاً وأصولا لا يقبلها العقل ولا تمر بمخيلة الانسان . والى القارىء كنموذج بسيط ان لكل لغة فى القرى والدساكر توجد لهجات عامية لا يمكن حصرها فى كتابة أو قراءة ولا تربطها بآداب اللغـة أى لحمة فأهالى البادية النائية عن الجهات العامرة الذين حرموا نور المعارف يتـكلمون عادة بهذه اللهجات فاذا ما استنار وتعلم الشخص منهم قليلا يهجر هذه اللهجة العامية ويقبل على اللغة الفصحى الادبية بكل ارتياح اذ نفس المدنية تستوجب معرفة اللسان الادبى

ان هذه اللهجات العامية توجد فى كل مكان فنسـبة اللغة الـكردية الفصيحة الى اللغة العامية (زازا) واللسان العثمانى البليغ الى اللهجة العاميـة

(اخرى) والاسبانيولية اليهودية واللهجة اليونانية المستعملة في الجزر السبع ولهجات الطليان الرديئة كنسبة لهجات (فالون) و (باسق) و (بروفانسال) الى الفرنسية أو البربرية الى اللغة العربية

وبعض هذه اللهجات محرفة عن اللغات الفصحى الادبية وبعضها لغات قديمة انمسخت وخرج منها اشكال متناسخة

فالآن نرى فرنسا فى شمال أفريقية لكى تبعد المسلمين عن المعارف وتحول دون ارتشافهم سلسبيل العلوم تهجر اللغة العربية وتحاربها بينما نجدها تسعى فى احياء اللغة البربرية وهى لغة كان لها أصل قديم . فقد كانت فى عهد الرومان اللغة العمومية للقبائل البدوية القاطنة بشمال افريقيا ولكنها بقيت فى العهد الاخير خاصة بالجهلة وأهل البادية . وقد أصبحت بعض الجهات اليوم تجهل العربيه تماما واندرست منها أدبياتها ولم يبق لها طلاوتها وجمالها فى نظر السكان حتى كأنها ليست بلغة حية وحتى أن العارف بها ليستحى من التكلم بها أمام أحد المتمدنين المتعلمين مع ان كل بربرى يود اثبات تمدينه ورقيه يجب ان يعود لسانه ما استطاع التكلم بالعربية الفصحى . وخلاصة الكلام ان البربرى اذا ما أقام بالمدن والمراكز والعواصم واراد ان يظهر كانسان كامل فاضل يتشبه مجرد تشبه بالعربى فى اللغة واللهجة كما ان الفلاح الاناضولى القح اذا أتى من قسطمونى اوقونية الى الاستانة ودوام على مداسها قليلا وخالط العالم يهجر لهجته العامية الجافة ويقترب من اللغة الفصحى ما أمكن ففرنسا الآن بقتلها اللغة العربية تعمل على احياء هذه اللهجة الغريبة العجمية . ومع أنها تعلم ان اللهجة البربرية لا يمكن تعلمها فهى تبطل اللغة العربية المهذبة البيان وتجعل مكانها كلاما وحشيا وبهذه

الواسطة تاتى النفرة والتفرقة بين العرب . وترى بعض المنافقين ذوى الاقوال الخيالية يدعون بأنهم سيخرجون سكان افريقا من العرب ويجردونهم من الشعور العربي القومى ولهم أدلة فملية تبرر دعواهم

وها هي فرنسا أيضا تنفق الاموال الوفيرة والمرتبات الضخمة لبعض الزنادقة الملحدين بافريقا لكى يبعدوا المسلمين عن أصول دينهم . فالجمهورية الفرنسية تعلن مدها يد المعونة لعلماء المسلمين لتثبت فى الورى حسن نيتها وشريف مقاصدها نحو الاسلام بينما هى تدفع بأموالها أهل الفساد لزرع بذور النفاق والمفاسد بين الموحدين حتى ان جريدة الطان الشديدة الدفاع عن حقوق مسلمى تونس والجزائر ومراكش ازاء المستعمرين تستصوب خطة فرنسا وتراها محقة وتقول بلا تردد فى عددها ١٨٥٦١ الصادر فى ١٧ ابريل سنة ١٩١٢ انه من الواجب على فرنسا ان تزرع بذور الشقاق وتوجد العداوة بين أهالى مستعمراتها لتضمن بذلك دوام سيادتها وحكمها

ونظرا الى ما جاء فى جريدة الطان يكون عدد سكان الجزائر حسب الاحصاء الاخير ٢٧٦ ٢٢١ ٤ من الوطنين بينهم ١٠٨٤٧٠٢ من البربر ولكن أحد مصلحى الجزائر من العلماء المسمى مسيو دونه قام بابحاث دقيقة حكم بعدها بان احصاء الحكومة غير صحيح اذ عدد البربر الحقيقي ١٣٠٥٧٣٠ وسبب هذا الفرق ان كثيراً من الجزائريين يتكلمون العربية والبربرية معا !! ويقول المسيو وايسجربر مكاتب الطان بمدينة فاس ان ثلاثة اخماس سكان مراكش من البربر بحذافيرهم والخمس بربر مستعرب والخمس الباقي هم العرب الحقيقيون !!..

فالذى يجملنا نضحك هازئين امام تلك المدعيات ان الاسلام عند ما طفت أمواجه وعمت أنواره العالم وحد بين كثير من القبائل والامم التى اتبعته فالحقها جميعها بدينه الحنيف وادخلها فى المائلة العربية الكبيرة جميعها اليوم ما بين عربية أو مستعربة . أمااذا لم نفكر بناء على هذا الاساس ورجعنا الى تعيين منشأ عناصر كل أمة نجدان الامة الانجليزية مثلا قد نقصت كثيراً. واذا اعتبرنا ان القرويين بسبب عدم تكلمهم اللغة الادبية الفصحى لا يكونون مع سكان المدن أمة واحدة فما أعظم سخافة رأينا هذا والا فاذا نظرنا الى الترك والمجر من هذه الوجهة نجدهاتين الامتين قد نقصتا جداً ونشأ مكانهما عشرات بل مئات من الامم الصغيرة الجديدة. أظن انى بكتابة هذه الاسطر قد شرحت خطة وسياسة أوربا المرسومة للنكاية بنا وابدت دعواى بمثال البربر فاول واجب على العالم الاسلامى ازاء ذلك ان يصرف قصارى جهده فى اقتباس المعارف ونشر العلوم وان يدافع عن اللغة العربية لسان الدين الرسمى أكثر من كل شيء وليكن هذا اللسان لجميع الموحدين حبلا متيناً فى سبيل توحيد جامعتهم

يكى كوي ٢٠ نيسان ١٣٢٨ جلال نورى

أحوال أفغانستان وفارس

يؤخذ جاء مما فى جريدة (المنشستر جاردين) بتاريخ ١٥ مايو أن الفارسيين استنجدوا بانجلترا على الافغانيين الذين دخلوا فارس بجيوشهم وبمناسبة هذا تقول جريدة (الاستندرد)

« انما يجب علينا ألا نظن أن حاكم أفغانستان يطمح الى التشبه بسلفه القاهر (أحمد شاه) الذى وصل بجيوشه حتى شواطئ بحر (قزوين) ولكن ما يجب أن نقوله الآن هو أن الملك حبيب الله يحصن حصونه التي على حدود (هرات) وان بعض جيوشه قد تعدت هذه الحدود عمداً أو عفواً وأنه بمقتضى نصوص معاهداتنا يجب علينا الاحتجاج اذ قد عاهدت انجلترا نفسها (كذا) بتلافى كل خطر ينجم عن مثل هذه الحوادث . ولذلك حل سهل وهو ان تحبس انجلترا اعانتها عن الحكومة الافغانية. ولكن هذا سبيل وعر لا ينتظر من حكومة تحب المحافظة على صداقتها مع افغانستان »

*
* *

يقال ان الملك حبيب الله هو الذى أصدر الاوامر لجيوشه بالدخول في فارس لما علم بوصول الروسيا الى مشهد لان الحكومة الانجليزية تمده (بالاعانة) ليحافظ على حقوقها ضد الروسيا وبما أن الروسيا قد وصلت حتى مشهد فليس من المستبعد أن تتعدى على حقوق الانجليز

أما السبب فى استغاثة فارس بالحكومة الانجليزية فمبني على معاهدة أبرمت فى باريس يوم ٣ مارس سنة ١٨٥٧ بين الحكومتين بواسطة اللورد (كولى) وسفير فارس. ثم عدلت فى بغداد ومتتنشاها توطيد العلائق الودية بين الدولتين

بمقتضى هذه المعاهدة تنازل الشاه عن سيادته على (هرات) وأخذ على نفسه أنه اذا حصل بينه وبين افغانستان خلاف يكون مرجعه الى انجلترا اذ أن المعاهدة ما أبرمت الا من أجل اعتداء فارس على مرسل انجليزى وعلى الحدود الافغانية . وقد أخذت انجلترا على نفسها بمقتضي المادة

الرابعة منها حسم كل نزاع يسببه الافغانيون مع فارس بحيث لا تمس حقوق فارس بأي ضرر

ولا نرى للانجليز شأناً في هذه المسألة اذ كما أن الروسيا دخلت فى فارس لحفظ النظام كذلك يجب على أفغانستان أن تحافظ على النظام فى فارس لانها أولى بذلك من الروسيا اذ الروسيا مسيحية ولا حق لها في التداخل فى شؤون المسلمين أما أفغانستان فاسلامية والمسلمون اخوة يقضي عليهم دينهم باصلاح ذات بينهم اذا ما حدث شقاق أو نفور . إن الافغانيين لا يقصدون كما تقصد الروسيا وانجلترا هدم صروح الاسلام فى فارس بل هى تريد أن تشد أزر أختها الضعيفة التي انتهز المسيحيون فرصة ضعفها وهرولوا للاستيلاء عليها وتقسيمها

أسرار السياسة الأوروبية

— الأمم المسيحية والدول الاسلامية —

— (كشف النقاب عن المكايد المدبرة) —

في سنة ١٨٧٧ كان (كرسبي) رئيس مجلس النواب بايطاليا قد أنفذ الى الدول برسالة سرية لترقية ايطاليا وقتئذ حدوث (مؤتمر برلين) واسماعها سراً أن النمسا ستطالب بالبوسنة والهرسك . فذهب (كرسبي) الى (بسمارك) ليخاره فى المهمة السرية وقل له ان ايطاليا لا تستطيع أن تتمسك على ماتسعى فيه النمسا من امتداد ملكها على بحر (أدرية) . فأجابه بسمارك بقوله « خذوا ألبانيا »

أما مسألة مطالبة النمسا بالبوسنه فأقلقت راحة الايطاليين طول مدة المخابرات (البرلينية) . ولقد شكا أحد مندوبي ايطاليا فى مؤتمر برلين من

هـذه المسألة فأشار عليه لورد (سالزبرى) من طرف خفى بأن تمد ايطاليا ملكها من جهة طرابلس أو تونس (!)

ولقد أشار (فريسينيه) بعد احتلال فرنسا لتونس على ايطاليا أن تلتفت الى طرابلس حيث لا ينازعها لا فرنسا ولا غيرها ولكن ايطاليا لم تكن وقتئذ فى مركز يبيح لها أن تقوم بمثل هـذا العمل الخطير . فوجست من أفعال فرنسا ولما أن عزمت فرنسا سنة ١٨٩٠ على قلب الاحتلال الى استلحاق ضج (كرسبى) وكاتب لورد (سالزبرى) فى هذا الموضوع قائلا له ان البحر الابيض المتوسط سينقلب عن قريب بحيرة فرنسية . ولا يبعد أن تعقب فرنسا استلحاقها لتونس باحتلالها طرابلس وتصير على بعد سفر ثلاثة أيام من صقلية وهذا يهدد مركز ايطاليا . فاجابه لورد (سالزبرى) بأن قيام فرانسا بمثل هـذا العمل ليس من صالح انجلترا فلا انجلترا ولا ايطاليا يمكنها ان تترك طرابلس لفرنسا . وقد صرح المسيو (ريبو) وقتئذ (١٨٩٠) لسفير ايطاليا « بان باريس تساعد ايطاليا على امتلاك طرابلس اذا ما خرجت من المحالفة الثلاثية »

ان هذه التصريحات المنقولة عن مذكرات (كرسبى) تبدد كل شك عند المسلمين فى أن الدول المسيحية تتمد بمثرة صروح الاسلام ان كان من بين المسلمين من ضرب الله على قلبه وسمعه وبصره لدرجه أنه قد أعمى عن البراهين المحسوسه التى قدمتها فرنسا وانجلترا على دسائسهما السرية التى دستاها لتبديد شمل المسلمين في طرابلس وغيرها .

الطيارات العثمانية

تشكلت لجان لجمع الاعانات لانشاء الطيارات العثمانية بمدائن بيروت وسلونيك ومناستر وادرنه وجناق قلعة وغيرها من أمهات المدن العثمانية ومن المؤكد ان غيرة هذه الامة النجيبة وكرم أهلها سيضمن لنا في المستقبل القريب عددا من الطيارات التى تكون اسطولا هوائيا رهيبا وأنا لنحث جميع البلاد العربية وخصوصا القطر المصرى على التنافس فى هذا المضمار الوطنى المقدس.

مدرسة القضاء الشرعى

انفقت نظارة الاوقاف مبلغ ٨٦٠٠ جنيه عثمانى فى انشاء مدرسة القضاء الشرعى البالغ مساحتها ألفي متر لوافمة بجوار جامع فاېدان باشا بجهة السليمانية وقد قاربت الآن على التمام وتقرر الاحتفال بافتتاحها فى يوم عيد الحرية القادم أى فى عشرة تموز

المدرسة النظامية ببغداد

طلب الهمام جمال بك والى بغداد من الحكومة السماح بصرف مبلغ ألف جنيه لانشاء وتنظيم المدرسة النظامية الشهيرة ببغداد وقد أقرته الحكومة على ذلك

وتفيد أخبار بغداد ان الاصلاحات التى ستدخل حالا على نظام الجامعة أو المدرسة المذكورة ايجاد ثلاثة أقسام رشدية وثانوية وعالية وسيكون التدريس بها جميعه باللغة العربية وسيجبر الطالب بها على تعلم التركية والفارسية وله الخيار فى تعلم اللغة الاوروبية وسيدرس بالقسم العالى العلوم

الدينية مثل فلسفة الاديان وتاريخ الاديان والنظريات والقوانين العمومية والفلسفة المدنية وسيوجد بالمدرسة مطبعة تنشر فيها مجلة شهرية دينية تصدر باللغة العربية والتركية والفارسية

وسيكون لهذه الجامعة مدير ومعاون وبعض الكتبة عدا مايلحق كل قسم فيها من الموظفين والاساتذة

وسيكون عدد طلبة القسم الرشدى ٣٢٠ داخلية و ١٦٠ نصف داخلية (نهارى) وطلبة الاعدادى ٣٠٠ داخلية و١٢٠ نصف داخلية وطلبة القسم العالى ٣٦٠ داخلية و١٨٠ نصف داخلية وسيكون بالجامعة غرفة للخطابة تستوعب ١٨٠٠ نفسا وسيؤسس بالجامعة مكتبة كبرى ومتحف للآثار القديمة ومعمل للكيميا وملعب للحركات الرياضية

وسيعين المتخرجون من القسم العالى بها قضاة ومأذونين شرعيين وأساتذة وبعد زمن قليل سينشأ بالجامعة شعبة للحقوق وأخرى للطب ويكون التدريس بهما باللغة التركية

مصرف الاوقاف الاسلامية

رأت نظارة الاوقاف الاسلامية ان الاموال المتوفرة لديها يمكن انماؤها واستثمارها بطريقة تعود على البلاد بالخير الوفير بأن تنشىء مصرفا اسلامياً تودع فيه أموالها وتمنح منه اقراض العثمانيين بشرائط معقولة مقبولة فوضعت لائحة لنظامه وبعثت بها الى باب المشيخة الاسلامية لتعرضها على قسم الفتاوى الشرعية حتى اذا ألفتها طبق الاحكام الشرعية اعادتها اليها ومن ثم ترسل

فوراً الى الباب العالى ليصدق عليها ثم تعرض على جلالة مولانا السلطان لتقترن بالارادة السنية وتصبح قانونا يعمل به واما لنشكر خيرى بك مدير الاوقاف الهمام على هذا المشروع المفيد

الاحاديث الموضوعة

اذا طنت أذن أحدكم فليصل عليّ وليقل ذكر الله بخير من ذكرني.

من سبق العاطس بالحمد وقى وجع الرأس والاضراس.

عليك بالعسل فوالذى نفسي بيده مامن بيت فيه العسل الا وتستغفر ملائكة ذلك البيت له فان شربه رجل دخل جوفه ألف دواء ويخرج منه ألف داء وان مات وهو فى جوفه لم تمس النار جلده

شكا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره بأكل البيض فقال يارسول الله وأى بيض قال كل بيض ولو بيض النمل

كلوا التمر على الريق فانه يقتل الدود

لو علم وجدى بالرطب لعزوني فيه اذا ذهب

من لقم أخاه لقمة حلواء لا يرجو بها خيره ولا يتقى بها شره لا يريد بها الا الله وقاه الله مرارة الموقف يوم القيامة

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخلل بالقصب والآس وقال أنهما يسقيان عرق الجدام

لا تدعوا العشاء ولو بكف من تمر فان تركه يهرم من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين داء

أكل العشاء والنوم عليه قسوة فى القلب

من سره ان يجلس مع الله تعالى فليجلس مع أهل الصوف

ان الله تعالى خلق فى الارض ألف أمة من الخلق ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر

ان الله تعالى خلق أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوما محشوة خلقا من خلق الله لا يعلمون الا الله تعالى ولا يعصونه طرفة عين

من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عنى

من كتب آية الكرسى بزعفران سبع مرات على راحته كل ذلك يلحس بلسانه لم ينس شيئاً واستغفرت له الملائكة

أنزلت علىّ سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه برىء من النفاق وأعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له طول حياته

من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء

ان الله خاق ديكا تحت العرش وله جناحان اذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب فاذا كان آخر الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح ويقول سبحان الملك القدوس فاذا فعل ذلك سبحت ديكة لارض كلها مجيبة له وخفقت بأجنحتها وأخذت فى الصراخ

فضل حامل القرآن على غيره كفضل الخالق على المخلوق

ان الله تعالى كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا تقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان

ان الله تعالى خاق درة بيضاء وخاق من الدرة العنبر الاشهب وكتب بذلك العنبر آية الكرسى واقسم بعزته وجلاله من قرأها خلف كل صلاة مكتوبة فتحت له أبواب الجنة الثمانية فيدخل من أيها شاء

ان الله تعالى يسمع قراءه (لم يكن الذين كفروا) فيقول ابشر عبدى فوعزتى لأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى

يؤتى بالرجل في قبره من قبل رأسه فيقول ليس لك على سبيل قد كان يقرأ على سورة الملك فيؤتى من قبل رجليه فيقول ليس لك على سبيل قد كان يقوم بسورة الملك فيؤتى من قبل جوفه فيقول ليس لك على سبيل قد كان أوعى فى سورة الملك قال وهى تبارك الذى بيده الملك المنجية تنجى صاحبها من عذاب القبر

ان الله اختص لخواص عباده شرابا فاذا شربوا سكروا واذا سكروا طابوا واذا طابوا طاشوا واذا طاشوا طاروا واذا طاروا بلغوا واذا بلغوا وصلوا واذا وصلوا اتصلوا واذا اتصلوا انفصلوا واذا انفصلوا فنوا واذا فنوا بقوا واذا بقوا صاروا ملوكا وهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر

فهرست

{ الجزء الرابع والخامس من مجلة الهداية }

الى القراء الكرام

نرجو المعذرة عن الخطأ المطبعي الذى حصل فى هذين العددين وعن عدم نشر الذيل

أجزخانة وادي النيل

﴿ رقم التليفون ١٤٦٩ ﴾

أصبحت هذه الاجزاخانة مشتملة علي أحدث أنواع العقاقير والادويه الطبية من أشهر معامل أوربا . فضلا عن زهادة الاثمان وسرعة تحضير التذاكر على اختلاف أنواعها ونظافة موادها . وقد خصص جزء من ايراد هذه الصيدلية للاعمال الخيرية العامة فنحث الغيورين كافة على أن يقصدوها اغتناما للاجر واعانة على البر

اعلان

قد تم طبع كتاب غنية المؤدبين الذي كانت نظارة المعارف قررته لمدارس المعلمين بعد أن نفذت الطبعة الاولى ولقد زاد فيه مؤلفه ما جعله كافياً لطلاب علم التربية وهو خير مرجع لمن يريد ان يحيط بالطرق الحديثة التي بسطها علماء التربية في كثير من مستحدثات كتبهم

وقد بلغت صفحاته نحوا من مائتي صحيفة وهو حسن الطبع والوضع والتنسيق فمن اراده فليطلبه من ادارة مطبعة الهداية شارع درب الجماميز بالقاهرة ومن جميع المكاتب الشهيرة وثمنه ثمانية قروش صاغ

(مطبعة الهداية)

تعلن ادارة الهداية ومطبعتها ان لا علاقة لها أصلا بالمكتبة المسماة بمكتبة الهداية لصاحبها علي أفندي سري وانها ستكلفه محو الاسم الذى وضعه لمكتبته من غير وجه شرعي فنحذر العامة والخاصة من معاملته باسمنا ومن شاء عملا من الاعمال المطبعية فعليه بمخابرة مطبعة الهداية بشارع درب الجماميز بالقاهرة

اعلان

(مجلة الهدايه) ترجو حضرات المشتركين أن يخابروها عند انتقالهم من محلاتهم ن يبينوا عنواناتهم بالضبط حتي لا تتأخر عنهم في مواعيدها

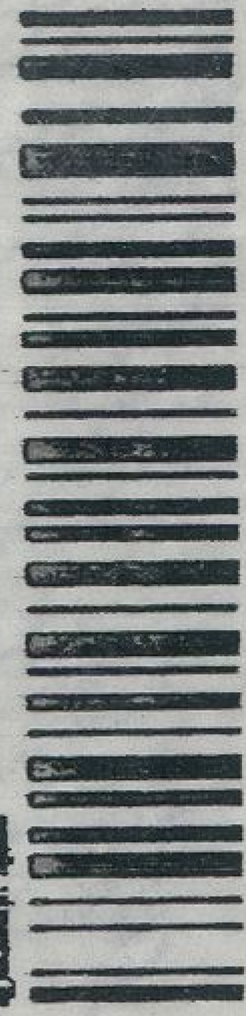


محلنا المذكور يبيع كل المصوغات الذهبية والفضة بعيارات مضمونة واسعار تهاوده مع الصدق والأمانة فى جميع المعاملات

والورشة التابعة لمحلنا تقوم بعمل كافة ما يطلب منها من الاشغال المتعلقة بالصياغة

باول شارع الجواهرجيه بمصر

ويباع أيضاً كتاب ... العرب



Bibliotheca Alexandrina
0531310

الهداية

دار السعادة المحرم سنة ١٣٣١ يناير سنة ١٩١٣ م

اسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون أولا يعلمون أن الله يعلم مايسرون وما يعلنون . ومنهم اميون لايعلمون الكتاب الا أماني وإن هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودةً . قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب

الجَنَّة هم فيها خالدون . واذ أخذنا ميثاقَ بنى اسرائيلَ لا تعبدون الا الله وبالوالدين احساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون.)

أرتنا خاتمة الآيات الكريمة هذه أن سنة الله قد خلت فى عباده دون تغيير لها ولا تبديل ان الله لا يخفف العذاب والآلام ولا يكتب النصر لمن يشترون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يؤمنون ببعض أحكام الله التى تطابق شهواتهم ويكفرون بما لا يطابق ميولهم الشيطانية منها

اذا قص الله علينا تاريخ بنى اسرائيل وأوضح لنا جزاء ما كسبت أيديهم من العذاب المهين والخزى العظيم فما ذلك لمجرد تقريع من كفروا برسالة رسولنا ولا لبيان ما جاءه سلفهم من ضروب العناد قديما ودرج عليه خلفهم بغياً وعدواً فقط ولكن هناك مآرب أراد الكتاب الكريم أن يبينها للمسلمين حتى يحذروا عاقبة تفريطهم فى كتابهم واتباعهم شهوات نفوسهم لئلا يصيبهم ما أصاب أولئك الذين جنوا على انفسهم بما حاربوا الله ورسوله وتلاعبوا بآياته وكتبه . فلنبسط هنا ما ضمنته تلك الآيات الكريمة من العبر ليعلم المسلمون أنهم ما أصابهم هذا البلاء الذى هم فيه الا لأنهم اتبعوا خطوات بنى اسرائيل خطوة فخطوة غير ذاكرين لما قص الله علينا شأنهم وما ضرب لنا من أمثالهم

بينت الآيات الكريمة أن بنى اسرائيل كانوا فريقين . أحدهما أهل كتاب وعلم ودرس كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه

وتعرفوا أسراره . فلم تغنهم علمهم ولا درسهم بل اتبعوا وساوس صدورهم وقادوا العامة من أهل ملتهم الى المصارع الوخيمة. كانوا اذا جنح أحدهم الى النصفة والصدق وخبر المسلمين بما جاء فى التوراة من الآيات الدالة على صدق محمد نبيهم أقبل بعضهم على بعض يتلاومون فكان احبارهم أولئك يقرعونهم ويزجرونهم وينكرون عليهم تحديثهم المسلمين بما فتح الله عليهم فى كتابهم التوراة من الآيات كيلا يمكنوا المسلمين من محاجتهم اذا تخاصموا بين يدى الله وحكموا كتبه المقدسة ووحيه الصادق فيما شجر بينهم. يريدون بذلك ان يخادعوا الله ويتغفلوا المسلمين ولا يتقيدوا بأحكام النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته جميعها وهم يعلمون أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون . ذلك كان دأب القارئين الدارسين من اهل الكتاب. اما الفريق الآخر فكانوا أميين لايقرأون ولايكتبون ولايعلمون الكتاب المنزل عليهم من الله الا مايطابق أمانيهم وشهواتهم . وكلما سمعوا شيئاً من آيات التوراة الصريحة امسكوا عن الاستمساك والعمل بما فهموه بادئ الرأى منها واتبعوا مايتلقفونه من أفواه احبارهم من التأويل البعيد الذى ينافره منطوق الآيات ويناقضه العلم اليقين. فهؤلاء على جهلهم لو عملوا بما بلغه علمهم القاصر من معانى التوراة لسلموا واحسنوا فان ذلك كل مايكلفهم الله تعالى الذى لايكلف نفساً الا وسعها ولا يكلف نفساً الا ما آتاها ولكنهم اعرضوا عن كتاب الله وتأثروا خطوات احبارهم ولم يتبعوا الا الظن وماتهوى الا نفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى

ولايخفى مافى هذه الآية الكريمة من تكليف العامة حتى الاميين منهم

بأن يعملوا بما يفهمونه من كتب الله فلايجوز أن يصدهم عن العمل بما تبلغه عقولهم من معاني آيات الله مايستمعونه من فتاوى الاحبار والقسيسين والمشايخ فان العامة ليفهمون كغيرهم كثيراً من آيات الآداب والاخلاق وطائفة صالحة من آيات الاحكام فاماما لاتبلغه مداركهم فانهم غير مكلفين بالتنقيب عنه واستيعابه ويكفى من لم يستطع منهم البحث والنظر أن يكتفى اذذاك بما يفتيه العلماء فانه ليس كل انسان مكلفا شرعا بالاجتهاد محظوراً عليه التقليد اذلا يستطيع الاجتهاد الامن توفرت فيهم شرائطه أما غيرهم ممن لا يمكنهم الانقطاع الى البحث والنظر والتدقيق والتحقيق فانه لا يحرم عليهم التقليد الافى ثلاثة مواضع احدها حيث يفضى التقليد الى الاعراض عما انزل الله من الاحكام وعدم الالتفات اليها عند امكان ذلك اكتفاء بتقليد الآباء والعلماء. ثانيها تقليد من يجهل المقلد انه اهل لان يعتمد على رأيه ويؤخذ بقوله . الثالث التقليد بعد أن تقوم الحجة امام المقلد ويظهر له الدليل على خلاف قول من قلده

(وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الاقال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟)

قال ابن القيم أما تقليد من بذل جهده فى اتباع ماانزل الله وخفى عليه بعضه فقلد فيه من هو أعلم منه فهذا ممدوح غير مذموم ومأجور غير مأذور . أما غير هذا فان عليه ان يرجع اولا الى كتاب الله وسنة رسوله والا يقلد حتى يكون ذلك الذى لم يتمكن من الاستنباط ولم يقطع الحصول

على العلم (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء)

فكما ان وجود علماء السوء واحبار الشيطان كانوا من اسباب سخط الله على بنى اسرائيل ومقته الابدى لهم. كذلك كان اكتفاء العامة بتقليدهم واعراضهم عما انزل الله من الاحكام سبباً آخر لذلك الغضب الحائق والنكال الماحق. ذلك انهم قلدوا طوائف منها من لا يسلم من الزلل الذى لا يأمن احد من البشر التورط فيه اللهم الا المعصومين ومنها من يحرفون الكلم عن مواضعه ويعزون الى الدين ماليس منه ابتغاء الفتنة او ابتغاء الدنيا (يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلا)

ولا جرم ان اتباع هذه الطوائف ينشر البلاء وينسخ العدل ويمحو آثار الفضيلة ويفضى الى استباحة المحارم كاراقة الدماء واسترقاق الرقاب وسلب الحقوق

فاذا عرض العامة عن الاحكام السماوية المنزلة مكتفين بأحبار الضلال وسماسرة ابليس الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان كانوا خليقين ان تتفشى فيهم الفتن وتعطل بينهم الحدود وتضاع الحقوق . ولقد جرت عادة المقلدين انهم ينقبون عن رخص المذاهب ويستمسكون بأبواب الحيل تذرعا الى بلوغ امانيهم وشهواتهم فما علمهم بالكتب الالهية بالعلم الصحيح وانما هى امانى وشهوات يريدون بلوغها وتصيدها من طريق الدين. لذلك سمى الله تعالى علمهم بالكتاب المقدس امانى حاولوا الحصول عليها بتلك التأويلات الظنية والتوجيهات الوهمية وان خالفت صريح الآيات المقدسة . فهم من علمهم ان الله حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق

لايفتأون يرجعون الى قادة الضلال من اهل الحيل والفساد ليوجدوا لهم ذريعة بها يقترفون الفاحشة ويأتون ألاثم ويبغون على الناس بغير الحق . ومن العجيب انهم مع اقتناع ضمائرهم بانهم محتالون مخادعون الله ورسوله محاربون لدينه يسمون تلك الذرائع الشيطانية« بالحيل الشرعية» وماهى الا الحيل الشيطانية . اما المارقون من اهل العلم فانهم يتصيدون بها المال ومايشتهون من متاع الدنيا واما العامة فان من غريب امرهم انهم يبحثون جد البحث عن تلك الطائفة ويتركون من عرف من العلماء بالتقوى والورع والدين فينمون بعلمهم هذا على انفسهم انهم طلاب حيل واحابيل لا طلاب عدل وحق . ومن هنا كانوا فى نظر الخبيرين باطوارهم واحوالهم مشاركين لمن يقلدونهم فى آثامهم وقبيح مكرهم بالدين وان كانوا أخف منهم وزراً واقل اثماً . لذلك خص الله اهل الدرس والقراءة بالويل والهلاك اذ يقول (فويل لهم مما كتبت ايديهم) من مرذولات الحيل ومقبوحات التأويل (وويل لهم مما يكسبون) من وراء ذلك من حطام الدنيا ومتاعها الزهيد

ويعجبنى ماجاء للزمخشرى فى تفسير الكشاف هنا اذ قال: ان الكتاب الكريم ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيفان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم فى الضلال سواء لان العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العاصى ألا يرضى بالتقليد والظن مادام متمكنا من العلم اهـ

ولا يخفى ان العلماء المضللين اعظم اثماً وأفظع وزراً ولذلك جاء فى تهديدهم ايعادهم قوله« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون

هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »

كتب الله ليصيبن الويل والعذاب الشديد اولئك الذين يتأولون آيات الله بالرأى ويستنبطون الاحكام للعامة من طريق الحيل ليقتنصوا أموالهم ويشتروا بعهدالله وميثاقه الذى اخذه عليهم فى كتبه المقدسة حطام الدنيا الزهيد ومتاعها الزائل. ثم زادهم توعداً وانذراً بقوله على سبيل التأكيد (فويل لهم مما كتبت ايديهم) من الفتاوى الملفقة والتأويلات الباطلة (وويل لهم) مما تصيدوه وأكلوه باطلا من حطام الدنيا الحقير

ولقد صدق الله ايعاده فانه مافعلت امة فعل احبار بنى اسرائيل الا سلط الله عليها العذاب والنكال وضرب عليها الذلة والمسكنة ولم يضرب الله الامثال برءوس الاسرائيليين واحبارهم الاليبين لغيرهم من ارباب الملل الاخرى كيف تكون عاقبة من يحرفون الكلم عن مواضعه ومن ينسبون الى الله تعالى من الاحكام ماهو من صنع ايديهم واملاء شهواتهم . ولو ان علماء الاسلام تدبروا مايضرب الله لنا من هذه الامثال لما تفشت فيهم امراض الامم التى حقت عليها كلمة الله ومضت فيها سنته . ولما كان فيهم من علماء السوء وخلاق المبتدعات والحيل من يكاد احبار اليهود اولئك يجارونهم فى مضمار. فلقد انتشر التأويل الشاذ لكتاب الله تعالى وحكمت الشهوات على كثيرين ممن تصدوا لتفسيره وتأويله حتى جعلوا يستنبطون الاحكام ويصوغونها لا كما تشاء اساليب القرآن وتشاء اسراره الحكيمة ولكن بمقدار مايستدرون من الرشوات ويتصيدون من جميل الهبات

ويستمتعون باطايب اللذات. ولا جرم ان امثال هؤلاء ينقصون بما يفعلون اركان الدين ويعطلون حدوده ويضيعون حقوق الامم ويمكنون الاقوياء من الضعفاء ويظاهرون الاغنياء على الفقراء . وبذلك تتفشى فى اممهم امراض الاخلاق وتسود بين افرادها العداوة والبغضاء ولا يزالون كالنار يأكل بعضهم بعضاً حتى يتمكن منهم الضعف والانحلال ويؤذن فيهم الدهر بالزوال ذلك ويل الله وعذابه العاجل فى الدنيا . اما فى الآخرة فنار حامية وادراك ماهيه .

فهل لعلماء الاسلام ان يستدركوا مافاتهم وان يثيبوا الى ربهم فلا يحكموا فيما يشجر بينهم غير كتابه وسنة رسوله وان يتركوا الفتيا بالرأى ويقلعوا عن الحيل التى شوهوا بها وجه الاسلام وهدموا بمعاولها اركانه المتينة وفيهم بقية امل واثارة رجاء قبل ان يصيبهم من عقاب الله الشديد ما اصاب اشباههم من بنى اسرائيل . وحسبهم من نذر الله ان قد تنقضت دعائم اكثر ممالكهم واخذت الامم الصليبية بنواصيهم ولم يبق لهم سوى دولة واحدة تتهددها الاخطار وتتخطف ممالكها الاشرار . لنترك خطبة الدنيا وابتياع الحقير من متاعها بما انزل الله علينا من آياته فلقد رأينا آثار الاعراض عن الشريعة المطهرة فى بلاد فارس ومراكش ومصر وتونس ونخشى ان يعم البلاء فتجتاحنا الجوائح وتتساقط علينا العقوبات السماوية فلا يبقى للعالم الاسلامى من وجود . ذلك كتاب الله بيننا ظاهر واضح وتلك سنة رسوله بينة جلية وان من الامانى الباطلة ان ننتحل الاسلام وقد اعرضنا عن تحكيمه فى شؤوننا واتبعنا امالى شيوخنا وان عارضت النصوص

اوظاهر العبارات . ومن لنا بطائفة تدعو ثانية الى الكتاب الكريم وترد مايقع فيه التنازع الى الله ورسوله وبين ايدينا من آياتها البينة الواضحة مالو تدبره المسلمون وعملوا بقليل منه لامتدّ سلطانهم وقويت شوكتهم ولما اصبحوا نهبا تتقاسم وكرة تتلقف. سلك المسلمون مذاهب احبار اليهود في اكثر شؤونهم كما اسلفنا ولم يتدبروا عاقبة مافعل اولئك وابتدعوا في دينهم واحكام معاملاتهم . وان من بيننا من يدعون ان لهم دالة على الله تعالى وانهم من اوليائه لايعذبهم بذنوبهم ولا يسوى بينهم وبين غيرهم من سائر البشر المكانتهم من الرسول عليه الصلاة والسلام واما لأخذهم ببعض الطرق التصوفية وزعمهم ان الله لايعذبهم بما يجترحون من السيئات أوان عذابهم محدود موقوت. ومنهم من يزعم انهم اذا ادخلوا يوم القيامة جهنم فانها تطيب وتلذلهم فلا تألم اجسادهم بعذاب الحريق ولا تكون اذا حشروا فيها الا بردا وسلاما. كذب اليهود اذقالوا لن تمسنا النار الا ايام معدودة واذقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه الى نحو هذا من المزاعم التى حاجهم الله فيها بقوله « قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » وبقوله « قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده . ام تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون »

بهذه الانباء الالهية قد انقطعت حجج المبطلين وانكشفت حيل المحتالين وتبينت خفايا مقاصد الاحبار والقسوس والشيوخ من طلب شهواتهم

باسم الدين فان الله قد حقت كلمته ونفذت سنته من ان من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فلم يعالج اطواقها المحيطة بعنقه بالانابة الى حظيرة القدس ولم يغسل أدرانها بمدامع التوبة والندم لاجرم انه من الخاسرين ولوكان حراً هاشمياً وان من آمن بالله وعمل الصالحات واجتنب كبائر الاثم والفواحش فانه برضوان الله واحسانه فى الدنيا والآخرة ولوكان عبداً رأسه زبيبة . فمن الحمق وقبيح الجهل ان يبتدع اناس امثال احزاب البحر والبر والجلجلوتية واشباهها ثم يتعبدون بتلاوتها ويتخذونها ذرائع الى جمع المال وقهر الاعداء وفتح الثغور وحماية الممالك. فحسبنا ذلك الجهل الذى اضاع ممالك الاسلام وأذل اممه فى اطراف الارض. اوليس من المبكيات ان تعقد اوروبا مؤتمر الجزيرة وان تظل المخابرات والمناقشات بين فرنسا والمانيا واسبانيا جارية زهاء سبعة اعوام واهل المغرب الاقصى مابين لاه ولاعب ومشغول بالاحزاب والاوراد متكل على من فى القبور من الاولياء موقن ان هؤلاء لايسمحون للجيوش الفرنسية بدخول ارضهم مهما كان بأسها وقوتها ومهما جلبت من مدافعها وطياراتها ومدمر ديناميتها

الا ان لويل للدين الذى يتولى حمايته وتأييده امثال أولئك الجهلاء والويل ثم الويل للامم التى يتفشى فيها ذلك الداء .

ما اتخذ يهودى ولا مسلم عند الله عهداً ان ينصرهم ولو تخاذلوا ويحفظهم ولو فرّطوا ويرفعهم ولوجهلوا ولكن الله يفعل مايشاء فى خليقته لامعقب لحكمه فماهو بمخالف سنته ولا بمغير كلمته. ولقد امتلأت الدنيا بالعبر ولكننا غافلون وبالآيات ولكننا لاهون لاعبون. واذا ظللنا فى غمرتنا هذه ولم

يكنفنا زاجراً مانزل بنا من المصايب فالسلام على الاسلام بعد حماته الاولين والويل له من هؤلاء الغافلين .

مما اسلفنا تبين ان سنة الله تعالى لاتتخلف و ناموسه العام لايشذ فاليهود والنصارى والمجوس والمسلمون كلهم سواء ازاء وعود الله وايعاداته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . ولقد بطلت بهذه الآية واشباهها حجج المتكلمين على الحيل المتشبثين باهداب الامانى الكاذبة فان عدل الله تعالى وانصافه يستلزم عقاب من احاطت به كبائر خطاياه حتى فارق الدنيا قبل ان يخرج بالتوبة عن سورها . و هل جزاء ذلك الخاطئ الاثيم الا الخلود و طول الاقامة فى النار يوم القيامة (١) قال تعالى (ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه) ولايجدله من دون الله وليا ولا نصيرا .

ومعلوم ان كل ماليس صالحا من الاعمال فهو سوء لايسلم مكتسبه من جزائه الاوفى . فكيف ينتظر الحياة مع هذه التحاذير من يتذرعون الى الموت بجميع وسائله ام كيف ترجو الدوام والعزة ممالك اغفل امراؤها ومترفوها السياسة الرشيدة والتدبير الحكيم واكتفوا من القوة والعظمة بمظاهرها الكاذبة ومجاليها الخادعة فقد عرفت الدولة العباسية فى اواخر انفاسها التى لفظتها ان ليست حياة الدول بتحلية السيوف وتذهيب المناطق وتطرية وجوه الجنود و تنميق الملابس وزركشة السروج والانصراف

---

(١) الخلود فى اللغة معناه الاقامه الطويلة ولايدل على ماجرى به العرف من معنى الا بديه وعلى هذا لاحاجه للبحث فى معنى السيئه والخطيئه وصرفها الى الكفر مما اطال فيه المفسرون

عن جانب الله الى الاعتماد على كثرة العدد ووفرة العدد ومايتبع هذين من الكبرياء والخيلاء .

لقد اتبع امراء الاسلام شهواتهم وروج لهم تلك الحياة التعسة علماء السوء فى كل زمان ومكان يكتبون لهم الفتاوى بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ولقد غفلوا عما يكيد لهم اعداؤهم وعموا عما يدبر لهم من السوء كما طمسوا معالم العدل فى اممهم ومحوا آيات الرقى فى مناطق حكمهم فلم يدعوا فيها آية من آيات العلم والصناعات ومكارم الاخلاق حتى اذا احدقت بهم الاهوال واخذ عروشهم الزلزال من كل جانب قالوا انه لولا اسلامنا ما اخرجنا من ديارنا ولا تكالبت الامم على ممالكنا ولولا اسلامنا ماشقيت حياتنا بداوم الاضطرابات والزعازع الداخلية ولولا اسلامنا لكنا فى مصاف الدول العظمى . قل افلم يكن من المسلمين اولئك الخلفاء الراشدون وملوك بنى امية وابو جعفر المنصور وهرون الرشيد والمامون وسلاطين الدولة الايوبية . اولم يكن من المسلمين محمد الفاتح وسليمان القانونى وسليم ؟ اولم يكن الاسلام هو دين اولئك الذين ملكوا الارض مشارقها و مغاربها واقاموا معالم المدنية الصحيحة فى اطرافها ونشروا العلم والدين واللغة بين عربها وعجمها وبرابرتها .

الا ان الامم التى تتخطفنا اليوم لم تنشط الى اغتيالنا وتوهين اركاننا الا بعد ان رأتنا قداعرضنا عن السنن الطبيعية الكفيلة بدوام حياتنا . رأتنا معرضين عن سياسة القرآن الكريم مكبين على الشهوات البهيمية الدنيئة منصرفين عن التجارة والزراعة والصناعة التى هى اركان الحياة الاستقلالية

رأتنا متنابذين متقاطعين يفرى احدنا جلداخيه بلسانه وقدعمى عن سائر مايبيت له اعداؤه . وبالجملة فقد رأتنا الامم الصليبية بمعزل عن سياسة ديننا وتعاليم قرآننا التى ضمنت لسافنا الصالح ملك مابين المشرقين فى نحو ثمانين سنة فذلك الذى اغراها بنا واطمعها فينا . وذلك الذى اوهن قلوبنا عن حماية اوطاننا ومنازلة اعدائنا ولوكانوا فى داخل أرضنا فليس الاسلام هو الذى جلب علينا تلك الاخطار وصب على رؤسنا الصواعق والاهوال وانما مبعث جميع ذلك ان الاسلام اليوم لم يتجاوز حد الازياء التى اصطلح عليها المسلمون فلو سألتهم ماذا كانت سياسة المصطفى وخلفائه او ماذا جاء فى القرآن من آيات المدنية الصحيحة والنظام الالهى التى جعلها الله ناموسا لما يقام فى الارض من الممالك الاسلامية لاتكاد تجد من بينهم من عنى يوما بدرس تاريخ الرسول وخلفائه من بعده ولا من فكر ساعة فى كتاب الله الكريم وناموسه المقدس .

ولو انهم درسوا قرآنهم وتعرفوا تاريخ نبيهم وتتبعوا سياسته وسياسة الخلفاء الذين دانت لهم الارض من بعده لرأوا رأى العين انهم ناكبون عن الصراط السوى مبطلون فى مزاعمهم التى يلصقونها بالاسلام وبكتابه المقدس . فالنيران التى فيها المسلمون اليوم لم تكن الا جزاء وفاقا على ما كسبوا من السيئات التى احاطت بهم وتغلغلت فى سائر اعمالهم واطوارهم ومعاملاتهم . فاذا نحن اعتبرنا ذلك بشئونهم السياسية واحوالهم المادية وحياتهم الاجتماعية واطوارهم النفسانية وجدناها جميعها سيئات متراكمة وظلمات بعضها فوق بعض . ولو انهم تمسكوا

بالصالحات من الاعمال فحذروا واستبصروا ونشروا العلم والصناعة واقاموا موازين العدل وشورى الجماعة ولوانهم نشروا الفضيلة واقاموا الشركات ومحوا مابينهم من التفرق والخلاف لعاشوا فى الدنيا وهم ناعمون فرحون ولكانوا فى الاخرى اصحاب الجنة هم فيها خالدون .

*

* *

بعد ان قص الله علينا ماكان يفعله بنوا اسرائيل من التلاعب باحكام دينهم والركون الى ظنونهم وامانيهم اخذ يبين لنا ان من اسباب خزيهم فى الدنيا وعذابهم فى الآخرة توليهم عن الاحكام التى فرضها عليهم بعد ان تقبلوها مقرين معترفين بصلاحيتها وانها من عندالله تعالى قدرها لمصلحتهم واستقامة شئونهم وسعادتهم فى حياتهم الاولى والآخرة لقد اخذالله عليهم الميثاق الايعبدوا الاالله وان يحسنوا ويترفقوا بالوالدين وبذوى قرابتهم وباليتامى والمساكين وان يحسنوا القول للناس وان يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة . عطل بنوا اسرائيل قديما كما فعل مسلموهذه الاجيال تلك الشرائع والنواميس المقدسة فهجروا المساجد ونسوا ذكرالله ثم عقوا والديهم وقطعوا ارحامهم وقست قلوبهم على اليتامى والمساكين كما خشنت الفاظهم فى تخاطبهم ثم عطلوا الصلوات التى هى عمادالدين وهدموا الزكاة وهى الركن المكين .

واعلم ان اجلى مظاهر عبادةلله تعالى امتثال اوامره واجتناب منا كيره ومن السخافة ان يزعم الانسان انه يعبدالله وهو منتهك لحرماته ناكب عن صراطه غافل عن آياته معرض عن تذكره . فعبادةالله على ماينا هنا

من اعظم الذرائع لمن شاء ان يتخذ الى الدنيا والآخرة سبيلا .

ولقد أثنى الكتاب الكريم بالاحسان بالوالدين لانهما فى المرتبة الثانية بعد الله استحقاقا للشكر والبر وكيف يرجى الخير من قوم يمقون آباءهم اويزدرون من كانوا سبب وجودهم . يربى الآباء اولادهم بحكم فطرتهم غير طالبين اجرا ولا مبتغين شكرا . يقطعون الايام والليالى فى تهيئة مايحتاجه اولادهم من المطعم والملبس دون كلال ولا ملال فكيف يكون لمن يكفرون بنعمتهم و يخشنون لهم القول اوالمعاملة اثر من اخلق الكريم والنفس الطيبة .

لقد اوجب الله الرفق بهم والاحسان اليهم ولوكانوا كافرين. وانظر كيف تلطف ابراهيم عليه السلام فى دعوة ابيه من الكفر الى الايمان بقوله (ياأبت لم تعبد مالايسمع ولا يبصر ولايغنى عنك شيئا.) كان ابراهيم يتلطف ذلك التلطيف على ان أباه كان يخشن له فى القول ويزجره ويقرعه ويتوعده (قال اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفرلك ربى انه كان بى حفيا)

ثم انظر كيف بالغ الله فى طلب الرفق بالآباء وفرط اللين فى مخاطبتهم اذ يقول (ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهماقولاً كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) .

والخلاصة ان من يكون كافرا بنعمة ابويه غليظ القلب عليهم لا يتوقع ان يكون له من الاخلاق الكريمة ماتطيب معه المعاشرة او تستقيم به المعاملة. فمعاملة الانسان لربه ومعاملته لابويه هما لاجرم مظهر اخلاقه ومرآة نفسه.

واذا اقتضى نظام الدنيا ان يكلف الانسان بالاحسان الى ذوى قرابته والى اليتامى والمساكين لان الله تعالى هو المنعم المتفضل فاذا احرز المرء مالا موفورا وسلطانا واسما اوجاها عريضا فان ذلك من فضل الله عليه لا بحوله وقوته . يفقه ذلك كل من وهبه الله شيئا من العقل ولذا نجد النفوس تتطلع الى الانتفاع بشيء مما لدى الاغنياء واصحاب الجاه من تلك المواهب الالهية . واذا كان المرء قليلا بنفسه كثيرا بغيره فماذا يغني المال صاحبه اذا انقبضت يده عن البذل وتنفيس كربة ذوى الكرب .

ان صاحب النعمة محسود ومن نتائج الحسد محاولة الحاسد سلب النعمة المحسود عليها صاحبها اوالحاق الاذى بصاحب النعمة حتى يعود الى مستوى الحاسدين له من اقاربه وجيرانه وامثالهم من سائر الفقراء والمساكين. ولكم من مكيدة دبرت للايقاع بالبخلاء الاشحة فسلبتهم كنوزهم المخبوءة وحرمتهم لذة الحياة بما اصابهم من القلق وشغل الفكر وجنة الحرص على ما بايديهم .

يضن الرجل بنعمة الله فيقل انصاره وينفض من حوله اقاربه ويندر من يشفق عليه فى نكباته او يواسيه فى بأسائه . ولكم رأينا من بخيل يصيبه المرض او تنزل به المصيبة فلا يكاد يجد من اهله وعشيرته من يواسيه او يسنيه او يتوجع عليه. فماذا يغني عن هؤلاء مالهم ولو كان ملء الارض ثم كيف تكون حياتهم اذا حفت بمكايد الكائدين واصبح كل همه ان يعيش سليما من الوقوع فيما ينصب له من الاشراك والا حابيل الا ان الموت لخير من حياة كهذه .

لا ينعم صاحبها بلذة الطمأنينة والسكينة ولا تقوى شوكته بالانصار والاولياء من ذوى قرابته ورحمه ولا تبتهج نفسه برؤية آثار نعمة الله عليه.

ان حياة الاشحة على اقربائهم تكاد تكون عذابا لهم و جحيما عليهم لارحمة من الله بهم و احسانا منه لهم . لذلك كان من وسائل الحياة الطيبة ان يستكثر الانسان من الانصار والاعوان والخلان بما تقدمه يده اليهم من فضل نعم الله عليه واحسانه اليه .

واذا انزلت تلك الآيات فى بنى اسرائيل فقد امر الله هذه الامة بنظير ذلك فى سورة النساء فقال (وعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا)

اما القول الحسن فانه خير ما يتحلى به الانسان فى سائر مجادلاته ومحاوراته وجميع مطالبه ومحادثاته. ذلك ان الغلظة فى القول والاخشان فى الدعوة والنصح مصدر لبغض القائل ومثار للنفور من الداعى والناصح. ولا جرم ان الغلظة والقسوة والخشونة لا تستقيم بها شئون الدنيا ولا تنتظم معها المعاملات

ولولا ان اللين وحسن القول مفتاح النجاح فى الاعمال لما ندب الله اليه حتى فى مخاطبة اهل الكفر ومحاورات الطاغين من المشركين قال تعالى لموسى وهرون (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى) وقال لرسوله المصطفى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن) وقال (ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى

بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) وقال فى ارشاد المسلمين الى امثل الطرق فى معاملة المشركين السفهاء (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)

وقال الفخر الرازى (١) قال اهل التحقيق كلام الناس مع الناس اما ان يكون فى الامور الدينية اوفى الامور الدنيوية فالاول دعوة الكفار الى الايمان أو الخاطئين من كل صنف الى الصواب فاما لدعوة الى الايمان فلا بد ان تكون بالقول الحسن كما نصح الله موسى وهرون بقوله (فقولا له قولا لينا) امرهما الله بالرفق على فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى . وقال لمحمد (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)

وكذلك تخذ الانسان من القول فى مخاطبة غيره أحسنه قال تعالى (ادع الى سبيل ربك الآية) واما فى الامور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللين واللطف من القول لم يحسن سواه . انتهى بتصرف .

(١) صفحة ٤٢٣ جزء اول .

عبد العزيز چاويش

ـ(ابن رشد وتعاليمه)ـ

—§ ٢ §—

—﴿ الآراء والتعاليم ﴾—

—﴿ الفلسفة والشريعة ﴾—

لقد قام ببلاد الاسلام نفر حقدوا على الفلسفة وعلى المشتغلين بها غير ان هؤلاء لم يدعموا آراءهم بالبرهان بل سلكوا طرقا أعمتهم عن الحق وأبعدتهم عن سبل الهدى ويمكن حصر الطوائف التى عادت الفلسفة وأهلها فى ثلاث

(١) طائفة الفقهاء . جل هذه الطائفة لم يشتغل بالفلسفة ولم يعرف من أصولها ما يبرر له هذا العداء وانما ابغضوا الفلاسفة لمخالفتهم لهم فى كثير من العقائد زعموا انها أصل الدين فمخالفتها كفر وانتحال غيرها زندقة ولو انهم ثابوا الى عقولهم لعلموا انهم فى زعمهم واهمون وما مخالفة الفلاسفة لهم الا كمخالفة الكرامية للمعتزلة والاشاعرة للماتريدية وانا نترك هذه الطائفة تتخبط فى جهلها فأنها لا تخضع لحق ولا تحترم رأيا

(٢) الطائفة الثانية اشتغلت بالفلسفة وعرفت كثيرا من مبادئها واصولها غير أنها لم ترجع الى كتب القوم انفسهم بل اعتمدت فى نقلها وردها على كتب ابن سينا و ابى نصر الفارابى اللذين كثيرا ما خالفا الاقدمين وذهبا الى غير ما ذهبوا . وهؤلاء لم يكفروا الفلاسفة

الا فى مسائل معدودة سنتكلم فيها بعد و لقد كان الاجدر بهؤلاء ان يرجعوا الى كتب القدماء قبل أن ينبروا للرد عليهم . ومن هذه الطائفة الامام الغزالى قال فى كتابه تهافت الفلاسفة

انا سنقتصر على اظهار التناقض فى رأى مقدمهم الفيلسوف المطلق والمعلم أرسطو فانه رتب علومهم وهذبها بزعمهم و حذف الحشو من آرائهم وانتقى ماهو الاقرب الى اصول أهوائهم وقد رد على كل من كان قبله حتى على استاذه افلاطون ثم اعتذر عن مخالفته له بأن افلاطون صديق والحق صديق الا ان الحق اصدق منه وانما نقلنا هذه الحكاية ليعلم ان لاثبت ولا ايقان لمذهبهم عندهم وانهم يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور العلوم الحسابية والمنطقية ويستدرجون به ضعفاء العقول ولوكانت علومهم الالهية متقنة البراهين نقية عن التخمين كعلومهم الحسابية والمنطقية ما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا فى العلوم الحسابية ثم المترجمون لكلام ارسطو لم ينفك كلامهم عن تحريف و تبديل محوج الى تفسير وتأويل حتى أثار ذلك ايضا نزاعا بينهم و اقوامهم بالنقل والتخمين من المتفلسفة الاسلامية ابى نصر الفارابى وابن سينا فلنقتصر على ابطال ما اختاراه ورأياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم فى الضلال فان ماهجراه و استنكفاه من المتابعة فيه لايتمارى فى اختلاله ولايفتقر الى نظر طويل فى ابطاله فليعلم انا مقتصرون على رد مذهبهم بحسب نقل هذين الرجلين

الطائفة الثالثة — اشتغلت بالفلسفة واحاطت بكثير من فروعها الا انها قد غفلت عن كثير من الاصول لهذا تراها تعترض على بعض الاصول غافلة عن البعض الآخر ومن هذه الطائفة ابن خلدون قال فى مقدمته :

ان ضرر هذه العلوم فى الدين كثير فوجب ان يصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد فيها و ذلك ان قوما من عقلاء النوع الانسانى زعموا ان الوجود كله الحسى منه وما وراء الحس تدرك ذواته واحواله بالانظار الفكرية والاقيسة العقلية كأن تصحيح العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل وقد بحثوا عن ذلك وشمروا له وحوموا على الاصابة منه و وضعوا قانونا يهتدى به العقل فى نظره الى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق وقد زعموا ان السعادة فى ادراك الموجودات كلها ما فى الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين وان الجهل بذلك هو الشقاء السرمدى . وامام هذه المذاهب الذى حصل مسائلها و دون علمها وسطر حججها ارسطو المقدونى ثم كان من بعده فى الاسلام من اضله الله من منتحلى هذه العلوم فأخذوا بتلك المذاهب واتبعوا فيها رأيه الا فى القليل وكان من اشهرهم ابو نصر الفارابى فى المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وابو على ابن سينا فى المائة الخامسة لعهد نظام الملك بن بويه بأصبهان .

فهذه الطوائف على اختلاف آرائها قد اتفقت على انه لا اتصال بين الشريعة والفلسفة والاشتغال بها مضر غير ان ابا الوليد بن رشد لم يلتفت الى هذه الآراء ولم يأبه لقائليها فبحث حتى وصل الى الاتصال المتين بين الشريعة والفلسفة وذهب الى ان الاشتغال بها وبعلوم المنطق من الواجبات التى

طالب بها الشرع وهذه المسألة من المسائل التى لم يسبق اليها ابن رشد فهى من بنات افكاره وحسبنا ان نلخص رسائله التى كتبها فى هذه المسألة.

الحكمة او الفلسفة النظر فى احوال الموجودات على ماهى عليه بقدر الطاقة البشرية فالفيلسوف لا يشتغل بشىء اكثر من النظر فى الموجودات من جهة دلالتها على الصانع فان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة صنعها فكلما كانت المعرفة بصنعها اتم كانت المعرفة بالصانع اكمل

واذا كان الشارع قد طلب منا اعتبار الموجودات وحث على التدبر فى دقائقها فذلك قد يكون منه على سبيل الوجوب او على طريق الندب اليه. فاما ان الشرع قد حث على اعتبار الموجودات بالعقل وطلب معرفتها به فذلك بين فى غير ما آية من القرآن مثل قوله تعالى (فاعتبروا يا اولى الابصار) وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلى او العقلى والشرعى معا ومثل قوله تعالى (اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ) وهذا انص بالحث على النظر فى جميع الموجودات وقال تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت و الى السماء كيف رفعت) وقال (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) الى غير ذلك من الآيات.

واذا تقرر ان الشرع قد اوجب النظر بالعقل فى الموجودات واعتبارها وكان الاعتبار ليس شيئاً اكثر من استنباط المجهول واستخراجه منه وهذا هو القياس فواجب ان نجعل نظرنا فى الموجودات بالقياس العقلى وبين ان هذا النحو من النظر الذى دعا اليه الشرع وحث عليه هو اتم انواع القياس.

واذا كان الشرع قد حث على معرفة الله تعالى وموجوداته بالبرهان كان

الافضل لمن اراد ان يعلم الله وسائر الموجودات بالبرهان ان يتقدم اولا فيعلم انواع البراهين وشروطها وبما ذا يخالف القياس البرهانى القياس الجدلى والقياس الخطابى والقياس المغالطى ولا يمكن ذلك دون ان يتقدم فيعرف قبل ذلك القياس المطلق وكم انواعه وما منها قياس وما ليس بقياس وذلك لا يمكن ايضاً دون ان يتقدم فيعرف اجزاء القياس اعنى المقدمات وانواعها . اذن يجب على المؤمن بالشرع ان يتقدم قبل النظر فى الموجودات فيعرف هذه الاشياء التى تنزل من النظر منزلة الآلات من العمل فكما ان الفقيه يستنبط من الامر بالتفقه فى الاحكام الفقهية على وجوب معرفة المقاييس وانواعها كذلك يجب على العارف ان يستنبط من الامر بالنظر فى الموجودات وجوب معرفته القياس وانواعه بل هو احرى بذلك لانه اذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى (فاعتبروا يا اولى الابصار) وجوب معرفة القياس الفقهى فبالحرى ان يستنبط من ذلك العارف بالله وجوب معرفة القياس العقلى

واذا تقرر ذلك ولم يكن احد ممن قبلنا لم يتقدم بالفحص عن القياس العقلى و انواعه وجب علينا ان نبتدئ بالفحص عنه وان يستعين فى ذلك المتقدم بالمتأخر حتى تكمل المعرفة فانه عسر او غير ممكن ان يقف واحد من الناس من تلقائه على جميع مايحتاج اليه من معرفة انواع القياس الفقهى بل معرفة القياس العقلى احرى بذلك وان كان غيرنا قد فحص عن ذلك فبين انه يجب علينا ان نستعين على مانحن بسبيله بما وصل اليه من تقدمنا فى ذلك سواء كان المتقدم مشاركا لنا فى الملة او غير مشارك فان الآلة

التى بها تصح التذكية ليس يعتبر فى صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا فى الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة

واذا كان الامر هكذا وكان كل ما يحتاج اليه من النظر فى امر المقاييس العقليه قد فحص عنه القدماء اتم فحص فقد ينبغى ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان كله صوابا قبلناه منهم و ان كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه فاذا فرغنا من هذا الجنس من النظر وحصلت عندنا الآلات التى بها نقدر على الاعتبار فى الموجودات ودلالة الصنعة فيها فقد يجب ان نشرع فى الفحص عن الموجودات على الترتيب والنحو الذى استفدناه من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية وتبين ايضاً ان هذا الغرض انما يتم فى الموجودات بالفحص عنها واحدا بعد واحد وان يستعين فى ذلك المتأخر بالمتقدم على مثال ما عرض فى علوم التعاليم . فانه لو فرضنا ان صناعة الهندسة فى وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة الهيئة ورام انسان من تلقاء نفسه ان يدرك مقادير الاجرام السماوية واشكالها و ابعاد بعضها ما امكنه ذلك ولو كان اذكى الناس طبعا الا بوحى اوشبه وحى بل لو قيل له ان الشمس اعظم من الارض بنحو مائة وخمسين ضعفاً اوستين لعد هذا القول هذيانا اوخرافا من قائله وهذا شىء قد قام عليه البرهان فى علم الهيئة حتى اصبح من الاوليات . ولورام انسان اليوم ان يقف من تلقاء نفسه على جميع الحجج التى استنبطها النظار من اهل المذاهب فى مسائل الخلاف التى وضعت المناظرة فيها بينهم فى اكثر بلاد الاسلام كان اهلا ان يضحك منه لكون هذا ممتنعا وهذا امر بين بنفسه

ليس فى الصنائع العملية فقط بل وفى العلمية فانه ايضا ليس منها صناعة يقدر ان ينشئها واحد بعينه فكيف بصناعة الصنائع وهى الحكمة

واذا تقرر ذلك وجب علينا ان الفينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظراً فى الموجودات بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ان ننظر فى الذى قرروه من ذلك وما اثبتوه فى كتبهم فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وشكرناهم عليه وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه

فقد تبين من هذا أن النظر فى كتب القدماء واجب بالشرع اذ مغزاهم فى كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذى حثنا الشرع عليه وان من نهى عن النظر فيها من كان أهلا للنظر بأن كان ذكى الفطرة عنده العدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخلقية فقد صد الناس عن الباب الذى دعا الشرع الناس الى معرفة الله بولوجه وهو باب النظر الى معرفة الصانع حق المعرفة وان ذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى وليس يلزم من أنه اذا غوى غاو بالنظر فيها اوزل زال من قبل فطرته اومن قبل سوء ترتيب نظره فيها أومن قبل غلبة شهواته عليه أو انه لم يجد معلما يرشده الى فهم مافيها أومن قبل اجتماع هذه الاسباب فيه ان نمنعها عن الذى هو أهل للنظر فيها فان هذا النحو من الضرر شئ لحقها بالعرض لابالذات . وليس يجب فيما كان نافعا بطباعه وذاته ان يترك لمكان مضرة موجودة فيه بالعرض ولذلك قال عليه السلام للذى أمره يسقى العسل أخاه لاسهال كان فيه فتزايد الاسهال لما سقاه العسل

وشكا اليه « صدق الله وكذب بطن أخيك » وان مثل من منع النظر في كتب الحكمة من هو أهل له من أجل ان قوما من أراذل الناس قد يظن بهم أنهم ضلوا من قبل نظرهم فيها مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات لأن قوما شرقوا به فماتوا فان الموت من الماء بالشرق أمر عارض وعن العطش ضروري وذووي

وهذا الذي عرض لهذه الصناعة قد عرض لغيرها من الصنائع فكم من فقيه كان الفقه سببا لقلة تورعه وخوضه في الدنيا بل اكثر الفقهاء هكذا نجدهم قد حادوا عن الصراط السوي واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا مع ان صناعتهم انما تقتضي بالذات الفضيلة العملية فاذاً لا يلزم ان يعرض في الصناعة التي تقتضي الفضيلة العملية ما عرض في الصناعة التي تقتضي الفضيلة العلمية

واذا تقرر هذا كله وكنا نعتقد معشر المسلمين ان شريعتنا الالهية حق وانها هي التي نبهت على هذه السعادة التي هي المعرفة بالله وبمخلوقاته ودعت اليها وان ذلك متقرر عند كل مسلم من الطريق الذي اقتضته جبلته وطبيعته من التصديق وذلك ان طبائع الناس مختلفه فمنهم من لا يصدق الا بالبرهان ومنهم من يصدق بالاقاويل الجدلية . تصديق صاحب البرهان ومنهم من يصدق بالاقاويل الخطابية والشريعة الاسلامية لما دعت الناس من هذه الطرق الثلاث عم التصديق بها كل انسان الا من يجحدها عناداً او استكبارا اولم تتقرر عنده طرق الدعاء لها الى الله تعالى لاغفاله ذلك من نفسه واذا كانت الشرائع حقا وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة الحق فانا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي

النظر البرهانى الى مخالفة ماورد به الشرع فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له. واذا تقرر ذلك فان ادى النظر البرهانى الى نحو ما من المعرفة بموجود ما فاما ان يكون الشرع سكت عنه أو نطق به فان كان مما قد سكت عنه الشرع فلا تعارض هناك وهو بمنزلة ما سكت عنه من الاحكام الجزئية فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعى. واذا كانت الشريعة نطقت به فان كان ظاهر النطق موافقا لما ادى اليه البرهان فلا قول هناك وان كان مخالفا طلب تأويله اى اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقة الى الدلالة المجازية بدون ان يخل ذلك بعادة العرب فى التجوز واذا كان الفقيه صاحب القياس الظنى قد فعل ذلك فى كثير من الاحكام الشرعية فبالاحرى ان يفعل ذلك صاحب العلم الالاهى بالبرهان وانا نقطع ان كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التجوز العربى وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن. وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا القصد من الجمع بين المنقول والمعقول. ولهذا المعنى أجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل واختلفوا فى المؤول منها وغير المؤول فالاشعريون يتأولون آية الاستواء وحديث النزول والحنابلة تحمل ذلك على ظاهره والسبب فى ورود الشرع فيه الظاهر والخفى اختلاف انظار الناس وتباين قرائحهم فى التصديق. والسبب فى ورود الظواهر

المتعارضة تنبيه الراسخين فى العلم على التأويل الجامع بينهما (١) (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم)

فان قال قائل ان فى الشرع اشياء اجمع المسلمون على حملها على ظاهرها واشياء اجمعوا على تأويلها واشياء قد اختلفوا فيها فهل يؤدى البرهان الى تأويل ما اجمعوا على ظاهره او ظاهر ما اجمعوا على تأويله . قلنا ان الاجماع اذا ثبت بطريق يقينى لم يصح وان كان الاجماع فيها ظنياً فقد يصح ذلك قال الغزالى وابو المعالى وغيرهما انه لايقطع بكفر من خرق الاجماع بالتأويل فى امثال هذه الامور . وقد يدلك على ان الاجماع لايتقرر فى النظريات بطريق يقينى كما يمكن ان يتقرر فى العمليات انه ليس يمكن ان يتقرر الاجماع فى مسألة ما فى عصر ما الا بأن يكون ذلك العصر محصوراً أو العلماء الموجودون فيه معلومين عندنا اعنى معلوما أشخاصهم ومبلغ عددهم وأن ينقل الينا مذهب كل واحد منهم فى المسألة نقل تواتر ويكون مع هذا كله قد صح عندنا ان العلماء الموجودين فى ذلك الزمان متفقون على انه ليس فى الشرع ظاهر وباطن وأن العلم بكل مسألة يجب ألا يكتم عن احد وأن الناس طريقهم واحد فى علم الشريعة أما كثير من الصدر الأول قد نقل عنهم انهم

(١) قد عثرنا على رسالة نفيسة الفها احد علماء الاسلام فى رد المتشابه الى المحكم وسنقوم بنشرها قريبا

كانوا يرون ان للشرع باطنا وظاهرا وانه ليس يجب ان يعلم بالباطن من ليس من أهل العلم به ولا يقدر على فهمه وذلك مثل مارواه البخارى عن على رضى الله عنه انه قال (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون ان يكذب الله ورسوله) فكيف يتصور بعد ذلك اجماع منقول الينا عن مسألة من المسائل النظرية ونحن نعلم قطعاً انه لايخلو عصر من العصور من علماء يرون ان فى الشرع اشياء لاينبغى ان يعلم بحقيقتها جميع الناس على السواء وذلك بخلاف ماعرض فى العمليات فان الناس كلهم يرون افشائها لجميع الناس ويكفى حصول الاجماع بان تنتشر المسالة فلا ينقل الينا فيها خلاف فان هذا القدر كاف فى حصول الاجماع فى العمليات .

وقد بان من قولنا فيما مر انه ليس يمكن ان يتقرر اجماع فى امثال هذه المسائل النظرية ان ههنا تأويلات لايجب ان يفصح بها الا لمن هو من اهل التأويل وهم الراسخون فى العلم لأن الظاهر الوقف على قوله والراسخون فى العلم لأنه اذا لم يكن اهل العلم يعلمون التأويل لم تكن عندهم مزية تصديق توجب لهم من الايمان به مالا يوجد عند غير أهل العلم وقد وصفهم الله تعالى بأنهم المؤمنون وهذا انما يحمل على الايمان الذى يكون من قبل البرهان وهذا لايكون الا مع العلم بالتأويل فان غير اهل العلم من المؤمنين هم اهل الايمان بها لا من قبل البرهان فان كان الايمان الذى وصف الله به العلماء خاصاً بهم فانه يجب أن يكون بالبرهان واذا كان بالبرهان فلايكون الا مع علم التأويل لان الله تعالى قد أخبر ان هنالك تأويلا هو الحقيقة والبرهان و اذا كان كذلك فلا يمكن أن يتقرر فى التأويلات التى خص الله بها العلماء اجماع مستفيض . وهذا بين عند من انصف

وان المختلفين فى هذه المسائل العويصة اما مصيبون مأجورون و اما مخطئون معذورون فان التصديق بالشئ من قبل الدليل القائم فى النفس اضطرارى لااختيار للمرء فيه فليس له ان يصدق والا يصدق كماله ان يقوم والا يقوم واذا كان من شرط التكليف الاختيار فان المصدق بالخطأ من قبل شبهة عرضت له اذا كان من اهل العلم معذور ولذلك قال عليه السلام اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واى حاكم اعظم من الذى يحكم بانه كذا اوليس بكذا . و هذا الخطأ المصفوح عنه فى الشرع انما هو الخطأ الذى يقع من العلماء اذا نظروا فى الاشياء العويصة التى كلفهم الشرع بالنظر فيها اما الخطأ الذى يقع من غير هذا الصنف من الناس فهو اثم محض سواء كان الخطأ فى الامور النظرية ام العملية فكما ان الحاكم الجاهل بالسنة اذا اخطأ فى الحكم لم يكن معذورا كذلك الحاكم على الموجودات اذا لم توجد فيه شروط الحكم فليس بمعذور بل هو اما آثم و اما كافر واذا كان يشترط فى الحاكم فى الحلال والحرام ان تجمع له اسباب الاجتهاد فبالاحرى ان يشترط ذلك فى الحاكم على الموجودات فالخطأ فى الشرع على ضربين اما خطأ يعذر فيه من هو من اهل النظر فى ذلك الشئ الذى وقع فيه الخطأ كما يعذر الطبيب الماهر اذا اخطأ فى صناعة الطب و لا يعذر فيه من ليس من اهل ذلك الشان . واما خطأ ليس يعذر فيه احد من الناس بل ان وقع فى اصول الشريعة فهو كفر و ان وقع فيما بعد المبادئ فهو بدعة وكذلك الخطأ الذى يكون فى الاشياء التى يتوصل الى معرفتها جميع الناس مثل الاقرار بالله

وبالنبوات وبالسعادة الاخروية وذلك ان هذه الاصول الثلاثة يؤدى اليها اصناف الدلائل الثلاثة التى لايعرى احد من الناس عن وقوع التصديق له من قبلها اعنى الدلائل الخطابية والجدلية والبرهانية فالجاحد لأمثال هذه الاشياء اذا كانت اصلا من اصول الشرع كافر معاند بلسانه دون قلبه او بغفلته عن التعرض الى معرفة دليلها لانه ان كان من اهل البرهان فقد جعل له سبيل الى التصديق بها بالبرهان وان كان من اهل الجدل فبا لجدل وان كان من اهل الموعظة فبالموعظة ولذلك قال عليه السلام (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويؤمنوا بى) يريد بأى طريق اتفق لهم من طرق الايمان الثلاث

واما الاشياء التى لخفائها لا تعلم الا بالبرهان فقد تلطف الله فيها لعباده الذين لا سبيل لهم الى البرهان اما من قبل نظرهم واما من قبل عادتهم واما من قبل عدمهم اسباب التعلم بأن ضرب لهم امثالها واشباهها ودعاهم الى التصديق بتلك الامثال اذا كانت تلك الامثال يمكن ان يقع التصديق بها بالادلة المشتركة للجميع اعنى الجدلية والخطابية وهذا هو السبب فى ان الشرع انقسم الى ظاهر وباطن فان الظاهر هو تلك الامثال المضروبة لتلك المعانى والباطن هو تلك المعانى التى لا تتجلى الا لاهل البرهان

وهاهنا صنف ثالث من الشرع يقع فيه شك فيلحقه قوم ممن يتعاطى النظر بالظاهر الذى لا يجوز تأويله ويلحقه قوم بالباطن الذى لا يجوز حمله على الظاهر للعلماء وذلك لغواصة هذا الصنف واشتباهه والمخطىء فى هذا معذور اذا كان من العلماء. اذاً الشرع على ثلاث مراتب فمن اى هذه المراتب ما جاء فى صفات المعاد واحواله. الظاهر انها من الصنف المختلف فيه وذلك

اننا نرى قوما ينسبون انفسهم الى البرهان يقولون يجب حملها على الظاهر كأن ليس هاهنا برهان يؤدى الى استحالة الظاهر فيها وهذه طريقة الاشعرية وقوم آخرون ممن يتعاطى البرهان يتأولونها وهؤلاء يختلفون فى تأويلها اختلافاً كثيراً

و من هذا الصنف الغزالى وكثير من المتصوفة ومنهم من يجمع فيها التأويل كما يفعل ذلك الغزالى فى بعض كتبه ويشبه ان يكون المخطئ فى هذه المسألة من العلماء معذوراً والمصيب مشكوراً وذلك اذا اعترف بالوجود وتأول فيها نحوا من انحاء التأويل واما من كان من غير اهل العلم فالواجب حملها على الظاهر وتأويلها فى حقه كفر . فمن كان فرضه الايمان بالظاهر فالتأويل فى حقه كفر لانه يؤدى اليه فمن افشاه له من اهل التأويل فقد دعاه الى الكفر والداعى الى الكفر كافر. ولهذا يجب الا تثبت التأويلات الا فى كتب البراهين حتى لا يصل اليها الا من كان من اهل البرهان. اما اذا ثبتت فى غير كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشعرية والخطابية الجدلية فان ذلك يكون خطأ على الشريعة وعلى الحكمة .

فقد بان انه ليس يجب ان تثبت التأويلات الصحيحة فى الكتب الجمهورية فضلا عن الفاسدة فانها مدعاة لتضليل الناس. والتأويل الصحيح هو الامانة التى حملها الانسان وابى ان يحملها واشفق منها جميع الموجودات من قبل هذه التأويلات والظن بانها يجب ان يصرح بها فى الشرع نشأت فرق الاسلام حتى كفر بعضهم بعضا وبدع بعضهم بعضا فأولت المعتزلة آيات كثيرة واحاديث عديدة .وصرحوا بتأويلهم للجمهور وكذلك فعلت الاشعرية وان كانوا اقل تأويلا فاوقعوا الناس من قبل ذلك فى شنآن وتباغض وحروب ومزقوا الشرع وفرقوا الناس كل التفريق اضعف الى

ذلك ان طرقهم التى سلكوها فى اثبات تأويلاتهم ليسوا فيها مع الجمهور ولا مع الخواص لكونها اذا تؤملت ناقصة عن شرائط البرهان. ولقد بلغ الحمق من بعض الاشعرية ان زعموا ان من لم يعرف الله بالطرق التى وضعوها لمعرفته فى كتبهم كافر. ومن هنا اختلفوا فى اول الواجبات فقال قوم النظر. وقال قوم الايمان. وسبب هذا الاختلاف انهم لم يعرفوا اى الطرق هى الطرق المشتركة للجميع التى دعا الشرع من ابوابها جميع الناس وظنوا ان ذلك طريق واحد فأخطأوا مقصد الشارع وضلوا واضلوا

فان قيل فاذا لم تكن الطرق التى سلكها الاشعريون وغيرهم من اهل النظر هى الطرق المشتركة الى قصد الشارع لتعليم الجمهور فأى الطرق هى هذه الطريق فى شريعتنا

قلنا هى الطرق التى ثبت فى الكتاب العزيز فان القرآن اذا تؤمل وجدت فيه الطرق الثلاث الموجودة لجميع الناس والطرق المشتركة لتعليم اكثر الناس والخاصة واذا تؤمل الامر فيها ظهر انه ليس يلفى مشتركا لتعليم الجمهور افضل منها فمن صرفها بتأويل لا يكون ظاهرا بنفسه اواظهر منها للجميع فقد ابطل حكمتها وابطل فعلها المقصود فى افادة السعادة الانسانية وذلك ظاهر جداً من حال الصدر الاول وحال من اتى بعدهم فان الصدر الأول انما صار الى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الاقوال دون تأويلات فيها ومن كان منهم وقف على تأويل لم يرانه يصرح به

واما من بعدهم فانهم لما استعملوا التأويل قلت تقواهم وكثر اختلافهم وارتفعت محبتهم وتفرقوا فرقا. فيجب على من اراد ان يرفع هذه البدعة عن

الشريعة ان يعمد الى الكتاب العزيز فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة فيما كلفنا اعتقاده ويجتهد فى نظره الى ظـاهره ما امكنه من غير ان يتأول من ذلك شيئاً الا اذا كان التأويل ظاهراً بنفسه مشتركا للجميع فان الأقاويل الشرعية المصرح بها فى القرآن للجميع لها ثلاث خواص دلت على الاعجاز احداها — انه لا يوجد اتم اقناعاً وتصديقاً للجميع منها — الثانية — انها تقبل النصرة بطبعها الى أن تنتهى الى حد لا يقف على التأويل فيها الا أهل البرهان — الثالثة — انهـا تتضمن التنبيه لأهل الحق على التأويل الحق وهذا ليس يوجد لا فى مذاهب الاشعرية ولا فى مذاهب المعتزلة أعنى ان تأويلاتهم لا تقبل النصرة ولا تتضمن التنبيه على الحـق ولهـذا كثرت البدع وتخاصمت الفرق وتفرقت القلوب وتمزق الشرع — سدد الله الجميع ووفقهم الى ما فيه سعادة الاسلام والمسلمين وهدانا الى الصرط القويم

— حافظ وهبه —



ـ حقيقة الدين ـ

ـ[للمفضال صاحب الاسم المذيل به المقالة]ـ

زعموا والزعم فى هذه الايام كثير ان الرجل لايكون خيراً صالحا ولامسلما متورعا ولا تقياً رشيداً الا اذا صطنع أموراً خاصة وانتحل نحلاً معينة وذهب مذاهب معروفة فلبس له ان يلبس الا لبوسا خاصا فيكبر العمامة ويرسل أردان الثوب ويطيل الاكام ويمشى مشية المتخشع الذى يتكلف الوقار ويظهر الحرص عليه . وينبغى ان يأخذ فى يده مسبحة طويلة كبيرة الحبات ويغرس فى عمامته سواكا طويل القامة ويملأ أنفه من حين الى حين بأوان من السعوط ويطلق لسانه من آن الى آن بأنواع من الكلام تكثر فيها القاف وغيرها من الحروف الضخمة الفخمة . فكل هذه أمور لازمة وصفات ضرورية هى مقومات العلم والدين فليس لمسلم صالح أن يحيد عنها او يتكلف غيرها الا اذا اراد ان يحيد عن السنة ويميل عن العقيدة الطاهرة ويذهب مذهب الملحدين .

قالوا : ولابد من التردد على مقابر الاولياء ومشاهد الصالحين والطواف بها والوقوف عليها واظهار الخشية والرهبة لها والتقرب الى الله عزوجل ببركة سكانها ومن حاد عن ذلك فقد اختار الاولى على الآخرة وآثر الباطل على الحق ورغب الى الدنيا عن الدين .

قالوا : ولابد مع ذلك من الاحتفاظ بعقائد السلف وعادات الاولين والابتعاد عن استحداث الامر الصالح . والسنة النافعة وعن الجهر بالرأى والتصريح بذات النفس وعن القول فى العلم والدين بما لم يقله قائل ولم يذهب اليه ذاهب فان ذلك ادنى الى حسن العاقبة واخلق بمن يريد ان يلقى الله بنفس بريئة وقلب سليم . ذلك هو القانون الذى رسموه واوجبوا على المسلم الصالح ان يتبعه ويحرص عليه ليسلم له دينه وتصح له عقيدته ويأمن من حر النار وعذاب الجحيم وقد رأوا أن العدول عنه والتبديل فيه نوع من الشرك وضرب من الزندقة وطائف من المروق .

بذلك انطلقت السنتهم وفاظت فتياهم وعليه دلت اعمالهم وبرهنت اطوارهم فلنبحث الآن عن نصيبه من الحق وحظه من الصواب وليكن بحثنا فى هذا الفصل

مجملا موجزاً لنتبعه فيما بعد بفصول ضافية متصلة نشرح فيها حقيقة العقائد الدينية لتهتدى اليها الامة ويظهر عليها الجمهور .

لانفهم للدين معنى يقصد اليه اكثر من هداية النفوس الى ما يصلح امرها فى الآخرة والاولى فان الانسان اجتماعى بطبعه مدنى بفطرته نزاع الى ايثار نفسه بالصالحات واختصاصها بالطيبات وذلك مؤدلا محالة الى اختلاف الاهواء وافتراق الآراء وتباين المذاهب والاغراض فقد تتعارض المصالح وتتنا فى المنافع فيدعو ذلك الى اضطغان الصدور وامتلاء القلوب بالموجدة والبغض وذلك مصدر فساد فى الارض يعقبه سفك للدماء المحرمة واهدار للنفوس المعصومة وقطع لأواصر المودة والالفة بين الناس وهدم لصروح الحضارة والعمران فلابد من حاكم حازم وسلطان رشيد يحكم بين الناس بالقسط ويرد عادية القوى الظالم عن الضعيف المظلوم ويصرف الافناء والجماعات الى العمل الصالح والرغبة فى الخير والمنفعة العامة . ثم ان مما لا شك فيه ان لكل عمل من اعمال الانسان اثراً حسناً اوسيئاً ونتيجة محمودة او مرذولة كما ان له مقدمة وعلة و اقصى مالأعمال الانسان من النتائج والآثارهو ما يلقاه بعد الموت من خير او شرومن نعيم او جحيم وذلك كله يقتضى ان هناك مصرفا للامور ومسيراً للعالم ومثيبا بالحسنات ومعاقبا على السيئات ومسيطرا على النفوس ومستأثرا بالقلوب فلابد للانسان من مرشد الى هذا كله ودال عليه لان عقله لا يستقل بالوصول الى حقيقته ولئن استطاع ان يعلم ظاهراً من الحياة الدنيا فانه لن يستطيع ان يعلم قليلا من امر الآخرة لانقطاع الاسباب بينها وبين العقل . وقد امتن الله على الانسان فأرشده الى كل ذلك بمن ارسل اليه من رسل وما انزل عليهم من كتب وما شرع لهم من دين . فليس لأحد ان يذهب فى فهم الدين غير هذا المذهب او ينحو غير هذا النحو او يسلك غير هذه السبيل لالأنا نحجر على الرأى او نستبد فى النظر بل لان ذلك هو الحق الواضح الذى ينطق به الدين وينادى عليه (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (كتابا انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد)

هذه آيات الكتاب ناطقة بأن الله لم ينزل كتبه ولم يشرع دينه الا لهداية القلوب وارشاد الناس الى منافعهم فى الدنيا والآخرة وقد احل لهم فيه الحلال وحرم عليهم الحرام ومازلهم الحق من الباطل والرشد من الغى والحسن من

القبيح فمن بدل فيه او زاد عليه فهو حرى بالأثم خليق بسوء الجزاء .

فلنبحث الآن عن هذه الاوضاع المحدثة والاطوار المبتدعة ولننظر اين مصدرها من الدين وهل جاء بها نص ظاهر او مؤول من سنة او كتاب .

نعرف ان ليس في القرآن الكريم آية او سورة انزلت لبيان ما ينبغي ان يتخذ الناس من لبوس وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذنا بنوع خاص من الثياب او شكل معين من الازياء وانما ترك لنا ذلك لانه لم يبعث ليعلمنا كيف نلبس أثوابنا او نصور اشكالنا وانما بعث ليعلمنا كيف نعبد الله عز وجل وماذا ينبغي ان نتخذ الى السعادة في الدنيا والآخرة من سبيل .

لذلك لم يقيد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انفسهم بزى خاص بل اتخذوا العمائم قبل الفتح ولبسوا القلانس بعده واستبدلوا المخيط من الثياب بالازر والأردية واتخذوا القصور الشامخة في العراق والشام بل وفي المدينة نفسها وقد تحلى معاوية بالذهب والفضة ولبس الديباج والحرير ولعمرى انا لأسمح ديناً من ان نضيق بما وسع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعرف ان الاسلام انما شرع حربا على الوثنية وماحياً لها وعدواً للباطل وقاضياً عليه فهو اطهر وانقى واكرم عنصراً من ان يأمر بتعظيم القبور والانصاب وتقديس الاحجار والاشخاص . وانما الذى ينبغى تعظيمه ويجب تقديسه والاذعان لسلطانه هو الله الذى لا اله الا هو وقد استأثر بالعزة والسطوة وانفرد بالعظمة والجلال .

قالوا : لا نعبد هذه القبور والاشخاص ولا نقدسها وانما نتقرب بها الى الله ونتشفع بها لديه . ولعمرى ما قالوا الا شراً وما ذهبوا الا الى بدع من الامر ومنكر من الباطل . فليس بين الناس وبين الله من سبب ولا وسيلة الا الطاعة الخالصة والانابة البريئة من الشرك والرياء والله عز وجل يقول (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) ويقول (ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولى) .

وانما التوسل بالاشخاص والتماثيل سبيل المشركين به الخارجين عليه الذين انكرت عليهم عبادة الاصنام والتماثيل فقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومن ذا الذى يتقرب الى الله بشخص لا حول له ولا طول او تمثال لا حس به ولا حياة ثم يعتقد بعد ذلك انه صادق في دينه مخلص في ايمانه قد خلصت عقيدته من الشك وتمحضت لليقين .

نعرف ان الاسلام انما شرع محرراً للعقول والآراء مستنقذاً للافراد والجماعات

من الرق الادبي والمادى وبهذه المزية احي الامم ورقى الشعوب فمن اين لهؤلاء المبتدعة القول بأن الاجتهاد فى الدين غى والتصريح بالراى اثم وايثار المنفعة للمسلمين مروق ومن قبلنا قد اجتهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدين وجهروا بآرائهم واختاروا المصالح للناس لم يتقيدوا الا بالكتاب والسنة وعلى سنتهم مضى التابعون .

أفكان سلفنا الصالح مبتدعا مارقا كلا وانما هو الحرص على القديم السيء والتمادى فى الباطل المهلك قد انتهى بهم الى ما يقولون ويا ليتهم ذهبوا فى هذا الامر الى شيء مجمل او قالوا فيه مقالة موجزة قابلة للتأويل ولكنهم قد اكثروا القول وبسطوه وفصلوا الامر ولجوا فيه فزعموا ان دين المرء لا يصح الا اذا قرأ عقيدة السنوسى التى يعلمها الخليل اطفال الجنة الى غير ذلك مما لا مصدر له الا الاوهام والاباطيل

الآن قد اشرنا اشارة مجملة الى حقيقة الدين وبينا انه لا يتناول اكثر من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن زاد على ذلك فيه فقد ضل وأضل. ولنا فيما بعد فصول مبسوطة نفصل فيها القول وتبسط فيها الكلام

— طه حسين —

(الهداية) على ذكر ماجاء فى المقال السالف فى مسألة القبور وتقديسها يجمل ان نقتطف شيئا مما كتبه الامام ابن تيمية فى هذا الموضوع فى كتاب منهاج السنة ليظهر مرمى الشارع الاسلامى ومقاصده البعيدة قال :

قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يأمر بما شرعه المبتدعة من امر المشاهد ولا شرع لامته مناسك عند قبور الانبياء والصالحين. بل هذا من دين المشركين الذين قال الله فيهم (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال ابن عباس وعقيدة هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح لما ماتوا وعكفوا على قبورهم فطال عليهم الأمد فصوروا تماثيلهم ثم عبدوهم وقد ثبت عن النبي عليه السلام انه قال لا تجالسوا على القبور ولا تصلوا اليها وقد ثبت فى صحيح مسلم وغيره عن ابى الهياج الاسدى قال قال لى

علي بن ابي طالب رضي الله عنه الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادع قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته فقرن بين طمس التماثيل وتسوية القبور المشرفة لان كليهما ذريعة الى الشرك كما في الصحيحين ان ام سلمة وام حبيبة ذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بارض الحبشة وذكرتا للنبي من حسنها وتصاويرها فقال ان اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مساجد وصوروا تلك التصاوير اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة فقد ثبت من هذا ان النبي لم يشرع لامته ان يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من اهل البيت ولا غيره مسجدا ولم يكن على عهده في الاسلام مشهد مبني لا على قبر نبي ولا غيره بل لما قدم المسلمون الى الشام غيره مرة ومعهم عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وغيرهم لما قدم عمر لفتح بيت المقدس ثم لما قدم لوضع الجزية على اهل الذمة لم يكن احدهم يقصد السفر الى قبر الخليل ولا كان هناك مشهد ثم لم يزل الامر هكذا في خلافة بني امية وبني العباس الى ان ملك النصارى تلك البلاد في اواخر المائة الخامسة فبنوا ذلك البناء واتخذوه كنيسة ثم لما استنقذ المسلمون منهم تلك الارض اتخذها من اتخذها مسجدا بل كان الصحابة اذا رأوا احدا بني مسجدا على قبر نهوه عن ذلك وكان عمر ابن الخطاب اذا رآهم يتناوبون مكانا يصلون فيه لكونه موضع نبي نهاهم عن ذلك ويقول انما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار انبيائهم مساجد من ادركته الصلاة فليصل والا فليذهب فهذا وامثاله مما كانوا يحققون به التوحيد الذي ارسل الله الرسل اليهم ويتبعون في ذلك سنته صلى الله عليه وسلم والاسلام مبني على اصلين الا نعبد الا الله وان نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع فالنصارى خرجوا عن الاصلين وكذلك المبتدعون من المسلمين .

(العالم الاسلامى)

—(ماذا اصابه)—

— فى العـام الفارط —

لم يكد يشهد العالم الاسلامى منذ قرون أنحس من هلال شهر محرم مفتـاح السنة الفارط فلقد فقد الاسلام فى غضونها مملكتين عظيمتين هما فارس فى الشرق ومملكة الادارسة فى الغرب كما فقدت الدولة العثمانية ولايتها الافريقيتين كانتا آخر لحمة بينها وبين سبعين مليونا من المسلمين بافريقية .

ولقد كان يكثر بين المسـلمين قبل هلال ذلك العـام شئ من حسن الظن ببعض دول أوروبا فكنا نرى قادة الحركة السياسية فى مصر يعتقدون فى اخلاص فرنسا ويعتمدون على تغريرات ساستها حتى قضوا فى ذلك عدة اعوام تبين لهم بعدها انهم كانوا يقيمون شوامخ آمالهم على ارض من خيوط العنكبوت ويرفعون صروح مشروعاتهم العظيمة على اركان من هواء الفضاء . ولقد كان من الميسور جدا ان يدرك أولئك الزعمـاء ان فرنسا لا يربطها بمصر ولا المصريين اشتراك فى الجنس او الدين او القارة او المصالح السياسية العامة وانما هى دولة لها بين الامة المصرية وعلى حكومتها اموال لابد لها ان تتمسك بجميع الوسائل التى تصيرهـا فى مأمن من الضياع اوالأذى . وما ايسر ان تجد فى دولة بريطانيا اعظم كفيل وأحسن حارس . وماذا عسى ان تخسر فرنسا اذا هى اشترت بصـداقة المصريين وخلفهم تلك المملكة الواسعة مملكة الادارسة التى تبلغ مساحتها ضعف مساحة مصر والسودان المصرى فتستمتع بما بها من مياه غزيرة وارض طيبة وكنوز لم تتشقق عنها الارض بعد ثم هى مع ذلك قد اتت على مالهـا فى مصر من المصـالح المالية وديون الحكومة .

واذا كان مبدأ ذلك الانقلاب عام ١٩٠٤ م فانه لم يحس به تماما الا فى العام الماضى اعنى بدخول فرنسا فى المغرب الاقصى واغارة ايطاليا على طرابلس الغرب وبنى غازى

ضربنا مثلا بالامة المصرية فيما سبق من اعتمادها على فرنسا وماهى ببدع فى تلك السذاجة وسلامة القلب فان الامة الفارسية قد غرتها ايضا بروق السياسة وقادتها

تمويهات المخادعين من السياسيين الى حيث فقدت استقلالها واصبحت نهبا مقسوما بين انجلترا وروسيا . تبعت حكومة فارس نصائح انجلترا وصدقت ذلك البلاغ الرسمى الذى قدمه اليها عميد بريطانيا العظمى سنة ١٩٠٧ متضمنا ما عقد لذلك العهد بين السير ادوارد جراى ووزير خارجية روسيا من الاتفاق التام على وجوب سلامة بلاد فارس من التقسيم وضرورة بقاء حكومتها حرة سالمة من التداخل الاجنبى وانه ليس لانجلترا ولا لروسيا حق التداخل فى شئون فارس الا فيما يختص بمصالح رعايا دولها فى تلك البلاد .

تلقت فارس الدستورية الفتاة ذلك البلاغ الذى انقلب غشاوة كثيفة على ابصار رجالها السذج الحسان الظن فلم يبصروا ماكان يدبر لهم بين بطرسبورج ولندن ولم يتوقعوا ان بريطانيا التى اهدتهم ذلك البلاغ السار المطمئن لا تبالى ان تتفق مع روسيا عدوتها التاريخية على تقسيم تلك المملكة التى كم قاتل اهلوها فى سبيل تحريرها من اطواق ملوكها الظالمين والتى لم تكد تقتطف شيئا من ثمرات جهادهم الدستورى العظيم . ولكن ابت الأقدار الا ان يغفل أولئك المساكين عن انفسهم فلم يتخذوا الحيطة باتخاذ الجنود والاكثار من آلات القتال بل صرفوا كل هممهم فى تنظيم بلادهم وتوفير اموالها بتدبير الجبايات كيلا يحتاجوا يوما ما الى القروض الاجنبية التى هى مفتاح زوال الحياة الاستقلالية . وقد يجوز ان يكون نصح لهم بعض سفراء الدول بذلك حتى تظل بلادهم خالية من الجنود الحامية ومن المعاقل والسلاح . ولعلنا لا ننسى تلك النصيحة التى قدمها لحكومة تركيا الفتاة المستشار المالى الذى جلب من فرنسا لاصلاح شؤنها المالية فان اول ما اقترحه فى هذا الصدد حل الجيوش العثمانية ضامنا كما كان يقول الا تعتدى دولة من دول اوروبا على شئ من املاك الدولة العثمانية . ولو ان احرار تركيا الفتاة خدعتهم تلك التمويهات ولم يعتصموا بالحزم والحيطة لسارع الفناء اليهم كما سارع الى تلك الحكومة الفارسية ولما خفق اليوم علم على بقعة من الارض . على ان هؤلاء على كثرة حذرهم وسلامتهم من السقوط فى تلك الهاوية السحيقة لم يسلموا من ان تذهب ولاياتهم الافريقيتان وان تستعر عليهم نيران الصيب فيما بقى لهم من الاملاك باروبا ولن تنعقد المؤتمرات فى عاصمة انجلترا محررة الرقيق وناصرة الضعيف ومؤيدة الاحرار فتعرض هنالك جزائرهم وولاياتهم على حكومات الصليب ثم يراد من الحكومة العثمانية صاحبة تلك الاملاك ان تخرج عنها لا لسبب سوى انها حكومة الاسلامية اسيوية .

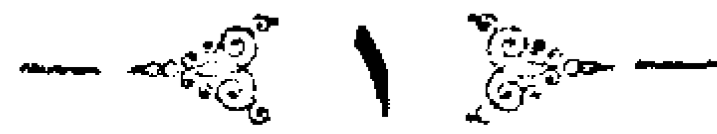
على اننا اذا تدبرنا مصدر ذلك الشقاء واردنا ان نعرف كيف فقد العثمانيون طرابلس وكيف هم اليوم يصطلون نيران الحروب المتسعرة فى اوروبا نجده ينحصر فى سذاجة بعض سواسها وثقتهم بما كان يقدمه لهم ساسة الاوروبيين من العهود والوعود . فلكم سمعنا ان سفير المانيا كان يؤكد لحقى باشا الصدر فى ذلك العهد ان ايطاليا لاتقدم على احتلال طرابلس حتى كان من نتائج ذلك حمل حاميتها وسلاحها الى اليمن فلم يبق فى ولايتى طرابلس وبنى غازى جميعا من الجنود سوى اربعة آلاف لا يملكون سوى القليل من السلاح . وبذلك تهيأت لايطاليا الاسباب التى طالما ارتقبتها واتت لها الفرص التى كانت فى ازمتها منذ جيل فى قبضة الجنود الطرابلسية لعهد الخاقان المخلوع فانقضت عليها انقضاض الثعاليب على غنم غفل عنها راعيها . ثم كانت تلك الوقائع التى اسفرت جميعها عن انتصار اهل طرابلس على قلة عددهم وانسداد سبل المدد فى اوجههم ولكن قضى الامر واتمت وزارة مختار ما يقال له الصلح بين ايطاليا وتركيا واستعملت فى شرائطه الفاظا مهما زينت وطليت فانما معناها انسلاخ طرابلس الغرب وبنى غازى عن جسم الدولة العثمانية

واذا كان منشأ تفريط ساسة الاتراك فى امر طرابلس وبنى غازى ثقتهم العمياء باقوال احد السفراء فانهم قد ابرزوا مثلا آخر لايقل عن سابقه فى غرابته وخطر نتائجه فلقد نسمع فيما يتداولون من الاحاديث ان سفير احدى الدول كان يؤكد لوزارة مختار باشا انه لاخوف من احدما على الروملى والبانيا فكان من نتائج هذه الغفلة المطبقة ان سرحت تلك الوزارة الجنود الاحتياطية التى كانت حاملة السلاح استعداداً لمقابلة ايطاليا اذا هى اقدمت على النزول بشىء من ثغورنا . فلما رأت حكومات البلقان ذلك سارعت الى تحقيق مكايدها التى دبرتها للدولة قبل ذلك باشهر والتى لم يحل دون تحقيقها سوى ما كانت اعدته وزارة سعيد باشا من الرجال والسلاح

واذا كانت السذاجة وضعف القلب وعدم التبصر قضت على ساسة فارس وتركيا ان يقعوا فى هذه الاشراك الظاهرة فلاعجب ان اهل المغرب الاقصى وهم على مانعلم من الجهل اسرع منهم اليها فلقد عمى اولئك المساكين عما تأتيه فرنسا فى بلادهم من مقدمات الفتح على وضوحها وزادهم عمى اتكالهم طورا على اموات اوليائهم وتارات على مناصرة انجلترا لعهد عبدالعزيز ثم المانيا بعد ذلك لهم . ولقد كان يذكر لأحدهم شىء عما تضمره فرنسا لبلادهم فما كان اسرعهم الى الاجابة بان المانيا ستحول دون مآربها .

ولا زالت الغفلة مغشية ابصارهم حتى ازالتها الجنود الفرنسية بمدافعهم وسيوفهم ورماحهم فهم وملكهم الواسع الغنى منذ العام الفارط فى قبضة الجمهورية الفرنسية الصليبية

والخلاصة ان قد انطوت بانطواء العام الماضى صحائف وجود مملكتين عظيمتين اسلاميتين كما تم فيه لدول الصليب الاحاطة التامة بافريقيا الاسلامية . ثم اضطرمت فيه نيران الحروب الصليبية بين حكومات البلقان والدولة العثمانية وسنرى عما قريب مصير ما بقى لنا فى اوروبا وعاقبة ما بقى لنا من الجزائر فى بحر سفيد وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .



(تيار الاستعمار)

—(فى بلاد الاسلام)—

١

—(افريقية الغربية الفرنسية)—

من يلقى نظرة عامة فى مصورات الجغرافية قبل مائة سنة ثم يتبعها بنظرة اخرى فى التغييرات التى تعاقبت على تلك المصورات فى خلال تلك السنين يتبين ان تيار الاستعمار او الفتح الأوروبي يطغى تدريجيا وبسرعة مخيفة فى الممالك والاصقاع الشرقية عامة والاسلامية خاصة حتى لم يبق من تلك الممالك الأخيرة من حافظت على استقلالها السياسى ازاء هذا الخطر الأوروبى الا ثلاث دول واحدة منها وهى فارس تتنازعها من الشمال والجنوب دولتان ضيقتا عليها الخناق وسدت عليها المنافس والمسالك . وأخرى وهى بلاد الافغان حفظتها وعورة جبالها وشدة بأس رجالها من الفتوحات الأوروبية . والثالثة وهى الدولة العثمانية دولة الخلافة احاط بها الطامعون من كل جانب وهى تصرف كل مجهوداتها فى سبيل المحافظة على كيانها نسأل الله النجاة والخلاص من ذلك التيار الجارف .

اما ما بقى من البلاد الاسلامية اوالتى يكثر فيها ويسود العنصر الاسلامى فقد اصبحت تحت حكم الدول المسيحية وانما تختلف احوالها السياسية والاقتصادية باختلاف موقف كل منها ازاء ذلك التيار .

وانه لمن افيد المباحث واجدرها بمجلة اسلامية كبيرة مثل مجلة الهداية بسط الكلام فى صفحاتها عن امتداد تيار الاستعمار فى بلاد الاسلام وكيف سرى الى كل منها وكيف كان حالها قبل ان يمتد اليها وبعد ان طغى عليها وماهى الطرق التى ساعدت على استحفال امره وتعاظم شأنه . فان فى معرفة كل ذلك وتدبره دروساً وعبراً لوا اضفناها الى الدروس التى تلقيها علينا الحوادث كل يوم ربما تنفعنا ان كنا من تنفعه الذكرى .

ولذلك عن لى ان اطرق هذا الباب فى مجلة الهداية . وسأ جعل مبحث اليوم خاصا بما كان من امتداد هذا التيار فى البلاد التى تسمى فى مصطلح علم تقويم البلدان الحديث « افريقية الغربية الفرنسية » وما وصل اليه الاستعمار فى ذلك القسم العظيم من القارة الافريقية وسأ تبع هذا المبحث بمباحث آخرى عما كان من شأن الاستعمار الأوروبى فى البلاد الأخرى التى صادفها فى طريقه بالقارتين الافريقية والاسيوية .

كيف استولت فرنسا

— على تلك البلاد —

أصبح لفرنسا فى افريقية الغربية قدم راسخة ومملكة واسعة تحدها غربا شواطئ المحيط الاعظم (الاطلسى) وشمالا رمال الصحراء الافريقية الكبرى وشرقا وادى نهر النيجر ومستعمرة نيجريا الانجليزية وجنوبا خليج غينا ونفوذها مبسوط على ما بين تلك الحدود المتباعدة من الاصقاع الواسعة الا بعض مستمرات للدول الأوروبية الأخرى على السواحل كمستعمرات جامبى وتوجو والنيجريا وسيراليون

الانجليزية وغينا البرتقالية وجمهورية ليبريا الحرة . فتبلغ مساحة افريقية الغربية الفرنسية وحدها اربعة ملايين من الكيلومترات يسكنها الآن اثنا عشر مليون نسمة نزلت فرنسا بهذه البلاد فى القرن السابع عشر من الميلاد وكانت اول جهة هبطتها هى السنغال وهى اقدم مستعمرات فرنسا فى افريقية ولما قامت الحروب المتعاقبة بين فرنسا وانجلترا فى زمن نابليون طرد الانجليز الفرنسيين من السنغال ولكنهم عادوا اليها سنه ١٨١٧ بعد سقوط دولة نابليون وانتهاء الحروب بين فرنسا وانجلترا فابتدأوا من ذلك العهد يجرون على سنة الاستعمار فى مبدأه وهى انشاء مراكز صغيرة على السواحل بقصد المتاجرة مع الاهالى ثم اخذوا بعد رسوخ قدمهم فى السواحل يتوغلون شيئا فشيئا فى الداخل . وهكذا يبدأ الاستعمار الأوروبى فى الأصقاع البعيدة المجهولة : يرسلون روادهم فيخيرون المواقع التى تصلح للاقامة على السواحل ثم بعد ان ترسخ قدمهم فيها يتوغلون اولا بقصد الاستكشاف ويستعينون بمن يأنس اليهم من الاهالى فيرشدونهم الى الطرق والمسالك ويجوبون انحاء البلاد فيعرفونها ويعرفون احوال اهلها وقوتهم وبذلك ينتهى دور الاستكشاف ثم يأتى بعده دور الفتح والغزو فيجدون السبيل امامهم ممهدا معروفا .

كانت مستعمرات فرنسا فى افريقية الغربية الى منتصف القرن التاسع عشر لا تتعدى السنغال والمراكز التى انشأها المستعمرون الفرنسيون على الشواطئ كما قدمنا ولكن نفوذ فرنسا ابتدأ يمتد فى داخلية البلاد من ذلك العهد وذلك ان احد الولاة الذين عينتهم الحكومة الفرنسية فى السنغال — واسمه فيدرب — وضع مشروعا للفتح جعل غايته بسط نفوذ فرنسا فى الداخل مبتدئا من وادى السنغال الى ان يصل مشرقا الى وادى النيجر ليجعل افريقية الغربية بذلك مستعمرة فرنسية . ولكنه لم يوفق الى ادراك غايته لانه وجد من القبائل البدوية النازلة على الشاطئ الأيمن من وادى السنغال مقاومة شديدة لم يتمكن بفضلها من ان يبطى نفوذ فرنسا فى مستعمرة السنغال نفسها واضطر فى سنة ١٨٥٣ الى ان يعقد مع تلك القبائل معاهدات تضمن له ان لا تعطل القبائل سير التجارة بتلك الجهات وذلك فى نظير جعل سنوى يدفع لهامن واردات المستعمرة . وكانت هذه المعاهدات او « العادات » كما يسميها الفرنسيون الآن ترفقا دليلا على شدة بأس تلك القبائل وقوتها .

اخذ الفرنسيون من ذلك العهد يتوغلون جنوبا حيث لم يجدوا مقاومة شديدة لأن سكان الجنوب جلهم من السود الذين ليس لديهم من العصبية ما لدى القبائل

البدوية والمولدين . فسهل على فرنسا اخضاعهم ولم تلق عناء شديدا الا فى مملكة الداهومى حيث كان عليها ملك مشهور بالسطوة والقوة وهو الملك بيهنزن فقاوم الفرنسيين مقاومة شديدة ولكنهم تمكنوا من فتح مملكته وضمها الى مستعمراتهم فى افريقية الغربية . ثم يوجد كذلك فى غابات مستعمرة ساحل العاج جزء كبير من الاهالى لايزالون يقاومون الفرنسيين ولكن فرنسا اخذت فى نزع السلاح ممن تقدر عليهم بالتدريج حتى تفقدهم قوة المقاومة . ويقدر الفرنسيون انه لاتمضى ستتان من الآن الا وتسود السكينه التامة فى تلك المستعمرة .

اما الجزء الشمالى المتصل بالصحراء الكبرى فقد صعب على الفرنسيين فى اول الامر اخضاعه لان سكانه من المولدين او من القبائل البدوية التى تنفر بطبيعتهـا من الحكم وعلى الاخص من حكم دولة مسيحية هذا فضلا عن ان تلك القبائل كانت كثيرة التنقل لا تستقر فى موطن واحد فلا يسهل اذلالها واخضاعها . وكانت الصحراء الكبرى ملجألهم يلوذون به اذا طاردهم الفرنسيون المغيرون وكانت فرنسا تقصر فى ذلك الوقت عن تعقبهم ومحاربتهم فى جوف الصحراء فظلت الجهات الشمالية لذلك بمأمن من الغارات الفرنسية .

عزمت فرنسا على ان تأخذهم بالمطاولة بعدان لم تفلح فى اخذهم بالمناجزة فتركتهم زمنا حتى رسخت قدمها فيما وراءهم من اصقاع السودان والسنغـال واخذت تجند من الاهالى السود جنودا تجعل عليهم ضباطا من جيشها لتغزو بهم الجهات الشمالية ولكنها بكل اسف لم تتكلف عناء كبيرا لمـا دب بينهم من دبيب الخلاف ولأنها استمالت اليها بعض رؤسـاء القبـائل منهم بالمـال والوعود الجميلة وجعلتهم عيونهافى غزواتها . واليك ما كتبه القومندان اومون فيرى فى كتابه (فرنسافى افريقية) الذى وضعه سنة ١٩٠٥ اى قبل ان يتم لفرنسا اخضاع تلك الجهات الشمالية الصحراوية لها

ابان الكاتب اولا ما يعود على فرنسا من الفوائد الاستعمارية فيما لو بسطت نفوذها هناك فقال

« يوجدفى مواضع معلومة متفرقة فى تلك الجهات مناجم كثيرة للملح ومزارع خصبة و آبار ومراكز مهمة للتجارة تجتمع فيهـا القوافل التى تخترق الصحراء الكبرى ما بين تونس والجزائر ومراكش شمالا والسنغـال والسودان الفرنسى جنوبا . فاذا توصلنا الى الاستيلاء على تلك الامكنة امكننا ان نخضع القبـائل الضاربة هناك لان موارد رزقهم تكون فى قبضة يدنا .

« على ان الضباط الذين جابوا تلك الجهات قد اظهروا فى تقاريرهم مقدار اهميتها فى نظر القبائل التى تجوب الصحراء وقد عرفوا المواقع التى يجتمع حولها البدو ويجذبهم اليها ما بها من المياه والمراعى والمزارع واظهروا ان هناك يجب ان ترسخ قدمنا لاخضاع قبائل الطوارق والقبض على مفتاح المواصلات بين الشمال والجنوب »

ثم اظهر الكاتب خطة فرنسا فى الاستيلاء على تلك المواقع فقال :

« على ان الأمر ليس فى حاجة الى قوة كبيرة بل الى تدرج اساسه الحكمة والسياسة او بعبارة اخرى الى تداخل سلمى وذلك بان نجتهد فى حمل القبائل الضاربة فى تلك الجهات على قبول سلطتنا . وقد جاء بعض رؤساء تلك القبائل فعلا الى المواقع الفرنسية يطلبون حمايتهم من غارات خصومهم . فلنجتهد اذاً فى ان نكسب بعض ذوى النفوذ من رؤساء تلك القبائل بواسطة اهدائهم هدايا ثمينة . . . (كذا) او بمنحهم ميزات خاصة . . . وذلك لنستخدمهم فى اقناع قومهم بان لا ينفروا من سلطتنا » والحقيقة المؤلمة ان فرنسا لم تتكبد خسائر كبيرة فى اخضاع بعض الجهات الشمالية التى استعصت عليها فى اول الأمر وآخر اعمالها من هذا القبيل انها احتلت فى يناير ١٩١٢ واحتين من الواحات الواقعة جنوب الصحراء وهما يتشيت ووالته اما الذين ابوا الخضوع لها فقد أمعنوا فى جوف الصحراء ليكونوا بمأمن من غزواتها . ولذلك يعتبر الفرنسيون الآن ان افريقية الغربية الفرنسية بالحدود المتقدمة قد اصبحت خاضعة لهم خضوعا فعليا

—(سياسة فرنسا بعد الفتح)—

من يوم ان استولت فرنسا على تلك البلاد الواسعة واخضعت معظم سكانها وجدت بها مجالا واسعا لاستثمار خيراتها الكثيرة فرأت اولا ان تقسيمها الى جملة مستعمرات مستقلة بعضها عن بعض يحول دون توحيد مشاريع الاستعمار فيها ففى سنة ١٩٠٤ جمعتها مستعمرة واحدة اطلقت عليها اسم « افريقية الغربية الفرنسية » تشمل فى الحقيقة كل المستعمرات الداخلة ضمن حدودها وهى السنغال وغينيا الفرنسية ومستعمرة ساحل العاج والداهومى واعالى وادى السنغال ووادى

النيجر والجزء الشمالى الغربى الذى يطلق عليه الفرنسيون اسم « موريتانيا » نسبة الى كلمة « مور » التى يطلقونهـا على العرب اى بلاد القبائل العربيـة البدوية وعينت عليها حاكما عاما مثل الحاكم العام فى الجزائر مقره مدينة دكار على الشاطئ الغربى بالسنغال ولها ميزانية خاصة تحت ادارة الحاكم العام ومجلس الحكومة فى دكار ولكل مستعمرة من المستعمرات المكونة لافريقية الغربية نائب عن الحاكم العـام يعمل تحت مراقبته

فلنبحث الآن ماذا عملت فرنسا فى تلك البلاد بعد ان بسطت عليها نفوذها وسلطانها . لابد من اجل ذلك ان نتكلم (اولاً) فى سياسة فرنسا مع الاهالى وعلى الأخص مع المسلمين (ثانيا) فى سياستها الاقتصادية والادارية

—(١ — سياستها مع الاهالى)—

حينما قلب الانسـان طرفه فى الكتب التى وضعها دعاة الاستعمـار فى صدد فتوحات فرنسا واعمـالهـا فى افريقية لانجد الا ان فرنسا انما تفتح تلك البلاد الواسعة لتنشر فيها مبادئ المدنية ولتسعد اهلها وترقى بهم الى مصاف المتحضرين. ولكن من الغريب اننا نجد من خلال كتابات هؤلاء الدعاة مالا يتفق مع المبادئ التى يقررونها وما يتجلى منه الغرض الحقيقى من الاستعمار وانهم يرمون الى محو كل هيئة او جماعة لا تريد ان تفنى وتريد ان تستبقى شخصيتها امامهم . واليـك ما كتبته جريدة الطـان فى ملحق لعددها الصـادر فى ١٢ اكتوبر سنه ٩١٢ تعرف منه حالة المسلمين فى البلاد المبتلاة بالحكم الأوروبى قالت

« ان السكينة سائدة الآن فى جل انحاء افريقية الغربية الفرنسية ولكن الخطر الفرد الذى يتهددنا هناك هو انتشار الاسلام الذى يخطو خطوات لاسبيل للشك فيها فانه هو الذى يفرق بينـا وبين رعايانا ويقيم بينـا وبينهم حاجزا من سوء التفاهم . فيجب علينا ان نتبع فى مستعمراتنا سياسة تحول اولا دون انتشـار مظاهر التعصب الاسلامى (اقرأ انتشـار الاسلام) ثم تضمن لنا ثانيا كسب ثقة الاهالى السود »

واليك ما كتبه القومندان فيرى فى كتابه (فرنسا فى افريقية) فى هذا المعنى

« ان من بين العقبات التى تعرقل مسـاعينـا فى بسط نفوذنا بافريقية توجد عقبة ليس اقوى منها ولا اشد تأثيرا وهى بلا شك عقبة الاسلام . فالاسـلام هو دين كما انه مذهب سياسى ولذلك لم يأل جهدا فى مقاومتنا بالقوة كلما استطـاع اليها سبيلا واذا ما انهزمت قوته الحربية اما منا فهو يقاومنا مقاومة خفية اساسها

العقائد . فالاسلام بضمه شتات شمال افريقية وغربها يعتبر بالنسبة للمسلمين رابطة قوية تزيد في قوتها عن الروابط الجنسية ومن الغريب انه يمتد وينتشر على مرأى منا وفي البلاد التي نحكمها

« واذا اخذنا خريطة القارة الافريقية واردنا ان نعرف الجهات التي اتعبتنا في فتحها واخضاعها فلنصبغ باللون الاسود البلاد التي يدين اهلها بالاسلام نعرف انها هي التي اضطرتنا الى ان نصرف اكثر مجهوداتنا لتكوين مملكتنا الاستعمارية

« ففي الجزائر مثلا اضطررنا الى نصف قرن من الزمان لاخضاع اهلها وفي السنغال تعب فيديرب في محاربة المسلمين طويلا وكذلك الحال في السودان الفرنسي ويوجد بعض اصقاع تعتبر رسميا من جملة مستعمراتنا ولكن سلطتنا فيها لا تزال اسمية لما تأصل لدى المسلمين من اهلها من الكراهية الشديدة للمسيحي

« اما البلاد التي اهلها وثنيون كالكونجو والجابون ويمبارا مثلا فقد رسخت فيها قدمنا بسهولة دون ان نتكلف عناء كبيرا »

هذا ما يقوله دعاة الاستعمار جهارا وما اسهل ما يستنتج القارئ منه عواطف المستعمرين الأوروبيين ازاء المسلمين وهل يريدون بهم خيراً ام شرا .

وهنا لي كلمة وجيزة اقولها استطراداً لان المقام يستلزمها . لقد مر بك ان البلاد التي قاومت الغزوات الاوروبية هي البلاد التي يدين اهلها بالاسلام ولا شك ان هذه المقاومة وان اعتبرها المستعمرون من الجنايات الا انها اصدق دليل على حياة الأمم الاسلامية وابائها ان تذل للاجنبي المغير عليها . ولطالما سمعنا من الطاعنين على الاسلام انه هو سبب تأخر من يدينون به من الامم وسبب جمودهم وموتهم فهل هناك دليل على بطلان هذه المطاعن اكثر من هذه المقارنة التي بينها ذلك الكاتب الفرنسي وهو يقول ان البلاد الوثنية لا تقاومنا مقاومة تذكر ولكن البلاد الاسلامية هي التي نجد فيها مصاعب كثيرة لبسط نفوذنا فيها وحيثما صادف المستعمرون في طريقهم اقواما وامما مسلمة عرفوا ان أمامهم متاعب ومجهودات جمة . وبديهي ان الاسلام لو كان على فطرته في تلك البلاد ولو اهتدى اهلها بهداه واخذوا بما يرشدهم اليه من اسباب الحياة والرقي لتضاعفت قوة مقاومتهم ولكن الاسلام فيها سد امنيا لا يستطيع المستعمرون ان يتجاوزوه بدلا من ان يكون سبب متاعبهم فلنعد الى ما كنا فيه : درس

الفرنسيون احوال الاهالى فى تلك المستعمرة وغيرها فعلموا ان عصبية المسلمين آتية من التفاف القبائل والعشائر حول رؤسائها وطاعتها لهم ومن نفوذ الزعماء الدينيين الذين يبثون بينهم مايعرفونه من قواعد الدين الحنيف وان الاهالى السود يعترفون للعرب والمولدين بالرآسة فيعتز هؤلاء ويقوون بهم . فاخذ الفرنسيون يفسدون هذه العصبية باستمالتهم بعض الرؤساء ومحاربتهم للمعاهد التى ينشئها الزعماء الدينيون (المراطبون) ثم بالحيلولة بين البيض والسود وتفهيم هؤلاء بان لا سلطة للعرب عليهم حتى يضعفوا عصبيتهم ويذلوا الجميع .

واليك دليلا على ذلك ماقاله المسيو بونتى الحاكم العام لافريقية الغربية الفرنسية فى خطبة له القاها فى يونيو سنة ٩٠٩

« يجب ان نتبع هناك سياسة الجنسيات اى ان ننتخب الرئيس من القبيلة او من الجماعة التى هو منها و يجب ان لا نجعل لجنس على جنس ميزة اورآسه وان نحارب الرؤوس الكبيرة لكسب ثقة الجماهير لان هذه الرؤوس تحول دائما بيننا وبين العامة وتميل بهم الى حيث تكون منهم عصبية اسلامية فى البلاد التى انتشر فيها الاسلام »

نشرت جريدة الطان التى تعتبر فى عالم السياسة لسان حال الحكومة الفرنسية هذه الخطبة فى ملحق لعددها الصادر فى ١٢ آكتوبر سنة ٩١٢ وأطرت الخطيب ثم قالت هى بعد ذلك :

« ولقد اخذنا فى مراقبة تيار التعصب الدينى (!) بالهيمنة على الزعماء الدينيين (المرابطين) والمبادئ التى ينشرونها وتقليل عدد مدارسهم شيئاً وشيئا ونشر لغتنا بين الاهالى بقدر المستطاع . وفى هذا المقام يجب ان نثنى على همة المسيو بونتى الذى منع استعمال اللغة العربية كلغة رسمية فى المحاكم الاهلية لان تلك اللغة هى مطية الاسلام ينتشر بفضلها بين من يتكلمون بها على انه باى حق تستعمل تلك اللغة فى المحاكم هناك مع انها ليست لغة جل الاهالى فى افريقية الغربية ؟ لاشك ان العدل يقضى (!) بان تكون اللغة الفرنسية هى اللغة العامة المشتركة فى تلك المستعمرة »

« على ان المجهودات التى نبذلها هناك تتجه نحو ترقية حالة الاهالى السود بالتعليم وباصلاح حالتهم الصحية والمعاشية وقد جعلنا الغرض الجوهرى من

تعليمهم نشر اللغة الفرنسية بينهم مع تلقينهم المبادىء الاولية العلمية . وقد تمكنا لذلك من انشاء مائتى مدرسة اولية فيها احد عشر الف تلميذ . ويوجد عدا ذلك مدارس اسلامية حرة يدرس فيها الاولاد اهم سور القرآن ولكننا اشترطنا على المدارس الاسلامية الرسمية فى سان لويس وغانا وتمبكتو ان تدرس اللغة الفرنسية لتلاميذها »

هذا ما عمله الفرنسيون فى افريقية الغربية من الوجهة السياسية وكله يرمى الى خضد شوكة السكان الذين لهم شىء من العصبية وهم المسلمون والقبائل البدوية والمولدون لانهم بالطبع لا يقبلون ان يفنوا او يتلاشوا أمام تيار الاستعمار فحاربتهم فرنسا فى عصبيتهم وفى معاهدهم وفى دينهم وفى لغتهم وهى تريد ان لا يبقى هناك سوى السكان الصليبيين اى السود لتجعلهم جنودها وعدتها وآلاتها فى استثمار خيرات تلك البلاد .

ـــ الجنود السود ـــ

يذكر القراء ما كان للجنود السود الذين جلبتهم ايطاليا من مستعمرة الاريتيره واستخدمتهم فى صفوف جيشها المحارب فى طرابلس الغرب وكيف كان هؤلاء الجنود فى مقدمة جيشها يتحمل عنه رصاص المجاهدين من المسلمين . وربما كان ذلك مدعاة الى الدهشة ولكن ايطاليا كانت فى هذه الطريقة متبعة سنة فرنسا فان لديها الآن جيشا من الجنود السود تعتمد عليه اعتمادا كبيرا فى توطيد اركان مملكتها الاستعمارية . وجدير بنا ان نعرف كيف انشأت فرنسا هذا الجيش فليمعن القراء نظرهم فيما اعربه فى هذا المقام عن جريدة الطان الفرنسية فان فيه لعبرة المعتبر . قالت فى ملحق عددها السابق :

« عندما تقاسمت دول أوروبا القارة الافريقية كان البعض يهزأ بالقسم الذى وقع فى نصيب فرنسا ولكن ستانلى (الرحالة المشهور) رد عليهم بقوله ان الفرنسيين قد اتخذوا الصفقة الرابحة لانهم اخذوا بلاد الجنود

« وقد تحقق قول الرحالة فان افريقية الغربية الفرنسية هى ينبوع كبير للجنود السود فبهذه الجنود قد فتحنا السودان الفرنسى واخضعنا مملكتنا الواسعة فى

افريقية الوسطى [١] وبهم ايضا نحارب في مراكش ولذلك اصبحت مسألة جيشنا الاسود في افريقية موضوع عناية حكومة الجمهورية .

« اما عن قيمة هؤلاء الجنود فقد بينها الكولونيل مانجان في خطبة له القاها سنة ١٩١١ قال عنهم :

« انكم تعرفون الصفات الحربية التي امتاز بها الرماة السنغاليون لانكم ترون منهم عددا كبيرا في جيشنا فلا يوجد جنود يفوقونهم في مقاومة المتاعب والاكتفاء بأقل الحاجات والصبر على المشاق في الاسفار البعيدة التي يقطعونها سيرا على الاقدام بلا ضجر ولا تململ حتى ولو قل زادهم وحرموا نومهم . وقد شاهدنا كثيرا من فرقهم يقتل منها ويجرح عدد كبير ومع ذلك لا يؤثر هذا في القوة المعنوية في الجنود الباقين . وكثيرا ما حاربت فرق منهم عدة ايام على التعاقب ومع ذلك لم يكلوا ولم يضعفوا فهم تحت قيادة ضباطنا الفرنسيين يصدون هجمات كل عدو يقف امامهم .

« انا لا انكر ان هؤلاء الجنود لم يدخلوا في معارك يستخدم بها العدو احدث المدافع لان مدافع الدراويش مثلا في فاشوده وبهنزان في الداهومي والساموري في قونج والسلطان رباح في قسيري والملكه رنافالو في مدغشقر لا تجاري مدافعنا التي حاربناهم بها ولكن الجنود السود قاوموا ببسالة كل هجمات الاعداء سواء كانوا من متوحشي الغابات في خط الاستواء اومن قبائل الطوارق او العرب في الصحراء اومن المغاربة في مراكش فلا محل للشك في انهم سيبرهنون على شجاعتهم في المقاومة حتى في المعارك التي تستخدم فيها المدافع الحديثة لان الامر الذي يفوقون به الجنود المتحضرة انهم ليسوا من ذوي الامزجة العصبية السريعة التأثر فبينما نرى الجنود المتحضرة تفقد قوتها وشدتها اذا تهيجت اعصابها بسبب حرمانها من النوم مثلا نرى هؤلاء الجنود السود ينامون ملء الجفون بلا مبالاة بالرصاص المتساقط قريبا منهم .

« على ان هؤلاء الجنود ليسوا بحديثي عهد في ميادين القتال فقد كان الخلفاء الاندلسيون يستخدمونهم في صفوف جيوشهم وابلوا البلاء الحسن فوق هضاب اسبانيا القارسة البرد .

---

[١] تمتد املاك فرنسا في افريقية الوسطى من ساحل النيجر الى ما حول بحيرة تشاد من البلاد لغاية حدود السودان المصري وسنفرد لها بابا خاصا

وكان منهم عدد فى جيوش الثورة الفرنسية ولهم مواقف مشهودة فى حرب القرم . وكانت الممالك والامارات التى تعاقبت على شواطئ افريقية الشمالية تستخدمهم وخصوصا فى مراكش حيث كان لدى مولاى اسماعيل فى القرن السابع عشر جيش مؤلف من ١٥٠ الفا من الجنود السود ولا يزال الحرس الخصوصى لسلطان مراكش الآن من اولئك الجنود »

وقد نشرت الطان فى عددها الصادر فى ٤ فبراير سنة ١٩١٢ حديثا للمسيو بونتى الحاكم العام لافريقية الغربية الفرنسية فى شأن هؤلاء الجنود قال فيه :

« ان افريقية الغربيةالفرنسية يسكنها الآن من ١٢ الى ١٥ مليونامن النفوس ويذهب بعض الضباط والكتاب الى انه يمكن تجنيد جيش منهم يتراوح بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ الف من السود ولكن من رأى ان نسير فى هذه المسألة ببطء واناة . فلدينا الآن جيش من السود يقرب من عشرين الفا يمكننا ان نصل به الى ثلاثين الفا دون ان ننقص عددا كبيرا من الايدى العاملة فى استثمار خيرات تلك البلاد لان الذى يهمنا من هذا الجيش ان نجعل منه قوة تحفظ لنا افريقية الغربية وقوة نستخدمها فى غيرها من المستعمرات . فالقوة المرابطة هناك تبلغ عشرة آلاف جندى وهى كافية لحفظ المستعمرة .

اما القوة التى يمكننا جمعها من افريقيةالغربية لنستخدمها فى الانحاء الاخرى من مملكتنا الاستعمارية مثل افريقية الشمالية وافريقية الوسطى ومدغشقرفهى التى تهمنا اكثرمن الاولى . ويمكننى القول بان فى استطاعتنا حشدعشرين الفا ايضالهذه الغاية ومهما يكن من الامر فانه يمكننا بشئ من النظام والادارة ان نجعل من افريقية الغربية الفرنسية ينبوعا لا ينفد من الجنود السود »

وقد اصدرت الحكومة الفرنسية فعلا بناء على مساعى هذا الحاكم قانونا فى ٧ فبراير سنة ٩١٢ يتضمن نظام التجنيد الجديد فى تلك البلاد جعلت به التجنيد اجباريا اذا رأت الحكومة لزوما لذلك واخذت فعلا فى تنفيذ هذا القانون وجندت عددا كبيرا من كافة انحاء المستعمرة ولا تسل عما استعمل عمالها من القسوة والشدة فى جمع انفار القرعة قسرا . والفرنسيون يعتبرون الآن ان افريقية الغربية الفرنسية اصبحت بهذا النظام الجديد كفيلة بان تضمن لفرنسا سلطتها الفعلية فى كافة مستعمراتها الافريقية .

ـ سياسة فرنسا الاقتصادية ـ

بقيت لنا كلمة الآن فى سياسة فرنسا الاقتصادية فى تلك البلاد تتم بها موضوع اليوم :

لا جدال فى ان الفرنسيين قد نبغوا فى ميادين الاقتصاد والمال فميلهم الى التوفير غريزى اكتسبوه بالتربية والدراسة ومهارتهم فى المسائل المالية امر معروف واموالهم لها عمل كبير فى اكثر اسواق العالم . وبفضل هذه الصفات والميزات امكنهم بعد ان اخضعوا افريقية الغربية ان يستثمروا خيراتها الوفيرة وهم يعملون بجد ونشاط فى هذا الميدان لتروج اسواق باريس ومرسيليا وبورود وغيرها وتتسع ثروة فرنسا التى اكسبتها قوة كبيرة فى المعترك الدولى العام . ومن لنا فى الدولة العثمانية برجال يعرفون كيف يستثمرون خيرات بلادهم مثلما يستثمر هؤلاء المستعمرون بلاد غيرهم بل من لنا فى مصر برجال يعملون بعزيمة صادقة فى ميادين الاقتصاد لنسترد بهم وجودنا الاقتصادى الذى فقدناه وضيعناه بتفريطنا وتبذيرنا وقصر نظرنا بعد ان فقدنا وجودنا السياسى بغلطات حكامنا السابقين فلينظر القراء كيف عمر الفرنسيون (لمصلحتهم) مستعمراتهم فى افريقية الغربية

كان المسيو روم الحاكم العام السابق لتلك المستعمرة اول من فكر فى وضع مشروع لتعمير البلاد واستثمار ثروتها الطبيعية وكانت فكرته متجهة اولا نحو انشاء سكة حديدية تقرب المتباعد من انحائها وتخرج كنوز اراضيها تبتدىء غربا من دكار وسان لويس على المحيط الاعظم وتقطع نهر السنغال ثم تسير مشرقة حتى تقطع نهر النيجر عند منبعه الى ان تصل بعد ذلك الى وادى ذلك النهر على حدود المستعمرة شرقا ثم تتصل هذه السكة الرئيسية بسواحل تلك المستعمرة غربا وجنوبا فيصل منها فرع الى كونا كرى ميناء غينا الفرنسية وفرع آخر الى بجر فيل بساحل العاج وفرع ثالث الى بورتونوفو على ساحل الداهومى وان تصل بين هذه الفروع فروع اخرى موازية للسكة الرئيسية . وضع اساس هذا المشروع منذ ست سنوات وكان طول الخطوط التى شرع فى مدها يتراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف كيلومتر تم منها الآن

نحو ٢٥٠٠ كيلومتر وقد عزمت حكومة المستعمرة على عقد قرض بستة ملايين جنيه لاتمام الخطوط الباقية وتوسيع بعض الثغور واصلاحها تسهيلا للمواصلات والنقل والفرنسيون يصرفون على هذه المشاريع بسخاء لعلمهم ان السكة الحديدية لا تمتد فى جهة الا وتعمر اراضيها وتكثر مزارعها ولاعتقادهم ان ما يقترضونه من الانفاق على تلك المشاريع سيستوفونه من واردات المستعمرة بعد زيادة ثروتها .

وقد استدروا بفضل الخطوط الحديدية التى تم انشاؤها للآن خيرات كثيرة لان الاراضى هناك فى غاية الخصب وهى صالحة للزرع اذا اعتنى بها وسهل نقل حاصلاتها ففى سنة ١٩١١ كانت صادرات تلك البلاد تقدر بخمسة ملايين من الجنيهات تقريبا منها اربعة ملايين قيمة الصادرات الزراعية . واهم انواع زراعتها المطاط (الكاوتشوك)والحبوب خصوصا الذرةوالفول السودانى ثم الارز والنخيل والنيلة والدخان والفواكه وخصوصا الموز الذى يزرعون منه الآن كميات وافرة وقد ابتدأو يجربون زراعة القطن . ويوجد عدا ذلك غابات كثيرة يقطعون منها اخشابا للتصدير ويستخرجون من بعض الاشجار الصمغ العربى ويصدرون منه وحده سنويا مقدار مليون وستمائة الف فرنك . وبها مراع كثيرة يربون فيها أنواعا متعددة من الماشية كالخيول والجمال والثيران والحيوانات المأكولة التى يصدرون منها عددا كبيرا كل سنة كالبقر والمعز ورؤس الضأن وقد عنيت بها الحكومة هناك فعينت فى كل مستعمرة عدة مفتشين بيطريين لتحسين حالة المواشى ومعالجتها من الامراض التى تصيبها وفى تلك البلاد ايضا معادن كثيرة منها الملح فى الجهات الشمالية والذهب فى السنغال والسودان وقد تألفت شركات فرنسية لاستخراجه فى السنغال وغينا والبحث عنه فى الجهات الاخرى كساحل العاج ويوجد على السواحل مصايد كثيرة للاسماك وقد اوعزت الحكومة الفرنسية بتأسيس عدة شركات كبيرة لاستثمار خيرات تلك البلاد الزراعية تساعدها فى مشاريعها فتقطعها الاراضى الواسعة الخصبة وتسهل لها طرق اصلاحها وتباشر هى زراعتها بالطرق الحديثة مستعينة بالمهندسين والزراعين الفنيين وترسل حاصلاتها بفضل الخطوط الحديدية الى السواحل ومن هناك تنقلها البواخر الى الثغور الفرنسية والحركة التجارية فى تلك البلاد آخذة فى الزيادة بسبب زيادة مسطح الاراضى المزروعة منها وحظ الاهالى قاصر على استئجارهم فى المزارع والمراعى.

هذا مثال من الاستعمار الاوروبى وهكذا تتغلب القوة على الضعف والحياة

والحركة على الجمود والموت ويفوز العلم على الجهل والغنى على الفقر والاتحاد والتضامن على التفرق والتخاذل . ان فى هذا لبلاغا لقوم يعقلون .

عبد الرحمن الرافعى
المحامى

أنباء العالم الاسلامى

(النهضة الاسلامية فى الصين)

نقلا عن جريدة

بيسا أخبار (الهندية)

ألف الجنرال دولن كتابا يتعلق باحوال مسامى الصين فى الوقت الحاضر وقد رأينا ان نقتطف منه بعض المعلومات الآتية : ان كثرة المسلمين فى الصين توجد فى ولاية (ابوتن) وعلماؤها اكثر دراية وتقدما من اية ولاية اخرى وقد نشأ فى الصين فى هذه الآونة مذهب جديد يمنع كل الخرافات القديمة ويسمى هذا المذهب فى اللسان الصينى (بسيتكاؤ) واتباعه فى الاكثر اهل خبرة وتبصرة ولذلك لا تجد الدسائس الاجنبية رواجا بينهم وكذلك يوجد فى الصين علماء من تركستان ودار السعادة كمثل الشيخ على رضا افندى والشيخ حسن حافظ اللذين هما من علماء الاستانة ويجتهدان الآن فى انتشار المذهب والدين والمسلمون اكثر وطنية وغيرة من الوثنيين وقد وافقت على كل ما ذكرناه صحيفة (ديبش كولونيل) الفرنسية حتى قالت ان جمهورية الصين ما نجحت واستقرت فى تأسيسها الا بواسطة المسلمين وبهذا السبب اخذ المسلمون حظاً وافرا فى الحكومة الحاضرة وقالت البلاغ ان المسلمين والمغولين وان كانوا متحدين فى الجنسية لكن فى العادات مختلفون اختلافا عظيما حتى فى الافيون الذى يعتبرون تناوله من العادات القومية كذلك النساء المسلمات ينفرن من الافيون ولا يملن الى شرب الدخان والمسلمون توجد عندهم الشجاعة

والشهامة اكثر من غيرهم ولذا تراهم يخرطون فى سلك العسكرية بانشراح وطيب خاطر وتجد مدارس الحكومة غاصة بطلبة العلم المسلمين. والمسلمون يسعون الآن لانشاء المدارس والمكاتب الاهلية وما اقتصروا على هذا فقط بل جعلوا التعليم الدينى اجباريا لكى يتسنى لهم الدخول فى مدارس الحكومة العالية وهم وان كانوا اصحاب النفوذ فى الحكومة الا انهم لا يلتفتون الى الجنسية بل رائدهم العدل والمساواة وحب الوطن ولذا جعلتهم الحكومة الجمهورية ساعدها وعضدها وفقهم الله لما فيه سعادة دينهم وابعد عن قلوبهم الدسائس الاجنبية والوساوس الشيطانية

—(المؤتمر الاسلامى الصينى)—

ارسل مكاتب جريدة وقت الروسية من بكين (عاصمة) الصين ماخلاصته انعقد فى بكين المؤتمر العام بتاريخ ٢٢ يوليه سنة ١٩١٢ فدعوا المسلمين جميعا بواسطة الجرائد والاعلانات الخصوصية للاجتماع فى جامع حوشيع (اى الشرق) فامتلأ الجامع ورحبته بالمسلمين وارسلت العربات الخصوصية لبعض الكبار كالمفتى عبد الرحمن وامثاله واستقبلوهم بالاجلال والاحترام وبعد ما تم اجتماع الناس جاء المندوب من طرف يوانشيكاى رئيس الجمهورية ووكيل آخر من طرف الوزارة الداخلية فالمندوب الذى جاء وكيلا عن الرئيس هو مسلم يدعى عبد الله من اركان المعارف وكل منهما خطب خطبة كلها عبر

—(خلاصة تقرير عبدالله افندى مندوب رئيس الجمهورية)—

ايها السادة الكرام: قد ارسلنى الرئيس يوانشيكارى لكى احيي واهنئ مؤتمركم نيابة عنه وابين اشتراكه فى هذه الجمعية اشتراكا قلبيا ولا يخفى عليكم أن فى تأسيس هذه الجمعية الاسلامية فوائد جمة لكم وكذلك للوطن ان الوطن الآن ايها السادة فى احرج وقت من اوقاته فاحتياجه للائتلاف والاتحاد بين ابنائه أمر لا بد منه فالمسلمون الذين قد اشتهروا بين الانام بالشجاعة والشهامة والصداقة وحب الوطن ينبغى لهم ان يجتهدوا فى سبيل حفظ الوطن اجتهادا بليغا والحق يقال ايها السادة اننا كلنا ابناء هذا الوطن العزيز يجب علينا ان ننقذ بلادنا مما يحيط بها من الهلاك والدمار ونبذل النفس والنفيس فى تقوية الجمهورية وتأييدها . المسلمون ايها

السادة وان كانوا قد عاشوا احرارا فى زمن الاستبداد ولكن بعد الجمهورية اذا اجتهدوا وسعوا فى حفظ قوانينها واساسها فهى توسع لهم حقوقهم اكثر مما كان قبلا .

واما من حيث الديانة فلا يخفى ان شرف الاسلام ورفعته كما هو امر مقدس فى نظر الصينى كذلك هومقدس فى نظر الجمهورية وبهذا يكون المسلمون احرارا فى دينهم وعوائدهم المذهبية — وما دام المسلمون يحافظون على دينهم بواسطة اللغة العربية فأول شئ اوصيكم به ايها الاخوان العظام اخذها بالنواجذ ونشرها بين المسلمين فى الاقطار الصينية ثم ختمها بقوله فليحى المسلمون ولتحى الجمهورية فصفق له الجميع ثم قام الوكيل المرسل من طرف وزارة الداخلية فقال ايها السادة العظام ان وطننا المكرم كان قد اوشك على الهلاك بسبب الاستبداد والجهالة فلما راى ذووا الافكار الراقية انقراضه واضمحلاله تركوا اوطانهم وارتحلوا الى البلاد الاجنبية واسسوا فى تلك الممالك والعواصم جمعيات مختلفة سعت ليلا نهارا فى انقاذ الوطن من التهلكة وجاهدت فى سبيل ذلك بالاموال والانفس فالجمهورية اليوم هى عبارة عن ثمرة الجهاد لاولئكم البواسل من الشيوخ والشبان فيجب علينا ان نجتهد للمحافظة على هذه الدرة اليتيمة والمرجو من المسلمين الذين بذلوا اموالهم وانفسهم لانشاء الجمهورية ان يعملوا على صيانتها وتقويتها وبعد تمام خطبته صفق له جميع الحاضرين ثم القيت بعده عدة خطب تدور حول المحافظة على الجمهورية وكانت موسيقى العسكرية تطرب الجالسين بعزف الحان الجمهورية وتنثر طلاب المدارس ازهارا صفراء على الوكيلين ثم انتخبوا رئيساً للجمعية بالاتفاق رجلا من الاماجد يسمى عبد الله وهو شاب نجيب خرج من المدرسة الصينية وعينوا مفتى العاصمة عبد الرحمن افندى وكيلا لذلك الشاب وبعد ذلك انتخبوا اعضاء الجمعية فانتخبوا من اكابر مسلمى العاصمة كمثل ابى بكر افندى من ائمة بكين ومحمد صالح افندى صاحب جريدة (آياقوباو) الاسلامية وبعد الكل قام الاستاذ السيد طاهر افندى فخطب خطبة بليغة بالعربية وهذه خلاصتها ان حياة الامم وسعادتها مرتبطة برباط الاتحاد والاتفاق ولذا ترى كثيرا من الامم تعيش عيشة راضية بائتلاف واتحاد ابنائها محافظين على حقوقها بل تبقى حاكمة ومسيطرة على غيرها وقد ختم كلامه بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الاية .

—(مقاصد الجمعية الاسلامية فى بكين)—

الغرض الاول من تأسيسها السعى الحثيث فى ترقى مسلمى الصين الذين عاشوا منذ قرون تحت سيطرة المذشورئين بعيدين عن التعليم والتربية والصناعة و التجارة حتى تسود الاخلاق الاسلامية والعوائد الدينية فهى تسعى وتجتهد لحمل المسلمين على الاخذ بدينهم القويم والاشتغل بالمسائل الاقتصادية والتجارية ومركز هذه الجمعية يكون فى بكين وستكون لها فروع اخرى فى كل نواحى الصين حيث يوجد المسلمون وقد طبعت برنامجها لتبين غايتها ومقاصدها وقد نشرته بين المسلمين وارسلوا كذلك نسخة الى رئيس الجمهورية للتصديق عليها واحالها الرئيس الى جهة الاختصاص وقد اعجب كثيرا بهذه النهضة الاسلامية العظيمة . وسننشر فى العدد الثانى تفصيل البرنامج .

—(انتباه الاسلام فى روسيا)—

كثير من المسلمين لا يعلمون احوال اخوانهم فى الدين المحكومين بالامم المسيحية ودرجة رقيهم المادى والادبى ومنهم من يعتقدون انهم بتضييق الامم الصليبية عليهم عماة عن العلوم خرق المكاسب محرومون من كل ما يعود عليهم بالنجاح ولكن قد شاهدت فى سياحتى فى اكثر الآفاق وسعيي فى مناكب الارض ابتغاء الوقوف على حالة اخوانى المسلمين فى ارجاء المعمور انهم انفجروا من الضغط واخذت اجسامهم تبرأ من العلل فطفقوا يلجون ابواب العلوم والمعارف فاليوم تراهم دائبين على تحصيل منافعهم المادية بكل جد منكبين على درس العلوم بمنتهى الكد وبذلك يصح ان نقول قد بدا ولله الحمد والمنة الانتباه فى العالم الاسلامى ينمو وينتشر فترى العلم فى ترق عظيم وتقدم محسوس فانى اجتمعت بكثير فى اماكن متفرقة ودققت احوالهم الحاضرة والماضية وتتبعتها ونظرت فى مستقبلهم .

وسأقص عليكم قبل كل شئ آخر كلمة هى نتيجة بحثى وهى ان مستقبل الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا فى شروق والغربيين فى غروب .

ولا ارى لزوماً لاثبات ذلك فانه قانون طبيعى . لا يمكن ان يتغير او يتبدل .

وسأعرض عليكم اولا بعض حقائق عن انتباه الاسلام عنوان مقالتى هذه تتعلق بمسلمى الروسيا وطنى ولا اذهب بك بعيداً لتعلم احوال مسلمى الروسيا بل متى الفتنا نظرنا الى احوال مسلمى الروسيا قبـل خمس وثلاثين او اربعين سنة لا يمكننا ان نجد باسم العلوم والمعارف سـوى مدارس قديمةولا يعلم فى هذه المدارس غير العلوم الدينية واذا ما اردنا البحث عن ادباءالتتر فى ذلك الزمن يمكن ان نجد اثنـين او ثلاثة يقرأون ويكتـبون . ولم يخلفوا آثارا ذات بال بعد القيوم النـاصرى وشهاب الدين المرجانى وآق ملا وملوكاى ولا اثر للمكاتب الابتـدائية اصلا وقتـئذ وان وجدت فترى بهامن لا يحسن التلفظ بكلمة المكتب بل يقول ذهبت الى (المفتك) وجئت من (المفتك)

وكان منبع العلم بلدة بخارى فشرف العلم منحصر فيها ومرجع الاسلام لها وعدد المحصلين فى مكاتب الحكومة يتراوح بين الاثنين والثـلاثة وعلى الاكثر يبلغ الخمسة وهم مكروهون للغاية فى ملأ من المسلمين لا يقل عن اربعة اوخمسة ملايين . ومتى قاموا بواجبات دينهم يستحقرهم المسلمون وينظرون اليهم بازدراء واما الثروة فلم يكن فى الروسيا اجمعها مسلم مثر .

ولا تجد من يعرف اللسان الروسى الا نادراً وان وجدت فتجد شخصاً او شخصين فى الولاية باطرافها يتكلم به ناقصاً جداً .

وبعد ان اتى حين من الدهر على مسلمى الروسيا بهذه الصورة نرى اليوم حالهم فى تقدم يذكر وترق يشكر رغماً عن قلة تغيير نظام المدارس فان الادباء والشعراء والمحررين اصبحوا يعدون فيها بالمئات والمؤلفين بالآلاف والمكاتب الابتدائية وان لم اعلم عددها لكن اعلم ان اغلب كتبها التى تطبع تبلغ فى كل سنة من الخمسين الى الستين الف بل الى مائة الف وعدد الجرائد اليومية والاسـبوعية اكثر من عشرة وفى كل سنة تنشر كتب فى الآداب الجديدة باسماء مختلفة لا تقل عن العشرين الى الثـلاثين وقد ترجمت تآليف كثيرة من اللسـان الروسى والعربى والتركى والفرنسـاوى . ونشأ من مكاتب الروس مئات من التلامذة . كما دخل آلاف من شبان التتر اليها . ومع محافظتهم جميعاً على اخلاقهم الملية يسـعون من جهة اخرى فى تنبيه وايقاظ الفكر الملى وقد نشأت الوف تتقن اللسان الروسى بل ربما تشارك الروس فى آدابه وتستفيد من جرائده على ان فى النسوة المسلمات طائفة من المتفكرات وتألفت منهن جمعيات مخصوصات بالمخدرات الاسلامية ولهن رسائل ومجلات ولدى مسلمى روسيا مطابع كثيرة ومؤسسات خيرية وكتبخانات ومصانع

ومتاجر واكبر التجارات اخذت تنتقل من سنة لاخرى الى ايدى الاسلام .
واغلب الذين يقرأون ويكتبون بالتتر يحسنون القراءة والكتابة بالروسى .
وتجد آلافاً من الذين لم يدخلوا المكاتب يتقنون اللغة الروسية قراءة وكتابة وجميع ما ذكر هو ثمرة الخمس والعشرين سنة الاخيرة .
نعم عندنا ترقيات كثيرة جداً حرية بالشكر والمفخرة فى الواقع نذكرها كلما سنحت الفرصة كما انى ستتحف بعون الله تعالى قراءنا الكرام بمآثر الانتباه الكثيرة المتعلقة باحوال الاسلام فى سائر الممالك والله ولى التوفيق .

عبد الرشيد ابراهيم

—(الازمة العثمانية والهنود)—

ان الازمة العثمانية الحاضرة هاجت العالم الاسلامى ونبهت شعوره من ذلك ان مسلمى الهند غلا دمهم غيظا من هذه الحرب الطاحنة التى اضرمت على الدولة العثمانية ظلما وبغيا فترى جرائدهم ملأى باخبار الاجتماعات التى تعقد فى جميع انحاء بلاد الهند والتى تجمع فيها الاموال الطائلة مساعدة للحرب وللهلال الاحمر .

ومما يجدر بالذكر هنا انه ليس الرجال وحدهم هم الذين دبت فى قلوبهم الغيرة بل للنساء كذلك اثر يحمد فانهن اخذن يعقدن المجتمعات ويجمعن فيما بينهن اموالا لا يستهان بها لنفس الغرض السالف .

ولنذكر على سبيل التمثيل اسمى الاميرتين الجليلتين صاحبتى السمو ملكة (يوهبال) وملكة (بارودا) فأما الأولى وهى حاكمة مسلمة فقد امرت بعمل اجتماعات فى ولايتها لجمع الاعانات وقد تبرعت هى بمبلغ كبير من الجنيهات . واما الثانية وهى زوجة افضل حاكم هندى فقد تبرعت لمساعدة الهلال الاحمر .

ولم تقتصر التبرعات على هؤلاء فقطفان للنساء الفقيرات والاطفال ايديا بيضاء فى هذا العمل الشريف اذ ان الطفل الصغير يجود بدرهم يومه عن طيب خاطر تبرعاً منه للدولة العلية وقد كتبت جريدة (زمندار) انه فى احد اجتماعات السيدات المسلمات قامت احداهن وقد اخذ منها التحمس الدينى مأخذاً كبيرا فباعت جميع مجوهراتها وحليها وتبرعت بثمنها للهلال الاحمر

—(الازمة التركية والهندوس)—

مما يذكر لهذه الحرب البلقانية انها اثرت تأثيراً حسناً لم يعهد له نظير قبل في البلاد الهندية وذلك ان مسلمي الهند كانوا يثقوق باوربا ثقة عمياء ومن هذا نتج الخلاف بينهم وبين مواطنيهم الهندوس المجوس الذين لا يألون جهدا في سبيل استقلال بلادهم وخلاصها من الحكم الاجنبي ولكن هذا العام عام ١٩١٢ ازال ما على ابصارهم من غشاوة فرأوا كيف كانت دسائس اوربا وكيف تدبر وكذلك فظاعة روسيا في فارس وايطاليا في طرابلس وفرنسا في مراكش اقنعت مسلمي الهند ان المسيحيين هم اعداء الاسلام الألداء العاملون على هدمه فانتزعت تلك الثقه الكاذبة تماما من قلوبهم وقد رأوا انه من مصلحة بلادهم ان يمدوا يد الصفاء الى اخوانهم الهندوس ويتحدوا معهم قلبا وقالبا وقد كان ذلك بالفعل

قالت جريدة (زمندار) ان الهندوس افادوا في هذا المقام فانهم عقدوا المجتمعات وجمعوا الاعانات للدولة العثمانية باشتراكهم مع اخوانهم المسلمين تارة وعلى حدتهم تارة اخرى . وقد جاء في نفس الجريدة المذكورة ان المستر (سرندرناتي بنرجي) وهو من زعماء الوطنيين قام في اكبر اجتماع في كلكتا وقال (أتمنى من صميم فؤادي ان يدوم استقلال تركيا وفوزها باعتبارها دولة شرقية) وقال كذلك المستر (بيبن جاندارا پال) وهو احد مشاهير الوطنيين (تتوقف حياة مبدأ الوحدة على حياة تركيا فبموتها يموت هذا المبدا وبحياتها يحيا) ويكفي ان نقول باختصار ان هذه الحرب البلقانيـة مع بعض حوادث اخرى ذكرناها سابقا كانت سبباً في اتحاد العنصرين الهنديين ولم شعثهما .

—(شعور الهنود ازاء الاحوال الحاضرة)—

جاءت الجرائد الهندية كزميندار وبليد ووطن مملوءة بأخبار الهند وشعور المسلمين ازاء دولة الخلافة .

ان مسلمي الهند قد أخذ منهم التـأثر بما اتت به الكوارث والحوادث على دولة الخلافة ولذلك اسست الجمعيات الكبرى في دهلي ــ وكلكتا ــ وبمبـاي ــ وامرتسار ــ ولاهور ــ وكراجي ــ ومدراس ــ ورانكون ــ مع فروع اخرى بكل نواحي الهند حتى في الولاية والمديريات والقرى وكلهم يبذلون الاعانات بطيب خاطر وحماس شديد حتى المسكين الذي ليس عنده الا قوت يومه يدفع ما عنده وهو مسرور والجميع يسعون لتقديم اموال كثيرة لتكون قرضا للحكومة العثمانية

ترده لهم متى حسنت حالها وخرجت من هذه الازمة الحاضرة ظافرة ومن السار ان الوثنيين يشتركون فى المظاهرات والاعانات مع اخوانهم المسلمين كتفا بكتف حتى ان مستر وامودرداس الوثنى والمثرى الشهير فى بمباى الف بمئة كبرى للهلال الاحمر بواسطة انجمن اسلام من ماله الخاص لارسالها الى الاستانة فسر المسلمون بحميته الوطنية وهم يعتبرون هذه الغيرة والشهامة اساسا متينا للائتلاف والاتحاد بين المسلمين والوثنيين ولما انعقد المؤتمر المسمى بكانكرس الذى لم يحضره الا الوثنيون قام مسترلال موهن كوش الوثنى الشهير وخاطب الجميع وقال ايها السادة ان اخواننا الاتراك قد اصابهم ما اصابهم بسبب الحروب الحاضرة ما يوجب علينا ان نواسيهم ونعينهم بكل سرعة الاعانات الكافية الى الاستانة كى نسجل هذه الغيرة الوطنية فى التاريخ لكى تكون ذكرا للاولاد والاحفاد الآتين .

ضحايا المدنية المسيحية

—(فى القرن العشرين)—

من المعلوم ان زعيم الحركة البلقانية ونعنى به فرديناند ملك بلغاريا قد قرر فى منشوره الذى انبأ به جيشه بنشوب الحرب انه يعلن الحرب باسم المسيحية لاعتاق ابناء ملته : بلغاريى مقدونيا من نير الحكومة العثمانية الاسلامية وكذلك حذا حذوه ملك الصرب وملك اليونان وكان سياسيو الحكومات البلقانية الأربع يعلنون على رؤوس الاشهاد ما بين كل آونة واخرى انهم يريدون انقاذ مسيحيي الروملى من تحكم العثمانيين المسلمين فالحرب البلقانية اذاً حرب صليبية ضرمت سعيرها اربع حكومات تزعم انها بعد انفصالها من جثمان الملك العثمانى استمدت انوار الحضارة من الغرب واغتذت لبان المدنية من ثدى اوربا وعضدتهن جهرة او خفية ثلاث دول كبار يزعمن انهن آخذات بنواصي العلوم ومحررات النوع الانسانى وناشرات لواء السلام الذى ظل نحو ثلاثين عاماً يخفق فوق صرح اوربا ولقد كان علماء اوربا وساستها يتهموننا نحن معاشر المسلمين بالغلظة والوحشية ويرمون

ديننا بالقسوة ويسمونه دين السيف كما كانوا يسمون هذا القرن بقرن الانسانية قرن الاختراع والابتداع قرن الوفاق والسلام . فما بال الحكومات البلقانية بعد ان امكنتها غفلتنا تحي على رقاب المستأمنين مناو تسوم الضعفاء والشيوخ والاطفال انواع العذاب والنكال وتنال من اعراض مصوناتنا ما بين اوانس وزوجات وامهات ما عفت عن امثاله جيوب اسودنا يوم شتت مراد بجيشه الجرار رجال البلقان فى سهول قوصوه ويوم دخل غزاتنا الفاتحون سلانيك تحت امرة البطل المغوار يلدرم بايزيد ؟ بل مابال اوربا تسمع بانباء هذه الفظائع التى تقشعر من هولها الابدان ولا تبدى حراكا كأن الذين يسامون الهول والعذاب ليسوا من بنى الانسان ؟ اليست اوربا اليوم هى التى طالما شنت علينا الغارة كلما اقتص بعض عامتنا من غوغاء الارمن او الاروام اوالصربيين او البلغاريين لاعتداء هؤلاء عليهم بقصد تحريك السواكن وحمل الدول الاوربية على التداخل فى شئون الدولة العثمانية وتخليص العناصر المسيحية المندمجة فيها من تحت حكمها ؟ وهل بلغ من امر التعصب الدينى ان تفرق دول اوربا المتحضرة بسبب الدين ما بين انسان وانسان؟ على اننا لا نريد الآن ان نعاتب اوربا او نستنصفها ولكننا نريد ان نطلع الملأ الاسلامى فى مشارق الارض ومغاربها على ما يقع فى القرن العشرين وفى القارة الاوربية وباسم الديانة المسيحية . واننا نجتزئ بما نورده الآن عن الشروح الضافية التى وردت فى الصحف العثمانية وفى الصحف الاوربية لان ما كتب فى هذا الصدد شئ كثير يحتاج الى بحث طويل .

كتب احد العثمانيين كتاباً وجيزاً الى جريدة الجون تورك بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٢ يقول فيه :

« لقد تسلمت خطاباً من احد اقربائى القاطنين بسلانيك وانا انشره فى جريدتكم قياما بواجب الوطنية العثمانية . قال لى قريبى :

انتم تعلمون ان اليونانيين والبلغاريين والصربيين دخلوا مدينتنا وانه من المزعج والمفزع ان يدخل هؤلاء الغلاظ المتوحشون مدينتنا سلانيك الشقية الصغيرة . فلقد شرعوا من اول وهلة يسرقون وينهبون ويقتلون وكان اليونانيون اكثرهم اقداماً على الاجرام .

ولطا لما دخلوا البيوت بحجة تجريدها من الاسلحة وهم انما يقصدون سرقة النقود والحلى . ومن هذا القبيل ما قصه قريبى مما وقع لصهره الذى كان متوليا ادارة احد البيوت التجارية بسلانيك . قال : « انهم دخلوا محل صهرى

وجالوا بانحائه مفتشين بحجة البحث عن السلاح كدأبهم فى كل عمل من هذا القبيل. فاستولى الهلع على نفس صهرى المسكين .وكان قدأرتأى من الضرورى ان يخبأ تحت الارض دراهمه وحلى زوجته ومن حسن طالعه ان هؤلاء المنقبين لم يذهبوا الى بيته فأمن بذلك صهرى من طائلة اغتيالهم وسلبهم . »

وانا ادع الى قرائكم امر الحكم على مدنية الحكومات البلقانية المتحدة وعلى الاخص مدنية اليونانيين التى بدءوا يدخلونها فى الجهات التى احتلوها . »

ولا شك فى ان هذا الخطاب الصغير انما كتب عقب دخول الجنود المتحالفة سلانيك اى قبل توغلها فى الفظاعة والاجرام .

ونشرت جريدة البستر لويد ان قد جاء اليها من اثينا عاصمة اليونان ان قد وصلت معلومات مقلقة من ارطه الى وزير الخارجية اليونانية تفيدان اليونانيين لا يزالون ينهبون ويحرقون القرى الكائنة فى اقليم زاجورى (الابير)

وكتبت جريدة الاستمبا الايطالية ان عدداً عظيماً من المتطوعين الايطاليين الغاريبالديين غادروا الابير لانهم لم يشاءوا ان يقاتلوا الالبانيين ولان اليونانيين اقترفوا كثيراً من الجرائم والفظائع .

وجاء فى جريدة الكولونيش زايتونج الالمانية ما يأتى :

لقد وصل المخلصون الى هذا البلد وجلبوا معهم الرعب الذى نشروه بين الاهالى الهادئين . وعلى الرغم من اعلان الحكم العرفى ومن وجود ملك وولى عهد واميرة ملكية وبعض الامراء الملكيين فقد اضطر السكان الى اغلاق مخازنهم على اثر ما اقترفه الجنود الاجنبية من الامور الفظيعة .

ومن ذلك مصادرة وجهاء المدينة فى رابعة النهار على قوارع الطرق وهم سائرون مطمئنون بحجة التحقق مما اذا كانوا يحملون اسلحة ام لا وتجريدهم من كل ما يملكون وتقتحم الجنود الفاتحة المخازن والبيوت فتسلب ما فيها وهذا ما ادى بالطبع الى وقوف دولاب الحركة التجارية .

واما الادارة العرفية فانها اسم على غير مسمى اذ فى استطاعة البلغاريين واليونانيين ان يطلقوا اسلحتهم كما يشاؤن ليلا ونهارا .

يقول المثل القديم ان الحرب تجعل الاخلاق وحشية . ومع ذلك فان الغالبين اذا كانوا حاصلين على كل الوسائل التى تمنع من اقتراف الآثام ولا يستعملون هذه

الوسائل على الرغم من وجود اناس ذوى شان عظيم فى سلانيك فان هذا الجمود يعتبر حالة داعية الى الاسف العظيم . وكل الجرائم التى تجاوز كل حدود النظام والطاعة العسكريين قد رآها عيانا الوف من الجنود بل من جملة من شاهدوها ضباط بلغاريون كانوا يرون الجنود اليونانية تهاجم الاتراك والارناؤود المساكين العزل من السلاح اثناء زوحاتهم وغدواتهم فى الشوارع .

ولاهم للاهالى الآن سوى الشغف لشديد بالآونة التى يرحل فيها المحتشدون الطاغون عن المدينة بسلام . اما الجنود اليونانية فتخرق الشوارع فى المركبات وهى مطلقة بنادقها ومسدساتها بل كثيراً ما تطلق العيارات الناريه فى القهاوى والاسواق . وقد تبلغ الطلقات التى تدوى فى جهة واحدة ٥٠٠ فاكثر .

وجاء الى جريدة التيمس من سلانيك بتاريخ ٢ ديسمبر ما يأتى :

لقد رويت ارض مقدونيا بدماء الضحايا الابرياء . وذلك لان البلغاريين تركوا مقدونيا بعد فتحها للجنود غير النظامية اى لرجال العصابات الثورية التى بادراكها حرية العمل كما تشاء اجرت مذابح لا تدخل تحت نطاق الحصر وعلى الخصوص فى جهة اورات حصار وجهة داده اغاج اما المذابح التى حدثت فى قوله فقد اقترفها الأرمن الذين التحقوا بالجيش البلغارى كمتطوعين .

وجاء الى التيمس ايضاً من شتينيه عاصمة الجبل الاسود بتاريخ ٢ ديسمبر :

تفيد المعلومات المستمدة من المصادر الحرية بالثقة والاعتماد ان الجنود الصربية التى كانت متقدمة الى الادرياتيك قد اقترفت فظائع هائلة ضد الالبانيين

وبلغ من همجية اليونانيين الذين احتلوا سلانيك انهم قبضوا على رئيس مستشفى الهلال الاحمر العثمانى الدكتور ناظم وحملوه قسراً الى اثينا وارادوا ان يديروا هذا المستشفى بواسطة اطبائهم ليزهقوا نفوس المرضى والجرحى من المسلمين ولكن طبيبا فرنسياً اسمه دريفوس كان موجوداً فيه ابى على قول جريدة الطان ان يسمح للاطباء اليونانيين باحتلال مستشفى الهلال الاحمر واحتج لدى قنصلى فرنسا وانجلترا ورفع الراية الفرنسية فوق المستشفى فحماه بذلك من سرقة وعبث وفظاعة اليونانيين

ونشرت جريدة تصوير افكار بتاريخ ٩ ديسمبر كتاباً ورد اليها من احدى السيدات المسلمات المقيمات بسلانيك وقد جاء فى هذه الكتاب ما يأتى :

« لم تبق واحدة من قريباتى ولا من صواحبي ولا من جاراتى القريبة منى

او البعيدة لم يصبها سـوء الطالع بفقدها كل ماتمتلكه وتجردها من أثمن واشرف شيء وهو عرضها الطاهر بواسطة الجنود اليونانية . . . والنساء المسلمات يمتن من الجوع ولكنهن لايجرأن على الظهور فى الطريق بقصد شراء الخبز .

ولقد كن فى احدى المرات وهن عابرات الطريق عرضـة لاعتداء الفاتحين باحط وافظع مايمكن تصـوره . وارتأت ابنة جارتى و زوجة ابنها ان تفتـديا عرضيهما بكل حليهما التى وهبتاها للجنود اليونانية راجيتين منهما اخلاء سبيليهما وعدم ايذاء طهرهما . بيدان هؤلاء الاجنـاد تقبلن الحلى بدون ان يمتنعن عن الترامى على البائستين واظهار افظع خصائصهم البهيمية لهما . »

وكتبت احدى صحف سلانيك فى اواخر نوفمبر مايأتى :

« يوجد امام ثكنـات زيتنلك نحو الف من الجنود العثمانيين المجردين من الاسلحة مقيمين تحت الخيام شر مقام . فتراهم بين ركام من الاوساخ ينام بعضهم لصق بعض بدرجة لامكانة بعدها للاضرار بالصحة العامة . وعدا ذلك اصبحت المدينة مهددة بالاقذار وجيف الخيول الملقاة حول المدينة بحالة تعفن و تحلل . ولقد كانت هذه الجيف مرعى للكلاب والطيور الضـارية فلما دخلت فى دور التحلل عافتها الحيوانات المفترسـة فكيف تأثير هذه المضـار بالجنود المسـاكين وبالاهالى القاطنين اهالى المدينة . »

و فى العشرة الاولى من شهر ديسمبر عمدت احدى العصـابات البلقانية الى مدينة كليسوره (بقضاء كاستوريا) فاضرمت فيها النيران حتى اتت على آخر بيت منها فهلك عدد عظيم من سكانها المسلمين فى ثنايا اللهب .

و جاء فى جريدة الجون تورك الصـادره بتاريخ ١٢ ديسمبر سـنه ١٩١٢ مايأتى :

« تلقينا من اوثق المصـادر التى لا نزاع فى معلوماتها الاكيدة ان اليونانيين والبلغاريين لايزالون مستمرين على الفظائع التى يقترفونها فى سلانيك بدون شفقة ولارحمة ضد المسلمين .

ففى يوم السبت ٩ نوفمبر دخلت عصابة بلغارية مؤلفة من ٤٠ رجلا ن غارقين فى اسلحة قهاوى جهة قلة وانتزعوا من المسلمين ساعاتهم ونقودهم بالقوة اذ كانت السـاعة اذذاك الاولى ليلاً بالحسـاب الشرقى . ومن الغريب ان رجال مركز البوليس الموجود امام هذه القهاوى لم يحركوا ساكنا .

و دخل رجال العصابة فى الساعة الثالثة من الليلة نفسها بيت بهلول بك بواسطة سلم وسلبوا حليه وكل ما فيه من الاشياء النفيسة .

وفى هذه الليلة دخلوا ايضا خان صالح آغا وانقضوا على المهاجرين فسلبوهم سائر ما كانوا يمتلكونه . وبعدان جردوهم من سائر ممتلكاتهم اخذوا قسراً ثلاثاً من نسوة المهاجرين فتيات وحملوهن الى المقبرة الكائنة على مقربة من الخان ولبثوا يتمتعون بهن تمتعا بهيمياً طول الليل حتى شروق الشمس .

وفى يوم الاثنين طفق الموظفون اليونانيون يبحثون فى كل مكان عن الضباط العثمانيين وكل من وجدوه منهم يرسلونه فوراً الى اماكن غير معلومة .

ولقد تجاوزت المظالم التى اصابت المسلمين كل ما يمكن تصوره من اعمال قطاع الطرق القتلة المجرمين و قناصل الدول الاجنبية يقدمون يوميا الى دولهم انباء هذه الاهوال المزعجة . »

على ان كل ما تقدم ذكره لايكاد يذكر فى جانب الفظائع التى اقدم على ارتكابها اولئك المتغلبون فى مقدونيا والبانيا فقد اثبتت الانباء الرسمية انهم استأصلوا بالحريق والهدم قرى عديدة وبعض تلك القرى لم ينج من سكانها فرد واحد وهذه فظائع لم يسمع العالم بمثلها الا على عهد نيرون فى روما وعند محو قرطاجنه . واليك احصاء من هذا القبيل نشرته جريدة الجون تورك فى عددها الصادر بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩١٢

« لقد ابلغت الينا قائمة تتضمن القرى التى احرقها ودمرها اليونانيون المتوحشون بعد ان سلبوا ما فيها من اثاث ومتاع وجميعها فى قضاء اورات حصار :

قرية ارمونجيك — امكن انقاذ ستة بيوت من الحريق والنهب من الستين بيتا التى كانت القرية مؤلفة منها .

قرية ابكيسوزلو — بقيت اربع دور من تسعين بيتا .

قرية بوتيريخ — بقيت خمسة منازل من اربعين منزلا .

قرية اريكله — لم ينج من سكان هذه القرية التى كانت تحتوى ٢٠ منزلاً سوى شخصين .

قرية ريان — لم ينج احد و لم يسلم شئ من هذه القرية التابعة لناحية قره طاغ والتى كانت مؤلفة من ستين بيتا . بل ذهبت القرية ومن فيها طعمة للحريق والهدم والقتل والسلب .

قرية كيركوت — كانت هذه القرية مؤلفة من ٢٠٠ بيت فلم يبق منها الحريق اثراً وانما اختطف الفلاحون المسيحيون كافة الفتيات والنساء الشابات وذهبوا بهن الى حيث شاءوا .

ستيفا — كانت هذه القرية مركبة من ستين بيتا فلم يبق لها اثر فى الوجود . »

على ان اليونانيين ارادوا ان يتلاهوا بدماء الابرياء فى ثغر عظيم كسلانيك فذهبت ثلة من اجنادهم الى فندق وقهوة اسكوب اللذين يديرها عبد الرحمن افندى و طلبوا اطفاء مصابيحهما و فى الوقت نفسه اخذوا يطلقون النيران بغير حساب من قبيل المداعبة على القهوة والفندق فقتلوا ٢٠ شخصا وجرحوا ٣٠ ثم حمل الجنود جثث القتلى والجرحى ونقلوها الى حيث لايعلم احد .

ومن افظع مايسطره التاريخ لبربرة المدنية المسيحية الحديثة ان البلغاريين عمدوا الى لحى الشيوخ الفانين من اهالى صالى تكية فنتفوا شعورها ثم نهبوا القرية ولم يدعوا فيها شيئا . فالكهول العجزة الذين افناهم الدهر اصبحوا كالاجنة فى البطون اوكالاطفال الرضع يجب الاشفاق عليهم والتلطف فى معاملتهم يقابلون من هؤلاء اللصوص بمثل هذه المعاملة الوحشية التى لم يرو التاريخ لها مثالاً لالكونهم اجترحوا اثماً اوشقوا عصا الطاعة بل لمجرد كونهم مسلمين .

وكتبت جريدة الديلى ميل فى العشرة الثانية من شهر ديسمبر سنة ١٩١٢ « لقد اندفع البلغاريون يسلبون و يذبحون الاهالى المسلمين القاطنين بجهة جيوجيلى على بعد ٨٠ كيلو متر من الشمال الشرقى لسلانيك فلما رأى هؤلاء الاهالى ما حاق بهم من الذل والهلاك اوفدوا فريقاً منهم الى سلانيك يتطلب الحماية والانقاذ . »

ومع ان السياسية تقضى على الفاتحين ان يراعوا مقتضيات الأحوال فيعاملوا كل جهة بما يوافقها من ارهاب اومصانعة حتى تثبت اقدامهم ويستتب لهم الحكم فان اليونانيين قدخالفوا كل اصول السياسة والاستعمار و لم يفرقوا فى المعاملة الوحشية ما بين اهالى سالونيك التى كان جيشها قدحارب فى مبدأ الأمر قبل تسليمها وبين اهالى جزيرة ليمنوس الذين لم يحاربوا لعدم استطاعة القوة التى لديهم ان تقارع الاسطول اليونانى فقد روت جريدة الجون تورك بعددها الصادر بتاريخ ٢٠ ديسمبر ان مسلمى جزيرة ليمنوس اصبحوا فى حالة سوأى

عقب احتلال الجنـد اليونانى جزيرتهم اذ اسـتطالت فيهم ايدى السلب والفتك فاول ماصنعه اليونانيون قبضهم على تسـعة من اكبر سراة المسلمين بحجة انهم يدبرون مؤامرة اسـلامية ضـد المسيحيين وبدلاً من محاكمتهم اخفوا آثارهم عن الابصار فاذا ماسأل ذوشان عن هؤلاء الوجهاء قيل له انهم ارسـلوا الى بيره لمحاكمتهم والحقيقة انهم قتلوا افظع قتل بجهة مودرسكى بجزيرة ليمنوس نفسها . و اذ رأى مسلمو هذه الجزيرة انهم فى حالة لاتطاق ارسـلوا تقريرا بحالتهم الى والى ازمير وقد قالوا فى هذا التقرير انهم لايسـتطيعون مغادرة الجزيرة لانهم اصبحوا مسجونين فيها وان جميع الموظفين العثمانيين قد القى القبض عليهم وارسلوا ايضاً الى جهـات مجهولة وان ٨٠٠ من الاهالى المسلمين ذهبوا شهداء الاهوال والفظائع الوحشية من سائر انواع التعذيب والتنكيل .

وكل ماذكرناه لايذكر فى جانب ماسنورده فى العدد الآتى من الفظائع التى ارتكبتها الجنود المتحدة فى الروم‌ايلى وفى جزر الارخبيل مما تقشعر لهوله الابدان ويمكن اظهـار فداحة هذه الاهوال من شئ واحد و هو ان عدد الذين قتلوا فى الروم‌ايلى ١٠٠٠٠٠٠ مسلم .



ـــ حقوق الامة الاسلامية ـــ

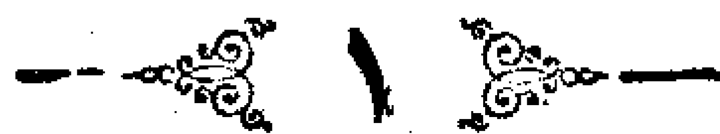
ـــ﴿ من حول الدولة العلية ﴾ـــ

لما شعر المسلمون فى اقطار الارض بتألب الامم المسيحية على الدولة العلية وهى دوله الخلافة الوحيدة حامية الحرمين الشريفين و اجمعت على احتلال املا كهـا كانما هى نهب مقسوم واسلاب قتيل تحرك فيهم دم الحمية والغيرة على حامية هذا الدين الاسلامى فالتفوا حولهـا ولبوا نداءها فهم يتسـابقون فى مضمار الاعانات والاكتتابات وبذل الانفس والثمرات متسارعين الى انتشالها من هوة الخطر بمعاضدة واخاء و مسـاعدة ووفاء ومع كونهم فى سعيهم المشـكور وعملهم المبرور يقضون واجب دينهم بل أنهم يعملون فى الحقيقة لانفسهم فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضـا لايمكن ان يقف هنـا القلم عن التنويه بحميتهم و غيرتهم استزادة لاعانتهم واستنهاضاً لهمتهم.ومما يدل على ذلك توافد بعثـات الهلال الاحمر من مصر فقد وصلت منها ثلاث بعثات كما وصلت ايضـا فى المدة الاخيرة ثلاث بعثات من الهند من بين اعضائها الكرام اثنان من المجوس بعد مجافاتهم الطويلة لاخوانهم مسلمى الهند اذرأوا ما احدق بالشرق من المدلهمات وما فاجاءه من الاخطار ايذانا بجمع كلمتهم واصلاح ذات بينهم.كذلك تفعل الشعوب الاسلامية فى مظاهرة الدولة العثمانية وقت الشـدائد ومامثلهم فى ذلك الامثل رجل غنى جداً ظل يضيق على نفسـه ويحرمها الزاد الكافى والكساء الوافى والسكنى الطيبة حتى تمكن الضعف والمرض من جسمه ولاحت لبصره نذر سـكرات الموت فهو هنالك يبسط يديه بالعطـاء عارضاً سائر مافى خزائنه على من يمرضه ويداويه جائداً بنفائس ذخائره لمن يعده الابراء من تلك الادواء . ولو انه فكر فى هذه العاقبة وامتع نفسه من قبل بالطعام الجيد والسكنى الطيبة واللباس الوافى منفقا فى سبيل ذلك بعض ماشحت به نفسه ايام العافية والصحة لسلم بلاشـك من هذه الامراض الفتاكة ولبقى ماله من المال والذخائر مصونا موفورا . وكذلك لوان المسلمين اتبعوا الحزم فى اوقات الرخاء فجمعوا للدولة بضعه ملايين من الليرات لتشترى بها سفن حربية اما قرضا اوهبة لماطمعت فيها الاعداء ولما تألبت عليها امم الصليب تنتقص اطرافها و تزعزع اركانها

وتنذر العالم الاسلامى جميعه سوء العاقبة بما ترسله على هذه الدولة من الزرايا والبلايا فلو ان للدولة اسطولاً عظيماً مافكرت ايطاليا فى امتلاك طرابلس ولاقامت رعاع اليونان تطمح فى استلحاق بعض املاكنا وجزرنا بفضل ماضاع منا ولكن كيف نأمن عليه اذا نحن لم تتخذ اسباب الوقاية ووسائل الدفاع منذ اليوم فهل يعسر على اخواننا المسلمين فى اقطار الارض كافة وهم على مانعلم من الهمة والحمية والغيرة الاسلامية لاسيما بعد ان ابصروا باعينهم ما الم بهم ولايزال يلم بدولة خلافتهم الاسلامية وحامية دينهم الحنيف ان يجمعوا امرهم ويلموا اشعثهم ويقتصدوا من نفقاتهم اليومية ولوقليلا فالقليل مع القليل كثير هل يشق على كل ولاية مثلا ان تجمع مقداراً و تبنى به دارعة حربية باسمها مناسبة لشرفها ومجدها الماضى والحاضر وتهديها لدولتها دليلاً قائما على غيرتها و وطنيتها لايمحوه كر الغداة ومر العشى اما مسلمو الهند والصين وغيرهم من كبار المتمولين ورجال الملايين فانا نعلم علم اليقين ان من بينهم رجالا لايحصون عدداً يضارعون فى الثروة بل يفوقون كثيراً ذلك اليونانى (آوەروف) الذى يذكر اسمه كلما ذكرت مدرعته التى اهداها لدولته . ماذا ينتظر المسلمون بعد ان ابصروا الموت بابصارهم و بعد ان انمحت عن سطح الارض ممالكهم حتى لم يبق سوى هذه الدولة الفردة ؟ ايرتقبون ان يصيب هذه الدولة لاقدر الله ما اصاب غيرها فينهضوا اذذاك للعمل والسعى فى تأسيس حكومة جديدة الافليفيقوا فان دول الصليب ترقبهم ابدالدهر واذا كانت هذه الدول لاتفتأ تنتقض اركان الاسلام وتمحو معالم دوله فكيف يمكن المسلمين اذا نالت بغيتها من انشار ميت مجدهم وبعث فانى دولهم . فليفكر المسلمون منذ اليوم فى مصيرهم اذا لم يقدموا من اموالهم مايدرأ الاذى عن حياتهم السياسية وجامعتهم الملية وان الله مع العاملين .



ـ[مضار الخمور]ـ



اسطع الادلة على صدق الدين السماوى و انصع البراهين على امانة الرسول

مطابقة احكامه للعقل السليم و اتيـانه بالحقائق العلمية والقواعد الفنية قبل ان تكتشف بمئات السنين فالدين والحالة هذه بمثابة استاذ للانسـانية يقيها المضـار الناجمة عن اشياء ما كانت لتفقه حقيقتها الا بعد اجيال و تجارب تودى بعشرات الملايين من النفوس ولقد كان الدين الاسلامى الحنيف اول الاديان واشدها تحريما للخمرداء الانسـانية العضال فاقى من عذل الاغرار و مخالفة الجهلاء ومغالطة المكابرين ماحجب حكمة تحريمها عن العقول ازمانا طويلة بيد ان الله يابى الا ان يتم نوره وان ينصر دينه الحق على الدين كله فجاء العلم الحديث المدعم على المشاهدات الواقعة والتجارب العلمية والحقائق الدامغة فبين لنا حكمة تحريم الخمور وشرح مضارها الفادحة بما لم يبق بعده غاية لسائل .

الخمور هى سوائل بها مقادير مختلفة من الكحول النـاجم عن تخمر المواد السكرية وليس المقصود بالمواد السكرية هنا معناها العرفى بل الكيماوى فالجريد والخشب وقشور البطيخ والشمام وغيرها تعتبر من المواد السكرية و اغلب الخمور تصنع منها اليوم بدل ان كانت قديمـا تصنع من العنب والبلح وماء النخيل الصغير وما اختلاف اسماء المشروبات الا بسبب اختلاف مقـادير الكحول فى كل منهـا والمواد الملونة والمعطرة المضافة اليها فجميعها تحتوى على السم الزعاف (الكحول) عدو الانسـانية الفظيع وعليه فلاذكر مضـار العامل الاصلى فيهـا بكل ايجاز حتى يدرك الملأ فضـل القرآن عليهم ويعملوا باوامره حتى ينالوا السـعادتين الدنيوية والاخروية .

اذا استعمل الكحول من الخارج فهو مطهر (قاتل للجراثيم المرضية المختلفة) وبما انه سريع التبخر فهو يتطـاير حاملا معه الحرارة المحلية من الجزء المماس له من الجسم فيولد فيه برودة تختلف درجتها بقدر الكحول الموجود فاذا كان كثيرا ولد خدرا موضعيا خفيفا و لهذا ففى الحميات يمكن استعماله لترطيب الجسم به وتهبيط الحرارة ولكن دعك الكحول فى الجلد يولد حرارة موضعية بسبب اختراق ابخرته للمسـام الجلدية و تهييجهـا الخلايا لدرجة قد تكون كاوية ولهذا يستعمل الكحول كاساس للمروخات المعرقة الملطفة فالكحول من اسلم و احسن المطهرات المنزلية ولكنه قلما استعمل فى هذا الغرض مع انه يكاد يضارع البوريك والسليمانى فى هذا البـاب و من خير المبردات الموضعية ومن الملطفات والمنفطـات الخارجية لانه ينفذ من مسام الجلد السليم .

رائحة الخمر قبيحة ينفر منها صاحب الطبع السليم و طعم الكحول حريف لاسع وله حرقة فى الفم تشتد بقدر مكثه هنالك حتى انه ليخرب الغشاء المخاطى بسبب تجفيفه للمواد الزلالية اولا وامتصاصه للماء المتشبع به ثانيا ولا ادرى كيف يبلغ فساد الذوق ببعض الناس لدرجة التلذذ من هذا الطعم القبيح نعم انا قد لامانع من تهيجت عليه اسنانه المتخربة اولثته الممتلئه دما اذا لم يجد لديه الدواء الشافى او عدم الطبيب ان يستعمل الكحول مضمضة بضع دقائق فانه قد يوقف التعفنات الموجودة داخل السن المتخرب فيسكن آلامه نوعا ماولكنى افضل استعمال المكمدات الحارة وزيت القرنفل او مسحوق البوريك او ماشابه ذلك . بمجرد وصول الكحول الى المعدة تحصل فيها نفس تأثيراته على الغشاء المخاطى للفم لسع وحرافة تؤدى الى حرارة موقتة بسبب توسع الاوعية الدموية الناجم عن تهيج موضعى بسبب هذا الضيف الثقيل ومحاولة الجسم التخلص من ظله واذاه وهنا تنشب حرب بين الغشاء المخاطى والكحول فالاول و هو اساس الغدد المفرزة للعصير الهضمى يريد المحافظة على كيان نفسه الضرورى لحياة جسم هذا الجانى المحتسى اقداح او جيوش العدو الفتاك والثانى يمتص المياه ويجفف المواد الزلالية ويخرب الغشاء المخاطى بقدر مايكرعه هذا المعتود من الكحول الذى ان كثر فقد يجرد المعدة تماما من غشائها المخاطى وغدد العصير الهضمى ويبلوها بنزلة معدية حادة قد تصبح مزمنة بسبب استمرار صاحبها على شرب الخمور وناهيك بما تجره هذه الحال على صاحبها من الآلام و تعرضه للادواء فالمعدة بيت الداء وعلى تأثير حامض عصيرها المطهر يتوقف نجاة الجسم من فتكات كثير من الجراثيم وعلى تأثير قوتها الهاضمة تتوقف عملية تغذية الجسم ودوام عافيته وعند مايشعر السكير بالحرارة فى معدته يتخيلها رغبة منها فى المزيد او انبساطا فى الشهية فيزيدها نارا على نارها حتى تخونه قواه العقلية بسبب ماوصل الى مخه من الكحول الممتص من المعدة فكيف عن غيه .

يمر ماتبقى فى المعدة من الكحول بعد امتصاص اغلبه بواسطة الدم الى الامعاء فيمتص اغلبه بعد ان يؤثر على غشائها المخاطى مثل ماأثر بالمعدة ويستمر مابقى فى سيره حتى يصل الى الامعاء الغليظة بعد ان يطرأ عليه بعض التحولات بسبب عملية الهضم وهنالك يلاقى مستعمرات الجراثيم المختلفة الضرورية لسلامة الجسم وحراسته من سموم فضلات

الطعام المختلفة فيقتل بعضها و يتغلب عليه مابقى فيحوله الى ماء وحامض الكربونيك الا اذا كانت مقادير الكحول كثيرة جدا فقد تخرج آثارها مع المواد البرازية وهو امر نادر للغاية بيد ان هذا الحامض المتولد عنه يسبب فى الدبر عند التبرز حرقة مؤلمة كاوية يشعر بها السكير ثانى يوم افراطه فى احتساء هذا السم الزعاف الذى يزوقه لنا ابالسة السوء وشياطين الاخلاق (الشعراء بخمرياتهم) فآثار الكحول على الجهاز الهضمى من الفم حتى الدبر لسع وكي وحرقة وتخريب تسبب نزلات معدية ومعوية حادة ومزمنة وتعرض الجسم لفتكات الجراثيم وسموم الفضلات المختلفة الناجمة عن عملية الهضم المعتادة .

تجربة السكير علمته شدة حرقة الكحول ولسعه فى الفم والمعدة والامعاء لدرجة كاوية فهو بدل ان يتعظ بذلك ويتجنب هذا السم الزعاف يحاول تخفيف الامه بمزج الخمور عند تناولها بمقادير كبيرة من الماء وهو عمل يقلل لسعها ولكنه لايحول دون امتصاصها من جهة بل انه يؤدى فوق ذلك فى المدمنين الى تمدد المعدة وما ينجم عنه من المتاعب المتعددة . يدعى بعض انصار الخمور ان شربها يطفىء الظمأ ويقلل شرب الماء بينما الواقع يكذبهم اذ السكير من شدة مايجوفه من الحرارة يشرب اضعاف اضعاف مايشربه من لايقرب الخمر بل وربما اضعاف المحموم اومن افرط فى الاكل ويدعى البعض من انصارها انها تفتح الشهية وتساعد على الهضم وهو قول عليه شبه مسحة من الصحة اذ الحرارة الموضعية قد تجعل اعصاب المعدة تحس بالجوع لانه منبهها العادى وتوسع الاوعية الدموية مما يساعد على الهضم بتقوية العضلات وزيادة افراز العصير الهضمى ولكن فات من يدلى بهذه البراهين ان مثل هذه الحرارة الضاره كمثل الضوء الذى تراه العين اذا ماضغطت بشدة غلطاً حسياً منشأه العادة وان زيادة الدم لايقاوم آثار امتصاص سم الكحول من جهة وتخريب الغشاء المخاطى بغدده المفرزة للعصير الهضمى فالكحول والحالة هذه يعيق الهضم لايساعده واكبر برهان على كذب دعوى انصاره القىء الشديد الذى يعقب السكر وماهو فى الحقيقة الاعملية تقوم بها المعدة للتخلص من تخريبات وكى هذا الضيف الثقيل الذى يأبى انصاره السكيرون الاادعاء محبته وفائدته للمعدة بينما هى تقذف فى وجوههم الكالحة هذا القىء معتبرة اياه خير جواب لبهتانهم المبين ومن رأيى ان لاتعود المعدة على القيام بوظيفتها بمساعدة خارجية لانها تصبح فى حاجة دائمة اليها اللهم الااذا طرا عليها

كسل او ارتباك فيداوى بالطرق الطبية المعقولة وخير للانســان ان يأخذ بعض العقاقير المرة قبل الطعــام او قليل من بيكربونات الصودا او مقدار من ماء الكلوروفوروم لتوليد الحراره الخفيفة بالمعدة وفتح الشهية للطعام .

عرف القارئ تأثير الكحول على الجهاز الهضمى وتتبع القسم الذى اطرحه الجسم بواسطة المستقيم فلنشرح له تأثير القسم الذى امتصه الدم ونسير معه حتى مفارقته للجسم ليرى تخريباته ببقية اجزاء الاجهزة المختلفة. عمل الكحول فى الدم كعمله بالجهاز الهضمى اولا يهيج الاغشية المخاطية التى تبطن بها الاوعية والتى هى ضرورية لتمام الدورة حتى انه قد يجعل صمامية الاوعية الشعرية غير تامة فيسبب ركود المصل الدموى بالانساج ومن ثم نرى حمرة وجنات السكيرين فى بعض الاحيان ومن شدة تأثيره على الاوعية وتهيجه اياها لايسعها الا الاستغاثة بالاوعيه الجلدية فتنتفخ وتوسع اقطارها حتى تستوعب اكثر الدم وتتمكن من طرد هذا البلاء الكاوى بواسطة العرق وتشمع الحرارة بكثرة ابطالاللاآلام الداخلية وبما ان تأثير الكحول على الغشــاء المخاطى المبطن للقلب وعلى عضلاته هو عبارة عن التهيج ايضا فالقلب والحالة هذه يسرع ضرباته وتشتد دروته سعيا فى التخلص من هذا الضيف المخرب وهذا العمل مع اتساع الاوعية الجلدية مما يزيد تشمع الحرارة الحيوانية فى القضاء ويسبب سقوط حرارة الجسم خصوصا وان الكحول يعيق الاحتراقات على ماسنفصله ولهذا فبعض الاطباء يستخدمون خاصية الكحول هذه فى تخفيف الحرارة فى الحميات العفنة .

يستمر القلب فى جهاده ضــد هذا العدو حتى يتخلص من شره ان كانت مقاديره قليلة او يدركه الاعياء ان كانت مقادير جيوش هذا العدو كثيرة فيرجع الى حالته الاولى او اقل وكلما اســترجع بعض قوته عاد الى جهاده الا اذا حدثت صدمة مخية اودت بجميع الجسم .

ليت تخريبات الكحول على الدم تقف عند هذا الحد بل هى تتعدى ذلك الى الجيوش النظامية (الكرات البيضاء) والى سواد الامة الاعظم (الكرات الحمراء) فهى اجسام حية وتأثير الكحول فى قتل الجراثيم والحيوانات الدنيئة قد فهم من كلامنا على استعماله كمطهر فهو ان لم يقتل هذه الكرات الضرورية للدفاع عن الجسم ورد هجمات اعدائه الجراثيم عنه وحمل الاغذية اليه ونقل الفضلات عنه فهو يعيق اعمالها ويضعف قواهــا نوعاما حتى ان علماء فن العلاج يقولون انه

يقوى التصاق (الاوكسجين) اكسير الحياة بالكرات الحمراء فيعطل الاحتراقات الحيوية وفوق هذا الضرر نرى الكحول يحول ضد امتصاص الخلايا للاغذية وهضمها ويمتص منها الماء ويبقى كذلك الى ان يتم تحوله الى حامض كربونيك وماء ويفرز بعضه بواسطة الاعضاء المختلفة ولهذا يدعى بعض انصاره انه يمكن استعماله كغذاء لدرجة معينة ونى اقول لهم ألابئس هـذا الغذاء الذى يوقف جميع الاحتراقات ويضعف جيوش الجسم ووظائفه الحيوية ويسبب تلف الكبد وتعطيل خلاياها عن اتمام واجباتها المهة لسلامة الجسم وعافيته وليت الاغرار الذين يتشدقون بقولهم انا نشرب الخمور لاجل التدفئة وتوليد الحرارة يقرأون هذه الحقائق ليعلموا ان مايشعرون به ليس بحرارة الصحة بل حرارة الآلام التى تشعر بها الأعضاء وان اتساع الاوعية الجلدية وتشمع الحرارة منها وتسخينها الجلد ليس نتيجة شدة الاحتراق وارتفاع حرارة الجسم بل هى نتيجة محاولة التخلص من سموم هذا العدو بالافرازات الجلدية ولو عقلوا هداهم الله لادركوا ان الكحول بمنعه الاحتراقات وتعطيله هضم الخلايا للاغذية وامتصاصها يسبب احتراق الاغذية المدخرة فى الجسم بصفة شحم اونشاء حيوانى ويضعف نفس الخلايا ولهذا نرى السكير لاقل مرض يهزل وتظهر عليه علائم الضعف الشديد وتطول مدة مرضه وتكون نسبة السلامة فى امراضه بنسبة خمسين فى المائه ممن لايقربون الخمر وما ذلك الا لان هضم الغذاء فى حالم المرض اقل بكثير من درجة الاحتراقات خصوصا المجهودات المبذولة داخل الجسم فى سبيل المحافظة عليه من تخريبات المرض فمايلزم لاتمام الاحتراق يستمده الجسم من مواده المدخورة وبما ان جسم السكير يكاد يكون خلوا منها بخلاف خلايا من لايكرع هذا السم الزعاف فهى قوية سليمة فلا عجب اذا كثرت وفيات الاول بنسبة خمسين فى المائه الى الثانى ولابدع اذا ضعف واشتد به الهزال سريعا وطالت مدة مرضه فهذا جزاء تفريطه فى مواهبه وعدم تحصينه جسمه واعداده الغذاء وتقوية الخلايا ابان صحوه لمقارعة مرضه. اشد آثار الكحول فى الجسم تظهر فى المجموع العصبي لشدة رقة ودقة تركيبة وصعوبة تجدد ذراته. يصل الكحول مع الدم كما قذف القلب بسائل الحياة لتغذية جميع الجسم فيؤثر على المجموع العصبي من اعلى الى اسفل اى من مراكز المخ العليا الى النخاع الشوكى تدريجيا ويختلف التأثير من تنبيه خفيف الى تهيج او الى صدمة شديدة بقدر كمية الكحول

الموجودة وآثار هذا التنبه تجلى فى كل انسان حسب مزاجه فمن اعتاد الاعمال اليدوية والحركات الجسمية تراه يقفز ويضحك ويركض ويزعق اى انه يمسى اقرب الاشياء الى الحيوان الهائج ومن اعتاد الاعمال العقلية والصناعات الكلامية تراه يخطب ويهذى ويأتى بالنكات المختلفة حتى اذا ما اشتد اثر الكحول بمخهما سقطا كالمصروعين وما احكم المثل الفلسفى الذى طالما قرأناه فى كتب المتقدمين القائل ان ابليس هو الذى زرع شجرة العنب فلما نمت ذبح عند جذرها قردا ورواها بدمه وبعد حين رواها بدم كلب ثم بدم خنزير ولهذا نرى السكير فى خفة حركاته وهذيانه اشبه الاشياء بالقرد يصيح وكالكلب ينبح ويلهث ثم يخر كالخنزير فراشه القاذورات وتخرج من فيه امثالها وهو مايطابق تأثير الكحول على المجموع العصبى ، تنبه فتهيج فاعياء .

قلنا ان مقدار الكحول اذا عظم يسبب صدمة مخية تودى بالشخص لساعته وفى هذا بيان لتأثير وشدة تخريباته على الأعصاب وكل من درس علم الانساج ورأى كيف انها تجمد بحفظها فى الكحول وتفقد خواص ذراتها يعرف ان مقدار هذا السم مهما قل له اسوأ اثر على المجموعة العصبية وكفى القارىء ان يعلم ان حوالى السبعين فى المائة من سكان مستشفيات المجاذيب هم ضحايا الكحول بينما الباقون هم من ضحايا الزهرى وبقية المغيبات اوالامراض الاخرى.ان تأثير الكحول على المخ لايقتصر على هذه الاحوال الحادة بل هنالك مرض التسمم المزمن بالكحول حيث يصاب صاحبه بحرانات شديدة وهذيانات ورعشة الاطراف وضعف فى الشهية وقلة تدريجية فى القوى العقلية فشلل عام فموت زؤام وما احرى السكارى باطاعة قول الشاعر (طلق الخمرة ان كنت فتى كيف يسعى فى جنون من عقل) اذا اضفنا الى ماتقدم افاضة السكير بجميع اسراره وفضحه دخائله وارتكابه جميع القبائح التى قد يجترحها المجنون بسبب تأثير الكحول على مداركه نرى صدق قول ناظر الحقانية الانجليزية وكبير قضاة النقض والابرام عندهم المدعم على الاحصائيات الرسمية حيث صرح فى مؤتمر محاربة الخمر الذى عقد بلوندرة ١٩٠٩ بان تسعين فى المائة من جرائم الجزر البريطانية سببها الادمان على الخمور وخصوصا القوية منها وكفى القارىءان يعلم ان فى مقاطعةلوندره وحدها فى سنة ١٩١١ حدثت اكثرمن ٥٥٠٠٠ جنحة بسبب السكر. كل هذا يبين للقارى بصورة مصغرة بعض آثار الكحول فى المجموعة العصبية

ولو اضفنا الى ماتقدم تأثيره فى عقل نسل السكير ادركنا فظاعة جريمته على نفسه وعلى عقله وخيرما اقدمه للقارى مثلا فى هذا الباب حوادث احد احصائيات الاستاذ موت ذكرانه كان طبيب عائلة فالام لاتقرب الخمر وليس فى عائلتها من يشربها والاب لم يكن بعائلته من يكرع هذا السم قط ولكنه هو اعتاد تناوله منذ عنفوان شبابه فتجنن فى اخريات ايامه ومات بالشلل العام نتيجة التسمم المزمن بالكحول بعد ان خلف ثمانية اولاد الخمسة الاول منهم اصيب كل واحد منهم بدخل فى عقله وزج من اجله بمستشفى المجاذيب اكثر من مرة وقضى نحبه من آثاره والثلاثة الباقون لم تظهر عليهم علامات اى امراض عقلية اما الام السكيرة فاولادها يكونون ضعافا بسبب التسمم المزمن بالكحول ابان وجودهم بالرحم وتكثر فيهم الوفيات كما سنبينه وبقيت قواهم العقلية عرضة للتأثر السريع باقل مقدار من الكحول ويكثر بينهم عدد المجانين ولهذا قدمت الوزارة الانجليزية الى البرلمان مشروع قانون سيدرسه فى دور جلسات اوائل ١٩١٣ يقضى بمنع المرضى اومن بعقله دخل ذكرا اوانثى عن الزواج حتى لايخرج للامة جيشا من البله او المتوهين محافظة على شعبهم من زيادة عدد المجانين بين ظهرانيه وخيرا فعلت الوزاره المذكورة بضربها بحجج المعترضين على ذلك عرض الحائط بقولهم ان فى ذلك اعتداء وحجراً على الحرية الشخصية لان الشرع والعقل يخول للجماعة اوللامة وقاية نفسها ممن يعملون على تخريبها والحاق الاذى بها من امثال حضرات السكيرين ومدمنى تعاطى المغيبات الاخرى .

من الناس من اعتاد احتساء الخمور يوميا حتى اصبحت له عادةانه لايستطيع ذوق لذة النوم قط الا اذا خرب ذرات مخه بمقادير من الكحول يضطر لزيادتها يوما عن يوم بسبب مقاومة الجسم وتسممه المزمن وهى حالة مؤلمة قدلاتفيدها المنومات العادية كثيرا ومايقاسيه صاحبها من الشقاء ونكد العيش يعتبر عقابا له على جريمته وللخمر على المجموع العصبي تأثير آخر لايظهر ضرره الا ابان العلميات الجراحية (وكل انسان فى هذه الحياة عرضة لها) وهى الصدمة المخية الفجائية التى تصيبه اثناء تخديره بالكلوروفورم اوالاثير ولبيان ذلك اقول ان جماعة السكيرين يقاومون فعل المنوم طويلا فيزيد الطبيب المقدار كثيرا وهم يقاومون بكل شدة وماهى الالحظة حتى يراهم وقد انتقلوا فجأة الى دور التهيج الشديد ويقضى اكثرهم نحبه ابانه اذا لم يكن الطبيب حاذقا ومتيقظا متوقعا حدوث ذلك مستعدا لملاقاته وكل طبيب استعمل الكلوروفورم والاثير كثيرا يعرف خطر

هذا الموقف ويدرك فضل من لايقرب الخمر على السكير ويقر ان اكثر ضحايا العلاجين المذكورين هم جماعة عشاق بنت الحسان المدمنون لرشف دم بنت العناقيد .ان القارى لكتب وظائف الاعضاءخصوصا تأليف العلامتين هاليبرتون وشيفر بشان التجارب التى عملت بشان معرفة تأثير الكحول على الجسم بالنسبة للتعب من الاعمال والكلال من متابعتها تبين باجلى بيان ان السكير يكون انشط واشد ممن لايشرب الخمر عند مباشرة نفس العمل بيد ان الاول لايلبث الا قليلا حتى يلحقه الاعياء وتخور قواه بينما الثانى يستمر على عمله بكل ثبات وقوة حتى انه ليقوم فى وقت معين بضعف ماقام به السكير فى نفس الوقت دون ان يصاب بمثل تعبه وكذلك التجارب بشأن تأثير الجوع والظمأ وتحمل المسغبة فى السكير ومن يشرب الخمر اسفرت عن نفس النتيجة وبينت فضل الثانى على الاول ووضحت مضار الخمور بشكل جلى يطابق تجارب تأثير التعب على الاثنين.

بعد ان شرحنا تأثير الكحول على المجموعة العصبية نرجع القارىء الى تتبع المقدار الباقى فى الدم ليرى سلسلة تخريباته .اولا اغلب الكحول يتحول الى حامض الخليك فحامض الكربونيك والماء وهذا طبعا يفرز مع البول بواسطة الكلى وبالطبع ان شدة الحموضة المتولدة عن احتراق الكحول يضعف قوة مقاومة الدم ويهيج الغشاء المخاطى لمجرى البول من الكلى فالحالبين فالمثانة فمجرى البول وبالطبع اذا اشتد التهيج يولدالتهابا حاداً اومزمنا وكل انسان شاهد كثرة التبول الذى يصاب به السكير ومن اشتدت حموضة بوله اما ماتبقى من الكحول فيفرزه الجسم بواسطة الرئة ولهذا ترى نفس الثمل مشبعا برائحة الكحول التى تصبح كريهة بعد ان ازيلت عنها قشور الصبغات والمعطرات وافراز الكحول بواسطة الرئتين يهيج انساجها ويضعف مقاومتها للجراثيم واتساع اوعيتهما بسبب التهيج وسعى الجسم فى التخلص من آلام الكحول يسبب الارتشاحات بل والنزلات الشعبية الحادة والمزمنة وهناك داء آخر يصيب السكير اولا بسبب سرعة انتقاله من طقس شديد الحرارة الى برد قارس وثانيا لضعف رئته عن المقاومة وثالثا وجود الجراثيم المرضية فى المحال القذرة امثال المواخير ومنعكفات الازقة التى يرتطم فى الغالب السكير عندها وهذا المرض هو ذات الرئه الخطير العواقب

ان البعض يعلل شربه الخمور بان برودة الطقس هى السبب المجبر له على ذلك (هذا هو قول اخواننا الشرقيين الذين تفسدهم المدنية بمجرد نزوحهم عن ديارهم) ولكنهم مما تقدم راوا ان الكحول يعيق الاحتراقات من جهة ويكثر تشعيع حرارة الجسم بالجو وانه عسر الاحتراق من جهة اخرى اى انه يتزله

درجة الحرارة ولذا استعمل فى الحميات وهى نتيجة تدحض دعواهم وخير لحضراتهم ان يتناولوا مقادير وافرة من المواد الدهنية والسكرية اذ بذلك يضمنون الحرارة المطلوبة ضد تمريض الجسم لمضار الكحول الفادحة ولنا اسوة حسنة باسكيمو وغيرهم من سكان الاقطار القطبية فهم يقاومون الطقس قبل كل شئ بالمواد الدهنية

يقول بعض الادعياء ان الكحول هو دائرة رحى المجتمعات ومجلبة السرور وانس للاخوان وان الضيافات او التروض بدونه كالطعام بلا ملح وهذا قول فاسد من اساسه ويا ليت شعرى كيف كانت اجتماعات الصحابة ومسلمى العصور الاولى وكيف هى مجتمعات من لايقربون الكحول بالشرق والغرب الا انها لاكثر لذة واجلب للسرور والانس من حفلات السكيرين اذ شتان ما بين اجتماع عقلاء يتجاذبون اطراف اشهى الموضوعات ويدلون الى بعض برائق الافكار وبديع المعلومات يعلوهم الوقار والعقل وترفرف عليهم اعلام الادب والاخاء والحكمة وبين اجتماع زمرة من السكيرين كلما اشتدت بهم نشوة الخمر صخبوا وهاجوا ورقصوا وربما رأيتهم وقد تطايرت منهم الكفوف وتقاذفوا بالزجاجات وتضاربوا بالكؤوس وكفى انهم ان لم يفعلوا ذلك يكون لهم لجب وصخب كعواء الكلاب ونقيق الضفادع يضحكون من لاشئ ويتكدرون لاقل شئ لايفقهون اقوالهم بل هم قطيع مجانين ثم لاتلبث حتى تراهم هذا يتخبط كمن به جنة او مس من الشيطان وذاك يخر كالمصروع وثالث يقئ ورابع يلوث المكان والاخوان بقاذوراته حتى يصبح هذا المجمع اقذر من المرابض ومن اضطبلات بهيمة الانعام وناهيك بما قد يرتكب فيه من المعاصى ويجترح فيه من الجنايات وتنتهك فيه من العروض فهل هذه الاشياء هى مدار الانشراح وسبب الانس والحبور ؟ هذا وليلاحظ القارئ التسممات الناجمة عن غشيان الخمور كما حدث فى برلين فى العام الماضى حيث ظهرت على عدد كبير من السكيرين اعراض تشابه اعراض الكوليرا ومات بعضهم فاهتمت الصحة ومازالت تنقب وتدرس حتى عرفت ان احد اصحاب الفنادق الكبيرة بالنظر الى اقتراب ايام عيد الميلاد غش خموره بكحول الميتيل لرخص ثمنه فكل من شربا ظهرت عليه هذه الاعراض وبما ان معمله هو اكبر معامل برلين فكبريات الفنادق والمطاعم اخذت منه مطلوبها وكانت نتيجة اجتماع السكيرين هلاك البعض ومرض الاخرين ورعب اهلهم هذا فضلا عن التسممات باملاح الرصاص والزرنيخ والانتيمون وغيرها مما يذيبه الكحول من الاوانى .

التي يحفظ بها وهو ماتشاهده في كل وقت وحين فهل هذه لذة المجتمعات في عرفكم ياحضرات السكيرين ؟ اللهم انر بصائرهم واصلح طبائعهم الفاسدة .
يقول بعض مدمني الخمور انهم يحتسون اقداح هذا السم لانه يقوي الباه ويزيد للذة ويحسن خلقة النسل ويكثره وهي دعاو كاذبة تفسدها التجارب الثابتة والحقائق المنطقية اولا كيف يزيد الكحول قوة الباه مع انه كما تقدم يخرب خلايا الجسم ويضعفها ؟ ثانيا كيف يشعرذلك الثمل الفاقد رشده بلذة اوعدمها ؟ اللهم ان النطفة قد يكون بها بعض الكحول فيولد حرارة وحرقة يتصورهـا المخمورلذة ثالثا دعوى تحسين خلقة النسل وزيادته مكذوبة اولا لان نطفة السكير قد تكون خلوا من الحيوانات المنوية اويكون بها كمية منها قد اضعفها الكحول وثانيا ان التجارب التي قام بها الاستاذ استوكارد تثبت باجلي بيان كذب الدعوى والى القارئ خلاصة ابحاثه :
اخذ ارانب الهند وصارينشقها بخار الكحول ستة ايام في الاسبوع حتى ظهرت عليها علائم السكر فاخذ اربعين من اناثها وزاوجها بذكور لم ينشقها بالكحول فخمس وعشرون منها لم تحمل او اجهضت في الاسابيع الاولى وا كلت الامهات مااجهضته من الاجنة .
والخمس عشرة الباقية وضعت ٢٥ ارنبا بدله سبعين (التي هي معدل نتاج الخمس عشرة اذا لم تسمم بالكحول) وكانت نتيجة الخمسة وعشرين ارنبا المولودة كالاتي ٢ نمت وكبرت — ٤ لاتزال صغيرة بيد انهـا يظهر عليها علائم الصحة ساعة المعاينة — ٨ توفيت حال الولادة او بعدها ببضعة ايام — ٤ بقيت في رحم امها عند قتلها اثناء التجربة .
ثم اخذ اربعة وعشرين ذكرا سكيرا اوزوجها باناث سكيرة فكانت النتيجة كالآتي .
١٤ اجهضت في الايام الاول من الحمل اولم تحمل بالمرة .
٥ ولدت ثمانية اموات .
٥ ولدت ١٢ مات منها ٧ بعدالولادة بقليل والخمسة الباقية عاشت واذا ماعلمنا ان معدل ولادة انثى الارانب الطبيعية من ٤ — ٥ اي ان نتيجة ولادة الاربع وعشرين السكيرة تساوي نتاج ارنبة واحدة طبيعية فما ابهرهذه النتيجة وما اشدها تكذيبا لدعوى السكيرين
عرف العالم الغربي مضار الكحول فقام يحاربها رأفة بالانسانية بتحريم تعاطي

الخمور ففى انجلترا ممنوع بيعها لمن كانت سنه اقل من الثامنة عشرة و بالغ الرشد لايصح لصاحب الحان ان يسقيه اكثر من اربع اقداح فى المرة الواحدة وها هو البرلمان سينظر فى جلسات هذا العام القانون القاضى بمنع زواج المصابين بامراض عقلية وهم كما قدمنا اغلبهم من ضحايا الكحول اما فى فرنسا فقد قامت جمعية الاتحاد الوطنى تعترض على تأجيل مجلس النواب فى فبراير الماضى القانون القاضى بتحديد عدد المواخير ذلك القانون الذى سعت الامة فى اعداده منذ خمس عشرة سنه وقالت فى نشرتها ان الندوة (الاكاديمى) الطبية فى سنه ١٩٠٣ وجميع مجالس الولايات والتكايا ودور العجزة رأت الضرورة تحديد عدد اماكن بيع الخمور صيانة للامه من سموم الكحول و طلبت الجمعية من النساء السعى للتأثير فى الرجال و فى الرأى العام لايجاد تيار شديد و تقديم عريضة ممهور من اغلب افراد الامه وخصوصا الامهات اللاتى يهملن سلامة اولادهن و اكدت الجمعية ان الكحول هو من اهم اسباب تناقص النسل بفرنسا و من اشد الواجبات المجاهدة ضده اما فى الدانمارك فقد سلكت الحكومة بها خطة معقولة اولا تحديدها عدد اماكن بيع الخمور و ثانيا تحريم شربها على من كان دون سن الرشد وثالثا بتشددها فى معاقبة السكيرين المعربدين لدرجة انها تعطى من تكرر منه هذا الجرم ثلاث مرات ورقة صفراء تجبره على تعليقها فى صدره حتى يراها كل انسان وبموجب هذه العلامة يرفض اصحاب المعامل استخدام حامليها الاباجر اقل بكثير من امثالهم واباحت لزوج المدمن طلاقه اما فى ايطاليا فقد اجتمع بفلورنسا فى ١٠ نوفمبر الماضى المؤتمر الوطنى لمحاربة الخمور فبحث مضار الخمور بحثا دقيقا وقرر محاربتها مع ان الايطالى لايعتبر من المدمنين لانه يشرب فى السنة ٨٥ لترا من الخمور بينما الفرنسى يحتسى ١٦٣ والبلجيكى يكرع ٢٢٥ اما اهم الطرق التى قررها المؤتمر المذكور فتنحصر فى تشويق المزارعين لاستبدال الكروم بغيرها من المزروعات النافعة وثانيا مضاعفة الضرائب على مصانع الخمور وثالثا زيادة ضرائب الحانات لبضع سنوات و رابعا قر المجلس على اقتراح المحامى روسادى القائل باعتبار السكر جريمة والقاء القبض على السكير وزجه فى السجن حالا مبررا اقتراحه بان قدماء اليونان كانت تعاقب السكير اذا ما اجرم مرتين واحدة عقابا على نفس الجرم والثانية على سكره ولقد بلغ من تشدد بعض مقاطعات الولايات المتحدة ان منعت استعمال الكحول من الداخل حتى بصورة

علاج ولذا قررت الاستعاضة عن خلاصات وصبغات بعض العقاقير التي تستخرج بواسطة الكحول بمغلي او منقوع العقاقير المذكورة واخذت تضيف الى الكحول العادي بعض صبغات الانلين السمية منعا للناس عن احتسائه ولقد عاب البعض هذا التشدد ولكنها مع اعترافها بفوائد الخلاصات والصبغات بل و نفس الكحول اذا ماوصف بواسطة الطبيب بمقادير قليلة فى حالات معينة نرى ان اثمه اكبر من فائدته كما يقول القرآن العظيم ولهذا تحرمه تماما اى انها تتبع نص ديننا الحنيف

هذه ايها القارئ اعمال ومجهودات حكومات وامم الغرب التي ليس من اوامر دينها تحريم الخمور فماذا عملت الحكومات الاسلامية لمحاربة هذا الداء العضال ؟ الخمور المغشوشة السامة تباع بازهد الاثمان وفي القرى والدساكر حتى فى الحوانيت التى لم تأخذ رخصة ببيعه ولم نر الحكومة تفتش على المصانع وتثقل كاهل اربابها وحانات الخمور بفادح الضرائب ان لم تتمكن من منعها بتاتا ولم نرمن علمائنا من يقوم مثل رئيس اساقفة انجلترا منددا شاربي الخمور مفرطا فى شرح مضارها ومن الخجل ان نرى المتعلمين يعتبرون احتساء هذا السم من علائم المدنية ولم نر محاكمنا تنفذ الاحكام الشرعية على السكير ولا المجالس النيابية تسن اللوائح النافعة فى هذا الباب كما يفعل الغربيون فيالله من هذا التأخير ويا اسفاه علينا من جراء هجرنا اوامر ديننا الحنيف :

اذا كانت الامة العربية عند ظهور الاسلام قد كبحت شهواتها و تغلبت على اهوائها وهي البدوية الجاهلة يومئذ فامتنعت عن شرب الخمور فى بحر اربع سنوات تدريجيا فهل لنا اليوم ونحن ندعى التمدين والعقل ونصف انفسنا بالتفقه والحكمة ان نجاريها فى هذا الباب بعد ان تبينت لنا مضار الكحول الجسيمة ان سنة واحدة كافية لترك السكير الخمر تدريجيا لوكان شديد العزيمة حديدى الارادة واربع سنوات كافية لكل انسان مهما بلغ ضعف ارادته وما هي الاهمة تبذلها الحكومة وحركة تقوم بها الفئة المتعلمة وجماعة الشيوخ حتى تقف هذا العدو عندحده ولنا من الرياضة البدنية واكل المواد السكرية خصوصا العسل الاسود وخلاصة المالتين فى الاوقات التى كان من عادة السكير احتساء الخمور فيها خير معين على قطع دابره فهل تنال هذه البغية حتى نوفق الى المحافظة على انفسنا واولادنا باتباعنا او امر الدين الحنيف وهل لايعتبر من اقطع الادلة على

صدق القرآن ان احكامه المنزلة على النبي الامى صلى الله عليه و سلم تطابق تماما احدث واصدق ابحاث العلوم الحديثة فى القرن العشرين فلنحمد الله الذى هدانا بفضل هذا الدين المبين فلنتبع احكامه بكل دقة والسلام على من استمع القول فاتبع احسنه .

احمد فؤاد

ـ(اسئلة واجوبتها)ـ

حضرة الاستاذ منشئ مجلة الهداية الغراء

نرجو منكم ان تنشروا فى مجلتكم جواب الاسئلة الآتية

(١) متى كان تحريم الخمر وهل وقع التحريم تدريجا ام دفعة

(٢) ماهى ليلة القدروما المقصود من التماسها فى اوقات مخصوصة

محمد عبد الكريم

الهداية (١) — قدروى فى بيان وقت تحريمها روايات عدة سردها اصحاب الحديث ببعض ترجيح وامثل آرائهم ماجاء فى شرح الزرقانى[١] لموطأ الامام مالك رحمه الله اذقال وروى اصحاب السنن عن عمر انه قال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت آية ـ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ـ فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت آية ـ لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى ـ فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت آية

(١) جزء رابع صفحة ٢٩

المائدة وهى قوله تعالى ـ انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ـ قال عمر انتهينا .

قال الزرقانى و بحديث عمر قد يجمع بين الاقوال الثلاثة باحتمال ان كل مرة كانت فى سنة من السنين التى جاءت فى تلك الاقوال وهى السنة الرابعة والسنة السادسة والسنة الثامنه اهـ

ونحن نقول ان تحريم الخمر لاشك وقع تدريجا لان العرب فى الجاهلية كانوا يألفونها ألفة لايسهل معها اقلاعهم عنها اذا حرمت لاول وهلة . والذى يؤخذ من العبارة السابقة ان الآيات الثلاث نزلت فيما بين السنة الرابعة بعد الهجرة والسنة الثامنة منها . وقد اثبت علماء الحديث ان آية المائدة نزلت قبل فتح مكة . و من هذا يفهم ان مابين آية البقرة (الاولى) وآية المائدة التحريمية (الاخيرة) يكاد يكون ثلاث سنوات او تزيد شيئا قليلا فان فتح مكة وقع فى شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة النبويه.

الجواب (٢) — كثرت اقوال المفسرين فى شرح ليلة القدر وخواصها ومايجب ان يعمل فيها و سردوا من الاحاديث مالا يكاد يصح منه فى هذا الباب شئ (١) والذى نراه ان ليلة القدر هى ليلة الضيق التى نزل فيها الوحى على المصطفى وهو يتعبد فى غار حراء على نحو قوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه) اى ضيق عليه رزقه . قال هشام بن الكلبي (٢)

(١) قد سرد ابن كثير احاديث الباب و بين ما فيها من غرابة او نكارة او ضعف او اضطراب فارجع الى الصحيفة ٢٥٢ و ماتليها من الجزء العاشر من النسخة المطبوعة بحاشية فتح البيان .

(٢) راجع الجزء الثانى من تاريخ الكامل لابن الاثير صفحة ١٧

اتى جبريل النبي اول ماأتاه ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهرله بالرسالة يوم الاثنين .

وإذا كانت هاتان الليلتان او احداهما كما هورأى بعضهم مظهر ذلك النور القدسى و مهبط تلك الشريعة السمحة كان حقا على المؤمنين احياؤها بالقيام و ترتيل ذلك الفرقان الذى نزلت اولى آياته بها ليخرج الناس من الظلمات الى النور و ليبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ما كثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذالله ولدا مالهم به من علم ولالآبائهم . ولاجرم ان ليلة تكون بعناية الله بالبشر مبدأ تلك الآيات الباهرة والاحكام الكفيلة لسعادة من يتمسك بها جديرة انتكون خيرا من الف شهر . ولم يكن تعيين هذا العدد قصدا الى الحصر اواشارة الىمدة دولة بنى امية اونحوها مما اسرف المفسرون فى بيانه وافاضوا فى تفصيل هذيانه وانما هى سنة القرآن المجيد فى سلوكه طريقة العرب اذ ذاك فقد كانوا يذكرون الالف والآلاف و هم لايعنون مقاديرها وانما يقصدون المبالغة والكثرة .

و من شاء ان يعرف مبلغ الضيق الذى اصاب المصطفى الكريم فى اول بدء الوحى فقدروى المحدثون عن عائشة قالت كان اول ماابتدئ به الرسول من الوحى الرؤيا الصالحة كانت تجئ مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان بغار حراء يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ثم يرجع الى اهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق فأتاه جبريل فقال يا محمد انت رسول الله قال فجثوت لركبتى ثم رجعت ترجف بوادرى فدخلت

على خديجة فقلت زملونى زملونى ثم ذهب عنى الروع ثم اتانى فقال يا محمد انت رسول الله قال فلقد هممت ان اطرح نفسى من حالق فتبدى لى حين هممت بذلك فقال يا محمد انا جبريل وانت رسول الله ثم قال اقرأ قلت وما اقرأ قال فاخذنى فغطنى ثلاث مرات حتى بلغ منى الجهد (الحديث) .

ومن هذا الحديث واشباهه المتواترة يتبين ان ليلة بدء الوحى كانت ليلة القدر والضيق الشديد على الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد نوه الكتاب الكريم بشأن هذه الليلة وضحوة غدها اذ اقسم بهما رادا على من قالوا تشفيا او أسفا ان رب محمد ودعه و قلاه فقال (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك و ماقلى)

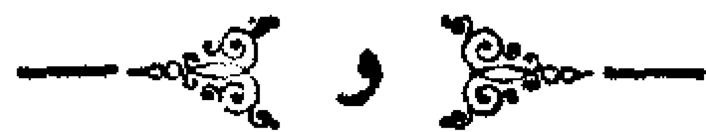
حضرة الاستاذ مدير الهداية (سؤال)

اختلف رجلان فيما تكثر روايته من قولهم (اترك الترك ماتركوك) أحديث صحيح ام من العبارات الشائعة على الالسنة فنرجو من فضيلتكم البيان .

مشترك

(الهداية) الحديث المتقدم موضوع آفته مسلمة قال ابن حبان ومسلمة هذا يضع الحديث .

(طرابلس الغرب)



﴿ العالم الاسلامى ﴾

عرف العالم الاسلامى مآل الاتفاق الذى ابرم بين ايطاليا و بين الدولة العثمانية فى المسألة الطرابلسية كما عرفوا نصوص الاوامر العالية

التي اصدرتها الدولة العلية بمنح طرابلس و بني غازى الاستقلال الادارى وتعيين نائب عن السلطان فى طرابلس الغرب يمثل جلالته فيحافظ على تلك المقاطعات الافريقية (١)

يسمى الفرمان السلطانى ذلك (مختارية طرابلس و بنى غازى) وفسرت هذه المختارية فى المادة الثالثة من ذلك الفرمان كما يأتى:

« تدار مقاطعات طرابلس و بنى غازى بالقوانين الجديدة والنظامات المخصوصة الموافقة لاحتياجات البلاد و عاداتها ولاجل تأمين ذلك تطلب معاونة الاهلين فى أثناء وضع تلك القوانين والنظامات بناء على الوصايا والاشعارات

ان هذه المادة على مجيئها فى معرض تفسير الاستقلال الداخلى لمقاطعتى طرابلس و بنى غازى لم تبين لنا مديرها ولا من الذى سيشارك اهليهما فى وضع القوانين والنظامات اهو نائب السلطان ام غيره ؟ بيد ان المادة الثالثة تدل بعض الدلالة من طرف خفى على ان نائب السلطان هو الذى سيكون واليا لادارة تينكم المقاطعتين .

نترك البحث فى نص الفرمان السلطانى و مغزى عبارته الى النظر فى قانون ايطاليا فى طرابلس الغرب المنشور فى الجريدة الايطالية الرسمية فان فى عباراته مايضارب عبارة ذلك الفرمان وينطق صراحة بان ايطاليا اصبحت صاحبة الامر والنهى فى تلك الارض وليفهم القراء معنى الاتفاق العثمانى الايطالى فى طرابلس يكفى ان نقتطف المادة الثالثة

(١) راجع المادة الثالثة من الفرمان السلطانى

من ذلك القانون وهى كما يتلى : المادة الثالثة ان المأمور المخصوص الذى يعين من قبل السلطان انما هو مأمور بالمحافظة على المنافع العثمانية وحقوق العثمانيين . والعثمانيون هم الذين يقيمون فى ولاية طرابلس الغرب بعد اعلان حاكمية ايطاليا فى ٢٥ كانون الثانى سنة ١٩١٢

فهذه العبارة صريحة فى ان طرابلس و بنى غازى اصبحتا ايطاليتين وان سكانهما من رعايا حكومة ايطاليا ليس لاحد التداخل فى شئونهم وما ممثل السلطان هناك الا سفير للدولة العثمانية لاعلاقة له الا بالعثمانيين الذين يقيمون فى تلك البلاد بعد اعلان تلك الحاكمية الايطالية .

فلنترك الآن البحث فيما كان من الاتفاق و مواده ولنكف عن الخوص فى هل كان من الضرورى عقد تلك المصالحة والبحث فى امر تعيين المسئول عن ضياع تلك البقعة الوحيدة التى كانت للعالم الاسلامى بافريقية كالحنجرة للانسان يتنفس منها . نترك الخوض فى جميع ذلك الآن مكتفين ببيان مايجب على العالم الاسلامى بعد ان قطعت الدولة لامرما صلتها بالعرب المجاهدين فى تلك الديار النائية و بعد ان اعترفت انجلترا وفرانسا و المانيا و غيرهن بامتلاك ايطاليا لتلك البلاد الاسلامية

من المعلوم ان اهل طرابلس اصبحوا بعد عقد الصلح افريقيين منهم من اسلم نفسه لايطاليا ورضى برعايتها وحكمها و هم سائر من يقطنون دون الجبل الغربى فاما الفريق الثانى فهم سكان الجبل الغربى وما وراءه من الجنوب و زعيم هؤلاء الشيخ سليمان البارونى ذلك

المسلم الغيور المقدام . وهؤلاء قدبايعوا الله تعالى على الموت فى سبيل حماية دينهم وبلادهم دون كل طامع .

اما فى ولاية بنى غازى فان جميع اهليها ماعدا سكان مدينتى بنى غازى ودرنه فانهم تبايعوا على الدفاع عن بلادهم واصروا عل الحرب مهما حملتهم من الارواح والمال . هذه هى الحالة الحاضرة لمن يريد ان يتدبر الامر و يفكر فيما يجب عمله ازاء تلك الاراضى الاسلامية التى دخلت فى حوزة الصليب بسبب غفلة حكامها وجهل اهليها . و لقد شعر البطل العظيم انور بك القائد العام لجيوش بنى غازى بهذه العاقبة المؤلمة فكتب الى رسالة بتاريخ ١٠ ايلول سنة ١٣٢٨ رومية يدعونى بها الى السعى و راءحث المسلمين على مداومة الاكتتاب بالمال فى سبيل اعانة مجاهدى افريقية هذا نصه

من مركز الجيش العمومى بعين المنصورة

عزيزى عبد العزيز جاويش

يفهم من طرز جريان المذاكرات الصلحية كما تفهمون حضرتكم ايضاً ان الحكومة متهافتة على الصلح على اى حال. وبالطبع حيثما يجرى الصلح تنقطع معاونة الدولة عنا ومعلوم ان من الشين والمعرة على جميع العالم الاسلامى تسليم هذه الاماكن التى دافع عنها رجالها دفاع الابطال الى ايطاليا بلا سبب سوى قلة المال و بناءً على ذلك يجب السعى على كل حال فى جمع الاعانة و ارسالها من الآن الى حضرة دولتلو عمر

طوسون باشا (بالاسكندرية بمصر) حتى يكون لدينا مقدار كاف من الاموال احتياطاً و فى الختام اعرض لفضيلتكم و جميع الاحباء سلامى واحترامى

القائد العام للجيش ببنغازى

انور

من هذا يتبين للعالم الاسلامى انهم هم المسئولون اليوم عن صيانة تلك النفوس العالية التى اذا قت على قلتها احدى الدول العظمى العذاب والنكال اكثر من اربعة عشر شهرا والتى ستذيقها فى المستقبل اكثر و امر مما ذاقت

فعلى الشعوب الاسلامية فى اطراف الارض ان يؤلفوا لهذا الغرض السامى اللجان الخيرية وان يبايعوا الله على امداد اولئك المجاهدين بالمال ماداموا واقفين ارواحهم على حماية دينهم واوطانهم .

ولقد اخذ بعض المرجفين يخلق الشبهات والظنون السيئه لعودة انور بك من تلك الارض وماهم الا مبطلون . ذلك ان انور بك كما هو معروف بديهى رجل الاسلام ومجدد مجده فى هذه الايام . ولا ريبة لاحد فى ذلك الرجل العظيم وكان خيرا ان يترووا و يتمهلوا حتى يعلموا سبب عودته وهل كان مجيئه بعلم سيدى السنوسى اوخلسة وهل هو عائد لاستئناف جهاده العظيم بعد ان تضع حروب البلقان اوزارها

قرأنا ما كتب فى صدد دعوة انوربك فجعلنا ننتظر مقدمه كيما نسأله رأيه فى ذلك . و قدكان مارجوناه فلقد قابلناه فى منزله ثم جرى بنا

الحديث حول عودته واسبابها وهلم جراوهنا نقتطف للقراء نص بعض عباراته اذ يقول انى اسست دوام المقاومة ببنغازى الى الابد وكذلك توفقت للاتيـان متنكراً بسرعة الى مركز الخلافة لاجل منافع مهمة تتعلق بالملة الاسلامية العثمانية . وكذلك تركت بنغازى من اجل مسئلة عظيمة معلومة لدى السـيد احمد الشريف السـنوسى و لا استطيع ان ابوح لكم ببعض التفصيلات فى شـأن هذا السبب العظيم ملاحظة للمنافع الاسلامية . نصر الله الاسلام و وفق المسلمين فى كل بقعة من الاوطان اما الجرائد التى كالمؤيد وامثاله فسيصيرون خجلين ونادمين على الافترآات التى درجوها حينما يعرفون الاسباب الحقيقيه لسياحتى.

س ـ ثم سألته هل تعودون الى بنغازى ؟ فقال :

ح ـ اما الآن فانا جندى بالمعسكر العثمانى متبع كل اوامر الحكومة واما عند اللزوم فاقدم استعفائى من سلك الجندية فاصبح حراوعندذاك احمل كل المسئولية على شخصى وعاتقى باعتبـار كونى عثمانياً حراً واخدم ملتى ودينى باى محل اردت فعلى العالم الاسلامى جميعه ان يؤلف اللجان ويجمع المال حتى يتمكن أولئك المجاهدون الابطال من مقاومة حكومة الطليان الصليبية التى تريد الاشتراك مع دول اوربا الاخرى فى محو معالم الاسلام من افريقية و ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

—{ مؤتمر الوندره }—

بينما كانت المعارك دائرة حول شاتلجه فى شهر نوفمبر اراد كامل باشـا الصدر الاعظم الحالى ان يدخل مع الحكومات المتحاربة فى مخـابرات مؤدية الى الصلح فدارت المخابرات الابتدائية بين ناظم باشـا وبعض المندوبين العثمانيين من جهة

ومندوبي الحكومات البلقانية المتحدة من جهة اخرى فى قرية باغچه كوى للاتفاق على وضع شروط المهـادنة اللازمة لاجل الشروع فى مخابرات الصلح فتم الاتفاق على الهدنة .

و فى الحقيقة ان الهدنة كانت ضرورية للجنود البلغاريين اكثر مما كانت ضرورية لجنودنا بالنظر لابتعاد البلغـاريين جداً عن بلادهم ومركز حركاتهم الحربية و خطوط مواصلتهم ولان الامراض والاوبئة كانت قدتفشت فيهم بدرجة لاتحتمل ولان اسطولنا ابلى فى جناحيهم من جهتى ترقوس وبيوك شا كمجه ابلاء حسنا فضلاً عن استطالة الشراكسة واللاظ والاكراد على القلب و قتلهم آلافاً من البلغاريين ولهذا لم يتأخر البلغاريون عن التساهل نوعاًما فى شروط الهدنة.

واختارت الحكومات البلقانية المتحدة لوندره مركزاً للمفاوضات فعقد فيها المؤتمر وذهب مندوبو الحكومات الخمس اليها مفوضين من قبل حكوماتهم .

وفى هذه الاثناء كانت مقدونيـا والبانيا محتلتين بالجنود البلغـارية والصربية والجبلية واليونانية فرأت الدول الاوربية ولاسيما دولتا النمسا و ايطاليا عقد مؤتمر من سفراء الدول الست الكبرى ليقرر حالة لالبانيا وليضع مبـادىء تسير بموجبها الحكومات البلقانية والحكومة العثمانية فى مفاوضات الصلح .

واول واهم ماقرره مؤتمر السفراء الذى عقد بلوندره ايضـا اثناء انعقـاد مؤتمر الصلح أعطاء البانيا استقلالاً داخليا تاما و جعل احد الثغور المشرفة على الادرياتيك دولياً و ايصـال سكة حديدية اليه من الحدود الصربيه ليكون هذا الثغر الحر منفذاً للمتاجر والمصنوعات الصربية على ان تكون هذه السكة الحديدية دولية ايضا .

اما مؤتمر الصلح فقد كانت اولى جلسـاته مختصة بعرض اوراق الانتداب فابى المندوبون العثمانيون قبول المفوضين اليونانيين فى المؤتمر لان اليونان لم تقبل المهادنة فاحتج مندوبو البلقان بان المفاوضات كانت دائرة بين المندوبين العثمانيين والايطـاليين مع عدم انقطاع المحاربة بين الدولتين فأوضح المندوبون العثمانيون ان تلك المفاوضات لم تكن رسمية ولم يعقد لها مؤتمر وانما سارت بطريقة خاصة ادت الى عقد الصلح النهائى بين الطرفين فليس هنالك شـبه بين الحالتين فاصر المندوبون البلقانيون على عدم الدخول فى المخابرات الا اذا كان المندوبون اليونانيون مشتركين فى المؤتمر . فرفع المفوضـون العثمانيون الامر الى الباب العالى فحسم كامل باشا الاشكال باجابة الحكومات البلقانية الى تحكمها .

ثم درات المباحثات حول الموضوعات التي يجب الخوض فيها للوصول الى الصلح فكان هم البلقانيين الحصول على مقدونيا وعلى ولاية ادرنه وابقاء مايلي نهر التراس الى شبه جزيرة غاليبولي للحكومة العثمانية والاستيلاء على جزر الارخبيل باسرها . اما العثمانيون فاظهروا الرغبة في منح ارض من ولاية ادرنه مع بعض الجزائر المجاورات للشاطئ الاسيوى والكائنة على مدخل الدردنيل . وهنا اشتد الخلاف بشان مدينة ادرنه لانها في الحقيقة ذات معقل منيع وهي قلعة مرعش ولاسيما لان حاميتها قد اظهرت من الشهامة والبلاء الحسن في الدفاع ماليس يمحى من التاريخ العثماني ابد الدهر .

وفي هذه الاثناء طرأ على الحكومة العثمانية طارئ جديد جعلها تشعر بقوة جيشها الرابض في شاتلجه واستعداده لاتخاذ خطة الهجوم لا الاكتفاء بخطة الدفاع . فارسلت تعليمات جديدة الى المفوضين العثمانيين تقضي بعدم التنازل عن شئ من اراضي ولاية ادرنه للبلغار بل الاقتصار على تعديل الحدود بما يضمن بتاتا انقطاع المشاكل والخصومات في المستقبل واخراج المناقشة في امر الجزر من موضوعات المؤتمر لان جزر الارخبيل ليست من الاراضي البلقانية وهي فضلاً عن هذا السبب معتبرة من الاراضي العثمانية الاسيوية فلا دخل لها في المنازعات الاوربية . فلما احتج المندوبون البلقانيون على هذا التطور الجديد الذى طرأ على سير المفاوضات قال المندوبون العثمانيون ان الدولة العثمانية انما تعمل وفق رغائب الحكومات البلقانية والدول و بما ان تلك الرغائب كانت متجهة الى ادخال اصلاحات في الروملي فقد قبلت الدولة العثمانية ادخال اوسع الاصلاحات وانجعها في مقدونيا والبانيا بمنحهما الاستقلال الداخلي التام . فدارت المناقشات بشدة بين الطرفين و قال المفوضون البلغاريون ان المندوبين العثمانيين لم يراعوا حالة الحرب و مركز الحكومة العثمانية الحاضرة وعلى ذلك طلب البلقانيون من العثمانيين عرض شروطا اخرى اكثر تساهلاً واقرب تناولاً غير انهم حينما آنسوا من الحكومة العثمانية الاصرار على ماقررته قدموا انذاراً كتابيا في يوم ٣ يناير الجاري للمندوبين العثمانيين بان المخابرات تنقطع اذا لم تعرض شروط اخرى تقضي بالتخلي عن مدينة ادرنه و عن جزر بحر سفيد بما فيها كريت بلا قيد و شرط و ضربوا موعداً للجواب الساعة الرابعة بعد يوم الاثنين ٦ يناير غير ان المندوبين العثمانيين اجابوا بانهم لايقدمون الجواب في اليوم التالي . وكان جواب الباب العالي الاصرار على شروطه وارسل منشوراً الى سفراء العثمانيين لدى الدول الاوربية الكبرى يخبرهم فيه ان يشعروا هذه الدول بان الحكومة العثمانية قد فعلت كل ما في وسعها لابرام الصلح غير ان الحكومات البلقانية اصرت على مطالبها التي لايمكن قبولها ابداً .

وفى يوم الاثنين اجتمع المندوبون العثمانيون بالمندوبين البلقانيين وافهموهم ان الدولة العلية ان تتنازل عن ولاية ادرنه ولا عن جزر الارخبيل وكل مافى استطاعتها تنازلهـا عن كريت و عن الأراضى الواقعة غرب ولاية ادرنه و ان الملاقات والمفاوضات ستنقطع اذا اصرا المندوبون البلقانيون على مطالب حكوماتهم. فتشاور المندوبون البلقانيون فيما بينهم و قر اخيراً قرارهم على قطع المفاوضات. وعلى ذلك فان الحرب ستعود ثانية اذا لم تتداخل الدول الاوربية و تداخلهن بصفة فعالة مستبعد الآن .

—﴿ جمعية التربية الاسلامية ﴾—

قدم دارالسعادة منذ شهرين تقريبا ذلك المسلم الغيور محمد شريفى باشا موفدا من قبل جمعية الهلال الاحمر المصرى .

وبعد ان قضى بضعة ايام اخذ يفكر فيما فيه المسلمون من الشقاء فلما ايقن ان مبعث هذه الحالة السيئة ومنشأ ذلك المستقبل المروع ماعليه المسلمون من الجهالة المطبقة والاعراض عن الصناعات والحرف والتجرد من الاخلاق الدينية الفاضلة فحركة الغيرة الملية والحمية الاسلامية لايجادنهضة علمية عملية بين الشعوب الاسلامية لاسيما العثمانية يكون اساسها الاسلام الصحيح و طلب الاستقلال الاقتصادى والصناعى اللذين هما دعامتا الاستقلال الاقتصادى والصناعى اللذين هما دعامتا الاستقلال السياسى وركنا حياة العالم الاسلامى وقد دعالذلك عدة من انجب رجال الامة العثمانية جمعت التركى والعربى والچركسى كما جمعت بين افرادمن مختلف الاحزاب السياسية رجاء ان يوفق الله بعضهم و رغبة فى أن يكون هذا العمل فاتحة التأليف بين المختلفين حتى يعمل جميع افراد المسلمين على اسعاد حالهم و اصلاح شؤنهم واعلاء منزلتهم العلميه والاقتصادية حتى ينافسوا غيرهم من الامم فى مضمار الحياة الصحيحة .

وقد توج هذا المشروع الجديد العظيم برياسة سمو الامير يوسف عزالدين افندى ولى عهد السلطنة كما وضع بالفعل قانون نظامها كتب الله النجاح آمين آمين.

—﴿ اعانة مهاجرى روم ايلى ﴾—

تمت اعمال اللجنة المؤلفة من دولة الامير سعيد حليم باشا رئيسا وحضرات محمد شريفى باشا و محمد زكى بك واسمعيل حقى بك لتوزيع اعانة الامة المصرية فبلغ ما انفق ٢٣٠٠٠ ليره انكليزية قدمتها الامة المصرية لتخفيف ويلات اخوانها مهاجرى الروملى .

الجزء الثاني السنة الرابعة

الهداية

[تصدر في الاستانه سلخ صفر سنة ١٣٣١]

اسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ
مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ
وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ
إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ
الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ .

يتدبر الانسان الايات الكريمة وما تضربه من الامثال وما تسرده من قصص الامم اليهودية والنصرانية والمجوسية فكأنما نزلت فى الامم الاسلامية انفسها . ولقد سارع الفساد والاعوجاج الى العالم الاسلامى منذ القدم حتى انه يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال فى قصة بنى اسرائيل [١] ان بنى اسرائيل قد مضوا وانكم انتم تعنون بهذا الحديث .

تلك آية تشرح لنا كيف كتب الله الخزى والمسكنة على بنى اسرائيل وكيف ان الله نقم منهم اقرارهم وشهادتهم على انفسهم انهم قبلوا ميثاقه وعهده الذى اخذ عليهم اذ ارسل اليهم موسى باحكام التوراة القدسية الا يسفك بعضهم دماء بعض والا تظاهر طائفة منهم غير اهل التوراة من المشركين على اخوانها فتأثم بمحاربتها والعدوان عليها. هكذا فعل بنو اسرائيل على عهد النبى الاكرم وذلك ان قريظة وهم من اليهود كانوا حلفاء الاوس المشركين وكانت النضير وهم من اليهود ايضا حلفاء الخزرج المشركين فكان كل فريق من اليهود يقاتل مع حلفائه المشركين واذا غلبوهم خربوا ديارهم واخرجوهم من ارضهم واذا اسر المشركون رجلا من اليهود اجتمع الفريقان من اليهود فجمعا المال ليفتدوه من الاسر .

ولقد كانت العرب تعير اليهود بذلك ويقولون لهم كيف تقاتلونهم وتفدونهم قالوا انا امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم . قالوا فلم

[١] راجع الطبرى جزء اول ـ صفحة ٣٠٢

تقاتلونهم؟ قالوا انا نستحي ان تستذل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم جل وعز بقوله (ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان)

قاتل اليهود بعضهم بعضا متظاهرين بالاثم والعدوان مستبيحين حرمات كتابهم وتعاليم الههم جاهلين ما ينجم عن تفرقهم وتعاديهم من النتائج المؤلمة لقلوبهم المخربة لبيوتهم الماحقة لاستقلالهم القاضية على وجودهم .

جهلوا عاقبة التقاطع واتخاذ بطائن من دونهم فوهت اركانهم وانكسرت شوكتهم وذهبت ريحهم وتقاسمتهم الامم الفاتحة فانقلبوا عرضة لفتك الفاتكين ومظالم الطغاة الجبارين فى كل مكان وحين ولو انهم اتقوا اسباب التنافر وتدبروا عاقبة الاستظهار بغير اخوانهم فى الدين لدام سلطانهم وعظمت شوكتهم واسترهبوا اعداءهم فلم ينقلبوا مشردين فى كل زمان تطاردهم الامم اينما ثقفوا. ولكن بايديهم كانوا يمزقون شملهم ويخربون بيوتهم ويظاهرون اعداءهم على اخوانهم من اهل ملتهم (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا)

رغب اليهود فى متاع الحياة القريبة وقنعوا بما يفيدهم تحالفهم مع مشركى العرب فكانت طوائفهم تعمد الى احدى القبائل العربية الوثنية فتحالفها ثم تقاتل معها القبائل الاخرى ولو افضى ذلك الى سفك دماء اخوانهم فى الدين وما ذلك الا طموحا منهم الى الاستعزاز بمن يحالفون من القبائل وطمعا منهم فيما يرتقبون استفادته من حطام الدنيا وما

يستمتعون به فى ايامهم العاجلة غافلين عما يؤول اليه امرهم اذا انفرط عقدهم وتمزق شملهم وتمكنت العداوة والبغضاء بينهم جاهلين كيف يكون مصير التقاطعين من الامم غير معتبرين بما جلبه التفرق على الممالك العظيمة من الاضمحلال والزوال

اشترى اليهود متاع الحياة الدنيا القريبة الزهيدة حياة انفسهم باعتبارهم فرادى متناكرين بذلك المتاع الخالد النبيل متاع حياتهم المستقبلة باعتبارهم امة مستقلة حاكمة . ولقد حقق الله توعده اياهم اذ قصر شوكتهم وعزتهم على تلك الايام التى تعجلوا فيها الشوكة والعزة ثم كتب عليهم وعلى سلفهم الهوان والذل فيما بعد ذلك من الدهور وكذلك عاقبة من يشترون المتاع العاجل القليل بالمتاع الآجل العظيم فقضى الله ان يدوم عذابهم فى الدنيا شديداً عليهم غير مخفف عنهم حتى اذا ارهقتهم المظالم واحاطت باعناقهم اطواق الاستعباد وسامتهم الامم الخسف والنكال لا ينالون النصر على اعدائهم ومستعبديهم ولو بحت اصواتهم بالدعاء وشدت اهدابهم بنجوم السماء . ذلك وعد الله لا يخلفه فكم من أمة عتت عن امر ربها واستخفت بوحدتها وجامعتها واعرضت عن طلاب المتاع الباقى والحياة الملية الاستقلالية قانعة افرادها بذلك العرض القليل الذى ينالونه فى ايام حياتهم العاجلة فتطرق الضعف اليها وتمكنت معاول الفناء من اركان وجودها فتنقض بنيانها وتداعت صروحها فزالت عينا وأثرا ولم تلبث ان طواها سجل الامم البائدة .

ملك اليهود كثيرا من الارض فكانوا المسيطرين الحاكمين ولكنهم

بعد ذلك زهدت نفوسهم وسفلت مآربهم وقنعوا بما يستعجله بعض افرادهم فى حياتهم من مال يستزيده اوجاه يستفيده اوغل يستشفيه او شريتقيه فلم يبالوا اذ ذاك ان يقطعوا ما امر الله به ان يوصل ويفسدوا فى الارض ثم لم يبالوا ان ينقضوا عهد الله وميثاقه فيسفكوا دماء انفسهم بايديهم مظاهرة لحلفائهم من عبدة الاصنام وطابا لزهيد المال والجاه . ولقد خلت سنة الله فى يهود ثم توالت آيات القرآن المجيد لتبصير المسلمين عاقبة الانقسام وحضهم على التزام الاخاء الذى عقده الله بين افراده بقوله (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) ولكن هل تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يعقلون ؟

قص علينا القرآن من نبأ يهود مالو تدبرنا مثلا واحدا منه لما تضعضعت اركان الاسلام ولا ادبرت الحياة السياسية للمسلمين .

آخى الله تعالى بين المسلمين فى قرآنه ومثلهم الرسول الاكرم فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر (١) فمن من الامم الاسلامية منذ اجيال وقرون تعاملت فيما بينها طبقا لذلك الميثاق الذى اخذه عليهم القرآن الكريم. واى تلك الامم اصابها الم او نزلت بها كارثة فالم لذلك غيرها . لنترك التمثيل بما كان بين المسلمين من المنازعات والمحاربات والمغازى والغارات منذ عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه الى الجيل الفارط فقد

(١) الجزء الثالث من السراج المنير على الجامع الصغير صفحة ٢٧٤

سجل هذا الجيل الحاضر على نفسه من ضروب المخازى والسوآت ما تنفطر له اكباد المسلمين ويشقى به مستقبل الاسلام فى كل مكان .

اؤلئك مسلمو البربر والعرب فى مملكة الادارسة بالمغرب الأقصى مازالوا يتناطحون ويتجالدون ويتصارعون حتى خارت عزائمهم وتقطعت أوصالهم وتباينت مذاهبهم ومشاربهم فانقلبوا لغيرهم من الامم الفاتحة طعمة سائغة هنيئة حتى ان حكومة فرنسا لم تبذل فى سبيل بسط حمايتها على ملكهم الواسع العريض روحا واحدة ولم تكسر فى سبيل محو استقلالهم القديم سيفا واحدا ولقد تنازعت قبل ذلك الامة المصرية وتخاصمت ثم تناكر زعماؤها وعامتها تناكرا انتهى بذهاب ريحهم وزوال استقلالهم وانقلابهم رعايا للحكومة المحتلة دون طعن ولا نزال .

واذا شئنا احدث الامثال واشد الحوادث ايجاعا وايلاما فقد كان الفرس وهم بين شقى المقص يتنازعون السلطان ويسرفون فى التباغى والتعادى حتى اكلت الحروب الداخلية رجالهم وابتلعت اموال خزائنهم فقلت حاميتهم ونضب معين ثروتهم ووهنت قواهم فلما ارادت روسيا وانجلترا تقاسم ملكهم ومحو استقلالهم اعملتا ذلك المقص فى اوصالهم الهينة اللينة فقطعتها وما كان ايسر امرها عليه .

وما لنا نشط بالقراء فنضرب لهم الامثال البعيده وها هى تلك الامة العثمانية التى لم يبق من الامم الاسلامية مستقلا سواها قد اشتد اللجاج والخصام بين افرادها وجماعاتها حتى اننا لنرى كبار رجالها وزعماء

سياستها قد شغلتهم مكايدهم لانفسهم عن المصالح الدولية العامة وصرفتهم دسائسهم الداخلية عما يكيد لهم وللاسلام كافة اعداؤهم فهم اليوم يمثلون تلك الحركات المشئومة التى قضت على مصر بالاحتلال وعلى مراكش وفارس بالمحو والزوال .

فهل تطابق تلك الاعمال الممقوتة المرذولة شيئا من تعاليم دين الله القويم وآيات قرآنه الكريم ؟ ان القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً حسنا ماكثين فيه ابدا .

جاء الاسلام بالتوحيد المطلق حتى جعلنا أمة واحدة (وان هذه امتكم امة واحدة) فكيف نزعم اننا تلك الامة وقد مزقت شملنا المنازعات العصبية والبدع المذهبية والشهوات الذاتية والمطامع الاشعبية.

لقد بين لنا القرآن الكريم ان بنى اسرائيل تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءتهم البينات من امرهم ثم حالفوا غير اهل ملتهم حتى سفكوا فى ذلك دماء اخوانهم واستباحوا ماحوت بيوتهم من متاع وأثاث فكان جزاؤهم الذل والهوان والخزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم. فما ذا عسى ان يكون مصير من اقتفى آثارهم واتبع سنتهم المعوجة من الامم الاسلامية سوى الخزى فى الدنيا والعذاب المهين بايدى من يظاهرونهم من اعداء دينهم ثم الحرمان الدائم من الغوث والنصير مهما استغاثوا واستنصروا .

ولقد نطقت البوادر بسوء منقلب المسلمين فى الاقطار التى تنقضت اركان استقلالها كمصر والهند وطرابلس وتونس ومراكش فان

الشعوب الاسلامية فى تلك الاقطار يظاهرون الصليبيين على اخوانهم فى الاقطار الاخرى فنجد المسلم المصرى يقاتل اخاه السودانى والمسلم الاسود تجلبه ايطاليا من شرق افريقية فيقاتل اخاه المسلم فى طرابلس الغرب ثم نجد الجنود التونسية والجنود الجزائرية تحمل الى المغرب الاقصى فتقاتل اخوانها المسلمين من اهل تلك البلاد . وهكذا يذهب فريق من المسلمين فى بعض الارض الى اخوانهم فيسفكون دماءهم ويخرجون فريقاً منهم من ديارهم يظاهرون عليهم بالاثم والعدوان امة من الامم المسيحية الصليبية. على ان اهل الغرب الاقصى اليوم قد كفوا غيرهم من جنود الجزائر وتونس القتال فى ارضهم فهاهم أولئك قد اشتد بينهم البأس وباعوا من حكومة فرنسا الصليبية ذممهم وشرفهم واسلاءهم بزهيد الاموال او بباطل الاحلام واوهام الآمال فاليوم تمدهم فرنسا بضباطها وسلاحها ومالها ليتقاتلوا فيسفك بعضهم دم بعض حتى اذا تمزق شملهم وتمكنت البغضاء من نفوس من يبقى منهم عمدت تلك الدولة الى كل فريق لتستفيد من عزلته وضعفه وتغمد سيف قضائها فى زعمائه وامرائه ثم لا تلبث ان تصبح البلاد جميعها فى قبضتها سواء فى ذلك المكان والمكين والرفيع والوضيع . وما جزاء الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ما يتعجلونه من زهيد حطام الدنيا وباطل متاعها الاخزى فى الحياة الدنيا اذ سجلوا على انفسهم العار بسفك دماء اخوانهم وازهاق ارواحهم وتخريب بيوتهم ومظاهرة اهل الصليب عليهم بغيا وعدوا ؟ أيرجون ان يخفف عنهم شديد النكال والذل والهوان فى حياتهم ام

يرجون ان يستنصروا الله فينصرهم ويستغيثوه فيغيثهم؟ لقد ضلت والله عقولهم وسفهت احلامهم وجهلوا ان الله قد نطق كتابه وهو اصدق الحديث ان أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا العاجلة بالآخرة المستقبلة الآجلة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون. واى ذل وهوان اشد مما رزئ به أولئك الغافلون المتفرقون من المسلمين وهاهم أولئك ذراريهم ونساؤهم يباعون اليوم فى اسواق صوفيه وبلغراد وفى شوارع أثينا وستينجه؟

اى خزى وعار اقبح من ان تعرض اليوم بنات اشراف المسلمين فى سلانيك ومناستير واشباههما من بلاد مقدونيا على ضباط المغيرين من حكومات البلاد وعلى افراد جنودهم فيستمتعوا بهن منتهكين الحرمات مستبيحين تلك الاعراض مجترحين أقبح الهنات؟

اى ضعة وحقارة اكثر من ان نكون ونحن فى حاضرة ملكنا وسائر اطراف بلادنا اذلة فى جانب الجاليات الصليبية لا نسوى بهم لا فى معاملات الرسمية ولا فى الشئون الاجتماعية. لقد والله حقت الكلمة علينا فلا عتب على الاقدار بعد ان انذرنا الله عاقبة اتخاذ البطانات من دوننا وبعد ان ضرب لنا الامثال بما اصاب يهود فى الدنيا من الخزى والعذاب الاليم واليأس من نصرة النصراء اذ تقاطعوا وتناكروا وظاهروا اعداءهم على انفسهم بالبغى والعدوان. ولا جرم مادام المسلمون على قدم أولئك اليهود فليعلموا ان حظهم فى الدنيا والاخرى حظ اولئك فان الله جلت حكمته عدل لا يظلم وعليم لا يغفل (سنة الله

التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) (١)

وليس لاحد من مسلمى هذه العصوران يعزو منا شئ هذا الخزى العام والاضمحلال الداهم الى امرائهم فلن ينفعهم اليوم تبرؤهم منهم بعد ان اطاعوا سادتهم وكبراءهم فاضلوهم السبيل . كم نرى من المسلمين من يصعدون الزفرات ويشكون الحسرات ويبرأون من أئمة السوء وعبدة الشهوات (وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم)

على انهم لا يزالون مع مابلغوه من الخزى والهوان يستهزؤن بالذين يهدونهم السبيل السوى ويسيئون الى من وقفوا حياتهم على اصلاح شئونهم وايقاظ بصائرهم اذا لم تطابق مساعى هؤلاء ومجهوداتهم ماتهوى انفسهم من المتاع العاجل والشهوات الزهيدة .

ولقد اتبعوا فى ذلك سنة بنى اسرائيل قدما قدما كما قصته علينا الآيات التالية .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ

(١) سورة الفتح .

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً
أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى
غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً
لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .

تقص علينا هذه الآيات بعض ما كان يفعله بنو اسرائيل فى معاملة مرشديهم وهداتهم الى الخير من الانبياء والرسل استكبارا فى الارض اوانقياداً لهوى أنفسهم فقد ارسل الله اليهم موسى بالالواح فيها هدى ونور ثم قفى على أثره بالرسل الى زمن عيسى عليه السلام يتلو بعضهم بعضا لتجديد الدعوة الى عين شريعة موسى عليه السلام فكلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم استكبروا ففريقا كذبوا كحزقيل وداود وسليمان وفريقا يقتلون كزكريا ويحيي (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء)

ولقد اردف الله انبياء بنى اسرائيل بعضهم ببعض حتى ختمهم بعيسى ابن مريم فآتاه الآيات البينة الواضحة وايده بروح القدس التى تحيا بها القلوب الميتة وتنتعش بها النفوس المولية وتهتدى بها الاحلام الضالة

كيلا يكون لاحدعليه حجة اذا ما دعا أولئك الخراف الضالة من بنى اسرائيل(١) الى توحيد ربهم والاقلاع عن الطقوس الوثنية التى ابتدعوها فى دينهم والى اصلاح شئونهم وتقويم اعوجاجهم حتى لقد خفف عنهم من احكام التوراة ماشاءالله ان يخفف رفقا بهم وقصدا الى صلاحهم (ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

واذا الزموا الحجة وافحموا فلم يجدوا مفراً من الاعتراف بصدق كتب الله وصحة دعوة موسى ومن تعاقب بعده من الرسل طلبوا نوعا آخر من انواع التبرم والتنصل فقالوا قلوبنا غلف اى فى اكنة مما يدعوهم اليه الانبياء فهم لايفقهون هداياتهم ولا يدركون نصائحهم وتحذيراتهم كأنهم يريدون ان يقولوا انهم لم يضلوا عن عمد ولم يفسدوا فى الارض بغيا وعدوا ولم يعدلوا عن آيات الله وامثاله وبشاراته التى انزلها على موسى وعيسى عنادا وجحودا بل ضاقت مداركهم وعقولهم عن دركها فما اعرضوا عنها الا جهلا بها وعجزا عن تعرف غاياتها . كذلك قالوا ولكن الله قد نقض قولتهم هذه فبين انه لم يلعنهم ويطردهم من رحمته الا بكفرهم واعراضهم عن تعاليمه(من بعد ماجاءتهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة)ولقد تمكن الفساد وحب العناد من نفوسهم حتى انهم قلما يؤمنون بما يعرفونه عين اليقين من دين الله القويم وصراطه المستقيم فهم استكبارا وبغيا لا يؤمنون ولو جاءتهم كل

(١) الباب العاشر والباب الخامس عشر من انجيل متى

آية حتى يروا العذاب الاليم . فاذا طردهم الله من رحمته وكتب عليهم الشقاء فى الارض والخنوع لاحكام المسيطيرين الجبارين من الامم الاخرى فانما ذلك بكفرهم وعنادهم واستكبارهم عن الاذعان لدينه والسير طبقا لقوانينه فان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون .

ارسل عيسى عليه السلام الى بنى اسرائيل وقد جاءت توراتهم بآيات تبشر برسالته فعادوه وشطوا فى سوء معاملته حتى لقد وقع منهم الاتفاق على الرغبة فى صلبه الى آخر ما كان من قصته معهم

ولقد كان اليهود يعيرون المشركين من العرب باميتهم ويستفتحون عليهم بما يعلمون من احكام توراتهم فيعرفونهم بعض احكامها وينكرون عليهم النفور من تصديقها ونكرانهم انها وحى من عندالله فلما جاءهم القرآن الكريم من عندالله مصدق للكتاب الذى معهم والزموا بقبوله وتسليمه كبر عليهم ان ينزل هذا القرآن على رجل عربى من الاميين ثم نسوا انهم كانوا بالأمس يجادلون مشركى العرب فى امر كتابهم ويلزمونهم القول بما كانوا يعرفونهم من الاحكام الالهية غافلين عن ان تلك الآيات هى التى نزل بها القرآن على قلب محمد وان هذا القرآن انما جاء مصدقا لها ومجدداً الدعوة اليها .

لقد اعماهم فرط تعصبهم على العرب واستكبارهم عليهم بانهم اهل الكتاب فلما جاءهم القرآن بما عرفوا من قبل كفروا به على مطابقته اياه طغيانا واستكبارا وتعاليا عن ان يعترفوا بحقية مايجئ به غيرهم وثبوته وصحته ولوكان مؤيداً

لمالديهم من الآيات . فكان جزاؤهم دوام حرمانهم من الخيرات فى حياتهم الدنيا والاخرى .

واذا كان الله قد اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فان اولئك اليهود قد اشتروا انفسهم بذلك الثمن المحقور الممقوت وهو كفرهم بما انزل الله بغيا وحسدا من عند انفسهم واستنكارا لما جاءت به المقادير الالهية من اصطفاء الله تعالى من شاء من عباده واختصاصه اياه برسالته وفضله فقد كانوا يرتقبون ان يكون هذا الرسول من بينهم كما كانت سائر انبيائهم السالفين كانهم يريدون ان يقسموا رحمة الله تعالى وان تكون بايديهم مقاليد اموره . وكذلك اوغل بنو اسرائيل فى عنادهم وكفرهم فلم يكفهم ان جحدوا الكتاب الذى جاء مصدقا لما معهم حتى نقموا من الله ان يختص برحمته من شاء من عباده فكفروا كفرا مضاعفا وباءوا من الله بغضب على غضب. وكيف لا وقد اصروا على عنادهم وعصوا امر ربهم واتوا فى مجادلاتهم بالمتناقضات والمخزيات فتراهم اذا دعوا الى الايمان بما انزل الله من آيات القرآن قالوا نؤمن بما انزل علينا دون سواه فكيف اذا كان هذا حقا مصدقا لما معهم من الكتاب غير مناقض له ولا منافر لآياته كما هو الشأن فى القرآن الكريم اذا نسب لتوراة موسى التى هى كتاب بنى اسرائيل . على ان القرآن الكريم جاء فى محاجتهم بعد ببرهان تحبط به دعواهم وتدحض حجتهم انهم مؤمنون بالتوراة التى انزلت من قبل عليهم فقال لهم على سبيل الاستنكار والتوبيخ (فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) ذلك ان

التوراة تحرم عليهم قتل النفس البريئة ولو كانت من عامة الناس فما بالهم بالانبيـاء يزعمون انهم مؤمنون بالتوراة ثم يقتلونهم (قل بئسما يأمركم به ايمـانكم ان كنتم مؤمنين) كذلك كانت اعمال بني اسرائيل وفرط عنادهم في معاملتهم غيرهم من الامم واستكبارهم ان يؤمنوا بما انزالله على رسله من الهداية والآيات .

هذا وهنا مباحث يجب علينا تفقيه المسلمين فيها لضرورة معرفتها لا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه غارات اهل الصليب على المسلمين ولا ينقطع فيه طعن مبشريهم في الاسلام .

المبحث الاول : ان الله تعـالى انزل التوراة على موسى والزبور على داود والانجيل على عيسى عليهم صلوات الله وسلامه. فهل ما انزله الله عليهم هو عين ما بين ايدينا من الكتب المتداولة ؟

لا جرم ان القرآن الكريم قـد قص في غير موضـع ان اهل الكتاب قد حرفوا وبدلوا في كتبهم قبل عهد الرسول عليه السلام حتى انه يس لاحد ان يثق بتلك الكتب المتداولة بين اليهود والنصارى على ان تكون كتبا موحى بها من قبل الحضرة القدسية الالهية .

ولبلوغ هذه الغـاية يلزم الكلام في امرين احدهما ان هذه الكتب ليس لها سند صحيح يصلها باصحابها من الانبياء والرسل. ثانيهما ان في هذه الكتب تحريفا اعترف به حتى المسيحيون واليهود انفسهم فليس لاحد بعد ذلك ان يجادل فيما سلموه او ينكر ما اعترفوا به

فاعلم (١) ان اهل الكتاب يقسمون كتبهم الى قسمين قسم منها يدعون انه وصل اليهم على لسان الانبياء الذين قبل عيسى عليه السلام . منذ كان موسى . والقسم الثانى يدعون انه كتب بالالهام بعد عيسى . ويسمى مجموع كتب القسم الاول بالعهد القديم ومجموع كتب القسم الثانى بالعهد الجديد .

فاما كتب القسم الاول فجمهور قدماء المسيحيين على صحة ثمانية وثلاثين منها واختلفوا فى صحة التسعة الباقية وانما قلنا ان الثمانية والثلاثين لا يقول بصحتها الا الجمهور لان السامريين لا يسلمون الا بسبعة منها فقط وهى الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام التى يطلق عليها اسم التوراة (٢) ثم كتاب يوشع بن نون وكتاب القضاة

وتخالف نسخة التوراة السامرية نسخة التوراة اليهوديه

واما كتب القسم الثانى من العهد القديم اوالعتيق فتسعة (٣) كتب وكذلك ينقسم العهد الجديد الى قسمين يحتويان على سبعة وعشرين كتابا وفقرات اخرى ويطلق اسم الانجيل من بينها على اربعة فقط وهى انجيل

(١) قد اقتبسنا هذه المباحث الجليلة من كتاب اظهار الحق لذلك الباحث القدير والاستاذ العظيم المرحوم الشيخ رحمة الله الهندى فليراجع فان فيه من الفوائد مالا يستغنى عنه المسلمون .

(٢) وهى سفر التكوين وسفر الخروج وسفر الاخبار وسفر العدد وسفر الاستثناء

(٣) كتاب استير — كتاب باروخ — جزء من كتاب دانيال — كتاب طوبيا — كتاب يهوديت — كتاب وزدم — كتاب ايكليز ياستكس — كتاب المقابين الاول — كتاب المقابين الثانى

متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا وقد يطلق اسم الانجيل تسامحا على مجموع كتب العهد الجديد وكان هذا اللفظ فى الاصل اليونانى انكليون بمعنى البشارة والتعليم فعرب بالانجيل

قال الاستاذ رحمه الله (١) اعلم انه انعقد مجلس العلماء المسيحية بحكم السلطان قسطنطين فى بلدة نانس فى سنة ٣٢٥ ثلثمائة وخمسة وعشرين من ميلاد المسيح ليتشاوروا فى باب هذه الكتب (كتب العهد الجديد) المشكوكة ويحققوا الامر فحكم هؤلا بعد المشاورة والتحقيق فى هذه الكتب ان كتاب يهوديت واجب التسليم وابقوا سائر الكتب المختلفة مشكوكة كما كانت. ثم انعقد مجلس آخر يسمى بمجلس لوديسيا فى سنة اربع وستين وثلثمائة حكم بما حكم به المجلس السالف فى كتاب يهوديت وزادوا على حكمهم سبعة كتب اخرى جعلوها واجبة التسليم ثم انعقد بعد ذلك مجلس فى سنة سبع وتسعين وثلثمائة وسمى هذا المجلس مجلس كارتهيج ويتألف هذا المجلس من ذلك الفاضل المشهور عندهم اكستاى ومائة وستة وعشرين شخصا من العلماء المشهورين فابقى هذا المجلس حكم سابقيه وزاد على حكمهما سبعة كتب اخرى ثم انعقدت بعد ذلك ثلاثة مجالس فى ترلو وفلورنس وترنت وبما قررته تلك المجالس فى امر الكتب المشكوكة اصبحت هذه الكتب مسلمة الثبوت والصحة عند الجمهور وما زال الامر كذلك حتى سنة ١٢٠٠ ميلادية اذ ظهرت فرقة پروتستنت فردت سبعة كتب وبعض ابواب كتاب استير مع

(١) كتاب اظهار الحق جزء اول صفحة ٣٧٠ من النسخة المطبوعة فى مصر سنة ١٣٠٩ هجرية

تسليمهم بماعدا ذلك من ابوابه . واقوى حجتهم فى ذلك (اولا) ان هذه الكتب كانت فى الاصل باللسان العبرانى والجالدى وغيرهما ولا توجد الآن فى تلك الالسنة (ثانيا) ان اليهود لا يقولون بانها الهامية (ثالثا) ان ان يوسى بيس صرح فى الباب الثانى والعشرين من الكتاب الرابع بان هذه الكتب حرفت سيما كتاب المقابين الثانى .

ولقد كتب احد علماء الوثنيين (سلسوس) فى القرن الثانى للميلاد (١) ان المسيحيين بدلوا انا جيلهم ثلاث مرات او اربع مرات بل ازيد منها تبديلا كأن مضامينها بدلت وكذا فاستس من علماء فرقة مانى كيز كان يصيح فى القرن الرابع (بان هذا الامر محقق ان هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسب الى الحواريين ورفقائهم خوفا من الا يعتبر الناس تحريره ظانين انه غير واقف على الحالات التى كتبها وآذى المريدين لعيسى ايذاء بليغا بان الف الكتب التى توجد فيها الاغلاط والمتناقضات)

وقد نقل هنرى واسكات فى الجلد الاول من تفسيره قول اكتساين (ان اليهود قد حرفوا التوراة العبرانية فى بيان زمان الاكابر الذى كانوا قبل الطوفان وبعده الى زمن موسى عليه السلام وفعلوا هذا الامر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين المسيحى . ويعلم ان القدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله وكانوا يقولون ان اليهود حرفوا التوراة فى سنة مائة وثلاثين من الميلاد)

وقد عقد الاستاذ رحمة الله فى كتابه اظهار الحق (١) فصلا واسعا افاض

(٢) اظهار الحق جزء اول صفحة ٢٤ من تلك النسخة المطبوعة بمصر .

فيه الادلة القاطعة على انه ليس لكتاب من كتب العهد العتيق والعهد الجديد سند متصل عند اهل الكتاب قاطبة . وخلاصته فيما يلى :

(الامر الاول) ان تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا ابن آمون والنسخة التى وجدت بعد ثمانى عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقينا ومع كونها غير معتمدة ضاعت ايضا غالبا قبل حادثة بختنصر الذى فى حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم رأسا ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسخها واكثر نقولها فى حادثة انتيكوس

(الامر الثانى) جمهور اهل الكتاب على ان السفر الاول والثانى صنفهما عزرا باعانة حجى وزكريا الرسولين عليهما السلام فهما من تصنيف هؤلاء الانبياء الثلاثة وفيهما كثير من الخطأ والمتناقضات (٢) كما هو مبسوط فى مواضعه

(الامر الثالث) انه ورد فى كتاب حزقيال (٣) احكام تناقض ما جاء فى سفر العدد (٤) فلو كان التوراة فى زمن حزقيال هذه التوراة المتداولة ماجاز له مخالفتها بعد اذ كان متبعا احكامها

(الامر الرابع) قال الدكتور اسكندر كيدى (١) الذى هو من فضلاء الامم المسيحية الثقات فى ديباجة البيبل الجديد (ثبت لى بظهور الادلة الخفية ثلاثة امور جزما الاول ان التوراة الموجودة ليست من

(١) صفحة ٣٨ جزء اول

(٢) اظهار الحق صفحة ٤٠ جزء اول .

(٣) الباب الخامس والاربعون والسادس والاربعون

(٤) الباب الثامن والعشرون والتاسع والعشرون

تصنيف موسى والثانى انها كتبت فى كنعان او اورشليم يعنى انها ما كتبت فى عهد موسى اذ كان بنو اسرائيل فى هذا العهد فى الصحارى والثالث انها لم يثبت تأليفها قبل سلطنة داود ولا بعد زمان حزقيا بل عزوا تأليفه الى زمان سليمان عليه السلام يعنى قبل الف سنة من ميلاد المسيح او الى زمان هومر الشاعر اليونانى فالحاصل ان تأليفه كان بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى عليه السلام

(الامر الخامس) انها وقعت فيها اغلاط تاريخية كثيرة ولو كانت كتاب موسى الذى اوحى الله به اليه لسلم من امثال ذلك (٢) وقد استوعب الاستاذ رحمة الله الهندى الكلام فى سائر كتب العهد القديم بكل دقة واتى بالحجج الدامغة معتمدا فى جميع ابحاثه على اقوال الفطاحل من علماء اهل الكتاب ومؤرخيهم ثم انتقل الى الكلام فى كتب العهد الجديد ولا سيما الاناجيل الاربعة فنقل عن هورن فى الباب الثانى من القسم الثانى من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ قوله (الحالات التى وصلت الينا فى باب زمان تأليف الاناجيل من قدماء مؤرخى الكنيسة بتراء وغير معينة لا توصلنا الى امر معين والمشايخ القدماء الاولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها . وقبل الذين جاؤا من بعدهم مكتوبهم تعظيما لهم وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب الى كاتب وتعذر تنقيدها بعد انقضاء المدة) .

ولقد اتى الاستاذ رحمة الله على آراء مؤرخى الكنيسة مختصا كل فرد من افراد كتب العهد الجديد بما يثبت انه ليس له سند يعتد به ثم

(١) اظهار الحق صفحة ٤١ جزء اول .

(٢) راجع اظهار الحق جزء اول صفحة ٤٣

ختم ذلك الفصل بقوله « ان حال الكتب المقدسة عندهم كحال الانتظامات والقوانين الاترى (١) ان الترجمة اليونانية كانت معتبرة فى اسلافهم من عند الحواريين الى القرن الخامس عشر وكانوا يعتقدون ان النسخة العبرانية محرفة والصحيحة هى هذه وبعد ذلك انعكس الامر وصارت المحرفة صحيحة والصحيحة غلطا ومحرفة فلزم جهل اسلافهم كافة (٢) وان كتاب دانيال كان معتبرا عند اسلافهم على وفق الترجمة اليونانية ولما حكم ارجن بعدم صحته تركوه واخذوه من ترجمة تهيودوشن (٣) وان رسالة ارس تيس كانت مسلمة الى القرن السادس عشر ثم تكلموا عليها فى القرن السابع عشر فصارت كاذبة عند جمهور علماء البروتستنت (٤) وان الترجمة اللاطينية معتبرة عند الكاثوليك ومحرفة غير معتبرة عند البروتستنت (٥) وان الكتاب الصغير للتكوين كان معتبرا صحيحا الى القرن الخامس عشر ثم فى القرن السادس عشر صار غير صحيح وجعليا (٦) وان الكتاب الثالث لعزرا تسلمه كنيسة كريك الى الآن وفرقتا كاثوليك وپروتستنت تردانه. وان زبور سليمان سلمه قدماؤهم وكان مكتوبا فى كتبهم المقدسة ويوجد الى الآن فى نسخة كودكس اسكندريانوس والآن يعد جعليا. فظهر مما ذكرت للناظر اللبيب انه لا يوجد سند متصل عندهم لا لكتب العهد العتيق ولا لكتب العهد الجديد. انتهى ببعض تصرف.

تبين من جميع ذلك كيف ان كتب العهدين العتيق والجديد لا سند لها يعتد به فاذا نحن اردنا ان نعرف من جهة اخرى مبلغ ماوقع

فى الكتب الالهامية السماوية من التحريف فان اما منا من الادلة القاطعة والآيات الساطعة مالايجرأ على نقضه احدمن الصليبين ولقد كثرت منذا واخر القرن السادس عشر مؤلفات طوائف الراشوناليست فى هذا الموضوع حتى لقد اتوا من الحقائق بالعجب العجاب .

قال احدهم الاستاذ باركر فى كتابه (١) قالت ملة پرتستنت ان المعجزات الازلية والابدية حفظت العهد العتيق والجديد من ان تصل اليها صدمة خفيفة لكن هذه المسألة لاتقدر ان تقوم فى وجه عسكر اختلاف العبارات التى هى ثلاثون الفا . وقال من غيرهم الاستاذ آدم كلارك المفسر فى الجلد السادس من تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١ فى ذيل تفسير الباب الاول من رسالة بولس الى اهل غلاطيه مايأتى :

(ان هذا الامر محقق ان الاناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة فى اول القرون المسيحية . وكثرة هذه الاحوال الكاذبة غير الصحيحة هيجت لوقا الى تحرير الانجيل ويوجد ذكر اكثر من سبعين من هذه الاناجيل الكاذبة) .

قال الاستاذ رحمةالله (٢) كان موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة ووصاهم بالمحافظة عليها ووضعها فى جنب صندوق الشهادة واخراجها الى الناس بعد كل سبعة اعوام فى يوم العيد لاجل سماع بنى اسرأيل فكانت هذه النسخة موضوعة فى جنب الصندوق وكانت الطبعة الاولى على وصية موسى عليه السلام فلما انقرضت هذه الطبعة

(١) راجع الرسالة الاولى التى بحاشية اظهار الحق صفحة ٢٠٥

(٢) راجع صفحة ٢٠٥ من الجزء الاول من اظهار الحق .

تغير حال بنى اسرائيل فكانوا يرتدون تارة ويسلمون اخرى . وهكذا كان حالهم الى اول سلطنة داود عليه السلام وحسنت حالهم فى تلك السلطنة وصدر سلطنة سليمان وكانوا مؤمنين ولكن بالانقلاب المذكور (١) ضاعت تلك النسخة الموضوعة فى جنب الصندوق ولما فتح سليمان الصندوق فى عهده ماوجد فيه غير اللوحين اللذين كانت الاحكام العشرة فقط مكتوبة فيها كما هو مصرح فى الآية التاسعة من الباب الثامن من سفر الملوك الاول وهذا نصها (ولم يكن فى التابوت الا اللوحان الحجريان اللذان وضعهما موسى بحوريت حيث عاهد الرب بنى اسرائيل واخرجهم من ارض مصر) انتهى . وجلس على سرير السلطنة بعد سليمان الى ثلثمائة وسبعين سنة عشرون سلطانا كان المرتد منهم اكثر من المؤمن وشاعت عبادة الاصنام فى عهد رحبعام ونهبت قبل عهده اورشليم وبيت المقدس مرتين ثم اشتد الكفر فى عهد منسا حتى صار اكثر اهل تلك المملكة وثنيين وبنى مذبح الاصنام فى فناء بيت المقدس ووضع الوثن الذى كان يعبده فى بيت المقدس ولما جلس يوشيا بن آمون على سرير الملك تاب الى الله توبة نصوحا وكان هو وأراكينه متوجهين لترويج الملة الموسوية وهدم رسوم الكفر والشرك فى غاية الجد والاجتهاد ولكنه مع ذلك مارأى احد ولا سمع بوجود نسخة التوراة الى سبع عشرة سنة من سنى سلطنته ثم ادعى حلقيا الكاهن فى العام الثامن عشر من سلطنته

(١) هو الانقلاب العظيم الواقع فى آخر مدة سليمان كما يقوله اهل الكتاب .

انه وجد نسخة من التوراة فى بيت المقدس واعطاها شافان الكاتب فقرأها على يوشيا فلما سمع يوشيا مضمونها شق ثيابه لاجل الحزن (١) على عصيان بنى اسرائيل كما هو مصرح فى الباب الثانى والعشرين من سفر الملوك والباب الرابع والثلاثين من اخبار الايام

قال الاستاذ رحمة الله (٢) (لكن لا يعتمد على هذه النسخة ولا على قول حلقيا لان البيت نهب مرتين قبل عهد آخذ ثم جعل بيتا للاصنام وكان سدنة الاصنام يدخلون البيت كل يوم وما سمع احد الى سبعة عشر عاما من سلطنة يوشيا ايضا اسم التوراة ولا رآه مع ان السلطان والامراء والرعايا كانوا فى غاية الاجتهاد لاتباع الملة الموسوية وكانت الكهنة يدخلون كل يوم الى هذه المدة فالعجب كل العجب ان تكون النسخة فى البيت ولا يراها احد فهذه النسخة ما كانت الا من مخترعات حلقيا فانه لما رأى توجه السلطان والاراكين الى اتباع الملة الموسوية جمعها من الروايات اللسانية التى وصلت اليه من افواه الناس سواء كانت صادقة او غير صادقة وكان الى هذه المدة فى جمعها وتأليفها فبعد ما جمعها نسبها الى موسى عليه السلام ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة واشاعة الحق كان من المستحبات الدينية عند متأخرى اليهود وقدماء المسيحيين كما عرفت ثم قال (اذا علمت هذا فاقول ان تواتر التوراة فى اليهود عندى منقطع قبل زمان يوشيا والنسخة التى وجدت فى عهده لا اعتماد عليها

(١) قد التزمنا ان ننقل فى هذا الباب ما كتبه علماؤهم وان سقمت العبارة وضعف الاسلوب

(٢) اظهار الحق جزء اول صفحة ٢٠٦

ولا تثبت بهـا التوراة ومع ذلك ماكانت معلومة الا الى ثلاث عشرة سـنة وبعدها لم يعلم حالها والظاهر انه لما رجع الارتداد والكفر بين اولاد يوشيا زالت قبل حادثة بختنصر

اما حادثة بختنصر التى اشـار اليها فى عبـارته فذلك ان بختنصر كان اجلس عم ياهو على سرير السلطنة الاسرائيلية (وكان هذا مرتدا) بعد ان نهب بيت المقدس وكنز بيت الملك(١) ولما بغى هذا السلطان على بختنصر اسره واحرق اولاده امام عينه اولا ثم سـمل عينيه وربطه بالسلاسل وارسله الى بابل واحرق بيت الله وبيوت الملك وجميع بيوت اورشليم وكل منزل جليل وجميع بيوت الكبراء احرقها بالنار وهدم سور اورشليم واسر سائر شعوب بنى اسرائيل وسباهم وفى هذه الحادثة انعدمت التوراة وكذا جميع كتب العهد العتيق التى كانت مصنفة قبل هذه الحادثة عن صفحة العالم رأسا وهذا الامر مسلم عند اهل الكتاب ايضا (راجع الشـاهد السادس عشر من المقصد الاول من كتـاب اظهار الحق)

ثم توالت على اليهود حوادث شـديدة على ايدى ملوك الفرنج ففقدت بسببها سائر كتب العهد العتيق حتى لقد قال جان ملنو كاثوليك (انه لما ظهرت نقولها الصـحيحة بواسطة عزرا ضـاعت تلك النقول ايضا فى حادثة انتيوكس)

قال الاستاذ رحمه الله ما خلاصته (٢) انه لم يصل الى مصححى العهد العتيق نسخة عبرانية كتبت فى المائة السابعة والثامنة بل لم تصل اليهم

(١) اظهار الحق جزؤ اول صفحة ٢٠٧
(٢) اظهار الحق جزء اول صفحة ٢١٣

نسخة عبرانية كاملة كانت مكتوبة قبل المائة العاشرة لان النسخة القديمة التي وفت لكنى كانت هى نسخة تسمى يكودكس لاديانوس وقال انها كتبت فى المائة العاشرة فعلى هذا لا صحة لما يقوله اهل الكتاب من ان نسخ التوراة التي كتبت قبل مبعث رسولنا عليه السلام باقية الى الآن .

واما نسخ الترجمة اليونانية للانجيل فثلاث منها قديمة جدا عندهم وهى كودكس اسكندريانوس في لندن وكودكس واطيكانوس (برومه) وكودكس افريمى (فى پاريس)

ولقد افاض الاستاذ رحمه الله القول فى بيان قيمة تلك النسخ واثبت عجزها عن ان تثبت مدعيات اهل الكتاب انه لم يقع تحريف ولا تبديل فى الاناجيل اعتمادا على وجود تلك النسخ الثلاث ثم ختم هذا المبحث بقوله (١) لو قطعنا النظر عما قلنا وفرضنا ان هذه النسخ كتبت قبل محمد صلى الله عليه وسلم فلا يضرنا لانا لا ندعى ان الكتب المقدسة لهم كانت غير محرفة الى زمان ظهور محمد عليه السلام وبعد ذلك حرفت بل ندعى ان هذه الكتب كانت قبل ظهوره لكنها بلا اسناد متصل وان التحريف كان فيها قبله يقينا ووقع فى بعض المواضع بعده ايضا فلا ينافى هذه الدعوى وجود النسخ الكثيرة فضلا عن ثلاث نسخ بل لو وجدت الف نسخة مثل اسكندريانوس لا يضرنا بل كان نافعا لنا باعتبار ان اشتمال هذه النسخ على الكتب الجعلية يقينى واختلافها اختلافا شديدا كما فى كودكس اسكندريانوس وكودكس واطيكانوس من اعظم

---

(١) اظهار الحق - جزء اول صفحة ٢١٠ و ٢١١

الادلة الدالة على تحريف اسلافهم ولا يلزم من القدم الصحة الا ترى الى بعض الكتب الكاذبة المندرجة فى اسكندريانوس انتهى

هذا وانما اشبعنا الكلام فى هذا الموضوع لان القرآن الكريم قد اتى على ذكر التحريف والتغيير والتعديل التى وقعت فى التوراة والانجيل فى اكثر من آية وسورة ولقد كثرت كتابات اهل الكتاب فى الرد على مانزل به القرآن فى ذلك حتى لقدوجدنا بين قليلى البحث فى هذا الباب من المسلمين (١)من جارى اولئك المكابرين من اهل الكتاب ممن يقولون ان التوراة لم يقع فيها التحريف الذى تدل عليه هذه اللفظة مطابقة واما التحريف الذى اتاه بنو اسرائيل فانما هو فى التأويل وتفسير الآيات اذ خرجوها عن معانيها وغاياتها فقد تبين مما اسلفنا ومما سرده الاستاذ رحمة الله فى كتابه اظهار الحق من الادلة الدامغة ان اهل الكتاب من اليهود والنصارى قد اتوا فى كتبهم المقدسة كل ما يمكن ان يتصوره العقل من ضروب التحريف وكذلك اسرفوا فى افساد تأويل تلك الكتب قصدا الى مطاوعة أهوائهم وفراراً من الاعتراف بالحق الصراح الذى اراده الله من آياته المنزلة على رسله فلقد بلغ بهم الاستكبار عن الاعتراف برسالة المسيح عيسى بن مريم ورسالة سيد الكائنات محمد بن عبدالله حدا استباحوا عنده كل منكر واجترحوا كل سيئة

ومما اشتد فيه عبث اهل الكتاب تحريفا وتأويلا تلك البشارات التى

---

(١)راجع تفسير فتح البيان جزء اول صفحة ١٣٢

جاءت فى التوراة والانجيل مشيرة الى مبعث فخر الكائنات رسولنا المصطفى فلقد اسرف اليهود والنصارى فى تأويلها بغية صرفها عن ظواهرها ومن شاء ان يتعرف ما ارتكبوا من الشطط فى هذا الصدد فان فى كتاب اظهار الحق ما فيه بلاغ مبين

ومما يجب ذكره هنا ان البشارات الثمانى عشرة التى خاض اهل الكتاب فى تأويلها بعد الاعتراف بوجودها انما جاءت على سبيل الكناية والاشارة وليس من بينها ما ورد فيه ذكر (محمد) او (احمد) اصلا. ولقد نطق القرآن الذى هو اصدق الحديث بان عيسى عليه السلام بشر به صراحة (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) والمتتبع للاناجيل الاخرى التى ردتها الكنائس والمجامع الدينية يجد من بينها انجيل برنابا وقد جاء فى بعض عباراته اسم محمد صلى الله عليه وسلم صراحة كاية (اجاب يسوع بابتهاج قلب انه محمد رسول الله) (١) وكذلك نقل سيل الانجليزى فى مقدمة ترجمته القرآن عن انجيل برنابا هذا آيات اخرى ورد فيها اسم محمد رسول الله بهذا النص

ومن المعلوم ان انجيل برنابا وجد ذكره فى كتب القرنين التانى والثالث من الميلاد فهو من الاناجيل القديمة التى ظهرت قبل مبعث فخر الكائنات بمئين سنين فلا سبيل الى هذا الامر سوى الوحى والالهام فاذا زعم اهل الكتاب ان احد المسلمين حرف هذا الانجيل بعد ظهور سيدنا

---

(١) الفصل الثالث والستون بعد المائة من صفحة ١٦٣ من النسخة المطبوعة بمصر فى سنة ١٣٢٦ هجرية

محمد قلنا انهم زعموا من دخل فى الاسلام من علماء اليهود والنصارى حرفوا البشارات المحمدية الاخرى الكنائية فنقول اذا لم يحدث تحريفهم تأثيرا فى البشارات الكنائية تتغير به النسخ الموجودة بايدى اهل الكتاب فى مواضع هذه البشارات فكيف أثر تحريف بعض المسلمين فى انجيل برنابا فى النسخ التى كانت عندهم ؟ والحقيقة ان مرتبة هذا الانجيل من اليقين لا تقل عن مراتب الاناجيل الاربعة التى لم يعرف جزما متى كتبت ولا باية لغة وضعت .

تلك خلاصة القول فى مبحث التوراة والاناجيل وما يتعلق بها من التحريف والتبديل وسوء التاويل وكذلك ماورد فيها من البشارات الكنائية او البشارات الصريحة بمقدم فخر الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

بقيت كلمة اخرى فى بيان اسباب التكرار الذى يشاهد فى القرآن الكريم فان قصص كثير من الانبياء جاءت متكررة فى السور المختلفة بل ان القصة الواحدة قد تتكرر فى السورة الواحدة فى غير موضع كما ترى فى قصص بنى اسرائيل وكفرهم بما انزل الله على رسولهم وقتلهم انبياءهم بغيا وعدوا وعبادتهم العجل واعراضهم عن كل دعوة الا اذا طابقت اهواءهم ووافقت شهواتهم وهكذا . ومن ذلك قصة آدم وابليس ونوح وابراهيم وهلم جرا .

ولقد زعم قساقسة النصارى ان فى هذا التكرار مجالا للطعن فى القرآن الكريم والحطمن قيمته البلاغية وتبعهم فى ذلك الجاهلون

باساليب اللغة العربية القاصرون عن درك مقام القرآن بين الكتب المألوفة .

ولم يقصر المسلمون والحق يقال فى رد مفتريات أولئك القسوس وبيان جهالتهم ودفع شبهاتهم فقد تصدوا قديما وحديثا لهذا الموضوع حتى كادوا يوفونه حقه . الا انهم مع ذلك قد خلطوا فى توجيه ذلك التكرار فجمعوا بين القيم الجيد من العلل وبين السخيف الساقط منها فلنجمل القول فيها فيما يلى .

لا جرم ان القرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة بل نزل نجوما نجوما خلال نيف وعشرين عاما . ولله فى ذلك من الحكمة البالغة مالا يخفى على البصير .

كان العرب واليهود اذجاء الوحى الى الرسول الاكرم اهل ضلالة وبدع وكفر وعناد . فشت فيهم الفاحشة وتمكنت من نفوسهم الشهوات فهل كانوا يقلعون عن مألوفاتهم التى كانت التحقت بغرائزهم وفطرهم اذاجاءهم الاسلام فى بدء وجوده باخلاق الله المقدسة دفعة واحدة ؟

اننا نرى فيما نشاهد ان الانفس الخبيثة قوية الشكيمة صعبة المراس لاتقلع عما الفته من ضروب الفساد الا بعد الترويض والتهذيب والتدرج بها من مرتبة الى اخرى ارقى حتى تبلغ الغاية السامية حيث الكمال والاستقامة . فكان من حكمة الله تعالى الايفاجئ ابصار خفافيش العرب المشركين ويهود الجزيرة بذلك الضوء الساطع والنور اللامع حتى لاتعمى عن ادراكه ولا تعجز عن الاستهداء به . يشير الى هذا قول بعض اصحاب الرسول (لقد احسن الله الينا كل الاحسان . كنا مشركين .

فلو جاءنا رسول الله بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة لثقلت علينا هذه التكاليف فما كنا ندخل فى الاسلام ولكنه دعانا الى حكمة واحدة فلما قبلناها وذقنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة الى ان تم الدين وكملت الشريعة)

تفسر لنا هذه العبارة حكمة نزول القرآن نجوما متفرقة متتابعة . فمن آياته ما كان ينزل جوابا عن اسئلة العرب واليهود او بيانا لدقائقهم وبعض شأنهم ليزدادوا بذلك بصيرة وبينة من امرهم . ولقد كانت بعض الآيات تنزل بالاحكام والناس فى ظمأ شديد اليها كما يرى ذلك واضحا فى آيات الخمر التى نزلت وعمر يكرر قوله (اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا)

ويظهر ان مبحث هذه الشبه والمجادلات خطأ الناظرين الى القرآن الكريم فانهم فيما يظهر يعتبرونه كالكتب التى تؤلف فى شهر او بضعة اشهر فى بعض الاغراض ولو انهم تدبروا الامر وان القرآن انما تنزل فى ذلك العمر الطويل البالغ نيفا وعشرين عاما وان الآيات كانت تجئ تارة لتسلية الرسول على ماينزل به من الضيق والاذى المتكرر (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ماتثبت به فؤادك) وتارة تنزل جوابا لسائلين مختلفين ووفود نازحين متغايرين فى اوقات مختلفة واحوال متباينة

كانت العرب تنزح الى الرسول عليه السلام من كل حدب تسأله عن قصة من قصص الانبياء او تنشد لديه عظة من العظات ومثلا من آياته البينات فكانت تنزل الآيات الكريمة طبقا لمطالبهم وجوابا عن اسئلتهم . وبمقدار ماتكررت الاسئلة والمطالب كان تكرار الآيات والقصص .

على ان المتدبر لهذه الآيات المتكررة يرى انها تختلف بعضها عن بعض اطنابا وايجازا واسلوبا ووضعا واشارة وغاية واستنباطا فهى على

تكرارها وكثرة ورودها فى جملة القرآن او حتى فى السورة الواحدة نجدها يمتاز بعضها عن بعض فى تلك الاعتبارات المذكورة آنفا .

ومن شاء ان يدرك ذلك رأى العين فليعتبر ذلك بالمجموعات التى يضعها الكتاب والسياسيون والشعراء فى اوقات مختلفة متباعد بعضها عن بعض فان هناك اوضح الامثال واجلاها . تقع الحادثة الواحدة فيكتب فيها الكاتب حكمته اويضع فيها الشاعر قصيدته حتى اذاتكرر وقوع تلك الحادثة اواضرابها كثرت فى ذلك كلمات الكتاب والشعراء على النحوالذى يشبه ماوقع لهم اولا .ودواوين الشعراء ومجاميع الكتاب والسياسيين (المذكرات السياسية) مشحونة بامثال ذلك .

ومن الامثلة التى وقعت لنا اننا كنا كلما جاء يوم حادثة دنشواى من كل عام كتبنافى ذلك ماسميناه ذكرى دنشواى . فالموضوع واحد والغرض واحد وانما كان الغرض تمية شعور الامة وايقاظها وتذكيرها بذلك الحادث التاريخى العظيم فالمقالات التى وقعت لنا فى هذ الموضوع متشابهة فى الجملة وانما تكررت لتكرر سببها .

ومن هذاالقبيل ما كنا نكتبه بعنوان (اى مصطفى) وهى جملة كلمات كنا ننشرهافى ذكرى المرحوم مصطفى كامل باشا كلما عاديوم وفاته . فهى كلمات تكررت اسبابهاعلى انهامع تشابههامتغايرة الاسلوب متنوعة العبارة . ومااننا بدعافى هذاالموضوع فان جميع كتابنا وساستناوشعرائنا واشباههم فى الامم الاخرى يقدمون للعالم كل يوم بياناشافيالماجاء فى القرآن من تكرار الآيات والقصص فليتذكر ذلك قراء المجلة وطلاب اسرار القرآن الكريم .

الفلسفة والأخلاق

ابن رشد وتعاليمه

٢

القضاء والقدر

لقد خاض عباب هذا الموضوع متكلمو المسلمين والمسيحيين حتى لقد اتوا بالمتناقضات التى تنكرها اصول المنطق ويرفضها العقل السليم فليست المسئلة من مبتكرات الدين الاسلامى بل تناولتها جميع الكتب الالهية التى سبقته .

وانا قبل ان نذكر رأى فيلسوفنا وحله لهذه المشكلة العويصة التى لم يهتد اليها كثير من المتكلمين نأتى بنبذة تاريخية نبين فيها آراء علماء الكلام من المسلمين والمسيحيين فى هذا الموضوع ليكون رأى ابن رشد كاشفا للظلمات التى تاه فيها غيره ومزيلا للحجب والشبهات التى عاقت سواه عن استكناه حقيقة هذه المسألة .

اذا نظر الى ظواهر الكتب السماوية وجدت نصوصها متناقضة متضاربة فان بعضها يدل على ان للانسان اختيارا فى اعماله وكسبالها ولذلك يلام على مايقترف من سيء ويمدح على ما يكسب من الفضائل والاعمال الصالحة وبينما ننظر فى بعض النصوص الاخرى نراها تدل على ان الانسان مجبر على ماياتى من عمل وان الافعال كلها تجرى على مشيئة الله وماالعبد الا آلة مسيرة بلا مشيئة له ولاقدرة ولقد تعذر على كثير من المشتغلين بالكلام الجمع بين هذه المتناقضات حتى قال بسويه فى كتابه الاختيار ان الحق لا يهدم الحق وان تعذر الجمع بين القولين لايستلزم عدم الاعتقاد بصحة كل واحد منهما فمن المستحيل نفى الاختيار لثبوت القدرة الالهية ومن المستحيل نفى القدر لثبوت اختيار الانسان لانهما حقيقتان لاشك فيهما وقد كان بوسويه يرى ان هذه المسألة مما لا تطيقه افكار النوع البشرى

من اجل ذلك افترق المتكلمون الى فريقين كل يرى عكس ما يراه الآخر فالفرقة الاولى ترى ان اكتساب الانسان هو سبب المعصية والحسنة ولهذا

يترتب الثواب والعقاب وقد رأى هذا الرأى المعتزلة ومن اجل ذلك يلقبون بالاختيارية .

الفرقة الثانية ترى نقيض مايراه المعتزلة وهى الجبرية واما الاشعرية فانهم راموا ان يأتوا بقول وسط بين القولين فقالوا ان للانسان كسبا وان المكتسب به والكسب مخلوقان وهذا كلام يشبه ان يكون كالحيل غير المعقولة فانه اذا كان الكسب والاكتساب مخلوقين لله كان الانسان مجبرا على افعاله

وليس سبب الافتراق تعارض الادلة السمعية فقط بل تعارض الادلة العقلية ايضا كان من اسباب هذا الاختلاف ومدعاة الى التنازع وذلك اننا اذا فرضنا ان الانسان موجد لافعاله وخالق لها وجب ان يكون هنالك من الافعال مالا يجرى على مشيئة الله تعالى ولا اختيار له فيه ويكون هنالك خالق غير الله تعالى وان فرضناه غير مختار لافعاله وجب ان يكون مجبرا على افعاله وهو من باب التكليف بما لا يطاق وهو باطل ولهذا صار الجمهور الى ان الاستطاعة شرط من شروط التكليف واما قدماء الاشعرية فانهم يجوزون تكليف مالا يطاق هربا من الاصل الذى من اجله نفته المعتزلة وهو كونه قبيحا فى العقل وايضا فانه اذا لم يكن للانسان اكتساب كان لا معنى لما تأمر به الشرائع من اصلاح الشؤن وتهذيب النفوس وتحصيل السعادة

وكما افترق المسلمون فى هذه المسئلة الى الفرقتين اللتين طال بينهما النزاع وكثرت بينهما المخاصمات افترق كذلك المتكلمون من المسيحيين الى فرقتين لكل فرقة شيع اخذت على نفسها تأييد المذهب الذى تعتقد به وتنفى ما سواه

الفرقة الاولى فرقة دومينيك . هذه الفرقة قد انتسبت الى القديس توماى حتى قيل لاصحابها توميون وسبب ذلك ان هذا القديس قد كانت له اليد الطولى فى تأييد مذهب القضاء وتزييف ماكان يراه سواه ولم يجسر احد على مناضلة القديس توما لتمكنه من الكلام وتفوقه فى الجدل والاصول الخطابية وقد سار اشياع توماس فى مذهبهم شوطا بعيدا حتى فاقوا مذهب الجبرية وكان ياتس يقول ان الله هو السبب فى جميع الموجودات فليس من سبب سواه فكل يسبب هو سببه وهو المسيطر على كل شئ وليس لغيره سلطان عليه

وقد اجتهد خلفاؤه فى التوفيق بين مذهبهم وبين مذهب الاختيار حتى اعجمت عباراتهم واختلطت اساليبهم حتى صارت غاية فى الخلط والغموض اما الفرقة الثانية

وهى فرقة لوايولا فقد ذهبت مذهب المعتزلة. وانتهى الجدال اخيراً بظهور مذهب جديد يقول بتأثير الله واختيار الانسان معا وهو المذهب الذى مال اليه بوسيه المتقدم الذكر

الى هنا لم نر من المتكلمين من جمع بين متعارض النصوص ولا متناقضات البراهين العقلية بل كل واحد ذهب الى ماذهب اليه بدون ان ينقض حجج خصمه بما يقنع به نفسه فضلا عن سواه بل لم يتعرض لخصمه الا برميه بالشرك والمروق وغير ذلك مما لا نطيل به الكلام وانا بعد هذا نأتى بمقال ابن رشد فى هذه المسألة العويصة قال:

ان الله تبارك وتعالى قد خلق لنا قوى نقدر ان نكتسب بها اشياء هى اضداد ولما كان الاكتساب لتلك الاشياء ليس يتم الا بمباشرة الاسباب التى سخرها الله لنا من خارج وبزوال العوائق عنها كانت الافعال المنسوبة الينا تتم بالامرين جميعا فالافعال المنسوبة الينا انما يتم فعلها بارادتنا وموافقة الأفعال التى من خارج لها وهى المعبر عنها بقدرة الله وهذه الافعال التى سخرها الله لنا من خارج ليست متممة للافعال التى اروم فعلها او عائقة عنها فقط. بل هى السبب فى ان نريد احد المتقابلين فان الارادة هى شوق يحدث لنا عن تخيل ما او تصديق لشيء وهذا التصديق ليس باختيارنا بل هو شيء يعرض للامور التى من خارج مثال ذلك انه اذا ورد علينا امر مشتهى من خارج اشتهيناه بالضرورة من غير اختيار فتحركنا اليه ولذلك اذا طرأ علينا امر مهروب عنه كرهناه باضطرار فهربنا منه واذا كان هذا هكذا فارادتنا محفوظة بالامور التى من خارج ومربوطة بها والى هذا الاشارة بقوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله).

ولما كانت الاسباب التى من خارج تجرى على نظام محدود وترتيب منضود لا يخل بحسب ما قدرها باريها وكانت ارادتنا وافعالنا لا تتم ولا توجد بالجملة الا بموافقة الاسباب التى من خارج فواجب ان تكون اعمالنا تجرى على نظام محدود أعنى انها توجد فى اوقات محدودة ومقدار محدود وانما كان ذلك واجبا لان افعالنا تكون مسببة عن تلك الاسباب التى من خارج وكل مسبب يكون عن اسباب محدودة مقدرة فهو ضرورة محدود مقدر وليس يكفى هذا الارتباط بين افعالنا والاسباب التى من خارج بل وبينهما وبين الاسباب التى خلقها الله فى داخل

ابداتنا والنظام المحدود الذى فى الاسباب الداخلة والخارجة التى لا تختل هو القضاء والقدر الذى كتبه الله على عباده وهو اللوح المحفوظ وحكم الله تبارك وتعالى هذه الاسباب وما ينشأ عنها هو العلة فى وجود هذه الاسباب ولذلك كانت هذه الاسباب لا يحيط بمعرفتها سوى الله تبارك وتعالى ولذلك كان هو العالم بالغيب وحده وعلى الحقيقة كما حكى فى كتابه الكريم (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) وانما كانت معرفة الاسباب هو العلم بالغيب لان الغيب هو معرفة وجود الموجود فى المستقبل اولا وجوده ولما كان ترتيب الاسباب ونظامها هو الذى يقتضى وجود الشيء فى وقت ما او عدمه فى وقت ما والعلم بالاسباب على الاطلاق وهو العلم بما يوجد منها او ما يعدم فى وقت من اوقات جميع الزمان فسبحان من احاط اختراعا وعلما بجميع الاسباب وهى مفاتيح الغيب المعنية فى قوله (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) .

المادة وخلق العالم (١)

تنحصر آراء الفلاسفة والعلماء من المسلمين وغيرهم عن الخلق والخالق فى رأيين

ايجاد العالم وتركه له عناية الهية تدبر العالم وهذا رأى المتكلمين

الرأى الثانى ان المادة ازلية لا بداية لها ونشأة الكون انما هى من نمو دقائق هذه المادة بقوتها الخاصة نمو لا ترتقى به من حالة الى حالة اخرى ارقى وهذا رأى الفلاسفة

رأى المتكلمين مبنى على أمرين الاول حدوث المادة الثانى وجود خالق مطلق متصرف فى الكون مدبر له ولنتكلم على كل واحد من الامرين

حدوث المادة معناه عند المتكلمين وجود الاجسام واعراضها بعد ان لم تكن موجودة بحيث يفرض لوجودها بداية زمانية تنتهى اليها سلسلتها من جانب الماضى ولا يجوز ان يوصف بالازلية الا الله تعالى . وقبل هذه البداية التى لا يمكن

(١) اكثر ما ورد فى هذه الموضوع من الآراء والمباحث انما جاء طبقاً لما تقرر واثبت فى كتب التوحيد وكتب الفلسفة الاسلامية ولنا فى ذلك آراء اخرى سنأتى عليها موصلة فى اعداد الهداية المقبلة

تحديد هـا لم يكن وجود سـوى وجود خالق الكون فاوجد الكون من العدم البحت وهذا مذهب اهل النظر ايضا من المسيحيين واليهود .

اما الامر الثـانى وهو وجود الخـالق المتصرف فلازم للامر الاول لان هذا العالم اذا كان موجودا بفعل موجد فموجده هو خالقه وهو مطلق التصرف بمعنى انه يختار ما يخلق على الوجه الذى يشاء

والمتكلمون وان اتفقوا على ان موجد العـالم مختار انقسـموا الى طائفتين عظيمتين فالمعتزلة قالوا ان الخالق وضع للكون نظاما تنطبق اصـوله على مصـالح المخلوقين واودع فى المخلوقين قوى تصدر عنهـا آثارها بطريق التوليد والسـببية او بطريق الارادة والاختيـار وقد بقى من اهل هذا المذهب الى اليوم طائفة الشيعة الامامية والزيدية فانهم لا يخالفون المعتزلة فى هذه الاصول

والطائفة الثانية ترى اسـناد الآثار الى الله مباشرة وان لا تأثير للاسباب فى مسبباتها واذ بينا رأى المتكلمين ومذهب الفلاسفة نذكر رأى الفيلسوف ابن رشد .

قال فى كتاب ماوراء الطبيعة ان فى خلق الكون رأيين متناقضين وبينهما عدة آراء فالقولان المتناقضان قول بعضهم ان الكون نشأ بالنمو الطبيعى وقول بعضهم انه اوجد من العدم .

أما انصار النمو الطبيعى فيفسرون الخلق بتولد الكائنات وخروجها بعضها من بعض والفاعل فى ذلك عندهم لا وظيفة له غير تسهيل هذا التوليد

وأما انصار الخلق فعندهم الفاعل يوجد الشئ من غير احتياج الى مادة او نمو وهذا الرأى رأى كثير من المتكلين المسلمين والنصارى خصوصا يوحنا النصرانى الذى يعتقد ان قوة الخلق والايجاد موجودة فى الفـاعل لا فى المادة أما الآراء التى بين هذين الرأيين فتنحصر فى رأيين ايضا

الرأى الاول يرى اصحـاب هذا الرأى ان قوة الايجـاد والخلق موجودة فى الفاعل ولكن الفاعل لا يخلق شيئا من لا شئ فوظيفته عندهم ايجاد الصورة التى يجب ان تخلق المادة بها ولذلك يدعون الفاعل بواهب الصورة وقد ذهب الى هذا الراى ابن سينا

الرأى الثانى يرى اصحابه ان الفاعل فى الخلق تارة يكون متصلا بالمادة وتارة يكون منفصلا عنها وهذا مذهب تميتوس والفارابى

بقى هنالك مذهب ثالث ذهب اليه أرسطو وهو ان الفاعل الموجد يوجد جملة المادة والصورة وذلك بتحريكها تحريكاً يسهل لها الخروج من حيز القوة الى حيز الوجود فليس للفاعل وظيفة سوى تسهيل الخروج والافعال بين المادة والصورة فكل خلق اذاً عبارة عن حركة سببها الحرارة التى بمجرد انتشارها فى العناصر تولدت الكائنات بدون لقاح والطبيعة تخلق هذا الخلق بهذا الترتيب البديع كما لو كانت مسوقة اليه بعقل راق وتلك القوات التى يتم بها الخلق والايجاد والتى هى ناشئة عن حركة الكواكب وبتأثيرها فى العناصر هى ما كان يسميها افلاطون بالعقول

وقد كان أرسطو يرى ان الله قد يجعل الشىء لا شىء كما يخلق شيئا من لاشىء بناءً على ذلك يكون الاعدام عملا من اعمال الله كما ان الايجاد كذلك ولكننا نعتقد غير ذلك

نعتقد ان الاعدام عمل كالايجاد اى انه يتبع نظاما مثله ذلك ان كل شىء وجد انما هو مستعد بطبيعته للفناء فالفاعل فى حالتى الايجاد والفناء لا وظيفة له غير تسهيل خروج ذلك الاستعداد من حيز القوة الى حيز الفعل فالعمدة فى الحالين على الفاعل وعلى القوة الكامنة فى المادة معا ولنتكلم بعد ذلك على قدم العالم فانها والمسألة السابقة صنوان

قدم العالم

اتفق ارباب لشرائع والملل من اهل الاسلام وغيرهم على ان العالم محدث وخالفهم فى ذلك جمهور الفلاسفة وتوقف جالينوس فيه حكى بعض المؤرخين انه قال لبعض تلاميذه فى مرضه الذى توفى فيه اكتب عنى ما علمت ان العالم قديم او حادث

ولم يعن احد من فلاسفة الاسلام بارجاع الاختلاف بين الاشعريين والحكماء الى الاصطلاح اللفظى غير ابن رشد فانه أبان الاخلاف بين الاشعريين والحكماء وبان من وسع دائرة الخلاف بين الفريقين لم يعرف مراد الفلاسفة ولم يقف على اصولهم قال ابن رشد ان هناك ثلاثة اصناف من الموجودات طرفان وواسطة بين الطرفين فاتفق الفريقان فى تسمية الطرفين واختلفوا فى الواسطة فاما الطرف الواحد

فهو موجود وجد من شى غيره وعن شى اعنى عن سبب فاعل ومن مادة والزمان متقدم عليه اعنى على وجوده وهذه هى حال الاجسام التى يدرك تكونها بالحس مثل تكون الماء والهواء والارض والحيوان والنبات وغير ذلك فهذا الضعف من الموجودات اتفق الجميع من القدماء والاشعريين على تسميتها محدثة

واما الطرف المقابل لهذا فهو موجود لم يكن من شئ ولا عن شئ ولا تقدمه زمان وهذا ايضا اتفق الجميع من الفرقتين على تسميته قديما وهذا الموجود مدرك بالبرهان وهو الله تبارك وتعالى الذى هو فاعل الكل وموجده والحافظ له

واما الصنف الذى بين هذين الطرفين فهو موجود لم يكن من شئ ولا تقدمه زمان ولكنه موجود عن شئ اعنى عن فاعل وهذا هو العالم باسره والفرقتان متفقتان على وجود هذه الصفات الثلاث للعالم فان المتكلمين يسلمون ان الزمان غير متقدم عليه او يلزمهم ذلك اذ الزمان عندهم شئ مقارن للحركات والاجسام وهم ايضا متفقون مع القدماء على ان الزمان مقارن المستقبل غير متناه وكذلك الموجود المستقبل وانما يختلفون فى الزمان الماضى والموجود الماضى فالمتكلمون يرون انه متناه وهو مذهب افلاطون وشيعته. وارسطو وفرقته يرون انه غير متناه كالحال فى المستقبل فهذا الموجود الآخر قد اخذ شبها من الوجود الحقيقى وشبها من الوجود القديم فمن غلب عليه ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سماه قديما ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث سماه محدثا وهو فى الحقيقة ليس محدثا حقيقيا ولا قديما حقيقيا فان المحدث الحقيقى فاسد ضرورة والقديم الحقيقى ليس له علة ومنهم من سماه محدثا ازليا وهو افلاطون وشيعته لكون الزمان متناهيا عندهم من الماضى فالمذاهب فى العالم ليست تتباعد كل التباعد حتى يكفر بعضها اولا يكفر فان الآرا التى شأنها هذا يجب ان تكون فى الغاية من التباعد اعنى ان تكون متقابلة كما ظن المتكلمون ان اسم القدم والحدوث فى العالم باسره من المتقابلة ولكن الامر ليس كما ظنوا

وهذا كله مع ان هذه الآرا فى العالم ليست على ظاهر الشرع فان ظاهر الشرع اذا تصفح ظهر من الآيات الواردة فى الانباء عن ايجاد العالم ان صورته محدثه بالحقيقة وان نفس الوجود والزمان مستمر من الطرفين وذلك ان قوله تعالى (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء) يقتضى بظاهره وجودا قبل هذا الوجود وهو العرش والماء وزمانا قبل هذا الماء وقوله تعالى) يوم

تبدل الارض غير الارض والسموات) يقتضى ايضا بظاهره وجوداً ثانيا بعد هذا الوجود وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء) يقضى بظاهره ان السموات خلقت من شئ .

والمتكلمون ليسوا فى قولهم ايضا فى العالم على ظاهر الشرع بل متأولون فانه ليس فى الشرع ان الله كان موجودا مع العدم المحض ولا يوجد فيه نص ابدا اللهم الا بعض اخبار آحاد فكيف يتصور فى هذه الآيات ان الاجماع انعقد عليه

والخلاصة أن أبا الوليد يرى ان المادة ازلية وان صورة العالم حادثة بالحقيقة وان الوجود غير منقطع من الماضى والمتسقبل .

حافظ وهبي

(الحروب الصليبية الحاضرة)

الحرب فى البلقان

جاء بمجلة (ذى فورت نيتلى ريفيو) الانجليزية لشهر نوفمبر الماضى المقالة الآتية للكاتب الانجليزى المشهور (الس باركار) فاحببنا ترجمتها فيما يلى :

قال: قرأت منذ مدة قصيرة ماخطه يراع (السير ماكس دوشنير) عن رحلته الأخيرة فى شبه جزيرة البلقان التى كان القصد منها تنبيه افكار ملوك و وزراء حكوماتها الى وجوب تجنب الدخول فى حرب عامة وحثهم على العمل يد اواحدة ليوجدوا بينهم التضامن القومى ولكن ارى اليوم مع الأسف الشديد هذه الممالك فى حرب طاحنة وها هى الروسيا والنمسا وايطاليا ايضا تستعد للدخول فى حومة الوغى فضلت افكار الكثيرين ازاء الحالة الحاضرة واخذوا يتساءلون عن سر هذا التطور الغريب الذى فاجأتهم به ظروف الاحوال على حين بغتة ولعل اهم ما يدور على السنتهم من الاسئلة قولهم : لماذا نشبت الحرب ؟ وهل عجزت السياسة وأربابها عن العمل لاجتنابها ؟ وهل يا ترى يتسع فيما بعد نطاق الحرب عن دائرة شبه جزيرة البلقان ؟ وما هى الوسائل الفعالة التى يجب على

بريطانيا اتخاذها ازاء الحالة الراهنة؟ ففي الصفحات التالية اشرح لهم الجواب موجزا:

ظهرت لعالم الوجود الثورة التركية في شهر يوليو سنة ١٩٠٨ على حين غفلة فكانت سبب دهشة العالم باسره لانها تجلت للوجود بشكل سلمي محض لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر . فمن جراء هذا الانقلاب انقلبت الامة العثمانية من شكلها الاستبدادي المطلق الى الشكل الديمقراطي الحديث فنعم بذلك بال العثمانيين وقابلوا هذا الانقلاب بوجوه ضاحكة مستبشرة وهنأ بعضهم البعض وتآخى الناس على اختلاف اديانهم ونحلهم وحل بينهم السكون والوئام حتى انك ما كنت لتسمع من افواههم غير كلمات: الحرية : المساواة : الأخوة : العدالة : وبذلك كتب لتركيا حياة جديدة بين الامم وما هي الاعشية اوضحاها حتى قامت تركيا الحديثة وخلعت عنها كفن الموت فنهض بها رجالها الاماجد وساروا بها في طريق التقدم الى معارج الرقي والفلاح واخذوا يدافعون عن حقوقها ويثبتون كل مدعياتها حتى وصل الى مسامعنا من جانب ربوة الحرية ان تركيا ما عادت لتقبل اى تداخل اوروبي في شئونها الداخلية وانها ستحافظ على كيانها بتمامه حتى ان الاملاك العثمانية التي لا يربطها والامبراطورية العثمانية الا السيادة الاسمية فقط لابد ان ترجع اليها فتكون جزءا حيا منها فصدق كثير من الانجليز هذا الصوت وقالوا بان حياة جديدة للشرق بدأت منذ اليوم في الظهور ولكنني كنت الرجل الانجليزي الوحيد الذي جاهر على صفحات النشرات اليومية والمجلات الشهرية بان هذا الصوت كاذب وان الدستور العثماني غير طويل الاجل ولابد له من الانهيار سريعا كما انه سيكون سببا في تكوين وحدة بلقانية تقوم وتغزو تركيا نفسها

والى القراء نص ما كتبته يؤمئذ في نفس هذه المجلة في شهر اكتوبر سنة ١٩٠٨

« يبلغ تعداد سكان تركية اوروبا نحوا من ٦ ملايين لا يزيد عدد المسلمين بينهم عن الثلث [١] ولابد لرجال تركيا في سياستهم ان يطرقوا

---

[١] يدعي هذا الكاتب ان تعداد سكان تركية اوروبا لا يزيد عن ستة ملايين من النفوس فلو فرض ان سلمنا له جدلا صحة اعتقاده هذا فكيف نسلم له تقديره عدد السكان المسلمين بمليونين مع ان محاضر جلسات مجلس المبعوثين الرسميه تثبت بالحروف العريضة اعتراف نفس البلغاريين بان مسلمي مقدونيا يكونون ٦٠ في المائة من مجموع سكانها .

احـد بابين وكلاهما شر ووبال . فهم مخيرون بين اتبـاع سياسـة الاحرار او المحافظين فان سلكوا طريق السياسة الاولى بان جعلوا الانتخاب حرا على الطريقة الدستورية بحيث ان كل ولاية تنيب عنها من تراهم اكفاء للدفاع عن مصـالحها ووقاية مرافقها وبان ادخلوا الى الولايات الحكم الذاتى وبأن جعلوا الحكم للأغلبية فى تركيا على العموم ومقدونيـا على الخصوص فستكون الاغلبية من غير شك للمسيحيين وبذلك يكونون قد هيئوا للمسيحيين تقلد منصة الاحكام فتنقلب الآية ويصبح المحكوم حاكما والحاكم محكوما . وعلى ذلك فان اتبـاع هذه السـياسة سيقضى بسرعة زائدة على الامبراطورية التركية بالمحو والزوال .

فلهذا السبب ولأن كثيرين من رجال السـياسة العثمانية رأوا ببعيد نظرهم مبلغ الخطر العظيم الذى سيحيق بهم بسبب تقوية العناصر المختلفة الواقعة تحت حكمهم تجـدهم طلبوا وجـوب تطبيق سـياسة محافظة متطرفة حتى يمكن بو اسـطتهاان تمحى الاختـلافات المذهبية بين العنـاصر الكثيرة المختلفـة الموجـودة فى المملـكة من جهه وبين مجموع هذه العنـاصر والاتراك من جهة اخرى وقد رأوا ان احسن مايمكن ان ينفذبه هذا المشروع هووجوب جعل اللغة التركية اللسـان الوحيد الذى تدرس به العلوم فى جميع المدارس الكائنة فى الامبراطورية العثمانية وبذلك تقفل المدارس البلغارية واليونانية وغيرها . ولـكن هل فكر اصـحاب هـذا الرأى فى موقف بلغاريا واليونان والصرب ازاء هذا التطور الغريب الذى يسعى اليه الاتراك؟ وهل يرضى البلغار واليونان اوالصرب العثمانيون ان يدمجوا جنسيتهم فى جنسـية اخرى مباينة لها ويقضون بذلك على كيانهم السياسى ؟ وبصرف النظر عن هـذا كله هل تمكن سوقهم رغم انوفهم

وهل نسى للنواب البلغاريين حملتهم فى مجلس المبعوثين الاسبق يوم قاموا يطعنون الحكومة اذ ذاك لانها فى نظرهم قد تلاعبت فى تقدير العنصر البلغارى فى مقدونيا حتى لايكون من بينهم نواب بنسبة تعدادهم ثم قيام النائب البلغارى تشيدورف وعمله احصاءً دقيقا عن نسبة المسلمين للبلغاريين ثم اعترافه رسميا فى محاضر احدى الجلسات بان عدد المسلمين فى مقدونيا لايكون اقل من ستين فى المائة من مجموع تعدادها فهل نسى حضرة الكاتب الانجليزى ذلك ام اضـله التعصب الاعمى فتناساه .

لتنفيذ هذا المشروع الا اذا كسرت القيود الدستورية واتخذت ازاءهم خطة الاستبداد والجبروت وفى هذا رجوع كامل للعهد القديم بفصه ونصه .

كان من السهل جدا على الاتراك منذ قرنين ان يمحوا هذه العناصر كلها من طريق الكنيسة والمدرسة ولكن القيام بهذا العمل اليوم يعتبر من قبيل المستحيلات.

ان طريق الحكومة العثمانية الجديدة فى الفصل بين هذه العناصر من جهة وبينهم وبينها من جهة اخرى سيكون وعرا جدا ومحفوفا بالمكاره والمخاطر.

فالولايات البلقانية ترقب اليوم الحوادث بعين ساهرة لاتنام فهى (الحكومات البلقانية) وان كانت قد هنأت تركيا بحكومتها الجديدة لكن مصالحها ومرافقها تنا فى هذا التطور الذى دخلت فيه تركيا سيما وانهم بطبيعة الحال سيضطرون لمقاومة تحويل ابناء جنسهم فى المملكة العثمانية الى الجنسية التركية

وعلى هذا فمن المحتمل جدا انهم يضطرون ازاء هذا الموقف لتجريد السيف مرة واحدة للدفاع عن برنامج اتساع ملكهم الذى يهدده تحويل عناصر الدولة العلية المختلفة الى عنصر واحد هو العنصر التركى)

قال الكاتب فمن الاسف الشديد ان تنبؤ قد تحقق بحذافيره فسقوط تركيا الجديدة كان امرا طبيعيا لم يكن فى الاستطاعة الوقاية منه .

ان الامم والحكومات القديمة كائنات ثقيلة بطيئة الحركة ولا يمكن تحويل مجرى سيرها وتطور اخلاقها الا من طريق الارتقاء التدريجى الذى يجب ان لا يكون محسوسا وبذلك يستغرق فى تمام دورته زمنا طويلا جدا يجعل هذا الارتقاء ثابت البنيان قوى الدعائم .

ان الديموقراطية كالنبت لاينمو الا بالتدريج على شرط ان يكون فى ارض صالحة وقابلة للانماء فهذه الديموقراطية لايمكن ايجادها باى حال من الاحوال فى بلاد مثل بلاد الدولة العثمانية اوفارس اوالصين فى لمحة واحدة (كذا يزعمون)

دفع تهييج شعوب ممالك البلقان حكوماتها الى العزم على الدخول فى حومة الوغى فلم يبق بعد ذلك الا ان تقوم الدول الاوروبية الكبرى فتنذر هذه الممالك لترعوى عن غيها ولكن مما يؤسف له ان هذه الدول لم تقم بالواجب فى حينه فذهبت الفرصة . ومع هذا فاى شعب متهيج العواطف ثائر النفس شديد الانفعال ينصاع لمثل هذا الانذار الذى لم يخرج عن حد النصيحة المطلقة التى لم يؤيدها جيش او تعززها قوة ؟ لقد كان الموقف دقيقا حرجا ولم يكن فى استطاعة

الدول ان تفعل اكثر من ذلك . غير ان حكومة النمسا والمجر هي الحكومة الاوروبية الوحيدة التي كانت تستطيع بمركزها الطبيعي الممتاز ان تقضي على هذه المشاغبات قبل ان يستفحل امرها . نعلم ان نهر الطونة هو الحد الفاصل بين النمسا والصرب التي تقع عاصمتها بلغراد على نفس هذا النهر فلو ان النمسا بعالها في هذا النهر من السفن الحربية وما يمكن ان تجمعه من جيوشها امام بلغراد قامت وابلغت الصرب بانها في حل من احتلال عاصمتها والتوغل في داخل بلادها فلو هي حركت اقل ساكن ضد العثمانيين لكان قضي الامر وانفض المشكل قبل ان يفرخ ويؤول الى هذا الشكل الفظيع .

وبما ان رومانيا لايفصلها عن بلغاريا الا هذا النهر نفسه وسياسة رومانيا تنطبق تماما على السياسة النمسويه فكان من المنتظر ان تقوم رومانيا امام صوفيه بما كانت تقوم به النمسا امام بلغراد .

فلما ذا لم تتخذ النمسا هذه الخطوات في سبيل المحافظة على السلم في البلقان مع انها هي الخطوات الوحيدة التي كانت تمنع وقوع الحرب ؟

ليس في الامر غير واحد من اثنين فاما ان النمسا لم تهتم بوقوع الحرب ولم تحسب لها حسابا ولم تراع مايمكن ان ينجم عنها من تهييج عواطف السلافيين الروسيين واما ان النمسا كانت ترى وقوع هذه الحرب من مصلحتها السياسية .

وللفصل فيما اذا كانت هذه الحرب لاتخرج عن دائرة البلقان نأتي بشذرة تاريخية عن اصل العداء المستحكم بين النمسا والروسيا بخصوص شبه جزيرة البلقان .

ان مركز النمسا في الحقيقة مركز لايخلو من الخطورة فهي في تكوينها السياسي من حيث تعدد العناصر واختلاف اللغات لاتقل عن جارتها تركيا . ففي النمسا اليوم اكثر من ١٦ لغة حية كل لغة مستقلة عن غيرها . واذا كان العنصر الالماني يحكم النصف المختص به والعنصر المجري يحكم النصف الآخر فان ذلك لايعني ان الاغلبية المطلقة في المملكة لهذين العنصرين اذلا يوجد بين مجموع تعداد سكان النمسا والمجر البالغ قدر ٥ نحوا من ٥٢ مليون اكثر من ١٢ مليون الماني و ٩ ملايين مجري . واذا نظرنا لمركز مجموع العنصرين البالغ ٢١ مليونا نجده يقع في قلب المملكة فهو محاط من جهاته الثلاث الشمال والشرق والجنوب بما لايقل عن ٢٥ مليون من العنصر السلافي .

فالعنصر السلافى الموجود فى النمسا والمجر يكون فى التعداد جزءا اكثر من مجموع العنصرين الحاكمين فى المملكة ولكن من الاسف ان هذا العنصر (السلافى) متأخر جدا فى حياته الاجتماعية والمدنية وذلك بما ناله من الاضطهاد والظلم من جانب العنصرين الحاكمين (الالمان والمجر) . ومن اوضح البراهين على ان السلافيين فى النمسا والمجر لا يعاملون بالعدل والنصفة ان نسبة عدد النواب منهم فى البرلمان لاينطبق على تعداد نفوسهم . ولكن لايمكن المطلع على احوالهم الا ان يحكم لهم بالمستقبل لانهم فى تقدم مستمر فلا تمضى عليهم بضعة اعوام حتى ينالوا حقهم المهضوم . انهم يطالبون الحكومة بالمساواة السياسية وبما ان نسبة المواليد بين السلافيين اكثر بكثير منها بين الالمانيين والمجريين فان النمسا فى خطر عظيم من تغلب هذا العنصر السلافى عليها وجعلها مملكة سلافية بحتة ، ولكن يقلل من اهمية هذا الخطر ان السلافيين النمسويين يتكلمون بلهجات كثيرة فلغتهم ليست واحدة واخلاقهم ومشاربهم بل ومصالحهم لا تتفق على الدوام سيما وان الحكومة الحاضرة تزرع من بذور الشقاق بينهم مايوسع الخرق ويجعل اتحادهم من قبيل المستحيل اوالصعب المنال .

ولو انا صرفنا النظر عن هذا الخطر الداخلى فاننا لن ننسى او نتناسى ماقد يصيب النمسا من الخطر الخارجي بالنظر للجامعة السلافية التى اتسع نطاقها بين الولايات المتاخمة للحدود النمسوية .

يحيط بالنمسا من جهاتها الثلاث الشمال والشرق والجنوب كل من الروسيا ورومانيا والصرب فهذه الحكومات السلافية الثلاثه تمس الحدود النمسوية حيث يوجد العنصر السلافى النمسوى .

يوجد بين العنصر السلافى النمسوى اكثر من مليونى سلافى رومانى ومالا يقل عن خمسة ملايين ونصف سلافى صربى . والصربيون الذين لا يزيدون عن ثلاثة ملايين فى البلاد الصربية يحلمون بتكوين المملكة الصربية الكبرى القديمة مرة اخرى والرومانيون يحلمون كذلك بتكوين المملكة الرومانية وبالطبع ان هذه الممالك لاتبنى اوتكون الا على جزء من جسم النمسا وحدها .

فعلى هذا التقدير لاتريد النمسا من جراء تجنب الخطر السلافى وحده ان ترى ولايات البلقان السلافية فى تقدم وخصوصا الولايات التى ليست مع النمسا على صفاء .

ان اكبر حرب يمكن ان تدخل فيها النمسا فتستعد لها هى حرب روسية نمسوية . فالمنتظر فى مثل هذه الحرب ان تساعد الروسيا الولايات البلقانية السلافية التى حررت الروسيا رقابها من الحكم التركى سيما وان الروسيا قد تعد هذه الولايات باعطائها الاجزاء النمسوية المأهولة بالعنصر السلافى المتاخمة لاملاكها .

وبما ان الجيوش البلقانية السلافية ستكون خطرا كبيرا جدا على الجيش النمسوى الواقف امام الروسيا فان من مصلحة النمسا الحقيقية ان ترى هذه الحكومات البلقانية ضعيفة ذليلة متفرقة لايربطها بعضها ببعض ايما رابط .

ان شبه جزيرة البلقان هى المخرج الوحيد لأمل النمسا فى التوسع وامتداد الملك . فاذا وجدت فى البلقان حكومات قوية قادرة فانها ستكون عقبة كؤودا فى سبيل تقدم النمسا نحو سالونيك او الاستانه وعلى هذا فان حربا بلقانية تكون فى صالح النمسا جدا لانها تقربها من الجنوب الشرقى شيئا فشيئاً .

واذا كانت النمسا يمكن ان تخاف بطش الجيوش الروسية فان مصلحتها السياسية تقضى عليها بان ترى تركيا دولة قوية قادرة فهى تساعدها بكل ما يمكن ان يصل اليه جهدها . اما اذا كانت لاتعبأ بالجيوش الروسية ولا تحسب لها حسابا فوق العاده فان من مصلحتها ان ترى دول البلقان وتركيا فى حرب طاحنة حتى يهلك كل طرف خصمه وبذلك لاتتحمل النمسا كبير عناء فى الوصول الى سالونيك او الاستانه .

واذا ما نظرنا الى حوادث عام ١٩٠٨ يوم قامت النمسا والتهمت البوسنه والهرسك واعدت جيوشها للدخول فى حومة الوغى مع الروسيا نعلم ان النمسا ما عادت لتخشى الروسيا ابدا وانها اصبحت عليها قوية قادرة . فقوة الروسيا الحاضرة التى سببتها الحرب اليابانية الروسية قد غيرت كثيرا من موقف النمسا والمانيا ازاء الدولة العلية . والمشاهد للأحوال السياسية فى الشرق الادنى يلاحظ ذلك وهذا هو السبب الذى جعل الدولتين الجرمانيتين تقفان مكتوفتى الايدى امام اغارة البلقانيين على تركيا مع انهما القوة الوحيدة التى كان يمكنها تخليص تركيا مما اصابها اذا كانت لهما غاية فى ذلك او رغبة .

ان مصالح النمسا والروسيا فى البلقان لاتتفق باى حال من الاحوال . والمسئلة يرجع عهدها الى زمن بطرس الاكبر فقد كان من اكبر امانيه ان يستولى على الاستانه كما كانت النمسا تطمع فى ان تكون خليفة للاتراك فى ملكهم .

حتى عام ١٦٩٩ كانت الامبراطورية العثمانية ممتدة حتى (نيوهوزل) قريبا من فينا فكانت تضم بين جوانحها مدينة بودابست اى انها اكتسحت المجر وما وليها حتى الاستانه . فلمابدأ الاتراك يهددون اوروبا — حاصر الاتراك فينا سنة ١٥٢٩ وفى سنة ١٦٨٣ — قامت النمسا فهز منهم وجعلت نصب عينها ان تحمى المدنية الاوروبية وان تتبع الاتراك فى ملكهم حتى تستولى عليه . وقد بدأت النمسا بالفعل فامتدت املاكها من الجهة الشرقية بما تأخذه من الاتراك وكان يدور فى خلدها ان ترث ملك آل عثمان عن آخره ولكن صدمها انتصارات بطرس الاكبر على الاتراك وقيامه بدعوى وراثة هذا الملك لانه احق به من سواه . فمنذ هذا العهد (عهد بطرس الاكبر) كانت كل من الروسيا والنمسا تسعى الى تحديد ملكها حتى القرن الذهبي فكانت كل واحدة منهما ترقب حركات الاخرى بكل دقة وانتباه .

وليست الدواعى والدوافع التى تستحث الروسيا للقبض على الاستانه تاريخية فقط بل انها فوق ذلك دواع حربية واقتصادية ايضا . ان بوغاز الدردنيل هو المخرج الوحيد للبلاد الروسية . ولقد ارتنا حرب القرم مبلغ ماقد تناله من الروسيا امة معادية تكون قابضة على البوسفور والدردنيل . وبصرف النظر عن هذا فان اخصب الاراضى الروسية واكثرها عمارة هى الجزء الجنوبى منها الواقع على البحر الاسود مباشرة او القريب منه اى المناطق التى يرويها نهر الدنيبر والدون والفولجا وهذه المناطق ليس لها مخرج أصلا الا البوسفور والدردنيل . وعلى هذا فان ثلثى تجارة الروسيا البحريه تتوقف على حرية البحر الاسود . نعم ان حرية التجارة فى البحر الاسود تهم انجلترا كثيرا لانها تستورد منه الجزء الاعظم من القمح ولكن هذه الحرية أهم بكثير جدا للروسيين لان انجلترا فيما اذا اقفلت البوغازات يمكنها ان تستورد ماتحتاجه من قمح الارجنتين او كانادا ولكن الروسيا لاتستطيع تصريف كل غلالها من طريق البرلان تكاليف الطرق الحديدية تجعل ثمنه باهظا جدا . وعلى هذا فان اقفال الدردنيل فى وجه التجارة الروسيه يكون وبالا عليها .

ان تجارة الروسيا فى البحر الاسود آخذة فى الازدياد المحسوس والمنتظر ان يتسع نطاقها بدرجة هائلة فمن الجلى الواضح انه لاسباب سياسية واقتصادية لاتسمح الروسيا ابدا ان تترك الاستانه تقع بين يدى دولة اوروبية قوية .

والنمسا ترمي ايضا الى الاستيلاء على الاستانه فاذا لم يكن بدمن التنحى عنها لسبب مافانها لن تسمح ابدا باستيلاء الروسيا عليها وعلى هذا النحو بنت النمساسيا ستها الخارجية اكثر من قرن كامل . وكما ان شغف الروسيا بالاستيلاء على الاستانه يرجع الى اسباب تاريخية وحربية واقتصادية فكذلك الحال مع النمسا . اما الاسباب التاريخية فقدمر ذكرها اجمالا . واما الاسباب الحربية والاقتصادية والتناظر الحاصل بين الدولتين فقدبينه اكبر مشيرى النمسا فى العبارة الآتيه :

قال المشير (نظراً لموقع روسيا الجغرافى فانها عدوة تركيا الطبيعية لأن محصولات الروسيا جميعها ليس لها سوى منفذين الاول طريق بحر البالطيق والثانى طريق البوسفور والدردنيل. وعلى هذا فان الروسيا لتكون آمنة على مرافقها ورواج تجارتها لابدلها ان تقبض بيدها على البوسفوروالدردنيل لتكون آمنة مطمئنة على سلامتها الحقيقية التى لايعكر صفوها معكر . لقد حدث ان أخر تنفيد مشروع حل المسئلة الشرقية حلا ملائما لآمال الروسيا ولكن هذه الدولة لم تنسه فى يوم من الايام .

ان مخاوف اوروبا من اتساع نطاق ملك الدب الروسى لم تخف على احد يوما من الايام . ولعل مانراه كل يوممن وضع خطط الدفاع فى كل مملكةسواها (الروسيا) هواثر هذه المخاوف .

لاشك فى ان الروسيا هى اكبر الاخطار واجسمها على كيان النمسا وليس هنالك شئ اكثرغرابة وخرقا للعادة من بقائنا معها على الدوام فى سلام. يبلغ تعداد الروسيا فى الوقت الحاضر ضعف تعدادنا وزيادة المواليد فى الروسيا لابد ان تضاعف تعدادها كل ٥٤ سنة وتجعله اربعة اضعافه كل ١٠٨ سنة . هذا فضلا عن امكان مصير الروسيا اغنى دولة فى العالم باسره ان هى عنيت بامورها الزراعية والصناعية العناية الواجبة .

اما فى مملكتنا فيوجد عنصر قوى جدا (السلافى) يمتد من باكووينا الى كرواشيا ويشترك معالروسيا فىاللغة والدين فهو بطبيعة الحال يمالئ الروسيا كل الممالاة .

فمن كل هذه المشاهداتومن ظروف الاحوال الحاضرة نستنتج ان الروسيا هى الدولة الوحيدة التى قد يظهر منها الخطر الاعظم ضد الوطن المقدس .

ان مركز روسيا الجغرافي يجعلها بطبيعة الحال مضطرة الى وجوب المحافظة على دوام فتح بوغازى الدردنيل والسوند فالروسيا يمكنها ضمانة بقاء البوغاز الاخير (السوند) مفتوحا بان تجعل شاطئيه تحت حكم مملكتين منفصلتين او ان تقيم عليه الحصون والاستحكامات كما هو الحال فى جبل طارق . ولكن النمسا لا يمكنها باى حال من الاحوال ان تسمح للروسيا بالاستيلاء على تركيا اوجزء منها لان معنى ذلك انحلال النمسا وفناؤها فناء ابديا .

ان نهر الطونه هو شريان الحياة للنمسا فمصبه فى البحر الاسود ضرورى لحياة النمسا كضرورة الدردنيل والسوند لحياة الروسيا فلضمان بقاء الطونة نهرا حرا لمصلحة النمسا يجب ان يبقى الدردنيل والسوند بوغازين حرين .

من ذلك نستنتج ان مصالح النمسا والروسيا المتحاكة لابد ان تؤدى بهما الى الدخول فى حرب طاحنة اللهم الا اذا امكن الدولتين الوصول الى حل يرضى الطرفين بالنظر لتركيا ومركزها الممتاز بينهما .

ثم رجع الكاتب وعلق على ذلك فقال ان ماجاء به المشير فى كلامه السابق من ان مصالح النمسا والروسيا فى البحر الاسود تتساوى بينهما لا ينطبق على الواقع نعم ليس ثمة من ينكر ان البحر الاسود هو المصرف الاعظم للتجارة الروسية بالخصوص والتجارة النمسوية ايضا . ولكن ليس من حاجة للاتيان بالارقام للدلالة على ان المصالح الروسية اضعاف اضعاف المصالح النمسوية فى البحر الاسود لان ذلك جلى ظاهر .

اقتحمت تركيا غمار الحرب الحاضرة فاما ان تدور رايتها يمينا ويكتب لها الفوز والنصر واما ان يأفل نجمها وترجع من الحرب مقهورة مغلوبة فلأجل ان نعرف مبلغ اتساع نطاق دائرة هذه الحرب وهل تبقى محصورة فى شبه جزيرة البلقان او ستتعداها يجدر بنا النظر لكل نتيجة على حدة كأنها حقيقة واقعة وبذلك يمكننا الحكم على مستقبل هذه الحرب . فلنتكلم الآن عما قد ينجم من الامور فيما اذا كانت الغلبة للعثمانيين على اعدائهم بفرض عدم تداخل احدى دول اوروبا فى المسئلة تداخلا فعليا بقوة السلاح .

لنفرض انتصار تركيا على جيوش الدول المتحدة انتصارا باهرا فهل يحل هذا الانتصار المسئلة البلقانية حلا نهائيا ؟ كلا وانما يمهد السبيل فقط لهذا الحل

المنشود تمهيدا بسيطا تبقى معه الحزازات الدينية بين المسلمين والمسيحيين ولا تزول به الصعوبات القائمة في وجه الاتراك الذين هم الاقلية الصغرى في حكم العناصر المسيحية المتعددة التي تكون الاغلبية المطلقة (سبق فندناهذا الزعم الباطل في صدر هذه المقالة)

ان الاختلافات القائمة بين العناصر البلقانية ترجع الى العنصرية قبل الدين - ومن المشاهد المحسوس يؤخذ ان الاتراك مجردون من مزية حكم الامم والعناصر الاخرى تماما فانهم لا يستطيعون — حتى مع طول الزمن — ادماج ما لديهم من العناصر في عنصرهم الذي يملك زمام الحكم بيده وعليه فلا امل البتة ابدا في نجاح مسعى هذه الدولة لبسط نفوذها على املاكها بمقدونيا لانها كما قال البرنس (لوبانوف) لا تريد ان تغير طريقة حكمها الشعوب الاخرى لانها لا تستطيع ادخال هذا التغيير .

فكل هذه الاعتبارات قد يمكن ان تؤثر في مركز الدول العظمى ازاء المشكلة الحاضرة فتضطرها للتداخل في الامر لانه يتعذر جدا ترك الفصل في المسئلة لنتيجة الحرب وحدها (وقد صدق ظن هذا الكاتب ووقفت الدول في جانب حكومات البلقان وقدمت للباب العالى انذارها المعروف دون مبالاة ولا تردد فقضت بذلك على الاسلام شر القضاء)

ان اوروبا تحمل كثيرا من المتاعب وترى من الارتباكات اكثر . وكل ذلك بسبب المسائل البلقانية فهي احوج ما يكون الى تصفية نهائية يسود بعدها السلام وتعم الطمأنينة . لذلك لا عجب اذا سمعنا كثيرا من الاصوات الاوروبية ترفع عقيرتها بطلب عمل هذه التصفية النهائية في الوقت الحاضر من غير مراعاة لنتيجة الحرب القائمة كائنة ما كانت وعلى ذلك يؤخذ من ماجريات الاحوال الحاضرة ان الدول الاوربية ستتداخل في الامر وتضطر الدولة العثمانية — حتى ولو كان النصر في جانبها — الى التنازل عن جميع املاكها في البلقان التي يكثر فيها العنصر المسيحي لتقضي بذلك على مصدر الاضطرابات التي تنجم عن الاختلافات العنصرية ...

فان كانت نتيجة الحرب على ما سلفنا فان الاملاك العثمانية الاوروبية ستنقص كثيرا ولكن لا ينتظر ان تقوم بعدها ضجة اخرى حول مسئلة الاستانة او سالونيك.

اما اذا كان النصر حليف العثمانيين وقدر لهم الغلبة على الجيوش البلقانية وحدث بناء على ذلك تداخل احدى الدول تداخلا فعليا بقوة السلاح فان تلك الدولة المتداخلة

لاتكون غير الروسيا لان بلغاريا والصرب والجبل الاسود من العنصر السلافى وتربطها بالروسيا روابط الدين واللغة وكثير من الاخلاق والعادات والذى يتصفح التاريخ العثمانى يتبين له جلية هذه الحقائق اذ يبنما يرى النمسا تشن غارتها على العثمانيين لمجرد الرغبة فى الفتح اذا به يرى الروسيا تعلن اعظم واشهر الحروب على الدولة العلية باسم الجنسية والدين . وفى جميع الحروب والثورات البلقانية التى حدثت حتى اليوم كان المتطوعون الروسيون يذهبون آلافا مؤلفة لمساعدة اخوانهم البلقانيين ضد الاتراك . فاذا ما تمكنت الدولة العلية من الضرب على ايدى المفسدين الثوار او انتصرت على الجيوش المحاربة فان الروسيا كانت على الدوام تسارع باعلان الحرب ضد الدولة انتصاراً للامم البلقانية التى تشترك معها فى الجنسية والدين .

فهل تقوم الروسيا مرة اخرى مدفوعة بعوامل شعورها الجنسى و الدينى وتدخل مع تركيا فى حرب طاحنة ؟

لقد ابانت الروسيا قبل اليوم انها لن تتداخل فى هذه الحرب ونحن ليس لدينا ما يحملنا على تكذيبها فى ادعائها هذا سيما والساسة الروسيون يناصرون السلام ويفضلونه على الدخول فى حرب ما اما الاسباب طارئة اولما لحق الروسيا من الضعف الشديد من جراء الحرب الروسية اليابانية التى هدت قواها ولكننا على اى حال لا ننسى او نتناسى ان الحروب فى الغالب لا تضرم نيرانها تبعاً للميول والعواطف اكثر من خضوعها لدواعى الضرورة والحاجة .

ان فظائع الحرب البلقانية التى ستبدو من كلا الجانبين ضد الاطفال والنساء قد تدفع الشعب الروسى ليحمل حكومته قهراً على الدخول فى ميدان الحرب نصرة لابناء جنسه ودينه فاذا وقع ذلك فقد تكرر الماضى وبدت لنا ثانية صفحة من صفحات التاريخ فى القرن العشرين ولئن خرجت تركيا من الحرب ظافرة منصورة فانها ستكون منهوكة القوى فلا تستطيع الوقوف طويلا امام الجيش الروسى الذى سيكون لهجومه ضد العثمانيين اسوأ وقع لدى النمسا والمجر ان تداخل الروسيا فى الامر تداخلا عملياً قد يدعو النمسا والمجر لتعبئة عامة بل قد يستجرها للدخول مع الروسيا نفسها فى حرب طاحنة . فاذا جالت بخاطر القيصر آماله القديمة من انه حامى الامم السلافية وعمل على توسعة نطاقها وامتدادها فان ذلك من غير شك يزعج النمسا اى ازعاج لان من صالحها ان لا ترى دول البلقان السلافية التى تحفها من جهاتها الثلاث فى قوة اومنعة

لذلك يكون من صالح الروسيا ان لاتظهر للعيان سيما انه من المتيسر لها ان تكون صاحبة الأمر والنهى المطلقين فى الاستانة من غير ان تضع يدها عليها مباشرة بعقدها مع الاتراك اتفاقا سرياً كاتفاق (انكيار اسكله‌سى) الذى كان فى سنة ١٨٣٣ القاضى لها بحق حماية المملكة العثمانيةمن غوائل غارات المغيرين عليها وعلى ذلك تكون مسئلة الاستانة قد انقضت نهائياً من غير ان يحدث بسببها اخلال التوازن الدولى العام .

لندع امر مستقبل الاستانة الآن ولننظر فىالنتائج والحوادث التىسنترتب على انكسار الجيوش العثمانية امام جيوش دول البلقان المتحدة .

قبل نشوب الحرب الحاضرة بقليل قامت دول اوروبا الكبرى وصرحت لدول البلقان انها لن تسمح لها مهما كان مبلغ انتصارها على العثمانيين بضم ممتلكات جديدة الى ولاياتها الحاضرة فتردد عقبذلك صدى اصوات البلقانيين من كل جانب بانهم لم يقوموا للحرب على نية افتتاح اراض جديدة يضمونها لبلادهم ولكنهم قاموا للدفاع عن اخوانهم فى الجنسيةوالدين الذين ارهقتهم مظالم المسلمين فهم بقيامهم انما يريدون تأسيس حكومة عادلة صالحة تنظر فى مصالح اخوانهم بما يلائم دينهم وعناصرهم فدوام سلطة الاتراك على هذه الولايات الاوروبية التى يوجد فيها العنصر المسيحى قوياً — حتى لوكتب لها النصر — يعتبر من قبيل خرق الحرمات المقدسة (! ! !) وبالطبع يكون من خرق الحرمات المقدسة (! ! !) ايضا ارجاع هذه الولايات مرة ثانية تحت حكم المسلمين اذا ماهزمت دولتهم وكسرت شوكتهاامام دول التحالف البلقانى واما ان تعطى الولايات التى افتتحها المسيحيون شبه استقلال مع بقاء السيادةالعثمانية الاسمية فقط (! !) عليها وعلى ممرالزمان يمكن لهاتيك الولايات الانضمام الى الحكومات البلقانية التى تشاكلها فى الجنسية والدين . وماتاريخ بلغاريا عنا ببعيد فهو اليوم انما يعيد نفسه مرة اخرى . ان ضياع تركيا امر لابد منه على اى حال فسواء انتصرت تركيا او انكسرت فالنتيجة فى كلتا الحالتين واحدة ولابد ان يكون منورائها اتساع ملك الولايات البلقانية التى لابد لها فىمستقبل الايام من تنازع البقاء لانكل ولاية من تلكالولايات ترمى من وراء سياستها الى الاستيلاء على الاستانة فالبلغاريون واليونانيون فى ذلك سواء .

وكما ان انتصار العثمانيين على الولايات البلقانية يدعو الى تداخل الروسيا

فكذلك انكسارهم يدعو الى تداخل النمسا لانها لاتنظر بعين الاستحسان الى اتساع نطاق الولايات البلقانية السلافية ان فى ذلك خطراً على كيانها السياسى فاذاما النمسا قامت لتحول بين الولايات المنتصرة وبين ثمار اتعابها اما باسم المحافظة على كيان تركيا واعادتها كما كانت اوبسط نفوذها فى شبه جزيرة البلقان فمن المحقق ان الروسيا تقوم فى الحال وتعارض سياسة النمسا لان مصالحها تكون فى ذاك الوقت مهددة بالضياع .

ان الروسيا والنمسا فى حالة انكسار تركيا لايمكنهما الاتفاق فى المصالح الامن احد طريقين احدهما عدم الفصل فى المسئلة البلقانية وارجاع الحال القديم كما كان باعادة تثبيت مركز تركيا الذى سبق ابتداء الحرب .

والآخر تقسيم شبه جزيرة البلقان بين الدولتين . ولكن الذى يمكن ان يراه المطلع على مجرى الاحوال السياسية فى الوقت الحاضر ينبىء بان الدول الاوروبية غير راغبة فى مديد المساعدة لتثبيت مركز تركيا مرة اخرى لان وجود تركيا باوروبا يعتبرامراً غير طبيعى بالمرة فى نظر الاوروبيين . وماكان لهذه الدولة الاسلامية (تركيا) ان تبقى بين ظهرانينا كل هذه المدة الطويلة لولا ماكانت تقدمه الدول الاوروبية لنفسها من المساعدة لهذه الدولة (تركيا) خوف ان تنشب حرب طاحنة بين الروسيا والنمساواتباعهما من جراء الاستيلاء على الاستانة وما عهد عام ١٨٤٠ وعام ١٨٥٦ وعام ١٨٧٨ عنا ببعيد اذ قامت اوروبا وناصرت الدولة العلية وحفظت عليها كيانها السياسى من التمزق والزوال على رغم منها (اوروبا) رجاءان هذه الدولة ستعمل على تقوية كيانها فى المستقبل وتصير دولة عصرية تمشى مع التقدم والرقى العمرانى وعلى انها (تركيا) تعامل رعاياها المسيحيين العديدين بالعدل والانصاف وانها تكون من العز والمنعة بحيث تقدر على المحافظة على بوغازى البوسفور والدردنيل .

ان ضعف تركيا يعتبر الخطر الدائم على السلام الاوروبى العام. فمن المشكوك فيه كثيرا جدا ان يقوم لتركيا شأن مرة رابعة سيما وان اصدقاءها قد فقدوا . قبل غيرهم . امل بقائها حية بعداليوم (كذلك آمالهم) وان كثيرين منهم ليرغبون شديدالرغبة فى عمل التصفية النهائية حتى تنقطع مسببات تعكير صفو السلام العام .

ان عمل التصفية النهائية لايكون فى الغالب الابتقسيم تركيا نهائيا ولكن حتى اليوم نرى النمسا عقبة كؤودا فى طريق الروسيا للاستيلاء على الاستانة لانها نفسها راغبة فى هذا الاستيلاء.ان النمسا قد تضع يدها يوما من الايام على

الاستانة ولكن بعد هزيمة الروسيا هزيمة كاملة لاتقوم لها من بعدها قائمة .

ان من امانى النمسا الاستيلاء على الاستانة ونكنها ستلاقى فى سبيل تحقيق هذه الامانى كثيرا من الصعوبات والاهوالفالروسيا والولايات البلقانية المتحدة لاتدعها تحقق احلامها حتى تجعل الدماء تجرى انهاراً .

ومن المعلوم ان اسطول النمسا ضعيف الحول ولا يكفى للدفاع عن مصالح وحاجات النمسا وقت ان تصبح الاستانة بين يديها فاذا ما اشتبكت النمسا مع الروسيا ودول البلقان المتحدة تصبح النمسا غير قادرة على المحافظة طويلا على الاستانة لانها تكون اذ ذاك فى انفصال تام عنها (الاستانه) من الداخل وفى الوقت الذى تتطلع فيه النمسا للاستيلاء على الاستانة فانها لاتصرف النظر عن الاستيلاء على نوفى بازار ومايتبعها لانها الآن تصرف مجهوداتهافىان لاترى الجهة الجنوبية الشرقية محتكة ببعض الممالك البلقانية وفى الوقت الذى تتشوف فيه الروسيا للاستيلاء على الاستانة لاسباب حربية واقتصادية .كذلك النمسا تود من صميم فؤادها الاستيلاء على ميناء سالونيك .

واذا كانت نتيجة الحرب الحاضرة ستقضى على ملك آل عثمان فى اوروبا ـ وهو مالاشك فيه ـ فان السبيل الوحيد لدفع وقوع حرب بين النمسا وروسيا ومابينهما من الحلفاء والانصار هو اعطاء الاستانه للروسيا وسالونيك للنمسا ولكن فى ذلك التقسيم بعض الخطر على السلام العام لأن الدول البلقانية لايمكن ان تسكت عن هذا التقسيم كما ان الدول الاوروبية الاخرى قد يجوز ان تقوم فتطالب بتعويضات قومية ازاء هذا التقسيم وهو مالاتحبه هاتان الدولتان فمثلا يمكن لايطاليا ان تطلب بسط نفوذها على ربوع البانيا وهذا مالا ترضاه النمسا بوجه من الوجوه . كذلك يمكن لرومانيا ان تطلب اعطاءها القسم الروسى من ولاية (بسارابيا) وبالطبع ان المانيا لايمكن ان تنسى نفسها ازاء هذه الظروف فعلى هذا الاعتبار يرى ان حل المسئلة البلقانية محفوف بالمخاطر والمكاره

ان تقسيم تركية اوروبا سيخلق مشاكل عديدة وسيدعو الى احتكاك شديد بين الأمم المتجاورة يدعو الى قطع العلائق والصلات الودية بين المجموعات الاوروبية قاطبة وفى ذلك محو مؤكد اما لدول التحالف الثلاثى او الاتفاق الثلاثى . فالحرب الحاضرة لايمكن ان تقضى على المشاكل البلقانية ابدا بل قد يمكن اعتبار هذه الحرب مبدأ سلسلة حروب طاحنة من اجل الاستيلاء على

الاستانة : وسواء انتصرت تركيا فى هذه الحرب اوخرجت منها مكسورة الجناح فان الخطر سيكون عظيماً جداً وسيمد جناحيه خارج الولايات البلقانية فيشعل النيران فى كافة انحاء القارة الاوروبية .

ان الاستانة قد اصبحت هدف اغراض عظيمة جدا لممالك كثيرة فمسئلة الاستيلاء عليها ليست بسيطة اصلاً ولايمكن حلها بين الدول الاوروبية بسلام بل لابد لحلها من حرب هائلة تشيب من هولها الولدان .

ان مستقبل الاستانة واستيلاء احد الممالك عليها قد يستجر العنصر الجرمانى والسلافى الى التطاحن الشديد ولعل المانيا ترى فى زمن قريب جدا ان مستقبلها يتوقف على قوتها البحرية كما تنبأ بذلك ويليم الثانى بل يتوقف على قوتها البرية . فنحن اليوم على باب سلسلة حروب هائلة كالتى كانت فى زمن عهد نابليون تتغير بسببها خريطة اوروبا تغيرا محسوساً .

اذن ماهى الخطوات والمحاذير التى اتخذتها انكلترا وقاية لنفسها مما قد ينجم عن هذه الحرب الحاضرة ؟ يقول بعضهم ان واجب انكلترا يدعوها لايقاف هذه الحرب الحاضرة وعدم استمرارها بواسطة عقدها مؤتمرا عاماً يفصل فى المسئلة . ولكن تباين المصالح الاوروبية واختلافها فى البلقان يجعل الأمل فى نجاح هذا المؤتمر ضعيفا جداً (قد عرف العالم نتيجة هذا المؤتمر)

ان المسئلة البلقانية اصبحت اعقد من ذنب الضب ومادمنا حتى الساعة لم نستطع التنبؤ عن مصيرها فالواجب علينا الاستعداد لاسوأ النتائج . ولو ان المسئلة البلقانيــة تمس ممالك القارة اكثر مما تمس انكلترا غير ان بريطانيا العظمى يجب عليها ان تعمل بحيث يصير نفوذها قوياً جداً وقت ماتحين الساعة وبما ان المسئلة البلقانية قد تحدث تغييرا جوهرياً فى المجموعات الاوروبيــة فعلينا ان نضاعف قوتنا الحربية كثيرا من نقط الضعف فيجب تلافيها بالسرعة المتناهية وعلى الحكومة ان لاتدع الفرصة تمر بدون جدوى فتعض فى المستقبل بنان الندم حيث لايجدى ولايفيد .

ان الاعتمادات البحرية الخارجية عن الميزانيــة يجب تنفيذها من غير تسويف اومطل اذ ان الاسطول البريطانى يجب ان يكون قادراً على دفع جميع الضرورات الطارئة وان يكون فى استعداد تام للقيام بواجبه الوطنى المقدس بمجرد اول اشارة تبدوله وبذلك يكون قد كفانا مؤونة مايمكن ان يأتى به الزمن فى المستقبل .

الادب في القرن التاسع عشر

لحضرة المفضال محمد كامل افندى حجاج

فشا بيننا معشر المصريين داءعضال لم يجد امامه من الاساة من يقاومه ويستأصل شأفته حتى طال به العهدوا صبح كأنه غريزة في النفوس : اعتدنا ان نعتقد العجز فى انفسنا مهما بلغت قدرتنا وكفاءتنا فلا نحكم عقولنافى اى امر مهما كان سهلالايستدعى للحكم عليه اجهاد الفكراو الاستعانة باولى النظر ظانين ان هذا من التواضع والنفور من الغرور .

لعمرك ماهذا الا الضعف والخذلان والجمود وقتل النبوغ حينما تبدو بوادره والحيلولة دون الرقى والفلاح فترانا ان اختلفنا فى قيمة عمل مالم نجد امامنا حكماً غير الراى العام الذى نجله ونمجده وننصاع اليه .

كلنا نعلم ان العامة مهما فاقوا الخاصة فى العدد اضعافا مضاعفة لايعتد برأيهم ذوو الراى الثاقب لتجردهم من المقدرة التى تؤهلهم للحكم .

لست بذلك ابغى من كل فردان يسلك سبيل الغرور ويركب متن الشطط فيضل فى بيداء اوهامه ويحكم نفسه فى كل شئ سواء كان من ميسوره اوفوق مقدوره . بل ينبغى له ان يعرف قدره وفضله ويضع نفسه بعدل فى موضعها اللائق بهافلا يتناول حكمه امرا لايستطيع القضاء عليه فبذلك يستمر فى رقيه لبعده عن الغرور ويكون عادلا فى قضائه .

ومن الناس من يستعين فى حكمه بمعلوماته ومحفوظاته دون ان يكون له راى ذاتى ويظن انه هو الذى اصدر هذا الحكم . كلا فانه واهم اذا الحقيقة انه صادر من فئة من العلماء الذين حفظ اقوالهم وآراءهم . فيجب عليه اذاً ان يتجرد من معلوماته ومحفوظاته عند الحكم لئلاتؤثر فى فكره ويستميل عقله وشعوره ليصل الى الحقيقة . ولا مانع من الرجوع الى المعلومات بعد اصدار الحكم علنا نجد فيها مايعزز راينا ويؤيد حكمنا .

ومن ادوائنا القتالة حب الشهرة التى لاتتفق مع الرقى اذهما ضدان لايجتمعان . وللمتفانين فى حب الشهرة الكاذبة اساليب متنوعة فنهم من يستعين باقلام غيره ومنهم من يسرق خطبة من الكتب المتفرقة ويالبته عرف كيف يجمعها ويجعلها موضوعا مفهوما او يترجم قطعة ينتحلها لنفسه ثم يذهب الى المدارس الساقطة ويلقيها بتشدق عجيب واشارات ملؤها الخيلاء على مجمع من تلاميذ المدرسة وخليط من عامة جيرانها فيصفقون له التصفيق الحاد فيتمايل حضرة

الخطيب المصقع تيها واعجابا . ومنهم من يستأجر الكتاب لتحرير مجلة اوجريده ينسبها لنفسه ويستمر فى اصدارها ولو كانت سائرة فى سبيل الخراب وكفاه فوزا بأمنيته ان يلقبه صغار التلاميذ بالكاتب الفاضل صاحب جريدة او مجلة كذا ومنشئها . ومنهم من يسعى فى تأليف مايسمونه بالجمعيات الادبية وينفق عليها من ماله الخاص تسهيلا لتأسيسها ليكون لها رئيسا وخطيبا وينقش على بطاقة زيارته اسمه بخط الثلث ويذيله برئيس جمعية كذا . ومنهم من يريد ان يمهر ابنته فضلا ان اعوزها المال والجمال واصبحت عانسا فيستأجر له من يكتب له كل اسبوع مقالة يملأ بها اعمدة الجرائد وقد فاته ان المال اعظم شفيع للجهل والدمامة وسوء الخلق والسمعة وان شباننا لايهمهم ان تكون لهم عروس اديبة فاضلة كريمة الاخلاق .

حياة الشهرة الكاذبة قصيرة اذ لاتلبث ان تبددها شمس الحقيقة ويعقبها السقوط الابدى والافتضاح والحسرة على ضياع عمر طويل جريا وراءها وكان الاجدر به ان يصرفه فى الرقى حتى يصل الى درجة تؤهله لاخراج ماينفع الناس من جليل الاعمال ومايكسبه شهرة صحيحة يتناقلها الخلف عن السلف .

ليس من الحزم ان نجارى السلف فى احكامهم ونطبقها على عصرنا دون اعادة النظر فيها وتمحيصها لان الازمان تختلف فى درجات مدنيتها ومعارفها . فقد تمادينا فى تمجيد الشهرة القديمة حتى كادت تغطى على نوابغ العصر ومافتئ كثير منا ينقب على مؤلفاتهم ويشتريها باثمان باهظة ويدخرها كانفس الاعلاق او المخلفات المقدسة .

ابتدأت اللغة فى عهد محمد على باشا وخلفائه ان تدب فيها الحياة بعدموتها فنبغ فى مصر فئة كانوا نجوم عصرهم فاهتدت بهم الامة فى ديجور الجهل وكانت لهم اليد الطولى فى تلك النهضة العلمية مثل : (عبدالله باشا فكرى . وقدرى باشا . ورفاعه بك رافع . وعبدالله افندى ابى السعود . ومحمد افندى عبدالرزاق ومحمد بك عثمان جلال . وعبدالله افندى نديم ومحمود افندى صفوت الساعاتى والشيخ على ابى النصر والشيخ احمد عبدالرحيم فمنهم من خدم الشعر والنثر ومنهم من عنى بالتعريب ومنهم من اختص بالصحافة ومنهم من نفع القضاء .

ونريد الآن ان ننظر فى اعمالهم ونختبرها لاقصد الازدراء بل لنعلم ان كانت تنفعنا فى عصرنا ام لافننشرها من رموسها ام ندعها نائمة مطمئنة محترمين

رفاتها كأنها آثار تاريخية نستعين بها على درس اطوار اللغة والادب فى مصر .

عبدالله باشا فكرى

نبدأ باميرهم فى الصناعتين الا وهو الشاعر الناثر عبدالله باشا فكرى ناظر المعارف من كانت قدمه راسخة فى العلوم العربية رقيقا فى النثر والنظم ولئن جارى زمنه فى التسجيع ولكن سجعه كان مقبولا سلسا متينا تزينه سلامة الذوق قليل التكلف ومن ارق ما كتبه نثرا رسالته التى كتبها لاحد اصدقائه يصف بها الازهريين فى ذاك الزمان وقد حوت الكثير من رقيق الفكاهات ودقة الوصف ومزايا العربية وفضلها وطباع اهل الازهر واخلاقهم واولها « كتبت والذهن فاتر من وهن الدفاتر » .

ومن جيد شعره قصيدته الرائية التى نظمها عقب الافراج عنه بعد اتهامه ابان الثورة العرابية وقد توجه الى سراى عابدين فاعرض عنه الخديوى توفيق باشا ولم يسمح له بمقابلته واولها :

كتابى توجه وجهة الساحة الكبرى   وكبر اذا وافيت واجتنب الكبرا

ومنها

ايجمل فى دين المروءة اننى   اكابد فى ايامك البؤس والعسرا
واحرم من تقبيل كفك بعدما   ترامت لى الآمال مستأنسا بشرا
ولى فيك آمال ضمنى نجحها   وفاؤك لا ارجو سواك لها ذخرا
وقد مر بى فوق الثلاثين حجة   بخدمة هذا الملك لم ال لها صبرا
ارى الصدق فرضا والعفاف عزيمة   ونصح الورى دينا وغشهم كفرا
وجاوزتها لالى عقار يفيدنى   كفافا ولا فى الكف قد ابتغى وفرا
ولو شئت كانت لى زروع وانعم   ومال به الآمال اقتادها قسرا
ولكنها نفس فدتك ابية   تعاف الدنايا ان تمر بها امرا

وقد كانت هذه القصيدة اعظم شفيع له فسمح له الخديوى بالمثول بين يديه وحظى بعفوه ورضاه واعيد اليه معاشه فقال فى هذا المقام قصيدته المشهورة ومطلعها .

لى الله من عانى الفؤاد متيم   ولوع بمغرىً بالدلال منعم

ومن احاسن شعره قصيدته التى هنأ بها توفيق باشا حينما جلس على عرش الاريكة الخديوية واولها .

اليوم يستقبل الآمال راجيها   وينجلى عن سماء العز داجيها

نشأ عبدالله باشا فكرى فى اواخر حكم محمد على باشا يتيما فتكفله بعض اقاربه ولم يعن بادخاله احدى المدارس بل اقتصر على تعليمه القرآن ثم ارسله الى الازهر فاتقن العلوم العربية المتداولة فيه واللغة التركية . ولو كان يعرف الفرنسية لكان اطول باعا واعظم شأنا .

محمد قدرى باشا

كان عالما فاضلا متبحرا فى العربية والفرنسية بارعا فى فقه ابى حنيفه شاعرا رقيقاذا المام تام بالجغرافيه والتاريخ يحسن التركية والفارسيه ومن مآثره كتاب الاحوال الشخصية وبعض كتب مدرسية وكان اعظم العاملين فى ترجمة قانون المحاكم وله كتاب جغرافيه باللغه الفرنسيه طبع فى النمسا ومن رقيق نظمه قصيدته التى مدح بها الخديوى اسماعيل باشا ومطلعها

حيا الصفا مصر مسرورا بواديها   وزارها الغيث فاخضلت بواديها

ومنها

وتيمهم بها سكرى وما عرفوا   السكر من راحها ام من لمى فيها
ووجهها البدر قد تمت محاسنه   استغفر الله ما انصفت تشبيها
فالشمس منها استعارت نورطلعتها   والبدر ادنى فكيف البدر يحكيها

ومنها

ورحلتى عن ديارى امرها عجب   لولا الاطالة كنت الآن احكيها
كانت حدائق بالعرفان يانعة   كما هى الان يامحيى معاليها
وكعبة لبنى الآمال يقصدها   للفضل والانبيا كانت توافيها
سولون اودوكس افلاطون قددرسوا   فى (عين شمس) وكانوا من مواليها

ومنها

وفضل مصر عظيم الشأن قدشهدت   به الممالك قاصيها ودانيها
لكنها اصبحت من بعد عاطلة   من العلوم التى كانت تحليها
اسباب ذلك لاتخفى على فطن   له وقوف على احوال ماضيها
ان الممالك كالافراد فى شبه   فالجهل يخفضها والعلم يعليها
وانت ادرى بذامنى ومطلع   على التواريخ لاتحتاج تنبيها
« لايعرف الشوق الامن يكابده   ولا الصبابة الا من يعانيها »

وله من قصيده اخرى

رجوت علاه ان يشنف مسمعى   فغنى من الفتيان دورا وقسما
اغن اذا ماجس اوتار عوده   يكادحنين العودان يتكلما
ويا كفه هل انت اوغيث ديمة   اجبنى فانى خلته لك توأما
رضيعا لبان انما لكما الوفا   ويكفيكما فخرا رضا مصر عنكما
وكان اخوك الغيث لايعرف الندى   وعلمته انت الندى فتعلما

يتلى

اسئلة واجوبتها

جاءنا من النجيب صاحب الامضاء مايأتى

وبعد فنرجو منكم الاجابة عن الاسئلة الآتية

(١) يخطبون فى المساجد بالتركية والصينية واشباههما فى صلاة الجمعة باللغة العربية على ان اكثر المستمعين اوطهم لايفقهون اللغة العربية مع ان الغرض من هذه الخطبة انما هو حث المسلمين على القيام بالمعروف و تجنب المنكرات و تبصيرهم باقوم الطرق الى خيرى الدنيا والآخره. فلم لاتكون هذه الخطبة بغير اللسان العربى فى البلاد الاعجمية كى يتسنى للمصلين الاستفادة منها ؟ وهل من الواجب على كل مسلم ان يلم باللغة العربية حتى يستطيع ان يطلع على اسرار احكام دينه فلا يكون اسلامه بمحض التقليد.

(٢) هل تجب الجمعة فى السودان وتونس والجزائر واشباهها مع ان الذى يتولى شئونها فعلا ليس الامام ولا احد عماله وولاته؟ وهل من شرائط اداء الجمعة الاذن العام من الامام الشرعى .

(٣) جمعتنى المصادفات بأحد العلماء فسمعته يقرر ان الباطل لابد ان يزول امام الحق واستدل على ذلك بقوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) فارأيكم فى ذلك .

محمد فهمى الفولى بالاستانه العلية

(الجواب) عن الاول انه ليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة مايوجب الخطبة باللغة العربية وان اباحنيفة جوز تلاوة القرآن فى الصلاة نفسها بغير اللغة العربية ولو للقادر عليها فما بالنا بالخطبة .

والذى نراه ان خطبة الاعاجم باللغة العربية لافائدة منها اصلا فان ذلك يفوت الغرض الذى فرضت خطبة الجمعة لاجله . ولكن المتدبر فى احوال المسلمين وتقاطع اوصالهم منذ قرون يرى ان مصدر ذلك انما هو عدم وجود لغة يتفاهمون بواسطتها ولو انهم عنوا بلغة القرآن الكريم ودرسوها فى الجملة لما تبددت جموعهم وتمزق شملهم ولطالما

رأينا المصري يجتمع بالفارسي اوالتركي والافغاني بالهندي اوالجاوي اوالعربي فكنا نرى افرادا آخى الله بينهم بدين الاسلام ولكن باعد بين اولئك الافراد عدم معرفتهم بلغة واحدة ولذا كنا نرى منهم ارواحا تريد ان تتناجى بما شملت صدورها من المواجع والآلام التي تنزلها بهم الامم الصليبية فلا تنطلق السنتها بشرح شئ مما يخالجها ولعل ذلك هو سر مايفتي به بعض الفقهاء من انه لاصلاة الا بالقرآن العربي ولاخطبة الا بالعبارة العربية . ولقد يشعر بحاجة المسلمين الى وجود لغة واحدة بينهم يتفاهمون ويتعارفون بها من يدرسون في هذا الزمن احوال الامم الاسلامية التي اصيبت باحكام الامم المسيحية فانهم على حاجتهم الى التناصر والتعاون قد حال تباين اللهجات و تغاير اللغات دون تمكنهم من القدرة على تباث الشكاوى وتبادل الآراء . ولقد رأينا حكومة فرنسا تحاول قطع اهل الجزائر عن سائر اخوانهم المسلمين باضاعة اللغة العربية في ربوعهم وبذلها المال الغزير في تعليمهم رطاناتهم البربرية التي حجبهم الاسلام عنها عدة قرون . ولقد نجحت فرنسا فيما اتته من الاساليب في محاربة اللغة العربية حتى ان الانسان يستمع اللهجة الجزائرية فيجدها مزيجا من اللغة العربية واللغة الفرنسية والرطانة البربرية . وفي بعض الاماكن لايكاد يرى أثر اللغة العربية . فالمسلمون اليوم لابد لهم من توثيق العلائق بين شعوبهم وافرادهم باتخاذ لغة القرآن لحمة تربطهم وسببا يجمعهم ولو اننا اخذنا القراءة وخطبة الجمعة بغير اللغة العربية لما التأم للمسلمين شمل ولا تم لهم تعارف ولا اجتمعت

لهم كلمة غير اننا مع هذا نرى ان يردف الخطيب عباراته العربية بما يرادفها من لغة من يخطبهم حتى تعم الفائدة ويتم النفع لاسيما فى هذا الزمان الذى لا يعرف فيه الاعاجم اللغة العربية بيدان على الحكومات والامم الاسلامية جميعها ان يفرضوا على انفسهم دراسة لغة القرآن حتى يجئ الوقت الذى يعرفها فيه كل مسلم كما كان ذلك شأنها فى صدر الاسلام وهنالك يكتفى بالقاء الخطب والكتاب الكريم بها فقط.

(الجواب) عن السؤال الثانى .

لم يقل باشتراط الامام الا الحنفية مستدلين بحديث يروونه فى ذلك وبما ان هذا الحديث لم يتفق على صحته نجد الشافعى رضى الله عنه لا يقول بالامام شرطا لاقامة الجمعة . فصلاة الجمعة فى السودان وتونس والجزائر واشباهها مما ليس لامام المسلمين امر فيها ولا نهى هى صحيحة على هذا الوجه الذى ذكرناه على اننا نرى ان المسلمين الذين قضى عليهم باحكام الامم الصليبية اجدر من غيرهم بالاكثار من الاجتماع و استماع الخطب النافعة لعلهم يتحدون فيخلعوا اطواق سلطان امم الصليب عن اعناقهم .

ولا عبرة بقول من يرى اشتراط الامام فى صحة الجمعة مستندا فى ذلك على مايقولون من انه يشترط فى اقامة الجمعة ان تكون فى المصر وانهم يفسرون المصر بماله امام ينفذ الاحكام و يقيم الحدود فان ذلك واهن من وجهين احدهما انه لم يصح حديث (لا جمعة ولا تشريق الا فى مصر جامع) اذ ضعف رفعه الامام احمد وعلى فرض صحته فقد اختلف

فى تأويل المصر على عدة مذاهب اصحها ماقاله سفيان الثورى من ان المصر هومايعده الناس مصرا عند ذكر الامصار المطلقة . وعلى هذا الوجه لادخل لاشتراط الامام ولا اذنه ولاتنفيذ الاحكام الشرعية ولااقامة الحدود على انه قدورد فى الصحيح ماكتبه عمر لاهل البحرين ان اجمعوا حيثما كنتم فالقرية والمصر سواء فى صحة اداء الجمعة .

الجواب عن السؤال الثالث — من غرائب المشهودات ان الحق على ثبوته لاخفى واعسر انتشار امن الباطل على بطلانه واقرب دليل على ذلك ان الحق يحتاج فى اقامته ودوامه الى مجهودات الكاتبين والخطباء والوعاظ والدعاة والمروجين مع ان الباطل سريع الانتشار والفشو فى كل مكان وزمان دون ان يحتاج الى ترغيب او دعوة ولولا ذلك ما اوقف الله التكليف به على بعث الرسل ثم جعل يوحى اليهم بكتبه و رسالاته ليبينوا للناس الحق و يحثوهم على اتباعه والتمسك به ولو تأمل ذلك العالم وتدبر الآية الكريمة التى استشهد بها العلم انها حجة عليه لاله فانه لوكان وجود الحق وحده كافيا فى هزيمة الباطل وازهاقه لقال بل يدفع الحق وحده الباطل فاذا هو زاهق ولكن الآية الكريمة تقول (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) اى ان الله هوالذى يؤيد الحق وينقض به غيره فمجرد وجود الحق وحده لايكفى فى رواجه ورجحانه بل يشترط لذلك ان يكون هناك من يروجه ويحارب به الباطل وهذا

من المشاهدات التي لاتحتمل الشك ولا الجدال . لذلك كان حقا على من في قلبه ذرة من الايمان ان يدعو الناس الى التمسك بالحق والدفاع عنه ومحاربة الباطل به والايحث احدا على التباطؤ والتقاعد عن ذلك اعتمادا على امثال هذه التخريجات والتأويلات التي اودت بالممالك الاسلاميه واذهبت ريح المسلمين .

رؤية المخطوبة قبل الزواج

حضرة الأستاذ منشئ الهداية

لقد اختلفت مع بعض اصدقائي في الطريقة الشرعية التي يجب ان تتبع في بدء الزواج فقال البعض منا ان الشارع اباح النظر الى الزوجة والبعض الآخر انكر ذلك فارشدونا الى الصواب محمد عزت

(الهداية) الشرع لايمنع الرجل ان ينظر الى مخطوبته بل طلب ذلك وحببه فانه روى عن المغيرة بن شعبة انه خطب امرأة فقال النبي انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما. طلب ذلك الشارع لان الزواج بعد النظر ورؤية الزوجة يكون وثيق العرى بعيدا عن المنازعات والخصومات وفصم علائق الزوجية بعد توثقها فقد يكون بالزوجة عيب يحول بين الزوج وبين رضائه. وقد روى عن ابى هريرة ان رجلا خطب امرأة فقال النبي عليه السلام انظر اليها فان في عيني الانصار شيئا (قيل عمش وقيل صغر) ولقد يكون بالزوجة من الحسن مايزيد الرجل رغبة فيها ولقد يشير الى ذلك ماروى عن جابر انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا خطب احدكم المرأة فقدران يرى منها بعض مايدعو

الى نكاحها فليفعل على ان بين الارواح البشرية من التنافر او المشاكلة مالا يمكن تعرفه وكشفه الا بالتلاقى والمواجهة فكم من حسناء لا تشاكل روحها روح من يخطبها فلا تنال ميله اليها ورغبته فى معاشرتها وهذا امر واضح جلى يشير اليه قوله عليه السلام فى الحديث السالف فانه احرى ان يؤدم بينكما

حضرة الاستاذ منشىء الهداية

بينما كنا نتدبر قوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموت) اذ رأينا حديثا روى عن ابى سعيد الخدرى وهو ان النبى عليه السلام قال تكون الارض خبزة واحدة وقال ايضا ابو هريرة وسعيد بن جبير تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه فكيف هذا مع ان حالة الآخرة لا تحتاج لمثل ذلك

(الهداية) الاحاديث التى وردت فى تفسير هذه الآية اما ضعيفة السند او لا يتصل سندها برسول الله صلى الله عليه وسلم والغرض من الآية بيان ان حالة الآخرة تباين الدنيا فليس فى الآخرة شىء من الخطايا والآثام وليس فيها من المتاعب ما يتكبده المرء فى دنياه ولعل هذا هو المراد ببيضاء بدليل ماجاء بعد ذلك فيما روى عن ميمون انه قال تفسير هذه الآية تبدل الارض غير الارض قال ارض كالنقة البيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى حفاة عراة كما خلقوا

فضيلة الاستاذ العلامة صاحب الهداية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فنرجو منكم بيان حقيقة المقصود من الحديث القائل (لاعدوى ولا طيرة ولاهامة ولاصفر وفر من المجذوم فرارك من الاسد) ولكم الفضل سلفا (مشترك)

الجواب — جاء هذا الحديث فى باب لاهامة ومن صحيح البخارى مرويا عن ابى هريرة مع نقص عجز ماجاء فى السؤال من قوله (وفر من المجذوم كما تفر من الاسد) وجاء تاما فى باب الجذام من كتاب الطب

والذى يفهم من باب (لاهامة) وباب (لاعدوى) من صحيح البخاى ان اباهريرة انكر حديث لا عدوى حتى ان الحرث بن ابى رباب وهو ابن عم ابى هريرة قال له قد كنت اسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع هذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لايوردن ممرض على مصح حديث لاعدوى فابى ابوهريرة ان يعرف ذلك ومن رواية لشعيب قال الحرث انك حدثتنا فذكره قال فانكر ابوهريرة وغضب وقال احدثك ماتقول . قال ابن حجر قال ابوسلمة ولعمرى لقد كان حدثنا به فما ادرى انسى ابوهريرة ام نسخ احد القولين للآخر والذى يمكن استنباطه من ذلك ان حديث لا عدوى لايؤخذ به بعد أن انكره راويه وبعد ان عارضته احاديث اخرى مجمع على صحتها من ذلك مارواه البخارى عن ابى هريرة من قول (١) عن الرسول عليه السلام (لايوردن ممرض على مصح) ومنه ماورد (٢) ان اسامة بن زيد سمع يحدث سعدا ان الرسول قال اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا واذا وقع بارض

(١) البخارى جزء عاشر صحيفة ٢٠٦ (٢) البخارى جزء ١٠ صحيفة ١٥٥

وانتم بها فلاتخرجوا منها ثم ماسرده البخارى بعد ذلك من قصة عمر اذ خرج الى الشام وكان به الوباء فقد جاء فى آخرها (١) ان عبدالرحمن ابن عوف جاء وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال ان عندى فى هذا علما سمعت رسول الله يقول اذا سمعتم به فى ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلاتخرجوا افرارا منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف.

الاحاديث الموضوعة

نذكر فى هذا العدد مؤقتا [٢] طائفة من الاحاديث الموضوعة التى لم تصح روايتها عن النبى صلى الله عليه وسلم وملئت بها بطون كتب التفسير والسير والاخلاق حتى اختلط على الناس الحق بالباطل فضل فريق كثير منهم عن طريق الهدى وحاد عن سبيل الدين القويم

وان تلك البدع والاضاليل مصدرها هذه الاحاديث الباطلة التى وضعها اصحابها مرضاة لخليفة اوامير اوليشتروا بها ثمنا قليلا

(الاكل فى السوق دناءة) روى عن ابى هريرة وابى اسامة قال ابوالفرج حديث لايصح

(شرب الماء على الريق يعقد الشحم) قال ابوالفرج حديث موضوع متهم به عاصم بن سليمان العبدى

(من التواضع ان يشرب الرجل من سؤر اخيه من شرب من سؤر اخيه ابتغاء وجه الله رفعت له سبعون درجة ومحيت عنه سبعون خطيئة وكتب له سبعون حسنة) تفرد به نوح ابن ابى مريم قال الحاكم وهو الواضع لحديث فضائل القرآن

(اطلبوا العلم ولو بالصين) قال ابوالفرج لايصح عن رسول الله. وقال ابن حيان هذا الحديث لااصل له

---

(١) صحيفة ١٥٥ — ١٥٦ بخارى جزء ١٠

[٢] سننشر فى الاعداد التالية وسائل نبين فيها اسانيد الاحاديث التى وردت فى الكتب المتداولة مثل الكشاف واحياء العلوم للغزالى ودرجتها من الضعف

(النفخ فى الطعام يذهب البركة) وضعه عبد الله بن الحارث الصنعانى وقال ابن حبان كان رجلا يضع الحديث

(تعشوا ولو بكف من خشف) فان ترك العشاء مهرمة قال الترمذى حديث منكر

(من اخذ لقمة اوكسرة من مجرى الغائط والبول فاخذها فاماط عنها الاذى وغسلها غسلا نقيا ثم اكلها لم تستقر فى بطنه حتى يغفر له) قال ابوالفرج حديث موضوع آفته وهب ابن عبد الرحمن

(من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم يرمد ابدا) قال الحاكم انا ابرأ الى الله من جويبر قال والاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن رسول الله فيه اثر وهو بدعة .

(اكل السمك يذهب الجسد) آفته عبدالرحمن بن معد والعلاء بن مسلمة فاما عبدالرحمن فقال ابن المدينى ليس بشىء واما العلاء فقال ابن حبان يروى الموضوعات عن الثقات لايحل الاحتجاج به .

(قلب المؤمن حلو يحب الحلاوة) قال ابوالفرج حديث لايصح قال ابوبكر ابن الخطيب رجال هذا الحديث كلهم ثقات غير ابن سهيل وهو محمد العباس وضعه واسنده

(من صام تسعة ايام من اول المحرم بنى الله له قبة فى الهواء ميلا فى ميل لها اربعة ابواب) آفته موسى

(من صام عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة بصيامها وقيامها ومن صام يوم عاشوراء اعطى ثواب عشرة آلاف ملك ومن صام يوم عاشوراء اعطى ثواب الف حاج ومعتمر ومن صام يوم عاشوراء اعطى ثواب عشرة آلاف شهيد ومن صام يوم عاشورا كتب الله له اجر سنوات ومن افطر عنده مؤمنا فى يوم عاشوراء فكأنما اطعم جميع فقراء امة محمد واشبع بطونهم ومن مسح على راس يتيم رفعت له بكل شعرة على رأسه درجة فى الجنة فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد فضلنا الله بيوم عاشوراء قال نعم خلق السموات يوم عاشوراء والارض كمثله وخلق القلم يوم عاشوراء واللوح مثله وخلق جبريل يوم عاشوراء وملائكته يوم عاشوراء وخلق آدم يوم عاشوراء وولد ابراهيم يوم عاشوراء ونجاه الله من النار يوم عاشوراء وفدى اسماعيل يوم عاشوراء وغرق فرعون يوم عاشوراء ورفع ادريس يوم عاشوراء واعطى الملك سليمان يوم عاشوراء وولد النبى يوم عاشوراء واستوى

الرب على العرش يوم عاشوراء ويوم القيامة يوم عاشوراء) موضوع آفته حبيب

(ان الله تعالى افترض على بنى اسرائيل صوم يوم فى السنة وهو يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على اهليكم فيه فانه من وسع على اهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته) يلزم التعليق عليه

(اذا وضعت الحلوى بين يدى احدكم فليصب منها ولا يردها) قال ابو الفرج هذا الحديث لا يصح لان فيه فضالة بن حصين قال ابن حبان يروى عن الثقات ماليس من احاديثهم .

(اول رحمة ترفع عن الارض الطاعون واول نعمة ترفع عن الارض العسل) قال ابو الفرج لا اصل له فيه على بن عروة قال ابن حبان هو يضع الحديث .

(اعتموا تزدادوا حلما) قال ابو الفرج لا يصح. فيه سعيد بن سلام وهو كذاب

(عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الايمان فى قلوبكم وعليكم بلباس الصوف تجدوا قلة الاكل وعليكم بلباس الصوف تعرفوا به فى الآخرة وان لباس الصوف يورث القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجرى فى الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طعمه وكل لسانه ومن قل تفكره كثر طعمه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسى بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار) قال ابو الفرج هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متهم به اسماعيل ابن عباس .

(من سرح رأسه ولحيته بالمشط فى كل ليلة عوفى من انواع البلاء وزيد فى عمره) قال ابو الفرج حديث موضوع وضعه حسان بن ثابت المصرى

(تختموا بالعقيق فانه مبارك) قال ابو الفرج الاحاديث التى وردت فى هذا المعنى كلها باطلة .

(شموا النرجس ولو فى اليوم مرة ولو فى السنة مرة ولو فى الدهر مرة فان فى القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الا شم النرجس) قال ابو الفرج موضوع لا اصل له .

(اذا طنت اذن احدكم فليذكرنى وليصل على وليقل اللهم اذكر بخير من ذكرنى) متهم به محمد بن عبد الله من ابى رافع .

نقلا عن موضوعات ابن الجوزى والموضوعات الكبرى للسيوطى

شذور علمية

من كل روض زهرة

تأثير القمر

تأثير القمر في المد والجزر يعرفه كل انسان فلا حاجة الى ذكره بيد ان للقمر ايضاً تأثيراً في المجموعة العصبية معروفا منذ قدماء المصريين في النصف الاول من الشهر تزداد نوبات الصرع والتشنجات والحالات الهستيريه وبالخصوص عند تمام البدر بينما النصف الاخير يسكن او يقلل ظواهر هذه النوبات ومن الناس العصبي المزاج من يتبع بوجهه أثناء نومه سير القمر في قبة الفلك وتأثير القمر في المجموعه العصبية معروف منذ القدم حتى ان اسم مستثنى المجذيب في اللغات الاجنبية يدل على ذلك اذ ترجمته (الملجأ القمرى) وللقمر تأثير عظيم في نمو النبات فنوره يزيد النمو سرعه والنبات قوه واكبر واسهل دليل يمكن كل انسان ملاحظة تزايد السائل الحيوى للنبات في الليالى المقمره كما يشاهده ذلك دائما المشتغلون بقطع الاخشاب من الغابات وقد لاحظ بعض العلماء في جنوب افريقا ان لحوم الاسماك يسرع اليها الفساد في الليالى المقمره ولم يدر هل هذا الفساد نتيجه ضوء القمر مباشرة او من اثر تأثير جراثيم يزداد عملها في اوقات نمو ضوئه

دواء حديث من القطن

استخرج احد علماء الغرب دواء جديدا من بذور القطن سماه لاكتا جول يدر اللبن ويزيد في مواده الدهنيه والسكريه وهو غير سام مهما عظمت المقادير التى تؤخذ منه ومن فوائده انه مع خلوه من المواد الدهنية ينظم صحة المرضع ويزيد في وزنها ويفتح شهوتها للأكل حتى ان آثاره عليها لتنظر بعد عشره ايام من تعاطيه جربه كثير من ثقات الاطباء فثبتت لهم فوائده وهو اكتشاف جيل يقتضى ان الامهات اللاتى كن يرغبن عن ارضاع اولادهن مخافة اضعاف صحتهن فيلقين فلذات اكبادهن في احضان المرضعات المريضات جسما واخلاقا يعدلن عن هذه الطريقة الضاره فانهن بفضل هذا الدواء سيزددن قوة وصحه بيد انه لا يصح اخذه بدون مشورة الطبيب لان زيادة المواد الدهنية والسكريه في لبن الام قد يضر بالطفل مثل ضرر قلتهما عن الحد الطبيعى

جبال الجمد السابحة

كانت حادثة غرق باخره التيتانيك (افخم وأكبر بواخر العالم لوقتها) في العام الماضي بسبب اصطدامها باحدى قطع الجمد السابحه سببا لادراك العامة ان بعض جبال الجمد تحد دائما من القطبين سابحه نحو خط الاستواء مع التيارات البارده وان هذا القطع قد تبلغ مكانها مئات بل والوف الاميال المربعه وانها تكون كالجزر السابحه ولكن بلا لون يميزها عن المياه المجاوره لها ولذلك يعتبر ربان كل باخره ان هذه القطع اكبر اخطار الملاحه في المحيطات ولكن الحقيقه ان هذه الجبال تذوب قبل وصولها خطا معينا من خطوط العرض وانها تكثر

في فصول الربيع والخريف والصيف وقدلاحظ اسكوت في رحلته الاخيره الى القطب الجنوبي ان القشرة الخارجيه من هذه الجبال مكونه من انجماد المياه العذبه بينما باقيها مكون من المياه المالحه على اختلاف درجة ملوحتها ولذلك كان يحصل هو ورجال بعثته على ماء شربهم باذابة القشور المذكوره ولقد بحث الاستاذ بادنس الموفد من قبل حكومه كندا لدرس تأثير هذه الجبال الجمديه في حرارة البحر فذكر ان هذه الجبال لالون لها وماالبياض الذي تظهر به الانتيجه مقادير الهواء العظيمه المحبوسه في ذراتها وقال انه رأى بعض الجبال المذكوره تقذف بنتف من الثلج عند ذوبانها وتتصاعد منها فقاقيع هوائية مثل فقاقيع الغاز المتصاعده من زجاجة القازوزة اوالمياه الغازيه وبين بعدة تجارب ان هذه الجبال تسبب ارتفاع حراره سطح البحر وتبريدها اي انها عند ذوبانها تسبب وجود طبقه حاره نتيجه اجتذابها الحراره من الجو والبحر على مسافات طويله وهذه الطبقه الحاره مكونة من خليط من الماء العذب والمياه القليلة الملوحيه وان هذه الحراره ناتجة عن ذوبان الثلج بينما التيار البارد يتجه الى قاع البحر وتظهر آثاره قرب الشاطئ بتبريده مياهه ويظن الاستاذ المذكور ان سر ذلك ينحصر في ان الارض وصخور الشاطئ تمكن ذرات التيار البارد من الارتفاع الى سطح الماء والخلاصة ان هذه الجبال تسبب ارتفاع حراره مياه البحر وتبريد المياه المجاورة للشواطئ .

ظاهرة طبيعية عجيبة باليابان

كتب الاستاذان فوشينو وايزو من اساتذه الزراعه والغابات بكلية كاجوشيما مبحثا مهما عن ظاهره عجيبه اسمها الياباني اينادا نوجوكواي اله الةالنورانيه بمزارع الارز وهي ظاهرة تشاهد كل صباح بالبلاد المذكوره وخلاصتها انه اذا وقف انسان بمزرعة في بكرة اي يوم بينما النبات لايزال رطبا بالندى والشمس تسطع انوارها يظهر خيال الانسان وقد احاطت برأسه هالة نورانية متلألئة بيضاوية الشكل قطرها الطويل يوازي خيال الجسم وتبقى هذه الهالة النورانية حتى يتطاير الندى وترتفع الشمس ولكنها تعود اذا نثرت بعض قطرات مائية على الارض وقد علل الاستاذان بعد ابحاث وتجارب عديده بشأن هذه الظاهره كانت نتيجه الضوء المنعكس من ضوء الشمس على الوريقات الخضراء بمرور اشعة الشمس بقطرات الندى بميل خفيف ويظهر لي ان حضرات المصورين الذين كان خيالهم يجعلهم يصورون لنا اهد يسين والانبياء وقد احاطت بروسهم هالات نورانيه سيكدون في تخيل خاصية اخرى مادامت هذه الظاهره الطبيعة باليابان تجلى كل يوم حول اكبر زنديق بل حول اي انسان

عمر الارض

قدر اخيرا علماء طبقات الارض عمر الكرة التي نعيش عليها بناء على نسبه مقادير غازات الهليم والبورانيم الموجوده في الصخور الكربونيه القديمة فاذابه يتراوح مابين ٤٠٠ الى ١٠٠٠ ميليون سنه بينما عمرها على حساب مقادير املاح الصوديوم التي تجلبها انهر العالم سنويا الى المحيطات لم يزد عن ٧٠ ميليون سنه وقد حار العلماء في تعليل هذا الفرق العظيم وباي الحسابين يأخذون فجاء الاستاذ براون احد معلمي جامعه ايتاكا يوفق بين العمرين ويرجع

الاول ولايخطئ الثانى وتعليله ان املاح الصوديوم نتجت عن عنصر غيرقابل الدوبان فى الماء وانه يتحوله تدريجابدات الاملاح المذكوره على سطح الارض ومن ثم حملتها الانهر الى البحر وبما انها كانت قليلة جداً فى مبدأ امرها فلا عجب ان رأينا الحساب المبنى على اساس مقادير الاملاح الحاضرة يسبب هذا الفرق العظيم

الانوار الطبيعية الجميلة

كان علماء الطبيعه يضعون الاملاح المختلفه وخصوصا املاح لاوسترونتيوم بتوليد الانوار الحمراء او الورديه ولكن ذلك كان يستدعى نفقات كثيره دائميه وان الابحاث العلمية الاخيرة دلت على ان غاز النيون الموجود فى الهواء بمقادير قليلة جدا يؤدى ذلك باحسن واوفر صوره ولهذا باتت بعض المعامل تبيع بعض الانابيب التى بعد افراغها من الهواء ملئت بهذا الغاز لوضعها اماكن فتائل قناديل الكهرباء الحاضرة فتعطى الانوار الوردية الجميلة وقد وجد للغازات الهوائيه النادره الوانا اخرى ومن عرف تأثير اللون الوردى فى الاعصاب وفى مرضى الجدرى والحصبة يرحب بهذا النور الطبيعى الجديد الجميل

الشهب المتساقطة

فى الجو الذى يعلو طبقه الهواء المحيط بالارض تسبح عددا الكواكب احجار جسيمة الحجم بسرعة شديده وكثيرا مايحدث ان بعضها يخرج عن دائرته ويلتطم بهوا ارضنا فيتولد عندئذ احتراق شديد قد يؤدى بالحجر بتمامه وقد يذهب ببعض منه بينما ثقله النوعى يقذف به الى الارض والاحتراق يحدث عند احتكاك الطبقات العليا من الهواء وهو مانسميه شهابا واذا ماوصل الى سطح الارض كان حجرا صلدا كالحجر الاسود الموجود بالكعبة الشريفة وكالاحجار التى تساقطت بمديرية البحيره بمصر سنه ١٩١٠ واخذت منها مصلحه المساحة كمية حفظتها بمتحفها بالجيزه وقدجاء بمجله امريكا العلميه القصة الآتية التى ذكرها العلامة فوتى شرحا لساقط مطر من الحجارة السماوية او الشهب يوم ١٩ يوليو الماضى بقرب هولبروك بمركز نافاجو بولاية اريزونا قال فى منتصف الساعة السابعه بعد ظهر اليوم المذكور نظرنا كمية من الاحجار السماوية مارة محلقه فوق هولبروك ولشدة سرعتها كان لها دوى شديد استمر نيفا ونصف دقيقه ثم رأيناعددا وافرا من الاحجار يتساقط بجوار ازنيك مثيرا سحابا من الغبار فى مساحة ميل مربع من الصحراء الرملية وبعدئذ جمع اهالى الجهات المجاورة من هذه البقعة مقادير كبيرة من الاحجار أثقلها يزن ١٣ رطلا واكثرها يزن خمسة ارطال وجدت متساقطة فى بقعة بيضاوية قطرها الاطول يبلغ ثلاثة اميال وقطرها الاقصر يبلغ نصف ميل وقد دلت التحاليل الكيماوية والابحاث الطبيعية على ان هذه الاحجار سماويه بدون شك وقد حللنا كيماويا كمية اخذناها من اربعة عشر حجرا منها فوجدنا ٣،٦٨ فى المائة من الحديد المشوب بالنيكل و ٩٦،٣٢ فى المائه من السليكا ولقد كان عدد جميع هذه الاحجار ١٤٠٠٠ بلغ وزنها نيف ٤٨١ رطلا قدجمعناها وحفظناها ولكن ثمانية آلاف منها لايزيد ثقل الواحد منها عن جرام واحد و ٣٩ منها يتراوح ثقل الواحد منها مابين ٦٦٦٥ و ١٠٢٠ جراما والالف الباقية يتراوح ثقل الواحد منها مابين الكيلو جرام والجرام الواحد .

وقد تتفرقع بعض الاحجار المذكوره من شده احتراقها كما تتفرقع كرة نارية كبيره فينجم عن انفجارها تموجات شديده بالهواء تسبب اهتزاز زجاج النوافذ والابواب بل

والطبقات الرقيقه من الارض فيشبه انفجار القنابل العظيمة اوهزات الزلازل الخفيفه وتفترق عن الاخيرة بان تموجات الطبقات الارضية خفيفه وموضعية لايشعربها اكثرمن مريض واحد وقد حدثت هذه الاهتزازات والاصوات بجوار سانجهيل يوم ١٩ نوفمبر ومن لاحظ ان العلامتين جريج وهر ستشيل قررا ان اكثر تساقط الاحجار الجويه وانفجارها يحدث بين ١٩ و٢٣ نوفمبر كما ايدت اقوالهما التجارب الحديثه يدرك ان تعليل المستر دانينج لما حدث في المكان السالف الذكر على هذا الاساس منطقي للغاية

منع تشويهات الجدري

كلنا شاهدنا التشويهات القبيحة التى يتركها مرض الجدرى فيمن ابتلى به وجميع الاطباء يعرفون الصعوبات التى كانت تصادفهم في سبيل مقاومة تخريب هذا الداء لجمال ومحاسن الجسم وبالاخص الوجه وكلهم يتمنى ايجاد طريقه لبلوغ هذه الغايه ونحن نزف اليهم والى جميع القراء خبر نجاح تجارب بعض الاطباء فى هذا الباب وهى وهن حبيبات الطفح عند ظهورها بسائل حامض الفنيك او بصبغة اليود والثانية اسهل وانجع وقد نجت بذلك اجسام كثيرة من فتك وتشويه هذا المرض الفظيع وسينجو اغلب المصابين به بعد اليوم

حماية قبائل الاسكيمو بامريكا

كتب العلامه استيفانسون مقاله قويه اللهجة مدعمة على اسطع البراهين فى عدد اكتوبر من جريدة آثار امريكا الخ فيها بوجوب حماية قبائل الاسكيمو الجديده من الزوال بسبب ادخال المدنيه الغربيه بمفاسدها بينهم ونصح بايجاد نطاق من الحرس يحول دون دخول الاوربين بينهم واتى باحصائيات دقيقه تبين ضحايا الجدرى وبقيه الامراض المعديه التى لقحهم بها سياح اورواد المدنية الغربية وبين ان استعاضة الاسكيمو بيوتهم الجليديه باخرى من البناء على الطرز الاوربى سبب ازدياد عدد المسلولين بينهم وكذلك الملابس والازياء الغربيه ادت الى نفس النتايج وانتشرت الفاقة والتكفف بينهم بسبب الطرق الحديثة التى اخلت بنظام معيشتهم القومى واستحلف الحكومة والامة باسم الانسانية ان تحافظا على هذا النوع من الجنس البشرى بصيانته من مفاسد ونظام المدنية الغربيه

فوائد اكل الخضراوات

تقوم مصلحة الزراعه بالولايات المتحده بابحاث نافعة فى موضوع الاطعمة المختلفة وقيمتها الغذائيه وفوائدها وقدجاء فى تقريرها السنوى بشأن اكل الخضراوات ماخلاصته بينما الخضراوات لاتزيد فى قيمة الطعام الغذائيه ولامواد الاحتراق فهى تسبب جودة الطعام وحسن تأثيره الصحى فى البدن بثلاث طرق (١) بامدادها الجسم بالمواد المغذية الضرورية التى يقل وجودها فى المواد الغذائيه الاخرى (٢) بحشوها المعده مواد سهلة الهضم تمكن المعده من هضم المواد الاخرى الدسمه المركزه (٣) بجعلها الطعام متنوعا مرغوبا فيه

بعض مضار التدخين

نشر الدكتور فريدريك بارك فى عدد اكتوبر من مجلة العلوم القوميه الشهريه مقاله تحت عنوان التدخين ولا عبو كره القدم وسر انتخابه لاعبى كرة القدم مجموعهم من الاقوياء المتقاربى الاجسام وقد اثبت بكثير من الاحصائيات ان من لم يتعودوا التدخين كان نجاحهم فى هذه الالعاب الرياضيه ضعف من يدخنون ثم قارن نتايج امتحانات الطلبه الذين لايدخنون بنتائج من يدخنون ليرى تأثير التبغ على القوى العقليه فكانت نتائج احصائياته ان سبعين فى المائة ممن

احرزوا على الدرجات فى الامتحانات كانوا ممن لا يدخنون بينما سبعون فى المائة ممن احرزوا ادنى الدرجات كانوا من المدخنين وقد دله البحث الدقيق على ان رئه الرجل القوى البنية تفقد عشره فى المائه من قدرتها بتدخينه فهل من معتبر ؟!!

المؤتمر الدولى السادس لعلوم الاشعة

اجتمع المؤتمر المذكور فى الثالث من شهر اكتوبر الماضى بمتحف لاندس بمدينة براج وحضره عدد عظيم من العلماء من جميع الاقطار فالقيت الخطب الطنانه واهمها خطبتا الاستاذ استوكلازا من اهل براج وقد بلغ عدد الخطب ١٣٠ حضرها نيف والفان من العلماء قاموا برحلة الى مناجم سنت جو اكيمستال التى يستخرج منها اغلب الراديوم الموجود فى العالم وقد اختار الرئيس موضوع خطابه تأثير الاشعه النورانيه والاشعه الكيماوية التى تقع بعد اللون البنفسجى على الحيوان والنبات وقد اتى فى خطبته بمجمل وجيز لمعارفنا فى العصرين الاخيرين فى موضوع علاقة الكهرباء واعمال الوظائف الحيوية و ذكر خلاصة المعلومات التى اكتشفها العلماء فى السنوات الاخيرة بشأن تأثير اشعة الراديوم والاشعة التى تقع بعد الحزمة البنفسجية فقال ان البذور و النباتات الطفلية والزهور واوراق الاشجار قد يتضاعف سير نموها مرات بتأثير بعض الاشعة ثم تذبل او يقف نموها تماما تحت تأثير اشعة اخرى فمثلا اشعة الراديوم (حرف الف) يخرب الانسجة الحيوانية والنباتية اذا كانت شديدة ويزيد نموها اذا كانت ضعيفه واشعة حرف (ب) تنفذ فى الاجسام وتؤثر مثل الاشعه الواقعه بعد الحزمه البنفسجيه القصيرة التموجات التى لها تأثير عظيم فى الميكوبه بلازم فى البكتريا والبرتوبلازم فى الحيوانات والنباتات

ثم ذكر الاستاذ بعض تجاربه الخصوصيه بين فى بعضها ان لتأثير الراديوم فى الماء جعل البذور الموضوعة فيها تنفلق وتنمو اسرع ثلاث مرات مما لو وضعت فى مياه عادية ثم قام بتجربة باخذه غاز حامض الكربونيك والهدروجين الجديد التولد ووجه عليها الاشعة الكيماوية الواقعة خلف الحزمة البنفسجية فتولد من ذلك بتأثير الاشعة الفورمالدهيد ثم اضاف الى هذا الجسم الجديد البوتاس فبتأثير الاشعه تكون السكر ثم قال ان الابحاث الحديثه دلت على ان التراكيب الكيماويه التى يقوم بها الكلوروفيل فى الطبيعة اساسها تأثير الاشعه الواقعه خلف الحزمة البنفسجيه او الانوار الصادره من الاجسام المشعه فالكلورفيل يمتاز بخاصية تمكن الاشعه من التأثر فى الخلايا فجميع المواد السكريه تتكون فى النباتات بواسطه الاشعه الكيماويه الواقعة خلف الحزمة البنفسجيه على حامض الكربونيك والماء ولولا هذا العمل لتعطلت جميع وظائف الحياة فى العالم باسره

اكتشاف علمى خطير

كان العلماء حتى اليوم يعتقدون ان امتصاص غازات حامض الكربونيك وبخار الماء والهيدروجين بواسطة الاجسام خواص النبات وان النبات لا يمتص غاز الازوت (النيتروجين) من الهواء الا بمعونة بعض الجراثيم وكان البعض لا يميل الى تصديق دعوى كل من رجنولت ورزت بان بعض الحيوانات عندما تفتك بها المسغبة تمتص الازوت من الهواء لمقاومة المسغبه نوعاما ولكن جاءت اليوم ابحاث الاستاذ جرافين فون ايندين تبرهن على ان الحيوانات التى من فصيلة العتة الارضه وبعض الاصداف البحريه تمتص غازات الهيدروجين والاوكسجين وحامض الكاربونيك بل الازوت من الهواء لتغذى نفسها لا لدرجه تعويض ما يفقده الجسم بالاحتراق بل لتكوين شحم ومواد سكريه وبالطبع النور واعتدال الحراره والبخار لهما تأثير فى هذه العمليه وفى ذلك حقيقة علمية تولد انقلابا فى العلوم الحيويه ولا بد من قيام كثير من العلماء بعدة تجارب فى هذا الباب لاثبات هذه الحقائق الخطيرة التى بهرت بها العالم تلك الاستاذة الالمانية العاملة

قبل الانقلاب

الجيش بقائده

يا موطناً انتضيناهـا مهندة ... الا لردع الاعادى عن اهـانته
ولا ركبنـا منـايانا لنصرته ... الا لنكسب عزاً من صيانته
سقياً ورعياً لروض منك ذى انق ... قدكادت الحرب تذوى غصن بانته
تالله لم ينكسر فى الحرب عسكرنا ... من اجل قلته او من جبـانته
وكيف وهو تفوق الطيس كثرته ... وتستعير الرواسى من رزانتـه
لكن قائده ماكان يمـأنه ... ولا يبـالى بامر من معـانته
حتى لقد نفدت فى الحرب عينته ... بحيث لم يبـق سهم فى كنـانته
فظل يرسف فى النيران مرتبكاً ... مستفرغاً كل جهد من متـانته
حتى غدا جـله للنار مأكلة ... وما تزحزح شـبراً عن مكانتـه
ولا استكان لهول الحرب من فرق ... بل كان يفرق من هول استكانته
فخاض غمر المنايا صابراً وأبى ... على الفرار انغماراً فى مهانته
ليس الفرار لجند المسلمين ألا ... ان الفرار لكفر فى ديانتـه
وكيف يغلب جيش كان قائده ... يحفـه بجيـوش من خيـانته
الجيش تلتهم النـيران انفسه ... وقائد الجيـش لاه فى مجـانته
اقام فى القصف والاجناد طاوية ... معـاقراً بهنـاء بنت حانتـه
صبحان غبقان فى اقصى معسكره ... مخروراً بين رهط من بطانته
تلقاه من بين ذاك الرهط فى مرح ... كأنه الجـاب ينزو بين عانتـه
لهفى على الجيش جيش المسلمين فقد ... قضى ولم يقض شيئاً من لبـانته

الرصافى

ضحايا المدنية المسيحية

فى القرن العشرين

ذكرنا فى العدد الماضى من الهداية قليلاً من كثير من الفظائع التى اقترفها البلقانيون فى البانيا ومقدونيا تلك الفظـائع التى لم يرو التاريخ لهـا مثيلاً حتى فى أبعد القرون الخالية ، أيام كانت الهمجية ضـاربة اطنابها فوق

ربوع العالم ، وايام كان ازهاق الأرواح من مميزات المدنية القديمة واسباب السؤدد والمجد ونحن موردون الآن قسماً من اعمالهم الفظيعة ليعلم المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها كيف تفعل المدنية المسيحية فى ابرياء المسلمين الساكنين فى مثاويهم والمخلدين الى السكينة دون ان تحرك دول اوربا العظمى المتحضرات ساكنا او تبدى اعتراضاً سوى ماصدر من جانب المانيا من القول الذى ليس وراءه ادنى فائدة . وليفقه المسلمون الآن مقدارما تفعله القوة المتحكمه فى الضعف المغلوب على امره وليدركوا ان لفظة التعصب الدينى ليست سوى كلمة خيالية يرادبها ارهاب مغرورى المسلمين وصرفهم عن اتحادهم وتساندهم .

واليك ماجاء فى الجريدة السوار البلجيكية من احد البلجيكيين الموجودين فى سلانيك وقد نشرت هذه الجريدة بتاريخ ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٢ وهو يمثل الفظائع المسيحية البلقانية فى ابشع مظاهرها . قال :

« لقد استلمت خطابكم المؤرخ ١٧ نوفمبر بعد ان مضى على ارساله اثنى عشر يوما من بروكسل وهى مدة فى الحقيقة لاتكاد تذكر بجانب الاهمال الذى تصاب به المراسلات الواردة من القارة الاوربية الى ثغرنا سلانيك . فلقد تمضى علينا مدد تختلف من ١٥ الى ٢٠ يوماً حتى يصلنا البريد الاوربى . فنحن بهذه الطريقة مفصولين من العالم المدنى وكانما سلانيك لم تعد فى اوربا بل انتقلت الى وسط افريقيه . وهذه مقدونيا حديقة الآلام وانواع التعذيب وارض المذابح والمجازر اصبحت اليوم مهبط الفظائع والاهوال التى لم تخطر لدانتى اليجيبرى على بال بماتخطه من حدود التصور وما بلغته من ضروب التفنن والبشاعة .

انكم بالطبع علمتم بانباء الحرب وتفاصيل الوقائع وعرفتم كيف ازاح البلغاريون والصربيون واليونانيون القوى العثمانيه المرابطة على الحدود وكيف اجتازوا اراضى التراس والصرب القديمة وابيريا ومقدونيا وفهمتم من شروح الصحف كيف الجنود العثمانيين الهادئين القنوعين الأقوياء الشجعان كانوا فاقدى النظام . ولكن الشيء المهم الذى لم تخض فى صدده الصحف انما هو التوحش الذى اتصف به المغيرون مابين يونانيين وبلغاريين وصربيين بذبحهم كافة العثمانيين المخلدين الى جانب السكينة والدعة من اطفال الى نسوة فشيوخ وبالجملة كل القاطنين الانحاء التى وطئتها اقدام المغيرين . ولقد كانوا فى

كل الجهات التي يمرون بها يستأصلون كل اثر للاسلام بعد ان يحرقوا قرى المسلمين ويدمروا المساجد تدميرا و ينسفوا المآذن .

ولقد امحت معالم الاسلام جملة واحدة من اكثر الأقضية فلم تبق بها من نفس تتنسم الحياة ولا من معبد يذكر فيه اسم الله ولا من دار تلعب فى عرصاتها الخالية الرياح العاصفة . ولقد قص على صديق لى وصل هذا الصباح بعد ان قطع المسافة من جوما (بالحدود البلغاريه) الى سلانيك صحبة العصابات البلغارية التى كانت تحميه اما راجلاً اوفارساً ان مسلمى اقضية جوما ومنليك وبتريته التى اجتازها ذبحوا عن آخرهم وان الطرق مغطاة بجيف هولاء الضحايا . وان هذه الحرب التى نشاهدها ليست سوى حرب صليبية فى ابشع الاشكال وان هى الا حرب فظيعة طاحنة يراد بها استئصال العنصر الاسلامى . دائما يراد القضاء على كافة المسلمين الموجودين فى هذه البلاد لتصبح خلواً منهم وحافلة بالمسيحيين فتدخل فى ملك المغيرين نهائيا . وبهذه الطريقة يقضون على السيادة العثمانية ليزول كل اثرلها من تلك البقاع .

وفى ثغر سلانيك نفسه حيث يوجدلنا فيه عشر بواخر حربية أجنبية وقناصل دول وعدة نزالات اجنبية ومجموعة من مراسلى الصحف الغربية ذبح منذ بضعة ايام ١٥٠ مسلماً فى ليلة واحدة كانوا نائمين فى قهاوى محلة واردر لعدم وجود ملاجئ لهم .

ولقد نسف البلغاريون مصنع بارود الزيتونلك فذهب فى هذا النسف الف قتيل من الجنود المسلمين ! ومع ذلك فلم توجه كلمة واحدة من اوربا الى الآثمين ! فما افظع المذابح التى تقع فى سرس واسكوب ومناستر ! وانى لأؤكد لكم انه لن يبقى مسلم واحد فى تركيه اوربا اذا ظل الحال على هذا المنوال مدة وجيزه .

ولقد ترك الاثنى عشر الف اسير من العساكر العثمانيين فى زاوية الاهمال فلم تقدم اليهم الأغذية المساعدة على الحياة فاخذوا يموتون جوعا . وكم من ايام قضوها جياعاً لايتذوقون طعاماً ولا شراباً . بل لم يسمح لهم ايضاً بمشترى الخبز . واخيراً رأى بعض الأجانب من الذين رقت قلوبهم فجعلوا بيوتهم ملاجئ للمحتمين ان يحملوا الى هولاء المساكين شيئاً من الخبز . وبعد قليل تفشت الامراض فى هولاء الاتعاس فقضت على البقية الباقية منهم . واذا بقى افراد منهم على قيد الحياة فما ذلك الا لان صلابة العثمانى تخطى حدود ما تحمله النوع الانسانى من صنوف العذاب والآلام .

هذا ما كتبه ذلك المراسل من سلانيك الى جريدة السوار البلجيكيه وهو يدل على خبث وسؤئية البلقانيين وعدم اكتراثهم بالارواح البريئة ومحاولتهم استئصال شأفة المسلمين من البلقان باسره كل هذا يحدث باسم المسيح وعلى مرأى ومسمع من الهيئات الرسمية الأوربية . فقد حدث ان عدة ضباط من الطرادة الفرنسية « چوريان ديلا جرافيير » كانوا فى دهده أغاج أثناء تلك المذابح المرعبة التى حدثت بها فنزلوا الى الشاطئ وتجولوا بانحاء المدينة والتقطوا بالمصور الفوتغرافى سائر المناظر المبكية التى وقعت عليها أبصارهم .

وهذا ما جاء فى كتاب خاص مرسل الى جريدة اقدام : « ان نصف المسلمين الموجودين فى ولاية سلانيك ذهبوا ضحية الذبح والتمثيل . ولم يبق من مسلمى هذه الولاية الا من رأوا ان يخلصوا حياتهم باعتناق الديانة المسيحية فى الظاهر .

والذين سلموا من مسلمى بتريك ومنليك و دمير حصار انما توصلوا الى النجاة بهذه الوسيلة التى ارشدهم اليها قسيس سرس اليونانى الذى نصح هؤلاء البائسين باتباعها ليفوزوا بحياتهم . ولقد نشرت هذه الانباء صحف سالونيك اليونانية التى انتقدت اعمال البلغاريين وشنت الغارة عليهم بحجة انهم يرغمون المسلمين على اعتناق الديانة المسيحية .

وقد اقترف البلغاريون هذه الفظائع نفسها فى جهة سروجه واومانيه ورادو فيشتا واورات حصار فلم يبقوا فرداً ذكراً من المسلمين فى رادو فيشتا واورات حصار . واذا استمر الذبح والفتك فى مسلمى ولاية سلانيك الذين كان عددهم يبلغ ٥٥٠٠٠ سيصبحون ٢٠٠٠٠ نسمة فقط . ولقد اتجهت رغائب البلغاريين الى ذبح الرجال بنوع خاص للحصول على النساء والاطفال ونقلها الى جهة غير معلومة .

وهذه الوسائل الفظيعة التى لايمكن نقلها انما اتخذها البلغاريون ليجعلوا الاغلبية الكبرى فى مقدونيا للعنصر البلغارى . وهم عدا هذه الغاية يرمون الى اجتياح الثروة الاسلاميه فى تلك الجهات . وبهذه الطريقة أصبح ابسط زعماء العصابات البلغارية وهو تشرنوبيوف الذى تعين قاضياً فى محكمة ستروميجه بمرتب شهرى قدره ٨٠٠ قرش اليوم محتكما على ثروة مقدارها ١٠٠٠٠٠ ليره عثمانية لان مدينة قولة التى تعتبر درة الروملى الفريدة من جهة الثروة اصبحت تحت

رحمة هذا العيار قاطع الطرق وعصابته العاتية فانتزع اموال الاهالى المسلمين من قبضة ايديهم .

ولقد غير بانيتزا رفيق العيار المشهور ساندانسكى معالم سنجق درامه الذى كان يرفل فى حلل الرخاء باستيلائه على ثروة جميع المسلمين وبذبحه كل من توصل اليهم من المسلمين فى حين ان ساندانسكى اضرم النيران وأجرى سيول الدماء فى سنجق سرس .وعلى هذا المنوال سيتطلب غداً كافة رجال العصابات من التعاسة الى الهناء ويصبحون اعيان هذه المدن . وهذا اهم مايراد من المجازر البشعة التى يقترفها المغيرون ويكسون بها الروملى حللاً ارجوانية فظيعة المنظر.

ولقد أصدر ساندنسكى امره باحراق الفين الى ثلاثة آلاف نفس من بين نساء واطفال ابرياء وهم على قيد الحياة فاحرقن فى جوامع سرس التى آوين اليها . ولا تزال الجثث المحترقة مشهودة بين اطلال المساجد التى هدم بنيانها وتقوضت اركانها .

وترى اجساد النساء والاطفال قد تحولت الى فحم فى مساجد قريتى بتروفا وفترينا .

ولقد تفنن أشقياء العصابات الموجودة فى سرس فى خلق الذرائع التى يتوسلون بها الى ايجاد المذابح . فمن ذلك انهم اطلقوا مرة رصاصة من بندقية فى الهواء ثم زعموا ان الثورة قد اندلع لسان لهيبها وعلى ذلك هبوا يفتكون فى مسلمى تلك الجهة حتى اتوا على السواد الاعظم منهم ذبحا .

ولكى يستولى البلغاريون على املاك المسلمين يعمدون الى حملهم على بيع عقاراتهم وأراضيهم بابخس الاثمان حتى اذا ماحصلوا منهم على الوثائق الشرعية عادوا فقتلوهم واستولوا على النقود التى ابتاعوا بها منهم املاكهم . وقد صدر أمر من ملك البلغار بمنع هذه المظالم ولكن هذا الامر لم يكن الا من قبيل ذر الرماد فى العيون لان الحكومة البلغارية تكافئ زعماء العصابات الذين يقترفون هذه الجرائم مكافآت خاصة . وعلى هذا النسق فعل الشقى دونيا لاكوف الذى عينته الحكومة البلغارية قائمقاماً لجهة لانغاظه فقد جرد النساء حللهن وحليهن واستولى بالقوة من المسلمين على مبالغ تتراوح مابين الف ليره عثمانية و ٤٠ قرشا . وقد اضطر ايبوش اغا سرى لانغاظه الى دفع ١٠٠٠ ليره لاجل النجاة بحياته . وقد بعث بكافة المسلمين الى سلانيك بعد ان جردهم من سائر املاكهم واموالهم وجعلهم من افقر خلق الله . ويوجد

منهم فى سلانيك من ٤٠ الى ٥٠ الفاً تفتك فيهم ايدى المجاعة والامراض . »

هذه نتف من الشروح الضافية التى تكتبها الصحف الاجنبية والعثمانية كل يوم عن المجازر الوحشية التى ابتلى اخوتنا وابناؤنا وبناتنا بها فى الروم‌ايلى فهل يتجدد عهد الاندلس فى الروم‌ايلى ونحن سكوت كما سكتنا فيما مضى ؟ اتعمى عيوننا وتصم آذاننا وتعقل السنتنا عما يحدث بين ربوعنا ؟ ايجوز ان نهادن ونسالم اولئك الاعداء الذين فضحوا أعراضنا وسلبوا اموالنا واستولوا على املاكنا واخرجونا من قعردورنا وارادوا ان يلقوابنا الى ماوراءالبسفور حيث الشاطئ الأسيوى الذى اندفع منه محمد الفاتح رضى الله عنه بجيشه الجرار الى اجتياز القناة واقتحام قروق ؟ وهل يتفطن المسلمون بعد هذه الفظائع التى تقرح الاجفان وتدمى القلوب الى ماتبطنه لهم اوربا المسيحية بسكوتها على البلقانيين فى حين انها طالما صاحت واحتجت وتداخلت فى امورنا اذا حدثت فتن خفيفة بين فريق من رعايانا وفريق آخر منهم منشاه الجهل والدسائس الاجنبية : لقد جاءالوقت الذى يفقهالمسلمون فيه حقيقة مركزهم ويساعدون هذه الدولة التى هى ضمانة بقائهم بارواحهم واموالهم .

خطاب الى الأمة الأسلامية

اليكم مسلمى العالم اخوانى فى الاسلام اسوق الحديث . هل لم يزل عندكم شك فى مقاصد اوروبا ونياتها ازاءكم ام اقتنعتم بما يقصه عليكم التاريخ من الحوادث والعبر وبما ترونه باعينكم حاصلاً فى بلاد الروم‌ايلى . ان اوروباهذه لاتقصد الا اجلاءكم عن ارضها وارجاعكم الى اسيا ونزع كل سلطة سياسية منكم بينا يعمل مبشروها على تنصيركم

الا ازيحوا عن عيونكم تلك الغشاوة التى منعتكم حتى الآن من رؤية الحقيقة ناصعة ولاتذهلكم تلك الكلمات الضخمة الفارغة التى يصدعون آذانكم بها مثل الانسانية ــ الحرية ــ العدالة ــ التمدين الخ . اذ لا معنى لهذه الكلمات الابين الاوروبيين المسيحيين كما ان مبادئ حقوق الأمم اوحقوق الانسان لاتطبق الابين الأمم الاوروبية

افيقوا اخوانى وانظروا بعيدا وفكروا فى طرق اتحادكم ولو بالشعور على الأقل لتعملوا فيما بعد على خلاصكم مما يعدهلكم اولئك الذين يعتبرونكم احط منهم فى سلم الانسانية

ايه أيتها الأمم الاسلامية . اتركوا كل تفريق جنسي واتحدوا ولكن الاسلام هو الرابطة المتينة بينكم . اخلعوا عنكم تلك النعرة الكاذبة التي تفصم عرى اتحادكم في وقت تم فيه اتحاد اوروبا ضدكم . ولتكونوا عائلة كبرى فتصبحوا كتلة واحدة قادرة على مقاومة هذه الغارة الشعواء التي تريد اجتياز البسفور لتغرقكم في بلادكم ولا تنكروا على الاتراك فضلهم في وقت هذا التيار الجارف مدة ستمائة سنة فذلك التيار الذى تضرب الآن امواجه اسوار الاستانه بعد ان هدم قلاع الدولة الامامية الواحدة بعد الاخرى .

واحفظوا جميل امة الاناضول التي بذلت مهجتها في مكافحة اهل الصليب ستة قرون متوالية واقامت امامهم سداً من جسوم ابنائها. ولا تصغوا الى من يرسلونهم اليكم من رسل الفساد لاغرائكم على الانفصال الذى يكون مقدمة لابتلاع الأمم المسيحية لكم .

وتأملوا قليلا فيما حل بالأمم الاسلامية التي استهويت قبلكم وانفصلت تمام الانفصال اوبعضه عن جزء الدولة المتين وكانت عاقبتهم الاستعباد والسقوط الى احط دركات الأمم .

لاتهنوا ياابناء الاسلام ولاتدعوا تلك المصائب الوقتية تؤثر في شجاعتكم اوتضعف من همتكم ولاتغتروا بوعود الدول الكاذبة التي تدعى حمايتكم ضد اخوانكم في الدين لتكبلكم هي بالأغلال . فاتحدوا والا فايقنوا بالفناء وانتم ياأمراء الاسلام من مراكش الى الهند ومن بخارى الى زنجبار هل يرضيكم ان تروا اوروبا تحكم بلادكم بعد ان اصبحتم في صف الخدم تحملون في رقابكم أطواق العبودية (مذهبة) الاذم اوضمائر توبخكم على توطيد سلطة الأجنبي في بلادكم . مااتعسكم ايها الامراء

هذا ماوصل اليه الاسلام بسبب اطماعكم وكبريائكم وعبادتكم للذهب الوهاج وشهواتكم النفسية خذلتم ايها الامراء ياأعداء امتكم وياأعداء انفسكم

ياأمم الاسلام مدوايد الاخاء بعضكم الى بعض واحموا كيانكم بمحض اجتهادكم ولاتعتمدوا على هؤلاء الامراء الذين يبيعونكم بدراهم معدودة . اويبلغ بهم الجبن الى تمكين الأجنبي من استعبادكم . والا فاستعدوا الى الزوال والفناء كما استؤصل قبلكم عرب الأندلس وكما يستأصل الآن الاتراك من بلاد البلقان حيث يقتلون جماعات باسم التمدن الاسلامي .

المركز حرج والمسألة لاتحتمل التأخير بل هي مسألة حياة اوموت .
انكم ترون ذراعي اوروبا تمتدان الواحدة من شمال افريقيا والاخرى من بلاد البلقان لتجتمعا في تركيا اسيا وليقبضا على عنق الاسلام فتضرباه في قلبه اي في البلاد المقدسة . ولا تغتروا وتؤملوا خيراً في تساهل اوعدالة اوروبا اذ لوتم لهامقصدها لم لهافتح بلاد الاسلام بل تملك مهدالاسلام الذي منه دب ومنه ترعرع ولاتظنوا ان اوروبا المتمدنة تحفظ النظام حول الكعبة المشرفة اوحول قبر النبي الكريم كما فعل المسلمون ويفعلون للآن في المسجد الأقصى (بيت المقدس) فان مبشريهم المتعصبين يتكلمون من الآن ان يفعلوا بقبر النبي محمدعليه الصلاة والسلام مافعله بام درمان انهم يريدون نسفه بالديناميت ومنع الحج تماماً لعدم اكتنائهم بعرقلته الآن بالاحتياطات المانعة

ايها المسلمون قد حفظ لكم التاريخ قصص التنكيل باجدادكم باسبانيا وانتم تنظرون باعينكم اليوم ماهو حال باخوانكم في تركية اوروبا ومن ذلك يمكنكم معرفة مايضمر لكم وماينتظركم يوم تغير جيوش التمدين على بلاد الاناضول والجزيرة والشام وما بعدها .

ولا تغتروا بما يمكن ان يقال لكم عما تتخذه فرنسا وانكلترا من الاحتياطات الصحية في بعض مستعمراتها فان تلك الاحتياطات لم تؤخذ الا في الاقاليم التي لايتكامل الجنس الابيض فيها مثل وادي النيل وافريقيا على العموم اوبلاد الهند ومع ذلك فان قصدوا حفظ هذه الأمم فما ذلك الا ليجندوا منهم الجيوش لسد الفراغ الذي ينتجه نقص المواليد في بلادهم وليكونوا لهم عبيداً (على العهد الحديث) لزراعة القطن وجمع المطاط (كوتشو) .

والخلاصة ان حفظ غيرالمسيحيين على العموم والمسلمين على الخصوص هو امامفناهو التام كماهو حاصل لأمم امريكا حمرالجلودوأمم المؤرى باستراليا والاستعمار والتمدن الحديث كما حصل في الهند وافريقيا

هذا ماتجر اليه سياسة الانسانية سياسة حفظ كيان الدوله العثمانيه سياسة حفظ مملكة مراكش وبلاد فارس سياسة الاجناس . . . . الاوروبية

ايها المسلمون ان الاسلام في خطر فافيقوا

العالم الاسلامى

مستقبل الاسلام بايدى المسلمين

ظهر الاسلام بمبادئه القويمة وتعاليمه الحكيمة فى عصر كانت الهمجية ضاربة بجرانها فوق ابنائه فآخى بينهم وجمعهم تحت لواء واحد ليتعاضدوا على تقوية مجموعهم وعلى تنظيم شؤونهم فكانوا بهذه المثابة عبارة عن جمعية اشتراكية واسعة الاطراف لاميزة بين افرادها . ولقد اخذت الشعوب تتهافت على العقيدة الاسلامية لانها روح الرقى والعمران والسلام كما ترامى المسلمون تبعاً لأوامر دينهم وراء بسط النفوذ الاسلامى على بقاع المعمورة لجعل سكانها جميعاً اخوة يتقاضون الى قانون واحد وهو القرآن الكريم .

ولم يمض على ظهور هذا الدين الحنيف سوى ثمانين عاماً حتى كان قد امتد سلطانه على قسم عظيم من القارة الاسيوية وجميع القسم الشمالى من افريقيا ثم اجتاز البحر الأبيض المتوسط الى اسبانيا وظل يتغلغل فى اوروبا حتى ضم اليه نصف فرنسا واستولى على كثير من جزر هذا البحر .

كل هذا تم يوم كان المسلمون ينظرون الى الدين نظرة الاحترام ويعملون باحكامه وقواعده فدانت لهم مشارق الارض ومغاربها . وبما ان الاسلام يحض على الزواج ويحث على النظافة والوقاية من الامراض والبلاد التى دخلت فى حوزته من اجود بقاع الارض خصباً و اكثرها رياً واوفرها خيراً فقد تكاثر عدد المسلمين بسرعة عجيبة حتى ضاقت بهم بلادهم ففاضوا كالسيل الجارف على البلاد المصاقبة لهم فالنائية عنهم حاملين لنظمهم الشرعية وكثيراً من عوائدهم واخلاقهم الدينية . وبما ان نهوض الامة الاسلامية كان معجزة لانه ظهر طفرة بالنسبة لنهضات سائر الامم الاخرى فقد كان سقوطها سريعا .

واذا انعمنا النظر فى اسباب هذا السقوط السريع وجدناها محصورة فى النقط الآتية . (١) اهمال قواعد الدين وتعاليمه . (٢) انقلاب الخلافة الاسلامية الى ملك استبدادى (٣) ادخال المسلمين فى عوائدهم واخلاقهم من الخلائق الاجنبية مالا يتفق مع روح الاسلام .

ومن التأمل فى هذه الاسباب يتضح لنا انها عرضية لاجوهرية : فالمسلمون

اولاً لم يخلوا عن دينهم ويستعيضوا عنه بسواه . ولم ينبذوا احكامه واوامره وان كانوا قد اهملوها في بعض الاوقات وبالاجمال لم يعدلوا حتى اليوم عن حب دينهم ولقد بدت للمسلمين عورات الملك الاستبدادي وما ادى اليه من التفريق بين طوائفهم في المعاملة وتفضيل بعضهم على بعض بدرجة اختفى معها الاخاء الاسلامي وتلاشى العدل وامتنعت المساواة فقاموا يسعون سعياً حثيثاً لاعادة الخلافة بقيودها الدستورية وسياجها الديني . واذ آنس المسلمون من الخلائق التي امتزجت بين عوائدهم واخلاقهم الاولى مايوشك ان يفضي بهم الى الفناء عادوا الى التمسك بما فطروا عليه وماندبتهم ديانتهم اليه فهم اليوم آخذون في التجافي عن كل غريب مخالف لمألوفاتهم ولاسيما بعد ان علموا ان افضل مالدى الاجانب من الصفات انما هو مقتبس من الطباع والمزايا الاسلامية الاولى.

ولكي نجزم بان اسباب انحطاط الامة الاسلامية عرضية لا جوهرية يلزمنا ان نرجع الى اقوال علماء الاجتماع لنعلم اسباب تهاوي الامم وزوالها حتى يتسنى لنا فيما بعد أن نحكم بان هذه الامة العظيمة لاتزال حية قوية وهي قادرة على النهوض مرة اخرى واكتساح البسيطة باسرها واعادة الشرق الى عصوره الاولى ايام كان له السؤدد الاعلا على الغرب وعلى الشمال والجنوب .

ان انحطاط الامم وعشيها الى الزوال يترتب على الاسباب الآتية :

(١) انفراط عقدها وتلاشي جامعتها . (٢) اندراس لغتها واخلاقها .
(٣) نقصان عدد افرادها (٤) قلة املاكها ونضوب منابع ثروتها .

ومن التأمل في حالة الامة الاسلامية في الوقت الحاضر نجدها آخذة في التحسن فان المسلمين كلما شعروا بمقاصد الاجانب منهم واشتركوا في آلام الاستبداد والاستعمار الاجنبيين ازدادت رغبتهم في انضمامهم الى عقد واحد وفي تقوية جامعتهم الدينية . واوضح دليلاً على صحة هذه النظرية ماتراه كل يوم من التفافهم حول راية الخلافة واكتتابهم للدولة العثمانية بمئات الالوف من الليرات لاجل مشروعاتها العديدة وحروبها المتلاحقة .

ومن جهة اللغة الاسلامية ونعني بها اللغة العربية فان اقبال المسلمين قاطبة على تعلمها حتى الصينيين المترامين في اقصى ارجاء الشرق ووضع الكتب العديدة وانشاء الجرائد والمجلات الجمة بها وادخال المئات بل الالوف من الفاظها في اللغات القومية الاخرى كالتركية والفارسية والاوردية لدليل ناصع على عودة المسلمين قاطبة إلى لغتهم وعوائدهم الاولى .

واما عدد المسلمين فآخذ فى الازدياد من يوم الى آخر زيادة عظيمة جداً ناجمة عن سيرهم فى طريق الرقى المدنى واتخاذ طرق الوقاية الصحيحة وعن اعتناق مئات الالوف من المجوس والوثنيين فى الهند والصين وغرب افريقيا و وسطها للاسلام. ومن الادلة المحسوسة على صحة هذا التقرير ما اثبته كتاب الانجليز من دخول مالايقل عن ستمائة الف من الهندوس كل عام فى الدين الاسلامى وكذلك الحال فى الصين التى يؤكد بعض الباحثين ان عدد مسلميها تجاوز الآن ٨٠ مليونا وكثيراً ماسلم قرى اومدن باجمعها فى تلك البلاد وفى هذا الصدد يقول المسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً وأحد اعضاء المجمع العلمى الفرنسى : « لقد انبثت فئة من المسلمين فى بلاد الصين فانتشر الاسلام فى تلك البلاد انتشاراً هائلاً حتى ذهب البعض الى القول بان العشرين مليونا من المسلمين الموجودين فى الصين لايلبثون ان يصيروا مائة مليون فيقوم الدعاة لله مقام الدعاة (لسا كياموتى) وليس هذا بالامر الغريب فانه لايوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتشراً فى الآفاق . فهو الدين الوحيد الذى امكن اعتناق الناس له زمراً وافواجاً وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل الى التدين به كل ميل الى اعتناق دين سواه . ففى البقاع الافريقية ترى المرابطين وقد افرغوا على ابدانهم الحلل البيضاء يحملون الى الوثنيين من العبيد العارية اجسامهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك فى هذه الدنيا كما ان امثالهم فى القارة الاسيوية ينشرون بين الشعوب الصفر الالوان قواعد الدين الاسلامى ثم ان هذا الدين قائم الدعائم ثابت الاركان فى اوربا عينها حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذى يحكم على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية بعضها عن بعض شطرين وهذه الكتابة خطها قلم المسيو هانوتو منذ بضع عشر سنوات فلا يعتد بماجاء فيها من القول بان عدد مسلمى الصين عشرون مليونا فان عدد مسلمى تلك البلاد لايقلون الآن عن ٨٠ مليونا . وقال بعض كتاب الاوربيين « ان للاسلام فى الصين اربعين مليونا من النفوس وان للمسلمين عند اهل الصين منزلة علية .» وقال المسيو وازيليف « ان مصير الاسلام القيام مقام مذهب (سا كياموني) وان لمسلمى المملكة السماوية اعتقاداً جازماً بان الاسلام لابد ان يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة وهى مسألة من اهم

المسائل اذ الصين آهلة بثلث العالم اوبازيد من هذا القدر لوصاروا كلهم مسلمين لأوجب ذلك تغييراً عظيماً في حالة تلك البلاد بأجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الأكبر الهادى ويخشى على الدين المسيحى مرة اخرى ومعلوم ان امة الصين امة عاملة وان هدأت اخلاقها وجميع الامم تستفيد الآن من علمها فلوجاءها التعصب الاسلامى ذوالبأس الشديد لخشيت بقية الامم من السقوط تحت سلطانها » وقال المسيو مونتيت : « لقد اصبح من المحقق ان الاسلام ظافر لا محالة على سواه من الأديان الأخرى التي تتنازع البلاد الصينية وقال المسيو شاتلييه « ان من تأمل حال الاسلام فى القطرين اللذين هما آهل اقطار آسيا بل اقطار العالم بالسكان وهما الهند والصين يجدان الاسلام وحده يتقدم وينمو على حين ان غيره من الديانات القديمة يتداعى ويضعف والمسيحية لاتكاد تثبت . »

فمن كل هذه الاقوال يتضح لنا جلياً ان الاسلام آخذ فى الانتشار من جهة دخول الناس فيه زمراً زمراً . واما ازدياد عدد المسلمين من جهة التناسل فليس ثمت انصع دليلاً على صحته من الزيادة العظيمة التى طرأت على سكان مصر فى بحر قرن كامل فقد دلت الاحصاآت على ان عدد المصريين حينما دخل محمد على رأس الاسرة الخديوية ارض مصر اكثر من ثلاثة ملايين ونصف مليون فلم يمض اكثر من قرن حتى كان عددهم اكثر من احد عشر مليونا اى اكثر من ثلاثة امثال ما كانوا عليه من العدد . ولقد كان عدد مسلمى الهند فى سنة ١٨٩٢ سبعة وخمسين مليونا فاصبح عددهم فى عام ١٩٠١ تسعين مليونا . فاذا قارنا هذه الزيادة العظيمة بما ذكره المسيو ديمولان من ان عدد سكان فرنسا يتضاعف كل ٣٣٤ عاماً وعدد سكان المانيا كل ٩٨ عاماً وانجلترا كل ٦٣ عاماً والنمسا كل ٦٢ عاماً يظهر لنا مقدار الفرق العظيم بين نسبة نمو المسيحيين وعلى ذلك فالمسلمون الذين كانوا لايزيدون فى عام ١٩٠٠ على ٣٦٠ مليوناً ربما يبلغ عددهم الآن اكثر من ٤٥٠ مليوناً على الرغم من محاولة احصائي المسيحيين التقليل من عددهم .

اما من جهة الاملاك الاسلامية ومنابع ثراء المسلمين فانها والحمدلله لم تزل وافرة جداً وكيف يقاس بها سواها ولو انقطعت صلات المواصلات شهراً واحداً بين الشرق والغرب لسقط الغرب فى مجاعات مهلكة وتعرضوا من

ملابسهم وحليهم وقلة حركة التعامل بالنقود بينهم لان البلاد الشرقية واكثرها اسلامية هي منابع الثروة العمومية في العالم سواء من جهة الغلال وانواع الاغذية اومن جهة الاصواف والحرائر والاقطان اومن جهة الاحجار الكريمة والمعادن الذهبية والفضية والنحاسية وسواها ؟ على ان ثلثي البقاع الاسلامية لايزالان مكنوزي الخيرات فلم تفلح اراضيها الزراعية ولم تستثمر غاباتها ولم تستخرج معادنها. فلدى المسلمين حتى الآن مالا يقل عن عشرة ملايين كيلو متر مربع من الاراضي التي لو عملت فيها ايدي الجد والاتحاد والصناعة لاخرجت منها في كل عام مالايقل عن اربعمائة مليون من الليرات .

فمن كل ماتقدم يتضح ان اسباب الحياة والرقي لاتزال وافرة جداً لدى الامة الاسلامية وان مستقبل الاسلام عظيم باهر لو ان المسلمين تفطنوا له واهتموا به.

لقد كان المسلمون حتى الامد الغابر يعتمدون على الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية التي يجب عليها ان تنقذ المسلمين من براثن الاجانب وتضمهم جميعاً تحت راية الهلال ليتحدوا ضد غزوات الصليب ومطامعه التي لا تقف عند حد وكان للمسلمين العذر الكبير في عقدهم على هذه الدولة وفي التفافهم حول سلطانها . ولكن لم توشك سنة ١٣٢٩ هجرية ان تدانى نهايتها حتى فتحت في وجه الدولة العثمانية حربان ضخمتان احداها خارجية وهي الحرب الطرابلسية التي انتهت بسلخ تلك الولاية الاسلامية الكبيرة من جثمان المملكة العثمانية على يد عدو الاسلام والساعي في تقويض اركان الخلافة كامل باشا الصدر الساقط والاخرى داخلية وهي الحرب الحزبية التي اثار غبارها أنصار الحكم الاستبدادي المتغرض معتضدين بذوى الضمائر السود والذمم الخربة من عباد النقود الاجنبية التي تثيرها السفارات في الاستانة وقنصليات في سائر الولايات العثمانية . وعلى اثر نشوب هاتين الحربين اشتعلت نيران القتال في البلقان اذ رأت الحكومات البلقانية المسيحية ان الدولة العثمانية تسلم في البلاد ولو بغير حرب وجلاد وكانت نتيجة هذه الازمة الثلاثة تغلغل البلقانيين في مقدونيا والبانيا واقترابهم من ابواب الاستانة بسبب الاغلاط الفاحشة التي ارتكبها كامل و ناظم انسحاب الجنود التي كانت مرابطة على تخومنا البلقانية من بدء الحرب الطرابلسية. وبعد هذا الهول العظيم تفشت الفظائع المسيحية في تركية اوربا في اجلى مظاهرها

واصبحت مئات الالوف من اشلاء المسلمين والمسلمات من شيوخ وشيخات وفتيان وفتيات وبنين وبنات نهبا لجوارح الطيور وكواسر الحيوانات وتلك الوزارة لا تحرك ساكنا كان هذه الضحايا ليست من الامة الاسلامية العثمانية المستظلة براية الهلال. فادت هذه الامور كلها الى محاولة العالم الاسلامى الانصراف عن هذه الدولة ولو فعل ذلك لانفرط عقده وتحكم فيه اعاديه . الا ان الله اراد لدينه الحق نهضة جديدة على ايدى احرار العثمانيين الذين هبوا من غفوتهم واطرحوا دثار الخمول فاسقطوا فى ساعة واحدة تلك الوزارة الاثيمة التى كادت تقضى على الدولة والاسلام. كان يوم الخميس ٢٣ يناير سنة ١٩١٣ موعد تقديم الرد على مذكرة الدول التى بعث بها الباب العالى فأدرك احرار العثمانيين ان هذا الرد كفن الدولة فأرادوا ان ينقذوها من التدثر به . ولم تحن الساعة الأولى بعد منتصف ذلك حتى كان الاحرار قد ساروا فى موكبهم الى الباب العالى وقاموا بمظاهرة رهيبة قتل فى اثنائها ناظم وحاجبه الاول فدائى الحزب العسكرى المنشق توفيق كما استشهد فى هذه المعركة المرحوم المبرور فقيد الحرية والاسلام مصطفى نجيب بك واخطر كامل باشا ان يقدم استقالته صاغرا . بهذه الطريقة قضى الله على مقوضى اركان هذه الدولة واعاد اليها حياتها بعد ان كادت تدخل القبر .

فلما شعر العالم الاسلامى بتجدد الحياة فى جثمان الدولة العثمانية تحولت وجوههم اليها ثانية بعد ان كادت تنصرف عنها ودب فى الشعوب الاسلامية دبيب الحياة وانبروا يكتتبون بمئات الالوف من الليرات لمساعدتها على استمرار الحرب وانقاذ الشرف العثمانى من العار الذى الحقه به كامل وناظم .

وليس ثمت من فكر ينكر على العالم الاسلامى اخلاصه لدولة الخلافة والتفافه حول رايتها المقدسة ولكن الايام قد اظهرت ان الاخلاص والالتفاف وحدهما لا يجديان الفائدة المنشودة بل لا بد للعالم الاسلامى ان يتعظ بما مضى وان يشمر عن ساعد الجد ويساعد هذه الدولة على ايجاد اسطول قوى يحمى شواطئها التى يربى امتدادها على ١١٠٠٠ ميل ويوقف الدول الطامعة فى البلاد الاسلامية عند حدها . ثم انه من اوجب الواجبات على المسلمين ان يستعمروا اراضى هذه الدولة الواسعة التى تكاد تبلغ مليونى كيلومتر مربع حافلة بموارد الثروة والسعادة . ان البلاد العثمانية فى اشد الحاجة الى مشروعات اقتصادية تنمى ايراداتها اذ هى الآن تحتاج الى استخراج معادنها وزرع اراضيها ومد السكك

الحديدية والخطوط الكهربائية فيها كما انها تحتاج الى شركات ملاحة عديدة والى معامل لصنع الحاجيات والكماليات التى يستقدمها العثمانيون من الخارج . فهذه الصحافة العثمانية مثلاً تستورد آلات طباعتها و اوراق صحفها من المعامل الاوروبية وهذه الحكومه العثمانية توصى على صنع بواخرها الحربية ونقالاتها من اوربا وامريكا . فلو وجه المسلمون عزائمهم الى تقوية هذه الدولة لانتفعوا من تقويها انتفاعاً عظيما . فالذين لايستطيعون ان يتمتعوا بحرية العيش والعمل فى بلادهم من المسلمين يستطيعون ان يقطنوا البلاد العثمانية آمنين مطمئنين محفوفين بالرعاية والعناية . وهؤلاء اخواننا الفارسيون قد طحنتهم الاهوال والمصائب فى بلادهم فاحسنوا صنعاً بلياذهم بعاصمة الاسلام حيث اصبحوا يعدون فيها بعشرات الالوف ولهم بها يدقوية فى التجارة . فلوحذا سائر المسلمين المضطهدين حذوهم واشتغل كل فريق منهم بضرب من الاشغال الاقتصادية الحرية والفوا الشركات والنقابات لصارت الدولة العثمانية فى امد وجيز من اقوى دول العالم جيشا واكثرهن رجالاً و اوفرهن مالا . وقد قلنا ان عظمة هذه الدولة من اسباب تخلص الشعوب الاسلامية المضطهدة من تحت النير الاجنبى فالمسلمون بتعميرهم اراضى هذه الدولة وتكثيرهم رجالها واموالها يخدمون اوطانهم ويعملون لتحريرها من السلطات الاجنبية . فهل للمسلمين ان يتنبهوا الى هذه الحقيقة قبل ان تضيع منهم الفرصة الحاضرة كما ضاعت فرص كثيرة من قبل ؟ ان مستقبل الاسلام لايزال بايدى المسلمين فليحزموا امرهم وليجمعوا كلمتهم ولينزعوا عن التواكل والتوانى التى كانت من اصعب ادواء هذه الامة .

لقد اظهر المصريون والهنود من الحمية والاريحية ماهو معهود عنهم فنود منهم ان يستمروا على السير فى هذه الطريق وان يقتدى مسلمو البلاد الاخرى . وننتظر أن تكون النهضة الاسلامية مستمرة وأن يعمل كافة المسلمين بالخطة التى رسمناها لهم .

———

نص برنامج الجمعية الاسلامية فى بكين الموعود بنشره فى العدد السابق

المادة الاولى — افتتاح المكاتب والمدارس فى بكين وغيرها لتدرس فى هذه المدارس اللغة العربية واللغة الصينية وتاريخ الاسلام وتاريخ الصين والجغرافية وامثالها من الفنون الخالية .

والمتخرجون فى هذه المدارس والمكاتب يدخلون فى مدارس الحكومة بغير امتحان ويخصص فيها يوم للوعظ والنصيحة لكى تمحى الخرافات والعقائد الباطلة المنتشرة بين مسلمى الصين المخالفة للاسلام ولكى تربى التلاميذ تربية صحيحة موافقة لحقيقة الدين الاسلامى وعلى كل أهل المحلة الحضور فى دروس الوعظ والطلاب كما يستحقون ان يدخلوا فى المدارس الحكومية كذلك لهم الحق ان يكونوا معلمين فى المدارس الدينية او ان يكونوا أئمة فى الجوامع .

الثانية — ترقية المسلمين فى التجارة والصناعة وافتتاح المدارس المتعددة لهذا المقصد ويسعون الآن بادخال الشبان المسلمين المستعدين فى المدارس التجارية التابعة للحكومة لان يكونوا معلمين فى المدارس التجارية الاهلية وستفتح الجمعية المحلات التجارية والدكاكين فى الامكنة الاسلامية وفتحت الآن المحلات المخصوصة لتجارة الملح التى لها فى بلاد الصين منافع لايستهان بها لان المسلمين والوثنيين لايشترون الا منها لانها ارخص سعراً بالنسبة الى غيرها .

الثالثة — ترقية فن الزراعة فى المسلمين واخذ الاراضى الواسعة من الحكومة لهذا المقصد فى اطراف مدينة موكدن وجهات منشوريا لاسكان الفقراء المسلمين فيها وكذلك سعت الجمعية سعياً بليغاً حتى اسست بنكا مليا زراعيا فى موكدن وستفتح فروعا فى بلاد اخرى وايضا من موادها توزيع الآلات الزراعية بين المسلمين بأثمان بخسة لكى تسهل شئون الزراعة لهم .

وكذلك هى مشغولة الآن لايجاد الاموال الوافرة واعضاؤها يدفعون الآن سنويا مقدار عشرة الى ثلاثين قرشا مصريا فقط والخلاصة ان مقصد الجمعية انتشار المعارف والصناعة والتجارة والزراعة بين المسلمين ويرجى فوائد عظيمة منها فى المستقبل واكبر العاملين فى تأسيس هذه الجمعية هو الاستاذ المحترم السيد طاهر افندى .

الجريدة الاسلامية فى بكين

كنت اسمع بوجود جريدة اسلامية فى مدينة بكين عاصمة الصين وانا فى بلدة خاربين ففى اليوم الثانى من قدومى الى بكين ذهبت مع السيد طاهر افندى راكبا العربية الى محل ادارة تلك الجريدة فوصلنا بعد ساعة الى محل رفيع مكتوب على بابه بالحروف الكبيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

فهنالك استقبلنا خدمة المطبعة والمحررون والمدير فحيونا بالسلام والترحيب . صاحب هذه الجريدة ومديرها المسئول هو رجل شاب ذكى يدعى محمد صالح يعرف بل يحسن اللغة العربيــة والهندية جيدا وله المام تام ومعرفة تامة بآداب اللغة الصينية ومشهور بين المسلمين والوثنيين . فيها الجرائد والمجلات التى تطبع فى بكين التى يبلغ عددها الآن مقدار خمسين جريدة محلية ولقد كان تعدادها قبل سنة واحدة عشرا فقط واسم الجريدة التى يصدرها محمد صالح افندى هو (ايقوباد) اى حب الوطن والغرض الوحيد من تصدير هذه الجريدة صيانة حقوق المسلمين والمحافظة عليها

ويريد الآن مديرهــا الصالح النجيب اصدارها من الآن فصاعدا باللغتين العربية والصينية بمســاعدة السيد طاهر افندى واخذ يستعد لذلك ويطبع من هذه الجريدة يوميا اثنــان وعشرون الف نسخة وترســل الى كثير من الائمة والمعلمــين بلا عوض وهى تنشر منذ خمس ســنين والخدمة فى المطبعة كلهم من المســلمين وبعد الزيارة لهذا المحل المبارك ذهب بنــا محمد صالح افندى المدير المسئول لتلك الجريدة الى المطعم الكبير الذى كان منظما ومرتبا على اصول الاوربيين وهو اســلامى محض يديره بعض المســلمين ووجدنا ان اكثر اكابر المجوس يأكلون فيه اما المسلمون فقيرهم وغنيهم فلا يأكلون الا فى مطعمهم الخصوصى وبعد الطعــام ركبنا العربات الخاصة بكبار اهل الصين للتنزه والتفرج فى شوارع بكين وهى شــوارع ضيقة جدا قليلة النظــافة الا عدة شــوارع ومحلات للاوربيين حب الوطنية بين اهل الصين قوى جدا اذلا ترى فى الملابس والمآكل والمشارب الا الاشياء الوطنية

وكذلك حب بعض الشبان لبس البرانيط بعد اعلان الجمهورية فاتخذوا هذه المصانع الخصوصية الوطنية لتصنع فيها البرانيط وازدادت الحمية الوطنية حتى انهم

لا يأمرون بأمر رئيس الجمهورية فى قطع الظفائر لانه ليس قوميتهم ويروى خبر وجود جمعية لتكون محافظة على الظفائر

افتتاح المدرسة الاسلامية فى بكين

تنبه مسلمو الصين ولا سيما اهل بكين الذين ذاقوا حلاوة التعلم والتربية اكثر من غيرهم يسعون ويصرفون جهدهم لافتتاح المكاتب والمدارس الاهلية الابتدائية التى هى اساس الحضارة والارتقاء حتى انه قبل خمس سنين كما يقولون ما كان بينهم ذكر للمدرسة وما كانوا يعرفون ماهى المدارس وما فائدتها والآن فى مدة قليلة فتحوا سبع مدارس ابتدائية لتعليم اولادهم واناثهم الصغار وكذلك انشأوا مدرسة كبيرة فى محلة الامام ابى بكر افندى وحين وجودى فى بكين حضر افتتاحها مفتى بكين والعلماء وموظفو الحكومة وكبار مسلمى العاصمة وبعد ماتم الاجتماع جاء السيد طاهر افندى واجتهد كثيرا فى افتتاحها وانشائها وحاز منزلة رفيعة بين مسلمى الصين والعلوم التى تدرس فيها هى هذه اللغة العربية والديانة الاسلامية والتاريخ الاسلامى ولغة الصين وتاريخها وتقويم البلدان وللمدرسة تعد رسمية عند الحكومة فتقبل تلاميذها عمالا وموظفين فى دوائرها واما نفقاتها فهى كلها على الاهالى وخطب خطبة وجيزة باللغة العربية ذكر فيها وجوب التعليم والتعلم وبين ان اسباب تاخر المسلمين اكبرها ترك المسلمين للعمل بالقرآن الكريم واعتقادهم وحسابهم الخرافات والبدع من الدين وجهلهم وذهولهم عن حقيقة الاسلام فترجمها ابو بكر افندى الى اللغة الصينية ثم قام صاحب جريدة آياقوباد محمد صالح افندى وبين ان اسباب ارتقاء ونهوض الامم بكثرة التعليم وفتح المكاتب والمدارس الابتدائيه ثم خاطب الاولاد وقال لهم اجتهدوا واسعوا ايها الابناء النجباء انتم آية الامة والوطن فى المستقبل فاجابه التلاميذ والاولاد (شى) أى عش وبعد ما القيت عدة خطب مختلفة من العلماء الآخرين والمعلمين تمت الجلسة بتلاوة القرآن الكريم وبعدها اخذت صورة المدرسة والاولاد ولما بلغ الخبر بأخذ الرسم الشيوخ والعجائز طلبوا الدخول والحواجى دخلوا واخذ رسمهم مع الاولاد لان اخذ الرسم قد انتشر فيهم ويحبونه حباجاً فان علماء الصين وان عدوا التدخين وعدم قص الشوارب من المحرمات لايقولون بحرمة التصوير (اخذ الرسم) .

عناية الله احمد (بكين)

مؤتمر التربية الاسلامى

لعامة مسلمى الهند

عندما شعر المرحوم (السيد احمد خان) بالحاجة الشديدة للوقوف على اساليب وطرق التعليم الغربى وادخالها بين طبقات مسلمى الهند قام بالدعوة العامة لتأسيس مؤتمر للتربية الاسلامية يكون من شأنه البحث فى كل مايعود على المسلمين بالتقدم فى معارج الرقى والفلاح . ولقد صادفت دعوته هوى فى كثير من النفوس المشرئبة لاعلاء شأن المسلمين فاجتمعوا فيما بينهم وقرروا على ان يكون اجتماعهم سنويا حتى يستطيعوا المثابرة على ادخال الفنون والتعاليم الغربية فى برنامج المكاتب الاسلامية . ولقد لاقى السيد احمد خان فى بادئ الامر كثيرا من الصعوبات لان النفوس العامة لم تكن حينذاك متهيئة للاشتراك فى مثل هذا المشروع ولأن الرغبة فى الاعمال الخيرية العامة لم تكن قد تنبهت بعد . فلولا ذلاقة لسان السيد احمد خان ولولا ماكان له من التأثير والنفوذ الادبى على كثيرين لما استطاع اظهار مشروعه ولا بعد عشرات السنين

وقد كان شأن المؤتمر فى بادئ امره ضعيفا من حيث ثمرات الاعمال ونتائجها لانه لم يكن يكاديتلى فيه من الامور التى تهم مسلمى الهند ويتوقف عليها مستقبلهم غير خطبة الرئيس الافتتاحية وهذه قل ان تفى بالغرض المقصود الذى من اجله انشئ المؤتمر . واذا كانت يد السيد احمد خان الفعالة هى التى اخذت بيد المؤتمر تدريجيا وجعلته يرقى فى صعود الكمال حتى وصل الى حالته الحاضرة فان قصائد الشاعر الهندى الكبير (السيد خواجا الطاف حسين هالى)فقد كان لها من التأثير الادبى العظيم ماجعل كثيرين من ذوى النفوذ القادرين على العمل والنفع العام ينضمون لهيئة المؤتمر ويعملون فيه بمنتهى ما يمكن ان يصل اليه اقتدارهم ومجهوداتهم . فحياة المؤتمر فى الحقيقة ترجع لفضل هذين الرجلين

وقد كان يجتمع المؤتمر فى اول امره فى احدى مدن (الولايات المتحدة) او ولاية (البنغال) والغالب الكثير ان يكون فى (عليكجرة) فيتلو السيد احمد خان على الحاضرين ماوصلت اليه ابحاثه ومشاريعه فى بحر العام الفارط ويقرأ (السيد خواجا الطاف حسين هالى) شيئا من شعره العالى الذى تحمله هذه الوفود الى اوطانها وهنالك يجرى بينهم مجرى الامثال . وهذا كل ما كان يعمله المؤتمر فى ادوار انقصاده الاول حتى اذا توفى (السيد احمدخان)

وشعرت مدن شمال الهند بشديد الحاجة لتعضيد هذا المؤتمر بعد ما تشبعت روحها بافكار السيد العالية ومقاصده القويمة قامت فامدت مشروعه بالمال والافكار واخذت الدعوة تعم الهند بلدة فاخرى . حتى انتظمت جميعها فى حلقة واحدة من بينها كالكتا ومدراس وبومباى وكراتشى وغيرها من كبريات عواصم الهند فبذلك التطور امكن المؤتمر الانتقال من حالته الاولى البسيطة لحالته الثانية الراهنة التى يرجع الفضل فيها الى رجل العلم والادب (السيد نواب محسن الملك) الذى له عدد عظيم جدا من الاصدقاء والاخوان فى كافة بلاد الهند والذى له من السلطان والنفوذ الادبى ماجعل كافة المتصلين به عدا اخوانه يعملون لخير هذا المؤتمر وتقوية اركانه وتثبيت دعائمه . فارتباط مسلمى الهند كافة واجتماعهم تحت لواء تعليم واحد (عليجره) يرجع الفضل فيه اليه . ولكن مع هذكله فان ما وصلت اليه حالة المؤتمر فى مبدأ عهده الثانى لم تمكن لتقوم بالغرض المطلوب منه سيما فى مقاطعات الشمال التى كانت فى حاجة شديدة لادخال العلوم العصرية بين معاهدها ولذلك يمكننا القول بان المؤتمر لم يفلح فى مهمته التى عقد من اجلها نعم المؤتمر اوجد فى عهده الاخير نظاما وبرنامجا للتعليم لم يكن موجودا ابان عهد السيد احمد خان ولكن الحقيقة ان المؤتمر لم يكن ليهتم بشىء آخر اكثر من اهتمامه بجمع الاموال التى اوقفها على كلية (عليجره) ففى الحقيقة مجهوداته كانت منصرفة الى الماديات دون المعنويات والمطلع على التقارير والخطابات والمحاضرات التى القيت فى اجتماع المؤتمر منذ خمسة عشر عاما لايجدها تخرج عن حدما ذكرناه سالفا . وانا على يقين ان المؤتمر فى اعماله ماكان يخرج عن ذلك الخطر والاسلوب لولا رغبة بعض من اعضائه العاملين المخلصين الذين لا يرضيهم الا ان يكون المؤتمر حقيقة واقعة لا صورة خيالية

واذا كان بين اجتماعات المؤتمر السالفة مايستحق الاعجاب والذكر فان الاجتماع الاخير الذى توالت جلساته فى مدينة لكنو يوم ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ديسمبر الماضى هو اكبر واعظم هذه الاجتماعات . اذ تلى فيه من المواضيع التى تهم كافة مسلمى الهند ماجعله فريدا فى بابه بوجه الاطلاق سيما خطابة الافتتاح الرنانة التى القاها (السيد حسن بلجرامى) فانها صادفت هوى فى جميع النفوس وقابلها كافة مسلمى الهند بالاعجاب الشديد والاهتمام الزائد . وانما ازاء ماحوته من الآراء والافكار الصائبة تبين لنا ماعليه التربية الاسلامية فى بلاد الهند من الاحوال والاطوار فثبت منها هنا بعض الفقرات الهامة نقلا

عن جريدة الكمريد الهندية قال : ان اللجنة بقبولها الجملة من مواد اللائحة النظامية وجدناها تدير اعمالها بيد رئيسها مما يجعل نظام الكلية بيد رجل واحد . وقد زاد الطين بلة والطنبور نغمة تداخل الحاكم العام في الامر مما جعل الحالة سيئة لاتطاق لان تدبير الجامعة قد انتقل بذلك من يد رئيس اللجنة التأسيسية الى حكومة الهند مباشرة فكأن الجامعة اندمجت بذلك في سلك مدارس الحكومة . وعلى الحالين (ابقاء مقاليد امور الجامعة بيد رئيس اللجنة او الحاكم العام) فان ذلك يجعل الجامعة المراد انشاؤها غير صالحة لأن يكون للائمة الاسلامية فيها نفوذ كبير .

فيا اخواني مسلمي الهند هل ادركتم حقيقة مبلغ ماستقدمونه من الضحايا الثمينة في سبيل هذه الجامعة التي اصبحت بين يدي الحكومة ؟

هل تعلمون كنه هذه الجامعة وما ستؤول اليه ؟ هل تبصرتم في عاقبة الامر وانتم على ابوابه ؟ ان معنى هذا العمل الخطير (تداخل الحكومة) اننا نقدم للحكومة مئات الاف الروبيات التي جمعناها حديثا من الامة المتحرقة اكبادها على العلم الصحيح في ساعة من ساعات تهيجها والتي دفعها الفقراء والمتوسطون من ثمن مطعمهم وملبسهم الضروريين ثم جادت بها ايدي الطبقة المثرية عن رغبة وطيب خاطر .

ان هذا العمل خيانة كبرى لايمكن السكوت عليها باي حال من الاحوال وان واجبنا الديني يستحثنا سريعا للوقوف امام هذا التيار الجارف الذي يريد ابتلاع ثمرات اتعابنا منذ اربعين عاما .

ورد في قانون هذه الجامعة (الحكومية) انه بعد تأسيسها لايكون هنالك حاجة لكلية (عليجره) بل تصير هذه جزءا من هذه الجامعة (الحكومية) ومعنى هذا ان تحول جميع الاملاك والحبوس منقولة وغير منقولة وبذلك نكون قد قدمنا قربانا آخر على مذبح تمالؤ الحكومة .

الا تستطيع مسلموا الهند ايجاد جامعة مستقلة بصورة اوسع وارفع مما اوجدوه في كلية عليجره من غير ان يكون للحكومة فيها شأن . اننا نطلب الخير فنالنا تلقم الحجارة !!

ان تداخل الحكومة بهذا الشكل يشف عن مبلغ مالديها من الشك في قدرة الوطنيين وهو ما يكذبه البيان المحسوس في كلية عليجره ونظامها ذلك النظام الذي لايكاد يوجد في مدارس الحكومة وحسبنا ان نجد من متخرجي عليجره رجالا يمثلون حرية الفكر والتربية العالية والاخلاق السامية وقد اعترف

بذلك حكام الهند فى تقاريرهم وخطبهم . فهل فى ذلك مايثير الشبه فى مشروع الجامعة الجديدة ورغبة الامة فى الانفراد بادارتها ؟ وما ذا يحمل الحكومة على التداخل فى شؤنها تداخلا يسلب مديريها الحول والنفوذ ؟

لاجرم ان ماتريده الحكومة سيقضى الى تطورات متعاقبة على نظام الجامعة طبقالا هواء من يتعاقبون عليها ممن قد لايعرفون حاجات الامة اولا يعطفون عليها اولا يفكرون فى ان يتمتع الشرق بما يتمتع به الغرب

ان كلية عليجره لم تنجح الا لاستمرار نظام ادارتها دون تغير وكذا علمنا بحقيقة جامعتنا وتمتعنا فى ادارتها باستقلال سالم من التداخل الرسمى فلتسمح لنا الحكومة ان تجهزلها بان لاحاجة بنا الى جامعة تكون مقصورة على مطالبها وليكن لنا فى ذاك الرجل العظيم السيد احمد خان اعظم مثال نتعلم منه الاعتماد على النفس ونستعد منذ اليوم لاقامة جامعة عظيمة تجيب على الخصوص مطالب الامة الاسلامية وتدبر امورها بنوابها المسلمين ولكن تفتح ابوابها لكل من يقصدها من اى امة وملة .

ثم انتقل به الكلام الى بيان انواع الكليات وقارن بها كلية عليجره وابان مبلغ ما احرزته من التقدم واورد البراهين على ان تداخل الحكومة لايقصد منه الا معاكسة المشروع معاكسة تضر بصالح المسلمين ثم ختم خطابته بتوجيه افكار المسلمين الى وجوب نشر التعاليم الدينية الصحيحة والتربية الفنية بين المسلمين بما انهما اساس كل نجاح وفلاح

(البعثة الأزهريه)

بعد عامين

قد نظرنا نظرة الى النهضة العلمية بالقطر المصرى فى السنين الأخيرة فلاحظنا ان الأزهر الشريف الذى يضم بين جدرانه نيفا واثنى عشر الفا من الطلبة والعلماء بطئ السير فى منافسة معاهد العلم الأخرى

يجتمع فى هذا المعهد طلبة نازحون اليه من اماكن متفرقة وبلدان نائية مابين الهندى والجاوى والتركى والسودانى والسورى والسنغالى والحجازى والجركسى والتترى والمصرى والمغربي وغيرهم من الشعوب الأسلامية

عن لنا انه لواستقام امرالتدريس وحسن نظام ذلك المعهد واستنارت

عقول تلاميذه وفتحوا كنوز الأمم الأخرى بدوا،تهم لغاتها ولهجتها لتمكن العالم الاسلامى قاطبة من وسائط الرقى الحقيقى ولانتهجوا مناهج الأمم الراقية التى سبقتهم فى الأجيال الأخيرة اشواطاعديدة فكان اول ماتشبثنا به تفقيه الأزهريين فى اللغة الفرنسيه اذانشأنا مدرسة ليلية للأزهريين تجاوز عدد طلابها من علماء وتلاميذ ثلاثمائة . ولقد أردنا من تأسيس هذه المدرسة ان يلم الأزهريون بهذه اللغة لننتخب من بينهم بعثة علمية نرسل بها الى أوروبا لتستفيد من علومها وابحاثها ثم تعود فتنشر معلوماتها بين الطلبة الأزهريين جامعة بين العلوم الشرعية وفروع اللغة العربية وبين ماتلقاه من الدروس الأوروبية

كنا عقدنا النية على الارسال الامن لديهم شهادات العالمية من الأزهر اوملحقاته ولكننا على كثرة مابحثنا وحثثنا والحثنا لمجدمن العلماء من اجاب هذه الدعوة ولهذا عولنا على اختيار افراد من القسم العالى من الطلبة الأزهريين فاصطفيناالستاذين وهما الشيخ على الشهداوى والشيخ محمدمصطفى التونسى والحقنا بهما الشيخ محمد مصطفى رزق الذى كان تخرج فى مدرسة دارالعلوم ثم كان مساعد تفتيش بنظارة المعارف العمومية فزودنا الشيوخ الثلاثه بما لزمهم من الملابس والحقائب وسافرنا معهم فى اليوم الحادى عشر من شهر فبراير سنه ١٩١١ الى مدينة مونبلييه حيث أدخلناهم مدرسة المعلمين وقد قضى ثلاثتهم السنة الأولى بتلك المدرسة طبقا للنظام الذى رسمناه لهم ولكن احدهم وهو الشيخ محمد مصطفى رزق كان يحاول الخروج عن هذا النظام الذى قررته لجنة البعثة والذى كان أليق ببعثة ازهرية واشد فائدة لمثلها وبعد مكاتبات طويلة فى هذا الموضوع رأت اللجنة فصل ذلك الأستاذ عن البعثة لاسيما بعد ان جاءها تقرير حضرة الناظر فى صيف العام الماضى فاصبح اعضاء البعثة اثنين فقط آتما سنتهما الثانية ودخلا فى سنتهما الثالثة

بقيت مسألة اخرى وذلك أن شابا يسمى محمد افندى احمد كان تلميذا بمدرسة المهندسخانه بجلاسكو ببلاد الانكليز كان ارسل الى لجنة البعثة يطلب منها ان تنفق عليه ليتم مدة دراسته بتلك المدرسة لأن والده توفى وليس لديه مايتم به دارسته وقبل ان يقوم بجميع ماتكلفه به لجنة البعثة من التكاليف فى المستقبل فرأت اللجنة بعد اطلاعها على جميع شهاداته التى أحرزها أن مثل

هذا الشاب لايجوز حرمانه من اتمام دراسته ولذاقررت الحاقه بالبعثه مشترطة عليه ان يقوم بتعليم الأزهريين العلوم الهندسية متى اتم دراسته ولذا تقرر الحاقه بالبعثة وانفق عليه من مالها لغاية ٢٢ ابريل سنة ١٩١٢ مليم جنيه

ومما يسر الأمة المصرية أنسائر التقارير الواردة من حضرة ناظر مدرسة المعلمين فى مونبلييه بفرنسا تثنى جميل الثناءعلى الأستاذين الموجودين بهاالآن وقد جاءنا مكتوب فى هذا الشهر ينبئ بان الشيخين سيلتحقان عن قريب بالكلية الجامعة هناك ولكن مما يؤسف له ان النقود التى جمعت برسم البعثة الازهرية اوشكت تنتهى فينقطع بانتهائها آمال تلك البعثة وآمال من فكروا فى ايجادها . اللهم الا اذا قامت الأمة المصرية ثانية فواصلت بين اكتتاباتها حتى تنضج تلك الثمرة الشهية فتنفع بها بعد ان تعهدتها بجميل سقيها

ولا بدلنا هنا من بيان الحالة المالية لتكون الأمة على بصيرة . بدئ الاكتتاب فى ٢١ ديسمبر سنة ٩٠٩ بسبعة وتسعين جنيهاً وخمسين مليم قدمها فاعل خير ونشرت فى عدد ٣١٤٨ من جريدة اللواء واستمر الاكتتاب حتى ١٥ اكتوبر سنة ١٩١١ فبلغ مجموع ما اكتتبت به ٢٥٧ مليا و ٥٧١ جنيها

ولضيق رقعةهذا المددعن ايرادالتفصيلات الحسابيةارجأنا نشرهاالى العدد القابل ان شاءالله تعالى .

جمعية الدفاع الملى

على اثر الانقلاب الذى حدث اخيراً واريد به انقاذ الشرف العثمانى اجتمع كبار الأمة العثمانية وتداولوا فيما بينهم بشأن الوسائل الحرجة فقر قرارهم على ان يؤلفوا هيئة كبيرة باسم « جمعية الدفاع الملى تتولى جمع الاعانات من البلاد العثمانية ومن الامصار الاسلامية وتدبر المؤن والذخائر وحشد المتطوعين وتعليمهم الحركات العسكرية وقد تألفت عدة لجان لهذه الجمعية كل لجنة تقوم بعمل خاص . وجعلت الجمعية ولجانهامركز اعانةالدونانمة بالاستانه مستقرا لها .

ومما يذكر هنا انه حينما انتخب صاحب هذه المجلة عضوا بثلاث من لجان هذه الجمعية المباركة و هى لجنة الاعانة و لجنة تنوير الافكار واللجنة الفعالة دوى التصفيق فى قاعة الاجتماع بدرجة لم يعهد لهامثيل وهتف الحاضرون على اختلاف ورجاتهم محيين اسمه

ولقد شرعت الجمعية بالفعل تجمع الاموال من سائر الانحاء وتقيد اسماء المتطوعين وتقوم بكل ماتدعو اليه حاجة الدفاع عن السلطنة العثمانية . فمن الواجب على كل مسلم فى مشارق الارض ومغاربها ان يسارع الى مساعدة هذه الجمعية المباركة بالمال والادوات ان لم يستطيع ان ينخرط بنفسه فى جملة المجاهدين فان هذه الساعة تستدعى الاتحاد وتضحية النفس والنفيس

وقد قررت شعبة الاغاثة دعوة العالم الاسلامى والأمة العثمانية الى شراء السندات العثمانية بعد ان اتفقت مع نظارة المالية الجليلة على اصدار اوراق قيمتها المالية مختلفة حتى ان من بينها ماقيمته نصف ليرا

فعلى الأمم الاسلامية ان تقدم على شراء هذه الاوراق المالية المضمونة ومن شاء من ورائها ربحاً ماليا فان الدولة قد خصصت خمسة فى المائة من الربح كل عام . واذا كانت الاوراق العثمانية قاطبة مضمونة كاوراق الممالك العظيمة الأخرى فليس لاحد من المسلمين بعد هذه الدعوة ان يتخلف عن تقديم ماملكت يده مما سيكون ديناً على الدولة مضمون العين ومضمون الربح لمن يرغبون فى الاستفادة المادية من جميع اوجهها

اما الرئيس العام الذى وقع عليه اختيار المجتمعين فالشريف حيدر بك وهو انتخاب صادف خير اهل له . نسأل الله ان يجح اعمال هذه الجمعية وان يفيدبها الدولة والدين .

النقد والتقريظ

المانيا والاسلام

ظهر هذا الكتاب باللغة الالمانية فى عالم المطبوعات وقد بحث فيه صاحبه عن الحالة الحاضرة لالمانيا من الوجهة السياسية والوجهة الاقتصادية ولقد اتى فى سبيل ذلك بالبيان الواضح المؤيد بجداول الاحصاء الدقيق ثم بحث مؤلف هذا الكتاب فى مستقبل المانيا وافاض فى علاقاتها مع دول اوروبا وكيف ان أعينهم لاتغفل عن مراقبتها والكيد لها ولم يستثن من بين تلك الدول واحدة ثم استنبط من تلك المباحث الدقيقة ان مستقبل المانيا وسلامتها معقودان بالعالم الاسلامى دون سواه فاذا ارادت المانيا ان تستوثق من مصالحها الاقتصادية

والسياسية فانما مفتاح ذلك توثيق العلائق بينها وبين الدولة العثمانية صاحبة الخلافة الاسلامية واستمالة العالم الاسلامي بذلك اليها .

يرى المؤلف ان دول اوروبا ستعترف لاسبانيا ان تكون في جملة الدول المعظمة وان الدولة العثمانية احق بذلك الاعتبار مادام جيشها يفوق بلا مرية قوة اسبانيا العسكرية ولكنها حرمت ذلك لاسباب عديدة اولها ان املاك آسيا اكثر من املاك الدول الاخرى ومنها ان طرائق التواصل ووسائل النقل في البلاد العثمانية ليست كافية بل تكاد تكون مفقودة بيد انها بالرغم من جميع ذلك لها ميزة تسمح لها ان تكون في زمرة الدول العظام وهي سيادتها الدينية لمائتين وخمسين مليونا من النفوس الاسلامية . وخلاصة القول ان الدولة العثمانية تستحق ان تكون في صف الدول العظمى نظرا لسعة اراضيها وكثرة رعاياها . ثم اخذ يبحث عن اى فريق تنضم اليه ؟ أ الى التحالف الثلاثي ام الى الاتفاق الثلاثي ثم نصح الدولة العثمانية الا تتردد لحظة ما في الانضمام الى المانيا وجعل يسرد الروابط الودية والمادية التي الفت بينهما منذ سنين عديدة ثم اخذ يبرئ المانيا من تهمة اضرارها الدولة العثمانية في اقرارها حكومة النمسا على استلحاقها البوسنه والهرسك

ولقد لاحظ المؤلف ان بين تركيا وانكلترا مسائل كثيرة تكون سبب النزاع والاختلاف الذي لايقع منه اتفاق فانكلترا تحتل مصر وجزيرة قبرص وتبث لها المكايد والدسائس في جزيرة العرب وتسعى في التعدى على الحقوق العثمانية في البصرة كما ان انكلترا قد اضرت بمصالح تركيا بما عملته من تمكين فرنسا من الغرب الأقصى واقتسام فارس بينها وبين روسيا وكما ان النزاع والاختلاف بين تركيا وبين فرنسا وروسيا مستمر دائماً فمن هذه الاعتبارات السياسية نرى كيف يكون ميل الدولة الى المانيا ارجح من غيره

قال المؤلف وقد كثر الكلام في امكان محالفة تركيا لاحدى الدول غير الاوروبية كدولة اليابان التي تزايد الاقتراب بينها وبين الدولة العثمانيه تزايداً عظيماً . ولو ان تركيا عقدت تحالفا مع اليابان قبل حلف الروس او بعده لكانت انكلترا بحكم الضرورة اليوم حليفتها .

وبديهي ان ماوقع من حسن التفاهم بين اليابان وروسيا ثم انكلترا قد

ابعد تصور امكان محالفتها لتركيا

(قال) ولقد نتج عن محالفة اليابان للروسيا جملة تطورات سياسية كان فى مقدمتها تهديد كيان الصين التى بتشددها فى مسألة التبت اغضبت كذلك انكلترا فهى اليوم عرضة لمكايد اليابان والروس والانكليز جميعا ولكم حرضت انكلترا فرنسا وروسيا على الصين ولكنها لم تجن يدها ماقصدته من الثمرات

وبالجملة فان الصين فى عزلتها وتألب دول الاتفاق المثلث عليها تشبه الدولة العثمانية . والذى نراه ان تحالف الصين وتركيا يعوض على هـذه مافقدته بسبب فشلها فى الحصول على محالفة اليابان فضلا عما ينتجه هذا من الفوائد الجمة .

ثم اخذ يشرح المؤلف مقدار العلائق التى تربط تركيا بالمانيا فبين ان اللسان الالمانى منتشر فى بلاد الدولة جدا اذ يبلغ من يتكلمون بها من اليهود ومن الالمان فضلاً عن غيرهم ١٨٠,٠٠٠ نسمة وكذلك بين ان عـدد الالمان فى الجيش العثمانى فى زيادة مطردة كما ان تجارتها فى الممالك العثمانية كذلك . ثم قص علينا ان المانيا اكثرت من مساعـدة الدولة بتأسيس دور الصناعة التى ستزيد مصنوعاتها رواجاً على توالى الايام لاسيما اذا تمت مسألة الزيادة الجمركية وارتقت زراعة القطن وتربية دود القز فى بلاد الدولة. وفى الكتاب مباحث جليلة يضيق المقام عن سردها .

المقدرات التاريخيه

ظهر فى افق سماء المطبوعات كتاب جليل الفائدة للمسـلمين عموما بأسم (المقدرات التاريخيه دبجه يراع الكاتب الشهير والأديب الكبير جلال نورى بك وهو يشتمل على اسباب انحطاط الحكومة العثمانية ودواعى تأخرها ويكفى فى التنويه عنه الآن ان نقتطف منه ماقاله بخصوص المسلمين والدين الاسلامى. قال ان الاسـلام الذى ظهرت آثار انتشاره تبدو للعيان مؤيدة بما يشـاهد من تصفح تعاليمه موافق من حيث السياسـة والأخلاق وانه دين اجتماعى بحت يقضى على كل متأمل ان يعتنقه ولذلك فلا غرو ان رأينا بارقة خير ساطعة من جميع آفاقه غايتها اتحاد المسـلمين وارتباطهم فى ارجاء المعمورة كافة . وهنا افاض الكاتب فى شرح هذه الأسباب فأحسن وأجاد ولضيق نطاق مجلتنا فى

هذا الشهر أرجأنا تعريب بعض فصوله للعدد الآتي وغاية مايمكن ان نقوله الآن ان هذا الكتاب آترنفيس يجب ان يقتنيه كل محب للاسلام .

التبرعات الهندية

و

جمعية الهلال الأحمر العثمانيه

نشرت المؤيد شكايات من اخواننا الهنود يلومون فيها جمعية الهلال الاحمر التركى على عدم ارسالها مايفيد عن بلوغ ما أرسل برسمها من مسلمى الهند فراجعنا مركز الجمعية فى ذلك واستفسرنا عن سبب البطء فاخبرنا بأن السبب فى ذلك ان النقود التى كانت ترسل لم تكن كلها بأسم الجمعية مباشرة ولكن بعضها ورد للصدارة والآخر الى نظارة الخارجية وهكذا وردت النقود لأماكن عدة فلم تتمكن الجمعيه من الرد فورا حتى اذا مادققت الحساب وضبطته ارسلت تلغرافا بجميع الحساب الوارد مع الشكر الزائد لهم على غيرتهم وحميتهم على الاسلام ودولة الخلافة وها هى تلك ترجمة التلغراف .

ان جمعية الهلال الاحمر العثمانية تشكر اخواننا مسلمى الهند على ماقد قاموا به من جمع الاعانات وارسالها للدولة لتضميد جروح اخوانهم المجروحين والمهاجرين الذين نزلت بهم المصايب والنكبات وسترسل كشفا بجميع اسماء المتبرعين الكرام جزاهم الله خيرا . ونرجو ان ترسلوا فى المستقبل كل مايتبرع به واسماء المتبرعين مباشرة الى مركز الجمعية حتى تسهل المعاملة .

وقد ارسلت الجمعية نص هذا التلغراف الى الجهات الآتية .

جرنال الكومريد بدلهى
مركز جمعية الهلال الأحمر بدلهى
جريدة الحبل المتين ـ كلكتا
جريدة الهلال ـ كلكتا
مركز جمعية الهلال الأحمر بكلكتا
جريدة شمس الأخبار بمدراس
جريدة مدراس ميل بمدراس

مركز جمعية الهلال الأحمر بمدارس
جريدة خبار الأسلام بومباى . جريدة التيمس بومباى
مركز جمعية الهلال الأحمر بومباى . جريدة الوكيل بأمرتزار
انستيتيوت غازيت باعلى كره . انديان ديلى تلغراف لكنو
مركز جمعية الهلال الأحمر بلكنو . موشير دكين حيدر آباد
مركز جمعية الهلال الأحمر بحيدر آباد دكن . البيونير الله اباد
مركز جمعية الهلال الأحمر رامبور . مركز جمعية لهلال الأحمر كاراتشى
مركز جمعية الهلال الأحمر رانجون . مركز جمعية الهلال الأحمر دكا
مركز جمعية الهلال الأحمر بهوبال

وقد أعطتنا الجمعية المذكورة كشفا تفصيليا محتويا على جميع من ارسلوا التبرعات ومقادير التبرعات التى جادت بها نفوسهم اوسعوا فى تحصيلها وننشره فى العدد الآتى مفصلا .

مابعد المؤتمر

ذكرنا فى العدد الماضى ما انتهى اليه مؤتمر لوندره من قطع المفاوضات لتصميم البلقانيين على أخذ أدرنه وجزر الارخبيل واصرار الدولة العثمانية على عدم التسليم فى هذه الاملاك .

ونقول الآن ان انقطاع العلائق ادى الى ارتياع كامل باشا الصدر السابق وناظم باشا وزير الحربية المتوفى فحاولا بكل الوسائل ان يجيبا البلقانيين الى مطالبهم ولكنهما كانا يخشيان من هياج الشعب فاستنجد كامل باشا بالدول التى لبت طلبه وتداخلت فى الأمر مجمعة على نصح الباب العالى بالخنوع لمطالب البلقانيين ف ادرنه وتفويض البت فى مسألة الجزر الى ارادة الدول . ولقد احتوت مذكرة الدول من التهديد مالايقبله شعب يعرف الشرف ويقدر الحياة حق قدرها اذ توعدت الدول الباب العالى اذا أصر على امتناعه ان تفقده ماهو اعظم من ادرنه اى الاستانه وان تتعرض للاملاك العثمانية باسيا الصغرى وتريد بذلك ارض الروم . وهذا التهديد فى الحقيقة انما جاء من قبل الروسيا . اطلع كامل باشا وناظم باشا على هذا التهديد الماس بشرف الدولة والمؤذن بزوالها فى آن واحد فلم تجر فى عروقهما دماء النخوة ولا آثرا موت الشرف العاجل على حياة الذل القصيرة بل سولت لهما انفسهما ان يجيبا الدول الى ماطلبته

وان يتوسلا اليها بمنح الباب العالي في نظير ذلك قرضاً يعنؤ به غلة الموظفين . . .

وليبرر كامل باشا وناظم باشا عملهما المخجل ويخلصا من سخط الشعب وهياجه ومن تحرك العالم الاسلامي عمدا الى وسيلة مستهجنة استبدادية وهي عقد جمعية تسمى وطنية تضم على رأسهما بين جوانبها أساطين السياسة والتجارة والشؤون المالية والادارية والشرعيه . وما اسرع ماد عا كامل باشا الى جمعيته هذه كل من توسم فيه الأئتمار بامره من عباد السلطة المتحكمة ومن لاهم لهم الا الاشتغال بجمع الاموال .

ولما التأمت هذه الجمعية عرض كل من كامل باشا و نردونكيان افندي وناظم باشا تقريراً يظهر فيه الحالة في مظهر الخطر العظيم بدرجة جعلت هذا المجلس الصوري يبت قراره بموافقة الحكومة على خطتها السيئة واجابة الدول الأوربية الى سؤلن .

وعلى أثر ذلك شرع كامل باشا يحضر مذكرة اجابية ليرسل بها الى الدول رداً على مذكرتهن المتقدم ذكرها . وبعد ان اعد المذكرة ووقع بالفعل عليها وحاول ارسالها الى الماركيز بيلا فيشيني اكبر سفراء الدول في الاستانة سنا واقدمهم عهداً حدث حادث غريب لم تكن تنتظره الوزارة المنقرضة .

ذلك أن الاسى كان قد ازهق النفوس واستولى الهلع على القلوب واذن مؤذن النعي في العالم الاسلامي قاطبة باقامة صلاة الجنازة على الدولة العثمانية التي يهيء الالحاد لها حفرتها ولا تلبث ان تتوارى فيها . وبما ان هذه الدولة لم يمض عليها من اعمار الدول مايجيز فناءها (وعلتها لم تكن سوى عرض بسيط) فقد افاقت فجأة من غشيتها و انتفضت من كفنها وافلتت من يدى لحادها وهبت منتصبة على قدميها تبدى للعالم بأسره كيف تكون الحياة !

كانت الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الخميس ٢٣ يناير سنه ١٩١٣ موعد ارسال المذكرة الاجابية من الباب العالي . فبينما مجلس الوزراء منعقد اذا بيد الانقلاب قد امتدت الى الوزارة فقضت عليها وانقذت السلطة العثمانية بل العالم الاسلامي باسره من الفناء .

وفي يوم الاثنين ٣ فبراير انتهى موعد الهدنة فنشبت الحرب في الساعة من مساء ذلك اليوم . ومن ذلك العهد اخذ الجيش العثماني يناجز الجيوش البلقانية في كل مكان .

وقد علم اليوم ان الجيش البلغاري انسحب من شتالجه وان جنودنا تطارد البلغاريين في غاليبولي كتب الله لهم النصر المبين

الهداية

[تصدر فى الاستانة ربيع الاول سنة ١٣٣١]

اسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

(ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من)
(بعده وانتم ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور)
(خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا . قالوا سمعنا وعصينا)
(واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به)
(ايمانكم ان كنتم مؤمنين .)

سبق لنا القول فى بيان أن قوم موسى بعد ما علموا من آيات الله وفرقانه انقادوا الى ذلك السامرى(١) بعد اذ غاب عنهم موسى فاضلهم هذا اذ أخرج لهم عجلا جسدا له خوار (فقال هذا الهكم واله موسى فنسى افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم

(١) نسبة الى سامرة او الى شامر وهو اسم عبرانى يقع ذكره كثيرا فى

هرون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى)

ولقد كان السامرى يعبد الاصنام ويصنعها فاتخذ لبنى اسرائيل من حليهم ذلك العجل وقدره تقديرا اكسبه تلك القدرة على ارسال خواره صعدا فى الفضاء كما يفعل العجل من الحيوان . ولقد كان ذلك من صناعات المجوس وحذقهم .

ومن هذا الباب ماعمل ارجعيانوس الموسيقار فى هيكل اورشليم العتيق عند تجديده اياه . وذلك انه اتفق له اذ كان مجتازا بفلاة من الارض ان وجد بها أحد فراخ البراصل وهو طائر عطوف يصفر صفيرا شجيا حزينا وكانت البراصل تجيئه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده فيأكل بعضها عند حاجته . فوقف هذا الموسيقار هناك وتأمل حال ذلك الفرخ وعلم ان لصفيره المخالف لصفير البراصل الاخرى ضربا من التوجع والاستعطاف رقت له بسببه الطيور وجاءته بما يأكله فتلطف بصنع آلة تشبه الصفارة اذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفير ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجىء الى ذلك الفرخ ظانة ان هناك فراخا من جنسها فلما صح له ما اراد اظهر النسك وعمد الى هيكل اورشليم وسأل عن الليلة التى دفن فيها ارسطرخس الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل فاخبر بانه دفن فى احدى ليالى شهر آب فاتخذ

كتب العهد القديم ابدلت سينه بالتعريب شينا كما هى القاعدة المألوفة فلا وجه لاعتراض المسيحيين بان السامريين الذين منهم السامرى لم يوجدوا الا بعد موسى بسنين .

صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة ونصبها فوق ذلك الهيكل وجعل فوق تلك الصورة قبة وامرهم بفتحها فى أول آب وكان يظهر البرصلة بسبب نفوذ الريح فى تلك الصورة وكانت البراصل تجئ بالزيتون حتى كانت تمتلئ القبة كل يوم من ذلك الزيتون فكان الناس يعتقدون انه من كرامات ذلك المدفون (١)

على هذا النحو من الحذق فى الصناعة عمل السامرى عجله من الذهب وقدر جوفه تقديرا ابرز به لجهال بنى اسرائيل واغرارهم ذلك الخوار المشبه لاصوات البقر الحى. فلم يكن أمر العجل من خوارق العادات ولا من الكائنات الخارجة عن دائرة المعقولات وانما فتن به الجاهلون بالصناعة الطائرون الى كل هيعة يسمعونها .

تمكن حب العجل من أفئدة جهال بنى اسرائيل حتى عكفوا على عبادته وعصوا فى سبيله هرون عليه السلام فكان كلما ذكرهم بما جاءهم به موسى فى التوراة من توحيد الله تعالى وعدم الشرك به قالوا سمعنا وعصينا (ولقد قال لهم هرون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا أمرى. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى)

وماذا فعل بنو اسرائيل بعبادتهم العجل بعد أن أخذ الله ميثاقهم اذ آمنوا بكتابه ورسالة رسوله سوى أن ضلت احلامهم بعد العلم وعميت ابصارهم بعد الادراك فلم يظلمهم الله شيئاً ولكن كانوا هم الظالمون .

---

(١) تفسير الرازى جزء اول صفحة ٤٥١

عرض الله عليهم كتابه وأيد بروحه القدسية رسوله موسى فلم يستطع بنو اسرائيل سوى أن يؤمنوا بوحيه ويقدموا ميثاقهم اليه ان يكونوا عند حدود تكاليفه ومحارمه فلا يعتدوها. ثم اراهم كيف جاءهم موسى بالالواح بعد تلك المناجاة الالهية التي حظى بها على الطور الذي كان لبسوقه واشمخراره مشرفا على رؤسهم كانما هو ساقط عليهم ثم أمرهم أن يأخذوا ما آتاهم من احكامها بقوة فلا يستخفوا بأمرها ولا يتقاعسوا عن اتباعها.

وهل يظنون أن الايمان هو تلك العبارات التي تلوكها الالسن وتمتلئ بحروفها الاشداق ؟ انما الايمان بكتب الله وآياته أن تحفظ وتوعى وان يطمأن اليها وينتفع بها وان تصدق وعودها وايعاداتها . فكيف تصح دعوى اولئك المبطلين المسرفين في اللجاج والعناد انهم مؤمنون بما انزل الله من كتاب . فاذا كان ما يأتونه من الشرك والفاحشة هو ثمرات ايمانهم اذا لبئس ما يأمرهم به ذلك الايمان المزعوم . وما كانوا في الواقع بمؤمنين .

ولا يخفى ان هذه الآيات الكريمة قد سبق ورود مضامينها في الايات السالفة فليتذكر القارئ ما أسلفناه من القول في بيان سبب تكرر بعض قصص القرآن الكريم وامثاله واحكامه .

ولتثبت قدم المسلمين في هذه المسئلة التي كانت في نظر الباحثين على وضوحها من غوامض مشكلات القرآن نجمل هنا رأينا الذي أسلفناه آنفا وخلاصته أن القرآن الكريم تنزل على الرسول عليه السلام في نحو ثلاثة وعشرين عاما ولقد كان قوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ــ الايات ــ)

آخر آى القرآن نزولا (١) وكان بين نزولها ووفاة المصطفى الاكرم واحد وثمانون يوما أو تسعة أيام على خلاف فى ذلك .

كان القرآن ينزل خلال ذلك العمر الطويل نجوما نجوما اما لتقرير حكم أو لضرب مثل او لاجابة سائل أو لبيان قصص الامم الاولى واحوالها عبرة وتذكرة للآخرين .

وقد سبق لنا ان الكتاب والشعراء فى كل وقت يكتبون فى الغرض الواحد المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة ولم يعتبر أحد ذلك تكرارا منهم لما يكتبون أو يشعرون فما بالنا بكتاب الله الكريم الذى استغرق فى تنزله زهاء عشرين عاما والذى ما أوحى الله به الا ليهدم بآياته صروح الشرك ويقيم بمتين احكامه وقويم آدابه منار العلم والعدل والحضارة والحياة الطيبة (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)

أما منشأ ما وقع للباحثين فى القرآن الكريم من الخلط والتخبط فانما هو كما اسلفنا توهم ان القرآن كتاب استغرق فى تكونه ووجوده شهرا أو نحوه على نحو ما يفعل بالكتب المؤلفة .

ولو أن سيد الكائنات كان ذا علم ودرس لامكن وقوع الريب فى

(١) فى الاتقان بعد ان سرد الخلاف فى اى الآيات آخر فى النزول آية واتقوا يوما أم آية الربا أم آية الدين قال السيوطى انها نزلت دفعة واحدة كترتيبها فى المصحف ولانها فى قصة واحدة . ثم روى فى بيان آخر الآيات نزولا اقوالا اخرى ليس هذا موضعها .

كيفية تنزل القرآن عليه ولكنه كان اميالا يقرأ ولا يكتب (وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك . اذا لارتاب المبطلون) وهل لاحد من حجة عليه بعد أن تحدى قومه بقوله (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون) اذا فما كان المصطفى عليه السلام مؤلفا للقرآن ولا واضعاله (ان هو الا وحى يوحى) .

على أن الرسول عليه السلام كان آونة يجيب سائليه بنص ما اجاب به غيرهم من قبلهم أو يتلو فى مقام التذكير والتنبيه من الآيات ما سبق نزوله لبعض المقتضيات والاسباب . وقد يسمى الباحثون فى علوم القرآن ذلك تكرارا للنزول وما هو فى الواقع سوى تكرار ايراد ما انزل من الآيات او السور لتكرر وقوع ما يشبه أسباب نزولها من الحوادث والمقتضيات . قال الزركشى فى البرهان قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه وخوف نسيانه ثم ذكر منه آية الروح (١) وقوله تعالى اقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل . قال فان سورتى الاسراء وهود مكيتان وسبب نزولهما يدل على أنهما نزلتا بالمدينة ولا اشكال لأنها نزلت مرة بعد اخرى . . . الى ان قال والحكمة فى ذلك كله انه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة يقتضى نزول آية وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها فيوحى الى النبي تلك الآية عينها تذكيرا لهم بها وبانها تتضمن هذه اهـ

وقد علمت مما اسلفنا أيضا أن تكرار الحوادث والاسباب قد يفضى الى

---

(١) (يسالونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا) انظر مبحث تكرر السور والآيات من كتاب الاتقان

نزول آيات أو قصص أو أمثال متغايرة الاساليب متحدة المقصد والغاية .

ومما ذكرنا هنا يعلم ان الآيات أو السور اذا تكررت بنصها وفصها فانها لا تكون وحيا جديدا وانما هى ما سبق نزوله اعيدت تلاوته لتكرر ما يشابه أسباب نزوله من الحوادث والمقتضيات .

ومما يجب التنبه له أن المفسرين جاءوا فى بيان هذه الآية وذكر العجل وما فعله بنو اسرائيل بكثير من الآثار اليهودية التى شوهوا بها القرآن الكريم تشويها . فمن ذلك ما رووه عن السدى أن موسى أخذ مبردا فذبح به ذلك العجل ثم ذراه فى البحر فلم يبق بحر يجرى يومئذ الا وقع فيه شىء منه ثم قال لهم موسى اشربوا منه فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب . ورووا فى أمر بنى اسرائيل وهذا العجل آثارا اخرى كثيرة . وكل ما نعرفه من أمر هذه الآثار انها من اوضاع الاسرائيليين وكاذيبهم وهى تكاد تشبه القصص الخرافية التى تقصها النساء العجائز على الاحداث الصغار كل ليلة قبيل هجوم النعاس عليهم .

ولو أن رواة تلك الخرافات فقهوا معنى القلوب لما أتوا بهذه المضحكات للعقلاء المبكيات لأهل القرآن من المسلمين .

جهل اولئك ان القلوب اوعية للدماء فظنوا أن الاغذية والاشربة تنتهى اليها وهنالك أخذوا يتخرصون أو يروون مالا يعقل من المفتريات فقالوا ما قالوا . ولو أن الكتاب الكريم أراد ماقصوه علينا لقال واشربوا فى بطونهم أو فى معدهم العجل . ومن هذا قول النابغة فى زوجته

تغلغل حب عثمة فى فؤادى ... فباديه مع الخافى يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور

فاذا ذكر القلب أو الفؤاد فان فى ذلك ما يدل على أن الاشراب أو التغلغل انما علاقتهما بالشؤن المعنوية كالحب والبغض ونحوهما لا بالشئون المادية كالاكل والشرب

قال الشاعر (١)

اذا ما القلب اشرب حب شيءٍ   فلا تأمل له عنه انصرافا

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا .

ومن المباحث التى أفاض فيها المفسرون (١) على غير طائل واخذوا يوردون المجادلات بين المعتزلة وأهل السنة فى تحقيقها بيان من الذى أشرب قلوب بنى اسرائيل حب العجل . الله تعالى ام سواه ؟ ولو تدبروا انظام الآية الكريمة لمازجوا بانفسهم فى هذه المضايق التى خلقوها بايديهم لأول الامر وذلك ان الذى أشرب قلوب بنى اسرائيل حب العجل انما هو كفرهم كما تدل عليه نفس الآية . واعتبر ذلك بقول القائل اعجبت بذكائك فان المراد أعجبنى ذكاؤك فالباء فى قولنا بذكائك وقوله تعالى بكفرهم انما هى داخلة على الفاعل بعد أن بنى الفعل لغير فاعله

فالآية لا جرم واضحة قوية فى نظمها ومعناها ولكن كأن القوم يريدون تحميل القرآن من التأويل والتكلف مالا يناسب اعجازه البلاغى ومرتبته فى الفصاحة

أرتنا تلك الآيات الكريمة كيف أمعن أهل الكتاب فى عصيان الله والشرك به اذ جاءتهم البينة وتنزلت عليهم الالواح فظلموا وعتوا وعبدوا العجل وسفكوا الدماء . ثم نجد فى مواطن اخرى من القرآن أنهم يزعمون مع ذلك تارة انهم أبناء الله واحباؤه واخرى أنهم لن تمسهم النار الا أياما معدودة. وطورا يقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو

(١) تفسير الالوسى جزء اول ــ صفحه ٢٦٨

(٢) *الجزء الاول من تفسير الرازى صحفة ٤٣٤*

نصارى وطوراآخران لهم الدار الآخرة ونعمة الجنة خالصة لهم من دون المؤمنين . لهذا جاء في مجادلتهم وافحامهم قوله

(قُلْ إن كانَتْ لَكُمُ الدارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِ خالِصَةً مِن)
(دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ)
(أبَداً بِما قَدَّمَتْ أيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ . وَلَتَجِدَنَّهُمْ)
(أحْرَصَ النّاسِ عَلى حَياةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أشْرَكُوا يَوَدُّ أحَدُهُمْ)
(لَوْ يُعَمَّرُ ألْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذابِ أنْ يُعَمَّرَ)
(وَاللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ .)

(قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإذْنِ)
(اللهِ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ .)
(مَنْ كانَ عَدُوّاً للهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ)
(فَإنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ .)

جاءت هـذه الآيات الكريمة في مجادلة أهل الكتاب وتجبيههم واخراس السنتهم عما كانوا يتبجحون من الدعاوى والمزاعم .

تضمنت هذه الايات الرد على دعويين كاذبتين كانت اليهود تكثر من ايرادهما مماحكة ولجاجا احداهما قولهم ان الدار الآخرة ولذائذها واطايب حياتها انما هي لهم خاصة دون سواهم من الناس (ثانيتهما) قولهم انهم اعداء جبريل الذي يتنزل بالوحي على قلب رسولنا سيد الكائنات

فهم لا يتقبلون ما ينزل به من كتاب الله وآياته

اخرج ابن ابي شيبة فى مسنده وابن جبير وابن ابى حاتم عن الشعبى انه دخل عمر بن الخطاب مدراس (١) اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب. وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال ما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال عمر لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك ياعمر فقال عمر لقد رأيتنى بعد ذلك اصلب من الحجر ورووا فى الباب أحاديث اخرى لم يوجد لها سند(٢)

اما افحام اليهود فى دعواهم الاولى وهى أن لهم الدار الآخرة خالصة من دون الناس فقد افحمهم ونقض تمسكهم بها تحدى الرسول عليه السلام اياهم اذ قال لهم فتمنوا الموت أى قدروه لانفسكم ان كنتم صادقين .

اشتهر اليهود منذ القدم بحب الدنيا والنفور من الموت حتى انه ليس لهم من الشجاعة والاقدام ما يهون عليهم غمرات المجالدات والملاحم فهم لا يحملون سلاحا لتأييد دين ولا لنصرة حق ولا لحماية كرامة. ولقد اشتد حرصهم على الحياة الدنيا حتى لا يكاد ينافسهم فى ذلك حتى

(١) المدراس بكسر الميم صاحب دراسة كتب اليهود وكذلك البيت الذى يدرسون فيه . ورد هذان المعنيان فى احاديث مختلفة .

(٢) تفسير الألوسى — صفحة ٢٧٢

المشركون الذين لا يقولون بالحياة الاخرى ولا يتبجحون بان لهم نعيمها خالصا لا يشاركهم فيه أحد والذين قالوا (ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) اذاً فماذا قعد باولئك اليهود عن النزال والطعان وخوض غمرات الموت فى سبيل دينهم وكرامتهم اذا كانت لهم الدار الآخرة دون سواهم ؟

لنعتبر آثار العقائد الصادقة الراسخة فى المسلمين فاننا نرى كيف يقدم الرجل منهم على الموت فى سبيل نصرة الحق وهو يعلم أن الموت ان هو الا سبيله الى الجنة الخالدة والنعيم المقيم .

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) وكان عبدالله بن رواحة ينشد وهو يقاتل الروم

ياحبذا الجنة واقترابها　　　طيبة وبارد شرابها

أما اليهود فانهم ينفرون من الموت ولا ينهضون لحمل السلاح واحتمال المجالدة والكفاح لانهم يعلمون انهم آثمون خاطئون وأن أمامهم من الحساب العسير مالا قبل لهم به . وما تدللهم على الله واندماجهم فى زمرة ابنائه واحبائه ودعواهم آونة أن النار لن تمسهم الا اياما معدودة سوى مزاعم كاذبة واقاويل ملفقة فهم لا يقدرون لانفسهم الموت بعرضها على احواضه والخوض بها فى غمراته ولكنهم لا يزالون يفرون منه وهو ملاقيهم فلا يموتون الا حتف انوفهم ولو استطاعوا لودوا أن يعمر أحدهم الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر . وكيف يدرا عنهم العذاب ان تطول اعمارهم أو يتقادم عهد سيئاتهم (والله بصير بما يعملون)

ونظير هذا ما جاء فى سورة الجمعة من قوله تعالى (قل يأيها الذين

هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين. قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقال تعالى

(ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا قالوا ومالنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين)

وقال تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقال حكاية عنهم

(قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون)

ولقد فسرنا التمنى هنا بمعنى التقدير وهذا معروف فى اللغة العربية وهو مأخوذ من منى يمنى بمعنى قدر كما قال الشاعر وهو ينشد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم

لا تأمنن وان أمسيت فى حرم　　حتى تلاقى ما يمنى لك الماني
فالشر والخير مقرونان فى قرن　　بكل ذلك يأتيك الجديدان

والمعنى فيما هو ظاهر حتى تلاقى ما يقدر لك المقدر وهو الله تعالى(١)

اما حمل التمنى على غير هذا المعنى فهو مما يأباه نظام القرآن وتنفر منه بلاغته ومالا ينبغى أن يسهب المفسرون فى تأويله وتصحيح عليله . ولقد اطالوا فى مناقشة الآية

(١) (راجع الجزء الرابع — صحيفة ١١٢ — من النهاية لابن الاثير .

هذه واكثروا من الاعتراض عليها والاجابة عن شكوكهم وتشكيكاتهم وما علموا انهم بذلك يقدمون لزعماء المسيحيين وقساقستهم من المجادلات فى القرآن مجالا فسيحا للطعن فيه والحط من كرامته وعلو منزلته . واعجب من هذا كله ان القوم اذا خاضوا فى تأويل فانهم يحاولون تأييده بما يروون من الآثار المشاعة او الاحاديث الموضوعة فيزيدون بذلك الطين بلة والخطأ مضاعفة . ولو ان التمنى بمعناه الذى شرحه المفسرون كان واضحا لا شبهة فيه لما روى عن ابن عباس تفسيره التمنى بالسؤال والطلب مع انه غير معروف بمعنى المسألة فى كلام العرب(١)

وتمثل الآية الكريمة الرد على اليهود فى زعمهم انهم أهل كتاب وان لهم الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس بان جعلتهم من المشركين كما وكدت فرط حرصهم على الحياة . ولا ريب أن توحيد الله والايمان برسله لا يجامعهما ما فعله بنو اسرائيل من عبادة العجل واعتبارهم عزيرا ابن الله تعالى فان هذا من الشرك الصراح . وعلى هذا المعنى حمل ابو مسلم الآية الكريمة فنظامها فى رأيه ان الله تعالى يقول لرسوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة وكذلك لتجدنهم من الذين اشركوا وهذا التأويل وجيه مقبول .

فلنتكلم الآن فى تفنيد الضلالة الثانية التى ركبها اليهود ملاجة وعبثا فنقول ان بنى اسرائيل كانوا فى جدال مع النبي أو مع عمر بن الخطاب فى أمر جبريل فكانوا يقولون انه عدونا الى آخر ما ذكرنا آنفا فنزلت آية قل من كان عدوا لجبريل (الآية)

وخلاصة حجة القرآن عليهم ان أصل شرائع الله تعالى واحد وهو توحيده تعالى بالالوهية وتحريم الفاحشة ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق . اذا فلا فرق فى ذلك الغرض بين كتب الله وايحاءاته ولا

(١) الطبرى — جزء اول — صفحة ٣٢١

بين متقدم ومتأخر من رسله ولا بين جبريل وغيره من ملائكته . فمن عادى رسولا من رسل الله فقد عادى سائر الرسل ومن حارب نبيا من انبيائه أو انكر شيئا من كتبه فقد شاق الله وحاربه

(ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا. والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما)

فايمان بنى اسرائيل ببعض الانبياء دون بعض كفر محقق كما أن معاداتهم لجبريل كذلك اذ أن جبريل انما كان يتنزل بالامر من قبل الله تعالى لا من تلقاء نفسه (وما نتنزل الا بأمر ربك . له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك)

فتنطع بنى اسرائيل فى مناظرة المصطفى ومجادلتهم اياه فى أمر جبريل وتفرقتهم بين ملائكته تعالى انما هى رقاعة وكفر ساقهم اليهما بغضهم للحق وفرط حرصهم على الحياة الدنيا وخوفهم ان يفضلهم غيرهم من العرب بالسبق الى الاسلام والجهاد فى سبيله اذا هم دانوا بالقرآن وآمنوا بمحمد . ولو لم يعم الضلال ابصارهم لعلموا ان جبريل انما هو روح القدس الأمين يتنزل بالآيات القرآنية على هذا الرسول الامى الذى يؤمن بالله وكلماته ليبين للناس ما نزل اليهم من الاحكام والاخلاق والآداب والقصص والعظات (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) (١)

(١) سورة الشعراء

واعلم ان فى مسألة القرآن الكريم والخلاف فيه قدما وحدوثا وهل هو من كلام الرسول وهل ما بين دفتي المصحف هو كلام الله الى نحو ذلك مباحث طويلة متشعبة اغرق فيها السلف وتبعهم على ذلك الخلف فما زالوا يختلفون فيه (وأن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد) .

لقد يجمل بالباحث ان يعلم ان آيات القرآن نفسها جاءت مبينة بكل وضوح كيف نزل القرآن على رسولنا صلى الله عليه وسلم

تشعر بعض الآيات ان القرآن هو كلام الرسول عليه السلام (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر . قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن . قليلا ما تذكرون) (١)

ومن هذا أيضا آية (٢) (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين)

ومن الآيات ما يدل على ان القرآن انما هو وحى من لدن الله انزله على رسوله تنزيلا نحو (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) (٣) ونحو (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) (٤) ونحو (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى) (٥)

واذا شاء الباحث ان يعلم كيف نزل القرآن على محمد وكيف كانت تنزل الكتب على من سبقه من الانبياء عليهم السلام فان الآية التى نحن بصددها تبين لنا جدا كيف يرسل الله وحيه الى رسله .

ان نزول وحى الله انما يكون على قلب الانبياء وعقولهم فهو الهام من الله تعالى لهم بما يريدهم الى تبليغه الناس من رسالاته واحكامه

(١) سورة الحاقه (٢) سورة التكوير (٣) سورة هل اتى (٤) سورة النحل
(٥) سورة والنجم

وعظاته (فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه)

ومما لا مرية فيه ان النقوش التى تحويها المصاحف محدثة وكذلك ما كان يتلوه صلى الله عليه وسلم من الآيات بلسانه وقد جاء القرآن بتسمية ما يرد فيه نفسه من الذكر محدثا فى قوله (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) وقوله (ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين)

ولا يستنبط من هذا ان القرآن هو كلام النبي على انه هو ناسج بردته ومبدع سبكه وصياغته أو انه هو المؤلف لعباراته والمحكم لبديع آياته او انه هو المخترع لقصصه الواضع لأحكامه فقد كان صلى الله عليه وسلم رجلا اميا لا يقرأ ولا يكتب (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)

لبث فى قومه قبل نبوته أربعين عاما لم يعرف فيها بشىء مما كانت العرب تتنافس فيه من ضروب الشعر والخطابة .

نشأ وعاش فى امة امية لا تعرف غير الجهل والوثنية والحياة الهمجية .

عاش فيها ذلك العمر فلم يعرف فيها الا بالصدق ومكارم الاخلاق والوفاء والامانة ولكنه ما عرف بالعلم أو الدرس أو الالمام بشىء من قصص الامم الغابرة أو معرفة الاحكام التعاملية أو أنباء الدار الآخرة

فلما بلغ الاربعين من عمره فتق الله لسانه بالفصاحة المعجزة وملأ قلبه بالعلم والحكمة (وعلمك مالم تكن تعلم) ثم ارسله الله الى قومه ثم الى الملأ قاطبة مبشرا ومنذرا (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم

يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

فلم يشتغل الرسول قبل نبوته بالدرس والتحصيل ومناقشة الخطباء والشعراء فى ميادين الفصاحة والبلاغة . ولكنه منذ جاءته النبوة كان الله تعالى يلقى فى روعه (١) الآية والآيات من قرآنه بصورتها العربية وترتيبها وتنسيقها الذى نتلوه اليوم ونرتله فكان صلى الله عليه وسلم تجرى بها لسانه الذى هو ترجمان القلب والمعرب عما فيه (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) (٢)

فلم يكن قيام آيات القرآن بنفس الرسول وانطباعها فى قلبه على نحو ما يشعر أحدنا اذا أخذ فى وضع رسالة أو تقصيد قصيدة فاننا لنؤلف الكلام تأليفا وننسقه تنسيقا مستعينين فى وضعه وترصيفه واحكامه بما سبق لنا تحصيله من المعلومات والحقائق عارضين اياها على ما نعرف من المسائل العلمية أو الفنية أو الاجتماعيات أو الموازين المنطقية . فلا نزال نفكر ونقدر ونمحو ونثبت حتى نحكم ما يقوم بافئدتنا من الصور الذهنية والعبارات النفسية- وهنالك نقوم فنترجم عنها بعباراتنا اللسانية التى لا بد أن تأتى مطابقة لتلك العبارات القلبية معنى وترتيبا ووضعا

إن الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ذلك شأننا نحن الدارسين المحصلين. امارسولنا الذى قضى جل حياته اميا لا يقرأ ولا يكتب فانه لم يكن حصول العبارات القرآنية فى قلبه وقيامها بنفسه على النحو الذى نجده فى انفسنا فانه كما علمت لم يسبق له

(١) قلبه (٢) سورة النحل

عهد بعلم ولا حكمة ولا عرف بدرس ولا تحصيل فالعبارات القرآنية بنصها وفصها المألوف اليوم كانت تلقى فى قلبه دون كسب ولا اختيار ولكنها كانت وحيا يوحى والهاما يلقى اليه كما نشاهده اليوم اسلوبا ومعنى فكان صلى الله عليه وسلم يترجمها بلسانه فتنقلب عبارات لفظية بعد اذ كانت عبارات نفسية .

وعلى هذا يصح اعتبارها منزلة من لدن الله تعالى وانها قول رسول أمين وانها ذكر من الرحمن محدث الى نحو هذا مما وردت به الآيات الكريمة على نحو ما رأيت آنفا .

ومما يجب التنبه له هنا ان المفسرين رووا فى أسباب نزول هذه الآية آثارا واحاديث جمة ولم يحتاطوا غفر الله لهم اذ جعلوا ينقلون منها ما ضعف رجاله او عرف بالكذب بعض رواته وكذلك ما بعد عن الصحة معناه وما نافر الذوق والعقل السليم مغزاه . ولم يراعوا سامحهم الله ما ينجم عن رواياتهم هذه من الاثر السئ والصورة القبيحة التى قد تشكك المسلمين فى دينهم وتحمل أعداء الاسلام على الطعن فى مأخذه والتشهير بسيدنا صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

تصفحنا أساطين كتب التفسير كابن كثير وابن جرير والالوسى والفخر الرازى فوجدنا لهم فى هذا الباب من الاحاديث ما يمكن القول بانها لم تبلغ حتى درجة الحسن وكيف ومن رواتها يونس بن بكير بن واصل الشيبانى الذى ضعفه النسائى وقال ابو داود انه ليس بحجه .

ومن رواتها الحسين بن محمد بن المروزى وهو كما قال ابن حجر مجهول

(١) ومنهم محمد بن اسحق بن يسار. وفى أمره سأل الاثرم أباه فاجابه انه كثير التدليس وقال عبد الرحمن سمعت ابى يقول محمد بن اسحاق ليس عندى فى الحديث بالقوى بل ضعيف الحديث .

ومنهم عبد الله بن الوليد العجلى وفيه يقول على بن المدينى انه مجهول لا أعرفه . وقد قال بتوثيقه بن معين(٢) .

ولو أن تلك الاحاديث وردت فى باب الفضائل ومكارم الاخلاق والادب لهان على النفس الصبر عليها وحسن فى الجملة السكوت عنها ولغفرنا للمفسرين ايرادها فى تفاسيرهم وحمل القرآن عليها وبيان الايات الكريمة بها ولكن كيف يجوز ذلك وقد اشتملت على مباحث علمية قد يثبت الواقع منافرتها للحقائق العلمية الثابتة والبراهين أو المنطقية التجارب والمشاهدات فمن ذلك ما رواه احمد (٣) عن عبد الله بن الوليد العجلى عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اقبلت اليهود على رسول الله فقالوا ياابا القاسم اخبرنا عن خمسة اشياء (الى ان قال) سألوه ما هذا الرعد فقال هو ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيديه مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله تعالى . قالوا ماهذا الصوت الذى نسمع ؟ قال صوته قالوا صدقت .

نجد فى سند هذا الحديث عبدالله بن الوليد العجلى وقد علمت مما اسلفنا مبلغ ضعفه ثم نتدبر معناه فلا نعرف كيف يجامع هذا ما أثبتته

(١) صفحة ٤٤٠ من كتاب اسماء الرجال للخزرجى الانصارى

(٢) تهذيب الكمال فى اسماء الرجال لجمال الدين بن يوسف

(٣) صفحة ٢٢٢ من الجزء الاول من تفسير ابن كثير الذى بحاشية تفسير فتح البيان

المشاهدات العلمية والبراهين المسلمة من أن الرعد وصوته انما هو احدى النتائج الطبيعية المتولدة من اتحاد ما فى السحب من القوى الكهربائية سالبها وموجبها كما أن البرق هو الضوء الملازم للرعد الناتج ايضا من اتحاد تلك القوى الكهربائية فلا الرعد بالملك الموكل بالسحاب ولا البرق مخراق من نار فى يده .

ولقد يعرف اليوم هذه الحقائق اصغر الطلاب فى المكاتب والمدارس فما عسى أن يكون أثر هذا الحديث واشباهه فى نفوس الاجيال الاسلامية التى استضاءت عقولها بانوار العلم والعرفان .

ماذا عسى ان يكون أثرها ساعة تعرضها العقول السليمة على محك الحقائق فتجدها زيفا نبهرجا

ماذا عسى أن يكون تأثيرها اذا اطلع عليها القساقسة ومحاربو الاسلام من المبشرين ؟ ثم ماذا عسى أن تكون حجة غير الباحثين من المسلمين اذا رووا هذه الاحاديث معزوة الى أئمة الحديث كاحمد بن حنبل ومنقولة عن اساطين علماء التفسير كالرازى وابن كثير وابن جرير ؟ لا جرم أن ذلك سيعتبر من الدين الاسلامى وحقائقه فيفضى ذلك بالطبع الى اساءة الظن بهذا الدين القويم وبصدق صاحبه سيد المرسلين . ولكم نفرت امثال تلك الاحاديث والآثار التى لم تصن الشريعة الاسلامية والسنة المحمدية عن ادرانها نفوس الفئة المستنيرة من المسلمين وحملتهم على الشك والارتياب فى دينهم وفى صدق نبيهم كما انها فتحت لمحاربى الاسلام كثيرا من ابواب المطاعن والتشهير . ولو أن كتاب الله تعالى لم يقرن فى بيانه بامثال تلك الآثار ما عرف اعداؤه أى باب

يلجون فى نقده والخوض فى آياته

على انه كيف يستند اولئك فى امور الدنيـا وايضاح العلل الطبيعية على الاحاديث وكيف يفسرون بهـا آيات القرآن ولو بلغت مرتبـة الصحيح مع إن رسولنا الاكرم صلى الله عليه وسلم قد علمنا وظيفة الرسالة فيما رواه مسلم فى صحيحه من الحديث فى باب تأبير النخل عن موسى بن طلحة عن أبيه قال مررت مع رسـول الله بقوم على رؤس النخل فقال ما يصنع هؤلاء فقالوا يلقحون يجعلون الذكر فى الانثى فتلقح فقال الرسول ما اظن يغنى ذلك شيئا قال فاخبروا بذلك فتركوه فاخبر الرسول بذلك فقال ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوا فانى انما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن ولكن اذا حدثتكم عن الله شـيئا فخذوا به فانى لن اكذب على الله عز وجل . وفى رواية لمسلم ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال انما أنا بشر اذا أمرتكم بشيء من دينـكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر. وفى رواية اخرى له أيضا ان الرسـول قال انتم اعلم بامور دنياكم (١) ويجمل بنا هنا أن نقتطف للقراء فى هذا الباب فقرات جاءت لابن القيم فى كتابه مفتاح دار السعادة (٢) قال قال بعضهم ما يخبر به الرسول عليه السلام نوعان احدهما يخبر به عن الوحى فهذا خبر مطابق لمخبره من جميع الوجوه ذهنا وخارجا وهو الخبر المعصوم والثانى ما يخبر به ظنا من امور الدنيا التى هم اعلم بها منه فهذا ليس فى مرتبة النوع الاول ولا تثبت له احكامه . وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن

(١) صفحة ٤٤ من رسالة الاسلام دين الفطرة لصاحب المجلة

(٢) صفحة ٢٨٢ من الجزء الثانى من النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٣٢٥ هجرية

نفسه الكريمة بذلك تفريقا بين النوعين فانه كما سمع أصواتهم فى النخل يؤبرونها وهو التلقيح قال ما هذا ؟ فاخبروه بانهم يلقحونها فقال ما ارى ؟ لو تركتموه يضوء شيئا فتركوه فجاء شيصا فقال انما اخبرتكم عن ظنى وانتم اعلم بأمور دنياكم ولكن ما اخبرتكم عن الله. والحديث صحيح مشهور وهو من ادلة نبوته واعلامها وكيف لا وقد خفى عليه مثل هذا من أمر الدنيا وما اجرى الله به عادته فيها ثم جاء من العلوم التى لا يمكن البشر ان يطلع عليها البتة الا بوحى من الله فاخبر عما كان وعما يكون وما هو كائن من لدن خلق العالم الى ان استقر اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار وعن غيب السموات والارض وعن كل سبب دقيق اوجليل تنال به شقاوة الدارين وعن مصالح الدنيا والآخرة واسبابها مع كون معرفتهم بالدنيا وامورها واسباب حصولها ووجوه تمامها اكثر من معرفته هو كما انهم اعرف بالحساب والهندسة والصناعات والفلاحة وعمارة الارض والكتابة. فلو كان ما جاء به الرسول الاكرم مما ينال بالتعليم والتفكر والتطير والطرق التى يسلكها الناس لكانوا اولى بهمنه واسبق منه اليه لان اسباب ما ينال بالفكر والكتابة والحساب والنظر والصناعات بايديهم فهذا من اقوى براهين نبوته وآيات صدقه وان هذا الذى جاء به لاصنع للبشر فيه ولا هو مما ينال بسعى وكسب وفكر ونظر (الى ان قال) قالوا فلما تبين له عليه السلام من أمر الدنيا ما اجرى الله سبحانه عادته به وهو ارتباط هذه الاسباب بعضها ببعض وتأثير التلقيح فى صلاح الثمار اقرهم على تأبير النخل. انتهى ببعض تصرف.

وخلاصة القول انه لم يبلغ حديث ما مما أورده المفسرون فى هذا الباب مرتبة الصحيح. على انها لو صح منها شيء فما كان منها متعلقا بامور الدنيا كالرعد والبرق واسبابهما وكمشابهة الطفل لاحد ابويه ومن أى المائين يتخلق الجنين اماء الرجل أم ماء المرأة وكيف يكون الجنين ذكرا او انثى وهكذا مما ورد فى الاحاديث المروية فى هذا الموضوع فان طابق العقل ولم ينافر المسائل العلمية الثابتة اخذ به والا فلا . هذا على فرض صحة الحديث فما بالنا اذا كان فى رجال الحديث امثال من ذكرنا ممن لم يعرفوا بالتوثيق وامثال عبد الحميد بن بهرام الفزارى وفيه يقول صالح بن محمد الدميرى الحافظ انه ليس بشيء وان عنده صحيفة منكرة.

هذا ومما يقشعر له جسم المسلم وتضج منه السنة النبوية والقرآن الكريم ما روى فى هذا الباب من أن هذه الآية نزلت على لسان عمر بن الخطاب . ويذكر المفسرون فى ذلك اسانيد ثم نرى من بين رواتها الامام احمد بن حنبل . ولا ريب ان نزول القرآن على السنة أحد الصحابة امر لا يقبله العقل ولا يقول بتجويزه سوى الاغرار الذين لا يدركون معنى ما يقولون والذين لا يستطيعون معرفة ما يجلبون على الدين الاسلامى من الاخطار والمثالب بما يرجون من القول الهراء والسخافات الممقوتة . والعجب جد العجب من ان يعقد صاحب الاتقان لهذا الموضوع فصلا مخصوصا عنونه بقوله . (فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة) ثم اخذ يسرد آيات زعم انها نزلت على السنة طائفة من الصحابة . فعل ذلك دون تحرج ولا تحوط ولا تفكر فى عاقبة ما اقدم عليه وانه كيف ينقص بذلك من كرامة القرآن ومقداره.

وهو الآية المعجزة التى كم تحدى النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب القادرين والخطباء المفوهين ان يأتوا بسورة من مثلها والتى نجد منها فى كثير من سور القرآن آيات ناطقة بان القرآن لم ينزل الا على قلب رسوله ولم يكن وحيا اوحى به (ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى) . وفيما ذكرناه هنا كفاية على أننا سنفرد بابا خاصا لمناقشة ما روى فى هذا البلب من الاحاديث وبيان ما فى أسانيدها من الجرح والتعديل وسنرى فيما بعد كيف أفرط المفسرون فى التساهل وعدم التحوط حتى اعتمدوا على روايات رجال لم يجمع على توثيقهم مع ان هذا الباب ليس مما يؤخذ فيه بقول من فيهم مطعن لطاعن من المحدثين

هذا وبعد ان بينت الآيات السالفة كيف أن بنى اسرائيل ابوا ان يؤمنوا بمحمد بن عبد الله وكيف جعلوا ينتحلون ما زين لهم عنادهم وكفرهم من الاسباب الواهية والعلل المرذولة اخذ الكتاب الكريم يبسط لنا رذيلة اخرى من رذائلهم التى كانت من اسباب هلاكهم وخزيهم الخالد فقال

(وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ)
(بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ . أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ)
(فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ)
(مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا)
(الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .)

(واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان)
(ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل)
(على الملكين ببابل هاروت وماروت . وما يعلمان من احد)
(حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون)
(به بين المرء وزوجه . وما هم بضارين به من احد الا)
(باذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن)
(اشتراه ماله في الآخرة من خلاق . ولبئسما شروا به)
(انفسهم لوكانوا يعلمون . ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من)
(عند الله خير لوكانوا يعلمون.)

تضمنت هذه الآية الكريمة ان اهل الكتاب على علمهم بحقيقة ما انزل الله من الحقائق والاحكام فى توراتهم كانوا ينبذونها وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ولا يفقهون. ذلك ان جحودهم وافراطهم فى كفرهم لم يكن قاصرا على ما نزل به الوحى على عيسى او محمد فقط بل انهم تعدوا ذلك حتى لقد كانوا ينكرون ما جاء من آيات القرآن مصدقا لما معهم من آيات التوراة ومؤيدا لها (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) فلم يقف جحودهم عند مالم يسبق لهم به علم بل لقد انكروا حتى ما كانوا يعلمون كأنهم سلبوا القوة المدركة فلا يفقهون ولا يعلمون .

نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ثم اخذوا يتبعون ماتتلو اى تكذب (١)

---

(١) رواه الرازى عن ابى مسلم وقال تلا عليه اذا كذب وتلا عنه اذا صدق

شرار الناس (٢) على سليمان من انه لم يحرز ملكه الا بالسحر واستعمال البخور والرقى والكهانة

قال محمد بن اسحاق بن يسار عمدت الشياطين (اى شياطين الانس) حين عرفت موت سليمان بن داود فكتبوا اصناف السحر نحو من كان يحب ان يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا حتى اذا صنفوا اصناف السحر جعلوه فى كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا فى عنوانه هذا ما كتب آصف ابن برخياء الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بنى اسرائيل حتى احدثوا ما احدثوا فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان الا بهذا فافشوا السحر فى الناس فتعلموه وعلموه فليس هو فى احد اكثر منه فى اليهود فلما ذكر الرسول فيما تنزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود الا تعجبون من محمد يزعم ان بن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فانزل الله فى ذلك من قولهم (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر

واعلم ان المفسرين فى هذا الموضع أتوا باحاديث وروايات واسانيد لو علموا مقدار ما جلبوا بها على القرآن والاسلام من المصايب لحطموا اقلامهم دون تسطير شئ منها

ولقد بلغ ما سجلوه من طرق تلك الآثار واسانيدها نيفا وعشرين

(٢) كما فى قوله تعالى (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن)

وهى على كثرتها يقول القاضى عياض بانكارها (١) وذكر ان ما رواه اهل الاخبار ونقله المفسرون فى قصة هاروت وماروت لم يرد منه شئ لا سقيم ولا صحيح عن رسول صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئاً يؤخذ بالقياس .

وذكر فى البحر ان جميع ذلك لا يصح منه شئ . ولم يصح ان رسول الله أو ابن عمر كان يلعن الزهرة خلافا لمن روى ذلك . وقال الرازى بعد ذكر الرواية فى ذلك ان هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة .

ونص الشهاب العراقى على ان من اعتقد فى هاروت وماروت انهما ملكان يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر بالله تعالى فان الملائكة معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون . والزهرة كانت يوم خلق الله السموات والارض فالقول بانها تمثلت لهما فكان ما كان وردت الى مكانها غير معقول . قال الالوسى بعد ذلك وذهب بعض المحققين بان ما روى فى هذا الباب مروى حكاية لما قاله اليهود وهو باطل فى نفسه لا يصح منه شئ وبطلانه فى نفسه لا ينافى صحة انها رويت عن ابن عباس وغيره لا على انها من السنة والحديث ولكن على انها مما كان يقول اليهود .

ثم قال الالوسى ومن قال بصحة هذه القصة فى نفس الامر وحملها على ظاهرها فقد ركب شططا وقال غلطا وفتح بابا ينكس راية الاسلام ويرفع رؤس الكفرة الطغام .

(١) الجزء الاول من تفسير الالوسى صفحة ٢٧٩

يؤخذ مما اسلفنا ان هاروت وماروت لم يكونا ملكين بفتح اللام ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس والحسن وابى الاسود والضحاك ملكين بكسر اللام فقراءة فتح اللام محمولة على قراءة الكسر. قال بعض العلماء (١) هما رجلان الا انهما سميا ملكين باعتبار صلاحهما الذى كانا يظهران وقال الحسن انهما علجان (٢) كانا ببابل العراق

وخلاصة القول ان هاروت وماروت كانا رجلين تظاهرا بالصلاح والاستقامة فى بابل العراق او ببابل اخرى على خلاف فى ذلك فلما استرعيا ابصار أهل ذلك الجيل وتمكن حبهما والثقة بهما من قلوبهم جعلا يعلمانهم السحر والكهانة. ولاستبقاء ما احرزاه بينهم من المنزلة كانا كلما علماهم شيئا من ذلك شفعاه بقولهم (انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) يقصدان بذلك الا يخالج احدا من مستمعى وساوسهما وتخرصاتهما شيء من الريب فيهما واستدرارا لما كانا يقتنصان باحابيل تلك التمويهات والاكاذيب من اموالهم فكان الناس يعتقدون انهما ينزل عليهما السحر بوحى من الله والهام (٣) وامثال هاروت وماروت موجودون مشاهدون فى كل مكان وزمان. اما تسمية الصالحين او المتظاهرين بالاستقامة ملائكة فان ذلك من عادة أهل الكتاب منذ القدم ولطالما سمعنا المسيحيين كلما ارادوا

(١) تفسير الالوسى — جزء اول — صفحة ٢٨٠

(٢) العلج القوى الضخم او الرجل من كفار العجم

(٣) ومن ذلك قصة ارجعيانوس الموسيقار سردناها آنفا

الاغراق فى مدح احد بالاستقامة والصلاح قالوا انه (ملاك)
(١) بفتح الميم اى ملك فقول القرآن وما انزل على الملكين ببابل معناه
ان اليهود كانوا يتبعون ما يقولون انه انزل على الرجلين الصالحين اللذين
كانا ببابل يعلمان الناس السحر ويقولان للناس لا تكفروا بما تتعلمون
من ضروب السحر فانما نحن فتنة فقط فكانوا يتعلمون منهما ما يفرقون
به بين المرء وزوجه من الرقى وصنوف السحر ومثل هذا نراه فى
الكتب التى وضعت قديما وحديثا فى التاريخ اليونانى القديم من
تسميتهم الكواكب ونحوها بالهة الخير والشر وشرحهم ماقصته الميثولوجى
من أمرها واحاديثها وشئونها ومزاوجاتها وهبوطها وصعودها وهلم جرا
وانما كفر القرآن الكريم شياطين الانس الذين كانوا يعلمون الناس
السحر لان ذلك السحر يقتضى رياضات مخصوصة ومناجاة لصنوف
الجن او نفوس الافلاك والكواكب وابتهالات لبعض الارواح الخيرية
أو الشريرة . ولا جرم ان جميع ذلك من عبادة غير الله تعالى والشرك
به . لذلك كفر هؤلاء بما يأتون من ضروب الكفر والشرك. وسنفرد
فصولا مستقلة لمسألة السحر وما روى من الآثار اليهودية فى شأن
هاروت وماروت فليرتقبها طلاب الحقائق ومبتغو السنة الصحيحة .
بيد انه لا بد لنا هنا من بيان ان جميع ما اتاه بنو اسرائيل من ضروب
الشرك ونبذ كتاب الله تعالى وراء ظهورهم مستبدلين به ما تناقلوه
من أمر اسحر والكهانة وما رووه عن المحرفين والمبدلين من اسلافهم
كل ذلك ظهر فى المسلمين منذ اجيال . وكما كان ذلك مدعاة هلاك بنى
اسرائيل وتسلط الامم فى اطراف الارض عليهم فانه سيكون اصل

(١) لعله تخفيف كلمة ملأك بمعنى ملك نقلت فتحة همزتها الى اللام ثم سهلت الفالينه

انقراض المسلمين وتشتت شملهم وذهاب ريحهم اذا لم يكن من بينهم من يقوم فيدرأ عن دين الله وسنة رسوله تلك الاكاذيب والاباطيل التى دخلت فى الاسلام منذ مئات من السنين .

ولو ان بنى اسرائيل لم يزعموا ان سليمان ما نال ملكه الا بالسحر والكهانة والرقى وتبخير العقاقير لسلكوا السبل الطبيعية للحصول على الملك واقامة حكومات مستقلة ولكنهم قد اعتمدوا فى ذلك على ما رووه عن اسلافهم من الاباطيل والترهات . وما اشبههم فى ذلك بما كان يعتقده مسلمو الغرب الاقصى من ان اولياء بلادهم سيحولون دون تسلط احد من الامم عليها حتى لقد كانوا يعزون ما كان من تضارب اعضاء مؤتمر الجزيرة فى الرأى وتصادمهم فى المقصد الى تأثير اولئك الاولياء ونفوذهم وتصرفهم فى قلوبهم .

ولقد انقضى ذلك المؤتمر كما انقضى ثم أئتلف المختلفون ورضيت المانيا بامتلاك فرنسا لذلك الملك العظيم ثم اخذت فرنسا تعبئ الجيوش وتهيئ الاسلحة لتحملها الى تلك البلاد توطيدا لدعائم نفوذها وتحقيقا لقديم امنيتها بعد ان اتفقت مع ذلك الخائن اللئيم عبد الحفيظ سلطان المغرب الاقصى . كل ذلك واهل المغرب الاقصى لا يزالون يقولون بتصرف اوليائهم وانهم سيحولون بين فرنسا وبين بلادهم . وكأننا بهم لا يزالون يعتقدون حتى اليوم ان اولئك الاولياء سيخرجون الجنود الفرنسة من ربوعهم بعد اذ القت عصاها واستقر بها النوى .

ومن غريب أمر المسلمين انهم فى كل مكان لا يزالون يشتغلون بالسحر والابخرة ويلتمسون الغنى بالتلاوات والاذكار ويحاولون الطيران فى الهواء بامثال حزب البر وحزب البحر والجلجلوتية

واعجب من ذلك كله انهم اذا دعوا الى فهم كتاب الله والعمل بالسنة الصحيحة القويمة التى اختطها الله لعباده المؤمنين مما لا سلامة لهم الا بانتهاجها كانوا كائما يدعون الى بدعة اوضلالة .

يقرأ القرآن الكريم فى كل مكان فهل نجد من مستمعيه من يفكر لحظة فى معانيه وهداياته التى سعد باتباعها سلفنا الاولون؟ ان المسلم اليوم ليسمع الآيات ثم يعرض عنها وينأى بجانبه ولو انه تدبرها لعلم كيف ينقذ نفسه من هذه الارزاء التى الت به واكتنفته من كل جانب. ومن المسلمين من يتلو آيات الله ولكنه لا يقدم على تدبرها تحرجا وهيابة لا علوا واستكبارا بل لما سمع من قول العلماء ان باب الاجتهاد قد اغلق ومن فتياهم بتحريم تفهم القرآن والبحث فى فنونه استقلالا. فهل مثله اذا سمع القرآن الكريم الا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء .

يعمد هذا الصنف من المسلمين الى القصص والخرافات والبدع والمفتريات فيحشو بها دماغه ويجعلها نبراسه فى سائر شؤونه وتصرفاته واذا ما دعى يوما الى فهم كتاب الله وتدبر احكامه وتعاليمه رمى الداعى بالابتداع أو الزندقة والكفر واتبع أولئك الضالين المضلين من المنتسبين زوراً الى الدين فيما يرجفون وما يتخرصون . ولقد افضى الجهل بالقرآن ونبذ المسلمين له وراء ظهورهم حدا أصبح فيه القرآن الغازاً لا تحل ومعميات لا تفهم ونكرات لا تتعرف . فكان من نتائج ذلك ان أخذت النابتة الحديثة التى انفتقت بصائرها بانوار العلم والدرس تنكر ما يحمل عليه ادعياء المفسرين كتاب الله مما تجئ الادلة مكذبة لمزاعمهم فيه ناقضة لاوهامهم .

ولطالما طفحت صدور الباحثين من الشبان بالهواجس والوساوس والشكوك والريب حتى اذا قصدوا بعض زعماء الشيوخ وأئمتهم يستهدون

بهديهم ويستمعون قولهم لا يسمعون منهم سوى بوادر الفحش والسب والتقريع والطعن واللعن والطرد من رحمة الله والحرمان من جنته . وكم رأينا من هؤلاء الشبان من كانوا يصدرون عن مقامات المشيخة فى مصر وغيرها وهم بين آلام الشكوك والهواجس وآلام الحزن على الاسلام الذى ابتلى بأولئك الادعياء

لقد ظهر الاسلام غريبا فى اهل الشرك والضالين من أهل الكتاب وهو اليوم غريب بين أهله وفى عقر دياره اذا تليت عليهم آية منه ذهبوا عباديد منهم الشاك المرتاب ومنهم المعرض المستكبر ومنهم المتحرج عن الخوض فيه وتدبر آياته واحكامه ومنهم من امتلأ دماغه بالاوهام وباطل القصص وموضوع الاحاديث ومفتريات الوعاظ حتى لم يبق فى دماغه موضع سن ابرة مستعدا لقبول شئ من صحيح العقائد وصادق القول

ومن غريب امر الآثار الموضوعة والمفتريات الملفقة الملصقة بالاسلام انها هى المحفوظة فى الصدور المروية فى المجالس المتلوة بالالسنة فى كل بلدة وفى كل بقعة من الارض

ومما يحزن له قلب المسلم الغيور على دينه انه ماجلب ذلك الأذى الى الاسلام ولا قدر على اهله ماهم فيه من الشقاء والبلاء سوى حشو التفاسير بالخرافات والاسرائيليات وتفسير كتاب الله بتلك الاباطيل والترهات

وما دامت تلك التفاسير تطبع وتنشر بين المسلمين فلا رجاء فيما نعتقد ان يعود للاسلام مجده أو ان يستقيم شأن العالم الاسلامى وينتعش جسمه بعد ما اصابه من الخمود والوهن والاستعداد للزوال . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

الفلسفة والأخلاق

ابن رشد وتعاليمه

٤

علم الله بالجزئيات

هذه المسألة من المسائل التى اشتد فيها الجدال وكثر فيها الحوار بين المتكلمين والفلاسفة حتى أن الغزالى فى كتابه تهافت الفلاسفة جعلها احدى المسائل التى توجب كفر الفلاسفة غير ان الغزالى على ما يظهر لم يقصد الا ابطال معتقدات الفلاسفة باية طريقة كانت ولذلك نرى حججه تحوم حول محور واحد هو رميهم مرة بالزندقة واخرى بالكفر والمروق وان اتى بادلة فكل مقدماتها سوفسطائية لا يستدل بها من يريد كشف الحقائق والوصول اليها وقبل أن نذكر رأى ابى الوليد نأتى على شئ من مذهب الحكماء ليكون الموضوع اتم وضوحا واكثر بيانا

يظهر ان الاصل فى هذه المشاغبة التى كانت بين الفلاسفة والمتكلمين تشبيه علم الخالق بعلم الانسان وقياس احد العلمين على الآخر وذلك ان ادراك الانسان للاشخاص بالحواس وادراك الموجودات القائمة بالعقل والعلة فى هذا الادراك هو المدرك نفسه فلا يشك فى تغير الادراك بتغير المدركات وفى تعدده بتعددها

العلم بالجزئيات يخالف العلم بالكليات فان العلم بالجزئيات او بالاشخاص حسى اوخيال والعلم بالكليات بالعقل ولما كانت الكليات ثابتة لا تتغير كان العلم بها لا يوجب تغيرا أما الاشخاص فان احوالهم متعددة ومتغيرة فالعلم بها يوجب شيئين تغير الادراك وتعدده ولكن الكليات متعددة فالعلم بها يوجب التعدد فى العلم. لذلك قال المحققون من الفلاسفة ان علم الله لا يوصف بالكلية ولا بالجزئية وذلك ان العلم الذى هذه الأمور المتقدمة لازمة له هو عقل منفعل ومعلول والعقل الاول فعل محض وعلة فلا يقاس علمه تعالى حينئذ بالعلم الانسانى هذا ما كان يراه بعض القدماء ويرى البعض الآخر ان الله تعالى لا يعلم الجزئيات لانها متعددة ومتجددة وعلمه تعالى قديم لا يتغير .

ولقد كان قول هؤلاء سببا لشن الغارة عليهم من المتكلمين ورميهم بالكفر والمروق من الدين غير ان ابن رشد نظر الى المسألة نظر مدقق عليم حتى جعل الخلف بين الفريقين ليس للمعنى فيه نصيب بل هو خلف فى التعبير والاصطلاح قال فى فصل المقال .

لقد غلط الغزالى وغيره من المتكلمين على الحكماء المشائين فيما نسبوه اليهم من انهم يقولون انه تقدس وتعالى لا يعلم الجزئيات اصلا بل يرون انه تعالى لا يعلمها بعلم مجانس لعلمنا بها وذلك ان علمنا معلول للمعلوم به فهو محدث بحدوثه ومتغير بتغيره وعلم الله بالوجود على مقابل هذا فانه علة للمعلوم الذى هو الموجود فمن شبه العلمين احدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصها واحدة وذلك غاية الجهل فاسم العلم اذا اطلق على العلم المحدث والقديم فهو مقول باشتراك الاسم المحض كما يقال كثير من الاسماء على المتقابلات مثل الجلل المقول على العظيم والصغير والصريم المقول على الضوء والظلمة وكيف يتوهم على المشائين انهم يقولون انه سبحانه لا يعلم بالعلم القديم الجزئيات وهم يرون ان الرؤيا الصادقة تتضمن الانذارات بالجزئيات الحادثة فى الزمان المستقبل وان ذلك العلم المنذر يحصل للانسان فى النوم من قبل العلم الازلى المدبر للكل والمستولى عليهم .

ولقد محض مذهبهم فى كتاب التهافت وبينه بناء على اصولهم فقال .

ان القوم لما وقفوا بالبراهين على انه لا يعقل الاذاته وذاته عقل ضرورة ولما كان العقل بما يتعلق بالموجودات لا بالمعدومات وقد قام البرهان على انه لا موجود الا هذه الموجودات التى نعقلها فلابد ان يتعلق علمه بها اذ لا يمكن ان يتعلق بالعدم واذا وجب ان يتعلق بهذه الموجودات فاما ان يتعلق بها على نحو تعلق علمنا بها واما ان يتعلق بها على وجه اشرف واكمل . فاما ان يتعلق بها على نحو ما يتعلق به علمنا فمستحيل لان العلم الصادق هو الذى يطابق الموجود . فعلم الله يتعلق من الموجود بجهة اشرف من الجهة التى يتعلق علمنا بها فللموجود اذن وجودان وجود اشرف ووجود اخس والوجود الاشرف هو علة الوجود الاخس وهذا معنى قول القدماء ان البارى تعالى هو الموجودات كلها وهو المنعم بها والفاعل لها ولذلك قال رؤساء الصوفية لا هو الا هو . (١)

---

(١) «الهداية» اورد الكاتب الفاضل رأى ابن رشد فى علم الله بالجزئيات والمع الى آراء غيره من اهل المذاهب الاخرى . وكنا نود لو ان فى الوقت الحاضر وفى هذا العدد من الهداية متسعا للبحث فى هذه الآراء ونقدها نقدا يظهر اماكن الوهن فيها فلنجتزئ الآن بالملاحظة الآتية

يظهر للباحث المتدبر آراء من خاض فى هذا المبحث واشباهه ان القوم قد التبس عليهم الامر فتشابه عليهم الخالق بالمخلوق والمادة المصورة المقدرة بالمصور المقدر الذى ليس بعرض ولاجوهر ولا بمكان ولامكين الذى ليس كمثله شئ وهو اللطيف الخبير

بتمثيل علم الله تعالى لأولئك الباحثين من معتزلة وفلاسفة واهل سنة كانه علم البشر المقسم الى كليات وجزئيات فهم يتخاصمون ويتجادلون فى انه كيف يعلم الله الجزئيات وهى تقتضى

الاسباب والمسببات وخوارق العادات

ذهب المتكلمون الى ان الاقتران بين الاسباب والمسببات ليس ضروريا بل كل شيئين ليس اثبات احدها متضمنا لاثبات الآخر ولا نفيه متضمنا لنفي الآخر فليس من ضرورة وجود احدهما وجود الآخر ولا من عدم احدهما عدم الآخر مثل الري والشرب والشبع والاكل والنور وطلوع الشمس والموت وجز الرقبة والشفاء وشرب الدواء وان الاقتران بين الاسباب والمسببات لما سبق من تقدير الله سبحانه لخلقها على التساوق وان في المقدور خلق الشبع دون الاكل وخلق الموت دون جز الرقبة . ولقد زعموا ان هذا القول هو الذي يتلاقى مع المعجزات الخارقة للعادة .

اما الحكماء فقد ذهبوا الى ان الاقتران بين الاسباب والمسببات ضروري ولقد ذهب ابن رشد الى ماذهب اليه الحكماء وقال ان انكار وجود الاسباب الفاعلة التي تشاهد في المحسوسات غلط فاحش والمتكلم بذلك اما جاحد بلسانه لما في جنانه واما منقاد لشبهة سفسطائية عرضت له في ذلك والقول بتأثير الاسباب وارتباطها بها لاينافي ما اتفق عليه المسلمون من انه لافاعل الا الله فان لتفسير ذلك طريقين .

الطريق الاولى ان ماسوى الله من الاسباب التي يسخرها ليست تسمى اسبابا فاعلة الا على طريق التجوز لان وجودها مستمد منه وهو الذي صيرها اسبابا بل هو الذي يحفظ وجودها في كونها فاعلة ويحفظ مفعولاتها بعد فعلها ويخترع جواهرها عند اقتران الاسباب بها وكذلك يحفظها هو في نفسها وهذا هو المفهوم من انه لا فاعل الا الله وهو الذي يشهد له الحس والعقل والشرع . اما الحس والعقل فانه يرى ان هاهنا اشياء وان النظام الجاري في الموجودات انما هو من قبل امرين احدهما ماركب الله فيها من الطبائع والنفوس الثاني ما احاط بها من الموجودات من خارج . واشهر هذه هي حركات الاجرام السماوية فانه يظهران الليل والنهار والشمس والقمر وسائر النجوم مسخرات لنا وانه لمكان النظام والترتيب الذي جعله الخالق في حركاتها كان وجودنا ووجود ما هاهنا محفوظا بها حتى انه لو توهم ارتفاع واحد منها اوتوهم في غير موضوعه اوعلى غير قدره او في غير السرعة التي جعلها الله فيه لبطلت الموجودات التي على وجه

بالقوى المدركة صورا متباينة متغايرة على الحد الذي قد يتوهمونه في المعلومات البشرية ولو ادركوا ان الله تعالى ليس مادة ولا صورة ولا جسم ولا عرض وانما القوة المطلقة لهذا الكون الفائض على سائر الكائنات مااختلفوا ولاذهبوا هذه المذاهب

الارض وذلك بحسب ماجعل الله فى طباعها من ذلك وجعل فى طباع ما ههنا ان تتأثر عن تلك وبالجملة لولا القوى التى فى اجسام الحيوان والنبات والقوى السارية فى هذا العالم من حركات الاجرام السماوية لما امكن ان تبقى طرفة عين فسبحان اللطيف الخبير . ولقد نبه الله فى غير ما آية من القرآن الى ذلك فقال (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر) وقال (قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة) وقال ومن رحمته جعل لكم الليل النهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) وقال (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) الى غير ذلك من الآيات التى لولم يكن لها تأثير فيما ههنا لما كان لوجودها حكمة امتن بها علينا اما الطريق الثانية فهى ان الموجودات الجارية منها ما هى حركات وسخونة وبرودة فاما الجواهر والاعيان فليس اختراعها الاعن الخالق سبحانه ومايقترن بها من الاسباب فانما يؤثر فى اعراض تلك الاعيان لا فى جواهرها . مثال ذلك ان الفلاح يفعل فى الارض تخميرا واصلاحا ويبذر فيها الحب واما المعطى لخلقة السنبلة فهو الله تعالى تبارك وتعالى والى هذا المعنى تشير الآية (ياايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) وهذا هو الذى رام ان يغالط فيه الكافر ابراهيم عليه السلام حين قال انا احيى واميت فلما راى ابراهيم عليه السلام انه لايفهم هذا المعنى انتقل معه الى دليل وقطعه به فقال فان الله ياتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب.

فقد تبين من هذا على اى وجه يوجد لنا اكتساب وان من قال باحد الطرفين فى هذا المسألة فهو مخطئ كالمعتزلة والجبرية واما الاشعرية التى توسطت الامرين ورامت ان تكون صاحبة الحق فليس لقولهم اثر ظاهر مفهوم فانهم لايجعلون للانسان من اسم الاكتساب الا الفرق الذى يدركه الانسان بين حركة يده عن الرعشة وتحريك يده باختياره فانه لا معنى لاعترافهم بهذا الفرق اذا قالوا ان الحركتين ليستا من قبلنا لانه اذا لم تكن من قبلنا فليس لنا قدرة الامتناع منها فنحن مضطرون فقد استوت حركة الرعشة والحركة التى يسمونها كسبية فى المعنى ولم يكن هنالك فرق الا فى اللفظ . هذا راى ابن رشد فى الاسباب وارتباطها بمسبباتها اما رأيه فى المعجزات وخوارق العادات فقبل التعرض لبيانه نذكر خلاصة مانسبه المتكلمون الى الفلاسفه ونبين صحيحه من فاسده .

قال المتكلمون ان ماذهب اليه الفلاسفة من ضرورة اقتران الاسباب بمسبباتها قد دعاهم الى انكار المعجزات وتأويل ماجاء فى القرآن فى شأن ذلك فقالوا ان المراد باحياء الموتى ازالة موت الجهل بحياة العلم الى غير ذلك من التأويلات .

قال الغزالى ان الفلاسفة لم يثبتوا من المعجزات الخارقة للعادة الا ثلاثة امور .

(١) خاصية فى القوة المتخيلة فانهم زعموا انها اذا قويت ولم تستغرقها الحواس بالاشتغال اطلعت على اللوح المحفوظ وانطبع فيها صور الجزئيات التى تكون فى المستقبل وذلك فى اليقظة للانبياء ولسائر الناس فى النوم

(٢) خاصية فى القوة العقليـة النظرية وهذا راجع الى قوة الحدس وهو سرعة الانتقال من معلوم الى معلوم فرب ذكى اذا ذكر له المدلول تنبه للدليل واذا ذكر له الدليل تنبه للمدلول من نفسه وبالجملة اذا خطر له الحد الاوسط تنبه للنتيجة واذا حضر فى ذهنه حد النتيجة خطر بباله الحد الا وسط الجامع بين طرفى النتيجة والناس فى هذا منقسـمون فمنهم من يتنبه بادنى تنبيه ومنهم من لايدرك مع التنبيه الابتعب كثير واذا جاز ان ينتهى طرف النقصـان الى من لاحدس له اصلا حتى لايتهيأ لفهم المعقولات مع التنبيه جاز ان ينتهى طرف القوة والزيادة الى ان يتنبه لكل المعقولات اولاكثرها وفى اسرع الاوقات واقربهـا ويختلف ذلك بالكمية فى جميع المطالب او فى بعضـها وبالكيفية حتى يتفاوت فى السرعة والقرب فرب نفس مقدسة صافية يستمر حدسها فى جميع المعقولات وفى اسرع الاوقات فهى النبى الذى له معجزة من القوة النظرية فلايحتاج فى المعقولات الى معلم بل قد يتعلم من نفسه .

(٣) القوة النفسية العملية فقد تنتهى الى حد تتأثر بها الطبيعيات وتسخر لها مثاله ان النفس منا اذا توهمت شيئا خدمته الاعضاء والقوى التى فيها حركة فتحركت الى الجهة المتخيلة المطلوبة حتى اذا توهم شيئا طيب المذاق تحلبت اشداقه وانتهضت القوة الملعبة فياضة باللعاب من معادنها بل اذا مشى على جذع ممدود على فضاء طرفاه على حائطين اشتد توهمه الى السقوط فانفعل الجسم بتوهمه وسقط ولو كان ذلك على الارض لمشى عليه ولم يسقط وذلك لان الاجسام والقوى الجسمية خلقت خادمة مسخرة للنفس ويختلف ذلك باختلاف صفاء النفس وقوتها فلا يبعد ان تبلغ قوة النفس الى حد تخدمه القوة الطبيعية فى غير بدنه لان نفسه ليست منطبعة فى بدنه الا ان له نوع نزوع وشوق الى تدبيره خلق ذلك فى جبلته فاذا جاز ان تطيعه اجزاء بدنه لم يمتنع ان يطيعه غيره فتطلع نفسه الى هبوب ريح او نزول مطر اوهجوم صاعقة او تزلزل ارض لتخسف بقوم وذلك موقوف حصوله على حدوث برودة اوسخونة اوحركة فى الهواء فيحدث من نفسه تلك السخونة والبرودة ويتولد منه هذه الامور من غير حصول سـبب طبيعى ظاهر ويكون ذلك معجزة للنبى . هـذا ماكتبه الغزالى وغيره من المتكلمين فى بيان مذاهب الفلاسفة غير ان ابن رشد ابان تخبطهم وغلطهم على الفلاسـفة فقال فى كتاب تهافت التهافت .

ان الكلام فى المعجزات ليس فيه للقدماء من الفلاسفة قول لان هذه كانت عندهم من الاشياء التى يجب ان لا يتعرض للفحص عنها وتجعل مسائل فانها مبادئ الشرائع والفاحص عنها والمشكك فيها يحتاج الى عقوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادئ الشرائع العامة مثل هل الله موجود وهل السعادة موجودة وهل الفضائل موجودة وانه لايشك فى وجودها وان كيفية وجودها امر الهى تعجز عن ادراكه العقول البشرية والعلة فى ذلك ان هذه مبادئ الاعمال التى يكون بها الانسان فاضلا ولا سبيل الى حصول العلم الا بعد حصول الفضيلة فوجب الا يتعرض للفحص عن المبادئ التى توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة واذا كانت الصنائع العملية لاتتم الابأوضاع ومصادرات يتسلمها المعلم اولا فاحرى ان يكون ذلك فى الامور العلمية . واما ماحكاه الغزالى وغيره من المتكلمين فلم يقل احد به من الفلاسفة الا ابن سينا وان ما نسب الى الفلاسفة من الاعتراض على معجزة ابراهيم عليه السلام وغيرها من المعجزات فشئ لم يقله الا الزنادقة من اهل الاسلام فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل فى مبادئ الشرائع وفاعل ذلك عندهم يحتاج الى ادب شديد وذلك انه لما كانت كل صناعة لها مبادئ وواجب على الناظر فى تلك الصناعة ان يسلم مباديها ولا يتعرض لها بنفى ولا بابطال كانت الصناعة العملية الشرعية احرى بذلك لان السير على الفضائل الشرعية ضرورى عندهم ولذا يجب على كل انسان ان يسلم مبادى الشرائع وان يقلد فيها فان جحدها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان ولذلك وجب قتل الزنادقه فالذى يجب ان يقال فيها ان مباديها امور الهية تفوق العقول الانسانية فلا بد ان يعترف بها مع جهل اسبابها ولذلك لانجد احدا من القدماء تكلم فى المعجزات مع انتشارها وظهورها فى العالم لانها مبادى تثبت بها الشرائع والشرائع مبادى الفضائل فاذا نشأ الانسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا باطلاق »

فقد بان لك ان القدماء من الفلاسفة ليس لهم رأى فى المعجزات فما رآه ابن فى هذه المسأله لم يسبقه به احد من فلاسفة الاسلام

يرى ابن رشد ان الرسل والانبياء هم الذين يضعون الشرائع بوحى من الله لا بتعلم انسانى وانهم الذين ينبهون العقول الى طريق سعادتهم ويرشدونهم الى سبل الهدى فالمعجزة الخارقة للعادة التى يأتون بها لابدان تكون من وضع الشرائع واما الخارق للعادة الذى ليس فى نفس الأمر من وضع الشرائع مثل انفلاق البحر واحياء الموتى فليس يدل دلالة ضرورية على النبوة وانما تدل اذا اقترنت بالدلالة الاولى الطبيعية ولهذا كانت الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع لان اصولها العامة توافق المصالح فى كل زمان ومكان لما انها تنطوى على مصالح البشر عامة ولهذا قال

صلى الله عليه وسلم لوا دركني موسى ماوسعه الا اتباعي وقال تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود

ولقد كان من راى ابن رشد كما يرى كثير من الباحثين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت بمعجزة سوى القرآن لانها هي المعجزة التي توافق سنن الانبياء وتنطبق على طريقهم . اما ماكان يأتيه النبي صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات فان صحت روايته فانه لايكون على سبيل المعجزة ولذا لم يقل احد ممن ادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بمعجزات كثيرة غير القرآن انه قد تحدى بها ولذا اجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سؤال الذين طلبوا منه ان يأتي بما يخالف ماجاء لاجله الانبياء بقوله ما كنت الا بشرا رسولا (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا اوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اوتأتي بالله والملائكة قبيلا اويكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا

اما رأيه في خوارق العادات التي تأتي لاعلى القانون المتقدم فانها من قبيل المسببات التي نجهل اسبابها وان جهلنا بالسبب لايستدعي عدمه فانه ليس في استطاعة الانسان ان يفعل جميع الممكنات له فتصديق الانبياء اذا اتوا بالخارق ليس من قبيل التصديق بالممتنع في حق الانسان الممكن في حق النبي فان ذلك خرق للنظام والقول به جهل بالنظام الكوني والسنن التي سنها الله فيه واخبر انها لا تقبل التبديل والتغير .

حافظ وهبه

تيار الاستعمار في بلاد الاسلام

٢

فرنسا في الجزائر

الجزائر هي البلاد الاسلامية التي ابتليت بالاستعمار الاوروبي في القارة الافريقيه بعد بلاد السنغال التي مر الكلام عنها في عدد المحرم. فقد فتح الفرنسيون مدينة الجزائر سنة ١٨٣٠ وكانت بقية البقاع الاسلامية في افريقية ماعدا السنغال لاتزال الى ذلك العهد بمامن من الفتوحات الاوروبية بعيدة عن تيارها المخيف اما مصر فهي وان كانت قد احتلها الفرنسيون قبل ذلك اى في سنة ١٧٩٨ الا انها عادت بعد انجلاء الفرنسيين عنها سنة ١٨٠١ الى حالتها الاولى جزءا من السلطنة العثمانيه

ولقد كان للجزائر فى التاريخ شأن يذكر قبل ان تحتلها فرنسا ولذلك يحسن بنا ان نذكر شيئاً عن ماضيها قبل ذلك الاحتلال وكيف تم لفرنسا الاستيلاء عليها. كانت سلطنة الاتراك فى القرن السادس عشر قد امتدت الى جل شواطىء بحر الروم جنوبا وشرقا وكانت البوارج العثمانية تمخر عبابه حاملة العلم العثمانى الذى كانت له السيادة العامة فى ذلك البحر . وفى ذلك العهد استولى الاميرال خيرالدين باربروس على مدينة الجزائر وطرد منها الاسبانيين الذين كانوا اصحاب النفوذ والسلطان فيها وانشأ هناك امارة اسلامية قوية جعلها تحت سيادة دولة آل عثمان ليكون بمأمن من غارات الدول الأوروبية فاعتبرت الجزائر من ذلك الحين جزءا من السلطنة العثمانيه وصار الأمراء من بعده يتعاقبون على تلك الايالة بعدان استوطنوها وجمعتهم والاهالى رابطة الدين . وبفضل مهارتهم التى كانت تضرب بها الامثال فى ركوب متن البحار كان لهم على ظهره سطوة كبيرة جعلت تتزايد حتى صارت الدول الأوروبيــة تحسب لهم حسابا كبيرا وتخشى منهم على سفنها التجارية التى كانت تخترق البحر الابيض

وظلوا على هــذه المنعة والصـولة اكثر من ثلاث مائة عام فكان رجالهم يركبون البحر من آن لآخر على مراكب خفيفة سريعة فيغزون مراكب الافرنج ويستولون على مابها من الخيرات والمتاجر ووصلت بهم الجرأة الى حد انهم كانوا لايقتصرون على غزو المراكب الافرنجية فى البحر بل كانوا ينزلون احيانا بالشـواطىء الجنوبية فى اسـبانيا وايطاليـا ويتوغلون الى غايات بعيدة فى الداخل فيوقعون الرعب فى قلوب اهـالى تلك الشواطىء وكثيراً ماكانوا يأسرون بينهم خلقا كثيرا ثم يعودون الى الثغور الجزائرية آمنين غانمين وقـد دون مؤرخو ذلك العهد اخبارا كثيرة عن غزواتهم تدوينا يدل على مقدار ماكانوا عليه من من القوة والبطش فكان الاسرى الافرنج الذين يأتى بهم الغزاة الى الجزائر يعدون بالألوف وكانت الدول تشترى احيانا سلامة سفنها بضريبة سنويه تدفعها الاميرال البحر ولم تقتصر حركاتهم وغزواتهم على البحر الابيض بل كانوا يجتازون بوغاز جبل طارق ويجوبون مياه المحيط الاطلسى الاعظم بالقرب من الشواطىء الاوروبية الى ان وصلوا الى بحر المانش ليطاردوا السفن الافرنجية وقد بلغ الخوف من بطشهم مبلغا كبيرا حتى روى بعض المؤرخين ان احد ابناء ملكة فرنسـا كاترين دى مديسيس عزم مرة على اجتياز بحر المانش والوصول الى انجلترا ولكنه عدل عن سياحته بعد ان نصحه بذلك حاشية الملكة خوفا من ان تصادفه فى البحر سـفن الجزائريين فيقع اسيرا فى يد رجالها

فانظر الى اى حد وصلت باؤلئك القـوم صولتهم ! وقد حاول الامبراطور شارلكان ملك اسبانيا ان يذلهم ويضعف من سطوتهم على ظهر البحار ولكنه لم ينل منهم غرضه لان تفوقهم فى ركوب البحار جعلهم بمأمن من ذلك واراد لويس الرابع عشر ملك فرنســا ان يخضعهم ولكن لم ينل من امير الجزائر الا وعـدا بان لا يتعرض للسفن التجارية الحاملة للعلم الفرنسى

ولما آل الأمر فى فرنســا الى نابليون فكر فى فتح الجزائر كما فتح مصر من قبل ويقولون انه ارسل بالفعل ضابطا من اركان حربه الى مدينـة الجزائر ليدرس مواقعها ويرسم الخطة التى تمكن الجيش الفاتح من الاستيلاء عليها ولكنه رجع عن عزمه ويقول المؤرخون الفرنسيون ان الذى اقعده عن فتح الجزائر هوماقام بينه وبين دول اوروبا من الحروب المتعـاقبة التى استنفدت كل قواته ومجهوداته وبذلك امنت الجزائر من الدخول فى حرب معه. وقد كان اشتباك الدول الأوروبية فى حروب نابليون وانصرافها الى مقاومة ذلك الخصم العنيد سببا فى تعاظم امر امراء الجزائر ومطاردتهم للسفن الافرنجية حتى اضطرت انجلترا بعد ان تخلصت من خصمها اللدود نابليون الأول الى ارسال عمارة بحرية الى ثغر الجزائر سنة ١٨١٦ فاطلقت القنابل على البلد وأحرقت جزءا من اسطول الداى ولكن ذلك لم يحل دون تجول مراكبه فى البحر ومطـاردتها السفن الفرنجيه واخذه الفدية منها لان امراء الجزائر كانوا يعتبرون دول اوروبا فى حرب دائمـة معهم تحل لهم مصادرة سفنها فى البحر، وقد اعادت انجلترا الكرة فى سنه ١٨٢٤ وطلبت من الداى ضمانات بسلامة سفنها و هددته بضرب الجزائر ولكن الداى لم يحفل بذلك واضطرت انجلترا فى تلك السنة الى ان تدعو قنصلها فى الجزائر اجابة لطلب الداى الذى اصر على ان لا يبقى هذه القنصل فى المدينة .

ظلت امارة الجزائر على تلك القوة وكان ينتظر ان تستفيد من قوتها لو ان امراءها اخذوا باسباب الرقى فى الصناعة والعلوم الحربية ونظموا قوتهم وجاروا الدول الافرنجية فى رقيها ولكنهم بكل اسف جمدوا على احوالهم وطرقهم القديمة و اخذت الأمم الافرنجية تتفوق عليهم بما تقوى به من مستحدثات العلم والصناعة فضعفت قوة امارة الجزائر واخذت تتضعضع شيئا فشيئـا الى ان صـارت هدفا للمطامع الأوروبية بعد ان كانت خلال ثلاثة قرون مصـدر قلق مستمر لدول أوروبا . ومن الغريب ان اولئك الامراء كانوا يرون باعينهم آثار رقى الامم الفرنجيه ظاهرة فى تجارتها وصناعتها واساطيلها الحربية وسفنها التجارية ومع ذلك لم يفكر واحد منهم فى تجديد اسطول بلاده وجعله فى مصاف الاساطيل الفاخرة

فى عدده بل ابقوه على حاله القديمة فكانت النتيجة ان الدول الفرنجيه لم تعد تحسب لحركات السفن الجزائرية حسابا كبيرا . واخذت فرنسا تحين الفرص لتحتل تلك البلاد لما آنست الضعف من حكامها وعدم استعدادهم وتذرعت الى ادراك غرضها بما كان يبديه الامراء من الخرق فى السياسة والتخبط والفوضى فى الادارة وهكذا يتغلب العلم على الجهل والنظام على الفوضى

بدأت مقدمات احتلال فرنسا لتلك البلاد حوالى سنة ١٨١٨ وذلك ان امراء الجزائر كانوا من قديم العهد يجبون من المحلات التجارية التى انشأها الفرنسيون على السواحل بقصد المتاجره مع الاهالى رسوما سنوية فى نظير التصريح لها بالمتاجرة وعدم التعرض لها فلما قامت الحرب بين انجلترا و فرنسا فى عهد نابليون الاول وتحطمت العمارة الفرنسية فى واقعة الطرف الاغر استولت انجلترا سنه ١٨٠٧ على تلك المحلات التجارية وظلت تحت يدها زهاء عشر سنوات اي الى السنة التى ضرب فيها الاسطول الانجليزى مدينة الجزائر فخنق الداى عمر بك على الانجليز واسترد منهم امتياز المتاجرة فى تلك المحلات ورده الى فرنسا وضرب عليها رسما سنويا ثلاثمائة الف فرنك ثم نقصه خلفه الى تسعين الفا

وفى سنة ١٨١٨ تولى الداى حسين امارة الجزائر فرغب فى زيادة الرسوم على تلك المحلات نظرا لزيادة متاجرها فابتدأ الخلاف من اجل ذلك يستفحل بينه وبين قنصل فرنسا اذ ذاك واستمر الخلاف فى دوره الاول مدة سنتين وانتهى فى سنة ١٨٢٠ على ان تدفع فرنسا مائتين وعشرين الف فرنك بدل تسعين الفا ولكن هذا الاتفاق لم يضع حدا للخلاف لان قناصل فرنسا كانوا فى ذلك العهد عيونا للحكومة الفرنسيه فى تلك البلاد وضبط الداى بعضهم يهرب الاسلحة الى القبائل البدوية فى الداخل لتثور فى وجه حكومة الداى وتتوصل فرنسا بذلك الى الاستيلاء عليها سنة الاستعمار فى كل زمان ومكان

اشتد الخلاف بين الداى وقنصل فرنسا وطلب من الحكومة الفرنسيه استرداد ذلك القنصل فابت عليه ذلك وكانت مصممة على ان تصل بالخلاف الى حد تحكيم السيف توصلا الى احتلال الجزائر ولقد كانت من قبل تحين الفرص وتخير الوقت المناسب الذى تأمن فيه دخولها فى خلاف سياسى مع دول اوروبا بسبب احتلالها للجزائر لان انجلترا كانت تحسب حسابا كبيرا لاستيلاء فرنسا على تلك البلاد فظلت فرنسا من اجل ذلك مترددة تنتظر وقوع حادثه تكون حجة قوية للتداخل

ففى سنة ١٨٢٧ ابلغت فرنسا الامير حسين بك انه اهان قنصلها بان لطمه على وجهه بمروحة كانت فى يده واعتبرت تلك الحادثه اهانة لشرف فرنسا

وطلبت منه الاعتذار عن هذه الاهانه والاقطعت علاقاتها معه . وامرت قنصلها بالعودة الى فرنسا اذا لم يقدم الداى الاعتذار الواجب وارسلت لهذا الغرض عمارة بحرية لتبليغ الداى طلبات الحكومة الفرنسيه وطلب قائد هذه العمارة ان يكون الاعتذار بالشكل الذى اشترطه هو وهوان يحضر ناظر بحرية الجزائر الى مركب القائد ويقدم بنفسه اعتذار الداى وان يرفع العلم الفرنسى فى ذلك الوقت على جميع قلاع المدينه ويحيي بمائة طلقة من مدافع القلاع . وكان قائد العمارة الفرنسيه على بينة ان الداى لايقبل هذا الاعتذار المهين فيكون امتناعه سببا فى اعلان الحرب. وقد تنبأ بذلك قبل ان يعرض طلباته فاستدعى قنصل فرنسا جميع رعايا دولته وانزلهم فى المراكب التى اتى بها لهذا الغرض لتقلع بهم الى الشواطىء الفرنسيه

رفض الداى طلب فرنسا فحاصر الاسطول الفرنسى مدينة الجزائر واستمر هذا الحصار مدة ثلاث سنوات دون ان ينزل الاسطول جنودا الى البر .

ويقول المؤرخون الفرنسيون ان السبب فى ذلك هوان فرنسا كانت تنتظر كل هذه المدة ان يعتذر لها الداى عن اهانة قنصلها ولكن الظاهر ان الظروف السياسية الدولية لم تكن تسمح لفرنسا فى ذلك الوقت ان تنزل جنودها الى البر لان الدول الأوروبية كانت تشغلها حينذاك المسألة الشرقية التى ظهرت فى تلك السنوات بمظهر خطير بسبب الحرب الروسيه العثمانية سنة ١٨٢٨ وبسبب ثورة اليونان . فكانت اوروبا مشتغلة بايجاد حل لهذه المسألة التى تعارضت فيها مصلحة اوروبا ومصلحة الروسيا فقد كان القيصر نيقولا الأول يتهدد كيان الدولة ويريد ان يسلخ عنها الاملاك الأوروبية وجعل نفسه لهذا الغرض حامى الاورتوذكسيه وكانت اوروبا تميل من جهة الى مساعدة الولايات المسيحيه العثمانية فى اوروبا مدفوعة بدافع الدين وتخشى من جهة أخرى خطر امتداد نفوذ الروسيا فى شبه جزيرة البلقان فانتهت هذه الازمة بمعاهدة ادرنه سنه ١٨٢٩ التى نالت بها ولايات الافلاق والبغدان والصرب استقلالها الداخلى واتفقت اوروبا فى سنه ١٨٢٨ على ان تعطى اليونان استقلالها بعد ان ساعدتها فى ثورتها وامدتها فرنسا فعلا بجيش نظامى فى سنه ١٨٢٨ ونالت استقلالها سنه ١٨٣٠

كل هذه الحوادث السياسية اخرت عزم الحكومة الفرنسية على ارسال جنودها الى الجزائر فلما انتهت اوروبا من تلك الحوادث خلا لفرنسا الجو فقررت تجريد الحملة على الجزائر فى اواخر يناير سنه ١٨٣٠ وكانت ارسلتهم فرنسا الى الجزائر خفية ومكثوا فيها عدة سنوات يدرسون مسالكها وطرق دفاعها ويعرفون مواطن

الضعف فى استحكاماتها وهذا يدل على ان فرنسا كانت عاقدة النية من قبل على احتلالها واعدت فرنسا ستمائة مركب من انواع مختلفة لنقل الحملة وتنزيلها فى موقع يبعد عن مدينة الجزائر غربا بمقدار خمسة اميال معروف باسم سيدى فروخ

ففى ٢٥ ابريل من تلك السنه كانت السفن مستعدة فى ثغر طولون للاقلاع الى شواطئ الجزائر واعلن الملك شارل العاشر ملك فرنسا فى ذلك العهد عزم حكومته على تجريد تلك الحملة قائلا فى اعلانه « اننا سننتقم لشرف فرنسا الذى اهين اهانة لاتحتمل وبعون الله ستستفيد المسيحية باسرها من عملنا المجيد ... »

وان هذا الاعلان ليذكرنا بما صرح به ملوك البلقان فى ابان الحرب الحاضره من انهم يحاربون باسم المسيحية وللمسيحية فتصريحهم هذا لم يكن بنغمة جديدة ولا هو ببدعة استحدثوها بل هى عادة قديمة وعاطفة تجلت فى سياسة الدول الأوروبية ازاء الاسلام قديما وحديثا ومهما بالغ ساسه اوروبا وكتابها واجراؤها فى الشرق فى القول بان سياسة اوروبا حيال الدول الاسلامية انما هى سياسة مصالح لادخل للعاطفة الدينية فيها فهم انما يخدعون الاغرار من المسلمين . والحقيقة التى لامراء فيها ان اوروبا تعامل المسلمين باعتبارهم مسلمين وجريمتهم فى نظرها انهم مسلمون وبلادهم لا حرمة لها لانها بلاد اسلامية . وائن قام بين دول اوروبا خلاف فى هذا الصدد فانما يزول اذا ما اتفقت فيما بينها على تحديد حصة كل منها ورضيت كل دولة بحصتها

ولقد وجدت فرنسا بعض المعارضة من انجلترا حينما عزمت على تجريد حملتها على الجزائر لان انجلترا خشيت عواقب رسوخ قدم فرنسا بالغرب من بوغاز جبل طارق فحصلت مخابرات بين الحكومتين فى غرض الحكومة الفرنسية من تجريدها تلك الحملة فكان جواب فرنسا ان لاغرض لها الا ان تثأر لشرفها الذى اهانه امير الجزائر وطالت المخابرات دون ان تقنع انجلترا بجواب فرنسا لان انجلترا تعلم قيمة الوعود فى المسائل السياسية ولكن الحكومة الفرنسية كانت قد اعدت كل معدات الحملة فلم تتردد فى عزمها واقلعت السفن حاملة جنودها من ثغر طولون فى ٢٥ مايو سنه ١٨٣٠ قاصدة الجزائر

ولم يكن الأمير حسين قد استعد لملاقاة هذه الحملة استعدادا كافيا ومن اين له ان يستعد وقد تقدم القول بان امراء الجزائر ما كانوا يفكرون فى تنظيم قوتهم وتجددها وجلب مستحدثات الاسلحة والمعدات الحربية . ولم يكن فى استطاعة الدولة العلية ان تنجد تلك الامارة البعيدة خصوصا وقد كانت خارجة من الحرب الروسيه وابتدأ النزاع بينها وبين محمد على باشا والى مصر فى ذلك العهد . اضف

الى ذلك ان الخلاف كان مستحكما بين الأمير والاهالى وكذا بينه وبين حاشيته فكان الاهالى والعدو على الابواب يرهقونه كل يوم بالطلبات وذوو المطامع من حاشيته يشتغلون ضده بالدسائس والمؤامرات وبينما كانت فرنسا تجهز فى الخفاء حملتها على بلادهم كان بعض حاشية الأمير حسين يتآمرون على خلعه فاكتشف الأمير المؤامرة واعدم من دبروها ولم يعرف القوم ان تفرقهم سيؤدى الى ضياع بلادهم الا بعد ان علموا بقيام الحملة من طولون واقتراب ساعة الخطر . فأخذ الأمير حسين يحصن المدينة ولكن بعد فوات الوقت وشد الاهالى ازره فى الوقت الأخير فركب بطاريات من المدافع على الشواطئ وسد مدخل الميناء بسلاسل من حديد وابقى الاسطول فى داخلها وركب فيه المدافع اعتقادا منه ان الفرنسيين سيحاولون الاستيلاء على المدينة من طريق البحر ولم يكن يعلم انهم سينزلون جنودهم فى سيدى فروخ فاهمل تحصين المدينة من طريق البر ولم يجد الوقت الكافى لجمع جموع المقاتلة من العرب فرست السفن الفرنسية فى سيدى فروخ قبل ان يصل العرب كلهم الى الشواطئ ويرابطوا فيها للدفاع عنها وتمكنت الجنود الفرنسية من النزول الى الشاطئ فى ١٤ يونيو من تلك السنه واشتبكوا بعد نزولهم بعدة الاف من الاتراك والعرب لم يستطيعوا لقلة عددهم صد هجماتهم . ومن اين لبضعة آلاف مهما بلغت شجاعتهم ان يصدوا هجمة جيش مستكمل العدد والعدد؟ قضى الجيش الفرنسى بعد نزوله الى البر خمسة ايام فى مناوشات مع جنود الأمير الى ان التقى على مقربة من المدينة بجيشه واشتبك الجيشان فى معركة انتهت بهزيمة جيش الأمير ويقال ان بعض رجاله خانوه فى هذه الموقعه والله اعلم بمقدار قيمة هذه الرواية من الصحة

تحصن الأمير بعد هذه الموقعة فى المدينة التى كان يحميها من جهة البر حصن قديم يسمى قلعة السلطان فتحصن هو وجيشه فيه وجمع ماامكنه جمعه من عرب القبائل وعزموا على ان يستبسلوا فى الدفاع عن المدينة فى الحصن وفوق المرتفعات التى تحيط بالبلد . ففى ٢٩ يونيو هجمت الجنود الفرنسية بجموعها الكثيرة واعدادها الوفيرة على المرتفعات التى تحيط بالمدينة فقاومهم الجزائريون من ترك وعرب مقاومة استبسال عدة ايام ولكن الفرنسيين صوبوا قنابلهم على المدينة من البر والبحر فصار اهلها بين نارين حاميتين وتحصن انفار من المجاهدين منهم فى قلعة السلطان وقاوموا الفرنسيين فيها مقاومة الابطال ولكن مدافع الفرنسيين القوية اسكتت ما فى القلعة من المدافع القديمة فلما رأى من فيها استحالة المقاومة نسفوا القلعة نسفا بعد ان انسحبوا منها حتى لا تقع فى يد الاعداء . ولما وصل خبر استيلاء الفرنسيين على القلعه سرى الرعب الى قلوب الاهالى لانهم اعتقدوا ان الفرنسيين داخلون فى المدينة لامحالة فطلبوا من الأمير

ان يسلم فابى مفضلا ان ينسف قصره وتنسف المدينة كلها على التسليم ولكنه بعد ان رأى الاهالى ينفضون من حوله ورأى جيشه قد تمزق شمله اذعن للتسليم وارسل مندوبا الى القائد الفرنسى يطلب منه الصلح فاشترط القائد ان يسلم القصر والمدينة وبعد اخذ ورد قبل الأمير مكرها شروط القائد الفرنسى ودخل الفرنسيون المدينة يوم ٥ يوليو سنه ١٨٣٠ وفى ذلك اليوم انقرضت امارة الجزائر بعد ان مضى عليها اكثر من ثلاثمائة عام . هذا ما كان من استيلاء فرنسا على مدينة الجزائر وانقراض امارتها وسنذكر فى المقالة الآتية ماتم بعد ذلك من استبسال الامير عبد القادر فى محاربة الفرنسيين. ومقاومة قبائل العرب فى الداخل والسياسة التى اخذتهم بها فرنسا وما دهى اهل الجزائر فى الاستعمار الفرنسى .

عبدالرحمن الرافعى
المحامى

الادب فى القرن التاسع عشر

لحضرة المفضال كامل افندى حجاج

رفاعه بك

لانبالغ ان قلنا ان هذا الرجل اعظم من نفع البلاد وهو الذى اسس مدرسة الالسن وعين ناظراً لها . وقد هذب مئات من خيرة الرجال وكانت عزيمته لا تعرف الملل يقطع نهاره فى التدريس ويحيي ليله فى ترجمة الكتب النافعة وقد الف وترجم وحده عدة كتب هذا بخلاف ما ترجمه قلم الترجمة بمراقبته مثل « كتاب لمونتسكيو » لم اتحقق من اسمه و « وقائع تلماك » وثلاثة اجزاء من « جغرافية مالت برون » ونبذة فى « تاريخ الاسكندر » و « اصول المعادن » وتقويم ٢٢٤٤ « ومقدمة الجغرافيا الطبيعيه » وثلاث مقالات فى « الهندسه » ونبذة فى علم « الهيئة » وقطعة من « علميات رؤساء ضباط العسكرية » و« اصول الحقوق الطبيعية » ونبذة فى « الميتولوجيا » ونبذة فى علم « سياسات الصحة » (تقويم الصحة) ومما الفه « انوار توفيق الجليل فى تاريخ مصر وتوثيق بنى اسماعيل » و« نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز » وكتاب « المرشد الامين فى تربية البنات والبنين » وكتاب « مناهج الالباب » وكتاب « قلائد المفاخر فى غريب عوائد الاوائل والاواخر » ورحلته المسماة « تخليص الابريز » الى تلخيص باريز » وغيرها وله قصائد عديده مدح بها سعيد باشا واسماعيل وغيرها قالها فى مناسبات مختلفة واعظمها التى نظمها وهو فى السودان وقد عين هناك ناظراً لمدرسة الخرطوم فارسل هذه القصيدة الى حسن باشا كتخداى مصر متوسلا اليه

ان ينقله من السودان بعد ان مات نصف من بصحبته من الاساتذة والقصيدة تشير الى احوال السودان وعوائد أهلها ويشكو فيها ماناله من الظلم اثر سعاية اهل الفساد فسمحوا له بالعودة الى مصر بعد ان مكث هناك اربع سنين ومطلع القصيدة .

الافادع الذى نرجو ونادى　　يجبك وان تكن فى اى ناد

ومنها

رعى الحنان عهد زمان مصر　　وامطر ربعها صوب العهاد
رحلت بصفقة المغبون عنها　　وفضلى فى سواها فى المزاد
وما السودان قط مقام مثلى　　ولا سلماى فيه ولا سعادى
بها ريح السموم يشم منهـا　　زفير لظى فلا يطفيه وادى
عواصفها صباحا او مساء　　دواما فى اضطراب واضطراد
ونصف القوم اكثره وحوش　　وبعض القوم اشبه بالجماد

ومنها

خدمت بموطنى زمنا طويلا　　ولى وصف الوفاء والاعتماد
فكنت بمنحة الاكرام اولى　　يقدر للتعيش مستفاد
وغاية مطلبى عودى لاهلى　　ولو من دون راحلة وزاد

وله تخميس لقصيدة من نظم الشيخ عبدالرحيم وهى متوسطة فى الجودة وهو معذور لان الاصل من شعر الفقهاء ومطلعها .

تبدى الغرام واهل العشق تكتمه　　وتدعيه جدالاً من يسلمه
ماهكذا العشق يامن ليس يفهمه　　خل الغرام لصب دمعه دمه
حيران توجده الذكرى وتعدمه

نريد ان نلقى نظرة عامة على نثره فلذلك نورد طرفا من رحلته الى باريس . قال فى اول مقدمة الباب الاول فى ذكر ما يظهرلى من سبب ارتحالنا الى هذه البلاد التى هى ديار كفر وعناد (كذا) وبعيدة عنا غاية الابتعاد وكثيرة المصاريف لشدة غلو الاسعار غاية الاشتداد ومنها : « ويتعلق بالرقص فى فرنسا كل الناس وكأنه نوع من العياقه » (كذا) والشلبنه (كذا) لامن الفسق فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياء بخلاف الرقص فى ارض مصر فانه من خصوصيات النساء لانه لتهيج (كذا) الشهوات واما فى باريس فانه نط (كذا) مخصوص لايشم منه رائحة العهر ابدا وكل انسان يغرم امرأة (كذا) يرقص معها فاذا فرغ الرقص عزمها (كذا) آخر للرقصة الثانية . الى ان قال «وبالجملة فمس المرأة اياما كانت فى الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى

(كذا) وكلاحسن خطاب الرجل مع النساء ومدحهن عدهذا من الادب ومنها :

« وقرأت كثيرا فى كازيطات العلوم اليومية والشهرية التى تذكر كل يوم مايصل خبره من الاخبار الداخلية والخارجية المسماه البوليتيقيه وكنت متولعا بها غاية التولع (كذا) وبها استعنت على فهم اللغة الفرنساويه (كذا) وربما كنت اترجم منها مسائل علمية وسياسية خصوصا وقت حرابة الدولة العثمانية مع الدولة المسقوفيه (وقد تكررت لفظة خرابة بعده هذه الجمله مرارا فى الصحيفه التى تليها !

ولنذكر شيئاً من (وقائع تليماك) وهى من اشهر ماترجم فمنها :

« وقد استقام برهة من الزمان يقاوم الاعداء المتكاثره ويصادم بشجاعته وصوله (١) (كذا) جموعهم الوافرة ثم انتهى به الحال ان تثاقلت عليه الاحمال فكنت اشاهد هلاكه واشاهد استهلاكه وذلك ان احد عساكر صور طعنه برمح فى صدره فاصاب اشهر الصدور فانفلت زمام بطيئه من كفه ووقع تحت ارجل الخيل يهوى الى حتفه فبادر نفر من العساكر القبرصيه فجر (كذا) ناصية الدنية بعد ان كانت قصيه وقبضها (كذا) من شعورها المرخية (كذا) لتتفرج (كذا) عليها البرية ولتكون علامة على النصرة الذهبية البهيه

ومنها قوله فى اول المقالة الرابعه : « والى هذا الوقت كايسة باهتة متحيرة مخبرة فقطعت بكلامها كلامه الفصيح . حتى انه من التعب يستريح . قائلة له قد حان لك ان تتمتع بلذيذ المنام . بعد التعب الكامل (كذا) من حكاية هذا الكلام . لاخوف عليك هنا . بل كل شى يلائم مزاجك . فاطلق عنان هواك فى ميدان الهنا وذق طعم الراحة فالدهر لك مسالم وكل الخيرات

المخلوقه تفيض عليك من عندنا فاغتنمها فانت اسلم غانم واغنم سالم »

يتبين للقارئ من اول وهلة ان هذا النثر لا يليق بارباب الاقلام وذوى القدرة من الكتاب ولولا هذا السجع السمج المرذول لاستقام فيما نرى انشاؤه وانتظم . وماالسجع الا عقبات وقيود تغل الكاتب وتجعله يترك الخيال والفكر وينصرف الى البحث عن الفاظ يحشرها تذهب بطلاوة كلامه وتكون لغوا باطلا ونميقا لفظيا ممقوتا عاطلا من المعانى وآيات البلاغه . وهو الذى هوى بالسلف الى دركات الانحطاط فى الانشاء بل سرى داؤه الى الشعراء فاصبحوا لايعتنون الا بالالفاظ وتزيينها بالمحسنات البديعية اللفظية ويظن الشاعر منهم انه ان نظم بيتا موزونا وزخرفه بنوع او اكثر من البديع ملك اعنة الشعر وهرولت اليه البلاغة طائعة خاضعه ولو كان كلامه الفاظا مرصوصة وتركيبه خاليا من المعانى .

---

(١) لعلها صولته

كان رفاعه بك ينقصه فى انشائه وترسله الذوق السليم الذى هو روح الانشاء وملاك البيان . وكثيرا ما يلحن فى تصريف الافعال او يأتى بالالفاظ العامية او يكرر اللفظ مرارا دون ان يغيره بمرادف او يتصرف فى ترجمته . وقد انتقده (البارون سيلفستر دوساسى) المستشرق الفرنسى الشهير الذى ترجم المقامات الحريريه وكليله ودمنه الى الفرنسيه اذ قال فى خطـاب ارسله الى المسـيو جومار فى شهر فبراير سنه ١٨٣١

« ولكنه يشتمل على بعض اوهام اسلاميه » واظن انه يشير بذلك الى الفاظ التعصب الدينى الذميم المودعة فى رحلته الى باريس اذ ليس من الادب والذوق ان يستضيف قوما يأخذ عنهم العلم ثم يسبهم فى رحلته التى قدمها الى مشاهير مستشرقيهم ملتمسا منهم ابداء رايهم فيها

وقال فى نقده ايضا « وليست عبارته دائما صحيحة بالنسبة لقواعد العربيه ولعل سبب ذلك انه استعجل فى تسويده وانه سيصلحه عند تبييضه وفى التكلم على علم الشعر ذكر استطرادا بعض اشعار عربيه تخرج عن موضوع الكتاب وربما اعجب ذلك اخوانه من اهل بلاده

وتكلمت بعض الجرائد والمجلات عن نتيجة امتحـان الارسـالية المصرية فقالت عن رفاعه بك .

« وقد اعترض عليه فى الامتحان بانه فى بعض الاحيان قد لا يكون فى ترجمته مطابقة تامة بين المترجم (اليه) والمترجم عنه وانه ربما كرر وربما ترجم الجملة بجمل والكلمة بجملة »

وقد ترقى فى نثره قليلا فى كتبه مناهج الالباب وانوار توفيق الجليل والايجاز فى سيرة ساكن الحجاز لاسيما حينما يترك التسجيع فى عرض كلامه

اسئلة واجوبتها

الضائقة المالية العثمانية
والآثار النفيسة

(سؤال) ان الدولة العثمانية اليوم فى ضائقة ماليه فهلا ترون وجوب بيعها لما لديها من الآثار النفيسة والهدايا الثمينة التى للحرمين الشريفين والمسجد الاقصى ودور الآثار العثمانيه كى تتمكن بذلك من تأليف اسطول قوى تحمى به ثغور الاسلام

وسواحله الممتدة فى جملة البحر (١)

« الجواب » (اذا كانت الضرورات تبيح المحظورات) قاعدة اسلامية بنيت عليها احكام عديدة شرعية فان وجود الدولة العثمانية فى تلك الضائقة المالية وحاجة البلاد الى اسطول يحمى اطرافها وانقباض ايدى الامم عن اقراضها كل ذلك لا ريب يبيح بل يوجب التصرف فى تلك النفائس والآثار الثمينة التى لا معنى لوجودها غير منتفع بها . وحسبنا ان نقتدى فى ذلك بسيد الكائنات رسولنا الأكرم فقد روى مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله يقول لولا ان قومك حديثو عهد بجاهلية اوقال بكفر لا نفقت كنز الكعبة فى سبيل الله ولجعلت بابها الى الارض ولادخلت فيها الحجر .

قال القرطبى غلط من ظن ان المراد بذلك حلية الكعبة وانما اراد الكنز الذى بها وهو ما كان يهدى اليها فيدخر مايزيد عن الحاجه . وقال ابن الجوزى كانوا فى الجاهلية يهدون الى الكعبة المال تعظيما لها فيجتمع فيها

قال الشوكانى (٢) والذى يفهم من هذا انه ما منع الرسول من انفاق فضل مال الكعبة وانما كان رعاية لقلوب قريش وقرب عهدهم بالجاهلية والكفر

وتعليق القناديل من الذهب او الفضة بالكعبة ليس هناك من الاحاديث مايدل على جوازه وان نحن لم نقل بتحريمه فلا اقل من القول بالكراهة فان وضع الاموال التى ينتفع بها اهل الحاجات فى المواضع التى لاينفع الوضع فيها عاجلاً او آجلا مما لا يشك فى كراهته

فضل غلة الاوقاف والجهاد

(سؤال) ماذا تقولون فى فضل غلات الأوقاف تنفق فى سبيل الله كالجهاد وفك الأسارى وهكذا (٣)

(الجواب) جاء فى كتاب الاسعاف فى بيان احكام الاوقاف (٤) لبرهان الدين بن موسى الطرابلسى قوله ولو اجتمع فى غلة وقف على الفقراء او على المسجد الجامع مال ثم ناب الاسلام نائبة بان غلبت جماعة من الكفرة على مكانه فاحتيج فى رفع شرهم الى مال يجوز للحاكم ان يصرف ما كان من غلة المسجد فى ذلك على وجه القرض اذا لم يكن للمسجد حاجة الى ذلك المال يكون دينا . ذكره الشيخ محمد بن الفاضل . ولو كان الوقف على البر والصدقات وفضل شئ يصرفه فى ذلك البر نحو فك الاسارى واعانة الغازى المنقطع انتهى ببعض اختصار

والذى يؤخذ من هذا كما ترى ان مافضل من غلة اوقاف المسلمين اما ان

---

(١) السائل ع . ج . (٢) راجع صفحه ٢٧٦ من الجزء الخامس من نيل الاوطار للشوكانى
(٣) السائل مسلم و الترنسفال والجمعية الملية (٤) راجع باب مايجوز للقيم من التصرف ومالا يجوز

يكون مجتمعا من غلة اوقاف الفقراء والمساجد وعلى هذا يجوز صرفه في الجهاد في سبيل الله دينا على الحكومة المقترضة واما ان يكون وقفا على اوجه البر العامة وهنالك يمكن للامام ان يأذن بصرف الغلة فيما يراه صالحا من وجوه البر والاحسان واى بر ارجح واولى من الجهاد في سبيل الله . لاسيما في هذا الزمان الذى تألب فيه الصليبيون على المسلمين فمحوا عن سطح الارض كل ممالكه حتى لم يبق سوى الدولة العثمانية خلدها الله ورفع بها منار الاسلام . واذا كانت الدولة الآن فيما ترى من الضرورات المالية فاى بر اولى من صرف غلات الاوقاف وغيرها في سبيل تأييدها

هل في الجزاء على العمل مصلحة

(سؤال) يزعم بعض علماء الافرنج ان الدين الاسلامى يأمر بفعل الخير حبا في ثواب الآخرة وينهى عن فعل الشر خوفا من عذابها فهو لا يدعو لعمل الخير حبا في الخير المجرد ويستدلون على ذلك بكثير من الآيات القرآنيه التى اولها ترغيب في عمل الخير وآخرها وعود بمكافآت شتى .

وهم يزعمون ان ذلك كان سببا من اسباب انحطاط المسلمين لانهم اعتادوا عدم الاقدام على اى عمل مفيد لبلادهم ان لم يكن لهم من ورائه فائدة شخصيه من اى نوع فما رأيكم . (١)

(الجواب) من المعلوم ان مراتب العاملين في الاسلام ثلاث فعامل يعمل حذرا من العقاب وطمعا في الثواب . وعامل يعمل حبا في الله تعالى وقصدا الى احراز رضاه فقط لاخوفا من عقاب ولا رجاء في ثواب . والطبقة الثالثة عامل انما يؤدى التكاليف لانها تكاليف فقط فلا رجاء له في شيء ولا خوف له من شيء .

هذه مراتب ثلاث سردها الباحثون في اصول الدين وقواعده . ولا جرم ان افراد العالم الانسانى ليست كلها في منزلة واحدة من العقل والادراك . وقليل من الناس من بلغ الدرجة التى يعقل فيها وجوب العمل للعمل كما تقولون . ولقد يزعم كتاب اوربا وعلماء التربية فيها ان قاعدة التربية والاصلاح بينهم تعويد نابتتهم منذ الحداثة لعمل حبا في العمل والطاعة انقيادا للواجب . كذلك يزعمون ويتبجحون والله يعلم ماذا يعملون . على انه يكفى المنصف ان يشاهد ماذا تفعل الامم الاوروبية بالامم الاخرى مسلميها ويهوديها وبوذييها وبراهمتها فان في ذلك مايدل على حقيقة تربيتهم والتعاليم التى يتلقفونها خلال ايام دراستهم واثناء سنى حياتهم الاولى . وماذا يريد المنصف من الادلة بعد فظائع البلقان ومنكرات المدنية الاوروبية التى كشفت عنها الحروب الحاضرة .

---

(١) السائل الدكتور حافظ عفيفي

على ان الاسلام اذا رغب المسلمين في الثواب الاخروي وحذرهم من عقاب الله فان في ذلك من الفوائد مالا يكاد يدخل تحت حصر . اوما نرى المسلمين كيف بلغ بهم حب الآخرة والطمع في النعيم الخالد ان يستهينوا ويستخفوا بالموت الزؤام حتى ضربت بهم الامثال في الشجاعة والبسالة البالغة حد الاعجاز

اما الخوف من العقوبات الاخروية فانه من ضروريات الحياة الاجتماعية . ذلك ان من الخطايا والآثام مالا يمكن للقوانين الوضعية محاربته وصده ومالا سبيل الى ردع النفوس عن غوايتها بما يسمونه بالتربية الحديثة الاروبية . ولولا مايعتقده الناس من اخبار الآخرة وعقوباتها ومثوباتها ماسلم احد من الخضوع لاحكامها وترويج فاحشتها . فمن تلك الآثام والخطايا الفظيعة الكذب والغيبة والنميمة واشباهها فان هذه الكبائر الفظيعة لولا خوف الناس من العقوبات الاخروية التي شرحتها الاديان للارهاب والتخويف وردع النفوس عن اتيانها لعمت الافراد وافسدت الجماعات وقطعت الاوصال . اما قولهم ان التربية الحديثة المنقطعة عن الارتباط بالاديان والشئون الاخروية كافية في محو تلك الرذائل والكبائر من نفوس البشر فهذا مالا يتجاوز غير الكتب والعبارات اللفظية . اما المشاهدة فقد دلت على ان التربية اذا لم تبن على الدين فهي ضلال مبين

القرآن والجرائد

(سؤال) (١) لاحظت في دار الخلافة الاسلامية وفي جميع الممالك العثمانيه ان الصحف السيارة لاتنشر شيئا من القرآن الكريم او تستشهد بآيات منه حتى تكون عظة للناس وقد بحثت فوجدت ان الحكومة تمنع ذلك منعا باتا ولقد علمت بعدئذ انهم يخافون ان تقع الجريدة في يد غير المسلم فلا يحترمها وربما استعملها في عمل لايجوز وحينئذ فكانه لا يهين القرآن الا أهله . افيدوني هل ما قد رسخ في افكار العثمانيين من هذه الوجهة صحيح مع ان القرآن انزل ليعلمه الناس فيتعظوا بمواعظه وتكون أمثاله عبرة لهم

(الجواب) نعم علمنا ان السبب في تحرج الصحف السيارة عن نشر آيات القرآن هو منع الحكومة العثمانية لها من ذلك للاسباب التي بسطتموها في سؤالكم هذا . والذي نراه ان نشر القرآن في الجرائد من انجع الوسائل لتنوير بصائر المسلمين وتفقيهم في دينهم وتذكيرهم بآداب الله المودعة في كتابه الكريم فانه هو الكتاب الذي انزل ليتدبره الناس فيعملوا بما فيه لا ليوضع في الصناديق ويحفظ في الخزائن . وكلما وقعت المبالغة والاغراق في نشر القرآن الكريم بكل الوسائل الممكنة كان هذا اليق بما وجب على المسلمين من التبليغ المبين وامثل بفريضة الدعوة الصحيحة الى الاسلام .

(١) السائل م . ف

اما الخوف من وقوع تلك الاوراق التى بها القرآن فى ايدى من يهينونها من غير المسلمين فهذا كما ينطبق على الصحف السيارة كذلك ينطبق على المصاحف التى تطبع كل يوم فى كل بلدة اذ فى استطاعة غير المسلمين ان يحصلوا على ماشاؤا منها وان يفعلوا بها ماتسول لهم نفوسهم . اذا يجب ان تكون نيات العاملين فى امثال هذه الاحوال هى مناط تكاليفهم ومبنى احكام معاملاتهم عملا بالحديث المجمع على صحته (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى)

فاذا كانت نية ناشر القرآن فى الصحف السيارة اوغيرها هداية الناس وتبليغهم آياته فهو بذلك مأجور مثاب وان قصد شيئاً مما لا يليق بكرامة القرآن الكريم فان ذلك قد يكون والعياذ بالله كفرا . فعسى ان تبيح الحكومة العثمانية بعد الآن نشر القرآن الكريم فى الصحف قاطبة حتى يتمكن الدعاة من نشر القرآن فى المسلمين لتذكيرهم بآياته الكريمة وهداياته البالغه .

الأحاديث المكذوبه والكتب المشتملة عليها

(سؤال) هل يجوز نشر الكتب المشتملة على الاحاديث المكذوبة او الضعيفة المتعلقة بالمسائل الفنية او العلميه او الظواهر الطبيعية من غير ان تقرن بما يلزم لها من الانتقاد مع ان فى نشرها تضليلا لعقول المفكرين او تنفيرا من الدين لنفوس المسلمين اومجالا فسيحا لطعن الطاعنين من اليهود والنصارى فيكثر بذلك خصوم الاسلام ومحاربوه .

(الجواب) نحن نرى انه يحرم نشر كل ما من شانه ايذاء الشريعة الاسلامية وتنفير النفوس عنها . فالكتب المشتملة على الضلالات والخرافات والاسرائيليات يحرم نشرها واقتناؤها لغير القادرين على الاعتصام من اذاها هذا اذا كانت تذكر تلك الضلالات مجردة دون نقد وتمحيص مثل تفسير الخازن وتنبيه الغافلين واشباههما . وياحبذا لو قام من رجال الفتوى الرسميين من ينقذ الشريعة الاسلامية فيفتى بتحريم نشرها وابتياعها حتى تسلم نفوس النابتة الاسلامية من وساوس الاوهام والشكوك . وقد المعنا الى هذا الموضوع فى التفسير الذى صدرنا به هذا العدد فليرجع اليه فحسب القارئ ما فيه .

مراتب بعض احاديث

(سؤال) ما مراتب الاحاديث الآتية اصحيحة هى ام غير صحيحة (١)

(١) السائل م . ف

(ا) من زار قبرى وجبت له شفاعتى
(ب) ان الله ليؤيد هذا الدين على يد الرجل الفاجر
(حـ) لتفتحن القسطنطينية فلنعم الامير اميرها ولنعم الجيش جيشها
(د) انْ الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما كان (١)

(الجواب) اما الاول فقد رواه البيهقى فى شعب الايمان وعبد الله بن عدى كلاهما عن ابن عمر بسند ضعيف

واما الثانى فقد ورد فى الجامع الصغير بلفظ (ان الله تعالى ليؤيد الاسلام برجال ماهم من أهله) قال المناوى لكونهم كفارا او منافقين او فجارا . رواه الطبرانى عن ابن عمر وبن العاصى . وهو حديث ضعيف .

وقد ورد حديث القسطنطينية المذكور آنفا فى الجامع الصغير مرويا عن الامام احمد فى مسنده والحاكم فى مستدركه كلاهما عن بشر الغنوى باسناد حسن وقد رواه فى الجامع الصغير ايضا بلفظ (اول جيش من امتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم)

والظاهر حمل هذا الحديث على محمد الفاتح وجيوشه لانهم الذين فتحوا بالفعل القسطنطينية وغزوها واما حمله على معاوية اويزيد ابنه فهو غير صحيح لانها لم يفتحاها ولم يغزواها .

اما حديث ان الاسلام بدا غريبا الخ فقد روى عن عثمان بن عبدالله العمانى عن حماد بن سلمة عن محمد بن قيس عن انس . وعثمان بن عبدالله المذكور ضعيف . وورد ايضا من طريق بكر بن سليم المدينى عن ابى حازم عن سهل . وقد سئل ابن معين عن بكر هذا فلم يعرفه .

وقد رواه مسلم وابن ماجه عن ابى هريرة والترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود ورواه ابن ماجه ايضا عن انس بن مالك والطبرانى عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس جميعهم بلفظ (ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء) وقد فسر رسول الله الغرباء فى رواية (٢) بانهم الذين يصلحون ما افسد الناس من بعده من سنته اى ان الذين يعتنون باصلاح ما افسد الناس من السنة يصيرون فيهم كالغرباء كما هو مشاهد فى هذه الايام .

(١) السائل محمد افندى التركى
(٢) راجع صفحه ٢٩٦ من الجزء الاول من شرح السراج المنير على الجامع الصغير

باب الاحاديث الموضوعة

نورد هنا الاحاديث الموضوعة التى ذكرها المفسرون عند تفسير قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك الخ الآيات ليرى القراء ما يتمسك به العلماء فى تفسير كلام الله الذى انزله هدى وبشرى للمؤمنين وليزدادوا تبصرة بما كتبناه فى تفسير الآيات(١) عن ابن عباس انه قال حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن الا نبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لى ذمة وما اخذ يعقوب على بنيه لئن انا حدثتكم عن شئ فعرفتموه لتبايعنى على الاسلام فقالوا ذلك لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا عما شئتم قالوا اخبرنا عن اربع خلال نسألك عنهن. اخبرنا اى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوارة واخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والانثى واخبرنا بهذا النبى الامى الذى فى التوراة ومن وليه من الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم عليكم عهد الله لئن انا انبأتكم لتبايعننى فاعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق فقال نشدتكم بالذى انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من مرضه ليحرمن احب الطعام اليه لحوم الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد عليهم وانشدكم بالله الذى لا اله الا هو الذى انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان ماء الرجل غليظ ابيض وان ماء المرأة رقيق اصفر فايهما علا كان له الولد والشبه باذن الله .قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد وانشدكم بالله الذى انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان هذا النبى الامى تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد قالوا انت الآن. فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك او نفارقك قال فان وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه قالوا فعندها نفارقك ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك قل فما منعكم ان تصدقوه قالوا انه عدونا فانزل الله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل الخ الآيات

وفى رواية شهر بن حوشب بعد ما تقدم قالوا فاخبرنا عن الروح قال فانشدكم بالله وبأيامه عند بنى اسرائيل هل تعلمون انه جبريل وهو الذى يأتينى قالوا اللهم نعم ولكنه عدو لنا وهو ملك انما يأتى بالشدة وسفك الدماء فلولا ذلك اتبعناك فانزل الله قل من كان عدوا لجبريل الخ .

(١) قد حذفنا سند الحديث لطوله فليرجع الى تفسير ابن كثير والطبرى من اراد الوقوف عليه .

وفى رواية اخرى، عن ابن عباس من طريق آخر قال اقبلت يهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا عن خمسة اشياء فان انبأتنا بهن عرفنا انك نبى واتبعناك فاخذ عليهم ما اخذ اسرائيل على بنيه اذ قال والله على ما نقول وكيل . قال هاتوا. قالوا فاخبرنا عن علامة النبى قال تنام عيناه ولا ينام قلبه ثم سألوه عن ماء الرجل والمرأة وما حرمه اسرائيل عن نفسه فاجابهم بمثل ما تقدم فى الرواية الاولى قالوا اخبرنا ما هذا الرعد قال ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيديه اوفى يديه مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث امره الله تعالى قالوا فما هذا الصوت الذى نسمع قال صوته قالوا صدقت. قالوا بقيت واحدة وهى التى نتابعك ان اخبرتنا بها. انه ليس من نبى الا وله ملك يأتيه بالخبر فاخبرنا من يصاحبك قال جبريل عليه السلام قالوا جبريل ذلك الذى ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان فانزل الله قل من كان الخ الآيه وفى رواية عن انس بن مالك قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ارض يخترف فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى. ما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه والى امه قال اخبرنى بهذه جبريل آنفا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك واما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت قال اشهد الا اله الا الله وانك رسول الله. يارسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامى قبل ان تسألهم بهتونى فجاءت اليهود فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى رجل عبد الله بن سلام فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال أرأيتم ان اسلم قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد الا لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالو شرنا وابن شرنا

وفى رواية ان الآيات نزلت من اجل مناظرة جرت بين اليهود وبين عمر ابن الخطاب فى امر النبى صلى الله عليه وسلم . عن الشعبى قال نزل عمر الروحاء فرأى رجالا يبتدرون احجارا يصلون اليها فقال ما بال هؤلاء قال يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى هاهنا قال فكفر ذلك وقال ايما رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركته الصلاة بواد صلاها ثم ارتحل فتركه ثم انشأ يحدثهم فقال كنت اشهد اليهود يوم مدراسهم فاعجب من التوراة كيف تصدق القرآن

ومن القرآن كيف يصدق التوراة فبينما انا عندهم ذات يوم قالوا يابن الخطاب مامن اصحابك احد احب الينا منك قلت ولم ذلك قالوا لانك تغشانا وتأتينا فقلت انى آتيكم فاعجب من القرآن كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق القرآن قالوا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يابن الخطاب ذلك صاحبكم فالحق به قال فقلت لهم عند ذلك انشدتكم بالله الذى لا اله الا هو وما استرعاكم من حقه وما استودعكم من كتابه هل تعلمون انه رسول الله قال فسكتوا فقال لهم عالمهم وكبيرهم انه قد غلظ عليكم فأجيبوه قالوا فأنت عالمنا وكبيرنا فأجبه انت قال اما اذا انشدتنا بما انشدتنا فأنا نعلم انه رسول الله. قلت ويحكم اذا هلكتم قالوا انا لم نهلك قلت كيف ذلك وانتم تعلمون انه رسول الله ولا تتبعونه ولا تصدقونه قالوا ان لنا عدوا من الملائكة وسلما من الملائكة وانه قرن بنبوته عدونا من الملائكة قلت ومن عدوكم ومن سلمكم قالوا عدونا جبريل وسلمنا مكائيل قال قلت وما منزلتهما من ربهما قالوا احدهما عن يمينه والآخر عن يساره قال فقلت فوا الذى لا اله الا هو انهما والذى بينهما العدو ان لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما وماينبغى لجبريل ان يسالم عدو ميكائيل وماينبغى لميكائيل ان يسالم عدو جبريل قال ثم قمت فاتبعت النبى صلى الله عليه وسلم فلحقته وهو خارج من خوخة لبنى فلان فقال يا ابن الخطاب الا اقرئك آيات نزلن قبل فقرأ على من كان عدوا الآية قال قلت بابى وامى يارسول الله والذى بعثك بالحق لقد جئت وانا اريد ان اخبرك وانا اسمع اللطيف الخبير فسبقنى اليك بالخبر وفى رواية عن عبدالرحمن بن ابى ليلى ان يهوديا لقى عمر بن الخطاب فقال ان جبرائيل الذى يذكره صاحبكم عدونا فقال عمر (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) قال فنزلت على لسان عمر (١)

وهذه الروايات ان صحت نسبتها الى نفر من الصحابة فانه كان الغرض حكاية ما كان متداولا بين ثابتا عند اليهود

العالم الاسلامي

غزان

مستقبل الدولة العليه وأوروبا

اتضح من الحرب البلقانية ان اليونان والبلغار والصرب والجبل الاسود قد اتفقوا على اختلاف مذاهبهم وديانتهم فى هذه الحرب فكانوا يدا واحدة ولقد اظهرت لهم هذه الحرب انه مادامت حكومة من حكومات البلقان مظاهرة للدولة

تفسير ابن كثير صفحة ٢٢٨ ـ (٢) راجع ما كتبناه فى تفسير الآيات وبينا بدرجة

العلية اومصافية لها فهم لاينالون مآربهم ولا يتمكنون من التشفى منها .

ولقد تبين ان انفصال رومانيا خصوصا عن دول الاتحاد البلقانى مما يزعزع اركانه ولا يمكنه من التوصل الى مأربه ولما اشتدت الحالة بين رومانيا وبلغاريا فى الايام الاخيرة كانت البلغار فى حيرة شديدة وبالطبع وجب عليها الا يكون كل جيشها موجها الى تركيا فانها اعدت جانبا منه على حدودها المتاخمة لرومانيا خوفا من انه فى يوم ماتنشب الحرب بينهما وهذا مما لاشك فى انه يضعف قوة البلغاريين ازاء تركيا ولا يمكنها من حشد جميع جنودها على حدود الدولة. ان مركز رومانيا الحالى وبقاءها مصافية للدولة العليه مما يزعزع قوة الاتحاد البلقانى والامم السلافيه خصوصا الصرب والبلغار واذاقدر عدم وقوع تحالف بين رومانيا وتركيا فأن اقرب النتائج ان تكون رومانيا مجازا بين الدولة العلية والمانيا وهو الأمر الذى ليس يخاف منه الاتحاد البلقانى فقط بل الائتلاف المثلث كذلك لأنهم لا يودون ان يكون بين الدولةالعلية والمانيا حلقة اتصال بل ان جل قصدهم ان تكون منعزلة وحدها .

ويحق لحكومات البلقان المتفقة ان يخفن من عزلة رومانيا عنهن اكثر مما يخفن من النمسا ذلك ان النمسا لها مطامع كثيرة فى اراضى الدولة .

فحكومات البلقان لا يتوقعن ان تتفق النمسا وتركيا اتفاقا يضر بمصالحهن الحيوية .

فهم يريدون الآن الا يكون من بين حكومات البلقان ما يظاهر الدولة العلية او يصافيها فقامت البلغار الآن تصرح بلسان احد وزرائها انها ستعمل كل مافى وسعها لقبول كل مايمكن قبوله من طلبات رومانيافاننا نرى فى الكتاب الذى ارسله المسيو دانف الى الطان كيف اضطرت بلغاريا ان تترك سياسة الشدة مع رومانيا ورفض اغلب مطالبها فالآن تنازلت وستجيب اكثر مطالبها وذلك ان رومانيا طلبت تعديل التخوم واجراء التضمينات اللازمة وهى تعدان فى اجابة هذه التضمينات سيكون اخلص مودة بين الجارتين . فماذا كان جواب بلغاريا بعد عودتها الى سياسة اللين واستمالة رومانيا اليها ؟ كان الجواب

(ان هذه الصداقة نحبها ونودها) كذلك كان الامر منا فلقد وعدنا بأن نرفع هذه القلاع لانها ليست ذات اهمية كبرى وهى تحد بجانب سيلستريا .

ومن جهة اخرى قد منحنا رومانيا المقاطعة التى على هيئة زاويتين رؤوسها فى حدود رومانيا وتمتد الى على شاطىء البحر الى جنوب ميناء رومانيا وهى

(ماتجاليا) التي تبعـد بمقدار اربعـة اميال من حدودنا ولذلك فهي تكاد تصلح ان تكون ثغرا بحريا .

اما مسألة الحدود فهي تحصر في نقطتين محدودتين الأولى : انه بالنسبة لسلستريا تلك البلدة التي يبلغ عدد سـكانها ٢٠٠٠٠ نفس لايمكننا ان نتنازل عنهـا لأنهاالمركز المتمدين واحوالها الميسـورة يندر وجود مثلهـا في في مملكتنا .

الثانية — تعيين النقطه التي ستمس بها الحدود بحرا فهذه قدتكون اذا لم يلحق ثغرنا العظيم (وارنه) اى ضرر بجانبها .

وفي النهاية قد قبلنا جميع طلبات رومانيا بالنسـبة الى كاتولكس بمقدونيا وهذه هيالنقطة الرئيسيه ونحن نوافق على اعطاء مدارس وكنائس كاتسودلكس الحرية في استعمال اللغة والاستقلال في الاداره حتى اننا لنوافق مع اعتبارها في جملة حدودنا ان تدار شئونها بأموال الحكومة الرومانية .

اننا نؤمل ان يسهل الطريق لأن تتولد الوطنية من جديد وهيالتيستكون (وطنية البلقان العامة)

ضحايا المدنية المسيحية

في القرن العشرين

مظالم البلغار فيجتالجه

جاء بجريدة ترجمـان حقيقت بتاريخ ١٣ فبراير سـنه ٩١٣ تحت العنوان السابق مايأتي :

جاء اليوم من جتـالجه اخبار خصـوصيه موثوقه تفيد ان البلغار في هذه القطعة قد اعادوا صفحات مظالمهم الجديدة فلقد احرقوا جميع القرى بما فيها من اهلها المسلمين بخلاف جيرانهم الصليبيين فهم منعمون لم تمسهم يد تلك المظالم بسوء وحين وصلت العسـاكر العثمانيه الى القصـبة (جتالجه من ثلاثه ايام مضت صادفوا هذه الفاجعات المحزنه والاعمال الوحشية .

ولقد رأوا ان البلغار قداتخذوا الجوامع الشريفة اصطبلات لخيولهم وكذلك لوثوا المقابر الاسلامية كما وجدوا منازل المسلمين قد خربت والعائلات مشتتة ومضطربة واطفالهم الرضع قد اعدموا فيالهذه الفظاظة والغلظة .

ومما جاء بجريدة البلاغ البيروتيه ما يأتي

ذبح المسلمين فى البانيا — تأكد ان الجنرال الصربى استفان توتش قد اصدر امرا الى جنوده باطلاق المدافع على قسم عظيم من المسلمين وقد تم هذا الآمر بسهولة دون ان يصادف هؤلاء الجناة زاجرا يصدهم عن هذه الأمور الفظيعه وقد قتل الجنرال زركو فيش ايضا الفى نفس من الالبانيين المسلمين بالقرب من سيمتكه

اما الفظائع فى مقدونيا فكثيرة اهمها تشكيل لجان ثوريه بلغاريه غايتها الاغارة على احياء المسلمين والفتك بهم وقد نكل هؤلاء بالمقدونيين الذين اعتنقوا الاسلام منذ الفتح التركى تنكيلا هائلا ولم يكتف الجنرال الصربى جانكوفيش فى خلال اغارته على الساحل الادرياتكى بذبح الالبانيين المسلمين بل تعدى



كيف يفعل البلغار بالمسلمين

ذلك الى عمل ماهو اشـد هولا على النفوس من القتل والتنكيل وهو القـاء النساء المسلمات وهن احياء فى النار المضطرمة الملتهبة

التجأ الصربيـون الى كل هذه الرذائل وفعل مالا تنطبق عليه الانسـانيه ولا التمدن حين سمعوا الكهنة قد صرحوا بان من الواجب الا يبقى مسلم حتى تتوفر اسباب الراحة فى المستقبل للبلقانيين

وقد كان القتل فى (برشتنة) عاما ولم يترك الصربيـون مزارعا الاقتلوه ولا حقلا نضرا الا احرقوه وحين كان الأهلون يتركون المنـازل فرارا من هول ما ينظرون تتبعهم الجنود وتصليهم النيران الحـاميه . اما الاطفـال فكانت تذبح امام امهاتهن والشيوخ تقص شعورهم البيضاء ثم تمزق صدورهم بأسـنة الحراب .

ولقد هتك الصربيون فى ليلة واحدة كرامة ٣٥٠ عذراء من الفتيات المسلمات امام الآباء الذين كانوا يشكون هذه الفظائع وقلوبهم تتلظى بنيران اليأس والقنوط. اما جثث المسلمين فكانت مكدسة فى الشوراع وقد تراكم حولها جمهور من لنساء يندبن باصوات تذيب القلوب وصادف ان شقيا بلغاريا اطلق رصاصة مسدسه على مسلم فأخطأه واصاب روميا أرداه قتيلا للحال فهاج المسـيحيون على أثر ذلك وتسلحوا بكل سلاح من شأنه ان يودى بالانفس واعملوا المذابح بالمسلمين ولقدزادهم بغيا وعتوا على عتوهم وبغيهم حث المطران اذكان يحضهم على اضطراد هذا العمل دون ان يخلو ابأمر ما .

اما ماكان فى (برانا) فأن الجبليين قد فتكوا بالمسـلمين فتكا ذريعا وكانت نساؤهم تدخل البيوت الاسلامية وتنهب مافيها حتى اضطر اكثرهم الى المهاجرة الى اشقودره .

وقد نشرت جريدة منتاع زيتنع كتابا ارسلت به سيدة نمسويه فى قوله الى اخيها فى فينا اليك خلاصته. دخل المدينة قوله منذ شهر خمسة لصوص اوبالحرى خمسه من انصار عصابات الاشقيـاء المأجورين بأموال الحكومة البلغارية فأسروا حاكم المدينه واعلنوا على رؤوس الاشهاد ان المدينة اصبحت بلغاريه . وماكاد الاروام من المدينه يسمعون هذه الاقوال حتى هتفوا بسرور وابتهاج واقاموا مظاهر الافراح وانضموا الى اللصوص وصاروا يتصرفون ويعملون كالذين خولطوا بعقلهم وبعد ظهر ذلك اليوم قدم ٣٠ شخصا من الاشـقياء البلغاريين وكرروا ماقاله زملاؤهم بان المدينة اصبحت تحت حكم بلغاريافخف الاروام الى استقبالهم مع الاسقف اليونانى وكانت النساء الروميات تضع الازهار والرياحين على بنادق

الاشقياء ونواقيس الكنائس تدق وتلألأت انوار الزينة فى المساء فى كل الاحياء الرومية

ولما كان اليوم الثانى اخذ البلغاريون يرتكبون الفظائع ويطاردون العثمانيين مطاردة الصياد لقنيصته لا لذنب اقترفوه بل لانهم مسلمون . فألقوا القبض على كثير من المسلمين والاعيان وغيرهم وزجوهم فى السجن واستعانوا لارتكاب هذه الموبقات باثنين من الارمن وستدهش الامم المتمدنة (!!!) من صدور مثل هذه الفظائع الهائلة فى القرن العشرين من قوم مسيحيين وكان البلغاريون يسوقون المسجونين المسلمين فى نصف الليل ويشدون وثاقهم وبعد ان يذيقوهم العذاب الوانا واشكالا يعملون فيهم سيوفهم وأسنة حرابهم ويطلقون النيران عليهم فيقضون عليهم القضاء المبرم وكانوا لايحترمون الشيوخ ولا الاطفال ولاالنساء بل يقتلون الجميع بلاشفقة ولا انسانية ومن ذلك انهم قتلوا اول ليلة فى قوله ٣٩ ثم ثانى ليلة ٥٠ شخصا مسلما وهكذا حتى بلغ عدد الذين قتلوهم فى قوله وحدها ١١٥ شخصا

اما فى سيروز الواقعه على مقربة من قوله فقد اعطى احد القواد البلغاريين جيشه مهلة ٢٤ ساعة للفتك بالمسلمين وعلى ذلك صار البلغاريون يقتلون المسلمين حتى قتلوا ١٢٠٠ مسلم

وقد حصلت فى بلدة (كرنسق) فظائع يرتجف القلم من تسطيرها وتقشعر الابدان من ذكراها وذلك ان مسلمى هذه البلدة لجؤا الى المساجد فاقتفى البلغاريون أثرها وهناك مثلوا بهم ومزقوهم تمزيقا . وكانوا يرتكبون كل هذه الاعمال بأسم الصليب ويدعون تمجيد فاطر السموات جل شأنه . وختموا مساوئهم فى هذه المدينة فقطعوا رأس احد الاغنياء من المسلمين وعلقوه فى مكان مرتفع ووضعوا فى فمه مبسما

اما فى مدينة (شريسبان) فقد اباد البلغاريون كل المسلمين برمتهم ثم عكفوا على اليهود فالقوا القبض على الاغنياء وعذبوهم عذابا شديدا ولم يطلقوا سراحهم الا بعد ان قبضوا منهم ١١٠٠٠ جنيه

ونشر الجرنال (ذى بودابست هرلاب) مقالة مسهبة بها تفصيلات جديدة عن الفظائع البلقانية فقال :

كل العالم عرف ان مؤتمر الصلح بلندن قد فحص كل امر ألا أولئك

الألوف من الرجال والنساء والاطفال الذين ذبحوا وهتكوا وصلبوا وقذفوا فى النار احياء من غير مسوغ شرعى ولا مبرر لذلك العمل . ولم يوجد فى اوروبا المتحضرة فرد فكر فى تلك القرى والبلدان التى احرقت والمدن التى دمرت .

ثم استشهد الكاتب بتفصيلات جديدة اخذها من منبع رسمى موثوق به قسمها كما يأتى .

(اولا ذبح الصرب للالبانيين) ان المسجونين من الالبانيين قد عذبوا عذابا شديدا ثم بعد ذلك دفنوا وهم احياء . ولقد قال سكرتير قنصلنا فى ميتروفتيشا (دادونج فون تاهى) انه رأى بعينى رأسه الصربيين وهم يذبحون الالبان جماعات جماعات ثم يرفسون جثثهم الهامدة الميتة باقدامهم . وفى اثناء قتل الالبانيين فى (برزرند) رأى هو ايضا ان عساكر الصرب يجرون الاطفال الصغيرة فى الشوارع ويرتكبون الفظاعة معهم علنا وان البنات الصغار والنساء كن فى فى شدة الرعب والخوف وكن مجتمعات فى حوش القنصلية النمسوية فى (برزرند) وقد حدث فى اسكوب وكيمانوفاوقل ان العساكر العثمانيه الذين تمكن منهم الصربيون قد قطعت رقابهم بينما كانت النساء والاطفال البريئة تقتل امام اعين قنصلنا هناك وناهيك بالمئات من الجثث التى شاهدناها طافية فى نهر الفاردار حين كانت تقتل العساكر العثمانية المسجونة فى طريقها الى بلغراد وينش .

ثانيا (فظائع البلغاريين) ان ما ذبح فى ولاية سلانيك من النفوس البريئة الموحدة بالله على يد البلغاريين ينيف على النصف ولقد نجا نحو من ٥٠٠٠٠ رجل مسلم لاعتناقهم الدين الكاثوليكى كما انه حدث هذا الفعل نفسه فى ولاية بتريس وميلق وديمرحصار ومسترامينزاوعثمانجه وسيريس . واما الاتراك فى هذه الجهات فقد الزموا بالانشقاق عن تركيا وقبول التبعية البلغاريه .

واما فى راد وفستاوفى (افرا زيسار) فلم يبق مسلم واحد حيا . ولقد دفن نحو من خمسة آلاف امرأة احياء بأمر رئيس الفرقة (ساندانسكى) وكن قد اتخذن الجوامع الشريفة حصنا لهن بجوار سيريس ويمكن ان يرى من هذه الجثث تحت هدم جوامع تيتوقار رفيترن التى دمرت بالنار . واستمر ذبح الآدميين فى ستاندشاه عشرين يوما فنهم ٩٦٠ مسلما قتلوا عمدا فى الوقت الذى كان فيه البلغاريون يذبحون ٢٠٠ مسلم فى (تواران) و٩٠ رجلا فى القرية الصغيرة .

ثم ان السكان الاتراك فى (كرباسابالا والوزير وفيستيليذى وبولناس) اجبروا ان يتدينوا بالدين المسيحى . اما ما ارتكب من النهب والسلب وانواع السرقات

فكثير جدا حتى ان (شاتنو بيف) رئيس فرقة اللصوص امكنه ان يحصل على مبلغ مليونين كرون فى ايام قليلة وستصير هذه اللصوص اغنى الناس فى البلقان وفى جوار (قوله) وفى البلد نفسها ارتكب البلغاريون فظائع مخيفة فسجنوا ستة واربعين رجلا من كبار الاتراك الوطنيين بينهم اديب بك الذى جرد ثم ضرب بعيار نارى وكذلك حدث لكثير من اليهود شىء من ذلك القتل والنهب

ثالثا (فظائع اليونان)

ان السائح من سالونيك الى خلورينا يرى المئات من الجثث الهامدة على جانبى خط السكة الحديد فينظر رجالا طاعنين فى السن قد قطعت آذانهم ثم جثث النساء اللاتى اخرجت اعينهن ثم جثث النساء اللاتى علقت من شعورهن .

وبعد ذلك بقليل ترى اجسام الشبان الهامدة المنفصلة عنها الرءوس وكذلك تنظر الاطفال الصغيرة مقتولة بين اذرع امهاتهن .

واما فى مدلى فقد نتفوا ذقن الشيخ شارليشاو وضربوه حتى خر على الارض صريعا ميتا من فوره

وكذلك احرقت منازل المسلمين فيها كما ان سكان بوليونت وكولونيا قد اسروا وسجنوا فى مدلى ذلك حصل فى الوقت الذى اجبرت فيه السيدات المسلمات ان يمشين فى الشوارع عرايا لالباس ولا رداء عليهن .

ثم ان كاهنا يونانيا قتل حسن بك وثلاثة من رفقائه بيديه. ولقد حصل مثل هذه الفظائع الوحشية فى جزيرة طشيوز وغيرها مما يجعل كل مسلم فى هم وغم نيامن توقع ما قد يصيبه من الرزايا والبلايا اذا ما تحكمت فيه يوما ما احدى الامم الصليبيه ،

وجاء بجريدة طنين بتاريخ ٢٧ فبراير سنه ٦١٣ ما يأتى حضر الينا نفر من دده اغاج يقول ان البلغاريين فى ناحية (قره جك) قبل ستة ايام قتلوا ثمانية عشر رجلا من مهاجرى المسلمين ولم يقتصروا على هذه الفظاعة بل انهم كانوا يمتهنون كرامة كل فتاة جاوزت الاثنتى عشرة سنه

وجاء الى طنين من محمد نظمى بك مأمور الديون العموميه فى صارى شعبان مكتوب بين فيه مظالم البلغاريين فى تلك القصبة فقال

استولت عصابة من اشقياء البلغار على القرية يوم الجمعة ثانى يوم من تشرين الثانى وفى اليوم الثانى مربا لقرية ثمانمائة نفر قاصدين جهة اسكجه ، فبقى فى المدينة

جاوداروف وفاوالاروف بديوان الاحكام بصورة ظالمة للغاية وعندما احتلت البلغار على القصبة نشرت امراً بينت فيه المحافظه على حرية الاهالى ورجتهم ان يسلموا الاسلحة فامتثلوا الامر وسلموا السلاح ، وفى الحقيقة بقينا ثلاثة ايام او اربعة فى كال الحرية ، ولكن فى سابع يوم اى فى يوم الاربعاء سيق المأمورون والاهالى الى مركز الحكومة تحت السلاح ، فاو دعنا السجن واردنا ان نفهم السبب فتساءلنا علنا نفهم بعض الحقائق فلم يزد الامر الا غموضا وبعد ان تركنا فى الحبس اربعا وعشرين ساعة تكرموا علينا بقليل من الخبز فقط وفى اليوم الثانى اتانا بيكباشى فبشرنا ان سبب حبسنا كان للتحرى عن السلاح وسيخلى سبيلنا بعد يوم اواثنين ، فسررنا بهذا التبشير لانه لم يكن حبسنا فى داخل القصبة الصغيرة فأن احمد افندى احد الاشراف ومعه ثلاثة انفار بقوا فى بيت محرومين من الحرية، كمحصورين، اما نحن المأمورين والاهالى فأننا كنا متفكرين فى شئوننا اكثر من الضغط على حريتنا داخل الحبس ، ولسوء الحظ لم يكن سرورنا ببشارة الخلاص الا ساعة تقريباً فقد اتى البكباشى وجاوداروف الى الحبس ، وابتدا فى التحرى فوجدا بين التين صندوقين ممتلئين بالآلات النارية فلذلك اخبرونا بأننا سنموت جميعاً صلباً . وماكان وجود هذه الآلات النارية داخل المحبس الاحيلة مفتعلة مدبرة لاعدامنا اذلا يتصوران احدا منا يقدر على جلب هذه الآلات النارية الكبيرة وردمها تحت التين باى صورة كانت ، ولكن لمن نشتكى ؟ وليتهم اكتفوا باعدام الاشخاص الذين وجدوا فى دارهم الآلات النارية ، بل انهم جعلوا هذه وسيلة لاعدام العنصر الاسلامى الموجود فى تلك القصبة فلاحول ولا . . . .

وفى تلك الليلة لم يستحيوا من امضاء قرار الاعدام ، فقد قضينا تلك الليلة والتى بعدها لاهم لنا سوى التفكر فى كيف يكون اعدامنا ؛ ثم اتت الليلة الثالثة وأتى فيها ذلك الظالم الذى ارتكب الجنايات العظيمة مع فئة من العساكر المسلمين فقرا ورقة حاوية لاسماء احد عشر شخصاً من رفقائنا فذهبوا بهم ونحن عالمون مصير هؤلاء المساكين ، فشرد ذلك عن اعيننا النوم حتى لم يغمض لنا فى تلك الليلة جفن وقد اتونا فى اليوم التالى بغية اقناعنا بأن اخذ رفقائنا امس كان لأجل ارسالهم الى قوله فهل يصدق ذلك ياترى ؟ ثم بقينا ثلاثة ايام اخرى بين الحياة والموت ، حتى اقبلت الليلة السابعة فأتى ذلك الظالم وبيده ورقة ففضها وقرأ اسماء ثلاثة عشر شخصا آخرين فأخذهم الى المذبح ايضاً ، ثم صاروا كل ثلاثة ايام اواربعة يأتون السجن ويأخذون مناعشرة اواكثر حتى اعدم منا اربعون شخصاً وكانوا عندما يذهبون بهؤلاء المساكين يربطونهم من ايديهم ثلاثاً ويذهبون بهم الى محل بعيد

عن المدينه مسيرة ربع ساعة يقال له « تحت التين » فبعد موتهم بالرصاص يقع ارتكاب افحش الفظائع معهم وكانت هذه الأخبار تجيئنا يومياً ، فجعلنا ننتظر خبر الشهادة دقيقة بعد اخرى وفى الليلة التاسعة عشرة اتانا يوزباشى بلغارى ومعه مدير مالى يدعى بانقو فخلصونا من شرهؤلاء البغاة لاننا بقينا عشرة بعد ان كنا خمسين وقد بقى رفاة الشهداء على الثرى اياما عديدة ولما وصل الخبر الى الاجانب الموجودين هنـاك والى لوردين من انكلترا جاءا لهذه الغاية وتوجها لمحل الحادثة وشاهدوا رفاة الشهداء امام اعينهم . وجميع السلب والنهب الذى كان وقع فى تلك القصبة لأن البلغاريين استفادوا من حبسـنا فهجموا على بيوتنا وسـلبوا جميع ماصادفوه بعد يومين اوثلاثة اتى قنصل انكلترا فى سـلانيك ومعه مأمورون لهذه الغاية فشاهدوا جميع ماحصل فتيقظ البلغار من هذه الزيارات المتتابعة ، وعلى اثرها اتى قائمقام قوله البلغارى واعطى التنبيهات اللازمة ، وبعد ذهابه دفنوا هؤلاء الشهداء فى مزرعة قريبة من المدينه فاتى جماعة من البلغار وغرسـوا الارض المدفون فيها اجسام هؤلاء الشـهداء ، فماذنبهم ياترى ؟ ماذا قصد هؤلاء الخائنون سوى محو العنصر الاسلامى حتى انهم عندما استولوا على المدينة حولوا الجوامع كنائس وافهموا الاهالى انه لم تبق حاجة لهذه الجوامع ، وهاهى اسماء الشهداء فى تلك الحادثة

على رضا وكيل القائمقام واحد مأمورى المعية ، محمد نعمت كاتب التحريرات ، محمد توفيق معاون المدعى العمومى ، حسن وراشد من اعضاء المحكمة ، عمر المستنطق ، احمد كاتب الضبط ، نائذ طاهر دوقتور البلديه ، حسين وهبى كاتب البلدية ، محمد وعزت من الجباة ، محمد من جباة البنك ، شعبان ونورى من معلمى الرشدية ، مصطفى چاويش مباشر المحكمة ، رفعت ويوسف وتحسين وجمال من وكلاء الدعاوى ، صفوت بك والبقال رجب اغا وشريكه رضا من اشراف المدينـه ، نعلبند رجب ، راسم القهوجى ، حسـن المهـاجر ، محمد امام انجكز ، حسـين واحمد حمدى من خدمة الحكومة ، حاجى رفيق ، عبدى وولده حسين من مأمورى الأحراش ، على من ادارة الريجى ، الحلاق شريف وخمسة لم اعرف اسماءهم

صورة البطل الكبير رؤف بك
قومندان الدراعة حميديه



تحيي رؤف جميع القلوب وتدعو له سائر الالسنه
تصدى يعلم يونان كيف تكون الشجاعة والهيمنه
وسارت سفينتـه فذة ولكنما الله فى الميمنه
فخاض البحار يقيم منار جلال الخلافة لا القرصنه
وجاء رؤف من المعجزات ما تمنح الانفس المؤمنه

ولد هذا البطل الشهم فى جهة سليمانيه (بالاستانه) ثم سافر الى طرابلس الغرب حيث بدأ دراسته هناك باللغة التركيـة ثم انتظم فى سلك المدرسة البحرية . وقدكان نجيبـا ذكيا حتى انه تخرج فى المدرسـة وهو يبلغ من العمر الثامنة عشرة ثم اخذ يتمرن بتسيير السفن ثم نقل الى الدارعة (عبدالحميد) ثم الى (عبدالمجيد) وقد تعلم الايطاليه والانجليزية واجادهما وهو الآن ملم باللغة العربية والفرنسيه ثم قائدا للدارعة (بيك شوكت) وهو الذى اخذ الهيـاج فى سيسـام عام ٣٢٤ وعين بعد ذلك قائدا الحميديه فكان يظهر فى كل مناورة بحرية مهارة يحرز فيها الدرجة

الأولى . ولما قامت الثورة فى اليمن ذهب فى صحبة عزت باشا وحضر احتفال تتويج ملك انجلترا فيض وجه البحرية العثمانية . ولطالما تمكن هذا البطل من امداد اهالى طرابلس بالاسلحة والذخائر ولم يعبأ بالاسطول الايطالى

وقد بلغ الآن من العمر اثنين وثلاثين عاما وكان ابوه من مستشارى المجلس البحرى وهو الفريق محمد مظفر باشا. تلك صفحة من تاريخ ذلك القائد البحرى الهمام الذى ادخل السرور والفرح فى قلب كل مسلم بشجاعته واقدامه واعماله الجليله . ادام الله حياتك يارؤوف ماعشت تريد بالاسلام والمسلمين والامبراطورية العثمانية خيرا .

الدارعة حميدية

لما حدث للدارعة حميديه هذه الايام من الانتصارات الباهرة آثرنا ان نأتى بقذلكة من تاريخها المجيد. هذه الدارعة التى اصبح ذكرها العاطر منتشرا فى كل المدن والامصار طرادة مصفحة ابتاعتها الحكومة الحميدية من امريكا فى عام ١٩٠٤ وحينما جئ بها من القارة الامريكية حدثت لها حادثة يحسن بنا ان نوردها هنا ليعلم الملأ الاسلامى ما لهذه الباخرة الاسلامية من المنزلة السامية فى نفوس المسلمين الذين زارت ثغورهم

فى احدى العشيات بينما كان اهل الجزائر كدأبهم يرقبون عودة العثمانيين ببواخرهم الحربية التى تشق عباب تلك الصحيفة اللازوردية اذا بهم يرون نكتة سودا فى عرض البحر حتى اذا ما استقرت لديها نظراتهم ادركوا انها باخرة . فشدما خفقت قلوبهم بين حنايا ضلوعهم. وسرعان ماجرت عبرات السرور فى مآقيهم ولكن لما ذا؟ هذا سر اودعته الطبيعة فى النفوس البشرية ، ولاسيما تلك النفوس الحساسة التى برحت بها آلام الذل والشقاء . فهى تشعر بافراحها واتراحها قبل نزول الهناء او حلول العناء . كذلك كان الامر لدى اخواننا الجزائريين فقد الهموا السرور عند رؤيتهم تلك الباخرة وطارت نفوسهم سراعاً اليها كما تطير فراخ الطير الى امهاتها لاول مرة ينبت فيها الريش .

ولم تمض سوى عدة دقائق حتى تمثلت الباخرة بوضوح للابصار الشاخصة اليها واذابها رافعة فوق ساريتها العلم العثمانى . افرايت الماء الشبم الزلال كيف يبترد به الظمآن فى لافح الهجير ؟ كذلك كان شان الجزائريين من الراحة والحبور !

شاع ذلك النبأ فى القسم الوطنى من الثغر فلم يبق من عجوز ولا من ابيض ولا من اسود الا اندفع الى الشاطئ اندفاع الامواج الكبيرة اليه .

ومضت اول ليلة على هذا الفريق من المسلمين وهم لاتغمض لهم اجفان من شدة الابتهاج .

وفى اليوم التالى لم يبق حمال ولا حوذى ولا ماسح احذية ولا بائع الا كان فى زورق حول تلك الباخرة الحربية العثمانية التى يرفرف فوقها العلم العثمانى الاسلامى ، علم الهلال المحبوب فتخفق حوله الوف القلوب . ولقد ملأ الاهالى هذه الباخرة بتحفهم وهداياهم الجميلة النفيسة مابين مآكل مختلفة الانواع ومشارب سائغة لذيذة وفوا كه وسواها من كل ما يطيب ويلذ .

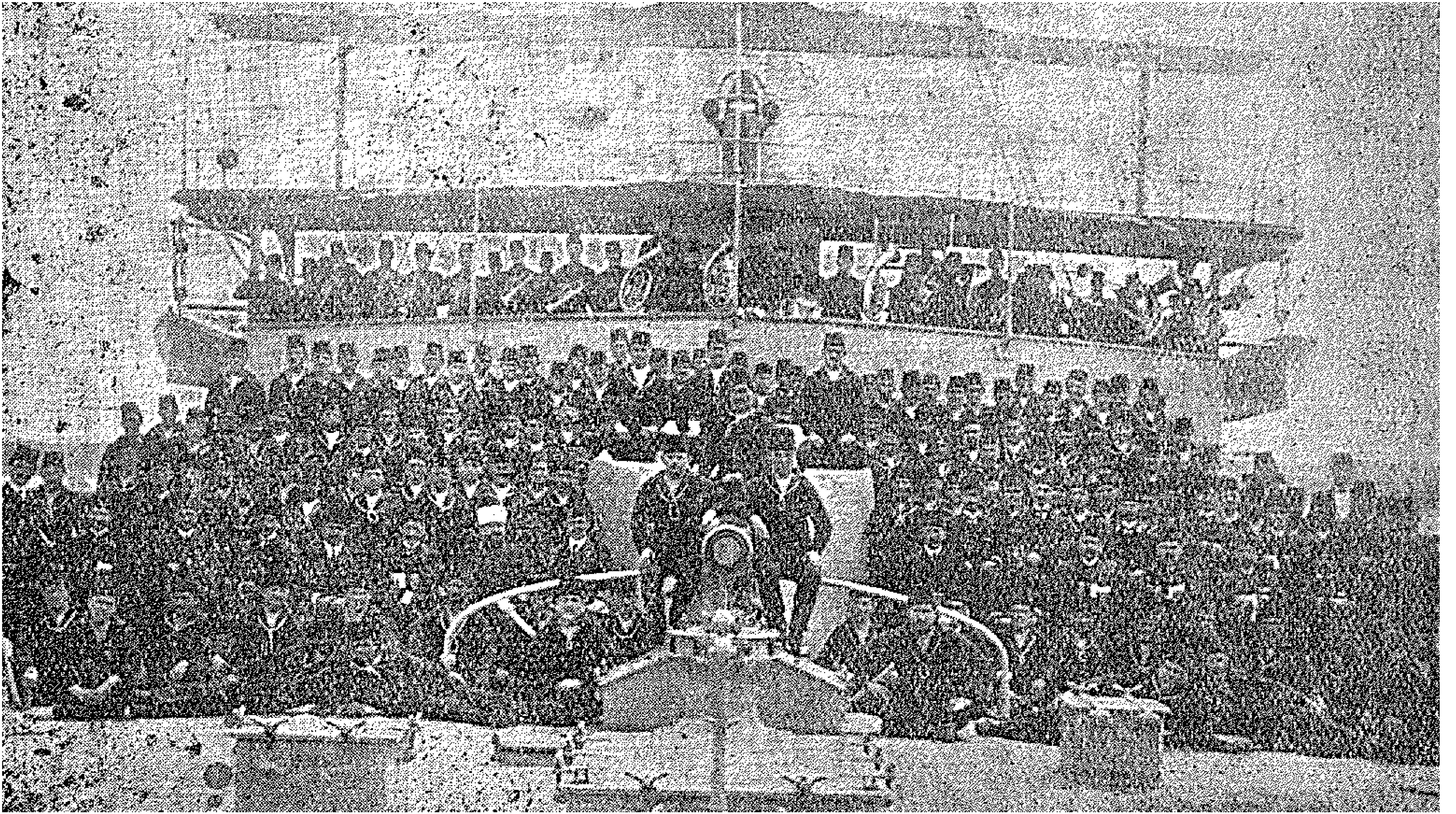
اما هذه الباخرة فهى الطرادة حميدية التى كانت قادمة من القارة الامريكية ولقد كان يقودها ربان جمع بين المهارة فى فنه والحذق فى السياسة فرأى الا يفلت هذه الفرصة الثمينة فيعرج على هذا الثغر الاسلامى ويدخل السرور على ابناء المسلمين بافهامهم انهم لايزالون مرتسمين فى ضمير كل عثمانى ذى وجدان شريف.

انتهز ذلك الربان البارع هذه الفرصة وعرج على الجزائر بدون استئذان من الحكومة الفرنسية ولا من حاكم المستعمرة الجزائرية . فلما بوغت الحاكم بهذ النبأ ارسل فى الحال من يستعلم من الربان عن سبب دخوله الثغر مع انه حربى وممنوع دخول البواخر الحربية الاجنبية فيه بدون استئذان فاجاب بان احدى آلات باخرته اصيبت بعطب قبيل وصوله الى الثغر فرأى ان يتمهل ريثما يصلح خلل باخرته . وكان قد اظهر عدم معرفة اللغة الفرنسية بتاتا ، ولما قبل عذره سئل عن سبب دخوله وهو رافع العلم العثمانى وعدم تحيته قلاع الثغر فاجاب بان البحارة الذين معه متوحشون ولا يعرفون الاصول وانه هو لم يتخرج فى المدارس النظاميه ولم يتعلم الواجبات كاللازم وطلب التجاوز عن هذا الاهمال غير المقصود ...

وتناقلت الالسنة نبأ حميدية من مدينة الجزائر الى الداخل فهرع مئات الالوف لرؤيتها من كل فج عميق فطلب الحاكم منه السفر فاعتل بقلة الفحم . واتفق ان مرت ليلة من ليالى المواسم الاسلامية على الباخرة حميدية وهى

واسية فى الثغر فامر ربانها بتزيينها بالاعلام الحريرية واضاءتها بالانوار الكهربائية فامست آية للناظرين .

ولقد اراد الجزائريون ان يحتفلوا بموسمهم الدينى حول الباخرة العثمانية فهرعوا افواجاً من داخل البلاد وظلت السكك الحديدية طول النهار تنقل الألوف حتى اذا ما ارخى الدجى سجوفه كان البحر مغطى بالزوارق و الشاطئ مجلل البساط بنقوش بديعة من الجموع المحتشدة . و كانت هذه ابرك واهنأ واجمل ليلة قضاها الجزائريون منذ عدة عقود من السنين !



الدارعة حميدية ورجالها

ولقد راع الحاكم هذا التظاهر الهائل وخشي العاقبة فطلب من الربان الاسراع بالسفر وخشى هذا ان تفحص باخرته فالقى مافيها من الفحم فى البحر ليلا واعتل بعدم استطاعته مبارحة الثغر وتصادف ان الفحم الذى كان موجوداً اذ ذاك لم يكن وافياً الا بحاجة الاسطول الفرنسى فقط فلا يمكن التفريط فيه فارسل الحاكم تلغرافياً يطلب فحماً من اقرب الثغور الفرنسيه اما الأهالى فحين نمى اليهم ان باخرة الخلافة الاسلامية خالية من الفحم وان الفرنسيين لم يزودوها من فحم المدينة عمدوا ليلاً الى مخازن الفحم فكسروا ابوابها واشتغلوا جميعاً بنقل مقادير كبيرة من الفحم الى الزوارق . ولم تشرق الشمس حتى كانت مئات الزوارق محيطة بالطرادة حميدية حاملة اليها ماهو فوق مرغوبها من الفحم .

وصعد وفد من الجزائريين الى الربان فقالوا له : لقد علمنا امتناع الفرنسيين عن اجابة سؤلك فها نحن اولاء حاملون اليك ماتريد فخذه مشكوراً ودعنا نحن نتحمل تبعة عملنا كيفما كانت .

فأبى الربان قبوله وشكر حميتهم شكراً عظيماً وخاطبهم خطابا كله امل ورجاء في المستقبل.

وعلم الحاكم بماحدث فأمر بجمع الزوارق وارجاع الفحم . ثم جاء الفحم من من الخارج فأخذت الطرادة منه ماشاءت . وفي اليوم التالي عولت على الرحيل فتغطى وجه البحر بالوف الزوارق ذوات الاشرعة البيضاء كانها حمائم في كبد السماء وقد اثقل ركابها الطرادة بهدايا تخرج عن دائرة الوصف والاحصاء . ومازالت الزوارق تحف بالطرادة حتى عجزت عن اللحاق بها فعادت بركابها وقلوبهم محلقة اثر تلك الراحلة العزيزة !

ومن هذا الوقت لم يقع لها شئ يذكر حتى جاء هذا البطل الهمام رؤف وامسك دفة امورها اما في هذه الحرب فقد جاءت بما لم يأت مثله اسطول من الدرجة الأولى كاسطول ايطاليا الضخم فلقد ابلت حميدية بلاء حسنا في شواطئ بحر مرمرة حيث الجأت البلغاريين ان يولوا وجوههم بالفرار على قلة ماقذفته بخلاف الاسطول الأيطالي فمع كثرة ماالقى من ألوف القذائف لم يأت ماأتته الدارعة حميدية وفي واقعة وارنه ابدت هذه الدارعة من الاقدام وعدم التزعزع حتى بددت شمل النسافات البلغارية الموجودة هناك ولقد عرفت كيف تصيب الهدف واذا كانت اصيبت في هذه الموقعة في درعها اصابة خفيفة فانما كان ذلك بسبب العواصف ولقد اطلقت حميديه قنابلها على وارنه دون ان يصدر لها اوامر من لوزارة السابقة فاصابت المرمى ومادام كتاب الله فوق اعلى ساريتها فسيكون ظلا يحفظها من اصابة سهام الاعداء

ولقد حدثنا قوماندانها الفاضل مرة « انى رافع كتاب الله الحكيم فوق اعلى سارية في مدمرتي فانا اجاهد في سبيل الله ولأعلاء كلمته وانا معتقد انى لن امس بضرر مادام هذا الكتاب الكريم يظلل باخرتي بجناحى رحمته وقوته »

وبعد الحوادث الآخيرة خرجت الى الدردنيل تحفها العناية الربانيه فأبلت بلاء حسنا ثم خرجت الى بحر سفيد دون اذن من الباب العالى وعلى ذلك تبرأ منها رئيس الوزارة السابقة واعلن الدول بذلك فذهبت لتزور المرافئ الاسلامية المتعطشة لرؤية اسطول دولة الخلافة الاسلامية فزارت بورسعيد والسويس وبيروت والبحر الاحمر فقابلت كثيرا من قطع الاسطول اليوناني فاغرقت وحطمت مالحقته ثم ذهبت الى جزيرة كورفو اليونانية فحطمتها ثم جاءت مالطه وهناك انتظرها خارج الميناء اربعة طوربيدات يونانيه فلما خرجت شتت شملها ولم تجرأ واحدة على مصادمتها



هذه حصون اشقودرة

المنيعة التي توقع الخسائر بالجبليين والصربيين كل يوم وقد علمنا من اوثق المصادر ان الفوز الذي ناله الجبليون اول الحرب انما كان سببه انضمام فريق من الارناؤود اليهم اما وقد رجع هؤلاء الى صوابهم فان الجبل سوف لا ينال الا الخزي والدمار وقد اخبرنا احد الموظفين هنالك ان قوة اشقودرة لا تقل عن ٦٠ الفا بينما جيش الجبل لا يتجاوز الثلاثين الفا ولو لا انضمام الصرب الى الجبل لفك المحاصرون حصارهم وقد اخبرنا هذا الموظف بان من المستحيل اخذ اشقودرة بالسيف ولذلك فان روسيا اخيرا قررت بعدما رأت من عجز الجبل والصرب ضم اشقودرة الى البانيا بعدما كانت متمسكة بضمها الى الجبل الاسود لانها علمت ان الجبل ا الاخيرة فقط قد قتل منهم وجرح نحو ١٠٠٠٠ .



س لديه قوة فان الحرب قد ذهبت بجميع مالديه فانه في الواقعة



حسن رضا باشا بن نامق باشا والى بغداد الاسبق تخرج من المدرسة الحربية فى الاستانة ثم اتم تحصيلة فى المانيا سنة ١٣١٢ ثم عين فى الفيلق الثانى فى مناستر الذى يرأسه وقت ذاك ناظم باشا ثم نقل بعد ذلك الى بغداد بوظيفة اركان حربها وبعد عين قائدا الجيش العثمانى فى اشقودرة وقد كان يعجب به استاذه فوندرغوليج لذكائه

والرجل فى كل حركاته يتبع اصول الفنون الحربية فلا عجب اذا رأينا

حسن رضا باشا بطل اشقودرة مستشفيات الجبل الاسود قد غصت بالجرحى وان المهارة التى يبديها ذلك الاسد الهصور فى الدفاع عن عرينه ولمحافظة على بلاده قد احرزت اعجاب العلماء الحربيين حتى ان كثيرا قال ان ما يبديه حسن رضا من الحركات يجدر بالباحثين فى المسائل الحربية ان يقفوا على حقيقتها لانها احدثت رقيا فى الفن وزيادة فى مسائله وقال آخرون ان حركات حسن رضا وعلمه بالمسائل قد جعلته يفضل به اخوانه المحاصرين لان اولاء يدافعون بالقلاع اما هذا فانه يدفع عدوان عدوه ويحمله الخسائر التى بهرت العالم بمتاريسه ومعاقله التى انشأها

الغازى شكرى باشا

جدير بالعالم الاسلامى ان يقف على حياة البطل الكبير الغازى شكرى باشا الذى يذود الآن عن حياض الاسلام ويدفع عدوان العادين على كرامته ولذلك رأينا ان نذكر نبذة يسيرة من حياته

ولد شكرى باشا فى مدينة ارضروم سنه ١٨٥٤ وكان ابوه ايضا ضابطا فى الجيش وهو من اصل البانى وكل اسرته فى خدمة الجيش العثمانى ولابيه وعمه مآثر عظيمة فى حروب القفقاس . ولما اتم شكرى باشا دراسته فى المدرسة الحربية العثمانية

تخرج برتبة ملازم مدفعية ثم ذهب سنة ١٨٨٥ الى المانيا لاستكمال تحصيل الفنون العسكرية ودخل شرى باشا برتبة قائد مائة فى الاى مدفعية الصحراء بالجيش الالمانى وكان الجميع يعجبون بكفاءته وغيرته حتى ان الامبراطور ويلهلم الاول كتب الى السلطان عبدالحميد رسالة يقول فيها انه وحده القائد باشى شكرى فى الاى مدفعية الصحراء الالمانى مما يشرف هذا الآلاى



شكرى باشا

ولما عاد شكرى باشا من المانيا الى الاستانة عين قائدا لآلاى المدفعية الاول وعندما زار الامبراطور ويلهلم الثانى مدينة الاستانة استعرض السلطان جيشه فابدى الاى المدفعيه الذى يقوده شكرى باشا كفاءة ومهارة عظمى حتى اهداه الامبراطور وساما كبيرا

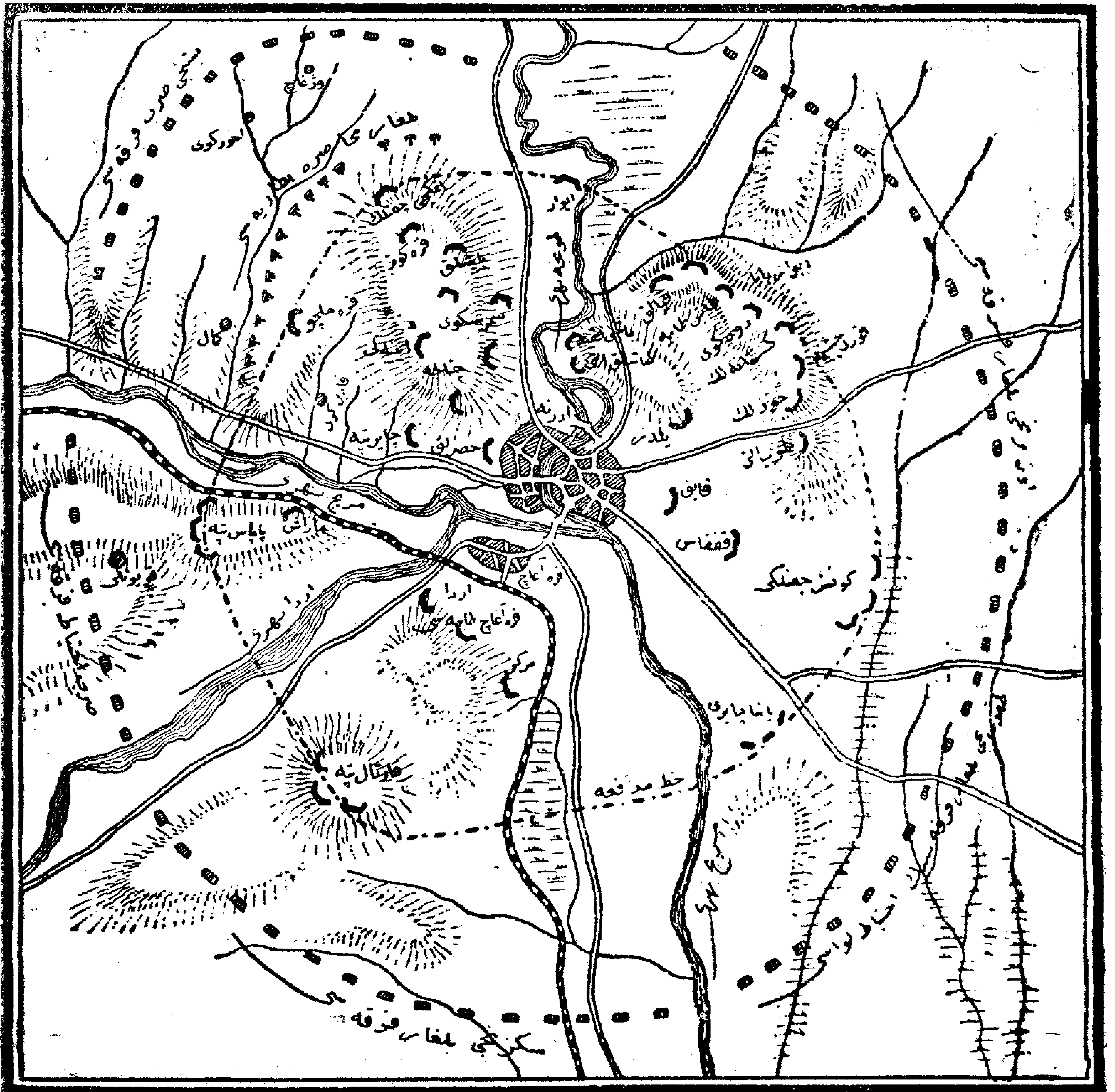
برهن شكرى باشا على كفاءة واقتدار فى كل مهمة اسندت اليه ولما غضب السلطان عبدالحميد على حمى شكرى باشا ونفاه الى دمشق نفى شكرى باشا ايضا الى ادرنه بوظيفة قائد لفرقة المدفعية فيها وكان يومئذ برتبة لواء ومن ذلك الحين اخذ شكرى باشا فى تعليم ضباطه وجنوده . وبعد ذلك ترقى شكرى باشا الى رتبة فريق وصار مفتشا على الجيش فى ادرنه وبينما هو فى هذه الوظيفة حدثت حوادث خطيرة جدا فوقف شكرى باشا تجاهها وقوف القدير الماهر ومن هذه الحوادث ثورة مقدونيا الهائلة التى اندلع لهيبها سنة ١٩٠٤

ظل شكرى باشا مدة فى سلانيك ولكن بدون عمل وكان يرفع الى السلطان عبدالحميد التقارير العديدة لترقية الجندية

وقبل أن تنشب الحرب بايام قلائل انتدب قائدا لحامية حصون ادرنه فوصل اليها قبل ان تعلن الحرب بخمسة ايام ومنذ هذه الايام استطاع هذا البطل ان يجعل مدينة ادرنة تقاوم هذه المقاومة الهائلة

اما مستقبل هذه المدينة التى بقيت تدافع حامية هذا الزمن فلا يعلمه الا الله ولقد عقدت

الثلوج المتراكمة والامطار الغزيرة التي حالت بين الجيش وبين عمل اية حركة امامية لبلغت جنود ناالسوارها وبددت جموع الجنود المحاصرة لها أما قائد الحامية فانه اخذ على نفسه ان يدافع عن دينه ووطنه ما بقي واحد من الجند معه وما بقيت روحه في جسمه ويمكن ان يعرف العالم الاسلامي مقدار ما انطوت عليه نفس الغازي شكري باشا من الشجاعة والغيرة من التلغراف الذي ارسله الى وزارة شوكت باشا وقتما تسلمت زمام الامور ان المؤن والذخائر توجد عندنا بكثرة وان القوة المعنوية عندنا تزداد كل يوم وان العدو لم يستطع ان يلحق بنا اي ضرر بالرغم مما ارسله علينا من الصواعق والنيران واني ساداقع عن الوطن المقدس حتى يفنى كل ما لدي من الجنود وبعد ذلك ادمر القلاع والحصون بعد ما افني كل محاصرينا ونوقع بهم من الخسائر ما لم يكن لهم في حسبان



مدينة ادرنة واستحكاماتها

الاحوال فى فارس

قد عهدت ادارة الجمارك فى فارس الى رجل بلجيكى يقال له مسيو مورنارد ولكن للفوضى القائمة فى تلك البلاد يتولى ايضا جمع الضرائب الاخرى فهو هناك كناظر مالية وقد ظهر مقدار تداخل انجلترا ونفوذها هناك مما نشرته جريدة التيمس بتاريخ ١٨ فبراير سنة ٩١٣ اذ تقول ان حاكم بوشير متأهب دائما الاستماع نصائح الوكيل الانجليزى والعمل باشاراته . وستقيم انجلترا خارج شط العرب منارة .

ولمنع ادخال السلاح الى داخل بلاد العرب يقيم منذ زمن الامير ال بيزل بسفنه عند مسقط يراقب تلك السواحل بكل يقظة. ذلك لانه فى اوائل الخريف الماضى تمكن التجار من ادخال كميات عظيمة جدا من البنادق والرصاص ونحوهما للقضاء التام على الاتجار فى السلاح هناك تقول التيمس انه لابد من الزام سلطان مسقط باتباع نظام المراقبة المستعمل لمنع السلاح. بذلك تنسد الابواب فى اوجه تجار السلاح ماعدا ثغر جبوتيل وان كانت محاربة اولئك التجار والتضييق عليهم سيروج مصنوعات المصانع الافغانية وتجارة السلاح فى داخل فارس فان توقف حياة فارس وافغانستان على اوربا سيضمن للانجليز منعه بتاتا .

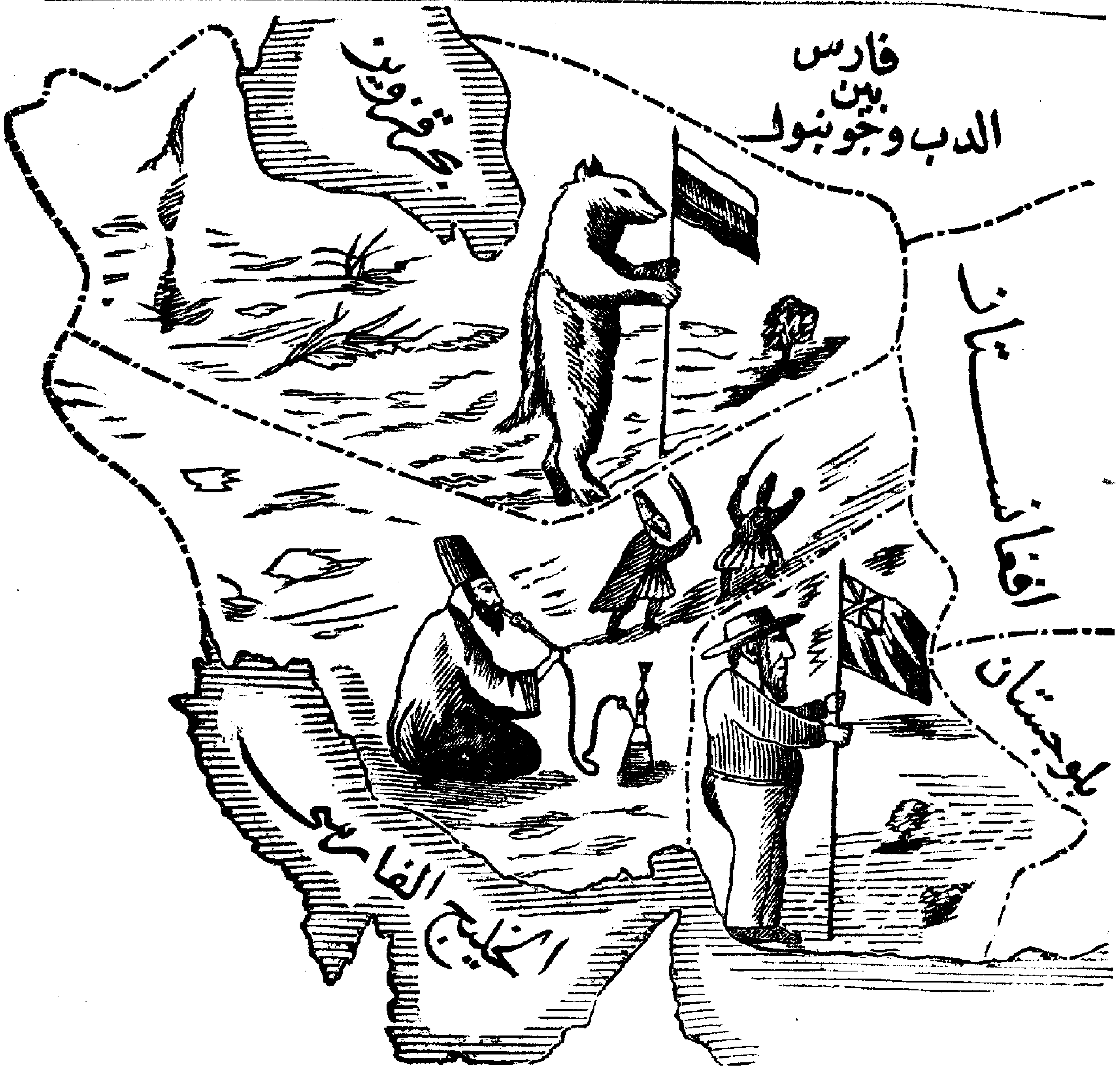
قدر عدد سكان فارس بمقادير مختلفة لعدم وجود الاحصاءات الرسمية والدائر على الالسنة انهم ١٢ مليونا واللورد كرزون جعلهم ٩ ملايين ولكن مكاتب التيمس يعتبرهم ٤ ملايين وسرد فى ذلك تخمينات يزعم انها صحيحة .

يوجد بفارس كثير من منابع زيت البترول ومن الراجح جداً ان المعادن الاخرى كثيرة لاسيما الماس والفحم الحجرى. ولوضع فارس فى صف البلاد الزراعية لابد من انفاق مال كثير على الرى .

وقد نشرت التيمس حديثا مقالة افتتاحية تنبئ بوجود فكرة اعداد الحكومة الانجليزية لحملة عسكرية لاحتلال جنوب فارس ومد نفوذها الى حدود المنطقة الروسية الشمالية

وتقول جريدة المانشستر جارديان أن عمل انجلترا هذا نتيجة طبيعية فأن تصرفات روسيا فى منطقة نفوذها الشمالية وتمكينها الشاه المخلوع واخاه من دس الدسائس وتدبير المكايد فى حدودها مما يدفع انجلترا الى سلوك هذه الطريق الاحتلالية الواضحة وقد نقلت عن بعض من لهم علاقات تجارية بفارس ان الحالة التجارية فى جنوب فارس اصبحت بالغة الغاية فى الانحطاط والكساد .

وقد ساءلت المانشستر جارديان نفسها على النحو الآتى هل من المنتظر ان تقدم انجلترا لفارس ما طلبته من القروض منذ العام الماضى لتصلح به شئونها ؟ ام ان مملكة ايران سينتهى امرها بانقسامها بالفعل قسمين تحت حماية انجلترا وروسيا حماية فعليه بزعم ان هناك احتلالات وارتباكات لايمكن لحكومة فارس

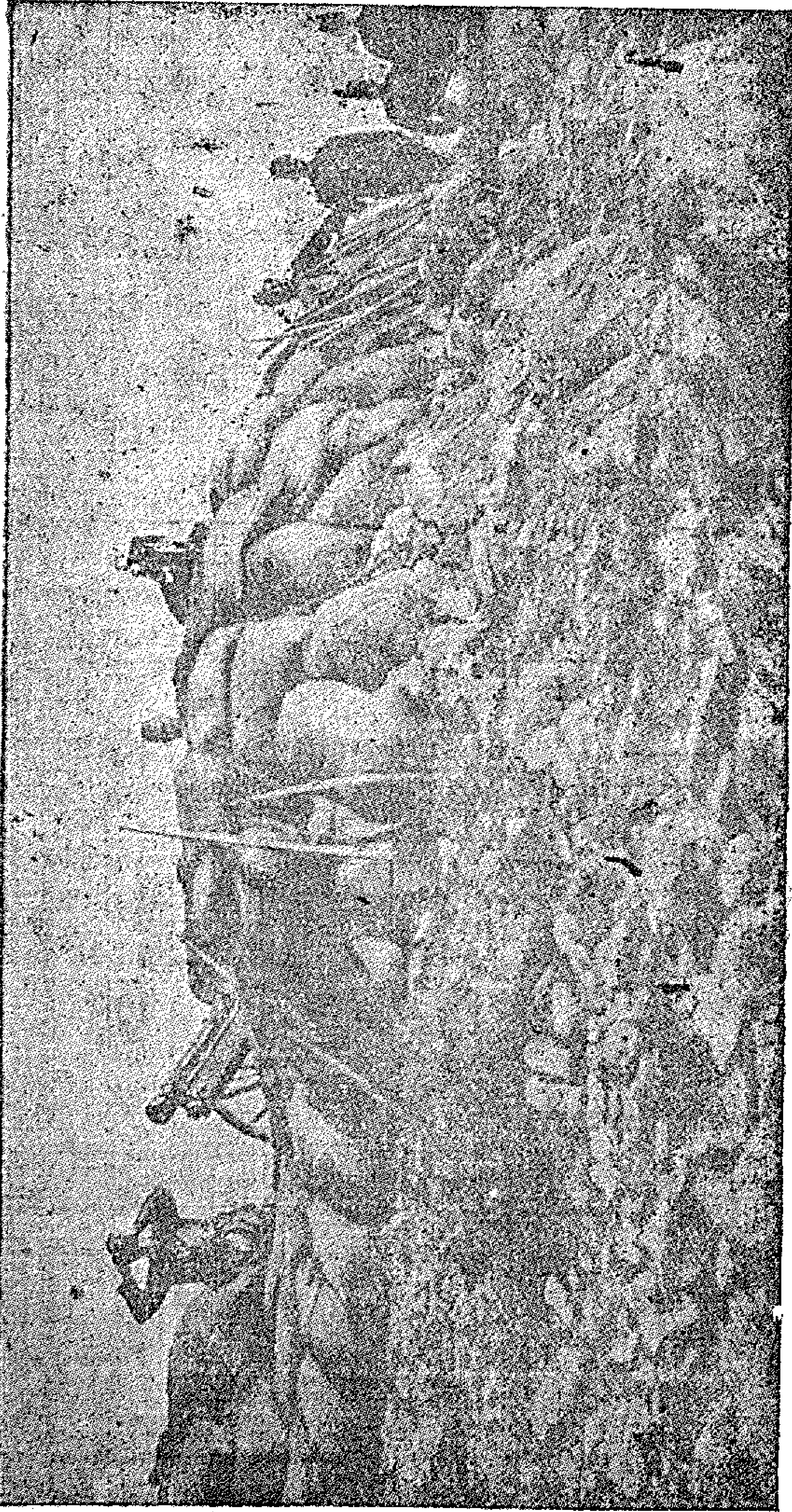


هكذا تسائل تلك الجرائد نفسها اما نحن معاشر المسلمين فاننا نؤكدلها ان انجلترا وروسيا لاتريد ان البقاء على فارس . وان هما قسمتاها اليوم الى مايسمى بمناطق النفوذ فانهما تمحو ان عما قريب وجودها السياسى ولاحول ولاقوة الا بالله .

ومما يدل على ان فكرة احتلال جنوب فارس احتلالا فعليا موجودة بالفعل ان الكلونيل يات قال انه لا بد لاحتلال فارس من ارسال ١٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ جندى فان لم يكن هذا فلا بد من ايجاد قوة وطنية عسكرية لاتقل عن ٥٠٠٠ جندى بشرط ان يكون ضباطها من الانجليز والهنود ويرى ايضا ان على الحكومة الانجليزية التمنع عن منح فارس اى قرض الا بهذا الشرط

ويقول السير ادوارد غراى فى مجلس النواب ان هناك آمالا كبيرة فى تأسيس سكتين حديديتين احداهما تصل تبريز بمدينة وولفا والاخرى تصل المحمرة بخرامابادوقالت برلينراجبلات ان مجلس النظار الفارسى قدمنح روسيا امتياز مدسكة حديديه من ولفا الى تبريز وامتياز استخراج الفحم الحجرى وزيت البترول من الاماكن التى حول هذا الخط وان يكون لها الحق فى مدتلك السكة

الى اروميا وان تفضل الشركة الروسية على غيرها فى مد سكة حديديه مابين تبريز وقزوين واجاب السيرا دواردغراى فى البرلمان الانجليزى بان هناك مناقشات بين الحكومة الفارسيه وبين الماليين من الانجليز فى سبيل استخراج معادن تلك البلاد ومناجمها فمما تقدم يمكن للقارئ ادراك عاقبة تلك المملكة الفارسية ومصيرها .



خط المدافعة بالاكياس الرملية

فى شتالجه

و آخر اخبارها مانشرته النوفيه بريسه فى عددها الصادر بتاريخه مارس قالت

قابلت الدارعة حميدية ٢٤ سفينة يونانية فيها عساكر صربية ومدافع صغيرة يبلغ عددها ٢٤ واخرى كبيرة تبلغ عشرة فاطلقت حميدية مدافعها على السفن فاغرقت منها ثلاثة اوبعد مرور ثلاث ساعات خرجت بعض البواخر من خليج سلانيك لانقاذ بعض ولغرقى

علماً ان عدد الغرقى بلغ خمسة آلاف

شعور الأمم الاسلامية

احتجاجات مسلمى الهند

لقد كان لتصريحات ملوك الحكومات البلقانية فى بدء ظهور الحرب الحاضرة اسوأ اثر فى نفوس المسلمين ولقد كان يخفف عن انفسهم بعد اعلانهم ان هذه الحرب صليبية رجاؤهم فى ان دول اوروبا العظمى لا تحو نحو حكومات البلقان البربريه المتعطشة منذ اجيال الى دماء المسلمين ولكن هذه الدول قد اثبتت فى العهد الأخير انهن لسن اقل تحاملا على الاسلام والمسلمين من تلك الحكومات البلقانية السافلة فلا غرابة اذا اثارت تصرفاتهن هذه نفوس ملايين المسلمين وهاجتهم الى الاعتراض والاحتجاج على الدول الدينية الحاكمة عليهم فمن ذلك ان اهل الهند قد عقدوا الاجتماع تلو الأجتماع فى مدائن الامبراطورية الهندية محتجين على ما سلكته حكومة بريطانيا وغيرها من حكومات اوروبا فى التحامل على الحكومة العثمانيه و التحيز التام لحكومات البلقان فلنجتزىء هنا باقتطاف بعض ماورد فى الجرائد الاسلامية الهندية.

« باريللى »

عقد مسلمو الهند بمدينة باريللى فى يوم ٢٣ يناير سنه ١٩١٣ اجتماعا دارت فيه مباحثات طويلة فى الاحوال الحاضرة لاسيما الحرب البلقانيه ثم قرروا فى اجتماعهم ذلك ما يأتى

(١) ان جميع الموجودين فى ذلك المجتمع يعتقدون من صميم افئدتهم ان حكومة بريطانيا بدل ان تتقدم لوضع حد للفظائع المنكرة التى يرتكبها البلقانيون مع المسلمين قد ضاعفت آلام الاسلام بأنضمامها الى سائر دول اوروبا فى تقديم تلك المذكرة الشديدة للباب العالى وذلك بالرغم من تصريحاتها بأنها ملتزمة الحيدة والعزلة كما ان المجمع مع هذا يحتج على جميع المقدمات التى يتمسك بها فى ارغام تركيا على قبول صلح يهين كرامتها

(٢) بما ان دول اوروبا قد سلكت فى معاملة تركيا مالا يحتمل من الضغط والقسوة فان الجماعة الحاضرة ترى ضرورة اعلان الاضراب العام عن شراء بضائع ومحصولات تلك الدول وان يكون شراء الهنود قاصرا على المصنوعات التى تعمل فى الهند او تجلب من اليابان اوامريكا اوالنرويج او السويد او بلجيكا او الدانمارك او سويسرا او نحوها

لاهور

اجتمعت جماعات كثيرة جدا من المسلمين فى لاهور فى الثامن والعشرين من يناير تحت رياسة المولوى محمد عبدالله البشاورى وقرروا فى اجتماعهم ما يأتى :

(١) ان السبعين مليونا من المسلمين الموالين لحكومة امبراطورية الهند لاعتقادهم فى ان هذه الحكومة ترغب فى سياسة الامبراطورية الهندية طبقا لرغائب

رعاياها من اهل الهند ولثقتهم فى عدلها وانصافها يضرعون الى حكومة امبراطورهم ان تلتزم الحيدة المطلقة خلال مناقشات الصلح فلا تجنح الى الضغط على تركيا هذا اذا لم ترغب فى ان تحمل السلاح فى سبيل مظاهرة تركيا ومساعدتها

(٢) ان يعلن المجمع ثقة المسلمين فى حكومة جلالة السلطان التى تبذل ما فى طاقتها من الجهد والقدرة فى سبيل الدفاع عن شرف الاسلام وعظمته وان كل تركى اما ان يحرز الشرف الاسلامى واما ان يهلك فى آخر مجهوداته

(٣) يقدم المجمع الحاضر لاخوانهم الاتراك عواطفهم القلبية وحنانهم الصميم بالنيابة عن جميع مسلمى الهند

(مدراس)

وفى اجتماع كبير جدا من المسلمين فى مدراس تحت رياسة الحاج اسماعيل سيد تقرر ما يأتى

(١) ان مسلمى مدراس يعلنون انعطافهم الصميم الى الامة العثمانية بسبب ازمتها الحاضرة ويعلنون مقتهم وسخطهم على موقف الدول الأوربية فى هذه الفترة كما انهم يثقون جد الثقة بحزم الحكومة الحاضرة ان تحتفظ بجميع المصالح الدولية المختلطة وبشرف الاسلام

(٢) ان مسلمى الهند ينظرون بعين السخط الى العصابة الدولية التى تضغط بلا مسوغ شرعى على تركيا فى قبول ذلك الصلح الشائن . ويزيدهم تأثرا وألما ان يجدوا بريطانيا العظمى مستمسكة بتلك السياسة الجائرة غير مراعية احساسات ملايين المسلمين من رعاياها

(٣) — ان المجتمعين يشاركون سائر العالم المتمدن فى مقت تلك الفظائع التى اوقعها البلقانيون على غير المسلحين من الرجال وعلى الضعفاء من النساء والابرياء من الاحداث الصغار فى البانيا ومقدونيا وتراس مما هو سبة وعار على المدنية والانسانيه وكذلك يعلنون آلامهم الشديدة وعجبهم من عجيب صمت الدول المتمدنة وسكوتهن على تلك الاعمال البربرية ويحتجون على وقفة دولة بريطانيا ساكتة فى هذا الموضوع .

وقد شهد هذا الاجتماع العظيم احد اعيان المجوس المستر بارثاثاراسى نايدو الذى قام فاعلن أن مجوسى الهند قاطبة يعلنون عواطفهم الخالصة لتركيا كأخوانهم المسلمين

لكنو

وقد عقد فى مدينة لكنو مجمع مؤيد الاسلام فى الرابع والعشرين من يناير وتقرر ان يرسل تلغراف الى جلالة السلطان هذا نصه (ان تغيير الوزارة قد سرنا وانا نضرع اليكم ان تستأنف الحرب ثانية ونرجوان تثقوا بالله فى ارتقاب النصر)

وكذا تقرر ان يرفع الى حاكم الهند رغبة المسلمين فى ان يخبر هو الحكومة

الانجليزية بما فى نفوس المسلمين وصدورهم من الحنق من ان الوزارة الانجليزية لاتدعو المتخاصمين الى اتفاق شريف فى مصالحة الطرفين وان الجرائد لانجليزيه تستعمل فى جانب احد الطرفين لهجة مهينة بذيئة بينهاهى تغرى وتحرض الطرف الآخر على المطالبة بما هوجور محض وعلى التزام خطة الاصرار والتشدد فى ذلك

(٣) ان المجمع الاسلامى لعامة مسلمى الهند بلندن يسجل أتفاقه التام على البرنامج الذى ستتبعه اللجنة المركزية طبقا لنظامها الجديد . وانه بما ان الرأى العام الانجليزى قد قرر ضرورة اعطاء الشعوب المحكومة لانجلترا الحكم الذاتى ممن هم دون الهند عراقة فى المدنية والتاريخ والعظمة يرى هذا المجمع ان تقوم اللجنة المركزية بمطالبة الحكومة ان تمنح الهند حكما ذاتيا يمكن اهلها من مشاركة الحكومة فى تدبير شئونهم ويجعل لكلمتهم وآرائهم حرمة وقيمة فى تدبير الامبراطورية ويسوى بين اهل الهند وغيرهم من الاروبيين فى الحقوق العامة

(٤) ان ترسل صور هذا القرار الى وزير الشئون الهندية وناظر خارجية انجلترا وان تنشر فى الصحف العمومية

انجلترا

والجمعية الهندية الاسلامية بلندن

نشرت جريدة الاسبكتاتور الانجليزيه فى الشهر الماضى مقالة هللت فيها وكبرت وابتهجت بانتهاء حكم الاتراك فى اوروبا قائلة انهم قد اثبتوا فى الاجيال التى حكموا فيها ولاياتهم الاوروبية انهم غير اكفاء لحكم الأمم الأوروبية فلما ظهرت هذه المقاله عقدت الجمعية الاسلاميه الهندية بلندن اجتماعا قررت فيه الرد على تلك الجريدة والاحتجاج على ما اظهرت الحكومة الانجليزيه لتركيا من روح العدوان وممالأة حكومات البلقان فكان فيما كتبوا الى جريدة الاسبكتاتور انه كان ينبغى لصاحب تلك الجريدة ان يعلم ان تركيا لم يعجزها عن اقامة النظام اللازم فى ربوع البلقان الا ماكان فيها من العصابات المنتظمة التى كانت دائمة الفتك بالمسلمين ومثابرة على خلق الاضطرابات والقلاقل دون انقطاع وقد كان يؤيد تلك العصابات كثيرون من اهل اوروبا خصوصا الانجليز انفسهم. وكذلك اعجزها عن اداء وظيفتها الاصلاحية ماكان فى القرن الماضى من ست حروب كبيرة استنفدت اموالها وصرفتها عن النظر فى اصلاح داخليتها واذا نحن امتحنا اسباب تلك الحروب لا نجد تركيا فى واحدة منها معتدية بل هى دائما معتدى عليها اما ما ذكرته الاسبكتاتور من عدم استعداد التركى للاصلاح فلا نظن ان الانجليزى كما تذكر ارلند ايستطيع ان يعير تركيا بذلك فلقد عجز لانجليز عن اصلاح تلك الجزيرة مع عدم وجود

الموانع المذهبية والجنسية والاجتماعية والسياسية التى قامت فى وجه تركيا فى مقدونيا

ان الانجليز لايكادون يدركون ماأصاب قلوب المسلمين من الآلام الشديدة بسبب النكبات المنصبة على تركيا وبسبب الروح العدوانيه الظاهرة التى لم يستطع اخفاءها كثيرون من رجال بريطانيا

نحن نعتقد ان الاخلاص للحكومة الانجليزيه فى هذه الحرب اخذ ينقص عن درجته الاولى ولكننا نشعر بأنه سيأتى الوقت الذى تدرك فيه نتائج ذلك ومما يسوءنا ان الحكومة الانجليزية لم تلتزم فى هذه الحرب ماكان يجب عليها من الحيدة المطلقة

على انه لا يزال من آمال مسلمى الهند ان تعود انجلترا فتساعد تركيا على ابتناء امبراطورية عظيمة قوية فأن تركيا ستكون لها يوما ما عونا وظهيرا .

انباء العالم الاسلامى

الجمعية الاسلامية فى الهند

انعقدت الجمعية الاسلامية فى مدينة لكنو من بلاد الهند فى آخر ديسمبر من السنه الماضية ١٩١٢ تحت رياسة سمو الامير أغاخان وشهد هذا الاجتماع عدة من علية الأمة الهندية مثل السيد محمدعلى مدير جريدة الكومريد ورجا محمود اباد وآخرون ومما قرروه فى هذا الاجتماع حماية الحقوق والمصالح السياسية للامم الاسلامية فى الهند وكذلك السعى فى تنميتها وكذلك بذل المجهودات فى نشر الصداقة والاتحاد بين مسلمى الهند وغيرهم من العناصر الاخرى وكذلك الحصول على نظام دستورى لسياسة البلاد الهندية يجعل حكم الهند فى الداخل بيد الهنود على النحو المتبع فى المستعمرات الانجليزية

مؤتمر التربية فى الهند

كان من بين قرارات مؤتمر التربية الذى انعقد فى الهند مايأتى

(١) استرعاء نظر مدير المعارف العمومية الى عقد ابواب مخصوصة فى التقارير السنوية تبين عدد المدارس والكليات والمكاتب الاسلامية ومواقعها فى كل ولاية وأن تسعى ادارة المعارف فى ترقية شؤونها

(٢) ان يعقد فى مدينة لكنو مؤتمر للتربية الاسلامية

(٣) ارسال وفد الى المهرجا الحاكم على كشمير ليسترعى نظره الى ماعليه

مسـلمو كشمير من التأخر والجهل مع انهم يكونون الجزء الاعظم من سـكان تلك البلاد

(٤) تبليغ حكومة (آسام) انه يجب ان تلتزم قبول عدد مخصوص من المسلمين فى سائر معاهد التربيـة التابعة للمديريات او للبلديات بحيث يكون للمسلمين فى اى وقت الحق فى الحصول عليه

كيف يعامل المسلمون
فى
جنوب افريقية

ليعلم المسـلمون عاقبة امرهم اذا فرطوا فى حمـاية دولة الخلافة وقصروا فى امدادها بالامـوال يجمل ان نسرد لقراء هذه المجلة بعض ماتفعله حكومة افريقية الجنوبية مع المسلمين كافة ومع غير المسيحيين من اهل أسيا قاطبة

(١) اذا مات المسلم فى جنوب افريقية فان الحكومة لاتورث زوجته ولا اولاده ولا احدا من اقاربه بل تأخذ جميع التركة حلالها . ذلك لانها لاتعترف بصحة المزاوجات الاسلامية ولا صحة مايتبع ذلك من الانساب والصلات

فلاجل ان يسلم المسلمون من تلك الاحكام التى هى فى الواقع محـاربة دينية وجهاد صليبى للاسلام لايموت المسلم او المسلمة هناك الا بعد ان يترك وصـية مطابقة للتوريث الشرعى الاسلامى .

(٢) اذا كان لاحد من الاسيويين المقيمين فى الترنسفال قريب مافى بلد آخر ولو زوجة فانه لايجوز ادخاله هناك

اما الابنـاء فانه لايجوز أدخالهم الا اذا كانوا دون سـن الثالثة عشرة فبهذه النظامات والقوانين يفرقون بين المرء وزوجه ويحولون بين الرجل ورحمه

(٣) يمنع العثمانى من الدخول فى جنوب افريقية الا اذا كان مسيحيا وكذلك حكم جميع الاسيويين

فى كلكتا

يوجد فى كلكتا بستان شق منه لايسـير فيه غير الهنود والآخر لايسـير فيه غير الاوربيين فهل هذا من المدنية التى تدعيها اوربا والمساواة التى تتشدق بها

احوال طرابلس

تفيد جميع الاخبار الآتية من طـرابلس ان العرب لا يزالون يذودون عن

حوضهم بسلاحهم وانهم يوقعون الخسائر الجسيمة بالطليان اذاماحدثته نفسه بان يتوغل داخل البلاد اويتجاوز مرمى الاسطول ففى يوم ٢٦ ذى الحجه اخرج العدو فرقة من السوارى قاصدة الغفرية بزواره ولكن قبائل النوائل والصيعان والسعيفات احاطت بها احاطة السوار بالمعصم واوقعت بها من العذاب ماحملها على الفرار الذى لم يجدها نفعا فان القبائل مازالت تصليهم بنيرانها حتى اتت على آخرها ولم يستشهد من العرب الا ٣٠ من قبيلة السعيفات و ٢٠ من الصيعان ولم يجرح سوى ٦٠ نفسا

وفى يوم ١٩ محرم و ٢٠ منه وقعت موقعة عظيمة دامت ٤٦ ساعة قتل فيها ميرالاى ايطالى والف جندى من رجاله امالاولى فقد قتل فيها من العدو ٢٣٠٠ وخسارة المسلمين فى الواقعتين لم تجاوز ٢٦٠ شهيدا و ٤٠٠ جريح

وفى يوم ٢١ صفر تقدم المجاهدون حتى اقتربوا من مركز زواره بمسافة كيلومتر فوجدوا غنم العساكر الطليانية فغنموا منها ٧٠٠ شاة وعند ذلك خرج اليهم ٥٠٠ من الخيالة الطليان ووقعت مصادمة بين الفريقين بمحل الزريرمات فيها ٥٠ رجلا من الطليان وغلام لابن شعبان وغنم العرب ايضا ١٨ جملا وستاوستين ماشية

مستقبل طرابلس

فى سبيل الاستقلال

جاء الى جريدة الاكلير الفرنسيه من تونس التلغراف الآتى

قدسافر الوفد الذى طرابلس ارسلته الحكومة التى اسست حديثا داخل طرابلس (الجبل الغربى) والتى نظمها سليمان بك البارونى بعد الصلح مع ايطاليا وهو الذى كان سابقا نائبا عن الجبل الغربى وجمع شتات القبائل الطرابلسية خلال الحروب الايطالية .

وقد قرر الجبليون استئناف المصادمات مع ايطاليا من جديد اما غرض هذا الوفد فهو زيارة عواصم اوروبا لحملها على الاعتراف باستقلال امارة الجبل الغربى .

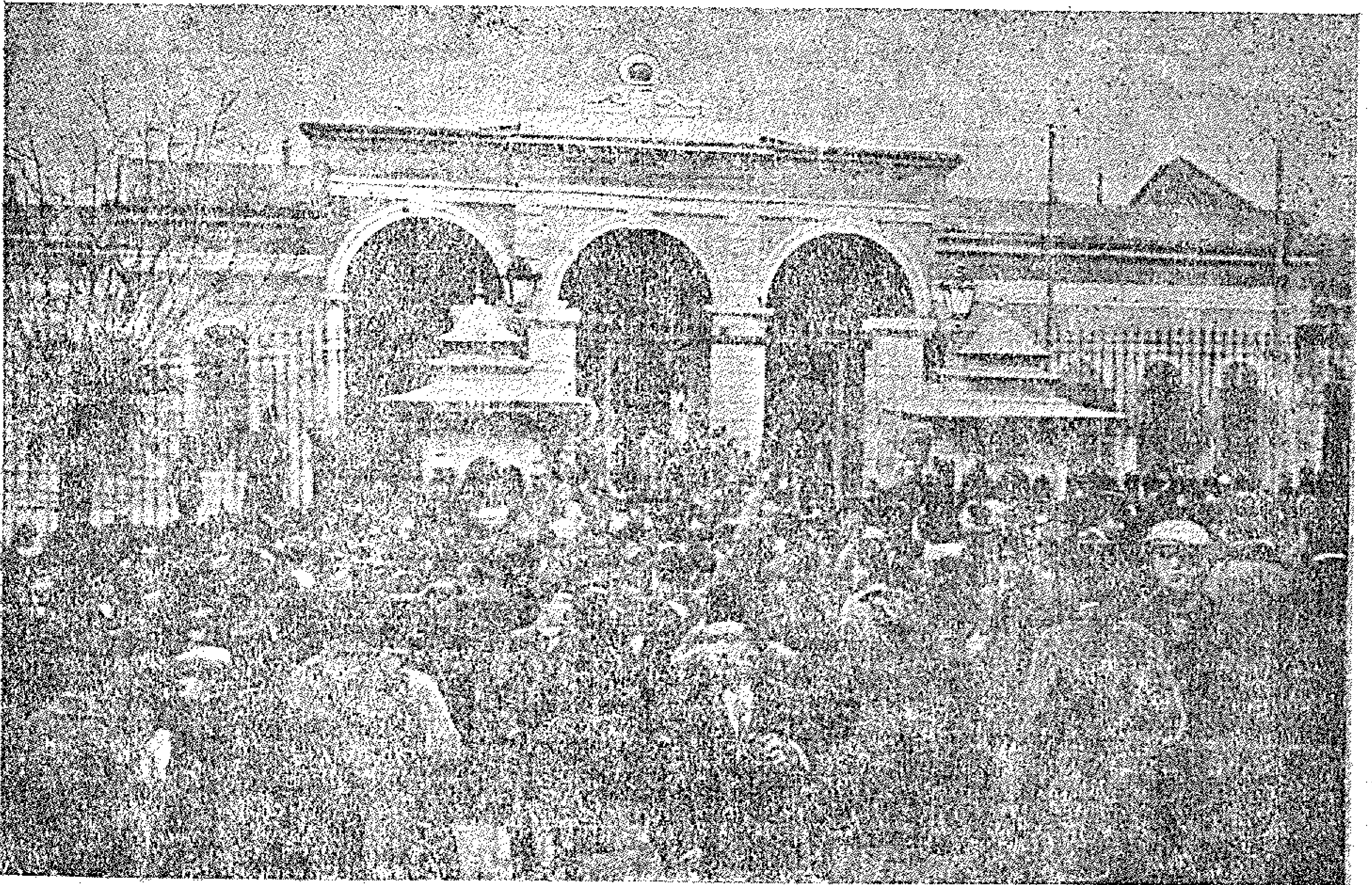
قال مكاتب الاكلير ان ارسال البارونى لذلك الوفد لايتعجب منه كل من يدركون شان طرابلس وبرقة فى المستقبل فان الايطاليين لم يعملوا منذ احتلوا تلك البلاد سوى الوقوف فى السواحل او التقدم الى الامام تقدما لايكاد يذكر حتى ان داخل البلاد باسره فى قبضة العرب ادارة ونفوذا .

ويحاول الايطاليون الآن ان يشتروا ذمم ذوى النفوذ من العرب فى تلك الارجاء بالمال تيسيرا لمآربهم وتمهيدا لتحقيق اغراضهم .

مراكش وفرنسا

يستأنف الفرنسيون فى موجادور حملة عسكرية لاعتبارهم ان اهل تلك الجهات ثائرون. وتتألف هذه الحملة من ست بطاريات راجلة وفصيلتين من الفرسان مزودة بكثير من الذخائر الحربيه والمتراليوز. ومن عرف كيف تتغلب فرنسا على تلك البلاد الآن وكيف تمكن من قلبها واطرافها يقن انها لولا انشقاق اهل تلك البلاد وانقسامهم على انفسهم ولولا بيع طائفة من رؤساء تلك القبائل ذممهم وشرفهم لفرنسا بالدرهم والدينار ما تمكنت الجمهورية الفرنسية من اعتبارها المدافعين عن انفسهم واستقلالهم عصاة خارجين ولا اعملت مدافعها وسيوفها فى اجساد اولئك المساكين تمزقها اربا اربا وتحصدار واحها حصدا (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم)

كان اهل الغرب قبل الاحتلال الفرنسى يقتلون انفسهم بايديهم اما اليوم فقد اصبحوا فوق ذلك عونا لاعدائهم على انفسهم يمكنونهم من ملكهم ويتقربون اليهم بارواح اخوانهم والامر لله من قبل ومن بعد .



مظاهرة الباب العالى الاخيرة التى قابت الوزارة السابقة

بعد الانقلاب

يا موطنا ما ركبناها مطهمة … الا لخوض المنايا فى حمايته
ولا اجرينا بها فلكا مصفحة … فى شاهق اللج الا قصد طاعته
ولا هبطنا جبال الثلج فى لجب … من الجحافل الا فى حياطته
رعيا لانور يطوى البيد فى شغل … من الهموم بجيش من جلالته

قدجاء والجيش فى خزى وفى فرق | كانما الحرب امر فوق طاقته
الفاه لا عزم لا توحيد لا جلدا | لاهم الا ادكارا فى سلامته
الفاه تزعجه ذكرى مقاتله | فما له مستقر من مهابته
قد استخف بثقل العار كاهله | فاستمرأ الصلح شيئا من سفاهته
كأنما لم يكن عثمان ناسله | ولم يرد عدوا عن غوايته
ولم يكن شهد الغارات معتصما | بالبيض و السمر درءا عن مكانته
قد اسلم المجد للاعداء ممتهنا | جهلا به وغلوا فى زرايته
سبحان ربى لولا ما اتى صفر | ما كان للجيش صحو من منامته
ولا رجا مسلم تفريج ضائقة | ولا رجا الملك اعلاء لرايته
جيش المقاديم والآساد رابضة | ومن رأى الدين حصنا من امانته
ذاك الدفين بقرقاليس مجدكم | رداه رهط الدنايا فى غيابته
وكم صريع كسا مقدونيا حللا | من النجيع يناديكم لثارته
فشمروا السوق فالاسلام مرتقب | ما تفعلون دفاعا عن كرامته

الشرق الاقصى

مستقبل منغوليا

لقد كانت الصين منذ سنين مضت مجالا فسيحا لاحلام الامم الاوروبية الاستعماريه ولطالما هموا بتحقيق امانيهم ولكنهم كانوا لا يرون التعجيل بتحقيقها ثقة منهم بأن الصين لا استعداد لديها للنهوض ولا خوف من ان تستيقظ استيقاظا تفلت به من ايديهن ولكن جاءت الحرب اليابانية الروسية فاخلفت تلك الظنون فأنه لم تكد تضع الحرب اوزارها حتى رأينا ذلك الجسم الهامد الخامد قد تحرك وانتعش ولم يكتف بأن يجارى الممالك الدستورية المتوجة بالملوك والسلاطين بل انقلب جمهورية لا ترى سلطانا لأحد الا الذى يتناول السلطان والنفوذ من ايدى الامة والشعب

فالصين التى كانت بالامس تعبد ملوكها وتخر لهم سجدا الى اذقانها هى اليوم جمهورية لا ترى غير المساواة التامة فى سائر الحقوق العامة ولكن اوروبا التى طالما ازعجتها صورة الخطر الاصفر ارادت الا تهملها حتى تبلغ اشدها بل قصدت ان تصيبها فى مقاتلها قبل ان يقوى ساعدها ويستعصى بعد ذلك امرها فحظ الصين الفتاة من اوروبا المسيحية هو بعينه حظ تركيا الفتاة بعد انقلابها الدستورى

ان اول الطعنات الاثيمة التى سددتها روسيا الاوروبية الى قلب الجمهوريه

الصينية هي اغراؤها منغوليا بالانفصال عن جسم الامبراطورية الصينية العظمى فقد تم الاتفاق في شهر نوفمبر من السنة الماضية بين روسيا ومنغوليا على ان تكون منغوليا مستقلة تماما عن الصين وان يكون لها الحق في ان تعامل الصين كما تعامل سائر الدول الاجنبية عنها من كل وجه بذلك قامت في اسيا مملكة كبيرة مستقلة ستكون آلة في يد بعض الدول المسيحية تستخدمها متى شاءت . لاجرم ان روسيا التي هي اشد الدول انزعاجا من الخطر الاصفر ستمد منغوليا بالمال الكثير حتى تطوق عنقها بديونها ثم تمدها بضباطها قصدا الى تدريب جيوشها وتنظيم شؤونها الحربية ثم لاتلبث ان تدفعها الى محاربة الصين وتقف هي وقفة الناظر المتفرج المرتقب وهن عزائمهما واضمحلال قواهما ثم تبتلع من منغوليا اول لقمة سائغة هنيئة ثم لايعلم الاالله ماذا يصيب بعدذلك الجمهورية الصينية هكذا فعلت الروسيا تمهيدا الطريقها التي ستنتهي اولا بسلامة سيبريا من الغارات الصينية وثانيا بابتلاع ذلك القسم العظيم الذي انفصل عن الجسم الصيني وان ادعت الصحف الروسية والصحف الانجليزية اليوم ان الروسيا لم تؤيد منغوليا في استقلالها الا رغبة منها في ان تكون وهي مستقلة سورا منيعا بينها وبين الصين وبذلك يؤمن اصطدامهما في المستقبل .

وتقول التيمس ان صك الاتفاق يمنح روسيا من المزايا اكثر مما لغيرها من دول اوروبا وبالرغم من دعوى صحف روسيا ان الاتفاق قاصر على بعض اجزاء منغوليا نجد ان الاوراق الرسمية ليس فيها سوى ذكر منغوليا دون تحديد ولا تخصيص .

تنقسم منغوليا الى منغوليا الداخليه ومنغوليا الخارجية وترى التيمس ان منغوليا الداخلية تشمل على اقل تقدير الاراضي الواقعة شرق صحراء جوبي وجنوبها فبذلك تنتهي حدود منغوليا على مقربة من بكين وهاربين وسكة الحديد الصينية الشرقية ومما يهم انجلترا في هذه المسألة انه يراد عقد معاهدة بين حكومة التبت وبين منغوليا في سان بطرسبورج فان معاهدة لحسا تقتضي انه ليس للتبت ان تخابر اى دولة اجنبية الا بعد استئذان دولة بريطانيا .

وكانا لحكومة انجلترا تريدان تخترع لها معذرة تبلغ من ورائها تحقيق امنيتها القديمة في بلاد التبت فقد نجد التيمس الصادر في ١٠ فبراير سنه ١٩١٣ يقول انه لابد لنا من سلوك سبيل واضحة مع الصين وروسيا ولا سبيل الى ذلك فما ترى التيمس سوى ان يمثل بريطانيا في لحسا عاصمة التبت وكيل سياسي قدير وان تزاد فقرة جديدة في المعاهدة الانجليزية الروسية تحفظ العلائق الودية بين الحكومتين

تلك هي الطعنة الاولى التي صوبتها اوروبا الى فؤاد الصين . اما الطعنة الثانية فهي ضن تلك الدول بالمال على الصين في الوقت الذي تريد هذه فيه ان تنظم شؤونها الداخليه وان تمحو كل مايتوقع حدوثه من ضروب القلاقل والاضطراب. اضطرت الصين الى اقتراض المال من دول اوروبا لاصلاح شؤونها فانتهزت هذه الدول تلك الفرصة الثمينة واخذن يضعن من الشرائط مالوا تبعتها حكومة الصين لقضت بذلك على وجودها ولقد زعمت تلك الدول آخر الامر انهن ما قصدن سوى الاستيثاق من ان تلك الاموال لا تصرف الا في اصلاح الشؤون الداخلية اذ يرين الخطر في اهتمام الصين بأمر شؤونها العسكرية هنالك. قبلت الصين ان تتألف في عاصمتها لجنة مراقبة يكون اعضاؤها ثلاثة المانى وايطالى ودانماركى ولكن روسيا ادعت ان هذه المراقبة لاتكفى بل يجب ان تتألف لجنة المراقبة من اربع يمثلون اشد الدول اهتماما بمسائل الشرقية وبديهى ان روسيا ماقصدت سوى حرمان الصين من ان يكون لديها وسيلة من وسائل الرقى والنجاح لاسيما بعد ماكان من الاتفاق بينها وبين منغوليا مما سيجعلها ظهيرالها اذا قامت الحرب بينها وبين الصين .

ويقول مكاتب جريدة فرانكفورت زيتونج في برلين انه لايكاد يحتمل وجود اتفاق تحل به مسألة هذا القرض .

وكتب رئيس الجمهورية الصينية يانشى كاى الى الكوتوختو انه يرفض المناقشة في امر انفصال منغوليا عن الجمهورية ويذكره بان الافراد الساعين في اضرار الجمهورية الصينية وايذائها قدعوقبوا طبقا للقانون كما ذكره بانه هو وجيوشه قد ارتكبوا مالا يحتمل من الفظائع والاعمال البربرية واكد له ان الجمهورية الصينية لاتصبر على ان يتعرض احد لرعاياها باذى دون ان تنتقم له .

ومن المحقق ان جميع المنغوليين الذين كانوا خرجوا على حكومة الصين اصبحوا الآن يتمنون الارتباط بالجمهورية ماعدا القاطنين بالقرب من أودقا ويرغبون في مقاومة الكوتوختو

ولقد طلب كثير من اهل الصين الذهاب لمحاربته ولكن رغبة يانشى كاى رئيس الجمهورية في السلام وحقن الدماء حملته على اقناع هؤلاء بضرورة الانتظار عسى ان يصل الى حل سلمى لا تأبى معه جمهورية الصين ان تعامل البوذية والبوذيين بالرفق وقد نقلت جريدة الكومريد عن الديلي تلغراف ان سفير منغوليا زار رئيس اركان حرب روسيا المسيو جيلينسكى وطلب منه ان يزيدهم من المساعدات الحربية في الربيع المستقبل . وينحصر طلب ذلك السفير في ان تمد روسيا

منغوليا بعشرة من الضباط الروس فضلا عن الاثنين المقيمين الآن فى أورقا وان يكون مع هؤلاء عدة من الضباط الصغار لتدريب المنغوليين .

ونحن نقول ان هذا كل ماتريده اروبا فانها رغبة فى سلامة أملاكها وحرصا على منافعها الاستعمارية لابدان تشعل نيران الفتن هناك حتى تقوض اركان تلك الجمهورية الفتية

البعثة الأزهرية

بعد عامين

قدمنا فى العدد الماضى للقراء كلمة مجملة فى بيان الحالة المالية وخلاصتها اننا بدأنا فى جمع الاعانات للبعثة الازهرية فى ديسمبر سنه ١٩٠٩ ونشر ذلك فى العدد ٣١٤٨ من جريدة اللواء واستمر الاكتتاب حتى ١٥ اكتوبر سنه ٩١١ فبلغ مجموع ما اكتتب به ٢٥٧ مليما ٥٧١ جنيها اما كيفية صرف هذه المقادير فهو مفصل فى دفتر مخصوص لحساب البعثة الازهرية نجتزىء منه بما يأتى

مليم	جنيه	
٥٠٠	٩٧	محمد افندى احمد الطالب بجلاسكو
١٧٦ و ١	٦٣	الشيخ محمد رزق لغايه يوليو سنه ٩١٢
٤٦١	٧١	الشيخ محمد مصطفى التونسى لغاية فبراير سنه ٩١٣
٠٥٦	٨٣	الشيخ على الشهداوى » » »
٩٢٥	٧٩	مصروفات انفقت فى الاحتفال بالبعثة فى الاسكندرية وسفرها هى ورئيسها من القاهرة الى مونبليه واثمان بعض مرافق اشتريت للبعثة فى مونبليه وتفقات الرئيس فى عودته
٢٦٨ و	٧٥	انفق فى مصر فى شراء ملابس وحقائب وجميع مالزم اعضاء البعثة من حاجات السفر
٤٦٧	٤٧٠	

واذا طرحنا مقدار ٧٥٠ مليما ٩ جنيها وهو الذى دفعته والدة محمد افندى احمد الينا يكون جميع ماانفقناه منذ ابتداء البعثة الى الآن هو ٤٦٠ جنيها ٧١٧ مليما ولا يخفى ان هذا المقدار لم يشتمل على جمع ماانفق فى سبيل تعليم المشايخ فى مونبليه وانما هى مقصورة على ماارسل اليهم فى سبيل نفقاتهم العاديه كنفقات الاجازات المعتادة وشراء الملابس والمرافق الضرورية ومعلوم ان المقدار الباقى هذا ليس من

المعاشية فضلا عن تمكينهم من اتمام دراستهم ، ولتطلع الأمة المصرية على مبلغ انزعاج طلبة البعثة كلما تذكروا قرب نفاد المقادير التى جادت عليهم بها هذه الامه وكلما تصوروا ان طريق التحصيل ستنقطع عليهم وابواب الاستفادة ستسد فى اوجههم يجب ان ننشرهنا نبذا مما جاء فى كتاب للشيخ الشهداوى مؤرخ بالسابع والعشرين من شهر فبراير المنصرم وكذا من مكتوب لمحمد افندى احمد بجلاسكو بتاريخ ٢٤ فبراير الفارط ايضا

اما الاستاذ الشهداوى فقال

عندما قرأت الهدايه كان لقراءتها وقع اثر فى نفوس كثير من اصدقائنا ومحبي الاستاذ واخص من بينهم .... فانهم يعرفون الاستاذ ويعجبون به وطالما حادثوه ويحبوننا لحبه فدعونا لمقابلتهم والكلام فى امداد البعثة حتى يثمر غرسكم وتكلل اعمالكم بالنجاح وبعد كلام طويل بيننا وبينهم تم الأمر ان نعرض عليكم الفكرة الاتيه وهى

(١) تكليف الاستاذ بكتابة مقالة تنشر فى احدى الجرائد المصرية تدعو الناس الى الاكتتاب

(٢) طبع تذاكر تشابه تذاكر العيد (قيمتها مختلفه) وممضاة باسم الاستاذ وارسالها اليافى اقرب مايمكن لنوزع منها على طلبة اوروبا ونرسل منها الى مصر (الى ان قال) ارجو الاستاذ ان يتفضل بارسال ماعزم عليه حتى يطمئن خاطرنا وتقر اعيننا وان كنا على يقين من اننا سنتمم دراستنا وانما نود ان يكون الاستاذ متوليا امر اولاده مستعينا بمن لديهم غيرة على اتمام مشروعه العظيم . واما محمد افندى احمد فقد جاء فى كتابه المذكور انفاً ما يأتى

وحيث انكم تكرمتم بارسال خطاب تستفهمون عن احوالى فاعلمكم اننى الأن فى السنه النهائية لعلم الهندسة بجامعة جلا سكو ولكن ياسيدى لم ازل فى ضنك شديد حتى لوقتنا هذا لم ادفع مصاريف الجامعه لهذه السنه التى ابتدأت من كتوبر الماضى حيث اخبرت مدير الجامعة بحالتى وطلبت منه الانتظار حتى اجلب له هذا المبلغ واما انا فسأتمم ان شاءالله دراستى فى شهر سبتمبر سنه ٩١٣ هذا اذا وجدت مساعدة تعيننى ولا يخفى على فضيلتكم ان المدة الباقية قصيرة فارجو منكم بحق الله ان تساعدنى اذا امكنكم حتى اتمم دراستى واما بخصوص المبلغ الذى وصلنى من فضيلتكم فهو مئة جنيه افرنكى وهو مجموع النقود التى وصلتنى منكم مع مزيد الشكر كيف لا وانتم انقذتمونى من ضنك شديد . فنعم انت ونعم خدماتك وحبك فى تعليم ابناء وطنك وفقك الله الى مساعدتى فى القريب

العاجل والسلام عليكم ورحمة الله

من هذين الكتابين ترى الامة المصرية التى تعهدت أولئك الطلبة بالانفاق ومكنتهم خلال الزمن السابق من الاشتغال بالعلم والانقطاع للتحصيل انهم الآن اشد حاجة الى عنايتها ومددها فان من اشق الاشياء على نفس الطالب ان تقطع عليه سبيل التحصيل بعد ان ذاق حلاوة العلم وانتعشت نفسه بلذة التحصيل

وها انا ذا قد بسطت الى الامة المصرية الكريمة حالة هذه البعثة راجيا ان تستأنف نهضتها العظيمة الى جمع اليسير من المال حتى تمكن ابناءها من طلبة العلم من بلوغ منتهى غاياتهم ومبلغ آمالهم وهو اتمامهم ماوقفوا انفسهم عليه من تحصيل العلوم والله ولى التوفيق

رئيس البعثه الازهريه
عبدالعزيز جاويش

جماعة ترقى الاسلام

تأسست بمدينة جنيف عاصمة سويسرا جماعة سميت بجمعية ترقى الاسلام وقد وضعت نشرة لدعوة المسلمين الى الاشتراك فيها سنأتى عليها بعد . وكذلك وضعت لها نشرة دورية ارسلت الينا العدد الاول منها باللغة الفرنسية مؤرخة بشهر فبراير سنه ١٩١٣ وسنأتى بعد على نبذ منها مكتفين الآن بنشر دعوتهم الى الاشتراك فيما يلى

يامعشر المسلمين اجيبوا داعى الله

هل أتاكم اليوم حديث الاسلام والمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ؟ اولئك القوم الذين بدأ اسلافهم واجدادهم فى حصن المنعة والقوة ودانت لهم الارض وذللت لهم صعاب الامور وركبوا افراس المجد فى ميدان الحياة وكانت لهم الكلمة العليا لما بذلوه من تضحية النفس والنفيس فى سبيل تضامنهم واتحادهم . فاذا تألم مسلم فى ادنى الارض كانت تجفو جنوب اخوانه المضاجع فى اقصاها حتى يخفف الله ويبرا منه

أما اليوم فقد انعكست الاية واصبح المسلمون اذلة بعد ان كانوا اعزة وذلك بما ارتكبوه من التقاعس عن العمل والتباغض والتحاقد والعدول عن منهج دينهم القويم حتى اصبحوا اسرى الجهل وصار كل منهم له شأن يغنيه عن نصرة اخيه فانقضت عليهم الاعداء واستعبدتهم دولة بعد دولة وامة بعد امة وكل منها لاهية لاعبة لاتعتبر بما يصيب اختها فطفقوا يشربون كأس الهوان راضين . واحب منه كأس الحمام لو كانوا يعقلون

وقد وصلت يد الاعداء والمغيرين الى آخر حصن للاسلام وملجأ للمسلمين يريدون ان يمحوا معالم الاسلام ويهدموا بنيانه ويفرقوا كلمته ويشتتوا وحدته فارتكبوا انواع الفظائع للوصول الى ذلك الحصن من عبث بعفاف الابكار وهتك لحرمات المسلمات الطاهرات . وتخريب المنازل وسجن المسلمين مما لو سكتنا عن دفعه لاصبح كل منا مثلوما شرفه وعرضه ومن رضى بالذل لاخيه فقد ارتضى العار لنفسه قال تعالى (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)(وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين)ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم البينات اولئك لهم عذاب عظيم)

لقد اصبحت معونة دولة الخلافة آخر معقل للاسلام فرض عين على كل مسلم ومسلمة حتى ينقذ ذلك الدين الذى اصبح المدافعون عنه فى اشد الحاجة الى معونة اخوانهم المسلمين

لقد آن ان تجتمع كلمتهم ويتحد شملهم على رفع كلمة الله وانقاذها من يد الباطل والسوء الذى حاق به وان يعتبر المسلمون بما قاله عليه السلام مما معناه عليكم بالجماعة فان الذئب لا يأكل من الغنم الا القاصية. وان يسلكوا طريق العزة التى ذكرها الله فى كتابه العزيز حيث قال (ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. الذين يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم. والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات. والذين لا يبالون فى سبيل الحق بملامة ولا يرجون سوى الله وليا ولا نصيراً والذين امرهم شورى بينهم اولئك الذين لا يطيعون مخلوقاً فى معصية الخالق. أولئك هم المؤمنون الذين يرثون الارض وتكون لهم الكلمة النافذة ولا يسلمهم الله الى جبار فى الارض

وقد طلبت الدولة العلية سلفة داخلية اعانة للحرب الحاضرة بربح خمسة فى المائة لمن اراد تدفع على مدة ثلاث سنوات بعد انتهاء الحرب فمن اراد أن يقرض الله قرضا حسنا فليخابر جمعية ترقى الاسلام بمدينة جنيف وهى التى انشئت للسعى فى ترقى حالة الاسلام والمسلمين من الوجهة العلمية والاقتصادية

ها أنتم تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم. والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه وانه لا يضيع اجر العاملين المحسنين

الصابرين والسلام على من عمل بما يعلم وهدى الى مايعرف من طريق الحق والصواب .

الاتحاد الاسلامى

هذا عنوان فصل من الكتاب الذى نشره ذلك الكاتب العظيم جلال نورى بك المسمى بالمقدرات التاريخية ووعدنا القراء بنشره وهوكما يلى

لقد كان نصيبى ان اكون من المشتغلين فى مسائل اتحاد المسلمين عامة فى الهند والسند وشمال افريقا والتتروآسيا الوسطى وتوجيه آمالهم الى غاية واحدة وتوحيد شعورهم واحساسهم .

وجدير بالباحث فى المسائل التاريخية والاطوار التى مرت على المسلمين عموما والعثمانيين خصوصا ان يبحث فى كيفية لم شعث المسلمين وجمع شملهم ولذلك سأضع بحثا مخصوصا لهذه الغاية العظيمة . ان الافكار الآتية والمباحث التى ستمر بالقارىء ليست من بنات افكارى بل هى نخبة من آراء الباحثين فى المسائل الاسلامية .

كيف يعرف الاتحاد الاسلامى ؟ وما الغاية منه وما المقصود منه؟ وهل هو قابل التحقيق اوكل ذلك من المباحث الخيالية والاوهام التى لاحقائق لها . هل الاتحاد الاسلامى يحدث تغيرا فى حالة المسلمين الاجتماعية ويوجد قوة جديدة وهل هو نتيجة طبيعية من نتائج التعصب او وسيلة الكمال والترقى .

صادفت كثيرا من مواطنيى المخلصين يرون ان الاتحاد الاسلامى نتيجة من نتائج التعصب الذى يجب ان نخلى انفسنا عنه وهذه الفكرة قدسرت اليهم من اوربا صاحبة الاميال والاغراض.

يجب على الباحث فى مسائل الاتحاد الاسلامى ان يكون خالى الغرض من التخرصات التى تذاع وتنشر ويجب عليه ان يكون فوق الباحثين لا ان يكون تابعا فى افكاره لواحد منهم .

انى عاشق لحرية الافكار القديمة ومفرطا فى محبة الفلسفة المصرية ولكنى اقول ان بلوغ البشر درجة الكمال ليس يتم بافكار لوتر ولا بنظريات داروين ولا بانقلاب (٨٩) بل ان اساس الانقلاب الفرنسى ليس الاحقيقة خيالية امام الاتحاد الاسلامى

ان الاتحاد الاسلامى اساس المدنية الحقيقية وهواخو الفطرة

ان مدنية اوروبا المسيحية مستندة على « الحكم لمن غلب » وهذه القاعدة تحول بين نشر المدنية الحقيقية وبين البشر

اما المدنية التى يطلبها الاتحاد الاسلامى فهى فوق ذلك اذ هى تحافظ على حقوق الضعيف امام القوى

انظر الى معاملة العثمانيين والاندلسيين للمسيحيين فانك تراهم قدساووهم بالمسلمين بل تراهم قد منحوهم من الحقوق والامتيازات مالم يكن للمسلمين.

لنفرض ان الاساس المتين الذى وضعه السلطان عثمان لهذه الدولة قد انتقض وامحى و انقلبت العثمانية امارة محمية بانكلترا او روسيا فماذا عسى ان يكون شأنها معانا نرى فى الوقت الحاضر ايران تتأهب لتوديع حياتها الاستقلالية ونرى سلطان فاس قد قبل حماية دولة فرانسا وبلاد الافغان بمعزل عن العالم المتمدن ، فكيف اذن يكون الاسلام بمأمن ان يكون حظها فى المستقبل تلك العاقبة الوخيمه .

ان حكام اوربا لاينظرون الى رعاياهم من المسلمين الا كمخلوق دون منزلة الانسان « اليد العاملة » اذهم لايفكرون فى غير استخدامهم والاستفادة من ورائهم و لايفتأون

يمتصون دماءهم ويسخرونهم في مصالحهم سواء عليهم اهلكوا ام عاشوا . انهم لايبالون باضاعة حقوقنا وتضليل افكارنا واستعباد احرارنا .

ان انكلترا وفرنسا قدوتى الامم في المدنية والحضارة تراهما يسخرون منا كلما جاهرنا بطلب حقوقنا الطبيعة والمدنية او هممنا بالذب عن حياضنا .

ان الانكليز والفرنسيين يطلبون ان تبقى اخلاقنا بسيطة ساذجة وطباعنا سلمية خاشعة ومناجنا هينا لينا حتى يمكنهم الاستفادة منا كما يشاءون ويشتهون .

« ثم قال »

لنبحث الآن عن احوالنا الحاضرة ولنعتبر قليلاً بما يشاهده المؤرخ كلما التي بنظره الى المجلدات التاريخية هنالك نرى ان الذين ظلموا وارتكبوا الجنايات العظيمة لم يتركوا لهم في التاريخ غير كلمة « عار »

ان العصور كنهر سريع الجريان يتدفق ثم يذهب والدهور كالسيل المتعاقب . ولكن فكرة الحرية وحرية الفكر لهما على الدوام الغلبة والسيادة فاسارى الاسلام اليوم وانتساباتهم الحاضره للحكومات المختلفة والاحتقار الذى هو كل حظهم من الاجانب ليست فى الحقيقة بعار مادام قد اوجد بين المسلمين تلك العواطف المشتركة والرحم المتينة اذ اجبرهم على الاتحاد والتضامن اكثر مما فعلوا ايام خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ان المسلمين انما يحتاجون الى رجل كبير يوجد بين الهند والسند وتوركيا والمغرب وايران غيرة عظيمة وعاطفة وثيقة لا تقدر على مطاردتها مصارف اوربا مهما انفقت ولا مدافع كروب ومدرعات ارمستورونغ مهما دمرت

وفى الحقيقة فالشىء الذى يدير الاطوار التاريخية انما هو العواطف كما قال الدكتور كوستاف لوبون فالذكاء العقلى والقوة البدنية لا يستطيعان التغلب عليها فاذا اتحدت هذه العواطف فانها تكون جديرة بايجاد اعظم انقلاب وقع على الارض وكيف يمكن اعظم قوة التغلب على عواطف واحدة مشتركة بين ثلاثمائة وخمسين مليوناً متى كانت متولدة ومنبعثة من قوة منتظمة للاتحاد الاسلامى بالغة اشدها .

ولقد خطب احد بطارقة الروم « يواكيم » فقال . ايها السادة . انى راهب فقير لااملك شيئاً سوى الاغنام التى ارعاها وانى تابع لحكومة استبدادية ودينها مباين لدينى وجنسها فى حرب عوان مع جنسى وانى اؤمل ان تشجعوا اخوانكم النصارى حتى يكون لهم امل فى الخروج من هذه المصايب التى يئنون تحتها وانى وان لم يكن لى شىء من السلطة المادية فلى من السلطان المعنوى على النفوس مايجعل لى املاً عظيماً فى تحقيق امنيتى .

واننا لو نظرنا الى معاملة المسلمين للمسيحيين والى تعاليم الدين الاسلامى وجدنا ان ما يتفوه به ذلك البطريق ناشىء عن التعصب الدينى الذى امتلأ قلبه به . لو قام السلطان محمد الخامس وبين الفظائع والوحشية التى يلاقيها المسلمون الذين تحت سيطرة الدول المسيحية كان كلامه حقاً وقوله صدقا . ما المقصد من الاتحاد الاسلامى ؟ هل الغرض من ذلك جمع جميع المسلمين تحت راية واحدة حتى تحدث قوة تضعف امامها جميع القوى ؟ ليست الغرض من الاتحاد الاسلامى توسيع نفوذ الدولة العثمانية بل الغرض توحيد الشعور والتربية حتى يعلم المسلمون ان غايتهم واحدة وان هذه الغاية التى نريد ان نصل اليها ليس بمستحيلة كما يزعم كثير من الباحثين استنتاجاً مما عليه المسلمون من الغفلة والذهول عما يكاد لهم فاننا وان كنا لاندعى ان حالة المسلمين ترضى ولكنها لا توجب اليأس فان هذا النوم لابد له من يقظة وان الناظر فى احوال المسلمين الاجتماعية يرى انهم آخذون فى سبيل الرقى الاخلاق والسياسى ولاجرم ان هذا نتيجة من نتائج الضغط والمصايب التى توالت على المسلمين من استبداد الحكام .

ان الاسلام دين اجتماعي كما انه دين مساواة بين الاجناس المختلفة والملل المتباينة فهو لايميز جنساً عن جنس ولايعطي اهله من الحقوق مايحرمه على غيرهم . لذلك كان من اصوله (ان لا عصبية في الاسلام) لما اراد العرب ان يميزوا من غيرهم واراد كل فرد ان ينتسب الى قبيلته بحيث يكون منفصلاً عن اخيه ابن القبيلة الاخرى وان هذه القاعدة التي وضعها الاسلام هي مايسمى اليها الاشتراكيون ويعدون الوصول اليها اكبر منحة يجود بها الله على عباده

ان فكرة الاتحاد الاسلامي اذا تمكنت من قلوب المسلمين احدثت انقلابا اخلاقياً اجتماعياً كالانقلاب الذي احدثه انتشار افكار جان جاك روسو سنة ١٧٨٦

اخبار الحرب

في هذا الشهر لم تحصل مصادمات شديدة بيننا وبين العدو لان تراكم الثلوج وكثرة الامطار وشدة البرد قد حالت بين جيشنا وبين تنفيذ خططه والجيش وافر العدد والعدد ولاينتظر الا تحسن الجو ليوقع بالعدو التنكيل والخسائر وان كل ماشاع في هذا الشهر من التخرصات التي لااصل لها ولقد جاء مدير الشركة العثمانية الى الباب العالي يسأله عن حقيقة مااذاعته الشركات الاجنبية من تصميم الدولة على الصلح وغير ذلك فقال له الصدر ان مااذاعته الجرائد الاجنبيـة وشركات التلغرافات من قرب عهد الصلح افك وبهتان ونحن الى الآن لم نتذاكر مع الدول المتحاربة ويظهر ان سبب هذه الاشاعات استمرار المذاكرة مع الدول العظمى ونتيجة المذاكرة لم تعلم بعد ثم سأله المكاتب عن نتيجة قرار الدول هل ستكون الحكومة مجبرة على اتباعه ؟ فقال الصدر الاعظم ان الدول لم تتداخل في الامر بل تلطفت في اجراء التوسط ثم سأله المكاتب عن التضمينات الحربية التي قررها البلغاريون فقال الصدر الاعظم ان الدولة العثمانية لاتحمل شيئاً ما في هذا السبيل وان الاسباب التي ذكرها البلغار وزعموا انها هي التي حملتهم على تقرير الضمانات هي بنفسها الاسباب التي تدعو الحكومة الى عدم تحملها

انهم يقولون ان البلاد التي فتحوها لم يجدوا بها احدا وكل اهلها قد هاجروا الى البلاد العثمانية وهذا مما يحملهم مصروفات كثيرة كانهم ظنوا ان تركيا استفادت من المهاجرين وهذه الدعوى تكون صحيحة اذا لم يكن المهاجرون بعض عائلات قتله من يعولها . وهل دعا هؤلاء المهاجرين الى الهجرة الا فظائعهم التي ارتكبوها ووحشيتهم التي استعملوها . ان البلغاريين يقولون ان الحرب ستجبرهم على اعطاء معاشات كثيرة للعائلات وهذا السبب بنفسه مايدعونا الى عدم تحمل شيء من الغرامة فان بلغاريا لم تتحمل خسائر اكثر من تركيا

هذا ماصرح به الصدر الاعظم وهو بلا شك مما يسر العالم الاسلامي والله ندعو الله سبحانه وتعالى ان يكتب لجيشنا النصر والتوفيق

﴿ رد الآيات المتشابهات الى الآيات ﴾
(المحكمات)

للفقيه الورع محمد بن احمد بن اللبان المصرى
المتوفى سنة ٧٤٩ من الهجرة

استخرجه من مكاتب الاستانة الشيخ
حافظ وهبه

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

لست فى حاجة الى بيان معنى المحكم والمتشابه فان العلماء قدخاضوا عباب هذا الموضوع وان كان اكثر الباحثين لم يوضحوا اسبابه ويبينوا امشكله

ولقد رأى فريق ان ليس فى القرآن متشابه بالمعنى الذى به يفسرون فان الله لم ينزل كتابه على الناس الا ليوضح لهم طرق الهدى لا ان يفرق الناس شيعا كل يفهم من الشرع كما يشتهى (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)

ومن رأى هؤلاء الباحثين ان يرجعوا آيات القرآن بعضها الى بعض حتى لا تتنافر وتتناثر بل الآيات والاحاديث تفسر بعضها بعضا ويبين واضحها مجملها ولقد نحا هذا النحو مؤلف (كتاب رد الآيات المتشابهات الى الآيات المحكمات) الفقيه الورع محمد بن احمد بن اللبان المتوفى سنة ٧٤٩ فجاء كتابه جيدا فى بابه

ولقد كنت أردت أول الامر ان اخرج ما ورد فيه من الاحاديث فابين درجتها من الصحة والحسن الا أنى رأيت رسائل كثيرة قامت بتخريج الاحاديث التى جاءت فى كتابنا وغيره مثل احياء العلوم للغزالى والكشاف فرأيت ان اعمم الفائدة بنشر هذه الرسائل متى رأيت عضداً من المسلمين عامة والعرب خاصة .

ولقد تصرفت فى بعض عبارات لكتاب التى لم أقف على أصلها وكان بعضها ممزقا من تصرفات الايام وجعلت علامة عند العبارات التى زدت فيها كلمة أو تصرفت فيها حتى لا تلتبس باصل الكتاب والله ادعوا ان يوفقنى على مثابرة هذا العمل الجليل وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

(ناشر الكتاب حافظ وهبه)

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله الواحد بذاته وصفاته المنزه فى احديته عن مشابهة مخلوقاته وصلواته على سيدنا محمد عبده رسوله الموضح بسنته متشابه آياته . الباقى مدده لاوليائه بعد مماته كما كان لهم فى حياته وعلى آله وصحبه الذين ازالوا الظلمات ونصروا الدين ببيانه . فأنك سألتنى ارشدنى الله واياك عن امر عظم فى هذا الزمان خطبه وعم ضرره وهو ما تظاهر به بعض المبتدعة الذين انتسبوا زورا وبهتانا الى الحديث والفقه من اعتقاد ظاهر الآيات المتشابهة فى اسمائه تعالى وصفاته من غير تعرض لصرفها عما لا يليق بجلاله وكبريائه ويزعم انه فى ذلك متمسك بالكتاب والسنة سائر على طريق السلف الصالح ويشنع على من تعرض الى شئ منها بصرفها عن ظاهرها الى ما تعارف فى عرف العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وحيث سألتنى عن ذلك ورغبت فى املاء شئ فلا بد من الاجابة على سبيل النصيحة لله ولرسوله وللائمة المسلمين وعامتهم . فاعلم امدنى الله واياك بمدد توفيقه ان من اجل منح الله على عبده طهارة قلبه وسلامة فطرته وملة منطقه فأنه بذلك يلقن الحكمة ويسمع هواتف الحق فى كل نفس من انفاسه ويضئ له فى ليل المتشابه مصباح المحكم فيرسخ قدم صدقه فى معرفة ربه ويحيا بلده الطيب بغيث الهدى والعلم فيخرج نباته بأذن ربه كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين بأذن ربها ويسلك بافكاره سبيل الاستقامه فينتفع وينتفع به المسلمون ولقد كان للصحابة رضوان الله عليهم من هذا المشرب اصفاه واعذبه ومن العلم بالكتاب والسنة ازكاه واطيبه وكيف لا يكونون كذلك وقد تليت عليهم ايات الله وفيهم رسوله ولهم من الاعتصام بالله ماضمنت لهم به الهداية والاستقامة ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يعلمون الناسخ والمنسوخ بالمعاصرة واسباب النزول بالوقائع ويفهمون ما اودع فى مواقع التركيب واسالب البيان بالطبع ويردون ما اختلفوا فيه الى الله والرسول فيعلمه الذين يستنبطونه منهم وهم الراسخون فى العلم وأولو الأمر ويتدبرون القرآن ويردون المتشابه الى معنى المحكم ويقولون آمنا به كل من عند ربنا فلا اختلاف فيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولأجل ذلك لم ينقل عنهم آيات الاسماء والصفات ولا اكثروا السؤال عنها لعدم اشكالها بحسب لغتهم ولا تساع مجال افهامهم فى معانيها الصحيحة وكان من ادبهم رضى الله عنهم الا يشق احد

منهم بفهمه فى استيعاب المراد منها فسكتوا عنها مفوضين الى كل فهم صحيح ما منحه الله من الاتساع الموافق للغة والآيات المحكمة كما فى صحيح البخارى وغيره عن ابى جحيفة رضى الله عنه قال (قلت لعلى رضى الله عنه هل عندكم كتاب قال لا الا كتاب الله اوفهم اعطيه رجل مسلم او ما فى هذه الصحيفة) وفى بعض الروايات (الا ما يعطيه الله عبده فى القرآن) فلما انقطع بموته صلى الله عليه وسلم عن ظواهر الاسماع مدد روح الوحى وعفت عهود الوقائع بانقراض علماء الصحابة وضعف استنباط المتشابه من المحكم بمخالطة النبط العجم فزاغت القلوب وحجبت عن هواتف الغيب وكثر الكلام فيما لايعنى فقل ايتاء الحكمة وهنالك ظهرت ارباب البدع واشكل معنى المتشابه فاتبعه من فى قلبه زيغ وكاد الامر يلتبس لولا ما ايدالله به هذه الأمة من العلماء المخلصين والسلف الصالح فنهوا الناس عن اتباعهم والاصغاء اليهم وعن التعرض بالآراء للمتشابه وحسموا مادة الجدال فيه والسؤال عنه سدا للذريعة والاستغناء عنه بالمحكم وأمروا بالايمان به كما جاء من غير تعطيل ولا تشبيه وكان هذا فى عصرهم مغنيا لولا ان المبتدعة دونوا بدعهم واحاطوها بما يجذب اليها من الشبه والأباطيل فوفق الله من العلماء الراسخين من اظهر الحق على السنتهم وقمع اهل الباطل والزيغ فجزاهم الله افضل الجزاء ولنشرع فى بيان ما سألت على سبيل الاجمال ثم على سبيل التفصيل (فاعلم) هدانى الله واياك فيما اختلف فيه من الحق باذنه ان الله سبحانه حى قدير ليس كمثله شئ وهو السميع البصير . احدى فلا أين ولا تركيب لذاته . ازلى فلا كيف ولا ترتيب لصفاته . ابدى فلا تناهى لجلاله واكرامه . تنزه فى سمعه وبصره وادراكه وبطشه عن الجوارح وعز فى قدرته عن الشريك وجل فى ارادته عن الاغراض وتعالى فى استوائه عن النسبة والكون وتقدس فى علوه عن الجهات ينزل بلانقلة ويجئ بلا حركة وتراه ابصار المؤمنين بلا ادراك ولاحد لقربه ولاميل لحبه ولاصورة لغضبه ولا كيف له فى رضاه وضحكه لا شفعية الا بمعيته ولا وترية الا بظهور قهريته وأحديته . ونفسه ذاته ووجهه نور توحيده وصورته مظاهر تعرفاته وظلل غمامه وايديه ما يتصرف بها فى مخلوقاته واعينه آياته المبصرة القائمة بالحفظ والرعاية للمخصوصين من عباده وقدمه قدم الصدق الذى يبشر به المؤمنين وهو الاول والآخر فما من عرض ولا جوهر الا وهو مبدوء باوليته مختوم بآخريته وهو الظاهر بحكمه الباطن فى متشابه

آياته ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه لاشريك له فى ملكه يؤتى الملك من يشاء له المثل الا على فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم تقدس عن النظير فى الدنيا والآخرة وله الآيات المتشابهات يجتبى معانيها اهل قربه فى رياض جنان ذكره كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واوتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون هذا ما فتح الله به على سبيل الاجمال (واما التفصيل) فلنقدم عليه مقدمة تكون بمثابة الاصل والتمهيد له وهو انه ليس فى الوجود فاعل الا الله وافعال العباد منسوبة الوجود والاقتران اليه بلا شريك ولا معين فهى على الحقيقة فعله وله بها عليهم الحجة لا يسئل عما يفعل وهم يسألون. ومن المعلوم ان افعال العباد لابد فيها من توسط الآلات والجوارح مع انها منسوبة اليه وبذلك يعلم ان لصفاته تعالى فى تجلياتها مظهرين مظهر عادى منسوب لعباده وهو الصور والجوارح الجسمانيه ومظهر حقيقى منسوب اليه وقد اجرى عليه اسماء المظاهر العاديه المنسوبة لعباده على سبيل التقريب لأفهامهم والتأنيس لقلوبهم واقد نبه فى كتابه على القسمين وانه منزه عن الجوارح فى الحالين فنبه على الاول بقوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) وذلك يفهم ان كل ما يظهر على ايدى العباد فهو منسوب اليه وفعل له وان جوارحنا مظهر له وواسطة فيه وهو على الحقيقة الفاعل بجوارحنا مع القطع الضرورى لكل عاقل ان جوارح العبد ليست جوارح لله تعالى ولا صفات له ونبه على الثانى بقوله فيما اخبر عنه نبيه فى صحيح مسلم وغيره (ولايزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله الذى يمشى بها) وقد حقق الله لنبينا صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله (الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) بعد قوله (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وبقوله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم) فنزل يد نبيه منزلة يده فى المبايعة واخذ الصدقات والرمى فى قوله (ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وذلك كله يفهم ان العبد اذا صار محبوبا صارت افعاله ناشئة عن انوار علوية من عند ربه تكون له بمثابة الجوارح وان الله تعالى يكون له بواسطتها سمعا وبصرا ويدا ورجلا مع القطع الضرورى ان الله لا يكون جارحة لعبده ولكن بسر الأمر ان الله جلت حكمته ضرب لنفسه فى دوائر ملكه مثلا بالقلب الذى نوره الشامل لجميع اجزاء البدن وروح الحياة منه مستمدة وان الجوارح مظاهر لانواره وتصرفاته فبنوره تبصر العين

وتسمع الاذن ويذوق اللسان وينطق مع القطع بأن الجوارح ليست صفات للقلب ولاتعلق لهابه الا تعلق الاتباع والعبيد للملك المطاع ثم ان القلب انغلب عليه التوجه الى عالم الشهادة تصرف بالجوارح فصار يرى بالعين ويسمع بالاذن وهو مثل لقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) وان غلب على القلب التوجه الى عالم الغيب استتبع الجوارح فصارت هي متصرفة به وهو مثل لقوله (كنت سمعه الذى يسمع به) وستزيده وضوحا فى موضعه وبهذا يتسع لك فهم ماجاء من الجوارح منسوبا الى افعاله تعالى فلا يشتبه بعد هذا عليك ولا تفهم من نسبتها اليه تشبيها ولا تجسيما فالروح الأصلى الذى هو منشأ عالم الأمر هومصباح نور التوحيد قال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون) وبهذا الروح يتجلى الله سبحانه لعباده باسمائه وصفاته المحكمة والمتشابهة ومن المعلوم انه قد ثبتت قوة التطور فى الصور المختلفة فى الملائكة وهم من رقائق هذه الروح فالآن تكون له قوة التجلى والظهور بأى صورة شاء وتصح نسبة تلك الصورة الى الله سبحانه لتجليه فيها. وها انا اشرع فى تفصيل الصفات المتشابهة وليس المقصود ذكر البراهين التى ملئت بها الكتب الكلاميه وانما المقصود رد المتشابه الى المحكم على القواعد اللغويه وعلى مواضعات العرب وماكان يفهمه الصحابه والتابعون من الكتاب والسنة وهذا تمام المقدمة. فلنشرع فى التفصيل مع بسط يد الفاقة والافتقار عسى ان يهدينى ربى سواء السبيل .

المتشابه من الآيات التى ذكرت فيها الصورة

روى البخارى وغيره من حديث الرؤيه عن ابى هريرة وفيه (فيأتيهم ربهم فى غير الصورة التى يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا اتى ربنا عرفناه فيأتيهم فى الصورة التى يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعم انت ربنا فيتبعونه) وقد ثبت ذكر الصورة فى حديث ابى سعيد ايضا وهو من الاحاديث المتشابهة ومرجعها ايضا الى الآيات والاحاديث المحكمة وكل من له من الله نور له فى مرجعها الى المحكم على حسب نوره ونحن نذكر مبلغ علمنا وفهمنا ونسأله الله ان يهدينا لما اختلف فيه من الحق بأذنه (فاعلم) ان للصور التى يأتى الله فيها يوم القيامة مظهرا وحقيقة فالحقيقة هى الظلل فى قوله تعالى (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة).

فعلم بذلك ان مظاهر تجليه لعباده هى ظلل غمامه وحقائق هذه الظلل آياته التى تعرف لخالقه فيها بواسطة انبيائه وقد ثبت فى الصحيح تشخص حقائق آياته كالظلل ففى مسلم وغيره من حديث ابى امامة وحديث النواس بن سمعان (ان القرآن يأتى يوم القيامة تقدمه البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان سوداوان) وفى مسلم وغيره ان أسيد بن حضير قرأ سورة الكهف ليلة فجالت فرسه فاذا مثل اظلة فوق رأسه فيها امثال السرج فقال النبى صلى الله عليه وسلم (ان السكينة تنزلت للقرآن) وفى رواية الترمذى مع القرآن وفى رواية (تلك الملائكة كانت تسمع لك) وقد ثبت رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم للظلة وتأويل ابى بكر لها بالاسلام وذلك كله يحقق ان حقائق الظلل هى آيات الله وشرائعه وهى الروح التى ذكرت فى قوله تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) . والظلة قسمان ظلة عذاب وظلة رحمة فظلة العذاب كظلة قوم شعيب فى قوله (فأخذهم عذاب يوم الظلة) وقد ضرب الله المثل بذلك للقرآن فى قوله (او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) واما ظلة الرحمة فهى آياته المقتضية للرحمة النازل غيثها على قلوب المؤمنين كما صح فى مسلم والبخارى وغيرهما قوله صلى الله عليه وسلم (ان مثلى ومثل مابعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا) الحديث هذا هو الحقيقة واما مظهر الصورة فهو العمل وقد ثبت تشخص الاعمال بصور شتى كما فى حديث البراء باسناد صحيح اخرجه اصحاب المسندات كالامام احمد وغيره (ان الميت المؤمن يفسح له فى قبره مد بصره ويتمثل له عمله فى صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول من انت فيقول انا عملك الصالح وان الفاجر يمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول من انت فيقول انا عملك . الحديث) وقد صح تمثيل الموت بصورة الكبش وتمثيل المال بالشجاع الاقرع وغيره وتمثيل الملائكة بصورة الآدميين والسنة مشحونة بنحو ذلك ومن المعلوم ان الاعمال اعراض فاذا ثبت تمثيلها بصور الاجسام مع القطع بأنها ليست كذلك وان الملائكة ليسوا بآدميين فعلى مثل ذلك يقاس اتيان الله فى صور الاعمال فالمقصود من ذلك كله تقريب المراد الى الافهام وهو شائع فى اللغة معروف فى مواضعات العرب واستعمالاتهم وبهذا يعلم ان رؤية العباد ربهم يوم القيامة مختلفة النعيم فكل يراه فى صورة عمله على حسب مراقبته ومقدار اخلاصه وصدقه فى اقباله عليه .

تنبيــه — اذا علمت ان حقيقة الصورة آياته التى تعرف بها الى خلقه فاحمل على ذلك ماصح من ان الله خلق آدم على صورته فأن الانسان قد جمع الله فيه كل حقائق الكائنات فكان مظهر الآية الكبرى الجامعة لجميع حقائق الآيات المتجلية لخليقته بجميع ادوار الاسماء والصفات فلذلك قبل تعليم الاسماء وسـجدت له ملائكة الارض والسماء اى ان الله خلقه على الكيفية القابلة لتجلى صورة آيته الكبرى وهى التى اريها محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء . ( )

المتشابه من الآيات التى ذكر فيها الوجه

قد جاء ذكر الوجه فى غير ما آية فأذا اردت أن تعلم حقيقته ومظهره من الصورة فاعلم ان حقيقته بارق نور التوحيد ومظهره من العمل وجه الاخلاص (فاقم وجهك للدين حنيفا) ويدل على ان وجهـة الأخلاص مظهره قوله تعـالى (يريدون وجهه) وقوله (انما نطعمكم لوجه الله) وقوله (الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) والمراد من ذلك كله الثناء على اهله بالأخلاص تعبيرا بارادة الوجه عن اخلاص النيه ويدل على ان حقيقة الوجه هو برق نور التوحيد قوله تعـالى (ولاتدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شـىء هالك الا وجهه) اى الا نور توحيده وهو نور السـموات والارض بدليل قوله صلى الله عليه وسـلم (اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت به الظلمات وصاح عليه امر الدنيا والآخرة وبهذا يفهم سر قوله تعالى (فاينما تولوا فثم وجه الله)

تنبيــه — قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الرؤيا (فيأتيهم ربهم فى غير الصورة التى يعرفون) اى فى ظلة آيات العذاب ومظهر الاعمال السيئة فيقولون نعوذ بالله منك اى فيستعيذون بالله من تلك الصورة كما كانوا فى الدنيا يكرهونها ويستعيذون منها وقوله فيأتيهم فى الصورة التى يعرفون اى فى مظهر اعمال البر وظلة صـنة الرحمة والنبوة ( ) التى كانت تحيي قلوبهم بغيث الهدى والعرفان فيقولون انت ربنا فيعرفونه بواسطة تعرفه لهم فى الدنيا تحقيقا لقوله صلى الله وسلم عليه (اهل المعروف فى الدنيا اهل المعروف فى الآخرة)

( ) ( )

الرؤية

قد جاءت فى آيات كثيرة وفى احاديث منها فى هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم (هل تمارون فى رؤية القمر) وفى رواية (فى رؤية الشمس) واذا ثبت تجليه تعالى فى صورة روح الشريعة لم يبق فى رؤيته اشكال وانما عبر بالقمر والشمس عن حقيقة الوجه واختلاف الروايتين للتنبيه على اختلاف درجات الرائين فى نعيم الرؤية والمقصود ان آيات الله تضح لعباده فلا يكون بينهم وبينها حجب تمنعهم عن استكناه كنهها والوقوف على بدائعها فيرون وجه ربهم كشمس ليس دونها سحاب كما ورد فى الحديث بل يكون الله اقرب اليهم من اعمالهم (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد)

تنبيه — قد انكر ابوبكر بن العربى ثبوت الرؤية فى الموقف وقال ان نعيم الرؤية لا يكون الا للمؤمنين فى الجنة والذى نعتقده ثبوت الرؤية ونعيمها للمؤمنين فى الموقف على ماصح فى الحديث وذلك صريح فى قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظرة)

تنبيه — لوجه الله رداء وله حجب وله سبحات فأما رداءه فقد نبه عليه بقوله عليه السلام فى حديث عبد الله بن قيس عن ابيه (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن) فالمراد من الرداء هو ما يحجب القلب عن رؤية الله وهو ان يكون فى قلبك كبرياء لغيره فاهل الجنة ليس لهم مانع من نعيم الرؤية وشهود نور التوحيد الارداء الكبرياء فمن كبر فى قلبه غيرالله من تحف اوغرف اوقصور اوحور حجب عن الله ومن عرف الله صغر عنده كل شئ فارتفع عن بصيرته رداء الكبرياء لكل شئ فيشهد الله فى كل شئ وبهذا يظهر لك افتتاح الصلاة بالتكبير لأن فى الصلاة مناجاة الله والمراقبة لأنواره . ( )

واما حجبه فقد ثبت فى الصحيح حجابه النور وفى رواية حجابه النار وليس بين الروايتين تناف فان له تجليا فى حجاب النار كما تجلى لموسى من جانب

( )

الطور نارا كما ان له تجليا فى حجاب النور كما تجلى لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فى قوله صلى الله عليه وسلم (رأيت نورا) ولك ان تقول ان فى هداية الله تعالى واضلاله حجابين فحجابه فى هداية النور آياية المتجلية للقلوب بواسطة شرائع رسله فتحجبه عن سبل الضلال والتخبط فى بيداء الشهوات والعمى قال تعالى (قد جاء كم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وحجابه فى اضلاله النار وهى الحجب المغشية للقلوب الصادة عن سبل الهدى والرشاد (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فقد تبين لك ان وجه توحيده هو الهادى الى سبل الهدى (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) وانه هو المضل باتباع وساوس الشيطان وبذلك يفهم سر قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا الى قوله واجعلنى نورا) اى اجعلنى من جميع الوجوه نورا دالا عليك .

تنبيه — جاء فى الصحيح ان لله سبعين حجابا من نور وذلك لاتنافى بينه وبين قوله حجابه النور لان حجب انواره لا حصر لها اذ ما من شئ الا وهو حجاب من حجب وجه الله وآية من آيات وحدانيته .

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

وتمثل ذلك تفهم قوله تعالى (الله نور السموات والارض الآية) وقوله (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) وبذلك تعلم ان ذكر عدد السبعين ليس للحصر قال الازهرى وغيره من علماء اللغة (العرب تضع السبع موضع التضعيف وان جاوز السبع واصله قوله تعالى (مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة الآية) واصل اعتبار هذا العدد فى تضعيف حجبه ان لله صفات ذاتيه هى العلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر فهذه سبع صفات يتجلى سبحانه فى حجب انوارها بوجه توحيده وهى مبدأ التضعيف فأن تضاعفت فرتبة العشرة سبعون وان تضاعفت فرتبة المائة سبعمائة وان تضاعفت فرتبة الألف كانت نهاية الكثرة وقد نبه صلى الله عليه وسلم على الثلاثة بقوله (من هم بحسنة فعملها كتبها الله عنده

عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة .

واما (سبحات) وجهه فقد ثبت في الصحيح (لو كشف حجابه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه) وقد اولها العلماء بجلاله وهو تأويل صحيح ولكن اذا اردت ان تجرى على وفق الاستعمال اللغوى والقواعد التى مهدناها فاعلم ان السبحات جمع سبحة والسبحة فى اللغة ما يتطوع به من صلاة وتسبيح ونحوهما مما لا يحصر وقد ثبت ان انوار التعاطى تحجب وجهه ونور التذكر شامل لجميعها ومهيمن على سائر سبحات الاكرام قال تعالى (فاذكرونى اذكركم) فما دام العبد يشهد تذكره لربه فوجه ربه متجل عليه فى حجابه بسبحة ذكره كما ثبت فى الصحيح (انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكرنى) ولا يزال العبد يذكر الله حتى ينكشف حجاب ذكره ويتجلى له سبحة ذكر الله هنالك تحرق سبحته ما ينسبه الى العبد من الافعال ويظهر نسبتها الى الله كما ثبت فى الصحيح (ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها الحديث)

تنبيه — قوله صلى الله عليه وسلم (لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه . اعلم ان بصره سبحانه لاتتناهاه مبصراته ولا يحجبه عن خلقه حجاب وانما ينكشف لك معنى الحديث بمراجعة ما قررناه لك وفى قوله صلى الله عليه وسلم (الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان تكن تراه فانه يراك تنبيه على ان العبد لا يشهد رؤية الله له حتى يغيب عن صفته ورؤيته فكل عبادة تصحبها الملاحظة والمراقبة فهى نور من حجب وجهه ينظر العبد منه الى ربه وينظر الله منه الى عبده فانتهاء بصره كناية عن انتهائه بحسب كشف العبد وشهوده واحراقه هو محوه بثبوت صفة الله ورؤيته للعبد وصفة الله ورؤيته هى سبحته

اشارة — اورد محمد بن على بن محمد الاصفهانى عن مجنون ليلى هذا المعنى .

رأى ليلى فاعرض عن سواها محبا لايرى حسنا سواها
لقد ظفرت يداه ونال ملكا لئن كانت تراه كما يراها

فنبه على ان الظفر ليس فى رؤيته هو لها وانما هو فى رؤيتها له وقوله كما يراها فيه تنبيه على تجلى السبحة وذلك انه رأى ليلى على وجه الافراط فلم ير معها غيرها ولهذا قال — فاعرض عن سواها — حتى عن نفسه وهذا فيما

نحن فيه لايتم الا تجلى الصفة المقدسة فأنها اذا تجلت احرقت الحادثه من صفة العبد وتبقى صـفة الله هى المرئية له وبهذا يفهم سر امرالله لنبيه صلى الله عليه وسلم (ان يقرأ على ابى لم يكن) مع قوله صلى الله عليه وسـلم اقرؤكم ابى مع العلم بان ابيالم يكن احفظ الصحابة للقرآن ولا افصحهم فى ادائه ولا افقههم فى احكامه ولكنه كان عند قراءة القرآن اصغاهم مراقبة لتلاوة النبى صـلى الله عليه وسلم ومما يدلك على هذا ان السورة التى أمر بقراءتها هى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) وهى مشتملة على قوله (حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) فكان أبى اذا قرأها اصغى بقلبه الى روح النبوة .

المتشابه من الآيات التى ذكر فيها السمع والبصر والعين

قد دل الكتاب والسنة على ان هذه الصفات قسمان عادى وحقيقى فالعادى سماع القلب بالأذن وابصاره بالعين وهو عام فى المؤمن والكافر والحقيقى بصر العين وسمع الاذن به وقد نفاهالله عن الكافر فى غير ما آية منها قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) وقوله (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) فأثبت لهم السمع العادى ونفى عنهم المعنى الحقيقى ومن هذا يتضح معنى قوله تعالى (رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا) مع العلم بأن الله يعيدهم بأبصارهم كما لهم فى الدنيا تحقيقا لقوله (كما بدانا اول خلق نعيده) ولكن الحكم فى تلك الدار للابصار الحقيقية فهم عمى عن نور آيات التوحيد كما كانوا فى الدنيا (لايرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء) فلذلك اذا قال لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال (وكذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور فاذا ثبت انالسمع الحقيقى والبصر الحقيقى هما سمع القلب وبصره سهل عليك فهم بقية صفات الادراك .

واما نسبه العين اليه فهى اسم لآياته المبصرة التى ينظر بها تعالى للمؤمنين وبها ينظرون اليه قال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة فنسب البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقا لانها المراد بالعين المنسوبة اليه وقد قال تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وعلى هذا يحمل قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويؤيد ان المراد بالاعين هنا الآيات كونه علل بهاالصبر

الحكم ربه وعلله بآيات القرآن فى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم وقال فى سفينة نوح تجرى باعيننا اى بآياتنا وعنايتنا بدليل قوله قال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها وقال فى موسى ولتصنع على عينى اى على حكم آياتى التى اوحيتها الى امك ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فتدبر آيات الله وفسر بعضها ببعض حتى لاتمزق القرآن وتكون من الذين غضب الله عليهم. الهمنا الله الصواب .

صفة الكلام

قد وردت آيات واحاديث توهم نسبة الحروف والاصوات اليه تعالى فمنها قوله فاجره حتى يسمع كلام الله ومنها سماع موسى كلام الله وماروى من أن الله ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك الديان ومن قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وغير ذلك من الاحاديث الثابتة وهذه المسألة من المسائل التى تزلزلت فيها اقدام المتكلمين ولا نريد ان نوردهنا ما اوردوه من البراهين المطولة بل نريد ان نرد ما وقع من المتشابه فى الكتاب والسنة من ايهام نسبة الصوت والحرف الى الله تعالى ولابد فى ردها الى الحكم من مراجعة ماقدمناه لك فى صدر الكتاب وهو ان كلام الله يتقدس عن الحروف والاصوات ولقد كنا ذكرنا ان لصفاته تعالى مظهرين فلكلامه تعالى مظهران مظهر جسمانى منسوب للعباد وهى الالسنة والاقلام ومظهر روحانى وهو روح القدس وانا نفصل ماتقدم بعض التفصيل فاما قوله تعالى فاجره حتى يسمع كلام الله فمعناه انه يسمع كلام الله بواسطة مظاهره الحسية واطلاق كونه سامعا لكلام الله اطلاق مجازى لاحقيقى لما قدمنا من ان المظاهر الحسية ليست منسوبة الى الله لالغة ولاشرعا ومنه عن عائشة رضى الله عنها فى صحيح مسلم والبخارى وغيرهما ان الحارث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى قال احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل الى الملك رجلا فيكلمنى فاعى مايقول .

وهذا كله يحقق لك ما قلنا وقوله كصلصلة الجرس معناه ان الروح اذا

تجلت للرؤية ظهرت بمظهر تناسب قابلية من تجلت عليه كذلك اذا تجلت للاسماع افادت السمع بواسطة مظهر يلائم قابلية السامع .

ومن البخاري والترمذي واللفظ له عن ابي هريرة رضي الله اذا قضى الله في السماء امراً ضربت الملائكة باجنحتها خضوعاً لقوله كانها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وهذا يقتضي ان هذا الصوت المسموع هو صوت اجنحة الملائكة ولكن في بعض الروايات ما يقتضي نسبته الى الوحي وهو مخرج على ماقررنا فكما ان الوحي سمعه محمد صلى الله عليه وسلم كصلصلة الجرس باعتبار قابليته كذلك الملائكة تسمعه كجر السلسلة على الصفوان باعتبار قابليتهم لا باعتبار نفسه والغرض من ذلك كله التمثيل والتقريب للافهام .

تنبيه — ليس من المتشابه قوله تعالى ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد لان الآية الثانية تفسير للاولى ولذا لم اتى بها لا على وجه العطف تنبيها على ان بطشه انما هو تصرفه في بدئه واعادته فنسبة الايدي اليه في الآيات الاخرى استعارة لقدرته التي هي مصدر لجميع الفيوضات والانوار وتلك الانوار يفيض الله بها على عباده بقدرته تتفاوت في روح القرب وعلى حسب تفاوتها وسعة دوائرها يكون التخصيص والشرف لما ظهر عنها الاترى قوله تعالى في حق آدم لما خلقت بيدي كيف يستفاد منه تنويه به وتشريف لشأنه ولا يستفاد مثل ذلك من قوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وماذلك الا لان مصدر فيوضات الايدي ليست في آدم والانعام سواء فقد علمت ان اليد استعارة لنور قدرته ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح يمين ربي ملأى سحا لايغيضها الليل والنهار اراَيتم ما انفق منذ خلق السموات فانه لم يغض مافي يمينه وعرشه على الماء وبيده الاخرى الميزان يرفع ويخفض . فليس لله يد يمسك بها الميزان بل المراد من كل ذلك ان يده هي قدرته التي يفيض بها على من يشاء ويصرف بها الامر كما يشاء ومما يؤيد ما نقول قوله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فالغرض من كل ذلك التمثيل والتقريب فيحمل كل ماورد في الاحاديث والآيات على ماذكرنا ( )

تنبيه — قوله والسموات مطويات بيمينه اشبه شيء ذكره المفسرون فى معنى الطى انه بمعنى الاخفاء اى والسموات قد خفيت حقائقها بيمينه فى نور تجليهــا فليس لاهل الموقف سماء الا نورها ويؤيده قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها فلا سماء لاهل الموقف الاحجاب نوره ولا ظل الاظل عرشــه والطى على هذا موافق للكشط فى قوله تعالى واذا السماء كشطت اى كشفت وخفيت تحت اشــعة انوار يمينه واما اســتعارة الانامل والاصابع لها فاعلم ان حقيقة ذلك يرجع الى انه ما من نور من انواره تعالى الاوله حجاب صورى يتعرف الى عباده بواسطته بدليل قوله تعالى الله نور السموات والارض الآية . فضرب المشكاة والزجاجة والشجر امثلة لحجب انواره الصورية وقد قدمنا عند ذكر الصورة مايفهم منه معنى قوله صلى الله عليه وسلم فأتانى ربى فى احسن صورة وان الصــورة التى تجلى لنبيه فيها وتجلى فيها بنور يده العليا هى صــاحبة الانامل وهى ظلة شريعته السمحة التى هى احسن الشرائع وتفهم السر ايضا فى وجود بردها بين ثدييه وهو صدره لانشراحه للاسلام فهو على نور من ربه وعلى برد الرضا والتسليم ولا امتناع فى تجسدها وتشكلها على هيئة الصورة كما بينا وفى صورة هذه اليد الاسلامية ظهرت قيوميته بالســموات والارض فى قوله تعالى وله اسلم من فى الســموات والارض وفيها ظهر سر العهــد والمبايعة فى قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يدالله فوق ايديهم وفيها ظهر سر اجارته وعصمته بقوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شــيء وهو يجير ولا يجار عليه لان من قال لااله الا الله عصم دمه وماله .

ومن المتشابه الجنب فى قوله تعالى ان تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله وهو ايضا يخرج على ماذكرنا وذلك ان الصــورة اذا كانت ظلة غمام الشريعة فراسها كتاب الله وجنبها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومظهرها متابعته ومتابعة خلفائه الراشــدين وعلماء الأمة المتقين ومما يدلك على ذلك قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مع قوله فى اثناء السورة الله نزل الحديث فعلم انه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لانه لاينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى فلما مهد الأمر بالمتابعة لكتابه وسنة رسوله حذر من اتيان عذابه قبل ذلك ومن قول النفس ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله وذلك كالصريح فى ان الجنب هو سنة رسوله وعلماء الامة المتقين لانهم

كانوا يسخرون من الذين آمنوا فى اتباعهم لرسوله فلهذا اردفت حسرتها بقولها وان كنت لمن الساخرين وبقولها لو ان الله هدانى لكنت من المتقين فرد الله عليها بقوله بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين .

تنبيه — قد سبق فى اثناء السورة قوله تعالى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله ثم بين انهم الذين اتقوا بقوله لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار ثم بين بقوله وعد الله ان ذلك هو الذى وعدهم به فى قوله زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم يكونون فى الدرك الاسفل والذين اتقوا فى الغرف ولذلك حق لهم ان يتحسروا على ما فرطوا فى جنب الله وهو الاهتداء برسول الله حتى يسعدوا به وبصحبته كما سعد به المتقون من اتباعه واهتدوا باتباعه وفى ذلك اليوم تظهر لهم حقيقة سخريتهم فى قوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا فى قوله والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم . اذا تقرر لك بهذا ان الجنب جنبان جنب حسى وجنب معنوى حقيقى فكذلك الصاحب بالجنب صاحبان صاحب السفر الجنبى وصاحب فى السفر القلبى وبذلك فافهم السر فى قوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا الى قوله والصاحب بالجنب وابن السبيل فان تنزلت فاعتبر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وان ترقيت فاعتبر قوله تعالى عن رسوله ماضل صاحبكم وماغوى ثم اعتبر قوله صلى الله عليه وسلم فى سفره اللهم انت الصاحب والخليفة فى الاهل .

تنبيه — قد روى ابو عبدالله الترمذى بسنده الى عبدالله بن سلام ان النبى صلى الله عليه وسلم يجلسه الله معه على العرش وذلك يتخرج على مامهدنا لانا بينا ان الصورة التى يتجلى الله فيها هى ظلة غمامه وهى انوار آياته وفى تلك الصورة يتجلى الله على العرش ونبينا صلى الله وسلم يتجلى لأمته فى ظلة سنته وكتاب الله وسنة رسوله لايفترقان فمن اجل ذلك صحت المجالسة له مع ربه على عرشه ووضح بهذا حسرة النفوس التى شقيت بمخالفته على تفريطها فى جنب الله لانها تشهد هنالك حقيقة معية ربه له ومجالسته .

ومن المتشابه صفة القدم فانه ثبت فى الصحيح من حديث انس بن مالك

الهداية

—.(تصدر فى الاستانة. ربيع الآخر سنة ١٣٣١).—

اسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم مايود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذوالفضل العظيم .

نهى القرآن الكريم المسلمين عن مخاطبة الرسول عليه السلام بقولهم راعنا وارشدهم الى وجوب مخاطبته بكلمة انظرنا ثم امرهم ان يصغوا ويستمعوا اليه . ذلك ان الكفار من اهل الكتاب والمشركين كانوا يسخرون من الرسول عليه السلام ويلوون السنتهم فى مخاطباته فتارة يخاطبونه بقولهم (راعنا) وتارة بقولهم (اسمع غير مسمع) كما كانوا تارات اخرى يعدلون عن لى اللسان واستعمال المبهمات السمجة او التوريات الى الجهر بالعبارات البذيئة فيقولون سمعنا وعصينا استهزاء

بالرسول عليه السلام واستخفا فابشأنه واستكبارا عن الانصات الى هدايته وتفهم رسالته

فأمانهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول بتلك العبارات المذكورة آنفافذلك ان كلمة راعنا كانت فى اهل الحجازة قولا سخريا لا يستعمل فى مواطن الادب ولكن جهال العرب الذين دخلوا فى الاسلام ماكانوا يدركون مبلغ قبحها .

على ان اهل الكتاب من اليهود والمشركين كانوا يفترصون استعمال جهال العرب لها فى مخاطبتهم الرسول فيخاطبونه بها ولكنهم كانوا يورون بها عن المعانى الخفية التى قد تشير اليها كلمة راعنا باعتبارها مشتقة من اصول اخرى او محرفة عن كلمات تقرب منها .

فمن ذلك ان (راعنا) كما يجوز ان يكون معناها انظر الينا كذلك يجوز ان تكون من معنى الرعونة واجريت فى الوصل فى التلاوة مجرى الوقف فى المناجاة والمخاطبة (١)

وكذلك يجوزان يلوى بها المتكلم لسانه فتصير (راعنا) وهذه كلمة سب لدى اليهود او هى بمعنى انت راعى شائنا وانعامنا .

وبالجملة ان هذه الآية تنهى المؤمنين عن استعمال مالا يليق بمقام النبوة من الالفاظ وان لم يقصدوا منهاما يقصده كفار اهل الكتاب والمشركون من الاهانة والسب والزراية والطعن فاما هؤلاء فانما حسابهم على ربهم (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعناوعصينا واسمع غير سمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا

(١) فيكون معنى (راعنا) اى ارعن وهومن الصيغ النسبية كتامر ولابن

فى الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا)

كان عامة المسلمين وسذجهم يخدعون بما يرونه من غشيان كفار أهل الكتاب والمشركين مجالس النبي صلى الله عليه وسلم وازدلافهم من صحابته فكانوا يخلصون اليهم ويحرصون على معاملتهم طبقا لاحكام القرآن الكريم الذى يأمر بالعدل والاحسان فما كانوا يكفون عن محاسنتهم ولا يستنكفون عن عيادة مرضاهم .

ولطالما استدرجتهم الغرة الكريمة التى هى من طباع المؤمن الساذج حتى انقلبوا لا يفكرون فيما يبطن لهم أولئك الاشرار من المكايد ويدبرون لهم من السوء . ولكثرما احسنوا بهم الظن فلم يأخذوا دونهم شيئا من الحذر والحيطة ولولا عناية الله بهم ورسالاته التى لم تبق خفيا الا كشفت عنه ولا كيدا الا حذرت من دونه لما بقى للمسلمين من أثر ولا للاسلام وهو فى دور تخلقه من وجود .

والمتتبع لآيات الكتاب الكريم يرى فيها من التنبيه والعظة مالو اقتدى المسلمون بشئ منه ما تصببت عليهم الارزاء من كل صوب .
كان شان اهل الكتاب فى صدر الاسلام شأنهم اليوم مع المسلمين ولكن كانت تتنزل على السلف الصالح آيات القرآن فيتدبرونها ويعونها ويعملون بها فيصونهم الله بذلك من مكر الماكرين وكيد الكائدين اما من جاء من بعدهم من الاجيال الاسلامية فقد استمسكوا ببعض الكتاب ونبذوا اكثره

عرفوا ان الاسلام يوصى بالمستأمن واهل الذمة خيرا ويفرض

لهم من الحقوق والمزايامالا يقل عما للمسلمين بحال . ولكنهم مع ذلك نبذوا من آيات الله ما يدعو الى الحذر والتزام اليقظة كما نبذوا من كتاب الله مالا ريب فيه من الحقائق التى نراها رأى العين فى كل زمان ومكان .

كان اهل الكتاب فى صدر الاسلام يتواصون ان يؤمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار وان يكفروا بذلك آخر النهار لعل المومنين يرتابون فى صحة شريعتهم وصدق نبيهم فيرجعوا عن دينهم فلما كشفت آيات القرآن ما كانوا يبيتون اخذ المؤمنون حذرهم فلم يقعوا فى الفخاخ التى كانت تنصب لهم .

ايقن مسلمو صدر الاسلام بصدق قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) فكانوا على عدلهم فى اهل الكتاب واحسانهم اليهم لا يغفلون طرفة عين عما تضمره صدور أولئك من بغض الاسلام وكرههم للمسلمين وانه لولا ما كان للعالم الاسلامى اذ ذاك من الكلمة العليا والسلطان الشامل ما خضعوا لا حكامهم ولا أبقوا على واحد منهم . فكان ذلك السلف الصالح يجمع الى الاحسان الى اهل الكتاب واقامة موازين العدل فيهم ذلك الحذر والحيطة التى سودتهم وجعلتهم ملوك الارض وحماة الضعفاء وملجأ المضطهدين قرونا عديدة . فمع دخول عشرات الملايين من اهل الكتاب والمجوس بآسيا وافريقيا واوربا وجزائر البحار والمحيطات فى دائرة حكمهم ما سجل التاريخ يوما انتقض عليهم فيه رعاياهم أولئك خلال عدة قرون . بل كانوا يعيشون هادئين ساكنين لا يتمكنون من انتقاض ولا يستطيعون سبيلا الى

مكيده .

ومازال ذلك شأن المسلمين فى رعاياهم من اهل الكتاب حتى تمكنت الشهوات من نفوسهم وجهلوا الكتاب كتاب الله تعالى فعميت قلوبهم عن ان تفقه واعينهم عن ان تبصر وهنالك تمكنت الغفلة منهم حتى انقلبوا حطبا لنيران الفتن الصليبية فى الاندلس قديما وفى الروملى الشرقى والبانيا حديثا .

يتلو المسلمون فى كل مكان وكل آن الآية التى نحن بصدد تفسيرها اليوم وهى تنادينا (مايود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم) فمن منهم تدبرها ذات يوم فاتقى كيد أولئك الاشرار بشئ من الحيطة والحذر ! كلا فلقد تمر هذه الآية وكثير من اشباهها باسماعهم وهم لاهون معرضون (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون)

ان ديننا الشريف وشريعتنا الفطرية السمحة لا تبيح لنا ان نعدو على احد ولا ان نظلم من خلائق الله تعالى حتى الحيوان الاعجم ولكنه مع ذلك حذرنا ان نهن او نغفل حتى لا ننقلب فريسة لكل مفترس وحربا لكل معتد جبار .

فاما القرآن الكريم فانه يقص علينا من العبر والعظات ما قد ضيعناه فضيعنا واستخففنا به فذللنا وصغرنا .

واما السنة المصطفوية فان فيها من سيرة فخر الكائنات ﷺ وسياسته مالو وعته الحكومات الاسلامية ما تداعى بنيانها ولا تنقضت اركانها .

ولولم ينقل الينا منها غير ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله انه قال (١) (بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعلت الذلة والصغار على خالف من امرى) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى البخارى (أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا القيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف) لولم ينقل الينا من سنة رسول الله فى السياسية سوى هذا لكفانا هداية ورشدا

كان المسلمون الاولون يقولون لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد فكان هؤلاء يقولون ما هذا الذى يدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لوكان خيرا فنتبعه فجاء فى سبيل تكذيبهم وكشف مستور ضمائرهم قوله تعالى (مايود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم خير من ربكم) ناطقا باصرح عبارة وافصح بيان ان هؤلاء لا يودون ان يصيب المسلمين من الخير شىء ما كثيرا كان او قليلا ولكن اغرار المسلمين الذين لا يدركون مقاصد كتاب الله ولا يعون آياته المحكمة قد طبع الجهل على قلوبهم فضلوا فلا يهتدون سبيلا . ضلوا فلم يميزوا بين الصديق والعدو ولم يستطيعوا ان يفرقوا بين القلوب الممتلئة رحمة والصدور المتدفقة حقدا وحنقا .هل افادتهم الحوادث الفاجعة والارزاء الموجعة وهل ايقظتهم النكبات ونبهتهم نذر السوء المتعاقبة فيهم دون انقطاع ؟ كلا فانهم اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون .

(١) الجزء الاول من تفسير ابن كثير — صفحه ٢٥٦

مانَنسَخ مِن آيَةٍ اَو نُنسِها نَأتِ بِخَيرٍ مِنها اَو مِثلِها اَلَم تَعلَم اَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ اَلَم تَعلَم اَنَّ اللهَ لَهُ مُلكُ السَّمواتِ وَالاَرضِ وَمالَكُم مِن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصيرٍ . اَم تُريدُونَ اَن تَسأَلوا رَسولَكُم كَما سُئِلَ موسى مِن قَبلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفرَ بِالاِيمانِ فَقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبيلِ . وَدَّ كَثيرٌ مِن اَهلِ الكِتابِ لَو يَرُدُّونَكُم مِن بَعدِ اِيمانِكُم كُفّاراً حَسَداً مِن عِندِ اَنفُسِهِم مِن بَعدِ ماتَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعفُوا وَاصفَحوا حَتّى يَأتِيَ اللهُ بِأَمرِهِ اِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ وَاَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَما تُقَدِّموا لِاَنفُسِكُم مِن خَيرٍ تَجِدوهُ عِندَ اللهِ اِنَّ اللهَ بِما تَعمَلونَ بَصيرٌ وَقالوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ اِلّا مَن كانَ هُوداً او نَصارى تِلكَ اَمانِيُّهُم قُل هاتوا بُرهانَكُم اِن كُنتُم صادِقينَ بَلى مَن اَسلَمَ وَجهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ فَلَهُ اَجرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاخَوفٌ عَلَيهِم وَلاهُم يَحزَنونَ .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما أخذ يدعو الى الاسلام المشركين واهل الكتاب امعنوا فى ايذائه والاستخفاف به واعناته

كانوا يسألونه ان يثبت دعواه بشيء من المعجزات وخوارق العادات فكان صلى الله عليه وسلم يرجع بهم الى الجواب عما هو من حدود وظيفة الرسل . ولطالما تنصل الرسول من اجابة مطالبهم مرشدا لهم الى ما قصد من شريعته وما هو الا اصلاح شؤن الانسان وتمكينه من سعادة الدارين .

ولم يكن لجاج العرب فى طلب الآيات الخارقة للعادات من النبي صلى الله عليه وسلم ناشئا عن تر و وصدق رأى وسلامة قلب وانما كانوا يتشبثون بها اما عبثا او عنادا او عملا بما ورثوه عن آبائهم الاولين مما لا يطابق مقتضيات الفطرة السليمة ولا يجامع سنة الله التى ليس

لها تبديل . ولوكانوا فى الاخلاص كما يزعمون ما كانت تزيدهم الآيات السماوية عنادا وتكذيبا. فكم ارسل الله من معجزة وكم ايد انبياءه ببالغ آياته فهل اغنتهم هذه الآيات فى سبيل التبليغ والتبشير شيئا .كلا فقد نزل فى بيان حالهم قوله تعالى (ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا)

كم اظهر الله على ايدى انبيائه من آية وكم انسى طول العهد باحدى المعجزات قوما فارسل الله لهم خيرا منها اومثلها . ولا بدع فالله تعالى على كل شئ قدير وكيف .لا وله ملك السموات والارض وما لهم من دونه من ولى ولا نصير .

فاذا نسخ الله احدى الآيات ومحاها كاية الليل مثلا فانه يعقبها بمثلها او بما هو خير منها وهو آية النهار (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب)

واذا انسى بعد العهد قوما احدى آيات الله المعجزة فان الله قادر على ان ينزل آية مثلها او اعظم منها (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون)

كان الرسول عليه السلام كثيرا ما يحزنه استهزاء الكافرين به وانكارهم رسالته كلما طالبوه بمعجزة فلا ترسل اليهم . (ولقد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) وكذلك كان عليه السلام لشديد حرصه على اسلامهم وسلامتهم يكبر عليه اعراضهم عن قبول دعوته (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا) لهذا حسن ان تصاغ فى مخاطبة الرسول عليه السلام الآية التى نحن بصدد تفسيرها على النحو الذى

رأيت والا فهو عليه السلام لا يجهل ان الله على كل شئ قدير وان له ملك السموات والارض وما كان ليخاطب بهذا ولولا ما كان يساور نفسه من الهموم والقلق كلما الحفوا فى طلب تلك الآيات على النحو الذى اوضحنا حتى لقد كادوا يزلون قدمه عليه السلام لولا عصمة الله له وحفظه اياه (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف المماة ثم لا تجد لك علينا نصيرا) ويتمثل لك سر هذا جليا فى قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض اوسلما فى السماء فتأتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)

والواقع ان عدم اجابة الله نبينا الاكرم الى ما كان يطلبه منه الكفار من المشركين واهل الكتاب من الآيات و المعجزات لم يكن الا لانه تعالى علم من امرهم انهم لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) وقد جاء نصا فى هذا المعنى قوله جل شأنه (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا)

بعد ان بين الله تعالى ان فى وسعه ارسال الآيات وانه لا يعجزه شئ فى الارض ولا فى السموات وانه اذا محا شيئاً من آياته او اطال عهد خلائقه بها فانه يقدر على ان يأتى بمثلها او خير منها شرع يقرع العرب الذين كانوا يلاجونه عليه السلام ويلحون عليه فى طلب الآيات فقال (ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل)

جاءموسى قومه بالتوحيد والواح كتب الله فيها ماشاء من العظات والاحكام فلم يثبتوا على توحيدهم بل جعلوا يطلبون من موسى تارة ماهو عنت محض وتارات ما هو شرك مبين (قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهه) و (قالوا ارنا الله جهرة)

على اننا لا نرى من بأس ان يكون الخطاب فى قوله تعالى أم تريدون ان تسألوا رسولكم (الآية) لعامة المسلمين الذين دخلوا فى الاسلام ولقرب عهدهم بالوثنية والكفر لم يرسخ التوحيد فى قلوبهم بل كانت تعاودهم نوبات الشرك والاعتقاد فى الاوثان والتماثيل ونحوها فكان صلى الله عليه وسلم يعالج امراضهم هذه بالتذكير والعظات والهداية الى الطريق السوى وكانت تتنزل فى ذلك الآيات .

ومن هذا الباب ماروواه الامام ابن جرير فى تفسير قوله تعالى (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم) عن أبى واقد الليثى ان المسلمين خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها اسلحتهم يقال لها «ذات انواط» قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال قلتم والذى نفسى بيده كما قال قوم موسى لموسى (اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون) وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن سنان بن سنان عن ابى واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله قبل حنين فمررنا بسدرة فقلت يا نبى الله اجعل لنا هذه ذات انواط كما

للكفار ذات انواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة و يعكفون حولها فقال الرسول (االله اكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعلْ لنا الها كما لهم آلهة . انكم تركبون سنن من قبلكم .) مما قدمنا هنا يتجلى ان جهال المسلمين فى بدء اسلامهم كانوا يحنون فى بعض الاوقات الى شئ مما كانوا يفعلون فى جاهليتهم لا بغضا فى الدين ونفورا من التوحيد و انما هى نتائج الالف والعادة الطويلة. ويدلنا على ان الامثل حمل الآية الكريمة على ما كان يجول فى صدور المؤلفة قلوبهم من امثال تلك الوساوس التى سردناها فى حديث السدرة ذات الانواط ماختمت به الآية هذه من قوله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) اذ تبدل الكفر بالايمان لايكون الا حيث يكون الاسلام قائما سابقا . فختم الآية بهذه الفاصلة يرشد الى انه ليس الكفار من اهل الكتاب والمشركين هم المعنيون بالخطاب وانما هو خطاب لقريبى العهد بالتوحيد من المسلمين

وخلاصة القول ان سياق الآيات التى نحن بصددها وكذا ماجاء فى تضاعيفها من المعانى والاشارات يدل على ان كلمة الآية التى جاءت فى قوله تعالى « ماننسخ من آية او ننسها » انما هى الآيات الدالة على وجود الله و وحدانيته او على تأييد رسله . وبحسبك ان تتدبر ماجاء عقب ذلك من قوله (ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير) و قوله (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) فان الرجوع بالمخاطب الى ان الله قدير على كل شئ وانه مالك السموات والارض وان ليس لاحد دونه من ولى ولا نصير كل

هذا يشير الى انه تعالى لايعجزه ان يأتي بمعجزة اوآية نسخها ومحاها او طال عهد الناس بها فنسوها .

ومن هذا القبيل قوله تعالى (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لايعلمون) فان عبارة « قادر » تنبئ عما كان يقترحه الكفار من المعجزات الشاقة كما فى آية (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه)

فمعاندو المشركين كانوا لايكفون عن ملاجة الرسول عليه السلام ومطالبته بخوارق العادات ونحوها ثم كانوا يسخرون منه اذا لم يجبهم فتارة يقولون ان الله قد تخلى عنه وتارة يد الله مغلولة وطورا ان اله محمد عاجز وطورا ان الله فقير ونحن اغنياء. فآية (ماننسخ) التى نحن بصددها نزلت فى الرد على من بلغ بهم التعنت والكفر حدا عيروا فيه الرسول اذ لم يجبهم الى ما كانوا يطلبون من المعجزات بان الهه عاجز لايقدر على ان يؤيد رسوله بما طلبوه من الآيات .

لذلك تخاطب الآية الكريمة الرسول الا يعبأ بسخافاتهم وهذيانهم وفرط كفرهم فلو انهم حكموا عقولهم واتبعوا الانصاف بوجه ما لعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله له ملك السموات والارض فلم يكن كفه عن ارسال الآيات آونة الى رسوله الا لحكمة ولو شاء الله لانزل آية بعد أن

يمحو أخرى او بعد ان يطول العهد بها فتنمحي من الاذهان . هذاقولنا في الآية الكريمة وللمفسرين هنا كلام طويل لا نريد ان نناقشهم عافاهم الله فيما زلت فيه اقلامهم منه . ولكن لابد لنا من الاستطراد بذكر كلمة في امر النسخ شرعا وهو نسخ الاحكام الشرعية الواردة في آيات القرآن الكريم. ذلك ان طائفة من المفسرين ذهبت الى ان المراد بآية في قوله تعالى (ما ننسخ من آية اوننسا) هي آيات القرآن الكريم . ولم يراعوا اصلحهم الله ذوق القرآن ولا اسلوبه العربي ولا أنعموا النظر في سياقه بل اصروا على ما فهموا وخاضوا فيما زعموا ففتحوا بذلك لاهل البغي والعدوان من الصليبين وغيرهم ابوابا واسعة للنقد والطعن والتعيير والفحش. ولكم خاضت القساقسة في امر النسخ هذا وباغتوا عامة المسلمين بما امكنهم ان يستنبطوا من اقوال المفسرين وعلماء الاصول مماتذرعوا به (حقا اوباطلا) الى الحط من كرامة القرآن الكريم والصاق الهنات والمناكير بالشريعة الغراء .

لهذا اجدني مضطرا الى معالجة هذا الباب لا لانني ارى حمل الآية الكريمة عليه وان النسخ فيها هو نسخ آيات القرآن وانما ذلك لان جل السلف تعاقبوا على ولوجه وتواطئوا على المعنى الذي خاضوا فيه فاقول وبالله تعالى الهداية والتوفيق .

اعلم ان نسخ الله لاحكامه او لآية من آيات كتبه السماوية انكره اليهود والمسيحيون وقال به عامة المسلمين وخاصتهم الا ابامسلم بن بحر المفسر فانه مع قوله بجواز وقوعه عقلا ينكر حصول شئ منه القرآن الكريم .

وقبل ان نبدى رأينا فيما قام من الخلاف فى ذلك بين ابى مسلم وغيره يجمل بنا ان نجادل اهل الكتاب فيما زعموه من عدم وقوع النسخ ونصدهم عن حملاتهم المنكرة الفاحشة التى يحملونها علينا .

لاجرم ان الله تعالى ارسل رسله بالكتب القدسية لهداية العالم وسلامتهم من الزلل فى الدنيا والآخرة .

ومعلوم ان الطبائع البشرية مختلفة وان الشئون الاجتماعية فى الامم المختلفة متغايرة . واذا كانت الاحكام التعاملية لا يراد منها سوى اصلاح الشئون الحيوية واقامة الحدود بين الجماعات والافراد حتى لا يبغى احد منهم على آخر كان لابد فى تقرير الاحكام وتقديرها من مراعاة طباع الامم الذين يراد تكليفهم بها .

ولا ريب ان الله تعالى هو العليم بعباده الحكيم فى اعماله ومن اولى من الله بالحكمة والسداد وهو اللطيف الخبير .

لقد ارسل الله الى الامم من الرسل والانبياء مالم يقص علينا الا قليلا من امرهم . فهل يرى السخفاء من اليهود ان تكون احكام الله الى تلك الامم واحدة ومنها الراقى والمنحط والبربرى الغشوم والجبار والرحيم والمدنى والبدوى والدارس والامى . ام يريدون الا تتغير احكام الله فى أمة يصعد بها رسولها فى معارج الرقى والفلاح رويدا رويدا ويتعهدها بالتهذيب والتثقيف قليلا قليلا

اللهم ان العقل ايجوزن وقوع ذلك النسخ. والمشاهدات اقطع دليل على تحقق ذلك .ان الاحكام الالهية والاحكام الوضعية سواء فى قبولها النسخ وان يستبدل بواحد منها غيره طبقا لمقتضيات الاحوال والشئون

الحيوية والاجتماعية .

لهذا نرى المجالس التشريعية فى سائر الممالك لاينفكون يغيرون ويبدلون ويعدلون كلما دعت حاجة اممهم الى شئ من ذلك .

ولا يعقل ان الله وهو العليم الحكيم يفرض على امة من الامم عين مايفرض على امة اخرى لا تشاكلها فى اطوارها وشئونها الحيوية والاجتماعية او ان ينزل يوماما على امة حكما مناسبا لحالتها فى ذلك اليوم ثم يبقى ذلك الحكم عينه عزيمة ثابتة لاتنسخ ولا تعدل تلزم به الامة ولو اختلفت المقتضيات وتباينت الاطوار والشئون فلصاحب الشرع ان يفرض حكما لمصلحة حتى اذا توفرت الدواعى الى تغييره نسخه بحكم آخر أليق بالمصلحة واضمن للعدل والاستقامة . وهذا مالا ينكره الا مكابر عنيد او جاهل لايعى

وقد كتب العلماء فى هذا الموضوع واروا بكل وضوح كيف وقع النسخ بالفعل فى التوراة والانجيل . وضربوا الامثلة العديدة التى لا يقوى احد من اهل الكتاب على نقض شئ منها

ولا يسع هذا المقام استيعاب جميع ماأتوا عليه فى هذا الباب من الشواهد والامثلة المفحمة فلنجتزئ هنابذكر طرف منها (١) فنقول

قد كانت سارة زوجة ابراهيم الخليل عليه السلام اخته من ابيه كما يفهم من الآية الثانية عشرة من الباب العشرين من سفر التكوين (٢) اذ يقول فيها (انهااختى بالحقيقةابنةأبى وليست ابنة امى وقد تزوجت

---

(١) من شاء استيعاب هذا المبحث فعليه بكتاب اظهار الحق للاستاذ رحمة الله الهندى رحمه الله تعالى

(٢) راجع الترجمة العربية سنه ١٦٢٥ وسنه ١٦٤٨

بها) ومعلوم ان زواج الاخت فى الشريعة الموسوية حرام وفى منزلة الزنا.والزوج ملعون وقتل الزوجين واجب كما تدل عليه الآية التاسعة من الباب الثامن عشر من سفر الاخبار وهى (لا تكشف عورة اختك من ابيك كانت او من امك التى ولدت فى البيت او خارجا من البيت) ويؤخذ لعن المتزوج باخته من الآية الثانية والعشرين من الباب السابع والعشرين من كتاب الاستثناء اذ تقول (ملعون من يضاجع اخته من ابيه وامه)

فلو لم يكن الاقتران بالاخت جائزا قبل آيات التوراة هذا لما اتخذ ابراهيم اخته سارة حلاله ولكان داخلا فى جملة من لعنتهم آيات التوراة

ومن الامثلة المثبتة لوقوع النسخ فى الكتب السابقة للقرآن ان الشريعة الموسوية تبيح للرجل ان يطلق زوجته بكل علة وان يتزوج بها رجل آخر بعد الخروج من بيت الاول كما فى كتاب الاستثناء (٣) ولكن لا يجوز الطلاق فى شريعة عيسى الا بعلة الزنا . وكذا لا يجوز لآخر زواج المطلقة بل هو بمنزلة الزنا (٤) وقد اعترض الفريسيون على عيسى فى هذه المسألة فاجابهم بقوله (ان موسى ما جوز لكم طلاق نسائكم الا لقساوة قلوبكم واما من قبل فانه لم يكن كذلك وانا أقول لكم ان كل من طلق زوجته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى فقد زنى ومن يتزوج بتلك المطلقة يزنى)

قال الاستاذ رحمة الله الهندى بعد شرح ماسبق فعلم من جوابه انه

---

(٣) راجع الباب الرابع والعشرين منه

(٤) راجع الباب الخامس والتاسع عشر من انجيل متى

ثبت النسخ فى هذا الحكم مرتين مرة فى شريعة موسى ومرة فى شريعته هو .

ومن الامثلة ان الحيوانات كان كثير منها محرما فى شريعة موسى ثم جاء عيسى فاحلها ناسخا احكام التوراة فيها (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا اوما اختلط بعظم)

ومنها تعطيل الاعمال فى السبت وقتل من يعمل فيه فقد جاء فى سفر العدد قوله(١)

(ولما كان بنو اسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يلقط حطبا يوم السبت فاقبلوا به الى موسى وهرون والجماعة كلها فالقوه فى السجن لانهم لم يكونوا يعرفون ما يجب ان يفعلوا به فقال الرب لموسى فليقتل هذا الانسان ويرجمه كل الشعب بالحجارة خارجا من المحلة فاخرجوه ورجموه بالحجارة ومات كما امر الرب) وكان اليهود المعاصرون للمسيح عليه السلام يؤذونه ويريدون قتله لاجل عدم تعظيم السبت كما جاء فى آية (٢)(ومن اجل ذلك طرد اليهود عيسى وطلبوا قتله لانه قد فعل تلك الاشياء يوم السبت وقد بين العهد القديم علة تقديس يوم عيد الفطير بقوله (بانى اخرج جيوشكم من ارض مصر فا حفظوا هذا اليوم الى اجيالكم سنة الى الدهر)(٣) ثم جاءت شريعة عيسى فنسخت

(١) راجع الباب الخامس عشر منه
(٢) راجع الآية السادسة من الباب الخامس من انجيل يوحنا
(٣) راجع الباب الثالث والعشرين من سفر الاخبار

جميع ذلك . قال بشوب هارسلى فى ذيل شرح آية الاعياد (زال سبت كنيسة اليهود ومامشى المسيحيون فى عمل سبتهم على رسوم طفولية الفريسيين)

ومما لا ينبغى اغفال الاستدلال به حكم الختان فقد اوجبته شريعة موسى تأبيديا بل قال الاستاذ رحمة الله ان حكم الختان كان ابديا فى شريعة ابراهيم عليه السلام (١) ولذلك بقى هذا الحكم فى اولاد اسماعيل واسحاق وبقى فى شريعة موسى

وقد ختن عيسى عليه السلام (٢) وللمسيحيين الى هذا اليوم صلاة معينة يؤدونها فى يوم ختان المسيح تذكرة لهذا اليوم. وكان هذا الحكم باقيا حتى آخر عهد المسيح وانما نسخه الحواريون فى عهدهم (٣) وتشدد مقدسهم بولس فى نسخ هذا الحكم و اغرق حتى زعم ان من اختتن لا ينفعه المسيح (٤) على ان المسيحيين لم يكتفوا بان تنسخ شريعة موسى بشريعة مثلها الهية كشريعة عيسى بل ان الحواريين انفسهم كانوا هم الذين ينسخون مايشاءون . ومن هذا انهم بعد المشاورة نسخوا جميع الاحكام العملية فى التوراة الا اربعة ذبيحة الصنم والدم والمخنوق والزنا فابقوا حرمتها (٥) ثم جاء قديسهم بولس بعد ذلك فاحلها جميعا الا الزنا

(١) راجع الباب السابع عشر من سفر التكوين
(٢) راجع الآية ٢١ من الباب الثانى من انجيل لوقا
(٣) الباب الخامس عشر من اعمال الحواريين .
(٤) راجع الباب الخامس من رسالته الى اهل غلاطيه .
(٥) راجع الباب الخامس عشر من اعمال الحواريين .

فمنا اسلفنا يجلى ان النسخ ونعنى بذلك دائما نسخ الاحكام الشرعية باحكام شرعية سماوية كان موجودا معروفا فى اليهود والنصارى من اهل الكتاب بل منهم من من قام فجعل ينسخ احكام الله تعالى بفتواه كانهم يرون تخطئة الله تعالى فيما انزل على موسى من احكامه ولم يتريثوا حتى ينزل الله شريعة تنسخ احكامها ما يشاءهو من الاحكام السابقة لها .

فخير لاهل الكتاب بدل ان يهاجموا المسلمين وان يعيروهم بما اللى بلغته افهامهم السقيمه من مثالب الاسلام ونقائص القرآن ان يرجعو نفوسهم فيذكروا ما فعلت ايديهم بكتبهم من التحريف والتبديل (١) وما نسخ قد يسوهم من احكام العهد القديم وهم يعتقدون انها من عند الله فانهم سيسترون اذ ذاك او جههم خجلا وخزيا مما فعلت ايديهم من العبث بدينهم وباحكام انبيائهم الذين يقدسونهم ويعبدونهم من دون الله .

وانا على ثقة انه ما جرأ اهل الكتاب على مجادلة المسلمين فى امثال مسألة النسخ الا اعتقادهم ان المسلمين غارقون فى جهالتهم مهملون البحث فى تلك الكتب فهم لا يعرفون شيئا من مخازى اهل الكتاب ولا يعلمون كيف عبثت ايديهم بما يسمونه كتبهم المقدسه . ولو ان اهل الكتاب علموا انهم انما يخاطبون من المسلمين من هو ملم بسوءاتهم عليم بتحريفهم وتبديلهم وقبيح تاريخهم ما اجترأ واحد منهم ان يفتح فمه فيرسل كلمة واحدة لدعوة او مجادلة . فليدرس المسلمون من الكتب

(١) راجع الجزء الثانى من السنة الرابعة لمجلة الهدايه .

ما استوعب تلك المخازى والفظائع فان ذلك لهم جنة ووقايه (١) فلننتقل الآن الى الكلام فى امر النسخ بين علماء الاسلام وان كنا كما اسلفنا لا نرى حمل الآية التى نحن بصددها على موضوعه. ففيما ذكرنا آنفا بلاغ مبين.

اسلفنا ان الشارع قد يضع حكما ثم للحكمة والمصلحة يجوز ان ينزل حكما آخر ينسخه . وهذا امر لا ينافى مقتضى العقل ولا يدل على ان الله تعالى يجهل المصلحة الحقيقية فيبرم ثم ينقض ويقدر حكما ثم يتبين له المصلحة فى غيره فينسخه .كلا. فان النسخ عندنا ان يقدر الله حكما ليكلف به أمة او طائفة لاسباب ودواع حتى اذا تخلفت تلك الدواعى والاسباب وقامت دواع اخرى مقامها ينسخ الله ذلك الحكم ويفرض فى مكانه غيره فتقدير الحكم الاول كان للمصلحة والعدول عنه بفرض الحكم الناسخ له انما هو للمصلحة فليس فى ذلك ما يزعمه اليهود وغيرهم من البداء او الجهل ولهذا اجمع المسلمون على جواز وقوعه عقلا اللهم الا ما يروى الفخر الرازى من ان بعض المسلمين ينكره (٢) بيد ان الجمهور من علماء الاسلام يقولون بجوازه عقلا ووقوعه بالفعل فى الشرائع السماوية جميعها حتى القرآن الكريم. ولم ينفرد منهم بانكار وقوع النسخ فى القرآن سوى ابى مسلم بين بحر فانه قال كما اسلفنا ان النسخ مع جواز حصوله عقلا لم يتطرق الى شئ من احكام القرآن الكريم .

(١) ان اجمع ما كتب فى هذه الموضوعات واجدرها بالدراسة كتاب اظهار الحق للسيد رحمة الله الهندى وهو يوجد فى كل مكان تقريبا .

(٢) صفحة ٤٥٩ من الجزء الاول من تفسير الرازى .

ولو ان القرآن الكريم صرح بانه وقع فى آياته النسخ ما وسع احدا القول بغيره وانما هى مسألة اجتهادية اختلفت فيها آراء العلماء طبقا لاجتهادهم. هذا بالنسبة للاحكام التى جاء بها القرآن الكريم . امانسخ القرآن لبعض احكام التوراة فانه منطوق به فى بعض آى القرأن الكريم. فانظر بعد ان اعلمنا الله بعض ماحرم على اليهود بقوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما اوالحوايا اوما اختلط بعظم) كيف قص علينا ان الاسلام قدجب هذا الحكم وسرد علينا ما ابقى تحريمه بآية (قل لااجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغيرالله به)

ان نسخ القرآن لغيره من الشرائع السابقة أمر مفروغ منه وانما البحث فى هل فى القرآن آيات نسخت آيات منه اخرى .

احتج المتمسكون بوقوع النسخ فى القرآن بجملة آيات ظنوا انها صريحة فيما ارتأوه فلا بد لنا من تقرير رأينا فيها واحدة واحده .

(الاول) قوله تعالى « ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها » وقد تبين مما اسلفنا ان ليس المراد بآية هنا احدى آيات القرآن وافضنا فى بيان ذلك آنفا بما لم يبق معه ريب لمرتاب .

(الثانى) قوله تعالى « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . ألآن خفف الله عنكم

وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين »

قال المستدلون بالنسخ ان الآية الثانية المخففة ناسخة لسابقتها وزعم غيرهم انه لانسخ وان الايتين نزلتا معا فى وقت واحد مستدلين على ذلك بانهما مقترنتان فى الوضع وان القرآن لم يأت بما يدل على نسخ الثانية للاولى فلنترك ماشجر بين هؤلاء من التنازع والجدل ولنعكف على تدبر هاتين الآيتين والبحث فى احكامهما .

ان اقتران الآيتين فى التلاوة لايدل على اقترانهما فى التنزيل فكم من آية قرنت باخرى فى الوضع وبينهما فى التنزيل فترات طويلة .

ومما يدل على وقوع التراخى بين هاتين الايتين فى الوحى ماصدرت به الآية الثانية من كلمة (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) فان صياغة الآية وتنسيقها واسلوبها البلاغى ينافر بلاشك قول من يزعمون ان الايتين نزلتا معا وان الاولى لم تكن سوى وعد من الله ورجاء ان يقوى المسلمون على ان يقاتل الواحد منهم عشرة فان ذلك مالايقول به العليمون بذوق اللغة العربية العارفون بكنه علم الله و حكمته وصدق وعده . وتأويل هاتين الآيتين على مانرى ان الله فرض اول الامر على المسلمين ان يقاتل الرجل منهم عشرة وقد ضمن له الغلبة عليهم . ولقد صدقهم الله اذ ذاك وعده . ذلك ان المسلمين كانوا اذ ذاك قليلى العدد جدا وقد جرت سنة الله فى خلقه ان الانسان اشجع مايكون وهو ممتلئ ثقة بقوته او ممتلئ يأسا من نصرته ففى هاتين

الحالتين يكون الانسان بالغا غاية الجرأة والاقدام . والعارفون باحوال النفس واطوارها لايشكون فى صحة هذه القضية وثبوتها .

اما اقدام الانسان عند استيئاقه من قوته وجزمه بحسن العاقبة فهذا مالايحتاج الى دليل وانما علينا ان نبين كيف ان اليأس قد يفضى بالانسان الى حد لايرى معه غير التقدم والاستماته . قد يحدق قطاع الطريق بتاجر فى البادية ليسلبوه مامعه فما ذاعسى ان يفعل التاجر ذلك فى امثال هذه الحالة ؟ تدل المشاهدات على ان ذلك التاجر وهو فرد اذا ماايقن ان حياته على خطر وان اللصوص لايكتفون بتجريده بمامعه من الاسباب والاموال يغلى دمه فى عروقه ويذهل عقله عن انه فرد واحد وانه لايصيب اولئك وهم كثير بشئ من الاذى فان كان معه شئ من اداة القتال جرده لمناضلتهم. وقد يمد يده الى هراوة او نحوها فيحاول ان يدرأ بها الاذى عن نفسه. ولو تدبر قليلا لعلم ان ذلك لايجديه شيئا .

ومما يصلح مثلا لذلك المرأة ترى ولدها وقد اختطفه الذئب اوالنمر فتغلى الدماء فى عروقها وتتكاثر على دماغها وتضطرب اعصابها حتى لتلقين بنفسها بين يدى ذلك الحيوان المفترس غيرشاعرة بما فعلت. ولو انها عقلت لا يقنت ان فى تلك المخاطرة هلاكها والتحاقها فريسة بابنها .

هذان مثالان يريان المرتاب صدق ماقدمنا من ان حالتى اليأس المطلق والرجاء المطلق سواء فى انهما يكسبان اصحابهما من الاقدام والشجاعة اقصى غايتهما (١) فكما ان اليأس البالغ يسلب الانسان قوة

(١) لهذا امثال كثيرة تضرب باللغة العاميه فمن ذلك قولهم فى القسم الاول العافية هبله (اى بلهاء) وفى القسم الثانى ان الذى على الخازوق يسب السلطان. ومن ذلك قولهم قاتل قتال المستميت .

التفكر ويدفعه الى ماقد يكون خطرا عليه وتهلكة له كذلك الرجاء البالغ والثقة التامة تحول بين عقله وبين التفكر والتدبر وحسبان العاقبة فان من شأن من يرى فى نفسه القوة البالغة الاستخفاف بغيره والاستعانة بعدوه .

ولا يخفى أن من مواطن اليأس التام الذى هو من مباعث الشجاعة ومناشئ الاقدام شعور انسان او جماعة بالضعف واعتقاد ان لا مفر من التهلكة والفناء .

واذ كان المسلمون فى بدء أمرهم قلالا ضعافا واعداؤهم اعزة شدادا كان لا بد للمسلمين ان يدفعوا عن دينهم أذى قريش ومؤامراتهم المتسلسلة المتصلة فتكليف الله اياهم اذ ذاك ان يقاتل الواحد منهم عشرة والمائة الفا والالف عشرة آلاف لم يكن بالعبث ولا بما لا يطاق من التكاليف وانما كان لحكمة يعرفها المليمون باحوال الانفس البشرية واطوارها .

ان الله كلفهم بذلك وهو يعلم انهم لضعفهم سيقاتلون قتال اليائس المستميت وقد اراد عز شأنه ان يبلغوا اقصى غايات الإقدام والشجاعة فوعدهم مع ذلك النصر والغلب . ومن هذا ما قص الله علينا من امر المسلمين وكانوا اذلة ضعفاء فى بدر اذ يقول (واذ نصركم الله ببدر وانتم اذلة) فضعف المسلمين اذ ذاك ووعد الله اياهم ان تكون لهم احدى الطائفتين (٢) هما سر ثبوت قدمهم فى الحرب وصبرهم البالغ على بلائها

(٢) العير او المقاتلون .

حتى كتب الله لهم النصر وظفرهم باعدائهم المشركين . كذلك كان شأن المسلمين فى بدء الاسلام ايام كانوا اذلة ضعفاء . فلما كثر عددهم تغيرت اطوارهم وتبدلت اخلاقهم واكتسبت نفوسهم صفات غير التى كانت لهم من قبل .

ذلك ان الجماعة متى كثر عددها كثرت فيها الخيلاء والعجب وفشا فيها التواكل فتهن بذلك العزائم ويغلب الاستخفاف بالعدو والاستهانة بامره فيقل بذلك الاقدام والشجاعة فلا تقوى جماعة على مقابلة امثالها من الاعداء . ولهذا امثال كثيرة جدا يبصرها المتدبر فى كل صفحة من صفحات التاريخ . ومصداق ذلك من القرآن الكريم آية (ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) فان فى ذلك ما يوضح لك كيف تكون الكثرة مجلبة للخيلاء والعجب مبعثا للتواكل ووهن العزيمة حتى ليفضين ذلك بالجيوش الكثيرة الفيالق الغفيرة السواد الى الفشل والخيبة والهزائم .

واقرب الامثلة الناطقة بذلك ما اصاب الجيوش العثمانية من الهزائم والخسائر فى الحروب البلقانية الحاضرة فان وفرة عددها وكثرة اسلحتها قد اعمتا ابصار قوادها عن الاخذ باسباب الحذر والبحث فيما عليه الاعداء من البأس والقوة حتى لقد سمعنا كبيرها يقف امام الضباط يوم اعلنت الحرب فيقول خذوا ملابسكم الرسمية معكم لترتدوا بها فى صوفيا عاصمة البلغار ثم التحم الفريقان فاصاب جيوشنا من العار والخزى والخسائر الجمة فى ثلاثة اسابيع ما لا يعرف التاريخ له شبيها منذ بدء وجود الاسلام

فاذا كان من نتائج كثرة الجماعات ومضاعفة عددالمقاتلين ما اوضحنا لك كان من مقتضيات حكمةالله الا يبقى حكمه الاول فى المسلمين وقد زاد عددهم وكثر سلاحهم وفشافيهم ما فشافى غيرهم من الامم .سنةالله التى قد خلت فى عباده . بل يجمل باللطيف الخبير العالم بما تظهره الا لسنة وما يخفيه الضمير ان يخفف الله عنهم تلك العزيمة الاولى بعد ان اعترى نفوسهم من الضعف والوهن مالا يمكنها ان تحمل معهذلك الحكم الاول. ذلك هو سر قوله تعالى (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله) ومما قررنا يتبين ان القول بنسخ الاية الثانية للاولى فى هذا الموضع وجيه جدا وان من العبث محاولة صرف الاية عما تدل عليه بلفظها واسلوبها ومطابقتها للعقل والواقع .

(الثالثة) آية السيف. وهى « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد» فانهم يقولون انها نسخت جميع ماعداها من آيات العفو والصبر والصفح. ويقول المنكرون للنسخ ان منزلة هذه الاية من تلك الآيات منزلة المقيد من المطلق وقد تقرر وثبت انه اذا كان هناك خاص وعام اومقيد ومطلق حمل العام على الخاص والمطلق على المقيد ولهم كلام طويل فى هذا المعنى.

ولقد قال الضحاك وعطاء والسدى ان هذه الآية منسوخة بآية القتال (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منّاً بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها)فاسير

المشركين على هذا لايقتل صبرا بل يمن عليه بالاطلاق اويفادى بشئ من المال .

وقال ابن زيد الآيتان محكمتان قال القرطبي وهو الصحيح لان المن والقتل والفداء لم تزل من احكام رسول الله (ص) فيهم من اول حرب حاربهم وهو يوم بدر وقال الرازى ان الآيتين متوافقتان.

والذى نراه نحن ان آية السيف التي نحن بصددها نزلت في معنى خاص. ذلك ان الله تعالى اراد ان يحظر على المشركين دخول مكة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. فهذه الآيات من سورة التوبة لمتدبرها ظاهرة في الغرض الذى نزلت لاجله. يدل على هذا تأويل بعض العلماء قوله تعالى (واقعدوا لهم كل مرصد) بان يأخذوا عليهم جميع طرق مكة حتى لا يدخلوها. ومن ذلك ماروواه اسرائيل عن ابى اسحاق عن زيد بن تبيع قال نزلت براءة فبعث النبي ابا بكر ثم ارسل عليا فاخذها فلما رجع ابو بكر قال نزل في شئ ؟ قال لا ولكن امرت ان ابلغها انا اورجل من اهل بيتى فانطلق الى اهل مكة فقام خطيبا فيهم بأربع لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة. ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته .

ولا يخفى ان منع المشركين من دخول مكة امر مقطوع به ومستمر ابد الدهر وقد جاء ذلك نصا في آية (يايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وهذه الآية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة وهى هى نفس السنة التى نزلت فيها سورة

التوبة بما فيها من آية السيف وغيرها . اذافالاكثار من الكلام فى هذه الآية يكاد يكون من العبث واللغو

(الرابعة) قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر)

استشهد القائلون بوقوع النسخ فى آيات القرآن بهذه الآية . وظاهرها قد يشهد لهؤلاء . ولكن الحق هنا فيما نرى مع ابى مسلم الاصفهانى . ذلك انه يقول ان الراى هنا ان المرد بالآية المبدلة هى آيات الكتب السماوية السابقة وباالبدل آيات القرآن الكريم .

واذا علمنا ان هذه الآية الكريمة قد نزلت فى اليهود الذين ينكرون كل الانكار وقوع نسخ ما لآيات التوراة وكانوا كلما جاءهم الرسول عليه الرسول بما لاتهوى انفسهم استكبروا وكذبوا و (قالوا انما انت مفتر) زعما منهم ان الله لاينسخ شيئا مما حرمته عليهم او رسمته لهم التوراة وانه لاينزل وحى الله بشئ من ذلك . سهل علينا ان انفهم ان قد نزل فى الرد عليهم قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين)

ثم ان التالى لما يجئ بعد آية التبديل هذه من آيات سورة النمل يجد اكثرها يشير الى هذا المعنى الذى اسلفنا . واعتبر ذلك بقوله تعالى (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا انعمة الله ان كنتم اياه تعبدون . انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به) وبقوله

(وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) فانك تجدهما من وادى الآية التى نحن بصددها وما هى الا مجادلة لليهود ومحاجة لهم فيما زعموا من استحالة النسخ وتكذيب مايجى به القرآن الكريم ناسخا لتوراتهم ورافعا لشاق تكاليفهم (مصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم)

ومن ادلة وقوع النسخ فى القرآن ان الزوجة المتوفى عنها زوجها كانت تعتد حولا كاملا كما هو مصداق آية (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج) ثم نسخ هذا الحكم بآية (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا)

ووجه دلالة هذه الآية الاخيره والآية الثانية على وقوع النسخ فى بعض احكام القرآن باحكام اخرى قرانية لا يأباه الا قليلو التحصيل من طلاب الاصول اوالغلاة المغرقون فى ترويج آرائهم بالحق وبالباطل وقد علمت مما اسلفنا ان الحكمة الالهية اجدر ان تجعل تكاليف الله تعالى طبقا لما تسعه مقدرتهم واستعدادهم وما تبلغه طاقتهم. ومن غريب امر ابى مسلم انه لم يعتمد فى انكاره وقوع النسخ فى القرآن الا على سند واحد هو قوله تعالى اذ يصف القرآن الكريم (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) . ولو تدبر ابومسلم هذه الاية وامعن فيها النظر لرأى بعد موضوعها عن وادى مسألة النسخ .

ان هذه الاية يفسر مغزاها قوله تعالى فى آية اخرى (انا نحن

نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فالمعنى ان القرآن الكريم محفوظ من ان يصاب بشئ من الباطل كالتحريف والتبديل والزيادة والنقص كما حصل فى التوراة والانجيل ولا بشئ من الوساوس والدسائس التى كان يلقيها المضلون من شياطين الانس فى الاوقات التى كان يرتل فيها الرسول القرآن (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته)

بقيت هنا مسألة لابد لنا من التعرض لها. ذلك ان الذين خاضوا فى امر النسخ واسرفوا فى ترويجه وتأييده قد جعلوا المنسوخ اقساما ثلاثة احدها ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته. ثانيها ما نسخ تلاوة وبقى حكما. ويمثلون لهذا بما يروى من قولهم (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله) ويقولون ان حكم الرجم باق وانما نسخت هذه العبارة تلاوة فقط.

ثم يقولون ان هنالك قسما ثالثا وهو ما نسخ حكما وتلاوة ويمثلون لهذا بما يروى من ان القرآن نزل فى الرضاع بعشر معلومات ثم نسخن بخمس معلومات فالعشر مرفوع التلاوة والحكم والخمس مرفوع التلاوة باقى الحكم.

هكذا قالوا ولو انهم تدبروا ما قالوا وتفكروا قليلا فى عاقبة اقوالهم هذه لحطموا اقلامهم وكسروا اناملهم قبل ان يخطوا فى ذلك حرفا واحدا. ان جميع ما ورد لاولئك القوم فى باب النسخ واقسامه كلام ساقط سخيف قد اصيب الدين الاسلامى بنتائجه السيئة وثمراته المرة.

ان القوم مع تعريفهم النسخ اصطلاحا بانه نسخ الاحكام العملية غير المؤبدة نجدهم بعد ذلك يتوسعون ويفسحون لانفسهم رقعة التصرف وتخطى الحدود التى رسموها بتعريفهم فنراهم يقولون بوقوع

النسخ فى بعض القصص اوالامثال كما انهم قد يقولون بجواز النسخ فى التلاوة فقط مع بقاء الحكم على ما كان عليه . ولا يخفى ان هذه افكار ساقطة وآراء سقيمة وان اطال فيهامن لم يقدروا ان يزنوا كلماتهم اويكبحوا جماح اقلامهم .

قد نفهم سر نسخ حكم من الاحكام ونرى بابصارنا فى القوانين الوضعية والكتب السماوية لذلك الامثال الكثيرة ولكن هل يستطيع احد من اولئك الخاطئين ايضاح سر مايدعونه من وجوه النسخ فى التلاوة دون نسخ الحكم؟

اذا كان القرآن الكريم هو القانون الالهى المحيط بما يلزم الناس من الاحكام الكفيلة بسعادة متبعيها فى الدنيا والآخرة فهل يعقل ان ينسخ الله مايدل على بعض احكامه الثابتة الباقية من الالفاظ والعبادات؟ اللهم انه لايجوز ذلك الا معتوه لايعى اوجاهل لايفقه عاقبة ماتسجله يده من الظنون والسخافات. على انه كيف يتفق القول بجواز نسخ التلاوة دون الحكم والقول بان النسخ انما هو خاص بالاحكام غير المؤبده . يظهر ان هؤلاء غفلوا عن حدود تعريفهم فقالوا بنسخ التلاوة مع بقاء الاحكام . ثم اغرب من هذا كله ان يقولوا بانه وقع نسخ التلاوة ونسخ الحكم جميعا فى بعض آيات القرآن ولا سند لهم سوى بعض اخبار الآحاد التى لايجوزان تعارض او تناقض شيئا من القرآن الكريم الذى انزله الله وقام الرسول بتبليغه كما هو ثم استظهره الحفاظ فى عهد النبوة ومازال منذ ذلك العهد تستظهره ملايين الحفاظ من المسلمين فى كل جيل حتى انتهى الينا كتابا محفوظا متواترا

فالقول بان القرآن يحتوى على ما نسخ تلاوة مع بقاء حكمه من الايات

قول سخيف وهوس بين. وكذلك الاعتماد على خبر الاحاد فى ان احدى السور كانت طويلة فنسيت منها آيات او ان فلانا قال انه سمع آية كذا تتلى ثم نسخت انما هو طعن فى الدين وايذاء للقرآن وجهل بما يتقبله العقل السليم من الدرجات المتفاوتة بين المرويات فان من الجنون المحض ان يقبل فى نقض ركن من اركان القرآن الكريم المحفوظ المتواتر خبر الواحد ولو بلغ درجة الصحة التى اصطلح عليها علماء الحديث فان مبلغ ما تفيده اخبار الاحاد هو الظن (وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) ولو عاش اولئك الذين ملئوا كتبهم بتلك الهذيانات لايقنوا ان جراتهم وتلاعبهم بكتاب الله ليسا جنونا فقط وانما هو جناية على القرآن والاسلام

ان اقوال أولئك المفرّطين ورواياتهم التى كانوا يتصيدونها من كل مرتع وخيم قد اصبحت اليوم معاول فى ايدى مبشرى الصليبيين يحاولون بها تنقيض اجزاء الاسلام. ولقد ظهرت كتبهم المضللة فهل نجد فيها سوى مايروونه عن أولئك المؤلفين .

اننا لم نمنع وقوع النسخ بتاتا ولكن اذا جاء فى القرآن الكريم مايدل على وقوع النسخ تقبلناه وكيف لا وهو الذى تطابقه الحكمة ويقبله العقل ويؤيده النقل ولكننا لا نقبل فى امر الكتاب الكريم لاسيما نسخ شئ من احكامه رواية من الروايات ولو دونها البخارى وايدها الاتقان وغصت بها كتب التفسير . وحسبنا ان الامام الشافعى رضى الله يقول لايجوز نسح القرآن بشئ من الاحاديث مهما بلغت درجة صحة رواتها. واذا علمنا ان مبدأ تدوين الحديث كان على عهد عمر بن عبد العزيز (تولى سنه ٩٩ ومات سنه ١٠١) اذ أمر بذلك ابن شهاب الزهرى

الفلسفة والأخلاق

ابن رشد و تعاليمه

٥

السعادة الاخروية

لقد اخذ الاعتقاد بالسعادة الاخرويه ادوارا كثيرة واخذت كل امة تفسره بما لاينكره عقلها و لو شئنا ان نفصل اعتقادات الناس فى هذه المسألة لاحتجنا الى مجلدات ضخمة لذلك نريد ان نأتى بنبذة صغيرة نبين فيها التطورات التى مرت على هذه المسألة . اما آراء الناس فى هذه المسألة فتنحصر فى اربعة

(١) طائفة تنفى المعاد و تنكره وهؤلاء نفر من قدماء الطبيعيين لا يعتد برأيهم و لا يأبه لهم و لقد انكر عليهم قولهم و نقض براهينهم اكثر الفلاسفة

(٢) طائفة اثبتت السعادة الاخروية ولكن جعلتها للروح لا للبدن لانها رأت ان السعادة انما يحس بآثارها النفوس اما الاجسام فهى آلة للنفوس تتصرف فيه كما تشاء و تتوصل به الى ما تشاء . و هذه الطائفة الفلاسفة الالهيون

(٣) طائفة اثبتت المعاد و الحشر للجسم و الروح معا و هو قول الاصفهانى و ابى زيد الدبوسى و كثير من المتصوفة

(٤) طائفة اثبتت المعاد للجسم و لكن لجسم آخر غير هذا الهيكل و قد ذهب الى هذا القول من نفا وجود النفس الناطقه المجردة و هؤلاء اكثر المتكلمين من المسلمين

و ينقل عن جالينوس التوقف فى هذه المسألة فانه قد تعارضت لديه ادلة الاثبات و النفى فتعذر عليه الترجيح و لقد كانت هذه المسالة شغله حتى فى مرض موته و لما لم يهتد الى حلها كبعض المسائل الأخرى التى حار فيها قال انى ما علمت ان النفس هى المزاج فتنعدم عند الموت فيستحيل اعادتها او هى جوهر باق بعد فساد البدن

منشأ الاختلاف

اما منشأ الاختلاف فى هذه المسألة فهو تمثيل الشرائع لها بصفات مختلفه و اساليب متنوعة فتارة تمثلها بما يلائم الروح و تارة تمثلها باللذائذ الجسمية و الشهوات الحيوانية لذلك اختلفت الآراء و تشعبت حسبما فهمت من تمثيل الشرائع و وصفها لها لذلك ترى المتكلمين من المسيحيين و المسلمين يرون

مذاهب لاتتفق مع بعضها تمام الاتفاق و لا تلتئم تمام الالتئام لان كل طائفة ترى من تشبيهات الشرائع و وصفها للسعادة الاخروية مالاتراه الاخرى لذلك نرى القديس بولس يقول خلق الجسد مادة تزول وسيبعث على كيفية لاتقبل الانحلال لانه خلق جسدا حيوانيا و سيبعث جسدا روحانيا و المسيو سيداتي يقول ان السعادة الاخروية انما هى اعراس تتعاقب اثر بعضها و القسيس شريدنبورج رئيس مذهب كنيسة او رشليم الجديد يقول ان جميع اللذائذ الدنيوية لها نظير عائلها فى الآخرة فهذه اقوال المسيحيين يناقض بعضهاالبعض مع انهم دين القائلين واحد . وكماوقع متكلمو المسيحيين فى هذا التناقض وقع ايضا المتكلمون من المسلمين و لذلك صوروها بصور مختلفة و مثلوها باشكال توشك ان تكون متباينة فبينما الصوفية يصورون الحياة الاخرى بالسعادة النفسية و النعيم المعنوى ترى غيرهم من المتكلمين يصورها باللذائذ الجسمية و الشهوات الحيوانية والسبب فى ذلك كاقدمنا ان نصوص الشرائع ليست صريحة ولامعينة بل دائرةالمعنى فيهاواسعة للبحث فيه مجال ولذا لايسع احدا ان يكفر من يعتقد باصل البعث و يفسره بما يطابق عقله . بقى علينا ان نبين رأى ابن رشد فى هذه المسألة فانه هوالمقصود من هذا البحث

ان ابن رشد يميل الى مذهب الصوفية و عقلاء الفلاسفة من ان السعادة الأخروية مرجعها الى اللذات النفسية والراحة العقلية . ولقد يجمل بنا ان نقتطف هنا ما كتبه فى التهافت منكرا على الغزالى ماذهب اليه من تكفير الفلاسفة فى انكارهم البعث و حشر الاجساد و مثبتا ان الفلاسفة لم يذهبوا هذا المذهب . قال

ان الفلاسفة لم يوجد واحد منهم انكر حشر الاجساد و القول بحشر الاجساد اقل ما له منتشر فى الشرائع الف سنة و الذين تأدت الينا عنهم الفلسفة دون هذا العدد من السنين و ذلك ان اول من قال بحشر الاجساد هم انبياء بنى اسرائيل الذين اتوا بعد موسى عليه السلام وذلك بين من الزبور ومن الصحف المنسوبة لبنى اسرائيل و ثبت ذلك فى الانجيل و تواتر القول به عن عيسى عليه السلام و هو قول الصابئة و هذه الشريعة اقدم الشرائع بل القوم يظهر من امرهم انهم اشد الناس تعظيما لها و ايمانا بها و السبب فى ذلك انهم يرون انها تنحو نحو تدبير الناس الذى به وجود الانسان بما هو انسان و بلوغه سعادته الخاصة به و ذلك انها ضرورية فى وجود الفضائل الخلقية للانسان و الفضائل النظريه و الفضائل العملية وذلك انهم يرون الاحياة للانسان الا بالصنائع العملية

و لا حياة له في هذه الدار و لا في الدار الآخرة الا بالفضائل النظرية و انه لا يبلغ الى هذه الدرجة الا بالفضائل الخلقية و ان الفضائل الخلقية لا تكون الا بمعرفة الله تعالى وتعظيمه بالعبادة المشروعة له فى ملة ملة مثل القرابين والصلوات و الادعية و ما يشبه ذلك من الاقاويل التى تقال فى الثناء على الله تعالى و على والملائكة والنبيين ويرون بالجملة ان الشرائع هى الصنائع الضرورية المدنيه التى تؤخذ مبادئها من العقل و الشرع لاسيما ماكان منها عاما لجميع الشرائع و ان اختلفت فى ذلك بالاقل و الاكثر و يرون مع هذا انه لاينبغى ان يتعرض بقول مثبت او مبطل فى مبادئها العامة مثل هل يجب ان يعبد الله او لا يعبد وكذلك يرون فى سائر مباديه مثل السعادة الاخروية و فى كيفيتها لان الشرائع كلها اتفقت على وجود سعادة اخرى و ان اختلفت فى تصوير ذلك الوجود و تمثيله كما اتفقت على معرفة وجوده و صفاته و افعاله و ان اختلفت فيما تقوله فى ذات المبدأ و افعاله بالاقل و الاكثر و لذا هى متفقة فى الافعال التى توصل الى السعادة التى فى الدار الآخرة و ان اختلفت فى تقدير هذه الافعال فهى بالجملة لما كانت تنحو نحو الحكمة بطريق مشترك للجميع كانت واجبة عندهم لان الفلسفة انما تنحو نحو تعريف سعادة لبعض الناس العقلاء و هو من شأنه ان يتعلم الحكمة . و الشرائع تقصد تعليم الجمهور عامة و مع هذا فلا نجد شريعة من الشرائع الا و قد نبهت بما يخص الحكماء وعنيت بما يشترك فيه الجمهور و لما كان الصنف من الناس انما يتم وجوده و تحصيل سعادته بمشاركة الصنف العام كان التعليم العام ضروريا فى وجود الصنف الخاص وفى حياته اما فى وقت صباه و منشئه فلا يشك احد فى ذلك و اما عند نقلته الى ما يخص فمن ضرورته لايستهين بما يشاغله و ان يتأول لذلك احسن تأويل و ان يعلم ان المقصود بذلك التعليم هو ما يعم لا ما يخص و انه ان صرح بشك فى المبادئ الشرعية التى نشأ عليها او بتأويل انه مناقض للانبياء و صارف عن سبيلهم فانه احق الناس بان ينطلق عليه اسم الكفر و توجب فى الملة التى نشأ عليها عقوبة الكفر ويجب عليه مع ذلك ان يختار افضلها فى زمانه و ان كانت كلها عنده حقا و ان يعتقد ان الافضل ينسخ بما هو افضل منه و لذلك اسلم الحكماء الذين كانوا يعلمون الناس بالاسكندرية لما وصلتهم شريعة الاسلام و تنصر الحكماء الذين كانوا ببلاد الروم لما وصلتهم شريعة عيسى عليه السلام و لا يشك احد انه كان فى بنى اسراءيل حكماء كثيرون و ذلك ظاهر من الكتب التى تلقى عند بنى

اسراءيل الى سليمان عليه السلام و لم تزل الحكمة امرا موجودا فى اهل الوحى و هم الانبياء . و اذا كانت الصنائع البرهانية فى مبادىها فى المصادرات و الاصول الموضوعة فبالحرى يجب ان يكون ذلك فى الشرائع المأخوذة من الوحى والعقل وكل شريعة كانت بالوحى فالعقل يخالطها و من سلم انه ممكن ان يكون ههنا شريعة بالعقل فقط فانه يلزم ضرورة ان يكون انقص من الشرائع التى استنبطت بالعقل و الوحى و الجميع متفقون على ان مبادىء العمل يجب ان تؤخذ تقليدا اذ كان لا سبيل الى البرهان على وجوب العمل الا بوجود الفضائل الحاصلة عن الاعمال الخلقية و العملية

فقد تبين من هذا القول ان الحكماء باجمعهم يرون فى الشرائع هذا الرأى اعنى ان يتقلد من الانبياء و الواضعين مبادىء العمل و السنن المشروعة فى ملة ملة و الممدوح عندهم من هذه المبادىء الضرورية هو ما كان منها للجمهور على الاعمال الفاضلة حتى يكون الناشئون عليها اتم فضيلة من الناشئين على غيرها مثل كون الصلاة عندنا فانه لايشك فى انها تنهى عن الفحشاء و المنكر كما قال تعالى و ان الصلاة الموضوعة فى هذه الشريعة يوجد فيها هذا الفعل اتم منه فى سائر الشرائع وذلك بما شرط فى عددها و اوقاتها و اذكارها و سائر ماشرط فيها من الطهارة و ترك الافعال و الاقوال المفسدة لها وكذلك القول فيما قيل فى المعاد فيها هو احث على الاعمال الفاضلة مما قيل فى غيرها و لذلك كان تمثيل المعادلهم بالامور الجسمية افضل من تمثيله بالامور الروحية كما قال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار و قال النبى صلى الله عليه وسلم فيها ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و قال ابن عباس رضى الله عنه ليس فى الدنيا من الآخرة الا الاسماء فدل على ان ذلك الوجود نشأة اخرى على من هذا الوجود وطور آخر افضل من هذا الطور وليس ينبغى ان يذكر ذلك من يعتقد اننا ندرك الموجود الواحد ينتقل من طور الى طور من انتقال الصور الجمادية الى ان تصير مدركة ذواتها و هى الصور العقلية والذين شكوا فى هذه الاشياء وتعرضوا لذلك و افصحوا به انما هم الذين يقصدون ابطال الشرائع و ابطال الفضائل و هم الزنادقة الذين يرون الاغاية للانسان الا التمتع باللذات. هذا مما لايشك فيه احد ومن قدرعليه من هؤلاء فلايشك ان اصحاب الشرائع و الحكماء باجمعهم يقتلونه و من لم يقدر عليه فان اتم الاقاويل التى يحتج بها عليه و هى الدلائل التى تضمنها الكتاب العزيز

و لو شئنا ان نأتى على نصوص ما قاله الفيلسوف ابو لوليد فى هذه المسألة لاستغرق ذلك صحفاعدة و لذلك قد اقتصرنا على ما نقلناه سابقا لان كل الكتب تنطق بلسان واحد هى وجوب الاعتقاد بالمعاد ثم نترك بعد ذلك الحرية للانسان فيما يعتقد

حافظ وهبه

اللغة والأدب

الادب فى القرن التاسع عشر

عبدالله افندى ابو السعود

نابغة من نوابغ عصره نشأ بناحية دهشور و حفظ القرآن ثم انتقل الى مدرسة البدرشين و كان ابوه ناظرها ثم انتخبه رفاعه بك فيمن انتخب لمدرسة الالسن فالتحق بها وسنه اذ ذاك اربع عشرة سنه فبرع على امثاله خصوصا فى اللغة العربية ثم درس العربيه بدلا عن استاذه الشيخ حسين العمرى و درس لاخوانه « كتاب مغنى اللبيب » ثم عهد اليه تدريس الفرنسيه و تصحيح تراجم الكتب الرياضية بالمهندسخانه . و كان متضلعا فى الفقه اذ حضر ملتقى الابحر بمدرسة الالسن على الشيخ خليل الرشيدى المفتى و مع قيامه بوظيفة التدريس كان مواظبا على الحضور بالازهر فقرأ به عدة كتب نفيسه منها الدر المختار . وتنقل فى عدة وظائف اخرى منها تدريس الجغرافيه و التاريخ بمدرسة دار العلوم و رئاسة قلم الترجمه الى ان عين فى اواخر ايامه عضوا فى مجلس الاستئناف و له عدة مؤلفات منها : « تاريخ مصر » و جانب من « التاريخ العام » و قد ترجم « نظم اللآلئ فى السلوك فيمن تولى فرنسا ومصر من الملوك » و «قانون المرافعات المدنيه و التجاريه » و كتاب « تاريخ مصر القديم » و كتاب « الانتيكخانة الخديويه » و « تاريخ محمد على » و كتاب فى « علم الجغرافيه » و اخر فى « الكيمياء الزراعيه » و طرفا من رواية « جيلبلاس »

و قد اشتغل بالشعر ايضا و له بعض قصائد لم اعثر الا على ثلاثة ابيات من ضمن قصيدة طويلة له :

و من قال ان الدولة اليوم وحدها

تصفق منها الكف كى يصلح الامر

و ما ذا عسى يجدى اجتهاد لدولة
و ليس من الآحاد شد لها ازر
اما تقتضى ان نبذل الجهد كى يرى
لها الشطر فى اصلاحنا و لنا شطر

و هو الذى انشأ صحيفة وادى النيل سنه ١٢٨٤ ثم انشأ نجله محمد انسى بك جريدة « روضة الاخبار » فكان هو محررها

محمد افندى عبد الرازق

كان من اقران ابى السعود افندى تعلم فى مدرسة الالسن و برع فى العربية و الفرنسيه و كان من اعظم العاملين فى قلم الترجمة يضارع فى قوته ابا السعود و لم ار احدا من اقرانه او اساتذته بلغ مبلغه فى النثر المتين البليغ الذى لا يفترق عن كتابة العصر الحاضر و له قاموس فى المواليد الثلاثة الفرنسيه والعربيه محفوظ بالكتبخانه و لم يطبع و ينقصه بعض حروف و مما ترجمه « خلاصة تاريخ العرب لسيديو » و قدمات قبل اتمام ترجمته فكلف على باشا مبارك من اتم الجزء الصغير الذى كان باقيا منه و طبعه

و انى لمورد طرفا من كتابته فى هذه الترجمة ليقف القراء على متانة اسلوبه العربى و ذوقه السليم فى التعبير . قال فى اول المبحث التاسع :

« كان بين الاسماعيلية و القحطانية تنافس المعاصرة المؤدى الى اختلاف الكلمة ثم مالوا الى الوحدة السياسيه لتوفر اسبابها من اغارة الحبشة عليهم بمكة و اتحادهم فى الاخلاق و العوائد فان سائرهم تمسك باوهام العبادة الوثنيه و العوائد الجاهليه كمعاملة النساء معاملة الرقيق و وأد البنات مع التكبر الوحشى و حب الانتقام والمقاصة و اجازة النهب بعد الانتصار و اقامة القوة مقام الحق و قرى الضيف مع حرمان النفس تشوقا الى السمعة بين القبائل و حب شرف النفس الموجب للبسالة و الحماسة و المحاماة عن المظلوم و تقديم الوفاء بالوعد على الحياة و تزيد على ذلك شهواتهم النفسية فأنها اكبر تلك الخصال غلبة و ظهورا و من ذلك يعلم انه متى اتجهت عقولهم الهائجة المخاطرة الى شئ و ثبوا اليه و ثبة واحدة و ذلك يوجب الوحدة فى اللغة المتيسر بعضها بواسطة اختلاف القبائل »

محمد بك عثمان جلال

كان مولعا بالآداب العربية والافرنجيه و قد تقلب فى عدة وظائف الى

ان عين قاضيا بمحكمة مصر المختلطة . و ترجم فى اوائل ايامه حينما كان بنظارة الحربية بعض كتب عسكريه كما اشار بذلك قدرى باشا فى تقريظه كتاب الامانى و المنة فى حديث قبول و وردجنه » ثم عكف على تعريب طائفة من مؤلفات بعض من مشاهير الشعراء و الكتاب الفرنسيين . فمما ترجمه من (كورنى) رواية (اوراس) لم تطبع وهى محفوظه عند ورثته . و مما عربه عن (راسين) اتالى » و لم تطبع ايضا و « استير » و « ايفيجينى » و « اسكندر الاكبر » وهذه الروايات الثلاثه فى مجموعة واحدة باسم « الروايات المفيدة فى علم التراجيده » و مما ترجمه عن (موليير) « تارتوف » « والنساء العالمات » و « مدرسة الازدواج » و « مدرسة النساء » و هى مطبوعه ومجموعة سماها « الاربع روايات فى فن التياترات »

و عرب « بولس وفرجينى » للكاتب الفرنسى الشهير « بيرناردان دوسان بيير » و اغلب حكايات (لافونتين) و سماها « العيون اليواقظ فى الامثال و المواعظ »

و قد امتاز فى الازجال هو و عبدالله افندى نديم و الشيخ محمد النجار وكانت له ملكة راقية فيها تزينها فكاهات لطيفة و نكات ظريفة و بها كتب معظم معرباته و له عدة ازجال متفرقه منها رواية المخدمين و هى من وضعه و نبذة فى تاريخ ولاة مصر ابتداء من عهد محمد على باشا و زجل فى الازهار و آخر فى المأكولات

وقبل ان نفحص هذه التراجم نورد كلمة نعرف بها مزايا (راسين) و (موليير) و لو انها لاتخفى على معظم القراء

كان (راسين) من فحول الشعراء المجيدين و تختلف رواياته المحزنة (تراجيدى) عن روايات (كورنى) برقتها و قربها من الحقيقة مع سهولة مبنى الموضوع وبعده عن تعقد الحوادث و يزين شعره فن دقيق و ذوق سليم و روح مؤثرة تأخذ بمجامع القلوب . و غيرخاف ان الشعر المقيد عندالغربيين بمثابة الشعر الجاهلى عندنا .

واظن ان المعرب فاته جميع هذه المزايا فلذلك عمد الى تعريبه باللغة العامية مع تصرف عظيم و جعله زجلا مضحكا ملوءه النكات او الفكاهات المصرية المتداولة بين العامة

اصبحت الترجمه لاتنفع مريد التمثيل و لا محب الادب و لا كاتبا بالحوادث و الوقائع و لا مغرما بالازجال لانه خلط بين الجد و الهزل و الحزن و المزاح

و صارت عاطلة من مزاياها الادبية و النظمية و التمثيليه

و من نكاته فى روايه « ايقيجى »

لو كنت يوم دافعت عنهـا بهمتاك
ما كنتش اتذليت و صغرت عمتك

لا اب فيك رحمة و لاجوز تتشكر
الا انت واحد بربرى مخك عكر

و يعد (موليير) اول من رقى التمثيل المضحك فى فرنسا و لم يباره فى هذا الفن مبار لغاية عصرنا هذا. و لم تزل رواياته خالدة على جميع المسارح الاجنبيه. كان يمثل الطباع و السجايا و العادات تمثيلا لا يفترق عن الحقيقة بشكل وحيد فى بابه تزين انشاده بلاغة نادرة و قوة ساحرة و ذوق رفيع . و قد اسعد اللغة العالية و المتداولة الاستعمال باشعار وكلمات و اصلاحات ذهبت مذهب الامثال

فان بحثنا عن شئ واحد من هذه المحاسن طى ترجمته لم نجده و حاشا ان نعتبر ان هذه الازجال تمثل لنا آيات (موليير) الباهرة بل هو يبرا منها اذ فى نسبتها اليه حطة و ازدراء

كنا نعلم ان رواية (تارتوف) هى صفوة ما الفه (موليير) بل احسن رواية مضحكة فى جميع التمثيل الفرنسى . فمسخها المترجم و قلب موضوعها و سماها « الشيخ متلوف » و نقل الحادثه الى مصر بين هذا الفقيه و كعب الخير و ام النيل و بهانه و غيرها فان اعتبرناها زجلا من ازجاله يقطع به العامى وقته وجدناها اضعف من ازجاله الاخرى و انى مورد طرفا منها لنقارنه بغيره

الفصل الاول

ام النيل

يا الله بنا نروح قوام يا كعب خير
دولاجماعه الكل ما فيهمش خير

كعب الخير

هو جرى حاجه هنا ياستنا
حتى نروح برا و نترك بيتنا

ام النيل

كتر الكلام مالوش نفع يا لله بنا
راح اقعدا تلفت هناك و الاهنا

كعب الخير

بس الخروج داليه وانا شايفه الجميع
من تحت امرك كلهم سميع ومضيع
والكل تحت اليد فللى تأمريه
تقدمى اللى تقديه و تأخريه

و قال فى رواية المخدمين

و تغسل الحوض الكبير و تجره
وفى الكنيف الابريق داءما تحضره
و عندنا القربه و عندنا الحمير
تملا لنا القربه من البحر الكبير
و نروح للجامع نجيب ستين رغيف
لكن تنقيهم من العيش النضيف
و كل يوم نبيع لنا العيش القديم
ويكون معك فى السوق عبد الشيخ سايم
و كل شى تسلمه لى بالعدد
اوعى يغشك حد فى السوق ياولد

ترى الفرق شاسعا بين الاثنين و ان السهولة و الانسجام يطاوعانه فى الاخيرة ليت شعرى ما الذى حدابه الى تغريب هذه الروايات التمثيليه؟ ايريد ان يقدم بها التمثيل فى عصره ام ينفح القراء بمعجزات (راسين و موليير) ام يهدى اليهم من الحوادث والوقائع ما يتفكهون به فى اوقات فراغهم؟ وايم الحق انها لاتصلح لهذا و لا لذاك حتى ان اعتبرناها الاعتبار الاخير سئم منها القارىء و فضل عليها (روكامبول) و (اللص الشريف) و امثالهما من الروايات المشحونة بالحوادث الغريبة والوقائع المدهشة

تطاول قلم المعرب ايضا الى الروايات القصصية التى تعد من امهات كتب النثر الفرنسى فترجم رواية (بول و فيرجينى) و سماها « الامانى و المنة و حديث (بول و فيرجينى) و كلنا نعلم ان هذه الرواية تعد فى نوعها درة يتيمة لم يوفق احد قبل مؤلفها ولا بعده ان يأتى بمثالها او ينسج على منوالها فكانه دخل فى قلب هذين الطفلين البائسين و قرأ ماخط فيهما من آيات الهوى العذرى الطاهر و اخرجه للناس فى قالب رقيق ساحر كانه انغام شجيه تستهوى الافئدة رقة و عذوبة

عمد المترجم فی تعریبه الی السجع السمج فسخ هذه الآیات البینات و غیر محاسنها و کساهاثو بامن الرکاکة تنفر منه القلوب قبل الاسماع و انی لمورد منها بعض جمل لیحکم القراء علیها قال فی اول الکتاب قال الناقل لهذا الخبر الصحیح ، و القول الفصیح

بینما انا فی سیاحتی علی کیفی تعبی و راحتی

و اذا بجزیرة من جزر بحار افریقیه فنزلت فیها علی الجهة الشرقیة فرایت تحت سفح الجبل من هذا المحل مینا یقال لها مینا الواس ارضا افلحت لبعض الناس و رأیت بها اثر عشتین صغیرتین فی وسط حوض کائنتین

وقبل التکلم علی « العیون الیواقظ » نذکر کلمة علی (لافونتین) لنعرف درجته فی الفضل . اشتهر هذا الشاعر الفرنسی بقصصه و حکایاته التی ذاع صیتها فی الآفاق وترجمت الی جمیع اللغات و لم یر فی جمیع الامم شاعر تفنن مثله فی اسلوبه الذی جمع بین شائق القریض و رائع التعریب و سلاسة التراکیب و رائق الوصف و لذیذ الفکاهات و طلی الملح .

کان قادرا علی تصویر النبات و الجماد و الحیوان قدرته علی تمثیل اشخاصه تمثیلا لایشوبه التقصیر و لا المغالاة حتی اصبحت حکایاته نافعة لتهذیب الفتیان قبل الصبیان و مهما کنت قادرا لااستطیع ان اوفی هذا النابغة حقه فی المجد الاثیل و الفضل الجزیل وما علی القارئ الا ان یرجع الی الاصل الفرنسی و یمعن فیه لیجتلی خفی معانیه و دقائق مبانیه

سلک المعرب سبیل التصرف المخل وکان مسوقا الیه لرکونه الی النظم والتعریب اذ لا یتیسر لاشعر الشعراء ان ینقل الی الشعر شیئا دون تصرف حتی المترجمین من الافرنج لا یترجمون النظم الانثرا و لو کانت الترجمة و الاصل من لغتین مصدرها لاتینی لیحافظوا علی روح الشاعر و اسلوبه و معانیه الدقیقة حتی یکون الاصل و الترجمة صنوین او توأمین

تعرض المعرب فی کتابته الی الازجال والادوار و الاراجیز وشیئا قلیلا یعد علی اصابع الید من بحور العروض الاخری . و غیر خاف ان الرجز ممقوت و لا یعتدبه الشعراء لانه من خصائص الفقهاء اذ ینظمون به متونهم و عبر عنه بعض الفضلاء بحمار الشعراء

فبعمله هذا ذهب بطلاوة هذا النظم البدیع و المحاسن الرائعة و ضاعت

الفكرة المنشوده و اصبحت الترجمة لا تليق ان تعزى لشكلها هذا الى عطارد الزمان فى القصص والحكايات

و من انعم النظر فى قريضه بهذا الكتاب و جده لايفترق تقريباً عن نثره الذى اوردنا طرفا منه و ما على القارىء الا ان يراجعه ليستبين صدق ماقلناه

الشعر والشعراء

معرك الحياة

هو الدهر لم يترك مشن غواره ... على سابق من ليله او نهاره
يثير غبار الحادثات بكره .... و هل نحن الا من مثار غباره
وكم عبر مطوية فى صروفه ... فهل من مجيل فيه طرف اعتباره
خليلى ان الارض غربال قدرة ... تجمعت الاحياء بين اطاره
تميد به كف الزمان تحركا ... لمحو ضعيف اولا ثبات فاره
فيبقى به الاعلى قرين ارتقائه ... كما يسقط الادنى رهين اندثاره
فلا عيش فى الدنيا لمن لم يكن بها ... قديرا على رفع الاذى والمكاره

* * *

لعمرك ما هذى الحياة تلبس ... لمن حيك من عجز نسيج شعاره
و لكن لمن امسى بايد و قوة ... يجر على الايام فضل ازاره
ارى الشمس يخفى ضوءها كل شارق ... وان كان ينبو الطرف عن مستناره
و ما ذاك الا انها فى تلهب ... يموج بنور ساطع و قد ناره

فلم يستطع نجم طلوعا تجاهها ... اذا لم يعذ بالليل ـب اعتكاره
كذلك ضعيف القوم ان كان جاره ... قويا يكن شلوا أكيلا لجاره
و ما الليث لولا بأسه فى عرينه ... باشرف من ضب الفلا فى وجاره
و من غاور الايام غير مدجج ... فلا يطمعن فى مغنم من مغاره
ومن لم يهن صرف الزمان برحلة ... تهنه صروف الدهر فى عقر داره
و ما شرف الدر الثمين فريده ... اذا هو لم يبرح بطون محاره

*
* *

ارى كل ذى فقر لدى كل ذى غنى ... اجيرا له مستخدما فى عقاره
و لم يعطه الا اليسير و انما .. ... على كده قامت صروح يساره
و يلبس من تذليله الغز ضافيا ... و ينظره شزرا بعين احتقاره
يشد الغنى ازر الفتى فى حياته ... و ما الفقر الا مكسر فى فقاره
وليس الغنى الا غنى العلم انه ... لنور الفتى يجلو ظلام افتقاره
ولا تحسبن العلم فى الناس منجيا ... اذا نكبت اخلاقهم عند مناره
وما العلم الا النور يجلو دجى العمى ... ولكن تزوغ العين عند انكساره
فما فاسد الاخلاق بالعلم مفلحا ... و ان كان بحرا زاخرا من بحاره

*
* *

سل الفلك الدوار عن حركاته ... فهل هو فيها دائر باختياره
وهل هو فى هذا الفضاء مسافر ... له غاية مقصودة من سفاره
و هبنا جهلنا بدأه من تقادم ... فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينجلى ليل الشكوك عن النهى ... و ترفع كف العلم مرخى ستاره
الا ورى فى زند الزمان فنهتدى ... بسقط ضئيل من سقيط شراره

اری الدهر ليلا كله غير مبصر   وان كان فی رأد الضحی من نهاره
و اهليه ساروا خابطين ظلامه   و ان ركبوا فی السير متن بخاره
لعمرك ان الدهر يجری لغاية   فأن شئت ان تحيا سعيدا فجاره
و ها هو ذا يعدو فيبتدر المدی   و ينهب اعمار الوری فی ابتداره
لقد فاز من باری جديديه جدة   وخاب الذی فی جده لم يباره
وليست حياة الناس الا تجددا   مع الدهر فی ايباسه واخضراره
و ما الناس الا الماء يحييه جريه   ويرديه مكث دائم فی قراره

***

لك الخير هل للشرق يقظة ناهض   فقد طال نوم القوم بين دياره
الم تر ان الغرب اصلت سيفه   عليهم وهم لاهون تحت غراره
و بادرهم كالسيل عند انحداره   وهم فی مهاوی غفلة عن بداره
اما آن للساهين ان يأبهوا له   فقد اصبحوا فی قبضة من اساره
تراهم جميعا بين حيران و اجم   وآخر يطری ماضيا من فخاره

معروف الرصافی

الاتحاد الاسلامى

للكاتب القدير جلال بك نورى

ان افكارى فى موضوع الاتحاد الاسلامى والخلافة والمسألة المصرية معلومة مما كانت جريدة اللواء تنقله وتقتبسه من اقوالى ولكنى اكتب هذه المقالة اليوم لاجمل فيها تلك الافكار واعرضها على اخوانى الترك والمصريين لانى اعتبر ذلك مفيدا فى توثيق عرى الالفة بين الرعايا الشاهانيين عموما

ان الاوربيين لايحبون الامن نشأ وترعرع على فكرة الغرب التى تقدس القومية والوطنية اما الترك والعرب والمصريون والبربر والهنود وبالجملة جميع الامم الاسلامية لااثر للخلافات القومية والجنسية بينهم لان تعاليم الشريعة المحمدية الغراء ليس فيها للقومية اساس ولا اثر بل بمعنى اصح ان جميع مسلمى العالم ملة واحدة . ان المسلمين الذين يقدسون الخليفة ويقرون ببيعته بينما هم يخضعون لحكومات اجنبية اذ عمدوا الى اعتبار انفسهم ملة اوقومية منفصلة وماذلك الالعدم ادراكهم حقيقة روح وتعاليم الشريعة الاسلامية الفيحاء ان لب الاسلام كما قال ارنست رينان قوة مدهشة توحد بين جميع اتباعها بصرف النظر عن اللغة والوطنية والجنسية والطبيعة والمزاج وبناء عليه فلينتشر وليعم العالم مذهب اوربا الاستعمارى مااستطاع ولتفتتح وتسخر دول اوربا اسيا وافريقا والاوقيانوسية ماشاءت فان كل ذلك لايفصم عرى المحبة والاخاء الوثيقة التى بين المسلمين . بل كلما ازدادت تلك الدول ظلما وعسفا واثقلت المسلمين ارهاقا وخسفا تيقظ العالم الاسلامى وازداد شعوره. ان بولونيا التى كانت قد مزقتها الخلافات الحزبيه وقهقرت احوالها المشاحنات الفرقية حتى انستهم الوحدة القومية والعاطفة الوطنية مااسترجعت شعورها وفقهت رابطتها الجنسية والملية الايوم ان تقاسمتها دول روسيا والنمسا وبروسيا وهنالك هبت تدافع عن كيانها فاحتلال انجلترا لمصر وفرانسا لتونس والجزائر وقيامها لالتهام مراكش واعلان دولة ايطاليا الممقوتة الحرب على الخليفة بغية اغتصاب طرابلس وبنغازى بقوة السلاح كل هذه الكوارث ايقظت العالم الاسلامى حتى القبائل المراكشية التى ما كانت تعرف غير غزو بعضها ولاتضمر غير النكاية والحاق الاذى بجيرانها فى الازمان الماضيه والتى ما كانت تفكر فى شئ غير ذلك اصبحت اليوم راغبة فى الرقى عاملة على توثيق عرى الرابطة القوميه والمليه .

قد نجد بين النصارى الروم والقبط والفرنسيس والارمن والانجليز . . الخ وهم امم متفرقة وملل مستقلة اما فى الاسلام فلا اثر للجنسية فأن هذه

التقسيمات ليست تقسيمات قوميه" وجنسيه" واذا كان الرومي يعتبر الفرنسي اجنبيا فالهندي المسلم لايعتبر البربري اجنبيا وكما ينظر الباريسي او المارسيلي الى ابن ليون اونانس فكذلك التركي الى القوقازي الى العربي الى الجاوي بمثل هذه المنزلة فاحدهم للآخرين قريب صميم فالاسلام فوق جميع هذه الاعتبارات فهو اخاء عام بين الملل فمهما فشت الدسائس الاجنبية ومهما راجت بيننا اموال ومساعي الدول الغربية في بلادنا فكن على ثقة" بان هذه الرابطة" لن تحل اوتفسد لان رابطة الاخوة المتينة التي دعمها الاسلام مارأيناحتي الساعة اي قوة استطاعت ان تقاومها اوتبدلها . ان مقام جلالة الخليفة الاعظم بصفة"الخلافة" ارفع مائة" مرة من مقامه بصفته سلطانا اي ان السلطان محمدا الخامس اولا خليفة" ثم بعده ذلك سلطانا والعالم باسره يعترف بهذه القوة ويحترمها ومن الواجب على هذه القوة ان تجلي في العصر الحاضر وتتبع نظامات وتنسيقات عمليه" تلائمها واذا شاءت دول اوربا المحافظة على مصالحها المادية" يجب عليها الاتعادي هذه القوه" كما تفعل ايطاليا وغيرها بل تحبب اليها و تصادق هذه القوة واني اقول بكل جرأة" انهن لن يجدن في المستقبل طريقا غير هذه الخطه". ان الاوربيين يعتقدون ان لا اثر للرأى العام في الشرق عموما والعالم الاسلامي خاصه" ولكنهم يخطئون وربما كانت الاختلافات الحزبيه" ودواعي الرياسه" في الشرق والعالم الاسلامي ليست عظيمه" كما هو الحال في الجهات الاخرى وربما كانت الافكار العموميه" غير ملتئمه" في هذه النقطه" ولكن اذا شجر خلاف ديني ودخلت الكرامة" الدينيه" في موضع الجدل والبحث فهنالك ترى زنوج افريقا (المعتبره" احط القارات في المدنية) يرفعون عقيراتهم ويعلنون عصيانهم دفاعا وغيرة" على دينهم .

ان الحكومة العثمانية هي دعامه" قوة هذا الاتحاد العام ومن الواجب عليها الاستفادة بصورة مشروعه" من هذا المركز اذ برفاهيه" العالم الاسلامي تكتسب الدولة العثمانيه" عظمة وبأسا وعلى الخصوص مصر ذلك الجزء العثماني الذي لاينفصل عن الدولة التعس الحظ الساعي في تحرير نفسه والتمتع برفاهيته وسعادته المجد في استرجاع سابق عظمته ومجده نعتبره من اهم العوامل المرقية الرافعة شأن دولتنا. ان مصر وبقية اجزاء الدولة العثمانيه اعضاء جسم واحد لاتنفصل فكما ان الطفل اذا ما فطم عن ثدي امه يبقى محبا متعلقا بها كذلك هذان العضوان تجمعها هذه الرابطه المتينة

ومع الاسف ان بعض شباننا الذين شعروا بكرامتهم فجأة لايدرون حقيقه" مايجري في الاوساط الاوربيه". ان اوربا تودان تجذبهم ببرقشه" مدنيتها وتعميهم عن حقيقة انفسهم مع اننا اهم اركان ودعائم العالم الشرقي ولن يكون كمالنا ورقينا

بالنفور ومقت ماهو شرقى وتقليد كل ماهو اوربى بل ان سعادتنا ونجاحنا فيما ينفع ويرقى العالم الشرقى وامه. واذا اما تركنا عوائدنا وطبائعنا القوميه تمحى من صحيفه الوجود ولكننا اذا ماتمسكنا بعاداتنا وتشددنا فى العمل بآدابنا والرجوع الى تعاليم مدنيتنا الدينيه فهنالك ترجع عظمتنا وندخل فى مصاف الدول الراقيه الكبرى وانى اظن ان اليابان والولايات المتحده الامريكيه اللتين وحدتا جامعتيهما القوميه ودخلتا فى عداد الدول العظمى بخضوعهما لنفوذ الغرب ولا باستكانه المذبوح لكل ماهو اوربى بل بالعكس انهما مابلغتا غايتهما ولانالتا درجتيهما الا بالابتعاد عن الغرب والنفور من تقليده والخضوع لنفوذه

ان العالم الاسلامى ليس اليوم فى درجة تمكنه من الحاق الاذى والضرر بدول الغرب وليس من الانصاف اعتبار حالة اوروبا اليوم المرتبكة المتذبذبة كانها حالة طبيعية والمتوكل من عرف كيف ينتظر عاقبة الاحوال الحاضرة. ان اهم واجب يحتم على العالم الاسلامى ان يرفع درجته العلميه وينافس الغرب فى مدنيته رغما عن ممانعة اوروبا ومعاكستها لنيلنا هذه الغايه فاذا ماجد العالم الاسلامى اربعين اوخمسين سنه خرج النابغين وكبار المفكرين واذا ماظهرت هذه النفوس فهنالك ترى اوربا التى تعاملنا اليوم بكل عنف وخشونة قد ركعت خاضعه امام هذه القوة . ان الامه التى تعرف شرفها ووقار مقامها والتى تقنع بذكاء ودهاء ابنائها وتعتمد على اخلاقها القوميه يستحيل ان يدرس مجدها فى اى وقت وامام اى قوة مهما تراكمت المصايب واشتدت فداحه الظلم والجور عليها فلابد ان يأتى اليوم الذى تعلن فيه ظفرها وانتصارها على غاصبها ويستحيل ان تدرس هذه الاحساسات ويقتل هذا الشعور . ان المدافع والاسلحه الماديه لاتقضى قط على امل الامه اذ ان تأثير المدفع والبنادق على الماديات المجرده فقط وليس لها اى تأثير على الاحساس والوجدان . انى منذ اشرقت شمس الحريه العثمانيه اجاهدوا خدم هذه الفكرة واروجها فى العالم الاسلامى فعسى ان تكلل المساعى بالنجاح والفلاح

العالم الاسلامى

ان اوربا تضمن تفوقها على العالم الاسلامى بشيئين !

(١) سعيها الحثيث فى منع انتشار العلوم والمعارف والصنائع والمدنيـة الغربية فى مستعمراتها .

(٢) تقهقر العالم الاسلامى فى العلوم والمعارف

هذه الخطة تسير عليها جميع الدول الغربية بكل جد واهتمام و بنـاء عليه لو اراد المسلمون استرداد حقوقهم فاول مايجب عليهم حصر وقتهم وهمتهم فى هذه

المسألة و ذلك فرض عين على كل فرد منهم ؛ لكن على ثقة بان انجع طريق لخلاص و نجاة العالم الاسلامى من اسره الحالى المعارف والعلوم فبها يرتفع قدره اكثر من الاعتماد على نظريات الموازنات الدولية والانقلابات والاضطرابات والحروب والمؤتمرات الدولية مادامت اوربا تبز العالم بعلومها وتحرمنا ما استطاعت من المعارف وبذا تسنى لها التسلط علينا وارهاقنا والتجبر فينا فمن الواجب علينا ان نفقه سر هذا التفوق جيدا وندرك ان العلم هو الاساس الوحيد فلنتسلح به ما استطعنا لنضمن فوزنا وظفرنا فى معترك الحياة

ان اوربا تذرعت بكل طريقة لمحو المعارف واللغات الاسلامية حتى انها قد توجد طرقا و اصولا لايقبلها العقل ولا تمر بمخيلة الانسان . و الى القارىء نموذج بسيط . ان لكل لغة فى القرى والدساكر توجد لهجات عامية لايمكن حصرها فى كتابة او قراءة ولا تربطها بآداب اللغة اى لحمة فاهالى البادية النائية عن الجهات العامرة الذين حرموا نور المعارف يتكلمون عادة بهذه اللهجات فاذا ما استنار و تعلم الشخص منهم قليلا يهجر هذه اللهجة العامية و يقبل على اللغة الفصحى الادبية بكل ارتياح اذ نفس المدة تستوجب معرفة اللسان الادبى

ان هذه اللهجات العامية توجد فى كل مكان فنسبة اللغة الكردية الفصيحة الى اللغة العامية (زازا) واللسان العثمانى البليغ الى اللهجة العامية (اذرى) والاسبانيولية اليهودية واللهجة اليونانية المستعملة فى الجزر السبع ولهجات الطليان الرديئة كنسبة لهجات (فالون) و (باسق) و (بروفانسال) الى الفرنسية او البربرية الى اللغة العربية

و بعض هذه اللهجات محرفة عن اللغات الفصحى الادبية و بعضها لغات قديمة انمسخت و خرج منها اشكال متناسخة

فالآن نرى فرنسا فى شمال افريقيه لكى تبعد المسلمين عن المعارف و تحول دون ارتشافهم سلسبيل العلوم تهجر اللغة العربية وتحاربها بينما نجدها تسعى فى احياء اللغة البربرية و هى لغه كان لها اصل قديم . فقد كانت فى عهد الرومان اللغة العمومية للقبائل البدوية القاطنة بشمال افريقيا ولكنها بقيت فى العهد الاخير خاصة بالجهلة و اهل البادية . و قد اصبحت بعض الجهات اليوم تجهل العربية تماما و اندرست منها ادبياتها ولم يبق لها طلاوتها و جمالها فى نظر السكان حتى كانها ليست بلغة حية وحتى ان المعارف بها ليستحى من التكلم بها امام احد

المتمـدينين مع ان كل بربرى يوداثبات تمدينـه و رقيه يجب ان يعود لسـانه مااستطاع التكلم بالعربية الفصحى . و خلاصـة الكلام ان البربرى اذاما قام بالمدن والمراكز والعواصم واراد ان يظهر كانسان كامل فاضل يتشبه مجرد تشبه بالعربى فى اللغة واللهجة كما ان الفلاح الاناضولى القح اذا اتى من قسطمونى او قونية الى الاسـتانة و داوم على مدارسها قليلا و خالط العـالم يهجر لهجته العامية الجافـة و يقترب من اللغة الفصحى ما امكن ففرنسا الآن بقتلها اللغة العربية تعمل على احياء هذه اللهجة الغريبة العجيبة. وبما انها تعلم ان اللهجة البربرية لايمكن تعلمها فهى تبطل اللغة العربية العذبة البيان و تحل مكانها كلاما وحشيا و بهذه الواسطة تلقى النفرة والتفرقـة بين العرب . وترى بعض المنافقين ذوى الاقوال الخيـاليه يدعون بانهم سيخرجون سكان افريقيا من العرب و يجردونهم من الشعور العربى القومى ولهم ادلة فعلية تبرر وعودهم

وها هى فرنسـا ايضا تنفق الاموال الوفيرة والمرتبات الضخمة لبعض الزنادقة الملحدين بامريقا لكى يبعدوا المسلمين عن اصول دينهم . فالجمهورية الفرنسـية تعلن مدها يد المعونة لعلماء المسلمين لتثبت فى الورى حسن نيتها وشريف مقاصدها نحو الاسلام بينما هى تدفع باموالها اهل الفساد لزرع بذور النفاق والمفاسد بين الموحدين حتى ان جريدة الطـان الشـديدة الدفاع عن حقوق مسلمى تونس والجزائر و مراكش ازاء المستعمرين تستصوب خطة فرنسا وتراها محقة و تقول بلاتردد فى عددها ١٨٥٦١ الصـادر فى ١٧ ابريل سنه ١٩١٢ انه من الواجب على فرنسا ان تزرع بذور الشقاق وتوجد العداوة بين اهالى مستعمراتها لتضمن بذلك دوام سيادتها وحكمها

ونظرا الى ماجاء فى جريدة الطان يكون عدد سكان الجزائر حسب الاحصاء الاخير ٤٢٢١٢٧٦ من الوطنيين بينهم ١٠٨٤٧٠٢ من البربر ولكن احد مصلحى الجزائر من العلماء المسمى مسـيو دوئه قام بابحاث دقيقة حكم بعدها بان احصـاء الحكومة غير صحيـح اذ عـدد البربر الحقيقى ١٣٠٥٧٣٠ وسـبب هذا الفرق ان كثيرا من الجزائريين يتكلمون العربية والبربرية معا !! ويقول المسيو وايسجربر مكاتب الطان بمدينة فاس ان ثلاثة اخماس سـكان مراكش من البربر بحذافيرهم والخمس الباقى هم العرب الحقيقيون !!..

فالذى يجعلنا نضحك هازئين امام تلك المدعيات ان الاسـلام عندما طفت

امواجه وعمت انواره العالم وحد بين كثير من القبائل والامم التى اتبعته فالحقهـا جميعها بدينه الحنيف وادخلها فى العائلة العربية الكبيرة جميعها اليوم مابين عربية او مستعربة . اما اذا لم نفكر بناء على هذا الاسـاس ورجعنا الى تعيين منشأ عناصر كل امة نجد ان الامة الانجليزية مثلا قد نقصت كثيرا . واذا اعتبرنا ان القرويين بسبب عدم تكلمهم اللغة الادبية الفصحى لايكونون مع سكان المدن امة واحدة فما اعظم سخافة رأينا هذا والا فاذا نظرنا الى الترك والمجر من هذه الوجهة نجد هاتين الامتين قد نقصتا جدا ونشأ مكانهما عشرات بل مئات من الامم الصغيرة الجديدة . انى اظن انى بكتابة هذه الاسطر قد شرحت خطة وسياسة اوربا المرسومة للنكاية بنا وايدت دعواى بمثال البربر فاول واجب على العالم الاسلامى ازاء ذلك ان يصرف قصارى جهده فى اقتباس المعارف ونشر العلوم وان يدافع عن اللغة العربية لسان الدين الرسمى اكثر من كل شئ وليكن هذا اللسان لجميع الموحدين حبلا متينا فى سبيل توحيد جامعتهم

ان الاوربى نراه باوربا كالحمل الوديع ولكنه باسيا وافريقا والاوقيانوسية سفاح وحشى . يرى الاوربى انه لايصح لمن لم يكن اوربيا ان يتمتع معه بحق المساواة قط . انا لن نقول كلمة من عندنا لنثبت بها صحة هـذه القوانين التى ذكرناها بل ولن نبرهن على صحة الدعوى بمقالات ارباب الاقلام فى الغرب والاستشهاد باقوال المفرطين منهم بل سنلخص مقالا كتب فى جريدة الطان التى لم تعرف بالافراط اوالتفريط والتى اخص آمالها خدمة الحكومة الفرنسية والمدافعة عن ارباب الاموال

قالت هـذه الجريدة الناصرة لفرنسا المدافعة عن ارباب الاموال مايأتى : لقد بقينا فى الجزائر من سنة ١٨٣٠ الى سنه ١٨٧١ نعتبر جميع ابناء العرب اعداءنا واتخذنا كل طريقة وواسطة للتنكيل بهم وقهرهم ولقد كان اهل المستعمرات اشد انصارنا فى التغلب على العرب وخضد شوكتهم والآن نعد العرب من الاعداء وهم بالنسبة لبقية اهل المستعمرات الاخرى فى موقع المحكوم المقهور .

وهذا الاندحار يتجلى فى صورتين (١) عدم المساواة فى التكاليف (٢) عدم مساواتهم فى الاستفادة من الحكومة .

ان اهالى البلاد الجزائرية مكلفون بدفع عشر محصولاتهم الزراعية والحيوانية الى الحكومة بينما الاوربيون واليهود معفون من دفع هذا العشر !!!

فى سنه ١٩٠٨ كانت مساحة الاراضى التى زرعها الاهالى ١٥١٩٧٨٥ هكتارا . دفع العرب الى خزينة الحكومة منها ١٧ مليونا عشر محصولاتها بينما مساحة مزارع الاوروبيين واليهود كانت ٩٩٤١٤٠ هكتارا لم يدفعوا من محصولها الى خزانة الحكومة سنتيما واحدا . ولقد صار تمتع الاوربيين واليهود بهذا الامتياز سببا فى المخادعات والختل اذ ان بعض العرب تخلصا من دفع عشر محصولهم يختارون القيام ببعض التضحية فيقيدون املاكهم باسماء اليهود والاوروبيين

ان مسلمى الجزائر مكلفون بجميع انواع السخرة المختلفة بينما اليهود والنصارى معفون من ذلك . والاهالى عليهم حراسة الغابات و ابادة الجراد ونقل الاموال الاميرية وحفظ الامن وضبط النظام بالمدن مجانا . وخلاصة القول ان الوطنيين مكلفون بدفع عدة ملايين من الضرائب زيادة عن الاجانب اما فى تونس فبسبب بعض الدسائس الحربية (انى احافظ على نفس عبارة الطان) اصبح الاوربيون بلاواسطة معفين من الضرائب الاميرية فهم لايدفعون ضرائب التكليف الشخصى وضريبة التمتع وغير ذلك من انواع الضرائب الشخصية وكذلك لايدفعون سنتيما من محصولات حدائقهم ومزارعهم ولكن يقدمون للحكومة عشر محصول القمح والشعير . وبناء على ذلك نرى بايالة تونس للاوربيين من الاراضى الزراعية التى لاتدفع شيئا من الضرائب مقدار ٨٣٤٠٠٠ هكتارا اى ان الاوربيين لهم مركز ممتاز بين اهالى تونس وفوق ذلك فسلمو الجزائر وتونس من وجهة الاستفادة من الحكومة فى دركة احط واسفل من النصارى بكثير وفى الواقع نرى من قواعد الحكومة الاساسية عدم استفادة المسلمين منها اى ان المسلمين عليهم دفع جميع الضرائب التى يصرفها النصارى واليهود فى مصالحهم ومنافعهم والعرب محرومون من كل شئ فجميع البلديات بايدى الاجانب الذين يعلمون كل المشاريع النافعة لانفسهم حتى ان اربعة او خمسة من مستعمرى الفرنسيين ينفقون الاموال و الضرائب المجموعة من اهل القضاء البالغين عشرات بل مئات الالوف المسلمين طبق اهوائهم بدون ان يقدموا اقل خدمة نافعة لدافعيها . و فى الجزائر لااثر لاى حق فى جانب الاقليات . ان هذا امر قديرى بعين الغرابة و لكنه الحقيقة الواقعة فرئيس البلديات وجميع معاونيه ينتخبهم الفرنسيون فالمركز الذى يحتوى على ٤٣ فرنسيا يكون بمجلس بلديته ١٦٥١ مسلما كيف يشاءون ويحبون . فحالة هذا المركز البائس تعسة اذ اهله فى ربقة الاسر . ومحاكم الصلح وادارة الضبط

والمدارس ومعاونة الطلبة والبريد والبرق (التلغراف) وصدى البرق (التلفون) والسكك الحديديه العمومية والخصوصية والآبار ومحلات الاسواق كل هذه المصالح يدفع المسلمون الضرائب اللازمة لادارتها بينما الاستعماريون هم الذين يتمتعون بفوائدها فالوطنيون وهم المعطون الاموال ليس لهم اقل حق فيها فالجهة التى ليس بها سكان فرنسيون خالية مجردة من الطرق حتى ان بعض الجوامع الكبرى المعتبرة من انفس الآثارالاسلامية ليس لها من طرق منتظمة تؤدى اليها لانه لايسكن حولها الاالمسلمون وحدهم

اخذت جريدة الطان تسأل عن سبب وضع هذه التكاليف عن قوم ورفعها عن آخرين وقالت جوابا على ذلك انها قانعة بانه ليس لذلك من سبب معقول او حكمة الا الظلم والشدة والجور

وخلاصة القول ان المسلمين يجدون ويكدحون واليهود والنصارى يلتهمون ويزدردون كأن العشرين مليونا من الفرنكات التى تؤخذ من المسلمين زيادة عن غيرهم فدية دائمة على اسارى كما اخذت جريدة الطان تثبت و تؤيد ذلك بالامثال العديدة والارقام الكثيرة وانى منعا لسأم وضجر القراء المسلمين اضرب صفحا عن ذكر هذه الارقام عددا عددا ولا اهتم فى هذه المقالة بملاحظاتى الخصوصية لانى قد انفعل بسبب بعض الاحساسات المؤلمة فلا استطيع مجانبة الافراط اوالتفريط فاليكم خلاصة فقرة كتبتها اكثر الصحف الفرنسية اعتدالا مع انها كتبتها بكل تؤدة وروية اكثر من المعتاد لها !!!

ان الانسان ليتردد عند النظر فى الحقائق التى ذكرتها هذه الجريدة ويتساءل هل مرتكبوها هم الفرنسيون الذين قاموا بثورتهم العظيمة سنة ١٧٨٩ واعلنوا حقوق البشر لاجل الحصول على كلمات الحرية والعدالة والاخوة والمساواة المقدسة؟ وهل الفرنسيون الذين مدوا ايد المعونة وبعثوا بلافايت وروشامبو لانقاذ وشد ازر الساعين فى شمال امريكا لنيل حريتهم هم الفرنسيون العادون فى المستعمرات على حقوق المسلمين الاولية ؟ انى لا اكاد اعرف ولايسعنى الا ان اتردد فى الحكم

طريق الوئام

لاهل الاسلام

الف الاستاذ الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي رسالة سماها (الجرح والتعديل) والموضوع الذى دار عليه البحث فى هذه الرسالة هو ان العلماء والائمة السابقين الذين خالفوا مذهب اهل السنة فى بعض المسائل المجتهد فيها ليسوا فسقة ولا ضالين . قال المؤلف ولا يحسن ان نسميهم مبتدعين ايضا اى اصحاب بدعة وانما ينبغى ان نسميهم مبدعين اى المنسوبين للبدعة ومحصل ما اورده المؤلف فى رسالته انه استدل على ماذهب اليه بدليلين دليل نقلى ودليل عقلى. اما الدليل النقلى فهو ان الامام البخارى ومسلم رضى الله عنهما رويا فى صحيحيهما احاديث عن بعض اولئك الائمة الذين خالفوا مذهب اهل السنة والجماعة فى كثير من الآراء الاجتهادية فلو كان يصح اعتبارهم فسقة ضالين لما استجاز الامامان لانفسهما الرواية عنهما فكأن الامامين يقولان ان مخالفينا فى الرأى ليسوا فسقة ولا ضالين

واما الدليل العقلى فهو ان ائمة المعتزلة والقدرية مثلا لم يخالفوا اهل السنة والجماعة بقصد الافساد فى الدين والخروج عن هدى سيد المرسلين وانما هم خالفوهم لدليل ظهر لهم وفهم رسخ فى نفوسهم بحيث اصبحوا يعتقدون ان مخالفهم فى رايهم هو المخطئ فى رأيه المتنكب سواء السبيل فى فهمه. ولو كان هؤلاء القوم يخالفون اهل السنة بسوء نية وقصد فتنة لما كانوا تمسكوا باحكام الدين اشد تمسك ووقفوا على حدود الشريعة كل وقوف ناهيك ان المعتزلة يكفرون مرتكب الكبيرة فشارب الخمر عندهم كافر وشاهد الزور كافر وهكذا ومن يتشدد الى هذا الحد فى التمسك بحبال الشريعة ينبغى ان ينصف ولا يوصم بالابتداع ولا الفسق وحسبك ان عمرو بن عبيد المعتزلى هو الذى قال فيه المنصور

(كلكم طالب صيد

غير عمرو بن عبيد)

فهل يصح ان يوصف رجل مثل هذا خاف الله واتقى معصيته بالفسق والابتداع وانما المبتدع الفاسق هو الذى قامت القرائن ودلت الاحوال على انه يريد فى مخالفته انتهاك حرمات وتقمم شهوات . هذا ملخص ماجاء فى هذه الرسالة

الفريدة . ولعمري انما قاله هذا الفاضل هو الحق والافان المخالف في الراي عن دليل واجتهاد وهو يعتقد انه مصيب في رأيه واقف عند حد الشريعة في امر يعذره الشرع كما يعذر ذلك الذي لايعرف ان نوعاً من الاشربة مثلا محرماً فبقي يتناوله طول حياته فان هذا لايصح ان يسمى فاسقاً او مرتكباً كبيرة في نظر الشريعة المطهرة لانه في عمله لم يقصد مخالفة ربه ولا انتهاك حرمة دينه . هذا ولقد كنت سمعت من المرحوم السيد جمال الدين الافغاني كلمة في هذا الموضوع يحسن ذكرها هنا . قال ان المناظرات الجدلية في المسائل الغامضة التي وقعت بين علماء الاسلام وائمتنا الاولين كان يقصدبها في الغالب اظهار المقدرة في الاستنباط والبراعة في الاستدلال والمهارة في ابطال حجة الخصم بحجة اقوى منها فكان العالم اللوذعي والفطن الالمعي يدقق نظره في حجة خصمه ودليله ثم يأتي له من دقيق النظر وقوي الحجة ما يبطل حجته ويسدعليه طريق استدلاله اظهاراً للمقدرة والتفوق في الفهم . فكان المناظر يقول في بعض الاحايين لمناظره ان قولك هذا يلزم منه القول بكذا وهو كفر في اعتبار الشرع فيرد عليه خصمه ويستنبط من قوله ما يستدعي كفره ايضاً مع ان كلا منهما في الحقيقة ليس بكافر ولا يعتقد ان خصمه كافر وانما الحجج الجدلية كان بعضها يكفر بعضا . ومن أسخف رأيا ممن يكفر اخاه المسلم الذي يصلي صلاته ويتوجه الى القبلة توجهه ويؤمن بالقرآن ويحمد ايمانه يكفر بشيء يلزم من قوله لا بقوله الصريح نفسه فيجب على كل مسلم ان يتدبر مارويناه عن السيد جمال الدين ويقرأ كتاب (الجرح والتعديل) الذي الفه الاستاذ القاسمي فان في ذلك فائدة عظمى لنا معشر المسلمين تؤدي الى تأليف قلوبنا وجمع ما تشتت من اهوائنا ولا يقتصر نفع ذلك على الجامعة الدينية فقط بل هو مفيد لنا في قوة السياسة وثبات الدولة ايضا فان من تدبر ما مراصيح ينظر الى اخوانه المخالفين له في مختلف الاقطار الاسلامية بعين الالفة والحب والوئام فتستحكم جامعتنا وتشتد صولتنا وتعلو كلمتنا فما احوجنا اليوم نحن المسلمين السنيين ان نتحد مع اخواننا الشيعيين في ايران والزيديين في اليمن والاباضيين في اطراف جزيرة العرب وفي المغرب (ولا تنس ابطال الاباضية المجاهدين في طرابلس الغرب) والوهابيين في جزيرة العرب والهند وغيرهم فاننا كلنا نؤمن بآله واحد ونبي واحد وقرآن واحد وقبلة واحدة فاذا اتسقت لنا كل هذه

واتحدت لانبالى بعدها ان تختلف آراء وتباين اوهام وتتصادم حجج . فان العبرة للقصد والغرض والنية. وليست العبرة للازم ولازم لازم فى المناظرات الجدلية

(البرهان)

شذور علمية

الكوليرا

الكوليرا و تسمى ايضا بالهيضة والوباء والهواء الاصفر والريح الاحمر والشوطه (فى عرف العامة) هى مرض عفن فتاك يمتاز بالاسهال والقئ الشديدين وبما ان هذا المرض نسمع باسمه عند موسم كل حج تبعا لالاعيب ساسة اوربا المتعصبين العاملين على ابطال فريضة الحج بكل الطرق الممكنة خوفا من اتحاد كل المسلمين باجتماعهم فى صعيد واحد وبما ان هذا المرض قد عاود دار الخلافة مرتين فى السنتين الاخيرتين وانتشر بين الجنود العثمانية عقب مناورة ادرنه وابان الحرب البلقانيه خصوصا عندما وصلت المنطقة الواقعة بين لوله بورغاز وجورلى وبما ان برد الشتاء القارس قد اوقف فتكها مؤقتا اردت ان اسطر على صفحات الهداية الغراء بحثا علميا يبين الحقائق للعالم ويمكن اخواننا الموحدين من وقاية انفسهم واهليهم من هجمات هذا المرض القتال عندما يشتد هول المرض (لا قدر الله) بحرارة الجو عقب انتهاء الشتاء فاقول وبالله التوفيق

الكوليرا الاسيويه هى مرض معد فتاك حارنتن يمتاز باسهال شديد و بضعف فى القوى مع آلام عضلية شديدة تبلغ الوفيات فيه نيفا وستين فى المائه واكثر وفياته فى الاطفال والشيوخ الفانين و سبب هذا المرض وصول جراثيم مرضية (باسيل الضمة) الى امعاء الانسان والحيوان

تاريخه — اختلف المحققون فى منشأ هذا الوباء وتاريخه فمن الناس من ادعى ان منشأه الدنيا الجديدة وان الفينقيين وجماعة العرب الذين اكتشفوا امريكا قبل الاسلام ذاهبين عن طريق اسيا و بوغاز بهرنغ جلبوا هذا الداء الى اسيا مع البقية التى رجعت منهم وان وجود هذا الداء وفتكه الذريع كان السبب فى عدم تجاسر احد على الذهاب الى امريكا

فتركت وحدها حتى تنوسيت تماما وجاء كولومبس فاعاد اكتشافها والقائلون بهذا الرأى قلائل جدا وليس هنالك ما يؤيد رأيهم الامشابهة بعض الاثار التى وجدت باواسط و جنوب امريكا للآثارا لفينقيه والمصرية والعربيه الى درجة معينة ولو كان لهذا الرأى صحة فما هى الواسطه التى قطعت دابر جراثيم الوباء حتى لم تلق جماعة كولومبس له اثرا معاننا شاهدنا منذ بضع سنوات اسبانيا نتفشى فيها الكوليرا بين العملة الذين كانوا يحفرون مقبرة قديمة قرب الاسكوريال دفن بها بعض المصابين بالكوليرا قبل نيف ونصف قرن من الزمن ومن الناس من قال ان هذا المرض فتك قبل عدة آلاف من السنين بسكان ليبيا ولكن ليس لدينا من ادلة ماينفى او يثبت هذا الرأى الضعيف الذى اراد اصحابه ان يثبتوا به ان منشأ هذا الوباء افريقيــة اما جميع المحققين فقد اقروا على ان هذا المرض اسيوى بحت ولذلك ينعتونه بالكوليرا الاسيويه بيد ان هنالك خلافا بشأن تاريخه فكتب الهندوس الدينية السنسيكريتية الموجودة من قبل الميلاد بعدة قرون قد وصفت اعراض مرض دعاه بعض اطبائهم فيشوچيقا (اسهال. قئ) او نيرتيريبا (مغص معوى) او الموت العاجل وهى لاتفترق عن اعراض الكوليرا الاسيويه خصوصا اذا لاحظنا ان المرض المذكور قد افنى زهاء الستين الف نسمة من سكان الصين و شرق اسيا فى سنتين وهذا يبين ان هذا الداء قديم جدا اما جماعة اطباء الغرب وعلى رأسهم الاستاذ كوخ فيرون ان هذا المرض قد لايفتك الا داخل دائرة ضيقة ولكنه لم تشتد فتكاته ولا قوى على الغارة وتهديد الممالك الاجنبية الا منذ عام ١٨١٧ فقط و اهم غاراته على العالم خمس الاولى سنه ١٨٢٦ وهى بقايا انتشار الوباء من جنوب بنغال سنة ١٨١٧ واكتساحه عموم الهند و من ثم انتقل فى سنة ١٨٢٦ الى شواطئ افريقية الشرقيه وعموم اوربا وامريكا ومدة هذه الغارة تنتهى فى شتاء سنه ١٨٣٨ و الثانية فى سنة ١٨٤١ وقد اكتسحت جميع ممالك العالم تقريبا و استمرت فى عنفوانها حتى اواخر سنة ١٨٦٠ والثالثة بدأت فى سنه ١٨٦٣ وقد عمت اسيا وروسيا والولايات المتحدة الامريكية و انتهت فى سنه ١٨٧٥ والرابعة بدأت فى سنه ١٨٨٣ وقد عمت اغلب ممالك اسيا و اوربا وامريكا وبعض جهات شمال افريقا والخامسه بدأت فى اسبانيا سنه ١٨٨٥ و منها سرت الى جنوب امريكا وما زالت حتى اواخر سنه ١٨٨٦ وكمنت شتاء السنة المذكورة ثم عاودت اسبانيا وجنوب ايطاليا فى سنه ١٨٨٧ بل بقيت آثارها حتى اواخر سنه ١٨٩٠

اسباب المرض — كان القدماء يعتقدون ان الكوليرا سببها ضرب من الجن ولاتزال العامة وخصوصا بمصر يعتقدون ان اولئك الجن سبعه يسمونهم (ضرابين الكوبه) بينهم سيدتان وشيخ يحامون عمن يريد الاخرون هلاكه ففى بعض الاحيان يحولون قبل ان يتمكن المفسدون من ضربه كثيرا فيشفى ولطالما سمعت بعض المرضى يصفون الجميع لى كما صوره الوهم لهم. كان اطباء الهند يعتقدون ان المرض يتبع طرق سير القوافل فى انتشاره وجاء سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم فنصح اتباعه بعدم دخول بلد موبوء او الخروج منه دالا بذلك على ان الوباء معد شديد السريان وكان بعض القدماء يعتقد انتقاله بالهواء والملامسة الخ ولكن السبب الحقيقى بقى فى حيز الخفاء حتى اتيح للعالم الالمانى الكبير كوخ خادم الانسانيه ان يكتشف جرثومة المرض سنه ١٨٨٤ وماهى الاعبارة عن باسيل الضمة وهو مخلوق سفلى اصغر من باسيل السل بحشيربه انثناء خفيف يجعله يشبه الضمة رفيع الطرفين به ضخامة خفيفه بوسطه يوجد عادة فى غائط المريض وقلما يوجد فى قيئه يعيش فى الوسط العلوى وفى قصير اللحم واللبن الحليب والبطاطس و بقية الخضروات والملابس المبلولة والارض الرطبة وخير وسط فى الحرارة يوافق نموه ماكان بين درجتى ٣٠ — ٤٠ سنتغراد بيد انه قد يبقى حيا حتى لو وجد فى درجة ١٠ تحت الصفر و يهلكه البرد اذا وصل الى درجة ١٦ تحت الصفر والماء الغالى يبيده لوقته وكذلك الحوامض وخصوصا المعدنية منها و بالاخص حامض قلور الماء (هيدروكلوريك)

اكتشف كوخ هذا الحيوان السفلى الذى لا يمكن رؤياه الا بالنظاره المعظمة وقرر انه سبب المرض الوحيد بعد ان قام بعدة تجارب على الحيوان وعدة مشاهدات فنية نفيسه على الناس مثبتا ان هذا الداء لايغذى الامن طريق الجهاز الهضمى وحده ولذا يمكن وصفه بانه انتان معوى سببه تلك الجراثيم التى منشاها براز احد المرضى فصدقه الكثيرون من العلماء وشكرته الانسانية بيد ان بعض الاطباء لم يصدقه ولقح نفسه بباسيل الضمة او ازدراد بعضها ليثبت كذب دعوى كوخ فهلك بالكوليرا ومن اولئك امريخ واستاذه بتنقوفر الذى نجا من المرض بسبب قوة جسمه وصغر الكمية التى ابتلعها من الجراثيم و للعلماء ابحاث وتجارب عديدة كلها اثبتت صحة دعوى كوخ وصدق اكتشافه الذى قضى على خرافات القدماء و بين للناس طرق الخلاص من هذا الوباء الفتاك حتى بات العلامة

ميتشينكوف يسميها بالوباء الوهمى اذ يكفى للسخرية به والتحصن من غوائله ان يعمل بقاعدة حصن فمك ضد جراثيمه تامن تماما

اقسام المرض وسيره — الكوليرا نوعان رطب وجاف والاول هو نوع الكوليرا الاسيوية الحقيقية المعتاد وجوده بنسبة واحد الى عشرة آلاف من النوع العادى واذا شئنا الحقيقة العلمية نقرر ان النوع الجاف هو نوع من الرطب شديد الفتك ثقيل الوطأة يقتل المصاب قبلما تجد امعاؤه المفلوجة وقتا لافرازما بها من المواد المائية القوام وهنالك نوع آخر يعرف بالكوليرا البلدية يصاب به الاطفال وبعض اصحاب الاجهزة الهضمية الرقيقة الذين يتناولون اغذية عسرة الهضم ولكن خطر هذا النوع وعدم وجود باسيل الضمه وعدم جدواها يجعلها خارج دائرة موضوعنا وبما ان الكوليرا الجافة نادرة جدا ويتعذر على غير الطبيب الحاذق تشخيصها نضرب عنها صفحا ونتكلم على سير المرض المعتاد

تظهر الكوليرا الاسيويه الرطبه فى ثلاث صور (١) اسهال الكوليرا (٢) الكوليرا الخفيفه (٣) الحقيقيه والسبب فى هذه المظاهر المختلفة يتوقف على مقدار قوة مقاومة الجسم وكمية الجراثيم التى اقتحمت المعدة واصلة الى الامعاء الرقيقة

اما اعراض المظهر الاول فلا تمتاز بشئ خاص بل كل مايحدث ان يصاب المريض باسهال غير مصحوب بمغص يكون لون المواد البرازية اصفر كالعادى بيد انها تعدم هذا اللون اذا ما اشتد الاسهال وازداد عدد تبرزه وبلغ الاثنى عشر مرة فى اليوم فيشتد ظمأ المصاب وتخور قواه ويفقد شهيته وتسمع اصوات حركات امعائه شديدة واذا انخفض صوته شعر بآلام عضلية شديدة فى ساقيه تكون هذه الاعراض بوادر الخطر وفى الغالب نرى المريض وقد تغلب على الجراثيم فيأخذ باسباب العافية فينقص عدد تبرزه ويغلظ قوام غائطه وتعاوده قواه تدريجيا حتى يسترجع حالته الطبيعية بيد ان البعض بدل ان يأخذ باسباب العافية ينقلب نوع اسهاله الى شكل الكوليرا الحقيقى فيهلك ومهما كانت النتيجة يلزمنا ان ننبه القارئ الى ان المواد البرازية هنا معدية كما هى فى بقية الانواع فيلزم التحوط منها ولا يغرنا استمرار الاسهال اسبوعا فينسينا خطره وحقيقة شره

اما اعراض المظهر الثانى (الكوليرا الخفيفة) فتفرق عن المظهر الاول بكل سهولة اذ فيه يبدأ الاسهال مصحوبا بالقئ الشديد ويكون عدد التبرزات كثيرا ولذلك سرعان ما ينعدم لون المواد البرازية الاصفر وتصبح لا لون لها بل وفى

بعض الاحيان تصير فى شكل ماء الارز ان القئ فى بادئ امره يكون عبارة عن اكل المريض ثم ينقلب الى سائل مصبوغ بالمواد الصفراء ثم يميل الى الخضرة ثم يصبح كالماء ويشاهد فى المريض الظمأ الشديد والضعف العظيم وتغور العينان وتبرز نتوءات عظام الوجه ويخنض الصوت ويجف الفم حتى يلتصق اللسان بحلق الفم ويتألم المريض من اوجاع عضلية فى الساقين شديدة و تصبح حساسة حفرة المعدة شديدة حتى ان مجرد مسها يؤلم المريض اما البول فقليل جدا بل قد ينعدم تماما فى بعض الاحيان وقد يوجد به بعض الزلال ويبرد الجلد ويزداد عدد النبض غالبا وفى النادر يتناقص العدد. هذه هى اعراض المرض المذكور وفى غالب الاحيان يبدأ الجسم بالتفاعل او تعاوده العافية تدريجيا حتى يتم شفاؤه و قلما انقلب المرض الى دور الكوليرا الخانقة (احد ادوار النوع الثالث) او مات المصاب بسبب انتهاك قواه الجسميه تماما. اما اعراض المظهر الثالث (الكوليرا الحقيقية) فمن السهل تمييزها عن النوعين السالفين لان لها علائم معينة ظاهرة لاتخفى على احد فالقئ المصحوب بالاسهال يكون شديدا وسرعان ما تأخذ المواد البرازيه شكلها الخاص بها فتصبح كماء غسيل الارز اوكالشوربا ذات التربية (المطبوخة بالدقيق) ولا يبقى فيها من لون الغائط الطبيعى اورائحته من اثر بل تصبح رائحتها اقرب الاشياء من رائحة المنى او الاجسام المتفسخة و يتبرز المصاب كل عشر دقائق وفى كل دفعه يقذف حو الى النصف من هذا السائل البالغ ثقله النوعى ١٠٠٦ — ١٠١٣ والذى لا يحوى من المواد العضويه الا الاثر الخفيف بينما هو مشبع بالاملاح الغير العضويه عدا املاح البوتاسيوم التى تكون معدومه بالمره و يشاهد فى هذا السائل اجسام سنجابيه بشكل الارز و ما هى الا بعض حجر الغشاء المخاطى المبطن للاحشاء وبها توجد الجراثيم بكثرة تفاعل هذا السائل

اما القئ فيكون شديدا ويأخذ شكل السائل السابق بيد انه لا يحتوى على الجراثيم اللهم الا اذا بلغ من الشده درجة قذف محتويات الا معاء لاالمعده فقط ومن جراء هذا القئ يبلغ الظمأ من المصاب درجة تجفيف فمه ولهاته بحيث تجعله يتلهف على شرب الماء الذى لا يسوغه حتى يقذفه قيئا فى اقرب حين ويقئ يوميا ثلاثين ليترا اما الاوجاع العضليه فتبدأ مع القئ او قبله بقليل وتكون فى الساقين ثم بالعضدين والساعدين ثم ببقية عضلات الجسم وتكون فى اول الامر

منقطعة بيدانها تشتد تدريجيا وتقترب نوباتها حتى تصير كل دقيقتين مرة فتجعل اقوى الرجال يجاهر بالشكوى من آلامها القاطعة ولكنها تنتهى عندما يدخل الرجل الدور الجليدى اوعندما يبدادور التفاعل لاسترجاع الشفاء ومن الغريب انها تزول فجأة

اما بقية الاعراض فهى (١) صوت المريض يأخذ فى الانخفاض حتى ينقطع او يبقى عبارة عن همس خفيف بيدانه قبيل الموت اوفى دور التفاعل يعود فيرتفع (٢) الادرار يتناقص تدريجيا وقد ينعدم تمامابسبب فقد المريض المقادير العظيمة من الماء بواسطة القئ والاسهال واذا ما حلل وجد به بعض المقادير من السكر والزلال و خلاصة النيلة و اذا انقطع تماما اكثر من ثلاثة ايام يكون انذارا بالخطر اذ يقضى المريض نحبه مسمما باملاح البول اما اذا عاد بعد احساسه فيكون بمقادير قليلة (٢٠٠ — ٤٠٠ جرام) ثم يزداد تدريجيا وظهوره فألخير بالنسبة لحياة المريض (٣) النبض يزداد حتى يبلغ المائه اوالمائة والعشرين بيد انه لا يلبث ان يتناقص حتى لايشعر به الانسان فى الرسغ و تنعدم ضربات القلب ويسمع زئير احتكاك عنددورة القلب وماذلك الا بسبب الجفاف الطارئ على العضلات من جراء فقدان الماء الطبيعى لتركيبها (٤) التنفس يصبح قصيرا و سطحيا و قرب احتضار المريض نرى تركيب هواء الزفير مثل هواء الشهيق اذ لا تفاعل فى الرئه بسبب التغير الطارئ على الدم (٥) الحرارة تسقط عن الدرجة الطبيعية درجتين او ثلاث درجات سنتغراد مع ان المريض يشعر بنيران فى جوفه يمكن تعيين مقدارها بوضع الترمومتر فى لمستقيم مدة عشر دقائق بينما جلده وخصوصا جلد وجهه يكون باردا كالثلج وقديغطى بطبقة من العرق البارد وتسمى هذه الحالة بالدور الجليدى ومدته يومان بيد ان اغلب المرضى يهلكون فيه بعد ساعتين او اربعة (٦) جلد المصاب يبهت اولا ويفقد ليونته الطبيعية ويبين للناظر كانه اوسع من جسم المريض بكثير ويكسب رخاوة عجيبة حتى ان الانسان اذا مسه يظن انه جلد ميت واذا قرص قطعة منه بقيت ملتصقة ببعضها ولم ترجع الى وضعها الطبيعى حتى تغيرها انت ثم ان لونه يميل الى الزرقة القاتمة ثم يأخذ لون الرصاص او الدم الوريدى المشبع بغاز حامض الكاربونيك الى درجة عظيمة ويبقى هذا حتى بعد الوفاة كما ان الحرارة التى ترتفع قبل الموت بقليل تبقى زمنا غير قليل (٧) وجه المصاب

يدل على مقدار خطورة المرض بسحنته المخصوصة. عيون غائرة عظام الخد البارزة لون باهت سنجابي اجفان غير منطبقة تماما (٨) عينا المريض تضمر شحمتاهما فتغوران وتميل صدفتيهما الى الصفرة والعتامة وقد تبدو بهما بعض بقع سوداء اما القرنيه فتعدم لمعانها ويحدث بها بعض قرح واذا فحص قاع العين بالمنظار (اوفتالميسكوب) يرى لونه باهتا خلوا من اى دم و اشتداد صفرة الصدفية وعدم احساسية انسان العين انذار سيء (٩) احساس المريض فى جلده يفقد حتى انه لا يتأثر من ورق الخردل او الخرقات اما قواه العقليه فتبقى حتى آخر رمقه بيد ان الكبير يصاب بهذيان بينما المعتوه او من به مس فى عقله ترجع قواه العقليه اثناء المرض حتى الموت (١٠) بطن المريض تكون غائرة نوعاما اذا مسها الانسان وجدها فى قوام العجين بيد ان مجرد مسها خفيفا قد يسبب تبرز المريض مرة او اكثر وهى خالية من المغص بيد ان القئ الذى يخرج من فم المريض بكل راحه وبدون عظيم مجهود قد يسبب آلاما فى دائرة المعده (١١) قوة امتصاص المعدة والامعاء تفقد بينما امتصاص الجسم للاشياء من تحت الجلد تصبح بطيئة جدا بيد انها لا تفقد تماما (١٢) قد يحدث نخر فى الاعضاء التناسلية خصوصا فى المرأة اوفى الاعضاء فيسبب نزفا وهذه علامه خطرة جدا تشعر بقرب هلاك المصاب

مما تقدم يرى القارى ان دور الكوليرا الخانقة (عندما يفقد النبض) والدور الجليدى ودور النخر وهو غير دائمى هى اخطر الادوار والمصاب عادة يقضى نحبه او يبدأ دور التفاعل والشفاء التدريجى فتنقطع الآلام العضليه فجأة ويعود النبض والبول وتكسب المواد البرازيه قواما غليظا ولونا اصفر بالتدريج حتى يعود المصاب الى حالته الطبيعيه بعد اسبوع او اسبوعين هذا ان لم يصب بنكسة او ينقلب مرضه الى الشكل التيفودى فيرحل من هذه الدنيا بعد ان كان الامل قد تجدد فى بقائه

اسئلة واجوبتها

مصاحبة النساء للجيوش المحاربة

(سؤال) ماذا تقولون فى خروج النساء مصاحبات للجيوش لمعالجة مرضاهم

وعصب جروحهم وتخفيف آلامهم. وهل ورد فى السنة النبوية او التاريخ القديم مايدل على وقوع ذلك على عهد الرسول عليه السلام ؟

(الجواب) ان خروج النساء الى ميادين القتال مع الجنود كان معروفا فى العرب قبل الاسلام وبعده . وقد اذن فى ذلك رسول الله بل رغب فيه فمن ذلك مارواه الطبرى فى تاريخه(١) ان محمد بن عمر ذكر ان عبدالله بن ابى يحى حدثه عن ثبيتة بنت حنظلة الاسلمية عن امها ام سنان الاسلمية قالت لما اراد رسول الله الخروج الى خيبر جئته فقلت يارسول الله أخرج معك فى وجهك هذا اخرز السقاء واداوى المرضى والجرحى ان كانت جراح والاتكن فانى انصر الرجل فقال صلى الله عليه وسلم اخرجى على بركة الله تعالى فان لك صواحب كلمتنى فاذنت لهن من قومك ومن غيرهم فان شئت فمع قومك وان شئت فمعنا قالت معك قال فكونى مع ام سلمة زوجتى قالت فكنت معها .

حكم اكل الفسيخ

(سؤال) سمعنا بعض العلماء يفتى بتحريم اكل الفسيخ (٢) وسألنا آخرين فقال لاتحريم . فماهو الحكم الشرعى فى ذلك مشفوعا ببيان الادلة وهل اتفقت الائمة الاربعة على رأى فى هذا الموضوع ؟ (٣)

(الجواب) لم يكن الائمة الاربعة عليهم رضوان الله يعرفون الفسيخ فالمسألة اذا من المسائل الاجتهادية .

ولقد كنا نسمع بعض الشيوخ يرون تحريم اكل الفسيخ لان لحمه يختلط بالدم خلال صناعته ويرون ان هذا الدم مسفوح والدم المسفوح محرم بنص كتاب الله تعالى اذ يقول (قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة اودما مسفوحا الآيه فذلك الفريق من الشيوخ لايبيحون من الفسيخ سوى الطبقة العليا.

والذى نراه انهم مخطئون جدا الخطأ وواهمون فى فهم معنى الدم المسفوح . واذا عرفنا ان الدم المسفوح هو السائل الجارى المصبوب علمنا ان الدم الذى يسيل من جسم السمك خلال صناعته بالملح ليس من الدم المسفوح كما ان الدم الذى يخرج من اللحم المشوى ليس بمسفوح ولايحرم اكله مع اللحم المختلط به .

(١) جزء ١٣ صفحة ٨٥ (٢) الفسيخ سمك يملحه المصريون ويكون خلال التمليح طبقات متراكمة.

(٣) السائل مشترك من ابى كبير بمصر .

وقد حكى القرطبي الاجماع على انه ليس من الدم المسفوح مايبقى فى الفروق بعد الذبح ولامايتلطخ به اللحم من الدم . فتحريم الفسيخ انما هو غلو واعتساف فى الدين الذى جعله الله يسرا وامرنا ان نوغل فيه برفق .

نتائج القول بقدم الارواح

توصل الفلاسفة ومن خاصتهم اليونان والعرب فكان من الاولين سقراط وافلاطون وارسطو ومن تابعهم حجة الاسلام الغزالى فخر الدين الرازى وابن رشد وابن مسكويه وابى نصر الفارابى وغيرهم عامة وهؤلاء اعتقدوا بوجود الله ازلى ابدى واجب الوجود بذاته خالق المادة وكونها ووهبها صورها ونظامها ، على ان هذا الاعتقاد لم يخل من ايراد كلمة الروح ، وانها بسيطة ابدية لا تقبل التغيير ولاالنهاية له ومالانهاية له لابداية له مع ان اعتقادهم بالله كان اعتقادا مقرونا بوحدانية فى ازليته فكون الروح ابدية يوجب انها ازلية ويترتب على ذلك كونها مشتركة مع فى الازلية ومن هنا تتسرب الينا فكرة هى منشأ البحث ..،

اذا كانت الروح ابدية كما يعتقد عامة الفلاسفة المشتغلين بماوراء الطبيعة فذلك يقود الى انه اما ان تكون الروح قسما من الله (سبحانه وتعالى) — واما ان لا تكون ، فاذا كان الاول فذلك يوجب لله القسمة والتركيب والتبعيض والامتزاج بالماديات وهذا محال لانه تعالى بسيط لا يقبل شيئا من ذلك ، وان كان الثانى فقد جعلنا شركاء فى ازليته وابديته وربما يكون فى صفاته ايضا فارأيكم فى ذلك لنهتدى الى الحقيقة ولما كان قصدنا الوقوف عليها مهما كان حالها آثرنا أن لانرجع بانفسنا الى ظلمات المنطق بل الى مجرد البراهين والقياسات الصحيحة مع ايرد براهين عقلية صرفة قديمة او حديثة لان البراهين المأخوذة عن الكتب السماوية معروفة متداولة .

نرجو ان تجيبنا بماتراه فى ذلك والسلام

يظهر ان اصحاب هذا السؤال لم يعتمدوا فيما سردوه من الاقوال وماعزوه الى اولئك الفلاسفة على رواية صحيحة وسند ثابت فان ارسطو مثلا لم يعرف عنه القول بقدم الروح بل المروى عنه العكس بنقيض ذلك وهو الحدوث

وكذلك لم يعرف عن الرازى فيما نعلم شئ فى امر الروح . اللهم الا مايرويه هو عن غيره من الشكوك والاقوال

و اذا اراد السائلون ان يعرفوا شيئا عن الروح من طريق العقل فقط كما جاء في سؤالهم فاننا نخبرهم انه لم يوفق احد من الباحثين فى امرها الى معرفة حقيقتها فمن قائل انها الدم ومن قائل انها النظام الذى اذا اختل زالت به حياة الاجسام ومن قائل انها جواهر ليست مادية تتعلق بالجسم تعلق العاشق بالمعشوق (كما يقولون) و لكل من هؤلاء ادلة مسرودة لم تبلغ لمتدبرها مبلغ اليقين وقد نفردها يوما ما بكلمة وافيه. بيد انه لابدلنا من تزويد السائل هنا بكلمة عاجلة فى الشق الاخير من سؤاله ذلك انه على فرض صحة القول بقدم الروح فانه لايلزم من ذلك ان ان تكون جزءا من الله تعالى بل يجوز عند الفلاسفة ان تكون قديمة ومستقلة بوجودها و الذين يجوزون قدم المادة وقدم الانفس الفلكية وبعض الاجرام العلوية لايبالون ان يكون هناك كائنات قديمة غير الله تعالى فان ذلك لا حرج عليهم فى اعتقاده بعد اذ يرون ان الله تعالى علة العلل فكل كائن سواه متوقف فى وجوده عليه ولو كان ازليا ولا بد ان يكون السائلون قد قرأ وافى كتب الفلاسفة ان القديم ينقسم الى قسمين قديم بالذات وهو الله وحده وقديم بالزمان وهو كل قديم عندهم يكون ممكنا بذاته متوقفا فى وجوده على غيره ولذلك عندهم امثال كثيرة .

واننا ننصح لأولئك الباحثين بوجوب الاقلاع عن الخوض فى كتب الاقدمين فانها تعتمد فى غالب ابحاثها على الاوهام والظنون والفروض الاصطلاحية وحسبهم ان ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ .

وليعلموا انى لااريد بذلك الحجر على عقولهم حتى لاتخوض فى المسائل العويصه، وانما اريد ان ابين لهم ان اكثر ما وضع فى الفلسفة قديما انما هو ظنون وتخبطات وان كان من بينها ما هو جدير بالتدبر والعلم ومتى بلغنا فى تفسير القرآن مقاما يشاكل هذه المقامات فاننا سنوفيه حقه ان شاء الله فى ذلك .

تفسير آية

(سؤال) ما المراد بالنفس الواحدة وكيف جعل الله منها زوجها فى قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها . الآية؟) وهل حق مايقال من ان هذه الآية الكريمة دالة على ان حواء خلقت من ضلع آدم ؟

(الجواب) يخطئ من يرى ان النفس الواحدة هى آدم وان زوجته هى حواء فان حواء و آدم لم يشركا بالله احدا . والذى عليه ابومسلم الاصفهانى ويدل عليه سبب نزول هذه الآيه ان المراد بالنفس الواحدة قصى . وقد جعل الله زوجه عربية من جنس قصى لامن قبيلة اخرى فلما اتاها

الله ماشاءامن الولد الصالح نسيا ماعاهدا الله عليه من ان يكونا له شاكرين ويعظمامنته ذاكرين فسميا اولادهما الاربعة عبد مناف وعبدالعزى وعبدالدار وعبد قصي مشركين بالله غيره فى تسمية اولادهم اذجعلوهم عبيدالغير خالقهم .

وفى هذا تنبيه على ان من صنوف التسمية المقوتة وان لم تكن فى نظر الشريعة كفرا تسميةالمسلمين اولادهم عبدالرسولوعبدالسيد وعبدالنبي ونحوها فيجب على من اسمه شيء من ذلك ان يعجل بتغييره .

حكمة تسليط الشيطان على الانسان

(سؤال) لما ذا خلق الله الشيطان وسلطه على الانسان ؟ فان كان ذلك لامتحانهم فقد ارى رجلا لتحكم شهواته وهواه عليه وغلبة غريزته يقترف مانهاه الشارع من الخطيئات وآخر لكمال حصاته وسلامة فطرته يفعل الحسنات ويجتنب السيئات فهل للاول من عذر اذا لم يمنحه من الغرائز السليمة والمزايا السامية التي تزعه عن مسالك البغي والعناد وكيف يجرى الامتحان بين اناس هم متباينو الجبلة والاستعداد ؟ [١]

(الجواب) التحقيق ان الله تعالى يخلق خلقه لحكم فيها ومزايا مختصة بها. فليس الله بخالق حشراته وطيوره واسماكه وجنه لاجل الانسان ولا ليسلطها على الانسان . وانما خلقها وقدر اجزاءها لمعان وحكم فى انفسها . ويدل على ان الله لم يسلط الشيطان على بنى آدم قوله تعالى خطابا لابليس (اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) .

فهل يفيد ذلك ان الله تعالى يسلط الشياطين على الانسان . وان شئت ادلة اخرى من آيات الله فتلك قوله تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين) وقوله (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وقوله (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا)

اما ما ذكرتم من ان من الناس من غلبت عليهم شقوتهم فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وان منهم من سلمت فطرته ولم تغلبه شهوته فعمل الصالحات واجتنب السيئات فان هذا مبحث آخر لاعلاقة له بالشياطين ولا بالمساواة بين متباينى الطباع والغرائز فى الامتحان والابتلاء .

وخلاصة القول فى ذلك ان الله تعالى خلق الانسان وقدره ثم السبيل يسره

[١] السائل مشترك تركى من اهل قونيه .

ومعنى تيسير السبيل للانسان انه تعالى قبل ان يكلف الان منحه من القوى العقلية والقوى النفسية والجوارح مالا يجوز التكليف الابه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) و (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

فمناط التكليف فى الانسان تحقق تلك الشرائط العقلية والنفسية والبدنية فاذا اختل نظام واحد من تلك الاقسام فان ذلك يسقط التكليف بقدره .

ولما كان من اركان التكليف بيان المحاذير والمنافع وشرح العقوبات والمكافاة اذ هى التى تزع النفوس عن اجتراح السيئات وتدفعها الى كسب الحسنات وصالحات الاعمال رفع الله التكليف عن عباده الابعد البلاغ المبين فقال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ذلك ان البلاغ المبين الذى لالبس معه ولاابهام ولا تشكيك يحمل النفس على اليقين بما يقوله المبلغ من الوعود والايعادات وما يضعه من الحسنات والسيئات . وقد اثبتت المشاهدات انه متى رسخت العقيدة فى نفس صاحبها ظهرت آثارها على الجوارح وكلما تزعزعت العقيدة من النفس او زالت اقبل الانسان اذ ذاك على المحارم يرتكبها دون تحرج ولا خوف .

ومن الناس من يحمله حسن الظن بالله تعالى وفرط رجائه فى مغفرته على الايغال فى معاصيه جهلا منه بانه تعالى لايجود برحمته على من يجاهر بمعاصيه ويتعمد محاربته بمخالفة اوامره .

وهناك قسم من الناس يسهل عليه ارتكاب الفاحشة غفلته عن الله تعالى فان الغفلة عنه تعالى من اعظم ذرائع الكبائر والفواحش من القول والعمل .

وقد يكثر الانسان من مخالطة الخاطئين فيستخف اول الامر بملاقاتهم ومجالستهم ثم لايزال يستدرجه مجالسوه وسماره حتى ليلجن الباب الذى ولجوه فاذا ما فعل ذلك لاول مرة هونت على نفسه تلك الفعلة مابعدها .

فانت ترى من جميع ما اسلفنا ان اكثر الخطايا لم يكن الباعث عليها خطأً فى اصل الفطرة اونقصا فى نظام الخلقه وانما هو تقصير الانسان وتعطيله مواهب ربه أوغفلته عن مصدر الجلال والعظمة ومالك النواصى فى الدنيا والآخرة اويكون منشأه وهن العقيدة والتشكك فى انباء الكتب المقدسه وعدم الجزم بوعودها وايعاداتها .

اما اذا كان مبعث الخطايا عدم توفر شرائط التكليف كما هو الشأن فى الابله والمعتوه والمجنون والنائم واشباههم فان الله احكم واولى ان يرفع عن عباده اؤلئك تكاليفه واحكامه . فاذا تفاوت الناس فى استعدادهم ومواهبهم كان الله حقيقا الايسوى بينهم فى التكليف .

ومن ذلك مايعلمه السائل(فيما . نرجو) من ان طلاق المغلق لايقع شرعا. ومعلوم ان المغلق هوالذى هاجت اعصابه لغضب حتى جعل لا يكاد يميز مايقول فأصحاب الامزجة العصبية الذين لايملكون انفسهم ساعة الغضب لا يؤاخذهم الله عما ياتون فى غضبهم من القول اوالفعل .

الحديث وامور الدنيا

(سؤال) لقد علمنا ان من رايكم ان النبي صلى الله عليه وسلم لايؤخذ بقوله فى مثل مسائل الطب والاخبار التى ترجع امورها الى مصالح البشر ومنافعهم وهذا غير ظاهر لى لامور .

(١) قوله صلى الله عليه وسلم اذا وقع الذباب فى شراب احدكم فليغمسه كله فان فى احد جناحيه داء وفى الآخر شفاء فان ذلك مما لايدرك بمجرد العقل اوالتجربة .

(٢) ماقاله ابن القيم فى زادالمعاد ان نسبة طبه عليه السلام الى طب سائر الاطباء كنسبة طبهم الى طب العجائز .

(٣) ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخترق السماء ليلة المعراج كما صرحوا به مما بلغ حد التواتر وبفرض عدم صحة الاحاديث يجب الجزم بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئا فى امور الملكوت الا بوحى فانه لم يعرف انه اشتغل بعلم الطب اوالفلك (ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا)

اما مسألة تأبير النخل ففى بعض رواياتها لعلكم لوتركتموها لصلحت .

الجواب — ان الرسول فى حديث تأبير النخل يقول انتم اعلم بأموردنياكم وليس فى اخبار الانبياء بالظنيات من حرج عليهم الاما كان من احكام العبادات والمعاملات والشرائع وامور الآخرة ووعودها وايعاداتها وهذا هو معنى قوله ولكن اذا حدثتكم بشيء عن الله فخذوابه وخطأ الرسول فى الامور الدنيوية بل وفى بعض الاحكام الاجتهادية ليس فيه من باس ولاينافى العصمة (يايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك)

وما قاله ابن القيم فى زاد المعاد خطأ وكذلك ما استنبطه السائل من حديث الذباب

ان جهل الانبياء بشؤون الدنيا والاقضية الفنية قد يكون ابلغ فى الدلالة على نبوتهم (راجع الجزء الثالث من الهداية)

فعصمة الرسل الواجبة انما هى فيما يبلغون عن الله من الاحكام على وجهها (يايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)

يستند السائل على احاديث الاسراء ويقول انهـا بلغت مبلغ التواتر فتنقلب يقينية ونحن نقول لودرس السـائل ماورد فى كتب التفسير كابن كثير والطبرى وغيرها لعلم ان تلك الاحاديث على كثرة اسـانيدها متضاربة وان انس بن مالك يقول ان الاسراء كان قبل ان يوحى الى الرسول عليه السـلام وان الرؤيا كانت قلبية لا بصرية وقالت بذلك عائشة وحذيفة

واما صحة ماورد من تلك الاحاديث فاننا سنفرد له بابا خاصا فى المستقبل القريب الا اننا نسلف للسائل هنا ان اكثر تلك الاحاديث لم يقطع بصحتها واذا وقع القطع بصحة بعضها او بصحتها جميعا فان قطعية صحتها باعتبار سندها لا تدل على تجـاوز معانيها ومضـامينها حد الظن الذى لا يستطيع ان يعارض قطعية المعقولات العلمية والمشهودات البصرية

وقد استشهد السائل بحديث الذباب المذكور الذى رواه البخارى وابن ماجه وصححه غيرهما ونحن نقول للسائل لعل هذا من الامور المظنونة التى كان يجرى بها علم طائفة من الناس فتلقاها صلى الله عليه وسلم وبلغها فظهور ما يناقضها بعد لا يقدح فى بعثة المصطفى ولا فى رسالته فان هذا ليس من مشمولات ما تجب على الانبياء العصمة فيه (راجع الاسلام دين الفطرة)

فرسولنا صلى الله عليه وسلم وهو الرسـول الفطرى الذى جاء بالبينات والهدى من ربه ليخرج الناس من الظلمات الى النور لا يشينه ان يكون غير عالم بامور الدنيا بل ان ذلك ابلغ واقوى فى الدلالة على رسالته صلى الله عليه وسلم

ويجمل بنا ان نقتبس ما كتبه ابن القيم فى كتاب مفتاح دار السعادة فانه يؤيد ماقلناه سابقا ويطابق الفطرة قال فى صفحة ٢٨٢ من النسخة المطبوعة فى مصر

وقد سلك بعضهم مسلكا آخر فقال مايخبر به النبى صلى الله عليه وسلم نوعان احدهما مايخبر به عن الوحى فهذا خبر مطابق لمخبره من جميع الوجوه ذهنا وخارجا وهو الخبر المعصوم. والثانى مايخبر به عن ظنه من امور الدنيا التى هم اعلم بها منه فهذا ليس فى رتبة النوع الاول ولا تثبت له احكامه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم عن نفسه الكريمة بذلك تفريقـا بين النوعين فانه لما سمع اصواتهم فى النخل يؤبرونهـا وهو التلقيح قال ماهذا فأخبروه بانهم يلقحونهـا فقال ما ارى لو تركتموه يضوء شيئا فتركوه فجاء شيصا فقـال انما اخبرتكم عن ظنى وانتم اعلم بامور دنيـاكم والحديث صحيح مشهور وهو من ادلة نبوته واعلامها وكيف لا وقد خفى عليه مثل هذا من امر الدنيا وما اجرى الله به عادته فيها ثم جاء من العلوم التى لا يمكن البشر ان يطلع عليها البتة الا بوحى من الله فاخبر عما كان ومايكون وماهو كائن من لدن

خلق العالم الى يوم القيامه . فلوكان ماجاءبه مماينال بالتعلم والتفكر والطرق التى يسلكها الناس لكانوا اولى به منه واسبق اليه لان اسباب ماينال بالفكر والكتابه والحساب والنظار والصناعات بايديهم فهذا من اقوى براهين نبوته وآيات صدقه انتهى بتصرف

جمعية الدفاع الملى

قدقررت اللجنة المركزية لجمعية الدفاع الملى بعدمناقشات عديدة طويلة ضرورة دوام هذه الجمعية بعد الحرب القائمة لحاجة المملكة العثمانية الى جمعية بعيدة عن الاحزاب السياسية ومصادماتها حريصة على المصلحة الحقيقية للجميع كيماتكون لحمة بين العناصر والاحزاب فتجمع القلوب المتنافرة وتصلح بين النفوس المتناكرة .

وعلى اثر ذلك القرار العظيم وضعت الجمعية لائحتها فاحببنا ترجمتها للقراء فيمايلى

الفصل الأول

فى بيان تشكل ومقصد الجمعية

ماده (١) تأسست جمعية «باسم جمعة الدفاع الملى» بتاريخ ١٩ كانون الثانى ٣٢٨ على اثر اجتماع عقد فى صالون دارالفنون مركب من ذوات مجربين ومقتدرين علماً وفضلاً وموثوق بهم عندجميع الناس فى انحاء البلاد العثمانية على ان يكون مركزها العمومى ومرجعها القانونى فى الاستانة اما غايتها فهى الاعتناء بالتربية الملية والسعى وراء الشئون الحيوية والاقتصادية والعلمية كذلك وتعويد الامة السعى والعمل دائماً مع تهيئة الشرائط اللازمة لاعداد افرادمن الامة للذهاب الى ميادين القتلى عندالحاجة وعلى ذلك فالجمعية ستبقى دائمة مجدة فى سبيل تحقيق هذه الغايات الشريفة .

(٢) ان الجمعية عند الحرب تضع قوانين وقتية تمين به ما يجب عمله أثناء الحرب ويكون دستورا لعملها كما فعلت فى بداية شكلها .

(٣) الجمعيه مكلفه برعايه جميع قوانين الدولة فى اجرائها وعدم المداخلة فى امر الحكومه وجل عمل الجمعيه عرض المسائل الموافقه والخادمة لمقاصدها والنافعه للامه والمملكه ضمن اختصاصاتها التى حازتها من افراد الامة على الحكومه لتجلب نظرها اليها

(٤) الجمعية لادخل لها فى الفرق السياسية ولا بالسياسة مطلقاً وانما وظيفتها السعى فى ان تجعل الاعضاء المنتسبين اليها كاسرة واحدة لاهم لها سوى محبة الوطن والسعى وراء تنفيذ غايات الجمعية والتجرد عن الرغائب السياسية والذاتية

الفصل الثانی

فی بیان تقسیمات وتشکیلات الجمعیة

(٥) مرکز الجمعیة العمومی فی الاستانةولها شعبات مرکزیة فی الولایات والالویة المستقلة وشعبات فی الالویة والاقضیةوتشکیل هذه الشعب الاخیرة یکون بنسبة تقسیمات شعب البلدیة فیالاستانه وملحقات الاستانه اما شعبات الاقضیه فمرتبطه بالالویه والولایه مرتبطة بالولایات والولایات بالمرکز العمومی .

«٦» ان جمعیه المدافعه الملیه لاجل انتصل الی غایاتهاراعت تقسیمالمساعی فیمعاملاتها لذلك قسمت تشکیلاتها فی المرکز العمومی وفی الاقالیم الاخری الی هیئات متعددة عینت لکلمنها وظائف خصوصیة وهاهی الهیئات المذکورة

(هیئةالمالیة)، (هیئةالوعظ) (هیئة التربیة البدنیة والعسکریة) ،(الهیئة الصحیة) اما فی المحلاتالتی لایمکن فیها ایجاد هیئاتکما تقدمفتحال وظائفهم علی هیئة واحدة

(٧) کلمنالهیئات السابقة مستقلة فیوظائفها وقراراتها اماالمعاملات التی تکون مرتبطة بین واحدة منهاوالاخری والخصوصیات التی تکون مختصة بالمسائل المالیة فانه یجتمع رؤساء الهیئات المذکورة ویتذاکرون بعضهم مع بعض وان اقتضیالحال ینتخب معهم ثلاثة اعضاء او سبعة بقرار المجلس العمومی یشکلونهیئةاداریة لینظموا الاحوالالمذکورة آنفا

(٨) یجتمع اعضاء الهیئات المذکورةفیالمادة السادسة ویشکلون المجالس العمومیة

ماده (٩) ینتخب عن کل لواء و قضاء بالانتخاب السری اعضاء لایتجاوز عددهم اکثر من خمسة ولایکون اقل من اثنین لیکونوا مندوبین فی المؤتمر العمومی الذی یعقد بمرکزالولایة ویتألف من مجموع الهیئات الاداریة

اما الالویة المستقلة فتقوم مقام الولایات . والاعضاء الذین ینتخبون لحضور المؤتمرالعام فی مراکز الولایة یجوز انتخابهم من الولایة

ماده (١٠) ینتخب عضوان من مؤتمر الولایه حازان للاکثریة المطلقة فیوفدان الیالاستانة لیحضرا المؤتمر العمومی المتألفمناعضاء الهیئة الاداریة

المركزية ويجوز انتخاب المندوبين المذكورين عضوين فى لجنة الآستانة اذ ليس من المحتم ان ينحصر انتخاب الاعضاء فى نفس الولاية.

(١١) يوجد مامورون فخريون وموظفون لمباشرة الشؤون الحسابية والتحريرية مرتبطون باللجنة الادارية .

(١٢) ينتخب روساء اللجنة باكثرية آراء كل هيئة ومدة الرئيس سنة ويجوز انتخابه ويتراس المجالس العمومية رؤساء الهيئة الادارية اما فى المؤتمر فينتخب الرئيس باكثرية اراء اعضاء المؤتمر وهذا الرئيس تبقى وظيفته مادام المؤتمر

١٣ — يجوز لرؤساء الهيئة المختلفة اذا طرأ لأحدهم عذر شرعى توكيل احد اعضاء تلك الهيئة الذى يراه موافقا اما اذا غاب رئيس المؤتمر العمومى لعذر شرعى فينتخب مكانه آخر باكثرية الآراء ويكون هذا الانتخاب مؤقتا

الفصل الثالث

في بيان اوصاف الاعضاء والشرائط التى يجب سيرهم عليها

(١٤) ينتخب عضوا فى جمعية الدفاع الملى من لايجعل انتسابه للجمعية وسيلة لماربه الحزبية ويشترط ان تبلغ سنه الحد المعين وان يكون مالكاً لحقوقه المدنية والسياسية فمن اراد ان يكون عضواً فى جمعية الدفاع الملى عليه يجب اولا مطالعة هذا القانون الاساسى ليفهم مقصد تشكل الجمعية وغايتها الوحيدة ثم يشهد الله و وجدانه الا يتذرع بالانتساب اليها لمنافعه الذاتية وان يكون منقادا لاحكام هذا القانون

(١٥) كل من علم آمال ومقاصد الجمعية واقتنع انها نافعة للأمة والوطن واراد تحقيق بغيتها يتعهد بدفع غرش واحد كل شهر فيصبح من اعضائها الطبيعية وله ان يزيدها او ينقص كل شهر ماشاء كما انه يجب على الأعضاء الذين يريدون دفع مبلغ سنوى مراعاة المادة الثامنة من قانون الجمعيات القائله لايجوز ان تجاوز مايكتتب به فى الجمعيات سنويا اربعة وعشرين ليرة)

والاعضاء الذين يدفعون اعانة شهرية يمكنهم دفعها مرة واحدة عن سنة كاملة والتعهدات المذكورة لاتكون موروثة

كل فرد لم يتعهد بدفع شئ يمكنه اعانة الجمعية كما يريد ويشتهى

اما ارباب التعهد فيراعى فيهم الأهلية القانونية طبقا للمادة الخامسة من وقانون الجمعيات الايعرفوا بسوء السلوك والاتصدر منهم احكام مخلة بالشرف ولايسرى حكمها على ارباب الاعانة الصرفه

(١٦)على الذين يصبحون من اعضاء الجمعية الطبيعية اذا استعفوا من العضوية المذكورة قبل ختام السنة المالية التي دخلوا فيها دفع الاقساط

ادرنة

كلمة يناجي بها ادرنة شاعر العرب العراقي « معروف الرصافي » الذي تعرفه الامم العربية في اطراف الارض ببديع شعره وحكيم قوله :

ادرنة صبراً فان الظبي ستر عى لك العهد والموثقا
وداعاً لمغناك زاهي الربى وداعاً ولكن الى الملتقى

* * *

عزاءً لمسجدك الجامع أفارق محرابه المنبرا
وهل في مصلاه من راكع يجيب المؤذن ان كبرا
فيا لسقوطك من فاجع به فجع الدهر ام القرى
و قبر النبوة في يثربا ومثوى ضجيعيه مثوى التقى
ومن في البقيع ومن في قبا ومن شهدوا الفتح والخندقا

* * *

رويداً ادرنة لا تجزعي وان قد امضك هذا الاذى
اذا انت بالسيف لم ترجعي فلا حبذا العيش لا حبذا
فانك (الساسنا) فاسمعي ونحن الفرنسيس من بعد ذا
سلام على قطرك المجتبي سلام على افقك المنتقى
أيمسى لشرك العدى ملعبا وكان لتوحيدنا معبقا

لقد حل فيها لواء الصليب — حلول الحقارة بين الجلال
فظلت بادمعها والنحيب — تنوح على نجمها و الهلال
أننسى ادرنة عما قريب — اذن لا بلغنا العلى والكمال
فسوف على الرغم من اوربا — نقوم لها فيلقاً فيلقا
فتبكى . هز اهز نا المغربا — وتضحك اسيافنا المشرقا

***

أيقتدر الشعر ان يشكرا — كما يجب الشكر ذاك البطل
فتى كان فى الحرب مستشعرا — شعاراً اجلته كل الدول
فياسيف (شكرى) وكل الورى — غدت تضرب اليوم فيك المثل
سيجرى لك الشكر لن ينضبا — ويجرى الزمان به مغرقا
وامّا ذكرت حللنا الحبي — وقمنا كقومتنا فى اللقا

***

ارى الدهر انهض كل العدى — على حين قدقعد المسلمون
فكم اكؤس جرعونا الردى — ونحن على كيدهم صابرون
أيحسن ياقوم ان تقعدا — وقد آن ان ينهض القاعدون
فسيل المصايب غطى الزبى — وغيم النوائب قد طبّقا
واوشكت الارض ان تقلبا — وصبح القيامة ان يفلقا

***

دع الغرب ينعم فى حاله — وان لقى الشرق منه الكروب
و لا تسألنه بافعاله — فعهد التمدن عهد كذوب
فنحن اغترزنا باقواله — ولكننا بعدهذى الحروب

سنأبى عليه اشد الابا   فاما الفنـآء واما البقـا
ونركب من عزمنا مركبا   ونرق وان صعب المرتقى

∴

لقد آن ياقوم ترك الونى   وترك الشقاق وترك الدّد
الى كم نكابد هذا العنـا   ونخبط فى جهلنا الاسود
وبالعلم من قبل نلنا المنى   وفزنا من العيش بالارغد
ولكنما العلم قـد غرّبا   فلا عيش الا اذا شرّقا
فهبوا اليه هبوب الصبا   عسى ان يسحّ ويغدودقا



اخطار المستقبل

فطرت الامة التركية من الاخلاق الصحيحة على البسالة وقوة العزم وبذلك تمت لها فتوحها الكثيرة حتى اقامت جيوشها الجرارة على ارباض فينا عاصمة النمسا . ولكنها اليوم اخذت ترجع الى الوراء متقهقرة وماسبب تقهقرها الا انها لم تصبغ بصبغتها الجنسية من دخل تحت سيطرتها من البلغار والروم والصرب . ولاشك ان تقهقرها اليوم ليس مضرا بها فقط بل ضرره الكبير يعم جميع العثمانيين بل يعم العالم الاسلامي اجمع .

ولقد اصيبت الامة العربية من قبل بما اصاب الامة التركية اليوم ولكن سقوطها لم يكن فاجعا اليما كسقوط الامة التركية اليوم وماذلك الا ان الامة العربية لم تهمل في عهد استيلائها سياسة الاسلام اى لم تهمل السعى الى صبغ من استولت عليهم من الامم بالصبغة الاسلامية .

قلت ان الامة العربية لم يكن سقوطها اليما غير انى استثنى فى هذا القول فجائع الاندلس تلك الفجائع التى جرت فى عهد ثارت فيه ثورة الصليب على العرب من كل جانب .

وذلك ان العرب كانوا قد اخذوا يهاجمون اوربا بعد ان تم لهم الحكم على القسم الاكبر من آسيا وعلى ثلث افريقية . وكان لصولتهم من الدهشة ماهز شبه جزيرة اسبانيا حتى قلبها حكومة اسلامية فى مدة يسيرة من الزمان . بل كانت الراية الاسلامية اذ ذاك قد جاوزت جبال البيرنيه الى ماوراءها ايضا .

وكان هذا الاستيلاء العظيم قد هز اعصاب اوروبا خوفا ودهشة فكان من نتائج هذا الخوف ان اتفقت اوربا واخذت جيوش الصليب تزحف على العرب من كل جهة . لان الاروباويين قاطبة كانوا قد ادركوا ما للاستيلاء العرب من العاقبة الوخيمة التى يجترف سيلها الآتى لو استمر جميع بلادهم

ونحن اذا بحثنا عن الاسباب التى أدت الى انقراض حكومة الاندلس العربية فى الازمنة الاخيرة وجدناها اسبابا اخلاقية صرفة اذ نرى مكارم الاخلاق العربية قد عفتها دبور المفاسد ونرى الوحدة الاسلامية قد انحلت عراها حتى ساد الخلاف والتدابر بين العرب . ويمكننا ان نعرف مقدار ما كان لملوك العرب الاخيرين فى الاندلس من سوء الادارة والاخلاد الى الشهوات بما راينا فى العهد الحميدى

الذى امتد ثلاثاوثلاثين سنة وما فشا فى ذلك العهد من سوء الادارة وفساد الاخلاق وتضحية المنفعة العامة للمنفعة الخاصة .

وبالنتيجة مما تقدم نقول ان سقوط العرب فى الاندلس لم يكن ناشئاً من خطأ الاسلاف بل من خطا الاخلاف ولس كذلك سقوطنا اليوم فانه جناية جناها على هذه الدولة اسلافها وذلك ان سلاطين آل عثمان لم يفتكروا فى ربط ما فتحوه من البلاد برابطة سياسية . بل اكتفوا بامتلاكها ماديا ولم يخطر على بالهم ان من دان لحكمهم من العناصر المسيحية لاتكون قلوبهم عثمانية ماداموا مسحيين وانهم لابد ان يأتى عليهم يوم ينتهزون فيه فرصة ضعف الدولة العلية فيخرجون عليها ويثورون فى وجهها كما قد وقع اليوم فى بلاد الروم ايلى .

نعم ! ان سلاطين آل عثمان قد اخذتهم نشوة النصر فاكتفوا بفتح البلاد عنوة ولم يفتحوا قلوب اهلها فتحاً سياسياً . هذه بلاد الروم ايلى فتحوها بالسيف ولكن تركوا لاهلها جميع عنعناتهم الملية والمذهبية وتركوا لهم تاريخهم وعاداتهم ولسانهم وادبياتهم وما غيروا من ذلك شيئاً ولا بدلوه . ولم يتبعوا ما اتبعه العرب قبلهم من سياسة التمثيل فهم اليوم لهذه الغفلة يتقهقرون وبهذا السبب يندحرون نحن معاشر المسلمين اليوم تجاه فاجعتين دمويتين من فجائع الدهر احدهما فاجعة اليوم الناشئة من خطأ الاسلاف والاخرى فاجعة الاندلس الناشئة من سوء اخلاق الاخلاف . فيجب علينا ان نعتبر كل الاعتبار بهاتين الفاجعتين ولنعلم اننا اليوم ان كنا خلفا لمن قبلنا فسنكون سلفاً لمن بعدنا وعليه فيجب ان لا يكون سعينا لهذا اليوم فقط بل للمستقبل ايضاً . ان مظالم البلقان ضربة قاهرة ان لم تكن قد ايقظتنا فليس للعثمانيين ولا للمسلمين من حياة فى المستقبل .

ولنعتبر بالالمان فانهم ما اقاموا دعائم هذه الامبراطورية الكبيرة الا بعد ان غلبهم نابليون شر غلبة وكذلك الفرنسيس مانهضوا نهضتهم الا بعد ان دمرتهم حرب سنة ١٨٧٠ فهم اليوم ينتقمون من الالمان ادبيا بتقدمهم العجيب . وكذلك يجب على العثمانيين ان يجعلوا المستقبل منذ اليوم نصب اعينهم ويسعوا السعى الحثيث الى كل مابه حياتهم فى المستقبل .

لاريب ان الملك العثمانى قد صغر فى هذه الحرب ولكنه اصبح ذاحدود طبيعية يسهل عليه الدفاع فيها كل السهولة . فان مابين مدية واينوز من خط الحدود الجديدة لخط موافق لمايقتضيه فن الحرب بحيث نستطيع ان ندافع فيه عن المملكة العثمانية احسن الدفاع .



انظر فی الخریطه المرسومة وتأمل فی خط الحدود الجديدة تجدان الدولة العثمانيه بعد اليوم ليس لها حدود الا مع البلغار فقط وانها قد انقطعت جميع روابطها وعلائقها التی كانت لها مع الصرب والجبل الاسود . فلا عدو لنا فی المستقبل الا البلغار . والبلغار اذا حاربونا بعد اليوم فليس لهم عندنا سوى هدفين احدهما وهو الهدف الاصلی الجيش العثمانی والثانی الاستانة . ولقد علمنا من هجوم البلغار على متاريس شطالجة وبولاير مقدار مالهذه المتاريس من الرصانة والمتانة التی ولاها جنود البلغار ادبارهم مع انها لم تكن الا نتيجة عمل لم يستمر اكثر من شهرين .

اما بعدان تضع هذه الحرب اوزارهـا فلابد ان الحكومة ستنشیء فی هذين المكانين اعنی چتالجة وبرلاير ما يسدهما سداً محكما فی وجه العدو من المتاريس الجسيمة على آخر طرز وتجهز تلك المتاريس باضخم المدافع واسرعهـا بحيث اذا هاجمها البلغار رجعوا عنها بالويل والدمار . ولما فی هذين الثغرين من الضيق وقصر المسافة يكون اقتحام متاريسهما مستحيلا على نيران الاسطول المدمرة .

وعليه فلو فرضنا ان البلغار لايهاجموننا وحدهم بل يتفقون ثانية مع الصرب والجبل الاسود ايضا لما كانوا فی مهاجمتهم من هذين الخطين الاخائين مقهورين .

ولكن يجب ان لاننسى ان هذا فی البر فقط واما من جهة البحر فنحن فی خطر عظيم . لان البلغار وان لم يكن لهم اليوم اسطول يذكر الا انهم بسبب اتساع بلادهم الى البحر الابيض اصبحوا فی اشد الحاجة الى اسطول يدافع عن بلادهم تجـاه تركيا واليونان معـا فلا بد انهم سينشؤن لهم هذا الاسطول ولابد ان يكون من آخر طرز وعلى احسن ما يتصور من السرعة والمتانة .

وعليه فتصبح الدولة العثمانية مهددة من البحر باسطولين لعدوتيها البلغار واليونان .

ومن المعلوم انهاتين الحكومتين بما اصبح بينهما من الجوار سيكون بينهما اختلاف كثير فليس من الممكن اذن ان تتفقا مرة ثانية . ولكننا مع ذلك يجب ان نفرضهما متفقتين دائما ونفرض ان كلا اسطوليهما يهجمان علينا معاً اذلاشك ان السياسة تابعة للمنفعة الداعية الى التلون والتبدل في كل يوم فليس فى السياسة مايقال عنه انه محال اومستبعد .

وقصارى القول ان الدولة العثمانية ليست بعد اليوم فى خطر من جهة البر على ماشرحناه آنفا وانما هى فى خطر من جهة البحر اى من اسطول بلغاريا المستقبل واتحاده مع اسطول اليونان. ولذا يجب على الدولة منذ اليوم ان تراقب هذين الاسطولين فى قوتها البحرية ويجب ان تتأهب لهما منذ اليوم بحيث لاتدعهما يفوقان اسطولها وذلك بان تتبع الخطة التى اتبعها الانكليز تجاه الالمان فى القوة البحرية . فلاتترك هذين الاسطولين يفوقان اسطولها كما ان الانكليز لايتركون اسطول الالمان يفوق اسطولهم .

وعليه ففى اليوم الذى نعقد فيه الصلح يجب ان نعقد معه استقراضا كبيرا لانشاء عدة سفن حربية من طرز الدردنوط .

لاشك ان مقام الخلافة هو المستند الوحيد الذى عليه يستند الاسلام فى محافظة شرفه فيجب ان لايذهل المسلمون عن ذلك وان يعلموا انه لابد ان يأتى لمقام الخلافة يوم يضطره الى الدفاع عن حقوق المسلمين كافة . وهذا هو الذى دعانى هنا ان اتكلم عن واجبات العالم الاسلامى تجاه مقام الخلافة فاقول :

ان العالم الاسلامى لايعد الى مقام الخلافة الابد الاستغاثة به عند كل نكبة تصيبه . ولا ننكر انه يحق له ان يطلب الغوث منه ولكننا مع ذلك نراه يبخل ان يبذل ولو درهما واحدا فى سبيل كل مايستلزم تقوية مقام الخلافة وتهيئته للدفاع والذب عن حياض الاسلام . فلا بدع اذن ان يبقى مقام الخلافة ضعيفاً وان يكون حق الاستغاثة به ساقطاً .

اولم ير المسلمون العثمانيين من الروم والبلغار كيف يبذلون اموالهم لحكومتى البلغار واليونان رغماً من كونهم عثمانيين . هذا زرفوداكى فى مصر وهو رومى عثمانى قد تبرع باموال طائلة لاسطول اليونان . وناهيك بالدارعة آواروف اليونانية فان حكومة اليونان اشترتها بما تبرع به رجل واحد من تجار الروم فى مصر .

ولاحاجة الى ايراد امثلة كهذه من الانكليز اوالفرنسيس او الالمان فان لهذه الامم من المناقب الوطنية مالانكون نحن تجاهه شيئاً يستحق الذكر .

فليعلم المسلمون ان دولة الخلافة لكى تستطيع ان تدافع عن حقوقها يجب ان تكون قوية وانها لاتكون قوية الا باسطولها فما علينا اذا اردنا ان نحيا حياة عزيزة الا ان نتبرع بالاموال لتقوية اسطولنا .

الا ان لنا اليوم هاتفاً ينادى من وراء الغيب باعلى صوته قائلا .

« ايها المسلمون : اما ترون بطل البحر رؤف بك كيف دمر المتفقين وقلبهم راساً على عقب وكيف قد اغرق لهم تسع سفن وانزلها الى قعر البحر بما فيها من جند العدو وعدته الحربية ومدافعه الضخمة الحصارية وليس لهذا البطل سوى دارعة صغيرة فكيف لو كان له دارعة كبيرة من طرز الدرتنوط !

ايها المسلمون ! عظموا هذا البطل وبجلوه ولا تقتصروا من الحمية على تبجيله فقط بل اشتروا له دردنوطا وقولوا له خذ ايها البطل المعظم هذا الدردنوط العظيم فمن كان مثلك عظيما لا يجوز ان يكون سلاحه الا عظيما .

ايها المسلمون! اقتصدوا فى طعامكم وشرابكم وابقوا طاوين جياعا ووفروا المال وابذلوه لكى تعيشوا اعزة والا عشتم صاغرين مالم يكن لكم اسطول قوى يحمينا فى كل جهة من جهات البحر المتوسط »

ويتلو هذا الهاتف رؤف بك نفسه فهو ينادى باندى صوته ويقول :

« ايها الموحدون ! ألم ابرهن لكم على اننى وحدى قادر على احياء مجدنا الماضى ولو بسفينة حقيرة صغيرة. فان اردتم الشرف وطلبتم العز فاعطونى دردنوطاً كبيراً فان ذلك حق لى عندكم وواجب محتم عليكم »

ولكن لا ينبغى ان نقابل صوت هذا الهاتف فقط بل لا ينبغى ان نجيبه الى ما طلب منا فعلا وليست الحمية عبارة عن رفع اصواتنا قائلين فليعش فلان او فليحى الوطن .

لاريب ان فى العثمانيين اليوم زهاء مليونين ممن يستطيعون ان يدفع كل واحد منهم ليرة فى سبيل الله فلو فعلوا لامكن بهذين المليونين من الليرات ان نعمل لنا اكبر دارعة من طرز الدردنوط. فلماذا لانفعل ؟

ويوجد فى مصر زهاء خمسة آلاف رجل يستطيع كل منهم ان يتبرع بالف ليرة فلو تبرعوا بذلك لحصل لنا منهم خمسة ملايين ليرة وامكن ان نعمل بها دارعتين كبيرتين من طرز الدردنوط. ولكننا لا امل لنا فى الاغنياء الذين تندر فيهم المحبة الوطنية ولكن املنا فى غير الاغنياء من الناس فانهم هم اهل الحمية. وفى مصر اثناعشر مليونا من المسلمين فلو تبرع كل واحد منهم بعشرة قروش لحصل لنا من ذلك مليون ليرة. على ان فى مصر من اصحاب الحمية وكبار النفوس مثل صاحب الحميه والغيرة دولة الامير الاريحى عمر طوسون باشا من يستطيعون ان يوجدوا الناجو عا كثيرة من اهل الحمية.

لاشك ان ماقامت به الدارعة حميدية من الوقائع الاخيرة قد اوجد لرؤف بك منزلة عظيمة من الحب فى قلوب اهل الاسلام كافة ولكن يجب ان لا يقف المسلمون عند هذا الحد . بل يجب بدل ان يهدوا اليه هدية شخصية ان يجمعوا الاموال فيهدوا بها اليه دارعة كبيرة فانهم لا يبجلونه ولا يسرونه الا بذلك .

غزه‌لى جمال

مظالم البلقان

تقارير ووثائق

لايجهل احد انالحرب الحاضرة انماهى حرب دينية القصد منها محاربةالدين الاسلامى ومحوه ولذلك قام فرديناند ونشر بلاغه المعروف ليستثير حميةجيشه وليبرر مايأتيه منالفظائع والوحشية ويوجدله نصيراً منالدول الاوربية .

ان الدناءة التى ارتكبها البلقانيون لو جمعت لملأت المجلدات الضخمةوليست هذهالوحشية التى يرتكبها العسكر الا اوامر صادرة اليهم من صوفيه واثينا فقد ظهر للاوربيين الذين كانوا ينظمون الجندرمة ان بلغاريا والصرب واليونان هى الملجأ للاشقياء والمأوى لهم وان جميع حركاتهم اظهرت ما كانوا يسمونه بالمسألة المقدونيةولولاان كثيرا من الجرائد المنصفة مشتغلة بالبحث فى نتائج التحشيدات النمسوية والرومانية لملأتاعمدتها الكثيرة بذكر دناءة البلقان

ونحن لانريد الا ان نقص اخبار الوقائع التى تحصل باسم الصليب وباسم التمدن الاوربى ولنبدأبا لحوادث التى حصلت فى سلانيك

وردالى الباب العالى اخيرا تقرير يفيدان رجال الجندرمة العثمانيين الذين كان يجب ان تحفظ اسلحتهم جردوا من اسلحتهم وثيابهم وكل ماكان لديهم وقد نفى بعضهم وحبس البعض الآخر ولما شكا المظلومون امرهم الى القائد اليونانى لم يأبه طبعا لهم ولم يلتفت اليهم حتى انهم فىاليوم الثانى من تقديم الشكوى اعادوا فعلهم الاول وجردوا جميع رجال الجندرمة الباقية من الاسلحة ووضعوا الفين منهم فى محل لايسع الامائتين واقفين على قدمهم وياليتهم اطعموهم مما كان معهم بل تركوهم يقتلهم الجوع وتؤلمهم المسغبة ولم ينقذوا من هذا العذاب الا ليم الا بعد الشكاوى العديدة وبعد ان عملت فيهم يدالفظاعة والوحشية ماتنفر منه الانسانية وتنكره الطباع البشرية وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل كسروا ابواب المخازن المملوءة بالاسلحة واخذوا كل ماوجدفيهاوصاروا يطوفون بالضباط العثمانين فى الشوارع ويكسرون سيوفهم ويمثلون بهموليست المصايب قاصرة على العسكرفقط بل كان كل مسلم فى سلانيك نصيبه ذلك لذلك نرى حوادث النهب والسلب فى سلانيك تزداد ولقد نشرت جريدة الدابا الصادرة فى ٦ ينابر تقريرالمسيو ليوتنان احدالضباط الذين استدعتهم الحكومة العثمانية لتنظيم الجندرمة قال

ان الاحوال كل يوم تزداد سوءا وان الالفين الذين من رجال الجندرمة لا يزالون محبوسين فى مخزن الدخان ولقد امكننى بعد الجهد الجهيد والمتاعب الجمة ان احصل على ١٥٠٠ كيلو من الخبز لتوزع على الجندرمة بحيث ان كل شخص يأخذ نصف كيلو ومن الغريب انهم لا يخجلون من قولهم اننا لسنا بمكلفين باطعام هؤلاء ولذلك لم اخجل ان الفت نظر المسيو را كتير الذى كان يخاطبنى وقلت له لو كانت الحكومة اليونانية تترك هؤلاء ينهبون لاعاش كل منهم نفسه. ولاجل رداءة الاكل الذى لم يكن الا الخبز المتحجر اتفقت مع القائم مقام شوقى بك على ان نوزع مقدارا من الدارهم على هؤلاء التعساء . ولقد اخذت من المسيو را كتيو ورقة مالية مقدارها ٤٠٠ جنيه وتحصلت على ٤٠٠ اخرى من طريق آخر وقد تأخرت السفينة التى خصصت لنقل الجندرمة الى جهة اسيا بسبب فقدان الفحم ولاسباب اخرى

ولقد كنت جعلت محلا مخصوصا بقرب قصر الحكومة ووضعت فيه الاسلحة ومهمات الجندرمة خوف ان تبيدها ايدى اشقياء اليونان ولكن هذا الحرص لم يجد نفعا ولم يحدث فائدة فان اليونان كسروا المخزن واخذوا كل مافيه من الاسلحة ونهبوا ماوجد من الذخائر والمؤن ولمازرت المخزن وجدته خاوياً على عروشه فذهبت من فورى الى الحاكم لاريه آثار النهب والسلب التى لم تزل آثارها بادية فقال لى لاتخف فان كل ما اخذ سيرد اليكم وقال لايتسرب الى نفسك شئ من الريب فيما اقول فان الحكومة اليونانيه لديها كثير من الاموال التى تمكننا من رد الحقوق الى اربابها وتحملنا تبعة ما عمله بعض عسكرنا . ومع كل هذه الوعود كنت اشك فى صحة قوله ووعوده . ثم وضعت تقريرا بينت فيه ما اخذ وسرق وساقدمه قريبا الى الحكومة اليونانية .

وقد اخذ رجال الجندرمة اليونانية والعسكر اليونانى امس يلقون القبض على الضباط العثمانيين وذهبت الى منزل رفيقى القائمقام شوقى بك فوجدت ضابطا يونانيا وبعض رجال من العسكر اليونانى يراقبون المنزل خوف ان يسافر شوقى بك وذهبت الى قنصل انكلترا واخبرته بهذه الافعال الفظيعة فقبل القنصل انكارى على اليونان ما فعلوا وذهب معى الى المسيو را كشوان وابلغنا احتجاجنا الى البرنس نيقولا بواسطة ياوره فأخبرونا انهم انما قبضوا على الضباط العثمانيين لانهم اعطوا الباسابورتات للمهاجرين ليسافروا الى بلادهم اخذوها منهم وارادو الذهاب بها الى مناستر ليكونوا هنالك قوة جديدة يحاربون بها فلذلك قررت الحكومة

اليونانيه نفيهم. ثم سألت عن ان هذا القرار سيعم لضباط كلهم او هو مخصوص ببعض ضباط فان كان هذا القرار عاما كان ذلك مخالفا لما كانوا اتفقوا عليه مع تحسين باشا. ثم قلت ان ضباط الجندرمة بريئون من كل شيء فقال لى الحاكم ان هذا الامر لا يشمل ضباط الجندرمة.

وقد تيسر لى روية شوقى بك فى (بياض قلة) وهنالك رايت ماينيف على ثلاثمائة ضابط يسوقونهم الى الباخرة تمستوقل لينقلوهم الى حيث لا اعلم وقد كان من هؤلاء غالب باشا قائد فرقه سيروز.

فمن هذه الحوادث التى الرعب فى قلوب الاهالى وصاروا يبكون على مااصابهم من الحظ السيىء. وان الاحوال كل يوم تأخذ شكلا جديدا فان القتل اصبح عاما ضد كل مسلم واصبحت الاعراض تهتك على قارعة الطريق بدون حياء حتى انهم اصبحوا يفتخرون بكل مايحصل.

هذا كتاب من رجل اجنبى ومنه يعلم مقدار الفظائع التى يرتكبها اليونان الذين يزعمون انهم واضعو اســاس المدنية ومصدر الحضارة ونسل الذين بهروا العالم بماوصلوا اليه من الرقى والحضارة

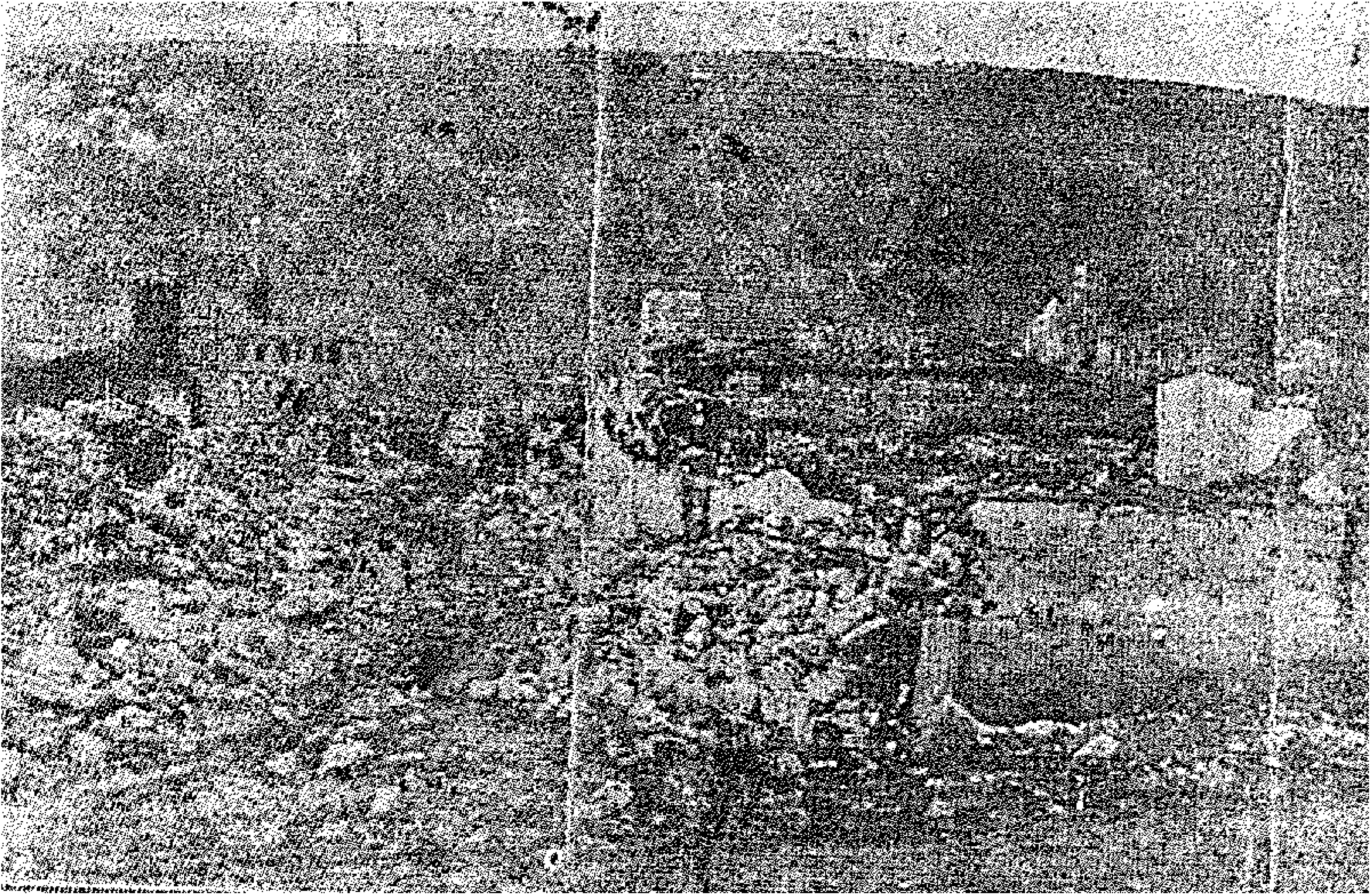
واليك ماقصه دمير اتما الذى جرح فى ليواد تودا حسبما شاهده قال :

فى يوم الاحد الساعة الثامنة صباحا خرج تابوران من عســاكر اليونان المشاة تصحبهم جماعة من الاروام معروفون واخذوا منا ثلاثين شخصا وساقونا الى الجسر المتخرب بجوار بانيق كوى بحجة انهم سيتلون علينا بلاغا رسميا فلما وصلنا الى المكان الذى اخبرونا به كبلونا بالقيود ثم سلوا المدى واخذوا يطعموننا بها فصرنا نصرخ فلا حد يجيب دعاءنا ولا رحمة تدفعهم الى تركنا ولكن بالرغم من الاغلال والسلاسل التى قيدنا بها تمكن جماعة منا من الفرار فصاروا يرموننا بالرصاص ولكن لم يصبنا شيء. ولقد اختفيت وراء صخرة اربعة ايام لانى لم يمكنى متابعة العدو بما فى رجلى من الاغلال وفى اليوم الرابع صادفت صـبيا ابن راع ففك وثاقى حتى امكننى الرجوع بعد اسبوع الى سلانيك.

وفى قريتى لاهما وزاغران قتلوا ستين رجلا واحرقوا جثهم بالبترول حتى صرنا لانعرف اسماهم. ولقد قتلوا امامى اسكندر خواجه ونعمان اغا واسماعيل خواجه ومولى ابراهيم واحمد حسن ورمضــان وهذه اسماء الذين كانوا يقومون بهذه الوحشية (قلايجى خرستو. سمرجى يورك. يوان انكلى ابن قوجو. طناش ابن طريقو. لموا بن ايليا اغريبوز يترو واخيه اندون غابريل) وكثير غير هم لم اعرف اسماءهم.

وفى يوم الاحد ٢٣ نوفمبردعينا الى الجامع وكنا نحوالستينفاجلسونا فىالجامع وصار البلغار واليونان يقولون (عثمانيون ! !) ثم امرونا بالقيام لينظرنا الضابط قوريجوف فاطعنا بالطبع امرهم فلما وقفنا مدة استدعوا منا عبدالله بن على ويوسف حسين وصقالالى حسن ودمير على حسين ومحمد اوغلىشكرى وساقوهم الى حرش يسمى لوزلر وهنالك اصلوهم نيران عذابهم ثم قتلوهم وبعد مدةساقوا من بقى منا الى نقطةعلى شاطئ نهر واردار واذا قوهم العذاب الاليم ثم قتلوهم ولقد تمكن محمد اوغلى مصطفى من الفرار الى قرية مرعشلر بجوار سلانيك اما باقى اخواننا فقد لاقوا ربهم .

وفى قرية رحمانلى قتلوا ستين مسلمامن الاشراف ثم صاروا ينهبون المساكن بوحشية لم نرها من قبل ولم يكتفوا بتعميم القتل والنهب بل تجاوزوا ذلك الى اكراه المسلمين على الارتداد ومن لم يرتد ادخلوه المسجد مع اخوانه ونسفوهم بالديناميت واليك تقريرا آخر كتبه الجنرال رومان الفرنسى مفتش عموم الجندرمة العثمانية فى مقدونيا قال .

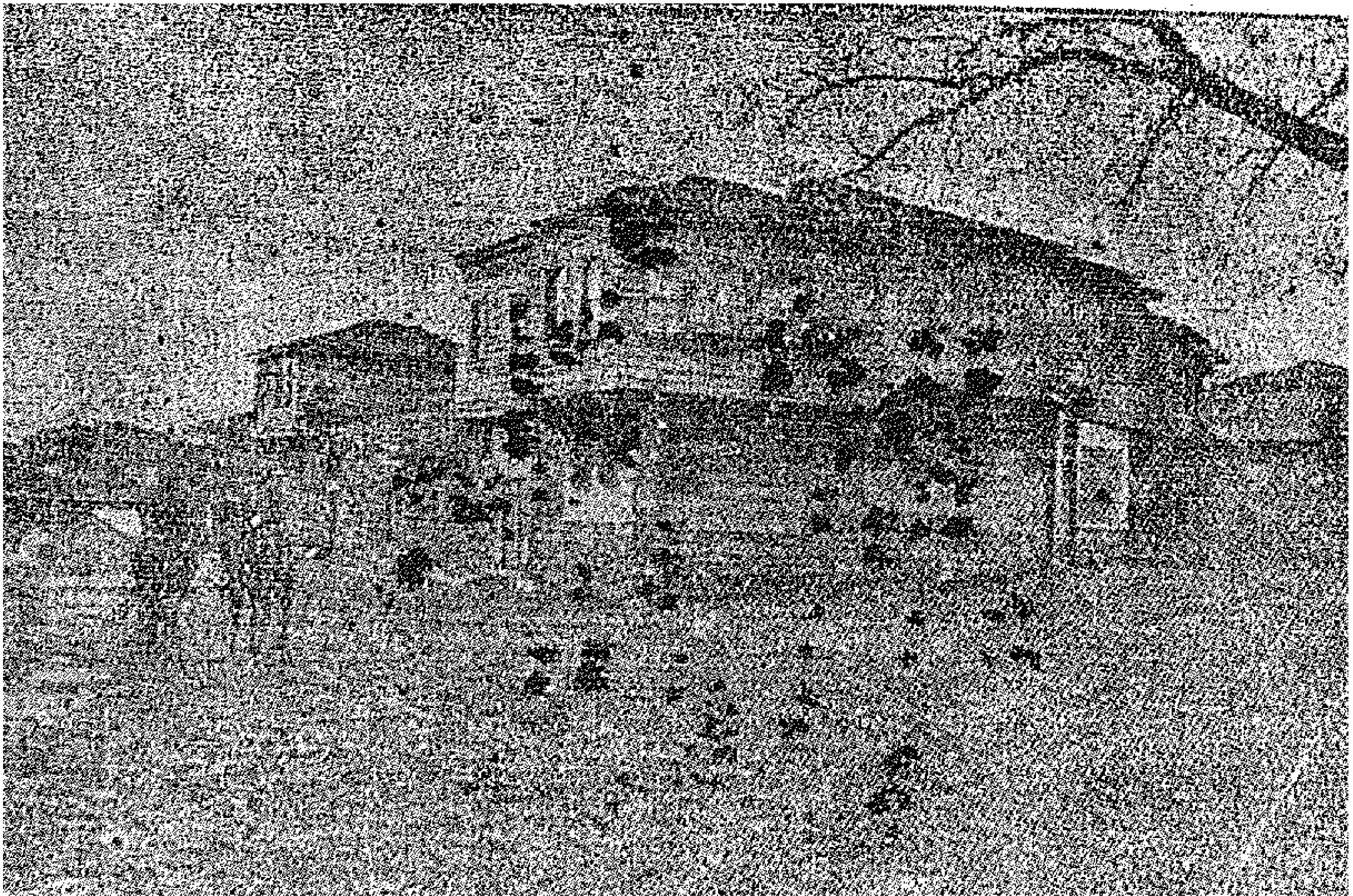


كيف ترك البلغار قرى المسلمين فى شتالجه

فى الساعةالثامنة من مساء يوم ١٩ نوفمبر دخلت عصابة من الاروام المدينة فجأة وقد كانت المفرزة العسكرية تحارب الاشقياء ولكنها انسحبت للاتصال بفرقة ياور باشا الذى كان يحارب الاشقياء ولكنها انسحبت الاتصال بفرقة كوملجنه

فانتهز الاشقياء انسحاب الجنود العثمانيين واخذوا يعملون القتل والسلب في المسلمين بدون رحمة ولاشفقة وقد كانوا لا يتركون صغيرا ولا كبيرا ولا رجلا ولا امراة وقد كان المسيحيون يرشدون الاشقياء الى بيوت المسلمين ويعلمون بيوتهم بصليب ابيض حتى لايصيبهم شئ

ولما راى المسلمون مايقع عليهم التجأ نفر منهم الى المسجد فلما رآهم الاشقياء تبعوهم وارادوا ان يفتكوا بهم فاخرج احد المسلمين اللائذين بالمسجد مسدسه وصوبه الى احد الاشقياء فقتله فكان ذلك سببا للهياج فقام الاشقياء وحملوا على المسجد وقتلوا كل من فيه من المسلمين ولقد رايت ثاني يوم من الواقعة ٢٥ نفسا صرعى الظلم والغدر والوحشية والتجأ ثلاثون مسلما الى مدرسة الرهبان الكاثوليك التليانية غير ان الاروام دلوا عليهم الاشقياء الذين ذهبوا من فورهم الى المدرسة وطلبوا من الرهبان تسليم المسلمين فابوا غير ان احد الاتراك المدعو رضا بك قوميسير الدولة العثمانية فى السكة الحديد الفرنسية سلم نفسه الى الاشقياء خوف ان يسرى للرهبان ضرر من اجل حمايتهم فحاصروا الشاب بالسلاح واكرهوه على



كيف ترك المسلمون قرى المسيحيين فى شتالجه

ان يسلم مامعه من الدراهم وان يعرفهم بيته الا ان ذلك الشاب الذى خاف على عرضه ان يدنس ابى ان يدلهم على شئ مما طلبوا مفضلا الموت على العار فلما رأوا صلابته طعنه احد الاشقياء بمدية فى يده فخر قتيلا يتضرج فى دمه ثم صاروا

ينزعون ملابسه ويلبسونها وقد بقيت جثته في الشارع نحو الخمسة ايام فما افظع هذا وما اقبحه. ثم رجع الاشقياء الى الراهب التلياني وهددوه بالقتل ان لم يدلهم على محل الخزينة ولكنهم عثروا عليها فاخذوا مافيها واظنه ١٠٠ ليرة عثمانية .

اما الذين كانوا يرشدون الاشقياء الى المدن ويساعدونهم على فظائعهم فهم الاروام واشرافهم !! ومن الغريب ان اشراف الاروام هم الذين كانوا يشتغلون بالسرقة اكثر من غيرهم فبئس هذا الشرف الذي يسوق اهله الى فعل الدنايا او يدفعهم الى ارتكاب القبائح والفظائع

ولقد استمرت هذه الاعمال الوحشية ثمانية ايام كنت لاترى الا الجثث المملوءة بها الازقة والشوارع ولاتسمع الا انين الذين نكبوا ولم يقف اولئك الاشقياء عند حدهم الا وقت ظهور العلم الفرنسي على الدارعة جوريبلني دولاغراويير فانهم لما رأوا تلك الدارعة خففوا من غلوائهم حتى ساد الامن بعض الشيء . ولم تقتصر هذه الوقاحة والدناءة على المسلمين بل كان للاجانب نصيب فيها فان الاروام قد ازروا بشرف المسيو برغويللوين قنصل النمسا واهانوه ولقد بلغ بهم الحمق والجهل مبلغا ربما كان سببا لهلاكهم فانهم كانوا يريدون اقفال كل المحال الاجنبية ويؤسسون غيرها خصوصا المصارف المالية

ولقد رأى الضباط الفرنسيون بأعينهم الفظائع التي كان يرتكبها البلغار في دده اغاج حتى انهم اخذوا كثيرا من صور المنكوبين المسلمين ولما وصل البلغار الى دده اغاج ارتكبوا من الفظائع مايحزن له صدر كل انسان منصف حتى ان الرهبان التليان شكوا الى الجنرال متربوليدامرهم لان عصابة الاشقياء قد تعدت عليهم واهانتهم وسرقت اموالهم ولما اخذ الجنرال في التحقيق وجد سبعين ليرة من المائة التي اغتصبوها سابقا ولكن هذا الجنرال صعب عليه ان يرد الاموال الى اصحابها ولذلك قال سنحفظ هذا المبلغ ليكون اعانة لتمثال العساكر الذين قتلوا في سبيل خدمة وطنهم

وفي اليوم الثاني من دخول البلغار المدينة هاجموا مخزن المسيو روديس قنصل المانيا ووكيل نقل شركة شنكر فنهبوا كل ما وجدوا فيه واخذوا مائة صندوق من السردين ومائة اقه من السكر وغير ذلك ولما رفع الامر الى القومندان قال نحن الآن لانعمل شيئا لاننا في الحرب ولا نعلم ماعمله الاجانب من جراء الفظائع التي لحقتهم ولقد وضع البلغار يدهم على السكة الحديدية الفرنسية وطردوا جميع الموجودين فيها عثمانيين طبعا وفرنسيين واقاموا عوضا عنهم موظفين بلغاريين ولقد

كان جهل هؤلاء البلغاريين بسير القطرات سبباً لخروج العربات عن الخطوط الحديدية حتى سبب ذلك خسائر جسيمة

ولذلك اجتمع الفرنسيون وقرروا اتخاذ الاحتياطات للدفاع عن انفسهم فان الاروام قد غلوا في الامر وجهلوا عاقبة جهلهم وحمقهم ولقد حمدنا الله على وصول الباخرة الفرنسيه" التى اقلتنا الى الاستانه"

فى طويران

وابتدأت الفظائع فى طويران بتشكيل مجلس اصدر حكم الاعدام على مأتى نفس من المسلمين فى نية" عشر يوما وكثير من هؤلاء المظلومين جعلوا اهدافاً لرصاص رجال العصابات قبل ان يعدموا بمقتضى حكم المجلس . وتأكد لنا ان بين هذه الضحايا كثيرا من البنات قتلن بعدان هتكت اعراضهن وحكم المجلس المذكور على كثير من المسلمين بدفع مبالغ كبيرة ونذكر منهم اسماء الذين عرفناهم .

اخذ من على بك ١,٠٠٠ ليرا عثمانيه وبعد اخذ هذا المبلغ قتل شرقتله وكذلك جاويد بك من استرومجه بعدان سلب منه مبلغ جسيم كان حظه القتل واخذ من محمد امين افندى مفتى عثمانيه ١٥ ليرا ومن ملا احمد حسين ٤٠ ليرا ومن الحاج عثمان ٣٠ ليرا ومن حقى بكرى ٢٠ ليرا ومن محمود افندى ٢٥ ليرا ومن رجب شاويش ٥ ليرات ومن توفيق مأمور الريجى ٣٥ ليرا ومن مدير التلغراف ١٧٥ ليرا ومن شوكت افندى امين الصندوق ٨٠ ليرا ومن مأمور الريجى فى استرومجه ٨٠ ليرا .

قتل المهاجرين فى طويران

لما راى المسلمون ان عصابات البلغار تخرب وتنهب القرى فى كل مكان اضطروا الى الفرار امامهم من الشمال الى الجنوب وقد التجأ قسم كبير من اهالى رادويشته واسترومجه وعثمانيه الى طويران فبعدان جرى القتل والنهب اللذان ذكرناهما فى طويران أجبر هؤلاء اللاجئون على الرجوع الى محلاتهم بعد اعطائهم التأمينات الكاذبه وهددت العصابات بالقتل كل من لا يعود الى محله فى مدة قصيرة حددت وباحراق بيت كل من يضيف مهاجراً . واذ ليس فى الامكان عدم الاطاعة" قد رجع هؤلاء المظلومون منقسمين الى اربع فرق كل فريق يتراوح مقداره بين ثلاثه واربعة" الاف نفس اما الجماعة فيبلغ

عددها ٤٦٠٠ نفس واكثرهم من الاولاد والنساء المسنات وقد ساروا بعد الظهر وما كادوا يخرجون من طوبران حتى هجم عليهم البلغار فقتلوا اكثرهم وساقوا الباقين الى قريه قاسطورا بين استروجه وطوبران حيث نهبوا جميع مامعهم حتى ما ابقوا على ابدانهم سوى القمصان والسراويل وقبل ان ينتهى الليل اجبروهم على السير وقسموهم الى جماعات صغيرة حيث اعملوا فيهم الحراب والفؤس حتى اتوا عليهم كلهم

والفريق الثانى الذى يتألف من ٤٠٠٠ نفس لم يبق منه احد كالاول و ٣٠٠٠ نفس التى كان يتالف منها الفريق الثالث قتلت عن آخرها اما الفريق الرابع فقد قتلوا قسماً منه فى (طرابانا) والقسم الآخر خارج استروجه قرب الحفر التى حفروها غير انهم اقتصروا فى هذه المرة على قتل الرجال وابقوا النساء

ويقدر عدد الذين قتلوا من المسلمين فى جهات استروجه بستة آلاف اضف الى ذلك العدد العظيم الذى ضحى من المهاجرين الذين ذكرناهم ففى قرية (ووليوس) التى تحتوى على ٤٧ بيتاً ماسلم من اهلها سوى ثلاث انفس فقط وفى قريتى (برورىنك) و (شوشيتير) قتل الرجال وافتضت البنات وعمدت النساء قسرا وقد جرى من الفظائع بجوار طوبران كما جرى بجوار استروجه فاعدم ٩٠ رجلا من قريه بيوكلى وما تخلص من القتل من رجال قرى بيوكلى وشبللى كاكشته و آشاغى محله سوى اربعه رجال لاغير .

فى قضاء اخى شابي

فى ١٢—٢٥ تشرين اول سقطت بلدة اخى شلبي مركز القضاء فى ايدى البلغار وبعد يومين سقطت بلدة بلاس ايضاً و بعده قرى البوماق (ترك الروم‌للى) وهى اسميلان . قارشيلى كبير . قارشيلى صغير . افلاح . تارين . طوبوقلى . يونس دره . فنديجق وغيرها فجميع هذه القرى احرقت والقسم الكبير من اهليها الرجال ذبحوا والنساء ابيحت اعراضهن وتركوا مشتتين حفاة جياعا والبنات اللواتى اعجب بهن البلغار ارسلن الى بلغاريا ونذكر من اسماء الضحايا المعروفه ادم آغا باشماقلى قبض عليه من قبل رئيس عصابة بلغاريه اسمه غاواريل بن باباراهيتو وعائلته رميت من اعلى جسر باشاقلى الى النهر وذبح على اغا من قرية بوسنى امام حانوته كما تذبح النعاج

مظالم البلقان ايضا

تقرير الجمعية البلقانيه فى لندن

نشرت جريدة (دويج وولقسبلات) مكتوباً اتاها من لندن فى ٢٨ مارس وهذا تعريبه :

كانت الجمعية البلقانيـه فى لنـدن اوفدت من قبلها المسيو (ويلغ جونغ) قنصل انكلتره فى فيليبه بقصد اعانة المحتـاجين الذين اجتاحتهم مصـايب الحرب الحاضرة فبعد ان تحول المومى اليه فى الجهات الشرقيه من مكدونيا قدر خمسـة اسابيع نشر تقريراً تحت عنوان (مظالم متفقى البلقان) وقد اوضح المومى اليه فى تقريره هـذا الفظائع التى ارتكبتها دول البلقان فى البلاد الى احتلتها فكان لهذا التقرير تأثير شـديد وبغض زائد للعصابات التى كانت الدليل للجيوش المنظمه" فى سبيل تلك الاعمال البربريه" فبدأ المسيو ويلغ جونغ بذكر القتل العام الذى جرى فى صارى شعبان واخى شلبي وتيكوش وتبريج وعور تحصـار وكوملجنه وطوبران وقال فى مقدمة تقريره ان جميع المتحلين بشعار الانسانيه" لايمكن ان ينسوا الفجائع المدهشـه والاعمال الدنيئه" التى هى سـمة عار فى وجه تاريخ المدنيه" . فاذا صح ما يقال من انه يوجد عدالة على وجه الارض وجب ان يجازى اشد المجازات كل الذين كانوا السبب فى وقوع هذه الوقائع المؤسفه والضربه" القاضـيه" التى اصابت راس الانسانيه" .

ان اهالى القرى التى كانت عرضة" لاسـتيلاء العسـاكر البلقانيه" اضطروا للمهاجرة الى القصـبات والمدن اذ تكهنوا بما سـيلحقهم من الاذى على ايدى العساكر المذكورة وقد امتلأت كوملنجه وبتريج وطوبران بمهاجرى الاسلام ولكن حكومة البلغار عملت كل جهدهـا وبذلت كل تأميناتها الكاذبة حتى اقنعت هؤلاء المساكين بضرورة الرجوع لمحلاتهم القديمة فبدأوا اذ ذاك يرجعون فريق تلو فريق اما الفريق الاول وكان عبارة عن ٤٦٠٠ نسمه نسـاء واولادا فانه ذبح عن آخر فرد منه خارج كوملجنه بايدى العساكر والعصابات .

والفريق الثـانى الذى اضطر الى البيتوته ليلاً فى قرية قوستارا بين طوبان

واسـتروجه سـلب جميع ما معـه حتى الملابس التى على الابدان والذى تشبث باهداب الفرار قتل برؤس الحراب وهتكت اعراض النسـاء اللواتى كن يرافقن هذا الفريق . وقد تبين انه قتل من هذين الفريقين سبعة الاف اكثرها نساء واولاد لايعرفون كيف يدافعون عن انفسهم ولقد اعدموا بلاذنب بصورة وحشـية تقشعر منها الابدان .

حصـلت منازعة فى تيكوش بين الفصـيلة العسكرية الصربية وبين عصابات البلغار وقد قتل عسكرى صربى هو وافراد من العصابات رجلا مسلما اسمه حسين اشنع قتله بعد ان نهبوا جميع ماله . وقد اسـند البلغار هذا الفعل الى الاسـلام وبهذه الوسـيلة بقوا ثلاثة ايام ينهبون قصـبة (قوادار) واعدم جميع الذين ارادوا اظهار الحقيقة ونهاية العمل هناك كان احراق الناحية جميعها .

تجمع اهالى قصبة (فاشوط) التابعة لعور تحصار فى جامع وفى مسـتودع للذخيرة فاحرق البلغار هذين المحلين بمن فيهما من الاهالى وكانوا يقتلون بالرصاص الذين تشبثوا بالفرار من هول النار وملابسهم مشتعلة على ابدانهم .

وهكذا استمر الموسيو جونغ يأتى فى تقريره على تصوير الفظائع التى ارتكبها البلقانيون وذكر فى النهاية احصاء يبين فيه ان الخسائر التى اوقعتها العصـابات تقدر بخمسين مليون قورون وعدد القتلى باربعة ملايين من النفوس

ان الشعور بالرحمة الذى ولده هذا التقرير فيما سرده من فظائع البلقان المستند على وثائق لا يشك فى صحتها يستحق الذكر وكما قالت جريدة التيمس اذا كانت بلغاريا ما اشتركت فى هذه المظالم وانها وقعت دون رضاها وعلمها يجب عليها اذا ان تجازى الفاعلين حتى تثبت بذلك مدعاها ولكن مما يحزن له اننا لا نرجو ان تقام هذه العدالة من دولة مثل بلغاريا واحزابها



(فتاة سلانيك)

ام البلاد اضاعك الاقوام فبكى مرابع مجدك الاسلام
قدضيعتك بنوك فى اضغانها بل اسلمتك الى العدى الاوهام

*
* *

ان البلاد اذا تخاصم اهلها فالابعدون بها هم الحكام
واذا النفوس تغايرت اهواؤها لاغروان تتغير الاحكام
ذهبت سلانيك الغداة مضاعة فتنكست لذهابها الاعلام
قد اظلمت ساحاتها وتنكرت عرصاتها وبكت بها الآكام
ضاقت مرابع انسها من بعدما رحبت واوحش ثغرها البسام
نبأ تلعثمت الرواة بنقله وتعثرت بطروسها الاقلام
فقدت به الاتراك باصرة النهى حزناً وضيعت الهدى الاروام

*
* *

ابكيك ياشمس البلاد وبدرها واذا بكيت فما على ملام
تبكيك اقطار العراق ومن بها والمشعران ومصرها والشام
ام البلاد عليك من متوجع قطن العراق تحية وسلام
ياملجأ الاحرار جاوزك البلى خانتك بعد عهودها الايام
لو كان يومك منه فى اقوامنا خبر لطاشت للعدو سهام

*
* *

كم روعت فى ساحتيك لدى الوغى خودوكم لفظ الحياة غلام
عاشا زماناً فى بلهنية الصبا غرين لم يزعجهما النمام
لم يسمعا غير المدافع ضحوة فتسارعا فاذا هناك زحام
فاذا البوراج فى الخضم كانها الاعلام تمخر والدخان قتام
والنار تبعثها المدافع السناً توحى ولكن وحيهن حمام
تتطاير الارواح من اصواتها رعباً كما تتطاير الاجسام
علما بان الاسرليس بهين بل انه امر المر جسام
رجعا وقد اخذ العدو عليهما سبل الرجوع وليس ثم مقام
فتعانقا من بعد ان علم الفتى ان ليس يغنى عنهما الاحجام

(اسماء) ها انامیت فتأملي　　هل تذكرني والعظام رمام
قالت وقد منع البكاء كلامها　　ان حل موتك فالحياة حرام
وبكت فبددت الدموع بخدها　　درراً لها الحسن البديع نظام

*
* *

وقفت تودعه وتلثم ثغره　　والموت نحوهماله ارزام
فمضى (نجيب) غير موجس خيفة　　في كفه الباس الشديد حسام
متلفتاً ليصيب آخر نظرة　　منها فلم تسمح له الاقسام
بل فاجأته من الفضاء رصاصة　　لا الخوف يدفعها ولا الاقدام
فهوى يجود بنفسه متعفرا　　يعلوه من مر الرياح رغام
فاتته صارخةً تشق جيوبها　　حسرى تجيش بقلبها الآلام

*
* *

امجرعی الثكل الممض اناثم　　امهل اتاك من الوشاة كلام
فصددت عنى معرضاً متجهماً　　لا كان ما همست به اللوام
ان كنت تحسبنى جنيت جنايةً　　فالصفح عند الاكرمين يشام

*
* *

ظلت تعاتبه ولا من سامع　　وتذود دمع العين وهو سجام
حتى اذا علمت بان لا يرتجى　　لنجيبها حتى القيام قيام
صكت براحتها منير جبينها　　فاسود ذاك البدر وهو تمام
صرخت باعلى صوتها مرعوبةً　　فالتف نحو صراخها الاقوام
اخذوا الفتاة اسيرة لاميرهم　　تدعو الكرام وماهناك كرام

*
* *

يا هذه كفى الدعاء فقومنا　　لو تعلمين عن الدعاء نيام
ماالقوم الاسحب صيف ارعدت　　ثم انجلت بالريح وهى جهام
لاتستغيثى ليس (معتصم) بنا　　كلا ولا فينا يعد همام
ماتت عواطفنا بموت رجالنا　　فجميعنا بمماتها ايتام

*
* *

يا ايها الشرق الذى قد عمه　　للغرب من بعد الشروق ظلام
ما الغرب اول ظالم لك بالذى　　يأتيه بل ابناؤك الظلام

قد احملوك وانت معقل عزهم فاستهونتك بوطئها الاقدام

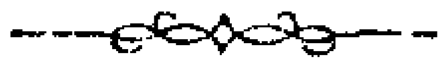
*
* *

يا واطئاً ذاك التراب ترفقا فلقد شكا من وطئك الاسلام
رفقاً بوطئك انما تحت الثرى قوم وان هانوا لديك عظام

*
* *

يا فاتح الملك الكبير بسيفه قم وانظر الاسلام كيف يضام
غار الصليب على الهلال فاجفلت تلك الجيوش كأنها انعام
خفر الذمام بنوه بعد عهودهم من اين للقوم اللئام ذمام
ذهبت مساجدك التى شيدتها بالسيف وارتفعت بها الاصنام
لو تعلم الاجرام بالفعل الذى فعل الصليب لخرت الاجرام
لو ان قومى شاهدوا اليوم الذى كثر الصراخ به وطار الهام
لاروا بنى البلقان كيف ضرابهم بل كيف يثبت فى الوغى المقدام
قومى اذا اشتد الضراب تخالها نشوى وما غير الضراب مدام
فالحرب مجلسها وساقيها القنا والنقع نقل والمدافع جام
لم تخش بادرة الطعان لدى الوغى بل لا تهاب الموت وهو زؤام
املى بقومى سوف تنهض نهضةً للمجد يقصر دونها الصمصام
يستبعد الرجل الخبير وقوعها بل لا تجئ بمثلها الاحلام
تبقى وان خلق الزمان جديدة لم ينتقض لجديدها ابرام

الجزيره : السيد خيرى الهنداوى



اخبار الحرب

من اهم الحوادث التى تنزلت كالصواعق على افئدة المسلمين سقوط مدينة ادرنه بعد ان قاومت خمسة اشهر كاملة .

ومما يعتبر مجدا وفخرا للدولة العثمانيه والعالم الاسلامى ان بطل ادرنة العظيم شكرى باشا لم يسلم ولكن المدينه فتحها البلغار والصرب عنوة بعد ان استمرت الحرب دائرة الرحى ثلاثه ايام كامله هلك فيها من البلقانيين عدة آلاف وقد كان سقوطها فى ١٨ ربيع الثانى ولم تسلم حامية ادرنه للعدو كما اسلفنا بل اشتبك المتحاربون اشتباكا مروعا فى الازقة والشوارع حتى كسيت الارض بالدماء وتراكمت فيها الاشلاء .

ولقد أبت شهامة شكرى باشا وغيرته الان يترك ادرنه للعدو هضابا من التراب والانقاض فانه حينما ايقن انها لا محالة ساقطة فى يد العدو اطلق فيها المدمرات حتى جعل عاليها سافلها ولم يبق فيها من المبانى المقدسة والمساجد الشريفة شيئا شاخصا .

وكأن دول اروبا كانت تتباطأ فى مذاكرات الصلح ارتقابا ليوم سقوط ادرنه فانها لم تكد تسقط فى ايدى العدو حتى بادرن الى تقديم مذكرتهن المحتويه على شرائط الصلح الى الباب العالى وكان ذلك فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الثانى

وقد احتوى بلاغ الدول النقط الآتية

(١) ان تحدد حدود المملكة العثمانيه فى اروبا بخط مستقيم يمتد من اينوز الى مديا .

وكل الاراضى الواقعـه فى شرق هذا الخط تتنـازل عنها الحكومة العثمانيه للحكومات البلقانيه المتفقة ماعدا البانيا التى مستتولى الدول نفسها رسم حدودها وتعيين طريقة الحكم فيها .

(٢) ان تتولى الدول الكبرى حل مسئلة الجزائر المنتشرة فى بحر سفيد .

(٣) ان تترك الدولة العثمانية جزيرة كريت بتاتا .

(٤) لا ترضى الدول ان توافق على طلب غرامة حربيه و يقبلن اشتراك المتحاربين فى المناقشـات التى سـيتولاها المجمع الدولى بباريس فى سـبيل الوصول الى تعيين ما يخص حكومات البلقان من الديون العثمانيه وكذا فى شان المسائل الماليه المتعلقة بالاراضى التى ستضاف الى الحكومات المذكورة .

وفي يوم الثلاثاء من اليوم التالى قدم الباب العالى جوابه للدول قابلا الصلح ومفوضا الامر لتلك للدول الكبرى بلاشرط ولاقيد. ولقد كان هذا الجواب لا نتوقعه لاسيما وان منطقة "الحرب قد انحصرت طبيعة" فى ضواحى شتالجه حيث الجيوش العثمانية على اتم استعداد واكمل قوة ولكن يظهر ان فى الامر سرا غامضا ستكشفه الايام وقد عرفنا بعض اسباب كانت منشأ التعجل بالاجابة ومصدر قبولنا وساطة الدول بلا شرط ولكن الاحوال الحاضرة لاتبيح لنا ذكر شيء منها.

ولقد كان ينتظر ان دول البلقان المتفقة تقبل الصلح لاسيما وهو فى مصلحتها ولكن يظهر ان بعض الدول الكبرى تشير اليهن من وراء الاستار بالتعنت والاصرار على استمرار الحرب حتى يتم لهن مايطلبن من الغرامة الحربية وحتى تلحق جزائر الارخبيل باليونان .

ويقولون ان روسيا التى هى عدوتنا التاريخية منذ القدم هى عينها المحرضة لهن وانها ترمى الى غاية واحدة وهى ان تستمر الحرب حتى تنهك قوة الدولة العثمانية وبذلك يسهل عليها الاغارة على ارمينيا وبلاد الاكراد والعليمون بما لتلك الدولة فى هذه الاماكن من الدسائس يعرف يقينا ان ذلك هو سر تحريضها المستمر وسر اقدامها برغم حيدتها الظاهرة على تقديم جميع ما اعوز حكومات البلقان من الاسلحة والمال والزاد والرجال .

وموقفنا اليوم بعد ان قبلنا الصلح على تلك الصورة موقف من ينتظر كيف يكون جواب دول البلقان وهل من المستطاع تنازلهن عن فكرة التمسك بالغرامة الحربية واستلحاق اليونان للجزائر

وهل دول اروبا بعد ان اعلن عدم قبولهن الزام الدولة العثمانية بالغرامة يرجعون ثانية فيعدلن عن قرارهن هذا ويلتمسن محللا يبيح لهن العودة الى النظر فى امر الغرامة الحربية على نحو ما فعلن ايام اعلنت الحرب اذ انذرن دول البلقان ان الحرب لاتغير شيئا من مركز البلقان السياسى ولا ترضى اروبا ان البلقان يخرج من يد لدولة العثمانية مهما كانت نتيجة الحرب فلما كان ماكان رجعن ثانية فاعلن انه لايجوز حرمان الغالب من ثمرات انتصاراته وبناء على ذلك احتممت جموعهن واتحدت كلمتهن واصررن على البلاغ الذى قدمنه الى الحكومة العثمانية مما اتينا عليه آنفا

وها نحن اولئك اليوم لانعلم ماذا عسى ان يكون ففريق يقول ان الصلح

سيعقد بعد بضعة ايام ثم تأتى التلغرافات باقتراب ساعة الهجوم العام على شتالجه وان الحرب العسكرى فى بلغاريا لا يرضى عن الصلح وانه مصمم على الحرب ولا يعلم الا الله عما ذا تمخض الايام

واذ قضى الامر وخرجت البانيا من ايدينا لانرى من فائدة للعالم الاسلامى فى ذكر ما قام من الخلاف بين النمسا وبين الجبل الاسود فى شأن اشقودره وما قامت به دول اوروبا من المظاهرات للنمسا وما سيكون من الخلاف بين اليونان وبين البانيا فى سبيل تعيين الحدود فان ذلك مالايهم العثمانيين ولا المسلمين .

الاصلاح فى الولايات العثمانية

بالرغم مما عليه الدولة العثمانية فى هذه الاوقات من الارتباكات والحروب تولدت فى بيروت حركة يرادمنها مطالبة الدولة بالاصلاح فتألفت فى بيروت لجنة وضعت لائحة سمتها بلائحة الاصلاح البيروتيه وقد كتبنا فى نقدهذه اللائحة خمس مقالات نشرتها جريدة (الحق) التى تصدر فى دار الخلافة .

ومما تجب ملاحظته ان هذه الحركة قدجاءت قبل وقتها كما ان اللائحة المقترحة ظهر نقصها وعدم صلاحيتها . على ان الحكومة برغم شواغلها الكبيرة وضعت قانون الولايات ونشرته حديثا فى الصحف وقد جاء هذا القانون وافيا بالغرض الذى تشرئب اليه الامم العثمانيــة الا انه اهمل شيئا ذا بال كان على واضعى القانون الاينسوه . ذلك هو اللغة العربية ويسرنا ان الحكومة اليوم تشتغل بتدارك مافاتها وسنرى بعون الله ماتصدره من القرار الوزارى الذى سيعطى اللغة العربية المنزلة اللائقة بها . وفق الله رجال الدولة الى الاصلاح آمين .

عند مسلم وغيره قال قال رسوالله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيهارب العزة قدمه فتقول قط قط وعزتك وهذا ايضا يرجع الى المحكم قال الله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقد مهدنا ان الصورة المنسوبة الى الله هى ظلة غمام الشريعة وان وجهه منها بارق نور التوحيد ومظهره الاخلاص وعلى هذا فالقدم منها هو نور الايمان ومظهره الصدق وهذا هو القدم الذى تستغيث النار من نوره كما جاء فى حديث ابى سمية قال سأل جابر بن عبدالله عن الورود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لايبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم وفى حديث يعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النار لتنادى جزيا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى اخرجهما ابو عبدالله الترمذى و ذكر القرطبى حديث يعلى بن ابى بكر النجار .

تنبيه . مما يحقق لك ان القدم ماذكرناه امران احدهما ان نور الايمان يكفر جميع اسباب الكفر والمعاصى وهى اسباب النار فكما تطفئ اسبابها فى الدنيا فكذلك حقيقته تطفئ حقيقتها فى الآخرة الثانى نسبته الى رب العزة وهو صاحب العزة ومالكها والعزة وان كانت جميعا لله بمقتضى قوله فلله العزة جميعا لكنه قدنسبها لرسوله وللمؤمنين بقوله ولله العزة ولرسوله و للمؤمنين فمامن مؤمن الا وهو صاحب العزة فاذا وضع قدمه حق للنار ان تضج منه و تنزوى عنه وينطفى نارها بماله من نور العزة

فائدة . فى الشفا للقاضى عياض ان من اسمائه صلى الله عليه وسلم قدم الصدق وهى يقتضى انه الاصل الجامع لكل نور من انوار صفاته واسمائه تعالى

تنبيه . جاء فى حديث ابى هريرة عند مسلم فاما النار فلاتمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فيها فتقول قط قط فهنالك تمتلئ وينزوى بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه احدا ومرجع هذا الحديث للحديث الصحيح الذى ذكرناه وقوله فهنالك تمتلئ اى باهلها من المتكبرين وقوله وينزوى بعضها الى بعض فيه حكمتان احداها انها عندما تضج بسبب نور العزة من اقدام المؤمنين ويخرجون منها تخلو مواضعهم فلو بقيت كذلك لما كانت مملوءة وهو مناف لقوله لاملأن جهنم الآية وايضا فربما

كان ذلك تخفيف عـلى اهلها فاقتضت الحكمة انها حينئذ تنضم وتجتمع على اهلها وتمتلئ بهم تحقيقا للوعـد وزيادة فى العذاب. الحكمة الثانية . انها لو بقيت مواضع المؤمنين خالية من النار لم يتم لهم سرورهم بالامن منها لعلمهم ان الله عزوجل وعدها انه يملأها فربما توقعوا الاعادة فكان فى انزوائها وانضمامها على اهلها وامتلائها بهم تأمين للمؤمنين وقوله فلا يظلم الله من خلقه احدا اى لا يملؤها بغير اهلها تحقيقا لقوله مايبدل القول لدى وماانا بظلام للعبيد يوم يقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد

تبصرة . بهذا القدم تفهم السر فى قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه الى قوله وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام وفى قول الربانيين ربنا اغفرلنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا فتثبيت الاقدام انما يكون باثلاج القلوب بنور التوحيد بدليل قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وذلك ان المثلج للقلوب والمطهر لها هو القرآن بدليل قوله تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى و بشرى للمؤمنين فانظر كيف اضيف الروح للقدس وهو الطهارة وجعلها المثبة بالقرآن لاقدام الذين آمنوا و بشرى لهم اى بقدم الصدق بدليل تصريحه به فى سورة يونس كما قدمنا

تنبيه . بهذا القدم الصدق الذى تستغيث النار منه يفهم السر فى تخصيص ابراهيم ببرد النار وسلامها لاتيانه فى قوله تعالى فاى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية وكذلك تفهم السر فى قوله آنس موسى بالنار وقوله اخلع نعليك لانه كان له القدم الصدق الايمانى بمقتضى قوله وانا اول المؤمنين

المتشابه من الآيات التى ذكرت فيها النفس

قد جاء ذكر النفس فى قوله تعـالى تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسـك والنفس فى اللغة تسـتعمل لمعان تتعذر فى الظاهر هنا و قد اولها العلماء بتـأويلات منها ان النفس عبر بها عن الذات والهوية وهذا وان كان سـائغا فى اللغة ولكن تعدى الفعـل اليها بواسـطة فى المفيدة للظرفية محال لان الظرفية تسـتدعى التركيب الذى يجـل عنه الله تبارك و تعـالى وقد اولها بعضهم بالغيب اى ولا اعـلم مافى غيبك و سرك وهذا وان كان حسـنا فى ذاته لقوله فى آخر الآية انك انت علام الغيـوب ولكن قانون اللغـة يأباه ولابد من تخريجه على مامهدناه حتى تنتظم اشـتات الصفات وذلك

ان الصورة اذا كانت ظلة غمام آياته فنفسه هى ام كتابه وهى الآيات المحكمات قال الله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب والآيات المحكمات هى الآيات الداله على توحيد وحدانيته بدليل قوله تعالى فى اول هود كتاب احكمت آياته ثم فصلت ثم فسر احكامها بالتوحيد فى قوله الا تعبدوا الا الله وفسر تفصيلها بالاستغفار والتوبة فى قوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ونبه على ان آياته المحكمة ترجع اعدادها الى آية واحدة محكمة و هى لا اله الا الله فما من علم من العلوم فى الغيب ولا فى الشهادة الا وهو منتظم فى سلك التوحيد ومستمد من بحاره ولهذا اكتفى بعلمها للنبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك .

تنبيه . قوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك اذا خرجته على هذا تطلع على اسرار بديعة وذلك ان السياق اشتمل على سؤال عيسى عما بلغه لبنى اسرائيل هل امرهم بتوحيد ربهم اوبان يعبدوا له ولامه ومن المعلوم انه لم يكن امرهم الا بالتوحيد فلما اراد ان يخبر بذلك تلطف فى الاخبار به اجمالا و تفصيلا اما تفصيلا فبقوله ماقلت لهم الا ما امرتنى به الآية واما اجمالا فقوله تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك اى ولا اعلم مافى ام كتابك المشتمل على سر القدر وان القلم جرى فيه بكفرهم وقوله تعلم مافى نفسى اى مافى ام كتابى وهو ما كتبه الله له من بينات التوحيد وايده به من روح القدس قال تعالى وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس .

تنبيه. قوله امرتنى به ولم يقل امرت به مع ان الامر بالتوحيد لم يختص به بل امر به جميع الانبياء ولكنه نبه بذلك على ان الامر امران امر حقيقة وامر شريعة فأمر الحقيقة هو المشار اليه بقوله تعالى انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو متوجه الى جميع الكائنات فما من كفر ولا ايمان الا وهو مأمور به بهذا الاعتبار لانه لايكون الا بامره واما امر الشريعة فهو الذى ربط به الثواب والعقاب وقامت به الحجة لايسئل عما يفعل وهم يسألون فمن هذا تفهم السر فى قوله لعيسى امرتنى به خصصه بالاضافة اليه تنبيها على امر الشريعة ولم يقل امرت تنبيها على امر الحقيقة

تنبيه . لما كان فى هذا اشتباه على المحجوبين من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون

ان كفر العبد منسوب الى اختراعه غير مستند الى ارادة ربه و الا ما جازان يعاقبه عليه لاجرم بين الله جوابهم على لسان نبيه عيسى عليه السلام فى قوله ان تعذبهم فانهم عبادك علل جواز تعذيبه لهم بانهم عباده تنبيها على ان التعذيب لايحتاج فى جوازه عقلاً الى معصيه ولاكفر ولهذا لم يقل فانهم عصوك وانما مجرد كونهم عباداً يجوز للمالك ان يفعل فيهم مايشاء له حق ومهما قال فالحسن الجميل مناجاة الهى جلت عظمتك ان يعصيك عاص اوينساك ناس ولكن اوجبت روح اوامرك فى اسرار الكائنات فذكرك الناسى بنسيانه واطاعك العاصى بعصيانه وان من شى الا يسبح بحمدك ان عصى داعى ايمانك فقداطاع داعى سلطانك ولكن قامت عليه حجتك ولله الحجة البالغة لايسئل عما يفعل وهم يسألون

قوله ويحذركم الله نفسه اى ويحذركم ام كتابه بدليل قوله اول الآية يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وماعملت من سوء الاية مع قوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه مع ماثبت فى صحيح مسلم وغيره من قوله صلى الله عليه وسلم فوالله الذى لااله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الاذراع واحد فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل عمل اهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع واحد فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها الحديث فهذا تحذير من ام الكتاب الذى تكون خاتمة العبد على وفق ماسبق له فيه وبهذا يفهم السر فى ذكر النفس وام الكتاب متقاربين فى اول السورة ولقد افهم الحديث ان خشية سوء الخاتمة مخصوص باعمال اهل الجنة واما اهل الاخلاص لاعمال التوحيد فلا يخشى عليهم سوء الخاتمة ولهذا قال ليعمل بعمل اهل الجنة حتى مايبقى بينه وبينها افافهم بذلك ان المتقرب متقربان متقرب الى الجنة باعمالها ومتقرب الى الله بذكره كمائبت فى الصحيح انا عند ظن عبدى بى وانامعه حين يذكرنى الى قوله وان تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وذلك يفهمك ان المتقرب الى الله لايمكن ان يبقى بينه وبينه ذراع لان ذلك الذراع ان كان التقرب به مطلوبا من العبد لم يعين بعد مقدار يتقرب الى الله به اليه وحينئذ فيستلزم الخلف فى وعده وهو محال وان كان موعودا به من الله لزم تنجز وعده ويحقق القرب للعبد فلايبقى بعد ولادخول الى النار فعلم ان ذلك الذراع مخصوص باهل التقرب ممن تقرب اليه فافهمه فانه بديع

تتمة قوله فى الحديث فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى اذا اردت تخريجه على

ماتقدم فمعناه ان العبد اذا ذكرالله تعالى فى سره فذكره له من آيات توحيد المتشابه فلا يزال يذكر ويشهد ذكر نفسه حتى ينكشف حجابه كما سياتى فى حجب الوجه فهنالك يحترق ذكر العبد المخلوق ويتجلى ذكرالله لعبده سبحانه فيصير مذكوراً ولله ذاكراً وذلك من ايات التوحيد المحكمة وهى ام الكتاب ولهذا عبر عنهما بالنفس ونسب اليه سبحانه فى قوله ذكرته فى نفسى قوله وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه هذا من باب الترقى من حال الجمع والفنا الى حال الفرق والبقا وذلك لان العبد اذا جمعه الله عليه بذكره له فى نفسه وحده افناه فاذا اراد ان يجعله هاديا بثه لذكرالله فى الملا فذلك إبقاؤه فاذا ذكره واثنى عليه بألسنة ملائكته واوليائه وارواح انبيائه ورسوله ويشهده ان الله هوالذاكر له فى مظهر ذكرهم فيتنعم بذلك نعيماً دائما ويحيي حياة طيبة ويكون له به حظ من المقام المحمود

ومن المتشابه صفة القرب فى قوله تعالى واذا سالك عبادى عنى فانى قريب وقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن نفهمك ان قوله وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا ليس على ظاهره لان قربه سبحانه وتعالى من العبد لا يزال ولا يتفاوت درجاته وانما البعد صفه العبد وبعده من الله هو حجابه عن شهود قرب الله منه وشهود قربه على حسب نورالايمان والاستجابة ولهذا يكون تقرب العبد الى ربه واما تقرب الرب الى العبد فارشاده بنوره لنوره وقد جمع الله ذلك كله فى قوله فليستجيبوالى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون

تنبيه قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون يدل على ان قربه سبحانه وتعالى من عبده قرب حقيقى مع تعاليه عن المكان لانه لوكان القرب يرادبه قربه بعلمه اوقدرته وصفاته لقال ولكن لاتعلمون ونحن نقول ولكن لاتبصرون يدل على القرب الحقيقى المدرك بالبصر والبصر لاتعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يتعلق بالحقائق المرئية وكذا قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد يدل على ذلك لان افعل من تدل على الاشتراك فى القرب ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد وعلى هذا فالقرب قرب حقيقى روحانى بدليل قوله فاما ان كان من المقربين اى من الذين يكشف لهم عن نعيم القرب الربانى فروح وريحان وجنة نعيم فجعل قربهم وجدانهم للروح والريحان وقد قرئ بضم الرآء وفتحها وقد تقدم فى حقيقة الرؤية مايكشف عن معنى الادراك للقرب بالبصر

بصرة حكمة مجئ التفضيل لقربه على حبل الوريد انه تقدم ذكر التوسوس ووسواس النفس من القاء الشيطان ومجراه الاوردة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ومجرى الدم هو عروق الاوردة ونحوها فنبه بقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد على انه اقرب اليه من مجرى الوسواس وقد قلت فى ذلك شعرا

تشاغل عنا بوسواسه وكان قديما لنا يطلب
محب تناسى عهود الهوى واصبح فى غيرنا يرغب
ونحن نراه ونملى له ويحسبنا اننا غيب
ونحن الى العبد من نفسه ووسواس شيطانه اقرب

ومن المتشابه لفظة عند وقد جاءت منسوبة الى الله فى الكتاب والسنة كثيرا وهى فى اللغة تستعمل لافادة الملك ولافادة الحضور ولااشتباه فى استعمالها لله تعالى لافادة الملك وانما الاشتباه فى افادتها للحضور واعلم ان حضرة الله سبحانه ليست حضرة مكانية لتعاليه عن المكان تقدس بل حضرته وراء حضرات السموات والارض قال الله تعالى ولله من فى السموات والارض ومن عنده فعطف من عنده على من فى السموات والارض والعطف يقضى بالمغايرة وهى مع كونها وراء الارض مهيمنة على حضرات السموات والارض ومحيطة بها فما من حضرة مكانية الا وحضرة الله محيطة بها وهو الله فى السموات والارض اذا تقرر ذلك فعنديته سبحانه متعددة بحسب الاضافة متحدة بحسب الحقيقة فاما تعددها فلانه مامن اسم من اسماء الله تعالى الاوله فى تجليه عندية تخصه يشهدها ارباب القلوب الذاكرة له وفيها مجالس المناجاة لهم وتخلع عليهم فيها خلع الرضا منه ومن سلطان ذلك الاسم تخرج الربوبية لاهله وتظهر الولاية بذكره واما اتحادها بحسب الحقيقة فعند الله هو موطن استقرار عباده قال الله تعالى وهو الذى انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ومعنى ذلك ان عندية الله مازالت ولاتزال محيطة بعبده كما قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ولكن رب عبد دام له هذا الشهود فهو لا يزال مستقراً عند الله فى محياه ومماته ومبداه وعوده وان اختلف عليه الاحوال ومعنى توفى هذا العبد بالموت الى الله توفيه فى مراتب التجلى وحقائق الكشف وتعاقب مظاهر العندية على روحه مظهرا بعد مظهر ورب عبد يشهد فى البداء عندية الله له ثم حجب عنه مكانه من سبب كثرة تخليطه وظلمة اكتسابه فذلك مستودع استودعه الله

لرسل انبيائه وملائكته الموكلين به فلا يزال محجوبا الى الاجل المقدر له فيرد الى الله كما قال الشاعر

« ومالمال والاهلون الاوديعة ولابد يوماً ان ترد الودائع »

ويرجع حقيقة الرد الى كشف الحجاب ومحل احاطه الله به كما قال « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد الى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد هنالك يشهد انه لامستقر الا عندالله وقد نظمت فى ذلك » شعراً

قد كنت احسب انى عن فنائكم. ناء وان بارض الله متسعا
فلم يزل لطفكم بى تحت حجبكم. حتى رفعتم حجاب العز فارتفعا
فلاح انى مقيم مارحت على الانواب عبداً وان اللطف ما انقطعا

اشارة قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده تنبيه على العباد المخصوصين من اهل العندية والاستقرار و قوله ويرسل عليهم حفظه خطاب المحجوبين من المستودعين حفظه ولهذا قال حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ثم حذر المكذب بذلك بقوله وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر ونبه على ان مستقر الانباء عنده وانه يظهر بزوال حجاب البصيرة بقوله تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر الى قوله الى ربك يومئذ المستقر ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر

تنبيه . قوله تعالى ماعندكم ينفد وماعندالله باق له ظاهر وحقيقة فظاهره ان ماعندالعبد من المال والولد وزينة الدنيا بصدد الزوال والنفاد وماعندالله من الجزاء على تقدير انفاقه باق لاينفد واما حقيقته فكل شئ له نسبتان نسبة عارضة وهى نسبته للعبد ونسبة اصلية وهى نسبته لله تعالى فمعنى كونه عندالعبد هو نسبته اليه وهو فان زائل ومعنى كونه عندالله هو نسبته اليه وهو باق لايزول والمراد ان العبد يخرج الاشياء كلها عنه ويمحو نسبتها اليه بنسبتها الى الله وقد بقيت له ومتى نسبها الى نفسه وقدرته فقدت قال الله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا اونهارا الآية وقال تعالى فى ضده فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فارشدها عندالخوف ان تلقيه من يدها وتخرجه عن حفظها فان الله حينئذ يتولاه بحفظه و يلقيه برحمته

تربية . قوله تعالى فابتغوا عندالله الرزق فيه تلطف بعبده فى استدعائه للاقبال عليـه بالاعراض عن سواه لان العبـد مجبول على الافتقار للرزق وايثاره بالطلب فلو جعل الرزق لايكسب الا بالاقبال على الاسباب شغله ذلك عن الله فكان من لطف الله بعبده انه جعل ابتغاء الرزق بالاقبال عليه اقبالاً يشهد به العبد قرب الله منه واحاطته به فيكون العبد بذلك فى حضرته وعنده ومتى بلغ العبد الى هذا جاءه الرزق من حيث لايحتسب الاترى مريم لما تركت الاسباب واقبلت على الله بلزوم المحراب كان زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هومن عندالله الآية

ومن المتشابه لفظه اين وهى كلمة يستفهم بها عن الخبر المكانى وقد ورد بها الكتاب فى قوله تعالى وهو معكم اين ماكنتم والسـنة فى قوله صلى الله عليـه وسـلم . للجارية اين الله فقالت فى السماء ومن المعلوم ان التحيز على الله تعالى محال واما اين فى الاية فانها اطلقت لافادة معية الله للمخاطبين فى الاين اللازم لهم لاله سـبحانه فهو مع كل صـاحب اين بلا اين واما اطلاقـه فى حديث الجارية فسيأتى الكلام عليه فى فصل الجهة والآخر فى الاستواء حديث كان الله ولم يكن شى غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر معية الله لعبده فى مواضع من الكتاب والسنة وهو من المتشابه ورجوعه الى المحكم بان تعلم ان الله سبحانه وتعالى فى الموجودات قدضرب لنفسه مثلا بالواحد فى الاعداد ومن المعلوم ان ماعدد الا وهو فى الحقيقة يرجع الى الواحد فاثنين من شهود الواحد مرة ومرة وهكذا جميع الاعداد فلو طلبت لعدد من الاعداد حقيقة مجردة عن الواحد لم تجده بسبب ذلك كانت الاعداد لاتتناهى لان تجليات الواحد لاتتناهى ولولامعية الواحد للواحد ماثبتت الشفعية ولولا احاطته بالشفعيه ماثبتت الوترية وهوالاول والاخر مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولاخمسة الاهو سادسهم ولاادنى من ذلك ولاا كثر الاهو معهم اينما كانوا فمن اشهد آخرية معية له فقل شفعه فان اشهد مع ذلك اولية معية فقداوتره ان الله وتر يحب الوتر ومن اشهده سر وحدانية فى نفسه ورجوع الاعداد اليه فقد وحده ماوحد الواحد الاالواحد وبهذا تفهم السر فى قولهم من عرف نفسه فقد عرف ربه .

تنبيه اعلم انه تعالى كما انه احد فى ذاته فهو واحد فى صفاته وذاته سبحانه منزه عن المعية فليست مع كل شئ ولامعها شى ولكنه مع كل شى بصفاته وكذلك العبد الذى وحده واشهد سر الوحدانية فى ذاته تجلى ذاته المقدسه على سره فقد ظهر لك بهذا ان المعية

من احكام الصفات قرب عبد يشهده الله معية له بصفة وصفتين كقوله انني معكما اسمع وارى ورب عبد يشهده معيته مطلقاً كقوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر لاتحزن ان الله معنا ومعية الصفات عامة لجميع المخلوقات وانما اختصاص الانبياء والاولياء بالشهود والتأييد بالروح منها كما حكي عن اصحاب الشيخ ابي النجا انه كان يقول قال لي وقلت له و يكثر من ذلك فقيل له من الذى يقول لك و تقول له قال الله قالوا الله يقول لك قال نعم ويأخذ بيدى كلما قمت وقعدت قالوا لك هذا خاصة قال لا بل للناس عامة ولكني اشهد وهم لا يشهدون .

تبصرة رب عبد يخص بشهود المعية ولا يتعدى ذلك منه الى اتباعه كقول موسى عليه السلام لبني اسرائيل ان معي ربي سيهدين ورب عبد يتعدى منه نوره الى اتباعه فيشهدون به سر المعية كقول النبي صلى الله عليه و سلم لا تحزن ان الله معنا ولم يقل معي لانه امد ابابكر بنوره فشهد سر المعية ومن هنا يفهم سر انزال السكينة على ابي بكر .

تربية اذا اردت شهود نور المعية فعليك بتزكية النفس قال الله تعالى قد افلح من زكاها وفي حديث رواه ابو عبدالله الترمذى بسنده الى عبدالله بن معاوية العامرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من فعلهن طعم طعم الايمان من عبد الله وحده بانه لااله الاهو واعطاه زكاة ماله طيبة بها نفسه ولا يعطى الهرمة ولا المريضة ولكن من اواسط اموالكم وزكى نفسه فقال رجل وما تزكية نفسه قال ان يعلم الله معه حيث ما كان فانظر كيف نبه على ان تزكية النفس ثمر العلم بمعية الله فان قلت بما ذا تكون تزكية النفس قلت بلزوم الذكر قال الله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وفي الحديث انا عند ظن عبدى بي وانا معه حين يذكر ني فعلى حسب الذكر يكون تطهير النفس وتزكيتها .

الآيات التي ذكر فيها لفظ فوق

ومن المتشابه صفة الفوقية وقد جاء بها الكتاب والسنة كقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقوله وهو القاهر فوق عباده وايات واحاديث كثيرة وهو معدود من المتشابه وذلك ان فوق كلمة موضوعة لافادة جهة العلو والله تعالى منزه عن الجهات وانما المراد منها حيث اطلقت على الله سبحانه افادة العلو الرتبي ومما يدل على عدم اختصاصه بجهة فوق قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض وقوله

وهوالذى فى السماء اله وفىالارض اله وقوله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجهالله وقوله ونحن اقرب اليه من حبـل الوريد وقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم وآيات كثيرة يطول ذكرها ولوكان فى معنى غـير جهة العلو لتعارضت هذه الآيات واختلفت وهو مناف لقوله تعالى ولوكان من عنـد غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفى مسـلم عن ابى هريرة رضىالله عنـه انه قال ان رسولالله صلىالله عليه وسلم قال اقرب مايكونالعبد من ربه وهو ساجد فنفى تقييده بجهة فوق وهو لا ينطق عن الهـوى ان هو الاوحى الايوحى والذى يجمع بين الآيات والاحاديث يعلم ان العلو له اعتباران إعتبار اضافى واعتبار حقيقى فعلو المخلوقات بعضها فوق بعض انما هو علو اضافى لان مامن مخلوق له جهة علو الا وهو مستعل بالنسبة الى مخلوق آخر وهذا العلو الاضافى قسمان قسم حسى وهى الجهات المكانية المخصـوص بالجواهر المقتضى للحيز وقسم معنوى وهو المفهوم بالنسـبة الى درجات الكمال العرفانى لارباب القلوب او الكمال الوهمى لارباب التقـوى قالالله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وقال انظر كيف فضلنا بعضـهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضـيلا هذا كله فى العلو الاضافى . واما العلو الحقيقى فانما هولله سـبحانه وتعالى وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم وهـذا العلو محقق قبل الجهـات والاماكن مفهوم بدون اعتبار النسب والاضافات عام فى جميع تجلياته على مخلوقاته باسمائه وصفاتهوانما يعرفهويشهده اربابالبصائروالقلوب

تنبيه اذا اردت ان تحقق ان فوقيته ليست فوقية مكانية وانما هى الفوقية الحقيقية بقهرالربوبية للعبودية ففكرفى حديث كاناللهولا شئ معه. ولم يتجدد بخلقهللسموات علو ولا لخلقهللارض نزول ولالخلقهللعرش استواء وانما عن تجلى اسمائه وصفاته نشأت اعداد مخلوقاته غير مماسة له ولا منتسبة اليه بفوق ولا تحت ولاشيئ من الجهات قالالله تعالى سبح اسم ربكالاعلا الذى خلق فسوى فوصفه بالاعلى حال اتصافه بالخلق فدل على ان علوه محقق قبـلالخلق ولذا قال وما قدروا الله حق قدره الاية وصف نفسه آخرهالاية بالعلو والتنزيه فى قوله سبحانه وتعالى بعد ذكره قبضـةالارض وطيه للسما فدل على ان علوه حقيقى لامكانى وتأمل قوله وهو القـاهر فوق عبـادة مع قول فرعون عن بنى اسرايل سنقتل ابنائهم ونستحى نسائهم وانا فوقهم قاهرون فهل فهم احد منهم ان فرعون ادعى انه فوق ! بنى اسرايل بالمكان اوبالجهة وانه لما

ادعى الربوبية بقوله انا ربكم الاعلى كان من لازم دعواه ادعاء الفوقية اللائقة بالربوبية وهى الفوقيةالحقيقية بالقهر فلذلك قال انا فوقهم قاهرون لاجرم كذبه الله فى الامرين فكذبه فى قوله انا ربكم الاعلى بقوله لموسى لاتخف انك انت الاعلى وكذبه فى قهره بقوله فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم واضل فرعون قومه وما هدى

تنبيه قوله تعالى رفيع الدرجات يرجع الى العلو والفوقية الحقيقية وليس المراد ان العلو الحقيقى له درجات وتفاوت وانما المراد ان للعباد فى ترقيهم الى معرفته وخلوص التحقيق به درجات الاولى درجة الايمان الثانيه درجة التقوى الثالثه درجة الاتباع الرابعه درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة وقال تعالى وجاعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا وقال تعالى وفوق كل ذى علم عليم

تنبيه قوله تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع الآية قد فسرت بالمساجد وفسرت بالقلوب وكيف ماكان فرفعها تحققها واشتمالها على ماذكرناه فى الدرجات المذكورة وتمام الاية يحققه

تنبيه لما ادعى فرعون الربوبية واعتقد الجهة لله قال ياهامان ابن لى صرحاً لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى فرد الله عليه وسخف سوء رأيه وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل اى عدل عن سبيل القرب والدنو من اله موسى فانه تنزه عن علو المكان وانما يصعد اليه بالكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه اين هو من قول موسى وعجلت اليك رب لترضى مع انه لم يبن له صرح ولا احتاج الى الدنو والقرب الى صعود السماء وكذلك ابراهيم حيث جاء ربه بقلب سليم ووهب له لسان صدق عليا فكان مجيئه اليه ووصوله وعلوه بسلامة القلب وصدق اللسان لا بالتسوير والصعود الى المكان وقد ثبت ايواء الله للمؤمنين فى قوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وفى صحيح البخارى عن ابى واقد الليثى ان ثلاثة جاءوا النبى صلى الله عليه وسلم يحدث القوم فوجد احدهم فرجة فجلس فى الحلقة والثانى جلس خلفهم والثالث ادبر ذاهبا فقال عليه السلام اما احدهم فآوى الى الله فآواه الله والآخر استحيا فاستحيا الله منه والآخر اعرض عن الله

فاعرض الله عنه فنبه صلى الله عليه وسلم على ان الداخل آوى الى الله فآواه الله مع العلم بانه ليس الايواء فى الآية والحديث باعتبار مكان . وفى صحيح مسلم وغيره عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم راى نخامة فى القبلة فقال مابال احدكم يقوم فيستقبل ربه فيتنخع امامه ايحب ان يستقبل فيتنخع فى وجهه فدل على انه ليس مخصوصا بجهة فوق والا ماكان قبلة امامه وبالجملة فالاحاديث الدالة على عموم احاطة ربنا بجميع الجهات وعدم اختصاصه كثيرة والقصد قدحصل بما ذكرناه

فصل قصة الاسرى وان كانت مشتملة على الترقى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السموات فليست منافية لما ذكرناه ولامستلزمة لاثبات الجهة ويدل عليه امور منها افتتاح السورة بسبحان المقتضى للتنزيه تنبيها على تعاليه عن التحيز بالجهات وعلى عدم اختصاصه بجهة

الثانى قوله اسرى بعبده فاتى بباء الالصاق المفيدة للمصاحبة فى تعدية الفعل تنبيها على مصاحبته له فى حال اسرائه وانه ليس نائيا ولابعيدا عنه فيحتاج فى قربه الى قطع مسافة مكانية وتحقيقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انت الصاحب فى السفر الثالث قوله بعبده تنبيها على انه على حسب التحقيق بخضوع العبودية يكون الترقى الى حضرة الربوبية

الرابع قوله ليلا وان لفظ الاسراء مفيد لذلك تنبيها على ان كل ماتضمنه الاسراء كان خارجا عن العادة فى مثله فانه جعل العلة فيه ان يريه من آياته والارادة العادية سلطانها النهار فقال ليلا ليعلم ان الرؤية المقصودة ليست عادية بل هى رؤية بنور ربانى سلطانه الليل دون النهار

الخامس قوله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى نبه به على ان الاسراء لوكان بضرورة رؤية ربه بكونه مخصوصا بجهة العلو لم تكن حاجة بالذهاب الى المسجد الاقصى ولايكون الترقى من مكة الى السماء فدل على ان الاسراء والترقى من مكان لمكان لحكمة وراء مازعمه مثبت الجهة والسر فيه وفى كونه ذكره الله تعالى فى كتابه التنبيه على ان العبد لايصل الى الله الافردا تحقيقا لقوله وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ولا تحقق له الفردية الابعد مفارقة الحوادث و تجرده منها فهنالك يصل الى حضرة عنديته وقدجاء الكتاب العزيز بالتنبيه على ان حضرة عنديته وراء السموات والارض قال تعالى وله من فى السموات والارض ومن عنده فعطف من عنده على من فى السموات والارض والعطف يقتضى المغايرة فدل على ان حضرة العندية

وراء السموات والارض وهى مع ذلك محيطة بحضرات السموات والارض كا حاطة ربنا بذلك كله مباينة لها كمباينته فمن اراد فعليه بمعرفة الحوادث ومباينته لها. ثم اعلم ان المعرفة نوعان قلبية غيبية وحسية فان فارقها بقلبه وصل الى الله بقلبه وان فارقها بجسمه تبعا لقلبه وصل الى الله بجسمه وقلبه فلذلك كان الاسراء مرتين مرة بالجسد تنبيها على انه صلى الله عليه وسلم شرع لامته فراق الحوادث مرتين مرة بالروح وهو الاسراء الاول ومرة بالجسد حسا وهو الاسراء الثانى ومن المعلوم انه لا تحقق لفرقه الحوادث حسا الا بمجاوزة دوائر الافلاك كما ثبت ليلة الاسراء واما ترتيب تعليه وترقيه فى توجهه ففيه اسرار بديعة اظهرها واجلاها ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء والصلاة حضرة القرب والمناجاة والمراقبة المثمرة لنعيم الرؤية ومن المعلوم ان التوجه توجهان روحانى وحسى فقبلة التوجه الروحانى وجه الله ولا اختصاص له بمكان واما التوجه الحسى فله قبلتان بيت المقدس والكعبة فبيت المقدس هو قبلة الانبياء والكعبة هى قبلة ابراهيم فجاء الاسراء الروحانى اولا تأسيسا للشرعة فى قوله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وجاء الاسراء الحسى منه لتتوجه ال بيت المقدس ثم الى السماء ثم بالرجوع الى العكبة تأسيسا للشريعة فى التوجه الحسى فى الصلاة اولا لبيت القدس ثم الى السماء فى قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء ثم بالرجوع الى قبله مكة فى قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام

اشارة لما كان توجه ليلة الا سراء الى مكة بعد خروجه من حضرة القرب فى التلقى الى حضرة القرب فى التبليغ جاء التشريع فى التوجه الى الكعبة على وفق المناسبة فقال فيه ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ومن هذا يفهم السر فى قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك الى قوله وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق وهذا المخرج للدعوى والتبليغ هو المخرج الذى ورثه عنه امته فى قوله كنتم خير امة اخرجت للناس الآية

تنبيه قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اياك ان تفهم ان ذلك مشعر بتحديد فى القرب او تخصيص فى جهة وانما هو دنو تجل وكشف لانه ذكره فى قصة الاسراء بالروح الا ترى قوله تعالى بعده ماكذب الفؤاد ماراى ثم ذكر بعده الاسراء الحسى ولقد رآه نزلة أخرى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فاذا علم انه دنو تجل روحانى وكشف عرفانى فهمت سر قوله وهو بالافق الاعلى من قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق فكان افقه فى الرؤية وبيان الحق هو الافق الاعلى

ثم دنى عن الافق الاعلى فى نعيم الرؤية وفى بيان الحق فكان قاب قوسين اى قدر قوسين والقوس فى اللغة يستعمل للذراع وما يقدر ويقاس به وهو المراد هنا وهو فى قوله فى الصحيح انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكرنى الحديث وفيه فان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وليس المراد فيه ذراع حسى محدود وانما المراد تمثيل التقريب لدنو الذاكر من المذكور فى مجالس النجوى والذكر والتجلى سر المعية للقلب واوفى الرتب فى ذلك تحقق القلب لسر سبحان الله والحمدلله وكذلك كان صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء واذا اردت التحقق لذلك فخذه من افتتاح سورة الاسراء بسبحان الله واختتامها بقوله وقل الحمدلله ثم نبه على انتفاء التقدير فى دنوه بقوله او ادنى وهو التحقق بالتوحيد فى نعيم الرؤية للآيه الكبرى وهى لااله الا الله ولذلك وصفه بقوله فى آخر السورة وقل الحمدلله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له الى قوله وكبره تكبيرا تحقيقا لقوله وما بينهم وبين النظر الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن كما قدمنا .

ايضاح اذا اردت ان تفهم سر التدلى فى قوله فتدلى فتأمل ماروا ابو عيسى الترمذى من حديث العنان وفيه ذكر الارضين السبع وان بين كل ارض كما بين السماء والارض ثم قال عليه السلام والذى نفسى بيده لودلى احدكم بحبل لوقع على الله فنبه صلى الله عليه وسلم على عدم تحيزه فى السماء وانه ليس مختصا بجهة ثانيه على ذلك قوله تعالى ثم دنا فتدلى فان الاسراء كان للعلو فى المنزلة وربما توهم المحجوبون ان الدنو فى قوله دنا زيادة للعلو فنبه بقوله فتدلى على ان قربه قاب قوسين كان ثمرة التدلى المشعرة بالتنزيل وانه تعالى لايختص قربه بجهة العلو بل التدلى اليه بالخضوع اقرب تحقيقا لقوله واسجد واقترب وفى الصحيح اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد

تبصرة قوله لودلى احدكم بحبل لوقع على الله مؤول باحاطته سبحانه بكل شى وقد اولها المتصوفة بتأويلين احدهما ان المراد بالحبل حبل الوريد وهو الحديث النفسى والنور العقلى فلو دلى المتفكر حبلا بشعاع عقله الى منتهى المخلوقات السفلية لوقع فى كل حضرة من حضرات مدركاته على الله لانه اقرب اليه من كل شئ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد . الثانى ان المراد بالحبل حبل الله المتين وكتابه المبين فمن تمسك به شهد سر تنزله على

اراضى القلوب ووقوع حبل اشـعته على الله فيها لان القلب بيت الرب فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لوتعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتـاب مكنون الى قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون

تبصرة اذا اردت زيادة التبصر بان الاسراء وعروج الملائكة ورفع عيسى لايدل على ان الله مخصوص بجهة السماء فاعتبر فرض الحج على العبـاد الى البيت الحرام وامرالله للناس بالتوجه من جميع الجهات وجعل سكانه جيران الله وحجاجه ووفده وضيفانه مع ان نسبة البيت وغيره الى الله سبحانه باعتبار المسـافة نسبة واحدة فعلم ان القصد بالسـير الى البيت ليس مقصودا لان السير يقتضى القرب والوصول اليه بالمكان وانما لله تعبـدات واسرار فى ضمن مشروعات يقتضيهـا من من عباده لحكمة ظاهرة وخفية الاتراه كيف ناجى موسى بالواد المقدس واسمعه كلامه من الشـجرة ووصفه بالقرب الى مجلس حضرته ونجواه مع الاتفاق على انه تعالى لايختص بالواد المقدس ولايحل كلامه وهو صفته بالشجرة وان موسى قرب اليه مع كونه بالارض وسمع نداءه من جانب الطور ولم يكن ربه بجـانب الطور وانما لتجلياته مظاهر وحجب روحيه وجسميه لايشهدها الامن فتق الله رتق قلبه وفلق اصباح ليله ونور مصباح مشكاته بزيت شـجرة توحيده ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور

تشكيك قديرد على ذلك نحو قوله اامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض وقوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وامثال ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم للجاريه اين الله فقالت فى السماء قال اعتقها فأنها مؤمنه والجواب اناقدقررنا ان تجلياته تعالى باسمائه وصفاته محيطة بدوائر السموات والارض وان لها فى تصرفها وسائط سفليه منسوبه للعباد ووسائط علويه منسوبه له فاطلق على نفسه انه فى السماء باعتبار الوسائط ومظاهر تجلياته العلويه وانه فى الارض باعتبار المظاهر والوسائط السفليه وهو الله فى السماء اله وفى الارض اله وقال لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاذا كان المقصود بالسـياق تحذير اهل الارض وتفخيم الارجاء بالتعبير من السماء فان مظاهر السماويه هى القائمة بالتصرفات الغيبيه المنسوبه اليه كما قررناه واما تنزل التدبير وعروجـه فهو عروج روحانى وسر رحمانى وكشف عرفانى وسيأتى له مزيد بيان بعد ذكر مسألة الاستواء . واما تقرير الجاريه على ان الله فى السماء ووصفها بانها مؤمنه فالحق ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعتمد فى ايمانها

وتقريرها ظاهر لفظها فان لفظها ليس مفيد التوحيد الله لا على مذهب القائلين بالجهة ولا على غيرهم اما عند من لايثبت الجهة فواضح واما عند مثبت الجهة فلانهم يوافقون على انه قد عبدت الملائكة والشمس والكواكب وهى فى السماء وليس فى لفظها ما يخرج هؤلاء عن الالهية ولا مايقتضى وصفها بالايمان واقرب احتمال فى ذلك ان الجارية اشرق لبصيرتها نور التوحيد فى آفاق السموات تحقيقا لقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق الآية فلما قال لها اين الله فقالت فى السماء اى ظهور نور توحيده فى السماء قال اعتقها فانها مؤمنة وتحقيق ذلك كونه لم يقل فانها مسلمة فدل على ان اعتماد النبى صلى الله عليه وسلم فى تقريرها كان على امر شهده منها يرجع الى قلبها لا الى لفظها مع احتمال لفظها له فلذلك اقرها عليه .

الاستواء

ومن الآيات المتشابهات آيات الاستواء والاحاديث الواردة فيه ومرجعها عند المحققين الى الآيات المحكمات واول ما ينبغى تقديمه معنى الاستواء لغة واصله افتعال من السواء والسواء فى اللغة العدل والوسط وله وجوه فى الاستعمال ترجع الى ذلك منها استوى بمعنى اقبل نقله الهروى عن الفراء قال العرب يقولون استوى الى يخاصمنى اى اقبل على الثانى بمعنى قصد قاله الهروى الثالث بمعنى استولى . الرابع بمعنى اعتدل الخامس بمعنى استقام السادس بمعنى علا قال الشاعر .

ولما علونا واستوينا عليهم　　　تركناهم صرعى لنسر وكاسر

قاله الحسن بن سهل اذا علم اصل الوضع وتصاريف الاستعمال فنزل على ذلك الاستواء المنسوب الى ربنا سبحانه وتعالى وقد فسره الهروى بالقصد وفسره ابن عرفة بالاقبال كما نقل عن الفراء وفسره بعضهم بالاستيلاء وانكره ابن الاعرابى وقال العرب لايقولون استولى الا لمن له مضاد وفيما قاله نظر لان الاستيلاء من الولى وهو القرب او من الولاية وكلاهما لايقتضى اطلاقه لمضاد و نقل الحسن بن سهل عن ابن عباس انه فسر قوله ثم استوى الى السماء فقال علا امره وهذه التفاسير كلها محتملة وهى على وفق اللغة واما استوى بمعنى استقر ومنه قوله تعالى واستوت على الجودى وقوله لتستووا على ظهوره الآية فلايليق نسبة مثله الى استواء ربنا تعالى على العرش مع اننا نقول قد علمت اصل اشتقاق الاستواء ولامدخل فيه لمعنى الاستقرار وانما الحق ان معنى استوى على الدابة جاء على الاصل ويكون معناه اعتدل وعلا عليها و الاستقرار من لازم ذلك بحسب خصوصية المحل

وحينئذ فلا يصح نسبة مثله اليه تعالى لاستحالته فى حقه وعدم وضع اللفظ له وقد ثبت عن الامام مالك انه سئل عن الاستواء قال كيف غير معقول والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فقوله كيف غير معقول اى كيف من صفات الحوادث وكل ماكان من صفات الحوادث فاثباته فى صفاته تعالى ينافى مايقتضيه العقل فيجزم بنفيه عن الله تعالى وقوله والاستواء غير مجهول اى انه معلوم المعنى عند اهل اللغة والايمان به واجب على الوجه اللائق به تعالى لانه من الايمان به وبكتبه والسؤال عنه بدعة اى حادث لان الصحابة كانوا عالمين بمعناه اللائق بحسب اللغة فلم يحتاجوا للسؤال عنه فلما جاء من لم يحفظ اوضاع لغتهم ولا له نور كنورهم يهديه لنور صفات ربه شرع يسال عن ذلك فكان سؤاله سببا لاشتباهه على الناس وزيغهم عن المراد ووجب على العلماء حينئذ الا يهملوا البيان قال الله تعالى واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولابد فى ايضاح البيان من زيادة فنقول قد قررنا استوى افتعل من السواء واصله العدل وحقيقه الاستواء المنسوب الى ربنا تعالى فى كتابه بمعنى اعتدل اى اقام العدل واصله من قوله تعالى شهد الله ان لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط والعدل هو استواؤه ويرجع معناه الى انه اعطى بعزته كل شى خلقه موزونا بحكمته للتعرف الى خلقه بوحدانيته ولذلك قرنه بقوله لا اله الا هو العزيز الحكيم والاستواء المذكور فى كتابه استواءان استواء سماوى واستواء عرشى فالاول يعدى بالى قال تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وقوله ثم استوى الى السماء وهى دخان ومعناه والله اعلم اعتدل اى قام بقسطه وتسويته الى السماء فسواهن سبع سموات ونبه على ان استواءه هذا هو قيامه بميزان الحكمة وتسويته بقوله اولا عن الارض وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين وبقوله آخرا ذلك تقدير العزيز العليم واما الاستواء العرشى فهو انه تعالى قام بالقسط معترفا بوحدانيته فى عالمين عالم الخلق وعالم الامر وهو عالم التدبير الا له الخلق والامر فكان استواؤه للتدبير بعد انتهاء عالم الخلق لقوله الله الذى خلق السموات وارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر مامن شفيع الا من بعد اذنه وبهذا تم سر تعدية الاستواء العرشى بعلى لان التدبير للامر لابد فيه من استعلاء واستيلاء .

اعتبار . اعتبر بعد فهم هذا قوله تعالى فى خطابه لنبيه يايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك واعتبر بما اثمرته هذه الآية من التسوية والتعديل بقوله عنه ليله الاسراء ذومرة فاستوى وهو بالافق الاعلى مع قوله صلى الله عليه وسلم بلغت الى مستوى اسمع فيه صريف الاقلام ومن المعلوم ان القلم انما يجرى بالقدر كما ثبت فى حديث عبادة ابن الصامت ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال وما اكتب قال اكتب القدر ثم ما كان وماهو كائن الى الابد وبهذا الاعتبار تعلم ان الاستواء عبارة عما قررناه لك من قيامه بالقسط وتقدير المقادير فى عالم خلقه وعالم امره .

النزول الى سماء الدنيا

ومن الاحاديث المتشابهة احاديث نزوله سبحانه كل ليلة الى سماء الدنيا وهو لاينافى ما ذكرناه ولا يستلزم اثبات الجهة ولا اتصافه تعالى بالحركة والنقلة فان ذلك محال كما ثبت فى كتب الكلام ومقصدنا الآن ان نخرج صفة النزول على ما يوافق القواعد التى مهدناها فى صفاته سبحانه وقد اول بعضهم نزوله بنزول علمه وقدرته ونحوه وهو غير متجه فان علمه وقدرته وصفاته ان اريد بنزولها نفسها فهو محال لان الصفة قائمة بالموصوف فاذا لم يجز لموصوفها النزول فصفته اولى واحرى وان اريد بنزولها تعلقها بما فى سماء الدنيا فتعلق علمه وقدرته بالموجودات كلها لم يزل ولا يزال فكيف يخصص بجزء من الليل اوغيره. هذا مع القطع بانه سبحانه و تعالى يمسك السموات والارض ان تزولا فمن قبضته لا تزال محيطة بالسموات كلها والارضين كلها كيف يحتاج الى النزول اليها او يختص تعلق قدرته وعلمه بها بزمان دون غيره وانما الجارى على القواعد والآيات المحكمة قدنبه الله فى كتابه بمثلين مثل منك ومثل خارج عنك الاول قوله تعالى الله نور السموات و الارض الآية ومن المعلوم ان النور اذا اجمل محيطابدوائر شفافة بعضها محيط ببعض فأول ما يظهراثره فى ادناها اليه واوسعها دائرة فيراه اهلها ثم ينفذ شعاعه الى الثانيه ويظهر فيه على حسب صفاه ثم هكذا الى ثالثه ورابعه و . . . وكل فى كان من دائرة منها يرى النور قد نزل الى دائرته وهو نزول ظهور وتجل لا نزول حركة ونقلة فعلى مثل هذا خرج صفة نزوله سبحانه مع تنزيهه عن تفاوت نسب دوائر الافلاك اليه وعن بعده عن بعض وقربه من بعض

بل هو اقرب الى كل شئ من نفسه ولا بدلك حينئذ من مراجعه ماتقدم فى الاستواء على العرش فتعلم ان صفة النزول من لوازم صفة الاستواء وقد تقدم ان صفة الاستواء هو قيامه فى عالم الامر بسر التدبير فنزوله حينئذ هو نزول روح الامر بسر التدبير من حضرة الاستواء وهو العرش الى سائر دوائر الكائنات لحكمة التعرف قال الله تعالى ثم استوى على العرش. يدبر الامر وقال الله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن ثم بين ان ذلك التنزل لحكمة التعرف بقوله لتعلموا ان الله على كل شى قدير وان الله قداحاط بكل شى علما .

تنبيه انما نسب النزول اليه سبحانه لان روح الامر هو مظهر نور التوحيد قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لااله الا انا فاتقون وقد بينا ان نور توحيده هو وجهه سبحانه فلهذا جعل نزول روح امره بمثابة نزوله ومعرفتها بمثابة معرفته لان من عرف نفسه عرف ربه

تبصرة اذا علمت معنى نزوله فى العالم الاكبر فاعتبر بذلك استواءه ونزوله فى العالم الانسانى وهو العالم الاصغر كما سيأتى بيانه المثل الثانى قوله تعالى تبارك الذى بيده الملك الى قوله حسير فلا تعتقد ان المراد ان ترجع بصرك فى طباق السموات فان الله يعلم انك لايدرك بصرك ذلك لضعفه وشدة البعد وتأمل قوله تعالى ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت اى ان الرحمن خلقك وخلق السموات قال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الآية فكما خلق السموات خلق فيك امثلة لها لاتفاوت بين تلك الامثلة وبينها فارجع بصرك فى تلك الامثلة تعلم انه سبحانه ضرب قلبك لنفسه مثلا وذلك ان قلبك هو صاحب دوائر اطوارك وله فى استوئه عالمان عالم خلق وهو عالم حسك وعالم حق وهو عالم غيبك فاذا اراد تدبير عالم الحس تنزل بروح امره وهو نور البصر ومن المعلوم عند علماء التشريح ان للروح الباصر سبع طباق يتنزل منها الى ان يصل الى عالم الحس وانت اذا اعتبرت ذلك حكمت بسببه ان نزوله سبحانه منزه عن النقلة والحركة الاترى ان القلب يدرك بالبصر ويدرك به البصر الشئ البعيد حسا فى آن واحد من غير تنقل ولاخطور فى طباقه ينفذ من بعضها لبعض بلاتراخ ولامهلة فى تنزله ورجوعه اليه ولاتفاوت فى نسبته اليها وقد قال المحققون من اهل النظر ان العين مرآة القلب اى من نظر الى عين رجل رأى

منها حقيقة قلبه ولتحقق الباصر بالقلب اشتبه على كثير من العقلاء فاعتقدوا ان البصر ليس حسا مغايرا للقلب وكذا باقى الحواس بل هى بمثابة الشبابيك والقلب هو المدرك منها لما فى عالم الحس وهذا كله يكشف لك سر نسبة النزول الى ربنا سبحانه بنزول روح امره وكونه من اكبر آيات توحيده

تذكرة فى الحديث مامن مسلم يسلم على الا رد الله على روحى لارد عليه سلامه وقد نبهت على الاشكال المتعلق بهذا وعلى جوابه فى كتاب الامالى والقصد بذكره هاهنا مناسبته لما نحن فيه فان للعبد مع الله حالين حالا يجمع روحه عليه تحقيقا لتوحيده وتكميلا لشهوده وحالا يرد روحه اليه هداية لخلقه وتوفية لحقه وهذا الجمع والرد من الاسرار الالهية نبه به النبى صلى الله عليه وسلم على ان حالته فى مماته كحالته فى حياته لايزال بروحه عند الله واذا سلم عليه مسلم اوجاءه زائر رد الله اليه روحه كما كان يردها فى حياته وفيما ذكرناه من الروح الباصر كشف لحقيقة ذلك فانه مامن نفس الا ويجمع فيها الروح الباصر الى القلب مؤديا اليه مايراه فى عالم الحس ثم يرد الى العين من غير شعور بنقلة ولا كيفية ولا زمان فلو حلف حالف ان روحه الباصر مازايل قلبه لم يحنث ولو حلف حالف انه مازايل عينه لم يحنث كذلك ولا يلزم من رد روحه اليه لرد سلام المسلم عليه ان لاتكون باقية عند ربها ولا يلزم من بقاءها عنده الا تكون مردودة الى نبيه والله اعلم

تبصرة اذا سمعت بنزول ربنا كل ليلة الحديث فلا تفهم منه النزول الى عالم الحس واعتبر بذلك نزوله سبحانه بروح ذكره الى سماء قلبك الا تراه كيف نبهك على هذا بقوله فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا الآية ثم قال بعده الله الذى خلق سبع سموات الآية فبدأ بآية نزول ذكره قبل آية نزول امره تنبيها على الاهتمام بالاولى وقال فى الاول ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور وقال فى الثانى لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وذلك يقتضى ان نزوله بروح الذكر يثمر النور والهداية وان الله يتولى اخراج العبد من الظلمة ولا يكله الى نفسه وان نزوله بروح الامر يثمر الدلالة والتكليف بالعلم

تنبيه اختصاص نزوله بالثلث الاخير من الليل له تأويلان الاول لان الليل محل النوم وتوفى الانفس ورقيها الى الله وقد ذكر ارباب العلم الطبيعى ان النوم المعتبر فى صلاح البدن ثمان ساعات وهى ثلثا الليل فاقتضت حكمة الربوبية تخصيص النزول

بالثلث الاخير رحمة للعباد وتاطفا بهم حتى يكونوا قد تيقظوا وتأهبوا القبول مايتنزل على قلوبهم من بركات نزوله سبحانه.التأويل الثانى ذهب اليه علماء الباطن فقالوا ان الحجاب هو ليل القلوب وهو ناشئ من نوم القلب وفى الحديث يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم اذا نام ثلاث عقد فاذا قام فذكر الله انحلت عقدتان فاذا صلى انحلت ثلاث عقد فالانسان اذا نام قلبه عقد الشيطان فاذا استيقظ فذهب فذكر الله انحلت عقدة فذهب ثلث ليله فاذا توضأ انحلت عقدتان فذهب ثلثا ليله و وضوءه استغفاره قال الله تعالى فى قصة نوح فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا فاذا صلى فصلاته فى ثلث ليل الحجاب الآخر وهى العقدة الثالثة وهناك يكون نزول روح الذكر عليه فتحل عقده كلها ويكشف له عن حقيقة ان الصلاة صلة بين العبد وبين ربه وعلامة ليل الوصلة كشف الحجاب والتلذذ بروح الخطاب

صفة المجئ

ومن المتشابه صفة مجيئه سبحانه وتعالى واتيانه فى نحو قوله تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة اويأتى ربك . وجاء ربك والملائكة صفا صفاً وهو ايضا يرجع الى معنى المحكم ولاينافيه لان من المحكم قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا فاذا رددت اليه قوله وجاء ربك والملائكة صفا صفا علمت انه يتجلى بوحدانيته فى الروح وان المجئ للروح ونسب اليه كما نسب نزول الروح اليه لتجليه فيه ويحققه ان الروح من عالم الامر وقد قال تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة اويأتى ربك وقد تقدم ذكر آياته فى ظلل من الغمام فلاحاجة لاعادته

تحقيق اذ اعلم ان الروح فى قوله يوم يقوم الروح هو روح القدس المحمدى الجامع لحقائق الصفات فى عالم الامر استواء ونزولا ومجيئا واتيانا وهو صاحب التجلى بنور التوحيد فى مظاهر السموات والارض و فى ظلل اغمام الشرائع وصور الاعمال كما تقدم وهو صاحب تنبيه الرحم الايمانية والنسب المحمدى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كل نسب منقطع يوم القيامة الا نسبى وبدليل قول الله له يوم القيامة من وصلك وصلته ومن قطعك بتته

تنبيه هذه هى الرحم التى اشتق لها اسم من اسمه الرحمن صاحب الاسماء الحسنى فى قوله تعالى قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن اياماتدعو فله الاسماء الحسنى واليها مرجعه

واشتقاقه منها على حسب صلته للرحم الايمانية المحمدية وعلامة صلته لها صدق مودته لاخوانه المؤمنين وقوة الفه بهم والجماعة عليهم وعلامة قطعه لها مفارقته لهم واليه الاشارة بقوله ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا مع قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ فانظر بسبب التفرق كيف قطع نسبه المحمدى بقوله لست منهم فى شئ ونبه على انهم قد قطعوا عن الله بقوله لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ فتحقق بذلك قوله من قطعك بتته

اشارة وصلة الروح للروح المحمديه والرحم الايمانيـة وسجودها على حسب مافطرت فى اصل منشأها واستمدادها من نور التوحيد فمن قام بحق التوحيد فهو احق بها وهو صاحب نسب والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها

صفة الحب

ومن الصفات المتشابهة صفة الحب وقد نسب فى الكتاب الى الله تعالى بقوله يحبهم ويحبونه وبقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وكذلك فى السنة فى احاديث وقد اختلف علماء الظاهر والباطن فى تأويله والمعول عليه عندهم انه يرجع الى التعبير بالشئ عن ثمراته فحب العبد لله محبة ادامته لذكره واقامته لطاعته وحب الله للعبد اقباله بوجه احسانه ورحمته اليه وافاضة سوابغ نعمه وجوده عليه وهذا فيه تعطيل لحقيقة الوصف والذى حملهم على ذلك ان الحب فى الشاهد عبارة عن ميل القلب وهو مستحيل على الله لتعاليه عن الحوادث والتحقيق ان الحب يرجع حقيقته مطلقا الى سر روحانى يجمع الله به المتفرق ويوجد المتعدد وذلك ان الله نور السموات والارض فما من شئ من الكائنات الاوفيه سر من الواحد قائم به كما تقدم تحقيق ذلك . ومن المعلوم ان المخلوقات مختلفة من حيث الاسماء والصور ومراد الله منها ائتلافها فى الرجوع الى واحد واليه يرجع الامر كله وانما تأتلف الصور والاسماء المختلفة من حيث ذلك السر القائم بها من تجلى الواحد وليست كلها متساوية بل هى متفاوتة على حسب قابليتها لتجليه وقد جعل الله الحب سرا يكشف حجاب الاختلاف بالصورة والاسم عما قام بهما من السر المتفق فيأتلف السر مع السر بواسطة التعارف وفى الحديث الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتنا كرمنها اختلف فان حصل الكشف من الجانبين حصل التحاب من الجانبين يحبهم ويحبونه وان حصل من احد الجانبين اختص بالمحبة ولهذا تجد بعض الناس يحب من لايظهر عليه انه يحبه لان المحب كشف له عن

سر التوحيد المناسب له القائم بمحبوبه فالفه ولم يكشف لمحبوبه عن السر القائم بمحبه وجملة الامر ان لامحبوب فى الوجود الا الله ولقد احسن بعضهم فى التنبيه على ذلك اجمالا فقال فى محبوبه

شئ به يسبى القلوب سوى الذى　　يدعى الجمال وليس اعلم ماهو

وقال بعضهم

البلبل ياصاح يشدو بغصن　　والارق تنوح يا ترى العشق لمن

والكون جميعه غرام وشجا　　شابا شك يا من الكل فتن

فقد ظهر لك ان الحب سر يكشف حجاب الحوادث عن اسرار التوحيد فيجتمع متفرقها و يتحد متعددها ومن توهم انه الميل والارادة او بعض الآثار الحادثة التى يجدها المحب فليس على حقيقة من امره وانما التبس عليه الاعراض المتعلقه عن الحب بالحب واعلم انه لايطلق على العبد انه يحب الله الا اذا كشف له سر التوحيد مجردا من الحوادث فاحبه واما اذا احب السر متوهما انه احب مظهره من الحوادث فلا وبهذا حصل الالتباس فى حقيقة الحب فى اطلاقه على غير الله وفى صحة اطلاقه على الله

تنبيه قولنا لايصدق حب الله الا بالكشف عن سر التوحيد مجردا عن الحوادث مجمل له تفصيل وهو ان كشف تجريده تارة يكون عيانا وتارة يكون ايمانا فالعيان كما لابراهيم صلى الله عليه وسلم حيث توجه اليه فى الكواكب ثم فى القمر ثم فى الشمس ثم توجه اليه مجردا فقال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الآية ونبه على تجريد حبه عن الحوادث بقوله لا احب الآفلين والايمان بحال من اخبره الصادق ان السر فى هذا المظهر فنشأله بنور التصديق الايمان حيث كشف له عن ذلك السر كشفا ايمانيا ومنه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فنبه على ان سر التوحيد المأذون فى محبته له مظهر وهو ظلة غمام شريعته و اتباعه فيها يستلزم اتصافهم بها وهو بمثابة تعرض المحب للمواطن التى يظهر له فيها محبوبه ومن شأن التعرض لمواطن الحبيب ان يراقب وجه محبوبه عند تجليه فيها فلهذا امر العبد بالمراقبة فى قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

تبصرة . ومن هذا قوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ونحوه من الآيات يتضمن الاخبار للعباد ان سر التوحيد الجامع مظهره محمد صلى الله عليه وسلم فمن احبه فقد احب الله فمن الاتباع من كشف له تجرد

ذلك السرعيانا تحال ابي بكرفي قوله بعد موته من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبدالله فان الله حي لايموت ومن الاتباع من حجب عن تجرده حتى اخبربه في قوله ولوانهم اذظلموا انفسهم جاءوك الى قوله لوجدوا الله توابا رحيما

تحقيق قوله لايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته الحديث فيه اسرار منها التنبيه على ان الحب سر تجميع المتفرق وتوحد المتعدد كما ذكرناه من كلام المحققين الحبيب انت الا انك غيره ومنها التنبيه على ان العبد تارة يكون محبا متقربا وتارة يكون محبوبا وترجع حقيقة التقسيم الى شهود العبد وحظه من تجلي قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فان شهد مامنه الى الله فتشهد رجوع الامر بسر التوحيد منه الى الله فهو محب وعلامته دوام ذكره وتوجهه بالقرب والنوافل وغلبة الشوق وان شهد مامن الله اليه فقد شهد بدء الامر من الله وتنزله بروح التوحيد اليه فهو محبوب وعلامته السكون ودوام المراقبة ومنها التنبيه على ان المحبوب قسمان قسم يفنى بمحبوبه وقسم يبقى به فنبه على حال الاول بقوله كنت سمعه و نبه على حال الثاني بقوله الذي يسمع به ونبه بهما على انه لابقاء الابعد فناء ومنه قوله تعالى ومارميت اذرميت فنبه على الفناء بقوله وما رميت وعلى البقاء بقوله اذرميت وعلى تحقق المحب بالحبيب بقوله ولكن الله رمى

دقيقة ومن ذلك قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى قوله انه هو السميع البصير الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم والسميع البصير هو الحبيب

الرضا والغضب

ومن المتشابه صفة الضحك والرضى والغضب وقدورد الرضا في السنة في احاديث وقداختلف اهل الحقائق في معنى الرضا في الشاهد وهل هو حال اومقام واياما كان فهو من مقولة الكيف الحادث وهو مستحيل على الله والضحك في الشاهد معروف وامتناعه على الله بالنسبة لذاته ضروري فلذلك كان من المتشابه ورجوعه الى المحكم بماقدمناه في الصورة فيكون ظهور الضحك في الصورة التي تجلى فيها ربنا على عبده ولا اشتباه في ذلك فان اصل الضحك عند الحكماء نشأ من اقبال القلب الى وجهة الصدر فينفعل لاقباله البدن بالكيفية التي تسمى ضحكا المناسبة للضحك المعتاد باقبال القلب ونسبة الضحك اليه كنسبة الصورة والوجه اليه بالمعنى الذي قدمناه و يتضاعف بذلك نعيم الرؤية للمؤمن و افاضة جوائز الكرم عليه وقد ثبت انه يلقى المؤمن اذامات بروح

وريحان ورب غير غضبان فانظر كيف جعل مظهر لقائه له الروح وفى الروح يظهر لذلك العبد رضاه وضحكه وعدم غضبه وحقق بقوله ورب غير غضبان ان الروح مظهر الربوبية وان العبد بلقائه الروح يلاقى ربه ولولا ذلك لاشكل على قواعد العربية لانه عطف الرب على الروح وشرك بينهما فى تعدى الفعل اليه بالباء على وجه تعديه للمعقول وذلك ينافى كون الرب فاعلا للقاء واذا انت خرجته على المعنى الذى ذكرناه لم يبق فيه اشكال والله اعلم



الهداية

—.(تصدو فى الاستانة . جمادى الاول سنة ١٣٣١).—

اسرار القرآن

(١)

الحافظ وكذا كتب لابى بكر عمرو بن حزم (ان انظر ماكان من حديث الرسول او سننه او حديث عمر او نحو هذا فاكتبه لى فانى خفت درس العلم وذهاب العلماء) اذا علمت ذلك ادركت ان الحديث لم يدون الا بعد مضى نحو مائة سنة من الهجرة النبوية وما كانت السنة قبل ذلك العهد الا ماكان يتناقله الاجيال شفاها ويتناوله الخلف عن السلف. فكيف لشئ من ذلك ان يبلغ منزلة القرآن الذى كان محفوظا فى الصدور مدونا فى المصاحف منذ عهد النبوة والخلفاء الراشدين لاسيما وليس من تلك الاحاديث ماروى متواترا سوى القليل النادر

ومما بنى عليه المتغالون فى تجويز القول بالنسخ دون تحرج ولا تقيد قوله تعالى (يمحو الله مايشاء ويثبت) وقد اوضحنا هذه الآية فى رسالة الاسلام دين الفطرة بما لم يبق معه شائبة غموض . ولقد يجمل

---

(١) هذا متمم لتفسير ماجاء فى صدر العدد الرابع من الآيات الكريمة

بناهنا ان نقتبس ماجاء لنا فى تلك الرسالة فدونك نصه

ولعلك تتطلع نفسك الى تفهم معنى المحو والاثبات هنا فنقول قبل ان نحقق لك معناها نذكر الآية بتمامها ليتجلى لك معناها .

قال تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية . وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله . لكل أجل كتاب . يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) انقسم اهل الكتاب على النبي (ص) فمنهم احزاب كانوا يفرحون بما انزل عليه من الاحكام . وكان فريق يستقبح ما كان يفعله المصطفى (ص) من التزوج والاكل والشرب ونحوها من اعمال الدنيا (وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق)

وكانوا كلما سألوا الرسول شيئا من الآيات الخارقة للعادة كاغاضة المياه ونقل الجبال واحياء الموتى لا يجيبهم الى شئ من مطالبهم واقتراحاتهم كما قدمنا فكانوا لذلك يستضعفونه وينزلون من شأنه ويعتبرونه عاجزا لا ينبغى له ان يدعى النبوة فرد الله على أولئك القوم وبين لهم ان تلك الاشياء لا تنافى الرسالة فى شئ فقال (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ـ كآدم وابراهيم وموسى وداود ـ وجعلنا لهم ازواجاوذرية) ثم بين ان التصرف فى الكون والاتيان بخوارق العادات ليس الا لله تعالى فقال (وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله) الذى هو خالق كل شئ فهو الذى يمحو مايشاء محوه ويثبت مايشاء اثباته طبقا لما سبق فى علمه القديم كما يدل عليه قوله (وعنده ام الكتاب) اذ معنى ام الكتاب اصله واصله هو العلم القديم الذى لا تتعلق قدرة ولا ارادة بشئ

الا طبقاله ،

وبالجملة انه لم يقصد من قوله تعالى يمحوالله مايشاء ويثبت الا مجرد تاكيد ما استفيد من قوله قبل ذلك (وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله) اﻫ .

ومما اسلفنا هنا يتبين لك انه لا علاقة بين هذه الآية وبين نسخ الاحكام اصلا .

والخلاصة

(١) ان النسخ معناه الغاء بعض الاحكام العملية غير المؤبده

(٢) ان النسخ جائز عقلا ثابت فعلا تقتضيه الحكمة والمصلحة

(٣) ان التوراة والانجيل تطرق اليهما النسخ من طريق القرآن الكريم بل وباحكام الحواريين وماهى بالاحكام الالهيه. وكذلك قد نسخ الانجيل بعض احكام التوراة

(٤) ان القرآن لم ينسخ من احكامه سوى القليل جدا كما بسطناه فى تعليقاتنا على الايات التى استمسك بها القائلون بالنسخ

(٥) ان القول بجواز نسخ القرآن تلاوة لاحكما قول من لا يفقهون

(٦) ان تجويز ان يكون بعض آى القرآن نسخ اعتمادا على مجرد ماروى من الاحاديث بالغة فى الصحة مابلغت قول المسرفين على انفسهم الجانين على قرآنهم ودينهم وهم لا يشعرون .

هذا مجمل قولنا فى النسخ فليتدبره المنصفون (١)

---

(١) اننا نتقبل من طلاب العلم المنصفين كل ما يقدمون لنا من المناقشة مما لايخرج عن دائرة المعقولات ولايتجاوز حدود آداب البحث

هذا ولنرجع بك الى تفسير الآيات الكريمة فنقول قد قص الله علينا فيما يقص من انباء اهل الكتاب ان كثيرا منهم ودوا لو استطاعوا ان يردوا المسلمين عن دينهم لا لانهم يجهلون معنى الاسلام ولا لانهم التبس الامر عليهم فلم يفرقوا بين الحق والباطل فقد تبين لهم الحق واضحا وفقهوا ما جاء به الاسلام من الكمال والهداية الى سعادتى الدارين. ولكنهم كانوا اهل الكتاب والدرس ومصدر الحكمة والرأى فعز عليهم ان يقتفوا اثر رجل عرف قبل البعثة بالجهل والامية حسدا من عند انفسهم وحرصا على ما احرزوه من الجاه والمكانة بين العرب ان يسوى الاسلام بينهم وبين غيرهم فلا يمتازوا اذا عن احد سواهم الا بالعافية والتقوى

صدفهم عن المسلمين رغبتهم ان تزول نعمة الله وهى الاسلام عن هؤلاء الموحدين . ولكم بيتوا ودبروا وتآمروا ولكن القرآن الكريم كان يكشف مستور مكرهم فوقى الاسلام والمسلمين شر كيدهم .

وقد امر المسلمون بآية (فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره) ان يقابلوا اذاهم بالعفو وكيدهم بالصفح حتى يأتى الله بامره وقضائه الفصل فيهم وما كان ليعجزه يوماما امرهم وهو القدير على كل شئ

ومن عرف ما يأتى الحاسدون من ضروب المكايد وصنوف الاذى فهم اجمالا مبلغ ما كان يفعل اهل الكتاب مع المسلمين ورسولهم الامين صلوات الله عليه بعد اذ اخذ الحسد بمجامع قلوبهم وضاعف الحقد غلة

صدروهم . وكتب السير والتاريخ مملوءة بالحوادث والعبر والامثال الشارحة لذلك. ومن شاء فبين ايدينا من نتائج الحسد وسيئاته الشيء الكثير .

اذا كان الحاسد هو الذي يتمنى ان تزول النعمة عن غيره فماذا عسى ان يكون حال الحاسد وماذا عسى ان يفعل ؛

يكره الحاسد ان يتقلب محسوده فى شيء من نعم الله تعالى فاذا رآه وجيها او ذامال اومشهورا بعلم او فضل حرق انيابه عليه غيظا وحقدا فلا يرضى حتى يزول عن المحسود ماهوفيه من بركة وخير .

ومن الجلي ان مبعث اعمال الجوارح هومايقوم بالنفس من الانفعالات والاهتياجات. فاذا اهتاجت النفس بداع من دواعي السرور اوالحزن او الارتياح او الغضب فان تلك السورة النفسية قد تدفع الجوارح والاعضاء الى اكتساب ما ترغب فيه تلك النفس المنفعله ولايقعد بالانسان للنفعلة نفسه عن اجابة مطالب حركة مجموعته العصبية الاحد امرين اما التفكر فى عواقب ما يجترحه اوالايقان بادىء الرأى بعجزه عن شفاء نفسه وارضاء شهوة غضبه .

فاذا كان الانسان عصبي المزاج سريع التأثر كانت حالته العصبية هذه خليقة ان تدفعه الى استخدام جوارحه فيما يقتضيه اهتياج نفسه وسورتها قبل ان يجد عقله الزمن الكافى للتفكر وزنة ماياتيه من الاعمال . ولهذا نجد سراع الرضا سراع الغضب سراع الندم سراع كل حركة تقريبا. ذلك لان الانسان بمقدار تنبه مجموعته العصبية وحركتها تكون حركة جوارحه

وسرعة اعماله. فما الجوارح والاعضاء الا مظاهر تلك الآثار التى تقوم بالنفس متولدة من تلك الانفعالات والاهتياجات. ولهذا كان لابد من التسامح واللين فى معاملة اصحاب الامزجة العصبية الذين قد تبدر منهم البوادر القولية او العملية غير مقرونة بالارادة والاختيار ولا مسبوقة بالتفكر والاعتبار. ومن هنا كان طلاق الاغلاق الذى ينطق به الانسان فى غضب مطبق لا يقع شرعا.

ولنرجع الى الكلام فيما كنا بصدده فنقول ان الحاسد كلما رأى المحسود فى شيء من العيش الرغد او المنزلة العالية مثلا تأكل صدره عليه حقدا وغلا. وكيما تتخلص نفس الحاسد من آلامها وسورة نكدها تدفع الجوارح والاعضاء الى عمل كل ما من شأنه ايقاع الاذى بالمحسود وتجريده من الحلة والميزة التى كانت مبعث نكده وآلامه.

فاذا كان مبعث الحسد ما للمحسود من الشهرة ونباهة الذكر يأخذ الحاسد يشهر بالمحسود ويخلق له من السوءات والمثالب ما يحاول به اطفاء نوره وطمس آثاره. ولقد يتوهم بعض الحساد نباهة شأن بعض الناس وانتشار آثار فضلهم فى الآفاق على انهم لم يكونوا فى الواقع كذلك فيدفعه حسده الى الخوض فى امرهم ونشر المفتريات عليهم ومحاولة هدم رفيع ذكرهم الموهوم فينبه اليهم بذلك الافكار وينشر ذكرهم فى كل مكان وبذلك ينفعهم من حيث اراد ايذاءهم ويعرفهم من حيث يريد تنكيرهم ومن هذا المعنى قول الشاعر.

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود

وقد يكون مبعث الحسد ماللمحسود من المال الموفور والضيع والعقار مظاهر النعيم والترف فهنالك لاتهدأ نفس الحاسد ولا تقر عينه حتى ويصبح المحسود فقيرا مهينا .

وقد علمنا مما اسلفنا ان الجوارح خاضعة منقادة لحكم الانفعالات النفسية فاذا كانت قرة عين الحاسد ان يرى محسوده مسلوب النعمة التى يتقلب فيها فانه بالطبع لايفتأ يأتى من المكايد والدسائس ما يبلغه غايته التى يرمى اليها ابتغاء تخليص نفسه من عذاب حقدها وآلام حسدها.

ولا يخفى على البصير ان منشأ اكثر ماتراه من المكايد التى يدبرها الناس بعضهم لبعض انما هو الحسد الذى تحمله صدورهم بعضهم لبعض .

ومن آثار الحسد على الثراء والنعيم مايرى بينا لفلاحين والزراع واصحاب الحقول والبساتين من المكايد فان الحسد هو مصدر ماتراه من قتل البهائم واقتلاع النجوم والاشجار واحراق الجرائن وتصيد بعض الاغنياء غيلة . وكذلك هو مصدر ماتراه من التزوير والاحتيال والتلفيق والمخاصمات الى نحو هذا مما يفعله الحاسد لالغرض سوى حرمان المحسود من النعيم وايرائه من غناه فقرا ومن راحته عناء ومن مجده ذلة ومسكنه .

ومن مظاهر الحسد ايضا ما يشاهد بين خدام الحكومات وحواشى السلاطين والامراء فان الحاسد قد يدفعه وجده على المحسود الى التنقيب عن سؤاته وتأثر حركاته وسكناته فلايقر له قرار حتى يجدله اويفترى عليه ماينزله عن مرتبته ويقطع به اسباب الرقى والرفعه. وكم رأينا فى دواوين

الحكومات من امثال هؤلاء من لا يطيب لهم عيش ولا تطمئن لهم نفس حتى يجدوا لمحسوديهم من النقائص والمثالب معاول يهدمون بها آمال هؤلاء ومدى يقطعون بها حبال رجائهم .

وبالجملة ان أكثر ما نراه فى الدنيا من المكايد والشرور والمخاصمات والنوازل المحزنة انما مصدره الحسد . فالحسد كما ترى مصدر للكبائر والآثام والجرائم. والحاسد خليق ان يستعاذ منه وان يسال الله العافية من كيده وشره . وهذا هو سر ماجاء فى سورة الفلق من أمر الله تعالى الرسول (ص) أن يستعيذ به (من شر حاسد اذا حسد) فقد علمت مما ضربنا لك من الامثال ما يفعل الحاسد بالمحسود وما يجلب له من الضرر والاذى .

اما أثر الحسد فى صاحبه فيكفى منه ما يصيبه من النكد والالم وضيق الصدر كلما ابصر او ذكر ما للمحسود من النعمة. فالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله

وحسب الحاسد مقتا وغضبا انه غير راض عما قسم الله لعباده ناقم من الله تعالى اختصاصه من شاء بما شاء من فيض احسانه (أهم يقسمون رحمة ربك؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فحسد الحاسد انما هو اعتراض على الله فى تصرفه فى ملكه وتقسيمه لرحمته

ثم ان الحاسد فوق هذا كله ثقيل المجلس ممقوت الطلعة يستقبله الناس بنفوس متقززه. وصدور منقبضه .

وخلاصة القول ان الحاسد ممقوت عند الله ممقوت عند الناس

كثير الحزن والنكد كثير الشقاء والنصب

(العلاج) على من يبتلى والعياذبالله بهذا المرض البشع ان يعتقد ان الاولى له ان يريح ويرتاح . واذا كان كل همه مما يجلبه على المحسود من الشرور والمضار ان يريح نفسه من الآلام التى ينتجها التفكر فيما فيه المحسود من النعمة وان يبتهج بان يراه يوماما دونه منزلة ونعمة فلم لا يلتمس ابتهاج نفسه وانتعاشها بالتفوق على المحسود من طريق اخرى تكون اقل عناء واوكد نجاحا واسلم عاقبة وابعد عن الشر والاضرار بالغير. اوما كان خيرا للحاسد ان يتفوق على المحسود لا بمحاولة الهبوط به الى حيث منزلة الحاسد السافلة ولكن بصعود هذا الحاسد الى مافوق منزلة المحسود مالا اوعلما اوجاها ؟ فاذا كان منشأ الحسد شغل المحسود لمنزلة رفيعة فليجتهد الحاسد فى ترويض نفسه وتهذيبها وتزويدها بما يؤهلها لبلوغ تلك المنزلة او تجاوزها

واذا كان مبعثه شهرة المحسود بالعلم والفضل فليكثر الحاسد من التحصيل والدرس والتنقيب والبحث حتى يحصل من العلم والفضل على ما يبرز فيه على محسوده

وان تولد الحسد مما للمحسود من المال الكثير والثروة الواسعة فليختر صناعة او حرفة ثم ليتقنها جد الاتقان فهنالك تدنو الدنيا منه خاضعة منقادة فليجمع منها اذذاك مايشاء.

اذ ليس من الصعب على الحاسد ان يستزيد من الصفات التى وجدت نفسه على المحسود من اجلها .

والخلاصة انه يجب على من اصيب بهـذا المرض الممقوت ان يريح نفسه من عناء التفكر فى نعمة المحسود وان يكفى المحسود شر ما يدبر له من المكايد وان يكفى هو نفسه سوء السمعة واثم ايذاء الغير . فاذا اتبع ما اسلفنا من النصائح فانه سعيش موفور العرض متنعش النفس متفوقا على محسوده بما يحرز من المزايا والفضائل.

فعلاج الانسان ما قد يصاب به من ذلك المرض على النحو الذى شرحناه يرفع من شأنه ويقوم من اعوجاجه ويهذب من نفسه ويحول بينه وبين ايقاع الاذى بغيره . اما اذا استهوته وساوس صدره ورضى بحالته المقبوحة السافله واكتفى بان يجتذب محسوده من رفعته ليهبط به الى حيث منزلته هو ومرتبته بما يدبر له من المكايد والمكر السيء وبما يفتح عليه من ابواب الشر وتسوئة السمعة فليعلم انه لا يبوء الا بالآثام ولا يربح غير الخسران ولا ينال عند الناس سوى الذل والهوان

وقد دلت الملاحظات والمشهودات على انه لا يقع التحاسد الا بين من يشتركون فى صناعة او حرفة او تجارة او فلاحة او علم او جاه

ويشهد لهذا اننا اذا عمدنا الى امتحان طائفة من الصناع فاننا لا نجد للحسد بينهم من اثر اذا ماتقاربت منزلتهم فى اتقان ما يصنعونه فان الصناعة المتقنة البعيدة عن الغش واللبس نافقة بنفسها مرغوب فيها

فالطائفة التى تتساوى او تتقارب مصنوعاتها جودة واتقانا لا تتخلق بينها اسباب التضاغن والتحاسد الا نادرا

وكذلك الشأن بين التجار الذين يبذلون موسوعاتهم فى ترويج سلعتهم واجتذاب المبتاعين الى حوانيتهم فيكثرون من الاعلان ويفتنون فى طرق التشويق والاستمالة بما يوجدون فى متاجرهم او حولها من الاضواء والالوان والنقوش والداعين والمنادين. فالذين يفعلون ذلك من التجار لا يكاد يوجد فيهم منبت صالح لنموشيء من هذا المرض الخبيث .

ومن الميسوران يرقب الانسان اصحاب المتاجر الكبيرة بل والصغيرة من الامريقيين والفرنجة الذين لا يفتأون يبتدعون من طرق التشويق والاستمالة حتى ليتصيدن السابلة عن بعد وهم سائرون لا يبتغون بيعا ولا شراء

فخير لأولئك المصابين بمرض الحسد ان يخففوا عن انفسهم اعباء النكد ويطفئوا عن صدورهم نيران الاحقاد والاضغان وان يقوا انفسهم عاقبة ما تقترف ايديهم من الجرائم والآثام فقد وصفنا لهم طريق العلاج الشافى . ولا يتوهمن ان ذلك لا يجديهم نفعا فحسبهم ان يعتبروا بما فيه غيرهم وان يعمدوا الى المنافسة الشريفة التى يربح من ورائها المتنافسون دون ان يأثم احدهم بايذاء آخر

واذا ما قدر لاحد المتنافسين شيء من الفشل والخيبة وهذا من الحوادث الشاذة فى الدنيا فحسبه اذ ذاك ان يذكر ان الدنيا حظوظ وان لذلك اسبابا خفيت عن فكره فلم يدركها ولو فعل لزحزح عن سبيل نجاحه وربحه كل عقبه. ثم ليروض نفسه بالقناعة وليحذرها عواقب مطاوعة

الهوى والانقياد لما يزينه شياطين الانس من ضروب الاذى (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

ولا ريب ان هذا هو مغزى قوله تعالى فى الآيات السابقة (١) (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله)

فالله تعالى يأمر المؤمنين وقد حسدهم اهل الكتاب على ما آتاهم الله من الفضل والعلم والحكمة وبما كتب لهم من التكاليف السياسية والانظمة التعاملية التى هى مقدمات الملك العظيم والسلطان الباهر و يامرهم ان يعفوا عن حاسد يهم وان يصبروا على أذاهم وان يأخذوا انفسهم بالترويض وكبح الشكيمة باقامة الصلاة التى تذكرهم بالله تعالى وتجذب قلوبهم الى العمل باوامره وتعاليمه وان يؤتوا الزكاة التى بها توفير عدد المسلمين وتقوية ضعفهم واكمال ما يلزم لهم فى درء الاذى عن دينهم وانفسهم من آلات القتال واسباب القوة وآساس السيطرة والشوكة واركان الحياة النبيلة السعيده . ثم اراد الله ان يمزق ماقديرين على قلوبهم من الوساوس والاوهام والظن بان مايقدمونه فى تلك السبيل من اموالهم انما هو لغو ضائع وهدر لا يثمر فقال جل شأنه (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) وكيف لكم ان ترتابوا فى حسن عاقبة العاملين بعد اذ يعدكم الله ذلك و (من اوفى بعهده من الله) ام كيف لكم ان تتوهموا ان تخفى عن اعينه ذرة مما تنفقون وما تعملون و (الله بما

(١) ارجع الجزء الرابع من المجلة حيث تجد الآيات التى نحن بصدد تفسيرها

تعملون بصير)

ومما لا ريب فيه انهما اهلك العالم الاسلامى ومزق شمله كل ممزق الا العدول عن اوامر الله تعالى والضن على اعلاء كلمته بما اغدق عليهم من خيره. فملك نواصيهم وازمة قلوبهم شح مطاع وهوى متبع.

لقد غلت ايديهم عن الانفاق فى سبيل الله فحقت عليهم كلمة العذاب والتهلكة ثم افحشوا فى الاساءة الى انفسهم فكرههم الله واعمى ابصارهم. ولو انهم عقلوا لكفاهم هاديا ونذيرا قوله تعالى (وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين) ولكن انى لنا ان يفهم المسلمون او يعملوا بشى من قرآنهم وتعاليم دينهم وهذه الآيات الكريمة ترشد المؤمنين الى مايجب عليهم فى ادوار ضعفهم من العمل وترينا انه اذا فتن المؤمنون فى دينهم اوابتلوا فى اموالهم وانفسهم وهم غير قادرين على مدافعة الاذى عن انفسهم واتقاء ما يشتد عليهم من الفتن بالقوة والقتال كان عليهم ان يغضوا الابصار عما يرونه من ظلمات الفتن ومظاهر الجور وان يقيموا الصلاة لينيبوا الى الله تعالى فلا يفتتنوا بالدنيا وزخارفها ولا يضنوا بارواحهم واموالهم على الله تعالى وليذكروا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة. وليستعينوا بمعبودهم الواحد رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فيستهدوه الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم بالتوفيق والعمل والحكمة والحزم فلم يضلوا عن سبيله

كذلك كان على المستضعفين من المؤمنين ان يؤدوا زكاة اموالهم

كيما يتمكنون بذلك من استكمال عدتهم وتقويم اعوجاجهم وتقوية شوكتهم واستجمام قوتهم والتأهب لحماية مصالحهم والذود عن حياضهم ودرء الاذى عن دينهم والانتقام ممن يعدون عليهم او يفتنونهم عن ملتهم

امر الله المؤمنين اذا استضعفوا بالصفح عن مؤذيهم من الامم (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاة) فلا ينبغى ان يسارعوا وهم ضعفاء الى الانتقام منهم ثائرين لانفسهم اوغاضبين لدينهم حتى يأتى الله بامره وهوا كثار جموعهم (١) فتقوى بذلك شوكتهم ويعز جانبهم وينبه شأنهم وهنالك لا يقيمون على الذل ولا يرضون بالضيم ولا يصطبرون على ان يروا دينهم منتهك الحرمة مستباح الحمى (٢) وما كان للمسلمين ان ييتئسوا اذ كانوا قليلى العدد مستضعفين خاملى الذكر مضطهدين فان الله على كل شئ قدير . ولقد صدقهم الله تعالى وعده اذ اكثر نفيرهم وضاعف قوتهم وايدهم بروحه فامكنهم من اعدائهم واورثهم الارض يتبوأون منها حيث يشاءون . وذلك اجرا لعاملين .

حسد اهل الكتاب المسلمين على ماوهبهم الله تعالى وودوا ان هؤلاء ينقلبون كفارا وما زالوا يزينون لهم الباطل ويحسنون لهم القبيح ويفترون على الله الكذب استدراجا لاولئك الضعفاء واغواءلهم عن دينهم فكانوا يحاولون اقناع هؤلاء بان الجنة مقصورة على من كانوا من اهل الكتاب يهودا

(١) فامر الله هنا معناه تكثيره سواد المسلمين من قولهم امرهم الله فامروا (بكسر ميم الاخير) اى اكثرهم فكثروا . ومن هذا قوله تعالى (واذ اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها اى اكثرنا عددهم (٢) ليس فى هذا من النسخ اثر اصلا

ونصارى فلا يدخلها فيما يزعمون احد من المسلمين(وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اونصارى)

ولقد كان اكثر المسلمين اميين لايكتبون ولا يقرأون فكانوا لاميتهم وجهالتهم يتوهمون ان مايسمعونه من اهل الكتاب ليس من مفترياتهم وتضليلاتهم المفتعلة وانما هى بعض آيات التوراة والانجيل يلوون بها السنتهم ليحسبها المؤمنون من الكتاب وما هى من الكتاب ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

ولماكانت العرب امةامية وكان اهل الكتاب هم اهل الدرس والنظر والجدل كان أولئك يتحاشون الخوض معهم فى شئ من الحديث لما وقر فى نفوسهم من ان هؤلاء قداختصوا بالعلم والنظروانفردوا بالتحصيل والفتيافكانوا يتهيبون جانبهم ويطمئنون لما يلقون عليهم من القول صوابا كان او خطأ .

ولما كان الاسلام جاء ليهدى الناس الى الطريق السوى ويعلمهم ان الانسان لا يجوز له الانقياد لكل قائد والاستماع لكل قائل والثقة بكل قول كلف الله رسوله ان يسأل أولئك المفترين من اهل الكتاب ان يدلوا بحجتهم ويتقدموا ببرهانهم يريد الله تعالى بذلك ان ليس للانسان ان يصدق ما يلقى اليه من المزاعم والدعاوى مالم تقرن بما يؤيدها من الحجة والدليل .

ولاجرم ان أهل الكتاب بما افتروا على الله من الكذب لم يجيبوا الرسول اذ تحداهم والزمهم البينة بل نكصوا على أعقابهم بعد ان افتضح امرهم

لعامة العرب والاميين وتبين ان اكثر ما يقولون ليس وحيا ولا كتابا وانما هي أماني واكاذيب يفتعلونها افتعالا واباطيل يوسوسون بها غواية وتضليلا . ولو صدقوا لأدلوا بحجتهم وقدموا برهانهم ولكنهم ما كانوا صادقين

دلت هذه الآيات الكريمة على انما كان يزعمه اهل الكتاب من ان الجنة حرام على غير اليهود والنصارى انما كانت من امانيهم واكاذيبهم التي ما انزل الله بها من سلطان ثم قصت على المسلمين حكم الله في خلائقه واوضحت سبيلهم الى جنته فجاء امعانا في افحامهم وتبديدا لظلمات اباطيلهم قوله تعالى في ختامها (بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فلا يحوز انسان اجر الله تعالى واحسانه ولا يغدو في جنة ووقاية من المخاوف والاحزان حتى يقدم بين يديه امرين اساسيين اولهما اسلام المرء وجهه الى الله جل شأنه ليذكر بالتوجه اليه واختصاصه بالالوهية والعبادة أوامره فلا يتنكب سبلها ونواهيه فلا يحوم حولها .

وثاني الاساسين الاحسان . ومعلوم ان كل ما ليس باذى وسوء فهو احسان . فمن الاحسان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العلم وهداية الضالين واسعاف ذوي الحاجات وتخفيف ويلات المنكوبين واقامة المستشفيات والتزام الحذر وبذل المال في سبيل حماية الذمار وتحرير الرقاب ومناهضة الجائرين ومحاربة الاستبداد واقامة الشورى واعداد ما تتوقف عليه سلامة مصالح الافراد والامم من القوة . كل ذلك من

وان يعيش محفوفا بالمخاوف مقرونا بالاحزان

واعلم ان معنى اسلام المرء وجهه لله ان يقصر وجهه على الله تعالى ويسلمه اياه فلا يتجه به الى غيره تعالى فى عبادة او استعانة او دعاء . والى هذا اشارت سورة الفاتحة بآية (اياك نعبد واياك نستعين) اى لا نعبد سواك ولا نستعين احدا غيرك بل انت الواحد المعبود وانت الذى يصمد اليه فى جلب المنافع ودرء المضار المتفرد بالخلق والتدبير

ذلك هو الاسلام فى الشرع فركناه الفذان هما توحيد الله بالالهية واختصاصه بالعبادة فمن اقام هذين الركنين كان مسلما وجهه لله تعالى. لذلك كان ابراهيم الخليل من المسلمين (١) (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) بل ان الانبياء والربانيين والاحبار جميعهم كانوا يدعون الامم الى الاخذ باحكام كتاب الله وكانوا عليه شهداء

لقد كان الانبياء والرسل منذ القدم يدعون الى توحيد الله والا يشرك به غيره بعد اذ هداهم الله الى معرفة حقيقته . ذلك ابراهيم جعل يقلب بصره ناظرا فى ملكوت السموات والارض ممتحنا اكبر الاجرام العلوية واعظمها فائدة وشأنا مما كان يجله المشركون ويعبدونه حتى اذا تبين له انها كائنات تتغير وعوالم تسخر وتسير قال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان)(ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان

(١) سورة آل عمران

الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) ولقد كان المسيح عليه السلام من المسلمين الذين يدعون الى توحيد الله تعالى واختصاصه بالربوبية حتى لقد كان يحتج على بنى اسرائيل ويؤنبهم لتعطيلهم ناموس شريعتهم واول وصاياهم .

جاء فيما خاطب عيسى عليه السلام ربه قوله (١) « وهذه هى الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيق وحدك ويسوع المسيح الذى ارسلته »

وقد جاء فى انجيل مرقس (٢) آية « فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى انه اجابهم حسنا سأله أية وصية هى اول الكل فاجابه يسوع ان اول كل الوصايا اسمع يااسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الاولى . وثانية مثلها هى ان تحب قريبك كنفسك ليس وصية اخرى اعظم من هاتين »

وفى الباب السادس من سفر الاستثناء « اسمع يا اسرائيل ان الرب الهنا فانه رب واحد »

وفى كتاب اشعياء (٣) ليعلم الذين هم من مشرق الشمس والذين هم من المغرب انه ليس غيرى . انا الرب وليس آخر »

من هنا يتبين لك انه لم تجئ شريعة سماوية بغير التوحيد حتى المسيحية

[١] الآية الثانية من انجيل يوحنا (٢) راجع الباب الثانى عشر منه (٣) راجع الباب الخامس والاربعين منه .

التى اهم اركانها عند اهلها خرافة التثليث فقد قصصنا عليك من اعبارت الاناجيل انفسها مافيه بلاغ مبين . فركن الشرائع السماوية كلها التوحيد (١) (ان الدين عندالله الاسلام) ولقد يغفر الله لعباده سيئات مايقولون وما يعتقدون ومايعملون ولكن لايغفر لاحدان يشرك به قال تعالى

(٢) (ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا مبينا) وقال جل شانه (٣) (ومن يبتغ غير الاسلام دينافلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)

وانما كان الاسلام لله تعالى وتخصيصه بالتوحيد والعبادة اقوى دعائم السعادة لان الاناسى اذا لم تقر فى انفسهم العقيدة الصحيحة فى مبدع الكائنات ومرسل الرسل بالآيات ومنزل الكتب بالهدايات لايعنون بتدبر مايرسله من الوحى ولايستمعون لمن يبعثهم من الرسل . فهم اذا لم ترسخ فى نفوسهم عقيدة التوحيد وتجزم عقولهم بوجود الحق سبحانه وتعالى قد تنعكس عليهم الشئون فلا تزيدهم الآيات الاعمى والهدايات الاضلالا . يفسر ذلك قوله تعالى (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقوله (ونخوفهم فمايزيدهم الاطغيانا كبيرا)

ومن هنا كانت الآيات والبينات لاتفيد من الناس سوى المهتدين الذين يريدون ان يقوا ارواحهم عواقب الضلال ويتجافوا بانفسهم عن المراتع الوخيمة . أما الجاحدون المعاندون فقلماافادتهم العبر والآيات

---

[١] سورة آل عمران [٢] سورة النساء [٣] سورة آل عمران

(الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم و اولئك هم المفلحون)

فاذا وقر فى نفس انسان صحة وجود الله تعالى وتوحيده بالعبادة والاستسلام كان خليقا ان يأتى بالحسن فى شئونه واعماله فيحسن الى نفسه والى دينه والى وطنه والى امته غير واهن ولا ضنين .

فاذا اسلم الانسان وجهه لله واخذ باسباب الاحسان على النحو الذى شرحنا آنفا كان على الله ان يوفر نصيبه من الاجر وان يطمئن نفسه فلا تحيط بها المخاوف ولا تطرقها الاحزان . ذلك وعد الله وان الله لا يخلف الميعاد .

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ . كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

قد سبق فى الآيات التى قبل هذه ان اهل الكتاب زعموا تحريم الجنة على المسلمين فقالت اليهود لا يدخل الجنة الا اليهود وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا . وقد اسلفنا ان قولهم ذلك ما كان

الاعنادا وحسدا وكفرا بما علموا حتى لقد عجزوا ان يقدموا برهانهم اذ تحداهم الرسول عليه السلام وطالبهم بالبينة ثم جاءت هذه الآيات تقص علينا من امرا هل الكتاب وضروب عنادهم عجبا .

جاءت التوراة فبشرت بمقدم عيسى عليه السلام ثم جاء عيسى فدعا قومه الى الاخذ بتوراة موسى حتى كان من اركان المسيحية الايمان بكتب العهد القديم جميعها . فاما اليهود فقد عادوا المسيح على عهده واضمروا العداوة والبغضاء للنصارى من بعده مخالفين بذلك بشارات كتابهم وهم يتلونه عالمين بما فيه. واما النصارى فانهم على علمهم بان من اركان دينهم الايمان بالتوراة التى هى كتاب اليهود قد كانوا يتنكرون لليهود ويضللونهم .

روى عن ابن عباس قوله لما قدم اهل نجران من النصارى على الرسول اتتهم احبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله فقال رافع بن حريملة ما انتم على شيء وكفر بعيسى بن مريم وبالانجيل فقال رجل من نصارى نجران ما انتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فجاء فى ذلك آية وقالت اليهود ليست النصارى على شيء (الى قوله) فيما هم فيه يختلفون .

ضرب القرآن هذه القصة مثلا ليبين ان القوم لم يكونوا بدعا اذ قاموا ينكرون القرآن ويكفرون المسلمين ويحرمون الجنة على غيرهم ممن لم يدن بدينهم فقد بلغ بهم العناد والبغى والانقياد للتشهى والعصبية

ان كفر كل فريق منهم الآخر وبين ايديهم التوراة والانجيل فيهما حكم الله سالكين فى مجادلاتهم سبيل الجاهلين الذين لا يعلمون .

واذا كان هذا حال اهل الكتاب بعضهم مع بعض فكيف يعجب من جحودهم لما عليه المسلمون واصرارهم على تضليلهم وزعمهم ان رحمة الله وجنته محرمة عليهم وانها لا تسع الا من كان يهوديا او نصرانيا .

وفى الآية الكريمة اشارة الى ان اثم العالم عظيم وان كفر اهل الكتاب انما كان كفر عناد وحسد وجحود لما بين ايديهم من الكتب التى يزعمون انهم بها مؤمنون وباحكامها عاملون ولمنزلها خاشعون .

وتدل هذه الآية الكريمة على ان من الجرائم والآثام عدول الانسان عما بلغه من العلم انقياد التشهى نفسه او اتباعا لقول غيره . فمن فهم حكما او احرز علما وجب عليه التمسك به واثم بكفرانه وستره او تقليد غيره فى غيره .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا؟ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ . لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

اقيمت المساجد فى الاسلام لمقاصد منها ذكر الله الذى شقى الغافلون

عن ذكره وسعد الذاكرون لاسمه. وقد بسطنا فيما اسلفنا الكلام في بيان كيف ان الغفلة عن الله تعالى مجلبة لسخط الله ومفضية الى شقوة الغافل. ومجمع الكلم فى ذلك ان فى ذكر الله ذكر عظمته وجبروته وذكر حسابه وجزائه فكلما ازداد تذكر العبد لربه ازداد ابتعاده عن الشر وتجافيه عن مضارة الناس وانابته الى الله تعالى مستنزلا بذلك رضاه واحسانه.

واذا ازدادت غفلة الانسان عن الله تعالى كان خليقا ان تكثر آثامه ويزداد بغيه وعدوانه وتقل توبته وايمانه

ولا ريب ان مساجد الله يقصدها الناس ليذكروا اسم الله تعالى فيبتعدوا بذلك عن الغفلة التى قد بينا عواقبها الوخيمة ونتائجها الضارة.

ومن مقاصد المساجد اقامة الجماعات خمس مرات كل يوم كيما يتمكن الناس بذلك من التعارف والتآلف فتتوثق بهذا جامعتهم وتشتد لحمتهم وتمحى من بينهم آثار التناكر والتنافر التى هى مبعث التفرق والتدابر ومنشأ المخاصمات والفتن.

ومن تدبر كيف تبدل المسلمون غير انفسهم وكيف اشتد البأس والعداوة بينهم واعتبر بما ذكرناه هنا ايقن ان المسلمين لو استقاموا لربهم وقصدوا مساجده واقاموا بها الصلوات فى الجماعات لما تمزق شملهم ولا انفرط عقد نظامهم ولكنهم عطلوا اسباب التآلف والتآخى فتقطعت اوصالهم وذهبت ريحهم

تبين مما اسلفنا ما يرتد على جماعة المسلمين من الفوائد العظيمة

والثمرات الشهية اذا اقيمت فيهم المساجد وازدادت عمارتها بالصلوات واقامة الجماعات . فمن اظلم اذا ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها ؟ ان الذين يفعلون ذلك انما يبتغون ان يحاربوا الله بتعطيل شعائره وايقاع التناكر والتفريق بين عباده الموحدين حتى لا يلتئم لهم شمل وان يعودوا المسلمين الغفلة عن ربهم حتى لا يذكروا جلاله وحسابه ولا يتقوا غضبه وعقابه. فاذا بلغوا هذا الدرك السافل اختلت شؤنهم وفشا البغى والعدوان بينهم فتمكن بذلك اعداؤهم من رقابهم ونالوا ما شاءوا منهم .

لهذا كله حذر الله المسلين من ان يمكنوا هؤلاء من دخول مساجدهم باغين معتدين ولا آمنين مطمئنين اذ ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم .

ومن هنا يتبين ان الآية الكريمة تفرض على المسلين ان يدفعوا الاذى عن مساجدهم فلا يمكنوا منها احدا ممن يريدونها بسوء اذ لا ريب ان الساعين فى هجران المساجد او المعطلين لذكر الله فيها ما يريدون من ذلك سوى ما بينا من تمكين الغفلة عن الله من قلوب المسلمين وحرمان هؤلاء مما تفيدهم الجمعات والجماعات من التعارف والتآلف واستماع الموعظة الحسنة والتذاكر فيما فيه الخير والبركة للعالم الاسلامى. اذا فليس لاحد من المسلمين ان يرى مساجد الله تهدم او توصد ابوابها فيقف منها موقف الجامد غير المبالى فان ذلك اثم كبير وتفريط فى الاحتفاظ بحقوق الله .

واعلم ان ماحملناعليه الآية الكريمة من ان النفى فى (ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين) من ان يكون كناية عن نهى المؤمنين ان يمكنوا احدا من الحاق الاذى بمساجدهم له نظائر كثيرة فى القرآن الكريم فمن ذلك آية (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) اى لا يباح لكم ذلك . وكذلك آية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) اذ ليس المراد هنا مازعموه من ان الكافرين لا تعلو كلمتهم على المسلمين وان لا يكون لأولئك سبيل الى قهر هؤلاء وامتلاك بلادهم فقد جاءت الحوادث منذ تفرقت كلمة المسلمين ناطقة بان المسلمين كغيرهم لا تعلو كلمتهم ولا يتهيب جانبهم ولا يخاف بأسهم الا اذا اتحدت كلمتهم وطهرت نفوسهم واستمسكوا باسباب اليقظة والحذر واعدوا لاعدائهم ما استطاعوا من القوة والعده

اذا فماذا اريد من هذه الآية ؟ ان حذاق اللغة العربية واصحاب الذوق السليم فيها لابد ان يتأولوها بان الله تعالى لم يكن ليجعل من احكام شريعته المطهرة مايلزم المسلمين بالخنوع والانقياد لاحكام الكافرين ويوجب عليهم السكون والطمأنينة لسلطانهم اذ يريد جل شأنه ان يجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا . فالمسلمون الذين يستسلمون لاحكام الكفرة ويطمئنون لسلطانهم والذين يزدلفون منهم ويتقربون اليهم بدماء اخوانهم فى الدين والمسلمون الذين يوالون هؤلاء الكفرة ابتغاء الجاه او المال كل أولئك ضالون ظالمون . يدل على ما ذكرنا فى تأويل هذه الآية قوله تعالى يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله و اطيعوا

الرسول واولى الامر منكم) فقوله منكم صريح فى انه ليس للمؤمنين ان يطيعوا اولى الامر من غير انفسهم الا ان يتقوا منهم تقاه .

اذا فالنفى فى آية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) خبر اريد به ان ينهى الله عباده المؤمنين ان يستسلمو الغيرهم معللا ذلك بانه عز شأنه لن يجعل من احكام شريعته ما يبيح للمسلمين ذلك . وعلى هذا النحو من الاتيان بالنفى مرادا به النهى جاءت الآية التى نحن بصددها وهى (أولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين)

فالمؤمنون ما كان لهم ان يمكنوا الكفار من الا يذاء لمساجدهم اوالدخول فيها راغبين فى تعطيل شعائر الاسلام اوصادين المسلمين عن سبيل الله ولكن لا أثم عليهم اذا مادخل هؤلاء الكفار تلك المساجد خائفين مستأمنين يريدون بالتجائهم اليها ان يحقنوا دماءهم ويكفوا عن مناوأة المسلمين ومحاربتهم فان فعلوا ذلك فقد حقت لهم الذمة والعهد وحرمت دماؤهم وحقوقهم فلا يعتدى عليها على نحو ما جاء فى قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا)

هذا وامر الله للمؤمنين ان يدرأوا عن مساجدهم اذى المعطلين للشعائر الصادين لهم عن ذكر الله قد يبعث المشركين على الطعن فى الاسلام والظن بان هذا الدين الذى عماده توحيد الله بالربوبية واختصاصه بالعبادة والاستعانة والدعاء قد وجد فيه ما يشعر بالتجسيم وان لله بيوتا لا يوجد الا فيها ولا يقبل العبادة الا بين جدرانها وانه لولا

ذلك ما امرتهم هذه الآية الكريمة بمدافعة الاذى عن مساجده ونهتهم عن ان يروا ما يقصد بها من التعطيل والتخريب فيقفوا دون هذا جامدين . لهذا جاء فى نقض هذه المزاعم قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم)

فحث الله المسلمين على صد المؤذين مساجده لم يكن لانها بيوته يأوى اليها او معاهد وجوده يتجه اليه فيها وانما ذلك لانها (بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزى الله كل نفس ما كسبت)

تنبيه : مما يجمل ذكره هنا ان العلماء لم يهملوا البحث فى بيان المتشابهات وتأويلها ومن احسن ماجاء فى بيان الوجه الذى اضيف الى الله فى كثير من آيات القرآن قول الفقيه محمد بن احمد اللبان (١) فى كتابه « رد الآيات المتشابهات الى الآيات المحكمات » اذ يقول قد جاء ذكر الوجه فى غير ما آية فاذا اردت ان تعلم حقيقته ومظهره من الصورة فاعلم ان حقيقته بارق نور التوحيد ومظهره من العمل وجهة الاخلاص (فاقم وجهك للدين حنيفا) ويدل على ان وجهة الاخلاص مظهره قوله تعالى (يريدون وجهه) وقوله (انما نطعمكم لوجه الله) وقوله (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) والمراد من ذلك كله الثناء على اهله بالاخلاص تعبيرا بارادة الوجه عن اخلاص النية . ويدل على ان

(١) توفى سنه ٧٤٩ هجريه

حقيقة الوجه هو بارق نور التوحيد قوله تعالى (ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه) اى الا نور توحيده وهو السموات والارض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم (اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت به الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخره) وبهذا يفهم سر قوله تعالى (فاينما تولوا فثم وجه الله) اهـ

ومما اسلفنا يعلم ان الوجه اذا ذكر مضافا الى الله تعالى كان كناية عن نور توحيده اى الآيات الناطقة بانه الواحد ولا ريب ان الانسان لا يقبل بوجهه على جهة فى المشارق والمغارب حتى يرى وجه الله ونور توحيده المتجلى فى كل ذرة من خلائقه.

وفى كل شئ له آية   تدل على أنه الواحد

واذا اضيف الوجه الى الانسان فى القرآن فاكثر ما يدل على الاخلاص واختصاص ربه تعالى بالتوجه والعباده . فآية (اقم وجهك للدين حنيفا) ونحوها من الآيات انما يراد بالوجه فيها المعنى الكنائى وهو الاقبال على الله واسلام الانسان وجهه اليه فلا يعبد احدا سواه ولا يتجه بوجهه لمعبود غيره ومن البين ان اولئك الذين منعوا مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعوا فى خرابها ما فعلوا ذلك الا لما ذكرنا آنفاً او لانهم يزعمون ان التوجه لا يكون الا للبيت المقدس مثلا ولا يصح الا فى البيع او الكنائس او بيوت الاصنام فكان ابلغ رد عليهم وادمغ حجة قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم) فالله تعالى الذى له المشرق والمغرب العليم بمن يسلم اليه وجهه انما كان يتقبل من

عبـاده من يتوجه اليه بوجهـه ويقنت لامره ونهيه فى أية بقعة من الارض (جعلت لى الارض مسجدا) (١) فما كان لاهل الكتاب او غيرهم ممن خربوا مسـاجد المسلمين ان يضلوا عن هذه الحقائق فيذهبوا مذاهب المجسمة ويصدوا المسلمين عن التمـاس نور الله تعـالى وهدايته فيما اقاموا من المساجد فانهم ان ولوا وجوههم الى الله تعالى فى اية بقعة من الارض فثم يجدونه .

(بحث دقيق) خاض المفسرون فى تأويل هذه الآية واتوا فى ذاك بالشوارد والغرائب ولو انهم تدبروا الآية الكريمة وفقهوا كلمة الشرط وهى (اينما) لسهل عليهم جدا بلوغ الحقيقة بلاشطط فى التأويل .

ان كلمة (اينما) اسم شرط يفيد الظرفية المكانية فالمعنى كما اسـلفنا ان كنتم فى اى مكان فوليتم وجوهكم الى الله فثم وجه الله فتولية المسلمين وجوههم انما هى الى الله لا الى المكان وان كانت واقعة فى المكان. مثال ذلك ان تقول اينما تنظر الىّ انظر اليك . اى ان نظرت الى وانت فى اى مكان فانى انظر اليك .

وعلى هذا ليس فى الآية فيما رايت تعرض للقبلة اهى بيت المقدس ام الكعبة ام غيرهما فكل ما ذكره المفسرون فى هذا الباب من مباحث النسـخ والقبلة شـطط و ابتعاد عن المعـانى الواضحة التى تقتضيها اساليب اللغة العربية

وللطبرى فى هذا البـاب كلام طويل جدا جاء فيه عـلى كثير من

(١) حديث شريف

الآراء فى تأويل هذه الآية ثم ختمه بكلمات بالغة فى تفنيد اقوال من زعموا ان الآية من باب الناسخ والمنسوخ فليرجع اليه من شاء

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ

قدعلمنا مما قدمنا ان الله لا يغفر ان يشرك به غيره وانه لا يخاف ولا يحزن من يسلم وجهه الى الله وهو محسن. ولما كانت هذه الآيات الكريمة مترادفة فى معنى اثبات وحدانية الله تعالى وانفراده بالعبادة والربوبية كان من نتائج مجادلة اهل الكتاب والمشركين بتلك الآيات الباهرة والادلة البينة القاطعة تجبيههم والتنكر لهم فيما جعلوا لله تعالى من الولد والبنات (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله. ذلك قولهم بافواههم يضاهئون به قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون)

فمن الشرك الصريح زعم النصارى ان عيسى ابن الله وزعم اليهود ان عزيرا ابن الله . فهؤلاء على الزعم من انهم اهل كتب سماوية تأمر بتوحيد الله تعالى وتنفى عن الله الشركاء فى الربوبية والعبادة سلكوا مسلك الجاهلين من المشركين الذين (يجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون)

قد اسلفنا ان الاسلام هو دين ابراهيم وموسى وعيسى وسائر الرسل عليهم السلام (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) ولقد اصبح

من السخافات وهذيان عجائز النساء القول ببنوة المسيح لله تعالى شأنه حتى انه يكاد يكون من العبث واللغوان نخوض مع اولئك الجاهلين من النصارى فى مجادلة او مناقشة غير اننا اتماما لمبحث التوحيد نذكر لك نبذا من شبهاتهم لتعلم ان القوم على ما آتاهم الله من الذكاء وسعة العلم وعلى كثرة ما يجاهرون من انهم اهل الفلسفة والزندقة وجحود ما وراء المادة والطبيعة لا يزالون يقولون بسخافات لا تخالف شكل الخرافات وروحها فى شي .

اننا نريد هنا ان نخالف ما سلف لنا من ان التوراة والاناجيل المعروفة اليوم ليست صحيحة ولا متواترة ولا متصلة السند فنفرض جدلا انها كما يزعمون فهل نجد فيها ما يدل على التثليث او ابوة الله للمسيح؟ ان المسيح عليه السلام كان يعبر عن نفسه بابن الانسان وقد نجد هذا التعبير فى نيف وعشرين موضعا من انجيل متى الحوارى ولا يخفى ان معنى هذا انه انسان .

على ان لوقا فى الباب الثالث من انجيله فى بيان نسب للمسيح يقول انه ابن يوسف (١) وآدم ابن الله. فلوقا الحوارى قد جعل المسيح ابنا لانسان معروف وان آدم لكونه لم يخلق من ابوين من جنسه سماه ابن الله وان كان اجماع المسيحيين وغيرهم على انه ليس ابنا لله بالمعنى المتعارف. بلى قد جاء التعبير بابن الله وابناء الله فى كثير جدا من ابواب

---

(١) هو يوسف النجار .

الا ناجيل مرادا بذلك احباؤه واصفياؤه فمن هذا (١) « طوبى لصانعى السلام لانهم ابناء الله » وفى المكالمة التى وقعت بين اليهود والمسيح ورد (٢) « أنتم تعلمون اعمال ابيكم فقالوا له اننالم نولد من زنا. لنا اب واحد هو الله فقال لهم يسوع لو كان اباكم كنتم تحبوننى»

وفى الباب الثالث من الرسالة الاولى ليوحنا تجرى الآية التاسعة هكذا «كل مولود من الله لايفعل خطيئة لان زرعه يثبت فيه ولا يستطيع ان يخطئ لانه مولود من الله » وفى الباب الخامس من الرسالة المذكورة قوله « كل من يؤمن ان يسوع هو المسيح فقد ولد من الله » وقوله بهذه نعرف اننا نحب اولاد الله اذا احببنا الله وحفظنا وصاياه»

وقد جاء فى الباب السابع من سفر صموئيل تسمية سليمان بابن الله هكذا « وانا اكون له ابا وهو يكون لى ابنا »

وفى مناجاة اشعياء النبى نجده اطلق كلمة الاب على الله بالاضافة الى نفسه والى بنى اسرائيل اذ يقول (١) « والآن يارب انت ابونا »

من الآيات السابقة جميعها يمكن ادراك ان كلمة الابن الواردة فيها انما اريد منها اهل الطاعة والمصطفين الاخيار من عباد الله تعالى وان التعبير عن الله بالاب فى جانب هؤلاء انما هو كناية لاحقيقة.

وقد جاء فى كتب العهد ايضا تسمية الله تعالى بابى اليتامى مرادا به الرؤف بهم الذى يشملهم بلطفه واحسانه

---

(١) انجيل متى آيه ٩ باب ٥ (٢) انجيل يوحنا آية ٤١ باب ٨
(١) كتاب اشعياء ايه ٨ باب ٦٤ (٢) الآية ٥ من الزبور ٦٧

ومن جهل النصارى وضلال عقولهم استمساكهم بما جاء فى الباب الثامن من انجيل يوحنا عن المسيح « فقال لهم انتم من اسفل اما انا فمن فوق . » اذ لا يخفى ان هذا من الكنايات الشائعة حتى بين عوام جيلنا الحاضر . فلقد ينكر الانسان على اهل بلده او على قبيله او افراد اسرته بعض الهنات والصفات فيأخذ يتبرأ منهم اى مما هم عليه وان نبت فيهم وانتسب اليهم وكان جزءا فى الواقع من جماعتهم . فقول المسيح انا من فوق ليس معناه ما يفهم الجاهلون من انه نزل من السماء وانه ليس من العالم البشرى بل المراد انه لعصمته ومكانته من صفوة الله واخياره من عالم آخر غير العالم الذى عاش فيه صفات واخلاقا وعقلا وعدلا ويدل على هذا ما جاء فى الباب السابع من انجيل يوحنا اذ يقول المسيح فى شأن تلاميذه (لانهم ليسوا من العالم كما انى لست من العالم) فلو كانت هذه العبارة تقتضى الالوهية فالمسيح وتلاميذه جميعا اذا آلهة يعبدون .

ومن شبهات النصارى التى اضلتهم حتى حملتهم على القول بان الله والمسيح واحد بعض فقر جاءت فى انجيل يوحنا فمن ذلك الآية ٣٠ من الباب العاشر (انا والاب واحد)

استدل النصارى على شركهم بهذه الآية وفاتهم ان مثل هذا ورد ايضا فى شأن الحواريين فقد جاء فى الباب السابع عشر من انجيل يوحنا قوله (ليكون الجميع واحدا كما انك انت ايها الاب فى وانا فيك ليكونوا هم ايضا واحدا فينا) وقوله (انا فيهم وانت فى ليكونوا مكملين الى واحد)

وقوله (فى ذلك اليوم تعلمون انى انا فى ابى وانتم فى وانا فيكم) وهناك آيات أخرى كثيرة جاءت على هذا النحو من التعبير فهل شئ من ذلك معناه حلول الله تعالى وتقدس فى غيره اوحلول غيره من افراد البشر فيه اللهم ان هذا الاضلال مبين وافك عظيم وجهل باساليب الكلام وحسن البيان .

والحقيقة ان الاتحاد فى سائر الآيات انما هو ارتباط الله بعباده بلحمة طاعته وامتثال اوامره والوقوف عند حدوده فاتحاد الانبياء بالله تعالى اشد من اتحاد غيرهم به اذ الناس فى طاعة الله مراتب مختلفة بعضهم فوق بعض درجات

وكذلك يجيز التعبير بالاتحاد فى جانب الله والانبياء انهم هم المبلغون لرسالاته المعبرون عن وحيه الداعون الى سبيله فهم سفراء الله الى عامة عباده . وعلى هذا النحو ماجاء فى القرآن الكريم (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم)

ولقد جاءت الكتب المسيحية نفسها ناطقة بان فكرة التثليث ما كانت فى القرون الاولى للتاريخ المسيحى فقد جاء فى دائرة المعارف الانجيلزية لهرمزوورث ان عقيدة التوحيد المبنية على تعاليم العهد القديم والتوراة كانت هى المعروفة فى الكنيسة الاولى ثم اخذت تضعف رويدا رويدا تجاه المذهب الارثودوكسى (التثليث) حتى كادت تزول . ولكن لم يكد نور العلم والعقل تنتشر اشعته فى العالم النصرانى حتى عادت العقيدة

التوحيدية تجد سبيلها ثانيـة الى قلوب المحصلين الذين كسروا اغلال التقليد من المسيحيين . وبالرغم من التنكيل والتعبيد اللذين كانا جزاء من يخالف القول بالتثليث فقد انتشرت فى اروبا عقيدة التوحيـد فى اواسط القرن السادس عشر لاسيما بايطاليا وبولانده وترانسلفـانيـا وقد اشتهرت هذه البلاد الاخيرة بانها صارت مهد القول بتوحيد الله تعالى

ثم انتشرت كنائس الموحدين من النصارى فى اروبا وغيرها وكذلك اقيمت لهم المدارس فى كـبريات المدن العلمية فى كل مملكة من الممـالك المسيحية (١)

ويجمل بناهنا ان نختم مبحث التوحيد بكلمة لكبير ممن أسـاطين نصارى الانجليز وهوا للورد ماكولى أتينا على ترجمتها فى رسالتنا «الاسلام دين الفطرة» نريك بهـا كيف ان عقيدة التثليث والحـلول اصبـحت مقبوحة منكرة لدى كل عاقـل حتى مـن المسيحيين انفسهم . وهـذا نصها .

ان علماء المنطق قد بنوا عقائدهم وقضاياهم على البرهان العقلى فامكـنهم ان يسلموا القول بأن من الاشياء مالا يمكن للعقل ان يحيط به بخلاف السواد الاعظم من العامة فان معظم افكارهم وقضاياهم اما خيالية اووهمية او شعرية فلا يكادون يبنون شيئـا من مذاهبهم ومعتقداتهم على نظر

(١) من شاء تفصيلا اكثر من هذا فعليه بدوائر المعارف الكبرى الموضوعة باللغات الاوروبيه

صحيح وفكر سليم ومن هنا نشأت كما يظهر الاديان الوثنية فى كل امة فى كل جيل فى كل زمن فاختلفت لذلك صور الآلهة باختلاف ماصوره خيال معتقديها

ولطالما اذن فينا التاريخ ببيان ما ادخل اليهود قديما فى دينهم من البدع متمسكين بما املاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة ان يكون لهم اله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والاجلال . ويمكن القول بأن معظم الاسباب التى ذكرها جيبون وجعلها اساس انتشار الدين النصرانى لم تؤثر ذلك الاثر ولم تنشر ذلك الدين فى اطراف الارض الا لانها كانت مشفوعة بكثير من تلك القضايا الوهمية التى كان لها اكبر سلطان على نفوس السذج من العامة فان العالم بخالق وكائنا لا تدركه الابصار ولا تحيط به الظنون لم يقل به الا الفلاسفة العالمون اما الاخلاط ضعاف العقول من الناس فانهم ضاقت دائرة افكارهم وانقطعت سلسلة ادراكهم عن ان تصل الى القول باله ليس له صورة محدودة فى نفوسهم فكانوا يتأففون ويهزؤن ويضحكون من اولئك الفلاسفة راميهم بالبله اوقصور الذهن

طاشت النفوس فى الازمنة القديمة وضلت الصراط السوى وقست القلوب وانتهكت الحرمات فجاء المسيح عليه السلام واخذ يعلم الناس ويدعوهم الى ماجاء به من الهدى فمنهم من آمن ومنهم من كفر

ولم يسلم تابعو المسيح من النصارى ان يصيبهم فى ايمانهم مثل ما اصاب اليونان والفرس وغيرهم من قبلهم فمثل الاله لهم فى صورة ادمى

مشى بينهم وشاركهم فى اعراضهم وما يعتريهم من الانحلال والاضمحلال كما كان يبكى على القبور وينام فى الحظائر ثم صلب حتى ساله دمه على اعواد الصليب فظهروا بذلك للعالم فى لباس جديد من الوثنية ثم كان لهم من القسيسين والرهبان بعد ذلك لفيف من الآلهة على مثال ما كان لليونان فكان القديس جورج لديهم اله الحرب كما كان المريخ عند اليونان وكذلك اتخذوا العذراء وسيسليا وغيرها آلهة الجمال وفنون الادب كما كانت الزهرة وسبع كواكب اخرى آلهات لدى اليونان وهلم جرا

ولطالما اخذ المفكرون من رؤساء الدين يزيلون ما لصق بعقول العامة من تلك الصور الوهمية ولكنهم لم يفلحوا

نجد العامة الى هذا اليوم يتعشقون سماع كثير مما لا معنى له من الخزعبلات ويتهافتون على تلقف سير بعض من لا قيمة لهم فى سوق الفضائل والمكرمات اكثر مما يميلون الى تعرف وتفهم شيء من قواعد الدين الاساسيه انتهى ببعض تصرف



ابن رشد وتعاليمه

٦

ولاية العهد . الشورى

لقد بين ابوالوليد ابن رشد الحكومات وانواعها وشرح الجمهورية ونظامها فى كتاب السياسة والجمهورية غير انه فى كتاب الجمهورية بعدما فصلها وبين الانظمة التى كانت متبعة قديمـا رأى ان هذا النوع من الحكومات هوالذى يدعو اليه الاسلام وليس ثمة نوع من انواع الحكومات ينطبق على اصوله سواه . ولما كان هذا الموضوع مرتبطا بمسألة الامامة ايما ارتباط راينا ان نأتى بنبذة صغيرة نبين فيها آراء فرق الاسلام فى هذا الموضوع ثم نتبعهـا بعد ذلك برأى ابى الوليد ليزداد الموضوع كشفا وايضاحا .

أختلف المسلمون فى وجوب الامامة وفى طريق وجوبها الى فرق وطوائف

الطائفة الاولى ترى ان نصب الامام العـام من الواجبـات الشرعية لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة ابى بكر رضى الله عنه وتسليم النظر اليه فى امورهم وكذا فى كل عصر من بعد ذلك ويرى هذا اكثر المسلمين .

الطائفة الثانية ترى ان نصب الامام واجب الا ان طريق ذلك العقل لا الشرع لضرورة اجتماع البشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لتباين الاغراض وتخالف المنافع و تضـاربها فاذا لم يكن هنالك حاكم يقيم العدل وينصف الناس ويرجع اليه العالم سادت الفوضى وهلك البشر ومن هذه الطائفة اكثر المعتزلة والزيدية .

(الثالثة) ترى وجوب نصـب الامام العـام وترى ان طريق ثبوت ذلك العقل والشرع ومن هذه الطائفة الجاحظ وابوالحسين من المعتزلة والكعبى .

(الرابعه) ترى ان نصب الامام ليس بواجب لا عقلا ولا شرعا والواجب عند هذه الطائفة امضـاء احكام الشرع فاذا تواطأت الامة على العدل و تنفيذ احكام الله لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه ومن هذه الطـائفة الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج . وهذه الطوائف على اختلاف آرائها وتبـاينها اتفقت على انه

لايصح اسناد هذا المنصب الخطير الا الى الملم بتعاليم الاسلام البصير بمصالح المسلمين الواقف على سياسة الممالك وتدبير الامم اما اشتراط النسب القرشى فقد اختلف الناس فيه اختلافا كبيرا فمنهم من ذهب الى عدم وجوبه اما المثبتون فقد استدلوا باجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قريش على الانصار لما هموا ببيعة سعد بن عبادة وقالوا منا امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش فحجوا الانصار ورجعوهم عن قولهم وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد

اما الذين ذهبوا الى عدم اشتراط النسب فقد نظروا الى قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى ذو زبيبة وقول عمر رضى الله عنه لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته اولما دخلتنى فيه الظنة . الرقابة على مصالح المسلمين والنظر فى سعادتهم ورقيهم لاتخص القرشى بل قد يكون غيره ابعد منه نظرا واسمى فكرا واكثر غيرة وسهرا على المصالح العامة . اما ماقاله صلى الله عليه وسلم فهو من الامور السياسية المنوطة بمصالح البشر المتغيرة بتغير الزمان والمكان المتبدلة بتبدل الملة وتخلفها قال ابن خلدون .

ونحن اذا بحثنا عن الحكمة فى اشتراط النسب القرشى ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبى صلى الله عليه وسلم لان التبرك ليس من المقاصد الشرعية فلابد اذاً من المصلحة فى اشتراط النسب وهى المقصودة من مشروعيتها واذا سبرنا وبحثنا لم نجدها سوى اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة واهلها وينتظم حبل الالفة فيها وذلك ان قريشا كانوا عصبة مضر واصلهم واهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالاكثرية والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم فلو جعل الامر فى سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردوهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكرة فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر فى قريش لانهم قادرون على الشؤن بعصا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم فاشترط نسبهم القرشى فى هذا المنصب وهم اهل العصبية القوية ليكون ذلك ابلغ فى انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم سائر العرب وانقادت الامم سواهم

الى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد فاذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلبة وعلمنا ان الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا امة علمنا ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبيةفاشترطنا فى القائم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها ليستبعدوا من سواهم وتجتمع الكلمةعلىحسن الحماية اه ببعض تصرف

فيؤخذ من ذلك ان الامامة العامة والخلافة تابعة للعصبية فالوقوف عندالنسب القرشى وتطبيقه على كل طبقة من طبقات الامم الاسلاميةوكل جيل من اجيالها جهل بالحكم الشرعية والتعاليم الاسلامية القويمة.بقى علينا ان نبين رأى ابى الوليد ابن رشد فى الامام او حاكم المسلمين العام.يرىابن رشد (١) ان اساس الجمهورية هو المساواة بين الناس فى كل الحقوق السياسية والمدنية واعتبار الجمهور غير متفاوتين فى شئ من الحقوق العامة فكل واحد مسؤول أمام الله والتاريخ عن حماية دينه من الغوائل والذود عن حياضه والدفاع عنه ما استطاع فليس النظر فى دفع الطوارئ ورفع الغوائل وتقويم ما اعوج من الامور مخصوصاً بطائفة او جماعة وليس لقرشى او هاشمى فى ذلك فضل او ميزة على غيره ولقد قرر هذه الاصول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربى على اعجمى انما الفضلبالتقوى وبقوله فى اخريات ايامه ايها الناس من كنت جلدتلهظهرا فهذاظهرى فليستقد منى ومن كنتشتمتلهعرضافليستقد منى ومن اخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلى فانها ليست من شأنى . الآن فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة

فهذا يدل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى نفسه كغيره فى الحقوق المدنية فليس بسلطانمسيطر بل مبشر منذر مبلغ للناس ما اوحى به اليه (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى) (فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر)

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يول للمسلمين امامايـنظر فىشؤونهم ويحافظ على مصالحهم لان ذلك من ضروب السياسيات التى ينبغى ان تنظر الامة فيها بنفسها فتولى عليها من ترى فيه الكفاية للقيام باعباء الخلافة فاختارت الامة

(١) يؤخذ ذلك من كتاب الجمهورية الذىفقد اصله العربى ونقل من العربية الى الفرنسية

بعد رسول الله ابا بكر اماما وخليفة فسار على اقوم طريق ثم عهد عند موته لعمر بن الخطاب تاركا الامر للامة فانها هى المرجع الاعلى العليمة بمصالحها وامورها وقال فى خطبته من رأى فى اعوجاجا فليقومه اشارة الى ان الخليفة ليس بسلطان قاهر يعمل ما يراه وينفذ ما يشاء بل بقاء الخليفة منوط بنظره الصائب وفكره الثاقب وسهره على مصالح العباد ولذلك قال له احد الاعراب لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا لعلمه بان وظائف الخليفة لا تجاوز النظر فى المصالح العامة وتامين السعادة والرفاهية للمسلمين

وقبل ان يلاقى عمر ربه فوض الامر الى رؤساء الامة وكبارها العليمين بمصالحها الواقفين على امورها ولم يشرك بهم ابنه مع انه كان من الرجال المعروفين بالتقوى والخبرة ليكون بعيدا عن مواطن الشبهات ولما آل الامر الى عثمان فعلى فمعاوية سن هذا الاخير تلك السنة وهى ولاية العهد لابنه وهو يعلم ان ابنه ليس اهلا للملك فانه لم يكن بذى الدين المتين والخبرة بالمصالح واننا لاننسى ما اتبعه معاوية من القسوة والغلظة فى اكراه الناس على بيعة ولده . ولقد كان عمل معاوية هذا سنة لغيره من امراء الاسلام . ويرى ابن رشد كما يرى كثير من الفقهاء ان البيعة على هذه الصورة غير صحيحة وان الخليفه الذى نصب على هذا الوجه لا يمثل المسلمين ولا تجب طاعته فالخليفة الذى يمثل المسلمين حقيقة هو الذى يتولى الامر والمسلمون عنه راضون والقلوب حوله ملتفة حتى اذا قال شيئاً صغت اليه الآذان وتطأطأت له الرؤس ودانت له الرقاب .

أثر فلسفته فى اوروبا

يرجع الفضل فى نشر فلسفة ابن رشد الى تلاميذه اليهود الذين اقام بينهم فى (اليسانه) منفاه كان الله ابتلاه بهذا النفى لاحياء فلسفته ونشر تعاليمه وآرائه . واول من اشتغل بدرس فلسفة ابن رشد بعد وفاته عالم من علماء اليهود وكبير من كبرائهم يدعى موسى بن ميمون احد تلاميذ ابن رشد اشتغل هذا الرجل بدرس فلسفة استاذه مع مقابلتها بفلسفة ارسطو الاصلية فاستخرج من الفلسفتين فلسفة اخرى اراد تطبيقها على الدين اليهودى رغبة فى التوفيق بين الحزبين اللذين استعرت بينهما الفتن وقامت الحروب الجدلية زمنا طويلا غير ان سعيه كان هباء ودعاؤه كان صراخا فى الفضاء

ولما فر اليهود من الاندلس الى الاقاليم المجاورة لجبال البرينيه بسبب الاضطهادات التى لحقتهم هجروا اللغة العربية التى كانوا يكتبون ويؤلفون ويدرسون بها لانه ليس من حاكم يحميها ويدافع عنها بل كم مصايب كانت تنصب على رؤوس المتكلمين بها والمشتغلين بدراستها فرأى اليهودان من الزم الواجبات ان ينقلوا كتب الفلسفة العربية الى اللغة العبرية حتى لاتدرس وتزول واول من قام بهذا العمل اسرة طيبون التى غادرت الاندلس الى مدينة لوتل فى فرنسا فترجم موسى بن طيبون وصموبيل بن طيبون بعض ملحقات ابن رشد فى فلسفة ارسطو

ولما تبوأ الامبراطور فردريك الثانى عرش المانيا عهد الى كثير من الفلاسفة والكتاب ترجمة كتب كثيرة من العربية الى اللاتينية . واول من ادخل فلسفة ابن رشد فى اوروبا مخائيل سكوت الطليطلى فى سنه ١٢٣٠ وكان من المقربين الى الامبراطور المذكور وبعده قام هرمان المانى فحذ احذوه . وممن عهد اليهم الامبراطور المذكور ترجمة كتب الفلسفة العربية يعقوب بن مريم بن ابى شمسون من اليهود الذين اقاموا فى نابولى فترجم هذا الرجل كتبا عديده من مؤلفات ابن رشد وقدمها لامبراطور المانيا سنه ١٢٣٢ . وممن هؤلاء الكتاب ايضا يهوذا بن سليمان بن كوهين الطليطلى الف سنه ١٢٤٧ كتابا سماه طلب الحكمة اعتمد فيه على فلسفة ابن رشد وتعاليمه . اما سبب محبة هذا الامبراطور للفلسفة العربية وسعيه المتواصل فى نشرها وغمر المشتغلين بترجمتها بالنعم والعطايا الجزيلة حقده على تعاليم الدين المسيحى وعلى المشتغلين بنشره فان اصوله لم تبن على اساس صحيح يلائم الفطرة ويؤاخى بين المنطق والعقل . ومازال العلماء يشتغلون بالترجمة والتلخيص حتى انه ماانتصف القرن الثالث عشر الاوأ كثر كتب ابن رشد الفلسفية مترجمة باللغة اللاتينية

ولما انتشرت فلسفة العرب فى اوربا وخضعت لسلطانها القلوب ودانت لها العقول قام لمحاربتها رجال الدين فنشروا المنشورات العديدة يحثون الناس فيها على عدم الخوض فى الفلسفة العربية والانكباب على دراستها وتحصيلها ولما لم يجد نصحهم نفعا ولم ينتج فائدة بل كانت سببا فى توجه انظار الناس الى تلك الفلسفة التى يعادونها ويحاربون نشرها ودراستها وضعوا عقوبات شديدة لمن لم يصغ لقولهم ويصخ لدعائهم ولكن انى لهم ذلك وقد اشربت القلوب حب العرب وتعاليمهم . ولما رأى ان طريقهم هذه جعلت الناس يقبلون على درس الفلسفة العربية وتعليمها

قام نفر من علماء اللاهوت واشتغل بالفلسفة العربية بغية ان يتخذمنها معاول ينقض بها اركانها ويدك اساسها فقام من بين اولئك اللاهوتيين غليوم دوفرن فحمل على فلاسفة العرب حملة منكرة واخذ يرمى فلا سفتهم بانواع السباب وضروب الشتائم والقذف اذ كان نصيب ابى على بن سينا من هذا السفه اكثر من غيره غير ان هذا الرجل وان قذف فلاسفة العرب بقذف كان يجزل الثناء والمدح على ابن رشد فانه كان يقول ان ابن رشد هو الفيلسوف العاقل الرزين وان تعاليمه التى ذاعت شوهها تلاميذه . ولمامات غليوم دوفرن قام بعده البير الكبير وكان هذا على عكس غليوم فانه كان المحب الاوحد لديه من فلاسفة العرب هو ابن سينا اما عدوه الالد وخصمه العنيد فهو ابو الوليد بن رشد فكان كما جرى ذكره على لسانه رماه بانواع الفحش والسباب من جراء مخالفته لابن سينا فى بعض المسائل ورده عليه فى كثير من اصول الفلسفة

وبعد موت البير الكبير قام استاذ اللاهوتيين الاكبر وشيخهم الاعظم القديس توما فخر الكنيسة الغربية . قام هذا العالم الكبير واشتغل بفلسفة ارسطو نفسها واستخرج حسب ما وصل اليه اجتهاده اصولا هدم بها اساس الفلسفة العربية والمسائل التى تصدى للرد فيها على العرب هى ازلية المادة . ارتباط المبادىء الاولى التى صدر العالم عنها . استحالة الخلق بلا واسطة. النمو والتولد هذه هى المسائل التى هدمها القديس توما لانها فى نظره اساس الفلسفة وركنها . ولقد انكر القديس توما على ابن رشد رايه فى اتصال العقل الفاعل بالعقل المنفعل واتصال العقل المفارق بالانسان فقال اننا لانعقل شيئا الابعد انعكاس صورته فى الاذهان لذلك يستحيل على المادة ادراك العقل المفارق لها ولقد وجدت هذه الاقوال قبولا من كثير من تلاميذه غير ان فريقا آخر لم يتأثر بتلك الاقوال السفسطائية بل خالف رأى استاذه وبقى على رأى ابن رشد

وان من يلاحظ الوقت الذى كان فيه القديس ذلك الوقت الذى كثر فيه اعداء العرب والناقمون على تعاليمهم وفلسفتهم يرى من السهل جدا قيام الكثيرين لنصرة القديس توما وموافقتهم لكل مايراه ان حقا اوباطلا مادام يتعلق بهدم فلسفة العرب ونقض اساس تعاليمهم . ولقد تركت مباحث القديس توما اثراله كبيرا فى الكنائس اللاهوتية حتى انه لمامات صوروه بصورة المنتصر على كل الفلاسفة الذين تقدموه اما الصورة فتمثل فى اعلاها القوة الالهية تحيط بها الملائكة

ومنها ينعكس النور على مدهى والانجليين الاربعة والرسول بولس وجميع هؤلاء واقفون فى السحاب وتحت السحاب صورة القديس قوما تنعكس على وجهه تلك الانوار ثلاثة اشعة خاصة صادرة اليه من العزة الالهية نفسها

وفى جانبى الصورة بحذاء كتف القديس تومارجلان يمثلان ارسطو وافلاطون فى يد كل منهما كتاب يخرج منه شعاع من النور ينعكس على راس القديس توما وتحت قدميه علماء الكنيسه الذين سبقوه تنعكس عليهم اشعة النور المنبعثة من كتبه الموضوعة فوق ركبتيه ومن هذه الاشعة شعاع يصيب ابن رشد ساقطا على الارض هو وفلاسفة العرب دلالة على ان القديس توما انتصر عليهم جميعا . ولمامات القديس توما ترك الفاسفة اللاهوتية قوة كثيرة الاتباع غير ان الفلسفة العربية كانت اقوى منها وانصارها اكثر لان القديس توما لولا ما احاطت به من الظروف ولولا الاساليب الخلوبة التى كان يتبعها لتأييد آراء وهدم مذاهب خصومه مااشتهر هذه الشهرة وماقدسته الكنيسة هذا التقديس

وبعد موت القديس توما اخذت الفلسفة العربية والفلسفه اللاهوتية ادوارا مختلفة فترة يكون النصر لعلماء اللاهوت واخرى للعرب وبعد ان جاء انصار الفلسفة الحديثة وضعوا نظرياتهم المبنية على التجارب والمشاهدات لا على الظن والتخمين ومن ذلك الحين لم تنهض الفلسفة لانها لم تستطع الظهور امام هذه القوة الجديدة

حافظ وهبه

أسئلة واجوبتها

رؤية المخطوبة قبل الزواج

سؤال — سيدى اطلعت فى العدد الرابع من الهدايه على سؤال فى رؤية المخطوبة وقد كان الجواب ان الشرع يبيح ذلك واستشهدتم على ذلك بما تيسر من الاحاديث الصحيحة فعن لى بعض اسئلة حول هذا الموضوع .

اولا — كيف تكون هذه المقابلة وعلى اى شكل يكون النظر وهل لم يوجد نص فى الحديث او غيره يبين لنا ذلك وهل يحسن ذلك فى هذا العصر الذى كثرت فيه المفاسد والخبائث ،

ثانياً — هل تكفى هذه الزيارة وهذا النظر للفحص عما استكن من اخلاق

تلك المخطوبة التى بهذه الزيارة ستكون امرأة الحياة كلها مع ان العروس قدتكون على عكس ذلك. ولايخفى مايحدث ذلك فى المستقبل من الشقاق وحينئذ كأن النظر لفراق الزوجين لا لالتقائهما وناهيك بما تعمله المسلمات اليوم من محاكاة الافرنج حتى لقد اصبحن اكثر منهن تبرجا وحبا لهذه الأعمال التى اسقطت من قيمة النساء المسلمات بين العالم .

ومن الجائز ان المخطوبة تعرض على نفر فتقبل وتعرض على عشرات الشبان فلا تقبل. وقد يتخذ الشبان ذلك ذريعة يتوصلون بها الى الفتيات وعلى كلتا الحالتين تفسد بذلك اخلاق الشبان والفتيات ،

ثالثا — ان تلك المخطوبة ستكون مضغة فى افواه الناس فى الاسواق والبيوت وتعلمون ما يترتب على ذلك من تسوىء سمعتها وكساد سوقها .ارجو الاجابة ولكم الشكر (١)

الجواب — لا جرم ان ما ذكرتموه من عدم كفاية النظر الى المخطوبة فى سبيل التحقق من اخلاقها وتعرف اطوارها واحوالها امر لامراء فيه فان ذلك مالا يمكن معرفته بالنظرات بل ولا بالعشرة القليلة ولهذا نجد الامم التى تبيح معاشرة المتزاوجين قبل عقد الزواج كأهل اروبا وامريقا يتخادعون فى تلك المدة حتى انه ليكون فى الزوج اوالزوجة من الاخلاق والاطوار والعيوب ما يقع الامعان فى كتمانه وستره حتى لا يكاد يظهر له اثر الا بعد البناء بالفعل

اذا فلمعرفة احوال الزوجة وعيوبها الخلقية طريق واحد هو استنصاح من يتيسر لهن مخالطة المخطوبة من النساء اللاتى لا يبغين سوى الصدق وقول الحق فلا يكن ممن يملن اليها فيفرطن فى الثناء والاطراء ولا ممن يبغضنها فيقصرن فى وصف حقيقتها ظلما وحسدا .

اما ان النساء اليوم يكثرن من التطرية والتزويق والتحلية فهذا امر مسلم ايضا فلقد بلغ بالنساء الافراط فى ذلك حدا اصبح فيه الغش والتغرير من اقرب النتائج ولكن للنظرات الصادقة غير الطائشة قدرة على مغالبة تلك التمويهات والتغلغل خلال تلك الحجب حتى تبلغ الحقيقة او تكاد .

على ان فى النظر الى المخطوبة معنى آخر غير معرفة مبلغ الجمال وهو معرفة

---

(١) السائل محمد افندى فهمى الفولى

مابين المتزائين من تشـا كل الارواح او تنا كرهـا فان الارواح كما في الحديث الشريف جنود مجنده فما تعارف منها أئتلف وما تنا كر منها اختلف .

ليس معيار ما يكون بين المتزاوجين من الالفة اوالاختلاف هو مافي الزوجة من الجمال اوالقبح وانما معياره ما يكون بين الارواح من التعارف اوالتنا كر ومما لا ريب فيه ان تعارف الارواح اوتنا كرها لا يعرف الا من طريق النظر ووقوع البصر على البصر وهذا سر قوله عليه السلام (هلا رأيتها فانه احرى ان يؤدم بينكما) ودليلنا على ماقررنا هنا انه كم من شوهاء نالت من الحظوة والمكانة عند زوجها مالم تنله الجميلة الوجه الممشوقة القد الكيسة الظريفة. وكم من زوجة جميلة احبت زوجهـا حتى لا يكاد يعدله على قبح خلقته من هو احسـن منه وجها واقوم قدا . اذافسر الترغيب في النظر الى المخطوبة هو هذا الذى ذكرنا وبما ان هذا الزمن عرف بفساد اخلاق اهله ذكورا واناثا يحسن ان يحتاط في ذلك جد الاحتياط فلاتباح نظرة الرجل لمخطوبته الا بعد ان يكثر من استيصافها فيحصل من ذلك على ما يحدث في نفسـه الطمأنينه لها والرغبة في معاشرتها .عند ذلك يحسن النظر اليها ما دامت الرغبة صـادقة والنية حسـنه ، فاذا ما دلت النظرات على عدم تشـا كل في الارواح فخير لهما ان يفترقا بمعروف واحسـان كما التقيا كذلك. اما اذا خيف من الخاطب الا يكون صادقا حسـن النية فلا يجوز تمكينه من رؤية مخطوبته. على ان الفاسدين المفسدين من اهل هذا العصر لا يتوقفون في ايذاء الحرائر وتسوية سمعة البيوت الكريمة على مخالطة او رؤية فانهم يلتقطون اخبار البنات من افواه اقربائهم اوغير اقربائهم ثم يجعلونهن فكاهات سمرهم وموضوع احاديثهم فأمثال هؤلاء الضالين المؤذين لا يمكن التبـاعد عن شرهم واذاهم الا بهجرانهم والصبر عليهم حتى تقوم حكومات اسلامية تعرف كيف تربي الاخلاق وتضع من الزواجر ما يصلح شؤوننا الاجتماعية .

وبالجملة فان للنظر الى المخطوبة حكمـة عرفتهـا ولكن ليس معنى هذا التساهل في ذلك بل يجب اتخاذ الحيطة جهد الاستطاعه

وقد كان من علماء الاسلام من يدعو الخاطب الى منزله بعد التحقق من صدق الرغبة وحسن النية ثم يطلب ابنته المخطوبة لتسقي الضيف شيئا من القهوة ثم يأمرها فتجلس في حضرة خاطبها ووالدها زمنا ما . ونحن نرى ان هذا القدر كاف واف بالغرض الذى شرع له النظر

الاحاديث

الموضوعة فى تقويم

ديوان الاوقاف

طبعت الاوقاف المصريه تقويما صدرت كل يوم من ايامه بحكمة وعظة ولكن واضعى هذا التقويم لم يكتفوا بمجرد ذكر هذه الحكم والمواعظ بل عزوها الى الحضرة النبوية وماهى من الحديث فى شئ لذلك تصدى الاستاذ الشيخ محمد شاكر وكيل مشيخة الازهر لبيان الحقيقة فى تلك المأثورات حرصا على الدين وغيرة على حديث سيدالمرسلين

وقد اطلعنا فى جريدة الشعب على بعض مانشره الاستاذ الشيخ شاكر فى ذلك فاحببنا تسجيله فى الهداية لمتانته وحصافة . قال الاستاذ

نشر المؤيد فى محلياته من العدد ٦٩٥٧ الصادر يوم الخميس ٣ جمادى الاولى سنة ١٣٣١ — ١٠ ابريل سنة ١٩١٣ مذكرة رفعها حضرة محمد بك المويلحى لسعادة مدير الاوقاف جمعت خلاصة مادار بينى وبين ديوان الاوقاف من المكاتبات فى شأن الاحاديث الموضوعة فى التقويم التى توخى سعادة الشيخ على يوسف مؤسس المؤيد وشيخ سجادة السادة الوفائية ان يتكلم عنها كل يوم فى المؤيد وقد علق على هذه المذكرة ماشاء ان يعلق وطلب الى هذا العبد الضعيف فى خاتمة تعليقه ان يناقش الموضوع مناقشة المحدث المحقق افادة لقراء المؤيد وطلبا لاظهار الحقيقة ليس الا

فنحن نجيبه الى ما طلب ونعتب عليه انه تسرع فى الحكم بصحة نسبة هذه الاحاديث الى الكتب التى اسندت اليها اعتمادا على مذكرة المويلحى بك ولو تلبث حتى يعلم نصيب هذه المذكرة من الصحة لانصف الحق والحقيقة واحسن الى رجل يحسبه فى جملة اصدقائه

كتبت الى الاوقاف بعد ما اجابنى بان احاديث التقويم منقولة عن الجامع الصغير والجامع الكبير للسيوطى والنوافح العطرة فى الاحاديث المشهرة والحكم والاحكام انبئه بان للتحقق من صحة هذه النسبة اخذت تقويما فرتبته على حروف الهجاء لمراجعة احاديثه فى الكتب المذكورة وقد انجزت منها حرف الالف والباء والتاء

فكان مجموعها مائة حديث وعشرة . منها اثنان وخمسون اكثرها لم اقف عليه في شئ من هذه الكتب وبعضها موجود بلفظ مخالف للموضوع في التقويم وارسلت الى الديوان نسخة تلك الاحاديث واعدا بذكر ما يظهر في بقية الحروف (وسأفعل ان شاء الله) وطالبت المويلحي بك ان يبرئ نفسه من تهمة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان المواضع التي اخذ منها هذه الاحاديث. وماذا عسى ان يفعل من احيل الى كتاب للتحقق من صحة النقل فلم يجد طلبته فيه الا ان يطالب من الناقل تبرئة نفسه ببيان مواضع نقله

اعاد الديوان الى نسخة الاحاديث ومعها مذكرة من المويلحي بك وامام كل حديث ماخذه من تلك الكتب بنمرة الصحيفة التي هو فيها

ولو نشر المؤيد المذكرة وتعليقه عليها لما ترددت في اجابة سعادة مدير الاوقاف الى طلبه غلق هذا الباب منعا للتشويش الذي يحصل ولجعلت جوابي عن المذكرة خاصا بسعادته كما فعلت قبل ذلك

يقول المويلحي بك انه والى الاحاديث وامام كل حديث ماخذه من تلك الكتب بنمرة الصحيفة التي هو فيها ولكني مع ذلك أقول له ان من بين الاثنين والخمسين حديثا أربعة وثلاثين حديثا لاتوجد في الجامع الصغير ولا الكبير ولا النوافح العطرة ولا في الحكم والا حكام وباقيها موجود بلفظ مخالف للموجود في التقويم بالرغم عن الصحائف التي أشار اليها

يوجد في الكتبخانة الخديوية في فن الحديث تحت نمرة ٥٢٢ كتاب النوافح العطرة وهو مرتب على حروف المعجم وينتهي حرف الياء منه بصحيفة ١٢٨ وتبتدئ صحيفة ٢٢٩ بالبسملة ثم مانصه ومما ورد من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرف الالف بلفظ الامر خطاب المفرد اذكر تغنم اكفف تسلم ارحم ترحم الخ (وقد نبهت الكتبخانة على ذلك في الفهرست المطبوع صحيفة ٤٠٤ جزء اول) وهذه المنشورات لايعرف لها مؤلف ولايحل لرجل يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا منها قبل التثبت من صحة نسبته اليه بمراجعته في الكتب الموثوق بمؤلفها فهذه الاربعة والثلاثون حديثا التي ذكر المويلحي بك انها موجودة في النوافح العطرة انما هي من هذه المنشورات التي لايعتد بها محدث ولا غير محدث

ولو أتعب المويلحي بك نفسه وراجع الفهرست المطبوع للكتبخانة لما سقط

هذه السقطة ولو انعم النظر قليلالا درك الفرق بين هذه المنشورات و بين النوافح العطرة التي التزم مؤلفها في مقدمتها ان يذكر ماخذ كل حـديث وانه صحيح او ضعيف اوموضوع (وهنا يحسن ان استعطف سعادة الشيخ علي يوسف لان يتنازل ويزور الكتبخانة الخديوية ليطلع بنفســه على النوافح العطرة وما الحق بها فغلته المويلحي بك من جملتها)

وحسبنا هذا برهانا على ان واضع احاديث التقويم حاطب ليل وان احاديث التقويم لايوثق بشيء منها الابعدالاطلاع عليه في كتب السنة وان نشرهابين عامة المسلمين على هذه الصفة ضرره اكثر من نفعه

هذا مايتعلق بتصحيح النسبة الى الكتب الاربعة في احاديث حروف الالف والباء والتاء ولو ناقشنا تلك الكتب مناقشة المحدث المحقق كمايريد المؤيد لقلنا ان المسند من هذه الاحاديث لايبلغ الثلاثين والصحيح منها لايبلغ العشرة و اكثر العشرين صرح ائمة الحديث بضعفه أما الثمانون الباقية وهي المنقولة من كتـاب الحكم والحكام والمنشورات التي حسبها المويلحي بك من النوافح العطرة فمنقطعة الاسناد لاتقوم لها قائمة عند عامة المحدثين ولايستبيحون لاحد أن يسـندها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول (حديث شريف) قبل الاطلاع على طريق اسنادها ومبلغه من الثقة والامن وحتى يكون القراء على بينة من ذلك يحسن أن أرجع بهم الى المكاتبات الاولى التي دارت بيني و بين الاوقاف ليكون ما أضمه اليها في هذه الرسالة بمثابة التكميل والايضاح

تقويم ديوان الاوقاف بمصر

وضـع ديوان الاوقاف بمصر تقويما للعام الهجري الحالي وصدر كل يوم بحديث زعم انه من الاحاديث النبويه وقد شغف صـاحب السيادة والسعادة الشيخ علي يوسف بهذه الاحاديث فجعل يخوض كل يوم في شرحها و بيان مغازيها ولقد كنا نرجوا الا يتعرض لها لمايعلمه هو من جهله بالاحاديث ومرتباتها ولكنه فتن بما فيها من المعاني فجعل يصدربها كل يوم ما يصدر من المؤيد مفرقا في شرحها ولكن رقباء الشريعة وحماتها لم يتركوه مستمرا في طريقه هذا بل نشروا في الجرائد ما فيه بلاغ للعاقلين

ومن ذلك ما نشرته جريدة الشعب لوكيل الازهر فى مصر ننشره هنا تعميما للفائدة وهذا نصه

الاحاديث الموضوعة فى تقويم المؤيد

اعدت لديوان الاوقاف تقاويمه المطبوعة على نفقته لاشتمالهـا على احاديث منقولة عن كتاب الجامع الصغير والجامع الكبير للسيوطى (وكلاهما يدرس فى المساجد الشهيرة) ومن كتاب النوافح العطرة فى الاحاديث المشهرة للقاضى محمد بن احمد مجموعا من الدرر المنتثره للسيوطى أيضا ذكر فيه طريقة اختصاره للروايات وما للحديث من الصحة والضعف ولم يأخذ فيه الا ماصح اسناده وروايته ومن كتاب الحكم والاحكام من كلام سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام للعالم الزاهد عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد ذكر فى مقدمته انه جمعه من الصحيحين ومما قرأه على حجة الاسلام الغزالى فى سنة عشرين وخمسمائة ومما رواه الامام ابو طالب المكى والقاضى ابو نصر الموصلى والامام ابو الليث السمر قندى

هذه اول فقرة من ذلك الكتاب فكان جوابى عنها انى عجبت لمن وضع احاديث التقويم لديوان الاوقاف ماله يتنكب عن الكتب المسندة المعروفة المتداولة المجردة من الاحاديث الموضوعة باجماع المحدثين الى كتب غير مسندة ولا مجردة من الموضوعات ولا معروفة ولا تكاد توجد منها نسخة صحيحة فى مكتبة خصوصيه او عمومية

أما الجامع الكبير للسيوطى فقد قسمه مؤلفه الى قسمين ولا يوجد منه فى الكتبخانة الخدوية سوى قطعة من حرف الالف من القسم الاول فقط (خلا قطعة أخرى لاتزال مبعثرة فى الدشت) فليس هو مما يدرس فى المساجد الشهيرة (كما يقول الاوقاف على ان علماء الحديث لايجهلون ان هذا الكتاب من الجوامع التى تجمع الصحيح والضعيف والموضوع

وأما النوافح العطرة فلا يوجد منه فى الكتبخانة الخديوية سوى نسخة واحدة محرفة لايعتمد عليها وقد نص مؤلفه فى مقدمة على انه لايخلو من الاحاديث الموضوعه (لا كما يقول الاوقاف انه لم يأخذ فيه الا ماصح اسناده وروايته) ومؤلفه ليس من المعروفين بصناعة التحديث وانما هو من اهل القرن الحادى عشر .

والذى أدين الله عليه ان النوافح العطرة لو كانت أصح كتاب فى الحديث ماساغ لاحد ان ينقل عن نسخة الكتبخانة الخديوية فقد بلغت من التحريف مبلغا يرفع الثقة بها ومن شاء من القراء ان يتحقق ذلك بنفسه فليذهب الى الكتبخانة وليقرأ صحيفة من الكتاب وليحكم بعد ذلك بما شاء

واما الحكم والاحكام فالموجود منه فى الكتبخانة الخديوية نسخة سقيمة لايعتمد عليها (ولا يقل تحريفها عن تحريف النوافح العطرة) ومؤلفه لم يسند مافيه من الاحاديث اسنادا يصح الاعتماد عليه عند المحدثين (على أن مؤلفه ليس من المعروفين بصناعة التحديث) وقول الاوقاف انه ذكر فى مقدمته انه جمعه من الصحيحين ومما قراه على حجة الاسلام الغزالى فى سنة عشرين وخمسمائة لايرفعه الى درجة الثقة اذ لم يسند الى الصحيحين حجة الاسلام الغزالى فى جلالة قدره لم تسلم كتبه كالاحياء من الاحاديث الموضوعه . فما قرئ عليه لايكون أرفع قدرا مما خطه بيمينه . يعرف ذلك اهل النقد من المحدثين وقد استوعبت تفاصيل ذلك كتب التخريج فلانطيل بذكره

هذا وقد أثبت التاريخ ان وفاة حجة الاسلام الغزالى كانت فى سنة خمس وخمسمائة وجملة القول ان كتاب الحكم والاحكام لا يعد من كتب الحديث فى شئ ولا تصح نسبة شئ منه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الجزم فيقال (حديث شريف) الا بعد التثبت من اسناده

فلم يبق الا الجامع الصغير للسيوطى وهذا قد عنى بشرحه الفضلاء وبينوا ما يصح قبوله وما يجب رده

ثم قال الاوقاف فى جوابه والذى ينقل الاحاديث عن مثل هذه الكتب المتداولة منذ الاعصر الماضية وينشرها لتهذيب الاخلاق لا يقال عنه انه تعمد الكذب فان وجدتم فى احاديث التقويم حديثا مكذوبا فالتبعة فيه على واضع الكتاب لا على الناقل من كتب هؤلاء الائمه وقد اجبت على هذه الفقرة الاولى وانه ليس لواضع احاديث التقويم اذا جاء بحديث موضوع ان يلقى التبعة على المؤلفين وقد فرغ المحدثون من نقد الحديث وبينوا المقبول من المردود . يعرف ذلك اهل الحديث العاكفون على دراسته والمنقطعون لخدمة السنة الشريفة

ثم اقول اى دليل على ان كتاب الحكم والاحكام والنوافح العطرة والمنثورات التى وضعت بجانبه تداولتها الايدى منذ الاعصر الماضية وهى لايوجد منها سوى

هذه النسخة المملوءة بالتحريف ومن هو ذلك الامام الذى الف تلك المنشورات التى اشتبهت على المويلحى بك والذى الف الحكم والاحكام حتى تكون التبعة عليه لا على الناقل من كتابه كما يقول الاوقاف .

ثم قال الاوقاف فى جوابه والشرط فى مظنة صحة الحديث ان يكون مطابقه لاحكام القرآن ولمكارم الاخلاق الواردة فى الدين ولا يكون منافيا باى معنى لاحكام الشريعة

فاجبته عن ذلك بان هذه مقالة لا تعرفها ولا يقول بها احد من المحدثين فكم وضع الوضاعون احاديث مطابقة لاحكام القران ومكارم الاخلاق ونسبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الحجة فردها الحفاظ واهل النقد من المحدثين لا لعلة سوى الطعن على الراوى واتهامه بالكذب فليتق الله مسلم عهد اليه اختيار احاديث مكارم الاخلاق أن يقع فى الاحاديث الموضوعة فيضل الناس بغير علم

ومن هذا البيان تعرف قيمة الكتب التى اعتمد عليها واضع أحاديث التقوم ولذلك أرى ان على ديوان الاوقاف بعد علمه بحال الاحاديث الموضوعة فى تقويمه ان يأمر بنزعها من المساجد وجمعها من أيدى الناس .

فقد طبعت نظارة المعارف منذ اعوام القرآن الكريم فظهر فى الطبعة بعض التحريف ولما نبهت لذلك امرت بجمعه وردت الى الناس أثمان ما اخذوه من نسخه الشريفة . والله الهادى الى سواء السبيل .

٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣١
وكيل الجامع الازهر
محمد شاكر

الادب

فى القرن التاسع عشر

للفاضل كامل افندى حجاج

عبدالله افندى نديم

صحا فى شهير وكاتب اخلاقى اجتماعى طويل الباع فى الخطابه . وكان اذا اقترح عليه اى موضوع فى محفل من المحافل قام بين الناس خطيبا مرتجلا طلق اللسان فصيح الأنقاء سريع الخاطر مستمرا فى خطابته ساعتين او ثلاثا دون ان يتعلثم لسانه . وهو الذى انشأ مجلة « الاستاذ » و « الطائف » و « التنكيت والتبكيت وفضلا عن نبوغه فى النثر فانه مهر فى المجون والازجال والمواليا وصحيفته الأخيرة حافلة بهذا النوع وكان يعقب الموضوع الهزلى بالتبكيت والموعظة الحسنه .

ومن جيد مقالاته التى امكننى العثور عليها « بمن اقتدى اذا اختلفت الآراء» و « هذه يدى فى يدمن اضمها » و « حرب الأقلام بجيوش الأوهام » . ولنذكر قطعة من مقالته الأولى لنقف على أسلوبه .

اقتد بمن اذا اسبغت عليك النعم كان مهنئاً معك واذا نزلت بك مصيبة كان لك معزيا فان اخلاص النصح من غيره لايتأتى الا اذا عاد لبطن امه وولد مرة ثانية فى ارض مس ترابها جسمك وليدا وخدمت فى اصلاحها شبابا ودبرت شأنها شيخا وكيف يقتدى العاقل بنازح عن دياره وقد لطفت هواء وعذبت ماء . وطابت مقرا . وكثرت خصبا . فلم يرض بمارضى به اباؤه . واستهجن مااستحسنه اجداده وقطع رحما يجب صلتها عليه . »

وله رساله ضمن غالبها بالآيات القرآنيه اولها :

« لاحول ولاقوة الابالله. اشتبه المراقب باللاه واستبدل الحلو بالمر وبيع الدر بالخزف والخزف بالخسف واظهر كل اثيم كبره ان فى ذلك لعبره .

محمود افندى صفوت الساعاتى

ولد هذا الشاعر المجيد بالقاهره سنه ١٢٤١ وانتقل الى الاسكندريه مع ابيه وهو فى الثانية عشرة ثم عن له حينما بلغ العشرين أن يحج البيت الحرام وهناك التحق بأمير مكة الشريف محمد بن عون فكان له سميرا ومادحا لايفارقه فى حله وترحاله وغزواته ولما عزل الشريف هاجر معه الى مصر ثم سافر الى الأستانة

بمعيته وفي عام منه ١٢٦٨ آب الى القاهرة وانتظم في سلك المعية الكخدائية زمناما ثم تعين بمعية الخديوى سعيد باشا ثم تقلب في عدة وظائف الى أن عين اخيرا عضوا في مجلس احكام الجيزه والقليوبيه وتوفي سنة ١٢٩٨ .

كان من فحول الشعراء المطبوعين رقيقاً حسن الذوق غزير المادة متوقد الذكاء نبغ في عصر كاد الشعر فيه ان يندرس فهذبه واعلى شأنه في مصر والحجاز وبزغ في سماء التقريض شمسا مشرقة استنار بها كل من عالج هذه الصناعة من مواطنيه .

ومن آيات بلاغته قصيدته الهمزية وبها نفحات عظيمة في الفخر واولها

رقت لرقة حالتي الأهواء ... وحنت على البانة الهيفاء
وبكى الغمام على من أسف وقد ... كادت تمزق طوقها الورقاء
ماذا تريد الحادثات من امرئ ... من جنده الشعراء والأمراء
دعها تعد كما تريد شبا كها (١) ... فلربما علقت بها العنقاء
انا ذلك الصل الذى عن نابه ... تلوى المنون وتلتوى الرقطاء
وفمي هو القوس الأرن ومقولي ال ... وتر الشديد واسهمي الأنشاء
فكري ينظم في البديع فرائدا ... من دونها ما تلفظ الدأماء

وله من قصيده دالية مطلعها

دعيني فما في الأمر غير التوعد ... فحتى متى ادمان هذا التهدد

ومنها

الا في سبيل المجد نفس عزيزة ... يعز عليها ان تذل لمعتد
فمالك لاتأوين لي من صبابة ... رويدك ان الحسن غير مخلد
فكوني كماشاء الوشاة وصدقي ... زخارفهم واصغي لقول المفند
فليست يد الهجران قاتلة امرئ ... يهز من السلوان كل مجرد

ومنها

فلا فضحت نظم الجمان قصائدي ... ولا بلغت بي رقتي كل مقصد
اذا لم اطوق جيده بقلائد ... بغير حلاها الدهر لم يتقلد
فرائد مدح في سلوك مناقب ... لمنفرد بالمكرمات مسود
وان لم اسير بالقوافي ركائبا ... فلا قيدت شعري محابر منشد

الشيخ احمد عبد الرحيم

ولد بطهطا ١٢٣٣ وتلقى العلوم العقلية والنقلية بالازهر ثم عين مدرسا للنحو والصرف بالمدرسة التجهيزية فالمهندسخانه فالحربية ثم اسندت اليه اخيراً

(١) الهدايه : لا ندرى كيف يلتئم البيتان اول القصيدة ومابعدها ؟

رياسة تحرير الوقائع المصريه اشتغل بالاداب والنظم والنثر وله مؤلفات منهـا « منظومة فى الصرف» «ونهاية القصد والتوسـل فى فهم قولة لدور والتسلسل » ورسالة فى « فنى العروض والقوافى وجملة رسائل نحوية اخصرها النقطة الذهبية فى علم العربية » وديوان مدائح نبوية لم يطبع مرتب على حروف المعجم سماه « در الشرق المنظم فى مدح النبي الاعظم » وكل قصيدة منه زهاء خمسين بيتاً. وله قصائد ومقطعات عديدة جيدة منها ما كتبه لاحمد افندى فارس صاحب الجوائب بالاستانة فى ذيل رســاله .

يأيها البحر قد اهديتنى دررا   ياليت شعرى ماذا اليوم اهديكا
اخلاقك الغر مثل الشمس ظاهرة   فانت فى غنية عن وصف مطريكا
اجمال مدحك لاارضى به ــ واذا   فصلت اخشى قصورا ليس يرضيكا
فانما هو راح لست آمن من   اكثارها نشوة تنسى ــ مماليكا
انت الخضم لعلم ــ لامراء به   فكنه للحلم وامنحنى تغاضيكا

وقال ـــ . يقول محرر الوقائع لما رأيت اللآلى من البحر. وقلادتها لاتليق الا بذلك النحر زاوجته قصيدة مؤلف الجوائب فيه محافظـا فيها على غر قوافيه فانصرف معناها اليه وصار مقصورا عليه فحق لها ان تختال به فى حليتها ولوكانت بنت ليلتها. تجد اليها السرى. وهذا كاترى :

علم الهـوى لم يبق فى بقيـة   فارادنى بابى وقال هديـة
اهـدى الى عبدالرحيم تحيـة   غراء يصحبها الثناء الطيب
كم لى تقول امدحه مدحا ــ باهرا   وارصد لحليته النجوم مساهرا
هبنى اجيد ــ المدح لكن زاهرا   ت صفاته كالزهر ليست تحسب

والقصيدة تبلغ ثمانية وثلاثين بيتا .

(١) الهداية : ان منزلة هذا الشعر ليست بالرفيعة لراقية ولقد يكثر فيه مع ذلك الحشو

مظالم البلقان

التقرير العاشر

دخل الصرب قصبة قوادار مركز قضاء تيكوش التابع الى سلانيك فى ٢٣ تشرين الاول وكان قد سبقهم اليها عصابة بلغارية ومتى قيل عصابه يجب ان يفهم انها جماعة متوحشون يرتكبون جرائم القتل والنهب ونسف المبانى بالمدمرات وسائر انواع الفظائع منذ سنين عديده واكثر العصابات التى اشتهرت بالاعمال الهمجيه التى يعجز الفكر عن تصورها فى الحرب الحاضره هى العصابات البلغاريه ولكن حيث العصابة المذكورة اعلاه كانت تحت مراقبة الجنود الصربيه ماتمكنت من اتيان جميع ماتوحيها اليه ضمائرها الشريره من القتل والسلب ولذا عدلت الى حيلة اقنعت بها ضباط الصرب للموافقة على اجرا المذابح وهنا ندرج بعدما وقع فى قصبه قوادار المذكورة من المظالم :

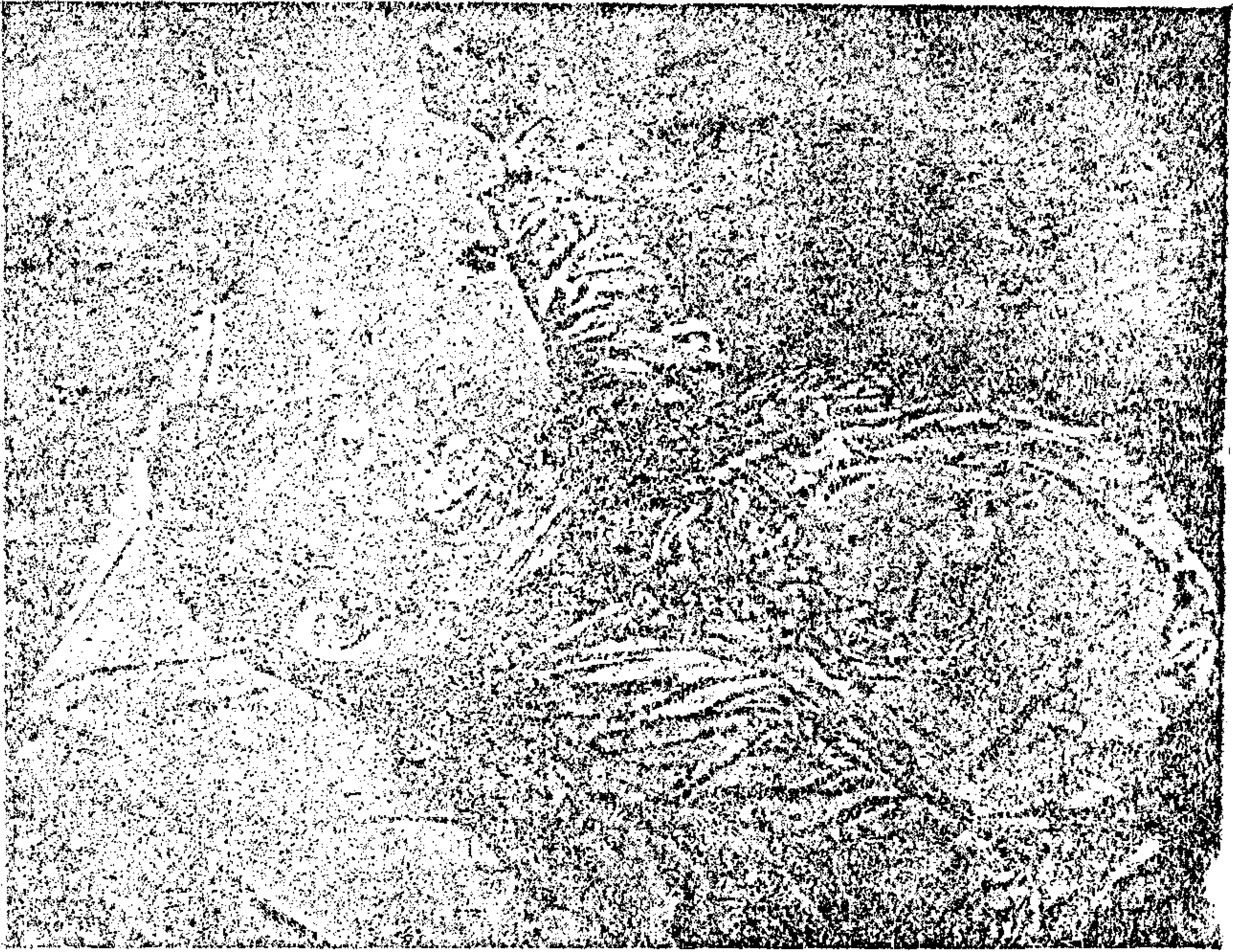
ذهب رجال عصابة البلغار بنفر صربى ليلة عيد الاضحى الى بيت حسين اغا فى محلة بالا لاجل يتعهد بتدارك العلف اللازم لحيوانات الجند فما كان الا ان قتلوا النفر الصربى المرقوم واسرعوا الى ضباط الصرب واخبروهم ان الاسلام ثاروا مسلحين وبدأوا يقتلون النصارى وقد قتلوا حتى جندياً صربياً امام بيت للمسلمين فامر حينذاك الضباط رجالهم بان يطوفوا البلدة ويقتلوا كل من صادفوه من المسلمين وبذلك وجد رجال العصابة ضالتهم وتحققت امنيتهم فهجموا مع العسكر الصربى على المسلمين الذين لم يكونوا يحسبون ماخبأ لهم القدر واعملوا فى القتل والنهب يومين كاملين قتل فى خلالهما قدر ١٨٠ رجلاً وهكذا كان المسلمون ضحية فى عيدهم لامضحين. وقائمقام قضاء تيكوش الذى شاهد عياناً هذه الفظائع نقل لنا انه رأى بعينه عسكر الصرب ورجال العصابه يسحبون رجلاً هرماً مسلماً يدعى محمد على افندى بحجة ايصاله الى المحكمة ثم قتلوه بالرصاص امام عائلته وفى نفس الشارع قتلوا شابا يدعى على وهو الولد الوحيد لوالدته العجوز. وكان عدد القتلى فى المحلة التى كان يسكنها القائمقام المومى اليه ١٢ رجلاً واما النهب والتسلط على الاعراض كان وقع بالمطلع مايكون قبل الابتدار بالقتل بحجة التفتيش على السلاح كما هى العاده لانه ماتخلص عرض امرأة او بنت من الهتك ولامخزن او بيت من النهب .



كيف يمثل الصليبيون بنساء المسلمين

وقد ذكرنا الحادث الاثاتية خصوصاً من بين مئات من الفظائع التى وقعت : دخل بعض الجنود الصربيين الى بيت صادق بك حاكم درينوا وربطوه وتجاوزوا الى عرض زوجته وشقيقتها السكينتين امام عينه وبعد ذلك نهبوا جميع ما فى البيت وقد فاق الضباط الصربيون افراد العساكر ورجال العصابات البلغار. فى ارتكاب الدناآة والفظائع فانهم عرفوا قد عشرين بيتا يسكنها نساء ونبات جيلات وفى المساء دخلوا عنوة تلك البيوت وهتكوا اعراض النساء والنبات اللاتى فيها .

وبلغنا ايضاً انهم اذاقوا قائمقام تيكوش انواع العذاب والاهانه .



ضابط عثمانی مثل به العدو وثم ارسله الى المعسكر العثمانی بشتالجه

فی ملحقات تیکوش

كانت المذابح والرفات فی ملحقات تيكوش اكثر منها فی قوادار مركز القضا وبعد احتلال القضا بيومين شكل الاهالی البلغار فی مزرعة تريستويك عصابة وذهبوا الى مزرعة حسين كهيا وقتلوا وكيله وفی الساعه التاسعه من ذات اليوم وقتلوا المزارع ابراهيم احد مهاجری البوسنه والهرسك بالحراب مع زوجته ووالدته وولديه الصغيرين ثم حرقوا جثثهم بالغاز . وقد رموا حياً فی التاسعه من عمره يدعى ابراهيم فی النار التی احرقوا بها جثث المذكورين ولكن من هول الموت تمكن من التخلص من النار واسرع فاراً من ايدی هؤلاء البرابره .

والذی نقل لنا هذه الفاجعه رجل مسيحی يدعى ميلكوف من قرية روشدان وقد شاهد ذلك بعينه

فى سيرقوا

سيرقوا قرية تحتوى على ٢٢٠ بيتاً . ذبح فيها ٢٨ رجلاً من جملتهم بشار آغا الذى فى سن السبعين وولده حسن وآخر يدعى صفر شاوش واخوه محمد وقد امر الصرب المسلمين بالخروج من بيوتهم مع عائلاتهم وطردوهم الى خارج القريه حيث ربطوا الرجال وقتلوهم بالحراب وهتكوا اعراض النسأ وسلبوا جميع ماعليهن واثناء ذلك كانت البيوت تنهب من جهة اخرى .

فى بهوله

بهوله قرية تشتمل على ٦٥ بيتاً للمسلمين و٢٥ بيتاً للمسيحيين وبمعاونة رجال العصابات فتك مسيحيو القريه بالمسلمين ونهبوا البيوت وتفصيل ذلك انهم ساقوا جميع الاهالى المسلمين الى خارج القريه فربطوا الرجال بحبال وقتلوهم بصورة فضيعة وعدد القتلى ٤٥ من جملتهم سليم شاوش واحمد آغا والعطار سليمان والمزين خليل وخليل خواجه اوغلى اما النسأ فاجبرن على قبول المذهب البلغارى ووزعت النساء والبنات الجميلات على البرابرة الذين دنسوا اعراضهن وحبس فى سجن قوادار تسعة من اهل الاسلام وهذه اسماؤهم :

حسن واخواه على وولى . عابد . احمد . ولى . سليمان . قوزتيش . محمود .

وفكر البلغار المحليون ورجال العصابات فى ايجاد وسيلة لتبعيد الضابط الصربى المؤكل بحفظ المحابيس لكى يقتلوهم فارسلوا رجلين بلغاريين من قرية بكنيشه يسترحمون الضابط المذكوران يمدهما بمفرزة عسكريه لان الترك هجموا عليهم وقدلبى الضابط طلبهم واسرع مع مفرزة الى قرية بكنيشة دون ان يصادف احداً من الاتراك ولما عاد راى المحابيس لا اثر لهم حيث كان البلغار قتلوهم بغيابه خارج القرية وما لحق هؤلاء الجناة ادنى عقوبة . ومثل ذلك حدثت جنايات كثيرة فى قرى روسمان وقونوبيشا ونيبوتين وتسمانيك وغيرها وقد بلغ عدد القتلى فى هذه القرى من رجال ونساء واولاد اربعمائة نفس

التقرير الحادى عشر فى قضأ عورت حصار

عورت حصار قضأ تابع لسلانيك ومركزه قرية كلكيش تبعد عن سلانيك ساعتين اصيب هذا القضاء باد هى مظالم البلقانيين لان قرية كلكيش كانت منذ القديم مركزاً للعصابات البلغارية ولايوجد بها سوى مائة بيت للمسلمين فكان جل اهل تلك القرية بلغاريين وفى بدأ الحرب التجأ المسلمون الى سلانيك عدا بعض اشخاص منهم بقوا فى القريه بناءً على تطمين اصحابهم من

الاهالى البلغاريين فقتل منهم اربعة عشر شخصا من جملتهم الطبيب مجيدوابنه الشاب وكانت علاقات الطبيب المومى اليه صميميه جداً مع الاهالى البلغار فبقى بالقريه مع عائلته استناداً على مواعيدهم ولكن بعد دخول البلقانيين اليها قتل شرقتله ففي بادئ الامر طلبوا منه ان يسلمهم نقوده فاعطاهم ٤٠٠ ليرا عثمانيه ولكن لم يقنعوا بذلك وذبحوه امام ابيه وامه واخوته مع ولده البالغ من العمر اربعه عشر عاماوذهبت تضرعات والدى المقتول ادراج الرياح لدى هؤلاء البرابرة الذين اجابوهما بقتل الاب امام زوجته التى من شدة تأثرها جنت وتاهت فى الشوارع ساحبة ولدها بيديها .

فى ملحقات عورتحصار

كثير من القرى التابعة لهـذا القضا نهبت وهدمت بيوتها ولكن ظهرت آثار الوحشيه فى بعض القرى جدا مثل قرية كركوت ورعيان حيث جمع متوحشو البلقان عامة اهالى قرية كركوت رجال ونسا ماعدا البنات الشابات فى جامع وبعد ان نهبوا مامعهم احرقوهم جميعاً وكانو يشاهدون هذا المنظر الجهنمى ويقتلون بالحراب كل من اراد التخلص من هول النار . وعدد الضحايا فى هذا الحريق ٧٦٠ نسمة . اما البنات اللواتى كان ابقى عليهن من الاحراق فيبلغ عدد هن ٦٠ بنتاً نصرت جبراً بعد هتك اعراضهن وزوج بعضهن قسراً مع بلغاريين ومانخلص من اهالى هذه القرية سوى سبعة عشر نفسا كانوا موجودين تصادفاً فى سلانيك

وهكذا فعل البرابرة فى قرية رعيان وما تخلص من اهلها الذين يبلغ عددهم الثمانماية الا العدد القليل

اما الضحايا فى القرى الاخرى فهذا بيانها :

فى قرية شيرنال ٨٠ ، فى بيكوا ٦٠ ، فى بابرات ٤٥ ، فى مارشالى ٤٥ ، فى لالوا ٢٧ ، فى ريزا ٢٠ ، فى اسماعيلى ٢٠ ، فى اريكلى ١٨ فى واكوسوزلو ١٧ فى طوغانزا ١٥ فى ويرلات وقطلر ١٧ فى حسن اوبا ، فى بوطرش ١٤ فى قره طاغ يكى محله ١٠ ، فى سرائيلى ٢٤ فى وانيز ٩ ، فى كموشوا ٧ ، فى دور جسنلى ٨ ، فى اقشه كليسا ٥ ، فى ارنقشه ٥ ، فى عاشقلى ٣ ، فى حاجى يونس ٣ ، فى صارى كوسه ٢ ، يني محله ٢ ، ٢ ، فى اولاحلى ٢ ، فى قره بينار ١ ، فى صارى

امرأة حامل بقروا بطنها فخرج جنينها على الرمح

كول . فى صارى طاغلى ١ ، فى يعقوبلى ١ ، فى اريوردان ١ هذا عدد القتلى الذين ام مكننا الاطلاع عليهم لكنهم اكدوا لنا انه يوجد قتلى ايضا من قرى اخرى غير انه لايمكننا استقصاً ذلك فى الوقت الحاضر .



يا عالم الاسلام

ننقل هنا عن الزهور البغدادية القصيدة الآتية للشاعر المجيد السيد محمد الهاشمي يناجي بها العالم الاسلامي قال حفظه الله

تبين لك الايام ام تتجمجم (١) — حديث الاماني لو علمت مرجم (٢)
و تستعظم الايام في كل حادث — و جهلك بالايام ادهى واعظم
اطلت التمادي بالضلال و انه — سبيل الى الحرمان لو كنت تعلم
وكنت قد استضعفت للدهر حقة — ولا الخرق مرتوق ولا الحبل مبرم
هو العيش اما ان تعيش فتنثني — عزيزا و اما ان تذل فتحرم
واني ارى في الموت حالا تسرني — اذا لم يكن لي في الحياة التقدم
اذا لم افز في هذه الحال بالمنى — فلا الموت يلويني (٣) ولا السقم يؤلم
وان وطأتني الظالمون بأخمص (٤) — فموتي شهد و السلامة علقم
دع العيش واستجعظي (٥) الموت ان تجد — على العيس ذلا اسه فيه محكم
فان لم تمت ترجع سعيدا وان تمت — تمت حيث لا تشقى ولا تتندم
ولا مأتم مثل المذلة انها — هي المأتم المردى اذا قام مأتم
دعيني امت حتف السيوف فانني — اخاف اذا مامت اني شتم
اذا انا لم احفظ عهود حقيقتي (٦) — فلا تبسمت لي (٧) يوم حادثة فم
الى العز نفسي تشرئب (٨) ومالها — اليه سوى الموت المفجع سلم
واني لاوطاني وديني وسؤددي — فداء اذا ما حادث يحدم
الا ليت شعري هل يباح لي الكرى (٩) — وفي وطني هوج الوقائع تقصم
بقلبي هموم لو تجشمت (١٠) بعضها — عييت واعيي ساعديك التجشم
اتى جارف الاعداء بغشى بلادنا — لامواجه حول المواطن هيقم (١١)
تألبت الاعداء طرا ليهدموا — دعائم للاسلام لا تتهشم
فيا غيرة الاسلام هذا احتياجنا — اليك وهذا المأزق المتجهم (١٢)
الى عالم الاسلام اهدي تحية — بها الحزن يطوى والمدامع تسجم
لما ذا اختلفتم والاعادي تظاهرت — عليكم ونمتم والعدى تتغمغم (١٣)
دعوا الخلف ان السيل قد بلغ الزبى (١٤) — فما الخلف الا مرتع متوخم

ارى العرب والاتراك في الدين اخوة … وما الترك الا في بني العرب تعصم
ولا الترك مرجوح ولا العرب راجح … ولكنهم للدين كف و معصم
وما الفرق بين العرب والترك بالذي … تشدد ما ابدى الحوادث تفصم
فيا ايها العرب الكرام تظاهروا … مع الترك ان الحق بالحق يدعم
والا فانتم للخطوب دريئة (١٥) … تروح امور الذل فيكم و تعتم
فلا الدين دين الله يبقى ولا الهدى … تؤيد دعواه ولا الملك يسلم
ولا تحسبن الشر فيهم وانكم … من الشر قوم مالكم فيه مقسم
لكم مالهم من امرهم وعليكم … من الذل ماالقى الرجال عليهم
فكونوا بناء في المصائب واحدا … اذ الدهر يبغي او اذا الشر يهجم
اليس من الخسران ان بلادنا … تصاب وانا في التباغض نوم
اترضون ان نمسي عبيداً جميعنا … لمن ليس يهدينا ومن ليس يرحم
فلا تجدعوا آنافكم باكفكم … ولا تصبحوا الذكرى لمن يتوسم
تعصب بعض القوم في الدين واقتفى … سبيل العمى وهو السبيل المذمم
افي الدين ام في الحق كان تعصب … بقومية ام ذا من السوء ينجم
لقد موهوا في الدين مالم يكن له … من الحق ظل او من الدين معلم
و ليس رسول الله فرق بيننا … بقومية للمسلمين تقسم
وما رجح الاسلام ممن تمسكوا … به احدا او قال هذا مقدم
و لكنه ساوى فكان كما ترى … سواء به عرب و ترك وديلم
و مازال هذا الدين في كل موضع … يسب الذي يبغي الخلاف و يشتم
سنؤكل طمراً قصعة بعد قصعة (١٦) … اذا نحن في هذا التعصب نحزم
اتغزى بلاد المسلمين وعندنا … قلوب و يجري في مفاصلنا دم
لنا كل يوم وقعة بعد وقعة … تدق بها الآناف منا و ترغم
و تغصب منا بلدة بعد بلدة … اناس لهم في جهلهم متعوم
وتخضمنا الاعداء في كل معرك … بكل خضوع للجيوش فنقضم (١٧)
فان دام هذا الحال فالظلم دائم … على عالم الاسلام والذل ادوم
سطت امم البلقان بالملك سطوة … تمور سماء من لظاها و انجم
(ادرنة) تبكي والجحافل حولها … تزعزع من بنيانها و تقصم
(سلانيك) تشكو اليأس واليأس واقع … عليها و تشكو الظلم والظلم يؤلم
وفي (الروملي) قد انزل الخطب رحله … و اصبح فيها الظلم وهو مخيم
تضايق رحب (الروملي) وهو واسع … باشلاء جيش (الترك) فالرحب مفعم

هنالك ذل المسلمون و دمرت ... بلادهم يامن من الذل يعصم
وكم قد غدى منهم خميس عرمرم(١٨) ... الى الحرب يتلوه خميس عرمرم
فجاهد حتى شتت الموت شمله ... وزاحم بحر الموت وهو غطمطم(١٩)
تولت بلاد المسلمين زعانف(٢٠) ... تهدم من اركانها ماتهدم
لقد ملئت بالغدر منهم صدورهم ... واراثهم يوم المشاكل تسقم
اولئك خانوا قومهم و بلادهم ... فذكرهم بالسب واللعن يختم
وقد دنسوا اعراضهم و ثيابهم ... بعار لهم فى صفحة الدهر يرقم
وقد خسروا الدنيا فلا العرض منهم ... مصون ولا ما يكسبون مكرم
وقد خسروا الاخرى فليس لهم بها ... رجاء اذا يرجو من العفو مجرم
الا ايها الشرق الذى طال نومه ... أأنت ضعيف الكف أم انت اعسم(٢١)
الا يا رجال الشرق ما بال حزمكم ... يغب (٢٢) وما بال العزائم تحجم
ويا عسكر لاسلام ان خلافكم ... مشوم ولكن التباغض اشأم
سلام على الاسلام يوم تفرقوا ... فخارت قواهم فى الورى وتهضموا
خبت نارهم من بعدما كان نورها ... به يستنير الكون والكون مظلم
وكانت مساعيهم و كانت سيوفهم ... بها الجرح يؤسى اوبها الداء يحسم
فيا غيرة الاسلام ان بلادنا ... بها الناس تصلى و المنازل تضرم
ويا غيرة الاسلام ان بلادنا ... بها الدم يجرى اذا بيح بها الدم
ويا غيرة الاسلام ان بلادنا ... تصاب ووجه العدل اربد اقتم(٢٣)
ويا غيرة الاسلام ان بلادنا ... تجور بها الاعداء جوراً وتظلم
ويا غيرة الاسلام ان بلادنا ... بها الحق يخبو والمساجد تهدم
وتسبى نساء المسلمين وتستبى ... ايامى و اطفال هناك تيتم
حرائر لم تطرق عليهن ريبة ... ولم تخترق فى سبلهن محرم
و تهتك اعراض البنات تهتكا ... وهتك ستور القوم للقوم مغنم
وقد اوقدت بعض البيوت باهلها ... كما او قدت بالمجرمين جهنم
فيا وحدة الدين انجدينا فاننا ... بساحل ليل الظلم والليل مظلم

بغداد : محمد الهاشمى

(١) الجمجمة صوت بلا معنى (٢) باطل (٣) يرجعنى ويصدنى (٤) باطن القدم (٥) سيوف (٦) مايجب على انا حمية (٧) لفظت (٨) تعلو وترتفع (٩) النوم (١٠) تحمنت (١١) اضطراب اصوات الامواج (١٢) المضيق المظلم (١٣) لها غوغاء (١٤) رؤس النلع (١٥) عرضة (١٦) شيئاً فشيئاً (١٧) الخضم الاكل بكل الاضراس والقضم الاكل باطرافها (١٨) جيش كبير (١٩) واسع (٢٠) اراذل (٢١) يابس لكف (٢٢) يقصر (٢٣) مغناها اغبر .

تيار الاستعمار

فى بلاد الاسلام

(٣)

فرنسا فى الجزائر ؟

لما فتح الفرنسيون مدينة الجزائر كما بيناه تفصيلا فى العدد الثالث وجدوا انفسهم فى بلاد واسعة ارجاؤها متنائية اطرافها اكتنفتها الجبال والهضاب من كل جانب واشتهر اهلها بالقوة وشدة البأس . لايقيمون على الذل ولا يرضون بالضيم ولم يذعنوا من قبل لحكومة ما اذعانا تاما . ولذلك ظل الفرنسيون متحصنين فى مدينة الجزائر عدة سنين يترقبون الفرص ويرسمون الخطط ليمدوا سلطانهم فى تلك البلاد الواسعة .

وقد مر بالقارئ القول فى العدد الثالث بان الانقسام الذى كان مستحكما بين الداى وبطانته والاهالى كان من الاسباب التى عجلت بسقوط مدينة الجزائر وانقراض امارتها . وقد كان الانقسام بين القبائل الداخلية ايضا من الاسباب التى ساعدت فرنسا على الايغال فى داخل البلاد . سنة الله فى كل امة تمزقها الانقسامات والاختلافات . ومن الغريب ان التاريخ مفعم بتلك العظات البالغة وخصوصا تاريخ المسلمين الذين ضاعت بسبب انقسامهم وتقاطعهم جل بلادهم وصارت فى يد اعدائهم سلما تباع وتشترى ومع ذلك لاتزال البقية الباقية المستقلة من بلادهم مهددة بذلك الخطر الداخلى ولا يعلم الا الله متى يتقى المسلمون هذا الخطر

قلنا ان الانقسام بين القبائل فى بلاد الجزائر كان من اسباب رسوخ قدم الفرنسيين فى الجهات الداخلية وذلك ان تلك القبائل لم يكن بينها اقل ارتباط او تضامن بل كانت فى الغالب متخاصمة متحاربة. وبعيد على الامة التى يتقاطع ابناؤها ان تقوى على صد هجمات الاعداء عليها مهما بلغت شجاعتها وانفتها

فبينما كانت الجنود الفرنسية تحتل مدينة الجزائر كانت القبائل البدوية الداخلية من انقسامها وتقاطعها فى شغل شاغل الى ان بدأ الفرنسيون يرسلون طلائعهم الى داخل البلاد وعلمت القبائل بعزم فرنسا على فتح بلادهم فهزتهم النعرة

(١) تابع لما نشر بالعدد الثالث صفحة ٢٣٩

الاسلامية ودعاهم وازع الدين الى الجهاد فى سبيل حمايته فقاموا يحاربون هذا العدو الاجنبى ولكن لم تكن مقاومتهم لفرنسا مقاومة عامة ذات خطة مرسومة ونظام موضوع بل كانت اشبه بمقاومة محلية فكانت كل قبيلة تقترب منها طلائع الفرنسيين تجتمع تحت لواء قائدها وتستبسل فى محاربة العدو وتشتبك معه فى معارك صغيرة او كبيرة وكانت الحروب على ذلك سجالا

وقد تمكن الفرنسيون بعد سقوط الجزائر من احتلال الثغور المهمة على البحر دون ان يجدوا منها مقاومة كبيرة ثم وجهوا قوتهم شرقا الى قسطنطينة حيث تحصن فيها الأمير احمد بك واعلن فيها استقلاله بالامارة بعد سقوط امارة الجزائر وعزم على ان يقاوم الفرنسيين فيها مقاومة شديدة وكان على جانب كبير من الشجاعة فجمع قوة كبيرة وحث قومه على الجهاد وساعده على المقاومة موقع المدينة الطبيعى لانها قائمة على جبل عال يصعب الوصول اليه

فشل الفرنسيون فى حصارهم لها فى المرة الأولى وارتدوا عنها بعد ان حملتهم خسائر كبيرة ولكنهم عادوا اليها سنة ١٨٣٧ بعد ان زادوا من قوتهم واستعانوا بالمدافع الكبيرة فى حصارها فقاومت حاميتها مقاومة استبسال ولكنها لم تقو على الحصار طويلا وفتحها الفرنسيون عنوة فى تلك السنة وبذلك سقطت المدن الكبيرة فى يد الفرنسيين ولم يبق امامها الا محاربة القبائل

بعد ان سقطت مدينة الجزائر ظهر بين القبائل ذلك الرجل الكبير الذى امكنه بفضل شجاعته وعلو نفسه ان يجمع حوله الناس ويدعوهم الى الجهاد فى سبيل الله تحت زعامته وهو الامير عبدالقادر فلبى الكثيرون دعوته والتفوا حوله وكان غيورا شهما كريم النفس شديد الايمان كبير الثقة من نفسه شديد التأثير فوجدت منه القبائل الضاربة فى جهات وهران زعيما قادرا وصارت بفضله قوة كبيرة فلما افلح الأمير فى دعوته اخذ يحمل على الفرنسيين حملات صادقة يرجع فى كثير منها غانما سالما ويردهم على اعقابهم بعد ان حملهم خسائر جسيمة وقد وجدت منه فرنسا خصما قويا لا تستطيع فى اول عهدها باحتلال البلاد ان تغلبه على أمره فاضطرت الى مسالمته سنة ١٨٣٧ وعقدت معه معاهدة اعترفت فيها به أميرا على وهران وجزء من مقاطعة الجزائر. ازدادت قوة الامير عبدالقادر بعد تلك المعاهدة وامتد نفوذه والتفت حوله قبائل كثيرة ولكن فرنسا امكنها ان تضم الى جانبها بعض الخونة من رؤساء القبائل المجاورة للجزائر واجتذبتهم مرة بالسياسة وأخرى

بالرشوة فاتخذتهم عيونا لها واستخدمتهم فى مناجزتها للأمير واخذت تحين الفرص لتستأنف محاربته لانها لم تعترف به اميرا على وهران الا ريثما تستعد لقتاله .
والاغرب من ذلك ان بعض المؤرخين الفرنسيين الثقات يرجعون الفضل فى التغلب على الامير عبدالقادر الى ارشادات احد مماليك باى تونس . هرب هذا المملوك من قصر سيده وعرض على فرنسامساعدته لها فى حربها بالجزائر وقدم لها فعلا مساعدات كثيرة فانظر كيف يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين .لما اعيت فرنسا محاربة الامير عبدالقادر فى السنوات الاولى اتبعت معه طريقة جهنمية تفل بها من حده وذلك انها كانت تحرق جميع المزارع والمراعى القريبة من الجهات التى كان يرابط فيها الامير ورجاله لعلمها ان العرب لا يستطيعون البقاء والمقاومة اذا حيل بينهم و بين مزارعهم ومراعيهم وقد صبر عبدالقادر على تلك الشدة وظل يحث قومه على الاستمرار فى القتال واحتمال المكاره جهادا فى سبيل الله و برغم تلك الطريقة التى اتبعها الفرنسيون فى محاربته كان لا يتركهم فى راحة بل ولا يألو جهدا عن مهاجمتهم فى مراكزهم وكثيرا ما اقترب فى هجماته من مدينة الجزائر .

ولكن الفرنسيين بمساعدة ذلك المملوك الخائن هاجموه على غرة فى المكان الذى كان مرابطا به وهزموه فيه سنة ١٨٤٣ فسلم فى هذه الموقعة بعض القبائل التى كانت تحارب معه اما هو فقد ابى التسليم واتجه صوب مراكش واخذ يدعو القبائل هناك الى معاضدته فى محاربة الفرنسيين اعداء الدين وارسل الى سلطان مراكش يستنجده فانجده بجمع من المقاتلة . وهنالك ارسلت فرنسا قواتها الى مراكش لتحارب جنود السلطان او يسلم الامير عبدالقادر فاشتبك الفرنسيون مع المراكشيين فى معركة اسلى سنة ١٨٤٤ وكان الفوز فيها فى جانب فرنسا وارسلت الحكومة الفرنسية اسطولا الى مياه مراكش فخرب ثغر طنجه ارهابا وتهديدا فلما رأى ذلك سلطان مراكش اتفق معها على ان لا يسمح للامير عبدالقادر بالبقاء فى الاراضى المراكشية

لم يفل ذلك من عزم الامير بل اخذ يدعو القبائل سرا الى محاربة فرنسا واختفى لهذا الغرض مدة حتى جمع قوة كبيرة من العرب واستأنف الحرب دفاعا عن استقلال بلاده . وظل ثلاث سنوات بعد اتفاق فرنسا ومراكش يحارب الفرنسيين حتى انهكت قوته واضطرته كثرة عدد اعدائه وعددهم الى التسليم . وكان ذلك

سنة ١٨٤٧ اى بعد جهاد سبعة عشر عاما اذاق فيها الفرنسيين الصاب واتى فيها من ضروب الثبات والشجاعة ماخلد له ذكرا لا يمحوه الزمان لانه اظهر للامم مثال الاستبسال فى الدفاع عن الاستقلال ولا ريب انه وان غلب على امره جدير بان يفاخر به اهل الجزائر بل المسلمون جميعا

سياسة فرنسا فى الجزائر

من اراد ان يعرف نتائج الحكم الأوروبى فى البلاد الاسلامية فحسبه ان يتبين حالة الجزائر واهلها بعد ان مضى عليهم وهم فى حكم فرنسا ثمانون عاما لان هذا الزمن الطويل جدير بأن يظهر للملأ النتائج البعيدة للاستعمار الأوروبى فان من الاغرار من لايزالون يوهمون الناس بان الحكم الأوروبى هو حكم اصلاح وتعمير وان الخيرات الدفينة فى الشرق لا تظهر ولا يستثمرها الناس الا فى البلاد التى ترسخ فيها قدم الحكومات الاوروبية . ومنهم من يحسد بعض البلاد الاسلامية على ابتلائها بالحكم الاجنبى . . . . . . انه ليحسن بأولئك الواهمين ان ينظروا الى العواقب بدلا من ان يغتروا بالظوهر وان لايتسرعوا فى الحكم على حقيقة الاستعمار الأوروبى الا بعد ان يتبينوا نتائجه . وانا لذاكرون شيئاً من نتائج هذا الاستعمار فى بلاد الجزائر لانه نموذج ماحل او سيحل بالبلاد الأخرى .

لما خلص الأمر لفرنسا فى تلك البلاد وتغلبت على ذلك الخصم العنيد الامير عبد القادر وجدت نفسها امام امة وان كانت قد غلبت على امرها الا انها تحمل ضغنا شديدا على العدو المتسلط عليها . وأى امة شريفة لا تحقد على من يسلبها نعمة الاستقلال ! وجدت فرنسا ان قوة هذه الأمة فى عصبية قبائلها البدوية التى كانت بفضل تلك العصبية شجا فى حلق من يحاول اذلالها لاسيما ان تلك القبائل كانت بطبيعتها تألف الحرب وتميل اليها ولذلك اخذت فرنسا تسعى فى افساد تلك العصبية ومحوها .

كان من مبادئ تلك العصبية ان لكل قبيلة رئيسا تحترمه وتطيعه واملاكا ومزارع ومراعى لا يمتلكها شخص بالذات بل كانت ملكا عاما للقبيلة . فكانت الرآسة من جهة ووحدة الملك من جهة اخرى اساس العصبية فى القبائل البدوية ولذلك كان الرؤساء بمالهم من الاحترام والمنزلة اذا دعوا قومهم الى عمل تألبوا على الاجابة واذا استنفروهم الى القتال نفروا رأت فرنسا ان هذا النظام قد يحول دون تملك تلك البلاد والتحكم فى شؤون اهلها

وامــوالهم وارواحهم فغيرت نظام القبيلة وابدلته بتقسيم ادارى يجعل القبيلة مقسمة الى فصائل صغيرة على كل فصيلة شيخ تعينه الحكومة وتجعله تحت رقابتها فأحلت هؤلاء المشايخ محل القواد الذين كانوا على رأس القبائل والذين كانوا عادة من نسل البيوت الكبيرة ذات المنزلة الرفيعة فى قلوب اخوانهم . فاضمحلت بذلك الرابطة التى كانت تجمع بين رجال القبائل ورؤسائهم لان الحكومة الفرنسية تعمدت الا تختار أولئك المشـايخ من ذوى الحسب والنسب والجاه بل اختـارتهم من الذين يظهرون لها الاخلاص والولاء . ثم تظاهرت بالمحافظة على حقوق الافراد فملكتهم بعض الاراضى التى كانت ملكا شائعا للقبيلة وصادرت الجزء الاكبر منها وبذلك حرمت القبائل من رؤسائها وصار رجالها اشتاتا لا تجمعهم كلمة رئيس ولا تؤثر فيهم منزلته بينهم ولا يضمهم ملك مشترك كما كانوا من قبل وامنت فرنسا بذلك ان لا تثور القبائل فى وجهها مهما افرطت فى سياستها الاستعمارية لان القبائل قد فقدت بهذا النظام الجديد معقد عصبيتها . ومع ذلك كانت بعض القبائل تثور من آن لآخر بسبب سوء المعـاملة ولكن الحكومة الفرنسية كانت تقمع تلك الثورات بالقوة دون ان تجيب مطالب المشتكين

وتعاقبت الثورات فى تلك البلاد حتى افقرت اهلها واصيبوا فى سنه ١٨٦٧ بمجـاعة شـديدة هلك فيهـا خلق كثير

لما فسدت عصبية القبائل وضعفت شوكتها سهل على فرنسا ان تحقق اغراضها الاستعمارية فاخذت تحث المهاجرين الفرنسيين على استيطان تلك البلاد الغنية وانشأت للقادمين منهم مراكز للاستعمار فى الجهات الخصبة وكانت تلجـأ الى كل الطرق الممكنة لتصادر الاهالى فى املاكهم وتعطيها المهاجرين من الفرنسيين فابتدأت باوقاف المسلمين . وذلك ان الحكومة الفرنسية اعتبرت الاوقاف مـن الاملاك العامة اى التى للحكومة ملكيتها دون الافراد فالحقت الاراضى الموقوفة بتلك الاملاك وانتحلت لنفسها حق ادارتها وكانت الادارة لاتقف عند حد استثمار تلك الاراضى بالايجار او المزارعة بل كانت تتنـاول التصرف فى العين فتنـازلت الحكومة عن كثير منها للمستعمرين الفرنسيين فصاروا يفدون الى البـلاد بكثرة خصوصا بعد حرب السبعين ومهاجرة كثير من الفرنسيين من مقاطعتى الالزاس واللورين اللتين اخذتهما المانيا فى هذه الحرب .واخذ المستعمرون الفرنسيون يزاحمون الاهالى فى املاكهم ومزارعهم

وهناك طريقة أخرى اتبعتها الحكومة لاعطاء المستعمرين املاك الاهالى وهى انه عقب كل ثورة تنشأ من الضغط وسوء المعاملة كانت الحكومة تصادر املاك كل من تشتبه فى انهم كانوا من المشتركين فى العصيان وتعطيها للمستعمرين الفرنسيين وبذلك اخذ العنصر الاجنبى يطغى على البلاد ويخرج كثيرا من اهلها من ديارهم ومزارعهم

ولم يكن هذا كل غاية الاستعمار الفرنسى فى تلك البلاد بل ارادت فرنسا فوق ذلك ان تخلق اهل الجزائر خلقا جديدا وان تنشئهم نشأة فرنسية حتى يفقدوا شخصيتهم بعد فقدانهم عصبيتهم حتى لا يعود لهم أمل فى ان يكونوا يوما ما امة حرة ولتجد منهم عونا لها فى حروبها الاستعمارية وغير الاستعمارية

فكر البعض بادئ الرأى فى تنصير المسلمين لانهم وجدوا ان الاسلام هو الذى يقف حدا دون افناء شخصية الأهالى ولكن التجارب علمتهم ان هذا الأمل لا يتحقق . اقول (التجارب) وربما يدهش بعض القراء ان فرنسا التى تحارب الدين فى بلادها تجرب فى الجزائر تنصير المسلمين . ولكن لم آت بهذه الحقيقة من عندى وانما رأيتها عرضا فى كتاب وضعه ضابط فرنسى (١) عن سياسة فرنسا فى الجزائر . قال هذا الضابط

« لقد وقف الكردينال (لا فيجرى) حياته على تنصير المسلمين ولكنه فشل فى هذا المسعى الجليل فمن ذا الذى يجرأ من بعده على تحقيق هذا الأمل ؟ الم نر كيف ان الاطفال اللقطاء الذين كان يؤيهم الكردينال فى مجاعة سنة ١٨٦٧ ويربيهم على مبادئ النصرانية كانوا يعودون الى الاسلام بمجرد أن يبلغوا سن الرشد كأن فى اعماق قلوبهم سرا دفينا يميل بهم دائما الى دين آبائهم واجدادهم »

وجدت فرنسا ان المدرسة هى خير وسيلة لتنشئ بها اهل الجزائر نشأة جديدة ففتحت المدارس فى كل جهة واخذت تنفق عليها بسخاء وجعلت التعليم فيها باللغة الفرنسية حتى يشب الأولاد وقلوبهم متشبعة بآداب الفرنسيين . وكانت تحمل الاهالى على ادخال اولادهم فى تلك المدارس لان كثيرا من الآباء كانوا فى اول عهدهم بتلك المدارس يحجمون عن ادخال اولادهم فيها ويفضلون ارسالهم الى مدارس الزوايا حيث يتلقون فيها مبادئ الدين الحنيف فكانت الحكومة منعا لمزاحمة مدارس الزوايا للمدارس التى تنشئها تأمر باقفال المدارس الاسلامية

(١) الجزائر والأهالى المسلمون لمؤلفه الكبتين بسول

واجبار مشايخها على ارسال تلاميذهم الى مدارس الحكومة ومن برجرام مدارسها ان لا يعلم فيها الدين فكان الاولاد ولا يزالون يخرجون منها وقد تأثروا بالتربية الفرنسية خصوصا اذا دخلوا بعدها فى المدارس الثانوية واتموا التعليم الفرنسى فيخرجون وقد ضعفت فيهم عاطفة الدين وانقطعت الرابطة المعنوية التى كانت تربطهم بأهلهم وقومهم فيصبحون غرباء بين ذويهم وما كانوا يأخذون من المدنية الفرنسية الا مفاسدها وملاهيها الكثيرة وبذلك امكن لفرنسا ان تنشئ فى الجزائر جيلا جديدا من فسدة الاخلاق وضعاف الايمان ثم استخدمتهم فى حكم البلاد .

واجهازا على المدارس الاسلامية حيث كانت تعلم علوم الدين انشأت الحكومة مدارس لتخريج ائمة المساجد والقضاة الشرعيين والمفتين لتكون رقيبة على ما يدرس لهم بها وجعلت تعليم الدين فيها بمقدار. وبجانبه التعليم الفرنسى الاجبارى

اثرت هذه السياسة فى الحالة الاجتماعية فى تلك البلاد تأثيرا سيئاً فصار كل شئ هناك عليه مسحة الفرنسيه وصارت اللغة الفرنسية لغة ثانية للقوم فهى لغة التقاضى وهى لغة الحكومة وهى لغة التعامل وصار يحق لفرنسا ان تعتبر الجزائر جزءا متمما لها فقد صبغت تلك البلاد واهلها بالصبغة الفرنسية ولكنها لم تعطهم من مدنيتها الا المساوئ فهى تحرمهم من التربية الدينية والوطنية لانها تعلمهم منذ حداثة عهدهم بالوجود ان وطنهم فرنسا فينسى انه مسلم من بلاد واوطان مهضومة الحقوق ويظن انه صار مساويا للفرنسى ناسيا ان الفرنسيين لا ينظرون الى الجزائريين مهما بلغوا من الرقى فى العلم كما ينظرون الى اخوانهم فى الوطن بل يعتبرونهم عبيدا اذلاء محرومين من الحقوق الوطنيــة التى يتمتعون هم بهــا

يعتبر الفرنسيون اهل الجزائر (رعايا) لا مــواطنين لهم فالجزائر تمثل فى مجلس النواب الفرنسى ولكن محرم على اهلها ان يكون لهم حقوق الانتخــاب او حقوق النيابة وقد رأى بعض رجال الحكومة فى فرنسا قديما ان هذا لا يتفق هو ومبادئ المساواة والحرية والاخاء . . . ! لان فرنسا ممدنة الامم لا يليق بها ان تحرم شعبا تحكمه من حقوق الانتخاب والنيابة فوضعت الحكومة نظــاما تخول فيه اهل الجزائر تلك الحقوق ولكن قيدته بشرط يجعل هذه الحقوق محرمة عليهم الى الابد ماداموا مسلمين وهو التجنس بالجنسية الفرنسيه واستلزام قبول احكام قانون الاحوال الشخصية الفرنسية اى ان على من يريد التمتع بتلك الحقوق ان يطرح احكام الشريعة الاسلامية فى مسائل الزواج والطلاق والمواريث وغير

ذلك . فكانهم يريدون أن يخرج المسلمون من دينهم ليعتبروهم مواطنين لهم ! وقليل من المسلمين من يقبل احكام هذا النظام ولذلك كتب على اهل الجزائر ان يظلوا رعايا أذلاء فى ظل الحكومة الفرنسية

فالجزائر صارت حقيقة كما يقول الفرنسيون جزءا من فرنسا ولكن اهلها محرومون من الحقوق التى يتمتع بها الفرنسيون انفسهم . عليهم كل الغرم وليس لهم شئ من الغنم . عليهم دفع الضرائب . عليهم القيام بالخدمة العسكرية . عليهم اطاعة كل ما تقرره الحكومة وليس لهم شئ من حقوق الحاكمية ! وبهذا يقضى قانون الاستعمار الاوروبى فى تلك البلاد الشقية الحظ

ان فرنسا قد عمرت حقيقة تلك البلاد ومدت فيها السكك الحديدية وسهلت المواصلات واقامت الدور والعمارات ومهدت الطرقات واستثمرت ما فيها من الخيرات . كل هذا لا ينكره احد ولكن الاهالى اصحاب البلاد اليوم لا يتملكون الا التافه من ذلك الذى هو ملك للمستعمرين ووقف عليهم . فهلا كان الا فضل لتلك البلاد ان تبقى لاهلها خرابا خالية من كل نظام وعمران ؟

لقد افسدت المدنية الفرنسية الاخلاق فى تلك البلاد فلا هى جعلتهم فى صف الغربيين قوة وعلما ورقيا ولا هى تركتهم على اخلاقهم الاولى الفطرية على انها فوق كل ذلك تحشدمنهم جنودا تفتح بها بلادا اخرى أغلبها اسلامية

كانت فرنسا لا تألو جهدا فى تجنيد المسلمين من اهل الجزائر ومن المؤلم انه بفضل اولئك الجنود المسلمين اخضعت فرنسا الجزء الجنوبى من الجزائر وقضت على كثير من ثوراتها وحاربت بهم فى كل الجهات التى كانت ميدانا لحروبها كايطاليا والسنغال والهند الصينيه وتونس والمكسيك ومدغشقر ومراكش وكأنها ارادت اخيرا الاجهاز على شخصية المسلمين فى تلك البلاد فجعلت التجنيد فيها فى السنة الماضية اجباريا كما هو فى فرنسا فضج الاهالى من ذلك النظام الجديد وطلبوا من الحكومة الفرنسية ان تعطيهم فى نظير التجنيد الاجبارى ما للفرنسيين من الحقوق ولكنهم عبثا يطالبون ويتظلمون لان فرنسا لا تعتبرهم مساوين فى الحرية الانسانيه والحقوق البشرية لابنائها

فالمسلم الجزائرى قد كتب عليه الآن ان يحارب فى صفوف الجيش الفرنسى فى اى جهة تريدها فرنسا ولذلك لم تتأخر فرنسا عند سوق الجزائريين لتحارب بهم اخوانهم المراكشيين وهم الآن يحاربون تحت الراية الفرنسية فى الديار المراكشية

فانظر الى اى حد من التدهور الاجتماعى وصل الجزائريون بعد ثمانين سنة من الحكم الاوروبى . عمرت فرنسا بلادهم ولكنها افسدت عصبيتهم ودينهم واخلاقهم حاربت بهم اخوانهم وحرمتهم قوة العلم والمال فصاروا عبرة ومثلا للعالمين فعلى الذين يتطلعون الى الاجانب ويظنون ان فى حكمهم صلاحا وعمرانا ان يتدبروا ذلك وان يعلموا انه اذا كان الاجانب يعمرون البلاد التى يهبطونها فهم انما يعمرونها لانفسهم ولا يصيب اهل البلاد بجانبهم الا الفقر والشقاء ولئن خفيت هذه الحقيقة فى بدء الاستعمار فالزمان كفيل باظهارها بعد حين لمن كان غافلا عنها والسعيد من اتعظ بغيره

عبدالرحمن الرافعى
المحامى

الى العالم اسلامى
و
الامة العثمانيه

للكتاب الاوروبيين العظام منزلة رفيعة فى اممهم فهم فى اقوامهم فى مرتبة الاستاذ من تلاميذه . فاذا ابرزوا شيئا من ثمرات افكارهم تها فت الناس على اقتطاف دانياتها الناضجه . واذا اقترحوا امرا سياسيا اكب ولاة الامور على دراسته واتباع مراسمه وبهذا سعدت الامم التى تقدر رجالها الكاتبين قدرهم وتتبع نصائحهم وتعاليمهم .

ولو ان اهل الشرق ينزلون كتابهم ومفكريهم وعلماءهم منزل اشباههم فى الغرب لاستفادوا كثيرا ولخسروا قليلا . بل لو انهم عنوا بعض الشئ بالفحص والتنقيب عما يدبر لهم فى الممالك الاخرى مما تنم عنه اقلام فطاحل كتابهم لعرفوا كيف يقون انفسهم وبلادهم نيرانا اكتوت بها جباههم وجنوبهم وامحت بها معالم عظمتهم وسلطانهم ولكنهم يرون بابصارهم مايكتبه السياسيون وتنشره المجلات الكبرى فاما ان يعرضوا عنها او يتخذوها هزوا ولعبا . ثم لايستيقظون

الا وهم مكبكبون فى الهاويات التى حفرت لهم . مكبلون بالاغلال والسلاسل المحيطة برقابهم واطرافهم .

ولقد حاولنا غير مرة ان نعود العالم الاسلامى ترويض نفسه وتعويده ان يتدبر مايكتب فى امره مما تنشره المجلات الكبرى الاوربية حتى يتبينوا حقيقة ما يدبر لهم فيتخذوا من دونه مايلزم من الوقايات وها نحن اليوم ننشر للامم الاسلامية عامة والعثمانيين خاصة ترجمة مانشرته مجلة القرن التاسع عشر الانجليزية الصادرة فى شهر مارس الغابر لرجل من كبار كتاب انجلترا السياسيين ليتدبروا معانيه ويدرسوا مقاصده ويعتبروا بما تضمنه حتى لا تأخذهم القاضية بغتة وهم لا يشعرون . فالى الامم الاسلامية ماقاله تحت عنوان .

الحل النهائى للمسالة الشرقية

من اكبر المصالح الانجليزية دوام المحافظة على السلام الذى نحن معاشر الانجليز — على العموم — من اعز طلابه واكبر الداعين اليه لاننا بدونه نكون مهددين فى كل مصالحنا ومرافقنا . ولكن اذا ماجاء دور خطباء السياسة وكتابها بيان الطريق الذى تسلكه الامم للمحافظة على هذا السلام نجدهم جميعا قد اختلفوا فيما بينهم ولم يستطيعوا الاتفاق على شئ يقرونه فيما بينهم فى هذا السبيل . فبعضهم يرى ان الطريق لدوام السلم هو الاستعداد للحرب استعدادا يذهب امامه كل مايقصد به عرقلة مساعينا او تعطيل مصالحنا ضاربين الصفح عما سنفقده فيها من الرجال والمال . وآخرون (الانجليز والفرنسيون والالمان والامريكان) يرون ان انجع علاج لدوام السلم هو تخفيض حدة الحكومات بنشر كتب ونشرات كثيرة يبينون فيها ماينجم عن الحروب من الخسائر الفادحة لكلا الطرفين الغالب والمغلوب وانهما فى الحقيقة يتساويان فى المصاب والقضاء النازل عليهما . هذا هو مبدأ نظرية السلام الذى تقره حالة الامبراطورية الالمانية وايطاليا والولايات المتحدة واليابان لان الحياة الوطنية الرغدة لا تكون فقط بتحمل اعباء الديون واثقال الكواهل بنفقات الحروب .

ان الجبال لتتزحزح عن اماكنها والطبيعة البشرية تتغير عن حالتها قبل ان يستطيع احد كبح جماح نفس امة فتية مشرئبة للمعالى اوالوقوف فى طريق امة مستعبدة تريد رفع النير الاجنبى عنها لتأخذ المكان اللائق بها بين الامم الحية اذا هو افنى كل حياته فى سرد فظائع الحروب واضرارها بالجنس البشرى ومخالفتها

الانسانية . ومن دون هذين الضربين من الناس يوجد ضرب ثالث يرى فى السلام انه يوجب على الدول العظمى تحديد نفوذها الاستعمارى وتعديل طريقة استملاكها للبلاد وبذلك يتسنى للدول ان تحفظ العالم من شر الحروب امدا طويلا . فلو ان انجلترا والمانيا التحمتا فى حرب طاحنة فان هذه الحرب لا تنتج ادنى فائدة لاحد الطرفين المتحاربين . اذ لو فرض ان خرجت المانيا من الحرب ظافرة فان الولايات المتحدة وكندا وحكومات جنوب افريقا المتحدة والروسيا تحرمها ثمار هذا الظفر والانتصار كما ان انجلترا لو خرجت ظافرة وتمكنت من تخريب الامبراطورية الالمانية فانها لا تستطيع ان تستعيض حتى ولا بعد عشرات السنين ما فقدته من الجنود البيض مما ستستولى عليه من الاملاك . فالامتان فى الحالين لا تربحان من الحرب شيئا . وغاية ما يمكن ان يتصور عقب هذه الحرب ان الروسيا اوهى والولايات المتحدة ايضا هما الحكومتان الوحيدتان اللتان ستستفيدان من مجهوداتنا وانتصاراتنا.

كان كثير من الكتاب يشكون كثيرا فى مبدأ الامر فى ان المانيا يمكن ان تعمد فى سياستها للمحافظة على السلام ولكنهم اليوم قد تحولوا عن عقيدتهم هذه واخذوا يقولون بعدم طمع المانيا فى توسيع نطاق مستعمراتها اكثر مما وصلت اليه الآن . وان اطماعها فى افريقيا الآن قد وقفت عند حدها بعد ما ضمته لمستعمراتها من الاملاك الفرنسية وبعدما ضمنت حرية التجارة فى مراكش واذ اصبحت املاكها مشرفة على نفس مجرى نهر الكونجو رضيت ان تدع الاشراف على البحر الابيض لغيرها ممن يطمع فى تكوين الامبراطوريات الضخمة . ولكن نفس هؤلاء الكتاب ينكرون على الروسيا ما يمكن ان تعتذر به فيما ترمى اليه من الوصول حتى الخليج الفارسى لسبب مركزها الممتاز فى ولاياتها القفقاسية ولعلهم يعتقدون انه من السهل الميسور ان تخرج روسيا من بلاد فارس بمجرد قولهم لها ذلك كما يعتقدون بجواز امتداد نفوذ الروسيا على شبه جزيرة البلقان حتى بحر الادرياتيك بما فيها السيطرة على البوسفور والدردنيل .

فهؤلاء الكتاب بحسب ما ينشرونه من الآراء والافكار يريدون تقوية النفوذ اليونانى طفرة واحدة بتسليم جزيرة قبرص الى اليونان قبل ان تظهر كفاءتها فى ادارة حكم جزيرة كريد . وكذلك يريدون ضم بقية الجزر العثمانية ومعها جزيرة ابيروس الى هذه المملكة الصغيرة .

ويقول هؤلاء الكتاب تلاميذ السياسة انه عند تقسيم تركيا — وهو

مايأسفون عليه ــ يمكن لبريطانيا العظمى التى ضمت قبرص ان تستعيض ما فقدته باستيلائها على جميع بلادالعرب وما بين النهرين .

اماالروسيا فيكفيها من الغنيمة ارمينيا وفرنسا بلاد سوريا وبعد ذلك يعاد تأسيس سلطنة عثمانية جديدة فى اسياالصغرى تكون فى الظاهر كولاية مستقلة . اما المانيا والنمسا فلأنهما تقتنعان بحدودهما الحاضرة وبما سيكون لمتاجرهما من حرية التصريف فانهما يرضيان بانهاء المسئلة الشرقية على يد دول الاتفاق الثلاثى تعاونها حكومات البلقان واليونان . واذا فرض انه بدا من المانيا شئ من التذمر يمكن تلافى الامر باعطاء المانيا جزءا من المستعمرات البورتغالية .

ولعل اصحاب هذه النظريات ينقضون الذى ارمى اليه هنا ارتكانا على ما يمكن ان يبدو من جانب الاشتراكيين فى المانيا اوالسلافيين فى بوهيميا . ولكنهم لو تبصروا فى الامر لوجدوه ضئيلا جدا بالنظر للعزم الثابت الذى عليه رعايا الامبراطوريتين من وجوب الاشتراك فى كل ما يبدو للناظر مما له شأن عظيم . وماعلى اولئك الذين يقولون باستكانة الشعب الالمانى ورضائه بحالته الحاضرة الا ان انيزوروا ادارة تعليم المستعمرات فى هامبرج ومتاحف البحث عن طباع البشر واخلاقهم و الجمعيات الجغرافية فى برلين وكولون وبريمن واستتجارت وليبزج وميونغ ليتعرفوا الطرق التى يسلكها الالمانى لبسط حكمه على جميع قبائل افريقيا المتأخرة فى المدنية واضرابهم فى غرب اسيا وخلافهما مما يرى القسم الالمانى فيها غنيمة كبرى او اذا لم يكن ذلك فعلى الاقل للاقامة اوالاستعمار اوالاكتشاف .

وترجع رغبة الالمانيين الشديدة فى توسيع نطاق نفوذهم خارج المانيا الى خوفهم الشديد من انهم لواستقروا فى اماكنهم ولم يسعوا فى توسيع نطاق مستعمراتهم فانهم سيحجبون فى يوم من الايام عن الوصول الى اعظم واهم اسواق الدنيا التجارية ومصدر الغلات والحبوب . وتبتدئ هذه الرغبة منذ ١٩٠٣ ــ ١٩٠٤ يوم قامت الحملة فى المجلس بهذا الصدد .

ان سياسة الافضلية التى اتبعتها انجلترا سواء فى مرافئ انجلترا نفسها او فى مستعمراتها الواسعة قد دفعت المانيا بشدة لتبحث لها عن مكان يليق بها بين الامم صاحبة الاملاك الشاسعة . وان النمسا لترقب حركات المانيا فى هذا السبيل وتتبع خطواتها بكل دقة . والمانيا فى هذا الصدد لاتمثل نفسها فقط بل انها تمثل

الامبراطوريتين (المانيا والنمسا) معا . لانه لوقدر لانجلترا ان تسقط من شاهق عظمتها الحاضرة (ولا بدلها ان ترى ذلك اليوم ولعله قريب ان شاءالله) فان المانيا هى الامة الوحيدة التى ستأخذ تلك المكانة السامية فعند ذلك نرى البضائع النمسوية تعامل فى جميع البقاع كالبضائع الالمانية بخلاف البضائع الانكليزية (والفرنسية بالطبع) فانها تكون وقتذاك فى المنزلة التى فيها البضائع الالمانية اليوم .

ولكن النمسا ايضا حريصة جدا وملأى بالأمل القوى فى بسط سيادتها فوق ربوع شبه جزيرة البلقان والبحر الاسود وسواحل بحر ايجى كيما تصرف مصنوعاتها الكثيرة ولكى تشرف ايضا على اسواق بحر الروم التى تخرج المواد الاصلية . والحقيقة ان المسئلة مسئلة حياة اوموت لتلك الامم المحتشدة تحت حكم الامبراطور فرانسوا جوزيف سواء كانت المانية اوبولونية اورومانية اوكروا شية اومجرية او دلماسية فهم اليوم يوطدون العزم على الموت فى سبيل البقاء خوف ان تغتالهم يد الروسيا وتقضى عليهم بالفناء . وهل كانت المانيا تبنى سكة حديد بغداد وهى تعتقد ان تركيا ستبقى الى الابد حاجزا بينها وبين اطماع الروسيا فى الاستيلاء على الاستانة اوالاناضول اوالاطماع الانجليزية فيما بين النهرين ؟ كلا فالحقيقة ان ممالك اواسط اوروبا قدبدأت تشعر بشديد حاجتها الى تصريف بضائعها ومصنوعاتها فى اسواق اواسط اسيا فاطماع النسر الالمانى لن تقف عند حد حتى تصل (هامبرج) برأس الخليج الفارسى .

ومن ذا الذى يستطيع تعيين مستقبل الحال هنا ؟ فلعل ارض مصب الدجلة والفرات تكون كلها فى يوم من الايام مغطاة بجثث القتلى ؟ : انجلترا فى الكويت و ممالك اواسط اوروبا فى البصرة والروسيا فى المحمرة (١)

ولقد سعت الحكومة الالمانية للوصول الى هذه الغاية بطرق كثيرة كان تخللها مع الاسف كثير من الغلطات ومما يزيد الانسان اسفا ان الحكومة الالمانية (والنمسوية

(١) ان للسياسة مجالا كبيرا فى عمل شئ حاسم فى هذا الصدد . اذ يمكن اعتبار حيدة المنطقة الواقعة على الشاطئ من الكويت فالاراضى التى بين مصب نهر الفرات الى حدود العجم الاصلية خلف نهر قارون عند نقطه (هنيليان) فيتكون من ذلك ميناء حرة لاتكون واقعة تحت حكم اى سلطة وعلى ذلك يمكن للطريق الحديدى من فينا فالاستانه فبغداد فالهند ان يمر وسط هذه المنطقة التى ستكون تحت ملاحظة الروسيا من الوجهة الصحية فقط .

كذلك) لم تزن قوى بلغاريا والصرب الحربية وزنا مستقيما كما انهالم تدرك كنه تمشى اليونان فى طريق النمو الطبيعى . كذلك رجال سياسة الدولتين (النمسا والمانيا) لم يتبينوا الحقيقة الواقعة وهى تعفن الادارة التركية وسوء منقلبها وعدم صلاحية الجندى التركى للدخول فى معامع الوغى لتركه العمل بامور دينه وسرعة اخذه بالمدنية المسيحية . وعلى ذلك فان المانيا كانت تبنى آمالها بتقوية نفوذها فى الشرق الادنى على عقد محالفة مع تركيا اوعلى الاقل ان لم تتوفر شروط عقد هذه المحالفة فانها (المانيا) تخذ تركيا عونالها ولباسا ترتديه فى تحويل اهالى شبه جزيرة البلقان واسيا الصغرى ومابين النهرين وسوريا : ولقد كانت السياسة الالمانية تنظر لتركيا كما تنظر لرومانيا كقوة كبيرة يمكن الاستناد عليها لرجحان كفة التحالف الثلاثى . ولقد وصل بهذه السياسة الغلو لحدانها كانت اذا ماانفصلت ايطاليا عنها ــ بدافع انضمامها لفرنسا واسبانيا شركائها فى السنصر ــ تريد احلال تركيا محلها .

ان الدماء الارمنية قد كانت تسيل دائما انهارا والمقدونيون والصربيون والبلغاريون يسامون الخسف والعذاب واليونان لايسلمون من شر يقع فوق رؤوسهم وقبائل البوماق والكرد تفتك فى العناصر المسيحية فتكاذريعا وتعاملهم معاملة الانعام بل اضل سبيلا ومع هذا فان اوروبا كان لايبدو منها اقل ضغط على السلطان فى ادخال الاصلاحات لولاان كثيرا من الماليين النمسويين والتجار وكثيرا من المهندسين والمعدنيين والحفارة الالمانيين كانوا يتجولون فى الممالك العثمانية من غيران يقف فى طريقهم احد ويكتبون للصحف والمراجع السياسية فى اوروبا عن سوء الحال وخلل الادارة وعدم انتظام الحالة الداخلية التى تستوجب سرعة الاصلاح فلهذا قامت الدول الاوروبية وسارعت بالضغط على السلطان فى طلبه . فلولا هؤلاء النفر من النمسويين والالمان لجاءت الاصلاحات متأخرة كثيرا عن وقتها الذى طلبت فيه. ولكن الساسة الالمانيين والنمسويين خدعوا مرة اخرى يوم اضطرت اعمال عبدالحميد جماعة تركيا الفتاة للقيام بثورة فى صيف عام ١٩٠٨

فالنمسا خوفا من ان ترى تركيا الجديدة امة حية ترغب فى التمسك بحقوقها اكثر مما ترغب فى السلم سارعت الى ضم البوسنة والهرسك لاملاكها . ولم يمض على ذلك غير ثلاث سنوات حتى رأينا ايطاليا تتبع النمسا فى عملها وتعلن انضمام طرابلس الغرب اليها . فالوهن الذى بدا على المانيا لعجزها عن انقاذ تركيا مماحل بها جعل الاميال التركية تحول عنها تماما وتعرض عنها كل الاعراض .

واذ رفضت تركيا ان تتفق مع ايطاليا على شروط صلح طرابلس فقد اندفعت ايطاليا بما لحقها فى الخسائر فى محاربتها العرب والضيق المالى الشديد الذى وقعت فيه الى ان تدس الدسائس بين الامم البلقانية لتدفعها للدخول مع تركيا — مخربة الامبراطورية الرومانية — فى حرب طاحنة يستفيد منها العالم المسيحى. ولقد قضت ايطاليا على سمعة تركيا العسكرية سريعا باحتلالها جزيرة رودس اما المانيا والنمسا فلعدم املهما فى نجاح الحكومة التركية واسترجاعها المجد القديم فانهما اباحتا الحكومات البلقان ان تسير فى طريق استعدادها للحملة على الاتراك شيوخا وشبانا . ولكن الشجاعة والمهارة العسكرية التى بدت من جانب الامم السلافية واليونان وعلى الخصوص بلغاريا التى سيكون لها شان عظيم جدا فى مستقبل شرق اوروبا قد افسدت برنامج دول اواسط اوروبا الذى وضعوه لآخر مرة . ولقد كان يتبادر لاذهان اولى الامر فى فينا وبرلين ان البلغاريين سيظهرون كفاءة حربية وان الجبليين سيقومون بحملات هجومية تستحق الاعجاب والثناء ولكن الصرب واليونان سيختلط عليهما الامر ويلاقيان مصاعب شتى واذا الحرب انهكت قوى جميع المتحاربين تقوم المانيا والنمسا فتمد اخلان فى الامر وتعقدان الصلح . ولاشك ان من بين سطور عبارات هذا الصلح الاعتراف بالسيادة النمسوية على قوصوه وعلى وادى الفاردار حتى مدينة سالونيك وعلى بقاء المملكة العثمانية بعد ذلك فى شرق اوروبا واسيا تحت رعاية ورحمة الاتفاق مع النمسا والمانيا الذى لا شك فى ان الدولة العلية تقبله وقتذاك بكل سرور وارتياح

ولكن نتيجة المواقع والملاحم التى حصلت فى الستة الاسابيع الاولى كانت على خلاف ما قدرته السياسة الالمانية النمسوية ومن حسن الطالع ان النسر ذا الرؤس الاربعة (ويعنى به الكاتب الاتفاق البلقانى) قد اصبح له من القوة والمنعة ان صارا حجر عثرة فى طريق مطامع دولتى اواسط اوروبا (المانيا والنمسا) وبفضل ذلك النسر كتب الله لمقدونيا ان ترحم من حكم تلك الدولة الاسلامية الضعيفة كما كتب الخلاص لثلاث امارات كانت معرضة لخطر استيلاء النمسويين عليها فيمتصوا دماءها . ان النمسا اذا هددت دول الاتفاق البلقانى وارادت ان تحرمهم ثمار انتصاراتهم قبل ان تفتح الاستانة فان هؤلاء (البلقانيين) سيضطرون وقتذاك الى طلب معونة الروسيا ومما لا شك فيه ان فى ذلك محو تركيا محوا ابديا لا قيام لها منه البتة كما ان تداخل الروسيا هذا سيقضى الى الابد على اى مطمع للنمسا والمانيا

فى الشرق . كما انه قد يكون سببا فى امتداد نفوذ الروسيا حتى شواطئ بحر الادرياتيق وفى ذلك الخطر الاعظم على توازن البحر الابيض المتوسط وذلك هو السبب فى عدم تلكوء ايطاليا فى تجديد معاهدتها مع النمسا تلك المعاهدة التى تعتبر غير طبيعية بالمرة .

ان النمسا تحاشت خلق حرب اوروبية عامة بامتناعها عن احتلال نوفى بازار واكتفائها بما هو ادنى من النظر فى شؤون البانيا وتنظيم امورها على انها ولاية مستقلة اليوم ولكنها قطعة من املاكها فى الغد . فهى بذلك قد تنازلت عن آمالها التى كانت تجول فى خاطرها منذ ٤٥ عاما من جعل سالونيك مرفأها الجنوبى . ومن الغريب ان النمسا والمجر والمانيا ورومانيا — دول الاتفاق الرباعى فى المستقبل — تفكر فى ان الدول البلقانية حتى الاستانة وشبه جزيرة غاليبولى والحدود اليونانية (التى لا يدخل ضمنها سالونيك لان هذه من نصيب الصرب) سيمكن التفاهم معها او الدخول سوية فى اتفاق واحد — ماليا وتجاريا وسياسيا — مع زبانية (هكذا) ممالك اواسط اوروبا .

ان تركيا حتى لو فرض انها ضربت فى هذه الاسابيع الضربات السريعة القاضية عليها بعقد الصلح الذى فيه تسلم جميع — او الجزء الاعظم من — املاكها الاوروبية فانها مع ذلك لاتزال خطرا على السلام العام الا اذا وضعت تحت رعاية دولية عامة

ان امة ذاقت طعم الحرية وتمتعت بثمارها زمناما لا يمكنها باى حال ان تقبل مداخلة دولة اخرى كالروسيا مثلا فى امورها الداخلية . وامامنا شاهدا على ذلك حالة بولونيا وفنلندة . ان البلقان ستكون بعد هذه الحرب فى حاجه الى رؤوس الاموال والى الادوات الحربية والى طريق سياسة رشيدة تسلكه والى رجال محنكين يديرون دفة شؤونها حتى يتسنى لها بذلك ان تبقى امة مستقلة بمفردها .

والمتطلع للاحوال السياسية يرى ان عقد محالفة بين مقدونيا وايطاليا وفرنسا وبريطانيا لسد هذا العوز غير ممكن اصلا . فان المانيا تجاوب هذا الاتفاق فى الحال بحملة من الجهة الشرقية يكون من المتعذر صدهما . نعم بالطبع يخطر على بال المشتغل بالمسئلة المقدونية امكان تداخل الولايات المتحدة فان مواطنى الامريكان بما جبلوا عليه من التعاليم الصحيحة قد هيئوا الطريق الصحيح لكل هذه الفتن والثورات داخل الطورية العثمانية التى تحز السوس عظامها واصبح من المستحيل

شفاؤها . ومن المتصور والمعقول ان الولايات المتحدة قد تمد البلقان برؤوس الاموال الطائلة الكافية لاستهلاك الدين التركي ولبناء الطرق الحديدية واقامة الحصون والمعاقل وتشييد البوارج الحربية والاساطيل الضخمة وشراء المدافع الكبيرة وما يلزمها من الذخائر بكميات عظيمة بحيث يمكنها الدفاع عن نفسها من كل طارئ ولا سيما من النسر ذى الرؤوس الاربعة (هكذا) ولكن هل الولايات المتحدة تقبل ان تقطع خط الرجعة على صديقتها المانيا — فى وقت ما فى حال انها فى حاجة لتنظيم شؤونها السياسية فى بلاد المكسيك وعموم اواسط امريقا ؟

ان الحالة السياسية التى كانت الى قبيل اليوم بقريب تسمى بمسئلة (تركيا فى اوروبا) لم تكن تستدعى تداخل انجلترا اللهم الا اذا كانت سلبت كريد من ايدى اليونان او ان الروسيا احتلت الاستانة او قبضت بيديها على الدردنيل . اننا بكل ارتياح نرضى بحرية مرور المراكب الحربية الاجنبية من البوسفور والدردنيل على شريطة قبول النمسا والمانيا . واذا هما لم تقبلا ذلك واصرتا على بقاء الحالة على ما هى عليه من سد البوغازين فى وجه السفن الحربية يجب عليهما ان تستعدا لمقابلة الصدمة الهائلة التى سيقذفها عليهما غيظ الدب الروسى . ولكن احتلال الروسيا لهذا المضيق بين اوروبا واسيا او ايجاد منطقة روسية فى غرب او جنوب اسيا الصغرى يكون خطرا عظيما جدا على التوازن الدولى فى البحر الابيض المتوسط وعليه فان انجلترا لا يمكن ان تقبله باى حال من الاحوال . والمنتظر فى مقاومة هذا التيار ان تتحد سوية مع التحالف الثلاثى (المانيا — النمسا — ايطاليا) ومع فرنسا والولايات البلقانية . ان الروسيا لم يعدلها من حق فى تضييق الخناق على ام اوروبا الناهضة او ان تضع يدها على ما يقع فى الطريق من اوروبا حتى الخليج الفارسى . فان غاية الروسيا ان يكون لها مرفأ جنوبى فى المنطقة الحارة حيث تتمكن بحريتها التجارية من تصريف محصولاتها ومصنوعاتها فى بلاد المنطقة المعتدلة من اسيا وافريقيا . فالواجب على الروسيا فى مثل هذه الحال ان تتخلى عما لديها من بلاد فارس الاصلية وتكتفى بمنطقة ضيقة تبتدئ من تبريز وتنتهى عند الركن الشمالى الغربى للخليج الفارسى ولكن نفوذ الروسيا فى شبه جزيرة البلقان واستيلاؤها على الاستانة وعلى الشاطئ الجنوبى من اسيا الصغرى يمكنها من الزحف على سوريا ومصر بقوى هائلة لا يمكن مقاومتها . فهى على ذلك وعلى انه لا يمكن غزوها من جهة بحر البلطيق او بحر المحيط المنجمد الشمالى وعلى

كثرة ازدياد نفوسهابالملايين العديدة لابد ان تصبح سيدة العالم باسره (١) ففى مقاومة استيلائها على مضيق الدردنيل وجنوب اسيا الصغرى يمكن اعتبار النمسا والمانيا حليفتين لانجلترا . فالواجب علينانظرا للمستقبل البعيدوخصوصا بمدذهاب تركيا ان نكون على وفاق تام مع دولتى اواسط اوروبا وان نكون معهما على الدوام فى صفاء تام .

ومع هذا فاننا لا يمكن ان نقف فى اعجابنا بدول الاتفاق البلقانى عند حد او ان نهضمهم حقهم فى الحرب الحاضرة . اننا نتمنى من صميم فؤادنا ان تجد الصرب فى سالونيك وجزيره (شالسيس) ما ترجوه من توسيع نطاق ملكها وما هى جديرة به . وكذلك من الجهة الغربية نتمنى ان تمتد حدودها مع حدود الجبل الاسود والبانيا وان تجد لها منفذاللبحر الادياتيقى . ولكن لبلغاريا بعد ذلك تساليا وفى الغالب ايضا ان يكون معها شاطئ بحر مرمرة الغربى وقل حتى « الاستانة » وعلى ذلك فمن السهل الميسور على بلغاريا بعد ان اتسع نطاق ملكها وامتدت شواطئها ان تتنازل عن تلك المنطقةالبسيطة الواقعة ما بين سلستريه واكرين لرومانيا التى تلحف فى طلبها

اما اليونان فانها فى الغالب ستكون اوفر المتحالفين قسطابالنظر لتضحية الرجال والمال . لان المعارك اليونانية مع الاتراك لم تكن غير فسحة حربية وخصوصا عند مقارنتها بتلك المعارك الدموية الهائلة التى خاضتها الجنود الصربية فى برشتنه وكومانوفوواسكوب او تلك التى خاضهاالبلغاريون فى قرق كليسا وادرنة وشتالجه وغاليبولى . نعم ان البحرية اليونانية قامت بعمل مجيداذ احتلت بجنودها جزيرة كريد واسبوريد وساموس وساكس ومدلين وفى الغالب ان اليونان ستبقى هذه الجزائر فى يدها للاغلبية العظمى التى يتكون منها سكان هذه الجزر (يونان) . ولكن على ما يرى ان مثل جزيرة لمنوس وايميروس والجزر الاخرى القريبة من شواطئ تساليا ستعطى للبلغار . اما ايطاليا فسيكون نصيبها على ما يظهر جزيرة رودس وعلى ما ارى ان نفوذ الدولة اليونانية فى شرق اوروبا الجنوبى سيتسع ويزداد كثيرا اللهم الا اذا رجعت لتركيا الحياة من جديد ودب فى عروقها دبيب النشاط فنظمت جيشها واعتنت على الاخص بتعليم مدفعيتها التى تعتبر فى الحاضر مفقودة بالمرة لجهلها بجميع التعاليم الفنية . ولكن نقطة النظر ليست فى ذلك بل انها فيما ستؤول اليه الاملاك العثمانية فى اسيا حيث توجد الاطماع الاشعبية الكثيرة

فتتلاقى فى نقطة واحدة فيهـا تهرق الدماء الكثيرة وتسفك من غير حسـاب .
ولكننى اعتقد انه لو كان بين من يقبضون على دفة السيـاسة الاجنبية احسـاس مشترك (ولعله احساس التعصب الدينى) فان فى الاستطاعة عقد مؤتمر سفراء — قد تقرر من زمن — ليعمل بقدر ما فى الاستطـاعة على تجنب وقوع حرب بين المسيحيين وبين المسلمين

وبناء على مايدور على السنة رجال السياسة وكبار الامم القادرة نرى ان المسئلة الشرقية ستنتهى بهذا الشكل

اولا ان تطلق حرية التجارة فى جميع الاملاك العثمانية الحـاضرة بمعنى ان لا يكون فرق او تفضيل فى التعاريف الجمركية سوآء فى اسيا الصغرى اوارمينيا او ما بين النهرين او حلب او سوريا او بلاد العرب او مصر او قبرص اى ان لا يكون لاحدى الدول العظمى اية ميزة على الباقين .

ثانيا ان يوزع الدين التركى على جميع الولايات التى كونت جزءا من المملكة العثمانية فى اوروبا واسيا وافريقـا منذ اول القرن العشرين وبشرط ان لا تزيد حصة مصر او قبرص من هذا الدين عن مبلغ الجزية السنوية الحاضرة وان تعطى التسهيلات اللازمة بالطبع

ثالثا ان يصدق لانجلترا على حق الملكية المطلقة فى قبرص ومصر وسينـا وكذلك حماية فرنسا لسوريا وجبل لبنان : وان تؤسس فى فلسطين ولاية صهيونية تكون تحت رعاية جميع الدول العظمى : وان يعطى استقلال تام لشبه جريرة العرب (الحجاز واليمن) : وان تمنح الروسيا حق وضع طربزون وارمينيا تحت حمايتها مباشرة : وان تبقى ايطاليا رودس بيدهـا .

وفى النهاية اذا كان ولابدان يبقى على ظهر المعمور ما يقال له ملك آل عثمان فمن المستحسن ان تنسخ صبغة الملك الحـاضر ثم يعاد تأسيس سلطنة جديدة ومن التحمل ان تبتدئ من الاستـانة وتضم مابين النهرين حتى الخليج الفارس وهذه السلطنة لابد ان تكون تحت الحماية الالمانية وان تكون ماليتهـا وخارجيتهـا تحت نظارة السفير الالمانى مباشرة من غير واسطة اى انها تكون فى مركزها المستقبل مع المانيا كمصر مع الانجليز

ان حلا كهذامع انه هو الطريق الوحيد للتخلص من شر واخطار المسئلة الشرقية التى لها قرن كامل وهى تهدد السلام العام لا يمكن ان يتم بسهولة قبل

ان تنتهى الحرب البلقانية وتجلى للرائين نتائجها وعلى هذا فلعل رجال السياسة الاوروبية يرون العمل من الطريق الآخر الأقل صعوبة وهو تقسيم المملكة العثمانية الى مناطق نفوذ تاركين كل منطقة فى اسيا ومصر الى الملاحظة المطلقة والنفوذ المالى من جانب الدولة التى سيكون لها النفوذ والتى يراعى ان تكون ذات مصالح خصوصية فى تلك المناطق تستدعى النظر فى شؤونها . ولكن تعيين هذه المناطق طبقا للحدود الجغرافية الطبيعية اللهم الا فلسطين فانها يجب ان تكون تحت رعاية جمعية مسيحية من جميع الامم ولعل من المستحسن ان تعين لها وال وحرس (جاندرمة) من يهود ويكونون تحت امرة تلك الجمعية المسيحية .

ولكن لعل معترضا يقول هل الاتراك انفسهم يقبلون مثل هذا التقسيم ؟ ؟ والجواب على ذلك ما الذى يمكن ان يعمله الاتراك او يقوموا به اذا امكن الدول ان تتفق على ذلك ؟ ؟ انهم اذا لم يخضعوا القررات اوروبا فانهم يحرمون نفوذها واساطيلها . وهل كان لتركيا حق البقاء بعد سنة ١٧٩٨ لولا تنافس انجلترا وفرنسا وروسيا والمانيا والنمسا ؟ ان على رأس اولئك الذين كانوا سببا فى عدم اتفاق الدول منذ ذلك الزمن تقع اللعنات وينزل جزاء تلك المظالم والوحشيات الهائلة التى ارتكبت فى اليونان وكريد وجزر الارخبيل والبلقان والاناضول وارمينيا وسوريا وبلاد العرب ومصر منذ قرن مضى . فلولا المنازعات الاوروبية والاختلافات بينهم لكان الاكراد اليوم قد لاقوا ما جنت ايديهم وجوزوا على الماضى شديد الجزاء ولولا نفس هذه الاختلافات لما كانت مصر تعرضت لحمل هذه الديون الطائلة التى قصمت ظهرها . ولولا هذه الاختلافات لما وقعت اليمن تحت طائلة ذلك الحكم الذى اخنى على اهلها وجعلها خرابا بلقعا ولكانت اليوم ترفل فى عز وتتبادل متاجرها مع اوروبا بكل راحة وطمأنينة ولولا هذه الاختلافات لكانت بغداد اليوم زهرة العلوم ولا سترجعت ايامها الاولى على عهد الرشيد . ولولا هذه الاختلافات لكانت الاستانة اليوم روما الثانية . ولولا هذه الاختلافات لكانت الولايات البلقانية اليوم مورد رزق وثروة . ولولا هذه الاختلافات لكانت سوريا اليوم ارض الجنان ولكانت استعادت مجدها القديم زمن كان بها الفنيقيون واليونان والرومان . ولولا هذه الاختلافات لكانت اسيا الصغرى اليوم منبع العلوم والمعارف ومهدا للمؤرخين العظام ورجال الحفريات والبحث والرياضة والفلك فتستعيد ايامها القديمة منذ الاجيال الاولى حتى زمن المسيحية (٤)

فقل بالله عليك من هو ذلك المخلوق الذى يعرف للانسانية معنى فيقول اليوم باستحقاق الترك للحكم فى اى قطعة من قطع الدنيا ؟ ان التركى محارب قوى وجندى شجاع . وكذلك رأينا الجندى انبلغارى والعربى . انه امين وصبور . وكذلك رأينا البلغاريين . وعلى اى حال مهما كانت صفات العثمانى الشخصية فانه لا شئ البتة فى السياسة. ولكن لا ننسى فوق ذلك كله ان التركى بايد . والا فليقل لنا من هم مهندسو بنائه ؟ اليسوا اليونان والعجم والعرب والبرابر والطليان والفرنسيين؟ ليقل لنا من هم اطباؤه ؟ اليسواهم يهود وارمن وعرب واكراد ويونان . ليقل لنا من هم ارباب المال لديه ! اليسو هم يهودويونان وارمن والمان وطليان ورومانيون د ليقل لنا من هم قواد بحريته اليسوايونانيين او سلافيين وصقليين ومصريين وبربرا وعربا . ليقل لنا من هم قواد جيوشه ؟ اليسوا البانا واكرادا وشركسا والمانا ومجريين . وفوق هذا فلغته مجردة من الادبيات وليست فى الحقيقة الارطانة اعجمى مما يستعمله سكان المنخفضات الاسيوية ولولا ما استعارته اللغة من الالفاظ العربية والفارسية والرومية لما كانت تعد ضمن اللغات .

لقد كان الاتراك فى شرق اسيا ووسطها وغربها سببا فى خراب الصين وفارس ومدينة اشور فى اواسط اسيا . كذلك قضى الاتراك على عرب مصر والحقوا بهم المصائب والرزايا ولم يتركوهم حتى افنوا معظم السكان اذ نزل تعداد سكان مصر فى ايام حكمهم من ثمانية ملايين الى مليونين فقط . كذلك قضوا على قبرص واهلكوا حرثها ونسلها بعد ما كانت ولاية عامرة بالخيرات آهلة بالسكان . كذلك قضوا على طرابلس فاهلكوا اهلها وشتتوا شملهم وكذلك الحال فى تونس والجزائر . كذلك كان شأنهم فى كريد فانهم كادوا يرجعون اهلها الى عهد الوحشية القديمة . كذلك لم يتركوا شبه جزيرة مورة حتى كانوا اتوا عليها نهبا وسلبا . ومن الاسف انهم كذلك كانوا سببا فى عدم نجاح النهضة الفارسية ايام حكم الشاه سوفى (هكذا) اما تساليا ومقدونيا والروملى والبلغار والصرب وابيرس وبسارابيا ووالاشيا فحدث عنها ولا حرج لانهم تركوها وهى صحراء بلقع ليس فيها من اثر للعمارة والحضارة ما يذكر . مدنها حقيرة ضيقة الازقة والطرق وارضها قاحلة جرداء ليس بها من الزراعة شئ حتى ان الغابات الطبيعية كاد يقضى عليها نحس الاتراك وسوء تصرفهم . فهل بالله يجوز لاوروبا ان ترعى حرمة لابناء هؤلاء المخربين ؟ ما الذى يستحقه لدينا التركى من الرحمة والشفقة ؟ ما الذى قدمه هذا التركى المنحوس

للمحلات المسيحية المقدسة والاسلامية منذ استولى على البلاد بعد ان اكتسحها هولاكو ودمر مدينة الرشيد ولم يبق لها من اثر يذكر ؟ او ما الذى قدمه فى سبيل العلم لحفظ آثار المصريين والاشوريين والعجم واليونان والرومان والبيزانطيين والسلجوقيين والبندقيين ؟ لقد كان ما بين النهرين فى ايام خلفاء العباسيين جنة الخلد ومورد النعم والبركة فما بالها اليوم تحت حكم الاتراك اصبحت صحراء مقفرة ؟ ليجبنا الذى يريد ان يتجرد من الانسانية ويدافع عن ادوار الحكم التركى المنحوس.

نعم ان فى البلاد العثمانية كثيرا من طيب الرجال والنساء وحقيقة ان اغلب السكان معتدلو المزاج واجسامهم قوية قابلة لكل رقى ولكن كم من هؤلاء من هو تركى اصلى ؟

الحق يقال ان سكان المملكة العثمانية قد خلق الله للرقى والحضارة فازح عنهم ذلك الحكم المظلم حكم الاتراك وارشدهم الى طريق العلم والعمل وانت ترى من عناصر هذه الدولة رجالا ولا كل الرجال. لديك من فيها من اليونان واللاظ والشركس والارمن والسوريين والعرب واليهود والكرد فهذه العناصر تحت حكم آخر تجد منها كل ما ترجوه وتنظره من اكبر امم الارض الرشيدة فسرعان ما تتسابق هذه العوالم فى ميدان العمل فتتصل حلقاتهم بحلقات الامم الاخرى فيشعرون بحقيقة الحياة البشرية النعيمة التى حرمهم منها ذلك العهد المظلم عهد الاتراك. ان جميع سكان تركية اسيا بعد الفصل فى امر الحرب الحاضرة وتسوية امور هذه الدولة العتيقة على ماسبق شرحه سيجدون منفذا كبيرا يخرجون منه الى حياة هذا العالم الراقية فيزداد تعدادهم وتنمو ثروتهم وتسمو افكارهم ويصبحون قوة فعالة فى هذا الكون . ولعل الاتراك انفسهم يستعيدون اذذاك نشاطهم وقوتهم . ولعلهم يخلعون عنهم كل رواء شرقى عتيق ويتمقلون المدنية الاوروبية فيطلقون سراح نسائهم من الحريم (الذى هو حقيقة سبب بلاد الاتراك وفسادهم) حتى انهم بتوالى الزمن ومخالطة ذوى الشعور والاخلاق يمكنهم ان يأخذوا لهم مكانا يليق بهم بين امم الشرق الادنى ان خمسين سنة على هذا النحو تجعل اوروبا تحنى لهم وتطاطئ لهم رأسها ولكن للاتراك بعد ذلك الخيرة فى اعتناق دين الدنيا العام وهو المسيحية او ان يبقوا على دينهم الاسلام ولكن على شرط ان يهذبوه ويصلحوه على طبق المبادئ المسيحية او اليهودية بمعنى ان يجردوه من خرافاته وخزعبلاته التى كانت سببا فى القضاء على كل من دان بدينه

ه . ه . جولنتون

وقفة تركيا الاخيرة

المذابح البلقانية

جاءنا نص الخطابة التي القاها تحت هذا العنوان في جامعة لندرة في ٢٤ فبراير المسيو فيليكس فالي احد كبار رجال الصحافة المجرية فنترجمها للقراء فيما يلي : —

لتسمحوا لي ايها السادة ببسط شيء قليل من تفاصيل تلك المذابح البشرية التي لم يسبق لها شبيه في تاريخ الدنيا العام حتى اليوم . فاليكم ماقاله في هذا الصدد بومان باشا القائد الفرنسي الذي كان مفتشا عاما لقوى الجاندرمة العثمانية في دده اغاج :

قال : في يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر نوفمبر الماضي حوالي الساعة الثامنة مساء بعد ماأخلت الحامية العثمانية القليلة المدينة دخلتها على حين بغتة عصابة بلغارية تتألف من مائة وخمسين رجلا كاملي العدة . فمنذ استولى هؤلاء على المدينة ارخوا لانفسهم العنان في ارتكاب الفظائع والمنكرات التي تقشعر لهولها الابدان فلم يتركوا تركيا اوبيتا تركيا حتى اغتصبوه عنوة واتوا على جميع مافيه نهبا وسلبا غير تاركين فيه لاطفلا صغيرا ولافتاة ولاامرأة ولارجلا واستمروا على وحشيتهم هذه حتى انتصف الليل ومن الاسف ان المسيحيين من سكان هذه المدينة قد اشتركوا مع هذه العصابة في ارتكاب تلك الجرائم فقد كان كثير من هؤلاء السكان يرشدون افراد العصابة الى البيوت والاشخاص التركية . وقد كانوا يضعون صليبا ابيض على ابواب المسيحيين واذ رأى المسلمون ماحاق بهم من هذا الرزء العظيم التجأ كثير منهم وبينهم الشيوخ والنسوة والاطفال الى مسجد بالمدينة على ظن منهم ان البلغاريين يحترمون بيت الله ويقدسونه فلايقربونهم فيه ولكن لم يكن في البلغاريين من يعرف الله ولذلك تتبعوهم وحاصروهم في المسجد فلما ان ضاق بالمحصورين الحال اطلق احدهم مسدسه على نفر من العصابة فارداه قتيلا فلم يكد القتيل يسقط على الارض حتى امطر البلغاريون المحصورين نارا حامية جعلت جثث هؤلاء المساكين تتساقط فوق بعضها . ولم يكف البلغاريين ذلك بل اخذوا يرمون المسجد بالكرات الديناميتية المهلكة حتى اهدموه وقد كان المنظر فظيعا جدا الدرجة لاتوصف . ولقد وجد المسيو بومان في صباح ذلك اليوم عندماذهب ليرى اثر هذه الحوادث ان اكثر من خمسة وعشرين جثة لاتزال على الثرى ظاهرة من بين انقاض المسجد غير التي سترتها

هذه الانقاض. واليكم نص ما كتبه المسيو بومان نفسه عن هذه الحادثة ليكون اشبع لنفوسكم :

قال : لجأ بعض الاتراك (وعددهم ثلاثون) الى مدرسة للقساوسة الطليانيين فاكتشف الاروام امرهم فسارعوا الى رجال العصابة البلغارية وابلغوهم الخبر فى الحال فذهبوا مسرعين الى القسيسين يطلبون منهم تسليم من التجأ اليهم من الاتراك ولكن هؤلاء لم يقبلوا ورفضوا طلبهم بتاتا ولكن احد الاتراك اللاجئين وهو رضا بك مندوب الحكومة العثمانية فى شركة السكة الحديد الفرنسية سلم نفسه فى الحال لهؤلاء السفاكين القتلة وذلك خوفا من ان تمسك القساوسة الطليان بهم قد يجلب عليهم سوءا او ضررا من رجال العصابة . فلما ابتعد البلغاريون بفريستهم خمسين مترا من المدرسة الطليانية او قفوه بينهم وسيوفهم مسلولة وسألوه تسليم جميع ما يملكه من النقود وان يرشدهم بعد ذلك الى منزله . ولكن رضا بك الذى اعرفه معرفة شخصية (وله زوجة شابة فى مقتبل عمرها وطفل صغير) وهو من الشبان المهذبين الراقين تنبأ بما سيحيق بعائلته من الاخطار التى لاشك فيها ولذلك فضل الانكار بتاتا فانحى عليه هؤلاء بسيوفهم حتى سقط على الارض قتيلا . ولقد رأيت بعينى رأسى احد الذين قتلوه قد اقتلع حذاء ذلك الفقيد وملبسه فى الحال . وقد بقيت جثته فى مكانها خمسة ايام وفى كل يوم كان بعض البلغاريين يأخذ من ملابسه قطعة قطعة حتى كانت جثته فى آخر يوم عارية الا من قميص ولباس مضرجين بالدماء .

ولقد رجع رجال العصابة الى قساوسة الطليان وطلبوا منهم تسليم جميع ما لديهم من النقود والا اتوا عليهم قتلا. فاذعانا لهذا الامر وخوفا من العاقبة السيئة التى تنشأ عن رفضه سلم الآباء مالديهم من المال وقدره مائة ليرة عثمانية فاخذها هؤلاء وانصرفوا .

وعدا هؤلاء الطغام الذين امتد شرهم فى كل صقع والذين كانوا يسبقون فى العادة الجيش البلغارى لاحتلال القرى والمدن توجد اللصوص المحلية وهم جميع العنصر الرومى القاطن بالمدينة الذى بمجرد ماا شتم خبر ذهاب الحامية العثمانية بدأ يمزق حرمة البيوت الاسلامية ويرتكب فيها المنكرات وكذلك المساجد ودور الحكومة . فما وجد امامه فراشا او سلاحا او اثاثا الا وضع يديه عليه . ولقد

دام هذا الحال فى المدينة ثمانية ايام كاملة ولم ينقطع هؤلاء الوحوش عن ارتكاب الجرائم والموبقات الا وقت ان اخذ العلم الفرنسى يظهر فى عرض البحر فوق الدارعة (جيريان دى لاجرافير) وبظهورها اختفت اللصوص وعاد السكون لنصابه :

لقد كان الاروام الساعد القوى لرجال العصابة البلغارية فى جميع ما ارتكبوه من القتل والسلب ولقد رأيناهم يقيمون المراقص احياء لتلك الليلة الرهيبة التى دخل فيها البلغاريون المدينة . ولقد كان سلوك الارولم ازاء الاجانب مزريا جدا فقد اهانوا المسيو (برجوبيون) وكيل قنصل النمسا ووكيل شركة الليود وطلبوا من جميع المحلات الاجنبية ان تقفل ابوابها حتى تأخذ مكانها محلات يونانية

واذ علم الجيش البلغارى الذى كان يعسكر قريبا من المدينة التى وضعها تحت رحمة رجال العصابات بوصول الدارعة الفرنسية سارع الى احتلال المدينة فلما حضر قبطان الدارعة ووجدان فى المدينة قوى نظامية رأى ان لافائدة من انزال بحارته للبر ولذلك ترك المدينة وذهب الى كافالا حيث كانت تجرى فيها نفس هذه المظالم وعلى اى حال فقد كان للضباط الفرنسيين الوقت الكافى للنزول الى البر ومعاينة الحالة الوحشية التى كانت عليها المدينة وقد اخذ بعضهم صورا شمسية لبعض المناظر التى بقيت من اثر حماة المسيحية فى القرن العشرين ! ! !

واذ حضر الجيش البلغارى واحتل المدينة بالفعل ذهب الآباء الطليسان الى الجنرال (جنف) وشكوا اليه ماحل بهم على ايدى رجال العصابات البلغارية ففتح لهم محضراً واجرى تحقيقا انجلى معه الامر على ثبوت التهمة ضد هؤلاء البلغاريين حتى انه وجد ايضا سبعين جنيها باقية من المائة التى سلبوها من الآباء .

ولكن بعد هذا كله وبعد ظهور الحقيقة ناصعة فان حضرة القائد لم يقبل رد المبلغ لاصحابه وقال لهم « بما ان فى عزمنا اقامة اثر جنودنا فى هذه الحرب فساحفظ هذا المبلغ على ذمة هذا العمل »

وقد حدث ان احد قساوسة اليونان جمع النسوة التركيات فى المدرسة اليونانية بقصد ان يحميهم شر غائلة ذوى القلوب الصخرية من البلغاريين وسواهم فلما ان علم الجنرال (جنف) بهذا الترتيب فكر ان يجبر هذا القسيس (من طريق شرعى الظاهر) على اخراج النسوة فطلب اليه اخلاء المدرسة لاسكان الجنود البلغارية مكانها وقد تم ذلك بالفعل واخرجت النسوة فى حالة من الفزع

والهلع يصعب وصفها وقدامرن بالمسيرالى بيوتهن حيث كن واعطين الامان بان لاخوف على حياتهن وجميع ماملكن . ولكن ما اختفت الغزالة وراء الحجاب وارخى الليل سدوله حتى نكث البلغاريون العهد وانسابت الجنود . البلغارية انسياب الافعوان واخذت تقتحم ابواب النسوة المجردات من السلاح والنصير وتهتك اعراض السيدات وتفض بكارات العذارى وتفسق فى الاطفال وبالجملة فلم تدع هذه الوحوش الضارية انسانا — انثى اورجلا — الا ارتكبت معه اشد المنكرات وافظعها . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان التى كانت تبدى اقل معارضة لارتكاب الفحشاء معها كانت تغتصب عنوة ثم تساق الى القبر فتدفن فيه وهى حية.

هذا هوالنموذج الذى تسير عليه الفظائع البلقانية وان بقية التقرير كلها على هذا الشكل بل اشد وافظع .

ولقد نشرت جريدة (غازت دى فوس) فى عددها الصادر يوم ٧ يناير كتابا لاحدالقساوسة (يريبو) المقيمين فى سالونيك جاءفيه « ان البلغاريين قد ذبحوا الاهالى الاتراك بالآلاف المؤلفة . وان العصابات البلغارية قدارتكبت من الفظائع مالايمكن وصفه »

وقد نسف جامع كومانوفو بالديناميت. وفى طريقك الى باليكودا كنت ترى قبور الاتراك الذين ماتوا من شدة الجوع والبرد (ورؤوسهم ظاهرة من القبور) وفى مدينة متشيتشافر ذبح جميع الذى لجأوا الى المسجد للوقاية من شرور العصابات البلغارية وفى مدينة فيسوكا قتلت العصابة البلغارية التى على رأسها (دامبالوكو) خمسمائة مسلم ومسلمة بينهم اطفال لاتزيد سن الواحد منهم عن ثلاث عشرة عاما بعدما فسقوا فى الجميع ولقد رأينا ابطال البلغاريين بعد هذه المواقع — اوبالاحرى المذابح البشرية — يذهبون الى سالونيك ويلعبون بالذهب الذى غنموه من المسلمين لعب الصبيان بالأكر

وفى كلستش ذبح طبيب عثمانى بعدان اجبر على حضور اغتصاب زوجته على يد ضابط بلغارى. وفى باجدانتزا وضعت احدى العصابات البلغارية ستين مسلما فى احدى الجوامع وبدأت تذبحهم الواحد بعدالآخر على مرأى من الجميع .

وفى بترووو كانت العصابات البلغارية تقبض على الفتيات التركيات وتفتض بكارتهن على حضور امهاتهن. فهل تعتبر هذه الاعمال الوحشية من الفضيلة فى شئ وهل هذا هو منتهى ماتصل اليه المدنية المسيحية فى القرن العشرين ؟؟

اللهم انك اعلم ان هؤلاء ليسوا من الانسانية فى شئ !.

اسباب انحلال تركيا

كانت هذه الحرب الطاغية الاثيمة لاتكون ضربة قاضية لو انهـا لم تفقد فيها الدولة غير مقدونيا والبـانيا . لان سيادة الدولة على هاتين الولايتين كانت سببا من كبر اسباب متاعب الدولة فى سنيها الاخيرة .

لقد كانت معاهدة (سان استيفانو) بالنظر للمصالح العثمانية اخف وطأة من معاهدة برلين التى كانت فى الحقيقة رمزا على ضعف السياسة الاوروبية فى ذلك الحين . ان تركيا لم تجن شيئا من بقـاء مقدونيا تحت نفوذها منذ ١٨٧٨. بل بالعكس كان بقاء مقدونيا فى حوزتها حملا ثقيلا عليها اذ بلغ ما أنفقته الدولة فى ربوع مقدونيا من ذلك الحين حتى الان ما يربو على الستين مليونا من الجنيهات كانت الدولة فى امس الحاجات لصرفها فى وجوه الاصـلاحات النافعة ببلادها فى اسيا . كذلك ضحت الدولة فى ميادين مقدونيا خيرة شبانها الاقوياء ذوى السواعد المفتولة والنفوس الكريمة والسجايا المحمودة .

كانت بلغـاريا منذ ثلاثين عاما تستعد لحرب ضد الدولة العليـة فضياع مقدونيا كان نتيجة لابد منها و خصوصا امام اطماع المهاجمين .

ان ضعف تركيا فى مقدونيـا والبانيا كان امرا معـلوما لجميع الخـلق . ولكن الامر الذى يستوجب الدهشة و الاستغراب هو السهولة الخارقة للعادة التى افتتح بها المهاجمون هاتين المقاطعتين . ان السـبب فى ذلك ان المتفقين كانوا قد مهدوا الطريق لانفسهم بين سـكان هاتين المقاطعتين ولان الاتراك اخذوا على غرة من نفس رعاياهم المخلصين ! : لقد اشتهر الالبان بعداداتهم للحكومة العثمانية فلم يكد يسمع صدى اول طلقة من مدفع حتى وضـعت العساكر الالبانية العلم العثمانى تحت قدمها فالنتيجة ان كثيرا من الالبانيين قد خانوا دولتهم تحت تأثير بريق الذهب الوهاج الذى كان يتدفق عليهم من المصادر الاجنبية التى عرفت كيف تستفيد من القاء بذور الشقاق بين الباب العالى والالبانيين

وان الطريقة التى اتبعتها الدولة فى سياستها مع البانيا كانت من اوخم واسوأ الطرق وانها لسبة كبرى فى تاريخ السـياسة العثمانية سيما اذا روعى استـعمالها مع امة معرضة للدسائس الاجنبية جميعها . ان هذه السياسة العوجاء كانت السبب فى ترامى الالبانيين فى احضـان الاعداء فاصـبحت بذلك البانيا ـذلك الجزء

الصعب المنال الحجر الضعيف فى تركية اوروبا . واليكم نص اشارتين بريتين مرسلتين للباب العالى من قائدى فرقتين بالبانيا لتر والحالة الروحية الحربية فى البانيا .

ارسل اسعد باشا وهو مبعوث دورازو السابق وقائد فرقة اشقودرة ــ من البانيا ــ الاحتياطية ما يلى ــ استحلفكم بالله العظيم وبنبيه الكريم ان لاتدعونى مع هؤلاء الناس وارسلوا الى جنودا تركية

وارسل ايضا محمد باشا قائد حامية برشتنه الى الباب العالى على منوال رفيقه اسعد فقال : — لعنة الله وسخطه ينزلان على رؤوس من يسمونهم باشراف. اعينونى بجنود تركية .

ولعلكم لاتنسون ان فرقة البصان ــ الالبانية ــ المكونة من ٧٥١٠ البانى و ٢٥٠٠ تركى هى التى رفضت التقدم لمحاربة العدو وارغمت الاتراك على التقهقر وقد وقع كثير من امثال هذه الحادثة فى جهات كثيرة من البانيا . انى اشك كثيرا فى تأثر الاتراك لضياع البانيا ولعلهم لم يذرفوا عليها دمعا كثيرا (ولاقليلا) ويقولون الان فى بعض الدوائر السياسية بابقاء السيادة العثمانية الاسمية فوق ربوع البانيا المستقلة والاغرب والا عجب من ذلك ان الروسيا هى التى اقترحت ذلك الحل الكاذب الذى يظهر ان الدول العظمى ترغب فى مناقشته وتعديله . ان سيادة الدولة على البانيا لا تجديها نفعا بل بالعكس فانها ستكون مبعث شقاء وعناء جديدين والدولة فى اشد الحاجة لتجنبهما .

لقد كان لتركيا من التجارب المحزنة العديدة مع السياسة الاوروبية مايحملنا على القول بان بقاء سيادتها الاسمية على البانيا سيكون فاتحة مصاب جديد . فخير لتركيا ان تترك نهائيا كل سلطة او شبه سلطة لها على البانيا . خير لها ان تدع البانيا تسير فى طريقها الجديد من غير ان يكون لها بها اقل علاقة لان المستقبل مظلم . خير لتركيا التى لم يعدلها نصيب فى ادارة الشؤن الالبانية والتى لم تعرف فى الماضى كيف تحكم هذه الولاية خير لها ان تتركها نهائيا لان الامل فى بقائها سالمة من شرور هذه الولاية ضعيف جدا . لماذا تريد الدول الاوروبية العظمى ان تخلط شؤن تركيا من جديد بالمسئلة الالبانية التى قد ينتج منها فى المستقبل مسائل سياسية يصعب على تركيا تحملها ؟ ولماذا تتداخل تركيا فى امر البانيا التى لم يعديهمها من امرها شئ ؟ وما الذى سيعود على تركيا من بسط سيادتها الاسمية على البانيا ؟ ان هذه السيادة التركية الوهمية لاتساوى قلامة ظفر بل بالعكس ان هذه السيادة

ستكون بابامفتوحا للدسائس الاجنبته من جديد .

ان تلك المنحة الروسية كان القصد منها ادخال تركيا فى ظروف جديدة يمكن منها القضاء عليها وليس اظهر امام اعيننا فى المشاهدات المحسوسة من المسألة الكريتية فهى درس عبرة وعظة للاتراك .

ترجع اسباب هزيمة العثمانيين فى تساليا لى سوء ادارة التعبئة . ولقد صرفت الدولة (فى صدارة احمد مختار باشا اسما وكامل باشا فعلا) اعتمادا على تأكيدات اوروبالهاابان الحرب لاتقع ابدا مائة وخمسين الف جندى من الاحتياطى كانت على حدود الروملى . عندما بدأت اخبارالاتحاد البلقانى تذيع طلبت الحكومة التركية من الدول الاوروبية النصيحة (!!!) وفى شهر اغسطس قدم بعض اصدقاء تركيا المخلصين الى الحكومة تقريرا وافيا عمايدور فى الخفاء من الاستعدادات الحربية العظيمةاستعدادالدخول معها فى حرب طاحنة ونصح الدولة بالاستعداد الكامل لهذه الحرب حتى لايؤخذون من وراء ظهورهم على غرة كما اخذوا من قبل فى الحرب الطرابلسية . ولكن الحكومة تركت هذهالنصيحة وراء ظهرها واخذت بقول وتأكيدات الدول لها ولكنها غدرت مرة اخرى بسبب السياسة الاوروبية. وقد كانت دول الاتفاق الثلاثى اكثرالدول تأكيدا للدولة العلية باستحالة وقوع الحرب ولاسيما سفير روسيافى الاستانةفانه كان اشد السفراء تأكيدا بهذه الاستحالة ولاشك ان تأكيداته هذه لم تكن من تلقاءنفسه بل موحى بها اليه من دولته .

وقد كتب عليم بالسياسة الاوروبية وخبير بما يجرى وراء الستار من التجهيزات الحربية البلقانية التى كانت تحت رعاية الروسيا مباشرة وبقية دول التحالف الثلاثى الى احد اصدقائه الحميمين مايأتى — « انى الآن العب مضطرا فى الاستانة دورا تكرهه نفسى فانا بحكم وظيفتى اقول للاتراك خلاف ما اعلمه من الحقائق الثابتة فانا الآن كالحية الرقطاء بين العشب » فتركيا رغما من نصيحة ذلك الصديق المخلص ارخت لنفسها العنان فى الاعتماد على قول سياسة اوروبا ولم تجهز نفسها للدخول فى غمرات هذه الحرب الطاحنة التى قضت عليها نهائيا من اوروبا . ولقد تبين للحكومة العثمانية (بعد خراب البصره) قيمة نصيحة ذلك الصديق المخلص فى اواخر شهر سبتمبر سنه ١٩١٢ ولكن كان الوقت للاستعداد ضيقا جدا . فخيرة الجنود الاسيوية كانت قد ارسلت بالفعل الى اوطانها ولم يبق من وقت لاسترجاعها ولذلك اخذت الحكومة فى جمع كل ماتستطيع جمعه

من الجنود لتسد ذلك الفراغ الهائل الذى احدثه تسريح مائه وخمسين الف جندى. لذلك رأينا الحكومة تأخذبين من تأخذهم كثيرا ممن لم يدخلوا السلك العسكرى اصالة حتى ان كثيرا ممن ذهبوا كانوا لايعرفون كيف يطلقون البندقية على الاعداء فهزيمة قرق كليسا ترجع فى الحقيقة الى سوء التعبئة والى وجود العنصر المسيحى فى الجيش وكذلك الحال فى هزيمة لولو برغاس يرجع بهذه العوامل التى قضت على قوة تركيا قضاء مبرما . ومن المحزن ان يلاحظ الانسان فرار جميع الجنود الغير الاسلامية من الجيش العثمانى الا الارمن فانهم الوحيدون الذين ادوا واجبهم الوطنى باخلاص . فهذه العناصر الغير الاسلامية كانت فى الحقيقة رزءا ثقيلا على كاهل الجيش وعقبة كؤودا فى طريق فوزه وانتصاره

فهذه الاعتبارات تقف بنا عند نتيجة جلية ظاهرة وهى ان الجندى المسلم التركى لايسأل عن هذه الهزائم قطعيا فهو برئ منها. وجميع الذين شاهدوا باعينهم موقعة لولوبرغاس متحدون فى الرأى على ان الجندى المسلم قام بواجبه فى هذه المعركة خير قيام رغما عما كان يتهاطل فوق رأسه من المدمرات المهلكات بسبب اهمال الادارة العثمانية .

بعد ماحصل انتقال الوزارة الاخير فى شهر يوليو الغابر و بسبب الكراهية الشديدة التى كانت بين ناظم باشا ومحمود شوكت باشا غير الاول معالم الادارة فى قلم المؤن والمهمات الحربية وقلم التحشيدات اذ انتزع من هذين القلمين الضباط الخبيرين الذين كانوا فيهما ووضع بدلهم ممن لا خبرة لهم بشئون هذين القلمين فارتبكت الاعمال واختلط بعضها ببعض فسادت الفوضى فى الجيش وتحمل من جراء هذا التغيير اشد ماقاساه من انواع الصعوبات والآلام المحزنة فلهذا السبب يرجع عدم نظام الجيش العثمانى وتقهقره هذا التقهقر الشنيع الذى كان نتيجة طبيعية لتلك المقدمات السيئة التى بدرت آثارها فى نفس نظارة الحربية بالاستانة ومن الطبيعى الذى لا شك فيه ان ينهزم جيش فى اشد الحاجة للخبز والرئاسة الصالحة امام جيش كامل العدد والعدد . لقد كانت الادارة العثمانية فى الجيش كثيرة الخلل لدرجة لم يسمع بها من قبل فمثلا فى ارسال الذخيرة لمدافع (كروب) ومدافع (كروسوت) حصل تبدل فنتج ان المدفعية العثمانية لم تتمكن من تأدية ما كان ينتظر منها فلما ان تلافى الرؤساء فى نظارة الحربية بعض الغلطات قامت المدفعية العثمانية باحسن ما يمكن ان تقوم به مدفعية أى دولة اخرى . ولعل

حضراتكم لم تنسوا ما الحقته المدفعية العثمانية بالبلقانيين من الخسائر فى شتالجة يوم ١٦ — ١٨ نوفمبر الماضى حيث كان يشرف على الموقعة ضابطان المانيان احدهما الماجور لهمان والآخر الكونت بريسبخ . وقد قال هذا الضابطان بان الجيش العثمانى لم ينقصه شئ ابدا من الذخائر او المؤن ولكن الطريقة السيئة التى اتبعها البعض فى توزيعها كانت هى السبب فى هذا السقوط اما فيما يختص بخلق وسلوك المسلم فجميع الاوربيين الذين شاهدوا هذه الحرب مجمعون على امتداحه والثناء عليه فهو خال من الغلظة والفظاظة بل حسن الخلق ولطيف المعاشرة وفوق ذلك ممتلئ غيرة وحمية ومتمسك شديد التمسك بدينه .

يقول البارون (تيسكا) المراسل الخصوصى لجريدة اللوكال انزيجر الالمانية « ان موقف الاتراك فريد فى بابه جدا وجدير ان يتخذه الغير قدوة ومثلا »

وكتب المسيو (جان رود) لجريدة الطان بباريس « يمكن القول بانه لايوجد فى العالم باسره جيش يمكنه فى امثال تلك المواقف الخطيرة الهائلة والظروف السيئة المحيطة به ان يكون سريع الفهم مطيعا ضابطا لنفسه معتدلا فى تصرفاته كالجيش العثمانى. فالجند العثمانيون جديرون بالثناء الوفير وخليقون بان يتخذوا انموذجا للنسج على منواله »

فهذا هو نموذج رأى الصحافيين الاوروبيين المجمعون على احقية الجند العثمانى لما كان له فى السابق من القاب العظمة والفخار .

وانى لم اجد فى الصحف من يقدر حقيقة اخلاق الجيوش المتحدة الا فى عدد يوم ١٤ يناير الماضى من جريدة الاكلير البارسية اذ تقول « لقد حدث حادث لم يسبق له نظير ابدا فى تاريخ الحروب ذلك ان مكانا محصورا يدافع عنه ابطال به اكثر من ثمانين الف ملكى من الاهالى لا يشتركون فى العداء الواقع يتركون من غير شراب ولا طعام حتى اتى القحط على اكثرهم فكانوا اينما قطعوا موتى كالذباب . عقدت الهدنة ولكن المندوبون والسفراء الذين يتمتعون بكامل الراحة ويأكلون جيد الطعام ويلبسون انعم المنسوجات وينامون على الفراش الوثير يرفضون ادخال لقمة واحدة للمدينة المحصوره او بعبارة اخرى لاولئك الذين يموتون من الجوع وتجنى عليهم انسانية القرن العشرين او المدنية المسيحية!! ولكن هؤلاء المنعمون يرضون بمرور العربات الكثيرة المشحونة بالمأكل على المدينة تحت ظلال مدافعها وسيوفها الى العدو المحاصر . يرضون بمنع دخول المؤن والذخائر . يرضون

بان يموت الرجال والشيوخ والصبيان والنساء جوعا وبردا . يرضون بان تتفشى الامراض السارية بين سكان المدينة فتهلك الحرث والنسل يرضون بكل شئ ضار ولكن لا يرضون بدخول كسرة خبز واحدة . يرضون بكل شئ ويرضون ان تصل بالمحصورين القحة فيجعلوا اسم المسيح مضغة السفاهة فى الافواه ولكنهم لا يرضون باطعام جائع »

هذه هى المدنية الراقية . المدنية الاوروبية الحدنية او بعبارة اخرى هى مدنية المسيحيين فى القرن العشرين

تركيا والاصلاحات

الامر الذى اريد اثباته قبل كل شئ هو ان تركيا منذ انقلاب سنة ١٩٠٨ اخذت تمشى فى طريق كان لابد من كونه موصلها الى اكبر الاصلاحات وافيدها لولا وجود اوروبا تلك التى كانت فى الحقيقة تنظر للنظام الدستورى الحديث بعين السخط والكراهية رغماً ما كانت تبديه فى الظاهر من الرضاء والاستحسان . ان اوروبا ما كانت لتقف مكتوفة الايدى ابان هذا الانقلاب لولا ما كان يجول بخاطرها من انتظار الفرصة السانحة لخلق المشاكل وايجاد العراقيل والعقبات فى طريق نجاح الحكومة الجديدة .

لاشك فى ان اوروبا — والولايات البلقانية فى طليعتها — قد قابلت المساعى التى كانت تبذلها تركيا فى سبيل تثبيت دعائمها وتوطيد مركزها بكل سخرية واستخفاف وعدم ثقة بالمرة . ولم ذلك يا ترى ؟ لان تركيا القوية الثابتة الدعائم لا تجعل فيها للمطامع الا شعبية مجالا فقوتها وثبات كيانها سيهدمان من الاغراض الاوروبية ما ظهر وما بطن وفى هذا عقوق كبير لا ترضاه اوروبا لنفسها

ان اوروبا او الحكومات البلقانية لم يتفق لها يوما ما ان نظرت بعين الرضى لتقدم تركيا وسعادتها وما كانت مطالبتهم بالاصلاح لغير اتخاذه ذريعة للتداخل فى شئون الامبراطورية الداخلية فلننظر الآن بدقة لفحص حقيقة هذا الطلب المنقد واعنى به مطلب الاصلاح الذى هو اساس هذه الحرب الطاحنة: نلقى ببصرنا على تركيا بعد انقلاب عام ١٩٠٨ فنرى جميع رجال سياستها على اختلاف مشاربهم مجمعون على ان لا بقاء لتركيا بغير ادخال الاصلاحات الكثيرة اللازمة ولم يكن الخلاف بينهم الا فى طريق تنفيذ هذا الاصلاح ومن هنا نشأ انقسامهم الممقوت ذلك الانقسام الذى

كان سببا عظيما من اسباب هذه المصيبة المدلهمة .

ولكن رغماً عن هذه الانشقاقات السياسية فان تركيا قد خطت خطوات لا بأس بها فى سبيل الاصلاح الذى كانت تتطلع اليه من اعماق صدرها لعلمها ان السير على الطريق الاستبدادى القديم لابد ان يؤدى بالمملكة الى هاوية الخراب.

لقد كان حقا على القائمين بامر الاحزاب المختلفة فى داخل المملكة اذ رأوا الاخطار الخارجية تهدد مملكتهم ان يقفوا باختلافاتهم ومنازعاتهم عند حد معقول وان يتحدوا جميعا يدا واحدة ويكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا فيقاوموا الطوارئ الخارجية ودسائس السياسة الاجنبية التى اخذتهم من كل جانب . كان حقا عليهم ذلك ولكنهم يا للأسف لم يتركوا الانشقاقات الحزبية جانبا بل رأيناهم منذ الخمس السنوات الاخيرة يتقاطعون ويتدابرون حتى اطمعوا الغير فى جانبهم فكان ذلك ركنا عظيما من اركان ضعفهم الحاضر. وفى كتابى الذى ساضعه قريبا سابين للناس حقيقة الاختلافات الداخلية وسابرهن لكم جميعا كيف كانت للدول العظمى اليد الكبرى فى هذه الاختلافات الحزبية وكيف انها اتخذتها سلما للوصول الى غاياتها السياسية واطماعها الشخصية

والامر الذى لازال مصرا عليه حتى الساعة هو انه رغما عن كل هذه الاختلافات الحزبية داخل المملكة العثمانية فقد امكن ذوى الشأن منها القيام باعمال جليلة سواء فى الادارة او الحقانية وهما كما تعلمون اساس نظام المملكة العام . لقد نشر مجلس المبعوثين العثمانى محضر جلسات مدته الاولى واطلعت عليه وانى لا اكتمكم ان ماقام به المجلس من الاعمال الجليلة فى بحر مدته القصيرة لايقل اصلا عما يقوم به اضرابه من احسن المجالس النيابية واعرقها فى الحرية . وان المجالس النيابية الاوروبية لتعجز عن القيام باحسن مما قام به رجال تركيا الفتاة من الاعمال المفيدة النافعة وسط الصعوبات الداخلية والخارجية التى كانت تحيط بهم من كل جانب: لقد شرعوا فى اعداد نظام ادارى يكفل حاجة البلاد وكذلك نظروا فى اصلاح القضاء وتنظيمه وبدأوا يمدون الطرق الحديدية وينشئون الطرق العمومية وغير ذلك مما تحتاجه البلاد ولكن لم يكن لدى المملكة الاموال الكافية لانهاء هذه المشاريع بالسرعة التى تتطلبها .

كيف نأخذ على تركيا عدم قيامها بجميع ماتحتاجه الامة من ضروريات

الحياة وضروب الاصلاح فى ظرف اربع سنوات وهى مدة الحكم النيابى مع اننا نعلم مبلغ حاجتها المالية الشديدة وكثرة مايعترض طريقها الى الاصلاح من العقبات التى لابدلها من التغلب عليها ؟ ؟ ان من اصعب واشق الاعمال القيام باصلاح بلاد كالبلاد العثمانية تكثر فيها العناصر المختلفة التى لايتفق بعضهـا مع البعض واى رجل سياسى قدير حنكته التجارب يستطيع التغلب على حالة البلاد العثمانية الراهنة من غير ان تمده بالمال الوفير ؟ لم يكن الاصلاح فى الامبراطورية العثمانية متوقفا فى يوم من الايام على وجود الرجال الاكفاء لان هؤلاء كثيرون ولكن الذى كان يؤخر اتمامه من يوم لآخر هو حاجة البلاد الى المال الوفير الذى تباشر به هذا الاصلاح .

ان اوروبا التى تظاهرت لتركيا كثيرا بحب المساعدة لم تقم فى يوم من الايام بمساعدتها (فعليا) فى تنظيم شؤونها المادية : فاى دليل تقيمه اوروبا على عجز العثمانيين عن تنظيم شئونهم مادامت لا تمدهم بما يحتاجونه من المال لتنظيم هذه الشئون ؟؟ ان القروض التى عقدتها تركيا لم تكن فى نفسها كافية لأمس الضرورات الحيوية الواجبة وكثيراً ما كان يقول الوزير الاسبق حلمى باشا للحكومات الاروبية انها اذا كانت حقيقة راغبة عن نية صادقة فى اجراء الاصلاحات اللازمة فعليها قبل كل شئ ان تنظم الميزانية العثمانيـة وتجعلها مستعدة للانفاق بسخاء على المشاريع اللازمة لحياة البلاد حياة طيبة . ان حلمى باشا ورغبته فى ان يرى البلاد بخير لايشك فيها كرر على مسامع السفراء كثيرا ان الحل الوحيد للمسئلة المالية هو ان تزداد موارد الميزانية العثمانيـة وهذا لايكون فى الوقت الحاضر الا بزيادة العوائد الجمركية فتصبح خمسة عشر فى المائة بدلا من احد عشر . ولكن اقواله ذهبت ادراج الرياح ولم يستمع له احد . ذهبت كل هـذه المجهودات ولم تجد نفعـا ومرجع ذلك الى نيـة اوروبا السيئة التى لاتريد الاقلاع عن اتخاذ السبل الغير الشرعيـة فى افادة رعاياها من جثمان الدولة العلية . وهؤلاء الرعايا الاجانب بما ساعدتهم به حكوماتهم وبما اكتسبوه من تفرق الاتراك انفسهم وتدابرهم قد امكنهم السيطرة على الامور المالية فى بلاد الدولة فقبضوا عليها بيد من حديد . اغتنى هؤلاء من جسم الدولة العلية ولكنهم لا يرجعون عن بغضها ومقتها الشديدين . ليقل لى احدكم اى يوم اوسعت فيه اوروبا النطاق للاتراك كيا يتسنى لهم مباشرة اعمالهم الاقتصادية بانفسهم ؟ ان اوروبا لم تشأ

منح هذه الحرية لتركيا رغم كل وعودها الكاذبة فكيف اذن ينتظر احد نامن تركيا القيام بالاصلاح الكامل في الادارة او القضاء مع ان مسئلة الاصلاح مسئلة مالية قبل كل شيء ؟

ومع ذلك فرغما من كل هذا ورغما عن الفاقة الشديدة التي كانت فيها تركيا فقد تم كثير من الاصلاحات فمنذ بدأ العهد الدستوري كان يصرف كل عام ملايين الجنيهات الكثيرة لاصلاح المحاكم وقد ارسلت الحكومة بضع مئات من الطلبة لجامعات اوروبا المختلفة لتلقي اصول القضاء الحديث . ولكن هل تعلمون ايها السادة كم قاضيا تحتاجه تركيا ؟؟ ان بالامبراطورية العثمانية اكثر من الف وستمائة محكمة اهلية (وهذا عدا المحاكم الشرعية التي يحكم فيها رجال شرعيون) فيلزم لهذه المحاكم من القضاة الحديثين اكثر من ستة الاف قاض وللحصول على هؤلاء يحتاج لزمن طويل ومال وفير

ولكن قبل كل شيء (قبل المال والرجال) فتركيا للقيام بما يطلب منها من الاصلاحات في حاجة كبرى لحسن طوية اوروبا والامم المجاورة لها . فهل حدث ذلك يوما من الايام ؟ ان سوء نية اوروبا وخبث طويتها لتتجلى للعيان في هذه الايام الحاضرة فهل منكم من ينكر ذلك؟ ان بلغاريا وحليفاتها خفن ان يرين الدولة العلية دولة قوية فتقضي على آمالهن واعمالهن الثورية التي تصبح بعد القيام بالاصلاحات اللازمة من غير موجب اومقتض فلا يجدن لانفسهن مبررا او سبيلا للقيل والقال .

لم يكن غرض بلغاريا وغيرها من تجهيز العصابات البلغارية والصربية واليونانية وتسييرها الى مقدونيا وتساليا الا لغرض الاخلال بالامن العام وعدم تمكين الحكومة المحلية (الحكومة العثمانية) من توطيد السكينة في البلاد حتى يكون ذلك ذريعة الى انتزاع هذه البلاد من ايدي الاتراك وعدم بقائها تحت حكمهم . لقد انتهزت دول البلقان المتحدة فرصة قيام الثورة الالبانية الاخيرة التي رأوا فيها الفرصة التي ينشدونها لتحقيق اطماعهم الاشعبية واملهم في القضاء على ملك آل عثمان من مقدونيا. ولذلك كانوا في حاجة لمقدمة يتذرعون بها للدخول في ميدانهم هذا فاوعزوا لرجال عصاباتهم المنبثة في مقدونيا وتساليا بالبدء في ارتكاب الجرائم وقتل الابرياء وسلب الاموال

تلك الجرائم التي كانت على الدوام تقع مسئوليتها على عاتق التركي

البرئ من تلك الوحشية المطلقة . يقصد البلغاريون من ذلك اظهار حاكم البلاد في ثوب الظلم والعسف ولكن مندوبو الدول الاجنبية الذين اشتغلوا مع حلمي باشا في مقدونيا قبل الدستور العثماني يمكنهم القول لحضراتكم بان جرائم العصابات البلغارية والصربية واليونانية كانت على الدوام تفسد ما يعمله الاتراك من الاصلاح الذي كان عن نية سليمة ورغبة حقيقية فيه . ولم تكن تلك العصابات لتقف في جرائمها عند حدلانها نشأت في حجر الفوضى واشربت حب الاخلال بالأمن العام وتكدير صفوه على ايدي موجديها اولئك الذين قاموا قبل اليوم في وجه الاتراك بدعوى الدفاع عن المسيحية والانسانية . فاحفادهم اليوم كذلك يقومون باسم المسيحية والانسانية ويرتكبون الكبائر ضد المسلمين لأنهم مسلمون !!!

فجرائد العالم اجمع طافحة بتفاصيل المذابح البشرية في مقدونيا وجميع الحكومات الاوروبية تعلم من تقارير وكلائها (قناصلها) حقيقة ما يجرى من الفظائع التي تقشعر لهولها الابدان و العالم كله ينظر لهذه المنكرات بالدهشة والاستغراب ومع ذلك فذوو الشأن في الحكومات لا يحركون ساكنا . ولماذا ؟

ذلك لان مجرمي الصرب والبلغار واليونان يرتكبون ما يرتكبون باسم المسيحية !!! فهل رأيتم ايها السادة تعصبا اشد من هذا ؟؟ الحقيقة ان هذه الفظائع والجرائم ما كانت لتقع البتة لولا انها ضد امة اسلامية فهل هذا هو مبلغ نصفة اوروبا التي تدعيها ؟ ام هي الانسانية الاروبية الحقيقية ؟؟؟

الروحانية فى الاسلام

جاءتنا الرسالة الآتية من احد الافاضل الكبار الغيرة على الدولة والاسلام ننشرها بنصها قال

جاء الدين الاسلامى (على مبلغه السلام) باعلى درجات المدنية وأرقى سنن الحضاره ، ومن مهمات احكامه رفع التفاضل بين افراد المسلمين والمساواة بين الحاكم والمحكوم، والسيد والمسود ، انظر الى كتاب الله تجد فيه : ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، وفتش الاحاديث النبوية تجدها مصرحة بذلك اجلى تصريح قال عليه السلام : كلكم من آدم و آدم من تراب وقال : لافضل لعربى على عجمى الى غير ذلك من الاحاديث الناطقة بوجوب رفع التمايز والتفاضل بين طبقات المسلمين ، واذا طالعت تاريخ السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين الذين اقتدوا بالنبىء عليه السلام فانك لاتجد فرقا بينهم و بين سائر افراد المسلمين ، تجد سيد الخلائق رسول الله صلى الله عليه و آله يجلس فيهم كاحدهم ، يعطف على صغيرهم ، ويحنو على كبيرهم ، متواضعاً لهم ، ممتثلا قول الله عز وجل تعليما لنبيه : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، ويفيض عليهم من مكارم اخلاقه التى وصف الله بقوله : وانك لعلى خلق عظيم : وتجد خليفة المسلمين رجلا منهم له مالهم ، وعليه ماعليهم ، بل كان يفضل افراد المسلمين على نفسه تواضعا لهم و اقتداء باالنبىء صلى الله عليه و آله ، فان عمر كان يركب الجند الخيل العتاق ، ويركب هو الحمار ، وكان المسلمون يلبسون الرقيق ويلبس هو الخشن من اللباس ، ويأكلون الطيب من الطعام ويأكل الجشب وكذلك كان على يلبس المرقع من الثياب حتى قال يوما على منبر الكوفة : لقد رقعت مدرعتى هذه حتى استحييت من راقعها . ويأكل الجشب من خبز الشعير غير المنخل بجريش الملح ، ليواسى افقر المسلمين فى ذلك ، وكان كثيرا مايقول : أأقنع من نفسى ان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم فى جشوبة المأكل وخشونة العيش ، وطالما يتمثل بقول القائل :

وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد

وكان يطعن بمعاوية حيث كان مبطانا منهوما يتخذ لذيذ المأكل وطيبه فيقول له : اتخذتها (الامارة) ملكا كسرويا وسنة هرقلية يعنى ان هذه لاعمال لاتوافق الدين الاسلامى الذى لايبيح للانسان ان يفضل سائر افراد المسلمين ولو كان اميراً .

اعتاد المسلمون ذلك وعرفوه من سنة شريعتهم الغراء ، ولذلك نقموا على

عثمان ايثاره بعض المسلمين بالاموال دون بعض حتى اعطى اربعة من قريش اربعمائة الف دينار وخص مروان بالف الف دينار بعد فتح افريقية ، وتفضيله اقاربه بالامرة والسلطان على المسلمين حتى خالف قول عمر له : اذا وليت هذا الامر (الخلافة) فلاتسلط ابن ابى معيط على رقاب الناس، وحمايته الحمى لنفسه مع ان المسلمين شرع سواء فى الماء والكلأ .

هذه كانت سجية المسلمين ، وتلك اعمال الخلفاء الراشدين امتثالا لاوامر الشرع الشريف و اقتداء بالنبى الامين ، وكانوا اهم الروحانيين لان معالم الدين انما كانت تؤخذ منهم ، ولم يكن للروحانية عنوان فى الشرع نعم ربما كانوا ينصبون القضاة فى صدر الاسلام ولم يكن ذلك لروحانيتهم، بل كانوا يعينون الخليفة اوالوالى فى هذه الازمان ، و انما كانوا يضطرون الى نصبهم مع انهم عالمون بما فى الشريعة الاسلامية من الاحكام وهم حملتها الذين ينشرونها بين المسلمين لان الخليفة اوالوالى كان عمدة مايهمه الاشتغال فى تنظيم امور الجند ، والجد بالجهاد والغزوو الفتح فلايسعه حسم الخصومات التى تحدث بين المسلمين ، ولذلك كان يضطر الى نصب قاض ينظر فى ذلك ، هذه كانت حال المسلمين فى صدر الاسلام اما اليوم فانا نرى فى المسلمين اناسا يدعون الرياسة على المسلمين والزعامة فى الدين ، ولاعمل لهم يبر ، ولاسعى يشكر ، ترى الرجل منهم جالساً على السجادة الرفاعية اوالقادرية اومتقلدا منصب الاجتهاد يفتى فى المسلمين وهو اجهل الناس، مرتديا برداء الفخر، متجلببا جلباب الكبرياء، لايحب الانسان مهما كان الا عبدا من عبيده الذين ملكتهم يمينه ، والناس يقرونه على ذلك جهلا منهم بحقيقة الدين الاسلامى ، فتراه مدليا كفيه لتلثمهما افواه البسطاء ويتبركوا بهما ، والناس منهمكون يزدحمون على تقبيلهما ازدحام الكلاب على لحوم الجيف، وربما استلم بعضهم عضادة باب دار ذلك الروحانى العاجز الذى جعلوه واسطة بينهم وبين الله سبحانه ، و اذا شاهده احدهم خضع له خضوع الوثنيين الى اوثانهم وادلى برأسه حتى يقارب الارض تعظيما لذلك الانسان الجاهل .

ضل اولئك الجهال ونسوا قول الله فى محكم كتابه المجيد : ولايتخذ بعضكم بعضا اربابا من دون الله ، ولامعنى لاتخاذ الانسان ربا الا تعظيمه هذا التعظيم الذى لايليق الا بالارباب ولايوافق اصول الشريعة الاسلامية التى تنفى التفاضل بين الناس مهما كانوا ، تلك بدعة النصارى التى جروا عليها مع رهبانهم وقسوسهم حكاها

الله عنهم في كتابه العزيز ليحذر المسلمين من الاتيان بمثلها ويهديهم الى سبيل الرشاد، قال سبحانه : اتخذوا (النصارى) احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، وذلك لانهم عظموهم تعظيم الارباب فحكم عليهم بانهم اتخذوهم اربابا ؛ والافلا يرى النصارى ربوبية احبارهم ورهبانهم .

ومما يفضي الى العجب هو ان النصارى الذين كانوا يعظمون احبارهم كشركاء الله عدلوا عن تلك الطريقة المشومة، واخرجهم نور العلم من ظلمة العبودية للاحبار والرهبان، فهم لا يعطونهم اليوم تلك المنزلة التي كانت لهم قبل ، ولا يحسبونهم الا كغيرهم من الناس ان لم يكونوا ادنى مع ان دينهم الذي تلقوه من اولئك القسوس والرهبان يأمرهم بخلاف ذلك، لكنهم عرفوا يقينا كذب ما كانت توحيه اليهم زوايا الاديرة وصوامع الكنائس، وان اولئك القسيسين لفقوا تلك المفتريات ليستدروا بها اموال الناس . والمسلمون الذين يعتقدون بان دينهم ينهى عن تلك الاعمال الرديئة بل يعدها شركا بالله كما نطق به الكتاب المبين ـ يأتون بتلك المنكرات غير مبالين بمخالفتها للشريعة الاسلامية ، يخيل لهم جهلهم انهم يدخلون بذلك الجنة ، ويشوقهم اولئك المضلون الى مثل تلك الاعمال لتشق لهم امور المعاش ، وان انتقضت عليهم امور المعاد فهم لا يبالون ، كأن لسان حالهم ينشد : وما عاقل باع الوجود بدين .

الروحانيون اولى الناس بالنهي عن تلك الاعمال الشركية، لانهم حملة تلك الاحكام الاسلامية التي تنهى عنها على ما يزعمون ، وهم الذين يلزمهم هداية من ضل من جهال المسلمين لانهم ورثة علم النبي والخلفاء على ما يدعون ، فما بالهم اقروا الجهال على تلك الاعمال المنكرة المخالفة لاحكام الشريعة الاسلامية؟ هل كان ذلك الا محافظة على امور معاشهم الخسيس واما تلذذاً بتلك الرياسة الوهمية ، والزعامة الخيالية في هذه الدنيا الدنية .

وليت اولئك الروحيين اقنعهم فعل الهمج الرعاع وتعظيمهم اياهم ، ولم يختصوا انفسهم بالقاب الجلال والكبرياء بدعة الكافرين التي نهى الله عنها عباده المؤمنين ، ولم يرضوا لاحد ان يخاطبهم باسمائهم مجردة عن تلك الانباز الضخمة ، فاذا سميت احدهم باسمه وجدته متمردا عبوساً يدر الغضب من بين عينيه . وهيهات ان يرضى عنك حتى تستلم يديه وتسميه نقيب الاشراف او بوست نيسين الدركاه القادرية (شيخ سجادة الزاوية لقادريه) او آية الله العظمى او حجة الاسلام او غيرها من الالفاظ الضخمة التي وضعها الروحيون لانفسهم مخالفة لاوامر الشريعة المحمدية .

جمع اولئك الروحيون بين الاضداد فانهم مع ما اتصفوا به من شدة العجب وفرط الكبرياء شاركوا المجانين في البله ، فان الرياسة الدينية منوطة به عند العامة ، وكلما ازدادت بلاهة الروحاني ازداد وثوق الناس به . ومن كان عنده نصيب من الفعل فلا نصيب له من وثوق الناس ، لذلك اضطر اولئك المراءون الى اظهار ما يشبه الجنون من البله ليزيد بهم وثوق الناس فيحبوهم بالاموال الطائلة ويلقوا اليهم مقاليد الرياسة الدينية. أشاهد في الجهال (وهم في العراق كثيرون) من يتلذذون بذكر مناقب الروحيين ومكرماتهم عادين من اكبرها « ان رجلا منهم اهديت اليه تفاحة في غير اوان التفاح فاكلها بمحضر المهدي ولامه تلاميذه على ذلك وافهموه ان مثل هذه الهدايا لا تؤكل بل يحافظ عليها للشم والتفرج ، فبقي ذلك مرتكزا في ذهن ذلك الروحاني الابله الى ان حضر على مائدة لبعض المثرين فقدم اليه ذلك المثري دجاجة مطبوخة يتصاعد منها البخار لحرارتها على رغيف خبز ، فاخذها ذلك الروحاني والمرق الحار يتقاطر منها فوضعها تحت ابطه بين ثوبه وجلده فصار المرق يتقاطر على جلده ويلذعه لحرارته وبقي معذبا يقاسي حرارة ذلك المرق وهو يقول! لاحول ولا قوة الا بالله ، ما انا والملوك ، وما انا والهدايا حتى بردت الدجاجة ، ولما فارق المجلس لامه تلاميذه على هذا الفعل فصرخ بهم قائلا : لقد حيرتموني ما اصنع ، احافظ على الهدايا فتلومونني على محافظتها ، وآكلها فتلومونني على اكلها ، ولولا انتم لما قاسيت ذلك العذاب الاليم من حرارة تلك الدجاجة . هذا مثال مما يرتكبه الرحيون البله من اظهار البله ليخدعوا به البسطاء ويغروهم ، والذي يزيد رغبتهم في هذا الجنون تلذذ العامة بنقله وحسبانه من اكبر المعجزات قائلين : هكذا اولياء الله ؛ لاشك ان هذا من اكبر الروحانيين لانه اشدهم بلاهة ، فلا تستغرب صدور امثال هذه الافعال منهم لا لبلاهتهم بل تبالهامنهم لجلب الناس اليهم والمحافظة على رياستهم .

جعل الله (سبحانه) النبيء على اكمل ما يكون عليه الانسان من العقل ، واعطاه الحكمة وفصل الخطاب ، ونزهه عن كل نقص حتى عن السهو والنسيان ، كل ذلك اهتماما بالاحكام ومحافظة على تبليغها . وهذه الاحكام التي حافظ الله سبحانه عليها تلك المحافظة اضاعها الجهال بتسليمها الى من رأوه انقص الناس عقلا واشدهم بلاهة ، فجعلوه رئيساً في الدين ، ومبلغا احكام سيد المرسلين ، ولم يعبأوا بان من لا يميز بين التفاحة والدجاجة كيف يؤتمن على احكام الشريعة .

اضطرت العامة اولئك الروحانيين فباعوهم عقولهم بتلك الرياسة الموهومة والاموال التي يتسلمونها من الناس لكن لم تسغ لهم تلك اللقمة الدسمة، بل ترددت في حناجرهم، وديفت بالذعاف الممقر ، لانهم لم يتركوهم يتلذذون بتلك الاموال بتلطيف الاكل والشرب واللبس بل اشترطوا عليهم ازياء قذرة منفورة : ان يكون الروحاني كبير العمامة المكتنفة بالاوساخ حتى تسود فان لم تكن كثيرة الاوساخ فلابدان تلوث بالتراب، مصفر الوجه يعلوه الغبار، اعمش العينين تذرف من مآقيهما الدموع، متعشكل اللحية يجرى من بينها العرق الاسود ، رث الاطمار والثياب الخلقة ، نحيف الجسد ، قالوا : هذا هو الزهد ولم يعلموا ان ذلك هو القذارة التي نهى عنها في الشرع ، ليتدبروا نعت النبيء والخلفآء وصفتهم يجدوهم في غاية النظافة والانق وان هم لم ينالوا في الاطمار ولم يتخذوها من الاوساخ ، ولم يهبوا للقذارة لحومهم وللنحف والاصفرار ابدانهم ووجوههم ، بل كانوا اقوياء اشداء في غاية الشجاعة ونهاية الجراءة ، شديدى البطش في الحروب، عظيمى المراس في المعارك، حكماء علمآء ، غير طائشي العقول، مغلولي الايدى كهؤلاء الروحانيين المجانين القذرين الذين ماشوا في الدنيا عيشة الفقراء ، وهم يحاسبون في الآخرة حساب الاغنياء لانهم جمعوا اموال المسلمين ولم يصرفوها في سبيل الله فبقى عليهم وزرها ولم يستطيعوا ان يتنعموا بها في الدنيا اذ لا يسعهم ان ياكلوا بها هنيئا طيبا ويشربوا صافيا سائغا غير محتجبين عن الناس مختفين عن اعين النظار ولا يمكنهم ان يلبسوا جيد اللباس المنزه عن القذارة لوجوب تزييهم باقذر الازيآء وتحريمهم زينة الله غير مبالين بقوله : قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده فكانوا كبني اسرائيل حيث حرموا على انفسهم ما كان حلا في شريعتهم كأن الشريعة الاسلامية قد حظرت على معتنقيها وخصوصا الروحانيين ان يتجلوا بتلك الازياء المنفورة سبحانك اللهم ان هذا الاختلاق في الدين ، وافتراء على الشرع الشريف الذى اباح للناس جميع اصناف اللباس وضروب الازياء .

بمثل هذه الاعمال المباينة لنصوص الشريعة الاسلامية تمكن الروحانيون من مشاركة الناس في اموالهم ، واختلاسها نهارا باسم الدين فانك لا تجد ميتا يموت حتى ينقل ثلث ما يملك الى احد الروحانيين من غير ان يطالب بصرفه اوان ينظر في موارد بذله لان الروحاني مامون في ذلك بعد لن كان ابله قذرا فلا يتطرق اليه احتمال التفريط ؟ والتساهل في صرف تلك الاموال

فى سبيل الله وسد عوز المسلمين ، ويزلف الميت فى دار النعيم بمجرد وصولها اليه ،
ولذلك نجد الروحانى متظاهرا بكل مايلزم الروحانية من البلاهة والقذارة التى
يسمونها زهدا مبطنا للخداع والغرور والتزوير ، ولايبالى بعد ذلك اذا كان
جاهلا لايعلم شيئا من اسرار الشريعة الاسلامية ، ولايتعقل حكما من احكامها،
فاذا سئلته وهو لا يعلم شيئا عما يعلم عرض ونأى بجانبه واذا اهمه التخلص منك
ان انت طالبت بالجواب سارع الى الحكم بتكفيرك وقال ان هذه المسئلة مخالفة
للشريعة لايسئل عنها الاكافر ويتخلص بذلك عن كل سؤال يرده،هذه صفة اولئك
الجهال الذين سموا انفسهم الروحانيين وازياؤهم .

اما اعمالهم فكان الواجب عليهم ان يجدوا بتحصيل العلوم والفنون، ويقوموا
بنشر التعاليم الدينية ، وبث الوصايا الاسلامية بين المسلمين فيهدون الناس الى حقيقة
الدين الاسلامى وما يوجبه على كافة معتنقيه من الذب عن بيضة الإسلام
وحماية حوزة الدين ومقاومة اعمال المبشرين فى الممالك الاسلامية واظهار
كذبهم وافترائهم على هذه الديانة المنزهة عن شوائب الريب . لكن الروحانيين
تركوا كل ذلك وتجلببوا جلباب البطالة ولم يهمهم درس العلوم الدينية ولا غيرها،
بل هم يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع ، كل على الناس يتجولون فى
المجالس والمنتديات مع البطالين من غير ان يأتوا بعمل مفيد للمسلمين . يكتسب
عامة المسلمين ليلهم ونهارهم ويتعبون انفسهم بتحصيل القوت لهم ، فيفوز اولئك
المتشردون بالراحة دون جدوا كتساب . ومن هؤلاء مايربى على عشرين الف نسمة
فى العراق بين النجف وكربلا والحلة وبغداد والكاظميه والاعظميه وسامراء
لاعمل لهم ولا اكتساب وهم يتعيشون بارفه عيش باسم الدين الذى حرم عليهم
البطالة واوجب لهم التكسب لئلا يكونوا كلا على الناس . ويا حبذ لو نفذت
الحكومة قانون المتشردين فاراحت المسلمين من سر اولئك الجهال البطالين
الذين جعلوا مال الله بينهم دولة وبخلوا على المسلمين بالارشاد ونشر التعاليم
الدينية والدين الاسلامى يوجب على كافة متبعيه الذب عن حرم الاسلام ويحرضهم
على مواصلة الجهاد وبذل الاموال والانفس فى سبيل اعلاء كلمة الله فلو ان
الروحانيين جدوا بنشر هذه الاحكام وحثوا الناس على العمل بها لرايت مايربى
على ثلثمائة وخمسين مليونا من المسلمين يذبون عن شرف الاسلام ولما سقط الاسلام الى
هذه الهوة العميقة التى يوشك ان يهلك فيها . ان رجلا واحدا من الروحيين

اطاع الله وعصى هواه فقام بواجبات الدين ودعا المسلمين الى الجهاد فلباه اناس وطلبوا مرضاة الله ، وصاروا يحامون عن اوطانهم ويوشك ان يجلوا اعداءهم عن بلادهم . فلوان كل الروحانيين كالسنوسى لكانت كل المستعمرات الاوربية كطرابلس ، ولما طمعت اوربا باستعمار باقى الممالك الاسلامية ، ولما تجاسر رعاع الغرب على العبث بالمسلمين ، لكن انى لنا بذلك وهؤلاء الروحانيون لاهون لايهمهم امتثال الاوامر الشرعية يقنعون من دنياهم بالاكل والشرب شأن البهائم العجم .

هذه اوربا قدا غارت على الممالك الاسلامية ، وجدت بتلاشاة الاسلام ، فمن غار من الروحانيين على دينه ووطنه ، وتقدم الناس الى الجهاد وحضهم عليه كما تفعل القسوس والرهبان الذين حملوا الصليبان وتقدموا امام امهم الى الحرب . علماء الشيعة لايهمهم الا التبله والاكثار من قول : اصل البراءه ، اصل الاستصحاب ، الاصل المثبت الى غير ذلك ، وعلماء السنة لاعمل لهم الا التنزه والتفرج والجد بتلطيف الاكل والشرب وقول جاء زيد . مات عمر . الفاعل . المفعول الى غير ذلك ، لكن علماء الشيعة (والحق يقال) اكثر اهتماما بهذا الامر من علماء السنة فانهم حين طرق سمعهم احتلال ايطاليا طرابلس واعلانها الحرب فارقوا اوطانهم واجتمعوا فى الكاظمية صغيرهم وكبيرهم يحثون الناس على اعانة الدولة بالاموال والانفس حتى نقلت اقوالهم الجرائد ونشروا فى ذلك النشرات التى تبين منويات اوربا السيئة ، لكن لم تنجع اقوالهم فى قلوب المسلمين ، ولم تؤثر نشراتهم فى نفوسهم لمخالفة بعضهم بمضافى ذلك ورده اقوالهم اقبح رد ، ذلك هو السيد كاظم اليزدى من قاطنى النجف فانه وقف لاقوال العلماء بالمرصاد مدافعا عن اوربا مبررا جميع اعمالها مظهر انها لاتريد سوءا بالمسلمين . ولفرط جهل المسلمين وميلهم الى الراحة ، والفرار عن بذل الاموال والانفس وتحمل تلك المشاق كانت تروج لديهم مفتريات ذلك الخبيث عدو الدين والوطن ، فلم يعيروا الكلمات العلماء اذنا واعية ، ولما شاهد العلماء ذلك رجعوا الى معاقلهم آيسين من صلاح حال المسلمين ، وبقى ذلك الخبيث يرد عليهم ويصرح بعدم وجوب الدفاع والجهاد على المسلمين والحكومة لم تتعرض له بسوء فلما وافق اميال العامة رجع اليه كثير من الجهال وناولوه طرفا من رداء الرياسة الدينية حتى صار عقبة فى سبيل العلماء الى حفظ استقلال المسلمين ،

وكان يتمسك على ذلك بحجة موه بها على العامة فان فقهاء الشيعة قسموا الجهاد الى قسمين باعتبار الزمان (١) الجهاد فى زمان النبي وسموه الجهاد وذكروا له احكاما وشروطا (٢) الجهاد في غير زمن النبي وسموه دفاعا اصطلاحا فقهيا وذكروا له احكاما وشروطا غير الاول وانما فعل الفقهاء ذلك لاشتراط وجوب الجهاد عندهم بشروط كالصحة من المرض والعمى والعرج والذكورة ووجدان ماينفق واغير ذلك وعدم اشتراط وجوب ذلك في الدفاع فانه يجب على المريض والصحيح والغني والفقير والمرأة ومن والرجل والعبد والحر ، فلذلك قسموه الى قسمين ليذكروا لكل قسم احكامه وشروطه قالوا : فلايجب الجهاد الا في زمن النبي فموه ذلك الخبيث بهذه العبارة وقال ان الفقها صرحوا بعدم وجوب الجهاد في هذه الازمان و بين قول الفقهاء بعد ذلك ويجب الدفاع على كافة المسلمين متى دهمهم عدو . جاهر ذلك الخبيث بامثال تلك « فاويل التى تخذل المسلمين ولم يعارض احد ك زلك عددى الحر الكريم المراقب لاعمال المفسدين جمال بك والى بغداد الاسبق ومزيز بك قائمقام النجف سابقا ، ولكن معارضة حقيقة فعلماء الشيعة وان كانوا ملومين على سرعة يامهم وقنوطهم مقصدين فى اخلادهم الى السكون بعد تلك الحركة — قد يشكرهم العالم اسلامى لمد زمؤلم السكون سابقا ولاحقا . هذه اعمال الروحيين فى قبال الاعداء الذين اغاروا على الدين وسولت لهم انفسهم المحال فجدوا بتنصير المسلمين على ايدى المبشرين ولفقوا المفتريات على الدين الاسلامى واعابوه بها — فلم نر من المسلمين من قابل تلك الاعمال واظهر على الاقل مفتريات اولئك العتوس على الدين الاسلامى . ارى الوفا من الصحف السيارة والكتب طافحة بالافتراء على الشريعة الاسلامية ولا ارى كتابا واحدا يتكفل برد تلك المفتريات عدى كتاب رأيته تحت عنوان (الادلة العقلية على اشرفية الشريعة المحمدية) لمؤلفه ابراهيم الراوى يستدل فيه على اشرفية الشرفية الشريعة الاسلامية باشرفية معتنقيها على سائر الناس لان فى جملتهم القادرية والرفاعية ولديهم معاجز تعجز البشر عن الاتيان بمثلها كضرب السكاكين والخناجر فى ابدانهم دون ان يخرج الدم .

تقرير الدقتور ارنست جاك

عن جريدة جرمانى فى ٥ فبراير ١٩١٢
قد بلغت الفظائع البلقانية درجة ليست بعدها درجة فاذا كانت اوروبا المتمدنة تريد ان تكون لائقة لتوسيمها باسم المدنية وجب عليها ان لا تدع الاشتغال والتأمل فى الفظائع البربرية التى ارتكبها جنود حكومات البلقان المتفقة .
كتب الدكتور شيمان فى مجلته الاسبوعيه كروزايتنغ (جريدة الصليب) ان الدقتور ارنست جاك نشر كتاباً تحت عنوان «المانيا فى الشرق بعد حرب البلقان» ذكر فيه ما يأتى : «الذى يشاهد ماهو جار فى مكدونيا يظن نفسه

ان الاعمال الوحشية والفظائع المدهشة التى اجراها البلقانيون والتى لم يسبق لها مثيل فى جميع الحروب المتقدمة ظهرت تماماً من طى الخفاء بتقارير ومكاتيب اناس معتمدين شاهدوها باعينهم من مأمورين المان وقناصل وغيرهم وهذه التقارير رسمية ومثبتة بالصور الشمسية ففى احد هذه المكاتيب قرأنا هذه العبارات :
« فالذى يرتكبه البلغار فى الوقت الحاضر تجاوز سيئات الاتراك بعشر مرات



ضابط عثمانى مثل به البلغاريون ثم ارسلوه الى المعسكر العثمانى



كيف يترك الصليبيون نساء المسلمين اطفالهم على الارض

في دور المهاجرة العمومية في القرون الاولى وان طائفة الهون من البرابرة قدعادوا هذا اليوم اويخال نفسه في ايام الحرب المذهبية (حرب الثلاثين سنه) فالرجال الذين بقوا في القرى قتلوا والنساء والبنات هتكت اعراضهن والقرى نهبت واحرقت والحاصل فان النفوس التي ء

نجت من السيف والمدفع افناها الجوع والبرد»

ولكي لايظن انى ابالغ فى كلامى فلنأت ببعض امثلة من تلك الاعمال: هتكت بعض ضوارى البلغار فى قرية بزوبو عرض ابنتين امام اعين والدتهما فالوالدة المسكنية من تأثرها قتلت اثنين من البلغار بالرصاص فحينئذ ابتدأت الفجائع التى يعجز عن بيانها القلم بالنتيجة . جمع البلغار نساء وبنات القرية فى قهوة وحرقوهن غير متأثرين من صراخهن المفتت للاكباد . والا فظع من هذا ان عصابات تمنو نيكولو ودده دوتشو البلغارية عمدوا الى تلقين هذه الضحايا النصرانية قبل احراقها . وقد دفنوا عشر بنات احياء فى قرية اشكال من اعمال قضاء قلقيش .

وكتبت سيدة نمساوية مكتوباً الى اخيها من قوانه قالت فيه : « حبس كثير من اهالى البلدة واعيانها لاذنب لهم سوى انهم مسلمون وقد حكم عليهم باحكام قاسية بدون دعوى وفى نصف الليل ايقظوا هؤلاء من نومهم وربطوا كل ثلاثة مجتمعين ثم انهال عليهم البلغار بضرب السياط ووز الحراب كأنهم حيوانات وذلك بعد ان نهبوا ملابسهم ولم يتركوا لكل احد الا القميص وكان بين هؤلاء المحبوسين كثير من الاولاد والشيوخ والنساء . قرر المسلمون فى محل سرز الدفاع عن انفسهم واثناء ذلك قتلوا جنديين وحينذاك اخرج الضابط البلغارى ساعته من جيبه وقال للجنودها هى الان الساعة الرابعة والى الساعة الرابعة من نهار غد اسمح لكم بان تفعلوا بالمسلمين ماتشاؤون فهؤلاء الضوارى قتلوا فى ظرف الاربعة والعشرين ساعة ١٢٠٠ وفى رواية اخرى ١٩٠٠ نسمة من الاتراك . »

وقال الميرالاى (وايت) ان البلغار حرقوا جميع بيوت المسلمين من شطالجه الى ادرنة وبعكس ذلك كانت تلك التقارير مصرحة بحسن معاملة العثمانيين وابتعادهم عن كل مايشين الشرف العسكرى والى ذلك اشار اليوز باشى (راين) فى تقاريره وانى اذكرهنا بعض فقرات منها «ان الاتراك شعب ذو شرف وفضيلة وشجاعة» وختم تقريره بهذه العبارة وليسوا سوية فى المدنية الاوروبية ونؤمل ان هذا الشعب يجد الفرصة اللازمة لان يجدد كيانه ويترقى بحسب قابليته ومزاياه الفطريه لانه شعب متدين وصادق وذوشرف وشجاعة» ثم اتى فى آخر التقرير بهذه الكلمة لبسمارك « الاتراك هم نبلاء الشرق الوحيدون » .

واى عار للنصرانية اعظم من ارتكاب جنايات وفظائع فى حرب اعلنوا انها مقدسة ولاشك فى ان النصرانية الحقيقية التى هى عبارة عن بعض تذكارات لم يلحقها عار وحقارة الى تاريخنا هذا مثل الوصمة التى الصقها بها وحوش البلقان وفى المدة الاخيرة التى المسونسنيور بوجلن الواقف على احوال البلقان محاضرة فى الدين والحرب البلقانية منذ حرب الثلاثين سنه (الحرب المذهبية) لم تحدث حرب تاريخية تهم عامة الكون

تحت اسم ولواء النصرانية كالحرب الحاضرة نال الاتفاق المثلث جميع غاياته فالتحالف البلقانى والحرب الحاضرة والفعالية السلافية هى حلقات سلسلة يطوق بها عنق ويانه وتوقفها عند حدود الشرق اخبرنى احد الساسة القاطنين بالاستانة انه قتل فى الحرب البلقانيه قدر ٢٠٠،٠٠٠ نفس وهتكت اعراض النساء امام اقاربهن وقد تزوج البلقانيون ببعض النبات ثم قتلوهن لاجل الحصول على اموالهن واحرقت القصبات ونهبت وفى بعض الجهات جمع الرجال والنساء فى الجوامع واحرقوا ودفن اكثرهم احياء. والان حيث ان قوى البلقان تضعضعت فهو يرجح الاستراحة قليلا على الاسراع بتقسيم مملكة النمسا. ان ضعف الحكومه النمساويه سيكون مصيبة على العالم. كانت تركيا فى المدة الاخيرة تريد بالكنيسة خيراً محافظة على حيادها التام نحوها فالنفور الان فى الروسيا موجه نحو ويانه وروما وصحف الروس دائما تلهج بهذه العبارة (بيزانس مقابل روما) والوضعية التى اكتسبتها الكنيسة فى البلقان فال خير لان الصربيين يسعون الان فى عقد اتفاق مع كنيسة روما لاجل توسيع ساحة استقبالهم وعمل الصربيين هذا سيلفت انظار السلافيين فى الممالك الشماليه وهناك الطامة الكبرى فالغالبون فى الحرب البلقانيه هم عدة ملوك يسعون لتحكيم سلطة تيجانهم تخريب البلاد واهلاك العباد. وفى الحقيقة ان اعظم مغلوب فى هذه الحرب هو انجيل المحبة الانسانية والعدالة.

ونظن ان ماسردناه كاف فاسترى خجلا يا اوروبا!!

ونشر الدقتور ارنست جاك كتاباً عنوانه «المدنيا فى الشرق» وقد خصص فيه فصلاً للمظالم التى ارتكبتها دول البلقان مستنداً على وثائق وبراهين قاطعة وهاك ما كتبه فى مقدمة ذلك الكتاب:

«لوكان الاتراك وحدهم ضجوا من المظالم التى يرتكبها البلقانيون لداخلنا الشك فى ان هذه الشكايات فيها مبالغة. لكنه توجد بايدينا براهين رسميه وصور شمسيه تثبت تلك الفجائع وان تلك البراهين والوثائق وضعها من شاهد تلك الفجائع بعينيه من الاجانب المأمورين الالمانيين والفرنسيين ولكن مع الاسف لايمكننى ان اذكر اسماءهم بناء على رجائهم منى ذلك لانهم يدركون حقيقة درجة توحش البلقانيين ويخشون عصابات البلغار واليونان والصرب والجبل الاسود ان يفتكوا بهم وجنودهم الذين يلتذون باراقة الدماء.

لا انكر ان تقع اثناء المحاربات اضرار ومصائب شتى ولكن لم يذكر لنا التاريخ جنايات حربية كالتى حدثت فى الحرب البلقانيه. لم يسبق قطعياً ان جنوداً محاربين يختمون اعمال انتصارهم بالقتل والتشنيع بالاهالى الذين لا سلاح معهم ولم يشتركوا فى القتال واوروبا التى اعلنت فى البدء بانه لا بد من المحافظة على الحالة الحاضرة (استاتوقو) واجمة لا تظهر ادنى تحبس لاجل كف برابرة البلقان واهل صليب العصر الحاضر عن اعمالهم السافلة. ان القرون المظلمه تنظر الى القرن العشرين مستاءة ومتعجبة من تلك الهمجيه ومن رضاً الملل التى تدعى شرف المدينة بذلك فالفجائع التى وقعت بهذه الحرب التى تسمى حرب الثلاثين يوما نظراً لقصر مدتها تجاوزت كثيراً الفجائع التى وقعت فى حرب الثلاثين سنه (الحرب المذهبيه). ويمكننا ان نقول ان الاتراك المسلمين ماتنلوا فى الروم ملى الالا نهم مسلمون

الهداية

—« تصدر فى الاستانة . جمادى الاخر سنة ١٣٣١ »—

اسرار القرآن

قد تبين مما اسلفنا بطلان ما زعمه المبطلون من ان الله تعالى ولدا وبسطنا القول فى تنزيهه تعالى عن اتخاذ الصاحبة واصطفاء البنات ولما كان هذا من القضايا المسلمة التى لا ينافرها العقل ولا يناقضها النقل اكتفت الآية الكريمة فى الرد على أولئك المبطلين الذين قالوا اتخذ الله ولدا بعبارة (سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون)

فلو انه تعالى اشبه البشر فى اتخاذ الصاحبة والولد لحق عليه ما حق على غيره من التغير والفناء ولما قنتت لنواميسه القدسية العوالم العلوية والسفلية ولكنه بديع السموات والارض فهو الذى استوى الى السماء فسواهن سبع طرائق تسلكها كواكب متجاذبة متماسكة لا ينفرط لها

عقد ولا يختل لها نظام . ثم عمد بعد ذلك الى الارض فدحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها .

هو الذى ابرد سطح الارض وحسر الماء عن جزء منها ثم احاطها بذلك المحيط الهوائى ثم بث الخلائق فى بطنها وعلى سطحها وفى ظلمات بحارها بعد ان صور كل طائفة منها كاشاء بشاءت حاجاتها وضرورات حياتها .

هو الذى خلق عيسى كما خلق آدم فهو اله عيسى وخالق عيسى وما مثل عيسى عندالله الا كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن

وهل عيسى وآدم ومحمد وسائر الانبياء الا بشر ارسلهم الله لهداية خليقته الضالة . وهل كان لبشران يؤتيهالله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادالى من دون الله أنى لعيسى وغيره من الرسل بل وأنى الارض التى نسكنها والشمس التى نحن كالذر بالنسبة لمجموعتها أنى لشئ من هذه الخلائق ان تنتسب الىالله تعالى الا كما تنتسب الصنعة الى مبدعها والعباد القانتة الى موجدها

انظر الى الشمس والقمر والكواكب والى الليل والنهار والى الفصول الاربعة ثم الى البحار وما فيها من الخلائق العجيبة ثم انظر الى الارض وما انبث فيها من الدواب والحشرات وما غطاها من النجوم والاشجار ثم انظر فى نفسك ايها الانسان وما ابدعت فيك يد القدرة الالهية فانك ستجد فى جميع ذلك من الايات الباهرة ما يثبت

لك ان الله تعالى اكبر من ان يكون بينه وبين شيء من خلائقه لحمة نسب اوصلة رحم وانما جميعهم عباده الذين صورهم كيف شاء فهم جميعا منقادون قانتون لنا موسه الذى سنه لخليقته

ومن عجيب امر الانسان انه بدل ان يتخذ من هذه النواميس آيات ليهتدى بها الى ادراك من سوّاها وقدّرها اكتفى بما تدركه حواسه من شئونها الظاهرة حتى اذا سئل كيف كانت الكائنات ومن الذى جعل لها هذه الشرعة والمنهاج وأخذ عليها الا تزايله طرفة عين قال مالنا ولهذا المبحث فمالنا ان نخوض الا فيما تدركه حواسنا من المادة واشكالها وما بين اجزائها من العلائق والصلات .

ولقد كثر هذا الفريق الضال فى كل امة حتى اننا لنجد هذا المرض فاشيا فى الامم الاسلامية التى تفرد كتابها المقدس بالحث على النظر فى الكون وتدبر اسرار الخلائق فلم يدع الناس الى الايمان بالصانع وتوحيده بالعبادة الا من طريق العقل والبحث فهو الذى لاتخلو سورة من سوره ان تحتوى كثيراً من آيات الحث على النظر والتفكر

ولكن ابى الله الا ان يهدى بصحف مخلوقاته العلوية والسفلية حتى من أبوا القول بقرآنه والاعتماد على رسالات رسله . ذلك الفيلسوف اسپنسار الانجليزى الذى لم يقل بدين رأيناه فى كتبه يسمى مدبر هذا الكون تارة (بالعقل الاعظم) واخرى (بالقوه الابدية الازليه) وكم من فيلسوف ضلت به افكاره فى تيهاء من الشكوك المظلمة ثم لم يلبث

ان أفاق فوجد نفسه خاراً الى ذقنه امام ذلك العزيز الحكيم الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير

هذا ولقد اسرف المفسرون فى تأويل قوله (واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) فلقد اطالوا كعادتهم فى بيان معنى (قضى امرا) وفى كيف يكون مجرد قوله تعالى للشئ كن كافيا فى تكونه واكثروا من الخوض فى اعراب عبارة (فيكون) ولا اجدنى فى حاجة هنا الى تفنيد ما زعموا ولا توهيمهم فيما اخطأوا فحسبي ان ابين المتدبر حقيقة القول ثم ليعرضوا عما سطره أولئك المفسرون هنا فانه لا خير فى كثير منه

اعلم ان عبارة (كن فيكون) جاء بها القرآن الكريم فى اربعة مواضع احدها هذا وثانيها آية (ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (١) وثالثها آية (ويوم يقول كن فيكون) (٢) ورابعها آية (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) (٣)

ومن تأمل هذه الآيات الاربع يتجلى له سر أسلوبها العربى العجيب ذلك ان سياق هذه الآيات وما اكتنفها من العبارات يدلان دلالة واضحة على انها ما نزلت الا للرد على من جعلوا الله كعباده فى تصرفاته وتدبيره وان له من خليقته مثل مالهم من الولد والبنات والصاحبة

---

(١) سورة آل عمران (٢) سورة الانعام (٣) سورة يس

فالله تعالى شأنه فى هذه الآيات الاربع يريد ان يفهم أولئك الجاهلين ان نسبة الله الى عباده اسمى نسبة الخالق من المخلوق والآمر من المأمور وان له مافى السموات والارض كل له قانتون

فاذا قدر الله تعالى امرا و ابدع صنعه ثم الزمه السير على سنته وشرعته التى رسمها له فليس لشئ ان يخطى سنته او ينحرف عن منهاجه .

فاذا قضى على الانسان بما ركب فيه من الجوارح ووهبه من الادراك ان يكون خليفته فى ارضه كان كما شاءله حتى اذا كان من بين الانسان من لا يهتدى الى الانتفاع بتلك المواهب كان فى جانبه من يعرف كيف يبلغ بتلك المواهب منزلة الخلافة التى اختص الله بها الانسان فى ارضه واذا قدر الله العين لتبصر والاذن لتسمع واللسان ليتكلم والجلد ليحس والدماغ ليفكر والمعدة لتهضم الطعام والكلى لتفرز البول والقلب ليوزع الدماء الصالحة على اجزاء الجسم و يدفع الدماء العكرة الى الرئتين لتتصفى وتنقى مما خالطها فتنقلب صالحة بعد فسادها اذاً فليس لشئ من تلك الجوارح والاعضاء ومافى الجوف من الاحشاء ان يخالف سنة الله التى رسمها له فليس للعين ان تسمع و لا للأذن ان تبصر ولا للقلب ان يفعل ماتفعل الكلى وهلم جرا .

واذا قدر الله للقمر ان يهبط المنازل وللشمس ان تسير هى ومما ارتبط بها من الكواكب المدعوة بالمجموعة الشمسية او قدر للارض ان تسير فى الفضاء سيرتها و ان يميل محورها على مدارها ذلك الميل المخالّق

للفصول السنوية الاربعة وان تدور هى على محورها دورتها المولدة لليل والنهار. فهل لشيء من ذلك ان يحيد عن منهاجه او يخالف عما امره الله به ؟ كلا (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)

وبالجملة فان هذه الآيات التى ذكرناها آنفا دالة بسوابقها ولواحقها على انها ماجاءت الا لتقرير الحقيقة التى طالما ضلت عنها العقول القاصرة فشابهت بين الخالق والمخلوق وواصلت بين الصانع والمصنوع

فاما آية البقرة التى نحن بصدد تفسيرها . فقد سبقها قوله تعالى (بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون) ولاجرم ان هذا منبيء بنصه انه مما قصد به الرد على اهل الصليب الذين يقولون ببنوة المسيح لله وكذلك على غيرهم ممن زعموا ان الله اصطفى البنات ومن جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم و هذا لشركائنا ، الى نحو هذا مما يقول المبطلون .

وكذلك نجد آية آل عمران ظاهرة فى الدلالة على ان الغرض من نزولها الرد على من زعموا ان المسيح ابن الله فهى تنطق بصريح عبارتها ان منزلة عيسى من الله ليست فوق منزلة آدم فكما ان الله تعالى صور آدم من التراب ثم امره ان يتخلق و يتكون فلم يستطع ان يعصى له امرا او يخالف له حكما كذلك فعل الله اذ كون عيسى فى بطن امه مريم فهو الذى قدر للتراب ان يستحيل الى ماتكون منه المسيح من المواد ثم

صوره ونفخ فيه من روحه فتمثل بشرا سويا فهل استطاع عيسى اذ أمره الله بالتكون ان يعصى حكم ربه او ان يخالف عن امره ؟ واما آية (يس) فانها اكثر وضوحا و اظهر دلالة على انها نزلت فى الرد على من زعموا عجزالله تعالى عن احياء البشر و انشارهم بعد موتهم (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحي العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ؟ بلى وهوالخلاق العليم. انما امره اذا اراد شيئاً انيقول له كن فيكون)

فالآيات جميعها كما رأينا جاءت فى غرض واحد وما هو الا الرد على من توهموا ان من خلائق الله من يستطيعون المخالفة عن امره و على من جعلوا له من عباده المكرمين بنين وبنات بغير علم تعالى الله عما يصفون .

اذاً فليس هنالك من الله امر قولى لشىء من خلائقه و ليس ثمة مايدل على ان الشىء الكلى يقع على أثر الامر بكلمة كن او خلال النطق بها كما اكثر فى ذلك المفسرون بل ان المتدبر الحاذق يرى فى الآيات الكريمة مايفيد عكس ماتوهم هؤلاء فانه لوكان هناك امر قولى بكلمة (كن) اوان نظام الآية يدل على فورية حصول المأمور به لما جاءت كلمة (فيكون) هكذا بصيغة المضارع الدال على الاستمرار

والتجدد . فالذى تفهمه صيغة المضارعة مع اقترانها بالفاء ان الله اذا قضى امرا ونظمه و ابدعه فان ذلك الامر من فوره يتكون و يتخلق طبقا لارادة مبدعه وحكمة صانعه ولا ريب ان ابداع الله وتقديره للكائنات من الحوادث التى تستغرق زمنا يختلف ويتغاير طولا وقصرا بيد انه على كل حال امدمتجدد ممتد فكلما قضى الله امرا من الدقائق التى تتألف منها الكائنات العظمى فان تلك الدقائق تكون متى تعلقت بها الارادة الالهية وهيأت لها القدرة مايلزم من الاسباب الكونية. وذلك على نحو ماجاء فى آية (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين)

فالله تعالى فى كل لحظة من لحظات التخليق قاض و مقدر و مصور وآمر والانسان فى سائر اطواره المذكورة مأمور مستجيب طوعا اوكرها لما اريد به فهو متكون طورا عن طور بذلك الامر الالهى الذى اودعه فى سننه التقديريه وجعله روح سننه الكونيه .

ومن هذا القبيل قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض أئتيا طوعا اوكرها قالتا أتينا طائعين)

فالتكون على ما رأيت فورى و تدريجى فى كل آن اما أنه فورى فلما علمت من ان الكائنات الكاملة كالانسان مثلا تتألف من ذرات

صغيرة وتدخل فى اطوار مختلفة فهى فى سائر احوالها الذرية وتطوراتها المتباينة واقع عليها التقدير الالهى وموجه اليها الامر التكوينى الذى هو سر التخليق الطبيعى . فهى فى جميع ذلك مأمورة مطيعة ومتكونة بيد القدرة البديعة الصنعة التى لا تفتأتزيد وتنقص وتصور وتقدر حتى تتم ماأرادته للشئ من الصفات والمميزات .

ولوكان المراد بالفورية غير ذلك لحسن فى آية تخلق عيسى ان يقال (ثم قال له كن فكان) ولكنه قال (فيكون) على ان فورية تخلق الكائنات المتركبة من اجزاء مختلفة المضطرة الى التولد من كائنات غيرها من القضايا التى تناقضها المشاهدات العينية وتكذبها سنن الله الكونية التى يقول فيها الكتاب الكريم (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) و (لن تجد لسنة الله تحويلا)

وسنعود لموضوع كيفية التكوين ونسبة الكائنات بعضها الى بعض فى تفسير الآيات الكونية المستقبلة انشاءالله تعالى .

—(الكلام فى قوله تعالى)—

(وقال الذين لايعلمون لولا يكلمنا الله اوتأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم . قد بينا الآيات لقوم يوقنون . انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو

الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى الله جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير)

امتاز الاسلام من بين الاديان بانه دين الفطرة والعقل كما امتاز رسوله الاكرم من بين الرسل بانه الرسول الفطرى الذى ارسل بالحق بشيرا ونذيرا فميزان صحة هذا الشرع المنيف وقسطاسه المستقيم ان جميع ما جاء به من الاحكام والمراسم و ضروب المواعظ والارشاد ليس منها ماينافر العقل الصحيح ولا تأباه النفوس السليمة

فليس له ان يتأيد بما ليس من حدوده ولا ان يطابق ماليس على شاكلته

كذلك جاء النبى صلى الله عليه و سلم بهذا الدين دين العلم والحكمة دين الهداية والبرهان ولكن الاقوام الذين ارسل اليهم كانوا اهل جهالة وعناد وعبّاد أهواء وشهوات . جهلوا سر الاسلام وروحه فاستمسكوا بما استمسك به أباؤهم الاولون من طلاب المعجزات والخوارق . ولم يكن طلب تلك المعجزات من الرسول ناجما عن ترو وصدق رأى ولكنهم كانوا يقترحونها اما عبثا او عنادا اوالتزاما لما ارضعتهم الجاهلية الاولى (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله اوتأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم)

ظل النبي عليه السلام كلما طلبوا منه المعجزات يدعوهم الى العمل بمقتضيات الفطرة ويرشدهم الى كنه وظيفته النبوية وماهى سوى الهداية

الى السبيل القويم و ارشاد الناس قاطبة الى مافيه الخير والسلامة فى معاشهم ومعادهم(قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى . قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون) ولو ان المعجزات الخارقة للعادة كانت كافية مقنعة لما كذب بها الاولون بعد اذ ألحوا فى طلابها وأجيبوا اليها مرأتها ابصارهم رأى العين . ولكن عدم توثق الروابط العقلية بين تلك الآيات وبين ما اريدت له من اثبات رسالات الرسل كان من نتائجه القريبة انه لا تكاد تنزل الآيات بطلابها حتى يسارع الى نفوسهم الشك فيها فمنهم من يراها من انواع السحر و منهم من يكذب بها بغيا وعدوا (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله و ما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون . ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون) (١) ولو أن جهل أولئك الاقوام كان جهل المستفيد المتدبر لما اصروا على طلاب ماقد طلبه اسلافهم ملحفين ثم تولوا عنه بعد اذ جاءهم مدبرين مكذبين . ولكن كان ذلك منهم جهل عناد واعنات ولهذا لم تفدهم هدايات القرآن الكريم ولم تزدهم بيناته الا عتوا واستكبارا (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض

---

(١) سورة الانعام

الاحاديث الموضوعة

ننشر فى هذا البـاب ما ورد من الاحاديث والآثار الضعيفة او المكذوبة على الرسول صـلى الله عليه وسلم او على ائمة المسلمين السالفين تحذيرا للمسلمين من اعتقادها والتشبث بواهى اسبابها .

هاروت وماروت

— تابع ما قبله —

قال ابن ابى حاتم حدثنـا ابو سعيد الاشبح حدثنا ابو اسـامة عن الاعمش عن المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الاعظم وكان يكتب كل شئ بامر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان اخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا وقالوا هذا الذى كان سليمان يعمل به قال فاكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماء الناس فلم يزل جهال الناس يسبونه حتى انزل الله على محمـد صلى الله عليه وسـلم واتبعوا ماتتلو الشـياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشـياطين كفروا وقال ابن جرير حدثنى ابو السـائب مسلمة بن جنادة السوائى حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن سـعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان سليمان عليه السلام اذا اراد ان يدخل الخلاء او يأتى شيئا من نسـائه اعطى الجرادة وهى امرأته خاتمه فلما اراد الله ان يبتلى سليمان فقال هاتى خاتمى فاخذه ولبسه فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والانس قال فجاء برهان سليمان فقال لها هاتى خاتمى فقالت كذبت لست سليمان قال نعرف سـليمان انه بلاء ابتلى به قال فانطلقت الشياطين فكتبت فى تلك الايام كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسى سليمان ثم اخرجوها وقرؤها على الناس وقالوا انما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب قال فبرئ الناس من سليمان وكفروه حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فانزل عليه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد

حدثنا جرير عن حصين بن عبدالرحمن عن عمران وهو ابن الحرث قال بينما نحن عند ابن عباس رضي الله عنهما اذجاء رجل فقال له من اين جئت قال من العراق قال من اين قال من الكوفة قال فما الخبر قال تركتهم يتحدثون ان عليا خارج اليهم ففزع ثم قال ماتقول لاابالك لوشعرنا ما نكحنا نساءه ولاقسمنا ميراثه اما اني ساحدثكم عن ذلك انه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء فيجيء احدهم بكلمة حق قد سمعها فاذا جرت منه وصدق كذب معها سبعين كذبة قال فتشربها قلوب الناس قال فاطلع الله عليها سليمان عليه السلام فدفنها تحت كرسيه فلما توفي سليمان عليه السلام قام شيطان الطريق فقال هل ادلكم على كنزه الممنع الذي لا كنز له مثله تحت الكرسي فاخرجوه فقال هذا سحر فتناسخها الامم حتى بقاياها مايتحدث به اهل العراق فانزل الله عزوجل واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا الآية وروى الحاكم في مستدركه عن ابي زكريا العنبري عن محمد بن عبدالسلام عن اسحق ابن ابراهيم عن جرير وقال الذي في قوله تعالى واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان اي على عهد سليمان قال كانت الشياطين تصعد الى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع فيستمعون من كلام الملائكة ممايكون في الارض من موت اوغيب اوأمر فيأتون الكهنة فيخبرونهم فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كماقالوا فلما امنتهم الكهنة كذبوا لهم وادخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب وفشا ذلك في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم يكن احد من الشياطين يستطيع ان يدنو من الكرسي الااحترق وقال لااسمع احدا يذكر ان الشياطين يعلمون الغيب الاضربت عنقه فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون امر سليمان وخلف من بعد ذلك خلف تمثل الشيطان في صورة انسان ثم اتى نفرا من بني اسرائيل فقال لهم هل ادلكم على كنزلا تاكلونه ابدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي فذهب معهم واراهم المكان وقام ناحية فقالوا له فادن فقال لاولكني ههنا في ايديكم فان لم تجدوه فاقتلوني فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما اخرجوها قال الشيطان ان سليمان انما كان يضبط الانس والشياطين والطير بهذا السحر ثم طار وذهب وفشا في الناس ان سليمان كان ساحرا واتخذت بنو

اسرائيل تلك الكتب فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها فذلك حين يقول الله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا وقال الربيع بن انس ان اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن امور من التوراة لايسألونه عن شئ من ذلك الا انزل الله سبحانه وتعالى ماسألوه عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا اعلم بما انزل الله الينا منا وانهم سألوه عن السحر وخاصموه به فانزل الله عزوجل واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر. وان الشياطين عمدوا الى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وماشاء الله من ذلك فدفنوه تحت كرسي مجلس سليمان وكان عليه السلام لايعلم الغيب فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخدعوا الناس وقالوا هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسد الناس عليه فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فرجعوا من عنده وقد خرجوا وقدا دحض الله حجتهم وقال سعيد بن جبير كان سليمان يتتبع مافي ايدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم فيدفنه تحت كرسي في بيت خزانته فلم تقدر الشياطين ان يصلوا اليه فدنت الى الانس فقالوا لهم اتدرون ماالعلم الذي كان سليمان يسحر به الشياطين والرياح وغير ذلك قالوا نعم قالوا فانه في بيت خزانة تحت كرسيه فاستشار به الانس واستخرجوه وعملوا به فقال اهل الحجاز كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر فأنزل الله تعالى على نبيه محمد براءة سليمان فقال (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا)

وقال محمد بن اسحاق بن يسار عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان ابن داود فكتبوا اصناف السحر من كان يحب ان يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا حتى اذا صنفوا اصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه هذا ما كتب اصف بن برخياء الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني اسرائيل حتى احدثوا ماحدثوا فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان الا لهذا فأفشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه فليس هو في احد اكثر منه في اليهود فلما ذكر رسول الله فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود الا تعجبون من محمد يزعم ان ابن داود كان نبيا والله ماكان الا ساحرا فأنزل الله في ذلك من قولهم

(واتبعوا ماتتلوا الشياطين) الآية وعن شهر بن حوشب قال لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان فكتبت من اراد ان يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس ليقل وكذا وكذا ومن اراد ان يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا فكتبته وجعلت عنوانه هذا ما كتب اصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ثم دفنته تحت كرسيه فلما مات سليمان قام ابليس خطيبا فقال ياايها الناس ان سليمان لم يكن نبيا انما كان ساحرا فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته فلما دلهم على المكان الذي دفن فيه قالوا والله لقد كان سليمان ساحرا هذا سحره بهذا تعبدنا وبهذا قهرنا فقال المؤمنون بل كان نبيا مؤمنا فلما بعث الله النبي محمدا وذكر داود وسليمان قالت اليهود انظروا الى محمد يخلط الحق بالباطل اذكروا سليمان مع الانبياء فانما كان ساحرا يركب الريح فانزل الله الآية .

وروى ابن جرير بسنده عن ابي مجاز قال اخذ سليمان من كل دابة عهدا فاذا اصيب رجل فسأل بذلك العهد خلى عنه فزاد الناس السجع والسحر فقالوا هذا يعمل به سليمان بن داود فانزل الله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر .

قال الامام احمد في مسنده اخبرنا يحيى بن بكير حدثنا زهير بن محمد عن عمر رضي الله عنهما انه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم عليه السلام لما اهبطه الله الى الارض قالت الملائكة اى رب اتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم مالا تعلمون قالوا ربنا نحن اطوع لك من بني آدم قال الله للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما الى الارض فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض ومثلت لهما الزهرة امرأة من احسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك فقالا والله لا نشرك بالله شيئاً ابدا فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا والله لانقتله ابدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذه الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما افاقا قالت المرأة والله ماتركتما شيئا ابيتماه على الاقد فعلتماه حين سكرتما فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا وهذا الحديث غريب ورجاله كلهم ثقات الاموسى بن جبير .

عن نافع قال سافرت مع ابن عمر فلما كان من آخر الليـل قال يانافع انظر طلعت الحمراء قلت لا مرتين او ثلاثا ثم قلت قد طلعت قال لامرحبا بهـا ولا اهلا قلت سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع قال ماقلت لك الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسـلم ان الملائكة قالت يارب كيف صبرك على بنى آدم فى الخطـايا والذنوب قال انى ابتليتهم وعافيتكم قالوا لوكنا مكانهم ماعصينـاك قال فاختـاروا ملكين منكم قال فلم يالوا جهدا ان يختاروا فاختاروا هاروت وماروت قال ابن كثير وهذان ايضـا غريبان جدا واقرب مايكون فى هذا انه من رواية عبـدالله بن عمر عن كعب الاحبار لا عن النبى صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الرزاق فى تفسيره .

عن جابر عن ابى الطفيل عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الزهرة فانها هى التى فتنت الملكين هـاروت وماروت قال ابن كثير وهذا لايصح وهو منكر جدا .

وفى رواية اخرى عن ابن عمر ان الله لمـا اهبطهما الى الارض التى عليهما الشهوة واهبطت لهما الزهرة فى احسـن صورة امرأة فتعرضت لهما فراوداها عن نفسها فقالت انى على دين لايصلح لاحد ان ياتينى الا من كان على مثله قالا وما دينك قالت المجوسية قالوا الشرك هذا شئ لانقربه فمكثت عنهما ماشـاء الله تعالى ثم تعرضت لهما فراوداها عن نفسها فقالت ماشـئتما غيران لى زوجا وانا اكره ان يطلع على هذا منى فافتضح فان اقررتمالى بدينى وشرطتما ان تصعدابى الى السماء فعلت فاقرا لها بدينهـا واتياها فيما يريان ثم صعدابها الى السماء فلما انتهيا بها الى السماء اختطفت منهما وقطعت اجنحتهما فوقعا خائفين نادمين يبكيان وفى الارض نبى يدعو بين الجمعتين فاذا كان يوم الجمعة اجيب فقـالا لواتينا فلانا فسالناه فطلب لنا التوبة فاتياه فقـال رحمكما الله كيف يطلب التوبة اهل الارض لاهل السماء قالا انا قد ابتلينا قال ائتيا فى يوم الجمعة فأتيـاه فقال ماجيبت فيكما بشئ ائتيـا فى الجمعة الثانية فاتياه فقـال اختارا فقد خيرتما ان اخترتمـا معافاة الدنيا وعذاب الاخرة وان احببتما فعذاب الدنيا وانتما يوم القيامة على حكم الله فقال احـدهما ان الدنيا لم يمض منهـا الا القليل وقال الآخر ويحك انى قد اطعتك فى الامر الاول فاطعنى الآن ان عذابا يفنى ليس كعذاب يبقى فقال اننا يوم القيامة على حكم الله فأخاف ان يعذبنا قال لا انى ارجوان علم الله انا قد اخترنا عذاب الدنيا

مخافة عذاب الآخرة الا يجمعهما علينا قال فاختارا عذاب الدنيا فجعلا فى بكرات من حديد فى قليب مملوءة من نار عاليهما سافلهما قال ابن كثير وهذه الرواية من رواية ابن عمر عن كعب كما تقدم بيانه .

عن ابن عباس ان اهل سماء الدنيا اشرفوا على اهل الارض فرأوهم يعملون بالمعاصى فقالوا يارب اهل الارض كانوا يعملون بالمعاصى فقال الله انتم معى وهم فى غيب عنى فقيل لهم اختاروا منكم ثلاثة فاختاروا منهم ثلاثة على ان يهبطوا الى الارض على ان يحكموا بين اهل الارض وجعل فيهم شهوة الآدميين فأمروا الا يشربوا خمرا ولا يقتلوا نفسا ولا يزنوا ولا يسجدوا لوثن فاستقال منهم واحد فأقيل فاهبط اثنان الى الارض فاتتهما امراة من احسن الناس يقال لها مناهية فهوياها جميعا ثم اتيا منزلها فاجتمعا عندها فاراداها فقالت لهما لاحتى تشربا خمرى وتقتلا ابن جارى وتسجدا لوثنى فقالا لانسجد ثم شربا من الخمر ثم قتلا ثم سجدا فاشرف اهل السماء عليهما وقالت لهما اخبرانى بالكلمة التى اذا قلتماها طرتما فاخبراها فطارت فمسخت جمرة وهى هذه الزهرة واما هما فأرسل اليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما مناطان بين السماء والارض قال ابن كثير وهذا السياق فيه زيادة كثيرة واغراب ونكارة .

عن السدى انه قال كان من امر هاروت وماروت انهما طعنا على اهل الارض فى احكامهم فقيل لهما انى اعطيت بنى آدم عشرا من الشهوات فبها يعصوننى قال هاروت وماروت ربنا لو اعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل فقال لهما انزلا فقد اعطيتكما تلك الشهوات العشر فاحكما بين الناس فنزلا ببابل ويناوند فكانا يحكمان حتى اذا امسيا عرجا فاذا اصبحا هبطا فلم يزالا كذلك حتى اتتهما امرأة تخاصم زوجها فاعجبهما حسنها واسمها بالعربية الزهرة وبالنبطية بيدخت وبالفارسية اناهيد فقال احدهما لصاحبه انها تعجبنى قال الآخر اردت ان اذكر لك فاستحييت منك فقال الآخر هلا اذكرها لنفسها قال نعم ولكن كيف لنا بعذاب الله قال الآخر انا لنرجو رحمة الله فلما جاءت تخاصم زوجها ذكرا اليها نفسه فقالت لاحتى تقضيا لى على زوجى فقضيا لها على زوجها ثم واعدتهما خربة من الخرب ياتيانها فيها فاتياها لذلك فلما اراد الذى يواقعها قالت ما انا بالذى افعل حتى تخبرانى باى كلام تصعدان الى السماء وباى كلام تنزلان منها فاخبراها فتكلمت فصعدت فانساها الله تعالى ما تنزل

به فثبتت مكانها وجعلها الله كوكبا (فكان عبدالله بن عمر كلما رآها لعنها وقال هذه التي فتنت هاروت وماروت) فلما كان الليل ارادا ان يصعدا فلم يطيقا فعرفا الهلكة فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فعلقا ببابل وجعلا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر .

قال ابن كثير (وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وابي العالية والزهري والربيع بن انس ومقاتل بن حيان وغيرهم وقصها خلق كثير من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها الى اخبار بني اسرائيل اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا اطناب فيها ونحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما اورده الله تعالى والله اعلم بحقيقة الحال)

وقد علمت مما اسلفناه في تفسير آية هاروت وماروت انه لا صحة لشيء من تلك الروايات وانما هي من الآثار المروية عن ابن عباس لا على انها من احاديث الرسول عليه السلام ولكن على انها اسرائيليات كانت متعارفة في ذلك الوقت بين الاحبار من اهل الكتاب فليحذرها المسلمون وليعرضوا عن اعتقاد شيء منها

—(الجهاد)—

من المعلوم ان الجهاد في الشريعة الاسلامية مشروع لحماية هذه الشريعة واعلاء شأن اهلها وكف الفتنة عنهم فاذا حاول اعداء الاسلام في اى بقعة من الارض ان يفتنوا المسلمين عن دينهم او يظهروا عليهم بالاثم والعدوان كان على المسلمين النفور لحماية ملتهم واخوانهم وان يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم. ولقد كان للمسلمين والاسلام قبل الحرب البلقانية الحاضرة بعض الشأن فلما قامت هذه الحروب وخذل العثمانيون فيها لأسباب ليس هذا موضع سردها شعر المسلمون بما سيغتالهم من الغوائل وما سيجتاحهم من الرزايا فقام طائفة من علمائهم يوقظون أولئك الغافلين من المسلمين ويستنفرونهم حتى لا تحق عليهم التهلكة التي نهانا القرآن الكريم عن الالقاء بايدينا الشحيحة اليها (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة)

ولكن لم يسلم الاسلام من ان يقوم بعض الخائنين له من المنتسبين اليه فيفتي في نجف الاشرف بان الجهاد لم يجب الا في عهد الرسالة المصطفوية حتى اقد صادفت فتواه مكانا من النفوس الاشحة على الخير من خاصة المسلمين والافئدة الضعيفة الايمان من عامتهم فصدفت كثيرا من هؤلاء وهؤلاء عن امداد اخوانهم المجاهدين بالمال والرجال . هنالك قام العلماء في كل مكان ينقضون مزاعم ذلك الخائن لدينه الكافر بقرآنه ويفندون ادلته واسانيده . فمن هذا ما ارسل الينا من الرسالة التي سنأتي بعد على نصها وهي جملة فتاوى اصدرها طائفة من جلة العلماء العظام نحا فيها كل منهم منحى ولكن كان مجمع آرائهم فيها وجوب الجهاد على المسلمين متى ناوأهم عدو وسيجد القراء من ادلتهم ما فيه مقنع لمن كان له قلب .

ومما يجمل ذكره هنا ان احد علماء الهند خاض حديثا في امر الجهاد ونشر رأيه في الصحف فلم يرض ذلك بالطبع الحاكم العام الانجليزي فأرسل هذا نشرة في الآفاق صبغها صبغة الفتاوى الاسلامية ليدافع بها القول بوجوب الجهاد على المسلمين كافة في اوقات الشدة والفتنة . ولكن الله قيض للاسلام من يدرأ عنه الباطل ولا يخشى في سبيل الله لومة لائم فقد تصدت جريدة الهلال الهندية لمناقشة الحاكم العام الحساب في ذلك وكان في جملة ما كتبه صاحب تلك الجريدة الغراء قوله « للحاكم العام الانجليزي المسيحي ان يمنع الناس من الجهاد بالفعل وان يصدر ماشاء من الاوامر السياسية والادارية ولكننا لا نبيح له ان يخوض في امر الدين وان يتصدى للفتيا فيه وان ينسب اليه ماليس منه فالجهاد واجب شرعا والمسلمون مكلفون باقامته والاستعداد له » ومن عرف كيف ينكل بالمسلمين في المعمورات الاوربية والجمهوريات الامريكية ورأى كيف تعاملهم انجلترا في بلاد الترنسفال وكندا واستراليا ادرك مصير المسلمين اذا ظلوا في غمراتهم هذه واستمروا يضنون باموالهم على دينهم وانفسهم وجامعتهم .

تعتبر انجلترا في معموراتها الافريقية مزاوجات جميع المسلمين سفاحا محضا فلا يتوارثون ولا يتخاصمون فيما بعضهم على بعض من الحقوق وكذلك لا يبيح لاحد منهم ان يملك عقارا او ارضا بحال ما .

وهكذا تفعل في كندا وهي معمورتها الافريقية اما جمهوريات الولايات المتحدة فانها قد اوشكت تقرر ان مجرد اعتقاد المسلمين في حل تعدد الزوجات كاف في منعهم من دخول اراضيها . وهذه المسألة معروضة اليوم على مجلس نوابها ولا تلبث ان تقررها .

واما فرنسا محضرة الشعوب ومقررة الحقوق الانسانية فان المسلم فى معموراتها الافريقية لا يستمتع بالحقوق الانسانية الطبيعية والحقوق المدنية العامة الا اذا خرج عن دينه وتجنس بالجنسية الفرنسية .

ذلك بعض ما هبط بالمسلمين اليوم من الجور والظلم الفادح وفهو مرآة لما سينالهم من امم الصليب اذا لم يفكروا فى جمع شتاتهم وتطهير قلوبهم وتوحيد كلمتهم .

على ان المسيحيين لم يكتموا اليوم ماكانوا يخشون الجهر به قبلا فقد نشرت جريدة البلاغ البيروتية فى عددها الصادر فى ١٠ جمادى الثانية من هذا العام نبذا ترجمتها عن كتابين فرنسيين احدهما للدكتور الشهير لوزون والثانى لمستشرق كبير يسمى ليوندال .

ومما نقله البلاغ عن صفحة ١١٢ من كتاب ليوندال (الاسلام والنصرانية) قوله من هم هؤلاء الذين يعتبرون الجامعة الاسلامية وهما وضلالا ؟. ان علينا ان نفكر بالعاقبة السيئة التى قد تحدث فيما اذا تفاهم المسلمون فى جميع انحاء العالم وعرفوا خصمهم الحقيقى .

ليس الخطر من الاتراك فهؤلاء بسطاء القلوب وهم متساهلون جداً حتى ان تساهلهم فى بعض الاحايين يحسب اهمالا !! ومن ثم فهم على وقوف تام من اسرار المدنية الغربية ، ويرغبون فى الاندماج فى سلكها . واقتباس عوائدنا وتقاليدنا بل الخطر الحقيقى الضار هو من المغاربة والعرب الذين يسكنون فى صحراء الجزيرة فهؤلاء الجموع المتعصبة التى تجمعها عصرية واحدة ودين واحد ولغة واحدة يحتقرون الاروبى ايما احتقار ويعتبرون انفسهم فوق كل البشر .

ان على فرنسا التى اصبحت حاكمة على ثلاثين مليونا من العرب ان تعرف كيف تخمد هذه الحاسة الحربية التى تزداد فى كل حين .

ثم تطرق الكاتب فذكر القائمين بالجامعة الاسلاميه فى مصر ثم قال .

اما الحركة فى مصر فمقتولة وتكاد تكون معدومة وكل ذلك يعود الى دأب كتشنر وسهره على مثل اخماد هذه العواطف .

وكتشنر هذا ليس بالرجل السهل ولقد اتيح لى ان اجتمع به مرة فى الهند فصرح لى بما يأتى .

لا خوف علينا من هذه الحركة التى يسمونها بالجامعة الاسلامية . سوف اخفت من كبرياء هذه الفئة وانى سأدخل يثرب بجوادى وافتح الجزيرة العربية

برءوس الحراب ، ثم اجعل مكة والمدينة متحفا للاوروبيين ومزار النبي متحفا يدعى اليه الاروبيون للتلذذ . ثم نقل البلاغ عن لوزون قوله .

ولا يجمل بنا ان نسخر من القائمين بهذه الحركة فان الازدراء في بعض الأحايين يكون سببا للانحدار والخذلان وهذه الرءوس التي تنمو في كل يوم يجب ان تكسر عاجلا ولكن الواسطة في ذلك هي ان نسعى بنشر تعاليمنا بين المحيط الاسلامي في المغرب وسائر افريقيا الشمالية فهل لاحد من المسلمين علمائهم او جهالهم مع هذه النذر التي توشك ان تحدق بالاسلام فتنقض اركانه وتهبط بالمسلمين فتمحو آثارهم ان يتردد في وجوب الدفاع والاستعداد لاتقاء جيوش البلاء الزاحفة عليهم ؟

لقد تبين الرشد من الغي وتجلت العبر للابصار فاللهم اشهد أننا بلغنا .

هذا وان من الغريب ان يعزو ذلك الكاتب الى اللورد كتشنر . . ؟ ما عزا فما سمعنا منه كلمة تكذيب او انكار فهل هذه الرواية صحيحة ؟

هذا أما نص الرسالة التي وعدنا آنفا بنشرها فهو هذا .

— المقدمه —

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على السراء والضراء والصلوة والسلام على صاحب الملة الغراء . والشريعة البيضاء . محمد الذي شرع في العالم البشري سنن الاخاء . وعقد فيها بينهم لواء الولاء . ومهد لهم سبيل التصافي وقمع بحكمته رواسم البغضاء . وعلى آله واصحابه الذين كانوا كالبنيان المرصوص تجاه الاعداء . رحماء فيما بينهم اشداء على الكفار اقوياء اعزاء . (اما بعد) ايها الناس فقد اضطربت فيكم العواصم وتزاحفت من كل فج عليكم العوالم واهتزت بكم الرواسم وامسيتم اليوم كأنكم وأيم الله هشيم نبت بأيدى من يخفقه او كأنكم لا عدمتم هدف مرمى لسهام ترشقه وقد اتفقت عليكم كلمة العدوان واجتمعت الامم عليكم اجتماع من لا يريد بكم الا ايقاعكم في الهوان وقد عبثت في منازلكم الكلاب العادية وافترستكم عنوة الذئاب الضارية وكادت تحتكم فيكم حكم المالك عليكم وما ذاك الا باتفاق منهم او ثقته علائق دينهم فقاموا عليكم قيام رجل واحد وصالوا عليكم صولة جاحد فهتكوا حرمات دينكم وانتهكوا اعراض المؤمنات اخواتكم ولا تزال الامم المختلفة بعد هذا اليوم متحدة عليكم للفتك بكم وسلب ملككم من ايديكم ونهب اموالكم وذراريكم ولا تبرح ثابتة على الانفاق عليكم

الى ان تسومكم الخسف وتوقع فيكم الحتف وانتم عنها فى معزل حتى يحيط بكم الاجل فالتمام القيام ايها الكماة الكرام والسراع السراع الى القراع والدفاع عن حوزة الدين والوطن وانهضوا بالعزائم متحدين على اعدائكم كأنكم بنيان مرصوص والفوا بين قلوبكم المواخاة الدينية التى ارتقى بها عاملكم يوم ظهوره على اعلام الامم ودانت له الملوك من مشارق الارض ومغاربها رغبة ورهبة ألستم عافاكم الله ابناء اولئك الاماجد الذين وطأوا بنعالهم تاج كسرى وامتازوا بفعالهم ومكارم اخلاقهم وتآلف قلوبهم واتحاد كلمتهم على كافة بنى آدم براً وبحراً أوليست آثارهم مشهودة ومفاخرهم معدودة وتطاولهم على العالم بالفضائل امر يقربه الاعداء ولا يجحده جاحد منهم وقد بان لكم ايها القوم ان آباءكم لم يصلوا الا بعزم الاتحاد ولم يمنعوا من اعدائهم الغنائم الاستفادى بعضهم بعضاً ولم يرقوا هذا المرقى السامى الا بالخلوص للمتهم والانقياد والطاعة لولاة امورهم ولم تكثر عدتهم الا بالمواساة فيما بينهم فترى الغنى منهم يشاطر امواله لاخيه المؤمن حتى يدخلته ويواسيه بنفسه دون ماله ومازالوا مجدين فى المواخاة والتصافى حتى رقوا بذلك على هام الثريا وهذه آثارهم وذلك شعارهم فبهذا معاشر البررة سادت على الناس اسلافكم الخيرة فما لكم عفى الله عنكم لاتوقظكم الصواعق ولا يخيفكم الرواعد البوارق فهبوا من هذه الرقدة متحدين متآلفين وكونوا كما قال الله (ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا) وشمروا عن ساعد الجد لاخذ الثار من اعدائكم وصيانة ملككم وهل يتيسر لكم ذلك الا بتفادى النفوس وبذل الطارف والتليد من المال النفيس تجاه هذه الحرب العوان ولا تعتقدوا انكم حاربتم امة البلقان بل انكم حاربتم كافة الامم المخالفة وماغنموا منكم ولا قدروا عليكم بهذه الوقعة الا بالاتحاد فى كلمتهم وجعلهم الحرب لهدف واحد وهو دينهم فهلا اعتبرتم ايها القوم من هذه الوقعة كيف مصير الاتفاق وكيف عاقبة الشقاق فدعونا من التخاذل فيما بينكم فلم يبق فى كنانتكم سهم ولا فى رجالكم مما خضتم فيه شهم واصبحتم اليوم معاشر المسلمين اذلاء ضعفاء واصبح امركم بينكم شتاتاً وشعبكم منقطعاً بتاتاً ألم يأن لكم وقد شاهدتم ماحل بكم ان تشدوا العضد بالساعد وتقوموا على اعدائكم قيام رجل واحد تحت لواء واحد وتطهروا قلوبكم من دنس الشحناء والشقاق فما بعد هذا اليوم ياقوم الا الاتفاق والوفاق وافدوا من المال اوفره فى سبيل ملتكم الغراء والشريعة البيضاء وها ان الله سبحانه وتعالى فرض عليكم فى مثل هذه الحرب بذل المال على كل مسلم ومسلمة اعانة لاخوانكم فى ملتكم وقد علمتم ان فرض الاعانة بالمال والسلاح والكراع فرض عين على المؤمنين فى اقطار الارض وقد اتفق علماء الاعلام والمشايخ الكبار من فرقتى السنة والشيعة على فرض الاعانة بالمال ومن لم يؤد الحق المفروض عليه من المال فكأنه ترك فريضة وقت من الصلوة المفروضة وهذه الفتاوى مستنبطة من كتب الفقه باحثة عن فريضة الاعانة كما سندرجها بحروفها من موارد ها وعساكم ان تلموا شعثكم وتردوا عليكم بعزائمكم ونهضتكم مافات من ملككم واموالكم فقد آن اوان الفزع والنهوض غير كسالى ولامتخاذلين فعليكم بعلم الهلال الذى خدم الملة الاسلامية وقام باعبائها منذ عصور قديمة وقد علمتموه وشاهدتموه فافدوه بالنفس والنفيس واجتهدوا ان تكشفوا غياهب الغمم وتستشرفوا فيه ان شاء الله على عواصم الامم مستعنين بالرحمن على اعدائكم فى الحل والمرتحل .

(نص السؤال)

ماقول العلماء الاسلامية مدالله ظلالهم في تكليف المسلمين في خصوص الحرب الحاضرة بين الدول الايتلافية وبين الدولة العلية الاسلامية وهجومهم على بلاد الاسلام وقتل المسلمين ونهب اموالهم وهتك اعراضهم وليس مقصدهم الا الاستيلاء على دار الخلافة التي هي اليوم عاصمة الاسلام وبالاستيلاء عليها يمحى الاسلام جداً فهل يجب على كل مسلم مكلف متمكن يسعى في دفع المهاجمين عن بلاد الاسلام بما تصل اليه يده من المال والبدن بقدر التمكن والوسع والطاقة ام لايجب وعلى فرض الوجوب لو تخلف احد عن السعي في ذلك مع التمكن بدناً ومالاً فما حكمه شرعاً وهل يرضى ناموس الشرع الازهر عمن تخلف عن اعانة المسلمين بدفع المهاجمين أو لايرضى . نسترحم من الطافكم بيان الحكم الشرعي وتكليف العباد في مثل هذا اليوم وشأنكم الفتوى . افتونا ماجورين والله الموفق للصواب والسلام عليكم .

نص ماجاب به العلماء الفضلاء القاطنون في مركز ولاية بغداد المحمية

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

ما كان من الامور المعلومة من الدين بالضرورة لدى الكافة من اهل الايمان ان الجهاد في سبيل الله واعلاء كلمته من فروض دين الاسلام ونص على فرضه القرآن العظيم الشان في كثير من الايات البينات وكذا السنة الثابتة في دواوين الاسلام عن سيد الانس والجان فلا حاجة الى الاتيان بذكرها لعلم العالم الاسلامي اجمع (فلذلك يلزم كل فرد ممن يدين بالدين الاسلامي ان يجتهد ويبادر الى اداء ما افترض عليه من الجهاد اما بالمال والبدن ان استطاع ذلك واما باحدهما ان لم يستطع الجمع بينهما لاسيما في هذه الايام التي اتفق الفسقة الضالة فيه على حرب المسلمين فهتكوا حرماتهم واستولوا على كثير من بلادهم واخربوا مافيها من ديارهم واهانوا مساجدهم واستباحوا اعراض نسائهم وسفكوا دماءهم ودماء اطفالهم وسبوا مابقي من ذراريهم وعيالهم وعملوا من الاعمال مالاتجيزه شريعة من الشرائع وتأباه في جميع الاحوال الانسانية والطباع فليشمر المسلمون عن ساعد الجد وليبادروا الى جهاد هؤلاء المعتدين فيردوهم عن بلاد المسلمين ويأخذوا بثار من ظلم من اخوانهم المؤمنين الذين اذيقوا من هؤلاء الضالين انواع العذاب الاليم المهين وليعينوهم باموالهم وليمدوهم لفرسانهم ورجالهم وليتخذوا الحمية والغيرة شعارا

والحماسة والشجاعة دثارا ولينصروا الله ينصرهم و يثبت اقدامهم وينيلهم غنيمة واجراً كبيراً ويفوزون فوزاً عظيماً في الدنيا والآخرة ان شاء الله .

الفقير اليه عز شأنه نقيب بغداد

عبد الرحمن

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الجهاد من شعار الاسلام وكتب للمقاتلين منهم في سبيله ليكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم بفضله الجنة دار السلام وعلى آله واصحابه الذين باعوا النفوس الى القدوس متقلدين الصوارم والحسام وامتثلوا الامر الالهي من قوله (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله) وبعد ما علموا ان الله اوجب الجهاد على المسلمين بالانفس والمال قال الله تعالى (يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال) فيجب على المسلمين ان يقوى بعضهم بعضاً لدفع الضرر الاعلى بالحق الادنى ويجب على المسلمين ان يغزوا بمالهم وانفسهم فان الجهاد قد يكون بالمال على اختلاف الاشخاص والاحوال و يجوز ان يجبر المسلمون على دفع الضرر بالاعانة لمساس الحاجة فبناء عليه يجب على كل مسلم ان يجتهد بالاعانة للمجاهدين بالانفس والاموال على قدر الامكان و له الاجر العظيم عند الملك المنان .

محمد سعيد بن محمد فيضي

مفتي بغداد عفي عنه

(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فاقول مستعيناً بحول الله ومتمسكا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجهاد فرض على كل حال غير انه قبل النفير فرض كفاية وبعد النفير فرض عين ومعنى النفير ان يخبر اهل مدينة ان العدو قد جاء يريد الجلاء عن اوطانكم وقتل ذراريكم و انفسكم فاذا اخبروا على هذا الوجه افترض على كل من قدر على الجهاد من اهل تلك البلدة ان يخرج للجهاد ولكن اذا عجز من كان يقرب من العدو عن المقاومة او تكاسلوا ولم يجاهدوا فانه يفترض على من يليهم فرض عين ثم وثم الى ان يفرض على جميع اهل الارض شرقاً وغرباً وانت تعلم انه اذا

ضعف ثغر من الثغور عن المقاومة مع العدو وخافوا عليهم فعلى من وراءهم من المسلمين ان ينفروا اليهم الاقرب فالاقرب و ان يمدوهم مالاً و رجالاً ليكون الجهاد قائما والدين دائما واذا لم يكن فى بيت المال مال فلا بأس بان يحكم الامام على على ارباب الاموال بقدر مايقوى به الذين يخرجون للجهاد ثم من كان قادراً على الجهاد بنفسه وماله فعليه ان يجاهد بنفسه وماله ومن عجز عن الخروج بنفسه ينبغى ان يبعث غيره عن نفسه بماله فيصير احدهم مجاهداً بنفسه والاخر بماله قال الله تعالى (وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) قال ابن عباس وجمهور المفسرين واليه ذهب البخارى ولم يذكر غيره هى ان لا ينفقوا فى الجهاد اموالهم فيستولى العدو عليهم فيهلكهم فكانه قيل ان كنت من رجال الدين فانفق مالك فى سبيل الله وان كنت من رجال الدنيا فانفق مالك فى دفع الهلاك والضرر عن نفسك واخرج ابو داود وابن ماجه من لم يغزو لم يجهز غازياً او يخلف غازيا فى اهله بخير اصابه الله تعالى بقارعة قبل يوم القيامة الله الله ايها المسلمون فى الدين فقد طمع الكفر فى تحويله والله الله فى الحريم فقد مد الى استرقاقه يد تأميله . اليوم ترعى للمساجد الذمم . اليوم يسلك سبيل العزم والشدة والشمم . اليوم يرجع الى الله المصرون . اليوم يفيق من الغفلة المغترون قبل ان يتفاقم لهول ويحق القول ويسد الباب ويحيق العذاب ويسترق الكفر الرقاب فالنساء يقين بانفسهن اولادهن الصغار والطيور ترفرف لتحمى الاوكار اذا احست العبث بافراخها الصغار قال عز من قائل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية فيالها من صفقة خطيرة . فى بيع هذه الانفس الحقيرة . المشترى فيها رب العالمين . و لواسطة فيها سيد المرسلين . والثمن جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين . فلمثل هذا فليعمل العاملون و فى ذلك فليتنافس المتنافسون والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

كتبه بقلمه الفقير الى مولاه العلى
المدرس الأول فى حضرة الامام
الاعظم محمد سعيد بن عبدالقادر
النقشبندى عفى عنهما

(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

من المعلوم والمسلم لدى العلوم ان الدولة العلية العثمانية شيد الله تعالى اركان عزها بالتأييدات الصمدانية هى الرافعة اليوم لراية الاسلام والناصرة لكلمة الله العليا على من عاداها من الانام وهى القائمة بحراسة الدعوة وحياطة الحوزه واعلاء الامر واعزاز النصر وتذليل الخطب وتسهيل لمصب واضراع خدود الحاسدين وفل جموع الحاشدين وغض طرف المتطاولين وقبض كف المتطاولين وقد شاع وذاع وملأ الاسماع ما كان من عدوان المحاربين فى هذه الايام و ما قصدوه من المقاصد المستوجبة لمحق المسلمين والاسلام ولا شك ان مدافعتهم من هم الواجبات وجهادهم من اعظم الطاعات غير ان ذلك موقوف على اعداد المدد والعدد والمقاومة بالمال والجسد بل ان ذلك فرض عين على كل من آمن بالله ووحده وقد صدعت بذلك نصوص الكتاب الكريم ونطقت به احاديث الرسول عليه افضل الصلوة واكمل التسليم فمن الآيات الكريمة قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار و مساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ومنها قوله عز ذكره ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به الى قوله وبشر المؤمنين . وقال تعالى انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون

وفى الحديث الصحيح من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا وفى الحديث ايضا والذى نفسى بيده لوددت انى اقتل فى سبيل الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل ثم احيا وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله اى الناس افضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله .

فهلم عبادالله الى هذا الربح العظيم و بادروا الى الجهـاد باموالكم و انفسكم لتحظوا بالنعيم المقيم و صلى الله على سـيد الاولين والاخرين و على آله وصحبه اجمعين .

محمود شكرى الالوسى

عفى عنه

(٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمدالله العلام والصلاة والسلام على صفوة الانام و آله وصحبه النجباء الكرام فمن العجائب انه وصلنا الى زمان يسئل عماهو من ضروريات الدين بحيث لايخفى على اجهل الناس كيف وقدتواطأت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية على تأكد امرالجهاد بالانفس والاموال فقال تعالى فى كثير من الآيات (وجاهدوا باموالهم وانفسهم) ولوراجعت سـورة البراءة لعلمت حقية ماذكره الائمة من ان افضل الاعمال بعد الايمان بالله ورسوله الجهادبالانفس والاموالوهذا لاينكره احد من اهل الاسـلام فان الادلة النقلية والعقلية شـاهدة بفرضية الجهاد وقد بين جميع المذاهب فى علم الاصول ان مقـدمة الواجب التى لايتم الواجب الا بها واجبة ومعـلوم ان امر الجهـاد متعذر بدون الامـوال فظهر انه لاشئ افرض والزم من صرف الاموال للجهاد فى هذا الوقت الذى اجتمعت الكفرة على قطع عرق الاسـلام بل تجب المبارزة بكل ما امكن سـواء بالانفس و بالاموال بل وبالاشـارة والكتابة و غيرها (فليحذرالذين يخالفون عن امره انتصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم)

كتبه الحقير الفقير الى الله

عبدالرحمن القرداغى

النقشبندى

(٦)

(صورة ما اجاب به العلماء والمجتهدون المجاورون فى النجف الاشرف متع الله المسلمين ببقائهم عن السؤال المتقدم الذكر)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عزوجل (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خيرلكم ان كنتم تعلمون) مما قامت عليه ضرورة الدين و تكررت فيه آيات

الكتاب المبين وتحقق عن سيد الانبياء والمرسلين عليه افضل الصلوات وجوب جهاد الكفار والمشركين اذا هجموا على بلاد المسلمين كما اتفق فى هذا العصر المشئوم المهين بل صاروا يداً واحدةً على المؤمنين و مناصبة هذا الدين المتين واستئصال شأفة الموحدين و استباحوا العباد والبلاد والطارف والتلاد وتعرضوا الحريم والاولاد والساجد والمساجد والعابد والمعابد وافتضوا البنات الابكار ولم يرحموا الشيوخ الكبار والرضع الصغار واوقعوا الاسلام فى اعظم الاخطار فمن الذى يرضى بهذه الدنية ولاتأخذه الحمية الدينية وهو يرى البهائم تناضل عن ذمارها والطير تموت حمية دون اوكارها بلا كتاب انزل عليها ولارسول ارسل اليها و بالجمع فيجب على كل مسلم مكلف ان يسعى فى دفع هذه الشرور بنفسه وماله حسب الميسور والا فليعلم انه ممن تله الشيطان للجبين وخسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين .

حرره الآثم الجانى فتح الله المشتهر بشيخ
الشريعة الاصفهانى

(٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد لله والصلوة على نبيه الذى ارتضاه قال الله عز من قائل (قاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقال الله عز وجل (واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوالله و عدوكم) الى غير ذلك من الآيات الآمرة بجهاد الكافرين الحاثة على حفظ بيضة الدين ولكن يااسفاه والله من اتفاق هؤلاء على باطلهم وتفرقنا على حقنا ويا عجباه من اجتماعهم على تفريق شملنا مع ماهم فيه من اختلاف الكلمة فيما بينهم واعجب من ذلك تخاذلنا عن دفعهم واستئصال شأفتهم مع اتفاقنا فيما بيننا وقد عقد الله ورسوله بيننا الاخوة الدينية والجامعة الاسلامية وامرنا بالتعاون والتواصل و نهانا عن التقاطع والتخاذل كما قال الله عز من قائل (اشداء على الكفار رحماء بينهم) وهيهات ان ننال عز الدنيا وشرف الآخرة ونخرج عن عهدة التكليف مالم نكن يداً واحدةً على اعداء الله ورسوله حتى ندفعهم عن ظلمهم الفاحش وتعديهم المتجاوز فانهم اعداء الدين وخصماء النبى الامين فيجب على كافة المسلمين الاتحاد والاجتهاد باموالهم وانفسهم واقلامهم وافكارهم والدفاع عن هجوم الكافرين الذى ليس فيه شرط من شروط

المجاهدين بالضرورة من الدين كيف لا وقد بلغ السيل الزبى لاتفاق الكافرين في عصرنا هذا على محو كلمة التوحيد وشريعة سيد المرسلين وهتك اعراض المسلمين وسبي نسائهم وذراريهم ولكن (يأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون) وبالجملة فالتساهل بالتقاعد عن هذا التكليف ليس الا الخسران المبين بل هو موجب للخروج عن ربقة الاسلام والمسلمين (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وليجزيكم احسن جزاء المحسنين والسلام على اخواننا المؤمنين و رحمة الله و بركاته .

الاحقر الجاني السيد على التبريزي

(٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

يجب على عامة المسلمين الاتحاد والتعاون في حفظ حوزة الاسلام والدفاع عن حملات الكفرة اللئام بخوض اللجج و بذل الاموال والمهج وكمال الجد والاجتهاد في ذلك المنهج بقدر الوسع والطاقة واليسر والاستطاعة وهذا الحكم من ضروريات الدين واهم فرائض الشرع المبين ولا اظن احداً يتخلف وهو يشاهد هجوم الكفرة على بلاد الاسلام وقتل رجال المسلمين و نهب اموالهم و هتك اعراضهم وسبي نسائهم وذراريهم وتخريب معابدهم اللهم انصر الاسلام والمسلمين بحق محمد و آله الطاهرين صلواتك عليهم اجمعين .

من الاحقر الجاني مصطفى الحسيني
الكاشاني الغروي

(٩)

بسم الله تعالى

اما بعد فوجوب الجهاد دفاعاً بالنفس والمال من ضروريات المسلمين والبدهي من شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وسلم . اتفق على وجوبه كل منتحل لهذا الدين على اختلاف طوائف المسلمين من اهل السنة والشيعة والخوارج وفق الله المسلمين للعمل بما اوجب انه ارحم الراحمين .

حرره محمد سعيد حبوبي

(١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انت ناصر ديننا ومؤيده وحامي حوزته ومسدده منك نطلب النصر وبمنك ندرك الظفر ولك الحمد على ان هديتنا الى دينك القويم وصراطك المستقيم صل على من ختم به رسلك واوضحت به للمسلمين سبلك ارشدنا الى ما فيه صلاح الدنيا والدين وجاءنا من عندك بالحق المبين وانطقنا بكلمة التوحيد ولولاه لكنا من الضالين وبين لنا الفرائض والسنن ودلنا على ما انجانا به من البلاء والمحن امرنا بالجهاد وبالصبر على الجلاد وحثنا على دفاع المشركين وحفظ بيضة هذا الدين حتى جاهد صلى الله عليه بنفسه كثيرا ولم يتركه وان قل عونا ونصيرا فكان لكثرة ما بين فيه قولاً وفعلاً ان عرف ذلك من الشرع الشريف والدين الحنيف المنيف حتى صار ذلك من الضروريات البدهية وتنبه له كل ذي فكرة وروية بل علم به حتى الاطفال والمخدرات اللواتي في الحجال فلم يبق احد عن هذا الحكم غافل ولا فيه احد من المسلمين جاهل ولا يحتاجون فيه الى الاستفتاء من عالم بل علم الكل ان القاعد عن الجهاد مع التمكن منه آثم .

الاقل

علي رفيش

وهذه صورة ما اجاب به العلماء والمجتهدون المجاورون في كربلا الاعلى متع الله المسلمين ببقائهم عن السؤال المتقدم الذكر :

(١١)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الامر كما رقمه العلماء الاعلام مد ظلهم .

حرره ابن السيد صدر الدين العاملي

اسماعيل الموسوي

بسم الله وله الحمد

الامر في ذلك اظهر واشهر واعظم واكبر من ان يستعلم من العلماء ومن اهل التقوى وجوب الدفاع عن الاسلام وبلادهم مالاً وبدناً عندما تهاجمهم الكفار

الظلام لاشك فيه لأحد وهومن اصول الاسلام والمتخلف عنه خارج عن ربقة الامتثال لاوامر سيدالانام عليه آلاف التحية والسلام والمؤيد والموفق .

من اقل الجانى محمد حسين الحائرى
المازندرانى

(١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قضت ضرورت هذه الشريعة المطهرة بالجهاد والدفاع عن تهاجم الكفرة وقاية لحرمة الاسلام و حومته و حماية شوكته وحوزته عن استيلاء المشركين وتسلط اعداءالدين وبذل النفوس والاموال لاعلاء كلمة الحق ومحق الضلال ومن الفرض المهم قيام المسلمين بحفظ ناموسهم و صيانة ثغورهم واعراضهم ونفوسهم عن سيطرة الكفرة والاتحاد والاحتشاد على الاقدام وتثبيت الاقدام فى قبالهم والتعاضد والتعاقد على قتالهم الا وانه من التكاليف البدهية المسلمة والفروض التى تفقت عليها الكلمة لايحتاج الى تبيان ولم يختلف فيه اثنان كيف وقد ذكر فى الكتاب الحث عليه وبيان فضله واكدالنبى صلى الله عليه وسلم فى سنته السديدة قوله وفعله وقدوعدالله النصر لاوليائه ولاخلف لوعده ويمدهم بجند من الملائكة والغلبة لجنده .

من الحاجى محمد باقر الطباطبائى

(١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اشكال ولا ريب ان وجوب الجهاد على عموم المكلفين من المسلمين بالنفس والمال امر غنى عن البيان واضح البرهان والكتاب العزيز والسنة النبوية بذلك ناطقان .

حرره الاقل محمد الحسينى القزوينى
الساكن فى الحلة

شذور علمية

الكوليرا

(تابع ما نشر في العدد الثالث من المجلد الرابع صفحه ٣١٦)

ان رسول الله اتخذ طبيبا وبين ان لكل داء دواء وان الطبيب اعرف بذلك من غيره وان الله جعل لكل شئ سببا فاتبع سببا وان الطبيب لايحارب القدر، ولا يعمل غير تطبيق النواميس الطبيعية واظهار الخواص النافعه التي اودعها الله في هذا العالم من حيوان وجماد ونبات فما لهم لايعقلون ؟ ؟ ! ان طرق الوقايه العامه من اختصاص الطبيب الذي يجب عليه العناية الشديدة بتشخيص الحالة الاولى اذ على ذلك قد يتوقف قمع المرض اوانتشاره وما عليه ان اشتبه في مصاب الا ان يجرده ويضع المراقبة عليه وعلى عائلته حتى تظهر نتيجه الفحص البيكتريولوجي الذي يمكن اتمامه في ظرف ٢٤ ساعه اما واجبات الطبيب فتنحصر اولا في اقامة المحاجر والسعي في قمع المرض في منبعه ومراقبة النظافة العامه واتلاف المأكولات الاتيه من اماكن موبوءة وتطهير مايمكن تطهيره من الاثاث واتلاف مالا يمكن وعليه مراقبة موارد المـاء فان كانت من الابار اغلق ماكان منها قريبا من المراحيض وتطهير البـاقيه بوضع كميات من حامض الخليك او بر منجانات البوتاسيوم وان يضع عليها طلمبات حبشيه ويصقل ماحول البئر بالاسفلت او الجبس حتى يمنع وصول الماء اليه من فوهته واذا كان من النهر وضع مرسى من الخشب مرفوعا على عمد واصل الى منتصف مجرى النهر وحافظ لميـاهه من ان يتسرب اليها شيئ من محتويات المراحيض او يغسـل به بعض الاثواب الملوثة وعليه ان يطهر القرب وجميع اواني حمل المـاء بوضع مقدار من ماء القطران مرتين في الاسبوع وان يأمر الاهالي بغلي القلل والازيار اوتجفيفها مرة بوضعها في الشمس بضعة ايام اوغسلها بماء مضاف اليه مقدار غير قليل من الحوامض وعليه ان يطهر عربات الركوب بالمدن مرة بالاسبوع واكثر من مرة عند اشتداد وطأة

المرض وعليه ان يلاحظ المواد الغذائيه ويمنع غسل الخضروات فى مياه المستنقعات وغيرها من المياه الراكضة وان يعتنى بمعرفة اسباب وفاة كل ميت وان يتشدد فى مراقبة حفلات الجنازة وان يهدم او يطهر جميع اثاث بيت المصاب حسب الا — حوال الفنيه وان يقيد اسم كل وارد من الخارج وعنوانه ويراقبه لمدة خمسة ايام . وبالجمله يجب عليه ان يطابق قواعـد قانون الصحه بكل دقة وحذق حسب مقتضيات الظروف والا حوال

المعالجة

تنحصر وسائط المعالجة فى اربع نقط (١) تنقية القناة الهاضمة من الجراثيم (٢) تعويض ما فقده الدم من السوائل (٣) المحافظه على قوة القلب من الوهن (٤) جعل افراز بول المصاب مستمرا ولكن للوصول الى هذه الغايات بقى الاطباء يخبطون فى دياجير الجهل بطارق معـالجه هذا الداء متخذين من مركبات الا فيون والكونياك وغيرهما سلاحا لمقاومة اعراض وسير المرض على غير جدوى فكثرت الوفيات وبقى الرعب المستولى على الاطباء والعامه منذا حقاب من شر هذا الداء مسـتمرا الى بضع سنوات حيث خطى الطب الحديث فى كبح جماح هذا الوباء خطوات واسعه قللت من اهمية خطره وجعلت وفياته كلا شئ اذا ماقورنت بها فى الزمن الماضى وانى لاضرب صفحا عن انتقاد معالجه الغير وادلى لرفقائى الاطبـاء بانجح طريقه لمعالجه هذا الداء الوبيل وانى على ثقه تامه انهم سيرون منها نتائج باهره مدهشه اذا ماجربوها وسيعتقدون بعد اليوم ان الكوليرا دخلت فى دائره بقية الا مراض التى تغلب عليها الطب الحديث وكسر شرتها وراد جماحها بعد جهاد طويل فاقول وبالله التوفيق

(١) خير المطهرات للقناة الهضميه حسب مشاهداتى الشخصية وتجارب اخوانى برهنت على ان صبغة اليود خير من السالول وبر منجانات البوتاسـيوم والبيتا نفتول ويكفى ان نعلم ان مجرد طلاء الجلد الجاف بصبغة اليود يبيد جميع الجراثيم العالقه به او بطبقاته وان تذكر ان خمسة نقط من الصبغة المذ كوره تكفى لتعقيم لترامن الماء فى خمس دقائق وان عشرين نقطه منها تكفى لتعقيم لترا من ماء عصير اللحم فى ربع ساعه وصيانته من التعفن لزمن طويل وان تذ كر للقارئ ان صبغه اليود تعطى من الداخل لايقاف بعض انواع القئ وانها تمتص فتدخل .

فى الدوره وتخلل الخلايا داخلة فى تراكيبهـا فتقضى على بعض الجراثيم وتساعد الجسم على التخلص من بعض السموم وبما انها تترصب فى الماء رايت ان اضيفها الى مقدار مساوى لها من حمض اللبينك لانه من خير مطهرات القناه الهضميه ولانه من نفس بنيه الجسم ولانه لايطرا عليه اى تفـاعل بالمعدة وذلك فانا اعطى للمريض يوميا من جرام الى جرامين من كل من صبغة اليود وحمض اللبنيك مضافا الى نصف قدح من الماء ولكى اجعل مفعوله ادوم اقسم هـذا المقدار على ثلاث دفعـات فى اليوم وهذلك نرى القناه الهضميه وقد تنقت فى اسرع حين وقوام المواد البرازيه وقد رجع تدريجيا الى حالته الطبعيه بدون ان يعقبه نكس كما يحدث عقب استعمال القوا بض الاخرى ولقد وجدت ان هذا العلاج وحده كاف لقمع هذا الوباء فى حالاته الخفيفه خصوصا عندما استعمل مغالى الزعتر (بنسبه خمسه فى المائه او محلول التيمول فى الماء بنسبه واحد بالالف) واعطى المصاب منه ملعقه كبيره كل ساعه والزعتر من احسن المطهرات المنعشات فى هذا الباب وقد اسـتعمل الاطباء الفرنسيون خلاصة (التيمول) فى الحمى التيفوديه بنجاح عظيم ولنلاحظ انه فضـلا عن كونه مطهر او منبها فانه يبطل الالام المعديه التى قد تزعج المصـاب احيانا ان مجرد اعطاء المصاب هذه العقاقير حسب التعاليم المذكوره يوقف سـير المرض اذا كان فى مبدأ امره ويخففه تدريجيا حتى يتغلب عليه فى اقرب حين خصوصا وان القئ قد يقف تماما بعد تناول العلاج للدفعه الثانيه انلم اقل للدفعه الاولى

(٢) ان خير طريقة لتعويض مافقده الجسم من السـوائل هى حقن المصل الصناعى تحت الجلد فى اول لدور الثانى او فى الاورده مباشره والخطه الاخيرة انجع واسرع

ان هذه الطريقه ليست حديثه بل هى بنت نصف قرن واول من استعملها احد اطبا المانيا وقد حصل منها على بعض النتائج الحسنه وقد اهملت بعدئذ الى ان عاد فجدد اسـتعمالها الما جور ليونارد ريجور وغيره بالهند واوربا ولقد ادت نتيجه حقنها بالاورده الى نتائج حسنه جدا اذ سرعان ماترى المريض وقد امتلأ نبضه وجرى ماء الحياه بوجهه وانتعشت قواه وان النتائج الحسـنه التى حصل عليها كل من جربها تبين جيل مفعولها بيد انه من الواجب ان نلاحظ انه قد يعقب حقن المريض بالمصـل بعض التشنجات ولمنع ذلك يلزم تصفيه المحلول

بواسطه ورق النشاف قبل حقنه وهنالك طريقه اخرى لحقن هذا المصل فى الدور الاول فى المستقيم بيد انها غير مؤثره كالثانيه او الثالثه ومن الواجب جعل حراره المصل اربعين سانتغراد وليحقن المصاب بحوالى اربع لترات فى المستقيم اولترين تحت الجلد اولتر فى الوريد والطريقه الاخيره هى المعول عليها ويمكن اعادة ذلك مرتين فى اليوم مع تجنب اعطاء المريض حقن ادرينالين او خلافه من العقاقير المقبضه للاوعيه الدمويه كما يشير بذلك اكثر الاطباء لاسباب سنشرحها لك فيما بعد

(٣) و (٤) — قبل ان نتكلم عن هاتين النقطتين يلزمنا ان نذكر بعض ملاحظات عموميه موجزه (١) ان اغلب وفيات الكوليرا نتيجه التسمم الناجم عن احتباس البول (٢) ان ضعف القلب ليس نتيجه مرض عضوى بل سببه التغير الحادث بالدم من جراء فقد انه اكثر مائه نعم قد يصيب خلايا العضلات بعض تغير بيدانه ليس مما يستوجب الخوف والعناية (٣) ان احتباس البول ليس نتيجه ضعف الدوره وانخفاض ضغط الدم بل يكون نتيجة انقباض الشريان الكلوى من اثر حقن المصل الصناعى او الادرينالين اوخلاصه البيثيوتارى وتأثير بعض افراز الجراثيم بالدوره (٤) تنقسم العقاقير المقوية للقلب المدره للبول الى ثلاثة اقسام (أ) قسم يقبض الاوعيه مع تقوية القلب واهمها الديجيتا لاوالا سترخنين والاستروفانتوس والكافيين والاسبارتين والادرينالين وخلاصه البيثيوتارى (ب) قسم يؤثر على انابيب الكليه مباشره واهمها الكافيين والتربنتين والعرعر وزرائح الهندو بصل العنصل وبعض الزيوت الطياره (ج) قسم يوسع الاوعيه مع تقوية القلب واهمه الترينيترين (بنترو جليسرين) ومركبات الازوت الدرجه الاولى (بنتريت) والدرجه الثانيه (نيترات) والخلات الى درجه معينه

وبناء على ماتقدم يلزمنا استعمال القسم الثالث لتقوية القلب والمحافظة على دوام ادرار البول بتوسيع الشريان الكلوى اكثر من غيره وللوصول الى هذه الغاية دلتنا تجارب اخواننا الهنود ان مجرد حقن المصاب تحت الجلد بمقدار من المائه من النيترو جليسرين واعطائه مقدار قمحتين من نيتريت الصودا كل ساعتين عن طريق الفم يقوى القلب ويصونه من الوهن ويجعل البول حتى الذى احتبس يعود للادرار وعلى هذا تتوقف نجاة المصاب تماما

مما تقدم يرى القارئ ان هذه الطريقه تنجي المصاب لدرجه تجعل الوفيات

كلا شيء بدون استعانه بمركبات الافيون او الكحول ومع هذا فليس هنالك من بأس من اعطاء حقنه من المورفين فى الحفره الشرصفيه اذا ارتأى الطبيب ضروره لذلك بيد انه يجب عليه ان لايعتبره من دقائق او اركان طريقة العلاج

انى بعد ان بينت كل مايجب ذكره بشأن الكوليرا اقول للقارىء سائل الغرب لماذا يحتم الحجر على الحجاج بينما روسيا لاتضربه على القادمين بسكة حديد سيبريا وانكلترا وغيرها لاتضربها على الواردين من الهند وغيرها من البلاد الموبواة دائما ؛ الجواب يفهمه اللبيب ومع هذا فانى ارى فى الحجر على الحجاج خيرا لسكان الحجاز بيد انى اكره ارهاق الحجاج وسوء معامله بعض الاطباء لهم بدل ان يشرحون لهم الامور ويقنعونهم بالحسنى وحبذا لو ان مصلحه الصحه تجرى التجارب العمليه بالمدارس الدينيه وامام الوعاظ حتى اذا ما اقتنعو اتماما امكنهم شرح الحقائق العلميه بطريق سهل مقبول لدى العامه وفى ذلك مافيه من خير للبلاد والعباد وصيانة للصحه العموميه وتوفيرا للاموال الطائله هذا ما عن لى تسطيره واسأل الزملاء العناية باستعمال طريقه العلاج المذكوره وفقنا الله لصالح الاعمال امين

الطبيب المصرى

احمد فؤاد

(دروس وعبر)

— (نجوى التاريخ للبطل رؤف بك) —

ان الحرب الاخيرة كانت سلسلة من الرزايا والمحن ومجموعة آلام ومخازواحن بسبب خيانة البعض وسوء تدبير قصار النظر عباد الاهواء والمصالح الشخصيه بيد ان اعمال بطل اسطولنا فى هذا العصر (رؤف بك) غدت كنور البدر المتألق فى غسق ليل الهموم اوكنبراس الأمل فى حياتنا المقبلة لواحسنا الادارة

ورتقنا فتوقنا وعملنا على مباراة الاحياء العاملين نعم ان معجزات شجاعته واقدامه مما رفع رؤس العثمانيين واقرعيون المسلمين وخفف الامنا نوعاما اذجعلته رمزا على الشجاعة والاقدام والهمة و صدق الايمان و احلته فى سويداء قلوب افراد الامة باسرها و لقد اخذت اذكر اعماله الجليلة واعرضها على مرآة فكرى فمازلت أكبره واسعى فى تقديره حقه واجهد مخيلتى فى تصور سماه البهية وتخطره على صفحات البخار حتى رأيتنى وقدنومت تنويما مغناطيسيا عن بعد بواسطة روحه الكبيرة وهنالك اخذت سجف المادة تمزق من امام باصرتى فرأيت ذلك البطل بصورته الوقور الجذابة وسماحته المعروفة وقدرته المشهورة قدوقف موقف الطالب بين يدى شيخ محسن قد اسدل شعوره الطويلة على كتفيه تظهر عليه سيما كبار الفلاسفة وتتالق من عينيه البراقتين اشعة الذكاء والمعرفة الواسعة و قد قبض على كتاب كاديبليه كرالزمان وتعاقب الحوادث. رأيت هذا المنظر المهيب فطارت روحى شعاعا وتحولت بكليتها اليه وقد تأثرت من الوقار ورفعة هذا الموقف الجليل وماهى الاهنيهة حتى سمعت هذا الفيلسوف الكبير ينادى بصوت رخم تخلله الرحمة والأسف قائلا .

أيارؤف ! السلام عليك من محب شفيق وناصح صديق اسمع لما سأقصه عليك من آيات العبر لتبلغه الى قومك عسى ان تكون لكم منها ذكرى تنفع المؤمنين

أيا رؤف ! انى لأعلم مقدار ابتئاسك وحزن المخلصين امثالك لما آل اليه حال دولتكم واشاركم فى آلامكم التى جنيتموها بايديكم واود ان لايتسرب اليأس من رحمة الله الى قلوبكم كما يفعل كثير من قصار النظر فاعرنى سمعك ولاتك قنوطا . اعلم ياولدى انى اناالتاريخ اعدل حكم بين الامم واصدق راوية لحقائق الحوادث واسبابها وخير استاذلمن يريدالاسترشاد بسجل تجاربى والاستفادة من دروسى العملية فخذ نصائحى كماهى الى قومك وان كانت مرة المذاق اوشديدة لاتطاق فالحقيقة اولى بالقول والمخلص من أبان اسباب الضعف وتلمس طرق علاجها لامن تعمد الاخفاء واجتهد فى اختلاق طرق الدفاع عن الاثام العمرانيه والخطيئات الاجتماعيه ولوازهق فى سبيل بلوغه هذه الغاية الحق وشط عن جادة الصواب

لقدنقبت فى مذكراتى واعتصرت فكرى على انى اجدلممثلك فى الحرب الحاضرة من مثيل فى حوادث الحروب البحريه فلم اجدلك من ندولا لدارعتك (حميديه) من مثيل فلأنت إكبر فى نظرى من نلسون وطوجو بلا مبالغة او تحيز . نعم ان

البعض كان يهزأ من اسطولكم الذى اكله الصدا فى عهد الاستبداد حتى ان الكاتب المعروف سليمان نظيف كان من عدادهم ؟ والبعض الاخر رماك بالتهور والطيش بل والجنون . وبعض من تلقبونهم بدهاة السياسة تنصلوا رسميا منك ومن نتائج اعمالك ولكنك بعد ان خلعت قلب اليونان بحربك فى شيراخر اولئك الناقمون والناقدون الى اذقانهم اعترافا بخطاهم وخطلهم ومازلت سيفا مساطا على رأس دولة اليونان وجنود حليفاتها الاوغاد تحطم سفنها ونسافاتها و تغرق مدافعها ونقالاتها وتطعم حيتان البحار من لحوم رجالها حتى صرت فى هذه الحرب نبر اسا يضيء آمال المستقبل لاخوانك المنكوبين وشرفا رفع رأس العثمانيين رغم ماتزل بهم من انكسار او هون . ولولا انى أخشى اللوم لقلت انك عندى ارفع قدرا وا كبر قلبا من ابطالكم طورغود رئيس وبارباروس خيرالدين وشكرى باشا واسعد باشا بل والمرحوم حسن رضا باشا ايضا . فليفتخر بك كل عثمانى ولتعش لدولتك نعم الامير الذى يعيد عظمة العمارات الاسلامية البحريه و يجدد لامتك سطوتها فى عهد سليمان القانونى

رؤف — انى يامولاى لااستحق ماتفضلت به على من وافر الثناء والمدح لانى لم اقم الا بالواجب ولا شكر على القيام بذلك .وكل ماوفقت اليه ماهو الا بفضل سر القرآن اولاً ولما رسخ فى عقيدة كل مسلم من وجوب بيع النفس والنفيس دفاعا عن بيضة الاسلام بجنات عرضها السموات والارض ثانيا ،ولان الذود عن الاوطان والاهل والخلان من طبائع العثمانى الصادق ثالثا . وانى لاعتقد ان من بين رجال اسطولنا وجنود جيوشنا وصفوف ابطالنا المجاهدين بطرابلس من قد يفوقنى غيرة وجهادا وان كل ماعملته ماهو الا حلقة من سلسلة المعجزات الحربية التى كان العالم يتوقعها من جيوشنا و عمارتنا البحرية وما كنا لاشك فاعليه لولا غلطات بعض افراد عن جهل اوقصد اوخيانة تلك الغلطات التى اودت باملا كنا الاوربية وشرفنا العسكرى ومجد دولتنا التاريخى فلا موضع لتمجيد هذه الاعمال بل احرى بنا العمل على ان نجعلها مثالا نحتذيه فى جميع اعمالنا مادمنا مسلمين عثمانيين ولنسع فى استرجاع مافقدناه من شرف و ملك وقوه . وماذلك علينا بعزيز اذا اتحدنا وتمسكنا باصول ديننا مستعينين بالله فى كل اعمالنا فتفضل على بنصائحك الغاليه .

الدهر — ان سلاطين آل عثمان مع علو قدرهم وشجاعتهم النادرة لم يكونوا اهل سياسة قط ولاعرفوا من طرق استعمار الامم شيئا و سائر وزرائهم مثلهم

فى ذلك فالجميع ينطبق عليهم الحديث (المؤمن فى كريم) فلكم ضيعوا من فرض ولكم ارتكبوا من خطأ حتى من تجلونهم جدا كسليمان ومحمد الفاتح وغيرهم . ولا ابالغ ان خيرهم هو سليم الذى كان سيغير مجرى حوادث الزمن ويجعلنى اسطر ضد هذا كراتى الخاسرة لولا قصر عقول حاشيته و خطل سياسة رجاله .

ان خطيئتكم العمرانية والسياسة التى اثرت فى مستقبل دولتكم و اوصلتكم الى هذه الحالة المؤلة هى (١) صورة الفتح (٢) السياسة لعسكريه (٣) خيانة بعض الرجال (٤) الامتيازات الاجنبيه (٥) الامتيازات الدينيه (٦) تعصب علمائكم الجهلاء (٧) تذبذب غايتكم السياسيه (٨) عنايتكم بمظاهر الابهة دون الحقائق الجوهريه (٩) اهمالكم السياسة والعلوم (١٠) استبداد اكثر سلاطينكم واساءتهم استعمال سلطانهم (١١) جهل الامراء ورجالهم (١٢) فساد الاخلاق والانانية لدرجة تفضيل المنفعة الخاصة على المنافع العامه . تلك اثنتا عشرة خطيئه كل واحدة منها تكفى للقضاء على اكبر الدول واقواها فلا عجب اذا تجرعتم اليوم اكواب الغصص و ذقتم ذل الانكسار وعاره لدرجة جعلت اكثركم واغلب العالم ييأس من حياتكم ويقطع كل رجاء فى استرجاعكم سالف ذكركم المجيد الرهيب فهل عرفت الحقيقة ياولدى ؟

رؤف — يا مسجل حوادث الدهر يا اباالعبر ارجو منك ان تفصح لى عما اضمرت وارجو ان لاتكون قاسيا على ابطال ملوكنا العظام لانانجلهم لدرجة فوق الوصف وعسى ان اراك تتكرم بوصف الدواء لما ستبينه من اعراض امراضنا الاجتماعية والسياسيه اصلح الله شئوننا .

التاريخ — اول اغلاطكم التى اثرت فى مستقبل دولتكم منهاجكم فى فتوحاتكم الحربيه فانتم قوم شرقيون من قبائل منغوليات دينكم الاسلام فلو ان سلاطينكم عفاالله عنهم اتبعوا خطة سليم اكبر ساستكم فصرفوا قواهم فى تكوين مملكة اسيوية افريقية اسلاميه بحته وخصوصا لوفطنوا الى اهمية الرابطة الجنسيه واللغويه اللتين تحلان بعد الرابطة الدينية مباشرة لعمدوا الى جمع شتات العناصر التركية الموجودة فى غرب اسيا ووسطها ولفتحوا بلادالتاتار والتركستان وبخارا وتركستان الصينية وغيرها من البلاد المأهولة بما لايقل عن ستين مليونا من عنصر واحد تجمعكم بهم روابط الدين واللغة والجنسية . وبالطبع هذا الفتح ما كان ليكلفهم عظيم عناء ولاجزءا من الف من مجهوداتهم فى غزو بلاد اوربا التى لاتشاكلكم فى دين

اوجنس اولغة وهاهى الوحدة الالمانيه والجامعة السلافيه واللاتينيه اقرب امثلة دالةعلى ماكانت تبلغه دولتكم من القوة والبأس الشديد والسلطان الدائم والعظمة التى لاتجارى خصوصا وانكم يومئذ لم يكن لكم من ندمنافس اوقرن معاند بل كان الدهر من بعض خولكم فاضعتم فرصة كانت ستمكنكم من حكم العالم باسره لانه مما لاشك فيه انكم كان فى استطاعتكم ضبط اسيا و افريقيا وتسليطهما على اوربا ولكنكم لم تفقهوا الحقائق الاجتماعية والسياسة العمرانيه . فلا عجب ان وصلتم الى هذه الدرجة .

تصور يا رؤف لوان مؤسسى دولتكم كانوا جميعهم من طراز رب السيف والقلم صاحب السياسة وبطل المعامع السلطان سليم فوحدوا لغة العالم الاسلامى وجمعوا شتات عناصره وكونوا ملكهم على دعائم دينية ثابتة فهل كانت دولة الرومان اورمسيس الثانى او غيرهما تباريكم فى العظمة والسؤدد وهل كانت امة تحت قبة السماء تحدثها نفسها بالتطلع الى شئ من املاككم ؟ اوهل كان العالم الاسلامى باسره ينزل به مالاقاه من قتل وتذليل وتشريد واستعباد سواء فى الاندلس ومقدونيا وبقية ممالككم التى تناهبتها اوربا اليوم ؟ اوكان يحدث بين مسلمى بلادكم من ترك وعرب ماهو حادث بينهم من سؤ التفاهم بسبب دسائس الاجانب وتخالف السنتهم ؟ لقد تنبه بعض اخوانك اخيرا الى مافات على ملوكهم قديما من تقدير عظمة قوة الرابطة التركيه فقاموا ينادون بها ولكنهم بعد كل ماوراه من عبر الزمان دخلوا السبيل الاقوم الذى رسمه لهم سليم الذى كان يرمى لتوحيد قوى العالم الاسلامى باسره باتخاذه اللغة العربية لساناً رسميا لحكومته لانها لغة القران الذى يحفظه المسلمون فى كل مملكة ومصر مهما اختلف السنتهم وجنسياتهم فلعل اخوانك يجمعون بين الغايتين ولا يفرقون بين جماعات الترك والاعراب بل يعملون على تعميم اللغتين فى كل مكان حتى يسهل التفاهم و تقرب ساعة توحيد لغة العالم الاسلامى باجمعه .

رؤف — لقد اصبت ياسيدى فى رايك هذا ويا ليت رجالنا فقهوا هذه الحقيقة فى وقتها حتى كنا اسسنا مملكة اوسع من الصين واشد بأسا من اقوى الدول ولكننى اصرح لاستاذى بشئ تجب ملاحظته لانه مما يخفف عنهم الوزر أن اولئك السلاطين ما كانوا يعنون الفتح لذاته ولكنهم آلوا على انفسهم تعميم سلطة الاسلام فى جميع البقاع ورأوا حصر النصرانية فى الغرب وان اخوانهم فى اواسط

اسيا و غربها مسلمون فانصرفوا عن هؤلا الى قهر الاولين ولكنهم كما اوضحت الى الان لم يفطنوا الى الحقيقة الغالية وهى ان الامور بنتائجها لا بمجرد الهم بها فلو انهم انصرفوا الى هؤلاء اولووحدوا قواهم ثم انحدروا على الاوربيين لدحروهم تماما وقضوا على المسيحية واعلوا راية الاسلام ابدا ولكنهم استعجلوا فما اتموا مشروعهم بل مكنوا العدو من حشد قواه لمنازلتهم مع انهم لو سلكوا هذه الخطة لرايت اوربا امامهم مثلها ازاء غارة البربر فى القرون الوسطى خاضعة باسرها منسلخة عن طبيعتها الاولى مدفوعة فى تيار سيل اولئك الفاتحين . فلو كنا يشفع لهم حسن قصدهم نوعا مالديك عما ارتكبوه من الخطا . فتفضل بدوام جواهر نصائحك الغالية .

التاريخ — ثانى اغلاطكم العمرانية اتباعكم سياسة عسكرية بحتة فى فتوحاتكم ومعنى ذلك انكم لم تتبعوا خطة من سبقكم خصوصا اخوانكم العرب فلم تبتلعوا العناصر الجديدة ولا صبغتموهم بجنسياتكم و لغتكم وعوائدكم ولا ادخلتموهم فى دينكم كما انكم لم تستولوا على موارد ثروتها تصرفونها كيف شئتم لدرجة تجعلهم دائما فى حاجة شديدة الى وجودكم بين ظهرانيهم بل بقيتم كبثرة منفصلة عن الجسد بمجرد عملية جراحية صغيرة تزول بدون ان تتعرض حياة المريض لشئ . فمثلا ها انتم لبثتم نيفا وقرنا من الزمان ببلاد المجر ومايقرب من ذلك ببولونيا وثلاث اضعاف ذلك فى موريا والبلغار و رومانيا والصرب فماذا تركتم لكم من الاثار الدائمه ! اللهم انكم لم تتركوا شيئا ما . فلا لغة ولا آثار ولا خلافهما . ولولا بضعة جوامع حولت الى كنائس ماعلم السائح بتلك البلاد انكم كنتم حكامها . هاهى ادرنه ومقدونيا كانت بيدكم منذ نيف وخمسة قرون وها انتم خرجتم منها اليوم بدون ان يشعر اهلها بنقص اعتور مرافق حياتهم قط . انكم عند ماتحلون بمملكة تبقون نظاماتها الاهلية كما هى فرؤساء القبائل والاغاوات والبكوات لهم اليوم فى السلطة اضعاف ما كان لهم قبل حكمكم وجماعات قطاع الطرق (الكلفتس) ببلاد اليونان قديما ابقيتموهم تحت ذقونكم حتى كانوا العامل القوى فى استقلال اليونان . أليس من الخجل ان تبقوا بالروملى مثل الزمن الذى مضى منذ اكتشاف امريكا وتتركونه بكرا بمناجمه وثروته الطبيعية بينما امريكا اليوم آية الرقى القابضة على ازمة العلوم والتجارة والاختراع مع بعدها اذذاك عن العالم بينما انتم فى قلب العالم ومجمع المدنيات الشرقية والغربية ؟ أليس من المحزن ان

نفس عاصمة ملككم هي بلدة رومية اكثر منهـا تركية فاغلب اهلهـا و جميع متاجرها بيد الاروام حتى قال بطريرك الاروام يوا كيم ان فتح الاستانه لم يكن حقيقة فيعهد محمد الثـانى بل فى زمن محمد الخامس ؟ الا انكم ان لم تتركوا هذه السياسة العقيمة وتستثمروا املاكم وتحسنوا ادارتها وتستولوا على موارد خيراتها وتستخدموها كما يجب فلتصبحن لاقدرالله عبيدالغيركم اغرابا فى بلادكم . ويكفى ان نذكر انكم بعاصمة ملككم مفتقرون فى وسائل الحياة الاولية للاروام و غيرهم بينما هم ليسوا بحاجة اليكم قط حتى لو خرجت هذه العاصمة من ايديكم ما اثر ذلك قط فى سكانها فجاروا الاحياء وباروا العالمين ونافسوا اصحاب الهمم ولديكم من كنوز الاناضول والعراق وسوريا وبلاد العرب واليمن مايجعلكم اغنى من انجلترا او المانيا بل ونفس الولايات المتحدة الامريكيه. الفوا الشركات وانشروا المصانع والمدارس وعمموا نقابات التعـاون الزراعى والتجارى . استخرجوا كنوز بلادكم المعدنيه و بثوا السكك الحديدية فى انحاء المملكة تبلغوا هذه الغـاية فى اقرب حين والله معين العاملين .

اما ثالث اغلاطكم ياولدى العزيز فهى بكل اسف خيانة بعض رجالكم خيانات تتفاوت فى الاهمية ولكنها سببت لكم كل بلية فمثلا القائد الفاسق بلطجي محمد الذى اطلق لاجل مقاصد سـافلة ومآرب ذاتية سراح بطرس الاكبر وزوجته كاترين وجيشهما بعد حصره على شاطئ نهر البروت يوم ٢١ تموز سنه ١٧٧١ افرأيت لو انه قتلهمـا وقضى على جيشهما هل كانت الروسـيا تبتلع جميع مانهبته منكم بعدئذ من الاملاك او هل كانت تبلغ هذا الحد من العظمة و تنزلكم الى هذه الدركة من الضعف والمهانة ؟ اللهم انه لوفعل ذلك لتغيرت صحف مذكراتى هذه ولجرت حوادث الدهر فى مجرى اخر وقس عليه غيره من عالى باشـا فى يانينا الذى لولاه ماتمكنت اليونان بهمة جمعية الهيتريا من الاستقلال وانت اعلم بماكان يجرى فى الحروب الاخرى من الخيانات التى الحقت بكم افدح الخسائر وليس امر الخيانة بمقصور على بعض القواد بل ان من الساسة والموظفين من هو اشد وزرا . أليس من المزرى بشرفكم ان تسمع بما لاتسمع به فى اى مملكة اخرى من ان هذا الوزير انجليزى وذاك نمساوى وذلك المانى وذافرنسي مع انهم رجال حكومة عثمانيه ؟ أليس من الخيانة ان ترى الموظف يرهق الرعية ناهبا سالبا مرتشيا بشكل يضيق ذرع الناس عن احتماله ويمكن الاعداء من بلادكم فما هى عدة سنين حتى تنسـلخ عنكم البلاد

بعد ثورات واهراق دماء بسبب خيانة بعض مأمورين لم يخشوا الله ولا عرفوا حقوق الوطن. كانت هذه الخيانات ولاتزال سببا للقضاء عليكم ولئن لم تتداركوها بالدقة العظيمة فى انتخاب العمال المخلصين الاذكياء والرجال الحاذقين الامناء. وتولية كل انسان مايحسنه من الاعمال فالله اعلم بعاقبتكم . أما ان عملتم ذلك ولم تأخذكم فى ا ص ص من الخونة رهبة جاههم اولومة لائم فبشر قومك بنعيم المآل وصلاح الاحوال .

اما رابع وخامس اغلاطكم فهمـا افظع الجميع وادومهـا شرا وضررا ولولا حرمتى لبعض ملوككم الغـابرين (عفاالله عن جرائمهم الدائمة) لاسهبت فى هاتين النقطتين لتعلموا ان اكبر من تمجدونهم هم اولى النـاس بمقتكم لان من يمنح الامتيازات الاجنبية تفضلا وكرما منه لرعايا فرنسا لاشدوزرا من ذلك الذى يمنح صـديقته انجلترا مدينة عدن لتتخذها محطة فحم فجعلتها اسـاسـا لالتهام ولاية واسـعة حولها ولربما تقضى بها على اليمن (لاقدرالله) انلم تنتبهوا وتحزموا ارايكم وتحسنوا ادارتكم . ان الامتيازات الاجنبية والدينية ماهى الا اغلال حديدية ضيقة وضعت فى اعناقكم وايديكم وقضت على حرية تصرفكم واوجدت لكم حكومات داخل حكومتكم فكل بطريركية انما هى دولة مسـتقلة وكل سفارة هى مسيطر مهيمن عليكم . واهى من كل ذلك منحكم الدول الاجنبية حق حمـاية رعاياكم المسيحيه . وفى رأيى ان معاهدة سـنه ١٧١٧ المانحة النمسـا حق حماية كاتوليك البانيا و معاهدة بلغراد سـنه ١٧٤٠ المانحة فرنسا حق حماية كاتوليك سـوريا ومعاهدة كوجك كاينارجى سنه ١٧٧٤ المانحة لروسيا حق حماية الاورتودوكس اضرعليكم من تنازلكم يومئذ عن بعض ولاياتكم مختارين عن انتقبلوا هذه الحماية التى اودت بمعظم املاككم فى اوربا واسيا . ولاتزال تهدد البقية الباقية التى ان لم تتداركوها باليقظه والسهر وحسن الادارة و اجتثاث اسـباب القلق وقطع دابر الدسائس الاجنبية فلاتلوموا الا انفسـكم عندضياعها لاقدرالله . ياولدى العزيز رؤف ان مبدأ سقوط دولتكم كان بمنح الفاتح واسع الامتيازات للكنيسة الرومية وزاد ذلك حركات سليمان القانونى . فمثل دولتكم فى ذلك مثل دولة بنى عباس بدأ سقوطها فى عهد المأمون وان اعتبره البعض ارقى ادوار مجدها وهاهى فرصة الصلح الحاضر ومخـابراته ووعود الدول تمكنكم من التشبث الشـديد فى الغـاء الامتيـازات الاجنبية فان افلحتم فى ذلك واصلحتم الادارة والقضاء تخلص جسم

دولتكم من اكبر الادواء القتـاله . و هاهى الحرب الحاضرة قدذهبت بالبانيـا فاراحتكم من حماية النمسا للكاثوليك بها وذهبت مقدونيا بمن فيها من اروام وبلغار وصرب وافلاخ من المذاهب الاورتودكسـيه فاقطعت حماية روسـيا ومداخلتها ولم يبق لديكم الا لبنان والارمن وكاتوليك سوريا و خير طريقة تكفل لكم منع كل تداخل هو اصلاح هاتيك الجهات وتيقظ المسلمين لدسـائس الاجانب وتحذير رعاياكم ممن يتزلفون اليهم باسم الدين وبالذهب الرنان فما ها الاحيلتان للقضاء عليهم نهائيا . وهاهم ارمن روسيا يحسدون اخوانهم العثمانيين على ماهم فيه من راحة ورخاء وجماعات الجزويت بفرنسا و ايطاليا يغبطون اخوانهم بسوريا فلو احسنتم التدبير قطعتم شجرة المفاسد وحفظتم املاككم . اما امتيازات الكنيسة فقد قلت نوعا يا بخروج اغلب رعاياكم النصارى من ايديكم ولكنها زادت حقيقة بتساهلكم الشـائن . ان هذه الامتيازات منحت لتأمين الحرية الدينيه ولم تعط حق التداخل فى امور الحكومة لرجال الكنيسـة وائن حدث ذلك بسبب غفلة حكامكم فمن الواجب عليكم اصـلاحا لشئونكم ونصرة للحق ان لا تمادوا فى هذا التيـار الذى يذكرنى بعراك البـابا و ملوك الغرب فى القرون الوسـطى بل يلزم ان لا تكونوا نصـارى اكثر من حماة النصرانية . فهاهى انجلترا وفرنسـا وامريكا وايطاليـا والمانيا لاتجد للكنيسة بها حق التداخل لدى الحكومة فى الامور الادارية قط فاما انكم ترجعون الامتيـازات الى حقيقتها بتصلبكم و ردع المعتدين بالحسنى واما ان تعرضوا هذه المسأله ايضـا فى مؤتمر الصلح و انا الكفيل انكم تفوزون ببغيتكم لان مجرد رفض الدول لهذا المطلب الحق يبيح لمشـايخ المسلمين نفس هذه الحقوق فى الحكومات المسيحيه وهو مالا ترضى به اوربا التى طردت القساوسـة من ربوعها فهب بقومك علهم لايضيعون هذه الفرصـه ويعملون على التخلص من السلاسل التى اسبغها عليكم محمد الفاتح عفاالله عنه و لتذكروا ان اسـتقلال اليونان وكريد ومقدونيا والبانيا كان العامل المهم فيهم رجال الكهنوت بسبب تمكينكم اياهم من التداخل فى الشئون الادارية فالعاقل من اعتبر بغيره فكيف بكم لاتعتبرون بما حدث لانفسكم ؟

رؤف — انك يامولاى لتعلم ان هذه الامتيازات مامنحت على هذه الصورة ولامنحت عن ضعف اورهبة بل تفضلا وعن حسن قصد ورحمة وجودا وكرما فاساء الاعداء استعمالها ووجدوا من تهاون رجالنا مامكنهم من تخريب بلادنا

وكان مثلنا واياهم كالعبد تطمعه الكراع فيطمع في الذراع ومن الواجب علينا انتهاز الفرص لارجاع القوانين والمعاهدات الى نصوصها لاالى حكم العادة والعرف اما تداخل رجال الكنيسة في ادارة بلادنا فنحن نمقته من كل قلوبنا ولكننا نخشى ان اغلظنا لهم القول يلقون بانفسهم في احضان اعدائنا المرتقبين امثال هذه الفرص للتداخل في شئوننا ولهذا ترانا عاملين على اصلاح شئوننا و تقوية دولتنا وهنالك تزول هذه المداخلات السمجة و مما يسرك سماعه طبعا بشرى جعل اللغة العربية رسمية في البلاد العربيه بهمة الحكومة الرشيدة واعوانها المخاصين وستراها عما قليل تهتم بتعليمها في الاناضول وغيرها فتصبح العربية والتركية شائعتين في جميع انحاء المملكة و لقد بدت بين جماعة من عقلاء المفكرين حركة التزاوج بين العناصر الاسلامية بشكل واسع حتى يتم الاخاء وتتوثق العرى وامشاج النسب والقرابة واني لارجو ان ارى هذه الحركة تشمل جميع الممالك الاسلامية عما قريب اما الامتيازات الاجنبيه فحكومتنا ساعية ابان مخابرات الصلح في الغائها وانك لتعلم ان قوة هذه الامتيازات بعد اعلان الدستور امست اضعف مما كانت عليه في العهد الحميدى البائد ولان زادتها خلافاتنا الداخلية قوة فلاشك ان في اتحادنا وتقوية بلادنا مايقضى عليها القضاء الاخير كما حدث في اليابان وماذلك على همة العاملين المخلصين ببعيد .

التاريخ — انا لم انكر على اولئك الملوك العظام حسن قصدهم لانى على أتم ثقة من شريف نواياهم واستعدادهم لتضحية النفس والنفيس في سبيل رفعة الدين والوطن و بالطبع هم مجازون حسب نواياهم اذلكل امرئ مانوى ولكنني اردت ان ابين لك اولا ان مجرد حسن النية لايكفي في سياسة الممالك بل لابد من بعد النظر والتفكر في العواقب واتقاء شر من تحسن اليهم فلملكم بعد اليوم تتعظون بماجرى لكم والا اصدرت عليكم حكمي القاسي وضرسكم الدهر بنابه و اذاقكم الاعداء الخسف .

اما سادس اغلاطكم التي سببت لكم هذه الرزايا فهى جمود و جهل طبقة من تسمونهم بالعلماء او الفقهاء . لك لتعلم مقدار تألمي من الجهر بالحقائق الاتية ولكنك تعلم انى حكم عدل لاحابي و لا اكتم الحقائق و ان تك كالصاب مذاقا انت تعلم ان الاسلام دين الفطرة . دين العالم . دين الحكمة الجامع للنواميس الطبيعيه والاجتماعية والدينية فماله تقهقر واصبح عرضة لمهاجمة المبشرين ولا من

يذود عن حياضه . اليس من المؤلم ان تسمع دائرة المعارف الانجليزية المتحاملة على هذا الدين الحنيف تقول ان خير مايوجد فى الاسلام عبادة الاله واحد منزه عن التمثيل بعيد عن الوثنيات قريب يجيب دعاء من يقصده بدون وساطة طائفة دينية وان حرية الافكار فى هذا الدين لاحدلها ولكننا اصبحنا نرى القرابين تذبح لدى الروضة النبوية ومقابر الاولياء . ورجال الطرائق لهم مالرجال الكنائس وحرية الافكار لا اثرلها ؟ أليس من المخزى ان ترى علماءكم غافلين عن واجباتهم محذرين الناس من دراسة الطبيعه والكيمياء وماهما الا نواميس الله الثابتة التى يدير هذا الكون بمقتضاها مع ان القرآن طالما عرض بالكفار لعدم تأملهم فى خلق السموات والارض ومابهما من ايات ؟ كفروا من يدرس الفلسفة والرياضيات وماهما الا بنات الافكار ونتائج مجهودات قرائح بنى الانسان ؟ عادونى ونفروا من علم الهيئة ووصف الارض مع ان الانسان لايدرك الحقائق ولا يفقه غلطات الاولين وحسناتهم ولايعرف سيرالكواكب وتأثيرها فى المناخ الابها ؟ ألم يكن جابر وابن رشد والغزالى وابن البيطار والمأمون و غيرهم من خيار المسلمين أليس من اسالمين دينكم القائل اطلبوا العلم ولو بالصين . طلب العلم فرض على كل مسلم و مسلمة . اطلبوا العلم من المهد الى اللحد ؟ هل معنى طلب العلم حشو التفاسير بخرافات الاسرائيليات والجمود على اساطير كذبتها الحقائق العلمية الثابتة ؟ وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل رأيناهم يحكمون فى عقائد الناس فيكفرون كل من لايقول برأيهم . وفى احكامهم ان كل من لم يصدع لرأى الحنفى ومالك والشافعى وابن حنبل ليس بمسلم نابذين جماعات الشيعة والوهابية والزيدية والخوامس وغيرهم من خيرة الموحدين مع ان الدين يقول انما المسلم من امن بالله وكتبه ورسوله واليوم الاخر وسلم الناس من يده ولسانه ؟

ان هذا الجمود كان من اهم دواعى تفرقة كلمة المسلمين وسقوط دولهم ولان لم ترتدعوا عن هذه الترهات الكاذبة وعصبيات الجاهلية الاولى ليذهب الله بريحكم ثم ليخلفكم بمن هم اولى منكم بعبادته وفيض نعمته . لماذا نرى اولئك العلماء قد اهملوا واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعليم العامة احكام دينهم؟ هل باعوا الاخرة بالدنياء ؟ ان جرم ابى الهدى ومن كان على شاكلته ممن ساعدوا الملوك على استبدادهم حبا فى نوالهم لافظع من جرائم الكافرين . نعم انا اعلم

ان من علمائكم طائفة صالحة قامت وتود القيام دائما بوظائفها ولكن كثرة المدعين العلم زوراً وحملاتهم ضدهم عاقت ولاتزال تعرقل مساعيهم ولكن من الواجب عليهم المثابرة على جهادهم الشريف فالحق غلاب وان طال الزمن والله ناصرهم ولو بعد حين . أليس من الغريب ان ترى رجال الكنيسة فى الغرب وخصوصا بانجلترا فى طليعة قادة الاصلاح والافكار وعماد الحركات الاجتماعية والعلمية بينما بعض علمائكم يؤلفون مايسمونه بالحزب المحمدى الذى لعب الدور المعروف فى فتنة ١٣ ابريل (٣١ مارت) أليس من المحزن ان نسمع من العلماء من يجرأ على التنوه بان الدستور ضد الدين مع ان شريعتنا الغراء هى الشريعة السماوية الوحيدة التى نصت على الشورى وجعل حكومتنا دستورية حرة ؟ أليس من المخزى ان نرى فى العلماء من يحللون ماحرم الله وينصحون للمسلمين بالرضاء بالحكم الاجنبي بينما نرى قساقسه اليونان والبلغار وخصوصا القس باسيوس ١٧٣٨ صاحب الكتابات التى أحيت الامال الوطنية فى بلغاريا ومبشرى كل امةهم قادة جيوشها وناظمو عقد حركاتها السياسية والاستعمارية والوطنية؟ ألم ترقوة الحزب الاكلركى بالمانيا والنمسا وجماعات أساقفة كنتربرى بانجلترا والسينود بالروسيا وبطريركية الفنار فى حركة استقلال اليونان لدرجة جعلت السلطان محمود يصلب البطريرك يومئذ خصوصا بعد قتل اليونانيين لشيخ الاسلام أثناء ذهابه لاداء فريضة الحج ؟

ألا انه لولا بارقة امل تلوح لى الان بعد مؤتمر العلماء بازمير والحركات العصرية الجارية الان بمصر والهند وفارس وروسيا والمدرسة الكلية بالمدينة المنوره لقنطت من يقظة علمائكم ولكننى اصبحت اترقب فرصة جهادهم حيث ترى جماعات المسلمين يقتفون اثارهم وهنالك ترى الاسلام وقد جدد رقيه المجيد واعاد سيطرته على العالم فعلا ومعنى

يتبع

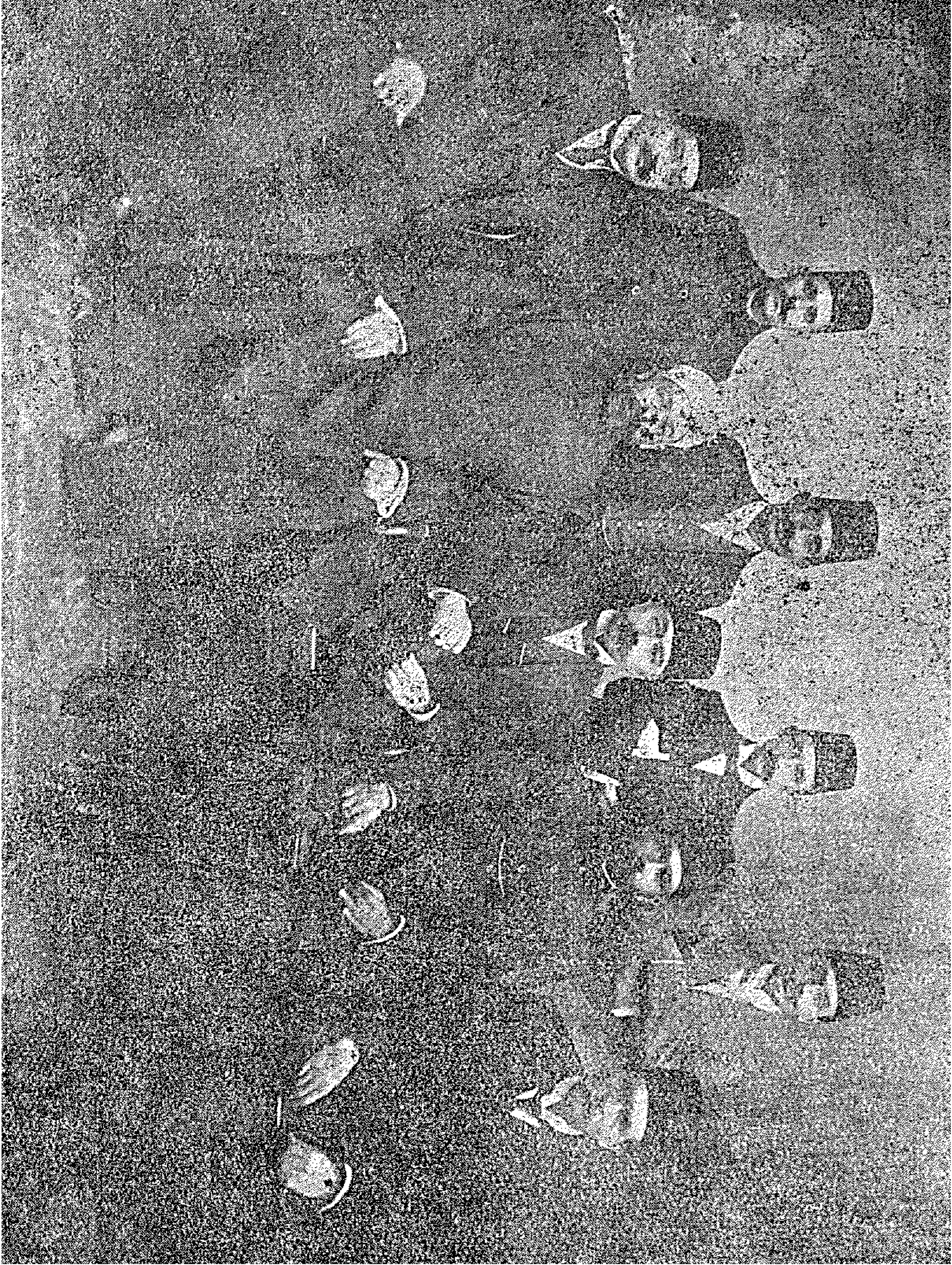
دوقتور

احمد فؤاد المصرى

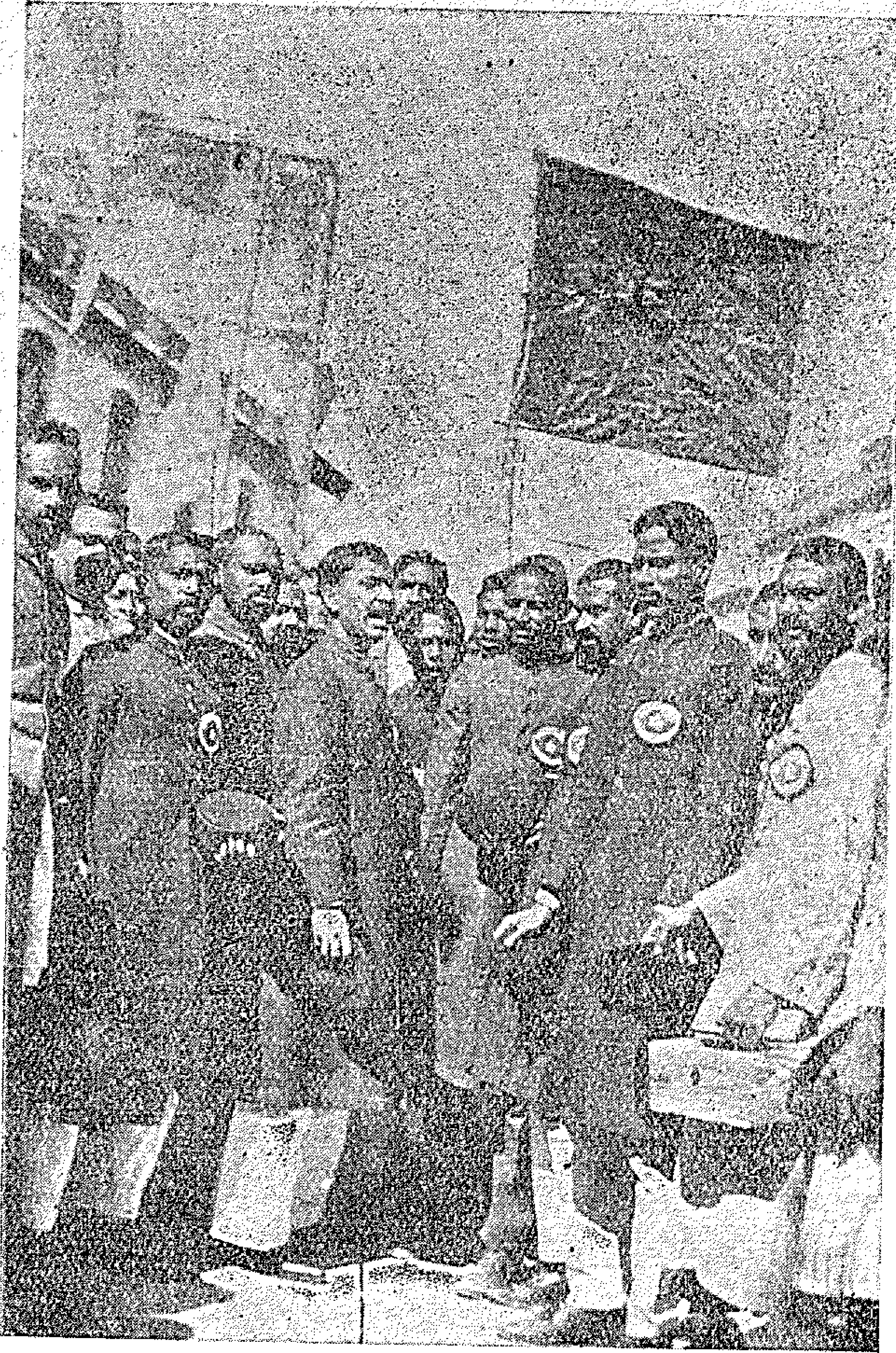
العالم الاسلامي

بعثات الهلال الاحمر الهنديه

وجمعية اسكان مهاجري الروملي



بسيم باشا عمر — كمال عمر بك — ظفرعلي خان الهندى — الدكتور عاقل مختار بك — الدكتور اسعد باشا (الرئيس) الدكتور انصارى بك رئيس بعثة الهلال الاحمر الهنديه — الشيخ عبد العزيز جاويش — الدكتور احمد فؤاد المصرى طلعت بك ناظر الداخليه سابقا



جمع من الهنود يطوفون الشوارع باكين منتحبين لما اصاب الدولة العثمانية

قد اظهر جميع العالم الاسلامى فى مشارق الارض ومغاربها خصوصا أخواننا الهنود والمصريين من المساعدات والاعمال الجليلة فى خدمة دولة الخلافة بسبب الحرب الحاضرة مالا يمكن وصفه .

وها نحن اولئك الآن قياما بالواجب نبتدئ ببيان بعض ماقام به أخواننا الهنود من تلك الاعمال المشكورة فانهم شكلوا البعثات واوفدوها للاستانه لمساعدة جمعية الهلال الاحمر فى معالجة الجرحى فى ميادين القتال وقد انعقد المؤتمر الهندى بدار الفنون فى ٢٥ أبريل سنة ١٩١٣ وقرر ارسال المقدار ١٥٧٠٠٠ جنيها المتبرع بها أهل الهند وكذلك أرسلت جريدة الكومريد الهنديه الاسلامية مبلغ ٦٠٠٠ الى معتمدى انجلترا فى أدرنه وسلانيك واسكوب ومناستر لتوزع على المحتاجين من المسلمين وقد وصل الى بعثة الهلال الاحمر

الانكليزية التى يرأسها السيد أمير على مبلغ وافر تبرع به اخواننا مسلمو الهند كما تبرعت لها ايضا جريدة الزمندار وجرائد اسلامية أخرى بمقادير طائلة وعدا ذلك أرسل أخواننا الهنود ثلاث بعثات طبية على نفقة مسلمي الهند . ومما يستحق الذكر ان اعضاء تلك البعثات جميعهم متطوعون حتى ان اغلبهم دفع نفقات السفر من ماله الخاص ذهابا وايابا .

(البعثة الأولى للهلال الأحمر الهنديه)

هذه البعثة مركبة من خمسة اعضاء من طلبة جامعتي اكسفورد ولندن أو المتخرجين فيهما وهم

(١) الدكتور سالم البصرى من مستشفى (جايز) بلندره

(٢) رئيس البعثة السيد آل عمران من اكسفورد

(٣) السيد محمد حسين (اكسفورد)

(٤) السيد عبدالحق (اكسفورد)

(٥) السيد حسن عيد جعفرى سكرتير البعثة (اكسفورد)

وقد وصل هؤلاء الى الاستانه فى الاسبوع الثالث من شهر نوفمبر سنة ٩١٢م التحقوا بمستشفى الجيش العثمانى بحيدر باشا حتى أخر يناير سنة ٩١٣ وقد اشتغل اعضاء هذه البعثة بهمة استحقت ثناء الناس كافة وخصوصا ذوى الشان فى المستشفى المذكور وجمعية الهلال الاحمر العثمانى ثم التحق الدكتور سالم ببعثة فقراء مسلمى بومباى (الهندية) والتحق السيد آل عمران والسيد جعفرى ببعثة عامة مسلمى الهند الطبية وأظهر ما اوجب ثناء الناس على هؤلاء الشبان انهم لم يكلفوا البعثات التى التحقوا بها اقل شئ من نفقاتهم بل كانوا يصرفون على انفسهم من خاصة اموالهم

البعثة الثانية : بعثه فقراء بومباى الطبيه

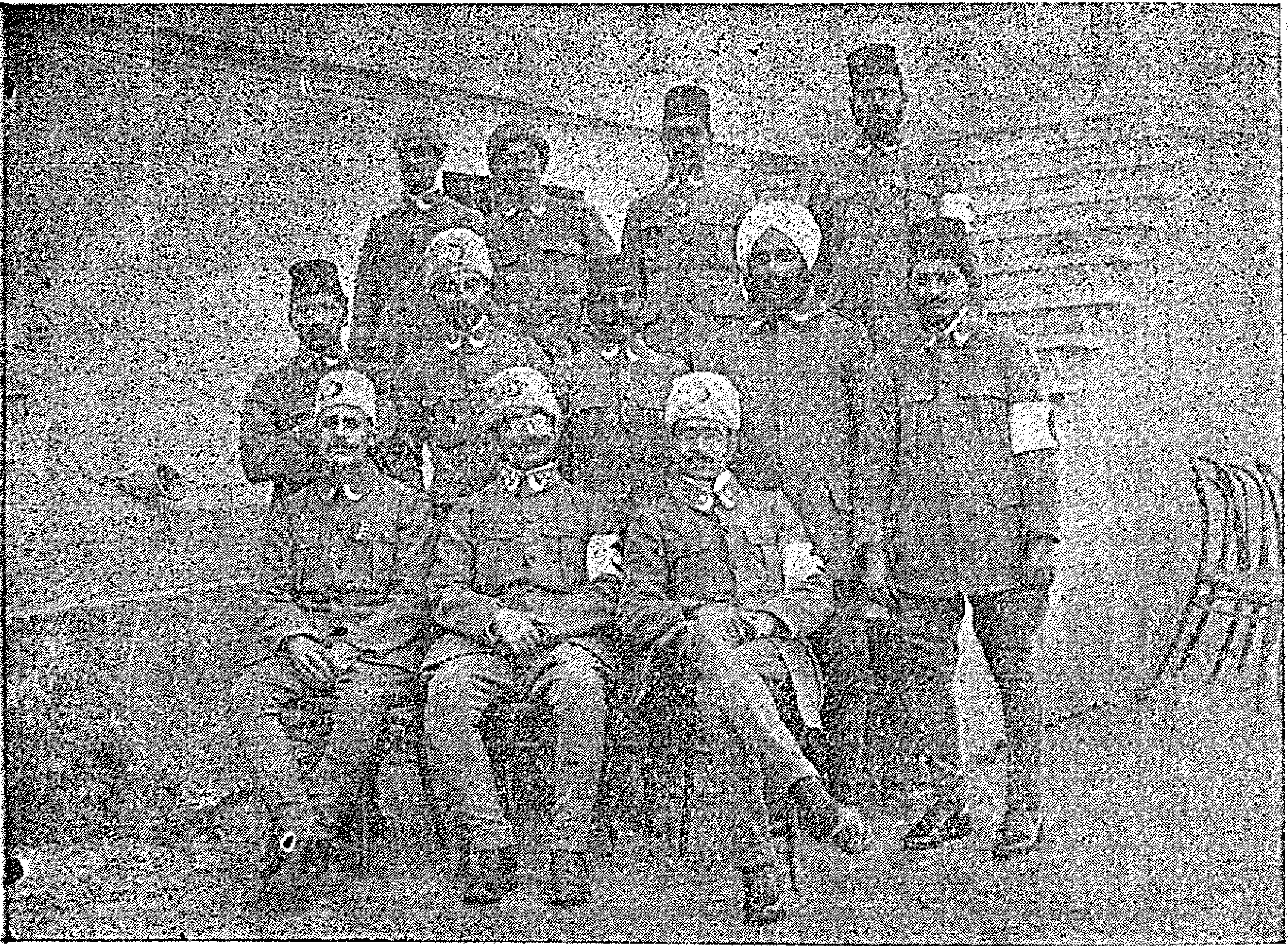
نظم هذه البعثة واوجد مالها اساطين الجمعيتين فى بومباى وهما جمعية الشبان الاسلامية وجمعية شعبة ضياء الاسلام وقد عين مديرا لهذه البعثة الدكتور عبدالله المأمون السهروردي ولكنه لم يأت لتركيا . وعين الدكتور محمد حسين (مدراس) طبيبا أول لها ولهذه البعثة عشرون عضوا واربعة من الخدمة وقد وصلت البعثة الى الاستانه فى اواسط ديسمبر سنة ٩١٢ واشتغلت بمستشفى دارالفنون حتى أعد لهم مستشفى خلوى لميدان القتال يتركب من مائة سرير وقد اشتغلت البعثة فى مستشفاها الجديد من فبراير واستمرت هذه البعثة تؤدى ماوجب عليها من الخدمات الجليلة حتى استحقت رضاءالله والناس

البعثة الثالثة . البعثة الهنديه الطبيه

دبر هذه البعثة وجمع ما انفق عليها من الاموال السيد محمدعلى مدير جريدة الكومريد الهندية وقد رأس هذه البعثة الدكتور مختار احمد انصارى المتخرج فى لندره وغيرها من بلاد الانجليز وهذا الرجل ممن يفتخر العالم الاسلامى بهم ويباهى بهم الامم الأخرى فهو على غزارة علمه وسعة اطلاعه حسن الشمائل كرم الخلق عالى الهمة كثيرالتواضع يساعده الدكتور على ازهر فيضى المتخرج فى لندن وغيرها وقد تعين السيد عبدالرحمن صديق مديرا عاما لهذه البعثة وقد وصلت البعثة للأستانه يوم ٣١ ديسمبر سنة ٩١٢ واشتغلت بمستشفى كادرغه حتى آخر يناير

مستشفى عمرلى

وقد اوجدت البعثة مستشفى بدارالحرب فى جهة (عمرلى) به مائه سرير وقد تولى رياسة هذا المستشفى الدكتور مختار الانصارى (لاهور) وابتدأت اعمالها من أول فبراير سنه ٩١٣ اما الدكتور فيضى فقد انتقل الى بعثة فقراء بومباى الطبية رئيسا واشتغل هنالك بجد ونشاط رغم ماكان يحيط به هنالك من المصاعب والمتاعب ولم يمت ممن دخل هذا المستشفى غير جندى واحد . ولقد انشأت هذه البعثة مدرسة للاولاد والبنات تعلمهم فيها كيف يقومون للجرحى بواجب الخدمة فى اعطائهم الطعام فى اوقاته ومراعاة راحتهم العامه



هؤلاء اعضاء الشعبة التى فى

مستشفى القلعة السلطانيه

هذا هو المستشفى الثانى الذى انشئ على نفقة جمعية الهند العمومية وقد تأسس فى أول مارس سنه ٩١٣ وكان به مائه وعشرون سريرا بالمدرسة اليونانيه وقد رأس هذا المستشفى الدكتور رحمن (ادنبرج) وقد قام هذا المستشفى بأجل وأفيد الخدمات اذ اخذ فى معالجة الجرحى بكل همة ونشاط فلم يترك رجاله مجهودا من المجهودات الشريفة حتى بذلوه ارضاء لهؤلاء المرضى الذين لم تكن بينهم الوفيات بحمدالله الابنسبة واحد فى المائة فدلت اللجنة بذلك على أنهم حقيقة خدام انسانية فوق مايمكن ان يخطر بالبال وقد اوجدت هذه البعثه لها فرعا آخر فى الدر دينل لمعالجة المهاجرين والفقراء وكانت تطعم المهاجرين فى مقابل قيامهم ببعض الوظائف المناسبة لحالتهم .

الجمعية الهندية العثمانيه لاسكان المهاجرين

بما ان الصلح أصبح قريباً فقد رغب كثير من اعضاء البعثة الهنديه الطبيه فى البقاء فى تركيا للنظر فى أمر المهاجرين واسكانهم فى المواطن الجديدة التى سيتخذونها لهذا الغرض. وقد تكونت لذلك جمعية بدارالسعادة اسمها (الجمعة الهندية العثمانية لاسكان المهاجرين) تحت رياسة الدكتور اسعد باشا وقد تكون مجلس ادارة هذه الجمعية من مصريين وهنود وعثمانيين وكلهم ذوو نفوذ وقد تعين الدكتور انصارى ناموساً لها ، وستقيم هذه الجماعه ثلاث قرى فى الوقت الحالى بالاناضول وسينفق على واحدة منها من متحصل التبرعات الهندية التركيه التى يرأسها المفضال محمد على صاحب جريدة الكومريد وينفق على الثانيه من متحصل التبرعات التركيه الهنديه التى يرأسها صاحب جريدة زميندار ظافر على خان الكاتب العظيم نزيل الاستانه الآن وينفق على الثالثة جمعية الهلال الأحمر العثمانى وقد وصل لهذا الغرض كثير من الاموال الوافرة من الجمعتين الأوليين . وقد سافر بعض اعضا مجلس الادارة مع بعض المهندسين الاختصاصيين فى الهندسه والزراعه الى الاناضول لمعاينة الاراضى التى تبرعت بها الحكومة العثمانيه لهذا الغرض الشريف بارك الله فى تلك الهمم العاليه وجازى العاملين المخلصين خيرالجزاء و وفق سائر المؤمنين الى مافيه سلامتهم ودرء الأذى عن ملتهم ودينهم آمين آمين .

انجلترا ومسلموالهند

لم تستطع الصحف الانجليزية كتمان ماجاش فى صدرها من الحقد على مسلمى الهند بسبب ماظهروه من الميل لتركيا والأخلاص لهافى نكباتها التى تنزلت عليها فى هذه الايام الاخيرة حتى ان جريدة التيمس الكبرى أخذت تقول ان المسلمين انشأوا يخسرون ثقة الحكومة الانجليزية بهم واستدلت على ذلك بما اظهروا من الميل الى الهندوس المجوس وبما اعلنوه من عدم ارتياحهم لما قررته الحكومة الهندية فى امر الجامعة الاسلامية الكبرى التى ارادوا اقامتها فى الهند ثم بما قرر فى المؤتمر الاخير للرابطة الهندية لعامة مسلمى الهند من ضرورة منح الهند حكومة ذاتية .

ومن غريب امر جريدة التيمس ان أخذت بعد كتابتها طويلا فى هذا الموضوع تهدد اخواننا الهنود وتنذرهم عاقبه اغضاب انجلترا عليهم ولكن الله قد قيض للحق انصارا لايبالون بالتهديد ولايكترثون بامثال ذلك الوعيد فلقد تصدى لمجادلة الصحف الانجليزية ومجالدة سواس الانجليز الاستاذ الفاضل خوجه

كمال الدين صاحب مجلة « الهند الاسلاميه » التى تظهر فى لندن باللغة الانجليزية فلقد اطلعنا له فى تلك المجلة على كتاب مفتوح لرئيس وزراء انجلترا مجمل ان نترجه باختصار لقراء الهداية فيا يلى لمافيه من الفوائد (قال) ان الحوادث التى وقعت اخيرا لاجرم دفعتنا الى التفكر العميق فى التأهب لحماية مجد الاسلام او بالاحرى للدفاع عن مجرد وجوده حتى لا نصاب با كثر مما اصبنا به مما لا يزال مقدورا لنا وراء استار الخفاء ان المطامع الاوربية وشره الاوربيين على استلاب استقلال الامم الاخرى وا كتساح بلادهم وحرمانهم حق الحياة لمن الشئون التى لا يعرف لها حد ولا يحيط بها عد



البعثة الثانية الهنديه

ان القاعدة المرذولة (تلك القاعدة القائلة بضرورة حكم الاحسن خلقة) قد حملت الجنس الابيض على كذبها وبطلانها على ان يعتقد فى عدالة جميع مايأتيه من الاعمال والتصرفات مع غيره ولو كانت ضارة ممقوته

انى أعلم أن انجلترا لكثرة ماملكت من المستعمرات الفسيحة الواسعة لاترغب فى اكتساح بقاع جديدة ولكن السياسة التى يجوز الاتكون دائما مصيبة حكيمة قدحملتها مع ذلك تؤيد وتساعد غيرها من الامم لأخرى.

اليس تقسيم فارس الذى لامعنى له سوى سلب الامة العظيمة الفارسية حقها وحرمانها ما كانت تستمتع به من الاستقلال منذ القدم انما كان من نتائج قاعدة تبادل المنافع التى وفقت بين روسيا وعدوتها انجلترا ؟

اليس من الحقائق الثابتة ان حكومات البلقان المتفقة بدأت بحشر جنودها وسوق آلاتها الحربية بعد اربع وعشرين ساعة مضت من مقابلة مسيو سازانوف للسير ادوارد جراى فى مدينة « بالمورال »

ألم تقدم وزارتك الخارجية عين المساعدات السياسية فى جميع ما ارتكبته الايدى الجانية الاثيمة فى مسلمى تراس ومقدونيا والبانيا من الذبح والهتك والفتك مما نقع غلة الحكومة الروسية وشفى احقادها على المسلمين فظائع لم ترها الدنيا الا فى هذا العهد عهد المدنية المسيحيه . ماذا كان على السير ادوارد جراى ان ينشر تقارير رسمية يبين فيها تلك الآثام والجرائم التى ارتكبها الصرب والبلغار وغيرهم فى المسلمين بيد ان سياسته العقيمة المجردة من الحكمة والحزم قد سوغت له ان يبيت فى مقابلة بالمورال مابيت ثم تورط فلم يستطع انصاف الانسانية والتاريخ بنشر تلك الفظائع والشناعات بل رأيناه يتخطى هذا الحد فيهون من امرها ويزهدها على النفوس مناقضا بذلك ماسطرته اقلام احرار الامم الاخرى من البيانات .

أيراد منا ان نغالط انفسنا فنعتقد ان لم يكن فى الاستطاعة كف الايدى المجرمة عن تلك الفظائع بالتذرع ببعض الطرق السياسيه ؟ لاجرم انه لوكان شئ من ذلك لسلمت تركيا من بتر اجزائها وحقنت دماء المسلمين عن السفك ولسلمت املاكهم واسبابهم من السلب والنهب

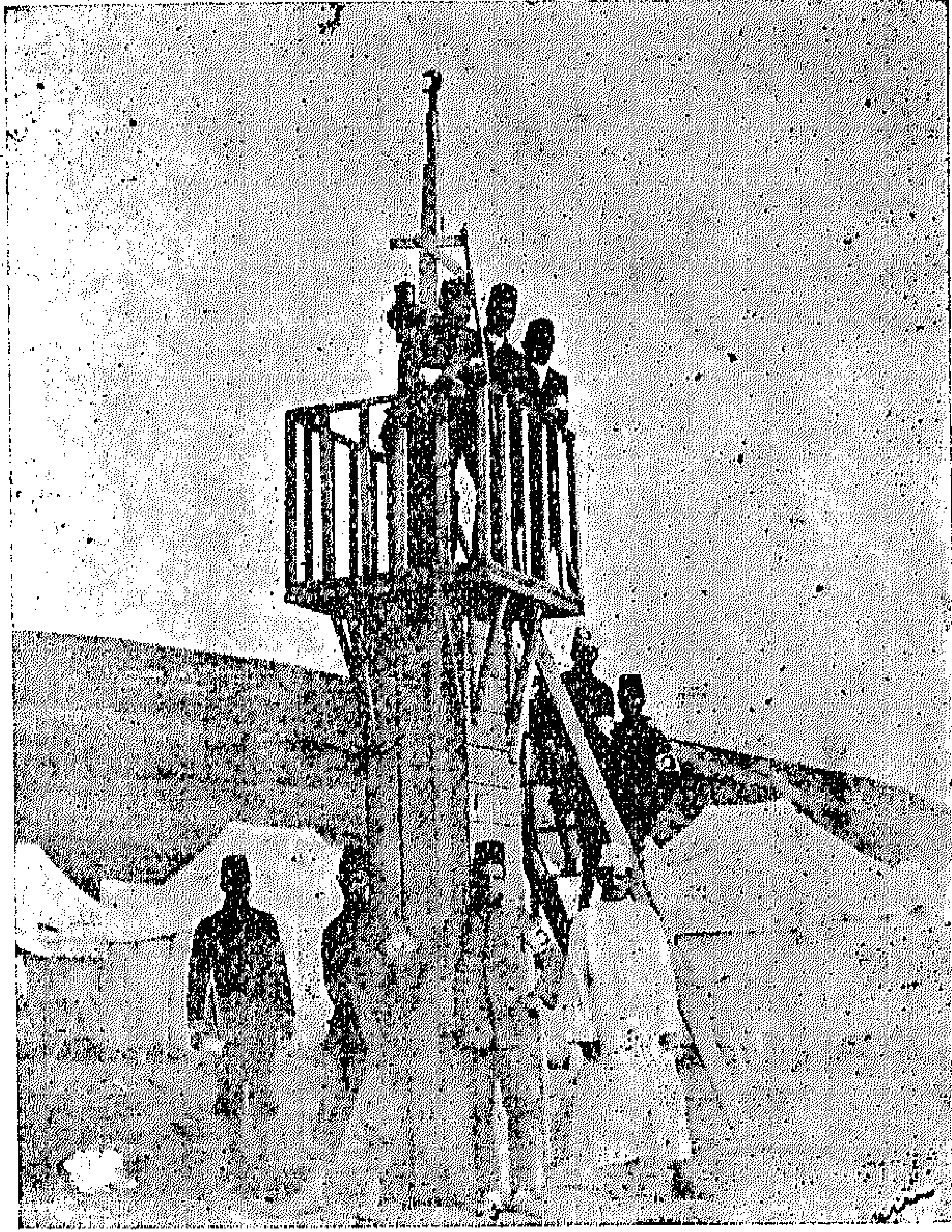
واذا كانت المانيا قد كسبت قلوب العالم الاسلامى بما اظهرته من الميل للاسلام ومناصرته فهلا كانت انجلترا أجدر بذلك واولى

اننا مسلمى الهند يجوز الا نكون عماد العالم الاسلامى قاطبة كما قالت جريدة التيمس ولكن لامراء فى انه لابد لنا بعد الذى رأته ابصارنا خلال الخمسة عشر شهر الماضية ان لانغفل طرفة عين عن العالم الاسلامى . لامراء ان من الواجب علينا الخوف على اخواننا المسلمين فى اطراف الارض والتفكر فى الآيات التى رأيناها فى العهد الاخير

وكيف لنا ان نغفل عن مصيرنا وذلك البطريق الاعظم لعاصمة ملككم



اعضاء البعثة الاولى الهندية



المسجد الذى اقامته البعثة الثانية الهنديه فى قرية عمرلى

«(لندن) يقول مهارا (ان لاسلام لازال الخطر المهدد للمسيحية فهو عدوها اللد ودفلابد ان تمزق شمله كما تمزق الامواج بصخور السواحل)

يجوز يارئيس الوزارة الاجتماع الفخم الذى سيضم بين اجنحته أئمة السيادة واركانها فى برلين قد ينتهى باتفاق وائتمار ماحق للحكم الاسلامى ماح له عن سطح الارض وما هو الا الامنية التى ملائت قلوب الاوروبيين منذ أعوام فلقد يتم بذلك الاجتماع ازدراد روسيا لبلاد فارس . وهاهى أرمينيا وآسيا الصغرى قد اصبح لاوروبا فيها من المصالح ماقد يجوز لها التداخل فى امرها . ومن المحتمل ايضا ان يضيق الخناق على بلاد العرب حتى تظهر الى بسط يدها فى طلاب الحماية من حماة الانسانية ! ! ! وكذلك يجوز ان توضع قوانين خاصة تصد الاسلام

عن الانتشار فى افريقية وان تقرر حكومة امريقا مشروعها القاضى بمنع المسلمين عن ان يطأوا شيئا من أرضها .

اذا فماذا عسى ان يكون موقفنا يارئيس الوزارة اذا اتيح لتلك الاحتمالات والفروض ان تنقلب حقائق واقعةواستمرت حكومة انجلترا ملتزمة مثل حيدتها الحاضره.؟

اننا نسلم ياجناب الوزير اننا لانستطيع ان نفهم جميع دقائق قوانين الحيدة وسائر اسرارها ولاسيما العامة منااالذين لم يدرسوا القوانين الدولية للحيدة و لم يدركو مامن أيديها وماخلفها .

انى ايهاالوزير اعتقد ان مسلمى الهند حتى الساعة لم يأتوا عملا يمنعهالقانون وان من الغلو والاسراف ماصورت به صحف انجلترا حركتهم الاخيره

اننا ايها الوزير لم نفعل سوى التشبه باكبر الرجال السياسين فى المملكة الانجليزية الذين جنابك فى مقدمتهم

وهل يجوز لومنا واعلان مخالفتنا لقوانين الحيدة والعزلة بما فلعلتما وانت بما احرزت من رياسة الحكومة وعلمك البالغ بقوانين الحيدة ومطالب العزلة لم تستطع يوم سقطت سلانيك فى ايدى اليونان ان تعرب عن عواطفك المسيحية القلبية فتظهر ابتهاجك وفرط فرحك اذرأيت مفتاح المسيحية (كما سميتها) عاد الى حماية يد الصلب . فهل مثلك اذاً من يعتبر مقتنا لما فعل اخوانك البلقانيون وما ارتكبوا من الفظاعات مخالفا لقوانين الحيدة و العزلة الدوليه

لقد انصف اللورد لامنجتون ان استرعى ابصار اعضاء مجلس النواب الانجليزى الى الخطة غير الحسنة التى انتهجتها انجلترا تجاه المسائل التركيه مما لاحاجة الى اعادته

وفى الختام اجوان يعتبر رئيس الوزارة ماسطرته هناد ليلا على افكا اخوانى مسلمى الهند قاطبة فانما انا ترجمان آرائهم وافكارهم ومن الميسورأن تسأل من تثق بهم من رجالك هناك فتعرف صحةما اقول . انتهى



—(الغرب الاقصى)—

و

اسبانيا

نشرت التيمن الانجليزية عن مكاتبها فى طنجة بتاريخ (٢ يونيه الجارى) ، ان مركز الاسبانيين فى تطوان يزداد كل يوم حرجا حتى لقد اصبح من الخطر خروج احدهم عن بعد ٣٠٠ متر من اسوار المدينة . ولقد اضطرت الحالة اسبانيا ان تنقل مركز المكس الى داخل السور



مستشفى جناق قلعه الهندى

ولقد اجتمع فى مسجد مولاى عبدالسلام من القبائل الجبلية عدد يفوق الحصر وهناك قرروا ان يتخذوا لهم حاضرة اخرى على ستين ميلا من تطوان جنوبا يقال لها شيشوان واختاروا من بينهم رئيسا او بعبارة اخرى ملكا يقال له الشريف ولد الحسن من قبيلة بنى عروس وقد روى ذلك المكاتب ان الجبليين يريدون أعلام القناصل المقيمين فى تطوان بان اعمالهم هذه انما يوجهونها الى

الاسبانيول لاالى الامم الاوروبية الاخرى ويرجح هذا المكاتب ايضا ان الجبليين لا يريدون ان يغزوا اعضاء هذا المؤتمر والله يعلم ماذا عسى تكون النتيجه

وقد انعقد فى لندن مؤتمر السفراء ايضا لحل مسئلة الجزائر العثمانية والحدود الالبانية اليونانية . وتقول جريدة التيمس عدوة الاسلام والمسلمين ان احسن حل لمسألة الجزائر ان تترك هى جميعها لليونان ماعدا اللاتى على مقربة من فم الدردنيل . ويظهر ان تلك الجريدة لم ترجم بهذا القول بلا روية وانما هو وحى ألمع به اليها السير ادواردجراى الذى كأنه آلى على نفسه ان يجتث الحكم الاسلامى من فوق تلك الجزائر حتى يجعل بقية املاك الدولة العثمانية فى آسيا عرضة على الدوام للخطر وميدانا للدسائس والفتن

وروسيا تسميه المسلمين

نفت الحكومة الروسية فى المدة الاخيرة بعض سادات المسلمين فى روسياً نظراً للأحوال الحاضرة ومن جملة الموقوفين ترجمان شاه ايران المخلوع .

الميزان الاسلامية

قرأنا فى الجرائد الروسية ان شمس اسدالله قد ترك ثروة تجاوز ١٢ ميليون من الروبلات وقد خصص ميليونين منها لتصرف على الامور الخيرية الاسلامية وعين من بينها ٢٠٠ الف روبلة لانشاء مكتب اعدادى فى قافقاسيا و ٥٠٠ الف روبلة للمكاتب الاسلامية فى موسكو

روسيا

منع المسلمين من مهنة المحاماة

كتبت جريدة (دان) المنتشرة فى بطرسبورج عاصمة الروس ان احد مأذونى دارالفنون فى روسيا من المسلمين طلب من النظارة العدلية الترخيص بمزاولة مهنة المحاماة فلم تجبه الى طلبه وقد علقت الجرائد الاسلامية على هذا الرد شروحاً طويلة

وقد وضعت الحكومة الروسية قانوناً مخصوصاً لهذا الموضوع قصدت به منع العناصر المسلمة من مزاولة هذه المهنة اذ تقول بالمادة المعينة مانصه يحتم على العناصر الغير المسلمة داخل مملكة روسيا ان لايتجاوز عدد المحامين منهم اكثر من العشرة وهذا يجب عليه اخذ رخصة معتمدة من نظارة العدلية

وقد وضع اعضاء مجلس نواب المسلمون لائحة طويلة فى هذا الاشان قدموها الى المجلس للنظر فيها وطلبوا زيادة مادة قانونية بهذا النص ان العناصر المسلمة حائزة للحقوق التى للعناصر المسيحية



لبعثة الثانية الهنديه وفى زمرتها طلعت بك

الحجاج فى روسيا

فكرت الحكومة الروسية فى المدة الاخيرة ان تقيم التصعيبات اللازمة فى اوجه الحجاج الروسيين الذين يقصدون البيت الحرام كل سنة طبق السعادة فطلبت من الحجاج ان يأخذوا تذكرة جواز الذهاب والاياب منا و تقصد من ذلك اراحته معتمد بها السياسيين فى البلاد العثمانية من تأدية بعض دريهمات الى الحجاج الروسيين الذين قد يتقطون اوبعبارة اصرح انها تقصد منع المسلمين من الحج الى البيت الحرام لأنها وضعت رسماً جديداً على الاجازة بالسفر بحيث يصعب تأديتها على الحجاج المسلمين ولاحول ولاقوة الابالله .

قالت زميندار نقلا عن بعض الجرائد التي جاء اليها التغراف من كابل ماخلاصته ان سمو الامير حبيب خان ملك الافغان خطب خطبة بليغة ذكر فيها احوال مظالم البلقان حتى بكى و ابكى الناس ثم حث الناس على المواساة لاخوانهم المجاهدين والمهاجرين فبدأ الناس يخلون جيوبهم مما فيها حتى بلغ مقدار الاعانه فى جلسة واحدة مليون روبيه وكذلك اصدر الامر حفظه الله فى كل الولايات و بعدما يبلغ المقدار المذكور عشرة ملايين ترسل الى الاستانة العلية ٢٠ جمادى الاولى ١٣٣١

الكلية الاسلامية

فى المدينة المنورة نقلا عن لزميندار

حضرة مدير زميندار . السلام عليكم و بعد فقد طار قلبي فرحاً لما رأيت الخبر فى جريدتكم بتأسيس جامعه اسلاميه

ففى الحقيقة ان ابقاء الاسلام والمسلمين موقوف على ان المسلمين يطرحون عن اكتافهم رداء الكسل والغفلة و اريدان اكون حتى فراشاً لهذه الجامعه المباركه كما عزم العلامة الهمام شبلى النعمانى بل ان الفقير خرج من حيدر آباد مهاجراً الى دار النبي صلى الله عليه و سلم وعندى ان تأسيس الجامعة فى المدينة المنورة ارجح من تأسيسها فى مكة المكرمة من جملة وجوه

(١) ليس فى مكة المكرمة سكة الحديد

(٢) ان هواء مكة حار جداً ومخالف للصحة بخلاف جوا المدينة .

(٣) ان الاسلام ترقى و انتشر منها الى جميع العالم فتأسيس هذه الجامعة الان يعد فالاً حسناً

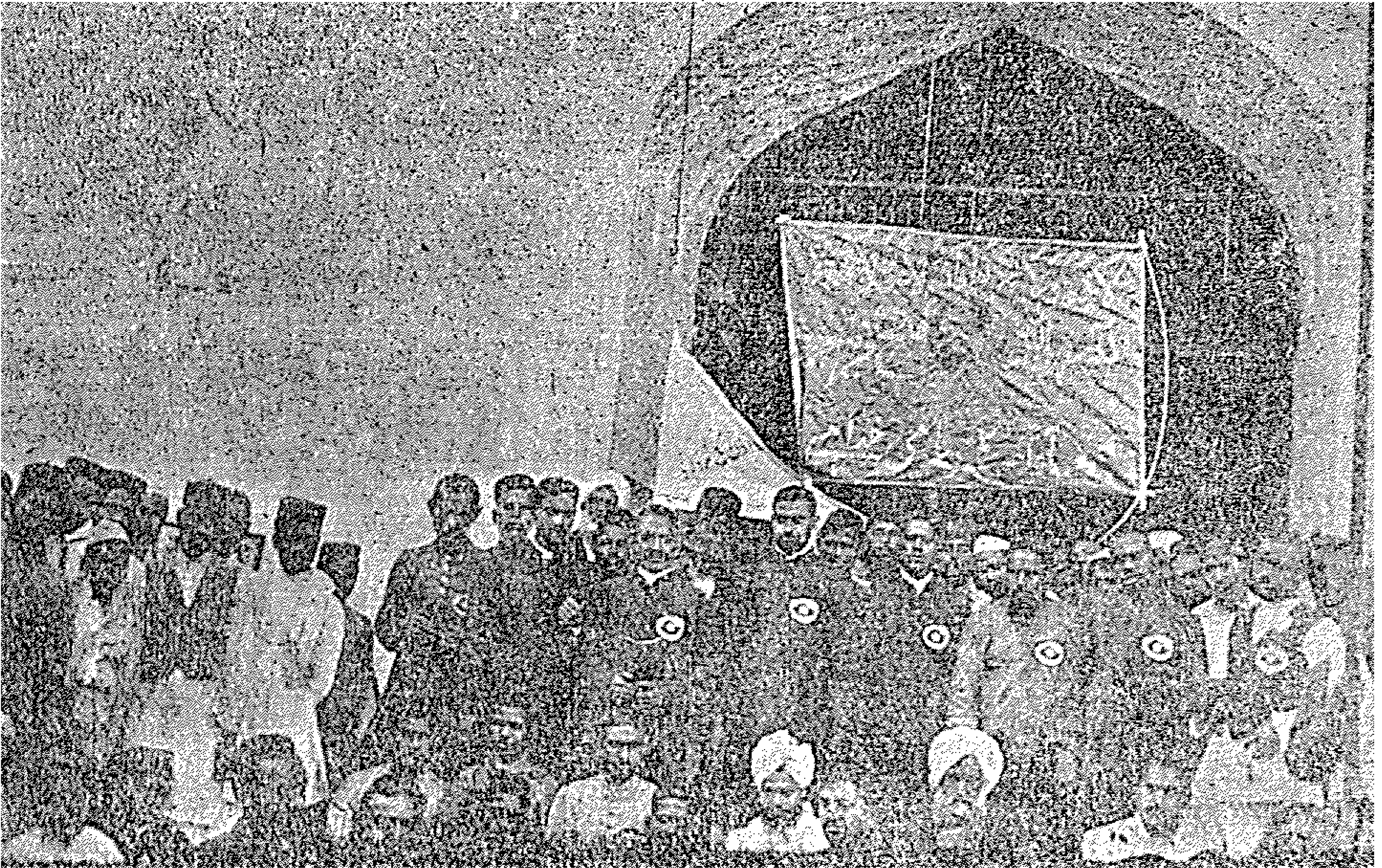
اقول بالوثوق لو ان الفاضل المحترم ظفر على خان والسيد محمد على والعلامة ابي الكلام يسعون فيؤلفون لجنة لهذه الجامعة حتى تقام فى أقرب وقت لاسيما و أنه لاغرض من ايجادها سوى نشر العلوم والفنون لاغير

(الهداية) ان الغرض من اقامة الجامعة فى المدينة المنورة انما هو التيمن بالحضرة النبويه وستتخذ جميع الوسائل اللازمة حتى تتم اسباب الراحة والنجاح

التقريظات

الاتحاد الاسلامى

ظهر فى عالم المنشورات حديثا كتاب فى الاسلام اسماه مؤلفه الكاتب القدير حلال نورى (الاتحاد الاسلامى) وهو احد الكتب العظيمة التى جرى بها قلمه الحكيم و مما جاء فى مقدمته قوله



جماعات من اهل الهند يطوفون بها فى سبيل استنفار الناس لمساعدة الدولة

ان من الحوادث الكبيرة ذات الشأن العظيم التى ستجد انقلابا كبيرا فى احوال العالم لما احدثته من الحركات الفكرية والآراء السياسية و العلمية والاجتماعية ما حدث فى هذا العصر من اقتسام انجلترا وروسيا بينهما مملكة فارس قسمين ثم تنازع أهل الغرب الاقصى الامر بينهم ثم قبولهم الحماية الفرنسية وكذلك استيلاء ايطاليا على طرابلس الغرب واخراج الدولة العثمانية من قارة اوروبا ومظاهرة الدول الاوروبية العظمى لحكومات البلقان البلتعان المنفعة علينا وائتلاف انجلترا وروسيا ومظاهرة فرانسا لهما اتعلق من خوف وقوع تصادم هائل بين الجنسين الجرمانى والسلافى وسعى انجلترا فى سبيل الاتفاق مع المانيا حذر ضياع نفوذها وكذلك تنبه الشرقيين

لاسيما الامة الصينية التى اقامت لها جمهورية كبيره . ومن تأمل فى هذا الكون وتدبر شئون هـذا العصر علم ان هذه الحوادث ستتمخض عن نتائج عظيمة لم تحصل من قبل فى القرون الغابرة . فجميع الامم الآن تستعد لحروب طاحنة يتظر اليها الناس منذ اليوم فيروعهم هولها .

وكذلك نجد الامم المحكومة تتأهب لتحرير رقابها من اسار الاستعباد كما تبصر من بين الامم العظيمه مثل فرانسا وانجلترا المشرفتين على السقوط عن عالى مجدها الذى ستحتله الامم اخرى كاليابان

ولقد يتخوف الغربيون من ظهور امم اخرى ثانية كالعالم الاسلامى والجشان

كلنا يعلم ان الغرب لايفتأ يكيد للشرق ولا تغفـل له عن الحركة العكسية التى يتوقع ظهورها من الشرق مما سـيكون مبعثها ومنشأها الانقلاب الفجائى الذى سيحصل فى آسيا

ماهو الشرق وماهو الغرب ؟ ثم ماهو سرماقام بينهما من الاختلافات السياسية والملية والعنصرية والاخلاقية والروحية ؟ وهل يمكن التأليف بينهما ؟

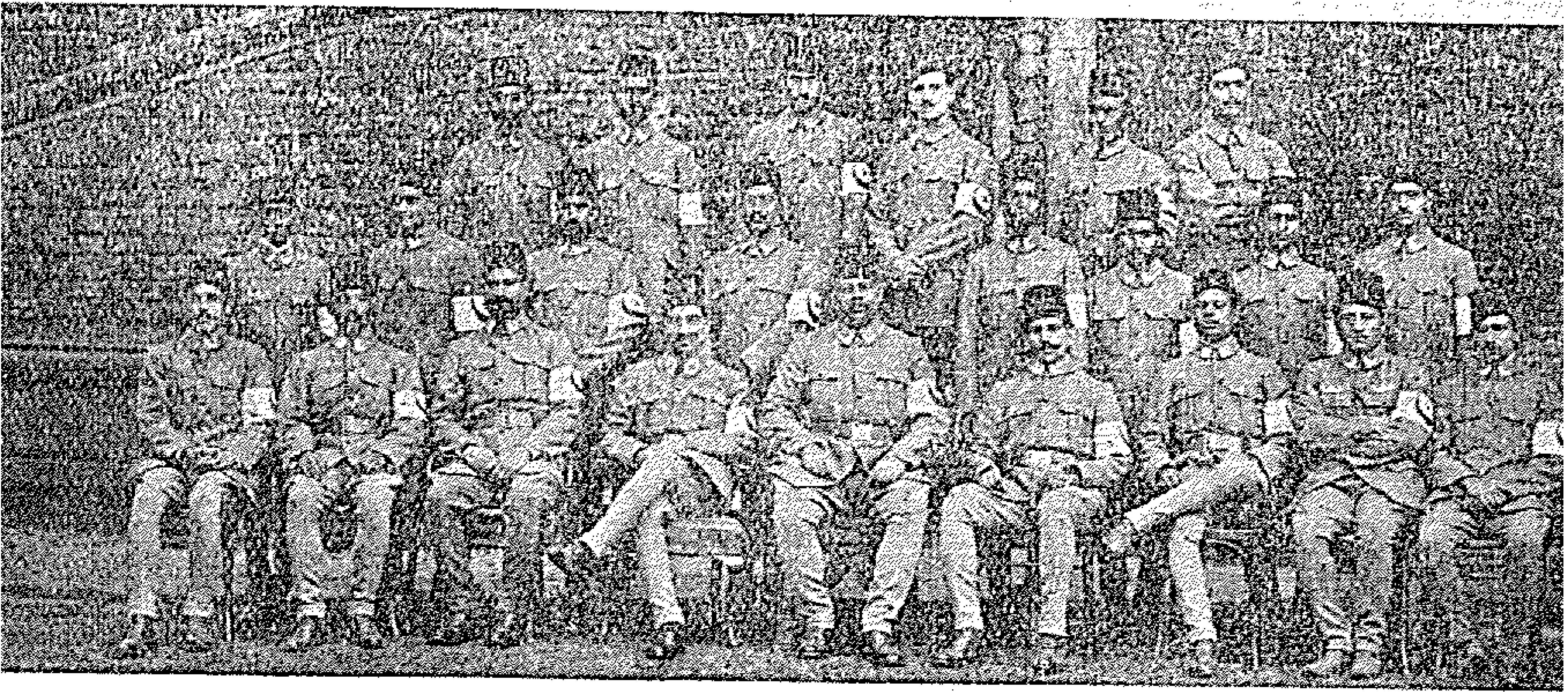
ثم ماهى صفات الاسـلام اليوم وما ذاكانت علائق المسـلمين فى القرون الماضيه ؟ وماذا عسى ان يكون حظ الاسـلام فى المستقبل ؟ ثم ما هم المسلمون وماهى القوة التى يمكن تكوينها منهم ؟ وهل من الممكن ايجاد طـائفة من بينهم ذات ارتباطات اجتماعية وسياسة ؟ ثم ماهى الوسائل التى يجب التشبث بأهدابها لتخليص المسـلمين من هذه القيود والاغلال التى احاطت بعنقه واطرافه حتى يستعيدوا مجدهم المؤثل وعزهم الشامخ ؟

تلك مسـائل لم يخض فيها احد من اهل الشرق ولا من اهل الغرب بيد اننا ننكر ان طائفة من المستشرقين فى اوروبا بحثوا فى امر الاتحاد الاسلامى بلا نظر فى مسـائله الاصلية والفرعية وأما نحن الذين فتنا بكل شئ غربى واسرفنا فى محاكاة كل شخص غربى والاستهداء بجميع اعمال الغرب واقواله فاننا لم ندفع عقولنا حتى اليوم الى تدبر تلك المسائل الحيوية بل اغفلناها كان لم تكن تهمنا . ولكن قد كتب الله لى التوفيق وهدانى الى استقراء تلك المسـائل بكل تدقيق فهأنذا ناشر رأيى فيها والله المستعان .

تلك هى مقدمة ذلك الكتاب الجليل يتبين منها القراء الغرض الذى حمل مؤلفه على تأليفه .

واهم ابواب هذا الكتاب هي : المسائل الاجتهاديه — الحكومة الاسلامية — المسلمون في الوقت الحاضر من العرب والترك والهند والصين والملاى والشيعة والرافضه وسائر المذاهب الاخرى — الاستعمار الاروبي — سياسة اوروبا — الاتحاد الاسلامى — الروابط الاسلامية المشتركة — النجم — الخلافة — المعارف والادب في الاسلام — التعصب المسيحي — المسلمون وحقوق الدول — موضوعات اخرى ذات بال .

ويجمل بنا هنا ان نترجم للقراء فصلا من فصول هذا الكتاب وقد نردفه بغيره ان شاء الله تعالى



بعثة الهلال الاحمر الهندية الثانيه التي براسها الدكتور انصارى بك

(المسلمون في الوقت الحاضرة)

العرب

اصبح اهل الغرب بعد انقراض حكوماتهم تابعين لكل متبوع وقد كانوا لا يفكرون في تأسيس حكومة مستقلة . ثم بقوا على هذا الحال الى امد ليس ببعيد فصبغ العرب في هذه المدة بعض سيما باهم الحسنة ومدنيتهم العظيمة وبالطبع ان الرعايا التي تكون خاضعة لحكومة مطلقة مستبدة لا ترعى عهدا لاحكامها الدينية يصابون بضياع سياهم ومميزاتهم. وهذا ناموس طبيعى لا شبهة فيه ولذلك بلغ العرب درجة مؤلمة من الانحطاط حتى انهم اكتسبوا خصالا والحق يقال عاطلة سافله ومع كل ذلك فان العرب لم يكونوا بوقت ما جانحين لترك عنصريتهم ولا عاداتهم واخلاقهم بل اننا لا نرى فرداً منهم ترك عنصره ولحق لعنصر آخر

وهذا دليل عظيم على ما للعرب من الاستعداد لتحويل الاقوام المجاورة لهم الى عنصرهم فانك ترى الرجل يذهب الى البلاد العربية فمهما كان لسانه و بعيداً عن جنسهم لا يمكنه الا الاستعراب والتكلم بلسان القوم وذلك على العكس منا نحن الاتراك فأن الرجل يهبط بيننا ويمكث لدينا السنين العديدة ثم نزال لا نراه بعيداً عن لغتنا وعادتنا .

ان عظمة العرب الماضية لم تزل تؤثر فى القوم لتاريخنا هذا فالعرب كالاسلام لا يمكن محوه باى صورة كانت وهم برغم المؤثرات لم يزالوا محفظين على خصائلهم الحميدة كقابليتهم الى الغلب والحكم والفتح حتى انه لا يمكن ان يتصور محل فى هذا المعمور خاليا اليوم من نفوذ العرب وقد افادهم دين الاسلام فوائد عظمى فكل عربى فى اى بلدة من البلاد الاسلامية يعتبر سيدا وشريفا . لقد اصبح اللسان العربى لسان المسلمين الرسمى فحل بذلك فى بلاد الهند والسند والصين والافغان وايران وتركيا . وكل مسلم لا بد له من الالمام باللغة العربية ولو قليلا .

ان لغة الدراسة عند الاقوام الاسلامية هى اللغة العربية واساس ذلك هو القران الكريم وعدا ذلك فأن اللسان العربى لسان علم وأدب وشهرته الماضية اعظم دليل على اهميته

ولكن مع كل اسف نرى الاقوام وخصوصاً الحكومة العثمانية لم تعتن (قبلا) بامر اللغة العربية ولا يمكن غفران تقصيرها هذا باية صورة كانت فان كانت اللغة التركية لغة المسلمين السياسية فالعربية لغتهم الدينية . لذلك يجب على الحكومة العثمانية الاعتناء التام بهذه اللغة الكريمة اذهى الدولة الوحيدة الاسلامية التى يمكنها حماية هذه اللغة الشريفة

ان الحكومة العثمانية تجعل تعليم اللغة العربية فى مكاتبها جبريا ولكن لعدم اقتدار معلميها وكفاءتهم وسقم الاصول التى يسلكونها لهذه الغاية لم تحصل النتيجة المطلوبة من تدريسها فاذا كنا نريد المحافظة على اسلامنا يجب علينا ان نتعلم اللسان العربى بطرق عملية جدية وان نعتنى بتدريسه وتعليمه فى سائر مكاتبنا ومدارسنا بحيث يمكننا الامتزاج بالعالم العربى فان هذه هى الواسطة الوحيدة للتقريب بين المسلمين ومع ذلك يجب ايضاً على الحكومة ان تعتنى بالآداب العربية وبالصحف العربية ليمكنها الاستفادة منها

ان بعض اليهود المتعشقين لمتهم وجنسهم جعلوا اللسان العبرانى اول عمل يجب القيام به لتحقيق امانيهم فكيف بنا نحن المسلمين نرتكب هذا الخطأ الفاحش !

ولا تعتبر اللغة العربيـة لغة رسـمية . تالله ان هـذا لمن اكبر المصـايب ان احصاء العرب الموجودين على وجه هذا المعمور ونفرهقهم بعضهم ببعض لمن الامور العظيمة التي لايمكن القيام بها اليوم لفقد الوسائل والاسباب المؤدية لذلك

نشأت العرب فى أباطح الحجاز وامتدت الى العراق والجزيرة واليمن وشمال افريقية وسـورية وكانت الاقوام القاطنة فى هذه الاصقاع جلها عرب واذا ما اكتسبوا استقلالاً فانهم كانوا يقيمون امبرا طورية عظيمة لتوفر الدواعى والاسباب المساعدة على ذلك

ان نفوس أهالى اليمن يتجاوز المليون ومنهم من يقول سـتة ملايين وآخر يقول ثلاثة ملايين ونفوس عدن وعسير والاراضى التابعة للامام يحي والاراضى المتنازع فيها بين انجلترا وتركيا مع النواحى السبعة يبلغ خمسة ملايين وعدا ذلك فأن نفوس حضر موت ومسقط وعمان والبحرين والكويت وعنزه وشمر والربع الخـالى ونجد يبلغ خمسـة ملايين ايضاً وهنا لاننكر مالامير مكة المكرمة من النفوس العظيمة ولذلك نتمنى من صميم افئدتنـا ان تكون هـذه الامارات الجليلة بعيدة عن النفوذ الاجنبي صادقة للاسرة المالكة. ويجب على الحكومة العثمانية فى اسبيل ذلك ان لاتدع دقيقة تمر بدون تفكر فى مسـئلة الحجاز واعتبارها من أهم المسائل التى يجب دوام النظر فيها والاشتغال بها لانها من المسائل التى قد تحدث غائلة عظيمة وان قيمة الخط الحجازى بجانب هذه المسـئلة لثانوية . على ان الحكومة الانجليزيه لاتزال تصرف عنايتها لتعطيل هذا الخط وعدم ايصاله الى مكة المكرمة وسر المسألة انما هو الوصول لهذه الغاية فاذا احسن التدبير والسياسة فى المسئلة الحجازية فمستقبل الدولة مجيد والا فالعاقبة والعياذ بالله وخيمة جدا والانقراض لاقدر الله محقق فليعتبر اولوالامر بالاحوال المراكشية وليتعظوا بهـا بل ليجعلوها دستوراً امام أعينهم فان قيمة مكة المكرمة ليست كغيرها ولا يجوز ان تقاس بشيء سواها

انا اعتقد انه لاينتظر حدوث شيء من هناك ولكن يجب السعي وراء تحقيق الغاية التى نطلبها وها هى تلك انجلترا تعامل المشـايخ الموجودين فى عدن كالملوك فاذا نحن لانعتبر هؤلاء امراء فأنهم يتركوننا وينفضون عنـا وزيادة عن ذلك فأن الحكومة الانجليزية التى جل تبعتها مسلمون تيقظت لاحباط مساعينا وتأمين بغيتها فتراها محاصرة شبه جزيرة العرب من كل الجهات فالسـويس وطورسـينا

بيدها بل ان البقاع الكائنة هناك جميعها تقريبا تحت نفوذهـا ويكفينا واعظا وتذيرا ان تكون عدن هى الواسطة الوحيدة لتحقيق نشر نفوذها فأن هذا المحل اشبه بالزيت يتبسـط دائماً وهى لاترمى من ذلك الا الى اليمن التى نالت جميع الاسلحة بواسطتهاوكذلك نجد حاضر موت تحت مراقبة بريطانيا

اما خليج البصرة فحدث عنه ماشئت ان تحدث فأن الحكومة الانجليزية هناك مالكة حريتها كما تريد فالجا ندرمه وادارة الفنارات جميعها بيدها

ان حكومة انجلترا تصرف موسـوعاتها الآن لاحباط مسـاعى الحكومة العثمانية فى مسـئلة خط بغداد فهي تريد الكويت وتنازعنا فيها لتحقيق هذه الامنية

والخلاصه ان الحكومة الانجليزية تنتظرالفرص المناسبة للاستيلاء عليها رسمياً واظن ان هذه المسئلة اتفق عليها بين الدول العظمى اثناء مذاكراتهم فىالحرب الطرابليسية وترك طرابلس للطليان وهذه الاصقاع للحكومةالانجليزية



مسجد جديد فى رومانيا

ان المسلمين على قلة عددهم فى مملكة رومانيا يستمتعون بكل ما يستمتع به الرومانيون من الحقوق المدنية .

مررت برومانيا فى الشهر الفارطفعرفتمنامر المسلمينهناكان عددهماليوم لا يـكاد يتجـاوز مائة وثلاثين الفـا وان الحـكومة رحيمة بهم شفيقة عليهم . والحقيقة ان رومانيا من بين ممـالك الصليب هى المملكة الوحيدة التى تعـامل سائر رعاياها بالمساواة والعدل دون رعاية لمذهب ولا دين .

ومما عرفته يوم وجودى بها ان الملك والملكة سيشهدان افتتاح مسجد كبير انفق الملك فى بنائه نحوا من عشرين ألف جنيه وقد جاءتبعد ذلك التلغرافات تنبئ بما اقيم فى سبيل ذلك من مراسم الاحتفال والدعاء لامير المؤمنين

وقد اخبرني المفتي في رومانيا ان الحكومة هناك تشجع المسلمين وتحضهم على الاشتغال بالتربية وتخلع على من يشتغلون منهم بالاصلاح خلعها السنيه هكذا تفعل رومانيا مع رعاياها المسلمين وماهم في جانب رعايا فرنسا وانجلترا مثلا سوى شرذمة قليلة ولكن اين ما تفعل هذه مما يفعل هؤلاء

— تابع مظالم البلقان —



عقبى والدة وولدها الطفل فى قوله

الف الملازم واغنز مخابر جريدة رايخشبوت الحربى كتاباً تحت عنوان (النصر حليف الجنود البلغاريه) ولا يخلو من فائدة مطالعة بعض فصول هذا الكتاب الذى محرره محب للبلغاريين لدرجة انه صدر تأليفه باسم المسيو كشوف رأس الوزارة البلغارية ويقصد من هذا التأليف اشهار انتصارات البلغار . ونحن هنا نأتى ببعض عبارات من الأثر المذكور ليتضح للملأ الفظائع التى ارتكبوها سواء فى ذلك مستنيروهم وجهالهم ونحض القراء ان يقايسوا بين عبارات هذا الكتاب وبين ما كتب المسيو استفان مستنداً على بيانات الجنرال بومان وبين التقارير التى نشرها بعض الضباط الفرنسيين فى امر الاضطرابات البلقانية اذ بهذه المقايسة يثبت لذى كاتبى هذه التقارير ان مرسلى البلاء على رأس البلاد البلقانية ليسوا الاتراك وانما هم البلغار وحدهم وهذا نص ماجاء فى الصفحة ٢٠٢ من الكتاب الآنف البيان : « ان الحرب العنصرية التى كانت تجرى فى البلقان كانت مقترنة دائما باعمال همجية فظيعة وفى الدور الاخير وصلت هذه الهمجية الى حد ما بعده حد فى جميع البلاد البلقانية دون استثناء فبنسبة الانتظام الذى كان به الجيش البلغارى كانت العصابات تأتى بأفظع ما يتصور من الجرائم مع الاتراك

وفى الصحيفه ٢٠٣ يقول المؤلف : (منذ سنين عديدة كانت نيران الحرب مشتعلة فى البلقان والبنادق والسيوف حتى المدمرات تعمل فى كافة العناصر الغير البلغاريين . وليس الاتراك فقط الذين كانوا يجزعون من اعمال البلغار الجهنمية بل الالبان والصرب والروم كانوا يرجفون رعباً من الاضطهاد الذى لحقهم من عصابات البلغار . فاويل كل الويل لمن اوقعتهم الاقدار فى ايدى العصابات مهما كان سنه او مذهبه فلا يجد راحماً ولا شفيقا .)

كان الفلاح والمحامى والتلميذ والمأمور والعالم وكافة افراد الطبقات من البلغار يحاربون جنباً لجنب وانه ليدهش الانسان كيف يمكن ان المستنيرين الذين كانوا فى صفوف الجند نسوا التمدن والانسانية وتبعوا زعماءهم من الاشقياء وأتوا معهم ضروب الفواجع . والخلاصة انه لم يكن فرق فى هذه الحرب بين رجال العصابات وبين الطبقة المتربية بل جميعهم كانوا متساوين فى العمل وكلهم انقلبوا رجال عصابات .)



اخواننا يقذف بهم فى نهر واردار بعد المذابح العامه

—§(العصابات فى الروملى)§—

وفى الصفحة ٢٠٥ أشار المؤلف المذكور الى كيفية تشكل العصابات فى الروملى، وماذا فعلت هذه العصابات للتوصل الى الاختلال والثورة حيث قال :-

« جميع العصابات التي في الروملي الشرقية انضموا تحت لواء موجد كافة العصابات في البلاد الروملية وهو اليوزباشي بانيتزا المشهور . وبعد بانيتزا اشتهر في رياسة العصابات ترائيتشو كيتانتشو من مناستر ثم بعد هذا حمو بانيتزا الجنرال نيقولائيو وخلف هذا داميان كرنو الخطيب العام ومن معاونيه المشهورين المعلم كاتزجانتشو وماتو » ثم استطرد الى البحث وقال في الصحيفه ٥٠٦ « انقسمت العصابات سنة ١٨٩٤ الى فريقين فالاولى في سلانيك تحت اسم العصابة العليا والثانية في صوفيا باسم العصابة المركزية . فالعصابة العليا كانت تحت رياسة داميان كرنوا وعصابة صوفيا كان يرأسها الجنرال طونتشو من صنف الرديف الذى خلفه الملازم المشهور بوريس صرافوف

ونشرت جريدة التيمس في ٢٥ فبراير كتاباً مرسلا لمديرها من مارك سيكس احد مبعوثي الانجليز تحت عنوان مظالم المكدونيين وهذا تعريبه :

ايها السيد بعد ان طالعت كتاب مخابركم في البلقان المنتشر في ٢١ فبراير بجريدتكم ترددت كثيراً بادئ الامر في كتابة بعض ملاحظاتي عليه ولكن بدافع الواجبات الانسانية اخذت اسطر هذه الاسطر .

كتاب مخابركم في البلقان يتضمن اشد الدفاع عن المظالم والمذابح والنهب والحرائق التي اجراها البلقانيون طبقا لترتيب وضع من امد بعيد والتي سيسجلها التاريخ عليهم وعلى من سعوا لستر جرائمهم وحبذ عملهم ! ! قال المراسل ان شرين لا يخرج منهما خير واحد ، وان فتيان الاتراك نفروا جميع الناس منهم وان تركيا سيئة الادارة وان ضابطاً تركياً اتى بعمل منكر مع احد الاوربيين وان الشرقيين لا يكادون يأتمنون الاتراك الخ ولكن جميع ما ذكر لا يصح ان يكون عذراً للبلقانيين فيما اتوه من المظالم . فلو كانت الجنود العثمانية هي الفائزة في هذه الحرب فهل يمكن فرض ان اوروبا تسمح لها باكتساح وتخريب بلاد صربيا او بلغاريا او الجبل الاسود او اليونان وهل كانت اوروبا تعفو عن المسلمين لو فعلوا ما كان يفعل البلغار كالقاء المدمرات في الجوامع والمكاتب او كفعل الصرب بالملكة دراغا وزوجها التمس اوكما ارتكب اليونان من انواع الجرائم ؟ ان الحقيقة انه لاتوجد سياسة تدافع عن الحقوق الانسانية ولو ان الاتراك اتوا باخف مما جناه البلقانيون لقامت قيامة حكومات اوروبا وشمال اميريكا عليهم وملأوا الارض صخباً وتهديداً .

ولكن بما ان المسلمين هم المغلوبون فجميع ما ارتكبه البلقانيون من الفظائع



اخواننا المسلمون يشهر بهم فى قواله بعد سمل عيونهم والتمثيل بهم

التى لم ينقل لنا التاريخ امثالها انما نظر اليه نظرة العفو اونظر التأسف لعدم امكان اجتناب ذلك . ومع اطراء مرتكبي هذه الجنايات البشرية بقدر مايساعد لسان القريض لوكان الاتراك يقتلون ويخربون ويحرقون وينهبون لكنت ترى [الصخب عليهم ملاء الكون وشهرت اعمالهم بكل غلو ومبالغة ولكن البلغار هم الجانون على الانسانية بما ذكر من الاعمال الوحشية فلا أحد يحرك ساكناً ويقول ان هذا من مقتضيات منافعهم ولذلك فهم محقون

فالانسان الذى يشعر بوجدان حى لايرضى بان تبنى السياسة على مثل هذه الآساس الجائرة . ليس موضوع البحث هنا الاساءة الى اهالى الهند اوالاضرار بمستقبل حكومات البلقان بل هى وظيفة انسانية محضة تترتب على دول اوروبا وعلى الشعب الانجليزى خاصةً والذى يستوجب المسئولية العظمى هو ان الدول التى ترى لهـا حق الحماية للمسيحيين الذين تحت حكم تركيا يقضى عليها ان تحكم بقسطاس العدل وتكف الجور عن الاتراك الذين هم تحت نيرالحكومات النصرانية المعادية لهم .

وغير معقول ان يشك الانسان فى ان اهل الاسلام لايعاملون الحكومة التى سيكونون تحت سلطتها فى مكدونيا بالحسنى والاطاعة ولكن كل من دقق طبائع الاقوام البشرية وسيما اخلاق الاقوام البلقانية يتحقق له ان سياسة اهالى البلقان اذا لم نقل سياسة حكوماتهم ترمى الى ازالة العنصر المسلم عن سطح البلقان ليتمتعو بثمرات البلاد وحدهم ويتخلصوا من شبهات تكدير صفاء راحتهم .

ممن كانت تتألف العصابات ؟

قال المسيو واغتر فى كتابه السابق الذكر ان هذه العصابات المتألفة من متنورى وجهلاء البلغار كانت ادلاوءها الضباط ومديرو حركاتها الجنرالات فى صوفيا والمعلمون والادباء والشعراء البلغاريون

ـ(الجناية الفظيعة)ـ

« مقتل المغفور له شهيد الحريه والوطن »

بطل الدستور محمود شوكت باشا

كانت خيانات البعض وسوء تدبير الآخرين هى مبعث ما نزل بالمسلمين من الاندحار والتقتيل والخسران فى ربوع مقدونيا ولاتزال خيانة المفرطين تحفر للاسلام مقابر الفناء وتعد للمسلمين هاويات الذل والاستعباد وكأننا ببعض النفوس الوحشية الطباع النمرية الخصال لم يكفها ماحل بدولة الخلافة من الخسائر فى الاملاك والرجال والاموال والارواح وما لحق اخواننا بمقدونيا من تعذيب وتقتيل وارهاق و هتك اعراض و ذبح اطفال و نهب اموال بايدى جماعات البلقانيين المتعصبة المتوحشة فابى عليها لؤم طباعها ودناءة اغراضها و غلظة قلوبها الا ان تدمى عين الاسلام وتزيد كلوم المسلمين وتضاعف آلام الموحدين بقتل المغفور له



بطل الدستور وشهيد الحرية

محمود شوكت باشا

هذه الصورة اخذت من تصوير الافكار

بطل الدستور شهيد الحرية والوطن ولواجب محمود شوكت باشا غيلة فلعنة الله على تلك النفوس الشريرة .

كان يوم الاربعاء الماضى (٦ رجب ١١ يونيه) من اقتم الايام على المسلمين واشدها وقعا على افئدة المخلصين لدولة الخلافة ادامها الله اذ فيه امتدت ايدى المجرمين بالسوء فاغتالت روح ذلك البطل الهمام الذى ما كان يعرف للراحة معنى الا فى خدمة الاوطان ولا كان للملل الى همته سبيل ولا للكلال الى عزيمته الفعالة من باب . ذهب الفقيد فى صباح اليوم المذكور الى نظارة الحربية حيث قام بواجبات وظيفته كما تحتم عليه فروض الاخلاص فى حب الوطن وبالرغم من اخبار محافظة العاصمة جمل بك له يوم الثلاثاء بوجود مؤامرة بقصد اغتياله وكذلك فعل الغازى انور بك وطلعت بك وبالرغم من الحاحهم عليه بالتحفظ على نفسه وأخذ بعض الجنود للمحافظة على حياته أبت عليه شجاعته وحسن ثقته بالله وبابناء وطنه الا ان يسير كالمعتاد وفى منتصف الساعة الثانية عشرة اى بعد الزوال بنصف ساعة فارق الحربية بسيارته متجها صوب الباب العالى . بيد انه ما وصل الى ملتقى ميدان بايزيد بشريط الترامواى الاوراى السائق جنازة امرأة مسلمة تقاطع طريقه فوقف كيما تمر وفى هذه الآونة كانت زمرة الاشقياء المجرمين وعصابة الخونة السفاحين متربصة له فى هذه الجهة وقد اعدت سيارة بجوار فاطمة سلطان چشمه سى لكى تقاطع طريق سيارة الصدر وتعيق سيره حتى يتمكنوا من اغتيال حياته الغالية وكان رائدهم الشرير توفيق الاعرج من كبار المجرمين يرقب مجئ سيارة الصدر ليعطيهم الاشارة المتفق عليها بيد ان مرور الجنازة كفاهم مؤنة السعى فى ايقاف سيارة الصدر ومكنهم من انفاذ مؤامراتهم الجهنمية فسرعان ما تقدم ذلك المجرم الاعرج واطلق مسدسه على الصدر الاعظم المحبوب فدخلت الرصاصة من اسفل خده الايمن ووصلت الى دماغه فخربت الجزء الاعلى من النخاع الشوكى وفى الحال امطرت العصابة وابلا من الرصاص على السيارة بسرعة مدهشة فالقى الياور المقدام ابراهيم بك نفسه ليحول دون رصاص المجرمين وجسم الفقيد ولكن سرعان ما خرمته رصاصات المجرمين فخر مجندلا لوقته واستمر الرصاص يمطر الصدر حتى اصابه سبعة فى رأسه وصدره و ذراعه الايمن وجرح سائق السيارة فى رأسه وكاظم اغا الذى حاول المدافعة فلم تصبه رصاصة من احد الاشقياء اما الياور اشرف بك فقد حاول قتل المجرمين بيد ان

مسدسه لم ينطلق فاذ ذك حاول القبض على بعض القتلة ففروا واسرع هو الى نظارة الحربيـة لاحضـار القوى اللازمة للقبض على المجرمين و فى الوقت عينه عاد السائق بالسيارة الى نظارة الحربيـه حيث نقل الفقيد الى دائرة شـورى العسكر وهرع اطباء النظارة لمعالجته بيد ان حالته كانت خطره وماهى الا بضع دقائق لم ينطق فيها الفقيد الا هاما سبق قوله « للملة من خونة الوطن » ثم لفظ اخر انفاسه بكل سكون وهدوء وهنالك ارتجف قلب الاسلام وحزن على فقد خير رجاله العاملين وزهرة ابنائه المخلصين واخذت كل عين تدمع دما وكل قلب يتفتت حزنا واسى وتلهفا



—« الياور الفدائى شهيد الواجب الملى »—

ابراهيم بك الملازم البحرى

على ماحل بالاسلام بفقد بطل الدين والوطن محمود شوكت الفاروقي تغمده الله برضوانه .

و اول من حضر من رجال الشحنة الى محل الوقعة هو اسماعيل حقي بك الذي رأى احد المجرمين توفيق الاعرج الذي تركه رفاقه عند مافروا بسيارتهم يقطعون الفضاء مارين بجهات أقسراي فطاش قصاب فطوب قابو فانفيه‌جي فخارج سور الاستانة فالكاغد خانه حيث ذهب الى شيشلي .اخذ هذا المجرم الاعرج يعدو طلبا للنجاة ولما امره البوليس بالوقوف اطلق عليه النار فجاوبه البوليس بالمثل بيدانه كان يحتمي بمنعرجات الطرق واخيرا اختفى بخان العشائر حيث التى تحت سلالمه‌مدية ذات شفرين ومسدسا وبعض الرصاص ولكنه خاف ان يلقاه البوليس فالتجأ الى المرحاض واخذ يلقى برصاصه ومسدسه الاخر وهو مرتبك من شدة خوفه فحضر البوليس النجيب اسماعيل حقي بك واخرجه ثم التى بعض الرصاص واخرج كل ماقذفه ذلك المجرم تحت قباب السلالم وبالمرحاض وساقه الى ديوان الحرب العرفي حيث شهدت السيدة [illegible] هانم من سكان اسكدار التى رأت الحادثة بان هذا الرجل كان شر المجرمين . وباهتمام البوليس تمكن بعد زمن قصير من اظهار السيارة فاذابها نمرة ٧٨ ملك عبدالرحمن نجل اكبر جواسيس عبدالحميد واذا سائقها يدعى جوادا فالقى البوليس القبض عليهما ورغم انكار جواد الجريمة اولا اعترف بها بسبب الحرق الذى اصاب جبهته أثناء هربه ثم التى البوليس القبض على المدعو امين الاعور فوجد معه مفتاح اسرار المؤامرة وهو عبارة عن سند من الدماد صالح باشا بالف جنيه يعطيها اياه عند ماينفذ العمل المتفق عليه بينهما فالقى البوليس القبض ايضا على صالح المذكور واخيه طاهر خيرالدين وغيرهم من جماعات المتآمرين بناء على ماكان يظهر من التحقيق .وفى صباح يوم الجمعه احتفل كل الخليقة والحكومة وجميع افراد الامة بتشييع جنازة الشهيد العظيم وزميله ياوره المرحوم ابراهيم بك فارسل مولانا الخليفة انجاله الامراء ينوبون عنه فى آخر وداع لهذا البطل المخلص الذى وسد بجوار اخوانه المجاهدين فى دائرة الحرية الابديه . وفى يوم الجمعة التى البوليس القبض على حقي صاحب علمدار الذى حاول الهرب اولا فلم يفلح ثم طلب من البوليس ان يرافقه الى محل يريدالذهاب اليه اولاثم يرافق البوليس الى حيث شاءفرأى البوليس السرى انه بذلك قد يكشف مكا من اولئك المجرمين فذهب معه الى جهة بك اوغلى الى حارة خلف نزل توكاتليان تسمى بيره محمد سوقاغى

حيث دخل حتى و بعد قليل خرج فاخذه البوليس الى ديوان الحرب العرفى بعد ان بث العيون والارصاد حول هذا المنزل الذى يشبه المعاقل اوبروج بعض امراء العصور الوسطى والذى اتخذه المسيو نيقولا فيلج الانجليزى التبعية موئلا للفسوق والقمار وملجأ للاشرار وفى الساعة الثانية بعد ظهر اليوم المذكور اراد البوليس دخول البيت المذكور فمانعت صاحبة البيت وقالت لن آذن بذلك حتى يحضر احد رجال القونصليه فبعث البوليس الى القونصليه وفى الوقت عينه اقتحم كل من المرحوم حلمى بك ياور جمال بك محافظ العاصمة وصماويل بك احد رؤساء البوليس الباب فسرعان ما اغلق عليهما وامطرها الاشقياء رصاصا مزقهما . عندئذ ضرب البوليس نطاقا من الجند حول الابنية المجاورة



احد اركان الامن فى دار السعاده الشهيد
حلمى بك

وبدأت معركة دامت ساعتين بين البوليس وجماعة المجرمين المتحصنين بذلك البيت وبعد ان اطلق كل من الطرفين نحو الف رصاصة تمكن رجال الاطفائية

من فتح كوة بسقف المنزل وتمكن رجال الجندرمه من الدخول منها للقبض على زمرة المجرمين بعد جرح نفر من الجندرمه ومحمد على احد كبار المجرمين. ولقد وجد البوليس بالمنزل بعض القنابل اليدويه وصند وقامن مسدسات موزر وآخر من الذخائر الحربية ومقادير عظيمة من الرصاص والطعام والخمور وقد توفى المرحوم حلمى بك البطـل المغوار من أثر جراحه واحتفلت الامة به لما عرفته عنه من الغيرة والشهامة والاقدام والاخـلاص ويكفى القارئ ان يقرا وصيته الى زوجته ليدرك كبر روح هذا البطل وشدة يقينه فى الله وحبه لبلاده وقد فتش البوليس عدة منازل فالفى مقادير مختلفة من الاسـلحة والقنابل والوثائق الكتابية الدالة على ان هذه المؤامرة مدبرة بواسـطة عدد عظيم من عباد المصالح الشخصية الذين خربوا البلاد قديما ويريدون تدميرها تماما للحصول على الوظائف وناهيك بكامل وجمال الدين وشريف ورشيد ومنير وصباح الدين وصالح ومن على شـاكلتهم ممن اثبت التحقيق اجرامهم الفظيع الذى لابد من معاقبتهم عليه بكل شدة خصوصا بعد ثبوت اشتراك بعض السفارات معهم. ان هذا الخطب ألم بالمسـلمين فكاد يضعضع اركانهم ويخمد انفاس حكومتهم المستقلة ولولا الهمة الشـديدة واليد الحديدية والمهارة الغريبة واليقظة الدائمة التى اظهرتها الحكومة ورجال البوليس لاتسع الخرق واستفحل الخطب وعز الدواء خصوصا بعد ان رأينا فى ذلك الحادث الخونة اولئك يطلبون من الدول انزال جنودهم الى البر واحتلال العاصمة بحجة المحافظة على مصالح رعاياهم ولكن الله سـلم .وانا لنعزى العـالم الاسلامى باسره على فقد تلك الارواح الشريفة خصوصا بطل الدسـتور سيف الوطن المسلول المغفوله محمود شوكت باشا ونعد القراء بنشر التحقيق باسهاب فى الاعداد الاتية مع تفصيل ترجمة فقيدنا العظيم ان شاالله

—(آخر الانبـاء)—

انعقد فى باريس المؤتمر الدولى المالى منذ ثمانية ايام للبت فى الشئون المالية المترتبة على الحروب البلقانية والمواد التى يراد التظرفيها تنحصر فيما يلى

(١) مقدار ما يخص الاراضى المنسلخة عن الدولة العثمانية من الديون الدولية الاروبية وقد قيل انها لاتقل عن اثنى عشر مليونا من الجنيهات ولا تزيد عن عشرين مليونا

(٢) السكك الحديدية والامتيازات التى احرزها الماليون الفرنسيون قبل وقوع تلك الحرب فى تركية اروبا

(٣) الغرامة الحربية التى تطلبها حكومات البلقان المتفقه

هذه هى خلاصة المواد التى يتدارسها المؤتمر اليوم .

وآخر الاخبار ان روسيا وفرنسا تظاهر ان حكومات البلقان فى طلب الغرامة وان المانيا وايطاليا متحيزتان لتركيا حرصاً على منافعهما الماليه وثبت ان مقدار الغرامة الحربية التى تطلبها حكومات البلقان يبلغ ثمانية وستين مليونا من الجنيهات وان مقدار مايخص الولايات المقدونية المنسلخة اربعة وعشرين مليونا يراد ان تحملها حكومات البلقان ولاندرى ماذا ان يكون موقف رجال الدولة ازاء ذلك المطلب لاسيما بعد ان اخذت فرانسا تجاهر بمظاهرة البلقانيين وترويج مطالبهم

***

تنشر الجرائد اليوم اخبارا مزعجة عن بلاد العرب والعراق . ولقد يرى القارئ لانبائها ان يد الانجليز هى الموقدة لنيرانها فمتى يريح الله الدنيا من هذه الحكومة الكائدة الماكره ؟

وعسى الله ان يكتب لرجال حكومتنا التوفيق حتى تسلم البلاد من فتن جديدة تزيدنا رهقا وخسارا .

(طبقات القراء)

للامام شمس الدين الذهبي

المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية

(اعتنى بنسخه وتصحيحه فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالعزيز)
جاويش

سنة ١٣٣١ هـ

طبع فى مطبعة السامى بالاستانة العلية

ـــ(مقدمة الناشر)ـــ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وحده وبعد فقد كثر في هذا الوقت في فتنة المسلمين في دينهم وتصدى المبشرون بالصليب لنشر الشبهات والمفتريات يريدون بذلك ان يصدفوا الناس عن الاسلام ويريبوهم في امر القرآن ولاريب ان هذا الكتاب الكريم قد وعدنا الله القيامة عليه ووقايته من كل شر يراد به . وقد صدق الله وعده فحفظ الذكر الذى انزله وصانه منذ بدء الوحى الى يومنا هذا من التحريف والتبديل والزيادة والنقص ونحوها مما اصاب الكتب السماوية الاخرى .

ولقد قيض الله لقرآنه المجيد من العلماء الثقات من دونوا تاريخه واسماء حفاظه منذ عهد الرسول عليه السلام حتى لقد اثبتوا انه كان يحفظ القرآن لعهد الرسول الف وستمائة ونيف من الصحابة وهؤلاء هم الذين دارت عليهم اسانيد قراءة الأئمة العشرة كما تعلمه مما كتب في هذا الموضوع من الكتب .

ولكن المسلمين قد اغفلوا نشر هذه الكتب بل جهلوا ان هناك كتبا في هذا المبحث اورثهم اياها سلفهم الصالح فلم يقصر دعاة النصرانية في الاستفادة من غفلتهم هذه فهم لا يفتأون ينشرون فيهم من الشبهات والشكوك مايريدون ان يلبسوا به على المسلمين الامر في قرآنهم الذى هو عماد دينهم وكنز سعادتهم وامامهم الذى اضلهم عدم الاقتداء به

افترص دعاة الصليب جهل المسلمين بتلك الكتب فانشأو ايبثون بينهم من تلك الاكاذيب ماقد وجد سبيله الى بعض الجهلة من اؤلئك الغافلين . ولقد عثرت فيما رأيت في خزائن الكتب بالقسطنطنية على كتاب للامام الذهبى سماه طبقات القراء فرأيت ان من البر بالدين الحنيف وبعلم التاريخ ان انشر هذا الكتاب الجليل حتى يعرف المسلمون من امر قرآنهم المجيد ماطال جهلهم به وحتى يرتد دعاة النصرانية على اعقابهم خائبين خاسرين .

اما الذهبي صاحب هذا الكتاب فهو شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد ابن عثمان بن الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية .وقد اخذ كتابه هذا من تاريخه الكبير. اطلعت على كتاب طبقات القراء هذا فى مجموعة بدار الكتب (كوپريلى) بالاستانة العلية وهو مذيل برسالة لابن مكتوم اتى فيها على ما اغفله الذهبي وعلى هذه النسخة اعتمدنا فى طبع هذا الكتاب والله الهادى الى الصواب .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم الحافظ بقية السلف عمدة الخلف شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن الذهبي رحمه الله الحمدلله وسلام على عباده الذين اصطفى . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له مالمع نور واختفى . واشهد ان محمداً عبده ورسوله سيد الشرفا . وحسبى الله وكفى . اما بعد فهذا كتاب فيه معرفة المشهورين من القراء الاعيان اولى الاسناد والاتقان والتقدم فى البلدان على الطبقات والازمان والله تعالى المستعان .

—(باب الطبقة الأولى)—

الذين عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم عثمان بن عفان ابن ابى العاص بن امية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب امير المؤمنين ابو عمرو ابو عبدالله القرشي الأموى ذو النورين رضى الله عنه احد السابقين الاولين واحد من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ عليه المغيرة بن ابى شهاب المخزوى ويقال قرأ عليه ابن عامر وليس بشئ انما قرأ على المغيرة وحدث عنه بنوه ابان وعمرو وسعيد وحمران بن ابان وابن عباس وعبدالله بن عمر بن الخطاب وانس بن مالك رضى الله عنهم اجمعين والسائب بن زيد وابوامامة بن سهل وابو عبدالرحمن السلمى والأحنف بن قيس وطارق بن شهاب وخلق كثير تزوج بابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية رضى الله عنها فولدت له عبدالله وبه كان يكنى ثم كنى بابنه عمرو فلما توفيت رقية ليالى بدر زوجه النبي صلى الله عليه وسلم باختها ام كلثوم رضى الله عنها وكان معتدل الطول حسن الوجه كبير اللحية اسمر بعيد مابين المنكبين مخضبا بالصفرة قال السائب رأيته فما رأيت شيخاً اجمل منه . قلت سقت اخباره فى تاريخ الاسلام

وقتل شهيداً فى داره مظلوماً قاتل الله قاتله فى ثامن عشر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وله اثنتان وثمانون سنة على الصحيح رضى الله عنه .

—(على ابن ابى طالب)—

ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب امير المؤمنين ابو الحسن الهاشمى رضى الله عنه احدا لسابقين الاولين لم يسبقه الى الاسلام الا خديجة رضى الله عنها واختلف فيه وفى ابى بكر رضى الله عنهما ايهما اسلم اول ولكن اسلام الصديق كان انفع للاسلام واكمل لأن علياً رضى الله عنهما اسلم وله ثمان سنين وقيل تسع سنين و قيل ابن عشر سنين وقيل ابن اثنى عشرة سنة وقيل ابن ثلاث عشرة و قيل ابن خمس عشرة قال ابن عيينه عن جعفر الصادق عن ابيه ان عليا قتل وهو ابن ثمان وخمسين سنة قال المؤلف هذا يطابق انه اسلم وله ثمان سنين لأن النبى صلى الله عليه وسلم بعث فأقام بمكة عشراً وبالمدينة عشرا وعلى قول من يقول اقام بمكة ثلاث عشرة سنة كما قال الشاعر « ثوى فى قريش بضع عشرة حجة » فيكون على اسلم وله خمس سنين اونحوها وروى عبد الله ابن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية قال قتل ابى وله ثلاث وستون سنة وكذا قال ابو اسحاق السبيعى وابو بكر بن عياش وجماعة ورواه فرات بن السايب عن ميمون بن مهران عن ابن عمر وهى رواية اخرى عن ابى جعفر الباقر و قال الهيثم بن عدى وابو بكر ابن البرقى عاش سبعاً وخمسين سنة ومناقب على رضى الله عنه يضيق المكان عنها وقد افردت سيرته فى كتاب سميته فتح المطالب فى اخبار على ابن ابى طالب اجمع المسلمون على انه قتل شهيداً يوم قتل وما على وجه الارض بدرى افضل منه قتله ابن ملجم المرادى صبيحة سابع عشرة من رمضان سنة اربعين من الهجرة بالكوفة وكان قد جمع القرآن بعد وفات النبى صلى الله عليه وسلم وقال الشعبى لم يجمع القرآن احد من الخلفاء الاربعة الا عثمان وقال ابو بكر ابن عياش عن عاصم قال ما اقرأنى احد حرفاً الا ابو عبد الرحمن السلمى وكان قد قرأ على على رضى الله عنه فكنت ارجع من عنده فاعرض على زيد وكان زيد قد قرأ على ابن مسعود فقلت لعاصم لقد استوثقت قلت هذا يرد على الشعبى قوله وقال على بن رماح جمع القرآن فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة على وعثمان وابى بن كعب وعبد الله بن مسعود و قال حماد بن زيد انبأنا ايوب عن

ابن سيرين قال مات ابو بكر رضي‌الله عنه و لم يختم القرآن و قال ابن عليه عن منصور بن عبدالرحمن عن الشعبي قبض ابوبكر وعمر وعلي رضي‌الله عنهم ولم يجمعوا القرآن وقال يحيي بن آدم قلت لابي بكر بن عياش تقولون ان عليا رضي‌الله عنه لم يقرأ القرآن قال أبطل من قال هذا و روى عاصم ابن ابي النجود عن ابي عبدالرحمن السلمي قال مارأيت احدا كان اقرأ من علي ، وقال ابن سيرين يزعمون ان علياً كتب القرآن على تنزيله فلو اصبت ذلك الكتاب لكان فيه علم .

ابي بن كعب

ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن المنذر الانصاري رضي‌الله عنه اقرا الامة عرض القرآن على النبي صلى‌الله عليه وسلم اخذ عنه القراءة ابن عباس وابوهريرة وعبدالله بن السايب وعبدالله بن عياش بن ابي ربيعة وابو عبدالرحمن السلمي وحدث عنه سويد بن غفلة وعبدالرحمن بن ابزى وابوالمهلب وآخرون شهد بدراً والمشاهد كلها و مناقبه كثيرة وكان ربعة من الرجال شيخاً ابيض الرأس واللحية روى سلام عن زيد نعمي (هكذا بالاصل) عن ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري رضي‌الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم هذه الأمة بها ابوبكر وذكر الحديث وفيه واقرأهم لكتاب الله ابي بن كعب سلام ضعيف وزيد حسن الحديث وقال حماد ابن سلمة عن عاصم الاحول عن ابي قلابة ان رسول الله صلى‌الله عليه وسلم قال أقرأهم ابي بن كعب هذا مرسل جيد وقال ابن ابي مليكة سمعت ابن عباس يقول قال عمر رضي‌الله عنه اقضانا علي واقرأنا ابي وقال قتادة عن انس رضي‌الله عنه ان النبي صلى‌الله عليه وسلم قال لأبي اني أمرت ان اقرأ عليك وفي لفظ ان اقرئك القرآن قال الله سماني لك قال نعم فبكى ابي وقال ايوب سمعت ابا قلابة عن ابي المهلب قال كان ابي يختم القرآن في ثمان « اسناده صحيح » وقال له النبي صلى الله عليه وسلم ليهنك العلم ابا المنذر وقال عمر رضي الله عنه يوم موت ابي اليوم مات سيد المرسلين توفي بالمدينة قال ابن معين سنة عشرين او تسع عشرة وقال الواقدي ومحمد بن عبدالله بن عمر ومحمد بن يحيي والترمذي سنة اثنين وعشرين قلت ابي بن كعب اقرأ من ابي بكر ومن عمر و بعد هذا فما استخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابيا بل استخلف ابابكر على الصلاة

وقد قال صلى الله عليه وسلم يؤم القوم اقرأهم لكتاب الله الحديث وهذا مشكل (وقد وجد خدوهذه العبارة بهامش بالاصل ما نصه . وهذا يقوى حجة من قال معنى اقرأكم افقهكم .) قال ابووائل عن مسروق عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول استقرأوا القرآن من اربعة عبدالله بن مسعود وسالم مولى ابن حذيفة ومعاذ بن جبل وابى بن كعب رضى الله عنهم .

عبدالله بن مسعود

ابن غافل بن حبيب بن شمخ بن مار بن مخزوم بن صاهله بن كاهل بن الحرث بن تيم (هكذا بالاصل) بن سعد بن هذيل بن مدركه بن الياس بن مضر بن نزار ابو عبدالرحمن الهذلى المكى حليف بنى زهرة رضى الله عنه كان من السابقين الاولين ومن مهاجرة الحبشة شهد بدرا واحتزرأس ابى جهل فاتى به النبى صلى الله عليه وسلم وكان احد من جمع (هكذا بالاصل ولعله جمعوا) القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واقراه (هكذا بالاصل ولعله واقراوه)وكان يقول حفظت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة قرأ عليه علقمة ومسروق والاسود وزر بن حبيش وابو عبدالرحمن السلمى وطائفة وتفقه به خلق كثير وكانوا لا يفضلون عليه احدا فى العلم وامه ام عبد هذلية ايضاً من المهاجرات الاول وكان ابن ام عبد يخدم النبى صلى الله عليه وسلم ويلازمه ويحمل نعل النبى صلى الله عليه وسلم اذا خلعها وكان أدم خفيف اللحم لطيف اقد احمش الساقين حسن البزه طيب الرائحة موصوفاً بالذكاء والفطنة . اسلم قبل عمر رضى الله عنه وقد قال له النبى صلى الله عليه وسلم انك لغليم معلم وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم آخ بين الزبير وابن مسعود وقال ابوموسى ما كنت احسب ابن مسعود وامه الامن اهل البيت لكثرة دخولهما وخروجهما وكان النبى صلى الله عليه وسلم يطلع ابن مسعود على اسراره ونجواه وكان يتولى فراش النبى صلى الله عليه وسلم ووساده وسواكه ونعله وطهوره وروى عبيدة السلمانى عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم من احب ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأ قراءة ابن ام عبد وسمعه يدعو فقال سل تعط وقال لرجل عبدالله فى الميزان اثقل من احد و قال تمسكوا بعهد ابن ام عبد وقال

حذيفة ما اعلم احدا اقرب سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يواريه بيته من ابن ام عبد وقال ابو وائل عن عبد الله قال لقد علم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اقرأهم لكتاب الله عز و جل وقال ابو مسعود والله لا اعلم احدا تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بكتاب الله تعالى من هذا واشار الى ابن مسعود رواه مسلم وقال زيد بن وهب جاء ابن مسعود الى مجلس عمر رضى الله عنهما فجعل يكلم عمر ويضاحكه فكاد الجلوس يوازونه من قصره فلما ولى قال عمر كنيف ملئ علماً (هكذا بالاصل) وقال ابو موسى مجلس كنت اجالسه ابن مسعود اوثق فى نفسى من عمل سنة وقال الأعمش عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير قال جاءنى (هكذا بالاصل ولعله جاء مى) عبد الله الى ابى الدرداء فقال مانزل بعده مثله اتفق ان عبد الله وفد من الكوفة فمات بالمدينة فى اخر سنة اثنتين وثلاثين رضى الله عنه

زيد بن ثابت

ابن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار ابو سعيد وابو خارجة الانصارى الخزرجى النجارى المقرى الفرضى كاتب النبى صلى الله عليه وسلم وامينه على الوحى رضى الله عنه كان اسن من انس بسنة وكان شاباً ذكياً ثقفاً جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعه فى صحف لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم تولى كتابة مصحف عثمان رضى الله عنه الذى بعث به عثمان نسخا الى الامصار قرأ عليه ابو هريرة وابن عباس فى قول وروى عنه ابنه خارجة وابن عمر وانس وعبيد بن السباق وعطا بن يسار وحجر المدرى وعروة وطاوس واخرون و شهد الخندق وبيعة الرضوان وكان عمر رضى الله عنه يستخلفه على المدينة اذا حج قال انس جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد وابى ومعاذ وابو زيد الأنصارى قال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمر حدثنى الضحاك بن عثمان عن الزهرى قال قال ثعلبة ابن ابى مالك سمعت عثمان يقول من يعذرنى من ابن مسعود غضب اذلم اوله نسخ القرآن فهلا غضب على ابى بكر وعمر وهما عزلاه عن ذلك و وليا زيدا فاتبعت امرهما وقال وكيع عن سفيان عن خالد عن ابى قلابة عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال افرض امتى زيد بن ثابت وقال الشعبى فلب (هكذا

بالاصل قلب) زيد الناس على القرآن والفرايض داود بن ابى هند عن الشعبي قال لم يجمع القرآن فى حياة رسول الله عليه وسلم غيرستة كلهم من الانصار زيد بن ثابت وابو زيد ومعاذ بن جبل وابى بن كعب وأبو الدرداء ونسى السادس رواه اسماعيل بن ابى خالد عن الشعبي فسمى السادس سعد ابن عبيد وزاد اخر وهو مجمع بن جاريه فقال قرأ ايضا القرآن الا سورة او سورتين اوثلاثا قال حفص عن عاصم عن ابن عبدالرحمن قال لم اخالف عليا فى شئ من قراءته كان زيد يقرأها بالهاء وعلى بالتاء . قلت له مناقب جمة وتوفى سنة خمس واربعين على الأصح .

ابوموسى الاشعرى

عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار الاشعرى اليمانى رضى الله عنه هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقدم عليه عند فتح خيبر وحفظ القرآن والعلم ولئن قصرت مدة صحبته فلقد كان من نجباء الصحابة وكان من اطيب الناس صوتاً سمع النبي صلى الله عليه وسلم قراءته فقال لقد اوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود وقد استغفر له النبي صلى الله عليه وسلم واستعمله على زبيد وعدن ثم ولى امرة الكوفة والبصرة لعمر رضى الله عنه وحكمه على رضى الله عنه على نفسه فى شأن الخلافة لجلالته وفضله فمكر به عمرو وخدعه وقرأ عليه ابو رجاء العطاردى وحطان الرقاشى وروى عنه بنوه ابوبكر وابو بردة و موسى و ابراهيم وربعى بن حراش وزهدم الجرى وسعيد بن المسيب وخلق سواهم وافتتح اصبهان زمن عمر ومحاسنه كثيرة توفى فى ذى الحجة سنة اربع واربعين على الصحيح رضى الله عنه .

ابو الدرداء

عويمر بن زيد ويقال ابن عبدالله ويقال ابن ثعلبة الانصارى الخزرجى رضى الله عنه حكيم هذه الأمة قرأ القرآن فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد تأخر اسلامه عن بدر فأبلى يوم احد بلاء حسنا وآخ رسول لله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمان وكان مقدمه المدينة آخ عند بين المهاجرين والانصار وهذان اسلما بعد ذلك بعدة فآخ بينهما وقد ولى ابو الدرداء قضاء دمشق وكان من العلماء الحلماء الالباء يقال ان عبدالله بن عامر قرأ عليه وروى عنه انس وابو امامة وزوجته ام الدرداء وابنه بلال وعلقمة وخير بن نفير وسعيد بن المسيب وما احسبه لقيه وابو ادريس الخولانى وخالد

ابن ممدان وغيرهم . توفى سنة اثنين وثلاثين وماخلف بالشام كلها بعده مثله رضى الله عنه قال سويد بن عبدالعزيز كان ابوالدرداء اذا صلى الغداة فى جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه فكان يجعلهم عشرة عشرة وعلى كل عشرة عريفاً ويقف هو فى المحراب يرمقهم ببصره فاذا غلط احدهم رجع الى عريفه فاذا غلط عريفهم رجع الى ابى الدرداء يسئله عن ذلك وكان ابن عامر عريفاً على عشرة كذاقال سويدفلما مات ابوالدرداء خلفه ابن عامر وعن سام (هكذا بالاصل) بن مشكم قال قال لى ابوالدرداء اعدد من يقرأ عندى القرآن فعددتهم الفاً وستمائة ونيفاً وكان لكل عشرة منهم مقرئ وكان ابوالدرداء يكون عليهم قائما واذا احكم الرجل منهم تحول الى ابى الدرداء رضى الله عنه فهؤلاء الذين بلغنا انهم حفظوا القرآن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم واخذ عنهم عرضاً و عليهم دارت اسانيد قراءة الائمة العشرة وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة معاذ بن جبل وابى زيد وسالم مولى ابى حذيفة وعبدالله بن عمرو عتبة ابن عامر ولكن لم تتصل بنا قراءتهم فلهذا اقتصرت على هؤلاء السبعة رضى الله عنهم واختصرت اخبارهم فلو تتبعتها كلها لبلغت خمسين كراسا .

الطبقة الثانية

وهم الذين عرضوا على بعض المذكورين قبلهم ابوهريرة فى اسمه عدة اقوال اقواها و اشهرها عبدالرحمن بن صخر الدوسى الحافظ رضى الله عنه وكان اسمه فى الجاهلية عبد شمس اسلم سنة سبع هو وامه وروى مالايوصف عن النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن على ابى بن كعب قرأ عليه غيرواحد وروى عنه نحو من ثمانمائة نفس وحديثه فى مسند بقى بن مخلد (هكذا بالاصل) اكثر من خمسة آلاف حديث وكان اماماً مفتياً فقيها صالحاً حسن الاخلاق متواضعاً محبباً الى الائمة روى عنه سعيد بن المسيب وابو سلمة بن عبدالرحمن وعبيدالله ابن عبدالله وابو صالح السمان وابو حازم الاشجعى وعروة وابن سيرين وهمام بن منبه وسعيد المقبرى وكان ادم بعيد مابين المنكبين ذا ضفيرتين افرق الثنيتين

يخضب بالحمرة وقدذاق جوعاً وفاقة ثم استعمله عمر رضى الله عنه فأثرى وكثرماله وولى امرة المدينة زمن معوية وكان كثير العبادة والذكر وقدمرفى ولايته وهو يحمل حزمة حطب و يقول اوسع الطريق للأمير روى محمد بن عمر الاسلمى حدثنا عبدالحميد بن جعفر عن ابيه عن زياد بن مينا قال كان ابن عباس و ابن عمر وابو هريرة وابوسعيد وجابر وغيرهم من الصحابة يفتون بالمدينة و يحدثون من لدن توفى عثمان رضى الله عنه وعنهم الى ان توفوا و الى هؤلاء الخمسة صارت الفتوى توفى ابو هريرة سنة سبع وقيل سنة ثمان وخمسين والقولان مشهوران

عبدالله بن عباس

ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبدمناف الحبر البحر ابوالعباس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه قرا القرآن على ابى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعمر وعثمان وعلى وابى ذر ووالده وابى سفيان رضى الله عنهم وغيرهم . قرأ عليه مجاهد وسعيد بن جبير والاعرج و عكرمة بن خالد وسليمان بن قتة شيخ عاصم الجحدرى وابو جعفر و غيرهم وحدث عنه عكرمة وعطا وطاوس و ابوالشعثا وعلى بن الحسين وخلق لايحصون. دعاله النبى صلى الله عليه وسلم وقال جمعت المفصل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر انه كان فى حجة الوداع وقد ناهز الاحتلام وكان ابيض طويلا مشرباً قده جسيماً وسيماً مليح الوجه مخضبا بالحنا مديد القامة قال عطاما رايت البدر الاذكرت وجه ابن عباس رضى الله عنه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس بت عند خالتى فوضعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم غسلاً فقال من وضع هذا قالوا عبدالله قال اللهم علمه التأويل وفقهه فى الدين رواه ايضاً عبيدالله بن ابى يزيد عن ابن عباس وروى كريب عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاله ان يزيده الله فهما وعاما ومناقب ابن عباس رضى الله عنه غزيرة وسعة علمه اليه المنتهى ولم يكن على وجه الارض فى زمانه احد اعلم منه توفى بالطايف سنة ثمان وستين وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات ربانى الائمة وقدكف بصره فى أواخر عمره رضى الله عنه



عبدالله بن السايب

ابن ابی السایب صفی بن عاید بن عمر بن مخزوم المخزومی قاری اهل مکة ابو السایب وقیل ابو عبدالرحمن له صحبة ورواية يسيرة وهو من صغار الصحابة وابوه اوجده رضی‌الله‌عنهم فكان شريك النبی صلى‌الله عليه وسلم قبل النبوة قرأ على عبدالله القرآن على ابی بن كعب وروى ايضاً عن عمر رضی‌الله عنه عرض عليه القرآن مجاهد وعبدالله بن كثير فيما قيل وحدث‌عنه ابن ابی‌ملكيه (عله‌مليكة)وعطا وابن بنته محمد بن‌عباد بن جعفر وآخرون قال مسلم وابن ابی حاتم وغيرهما له‌صحبة وقال الزبير بن بكارحدثناابو حمزةانس عمن حدثه عن ابی السايب عبدالله‌بن السايب المخزومی قال كان جدی‌فی الجاهلية يكنى ابا السايب وبه اكتنيف وكان خليطا للنبی صلى‌الله عليه وسلم فی الجاهلية فكان عليه السلام اذا ذكره قال نعم الخليط كان ابو السايب لايشارى ولا يمارى ابن عيينة عن داودابن‌شابورعن‌مجاهدقال ذ(هكذابالاصل)نفتخرعلى‌الناس‌بقاريناعبدالله‌بن‌السايب وبفقيهنا ابن عباس وبمؤذننا ابن محذورة وبقاضينا عبيد بن عمير الليثى . قلت توفی‌فی حدود سنة‌سبعين فی‌امرة ابن‌الزبيرقال‌ابن‌ابی‌ملكيه(عله‌مليكة) رأيت ابن عباس قام على قبر عبدالله ابن‌السايب فدعاله ثم انصرف‌قاله ابن نميرعن‌ابن جريج عن ابن ابی مليكة .

المغيرة بن شهاب

المخزومی قرأ القرآن على عثمان رضی‌الله عنه وعليه قرأ عبدالله بن عامر اليحصبی واحسبه كان يقرئ بدمشق فی دولة معاوية ولا يكاد يعرف الا من قراءة ابن عامر عليه قرأت بخط‌القطاع انه مات سنة‌احدى وتسعين وله تسعون سنة واسم‌ابيه عبدالله‌بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة بن‌مخزوم خطان بن عبدالله الرقاشی ويقال السدوسی‌البصری قرأ على ابی موسى الاشعری . قرا عليه‌الحسن البصری وسمع من علی وعبادة بن الصامت رضی‌الله عنهما روى عنه‌الحسن ويونس بن‌جبير وابومجلزلاحق‌بن‌حميدوكان‌كبيرالقدرصاحب ورع وعلم احسبه مات سنة نيف‌وسبعين.

الأسود بن يزيد

النخعي ابو عمرو اخذالقراءة عرضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه وحدث عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ وبلال وعايشة رضي الله عنهم وجماعة قرا عليه يحيى بن وثاب وابراهيم النخعي وابو اسحاق السبيعي وكان اسن من علقمة سنوات قال منصور عن ابراهيم كان الاسود يختم القرآن في كل سنة وفي رمضان في كل ليلتين وكان علقمة يختمه في خمس وروى يزيد بن عطا عن علقمة بن مرثد قال كان الاسود بن يزيد يصوم حتى يخضر جسده ولقد حج ثمانين من حجة وعمرة قلت كان الأسود بن يزيد راسا في العلم والعمل وكان من كبار اصحاب ابن مسعود روى عنه ابراهيم النخعي وابنه عبدالرحمن بن الأسود واخوه عبدالرحمن وعمارة بن عمير وابو اسحاق قال المدائني توفي سنة خمس وسبعين وقال غيره قبل ذلك .

علقمة بن قيس

ابن عبدالله بن مالك ابو شبل النخعي الفقيه عم الأسود بن يزيد وخال ابراهيم النخعي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن على ابن مسعود وسمع من عمر وعلي وابي الدرداء وعايشة رضي الله عنهم وطائفة قرأ عليه يحيى بن وثاب وعبيد بن نضيله وابو اسحاق وغيرهم وتفقه به ابراهيم والشعبي وروى عنه ابراهيم بن سويد وابو الضحى والقاسم ابن مخيمرة وآخرون وكان اشبه الناس بابن مسعود سمتا وهديا وعلماً وكان اعرج من احسن الناس صوتاً بالقرآن قال عبدالرحمن بن يزيدا لنخعي قل ابن مسعود ماا علم شيئا اوما اقرأ شيئا الا وعلقمة يعلمه وقال قابوس بن ابي ظبيان قلت لابي لاى شيء كنت تأتي علقمة وتدع الصحابة قال ادركت ناساً من الصحابة وهم يسئلونه ويستفتونه وقال ابراهيم النخعي قرأ علقمة على عبدالله فكانه عجل فقال فداك ابي وامي رتل فانه زين القرآن وقال علقمة قرأت القران في سنتين وقال ابراهيم كان علقمة يقرأ القرآن في خمس وقد قام بالقرآن في ليلة عندالبيت. توفي علقمة سنة اثنتين وستين .

ابو عبدالرحمن السلمى

مقرئ الكوفة عبدالله بن حبيب بن ربيعة ولابيه صحبة وولدهو فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وجوده وبرع فى حفظه وعرض على عثمان وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم وغيرهم وحدث عن عمر وعثمان رضى الله عنهما قال ابو عمرو الدانى اخذ القراءة عرضاً عن عثمان وعلى وابن مسعود وزيد ابن ثابت وابى بن كعب رضى الله عنهم واخذ عنه القراءة عرضاً عاصم بن ابى النجود ويحيى بن وثاب وعطا بن السايب وعبدالله بن عيسى بن ابى ليلى ومحمد ابن ايوب ابوعون الثقفى والشعبى واسماعيل بن ابى خالد وعرض عليه الحسن والحسين رضى الله عنهما قال حسين بن على الجعفى عن محمد بن ابان عن علقمة ابن مرثد ان ابا عبدالرحمن سلمى تعلم القرآن من عثمان بن عفان وعرض على على رضى الله عنهما وقال ابو اسحق السبيعى ان اباعبدالرحمن كان يقرى الناس فى المسجد الاعظم اربعين سنه وقال شعبة عن علقمة بن مرثد سعد بن عن عبيدة ان اباعبدالرحمن اقرا فى خلافة عثمان رضى الله عنه الى ان توفى فى امرة الحجاج وقال زهير عن ابى اسحاق عن ابى عبدالرحمن قال والذى علمنى القرآن فان ابى كان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد معه وقال حجاج بن محمد قال شعبة لم يسمع ابوعبدالرحمن السلمى من عثمان لم يتابع شعبة على هذا وروى ابان بن يزيد عن عاصم عن ابى عبدالرحمن قال اخذت القراءة عن على ومنصور ابن المعتمر عن عثمان بن سلمة ان ابا عبدالرحمن كان امام المسجد وكان يحمل فى الطين فى اليوم المطين وقال عطا ابن السايب فيما حدث به حماد بن زيد وغيره ان ابا عبدالرحمن السلمى قال لنا اخذنا القرآن عن قوم اخبرونا (هكذا بالاصل ولعله اخبرين) انهم كانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن الى العشر الآخر حتى يعلموا مافيهن فكنا نتعلم القرآن والعمل به وانه سيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لايجاوز تراقيهم بل لايجاوزها هنا ووضع يده على حلقه وروى عبدالحميد بن ابى جعفر الفراء عن ابيه عن ابى عبدالرحمن انه جاء وفى الدار جلال وجزر قالوا بعث بها عمرو بن حريث لانك علمت ابنه القرآن قال ردها نا لانأخذ على كتاب الله اجرا وقال عاصم بن بهدله كنا نأتى ابا عبدالرحمن ونحن اغيلمه يفاع فيقول لاتجالسوا القصاص غير ابى الاحوص وروى سعيد ابن عبيدة عن ابى

عبدالرحمن عن عثمان رضي‌الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من علم القرآن او تعلمه قال ابو عبدالرحمن فذلك الذي اقعدني هذا المقعد وقال اسماعيل بن ابي خالد كان ابو عبدالرحمن السلمي يعلمنا القرآن خمس ايات خمس آيات وقال ابو حصين كنا نذهب بابي عبدالرحمن من مجلسه وكان اعمى وقال عطا ابن السايب كنت اقرأ على ابي عبدلرحمن وهو يمشي وروى ابو بكر بن عياش عن عاصم ان ابا عبدالرحمن قرا على على رضي‌الله عنه وعن عاصم عن ابي عبدلرحمن قال خرج علينا علي رضي الله عنه وانا اقرأ وقال ابوخباب الكلبي حدثني ابو عون الثقفي قال كنت اقرأ على ابي عبدالرحمن السلمي وكان الحسن بن علي رضي‌الله عنهما يقرأ عليه وقال عبدالواحد بن ابي هاشم حدثنا محمد بن عبدالله المقرى حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن حدثنا ابي حدثنا حفص بن عمر عن عاصم بن بهدله وعطا بن السايب ومحمد بن ابي ايوب الثقفي وعبدالله بن عيسى بن ابي ليلى انهم قرأوا على ابي عبدالرحمن وذكروا انه اخبرهم انه قرأ على عثمان رضي‌الله عنه عامة القرآن وكان يسئله عن القرآن وكان ولي الامر فشق عليه فيقول انك تشغلني عن امر الناس فعليك بزيد بن ثابت فانه يجلس للناس ويتفرغ لهم ولست اخالفه في شيء من القرآن قال وكنت القى علياً رضي‌الله عنه فاسئله فيخبرني (هكذا بالاصل) ويقول عليك بزيد بن ثابت فاقبلت على زيد فقرات عليه القرآن ثلاث عشرة سنة وعن عطا بن السايب عن ابي عبدالرحمن قال حدثني الذين كانوا يقرؤننا عثمان وابن مسعود وابي بن كعب رضي‌الله عنهم ان رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم كان يقرئهم لعشر فلا يجاوزنها الى عشر اخر حتى يعلموا مافيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا وقال احمد بن ابي خيثمة حدثنا يحيى بن السري حدثنا وكيع عن عطا بن السايب قال كان رجل يقرأ على ابي عبدالرحمن فاهدى له قوساً فردها وقال الا كان هذا قبل القراءة وقال عطا بن السايب دخلنا على ابي عبدالرحمن نعوده فذهب بعضهم يرجيه فقال انا ارجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضاناً قلت وقول الحجاج عن شعبة ان ابا عبدالرحمن لم يسمع من عثمان بن عفان رضي‌الله عنه ليس بشيء لانه ثبت لقيه لعثمان وكان ثقة كبير القدر وحديثه مخرج في الكتب الستة توفي في سنة اربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين وقيل في امرة بشر على العراق وقيل في اوائل ولاية الحجاج والله اعلم وقدروى عنه ابراهيم النخعي وسعيد بن جبير وعلقمة ابن مرثد وعطا

ابن السايب واسماعيل السدى وغيرهم واما قول ابن قانع (هكذا بالاصل ولعله نافع) مات سنة خمس ومائة فغلط فاحش.

عبدالله بن عباس

ابن ربيعة المخزومى المكى ثم المدنى القارى ابو الحارث ولد بالحبشة فقيل انه راى النبى صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن على ابى بن كعب وسمع من عمر وابن عباس وابيه عباس وغيرهم رضى الله عنهم قرا عليه مولاه ابو جعفر القارى ويزيد بن رومان وشيبة ومسلم بن جندب وغيرهم وحدث عنه ابنه الحارث ونافع مولى بن عمر وسليمان بن يسار وجماعة وكان اقرا اهل المدينة فى زمانه قال خليفة فى الطبقات انه استشهد بسجستان مع عبيدالله بن ابى بكرة سنة ثمان وسبعين وقال فى تاريخه ان الذى قتل بسجستان عبدالله بن عياش بن ربيعة بن الحارث الهاشمى وقيل ان ابن عياش المخزومى مات بعد سنة سبعين والله اعلم

ابو رجا العطاردى

عمران بن تيم البصرى اخذ القراءة عرضا عن ابن عباس رضى الله عنهما وتلقن القرآن من ابى موسى ولقى ابابكر رضى الله عنهما قرا عليه القران ابو الاشهب العطاردى قال ابن معين مات سنة خمس ومائة وله مائة وسبع وعشرون سنة قال ابو الاشهب كان ابو رجا يختم القرآن فى كل عشر ليال وعن ابى رجا قال كان ابو موسى يعلمنا القرآن خمس ايات خمس ايات

ابو الاسود الدولى

قاضى البصره واسمه على الأصح ظالم بن عمرو قرأ القرآن على على رضى الله عنه وكان من وجوه شيعته وروى عن عمر وابى بن كعب وابن مسعود وابى ذر رضى الله عنهم والكبار وهو اول من وضع مسائل فى النحو باشارة على رضى الله عنه فلما عرضها على على قال ما احسن هذا النحو الذى نحوت فمن

ثم سمي النحو نحوا اخذ عنه ولده ابو حرب بن ابي الاسود ويحيي بن يعمر وعبدالله بن بريدة وجماعة وقد اسلم فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وثقه احمد العجلى وغيره توفى سنة تسع وستين فى طاعون الجارف بالبصرة قال المدائني فحدثني من ادرك الجارف قال كان ثلاثة ايام فمات فيها فى كل يوم نحو من سبعين الفاً وقال ابو اليقظان وغيره مات لانس بن مالك رضى الله عنه فى طاعون الجارف سبعون ولدا يعنى من اولاده واولاد اولاده

ابو العاليه

الرياحى رفيع بن مهران البصرى مولى امراة من بنى رياح بن يربوع اسلم فى خلافة ابي بكر رضى الله عنه ودخل عليه وصلى خلف عمر وقرأ القرآن على ابي وروى عن عمر وعلى وابى ذروابن مسعود وابى موسى وطائفة رضى الله عنهم قال ابو عمروالدانى اخذ القراءة عرضاً على ابى وزيد بن ثابت وابن عباس ويقال قرأ على عمر رضى الله عنهم قرا عليه شعيب بن الحجاب والربيع ابن انس والاعمش ويقال قرا عليه ابو عمرو وروى عنه خالد الحذا وعاصم الاحول وخلق وقد روى معتمر وغيره عن هشام عن حفصة بنت سيرين قالت قال لى ابو العالية قرأت القرآن على عمر ثلاث مرار وهذا حديث صحيح غريب رواه جماعة عن هشام بن حسان وروى محمد بن عبدالله الانصارى عن ابى خلده ان ابا العالية قرأ على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث مرات نقله ابن المنادى وقال ابو العالية كنت آتى ابن عباس وهو امير البصرة فيجلسنى على السرير وقال مغيرة كان اشبه اهل البصرة علماً بابراهيم النخعى ابو العالية قلت كان ابو العالية اماما فى القرآن والتفسير والعلم والعمل مات سنة تسعين وقيل سنة ثلاث وتسعين فهو لاء الذين دارت عليهم اسانيد القراآت المشهور درناهم (هكذا بالاصل) والله اعلم

(الطبقة الثالثة وهم التابعون)

« يحيي بن وثاب »

الاسدى الكوفى القارئ العابد احد الاعلام مولى بنى اسد روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وعن مسروق وعبيدة السلمانى وزيد

وابن عبدالرحمن السلمى وابى عمرو الشيبانى وعلقمة والاسود وقرأ على بعضهم قال ابو عمرو اندانى اخذ القراءة عرضاً عن علقمة والاسود ومسروق والشيبانى وابى عبدالرحمن قلت الثبت (هكذا بالاصل ولعله الثابت) انه قرأ القرآن كله على عبيد بن فضيلة صاحب علقمة كل يوم آية قال ابوبكر بن عياش عن عاصم قال تعلم يحيي بن وثاب من عبيد بن فضيلة آية آية وكان والله قارئا. قلت قرأ عليه الاعمش وطلحة بن مصرف وابو حصين الاسدى وحمدان بن اعين وحدث عنه عاصم ابن ابى الجود و ابو العميس عتبه بن المسعودى وبو احصين عثمان بن عاصم و آخرون قال محمد بن جرير الطبرى يحيي بن وثاب مولى بنى كاهل من بنى اسد بن خزيمة كان مقرئ الكوفة فى زمانه وقال احمد بن عبدالله العجلى تابعى ثقة مقرئ الكوفة وكان يؤم قومه فأمر الحجاج ان لا يؤم بالكوفة الاعربي فقال ليحيي قومه اعتزل فقال الحجاج من هذا قالوا يحيي بن وثاب قال ماله قال امرت ان لا يؤم الا عربى فنحاه قومه فقال ليس عن مثل هذا نهيت قال فصلى بهم يوماً ثم قال اطلبوا اماماً غيرى انما اردت ان لاتستذلونى فاذا صار الامر الى فانا لا أؤمكم وقال الاعمش كان يحيي بن وثاب اذا قضى الصلاة مكث ماشاءالله تعرف فيه كآبة الصلاة وقال عبيدالله بن موسى كان الاعمش يقول يحيي بن وثاب اقرأ من مشى على التراب وقال شعيب الصريفينى حدثنا يحيي بن ادم سمعت حسن بن صالح يقول قرأ يحيي على علقمة وقرأ علقمة على ابن مسعود فاى قراءة افضل من هذه وروى عن زائدة قلت للاعمش على من قرا يحيي قال على علقمة والاسود ومسروق وقال يحيي بن معين حدثنا ابن ابى زايدة قال قال الاعمش كان يحيي بن وثاب لايقرا بسم الله الرحمن الرحيم لا فى عرض ولا فى غيره وقال يحيي بن عيسى الرملى عن الاعمش قال كأن يحيي بن وثاب من احسن الناس قراءة وكان اذا قرأ لم تحس فى المسجد حركته كان ليس فى المسجد احد قلت كان يحيي بن وثاب ثقة اماماً كبير القدر وقال الاعمش كنت اذا رأيته قلت قد وقف للحساب قال قال ابو محمد بن قتيبة توفى سنة ثلاث ومابة

الحسن بن ابى الحسن البصرى

ابو سعيد سيد اهل زمانه علماً وعملا قرأ القرآن على حطان الرقاشى عن ابى موسى روى القراءة عنه يونس بن عبيد وابو عمرو بن العلا وسلام الطويل فيما قيل وغيرهم ومناقبه واخباره يطول شرحها توفى سنة عشر ومابة

عيسى بن عبدالرحمن

ابن أبي ليلى الأنصارى الكوفى قرأ القرآن على ابيه قرأ عليه اخوه محمد ابن عبدالرحمن القاضى وابو هما ممن قرأ (هكذا بالاصل ولعله قرأوا) على على رضى الله عنه وعيسى وثقه ابن معين وله رواية قليلة فى السنن

مجاهد بن جبر

الامام ابوالحجاج مولى السايب ابن ابى السايب المخزومى المكى المقرى المفسر احد الاعلام قرأ على ابن عباس وروى عن عائشة وابى هريرة وسعد وعبدالله بن عمر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم قرأ عليه ابن كثير وابو عمرو وابن محيصن وغير هم وحدث عنه قتادة والحكم وعمرو بن دينار وايوب ومنصور والاعمش وابن عون وخلق وجاء عنه انه قرأ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة والذى صح عنه انه قال عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات افقه عند كل آية اسئله فيم نزلت وكيف كانت وقال شاب العصفرى عن معاذ المعلم سمع ابا مرثد سمعت مجاهدا يقول ختمت القرآن على ابن عباس تسعاً وعشرين مرة قال قتادة أعلم من بقى فى التفسير مجاهد وقال سلمة بن كهيل كان مجاهد ممن يريد بعلمه الله وعن مجاهد قال ربما اخذلى ابن عمر بالركاب . وقال الاعمش كنت اذا رأيت مجاهدا ازدريته مبتذلا كانه خربندج قد ضل حماره قلت توفى سنة ثلاث ومائة وقد نيف على الثمانين

يحيى بن يعمر

العدوانى ابوسليمان البصرى اخذ القراءة عرضاً عن ابى الاسود الدولى وسمع ابن عباس وابن عمر وعائشة وابا هريرة وروى ايضا عن ابى ذر وعمار ابن ياسر رضى الله عنهم قرأ عليه ابو عمرو بن العلا وعبدالله ابن ابى اسحاق الحضرى وحدث عنه قتادة ويحيى بن عقيل وعطا الخراسانى وسليمان التيمى واسحاق بن سويد . وولى قضا خراسان لقتيبة بن مسلم وهو اول من نقط

المصحف وكان فصيحا مفوهاً عالماً اخذ العربية عن ابى الاسود ثم ان قتيبة عزله لما بلغه عنه شرب المنصف قال عمران القطان عن قتادة عن نصر بن عاصم عن عبدالله بن فطيمة عن يحي بن يعمر قال قال عثمان رضى الله عنه فى القرآن لحن ستقيمه العرب بالسنتها قال خليفة توفى يحي بن يعمر قبل سنة تسعين

سعيد بن جبير

ابن هشام الامام العالم ابو عبدالله الاسدى اوالبي مولاهم الكوفى قرأ على ابن عباس . قرأ عليه ابو عمرو والمنهال بن عمرو وقد حدث عن ابن عباس وعدى بن حاتم وابن عمر وعبدالله بن مغفل وابى هريرة رضى الله عنهم وغيرهم روى عنه الحكم وايوب وجعفر بن ابى المغيرة ومحمد بن سوقه والاعمش وخلق كثير فمن اشعث بن اسحاق قال كان يقال لسعيد بن جبير جهبذ العلماء وعن ابن عباس رضى الله عنه قال يا أهل الكوفة تسئلونى وفيكم سعيد بن جبير خرج سعيد مع ابن الاشعث على الحجاج ثم اختفى وتنقل فى النواحى ثم اتى به الحجاج فقتله لكونه قوى نفسه ولم يعتذر اليه وكان سعيد من سادة التابعين علماً وفضلاً وصدقاً وعبادة ثبت عنه انه قال لابنه مايبكيك مابقاء ابيك بعد سبع وخمسين سنة قال الفضل بن سويد الضبي دعاه الحجاج وانا شاهد فاقبل يعاتبه معاتبة الرجل ولده فانفلتت من سعيد كلمة فقال ان ابن الاشعث عزم على قال ربيعة كان سعيد بن جبير من العلماء العباد قلت استشهد بواسط فى شعبان سنة خمس وسبعين وروى عمرو بن ميمون بن مهران عن ابيه قال مات سعيد بن جبير وما على وجه الارض احد الا وهو محتاج الى علمه وقال اسماعيل ابن عبد الملك كان سعيد بن جبير يؤمنا فى رمضان فيقرأ ليله بقراءة ابن مسعود وليلة بقراءة زيد وعن هلال ابن يساف دخل سعيد بن جبير الكعبة فقرأ القرآن فى ركعة وقيل انه كان يختم فى كل ليلتين

حمران بن اعين

مولى بنى شيبان كوفى مقرئ كبير قال ابو عمرو الدانى اخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن عبيد بن فضيل وابى حرب بن ابى الاسود ويحيى بن وثاب عرض عليه حمزة الزيات وقد سمع من ابى الطفيل عامر بن واثلة وابى جعفر الباقر حدث عنه الثورى واسرائيل قال الكسائى قلت لحمزة على من قرأت قال على ابن ابى ليلى وحمران بن اعين قلت فحمران على من قرأ قال على عبيد بن فضيل رواه ابن مجاهد عن شيخين كلاهما عن هارون عن الكسائى وقد خولف فيه فقال محمد بن الحسن بن عطيه قرأت على ابى وقرأ على حمزة وقرأ حمزة على حمران وقرأ حمران على يحيى بن وثاب عن عبيد بن فضيل وقرأ عبيد على ابن مسعود وقد اختلف فى عبيد بن فضيل المقرئ والثابت انه قرأ على علقمة عن ابن مسعود وكذا اختلف فى حمران فقيل ايضا قرأ على ابى الاسود الدؤلى نفسه والله اعلم وقراءة حمزة عليه متيقنة قال ابن معين حمران ضعيف وقال النسائى ليس بثقة وقال ابو داود كان رافضياً توفى فى حدود الثلاثين ومائة

نصر بن عاصم

الليثى ويقال الدؤلى البصرى النحوى قرأ القرآن على ابى الاسود وسمع من مالك بن الحويرث وابى بكرة الثقفى قال الدانى روى عنه القراءة عرضاً عبدالله بن ابى اسحاق الحضرمى وابو عمرو بن العلا وسمع منه قتادة وروى عنه الحروف مالك بن دينار ويقال انه اول من نقط المصاحف وخمسها وعشرها وقال خالد الحذا هو اول من وضع العربية وقال ابو داود كان من الخوارج قلت وممن روى عنه الزهرى وعمرو بن دينار وحميد بن هلال . وثقه النسائى وغيره وتوفى قديما قبل سنة مائة

يزيد بن القعقاع

ابو جعفر القارى احد العشرة مدنى مشهور رفيع الذكر قرأ القرآن على مولاه عبدالله بن عباس بن ربيعة المخزومى وفاقا وقال غير واحد قرأ

على ابى هريرة وابن عباس رضى الله عنهم عن قراتهم على ابى بن كعب وصلى بابن عمر وحدث عن ابى هريرة وابن عباس وهو قليل الحديث تصدي لاقراء القرآن دهراً فورد انه اقرأ الناس من قبل وقعة الحرة حتى قيل انه قرأ على زيد بن ثابت ولم يصح . قرأ عليه نافع ابن ابى نعيم وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان الحذا وعبدالرحمن بن زيد بن اسلم وحدث عنه مالك الامام وعبدالعزيز الدراوردي وعبدالعزيز بن ابى حازم وقد وثقه يحيي ابن معين والنسائى قال ابو عبيد فى كتاب القرآت كان ابو جعفر يقرئ الناس قبل وقعة الحرة حدثنا بذلك عنه اسماعيل بن جعفر نبأنا عمر الطائى انبأنا زيد الكندي اجازه انبأنا ابو الحسن بن توبه انبأنا ابن هزار انبأنا عمر الكنانى انبأنا ابن مجاهد بن محمد بن الجهم حدثنا سليمان بن داود حدثنا اسماعيل بن جعفر قال قال لى سليمان بن مسلم اخبرنى ابو جعفر انه كان يقرئ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحرة وكانت الحرة سنة ثلاث وستين واخبرنى انه كان يمسك المصحف على مولاه عبدالله بن عياش بن ابى ربيعة وكان من اقرأ الناس قال وكنت ارى كل مايقرأ واخذت عنه قراءته واخبرنى ابو جعفر انه اتى به الى ام سلمة وهو صغير فمسحت على راسه ودعت له بالبركة وعن ابن ابى الزناد قال كان ابو جعفر يقدم فى زمانه على عبدالرحمن بن هرمز الاعرج وعن سليمان بن عباد وسالت ابا جعفر متى علمت القرآن قال زمن معوية وروى مطرف بن عبدالله عن مالك عن ابى جعفر القارئ قال رأيت ابن عمر اذا اهوى ليسجد يمسح الحصا لموضع جبهته مسحا خفيفا وروى محمد بن اسحاق المسيى عن ابيه عن نافع قال كان ابو جعفر يقوم الليل فاذا اصبح جلس يقرئ الناس فيقع عليه النوم فيقول لهم خذوا الحصا فضعوها بين اصابعى ثم ضموها فكانوا يفعلون ذلك وكان النوم يغلبه فقال اذا رأيتمونى انام على هذا فاذا رأيتمونى قد نعست فخذوا خصلة من لحيتى فمدوها قال فمر عبدالله بن عياش مولاه فيرى ما يفعلون به فيقول ايها الشيخ ذهبت بك الغفلة فيقول ابو جعفر ان هذا الشيخ فى خلقه شئ دوروا بنا وراء القبر موضعاً لا يراناروا ها ابن مجاهد حدثنا عبدالله بن ابى بكر حدثنا ابى حدثنا محمد بن اسحاق قال عبدالله بن وهب حدثنا ابن زيد بن اسلم قال قال رجل لابن جعفر مولى ابن عياش وكان فى دينه فقيهـا وفى دنياه ابله هنيئاً لك ما اتاك من القرآن فقال ذاهنيئا اذا احللت حلاله وحرمت حرامه وعملت بما فيه وعن ابن وهب

عن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم قال كان ابو جعفر يصلى خلف القراء فى رمضان يلـقنهم يؤمر بذلك وكان بعده شيبة جعلوه لذلك وعن مالك ابن انس قال كان ابو جعفر القارى اذا مربه سائل بالليل وهو يصلى دعاه فيستتر منه ثم يلقى اليه ازاره وعن احمد بن عبدالرحمن بن وهب عن عمه قال قال لى مالك كان ابو جعفر القارئ رجلا صالحاً يفتى الناس بالمدينة وقال يونس بن حبيب حـدثنا قتيبة ابن مهران حدثنا سليمان بن مسلم بن جماز سمعت اباجعفر يحكى لنا قراءة ابى هريرة فى اذا الشمس كورت يحزنهـا شبه الرثاء فاما قراءة ابى جعفر فدارت على احمد بن يزيد الحلوانى عن قالون عن عيسى بن وردان الحـذا عن ابى جعفر قرأ بها الفضل شادان الدارى (هكذا بالاصل) وجعفر بن الهيثم عن الحلوانى واقرأ بها الزبير بن محمد العمرى عن قراءته على قالون باسناده واقرأها سليمان بن داود الهاشمى عن سليمان بن مسلم ابن جماز عن ابى جعفر واقرأها الدورى عن اسماعيل بن جعفر عن ابى جعفر اوعن رجل عنه واقرأه ابو جعفر طرقا عدة مذكورة فى الكامل ابن وهب حـدثنى زيد بن اسلم عن سـليمان بن مسلم قال رأيت اباجعفر القـارئ على الكعبته فقلت اباجعفر قال نعم اقرأ اخـوانى الـسلام وخبرهم ان الله تعالى جعلنى من الشهداء الاحياء المرزوقين واقر اباحازم السلام وقل له يقول لك ابو جعفر الكيس الكيس فان الله تعالى وملائكته يتراون مجلسك بالعشيات (هكذا بالاصل) قال وحدثنا سليمان بن مسلم اخبرنى ابو جعفر حين كان يمربه نافع يقول اترى هذا كان يأتينى وهو غلام فيقرأ على ثم كفر بى وهو يضحك قال سليمان وشهدت اباجعفر حين احتضر جاءه ابو حازم وشيخه فأكبـا عليه يصرخان به فلم يجبهما قال شيبة وكان ختنه على ابنه ابى جعفر فقال الا اريكما منه عجباً قالا بلى فكشف عن صدره وقال والله نور القرآن قال سليمان فقالت لى ام ولده بعدما مات صار ذلك البياض غرة بين عينيه وروى محمد بن اسحاق المسيبى حدثنى ابى عن نافع قال لما غسل ابو جعفر القارئ نظروا مابين نحره الى فؤاده مثل ورقة المصحف فيشك من حضره انه نور القرآن رحمه الله قلت قد اختلفوا فى تاريخ وفاته فقال محمد بن المثنى العنزى توفى سنة سبع وعشرين ومائة وقال اخر سنة ثمـان وعشرين وقال خليفـه سنـة اثنتين وثلاثين وقيل سنـة احـدى وثلاثين وقيل سنة ثلاث وثلاثين عن نيف وتسعين سنة



يزيد بن رومان المدنى

ابو روح القارئ مولى آل الزبير بن العوام قرأ القرآن على عبدالله بن عياش ابن ربيعة وسمع من عروة بن الزبير وصالح بن خوات وقيل انه روى عن ابى هريرة وقرأ على ابن عباس وليس هذا بشئ وهو ثقة ثبت حديثه فى الكتب الستة وهو احد شيوخ نافع فى القراءة وثقه ابن معين وغيره وكان فقيها قارئا محدثا قال ابن سعد كان عالما ثقة كثير الحديث قلت حدث عنه ابو حازم الاعرج وعبدالله ابن عمرو محمد بن اسحاق وجرير بن حازم ومالك بن انس وجماعة قال وهب بن جرير حدثنا ابى قال رايت محمد بن سيرين ويزيد بن رومان يعقدان الآى فى الصلاة وروى مطرف عن مالك عن يزيد بن رومان انه قال كان الناس يقومون فى رومان (هكذا بالاصل لعلها زمان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه بثلاث وعشرين ركعة فى رمضان توفى سنة عشرين ومائة وقيل سنة تسع وعشرين وقيل سنة ثلاثين ومائة ولم يذكر ابو عمرو الدانى الا هذا القول

عبدالرحمن بن هرمز الأعرج

ابو داود المدنى مولى محمد بن ربيعة أخذ القراءة عرضاً عن ابى هريرة وابن عباس رضى الله عنهم وعبدالله بن عياش ابن ابى ربيعة واكثر من السنن عن ابى هريرة وابن عياش رضى الله عنهم وعبدالله بن عباس بن ابى ربيعة واكثر من السنن عن ابى هريرة قرأ عليه القرآن نافع بن ابى نعيم وغيره وقال ابراهيم بن سعد كان الاعرج يكتب المصاحف وقال مصعب الزبيرى هو مولى محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وقال الاصمعى حدثنا نافع حدثنا الاعرج انه قرأ . لتخذت عليه اجرا . قال لاتأخذها عنه فانه لم يكن عالما بالعربية وروى مالك عن داود بن الحصين انه سمع عبدالرحمن الاعرج يقول ما ادركت الناس الا وهم يلعنون الكفرة فى رمضان وكان القارئ يقرأ سورة البقرة فى ثمان ركعات فاذا قام بها فى اثنتى عشرة ركعة رأى الناس انه قد خفف وقد روى الاعرج ايضاً عن ابى سعيد الخدرى وعبدالله ابن بحينه رضى الله عنهما وجماعة حدث عنه ابو الزناد وابن شهاب وصالح ابن كيسان ويحيى بن سعيد الانصارى وعبدالله بن لهيعه وطائفة سواهم وروى

ابن لهيعة عن ابى النضر قال كان عبد الرحمن بن هرمز الاعرج اول من وضع العربية وكان اعلم الناس بانساب قريش قلت كان الاعرج احد من برز (هكذا بالاصل ولعله برزوا) فى القرآن والسنة وقالوا هو اول من وضع العربية بالمدينة اخذ عن ابى الاسود وله خبرة بانساب قريش وافر العلم مع الثقة والامانة اتفق انه خرج الى الاسكندرية فادركه اجله بها فى سنة سبع عشرة ومائة ورخه مصعب الزبيري وغير واحد

شيبة بن نصاح

ابن سرجس بن يعقوب المدنى المقرئ الامام مولى ام سلمة رضى الله عنها واحد شيوخ نافع فى القراءة وقاضى المدينة ومقريها مع ابى جعفر ادرك ام المؤمنين عائشة وام سلمة رضى الله عنهما وقرأ القرآن على عبد الله بن عياش ابن ابى ربيعة ووهم من قال انه قرأ على ابى هريرة وابن عباس رضى الله عنهما فانه لم يدرك ذلك وقد مسحت ام سلمة رأس شيبة وهو صغير وقد حدث عن القاسم بن محمد وخالد بن مغيث وابى مسلمة بن عبد الرحمن وابى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وغيرهم وهو قليل الحديث صدوق بعيد الصيت فى القراءة قرا عليه نافع واسماعيل بن جعفر وسليمان بن مسلم بن جماز وحدث عنه ابن جريج وابن اسحاق وابو زكريا يحيى بن محمد ابن قيس وابو ضمره انس ابن عياض واخرون وقيل كنيته ابو ميمونة قال الدورى حدثنا اسماعيل بن جعفر قال قرأت على شيبة بن نصاح مولى ام سلمة وكان امام اهل المدنية فى القراءة قال اسماعيل واخبرنى سليمان بن مسلم ان شيبة اخبره انه اتى به الى ام مسلة وهو صغير فمسحت رأسه وبركت عليه قلت وكذا غلط من قال ان ابا جعفر وشيبة كانا يقرآن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحرة قاله محمد بن سعدان عن يعقوب بن جعفر بن ابى كثير بل قد نقل ذلك عن ابى جعفر وحده وهو أسن من شيبة بكثير وله زوجة شيبة وقال قالون كان نافع اكثر اتباعاً لشيبة منه لابى جعفر وقال النسائى وغيره شيبة ثقة قلت خرج له النسائى وحده حدثنا واحدا (هكذا بالاصل ولعله حديثا واحداً) وقال قتيبة الاصبهانى حدثنا سليمان بن مسلم رجع شيبة الى قراءة ابى جعفر حين مات ابو جعفر وقال خليفة بن خياط توفى شيبة سنة ثلاثين ومائة

مسلم بن جندب

ابو عبدالله المدني القاري القاصي مولى هذيل قرأ القرآن على عبدالله ابن عياش المخزومي مقرى المدينة وحدث عن ابى هريرة وحكيم بن حزام وابن عمر وابن الزبير واسلم مولى عمر وغيرهم قرأ عليه نافع الامام وتأدب عليه عمر ابن عبدالعزيز وحدث عنه ابنه عبدالله بن مسلم ويزيد بن أسلم ومحمد بن عمرو ابن حلحله ويحيي بن سعيد الانصاري وابن ابى ذيب (هكذا بالاصل ولعله ذئيب) واخرون وكان من فصحاء اهل زمانه وكان نقص (هكذا بالاصل ولعله يقص) بالمدينة وروى معمر عن يحيي بن ابى كثير عن مسلم بن جندب عن ابن عمر رضى الله عنهما قال المكاتب عبد ما بقى عليه درهمان وروى ابن ابى ذيب (هكذا بالاصل ولعله ذئيب) عن مسلم بن جندب عن الزبير بن العوام رضى الله عنه فذكر حدثنا وهذا مرسل فلا يغتر به ولا احسب رواية مسلم عن حكيم و ابى هريرة الا منقطعة وقال محمد بن الضحاك الحزامى عن مالك بن انس قال جاء رجل الى سعيد بن السيب فقال يا أبا محمد اى الايام خير قال سل عن ذلك القاضي مسلم بن جندب فذهب فسأله فقال يوم النحر ثم رجع الى سعيد فاخبره فقال سعيد اعرابى يعظم الدماء اعظم هذه الايام يوم الجمعة وقال ابن وهب حدثنى نافع قال سألت مسلم بن جندب عن قوله تعالى كانهم الى نصب يوفضون قال الى غاية فسألته عن ردأ يصدقنى قال الردأ الزيادء وقال الحلوانى عن قالون قال كان اهل المدينة لا يهمزون حتى همز ابن جندب فهمزوا مستهزئين ويستهزئ بهم وقال ابن عباس بن الفضل عن جعفر بن الزبير قال كان مسلم بن جندب يقرأ علنا غدوة ثلاثين آية وعشية ثلاثين آية قلت و ما علمت فى مسلم جرحة وقد روى له الترمذى و مات فى خلافة هشام بن عبدالملك بعد سنة عشر ومائة تقريباً

عبدالله بن عامر اليحصبي

امام اهل الشام فى القراءة عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة ابو عمر ان على الاصح وقيل ابو عامر وقيل ابو نعيم وقيل ابو عليم وقيل ابو عبيد

وقيل ابو محمد و قيل ابو موسى وقيل ابو معبد وقيل ابو عثمان الدمشقى ثابت النسب الى محصب بن درهمان احد حمير وحمير من قحطان و بعضهم يتكلم فى نسبه والصحيح انه صريح النسب قال خالد بن يزيد المرى سمعت عبدالله بن عامر يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى سنتان وانتلقت الى دمشق ولى تسع سنين وعن خالد بن يزيد عن ابى عامر قال قرأت على معا ذوابى الدرداء ، وروى ابن زيد عن ابى عامر قال قرأت على معاوية وعلى واثلة بن الاسقع وقرا على ابن فضل فيه عرضاً (هكذا بالاصل) واما ايوب بن تميم فروى عن يحيى بن الحارث الذمارى ان ابن عامر ولد سنة احدى و عشرين من الهجرة قال ابو عمرو الدانى عبدالله بن عامر القاضى اليحصبى يكنى ابا عمران وقيل ابو نعيم اخذ القراءة عرضاً عن ابى الدرداء و عن المغيرة بن ابى شهاب صاحب عثمان وقيل عرض على عثمان نفسه رضى الله عنه وروى عنه القراءة عرضاً يحيى الذمارى قلت ولى قضا دمشق بعد ابى ادريس الخولانى وحدث عن معاوية و فضالة بن عبيد والنعمان بن بشير وواثلة بن الاسقع وقرا ايضا على فضالة بن عبيد روى عنه محمد بن الوليد الزبيدى وربيعة بن يزيد و عبدالرحمن بن يزيد بن جابر و عبدالله ابن العلا بن زبر واخرون له حديث فى صحيح مسلم وكان على نظر عمارة جامع دمشق قال هشام بن عمار حدثنا عراك بن خالد حدثنا يحيى بن الحارث قال قرات على ابن عامر وقرا على المغيرة بن ابى شهاب وقرا المغيرة على عثمان رضى الله عنه قال هشام وهذا اصح عندنا وذلك ان الوليد بن مسلم حدثنا عن يحيى بن الحارث عن ابن عامر انه قرا على عثمان رضى الله عنه . ابو مسهر الغسانى عن الوليد وايوب بن تميم عن يحيى بن الحارث عن ابن عامر قال قال لى فضالة بن عبيد امسك على هذا المصحف ولا تردن على الفا ولا واوا فسيأتى اقوام لايسقط عليهم الف ولا واو قال هشام بن عمار حدثنى الهيثم بن عمران قال كان راس المسجد بدمشق زمن الوليد عبدالله بن عامر وكان يزعم انه من حمير وكان يغتمز فى نسبه و قال يحيى ابن الحارث كان ابن عامر قاضى الجند وكان رئيس المسجد لايرى فيه بدعة الا غيرها وروى ان ابن عامر لم يقرا على عثمان بل سمع قراءته فى الصلاة و قال هشام ابن عمار حدثنا صدقة بن خالد عن يحيى بن الحارث قال حدثنى من سمع عثمان رضى الله عنه يقرا غرفة (هكذا بالاصل غرفة ولعله عرفه) يعنى عبدالله بن عامر وقال ابو مسهر عن عبدالله ابن العلا عن عمرو بن المهاجرين (هكذا بالاصل) ان عبدالله بن عامر استأذن على

عمر بن عبد العزيز فلم يأذن له وقال الذي ضرب اخاه يعني عطية بن قيس ان رفع يديه ان ذا النود دب عليها بالمدينة (هكذا بالاصل) قال سعيد بن عبد العزيز ضرب الله ابن عامر عطية بن قيس لكونه رفع يديه في الصلاة (هكذا بالاصل) قال عطية بن قيس فصعق ، صمات الفسوى في تاريخه حدثنا هشام ابن عمار حدثنا الهيثم بن عمران قال كان راس المسجد بدمشق في زمن عبد الملك و بعده عبدالله بن عامر اليحصبي وكان يغمز في نسبه فجاء رمضان فقالوا من يؤمنا فذكروا المهاجر بن ابي المهاجر فقيل ذاك مولى ولسنا نريد ان يؤمنا مولى فبلغت سليمان ابن عبد الملك فلما استخلف بعث الى المهاجر فقال اذا كان اول ليلة من رمضان قف خلف الامام فاذا تقدم ابن عامر فخذ بثيابه واجذبه و قل تأخر فلن يتقدمنا دعي وصل انت يا مهاجر ففعل قال احمد بن عبدالله العجلي ابن عامر شامي ثقة وروى محمد بن شعيب بن شابور عن يحيى بن الحارث عن عبدالله بن عامر انه قرا على ابي الدرداء هذا خبر غريب وعليه اعتمد الداني وغيره في ان ابن عامر قرا على ابي الدرداء والذي عند هشام و ابن ذكوان والكبار ان ابن عامر انما قرا على المغيرة المخزومي عن عثمان و هذا هو الحق قال هارون ابن موسى الاخفش حدثنا عبدالله بن ذكوان قال قرات على ايوب بن تميم و قال لي انه قرا على يحيى الذماري وقرا يحيى على ابن عامر و قرا ابن عامر على رجل قال هارون لم يسمه لنا ابن ذكوان وسماه لنا هشام بن عمار فقال ان الذي لم يسمه لكم ابن ذكوان هو المغيرة بن ابي شهاب المخزومي وقد قرا المغيرة على عثمان رضي الله عنه وقال علي بن موسى حدثنا اسحاق بن ابي اسرائيل حدثنا الوليد ابن مسلم عن يحيى بن الحارث انه قرا على ابن عامر وانه قرا على المغيرة بن ابي شهاب وان المغيرة قرا على عثمان قد ذكرنا رواية هشام عن الوليد وفيها اسقاط المغيرة وان هشاما ضعف ذلك و وهاه قال خليفة ومحمد بن سعد و ابن جرير توفي ابن عامر سنة ثمان عشرة و مائة

عبدالله بن كثير

ابن المطلب الامام ابو معبد مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي امام المكيين في القراءة اصله فارسي وكان داريا بمكة وهو العطار ماخوذ من قولهم عطر دارين . ودارين موضع بنواحي الهند وقيل في نسبة الداري انه قرشي من

بنى عبدالدار قال البخاری وقال ابوبكر بن ابی داود الدار بطن من لخم وهم رهط تميم الداری وعن الاصمعى قال الداری الذی لایبرح فی داره ولا يطلب معاشاً وعنه قال كان عبدالله بن كثير عطاراً قلت هذا هو الحق فلا يبطله اشتراك الانتساب . وابن كثير من ابناء فارس الذين بعثهم كسرى الى صنعا فطردوا عنها الحبشة قلت قرأ على عبدالله بن السايب المخزومى وعلى مجاهد ودرباس مولى ابن عباس وحدث عن عبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن مطعم وعمر بن عبدالعزيز وتصدر للاقراء وصار امام اهل مكة فی ضبط القرآن قرأ عليه ابو عمرو بن العلا وشبل ابن عباد ومعروف بن مشكان واسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين وطايفة وحدث عنه ايوب السختيانی وابن جريج وجرير بن حازم والحسين بن واقد وعبدالله بن ابی نجيح وحماد بن سلمة وقرة بن خالد والحارث بن قدامه وخلق سواهم وقال سفيان بن عيينة رايته يخضب بالصفرة ويقص للجماعة وقال ابن معين ثقة قلت بعض القراء يغلط ويورد هذه الابيات (هكذا بالاصل ولعله هذا البيت) لعبدالله بن كثير

بنى كثير كثير الذنوب

ففى الحل والبل من كان سبه

(هكذا بالاصل « ففى الحل والبل ») وانما هى (هكذا بالاصل ولعله هو) لمحمد بن كثير احد شيوخ الحديث بعد المأتين والله اعلم وبلغنا ان ابن كثير عبدالله كان فصيحاً بليغاً مفوهاً ابيض اللحية طويلاً جسيماً اسمرا شهل العينين يخضب بالحنا عليه سكينة ووقار قال ابن عتيبة حضرت جنازته سنة عشرين ومائة وقال غيره عاش خمسا وسبعين سنة قلت فيكون مولده ظناً فی سنة خمس واربعين ومات شيخه عبدالله بن السايب رضى الله عنه بعد السبعين وقد قرأ على ابی بن كعب وقرأ مجاهد على ابن عباس وحديث ابن كثير مخرج فی الكتب الستة .

عاصم بن ابی النجود

الأسدی مولاهم الكوفى القارى الامام ابوبكر احد السبعة واسم ابيه بهدلة على الصحيح قرأ القرآن على ابن عبدالرحمن السلمى وزر بن حبيش الأسدی وحدث عنهما وعن ابی وائل ومصعب بن سعد بن ابی وقاص وجماعة وقيل انه

روى عن الحارث بن حسان البكرى ورفاعة بن يثربى التميمى او التيمى رضى الله عنهم وهو معدود فى التابعين روى عنه عطا بن ابى رباح وابو صالح السمان وهما من شيوخه وكان من التابعين وقرأ عليه خلق كثير فانه تصدى لاقراء كتاب الله تعالى منهم الاعمش والمفضل بن محمد الضبى وحماد بن شعيب وابو بكر بن عياش وحفص بن سليمان ونعيم بن ميسرة وروى عنه ابو عمرو بن العلا وحمزة بن حبيب والحمادان والخليل ابن احمد احرفا من القراءة وسليمان التيمى وسفيان الثورى وشعبة وابان وشيبان وابو عوانه وسفيان بن عيينة وخلق واليه انتهت الامامة فى القراءة بالكوفة بعد شيخه ابى عبدالرحمن السلمى قال ابوبكر بن عياش لما هلك ابو عبدالرحمن جلس عاصم يقرى الناس وكان عاصم احسن الناس صوتاً بالقرآن وقال ابو خيثمة وغيره اسم ابى النجود بهدلة وقال الفلاس اسم امه وقال ابو عبيد كان من اقرأ الكوفة يحيي بن وثاب وعاصم بن ابى النجود والاعمش وهم من بنى اسد موالى ابن الاصبهانى ومحمد بن اسماعيل قالا حدثنا ابو بكر بن عياش عن عاصم عن الحارث ابن حسان قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر وبلال قايم متقلد سيفاً قال ابو بكر بن عياش سمعت ابا اسحق السبعى يقول مارأيت احدا اقرا من عاصم بن ابى النجود وقال يحيى بن آدم حدثنا حسن بن صالح قال ما رأيت احداً قط كان افصح من عاصم بن ابى النجود اذا تكلم كاد يدخله خيلا وقال عفان حدثنا حماد ابن سلمة اخبرنا عاصم بن ابى النجود قال ماقدمت على ابى وائل من سفر الا قبل كفى وقال عبدالله بن احمد بن حنبل سألت ابى عن عاصم بن بهدلة فقال رجل صالح خير ثقة فسألته اى القراءة احب اليك قال قراءة اهل المدينة فان لم يكن فقراءة عاصم. ابو كريب حدثنا ابو بكر قال لى عاصم مرضت سنين فلما قمت قرات القرآن فما اخطأت حرفاً. منجاب بن الحارث حدثنا شريك قال كان عاصم صاحب همز ومد وقراءة سديدة. ابو بكر بن عياش عن ابى اسحاق عن شمر بن عطية قال فينا رجلان احدهما اقرا الناس لقراءة زيد عاصم والاخر اقرا الناس لقراءة عبدالله الاعمش وقال احمد بن عبدالله العجلى عاصم بن بهدلة صاحب سنة وقراءة كان رأسا فى القرآن قدم البصرة عليه فاقراهم قراسلام ابو المنذر وكان عثمانياً قرا عليه الاعمش فى حداثته ثم قرا على يحيى بن وثاب وقال ابو بكر بن عياش كان عاصم نحوياً فصيحاً اذا تكلم مشهور الكلام وكان الاعمش وعاصم وابو حصين كلهم يبصرون جاء رجل يوما يقود عاصما فوقع وقعة شديدة فما كرهه ولا قال له شيئاً وقال

حماد بن زيدعن عاصم قال كنا نأتي ابا عبدالرحمن ونحن غلمه ايفاع وقال ابو بكر
ابن عباس قال عاصم من لم يحسن من العربية الاوجهاً واحداً لم يحسن شيئاً
وقال لى عاصم مااقرانى احد حرفاً الا ابو عبدالرحمن وكان ابو عبدالرحمن قد
قرا على على رضى الله عنه فكنت ارجع من عنده فاعرض على زروكان زرقد
قرا على عبدالله رضى الله عنه فقلت لعاصم لقد استوثقت رواها يحيى بن ادم
عنه وروى جماعة عن عمرو بن الصباح عن حفص الغاضرى عن عاصم عن
ابى عبدالرحمن عن على رضى الله عنه بالقراءة وذكر عاصم انه لم يخالف اباعبد الرحمن
فى شئ من قراءته وان ابا عبدالرحمن لم يخالف علياً فى شئ من قراءته وروى
احمد بن يونس عن ابى بكر بن عياش قال كل قراءة عاصم قراءة ابى عبدالرحمن
الاحرفا وروى ابو بكر عن عاصم قال كان ابو عمرو الشيبانى يقرئ الناس
فى المسجد الاعظم فقرات عليه ثم سألته عن آية فاتهمنى بهوى فكنت اذا دخلت
المسجد يشير الى ويحذر اصحابه قد رواها يحيى بن ادم عنه وروى عن
حفص بن سليمان قال قال لى عاصم ماكان من القراءة التى اقراتك بها فهى القراءة
التى قراتها على ابى عبدالرحمن السلمى عن على رضى الله عنه وما كان
من القراءة التى اقرات بها ابا بكر بن عياش فهى القراءة التى كنت اعرضها على
زر بن حبيش عن ابن مسعود رضى الله عنه وقال سلمة ابن عاصم كان عاصم ابن ابى النجود
ذانسك وادب وفصاحة وصوت حسن وقال يزداد بن ابى حماد حدثنا يحيى بن ادم حدثنا ابو
بكر قال لم يكن عاصم يعد الم آية ولا حم آية ولا كهيعص آية ولا طه ولا نحوها وقال
زياد بن ايوب حدثنا ابو بكر قال كان عاصم اذا صلى ينتصب كانه عود وكان عاصم
يوم الجمعة فى المسجد الى العصر وكان عابدا خيرا ابداً يصلى ربما اتى حاجة فاذا
راى مسجدا قال بنل بنا (هكذا بالاصل) فان حاجتنا لاتفوت ثم يدخل فيصلى . حسين
الجعفى عن صالح بن موسى قال سمعت ابى يسئل عاصم بن ابى النجود قال ياابا بكر على
مايضعون هذا من على رضى الله عنه خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر
رضى الله عنهما وعلمت مكان الثالث فقال عاصم ماتضمه الا انه عنى عثمان رضى الله
عنه هو كان افضل من ان يزكى نفسه وقال ابو بكر بن عياش دخلت
على عاصم وهو فى الموت فقرأ ردوا الى الله مولاهم الحق بكسر الراء وهى لغة
هذيل وقال ابو هاشم الرفاعى حدثنا يحى حدثنا ابو بكر قال دخلت على عاصم فاغمي

عليه فأفاق ثم قرأتم ردوا الى اللهمولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين فهمز فعلمت ان القراءة منه سجية وثقه ابو زرعة وجماعة وقال ابو حاتم محله الصدق وقال الدار قطني فى حفظه شئ توفى عاصم فى آخر سنة سبع وعشرين ومائة وقال اسماعيل بن مجالد سنة ثمان وعشرين رواه البخارى عن احمد بن سليمان عنه فلعلها فى اولها مات وحديثه مخرج فى الكتب الستة وليس حديثه بالكثير رحمه الله تعالى واعلى مايقع لنا القرآن العظيم من جهته فانى قرات القرآن كله على ابى القاسم سحنون المالكى عن ابى القاسم الصفراوى عن ابى القاسم بن عطية عن ابن الفحام عن ابن نعس عن السامرى عن الاشنانى عن عبيد بن الصباح عن حفص عن عاصم عن ابى عبدالرحمن عن على وعن زرعن عبدالله عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله عزوجل فنسئل الله ان يجعله شاهداً لنا وشافعاً .

سليمان بن مهران الأعمش

الامام المعلم ابو محمد الاسدى الكاهلى مولاهم الكوفى اصله من اعمال الرى راى انسا رضى الله عنه يصلى وروى عن عبدالله بن ابى اوفى وابى وايل وزيد بن وهب وابراهيم النخعى وسعيد بن جبير ومجاهد وابى عمرو الشيبانى وخلق وقرأ القرآن على يحيى بن وثاب وورد ايضاً انه قرأ على زيد بن وهب وزر بن حبيش وعرض القرآن على ابى العالية الرياض ومجاهد وعاصم بن بهدله واقرأ الناس ونشر العلم دهرا طويلاً ويقال ختم عليه القرآن ثلاثة انفس قرأ عليه حمزة الزيات وغيره وروى عنه الحكم ابن عتيبة مع تقدمه وشعبة والسفيانان وزايدة وجرير بن عبدالحميد وابو معاوية ووكيع وابو اسامة وعبيدالله بن موسى وابو نعيم وخلق لايحصون وكان مولده سنة احدى وستين قال ابن عيينة كان الاعمش اقرأهم لكتاب الله واحفظهم للحديث واعلمهم بالفرايض وقال ابو حفص الفلاس كان الاعمش يسمى المصحف من صدقه وقال يحيى بن القطان هو علامة للاسلام وقال وكيع بقى الاعمش قريباً من سبعين سنة لم تفتة التكبيرة الاولى وقال الخرشى ماخلف الاعمش اعبد منه وكان صاحب سنة وللاعمش ملح ونوادر واساءة اخلاق على المحدثين وهم مع ذلك يحتملون اخلاقه خرج

يوماً اليهم فقال لولا ان فى منزلى من هو ابغض الى منكم ماخرجت اليكم وجاء ان حايكا سأله ماتقول فى الصلاة خلف الحايك قال لا بأس بها على غير وضو وقيل له ماتقول فى شهادة الحايك قال تقبل مع عدلين وقال عيسى بن يونس لم نر نحن مثل الاعمش وما رأيت الاغنياء عند احد احقر منهم عند الاعمش مع فقره وحاجته وقال على بن عثام عن ابيه قال قيل للاعمش الا تموت فنحدث عنك قال كم من حب اصبهانى قد انكسر على راسه كيزان كثيرة وقال احمد بن عبد الله العجلى كان الاعمش ثقة ثبتاً يقال انه ظهر له اربعة الاف حديث ولم يكن له كتاب وكان يقرئ الناس القرآن راس فيه وكان فصيحاً وكان ابوه من سبى الديلم وكان لا يلحن حرفاً وكان فيه تشيع يسير ولم يختم عليه الا ثلاثة طلحة بن مصرف وكان اسن منه وابان بن تغلب وابو عبيدة بن معن قلت قد ذكرنا ان حمزة عرض عليه القرآن توفى فى ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائة .

حميد بن قيس الاعرج

ابو صفوان المكى القارى اخو عمر سند قرا القرآن على مجاهد ثلاث مرات وروى عن مجاهد وعطا والزهرى وغيرهم قال ابو عمرو الدانى روى عنه القراءة عرضاً ابو عمرو ابن العلا وسفيان بن عيينة وابراهيم بن يحيى بن ابى حبه وجنيد بن عمرو وعبدالوارث التنورى وسمع منه مالك والثورى قلت وحدث عنه ايضاً معمر وابن عيينة وغيرهم وثقه ابو داود وهو قليل الحديث قال ابن عيينة حدثنا حميد بن قيس الاعرج مولى بنى فزارة وقال جنيد بن عمرو وقرات على حميد بن قيس الاعرج مولى آل الزبير وقال اسماعيل بن ابى اويس حدثنا ابى عن حميد بن قيس المكى مولى بنى اسد بن عبد العزى وقال عبدالله بن مسلم ابن قتيبة حميد بن قيس مولى آل الزبير كان قارى اهل مكة وكان كثير الحديث فاخراحاسبا (هكذا بالاصل) قرا على مجاهد وقال البخارى قال ابن معين هو مولى منظور بن سيار الفزارى وقال بعضهم مولاه من قبل الام قلت هذا الجمع بين القولين ان ولاءه لبنى فزارة من قبل الام ولبنى اسد من قبل الاب وقال ابن عيينه قال حميد كل شئ اقراه فهو قراءة مجاهد قال ابن عيينه كان حميد بن قيس افرضهم واحيلهم (هكذا بالاصل) وكانوا لا يجتمعون الا على قراءته ولم يكن بمكة احد اقرا منه و من ابن كثير قال خليفة توفى فى سنة ثلاثين ومائة وقال محمد بن سعد توفى فى خلافة السفاح

الجزء السابع السنة الرابعة

الهداية

تصدر فى الاستانة • رجب سنة ١٣٣١

اسرار القرآن

(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا اوتكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اوتأتى بالله والملائكة قبيلاً اويكون لك بيت من زخرف اوترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا .وما منع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا . قل لوكان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)

طالما كذب المشركون واهل الكتاب الرسول عليه السلام وامعنوا فى اعناته و ايذائه ولجوا فى زعمهم انه لوجاءتهم آية ليومنن بها .ولوكانت المعجزات الخارقة من البراهين التى لايفر المعاند من الخنوع لها لأمدالله بها رسوله ولأيده بما لايحيط به الحصر من ضروبها ولكن علم الله

ان هذه الآيات قد نزلت بمن قبلهم فظلموا بها واستنكرتها انفسهم بغيا وعلوا ولهذا ابى الله تعالى ان يؤيد هذا الدين الا بالمعجزة التى لا تنافر فطرته ولا يقوى معاند على معارضتها تلك هى القرآن الكريم (١) (اولم يكفهم انا نزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم . ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)

والمتتبع لآيات الكتاب الكريم يجدان الرسول عليه السلام ماسئل معجزة من المعجزات الا تلطف بطلابها و ارشدهم الى الاخذ باسباب العلم والهدى وسماهم تارة بالجاهلين واخرى بالذين لا يعلمون ولا نرى فى القرآن جميعه ان الرسول عليه السلام جارى أولئك الحمقى فى سبيل مطالبهم وجاءهم بشئ من المعجزات التى سألوها . وقد جاء هذا صريحا فى قوله تعالى (٢) وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا) قال ابن الجرير الطبرى فى تفسيره لهذه الآية « يقول تعالى ذكره وما منعنا يامحمد ان نرسل بالآيات التى سألها قومك الا ان من كان قبلهم من الامم المكذبة سألوا مثل سؤالهم فلما أتاهم ماسألوا منه كذبوا رسلهم فلم يصدقوا مع مجئ الآيات فعوجلوا فلم نرسل الى قومك بالآيات لانا لو ارسلنا بها اليهم فكذبوا بها سلكنا فى تعجيل العذاب لهم مسلك الامم قبلهم . انتهى .

---

(١) سورة العنكبوت (٢) سورة الاسراء

وما كان مبعث الاضراب عن اجابة مطالبهم والحافهم فى سبيل المعجزات عجز الله تعالت قدرته عن تبديل شئ من سننه الكونية المادية ولكن علم الله منهم ما علم من آبائهم الاولين لجاج فى الطلب وجنوح عن التصديق وجهل بمكانة دين الفطرة وضلال عن ركنه المتين وهو مطابقته التامة لمقتضيات العقل السليم (١) (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون) وقد اسلفنا انه لو كانت دلالة المعجزات الخارقة للعادة على الرسالة او النبوة قطعية اقناعية لما امعن المعاندون فى تأويلها تارة وانكارها أخرى (٢) (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) بيان ذلك ان الخوارق للعادة ضروب شتى فمنها ما يظهر على ايدى المصطفين الاخيار من انبياء الله ورسله ومنها ما يظهر على ايدى غيرهم من السحرة والمشعوذة ومنها ما يظهر على ايدى ارباب الرياضات الروحانية حتى من المجوس والمشركين . لذلك كان من المحتملات القريبة ان يتشكك الناس فيما يقارن دعوى الرسالة من المعجزات التى يراد منها اقناع المدعوين الى صحة الرسالة وان الرسل صادقون فى دعواهم السفارة بين الله وبين خلائقه فى تبليغ احكامه وآدابه . ولا يكفى فى التفرقة بين المعجزات وغيرها من الخوارق التى تظهر على ايدى غير الانبياء انهم مبعوثون من قبل الله الى خلائقه لتبليغهم احكامه وعظاته فقد عرفنا من آيات القرآن الكريم ان الكافرين

(١) سورة الانعام (٢) سورة الانعام

كانت تأتيهم الآيات بمداذ يطلبونها من انبيائهم ورسلهم فتارة يقولون هي سحر مبين وأخرى ينكرونها معاندين

فالاسلام قد امتاز عن غيره من الاديان الأخرى بانه دين اليقين والنظر لا دين خوارق العادات وما وراء العقل من الآيات . ذلك قوله تعالى (قد بينا الآيات لقوم يعقلون انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) فآيات القرآن الكريم لم تنزل ليقتنع بها من شغلتهم أوهامهم ووساوسهم وتعطلت فيهم عقولهم ومداركهم فسبحوا فى لجج من الوهم وحجبوا بعنادهم عن النظر والفهم ولكنه جاء لقوم يعقلون ان الله لا يرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين وان معيار صحة رسالات الرسل صحة ما يأتون به من البلاغ السماوى ومطابقته للمصالح العامة وايصاله من يدينون به الى مواطن السعادة والنعيم فى الحياة الدنيا والآخره .

ولقد بلغ حرص الرسول عليه السلام على قومه حدا كان يكبر عليه فيه اعراضهم عن دعوته واصرارهم على مخالفته والكفر باياته حتى كأنما هو بلامراء مسئول عنهم فانزل الله فى تسليته واراحة نفسه من عناء الحزن عليهم وآلام الرحمة بهم قوله (ولا تسئل عن اصحاب الجحيم) (ان عليك الا البلاغ) و (انما انت نذير)

وما كان للرسول عليه السلام بعد اذ بلغ رسالات الله على وجهها ان يضيق صدره بما كانوا يعرضون وان يحزنه الذى يقولون فانهم ما كانوا يكذبونه ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون. فما عليه من حسابهم

من شئ بعد اذ قام بما حمّله من التبليغ المبين. بهذا المعنى جاءت آية (١) (واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ومن ذلك ايضا قوله تعالى (٢) (وان تولوا فانما عليك البلاغ)

وهنا مبحث يجب ان نعجل بالالمام به لكثرة ما خاض فيه الخائضون ذلك ان آيات القرآن الكريم جميعها ناطقة صراحة بانه لا اكراه فى الدين وان الرسول غير مكلف بشئ سوى التبليغ المبين والتذكير بآيات الذكر الحكيم (٣) (فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر) وما كان للرسول عليه السلام ان يقوم فى قومه مقام الجبارين فيقتلهم او يحرقهم لمجرد اعراضهم عن دينه (٤) (نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)

ولا يعزب عنك ما اسلفناه قبل من ان الاسلام لم يقم بالسيف كما يزعم المبطلون وان قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) خاص بمقاتلة غير المؤمنين من اهل جزيرة العرب حتى لا يعبد فيها غير الله تعالى . فالاسلام الذى هو دين الفطرة ومجمع الكمالات القدسية والآداب الالهية ليس بذلك الذى يتذرع اليه بالقسوة والغلظة ويروج فى العالم بالسيوف والنيران

ومن الاوليات المسلمة ان العقائد لا تكون فى نفوس العقلاء بالقوة والقهر ولكن لها وسائل معروفة لا تلتمس الا بها فمنها البرهان

(١) سورة الرعد (٢) سورة آل عمران (٣) (٤) سورة ق

العقلى والخطابة والشعروالتقليد . ولكل من هذه الانواع تأثير فى نفوس الناس بمقدار ما فيهم من العقول والتجارب والذكاء والتحصيل . وانما اعتبرنا التقليد من وسائل اليقين لما نعلمه من ان من العامة من لا يكاد يمكن زحزحته عن عقيدته التى ورثها بمحض التقليد والاقتداء ولو كانت العقيدة فاسدة منافرة للعقل السليم واقرب دليل على ذلك ما عليه النصارى من عقيدة التثليث وقولهم ان عيسى صلب ليفتدى اتباعه بدمه ويكفر عن العالم جميعه سيئات آدم ابى البشر وهكذا من السخافات والهذيان البين .

ثم من عامة المسلمين من لا يمكن ان يتطرق الريب والمرية الى عقيدته على جهله وعدم تحصيله وقصور عقله وما هى سوى قول تلقفه ممن يثق به او أمة وجد عليها آباءه فاقتفى آثارهم فيها

وبالجملة ما كان للعقائد ان تتكون بالارغام والقهر ولا للاسلام الذى هو دين البحث والنظر ان يقول بقتل من لا يدينون به ممن قصرت عقولهم عن دركه او تزاحمت عليهم الشكوك والشبهات حتى عجزوا عن صدها ومدافعتها .

اما المشركون واهل الكتاب فقد ارتنا السنة المطهرة والقرآن الحكيم ان الرسول عليه السلام قد اكتفى منهم فى حقن دمائهم واحترام حقوقهم بالجزية اذا ابوا الاسلام فهم اذا ما دفعوها كان لهم ما للمسلمين من الحقوق وعليهم ما عليهم. وما خولف هذا الحكم فى ارض جزيرة العرب الا

لمصر قد نأتى بعد على بيانه بيانا شافيا ان شاءالله تعالى . وحسبنا فى ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لأُخرجن من اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أرى الا مسلما » وقد اجلاهم سيدنا عمر فى خلافته وأجل لمن قدم منهم تاجرا ثلاثة ايام. اما المشركون واهل الكتاب فى غير أرض الجزيرة فقد علمنا احكامهم . بقيت لنا كلمة فى اهل الردة الذين دانوا لله والتزموا الاسلام ثم ارتدوا عنه اما الى غيره من الاديان واما لشبهات وشكوك قامت بصدورهم فصدتهم عن البقاء على شئ من اصوله ويسمى الفقهاء جميع هؤلاء المرتدين ويفتون فيهم بالقتل اما بعد الاستتابة او دونها على خلاف لهم فى ذلك . وان علينا ان نبين هنا رأينا فى هذا الباب طبق ما يدل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية فنقول

اعلم ان ذكر الردة جاءنا فى موضعين من القرآن الكريم ففى سورة البقرة جاءت آية (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)

وفى سورة المائدة جاء قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)

وظاهر ان هـاتين الآتين لاتدلان على معـاملة اهـل الردة بمـا افتى الفقهـاء من القتـل لمجرد الرجوع عن الدين . وكل ما دلت عليه آية البقرة المذكورة آنفا ان المرتدين مطرودون من رحمة الله تعالى ومعنى الردة هنا على ما يظهر من سياق الآية ومن روح الكلمة ان معنى الارتداد عن الدين هو الكف عن الجهاد فى سبيله والارتداد عن منازلة الأعداء الذين كانوا لا يفتأتون يقاتلون الرسول واتبـاعه ليفتنوهم عن دينهم ويرجعوهم كفارا بعد اذ آمنوا

يدلك على هذا التأويل ماجاء قبل ذلك من الآيات : قال تعـالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئـا وهو شر لكم والله يعـلم وانتم لا تعلمون يسألونك عن الشهر الحرام قتـال فيه . قل قتـال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام . واخراج اهله منه اكبر عندالله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا »

يستنبط من ظاهر هذه الكلمات الكريمة انها نزلت فى قوم من المسلمين كانوا يهمون بالكف عن القتال ويرغبون عن ان يدافعوا عن دينهم وان يبذلوا مهجهم وارواحهم فى نصرته وتأييده بغضـــا للقتال وضنا بالارواح وما علموا لجهلهم انه ليس وراء اخلادهم الى العدو واعراضهم عن صـده سوى ان يستذلهم ذلك العدو ويتعبـدهم وان الموت الذى

يفرون منه لاريب ملاقيهم. الى ذلك يشير قوله تعالى « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم »

ولو ان أولئك النفر ادركوا بسهولة ماوراء هاتين الكلمتين القدسيتين من الحكم البالغة والمنافع العظيمة ما سألوا بعد ذلك رسولهم عن القتال فى سبيل الله خلال الاشهر الحرم ولكن قد وهنت قلوبهم وتمكن حب الحياة من نفوسهم وقصرت ابصارهم عن درك ما وراء ذلك من الذل الخالد والمسكنة الابدية واستهانوا بامر الفتنة فى الدين فجنحوا الى التسليم واغماد السيوف سائلين الرسول عليه السلام عن القتال خلال الشهر الحرام كانهم يريدون بذلك ان يجدلهم من تحريم هذا الشهر معذرة عن العقود عن مناوأة الاعداء وحماية دين الله من الاذى والمكر السيئ .

ولما كان ذلك الرهط على ما وصفنا من الضعف والجنوح الى النزول على حكم اعداء دينهم من المشركين واهل الكتاب جاء فى استنفارهم وحثهم على منازلة اعدائهم قوله تعالى بعد ذلك « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » ذلك حكم الله فى المسلمين اذا ما فتنوا عن دينهم وقاتلهم عن البقاء عليه اعداؤهم . وما جزاء من يجبن عن لقاء عدوه ويرغب عن بذل روحه فى سبيل حماية دينه وملته الاخزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون

فالردة فى هذه الآية الكريمة ليست الفسوق عن العقائد الاسلامية نشبهة قامت بانفس المرتدين ولكنها ردتهم عن نصرة الاسلام، وتخلفهم بانفسهم عن تأييده وحماية ذماره بينا اعداؤه لا يفتأون ينأوئونه ويكيدون له ولا يزالون ويحاربون رسوله والقوامين به .

وهذه الآية وان لم تنص على قتل أولئك المرتدين فقد ارتنا السنة المطهرة كيف قاتلهم الرسول وخليفته ابو بكر وعمر من بعده وكيف نكاوا بهم اذ كفوا عن الدفاع عنه ثم انقلبوا خوارج عليه يحاربونه ويقتلون أهله

ذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت عن الاسلام ثلاث فى زمن الرسول عليه السلام وسبع فى خلافة ابى بكر وواحدة فى عهد عمر . وقد كفى الله الاسلام ما ارادوه من تخذيله وتوهينه وتنقيض اركانه

ذلك قولنا فى آية البقرة . اما آية المائدة فان المتدبر للآيات السابقة لها فى القرآن الكريم يتبين انها لا تكاد تخرج عن المعنى الذى نزلت فيه آية البقرة . ذلك ان قوما من منا فقى المسلمين قد وهنت قلوبهم وعزائمهم فجعلوا يخشون ان تصيب المسلمين دائرة فيظهر عليهم اعداؤهم من اهل الكتاب . هنالك جعلوا يخالطون اليهود ويسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة » يريدون ان يتخذوا لهم بذلك يدا عند المشركين حتى اذا كان ما حسبوا وخشوا سلموا من بطشهم واذاهم . فى هؤلاء نزلت الآيات

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة . فعسى الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين »

اتخذ هؤلاء المنافقون بطانة من غير المسلمين ليكونوا لهم شفعاء اذا كان ماخشوا وحسبوا و اسرعوا خفية الى الاندماج فى سلك اهل الكتاب لتوقعهم سرعة غلبهم وظفرهم بالنبى عليه السلام واشياعه فكفوا لذلك عن نصرته وتاييده ومظاهرته على اعداء دينه من اليهود والنصارى. ولولا ان الله تعلى أتى للمسلمين « بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » لأصاب المسلمين من ذلك المكر السيئ الذى بيته أولئك المنافقون ومن تخلفهم وارتدادهم وتوليهم عمدا عن نصرة دين الاسلام ومناصرة اهله ما قد يمحوا آثار التوحيد ويرفع منار الشرك فى الارض ولكن ابى الله الا ان يتم نوره ولوكره الكافرون

فالارتداد فى آية المائدة كما رأيت من السياق ومن نظم تلك الآية نفسها انما اريد به تولى أولئك المرتدين عن نصرة الاسلام والتخلف عن درء الاذى عن اخوانهم المسلمين تاركيهم لغارات اعدائهم بعد اذ اتخذوا

لدى هؤلاء من الايادى ما زعموا انه وقاية لاسبابهم وعصمة لدمائهم اذا كتب لهم الغلب والظفر بالمسلمين . ويجدر بك ايها المفكر ان تمعن النظر فى الآيتين كرة اخرى لتتبين انهما جاءتا فى معنى اخص من الذى عناه الفقهاء فلننتقل بك الى ما ورد فى السنة فى هذا الباب لتعلم حكم الرسول عليه السلام فيه

ان الاحاديث التى وردت فى هذا الباب كثيرة وجلها من الآثار المروية عن عمر امير المؤمنين و على بن ابى طالب وابن عباس رضى الله عنهم أما ما عزى الى الرسول عليه السلام فى ذلك وصح سنده فقليل جدا .

امر النبى صل الله عليه وسلم بقتل المرتدين المحاربين. روى فى ذلك البخارى حديث النفر من عكل اذ قدموا على الرسول عليه السلام فاسلموا فاجتووا المدينة فامرهم ان يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من ابوالها والبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الابل فبعثه فى آثارهم فاتى بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا . وورد هذا الحديث لغير البخارى مع بعض تغيير زهيد .

ولا مراء ان ذلك الحديث صحيح السند والمتن وكفى فى ذلك قوله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اوينفوا من الارض)

اما غير المحاربين من المرتدين فللعلماء كلام طويل فى جزائهم فالجمهور يقولون بقتل المرتد و المرتدة عملا بعموم حديث (من بدل دينه فاقتلوه »

وخصه الحنفية بالذكور وتمسكوا بنهى الرسول عن قتل الاناث وأما جميع ماورد من الاحاديث فى قتل الرسول لبعض النساء المرتدات فاسانيدها ضعيفة بل لقد قال ابن الطلاع فى الاحكام (١) انه لم ينقل عن الرسول عليه السلام انه قتل مرتدة .

قد اتفق الجمهور على قتل المرتد ولكنهم اختلفوا فى امر استتابته قبل القتل فمنهم من اوجب ان يستتاب قبل القتل فان لم يتب قتل وذهب الحسن وطاوس واهل الظاهر وكثير غيرهم الى القتل فى الحال. قال الشوكانى فى نيل الاوطار وعليه يدل تصرف البخارى فانه استظهر بالآيات التى لاذكر فيها للاستتابة والتى فيها ان التوبة لاتنفع وبعموم قوله « من بدّل دينه فاقتلوه » ويرى النخعى ان المرتد يستتاب ابدا (اى فلا يقتل)

تلك اقوالهم فى هذا الباب ولهم تفصيلات كثيرة لاحاجة الى استعابها نراه فى ذلك قد يخالف ما قالوه من وجوه ولكن لا حرج ما نرام عمدتنا فى ذلك كتاب الله الكريم وسيرة الرسول عليه السلام .

وخلاصة رأينا فى ذلك ان القرآن الكريم لم ينص فى آية ما على قتل المرتدين عن الاسلام الى دين آخر على النحو الذى شرحناه فى تفسير آيتى الارتداد السابقتى الذكر . واما الآيات التى سردها البخارى (١) واستدل بها على وجوب قتل المرتد فورا فليس شئ منها

(١) فتح البارى — جزء ٢١ صاغمه ٦٣٦

(٢) الجزء الثانى عشر من البارى صفحه ٢٣٦

فيما نرى جاء نصا فى القول بالقتل وقدنستوفى الكلام فيها بعد بمالاغبار عليه . ولقد يجمل بالباحث ان يتدبر المقدمات الآتية قبل استنباط حكم قاطع فى هذا الباب

اولا — ان القرآن ليس فيه نص قاطع على ان المرتد بالمعنى الذى يريده الفقهاء يقتل .

ثانيا — ان لبدء ظهور الاسلام من الاحكام ما ليس لغيره ذلك ان المرتدين عن الاسلام يوم بدأ رسولنا الاكرم الدعوة الى التوحيد كانوا يعودون الى ما كانوا عليه من اليهودية اوالنصرانيةاو الوثنية وكانوا اذذاك لاجرم يلحقون باقوامهم ويحاربون المسلمين فى صفوفهم فارتداد من كانوا يرتدون اذذاك عن الاسلام لم يكن لمجرد الخروج عن هذا الدين ولكن كان دائما مشفوعا بمظاهرة من يلحقون بهم من اقوامهم. والمستقرىء لاحاديث الباب لا يكاد يجدها تخرج عما قلنا فمعاملة رسولنا الاكرم وخلفائه من بعده للمرتدين تلك المعاملة كانت فيما نرى لانهم ينقلبون خائنين محاربين لله ورسوله والمسلمين . نحن نرى اليوم ان الفار المتلحق بجيوش العدو المحارب لحكومته يعتبر خائنا ويقتل من فوره ولولم يرتد عن دينه فما بالنا لا ندرك سر قتل الرسول وخلفائه المرتدين عن الاسلام الذين ان لم يقتلوا اشتدت الفتنة وظاهروا قومهم على المسلمين وكشفوا لهم عورات هؤلاء ودلوهم على مواطن الوهن فيهم. ولقد كان منهم طائفة تؤمن بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار

ويكفرون آخره لعلهم يرجعون فالمرتدون فى صدر الاسلام كانوا فى الغالب ممن دخلوا فى الاسلام نفاقا وخرجوا منه للفتنة وكشف الاسرار

ثالثا — ان الردة التى جاءتها فى آية البقرة والمائدة كانت كما علمت ارتدادا عن نصرة المسلمين والاشتراك معهم فى محاربة اهل الكتاب لما كانوا يخشونه من ظهور هؤلاء على المسلمين وظفرهم بهم فارادوا ان يتخذوا بذلك عندهم من الايادى ما يحقنون به دماءهم ويعصمون ارواحهم وقد شرحنا ذلك فى صدر التفسير .

رابعا — ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا كيف نتصرف فى الحوادث ونقف عند حدود مقتضيات الاحوال . ولنا من سيرته السامية وأعماله الحكيمة آلاف من الادلة والآيات ولكننا ابتلينا بالجمود وضعفنا عن أدراك اسرار سيرته ودينه الفطرى فوقفنا عند حدود الالفاظ واخذنا نتقيد ببعض الروايات ولقد كان لنا من حكمة رسولنا الحكيم وعلمه الالهى ما يرشدنا الى ايسر السبل واقومها لو كنا نعقل . ولنضرب لك ايها المتدبر المفكر فى ذلك بعض الآيات والشواهد .

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الاسلام وهم على ما نعلم من الجهالة والضلال والشرك المبين فكان عليه السلام يتدرج بالاقوام رويدا رويدا ويلين له من جانبه ويتساهل فى مطالبهم تأليفا لقلوبهم واستمالة لهم الى التوحيد ومن ذلك ماروى عن نصر بن عاصم الليثى

عن رجل منهم انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم على ان يصلى صلاتين (لاخمسا) فقبل منه.رواه الامام احمد (١) وفى لفظ آخر له على الا يصلى الا صلاة فقبل . وعن وهب قال سألت جابرا عن شأن ثقيف اذ بايعت فقال اشترطت على النبي الاصدقة عليها ولا جهاد وانه سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقول بعد ذلك سيتصدقون ويجاهدون. رواه ابوداود.

وعن انس ان رسول الله قال لرجل أسلم .قال اجدنى كارها . قال اسلم وان كنت كارها . رواه احمد . قال الشوكانى بعد ان سرد هذه الاحاديث فيها دليل على انه يجوز مبايعة الكافر وقبول الاسلام منه وان شرط شرطا باطلا وانه يصح اسلام من كان كافرا

فعل ذلك الرسول الحكيم لما يعلمه من ان من المنفرات تكليف المدعو بجميع احكام الله فى آن واحد وانه لاحرج ان يشترط المدعو ما شاء من الشرائط ولو باطلة فان دخوله فى الاسلام على اى وجه جدير ان يوجد فى نفسه من الميل للاسلام والعطف على اخوانه المسلمين ما يدفعه لاجرم الى بذل ماضن به ونقض ماقدم فى بيعته من الشرائط . ينبئ بذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حيث جابر المذكور آنفا « سيتصدقون ويجاهدون » فانظر كيف فعل ذلك الرسول الحكيم فراعى مقتضيات الاحوال وأتى بما هو الاصلح للاسلام والمسلمين .

---

(١) نيل الاوطار — جزء ٧

وناهيك بما فعله فى صلح الحديبية من قبوله شرائط قريش الاربع ورضاه ان يردالى المشركين من يجيئه منهم مسلما على الا يردوا هم من فراليهم من المسلمين . فعل ذلك رسول الله لمافيه من الاسرار والحكم البالغة ممالم يفقهه الذين شهدوا ذلك الصلح من الصحابة الا بعدأمد غير قصير .

لقد كان الاسلام يوم بدا غريبا ضعيفا فكان لابد من اتخاذ كل مايمكن من ضروب التحوطات والشدة حتى يشتد ويقوى ويسلم مما كان يراد به من الفتنة والاذى . ولقد اقتضت حكمة الحكيم العليم ان يقيم الرسول عليه السلام فى ذلك من الاحكام مايضمن سلامة الاسلام فلما ايد الله دينه و رفع منار كلمته كان لابد من ان تكون هنالك احكام اخرى تناسب ماصار اليه المسلمون من القوة و المنعة وما اصبح فيه الاسلام من السلامة والامان ومن ذلك مارواه البخارى بسنده (١) عن ابن عمر ان رجلا جاءه فقال يا ابا عبدالله الا تصنع ماذكر الله فى كتابه « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما » { الآية } فما يمنعك الا تقاتل كما ذكر الله فى كتابه ؟ فقال يا ابن اخى اعير بهذه الآية ولا اقاتل احب الى من ان اعير بآية (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) قال فان الله يقول (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) قال ابن عمر قد فعلنا على عهد رسول الله اذ كان الاسلام ضعيفا وكان الرجل يفتن فى دينه اما ان يقتلوه واما ان يوثقوه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنه

---

(١) تفسير ابن كثير جزء ٤ صفحه ٣١٦

فانظر كيف كان عبدالله بن عمر يفسر الفتنة ويفرق فى الاحكام بين عهد الاسلام بالقلة والضعف وما صار اليه من العزة والمنعة . ولعل ما ذكرناه هنا هو سر قول الامام النخعى بان المرتد يستتاب ابدا ولا يقتل. ذلك ان الاسلام على عهده ماكان لتضره ردة المرتدين بعد اذ أصبح فى مأمن ان تؤذيه مكايد المشركين ومن يرتدون اليهم من منافقى المسلمين . ولو كان حديث (من بدل دينه فاقتلوه) الذى رواه البخارى وغيره من أئمة الحديث عاما على نصيته غير مختص بزمان ولا مقتضيات غير مطردة ما وسع النخعى ولا غيره مخالفته .

واذ مهدنا لك السبيل بتلك المقدمات التى اسلفنا فاعلم ان الذى تراه ان المرتد اما ان يرتد عن دينه فلا ينضم الى المدافعين عنه من المسلمين كما كان يفعل أولئك الذين نزلت فيهم آيتا البقرة والمائدة فهذا لا جرم يقتل واصرح ما نزل فى ذلك قوله تعالى (ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا)

ومثل هذا القسم من ارتدوا وحاربوا كما سبق فى حديث النفر من عكل . ولا ريب ان المرتد فى هذين القسمين منافق خائن او محارب فلا بدع ان يقتل من فوره . وكذلك تفعل الامم جميعها فى الوقت الحاضر

ويلحق بهذا النوع الزنادقة الذين كانوا على عهد على بن ابى طالب

رضى الله عنه فقد روى من طريق عبدالله بن شريك العامرى عن ابيه قيل لعلى ان هنا قوما على باب المسجد يدعون انك ربهم فدعاهم فقال لهم ويلكم ماتقولون ؟ قالوا انت ربنا وخالقنا ورازقنا فقال ويلكم انما انا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون واشرب كما تشربون . ان اطعت الله اثابنى ان شاء وان عصيته خشيت ان يعذبنى فاتقوا الله وارجعوا فابوا فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام فقال ادخلهم فقالوا كذلك فلما كان الثالث قال لئن قلتم ذلك لاقتلنكم باخبث قتلة فابوا الا ذلك فقال ياقنبر ائتنى بفعلة معهم مرورهم فخذ لهم اخدودا بين باب المسجد والقصر وقال احفروا فابعدوا فى الارض وجاء بالحطب فطرحه بالنار فى الاخدود وقال انى طارحكم فيها اوترجعوا فابوا ان يرجعوا فقذف بهم فيها .

وكان يقال لهذه الطائفة سبئية نسبة الى كبيرهم عبد الله بن سبأ كان اظهر الاسلام وابتدع هذه المقالة . وانما الحقنا هؤلاء الزنادقة بالقسمين قبلهم لانهم ظهروا والاسلام غض حديث العهد بالوجود كثير الاعداء والمحاربين فلو ان على بن ابى طالب ابن عم الرسول وختنه واصل العترة النبوية ابقى عليهم اوخفف العقوبة عنهم لانمحت آيات التوحيد عن ظهر الارض ولما وجد فى العالم احد من المسلمين ولكان للناس من على بن ابى طالب ما كان لليهود من عزير . اما امثال هذه الفرق اليوم وقد اشتد ساعد الاسلام وقويت شوكته وتبينت الناس حقائقه

واصوله فلاخوف عليه منهم ولو كثرت جموعهم وعظم سلطانهم اللهم، الا اذا اخـذوا يفتنون المسلمين عن دينهم بالقتل او السجن او التنكيل فهنا لك يحق عـلى المسلمين منا هضتهم وتقتيلهم اينما ثقفوا

واما الذين لم يرتدوا عن تأييد الاسـلام ولم يخرجوا عليـه ولم ينضموا الى صفوف اعدائه ولم يخونوه فى شئ ولكن اضلتهم بعض الشبهات التى لم يستطيعوا لها ردا والشكوك التى لم يقووا عـلى مدافعتها بالحجة والبرهان فان سبيلهم فيما نرى الا يعتبروا كالمرتدين ماداموا لم يهتدوا الى الصواب ولم يقم من اهل الذكر والعلم من يبين لهم الرشد من الغى

والله سبحانه وتعالى احكم واعـدل ان يكلف الناس ماليس فى طاقتهم او ان يلزمهم الايمان بما لم يهدهم الى حجته وبرهانه . يدرك ذلك من يفقه سر قوله تعالى (١) لئلا يكون للناس عـلى الله حجة بعد الرسل . ذلك ان الرسل قـد بعثهم الله لخليقته وكلفهم البلاغ المبين . فلا تكليف الاحيث البلاغ المبين فاذا ابتلى العامة بامثال بعض علماء هذا العصر الجامدين وازدحمت الشكوك والشبهات عـلى صدور النابتين من المسلمين فكيف يؤاخذون اذا ضلت احلامهم وقد فقدوا اركان الاسـلام واساطين علمائه الذين يقتدرون ان يدرأوا الشبهات ويهدوا الضالين .

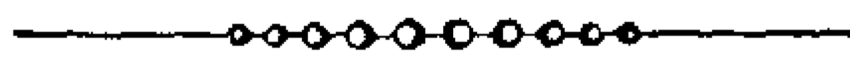
اقول ذلك بعد اذرأيت من الشبان المسلمين من كانوا يطرقون ابواب شيوخ العلماء و يغشون مجالس أئمة الاسـلام لا لغرض سوى أستفتائهم

---

(١) سورة النساء

فى بعض اصول الاسلام والفرار الى معاقل علمهم وهدايتهم دون هجمات جيوش الشكوك والاوهام حتى اذا استفتحوا عليهم بكلمة واحدة فى ذلك السبيل سمعوا من فحشهم وسبهم وتقريعهم ما كان يصدر اؤلئك الحائرين عن مجالسهم وقد تنازعتهم ضلالات الحيرة ودفعتهم معاملة الشيوخ الى اليأس من بلوغ غايتهم وصلاح عقيدتهم. ونحن على ثقة انه لو درس شيوخ المسلمين العلوم الكونية وعرفوا اسرار سنة الله فى خليقته لما كثرت الملاحدة وفشت المناكير .فكيف لنا مع جمود المتصدين للفتيا والارشاد ومع عجزهم عن درء الشكوك والشبهات كيف لنا ان نؤاخذ النشء الصغار او غيرهم ممن لم يستوعبوا أصول الدين ولم يهتدوا الى صواب اليقين ؟

ذلك قولنا فى هذا الباب والله تعالى اعلم بما هو الصواب.



دروس وعبر

﴿ نجوى التاريخ للبطل رؤف بك ﴾

٢

رؤوف — انك لتعلم يامولاى سر جمود علمائنا و حسن قصدهم اما سر الجمود فمنشأه سد باب الاجتهاد منذ تغلب التاتار على الدولة العباسيه اذ انقطع حبل العلماء القادرين وجاء من بعدهم جماعات شعروا بعجزهم عن اللحوق بمن سلفهم فضلا عن مباراتهم لهم او بزهم اياهم ولكنهم كانوا شدادا فى عصبيتهم الدينية فتمسكوا بما وضعه السلف واعتبروا الخروج عنه او القول بخلافه كفرا ونسبح على منوالهم خلفهم حتى عمت المصيبة العالم الاسلامى باسره ولكنهم حتى الساعة يعتقدون من كل قلبهم انهم بتشددهم هذا يخدمون الدين و ما سبب خطأهم هذا الاقصور مداركهم و جهلهم اوقلة معلوماتهم التى نجمت على غلطهم الحسى ولكن يلوح لى ان حوادث نصف العصر الاخير و مانزل ببلاد الاسلام من المصايب قدنبهم من غفلتهم ودفعهم الى منافسة الاحياء وستراهم بمعونة الله فى طليعة من يهبون بالامة الاسلاميه لتفيق من سباتها العميق وتعمل على استرجاع مجدها القديم . وفضل هذه الحركة يرجع للمرحوم السيد جمال الدين الافغانى على ما اذكر ثم الى تلامذته فى سائر ممالك العالم الاسلامى

التاريخ — اصبت و اخطأت اما صوابك فينحصر فى نقطتين الاولى حسن قصد اولئك العلماء والثانية اعترافك بان منشأ غلطهم الحسى هوالجهل اوقلة المادة و قصر المدارك واماخطأك ففى نقطتين اولاهما دعواك ان منشأ الجمود غارة التاتار على الدولة العباسية فالحقيقة ان الجمود مرض فشا فى قادة الاديان الاخرى من قبل وقدلحق بعلماء الاسلام بعد الصدر الاول فاخذوا يحشون مؤلفاتهم بخرافات الاسرائيليات وغيرها من مزاعم اهل الكتاب والمشركين ولكم رأيناهم وخصوصا فى الاندلس يحاربون الفلاسفة وارباب العقول وكفى بمالاقاه

ابن رشد وابن سينا ومحي الدين ابن العربي و امثالهم في المحاربة مايكفي لاقناعك بان الجمود قديم ولكنه عم بعد الغارة المذكوره . وثانيهما ان منشأ الحركة الاصلاحيه قديم ايضا فامن ذكرت لك من الفلاسفه و امثالهم الاول من حاول اطلاق العقول من عقالها عملا بتعاليم الدين الحنيف و تقويم اولئك الجامدين منعا لجناياتهم الغير المقصودة على الاسلام واهله نعم انا اقرك على ان مبدأ الحركة الاخيرة كان السيد جمال الدين و تلاميذه من جهة واحتكاك المتخرجين في جامعات الغرب بعلماء الشرق وتفشي العلوم الحديثه نوعا مارغم ممانعة العلماء . وسعي الاخيرين في استبقاء منزلتهم القديمة دفعتهم الى مباراة العاملين وعلى كل حال انى على اعتقاد جازم من ان مجرد المام علمائكم بالعلوم الحديثة وضربهم في سنن هذا الكون الطبيعية بسهم راجح سيكون مبدأ عصر استرجاع المدنية الاسلاميه وترقي العالم الاسلامي وظهور حكم وفضائل القرآن وانت تعلم ان منزلة العلماء لدى العامه و نفوذهم المظيم بينهم سيجعل تيار الرقي يعم جميع طبقات العالم الاسلاميه و يعيدلنا عصر السعاده ويقرب ساعة يصبح الاسلام فيها دين العالم باسره فليشمر العلماء عن سواعدهم وليكفروا عما مضى بالسعي والتحصيل والجد والتفكير والله نصير العاملين.

اما سابع اغلاطكم الفظيعة فهو تذبذب غايتكم السياسية واليك البيان. انكم لم ترسموا خطة سياسية يجرى عليها الوزراء والسلاطين فمثلا في اول عهدكم لم تتبعوا خطة كالتي رسمها بطرس الاكبر لقومه ولاتشبهتم باخوانكم العرب في بلع وهضم الامم المغزوة ولا ارغمتموها على قبول دينكم ولم يسر حكامكم على خطة علاء الدين الوزير الاكبر الذي يعتبر في عرفي واضع امتن الدعائم في بناء دولتكم ولم تتخذوا لجيشكم ولا لاسطولكم معيارا بالنسبة للامم المجاورة اوالحكومات المنافسة لكم . الاترى كيف ان انجلترا مثلا حفظت سيادتها على البحار منذ وقعة الطرف الاغر او ان شئت منذ تخريبها (الارمادا) عمارة اسبانيا العظيم باتباعها قاعدة ثابتة وهي بناء مدرعتين ازاء كل مدرعة تبنيها الدولة المنافسة لها و ابقاء اسطولها اقوى من عمارة اية دولتين غربيتين. انكم لورسمتم لاسطولكم ولجيشكم مثل هذه القاعدة لما وصلتم الى هذه الدرجة من التدني والصغار. اني لو اغتفرت لملوككم الفاتحين هذه الغلطة لااغفر لاحد من سلاطينكم ووزرائكم اكبر خطيئة اوجريمة سياسية الا وهي عدم جعلهم رائد سياستهم اتباع احكام دينهم بتحقيق

مبدأ الجامعة الاسلامية عمليا . اليس من المخزى لكم ان تروا الجامعات العنصرية كالسلافيه والجرمانية واليونانيه واللاتنيه توضع دعائمها امام اعينكم مع ضعف اساسها فلا تتشبهون بهم فى استثمار الجامعة المتينة التى وضع لكم القرآن اساسها المتين منذ عصور . الم يك من العقل والحكمه ان امراء واميرات العائلة المالكة وافراد اسر الكبراء يتبادلون الزواج مع العائلات المالكة واسر العظماء فى الأقطار الاسلامية الاخرى ؟ الم تفقهوا هذه الحكمة التى شرعها الرسول الامين بتزوجه من القبائل المختلفة فالف بينها ؟ لماذا لم تعقدوا المحالفات والمعاهدات الدفاعية الهجومية بينكم وبين الحكومات الاسلاميه الاخرى تشبها بالدول المسيحيه ان كنتم اقل عملا باحكام دينكم الذى جعل المسلمين امة واحدة و حتم على كل مسلم فى الارض الذود عن كل حوض من حياضها ؟ هل تزوج الاميرات والامراء من هذه الاسر الرفيعه القوية البأس اولى واحرى ام اقترانهم ببعض الجوارى الشركسيات او افراد الرعية من الذين ربما لم ينبه لهم ذكر . الا انى لاسجل على اكبر رؤسائكم اشتراكهم فى جريمة محو المسلمين بالاندلس لعدم مدكم لهم يد المساعدة لمجرد عدم اعترافهم بخلافتكم كما انى سجلت من قبل على الخليفة الفاطمى فى المغرب جريمه نكوله عن نصرة دينه و مده يد المعونة لصلاح الدين الايوبى فى الحروب الصليبية لعدم مخاطبته لذلك الخليفة الاخرق بلقب أمير المؤمنين وهاتان جريمتان لا يمكن محوهما فانهما سببتا تفرق كلة المسلمين امام اعدائهم بيد ان فى الامكان الان توثيق عرى النسب بينكم و بين اشراف مكة و امام اليمن و خديوى مصر وباى تونس وشاه العجم وامير الافغان الهمام وراجات الهنود المسلمين ولتضربوا صفحا عن الفروق المذهبية الواهية التى اوجدها استرسال الفقهاء فى المناقشات الجدلية البحته . ولتكن لكم اسوة حسنة بما يفعله ملوك الغرب الذين لم تعقهم الخلافات المذهبية (كاتوليك بروتستان ارتودوقس) مع ماأريق فى سبيلها من الدماء ونشب من الحروب الطويله اقول لم تعقهم عن تزاوجهم وتناسبهم وتوحيد قواهم ضد العالم الاسلامى خاصة والشرقيين عامة فلان فعلتم ذلك فثق بخير ورفاهية المسلمين الذين لم يستعبدهم الاجانب الا لتخالفهم وتفرق كلمات ملوكهم وشهوات ومطامع وزرائهم .

ان سياستكم متقلبة طبق اهواء الوزراء وميولهم نحو الدول الاجنبية المختلفة فهى كابى قلامون كل لحظة فى لون فلا عجب اذا رأينا احوالكم تصل الى هذه

الدرجة من الفوضى ولا غرابة اذا انتزعت الدول من املاككم الاقطار الواسعة مادام من وزرائكم من يقضى على كريت مرضاة لفرنسا ومن يصرح بانه يفضل ضياع نصف املاك الدولة قصد صداقة انجلترا ومادام من ملوككم مثل عبدالحميد الذى يفقر المملكة لتزيين قصوره واغناء حاشيته ويقتل زهرة شبان الامة محافظة على استبداده ويدمر البلاد و يفقد الاقطار تمسكا بيلدز وملاذه البهيميه .

اما ثامن اغلاطكم السياسية الجوهرية فهى اهتمامكم بمظاهر الابهة الكاذبة دون الحقائق الجوهرية وهذه الغلطة افظع وادوم من سوابقها وكدتم من جرائها تصبحون غرباء فى بلادكم و من الغريب ان كل الامم بل كل العناصر تعرف عنكم هذه النقيصة او هذا الضعف وانتم لاتشعرون به حتى الساعه ! ! !

قل يارؤف لماذا خضتم المعامع و غزوتم الممالك و ثللتم العروش و حكمتم الاملاك الواسعه ؟ هل صبغتم اهلها بجنسيتكم ؟ هل هديتموهم قسرا الى اعتناق دينكم ؟ هل استخرجتم كنوزهم الطبعية كما تفعل الامم المستعمرة اليوم ؟ هل استخدمتموهم فى التغلب على الامم الاخرى ليسهل عليكم هضم الجميع و تأمنوا شر المنافسين ؟ اللهم انكم لم تفعلوا شيئا من ذلك والضرائب اوالخراج الذى كنتم تجبونه منها تافه قليل كان يصرف اغلبه فى مواضعه والباقى ينفق على الجيش المرابط بها وعلى بعض الامراء فكأنكم اهرقتم دماء اولادكم هباء منثوراً .

حدثنى ياولدى العزيز ماذا جنيتم من وراء محاربتكم للنمسا مرارا او محاصرتكم عاصمتها دفاعا عن المجر هل حلتم دون تملكها لها ؟ اللهم انكم فقدتم كثيرا و لم تكسبوا غير حقد هذه الدولة عليكم . اشرح لى ماعاد عليكم من الفوائد من وراء ذودكم عن بولونيا او مجرد تمسككم بها ؟ هل منعتم تقسيمها بين روسيا والنمسا والمانيا؟ بين لى حكم جواب السلطان سليمان لفرنسيس ملك فرنسا الذى يتنزه رب العزة عن ارسال مثله لعبد من احقر عبيده هل حال ذلك دون استخدام فرنسيس لكم الة ضد عدوه امبراطور اسبانيا و ضحكه من بلاهتكم و حمقكم و عنايتكم بمظاهر الابهة دون الحقائق بقبولكم ارسال عمارتكم البحريه لغزو ايطاليا على شرط ان كل بلد دخلته املاكه لكم وسكانه يصبحون من رعايا فرنسيس الاول ! !! هل الممالك مجرد الابنية ام السكان ؟ وماذا ينفعكم الاسم ما دامت الارض والاملاك فى حوزة السكان و هم كما قبلتم اصبحوا من رعايا ملك فرنسا ؟ الم يكن الاحرى بسليمان القانونى العناية بالجوهر دون هذه المظاهر الفارغة والاهتمام بجر المنفعه

الحقيقية بدل ارسال جوابه المشهور ؟ الا دعنا ياولدى من الماضى وتعاله ندرس احوالكم الحاضرة المؤلمه. انتم تفتخرون بانكم اصحاب بلاد غنية بينما مناجمها و سككها الحديدية و موانيها و مصانعها كلها بيد الاجانب تفتخرون بان لكم جيشا واسطولا فاين مصانعكم ودور صناعاتكم ؟ تفتخرون بمجوهرات الخزينة الخاصه بينما حكومتكم تتردد على ابواب الدول طالبة القروض بافدح الفوائد فماذا تنفع هذه المجوهرات ؟ الاثبات ماضيكم المجيدام فيها قرة عيونكم ام هى حماية لملككم من الاعداء ؟ ان كان الاول ففى صفحاتى مايكفى كل سائل وكفاية وماذا تبغون من اثبات مجيد ماضيكم ان لم تعملوا على جعل حاضركم ومستقبلكم مثله اوخيرا منه ؟ وان كان الثانى ففى ترقى بلادكم واتساع ملككم وارتفاع كلمتكم اذا انتم استخدمتم هذه الثروة خير قرة للعيون وان كان الثالث فبكل اسف قد رايتم اسطول اليونان الحقير هدد شواطئكم وجيوش البلغار المتوحشة كادت تصل الى مقر ملككم وتتسلط على هذه الكنوز . الله الله يارؤف مالكم تعطلون انعم الله وتتمسكون بمظاهر الابهة الكاذبة دون الحقائق الجوهريه لماذالا توجدون بدل هذه المجوهرات دارصناعة كبيرة لعمارتكم البحريه ولوازم جيوشكم لماذا لاتحولونها نقودا تقيكم ذل السؤال وتعينكم على اصلاح اموركم وصيانة دولتكم ان هذه الزينات من الكمالات وانتم بحاجة الى الضروريات فلا معنى لسياستكم الحاضره . تفتخرون بالالقاب الضخمه وتسرون من رؤية الناس تكاد تخطف الارض بأيديها عند تحيتهم لكم اما الاول فلا يؤمن نفعه حقيقة لكم ولا لبلادكم واما الثانى فمخالف لتعاليم دينكم مناف للعقل السليم ولا يعود عليكم بشئ من الفائده غير غرور موقت كزهو الديك . تهالكون على الوظائف العسكرية والملكيه لدرجة مخجلة حتى انى لاابالغ عندما اجهر بان الخلافات الحزبية الشنيعة التى اودت بالروملى سببها تكالبكم وتهالككم على الوظائف مهما حقرت . ان احدكم ليسر بان يلقب بفراش باشا او حاجب اغا او طباخ باشا اوسر خادم حتى ليخيل له انه قد حكم ابرية مع ان راتبه قد لايتجاوز المائتين من القروش وتراه يستميت فى التمسك بهذا المنصب الحقير ولواهلك اخوانه ومواطنيه بينما الرجل منكم يرى فى الصنائع والتجارة حطة ولذا تركتموهما بايدى العناصر الغيرالمسلمة فاثرت وتملكت ازمة البلاد الاقتصاديه واصبحت تتصرف فى احوالكم كيف شاءت اهواؤهم وانتم لاتتعظون وفى تهالككم على حقير الوظائف

تتطاحنون . ان رسول الله نفسه كان تاجرا وقد صرح ان فى التجارة تسعة اعشار الرزق وفيما عداها من الوظائف الاخرى العشر الباقى . ان التاجر قد يربح فى صفقة واحدة مالا يحصله اكبر الموظفين طول عمره وصاحب المنجم او المصنع يحرز ثروة فى يوم واحد لا ينالها مجلس الوزراء فى سنوات ناهيك بتمتعه بحريته التامة ورغد عيشه وراحة ضميره بينما الموظف عبد غيره مسير طبق امر رئيسه ان رفت من مركزه مات جوعا فهو احتفاظا على عيشه يعدم جميع فضائله ومع كل هذا نراكم تهملون ماعدا الوظائف وتتركون كل شئ فى ايدى الاغيار وتعملون بمثل صغار النفوس (ان فاتتك الحكومه تمرغ بترابها) الا قاتل الله الجهل والغرور وحب الابهة ومظاهر الفخفخه الكاذبة التى افقرتكم واوصلتكم الى هذه الدركة من الذل حتى اصبحتم عبيدا فى ايدى طائفة ممن تسمونهم برعاياكم . تعشقون التماق فلا ضرو ان سلبكم الاجنبى كل شئ بحلو كلامه . تحتقرون الدول الاخرى ولا تجارونها فى الجد ظنا منكم ان الفلك فى دورته القديمه وانهن اليوم منكم فى منزلتهن بالامس فلا عجب اذا عدتكم بلغاريا وبزتكم اليونان وفاتتكم رومانيا . ان الثقة بالنفس من خير الصفات بشرط اليقظة والجد ومنافسة الاحياء العاملين فثقوا بانفسكم بعد توكلكم على الله وتداركم كل اسباب النجاح ونافسوا المجدين وخففوا من غلوائكم واتخذوا من ماضيكم المجيد سبيا لشحذ عزائمكم للعمل لا للغرور والكبر ولا تحقروا من شأن اعدائكم مهما ضعفوا فالعاقل من عمل بالمثل القائل (ان كان عدوك نملة فلا تنم له) ووجهوا قواكم الى الاعمال الحرة من صناعة وتجارة وزراعة وتعدين فهنالك يفيض الله عليكم النصر والتوفيق فى كل الاعمال

رؤف — انك تعلم ياسيدى ان الكبر والغرور من عادات الامم الفاتحة قاطبة فالالمانى والانجليزى والفرنسى والصينى والهندى والعربى قديما اصيبوا بهذه البلية اماهن اكتفى بها وقعد عن العمل كالصينى والهندى والعربى والفارسى فاصابهم ما اصابنا من تأخر وتقهقر واما من اتخذ من هذه الخلة وسيلة للاستزاده والتفوق على من عداه كامم الغرب فقدر فى هام الفرقدين وتمتع بالعز والسؤدد الدائم واما التهالك على الوظائف فرض قديم منشأه تفرغنا قديما للحرب والادارة بدل الصناعة والتجارة ولكننى ابشر استاذى الجليل باننا قد تنبهنا لهذا الخطا القديم ففتحنا الشركات التجاريه كمحال تجارة مهباره وسلانيك وبون مارشيه

واخوان قرقاش وشـامل وباليقجى وشركة المولوية بقونيه وشركات الملاحـه كشركة هلال استانبول والشركة الخيريه والمخصوصه والاطهلر والمصارف كمصرف قونيه والاخر المزمع انشـاءه بطرسوس هذا عدا مصرفى الاوقاف وتشويق الصنائع الاسـلاميه والمصانع كدار المصنوعات بطرسوس لراسم بك ومعمل الحليج والثلج والطحين لصالح بك بأطنه ودار المنسـوجات التى انشـاها الهلال الاحمر بالاستانه عدا امثالها بحلب ودمشق وبورصه واقشهر وقيصريه وفان الخ فهذه كلها بوادر خير تدل على اننا اخذنا نقدر الحياه الحره وسـنعمل بكل نصائحك المفيده

التـاريخ — انا اعلم بكل ماذكرت وبان روح العمل والحيـاة بدأت تدب فى عروق الامة منذ استرجاعها حقوقها باعلان الدستور ولكن خطواتكم قصيرة والمسافة اللازم قطعها لتلحقوا بغيركم طويله وهنالك نقطة اخرى الا وهى ان حكومتكم لم تسن القوانين المنشطة للمصنوعات الداخلية ولا وضعت عوائد جمركيه خاصه لحمايتها من منافسة صناعات اوربا الراقية القوية وانت تعلم ان على ذلك يتوقف حياة مصنوعاتكم الداخلية كما هو الحال فى كل امة دراجة مثلكم فيجب العناية الشديدة بهذه النقطة ولتوجدوا تيارا شـديدا فى الراى العام للاقبـال على مصنوعاتكم حتى ولوكانت ناقصة اذ بذلك تروج وتترقى من جهة وتحفظ الثروة بالبلاد فتغنى الامة من جهة ثانيه

اماناسع اغلاطكم السياسيه فهى اهمالكم السياسة والعلوم لحد شائن . انى بكل اسف اصرح لك بان دولتكم لم تنجب فى السياسية سوى علاء الدين والسلطان سليم الاول والسـلطان جلبى محمد لدرجه معينه واما من عداهم فكانوا لايبصرون فى السياسية الى ابعد من انوفهم وكل مهارتهم كانت حل اى معضله بصورة موقته ولا ابالغ ان قلت انهم اتبعوا خطة بلطجى محمد فى معاملة بطرس الاكبر باسـكاته الى حين معين. والا لماذا لم تتخذوا مع فيلاندا واسـوج ضد روسـيا بدل الاكتفاء بحماية ملك اسـوج العنيد وتعرضكم لحرب الروسيا من جراء ذلك . انكم لو اتحدتم واستعنتم ببعض الدول الاخرى وبالفرسان البيض (سكان بولونيا) لحطمتم بطرس وقضيتم على اماله وحافظتم على دولتكم ولمـا ذا لم تعملوا على بلع المجر وصبغهم بلسانكم ودينكم يوم حاربتم النمسـا من اجلها والمجرمن عنصر مغولى مثلكم وعاداتهم قريبة منكم ولماذا لم تتخذوا من فرق بولونيـا المختلفة اعوانا كما

فعلت كاثرين لتستميلوهم ضد هذه العدوة التاريخيه ولماذا لم تحدوا مع نابوليون بونابرت ضد انجلترا فى الهند وروسيا فى عقر دارها . انكم لو ساعدتموه فى سنة ١٨١٢ لقضيتم على روسيا تماما ولماذا لم تمدوا يد المساعده لكشوث ورجاله فى حرب استقلالهم سنه ١٨٤٨ ضد النمسا فكنتم اضعفتم النمسا واكتسبتم لكم صديقة تشد ازركم ضد الروسيا . هل لم يكن ذلك اولى من قبول اولئك الابطال فى بلادكم بعد خيبة آمالهم بتداخل روسيا لنصرة النمسا عليهم وتفضيلكم خوض غمار حرب عن تسليم من التجأ الى حماكم ؟ اليس الراغب فى خوض هذه الحرب بقادر على مد يد المساعدة عند لزومها ؟ ثم لماذا لم تستفيدوا من المحالفة الثلاثية المقدسة وخطة مترينخ ابان ثورة اليونان فتقضون عليها قبل ان تتمكن انجلترا وبقية الدول من مساعدتها لما تحركت بها العصبية الدينيه وتغلبت على المنافع السياسيه ولماذا ايدتم انجلترا فى سنه ١٨٥٧ ابان حرب الاستقلال الهنديه بنفوذ دار الخلافة انكم كنتم يومئذ مخيرين اما ان تحرضوا المسلمين على المثابرة فى ثورتهم فيقضى على انجلترا نهائيا وتتألف على انقاضها دولة المغول الاسلاميه فتحالفونها وبذلك يشتد ازركم وتحافظون على املاككم واما انكم كنتم تشترطون على انجلترا يومئذ الاتحاد معكم فى حرب لتقليم اظفار الدب الروسى . ولماذا لم تقبل الاتحاد الدفاعى الهجومى مع المانيا يوم ان ارسل بسمارك سكرتيره الى عاصمتكم سنه ١٨٦٩ ضد روسيا بشرط ان لاتعقدوا معها اى صلح الا بواسطة المانيا انكم لو فعلتم ذلك ما كنتم لتخوضوا حرب سنه ١٨٧٧ وتفقدوا فيها الاملاك الواسعه ثم لماذا لم تتفقوا مع انجلترا والمانيا لاخراج فرنسا من تونس سنه ١٨٨١ ولماذا لم ترسلوا جنودكم لمصر سنه ١٨٨٢ يوم طالبتكم الدول بذلك . الا انكم كنتم بذلك تنجون مصر مما هى فيه اليوم ولماذا لم تنتهزوا فرصة حادثة فاشوده سنه ١٨٩٩ للاتفاق مع فرنسا ضد انجلترا وهذا بالطبع كان مما يؤدى الى فتح المسئلة المصريه وحلها لصالحكم اذ الاتفاق الودى لم يكن حصل يومئذ بعد ولماذا لم تنتهزوا حرب الترنسفال لحل المسألة المصريه وكذلك من حرب الروس واليابان سبيلا لاسترجاع القوقاز والقريم واضعاف عدوكم التاريخى ثم لماذا لم تستخدموا استعانة الدول بنفوذ الخلافة سنه ١٩٠٠ لاخماد ثورة البوكسر واسطة لاحياء نفوذكم السياسى بمملكة ابن السماء ولو على الاقل بتعيين سفير لكم بالصين واليابان . هذه فذلكة قصيره تبين بعدكم عن السياسية وعدم استفادتكم من الفرص السانحه لكم فى كل

حين التي كانت تمكنكم من تبديل مجرى الحوادث السياسيه وتغيير صفحات سجلاتي باسرها

اما اهمالكم العلوم فيكفي ان اقول لك ان اول استعمال المدافع مثلا كان بين ظهرانيكم وانتم اليوم تجلبون ماتريدون منها من الخارج . انظر الى اليابان التي كانت دونكم بكثير تسبح في دياجير الجهل كيف بزت الغرب في ثلاثين سنه واصبحت لديها معامل كل شئ حتى اكبر المدرعات بينما انتم في حاجة الى اوربا حتى للابره وما دونها . انتم ورثتم مدنية العرب وكنتم منذ قرون في قلب اوربا بيدانكم اليوم مثل الصين البعيدة عن المدنية الغربية المادية ها هي خيرات بلادكم الطبيعية بقيت معطلة مع غناها الوافر حتى جاءت دول اوربا تسلب املاككم تارة وتستغل خيراتها امام اعينكم تارة اخرى فهل هنالك ادلة اكثر من ذلك على اهمالهم العلوم وتعطيلكم مواهبكم العقلية وقوتكم البدنية الا عن الشهوات واحقر الشؤن فلا عجب ان هبطتم الى الحضيض الاسفل الذى تتعثرون فيه الان امدم اتباعكم احكام دينكم نصير العلوم والمعارف الذى لو اتبعتم قواعده الحنيفه تبزون العالم في العلم والقوة والمجد والسؤدد

اما عاشر اغلاطكم السياسية الخطيرة فهو استبداد اغلب ملوككم واساءتهم استعمال سلطانهم . ان هذه النقطة لا تحتاج الى شرح فانتم اعلم باثار عبدالحميد ولكم مربدولتكم امثاله وكل العالم يدرك تخريباب الاستبداد فانا اضرب عن ذلك صفحا بيداني اريد لفت نظركم الى امر ذى بال له علاقة بهذه النقطة يجب عليكم العناية به للغاية

انت تعلم ان الاسلام دين الفطره والمساواة دين الاخاء والبساطه وان رسوله حارب عادات القياصره وسلطات الاكاسره وحرم استعباد الناس ولم يضرب بينه وبيني رواده الحجب والابواب ولا اتخذ لسكناه شامخ القصور وباذخ المباني ولاخصص لنفسه اضخم المرتبات وعلى هذه السيره الحميده نهج الخلفاء الراشدون وخصوصاً اميرالمؤمنين عمر الى انجاء معاويه ورأى من خنوع الشوام وتعودهم استعباد الرومان لهم وابصر ابهة القياصره وعظمة اعمالهم فادخل هذه العوائد المذمومه فيالاسلام بفضل معاونة الشوامله وجعل الخلافة وراثيه واستباح دماء اهل البيت بمساعدة الشوامله وبالجمله فهو وسكان سوريا من اضاعوا بساطه الاسلام ومساواته وادخلوا عليه طقوس الاستبعاد وتقديس الملوك وحصر السلطة

ابديا فى ايديهم وقد جرت هذه الاشياء من المصائب على الاسلام مالا يجهله احد ولكن ذلك مامنع بعض الملوك قيادة الجيوش ومخالطة الرعية ومن هذا القبيل اغلب سلاطينكم خصوصا الاثنى عشر الاول ماعدا جلبي محمد. فكان من جراء ذلك ان تسعت املاكهم وعلت كلمتهم وعم العدل ربوعهم وكان الملك خبيرا باحوال امته عليما بمعارف عصره ولكن روح بيزانطه الخبيثه اثرت على سلاطينكم فرأيناهم يختفون فى شامخ القصور بين الجوارى الحسان ويتركون حكم الرعية فى ايدى الوزراء وبالطبع السلاطين لجهلكم باحوال الامه يسترسلون فى تيار بذخهم وقصفهم ومستقبل الامة يتوقف على نوايا الوزراء فان حسنت ارتقت وان سائت سقطت وشقيت فمسؤلية سلاطينكم عن رعاياهم عظيمه فان شئتم استرجاع ماضيكم المجيد فارجعوا الى بساطة الاسلام ومساواته وطلقوا عوائد القياصره وسيطرة الاكاسره وليتول السلاطين قياده الجيوش والاشراف على الاحكام و الاختلاط بالامه وليضرب الامراء بسهم فى جميع الاعمال العموميه الوطنية ولتثقفوا عقولكم بأرقى المعارف وخير التجارب العملية .

رؤف — اعلم يامولاى ان عصرنا غير العصور الماضيه وان ماتفضلت به يصدق على طائفه من ملوكنا الذين حكموا قبل الدستور اما امير المؤمنين محمد الخامس الطيب القلب فيسير على وتيرة ملوك الغرب الدستوريين اما قولك بشأن تثقيف عقول الامراء فقد بدأنا به فعلا وهاهم نخبة الامراء يتعلمون بفينا اما تدخلهم الفعلى فى الشئون العامه فقد كان يصح قبل الدستور اما اليوم فالحكم بيد نواب الامه فلا يجوز والحاله هذه تداخل الامراء الا اذا اردنا الرجوع الى الحكم المطلق وهو مالا يغره مرشد مثلك .

التاريخ — يظهر لى ياولدى العزيز انكم لم تفقهوا بعد ان مدنية الغرب هى بنت الثورة الفرنسيه فهى اباحية اومادية بحتة وان كل ماحرزته اوربا هو اكتشاف اسرار الطبيعة واستخدامها وانها فى عالم الديانه والروحانيات والاخلاق الفاضلة دونكم بمراحل كثيره . ان اكبر مشرعى الغرب يستمدون احكامهم وافكارهم من القرآن والشريعة الغراء بينما انتم تقلدونهم فى كل شئ وخصوصا سيئاتهم فلماذا لاتتبعون خطة اليابان فى اخذها لعلوم اوربا الماديه واستبقائها دينها وبها وعلى اباى فرقت وبزت الغرب تقول لى يارؤف انكم تقلدون ملوك الغرب الدستوريين وما علمتم ان ماهم عليه ماهو الا من اثار همجيتهم القديمة وتقديسهم ملوكهم والا

فما معنى جعلهم الملوك وعائلاتهم فوق القانون وتصريحهم بانهم غير مسؤلين عن اعمالهم ومن العجيب ان مدحت باشا يترجم القانون الاساسى من اللغات الاجنبية ويبقى هذا النص المخالف لسيرة السلف الصالح ونص الحديث (كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته) فدعوا تقليد الغرب وارجعوا كما قلت الى بساطة الاسلام وليكن لكم من احكامه الشرعية خير نبراس تستضيئون به فى دياجير معترك هذه الحياة ولتكن اليابان لكم اسوة حسنة فى شدة التمسك بعاداتكم القومية واخلاق سلفكم الصالح. تقول يا رؤف ان تداخل الامراء فى ادارة الشئون العامه ينافى روح الدستور ويستدعى الرجوع بالامة الى عصور الاستبداد !!! ياالله من هذه الفلسفه الغريبه الاترى ان امبراطور المانيا الحالى كان قائد احد جيوش بروسيا ابان حرب السبعين وان اخاه هنرى اليوم هو رئيس جمعية الاتحاد البحرى التى يبلغ اعضاؤها عدة ملايين وانى اوصلت عمارة المانيا البحرية الى درجة ترهبها انجلترا فهل خالف هذا النظام الدستورى بالمانيا او استدعى الرجوع الى الاستبداد ؟ هذا نظام انجلترا يحتم جعل ولى العهد حاكما بجهة كنوت وكورنول وهذا عدا الامراء والاميرات الذين يضربون بسهم فى كل الاعمال النافعة من تشكيل جمعيات والانخراط فى البحرية والجندية والوظائف الملكية فلماذا لا تتشبهون بهم ؟ هذا ولى عهد النمسا يفتتح برلمان المجر ويستعرض الجيش ويسفر بين حكومته وملوك الدول الاخرى ويلعب الدور المهم فى سياسة دولته فهل نافى ذلك روح الدستور او رجع بامته الى الاستبداد ؟ هذا ولى عهد اليونان امس وملكها اليوم وافراد عائلته يخرطون فى سلك الجندية ويقودون الجيوش ويخدمون امتهم بكل الصور الممكنة ومارأينا ذلك يقضى على دستور اليونان . وهذا هو ولى عهد رومانيا يقود الجيوش الرومانيه جميعها وملكتها ترأس جمعيات ادبية ولغوية كثيرة وكذلك حدث عن ولى عهد الصرب فهل استدعى ذلك هدم الحكومات الحرة والرجوع الى الاستبداد ؟ اللهم كلا ولماذا اذهب بعيدا وهذا مثال الامير النجيب عبد الحليم افندى الذى خاض معامع الحرب الماضية وجرح فيها . انك لا تنكر حسن التأثير الذى نجم عن عمله الشريف مع انه لم ينافى روح الدستور فى شئ فالواجب اولا تعيين سمو ولى العهد وكثير من الامراء بصفة مفتشين بالولايات وليرافقهم بعض من تعهدون فيهم الحكمة والعقل وحسن التدبير وسعة الاطلاع اذ ان فى اختلاط الامراء بافراد الرعية ومراقبتهم تصرف الحكام وردع المعتدين بالطرق القانونيه مايحبب

الامة فيهم كثيرا .وفى تفقدهم احوال البلاد وغناها وجمالهـا الطبيعى ما يحببها اليهم. ويجعلهم يفدونها بالارواح،ويبذلون قصارى جهدهم فى ترقيتها،وما دام شرط جعلهم فوق القانون سيلفى ويصبحون مسئولين عن اعمالهم فلا معنى لحرمانهم من المنافسة فى الاعمال العامة خصوصا وانهم يتناولون المرتبات الضخمة على كل حال فاذا ادوا فى مقابلها عملا نافعا شكرتهم الامة ووفروا للخزينة مرتبات المفتشين ولا يخفى عليك ان أولئك الامراء هم افراد بيت .مؤسسى هذه الدولة فيهمهم طبعا المحافظة عليها اكثر من غيرهم وذلك لا يتأتى طبعا الا بتداخلهم فى الاعمال العامة خصوصا وانت تعلم ان الشرقيين يقدرون الافراد اكثر من الاراء وكل الاعمال الجليلة بالشرق كانت من آثارهم الاشخاص لا الجماعات وتلاحظ انى لا اقصد قصر تداخل الامراء على خدمة الحكومة بل اريد تداخلهم فى جميع الحركات العامة النافعة بشرط التباعد عن الاحزاب لان بيت الملك لجميع افراد الامة لا لفريق منها فاعملوا بما قدمته لك من النصح تبزوا ارقى الامم فى اقصر زمان والله نصير العالمين

اما حادى عشر اغلاطكم السياسية فجهل الامراء ورجالهم.انى اضرب لك مثلا بآثار الملك العالم ورجاله العالمين بما كان من ميكادو اليابان السابق ورجاله العظام امثال ايتووطوجو ونوجى الخ فقد احيوا اموات بلادهم وجعلوا عنوان (الشمس المشرقة) اسما على مسمى واصبحوا من القوة والمنعة فى درجة مكنتهم من تأديب اضخم الدول وناهيك بالدرس الذى تعلمته روسيا فى منشوريا. هذا نموذج اعمال الحاكم العالم العامل اما المثل الدال على آثار الامير الجاهل ورجاله الاغبياء فتلقاه فى مراكش وجميع البلاد الاسلامية وخصوصا دولتكم وقد بينت لك كيف انكم اهملتم السياسة والعلوم فلا حاجة بى للاسهاب فى هذه النقطة اذ يكفى ان اقول ان جمود العلماء وجهل الامراء هما سر الداء وقد ذكرت لك فيما سبق خير دواء

اما ثانى عشر اغلاطكم السياسية ففساد الاخلاق والانانية لدرجة تفضيل المصلحة الشخصية على المنافع العمومية واظهر ما يكون ذلك فى العاصمة وكبريات المدن وخصوصا الثغور منها وكفى ان اقول لك ما خطه يراع احد الكتاب الباحثين (يظهر ان السلطان محمد الفاتح وجيشه تركوا الاخلاق الاسلامية خارج اسوار القسطنطينية عند فتحها واستبدلوها باخلاق بيزنطة كما هى) ان الفسوق كان بحمامات الاستانة قديما وبمزارع الكلا (الجواير) حديثا بدرجة اكثر مما يوجد بانجلترا ،

واشبه شيء بما يوجد فى فرنسا اما الرشوه والنهب والظلم فى العهد الماضى فاظهر برهان على ما وصلت اليه الاخلاق من الفساد والانحطاط وناهيك بالخيانات المستورة فى الدوائر المختلفه اما الانانية لدرجة تفضيل المصلحة الخصوصية على المنافع العامة فقد كانت سبب انحطاط الدولة فى العهد الحميدى وما قبله وتأليف الاحزاب المختلفة لدرجة اباحة خيانة الوطن ومساعدة اعدائه على النكاية به وانتقاص اطرافه وان فيما حل بطرابلس والروملى وما يهدد غيرهما من الاخطار التى يوجدها الافراد المأجورون للاجانب لخير عبرة وكذلك ان فى مقتل حسن رضا ونيازى ومحمود شوكت ابان قيامهم بوظائفهم المقدسة وتضحيتهم كل نفيس فى سبيل الدفاع عن بيضة الدين وحياض الوطن لمثال شنيع لما وصلت اليه الاخلاق من الانحطاط والنفوس من الجشع والانانية المشوبة بالخيانة للاوطان وانى لو شئت ان اسرد لك معايب اخلاقكم وفساد نظامكم الاجتماعى لاحتجت الى مجلدات ضخمة اما العلاج فبكل اختصار ينحصر فى النقط الاتية (١) التمسك والتشدد فى انفاذ الاحكام الشرعية والعمل بها (٢) ضرب الحكومة على ايدى كل فاسق مارق او مفسد سافل بيد من حديد (٣) تشهير الجرائد والخطباء بسيئات كل مسيء مهما علت درجته فى الهيئة الاجتماعية (٤) سهر العلماء على الوعظ ومثابرتهم على الارشاد وبيان فضائل الاخلاق الاسلامية (٥) تأليف الجمعيات العاملة على تهذيب الاخلاق عمليا وبالكتابة والخطابة (٦) عناية اساتذة المدارس ونظارة المعارف بدروس الاخلاق وتطبيقها عمليا ومعاقبة كل من يخالفها باقسى العقوبات (٧) منع اختلاط المسلمين بغير المسلمين فى المساكن (٨) منع الخمور واماكن اللهو المفسدة للاخلاق (٩) الضرب على ايدى العاهرات ومنع تكسرهن وتجولهن فى الاماكن العامة مخافة سراية عدواهن الى غيرهن (١٠) تنقية البلاد من افاقى الشرق واخلاقهم السافلة (المقصود بهذه الفئة من يعبر عنهم الافرنج بكلمة ليفانتين) هذه يا ولدى نصائحى اليك لتبلغها الى قومك فان عملتم بها فابشروا بمجد ينسيكم ماضيكم وبعز يفوق ما رفل فيه اجدادكم والله اسأل لكم الهداية والتوفيق فى كل الاعمال

رؤف — شكرا لك يا مولاى على ما اوليتنا من النصح النافع الذى ارجو ان نعمل به من حين لاخر وسترانا عاملين به قريبا والله عوننا ونعم النصير اما ابلاغه الى الامة فلن يكون الا بواسطة الصحف ولهذا فانا انيب هذه الروح المنصتة

لحوارنا بتبليغه الى الامة وهنا التفت الىّ البطل رؤف باسما وقال احمل هذا يافؤاد فقبلت وقد عرتنى هزة احترام واجلال لهذه الروح الكبيرة ايقظتنى من نومى فجئت ابلغ الرؤيا لقومى علهم يعملون بما حوته هدانا الله سواء السبيل هو نعم المولى ونعم الوكيل

—﴿ الدكتور احمد فؤاد المصرى ﴾—

(الهدايه) عسى الله ان يوفق الامة العثمانية والمسلمين قاطبة الى استماع هذه النصائح الغالية الكفيلة بسلامة الدولة والاسلام . ولطالما كتبنا وخطبنا قبل اليوم فى هذه النصائح وابنا كثيرا من هذه النقط بيانا وافيا فكانت تمر على الاسماع والابصار دون ان تؤثر فى النفوس كاننا نحادث نياما او نخاطب امواتا . اما اليوم وقد القى الله تعالى على المسلمين كثيرا من دروسه البالغة وعظاته القيمة فقد اصبح الامل فى استفادة المسلمين بامثال هذه النصائح شديدا مؤكدا كتب الله التوفيق والهداية انه قريب مجيب

—(ترجمة الشهيد العظيم)—

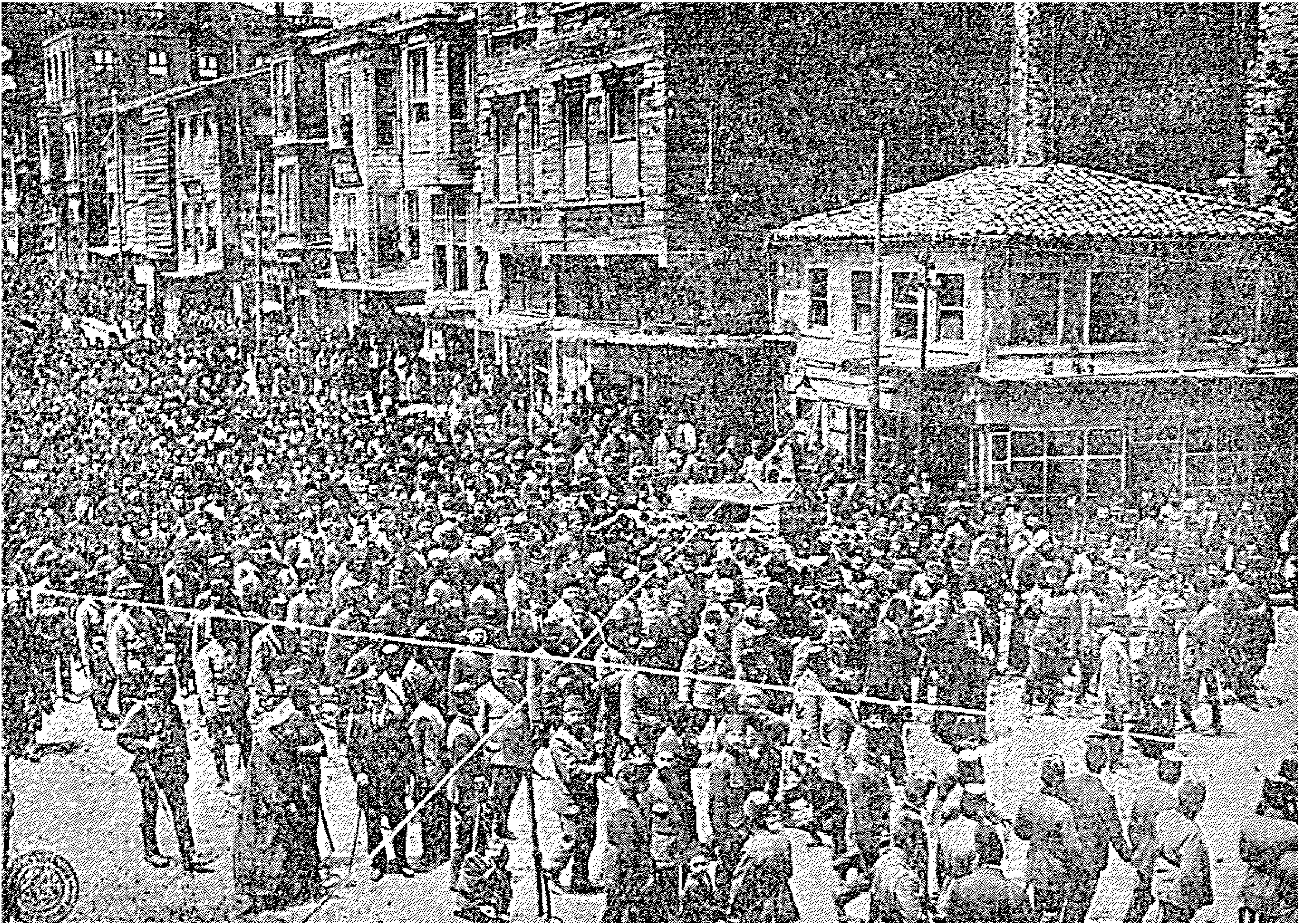
—§ محمود شوكت باشا §—



ولد شوكت باشا ببغداد عام ١٢٧٣ هـ وبعد ان حصل مبادئ العلوم فى تلك البلد قدم الاستانة عام ١٢٩٣ فدخل المدرسة الحربية وبعد ذلك بثلاثة اعوام تخرج فيها وصار يوزباشى فى أركان الحرب وعلى الفور من ذلك سافر الى كريد ليلتحق بالفرقة التى كان يراد ارسالها الى مصر . ثم عاد الى الاستانة فتعين مدرسا لفن السلاح ونظريات الرمى بمدرستها الحربية ثم احرز رتبة قول أغاسى ثم بكباشى ولكنه لم يفارق مع ذلك وظيفته التدريسية

وفى التاسع من شباط سنه ١٣٠٠ بالحساب الرومى اوفدته الحكومة العثمانية مع آخرين الى المانيا ليعاين الاسلحة التى ابتاعتها من مصنع موزر . ثم احرز فى سنة ٣٠٥ الرومية مرتبة قائممقام . وذهب عام ٣١٠ الى فرنسا ليشهد تجاريب ما اخترعته اذذاك وابدعته من السفائن المصفحة والمدافع الفرنسية

وفى اول حزيران سنة ١٣١٥ تعين رئيسا لدائرة البحرية والمعاينة بالطبخانة الملغاة وفى الخامس من شهر مايس سنة ١٣١٧ صار فريقا . وقد ذهب فى تلك السنة الى الحجاز ليراقب الاعمال التلغرافية بين الحرمين الشريفين وقضى هناك سنة كاملة عاد بعدها الى الاستانه .



وفى عام ١٣٢١ تولى امر ولاية قوصوه بعدان ارتقى الى مرتبة فريق أول وما زال واليا فى قوصوه حتى اعلن الدستور . وقد امتاز الفقيد بين اقرانه بما

كان فيه من الصفات النادرة والمزايا العظيمة فقد عرف بالحزم والعزم وحسن الادارة وبعد النظر . وبعد ان اعلن الدستور العثمانى صار شوكت باشا قائد الفيلق الثالث وبقى فى تلك الوظيفة حتى كانت حركته المشهورة الى الاستانه وحمايته الدستور من الخطر الذى كاد يهبط به . وبعد ذلك عين مفتشا عاما للفيالق الاول والثانى والثالث ثم صار ناظر الحربية فى وزارة حقى باشا . وكذلك كان ناظرا للحربية فى وزارة سعيد كوچك باشا ثم صار صدرا أعظم بعد سقوط وزارة كامل باشا الاخيرة

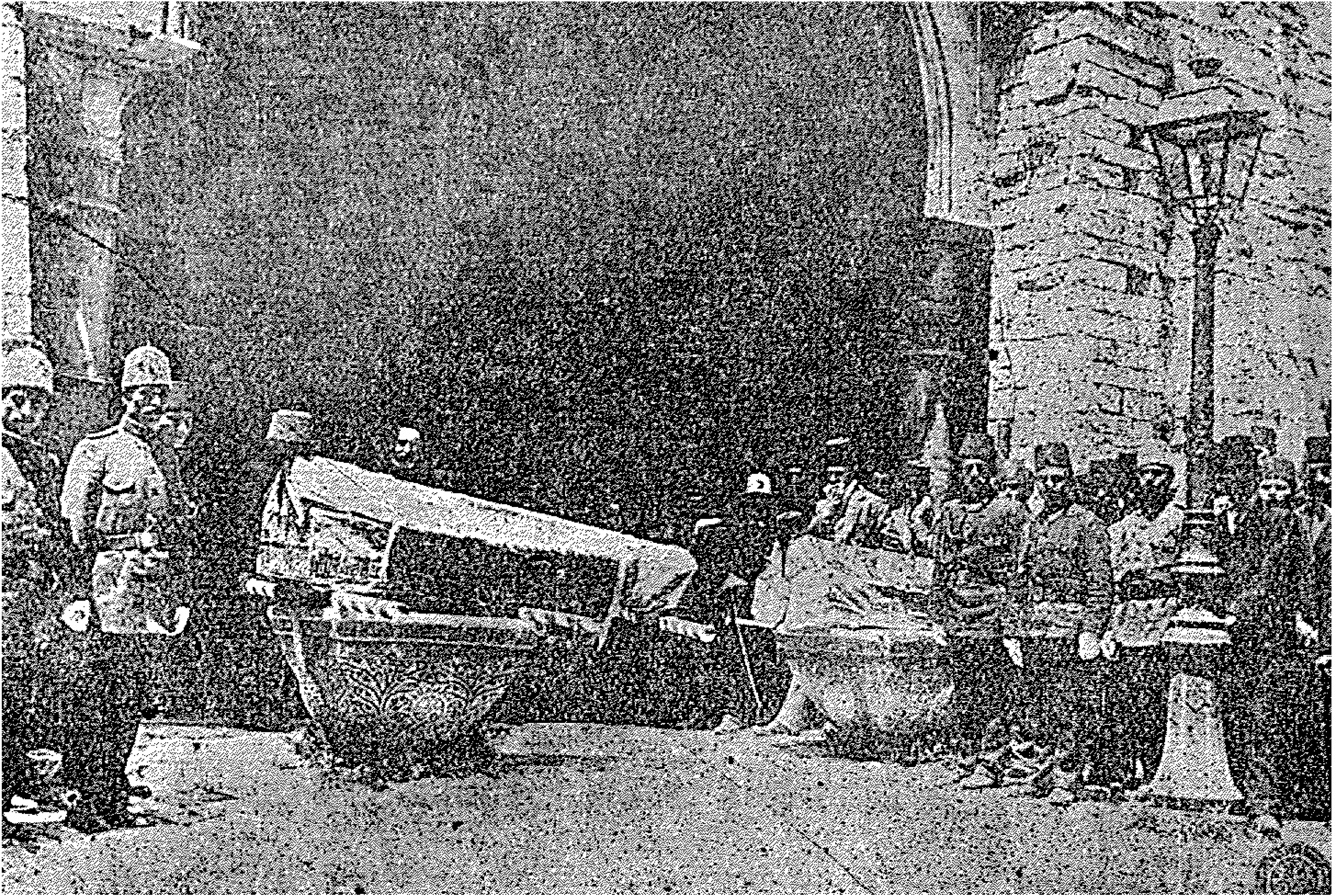
—{ آثاره العلمية }—

للشهيد العظيم آثار علمية وفنية تشهد له بسعة الاطلاع والقدرة البالغة فمن آثاره جد اول اللوغرتمات واصول الهندسة المجسمة وفن الاسلحة وحركات الضباط اثناء الحرب. وخير آثاره الدالة على علو كعبه وغزارة علمه كتاب الأزياء العسكرية والتشكيلات العثمانية لزماننا هذا وكان رحمه الله يحسن التركية والعربية والفرنسية والالمانية . وقد نال شوكت باشا جملة من الاوسمة الفخيمة من الدولة العثمانية ودول ايطاليا والنمسا والصرب

—{ مقتل شوكت باشا }—

بينما كان الصدر الاعظم ذاهبا من نظارة الحربية الى الصدارة كعادته اذا بجنازة اعترضته فى طريقه فانحرف بسيارته عن الجادة ليفسح لها ولم تكد سيارته تستقر به حتى انقض عليه الجناة الأثيمون وكانوا فى سيارة اخرى خلفه يقتفون أثره فاطلقوا عليه المسدسات فاصابت احدى الرصاصات دماغه فخر مغشيا عليه هنالك خرج ياوره الاول اشرف بك واراد اطلاق الرصاص على الجناة فتراكضوا بين السابلة والقاصدين شهود هذا الحادث ولم يتمكن من القبض على احد منهم فذهب من فوره الى نظارة الحربية يخبرها بما نزل .

وقد حاول ابراهيم بك ياور الصدر ان يكون ترسا يقي بجسمه سيده رصاص المجرمين فخر صريعا من فوره



نعشا الشهيدين قبيل الصلاة عليهما

اما الجناة فقد ركبوا سيارتهم وهاموا على وجوههم ينهبون الارض نهبا وذهبوا الى حيث اختفوا ولكن احدهم المدعو «توفيق الاعرج» لم يتمكن من الفرار بسبب ما اعتراه من الدهش والارتباك فاختفى في احد البيوت وهناك فاجأته العساكر فكبلته في الاغلال وفي مساء اليوم التالي قبض على سائق سيارة الجناة جواد وعلى رفيقه

وكذلك تمكنت الحكومة من القبض على ثلاثة في بيوغلي وهم البهلوان كاظم المطرود من العسكرية ومحمد على وشوقي وقد كانوا مختفين في بيت من ذلك الحي . وطريقة امساكهم ان الحكومة حينما علمت بمقرهم ارسلت عدداً كبيرا من الجنود ورجال الشرطة وكان ذلك مساء يوم الخميس فذهب حلمي بك ياور

محافظ الاستانة وصاموئيل افندى مدير القسم القضائى فى دائرة البوليس ومعهما آخرون فطرقوا الباب ودخلوا الغرفة التى فيها الجانون وفى دخولهم اطلق هؤلاء الرصاص عليهم فاصيب حلمى بك فى صدره وصاموئيل افندى فى يده فخرا صريعين على الارض وتمكن الجناة من الصعود الى الطبقة العليا ثم اخذوا يطلقون الرصاص على رجال الحكومة المحيطين بالبيت فاتخذت الحكومة اذذاك التحوطات الكافية . وقد صعد بعض رجال المطافئ الى سطح المنزل فقبوه وهبطوا منه على اولئك المجرمين ثم اوثقوهم وحملوهم الى غيابة السجن

استمر التحقيق فى ديوان الحرب العرفى بكل همة ودقة حتى ظهرت الحقيقة باجلى معانيها واقر المجرمون بجميع ترتيباتهم الجهنمية وشرح بالخصوص محب بك جميع اسرار هذه العصابة الشريرة ومن ساعدوهم من الخارج باموالهم ومهدوا لهم الطرق الموصلة لقلب الحكومة والقاء مقاليد البلاد فى ايدى من خربوها منذ القدم وبعد ان اقتنع المجلس بفظيع جرم اولئك الجناه اصدر الاحكام الاتية وامر بتنفيذها على من القى القبض عليهم وهى :

— اسماء المحاكمين حضورا —

١ — اليوزباشى كاظم افندى (حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه)

٢ — محب بك مدير القسم السياسى فى مديرية البوليس العموميه سابقا (حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه)

٣ — الداماد صالح باشا نجل خيرالدين باشا التونسى وصهر الشاهزاده كمال الدين افندى (حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه)

٤ — المقاصر ضيا افندى (حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه)

٥ — عبدالله صفا افندى رئيس المبصرين فى اعدادى كلنبوى (حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه)

٦ — شوقى افندى المطرود من الملازمية فى البحرية (حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه)

٧ — الملازم محمدعلى افندى الخروج من فرقة سيواس (حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه)

٨ — الاعرج توفيق افندى (حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه)

٩ — الجركس جواد معاون قائد الاوتوموبيل (حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه)



جنازة الشهيد المعظم شوكت باشا

١٠ — كمال احد افراد الجاندرمة (حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه)

١١ — حقى اخو المقامر ضيا (حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه)

١٢ — الميرالاى فؤاد بك معاون مدير فى اركان الحرب العمومية (وشقيق الداماد صالح باشا حكم عليه بالاعدام)

١٣ — قره احمد افندى من مأمورى المعاينة فى الرسومات (حكم عليه بالاشغال الشاقه ١٥ سنه)

١٤ — رائف من عملة الطوبخانه (حكم عليه بالاشغال الشاقه ١٥ سنة)

١٥ — راغب من مهربى التبغ (حكم بالاشغال الشاقه ١٥ سنة)

١٦ — الاعور امين افندى مفتش البوليس سابقا (حكم عليه مؤبداً)

١٧ — عادل بك بن سليمان باشاقازاق من مأمورى البنك الزراعى (حكم عليه مؤبداً فى احدى القلاع)

١٨ — شيخلى مصطفى « برئ »

١٩ — قصابك فهمى المطرود من الملازمية البحرية « برئ »

٢٠ — صادق من افراد الجاندارمة « برئ »

٢١ — الميرالاى كمال بك المأمور فى دائرة اركان الحرب العمومية « برئ »

٢٢ — اليوزباشى عادل بك قومندان البلوك الثالث فى الطابور الاول من الالاى ٢٦ « برئ »

٢٣ — محمد الوقاد فى اوتوموبيل محمود شوكت باشا « برئ »

٢٤ — اسماعيل الوقاد فى اوتوموبيل محمود شوكت باشا « برئ »

٢٥ — عزالدين بك من طلبة مكتب الحقوق « برئ »

—﴿ اسماء المحاكمين غياباً ﴾—

١ — البرنس صباح الدين بك ابن اخت جلالة السلطان (حكم عليه بالاعدام)

٢ — شريف باشا سفير استكهولم الا سبق (حكم عليه بالاعدام »

٣ — رشيد بك ناظر الداخلية الا سبق « حكم عليه بالاعدام »

٤ — اسماعيل بك مبعوث كوملجنة الا سبق « حكم عليه بالاعدام »

٥ — كمال مدحت بك من المحررين ومن ماذونى مكتب الحقوق « حكم عليه بالاعدام »

٦ — برتو توفيق بك الكاتب الخصوصى لشريف باشا « حكم عليه بالاعدام »

٧ — القائمقام ذكى بك الجركسى حكم « عليه بالاعدام »

٨ — نظمى المقام « حكم عليه بالاعدام »

٩ — مهندس الاوتوموبيل عبدالرحمن نجل الميرلوا الحاج نظمى باشا « حكم عليه بالاعدام »

١٠ — حكمت الجركسى شقيق اليوزباشى كاظم « حكم عليه بالاعدام »

١١ — محمد بك الجركسى المتقاعد من قوماندانية البلوك فى الجاندرمة « حكم عليه بالاعدام »

١٢ — مصطفى القواقى من مهربى التبغ « حكم عليه بالاعدام »

١٣ — حقى الجركسى شقيق اليوزباشى كاظم « حكم عليه بالاعدام »

ففى رحمة الله ايها الشهيد العظيم وفى رحمة الله يامن وقف حياته على خدمة هذا الوطن المقدس وفى رحمة الله يامن اتعب نفسه لراحة امته وفى رحمة الله يا شهيد الاسلام والقيام بالواجب ومجدد شأن جيش الخلافة ومنظمه فلتذكرك الامة ابد الدهر تخليدا لذكرك العاطر و اعترافا بجلائل خدماتك

—(المجاهدون فى طرابلس)—

ان من عجائب التاريخ فى القرن الحالى موقف اخواننا العرب من اهل طرابلس الغرب وبرقة ازاء ايطاليا . ولقد كان من المظنون ان الحرب لابد ان تضع اوزارها اذا ما خرجت الجنود العثمانية النظامية من تلك البلاد . ولكن ماذا جرى ؟ عقدت ايطاليا الصلح مع الدولة العثمانية فبدأت الدولة على الفور من عقد الصلح تجلب جنودها وضباطها واسلحتها الى الحاضرة فتوهمت ايطاليا وامم الصليب الاخرى ان قد رسخت قدم حكومة روما فى تلك البلاد العربية الاسلامية

ثم ضاعف آمالها فى ذلك مساعى الخونة الذين باعوا منهــا دينهم وذممهم بدراهم معدودة كابن المنتصر ومنصور الكيخيا وعمر باشا منصور واضرابهم من الخونة المارقين المطرودين من رحمة الله الناقضين لذمته وعهده

بيد ان الذى وعدنا النصر والفوز اذا نحن اخلصنــا له فى النية والعمل ووقفنا ارواحنا واموالنا على تأييد كلمته قد امد اخواننا المجاهدين من لدنه بجنود لم يروهــا . أمدهم بروح القدس وثبت من اقدامهم حتى لــقد جعلوا يهزمون الاحزاب من قوم الكفر المغيرين ويذيقونهم من العذاب الاليم ما يذكرون مرارة طعمه أبد الآباد .

وفى اقرب الوقائع التى حصلت فى برقة منذ نحو اربعين يوما ان قتل اخواننا المجاهدون من العرب نحو ثلاثة آلاف واسروا خمسة وثلاثين وغنموا منهم اربعة مدافع ثلاثة منها فى حاجة الى الاصلاح ورابعها لم يمسسه سوء . وكذلك غنموا منهم ثلاثة آلاف بندقية او تزيد .

ومن اخبار طرابلس المروية عن شركة استيفانى التلغرافية الايطالية بتاريخ ٢٩ رجب ان قد حدثت معركة بين العلليــان وبين قافله طرابلسية اشتد فيهــا القتال حتى اضطر الايطاليون الى العزلة حتى بلغتهم الامداد ثم عاودوا القتــال بشدة بالغة ارتد على أثرهــا الايطاليون متحملين خسائر جمة وانقلب اخواننــا المجــاهدون فرحين بمــا احرزوا من النصر المبين وما النصر الا من عند الله العزيز العليم .

ومما يألم له قلب كل مسلم ان ايطاليا اصرت على الدولة الا تخرج من الجزائر العثمانية فى بحر ايجى حتى يعود عزيز بك المصرى ومن معه من العساكر النظــامية . وهنالك جعلت الدولة تبتهل الى ذلك القــائد والى الحضرة السنوسية ان يكون ما ارادته ايطاليــا حتى تسلم الجزر للدولة فامتثل عزيز بك الامر وقبل السيد احمد الشريف رجاء الدولة فى ذلك ففقدت ميادين القتال فى برقة بخروج ذلك البطل المقدام ركنا مكينا ولكن لا ينبغى ان نحزن ونبتئس بما كان فالله متم نوره ومؤيد انصاره ولو كره الكافرون .

بقى علينا ان نوجه لاخواننا المسلمين فى اطراف الارض انهم مسئولون عن اخوانهم أولئك المجاهدين فعليهم ان يمدوهم برجال فان لم يستطيعوا فبالمال وهذا أقل ما تفرضه عليهم الاخوة الاسلامية والمروءة الانســانية والنخوة العربية .

ان عليهم ان يزودوهم بالسلاح وآلة القتال والا يقطعوا عنهم الميرة حتى يستطيعوا ان يقاوموا بذلك عدوالله وعدوهم ويدافعوه عن ارضهم ودينهم حتى لا يصيبهما بمكروه .

ذلك حق عليهم فى الكتاب والسنة وقد جاد الله عليهم وغمرهم بمنه وأحسانه وما كانوا ليعجزوا ان ينفقوا الفاضل من مالهم فى سبيل الله فيقوا بذلك اخوانهم ودينهم وانفسهم من التهلكة وهم يتلون فى القرآن الكريم قوله تعالى (وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين) .

فعلى الشعوب الاسلامية الا تنسى هذه الفريضة المقدسة فلتؤلف اللجان ولتجمع الاموال ولتبذل ما استطاعت فى سبيل الله (والذين جاهدوا فينالنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)

ومما علمناه والحزن والاسى ملء قلوبنا ان ايطاليا اخذت تحشر الآلاف من عرب تلك البلاد المسلمين لتقاتل بهم اخوانهم المجاهدين ولسوف تسوقهم الى ميادين القتال ليقتل بعضهم بعضا ثم تخرج هى آخر الامر ظافرة رابحة . وكذلك تستعين دول الصليب فى اكتساح البلاد الاسلامية ببعض المسلمين على بعض ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

ـ برقة ـ

—{ السيد السنوسى وعزيز بك المصرى }—

كثرت الاشاعات والتخرصات فيمابين سيدى احمد الشريف السنوسى وعزيز بك المصرى القائد العام لجنود برقة من الخلاف . وما كنا لنصدق شيئا من ذلك لولا ما رأينا فى الجرائد حديثاً من ان المفسدين قد جدوا فى التفريق بين السيد السنوسى وبين ذلك القائد المظم فافلحوا

وقد نشرت جريدة الاهالى المصرية فى عددها الصادر فى ٣٠ رجب الحاضر عبارة فى ذلك ننقلها للقراء فيمايلى

(بعد ان وضع السيد هلال تحت الحفظ بثلاثة ايام قبض حراس معسكرنا على زنجي اشتبهوا فيه وقددل التحقيق على انه كان مأجورا لقتل عزيزبك فاودعناه السجن غير اننا اندهشنا كل الاندهاش حين علمنا بعد ذلك انه تمكن من الهرب بالرغم من الحراس الكثيرين الذين كانوا يحافظون عليه

وفى يوم ١٣ مايو حضر الىّ فى الخيمة السيد الخوجه مرسلا من السيد احمد الشريف وقال ان معه خطابا يريد ان يسلمه الى عزيز بك يدا بيد فلما ادخلته على عزيز بك قال له ان السيد احمد الشريف نازل على مسيرة ساعة و نصف من وادى درنه ويريد ان يقابله بالليل وحده . فاجاب عزيز بك بالسمع والطاعة ولكنى ارتبت واردت ان احمله على العدول عن هذه المقابلة فلم يصغ لى واخيرا اتفقنا على أن نأخذ الاحتياطات للطوارئ فسار وسرت من خلفه ومعى ثمانية رجال مسلحين حتى اذا وصلنا الى المكان المعين لم نجد احدا فزادت ريبتنا فى أمر هذه المقابلة

وفى اليوم التالى حضر الرسول نفسه واعتذر عن السيد ثم طلب ٣٥ بندقية ومقدارا كبيرا من الخرطوش وقال ان السيد ينتظر فى هذه الليلة . فذهبنا أيضا وكان معنا ١٦ جنديا مسلحين وبعد مسير ساعتين فى الظلام وصلنا الى المكان المعد للمقابلة واتفقنا على ان ينبهنا عزيز بك بالصفارة اذا شعر بخطر ثم سار عزيز بك وحده ودخل خيمة السيد السنوسى فمكث فيها نحو نصف ساعة وبعد ذلك جاءنى مستشار السيد واخذنى الى خيمته فوجدت القائد يقص على السيد احوال اخيه فاظهر السيد استياء وكدرا عظيمين واخبرنا انه قادم الى المعسكر بنفسه فى الصباح اى فى يوم ١٦ مايو

وبعد ان مكثنا جزءاً عظيما من الليل على هذه الحال عدنا فى صباح يوم ١٦ مايو الى المعسكر فوجدنا الايطاليين قدتقدموا فى تلك الليلة من معسكرنا ورأينا جنودنا منهزمين . وفى الحال تقدم عزيز بك واستحث الجنود وكانت المعركة الكبرى التى جاءتكم اخبارها من قبل »

وقد اتصل بنا من الانباء الموكدة ان اخا السيد احمد الشريف المذكور فى تلك المقالة اصبح فى قبضة انجلترا وايطاليا جميعا يقبل هداياهما ويجيب دعوات رجالهما . ومن المحقق أنه صار يحث شيوخ الزوايا على الخنوع والاستسلام ويزين لهم حض العرب على مفارقة ميادين القتال .

وبسبب مساعيه الدينية هذه تمكن الايطاليون من التقدم فى فتحهم وسينال الانجليز ايضا حظاموفورا من آمانيهم . ونحن نعتقد ان سيدى احمد الشريف قد لا يكون مطلما على احوال أخيه ولكن النتيجة على كل حال واحدة وما هى غير تمكن الامم الصليبية من رقاب المسلمين واستحواذها على مقاليد الاسلام .

واذا غر السيد السنوسى وأخاهمايسمعونه اليوم من الوعود المعسولة فليأتين يوم يصيبهما واتباعهما فيهمن العذاب الهون مثل مالحقباخوانهم فى بلاد الجزائر وتونس وليعلمن نبأه بعد حين . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ولقد اجدنى مضطر الى تكذيب ما يشاع من ان السيد الشريف مطلععلى ذلك عليم بما جرى بين الطليان وبين اخيه من المخابرات والمداولات فان فى ثباته على الدفاع ونصرة رجاله بعد خروج عزيز بك مايدل على انه لا يجوز ان نرمى السيد السنوسى بتلك التهمةالشنيعة وكيف وقدجاءت الشركات التلغرافيةالايطالية بعد خروج عزيز بك تقص علينا ما تحمل الطليان من الخسائر الفادحة واذا جاز ان يكون سيدى احمد الشريف اراد مسالمة ايطاليا بقدر فقد ارانا التاريخ كيف فعلت فرنسا مع سيدى عبدالقادر الجزائرى بعد اذ تهادنا وتصالحا على اعتراف فرنسا باستقلاله فانها ما فعلت ذلك الا لتتمكن من لم شملها وابتياع ذمم من حوله من شيوخ الزوايا ورؤساءالعشائر فلما تم لها ما رسمته من المقدمات انقضت عليه انقضاض البازى على الفريسة واستلبته ملكه ثم اخرجته عن بلاده على النحو الذى نعلم .

ـ(فى شمال الهند)ـ

يسكن المنطقة الجبلية فى شمال الهند اقوام اشداء العزائم اقوياء الشكيمة لم يتدنسوا بالمدنية الغربية بل هم على الفطرة السليمة والاخلاق الكريمة

ولقد كانوا من قبل لا يشتغلون بامر الجرائد ولا بالبحث عن احوال الامم الاخرى ولكن جاءت حروب البلقان وفظائع الغارات الصليبية فى مقدونياوالبانيا

فانبثت فى قلوبهم محبة الاطــلاع على اخبار الدولة العثمانية والبحث عن احــوال اخوانهم المسلمين . ولقد استخطتهم تلك الفظائع على مسيحي البلقان حتى جعلوا يهمون بالهجرة الى ميادين القتال ليدفعوا الاذى او يخففوه عن اخوانهم المسلمين ففى آخر اسبوع من شهر ابريل ذهب خمسمائة رجل من قبائل الجرق الى الحاكم الانجليزى فى ماردان وقالوا له ان انجلترا فى ولاء مع رجال قبائل الحدود وقد عاهدتهم منذ اثني عشر عاما انها صديقة لهم وان اعداءهم اعداءلها وتقرر بذلك الحلف ان تلك القبائل تدافع على انجلترا فى الهند اذا ماباغتها عدو وكذلك يكون شأنها معهم

وبمقتضى هذه المعاهدة طلبوا من انجلترا ان تفى بوعودهــا فتساعد خليفة الاسلام وتحارب فى صفه ازاء اعداء الاسلام من ملوك البلقــان . ثم طلبوا من ذلك الحاكم ان يخبرهم جهارا بما قد يكون لدى حكومته من الاعتراضــات وأنه لابد لها من تسهيل سبل الرحيل لهم اذا هى ابت الاشتراك مع الخليفة فى محاربة اعداء دينهم وملتهم من ملوك البلقان حتى يلحقوا بميادين القتــال وكذلك ذهب رجال من قبائل حسن زاى ومو داخيل الى نائب الوالى فى ابسط أباد وقالوا : الآن اغار بعض ملوك النصارى على املاك خليفة الاســلام واصــابوا المسلمين بالنهب والسلب والقتل فالجهاد اصبح واجبا علينا حيث نحن الآن . ولذلك ندعو انجلترا بمقتضى مابينها وبيننا من المعاهدات ان تساعد السلطان وان تزيل الصعوبات من أمامنا فى ذهابنا الى تركيا .

—﴿ حمية غنى مسلم ﴾—

قرأنا فى جريدة ولاية تركستان خبراً مفاده ان احد اغنيــاء قير غيز (باى مشرب باى) تبرع بمقدار ٢٠٠,٠٠٠ الف روبله لانشاء مدرســة فى المدينة المذكورة وخصص لذلك عقارات بمبلغ ثلاثة الاف روبله سنوية لتصرف على المدرسة المذكورة فجزاه الله خير الجزاء عن المسلمين

—﴿ جمعية كاشغر الاسلامية ﴾—

اجتمع اهــالى كاشغر وقرروا تشكيل جمعية خيرية اســلامية وجعــلوا

لها مكتبة خصوصية وناديا للقراءة وقد تشبثت الجمعية المذكورة ايضاً بتأسيس مطبعة ورأس هذه الحركات الشريفةهو عبدالقادر افندى عبدالوارث من اشراف البلدةالمذكورة .

—{ آخر الانباء }—

فتح ادرنة

يعرف القراء ما كان من طغيان جيوش الجور والظلم والكفر على املاكنا الاروبية ولكن عين الله التى لاتنام ولا تغفل قدرأت ما اصاب اهل التوحيد من عباده المسلمين فى تلك البقاع لاسيما ولاية ادرنه فقضى عزت قدرته وجلت حكمته ان يقع الفشل والتطاحن فى جيوش الاعداء حتى جعل بعضهم يقطع رقاب بعض كان الله يريد بذلك انقاذ بيوته المقدسة وعباده الموحدين من ايدى أولئك الجبابرة المتبربرين . وقد وفق الله رجال دولتنا الى تقرير الزحف على تلك الولاية فجعل الجيش يتقدم امام امام حتى بلغ ادرنه فى ظهر يوم الثلثاء ١٧ شعبان فوجدها كما وجد غيرها من والمدن القرى فى تلك الولاية خراب عام وقتل وتنكيل وعذاب بئيس فقاتل الله البلغار ومكننا من رقابهم حتى نريهم ونريهم جزاء ما فعلت ايديهم الاثيمه

محمد بن عبدالرحمن

بن محيصن السهمى مولاهم المكى قارئ اهل مكة مع ابن كثير وحميد الاعرج ومنهم من يسميه عمر ومن القراء من سماه عبدالرحمن ابن محمد بن محيصن ومنهم من سماه محمد بن عبدالله بن محيصن حكى هذين القولين ابن مجاهد و قال مصعب الزبيرى هو عبدالرحمن بن محيصن بن وداعه . ولابن محيصن رواية شاذة فى كتاب المبهج وغيره وهو فى الحديث ثقة احتج به مسلم قرا القران على سعيد بن جبير ومجاهد ودرباس مولى ابن عباس وحدث عن ابيه وصفية بنت شيبة و محمد بن قيس بن مخرمه وعطاء . قرا عليه شبل بن عباد وابو عمرو بن العلا وعيسى بن عمر القارى وحدث عنه ابن جريج وهشيم وابن عيينة وعبدالله بن المومل المخزومى قال ابن المدينى قلت لسفيان هذا يعنى عمر بن محيصن الذى كان قارئا ها هنا قال نعم وقال بعضهم هذا الصواب فان محمد اسن من عمر كذا قال هذا وقد سماه محمد بن عبدالرحمن شبل بن عباد وغير واحد وسماه ابو عبدالله الحاكم وابو احمد السامرى عبدالله بن محيصن وسماه ابن معين وابن عدى عمر فهذه ستة اقوال فى اسمه والله اعلم . توفى سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة رحمه الله تعالى

الطبقة الرابعة

ابو عمرو بن العلاء

ابو عمرو بن العلاء المازنى المقرئ النحوى البصرى الامام مقرئ اهل البصره اسمه زبان على الاصح وقيل العريان وقيل يحيى وقيل محبوب وقيل جنيد وقيل عيينه وقيل عثمان وقيل عياد وهو ابو عمرو بن العلا بن عمار بن العريان وقيل ابن العلاء بن عمار بن عبدالله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعى بن مالك بن عمرو بن تميم التميمى ثم المازنى وقال الاصمعى وعمر بن

شبه اسمه كنيته وعن الاصمعي رواية اخرى عمرمت.قال اسمه زبان وله اخوة ابوسفيان ومعاد وابو حفص . ولد ابو عمرو سنة ثمان وستين وقيل سنة سبعين واخذ القراة عن اهل الحجاز واهل البصرة فعرض بمكة على مجاهد وسعيد ابن جبير وعطاوعكرمة ابن خالد وابن كثير وقيل انه قرأعلى ابى العالية الرياحى ولم يصح مع انه ادركه وادرك من حياته نيفا وعشرين سنة وقيل انه عرض بالمدينة على ابى حفص عمر وجعفرويزيدبن رومان وشيبةوعرض بالبصرة على يحي بن يعمر و نصر بن عاصم والحسن وغيرهم وحدث عن انس بن مالك وعطاءبن ابى رباح ونافع وابى صالح السمان قرأعليه خلق كثيرمنهم يحيي بن المبارك اليزيدى وعبد الوارث التنورى وشجاع البلخى عبدالله المبارك واخذعنه القرأة والحديث والاداب ابو عبيدةو الاصمعي وشبابةويعلى بن عبيدوالعباس بن الفضل ومعاذبن معاذوسلام ابو المنذر بن نصر الجهضمي ومحبوب بن الحسن ومعاد بن مسلم النحوى وهارون بن موسى وعبيد بن عقيل قال ابو عمرو الدانى يقال انه ولد بمكة سنة ثمان وستين ونشا بالبصرة ومات بالكوفة واليه انتهت الامامة فى القراة بالبصرة قال الاصمعي سمعت ابا عمرو يقول كنت راسا والحسن البصرى حى وقال اليزيدى كان ابو عمرو وقد عرف القراءات فقرأ من كل قراة باحسنها وبما يختار العرب وبما بلغه من لغة النبي صلى الله عليه وسلم وجاء تصديقه فى كتاب الله عز وجل وروى اليزيدى عن ابى عمرو قال سمع سعيد بن جبير قراءتى فقال الزم قراءتك هذه وقال ابو عبيد حدثنى شجاع بن ابى نصر وكان صدوقاً قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فعرضت عليه اشياء من قراءة ابى عمرو فمارد على الاحرفين احد هما وأرنا مناسكنا والاخر قوله ماننسخ من اية اوننساها فأن ابا عمرو كان قراءته اوننساها وقال ابن مجاهد حدثنى جعفر بن محمد قال محمد بن بشير قال سفيان ابن عيينة رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد اختلفت على القرات فبقراءة من تأمرنى ان اقرأفقال اقرا بقراة ابى عمرو بن العلا وقال وهب بن جرير قال لى شعبة تمسك بقراة ابى عمرو فانها ستصير للناس استاذا وقال الاصمعي سمعت ابا عمرو يقول لولا انه ليس لى ان اقرا الا بما قرابه لقرات حرف كذاوحرف كذاوسمعته يقول خذالخير من اهله ودع الشر لأهله وقال وكيع قدم ابو عمرو بن العلا الكوفة فاجتمعوا اليه كما اجتمعوا على هشام بن عروة وقال ابو العيناء عن ابى عبيدة كان ابو عمرو اعلم الناس بالقرءات والعربية وايام

العرب والشعر وايام الناس. ابو العينا عن الاصمعى قال لى ابو عمرو لوهيا لما ان افرغ مافى صدرى من العلم فى صدرك لفعلت لقد حفظت فى علم القران اشياء لوكتبت ماقدر الاعمش على حملها ولولا ان ليس لى أ لا ان اقرا الابما قرى لقرات كذا وكذا وذكر حروفا قال ابراهيم الحربى وغيره كان ابو عمرو من اهل السنة وقال اليزيدى ومحمد بن حفص تكلم عمرو بن عبيد فى الوعيد سنة فقال ابو عمرو انك لا لكن الفهم اذ صيرت الوعيد الذى فى اعظم شئ مثله فى اصغر شئ فاعلم ان النهى عن الصغير والكبير ليسا سـواء وانما نهى الله تعالى عنهما لتتم حجته على خلقه وليلا يعدل عن امره ووراءوعيده عفوه وكرمه وانشد

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتى
ولا اختشى من صولة المتهدد
وانى وان اوعدته و وعدته
لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

صـدقت وقد يتمدح العرب بالوفابهمـا كقولهم لايخلف الوعـد والوعيد ولايبيت من ثاره على فوت فقدوافق هذا قول الله تعالى(ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قدوجدنا ماعدنا ربنا حقاً)الاية فقال ابو عمرو قدوافق الاول اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث يفسر القرآن وقال الاصمعى كنت اذا رايت ابا عمرو يتكلم ظننته لايعرف شيا كان يتكلم كلاماً سهلا وكان له كل يوم بفلس كوز وبفلس ريحان فيشرب بالكوز يوماً ويهبه ويامر الجارية فتدق الريحان اذا جف فى الاشـنان وقال ابو عبيـدة كانت دفاتر ابى عمرو ملء بيت الى السقف ثم تنسك فاحرقها وكان من اشراف العرب ووجوههم وقال الاصمعى قال ابو عمرو انمـا نحن فيمن مضى كبقل فى اصول نخل طوال قال ابن معين ابوعمرو ثقة وقال ابو حاتم لا بأس به قلت ليس له فى الكتب الستة شئ وعن ابى عمرو قال نظرت فى هذا العلم قبل ان اختتن ولى اربع و ثمانون سنة وروى ابن مجاهد عن جعفر بن محمد عن احمد بن الاسود ان ابا عمرو كان متواريافدخل عليه الفرزدق فانشده

مازلت افتح ابوابا و اغلقها
حتى اتيت ابا عمرو بن عمار

حتى اتيت فتى ضخماً وسيعته
مرالمريرة حر وابن احرار
تميهم مازن فى فرع نبعتها
جد كريم وعود غير خوار

قال ابو عبيدة حدثنى عدة عن ابى عمرو انه قرأ القرآن على مجاهد وقال بعضهم وعلى سعيد بن جبير قال ابن مجاهدحدثونا عن محمد بن سلام قال مر ابو عمرو بمجلس فقال رجل من القوم ليت شعرى من هذا أعربى أم مولى وهو على بغلة فقال النسب فى مازن والولا للعنبر وقال عدس للبغلة ومضى قال ابن مجاهد حدثنى بعض اصحابنا عن ابى بكر بن خلاد عن وكيع قال قرأت على قبر ابى عمرو بالكوفة هذا قبر ابى عمرو بن العلا مولى بنى حنيفة قلت لمه ولأحلف ابن دريد حدثنا ابو حاتم عن ابى عبيدة قال قال ابو عمرو بن العلا انا زدت هذا البيت فى اول قصيدة الاعشى واستغفر الله منه

وانكرتنى وما كان الذى نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا

قال الاصمعى وغيره توفى ابو عمرو سنة اربع وخمسين ومابة

يحيى بن الحارث الذمارى

ابو عمرو الغسانى الدمشقى امام الجامع ومقرئ البلد وذمار قرية من قرى اليمن من اعمال صنعاء ابوه منها وهو الذى خلف ابن عامر بدمشق وانتصب للاقراء أخذ عن ابن عامر وقيل انه قرأ ايضاً على واثلة بن الاسقع وحدث عن واثلة وسعيد بن المسيب وابى سلام الاسود وابى الاشعث الصنعانى وسالم بن عبدالله وجماعة قرأ عليه ائمة مثل عراك بن خالد وايوب بن تميم والوليد بن مسلم ومدرك ابن سعد وسويد بن عبدالعزيز وهشام بن الغاز ويحيى بن حمزة وصدقة بن عبدالله وسمع منه الاوزاعى وسعيد بن عبدالعزيز وصدقة بن خالد وصدقة بن عبدالله السمين ومحمد بن شعيب بن شابور وغيرهم ذكره ابو حاتم فقال ثقة عالم بالقراءة فى دهره بدمشق وروى ابن ذكوان عن ايوب بن تميم قال

كان يحيي بن الحارث يقف خلف الائمة لايستطيع ان يؤم من الكبر كان يردعليهم اذا غلطوا وقال سويد بن عبدالعزيز سالت يحيي بن الحارث عن عدد آي القرآن فاشار الى بيده اليسار ستة آلاف ومايتان وست وعشرون وقال مروان الطاطرى حدثنا ابو عبدالملك القارى حدثنا يحيي بن الحارث قال لقيت واثلة بن الاسقع فقلت هل بايعت بيدك هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قلت فاعطنيها حتى اقبلها فاعطانيها فقبلتها قال ابو حاتم الرازى عاش يحيي الذمارى تسعين سنه وقال خليفة توفى سنة خمس واربعين ومائة قلت وحديثه فى السنن الاربع

نافع بن عبدالرحمن

ابن ابى نعيم الليثى مولاهم ابورويم المقرئ المدنى احد الاعلام هو مولى جعونه بن شعوب الليثى حليف حمزة بن عبدالمطلب او حليف اخيه العباس وقيل يكنى اباالحسن وقيل اباعبدالرحمن وقيل ابو عبدالله و قيل ابونعيم واشهرها ابو رويم قرأ على طبقة من تابعى اهل المدينة وكان اسود اللون حالكاً واصله من اصبهان قال ابو قره موسى بن طارق سمعته يقول قرأت على سبعين من التابعين قال ابو عمرو الدانى قرأ على الاعرج وابى جعفر القارئ وشيبه بن نصاح ومسلم بن جندب ويزيد بن رومان وصالح بن خوات قلت وسمع الاعرج ونافعاً مولى ابن عمر و عامر بن عبدالله بن الزبير واباالزناد و عبدالرحمن ابن القاسم وغيرهم واقرأ الناس دهراً طويلاً فقرا عليه من القدماء مالك واسماعيل بن جعفر وعيسى بن وردان الحذاء وسليمان بن مسلم بن جماز ومن بعدهم اسحق المسيبي والواقدى ويعقوب بن ابراهيم ابن سعد وقالون وورش واسماعيل بن ابى اويس وهوا آخر من قرا عليه موتا وروى عنه الليث بن سعد وخارجة بن مصعب وابن وهب و اشهب و خالد بن مخلد وسعيد بن ابى مريم والقعنبي ومروان الطاطرى وسقلاب ومعلى بن دحيه وكردم المغربى والغازى بن قيس وخلق كثير . وكثير منهم قرا عليه و بعضهم حمل عنه الحروف قال سعيد بن منصور سمعت مالكاً يقول قراه نافع سنة وقال عبدالله بن احمد بن حنبل سألت ابى اى القراة احب اليك قال قراة اهل المدينة فان لم يكن فقراة عاصم وقال مالك نافع امام الناس فى القراءة وروى ابو خليد الدمشقي و اسمه عتبة عن الليث بن سعد

انه قدم المدينة سنة عشر فوجد نافعاً امام الناس فى القراءة لاينازع قلت المحفوظ
عن الليث انه قال فى سنة ثلاث عشرة هكذا قال ابن وهب و غيره عنه و قال
احمد بن هلال المصرى قال لى السنانى قال لى رجل ممن قرأعلى نافع ان نافعاً
كان اذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك فقلت له يااباعبدالله او يااباروىم اتتطيب
كلما قعدت تقرئ قال ما امس طيباً ولكنى رايت النبى صلى الله عليه وسلم وهو
يقرأ فى فى فمن ذلك الوقت اشم من فى هذه الرائحة قال الاصمعى عن فلان ادركت
المدينة سنة مائة ونافع رئيس فى القراءة قال الاصمعى قال لى نافع اصلى من اصبهان
وروى هارون بن موسى الهروى عن ابيه عن نافع بن ابى نعيم انه كان يجيز
كل ماقرئ عليه الاان يسأله انسان ان يقفه على قرائه فيقفه عليها وعن الاعشى
قال كان نافع يسهل القرآن لمن قرأ عليه الاان يسأله وقال نافع تركت من قراءة
ابى جعفر سبعين حرفاً وخلست الى نافع مولى ابن عمر ومالك صبى رواها
الاصمعى عنه. ابو مصعب الزهرى عن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم قال كنا نقرأ
على ابى جعفر القارئ وكان نافع يأتيه فيقول يا ابا جعفر ممن اخذت حرف كذا
وكذا فيقول من رجل قارئ من مروان ابن الحكم ثم يقول له ممن اخذت حرف
كذا كذا فيقول من رجل قارئ من الحجاج بن يوسف فلما راى ذلك نافع
تتبع القراءة يطلبها و قال اسحق المسيبى قال نافع قرأت على هؤلاء فظرت الى
مااجتمع عليه اثنان منهم فاخذته وماشذ فيه واحد تركته حتى الفت هذه القراءة
وقال الاصمعى سألت نافعاً عن الذيب والبير فقال ان كانت العرب تهمزها فاهمزها
وروى الحلوانى عن قالون ان نافعا كان لايهمز همزاً شديداً ويمدء يحقق القراءة
ولايشدد ويقرب بين الممدود وغير الممدود و قال عبيد بن ميمون التبان قال لى
هارون بن المسيب قراءة من تقرأ قلت قراءة نافع قال فعلى من قرأنا فع قال على
الاعرج و قال الاعرج قرأت على ابى هريرة رضى الله عنه وقال عثمان
ابن خرزاذ حدثنا عبدالله بن ذكوان حدثنا اسحاق بن محمد المسيبى عن نافع اخبره
انه ادرك ايمة يقتدى بهم فى القراء منهم الاعرج وابو جعفرو وشيبه ومسلم بن
جندب وغيرهم قلت وروى ان نافعا كان صاحب دعابة وطيب اخلاق وثقه يحيى بن
معين ولينه احمد بن خنبل وقال النساى ليس به بأس وقال ابو حاتم صدوق قلت
لم يخرجوا له شيئا فى الكتب السته. قال ابن عدى لنافع عن الاعرج نسخة ماية حديث
حدثناها جعفر بن احمد عن احمد بن محمد الرازى عن سعيد بن هاشم عنه وله نسخة اخرى

اكثر من مائة حديث عن ابى الزناد عن الاعرج رواها ابن ابى فديك عنه وله من التفاريق قدر خمسين حديثاً ايضاً ولم اره شيئا منكراً وارجو ان لا بأس به اخبرنى عمر بن عبد المنعم عن الكندى اخبرنا ابن توبة اخبرنا الصيرفى اخبرنا عمر بن ابراهيم حدثنا ابن مجاهد حدثنا ابو بكر عبد الله بن ابى بكر بن حماد المقرى حدثنا ابى حدثنا محمد بن اسحاق عن ابيه قال لما حضرت نافعاً الوفاة قال له ابناؤه اوصنا قال اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين قال ومات سنة تسع وستين ومائة رحمه الله تعالى

عيسى بن وردان

الحذاء ابو الحارث المدنى القارئ قرأ على ابى جعفر القارئ وشيبة بن نصاح ثم عرض على نافع بن ابى نعيم وهو من قدماء اصحابه ولعله مات قبله روى عنه القراءة عرضاً اسماعيل بن جعفر المدنى وقالون والواقدى وغيرهم

حمزة بن حبيب

ابن عمارة بن اسماعيل الامام ابو عمارة الكوفى مولى آل عكرمة بن ربعى التيمى الزيات احد القراء السبعة ولد سنة ثمانين وادرك الصحابة بالسن فلعله رأى بعضهم وقرأ القرآن عرضاً على الاعمش وحمران بن اعين ومحمد بن عبد الرحمن ابن ابى ليلى ومنصور وابى اسحاق وغيرهم وقرأ ايضاً على طلحة بن مصرف وجعفر الصادق وتصدر للاقراء مدة وقرأ عليه عدد كثير وقد حدث عن طلحة بن مصرف وحبيب بن ابى ثابت والحكم وعمرو بن مرة وعدى بن ثابت ومنصور وعدة . قرأ عليه الكسائى وسليم بن عيسى وهما اجل اصحابه وعبد الرحمن بن ابى حماد وعابد بن ابى عابد والحسن بن عطية واسحق الازرق وعبيد الله بن موسى وحجاج بن محمد وابراهيم بن طعمة ويحيى بن على الخزار وسعيد بن ابى الجهم ويحيى بن اليمان وخلق وحدث عنه الثورى وشريك ومندل وابو الاحوص وشعيب ابن حرب وجرير بن عبد الحميد ويحيى بن آدم وقبيصة بن عقبة وبكر ابن بكار ومحمد بن فضيل وعبد الله بن صالح العجلى وامم سواهم وكان اماماً حجة قيماً بكتاب الله تعالى حافظاً للحديث بصيرا بالفرائض والعربية عابداً خاشعا قانتا لله شديد الورع عديم النظير قال البخارى حمزة بن حبيب الزيات مولى بنى تيم الله بن ثعلبة بن عكابة وقال محمد بن الحسن النقاش مولى بنى عجل من ولد اكثم

بن صيفي وقال كان حمزة يجلب الزيت من العراق الى حلوان ويجلب من حلوان الجوز والجبن الى الكوفة وقال ابو عبيد حمزة هو الذى صار عظم اهل الكوفة الى قراءته من غير ان يطبق عليه جماعتهم وعن شعيب بن حرب قال ام حمزة الناس سنة مائة قال ودرس سفيان الثورى على حمزة القرآن اربع درسات وقال ابو عمر الدورى حدثنا ابن المنذر يحيى بن عقيل قال كان الاعمش اذا رأى حمزة قد أقبل قال هذا حبر القرآن وعن مندل قال اذا ذكر القرآن فحسبك بحمزة فى القراءة والفرائض وقال احمد بن عبد الله العجلى حدثنا ابى قال حمزة سنة يكون بالكوفة وسنة بحلوان فختم عليه رجل من اهل حلوان من مشاهيرهم فبعث اليه بالف درهم فقال لابنه قد كنت اظن لك عقلا أنا آخذ على القرآن أجرا ارجو على هذا الفردوس قال عبد الله العجلى ومات حمزة فترك عليه الف درهم دينا فقضاها عنه يعقوب بن داود قال عبد الله وقال ابو حنيفة لحمزة شيئان غلبتنا عليهما لسنا تنازعك فيهما القرآن والفرائض قال عبد الله وقال حمزة نظرت فى المصحف حتى خشيت ان يذهب بصرى قال وكان مصحفه على هجاء مصحف ابن الزبير وقال انما تعلمت جودة القرآن على ابن ابى ليلى قال وقرأ على ابن ابى ليلى فاخطأ فلم يأخذ عليه فقال حمزة مالك لم تأخذ على قال خفت الله ان تكون انت المصيب وانا المخطئ وقال احمد بن زهير وعثمان الدارى قال يحيى بن معين حمزة ثقة وقال سفيان الثورى غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض وقال عبد الله بن موسى ما رأيت احدا أقرأ من حمزة انبأ عمر الطائى اخبرنا زيد الكندى فى كتابه اخبرنا ابن توبة اخبرنا الصيريفى انبأ عمر بن ابراهيم حدثنا ابن مجاهد حدثنى ابن ابى الدنيا حدثنا الطيب ابن اسماعيل عن شعيب بن حرب سمعت حمزة يقول ما قرأت حرفا الا باثر وبه قال ابن مجاهد حدثنا مطين حدثنا عقبة بن قبيصة حدثنا ابى قال كنا عند سفين الثورى فجاء حمزة فكلمه فلما قام من عنده اقبل علينا سفيان فقال هذا ما قرأ حرفا من كتاب الله عز وجل الا باثر وبه حدثنى محمد بن عيسى بن ابى هشام بن سليم عن حمزة انه كان اذا قرأ فى الصلاة لم يكن يهمز وبه حدثنا ابن ابى الدنيا قال قال محمد بن الهيثم اخبرنى ابراهيم الازرق قال كان حمزة يقرأ فى الصلاة كما يقرأ لا يدع شيئا من قراءته فذكر الهمز والمد والادغام وبه وحدثنى على بن الحسين سمعت محمد بن الهيثم حدثنى عبد الرحمن سمعت حمزة يقول ان لهذا التحقيق منتهى ينتهى اليه ثم يكون قبيحا مثل البياض له منتهى فاذا زاد صار برصا ومثل الجعودة لها منتهى تنتهى اليه فاذا زادت صار قططا اخبرنا احمد بن

عبدالرحمن العلوى واحمد بن محمد الحافظ قالا انبأنا عبدالله بن عمر انبأنا عبدالاول بن عيسى انبأنا عبدالرحمن محمد حدثنا عبدالرحمن بن أحمد انبأنا عبدالله بن محمد حدثنا سويد بن سعيد حدثنا على بن سهر سمعت انا وحمزة الزيات من أبان بن ابى عياش خمسمائة حديث او ذكر اكثر فاخبرنى حمزة الزيات قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فعرضتها عليه فما عرف منها الا اليسير خمسة او ستة احاديث فتركت الحديث عنه اخرجه مسلم فى صدر صحيحه عن سويد وقال عبيدالله بن موسى كان حمزة يقرئ القرآن حتى يتفرق الناس ثم ينهض فيصلى اربع ركعات ثم يصلى ما بين الظهر والعصر وما بين المغرب والعشا وحدثنى بعض جيرانه انه لا ينام الليل وانهم يسمعون قراءته يرتل القرآن رواه محمد بن على بن عفان عنه وقال ابو عمر الدورى قال حمزة ترك الهمز فى المحاريب من الاستاذية وقال عبدالله بن احمد بن حنبل قال ابى اكره من قراءة حمزة الهمز الشديد والاضجاع وقال يحيى بن معين سمعت محمد بن فضيل يقول ما احسب ان الله يدفع البلاء عن اهل الكوفة الا بحمزة وقال اسحق بن الجراح قال خلف بن تميم مات ابى وعليه دين فاتيت حمزة ليكلم صاحب الدين فقال ويحك انه يقرأ على وانا اكره ان اشرب من بيت من يقرأ على الماء وقال اسود بن سالم سألت الكسائى عن الهمز والادغام ألكم فيه امام قال نعم هذا حمزة يهمز ويكسر وهو امام من ائمة المسلمين وسيد القراء والزهاد لو رايته لقرت عينك به من نسكه قلت يريد بقوله يكسر اى يميل . وقال حسين الجعفى ربما عطش حمزة فلا يستسقى كراهية ان يصادف من قرأ عليه وذكر جرير بن عبدالحميد قال مر بى حمزة فطلب ماء فأتيته به فلم يشرب منى لكونى احضر القراءة عنده وعن حمزة انما الهمز رياضة فاذا احسنها الرجل سلهها وكان شعيب بن حرب يقول لاصحاب الحديث الا تسئلونى عن الدر قراءة حمزة وقال النسائى حمزة الزيات ليس به بأس قلت وحديثه مخرج فى صحيح مسلم وفى السنن الاربع وروى خلف بن هشام عن سليم قال قرأ حمزة على الاعمش وابن ابى ليلى فما كان من قراءة الاعمش فهى عن ابن مسعود رضى الله عنه وما كان من قراءة ابن ابى ليلى فهو عن على رضى الله عنه وقال سليم عن حمزة قرأت القرآن اربع مرات على ابن ابى ليلى وقال هارون بن حاتم حدثنا الكسائى قلت لحمزة على من قرأت قال على ابن ابى ليلى وحمران بن اعين قلت فحمران على من قرأ قال على عبيد بن نضله الخزاعى وقرأ عبيد على علقمة عن ابن مسعود قال وقرأ ابن ابى ليلى على المنهال بن عمرو

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابى وقال عبدالله بن موسى والحسن بن عطية وغيرهما قرأنا على حمزة وقرأ على حمران بن اعين وعلى ابن ابى ليلى وعلى الاعمش وابى اسحق فاما حمران فقرأ على يحيى بن وثاب واما الاعمش فقرأ على زروزيد بن وهب والمنهال بن عمرو وقرأ زروزيد على عبدالله وقال الاعمش قرأ يحيى بن وثاب على علقمة والاسود وعبيد بن فضيل ومسروق وعبيده وكان الاعمش يقول يحيى اقرأ الناس قالوا وقرأ الاعمش ايضاً على ابراهيم النخعى فاما ابو اسحق فقرأ على اصحاب على وابن مسعود واما ابن ابى ليلى فقرأ على الشعبى وجاءت اخبار أخر تؤذن بقراءته على الاعمش ايضاً ثم جاءت اخبار بخلاف ذلك قال محمد بن يحيى الازدى قلت لابن داود قرأ حمزة على الاعمش قال من اين قرأ عليه انما ساله عن حروف وقال احمد ابن جبير حدثنا حجاج بن محمد قلت لحمزة قرأت على الاعمش قال لا ولكنى سالته عن هذه الحروف حرفاً حرفاً وقال ابو عبيد القاسم بن سلام حدثنى عدة من اهل العلم عن حمزة انه قرأ على حمران وكانت هذه الحروف التى يرويها حمزة عن الاعمش انما اخذها عن الاعمش اخذا ولم يبلغنا انه قرأ عليه القرآن من اوله الى آخره وقال يوسف بن موسى قيل لجرير بن عبدالحميد كيف أخذتم هذه الحروف عن الاعمش قال كان اذا جاء شهر رمضان جا ابو حباب التيمى وحمزة الزيات مع كل واحد منهما مصحف فيمسكان على الاعمش ويقرأ فيستمعون قراءته فأخذنا الحروف من قرآنه وقال سهل بن محمد التميمى قال لنا سليم سمعت حمزة يقول ولدت سنة ثمانين واحكمت القراءة ولى خمس عشرة سنة وقال ابن ابى الدنيا حدثنى محمود بن نفر العجلى قال مات حمزة سنة ست وخمسين ومائة وكذا ورخه غير واحد وقيل سنة ثمان وخمسين وهو وهم رحمه الله

—﴿ عيسى بن عمر الهمدانى ﴾—

الكوفى القارئ مولى بنى اسد لا عيسى بن عمر الثقفى البصرى النحوى كنيته ابو عمر قرأ على عاصم بن ابى النجود وطلحة بن مصرف والاعمش قرأ عليه الكسائى وعبدالله بن موسى وعبدالرحمن بن ابى حماد ومت؟ بن عبدالرحمن وجماعة وكان يقرئ اهل الكوفة بعد حمزة روى عن عطا بن ابى رباح وحماد وعمرو بن مره وغيرهم روى عنه ابن المبارك وابو نعيم وخلاد بن يحيى ووكيع ومحمد ابن يوسف الفريابى واخرون وثقه يحيى بن

معين قال عبدالرحمن بن ابى حماد عن سفيان الثورى ادركت الكوفة وما بها احد اقرأ من عيسى الهمدانى وقال ابن معين عيسى بن عمر الكوفى ثقة همدانى هو صاحب الحروف وقال احمد بن عبدالله العجلى هو ثقة رجل صالح رأس فى القرآن قرأ على عاصم والاعمش وقال مطين مات سنة ست وخمسين ومائة رحمه الله

على بن حمزة الكسائى

الامام ابوالحسن الاسدى مولاهم الكوفى المقرئ النحوى احد الاعلام ولد فى حدود سنة عشرين ومائة وسمع من جعفر الصادق والاعمش وزائدة وسليمان بن ارقم وجماعة يسيرة وقرأ القرآن وجوده على حمزة الزيات وعيسى بن عمر الهمدانى ونقل ابو عمرو الدانى وغيره ان الكسائى قرأ على محمد بن عبدالرحمن بن ابى ليلى ايضا واختار لنفسه قراءة ورحل الى البصرة فاخذ العربية عن الخليل بن احمد قال محمد بن عيسى الاصبهانى حدثنا محمد بن سفين قال قال الكسائى ادركت اشياخ اهل الكوفة أبان بن تغلب وابن ابى ليلى وحجاج بن ارطاة وعيسى بن عمر الهمدانى وحمزة قلت واخذ الحروف ايضا عن ابى بكر بن عياش وغيره وخرج الى البوادى فغاب مدة طويلة وكتب الكثير من اللغات والغريب عن الاعراب بنجد وتهامة ثم قدم وقد انفد خمس عشرة قنينة حبر قال الصولى هو على بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز مولى بنى اسد قلت قرأ عليه ابو عمرو الدانى وابو الحارث الليث ونصير بن يوسف الرازى وقتيبة ابن مهران الاصبهانى واحمد بن ابى شريح النهشلى وابو حمدون الطيب بن اسماعيل وعيسى ابن سليمان الشيزرى واحمد بن جبير الانطاكى وابو عبيد القاسم بن سلام ومحمد بن سفيان وخلق سواهم وحدث عنه يحيى الفرا وخلف البزار ومحمد بن المغيرة واسحق بن ابى اسرائيل ومحمد بن يزيد الرفاعى ويعقوب الدورقى واحمد بن حنبل ومحمد بن سعدان وعدد كثير واليه انتهت الامامة فى القراءة والعربية قال ابن مجاهد كان الناس يأخذون عنه الفاظه بقراءته عليهم قال ابو عبيد فى كتاب القرآت كان الكسائى يتخير القراءات فاخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً وكان من اهل القراءة وهى كانت علمه وصناعته ولم يجالس احدا كان اضبط ولا اقوم بها منه وقال ابوعمر الدورى سمعت يحيى بن معين يقول مارأيت

يعني اصدق لهجة من الكسائي وقال اسحق بن ابراهيم سمعت الكسائي وهو يقرأ على الناس القرآن مرتين وقال خلف بن هشام كنت احضر بين يدى الكسائي وهو يقرأ على الناس وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم قلت لم يكن ظهر للناس الشكل بعد انما كانوا يعربون بالنقط قال خلف قرأ الكسائي على حمزة القران اربع مرات وقال احمد بن رستم حدثنا نصير بن يوسف قال قرأت على الكسائي واخبرني انه قرأ القران على حمزة وعلى جماعة في عصر حمزة منهم ابن ابى ليلى والهمداني وابوبكر بن عياش وقال موسى بن عبدالرحيم سألت الكسائي عن نسبته فقال أحرمت في كساء قال الشافعي رضي الله عنه من اراد ان يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي وقال ابوبكر بن الانباري اجتمعت في الكسائي امور كان اعلم الناس بالنحو وواحدهم في الغريب وكان اوحد الناس في القرآن فكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القران من اوله الى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ قلت وكان في الكسائي تيه وحشمة لما نال من الرياسه باقراء محمد الامين ولد الرشيد وتأديبه وتأديبه ايضاً للرشيد فنال مالم ينله احد من الجاه والمال والاكرام وحصل له رياسه العلم والدنيا قال ثعلب حدثنا خلف بن هشام قال عملت وليمة فدعوت الكسائي واليزيدي فقال اليزيدي للكسائي يا أبا الحسن امور تبلغنا عنك ننكر مثلها فقال الكسائي اومثلي يخاطب بهذا وهل مع العالم من العربية الافضل بصاقي هذا ثم بصق فسكت اليزيدي وقال ابوطاهر بن ابى هاشم قال محمد بن بشار حدثني ابى عن بعض اصحابه قال قيل لابى عمر الدورى كيف صحبتم الكسائي على الدعابة التى فيه قال لصدق لسانه وقال احمد بن فرج حدثنا الدورى سمعت الكسائي يقول من علامة الاستاذية ترك الهمز في المحاريب اخبرنا ابوبكر العطار انبأنا عبدالوهاب بن رواح انبأ ابو طاهر السلفي الحافظ انبأنا ابو طاهر بن سواد مؤلف المستنير حدثنا الحسن بن على العطار حدثنا ابراهيم بن احمد الطبرى المقرئ حدثنا احمد بن فرح حدثنا الدورى قال قيل للكسائي لم لاتهمز الذيب قال اخاف ان يأكلني وقيل انه قال هذه الابيات (قل للخليفه لا يلوم لمن)

ولا يصح ذلك عنه وقال ابو العباس بن مسروق حدثنا سلمة بن عاصم قال قال الكسائي صليت بهارون الرشيد فاعجبتني قراءتي فغلطت في آية ما اخطا

فيها صبي قص اردت ان اقول لعلهم يرجعون فقلت لعلهم يرجعين فوالله مااجترأ هارون ان يقول اخطأت ولكنه لما سلم قال اى لغة هذه قلت يا أمير قد يعثر الجواد قال اما هذا فنعم انبأنى بها المؤمل ابن محمد وغيره عن الكندى عن ابى منصور الشيبانى عن ابى بكر الخطيب عن عبدالله بن احمدالاسبهانى عن الخلدى عن ابن مسروق وروى سلمة عن الفراء قال قال لى الكسائى ربما سبقنى لسانى باللحن فلا يمكننى ان ارده او كلاما نحو هذا وانبأنا عن الكندى عن الشيبانى عن الخطيب قال اخبرنا ابوالحسن الحمامى سمعت محمد بن عمر الاسكاف سمعت عمى يقول سمعت بن الدورقى يقول اجتمع الكسائى واليزيدى عند الرشيد فحضرت صلاة فقدموا الكسائى يصلى فارتج عليه قراءة قل يا أيها الكافرون فقال اليزيدى قراءة قل يا ايها ترتج على قارئ الكوفة قال فحضرت صلاة فقدموا اليزيدى فارتج عليه فى الحمد فلما سلم قال

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى

ان البلاء موكل بالمنطق

وروى الخطيب باسناده عن خلف البزار قال كان الكسائى يقرأ لنا على المنبر فقرأ يو ماونحن نحن انا اكثر منك مالا وولدا فلما فرغ سألوه عن العلة فثرت فى وجوههم فمحوه من كتبهم ثم قال لى يا خلف يكون احد من بعدى يسلم من اللحن و عن الفراء قال ناظرت الكسائى يوما وزدت فكانى كنت طائرا شرب من بحر قال الفراء انما تعلم الكسائى النحو على كبر لانه جاء الى قوم وقد اعيا قال عييت فقالوا له تجالسنا وانت تلحن قال كيف لحنت قالوا له ان كنت اردت من التعب فقل اعييت وان كنت اردت انقطاع الحيله والتحير فى الامر فقل عييت فانف من ذلك وقام من فوره فسأل عمن يعلم النحو فدل على معاذ الفراء فلزمه ثم خرج الى البصرة فلقى الخليل ثم خرج الى بادية الحجاز و قال ابن الانبارى حدثنا ابى قال قال الفراء لقيت الكسائى يوماً فرأيته كالباكى فقلت مايبكيك فقال هذا الملك يحيى بن خالد يحضرنى فيسألنى عن الشيء فان ابطأت فى الجواب لحقنى منه عتب وان بادرت لم آمن الزلل فقلت يا أباالحسن من يعترض عليك قل ماشئت فأنت الكسائى فاخذ لسانه بيده وقال قطعه الله اذا ان قلت مالا اعلم وقال احمد بن ابى سريج سمعت ابا المعافا وكان عالما بالقراءات يقول الكسائى القضى على اهل زمانه وقال ابوعمرو الدانى عبدالله بن ذكوان اخذ عن ايوب بن تميم و قرأ على الكسائى حين قدم الشام ثم قال وقال محمد بن الحسن النقاش قال ابن ذكوان اقمت على الكسائى

سبعة اشهر وقرأت عليه القران غير مرة قلت لم يتابع النقاش احد على هذا والنقاش يأتي بالعجائب دائما وذكر الداني في ترجمة الكسائي ان ابن ذكوان سمع الحروف من الكسائي واما الحافظ فلم يدرك شيئا من ذلك ولا ذكر الكسائي في تاريخ دمشق اصلاً و روى عن نصير بن يوسف قال دخلت على الكسائي في مرض موته فانشأ يقول

قدر احلك ذاالنخيل و قد ارى
وابي و مالك ذوالنخيل بدار
الا كداركم بذى بقر اللوى
هيهات ذو بقر من المزدار

فقلت كلا ويمتع الله الجميع بك فقال لئن قلت ذاك لقد كنت اقرئ في مسجد دمشق فاغفيت في المحراب فرأيت النبي صلى الله عليه و سلم داخلا من باب المسجد فقام اليه رجل فقال بحرف من تقرأ فاومأ الى . وللكسائي من التصانيف كتاب معاني القرآن ، كتاب القراءات ، كتاب العدد ، كتاب النوادر الكبير ، كتاب النوادر الاوسط ، كتاب النوادر الاصغر ، كتاب في النحو ، كتاب العدد واختلافهم فيه ، كتاب الهجاء كتاب مقطوع القرآن وموصوله، كتاب المصادر، كتاب الحروف ، كتاب اشعار المعاناة ، كتاب الهاءات. قال ابو سعيد السيرافي حدثني يحيي اليزيدي محمد بن الحسن والكسائي وكانا خرجا مع الرشيد الى خرسان فماتا في الطريق فقال

تصرمت الدنيا فليس خلود
وما قد ترى من بهجة فيبيد
لكل امرئ كأس من الموت مترع
وما ان لنا الا عليه ورود
الم تر شيبا شاملاً ينذر البلى
وان الشباب الغض ليس يعود
سيأتيك ما افنا القرون التي مضت
فكن مستعداً فالفناء عتيد
اسيت على قاضي القضاة محمد
فاذريت دمعي والفؤاد عميد

وقلت اذا ماالخطب اشكل من لنا
بأيضاحه يوماً و انت فقيد
واقلقنى موت الكسائى بعده
و كادت لى الارض الفضاء تميد
واذهلنى عن كل عيش و لذة
وارق عينى والعيون هجود
هما عالمانا اوديا و تخرما
و ما لهما فى العالمين نديد
فحزنى ان يخطر على القلب خطرة
بذكرهما حتى الممات جديد

قال ابوعمر الدورى توفى الكسائى بالرى بقرية آرنبويه و قال احمد بن جبير الانطاكى توفى بارنبوية سنة سبع و ثمانين ومائة وقال ابوبكر بن مجاهد توفى بارنبويه سنة تسع وثمانين . وكذا ورخه غير واحد و هو الصحيح وقد قيل فى وفاته اقوال واهية سنة احدى وثمانين وسنة اثنتين و سنة ثلاث وسنة خمس اعنى وثمانين سنة ثلاث وتسعين والله اعلم وقيل انه عاش سبعين سنة ولما مات محمد والكسائى قال الرشيد دفنا الفقه والنحو بالرى

شبل بن عباد المكى

صاحب ابن كثير و مقرئ مكة عرض على ابن كثير وابن محيض وحدث عن ابى الطفيل والمقبرى وعمرو بن دينار وابن ابى نجيح وجماعة واقرأ مدة روى عنه القراءة عرضا اسماعيل بن عبدالله القسط وابنه داود بن شبل وابو الاحريط وهب بن واضح ومحمد بن سبعون و عكرمة بن سليمان وآخرون وحدث عنه سفيان بن عيينة وابو اسامة وابونعيم وروح بن عبادة و يحيى بن ابى بكير و ابو حذيفة موسى ابن مسعود النهدى وعبيد بن عقيل وروى عنه من القدماء حمزة الزيات وغيره ووثقه يحيى بن معين قال ابن مجاهد وشبل هو مولى عبدالله بن عامر الاموى و هو احد اصحاب ابن كثير الذين خلفوه فى القراءة بمكة قال خلف حدثنا هشام بن عبيد بن عقيل قال سألت شبل بن عباد فحدثنى بقراءة اهل مكه وهى قراءة ابن كثير قلت و حديثه مخرج فى صحيح البخارى

وفى سنن ابى داود والنسائى وقد ارخ بعضهم وفاته فى سنة ثمان واربعين ومائة واظنه وهما فان ابا حذيفة انما سمع سنة نيف وخمسين فتحرر هذا والله اعلم .

معروف بن مشكان

ابوالوليد المكى قارئ اهل مكة مع شبل . عرض على ابن كثير وحدث عن عطاء بن ابى رباح ومجاهد وغيرهما قرا عليه اسماعيل ابن عبدالله القسط و هو رفيقه فى الاخذ ايضا ووهب بن واضح وحدث عنه ابن المبارك ومروان بن معاوية ومحمد بن حنظلة المخزومى و مطرف الشقرى وهو قليل الحديث .قدم فى القراءة له فى سنن ابن ماجة فرد حديث وقد اختلف فى ضبط مشكان هل يضم اوله اويكسر توفى سنة خمس وستين ومائة رحمه الله تعالى

المفضل بن محمد الضبى

الكوفى المقرئ ابومحمد كان من جلة اصحاب عاصم بن بهدلة قرأ عليه وتصدر للاقراء وحدث عن سماك بن حرب و ابى اسحق و عاصم و غيرهم وكان علامة اخباريا موثقا كذا قال ابوبكر الخطيب و امابوحاتم فقال متروك القراءة والحديث قلت قدشذ عن عاصم باحرف أخذ عنه تلاوة الكسائى وابو الزيد الانصارى سعيد بن اوس وجبلة بن مالك البصرى و غيرهم وروى عنه ابوالحسن المدائنى وقال ابوحاتم السجستانى هوثقة فى الاشعار غيرثقة فى الحروف وقيل ان ابن الاعرابى ادركه و حمل عنه و اخر اصحابه وفاة ابوكامل النضيل الجحدرى ولما بلغ ابن المبارك موته قال نعى لى رجال والمفضل منهم فكيف تقر العين بعد المفضل توفى سنة ثمان وستين و مائة

—{ سلام بن سليمان ابو المنذر }—

المزنى مولاهم البصرى ثم الكوفى المقرئ النحوى المعروف بالخراسانى شيخ يعقوب قرأ على عاصم وعلى ابى عمرو وعلى عاصم الجحدرى وشهاب بن شريفة وروى عن الحسن وثابت ومطر الوراق وجماعة قرأ عليه يعقوب الحضرمى وابراهيم بن الحسن العلاف وايوب بن المتوكل وحدث عنه عفان وعبيدالله ابن محمد العيشى ومحمد بن سلام الجمحى وعبدالوهاب بن غياث وزيد بن الحباب واخرون وكان من جلة علماء البصرة قال ابن معين لا بأس به وقال ابو حاتم صدوق صالح الحديث وكانت قراءته على عاصم بالبصرة عندما قدم عليهم وورد عن يعقوب

بن اسحق قال لم يكن فى وقت سلام ابى المنذر اعلم منه وكان نحويا ويقال انه قرأ على الحسن البصرى ولم يصح هذا قاله ابو احمد السامرى وهو واه لايدرى مايقول وقال زكريا بن يحيى الساجى سلام ابوالمنذر صدوق كان صاحب سنة وكان يؤم بجامع البصرة وقال غيره كان صاحب سنة شديد الانكار وقال ابوداود كان نصر بن على الجهضمى ينكر عليه شيئاً ماالحروف وعن عفان قال كنت عند سلام ابى المنذر فأتاه رجل بمصحف فقال اليس هذا ورق وزاج فقال قم يازنديق وقال محمد بن المثنى مات سنة احدى وسبعين ومأية قلت خرج له النسائى والترمذى ويشتبه به رجل فى طبقته ضعيف وهو سلام الطويل المدائنى المعروف بالخراسانى سعدى يكنى ابا سليمان ولايميز بينه وبين القارىء الا الحذاق روى عن منصور بن زاذان وزيد العمى وجماعه

ابوبكر بن عياش

ابن سالم الاسدى الكوفى الامام احد الاعلام مولى واصل الاحدب وكان حناطا بالنون اختلف فى اسمه على عشرة اقوال اصحها قولان كنيته ومارواه ابو هشام الرفاعى وحسين بن عبدالاول انهما سألاه عن اسمه فقال شعبة وخالد النسائى وغيره اسمه محمد وقيل مطرف وقيل رؤبة وسالم وعتيق وعطاء وحماد وقال هارون بن حاتم سمعته يقول ولدت سنة خمس وتسعين قرأ القران ثلاث مرات على عاصم وروى عن اسماعيل السدى وابى حصين وحصين بن عبدالرحمن وابى اسحاق وعبدالملك بن عمر وصالح مولى عمرو بن حريث حدثه عن ابى هريرة وسليمان الاعمش وطائفة سواهم وعرض القرآن ايضاً على عطاء بن السائب واسلم المنقرى وعمر وهرا وكان يقول انا نصف الاسلام وكان سيداً اماماً حجة كثير العلم والعمل منقطع القرين قرأ عليه ابو الحسن الكسائى ويحيى العليمى وابو يوسف يعقوب الاعشى وعبدالحميد بن صالح البرجمى وعروة بن محمد الاسدى وعبدالرحمن بن ابى حماد وسمع منه الحروف يحيى بن آدم وغيره وروى عنه ايضاً ابن المبارك مع تقدمه وابو داود الطيالسى واحمد بن حنبل وابوكريب ومحمد بن عبدالله نمير وعلى بن محمد الطنافسى والحسن بن عرفه وابو هشام الرفاعى وخلق لايحصون قال احمد بن حنبل ثقة ربما غلط صاحب قراءة وخبر وقال ابن المبارك مارأيت احدا اسرع الى السنة من ابى بكر بن

عياش وقال عثمان بن ابى شيبة احضر الرشيد ابابكر بن عياش من الكوفة فجاء ومعه وكيع فدخل وكيع يقوده فاوتاه الرشيد وقال ادركت أيام بنى امية وايامنا فاينا خير قال اولئك كانوا انفع للناس وانتم اقوم بالصلاة فصرفه الرشيد واجازه بستة آلاف دينار واجاز وكيعاً بثلاثة الآف رواها محمد بن عثمان عن ابيه وقال داود حدثنا حمزة بن سعيد المروزى وكان ثقة قال سألت ابابكر بن عياش فقلت قد بلغك ماكان من امر ابن عيينة فى القرآن قال ويلك من زعم ان القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدوالله لانجالسه ونكلمه وقال ابو هشام الرفاعى سمعت ابابكر يقول ابوبكر الصديق رضى الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن لأن الله تعالى قال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون فمن سماه الله صادقاً فليس يكذب هم قالوا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ يعقوب بن شيبة كان ابوبكر معروفاً بالصلاح البارع وكان له فقه وعلم بالأخبار . فى حديثه اضطراب وقال ابونعيم لم يكن فى شيوخنا اكثر غلطاً منه وقال يزيد بن هارون كان ابوبكر خيرا زاهداً فاضلاً لم يضع جنبه الى الارض اربعين سنة وقال يحيي بن معين لم يفرش لأبى بكر فراش خمسين سنة وقال يحيي الحمانى حدثنى ابوبكر بن عياش قال جئت ليلة الى زمزم فاستقيت منه دلوالبناً وعسلا وقال ابوهشام الرفاعى سمعت ابابكر يقول الخلق اربعة معذور ومجبور و مخبور و مثبور فالمعذور البهائم والمخبور ابن آدم والمجبور الملائكة والمثبور الجن وقال ابوبكر أدنى نفع السكوت السلامة وكفى بها عافية وادنى ضرر المنطق الشهرة وكفى بها بلية وقال عثمان بن سعد عن ابن معين الحسن بن عياش واخوه ابوبكر ثقتان وقال احمد بن يزيد سمعت ابابكر بن عياش سمعت الاعمش يقول لأصحاب الحديث اذا حدث بثلاثة احاديث قد جاءكم السيل واليوم انا مثل الاعمش احمد بن زهير انبأنا سليمان بن ابى سيح حدثنى يحى بن سعيد قال زاملت ابابكر بن عياش الى مكة فما رأيت اورع منه ولقد اهدى له رجل من اهل الكوفة رطبا فبلغه انه من الذى قبض عن خالد بن سلمه المخزومى فاتى الى مكة فاستحلهم وتصدق بثمنه وقال الفسوى وحدثنى احمد بن يونس وذكروا له حديثا انكروه من حديث ابى بكر عن الاعمش قال كان الاعمش يضربهم و يشتمهم و يطردهم ويأخذ يد ابى بكر فيجلس معه فى زاوية فقال رجل ولم يفعل ذا قال لحال القران

وقال يحيي بن آدم قال لى ابوبكر تعلمت من عاصم القرآن كما يتعلم الصبي من المعلم فلقي مني شدة فما احسن غير قراءته . وهذا من الذى اخبرتك به من القرآن انما تعلمه من عاصم تعلما. وقال هارون بن حاتم سمعت رجلاً قال قلت لأبي بكر قرأت على احد غير عاصم قال نعم على عطاء بن السائب و اسلم المنقرى قلت هذه رواية واهية روى يحيي بن آدم عن ابي بكر قال تعلمت من عاصم خمساً خمساً ولم اتعلم من غيره ولاقرأت على غيره واختلفت اليه نحواً من ثلاث سنين فى الحر والشتاء والامطار و قال عبيد بن يعيش سمعت ابابكر يقول ما رأيت اقرأ من عاصم فقرأت عليه ومارأيت افقه من مغيرة فلزمته وري من غير وجه عن ابي بكر انه مكث اربعين سنة اونحوها يختم القرآن فى كل يوم وليلة وعن ابي بكر قال الدخول فى العلم سهل والخروج منه الى الله شديد جعفر الخلدى حدثنا ابن مسروق حدثنا الحمانى قال لما حضرت ابا بكر ابن عياش الوفاة بكت اخته فقال لها مايبكيك انظرى الى تلك الزاوية قد ختمت فيها ثمان عشرة الف ختمة . توفى فى جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ارخه يحيي بن آدم واحمد بن حنبل .

سليم بن عيسى

ابن عيسى بن عامر بن غالب ابوعيسى ويقال ابومحمد الحنفي مولاهم الكوفى المقرئ صاحب حمزة الزيات واخص تلامذته به واحذقهم بالقرآت واقومهم بالحرف وهو الذى خلف حمزة بالاقراء فى الكوفة . قرأ عليه خلف بن هشام البزار وخلاد بن خالد الصيرفى وابوعمر الدورى ومحمد بن يزيد والطيب بن اسماعيل وعلى بن كيسه المصرى واحمد بن جبير و ابراهيم ابن زربى وترك الحذاء وعدد كثير حتى ان رفقاءه فى القراءة على حمزة قرأوا عليه لاتقانه منه خالد الطيب وحمزة بن القاسم وجعفر الخشكى وابراهيم الازرق وعبدالله بن صالح العجلى .ولد سنة ثلاثين ومائة قال وتوفى سنة ثمان وثمانين ومائة وقدسمع الحديث من حمزة وسفين الثورى سمع منه احمد بن حميد وصرار بن صرد وقال يحيي بن سليمان الجعفى اخبرنا يحيي بن المبارك قال كنا نقرأ على حمزة ونحن شباب فاذا جاء سليم قال لنا حمزة تحفظوا وتثبتوا قد جاءكم سليم وقال الدورى ثنا الكسائي حدثنى قال

كنت اقرأ على حمزة فجاء سليم فتلكيت فقال لى حمزة تهاب سليمان ولا تهابنى.
فقلت يا استاذ انت ان اخطأت قومتنى و هذا ان اخطأت عيرنى وقال ضرار بن.
حود سمعت سليم بن عيسى وأتاه رجل فقال يا ابا عيسى جئتك لاقرأ عليك
بالتحقيق فقال يا ابن اخى شهدت حمزة وأتاه رجل فى مثل هذا فبكى و قال.
يا ابن اخى انما التحقيق صون القرآن فأن صنته فقد حققته هذا هو التحقيق.
فمضى الرجل و لم يقرا عليه و قال خلف قرأت على سليم مراراً وسمعته يقول.
قرأت القرآن على حمزة عشرة مرات قال هارون بن حاتم توفى سليم سنة ثمان.
وثمانين ومائة وقال ابوهشام الرفاعى سنة تسع وثمانين ومائة .

حفص بن سليمان

ابو عمر الدورى مولاهم الفاخرى الكوفى المقرئ الامام صاحب عاصم،
وابن زوجة عاصم قال خلف بن هشام مولد حفص سنة تسعين و مات سنة
ثمانين ومائة قلت روى الحديث عن عقلمة بن مرشد وثابت البنانى وابى اسحق.
السبيعى وكثير بن زاذان ومحارب بن دثار و اسماعيل السدى و ليث بن سليم،
و عاصم وخلق و قال ابوعمرو الدانى قرأ عليه عرضاً وسماعاً عمرو بن الصباح.
واخوه‌عبيد بن الصباح وابوشعيب القواس و حمزة بن القاسم و حسين بن محمد
المروذى وخلف الحداد ثم سمى ابوعمرو خلقاً سواهم وروى عنه بكر بن بكار
وآدم بن ابى اياس واحمد بن عبده وهشام بن عمار وعلى بن حجر وعمرو الناقد
وهبيرة التمار وآخرون قال احمد بن حنبل مابه بأس و قال ابو هشام الرفاعى
كان حفص اعلمهم بقرأة عاصم و قال البخارى تركوه و قال صالح بن جزره
لا يكتب حديثه و قال زكريا الساجى له احاديث بواطيل و قال ابن عدى عامة
احاديثه غير محفوظة قلت امافى القراءة فثقة ثبت ضابطلها بخلاف حاله فى الحديث.
وقد عاش تسعين سنة ويقال انه سأل الحسن البصرى مسئلة قال ابوالحسين بن
المنادى قرا على عاصم مرارا وكان الاولون يعدونه فى الحفظ فوق ابى بكر بن
عياش و يصفونه بضبط الحروف التى قرأ على عاصم . اقرأ الناس دهراً، وكانت
القراءة التى اخذها عن عاصم ترتفع الى على رضى‌الله عنه .

اسماعيل بن عبدالله

ابن قسطنطين ابو اسحق المخزومى مولاهم المكى المقرئ المعروف بالقسط قارئ اهل مكة فى زمانه واخر اصحاب ابن كثير وفاة عرض عليه و على صاحبه شبل بن عباد ومعروف بن مشكان وسمع من على بن يزيد بن جدعان واقرأ الناس دهراً قرأ عليه ابوالاخريط وهب بن واضح وعكرمة بن سليمان والامام محمد بن ادريس الشافعى ومحمد بن سبعون و محمد بن بزيع و داود ابن شبل بن عباد وروى عنه احمد بن موسى اللؤلؤى ومت بن عبدالرحمن و ابو قرة موسى بن طارق و آخرون قال مضر بن محمد الاسدى حدثنا ابن ابى بزة انه قرأ على عكرمة واخبرنى انه قرأ على شبل بن عباد وعلى اسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين مولى بنى ميسرة مولى العاص بن هشام المخزومى واخبرا انهما قرأ اعلى عبدالله ابن كثير . اخبرنى عمر بن عبد المنعم عن الكندى اخبرنا ابن توبة اخبرنا الصريفى اخبرنا الكتانى حدثنا ابن مجاهد حدثنا مضر بن محمد قال قال البزى وقرأت على اسماعيل بن عبدالله ابن كثير وخالفه ابن عون القواس و بالاسناد الى ابن مجاهد قال قرأت على قنبل واخبرنى انه قرأ على القواس و قال قرأت على ابى الاخريط قال قرأت على اسماعيل بن عبدالله القسط و قرأ اسماعيل على شبل بن عباد ومعروف وقرأ على ابن كثير تابعه الشافعى فقال محمد بن عبدالله ابن الحكم حدثنا الشافعى قال قرأت على اسماعيل بن قسطنطين قال قرأت على شبل بن عباد و اخبرنى انه قرأ على ابن كثير عن قراءته على مجاهد قلت والقولان صحيحان ويقوى القول الاول مارواه ابوجعة محمد بن يوسف حدثنا ابوقرة موسى عن اسماعيل بن عبدالله انه قرأ على عبدالله بن كثير وقال اسحق بن احمد الخزاعى قرأت على عبدالوهاب بن فليح قال قرأت على محمد بن سيعون وداود بن شبل واخبرانى انهما قرأ على اسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين وانه قرأ على ابن كثير قلت والجمع بين القولين ان يكون اسماعيل اقرأ شيخ البزى بما اخذ عن ابن كثير نفسه وحمل قنبل فى روايته ماعند اسماعيل عن شبل ومعروف عن ابن كثير والله اعلم و قال عبد الواحد بن ابى هاشم حدثنى محمد بن موسى العباسى حدثنا اسحق الخزاعى قال قال ابن فليح قرأت على داود

ابن شبل عن ابيه و عن القسط فذكر لى داود ان القسط كان يقرأ على ابيه وقال ابو عمرو الدانى حدثنا فارس حدثنا عبد الباقى بن الحسين عن محمد بن زريق عن محمد بن الصباح عن قنبل عن القواس عن ابى الاخريط عن القسط انه قرأ على شبل ومعروف قال القسط وقرأت بعد ذلك على ابن كثير وقال ابو عبدالله الشافعى قرأت على اسماعيل وكان يقول القرآن اسم وليس بمهموز ولو كان من قرأت كان كما قرى قرآنا ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والانجيل تهمز قرأت ولاتهمز القران نقل ابو عبدالله بن القطاع ان وفاة القسط سنة تسعين ومائة فلعله سنة سبعين ومائة تصحفت عليه

اسماعيل بن جعفر

ابن ابى كثير الانصارى مولاهم المدنى القارئ ابو اسحق اخو محمد ويعقوب اخذ القراءة عرضاً عن شيبة بن نصاح ثم عرض على نافع وسليمان بن مسلم بن بن جماز وعيسى بن وردان وبرع فى القراة وسمع من ابى طوالة وعبدالله بن دينار والعلاء بن عبدالرحمن وربيعة ابن ابى عبدالرحمن وابى جعفر القارئ وغيرهم ونزل بغداد ونشر بها علمه واقرأ بها . اخذ عنه القراءة على بن حمزة الكسائى وابو عبدالقاسم بن سلام وسليمان بن داود الهاشمى وابو عمر الدورى وروى عنه قتيبة وعلى بن حجر ومحمد بن سلام البيكندى ومحمد بن زنبور وابو همام السكونى وابراهيم بن عبدالله الهروى وعيسى بن سليمان الشيزرى وآخرون. قال احمد بن زهير قال ابن معين اسماعيل بن جعفر ثقة مأمون قليل الخطاء هو واخواه محمد وكثير مدنيون قلت توفى ببغداد سنة ثمانين ومائه

«الطبقة الخامسة»

وهب بن واضح

ابن الاخريط المكي القارئ مولى عبدالعزيز بن ابي رواد ويكنى ايضاً ابا القاسم قرأ القرآن على شبل بن عباد ومعروف بن مشكان واسماعيل بن عبدالله القسط وانتهت اليه رياسة الاقراء بمكة قرأ عليه ابو الحسن احمد بن محمد البزي وابو الحسن احمد بن محمد القواس النبال قال ابو عمرو الداني اخذ القراءة عرضاً عن اسماعيل ثم عرض على شبل ومعروف قلت توفى سنة تسعين ومائة

عكرمة بن سليمان

ابن كثير بن عامر ابو القاسم المكي المقرئ مولى آل شيبة الحجبي قرأ القرآن على شبل بن عباد واسماعيل القسط قرأ عليه احمد بن محمد البزى وغيره وقد تفرد عنه البزى بحديث التكبير من والضحى وعكرمة شيخ مستور ماعلمت احداً تكلم فيه

اسحق بن محمد بن عبدالرحمن

ابو محمد المسيبي المخزومي المدني المقرئ قرأ على نافع بن ابي نعيم وهو من جلة اصحابه المحققين وقد روى عن ابن ابي ذيب وغيره اخذ القراءة عنه ولده محمد وابو حمدون الطيب بن اسماعيل وخلف ابن هشام البزار ومحمد بن سعدان ومحمد بن جبير وطائفة كبيرة وحدث عنه ابن ذكوان واحمد بن حنبل روى له ابو داود فى سننه حديثاً وقال عبدالله بن الصقر السكرى حدثنا محمد بن اسحق بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن المسيب المسيبي عن ابيه توفى سنة ستة ومائتين

ايوب بن تميم

ابو سليمان التميمي الدمشقي المقرئ قرأ القرآن على يحيي بن الحارث

الذماري صاحب ابن عامر وهو الذي خلف يحيي في القيام بالقراءة اخذ القراءة عنه عرضاً عبدالله بن ذكوان والوليد بن عتبه واخذ عنه الحروف عبدالحميد بن بكار وابومسهر الغساني وهشام بن عمار قال ابن ذكوان قلت لايوب بن تميم انت تقرأ بقرآت يحى ابن الحارث قال نعم اقرأ بحروفه كلها الا قوله الاجبلا في يس فانه رفع الجيم وانا اكسرها قال محمدبن اسماعيل الترمذى قال ابن ذكوان توفى ايوب سنة ثمان وتسعين ومائة

ايوب بن المتوكل

البصرى الصيد لانى المقرئ عرض القراءة على سلام القارئ وابى الحسن الكسائى وحسين الجعفى وحدث عن فضيل بن سليمان وجماعة واختار لنفسه مقرأ وكان اماماً ضابطا ثقة متبعاً للاثر وثقه على بن المدينى وغيره قرأ عليه جماعة اجلهم محمد بن يحيي القطعى وحدث عنه ابن المدينى ويحيى بن معين وجماعة قال اسحق بن ابراهيم الشهيدى دخلت الكوفة فاتيت عبدالله بن ادريس فاول ماسألنى عن ايوب بن المتوكل قلت هو بخير قال يقرئ قلت نعم قال ذاك اقرأ الناس وقال احمد بن سنان سمعت ايوب بن المتوكل يقول قرات على يحيي القطان وسالني كتاب الحروف فسمعه منى قال ابو حاتم السجستانى ايوب بن المتوكل من اقرأ الناس وارواهم للآثار فى القرآن وروى عن ايوب بن المتوكل قال ماغلبت الحضرمى يعقوب الا بالاثر وجاء عن ايوب اخبار كثيرة وكان من جلة القراء وبلغنا ان يعقوب الحضرمى وقف على قبر ايوب عند مادفن فقال يرحمك الله يا ايوب ماتركت خلقا اعلم بكتاب الله منك قلت مات سنة مائتين

عراك بن خالده

ابن يزيد بن صالح بن صبيح المرى الدمشقى المقرئ ابو الضحاك صاحب يحيي الذمارى ومقرئ اهل دمشق فى عصره قرا عليه هشام بن عمار والربيع بن ثعلب وحدث عنه ابن ذكوان ومحمد بن وهب بن عطية وموسى بن عامر

المرى وله رواية عن ابيه وعن ابراهيم ابن ابى علبه وعثمان بن عطاء الخرسانى وجماعة قال ابو حاتم الرازى مضطرب الحديث ليس بالقوى وقال الدار قطنى لاباس به قلت لم يخر جواله فى الكتب الستة شيئاً توفى قبل المائتين

سويد بن عبدالعزيز

بن نمير ابو محمد السلمى مولاهم الدمشقى قاضى بعلبك قرأ القرآن على يحيي بن الحارث واقرا الناس فاخذ عنه الربيع بن ثعلب وابو مسهر الغسانى وهشام بن عمار وقد حدث عن ايوب السختيانى وابى الزبير المكى وثابت بن عجلان وعاصم الاحول وطائفة من التابعين روى عنه داود بن رشيد وعلى بن حجر ودحيم ومحمد ابن هاشم البعلبكى وخلق كثير ولم يوثقه الا دحيم فقط وكان كثير الحديث قال يحيي بن معين كان قاضياً بدمشق بين النصارى ليس بشئ وقال البخارى فى بعض حديثه نظر قلت ولد سنة ثمان ومائة وتوفى سنة اربع وتسعين

يحيي بن المبارك

اليزيدى الامام ابو محمد البصرى النحوى المقرئ وعرف باليزيدى لاتصاله بيزيد بن منصور خال المهدى يؤدب ولده . جود القران على ابى عمرو وحدث عنه وعن ابن جريج قرا عليه الدورى والسوسى واحمد بن جبير الانطاكى وابو ايوب الخياط سليمان بن الحكم وعامر ابن عمرا وقيه وابو حمدون وجعفر غلام سجاده وطائفة سواهم وله اختيار كان يقرئ به ايضاً خالف فيه ابا عمرو فى اماكن يسيرة وقد اتصل بالرشيد وادب المأمون وكان ثقة علامة فصيحا مفوهاً بارعا فى اللغات والآداب اخذ عن الخليل وغيره حتى قيل انه املى عشرة الآف ورقة عن ابى عمرو خاصة وله عدة تصانيف منها كتاب النوادر ، كتاب المقصود ، كتاب الشكل ، كتاب نوادر اللغة ، كتاب فى النحو مختصر ، وله عدة اولاد فضلاً علماء محمد وعبدالله وابراهيم واسماعيل واسحق اخذ واعنه واخذ عنه ابن ابنه احمد بن محمد توفى سنة اثنين ومائتين

عثمان بن سعيد ورش

ابو سعيد المصرى المقرئ وقيل ابو عمرو وقيل ابوالقاسم عثمان بن سعيد بن عبدالله بن عمرو بن سليمان وقيل عثمان بن سعد بن عدى غزوان بن داود بن سائق القبطى مولى آل الزبير بن العوام وقيل اصله من افريقية ويقال له الرواّش ولد سنة عشر ومائة ورخه الاهوازى قرا القرآن وجوده على نافع عدة ختمات فى حدود سنة خمس وخمسين ومائة ونافع هوالذى لقبه بورش لشدة بياضه والورش شئ يصنع من اللبن وقيل لقبهبالورشان وهو طائر معروف فكان يقول اقرايا ورشان وهات ياورشان ثم خفف وقيل ورش وكان لا يكرهه ويعجبه ويقول استاذى نافع سمانى به وكان فى اول امره رآشا ثم اشتغل بالقرآن والعربية ومهر فيهما وكان اشقر ازرق سمينا مربوعاً يلبس مع ذلك ثياباً مقدرة واليه انتهت رياسه الاقراء بالديار المصرية فى زمانه فقرا عليه احمد بن صالح الحافظ وداود بن ابى طيبة وابو يعقوب الازرق وعبدالصمد بن عبدالرحمن بن القاسم ويونس بن عبدالاعلى وعامر بن سعيد الحرشى وسليمان بن داود المهدى وسمع منه عبدالله بن وهب واسحق بن حجاج وغير واحد وكان ثقة حجة فىالقراءة قال اسماعيل النحاس قال لى ابو يعقوب الازرق ان ورشا لما تعمق فىالنحو واحكمه اتخذ لنفسه مقرأيسمى مقرا ورش وقال محمد بن عبدالرحيم الاصبهانى المقرئ سمعت ابا القاسم ومواساً وابا الربيع وغيرهم ممن قرات عليه يقولون ان ورشا انما قرأ على نافع بمدما حصل نافع القراءة وقال الدانى اخبرنا على بن الحسن وعلى بن ابراهيم وابو محمد الامام قالوا حدثنا محمد بن على هو الأدفوى حدثنى محمد بن سعيد ابى جعفر احمد بن هلال حدثنى محمد بن سلمة العمانى قال قلت لأبى اكان بينك وبين ورش مودة قال نعم حدثنى ورش قال خرجت من مصر لاقرا على نافع فلما وصلت الى المدينة صرت الى مسجد نافع فاذا هو لاتطاق القراءة عليه من كثرتهم وانما يقرئ بلين فجلست خلف الحلقة وقلت لانسان من اكبر الناس عند نافع فقال لى كبير الجعفريين فقلت وكيف به قال انا اجئ معك الى منزله وجئنا الى منزله فخرج شيخ فقلت انا من مصر جيئت لاقرا على نافع فلم اصل اليه واخبرت انك

من اصدق الناس له وانا اريد ان تكون الوسيلة اليه فقال نعم وكرامة واخذ طيلسانه ومضى معنا الى نافع وكان لنافع كنيتان ابورويم وابو عبدالله فبايهما نودى اجاب فقال له الجعفرى هذا وسياقى اليك جاء من مصر ليس معه تجارة ولا جاء لحج وانما جاء للقراءة خاصة فقال ترى ما القى من ابناء المهاجرين والانصار فقال صديقه تحتال له فقال لى نافع ايمكنك ان تبيت فى المسجد قلت نعم فبت فلما كان الفجر جاء نافع فقال ما فعل الغريب فقلت ها انا رحمك الله قال انت اولى بالقراءة قال وكنت مع ذلك حسن الصوت مداداً به فاستفتحت فملاء صوتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرات ثلاثين اية فاشار بيده ان اسكت فسكت فقام اليه شاب من الحلقة فقال يامعلم اعزك الله نحن معك وهذا رجل غريب وانما رحل للقراءة عليك وقد جعلت له عشرا واقتصر على عشرين فقال نعم وكرامة فقرأت عشراً فقام فتى آخر فقال كقول صاحبه فقرأت عشراً وقعدت حتى لم يبق له احد ممن له قراءة فقالى اقرأ فاقرانى خمسين حتى قرات عليه ختمات قبل ان اخرج من المدينة توفى ورش بمصر سنة سبع وتسعين ومائة

قالون

ابو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى الزرقى مولى بنى زهرة قارى اهل المدينة فى زمانه ونحويهم قيل انه كان ربيب نافع وهو الذى لقبه قالون لجودة قراءته وهى لفظة رومية معناها جيد لم يزل يقرأ على نافع حتى مهر وحذق وروى الحديث عن شيخه وعن محمد بن جعفر بن ابى كثير وعبدالرحمن بن ابى الزناد وعرض القرآن ايضاً على عيسى بن وردان الحذاء وتبتل لاقراء القرآن والعربية وطال عمره وبعد صيته قال عثمان بن خرزاب حدثنا قالون قال قال لى نافع كم تقرأ اجلس الى اصطوانة حتى ارسل اليك من يقرأ وقال على بن الحسن الهسنجانى الحافظ كان قالون شديد الصمم فلو رفعت صوتك لا الى غاية لايسمع فكان ينظر الى شفتى القارى فيرد عليه اللحن والخطا قلت قرأ عليه بشر كثير منهم ولداه محمد وابراهيم واحمد بن يزيد الحلوانى ومحمد بن هارون ابو نشيط واحمد بن صالح المصرى وسمع منه اسماعيل القاضى وموسى بن اسحق

الانصاری القاضی وابوزرعة الرازی وابراهیم ابن دیزیل ومحمد بن عبدالحکم القطری وعثمان بن خرزاذ الانطاکی توفی سنة عشرین ومائتین وله نیف وثمانون سنة رحمه الله

يعقوب بن اسحق الحضرمی

قاری اهل البصرة فی عصره الامام ابو محمد یعقوب بن اسحق بن زید بن عبدالله بن ابی اسحق مولی الحضرمیین قرأ القران علی ابی المنذر سلام بن سلیم وعلی ابی الاشهب العطاردی ومهدی بن میمون وشهاب بن شرنفة وسمع من حمزة الزیات وشعیب وهارون بن موسی النحوی وسلیم بن حیان وهمام بن یحیی وزایدة وابی عقیل الدورقی والاسود بن شیبان وبرع فی الاقراء قرأ علیه روح بن عبدالمؤمن ومحمد بن المتوکل رویس والولید بن حیان التوزی واحمد ابن عبدالخالق المکفوف وابو حاتم السجستانی وابو عمر الدوری وخلق سواهم وحدث عنه ابو حفص الفلاس وابو قلابة الرقاشی واسحق بن ابراهیم شاذان ومحمد بن یونس الکدیمی قال ابو حاتم السجستانی هو اعلم من رایت بالحروف والاختلاف فی القرآن وعلله ومذاهبه ومذاهب النحو وقال احمد بن حنبل هو صدوق ولبعضهم

ابوه من القرا کان وجده
ویعقوب فی القراء کالکوکب الدری
تفرده محض الصواب ووجهه
فمن مثله فی وقته والی الحشر

قال طاهر بن علبون وامام اهل البصرة بالجامع لایقرأ الا بقراءة یعقوب رحمه الله یعنی فی الصلوات وقال علی بن جعفر السعیدی کان یعقوب اقرأ اهل زمانه وکان لایلحن فی کلامه وکان ابوحاتم من بعض تلامذته وقال ابوالقاسم الهذلی لم یر زمن یعقوب مثله کان عالماً بالعربیة ووجوهها والقرآن و اختلافه فاضلاً تقیاً نقیاً ورعاً زاهداً . من زهده انه سرق رداؤه عن کتفه وهو فی الصلاة ولم یشعر ورد الیه ولم یشعر لشغله بالصلاة وبلغ من جاهه بالبصرة انه کان یحبس ویطلق وقال ابن سوار وغیره توفی فی ذی الحجة سنة خمس ومائتین .

ابو یوسف الاعشی

هو یعقوب بن محمد بن خلیفة الکوفی قرأ علی ابی بکر بن عیاش وکان اجل من قرأ علی ابی بکر تصدر للاقراء بالکوفة فقرأ علیه ابوجعفر محمد بن

غالب الصيرفي وابو جعفر محمد بن حبيب الشموني واخذ عنه الحروف احمد بن جبير وخلف بن هشام و عمرو بن الصباح ومحمد بن خلف التيمي ومحمد بن خلف ابراهيم الخواص قال ابوبكر النقاش كان ابويوسف الاعشى صاحب قرآن وفرائض ولست اقدم عليه احدا في القراءة عن ابي بكر كما لا اقدم احدا على يحيى بن آدم عن ابي بكر وقال ابوالعباس بن عقدة حدثنا القاسم بن احمد حدثنا ابو جعفر الشموني عن ابي يوسف الاعشى قال قال لي ابوبكر يا ابا يوسف انا اصلي خلف فلان و هو يقرأ قراءة حمزة فقد شككني في بعض الحروف التي اقرأها فاعرض على عرضة تكون لك اتحفظها عنك قال فجلس له في اصحاب الشعير فقرأ واجتمع الناس حوله يكتبون الحروف .

سقلاب بن سنينه

ابو سعيد المصري قرأ القرآن على نافع . قرأ عليه يونس بن عبدالاعلى و يعقوب بن الازرق و غيرهما و كان يقرئ في ايام ورش توفي سنة احدى وتسعين ومائة .

معلى بن دحية المصري

ابو دحية قرأ القرآن وجوده على نافع قرأ عليه يونس بن عبد الاعلى وعبدالقوي بن كونه و ابو مسعود المدني و سمع منه الحروف هشام بن عمار وبلغنا عن معلى بن دحية قال سافرت بكتاب الليث بن سعد الى نافع بن ابي نعيم لاقرأ عليه فوجدته يقرئ بجميع القرآت فقلت له ابا رويم ماهذا قال اذا جاء من يطلب حرفي اقرأته به .

العباس بن الفضل

بن عمرو ابن عبيد بن الفضل بن حنظلة الواقفي الانصاري المقرئ قاضي الموصل ابوالفضل قرأ القرآن وجوده على ابي عمرو بن العلاء وبرع في معرفة الادغام

الكبير ووردانه ناظر الكسائى فى الامالة وعن ابى عمرو قال لولم يكن من اصحابى الاعباس لكفانى قلت و انما لم يشتهر لانه لم يجلس للاقراء و ما علمت احدا قرأ عليه الاعامر بن عمر الموصلى اوقية وهو ضعيف فى الحديث ولد سنة خمس ومائة ورأى نافعاً مولى بن عمرو محمد ابن المنكدر و روى عن يونس بن عبيد وداود بن ابى هند و خالد الحذى وغيرهم من اهل بلده روى عنه بشر بن سالم الكوفى وابراهيم بن عبدالله الهروى ومحمد بن عبدالله بن عمار و مسعود بن جوريه وزكريا بن يحيى زحمويه و آخرون ومما نقم عليه حديثه عن سعيد بن ابى عروبه عن قتادة عن ابى الشعثاء عن ابن عباس اذا كان سنة ماتين يكون كيت وكيت قال ابو احمد بن عدى وهو مع ضعفه يكتب حديثه وقال احمد بن حنبل ما انكرت عليه الاحديثا واحدا قلت توفى سنة ست و ثمانين ومائة روى له ابن ماجة .

شجاع بن ابى نصر

البلخى المقرئ الزاهد ابو نعيم قرأ القرآن على ابى عمرو وجوده واقرأه وحدث عن الاعمش وغيره اخذ عنه القراءة ابو عبد القاسم بن سلام ومحمد بن غالب وروى عنه ابوعمر الدورى والحسن بن عرفة وسريج بن يونس وهارون الحمال وثقه ابو عبيد وسئل عنه احمد بن حنبل فقال بخ بخ و اين مثله اليوم توفى شجاع ببغداد سنة تسعين ومائة رحمه الله تعالى .

عبدالوارث

بن سعيد التنورى ابوعبيدة العنبرى مولاهم البصرى الحافظ المقرى ولد سنة اثنتين ومائة وقرأ القران وجوده على ابى عمرو بن العلاء وجلس للاقراء فقرأ عليه محمد بن عمر القبص و ابومعمر المنقرى و عمران بن موسى القزاز وغيرهم وكان ممن روى الكثير عن ايوب السجستانى وشعيب بن الحجاب ويزيد الرشك وايوب بن موسى والجعد ابى عثمان وطائفة وعنه ابنه عبدالصمد و بشر

بن هلال الصواف ومسدد وقتيبة وخلق كثير وكان ثقة حجة موصوفاً بالعبادة والدين والفصاحة والبلاغة قال ابو عمر الجرمي ما رأيت فقيها افصح من عبد الوارث الاحماد بن سلمة قلت لكنه اتهم بالقدر قال محمود بن غيلان قيل لابي داود الطيالسي لم لا تحدث عن عبدالوارث فقال احدثك عن رجل كان يزعم ان يوماً من عمر بن عبيدا كبر من عمر ايوب ويونس وابن عون قلت مات عبدالوارث في المحرم سنة ثمانين ومائة .

حسين بن علي الجعفي

مولاهم الكوفي ابوعبدالله الزاهد احد الاعلام قرأ القرآن على حمزة وأخذ الحروف عن ابي عمرو وعن ابي بكر بن عياش وبرع في القراءة والحديث روى عن جعفر بن برقان والاعمش وفضيل بن مرزوق وعبدالرحمن بن يزيد بن جابر ومجمع بن يحيي الانصاري وسفيان الثوري وزائدة وطائفة واقرأ الناس بعد حمزة قرا عليه ايوب بن المتوكل و غيره واخذ عنه احمد بن حنبل والطيب بن اسماعيل ومحمد بن الهيثم وهارون بن حاتم وابوهاشم الرفاعي واسحق بن راهويه ويحيي بن معين واحمد بن عمر الوكيعي واحمد بن الفرات وعبد بن حميد وعباس الدوري ومحمد بن عاصم الثقفي و خلق كثير قال احمد بن حنبل مارأيت افضل من حسين الجعفي وقال قتيبة بن سعيد قالوا لسفيان بن عيينة قدم حسين الجعفي فوثب قائماً وقال قدم افضل رجل يكون قط وقال موسى بن داود كنت عند ابن عيينة فأتاه حسين الجعفي فقام سفيان بن عيينة فقبل يده وقال يحيي بن يحيي النيسابوري ان كان بقي من الابدال احد فحسين الجعفي وقال محمد بن رافع كان راهب اهل الكوفة نعني عابدهم وروى ابوهشام الرفاعي عن الكسائي قال قال لي الرشيد من اقرا الناس قلت حسين الجعفي وقال احمد بن عبدالله العجلي كان حسين الجعفي يقرئ الناس رأس فيه ولم اراحدا قط افضل منه وهو ثقه ولم تره الا مقعداولم يطاقط وكان جميلا لباسا يخضب خلف ثلاثة عشر دينارامات في ذي القعده سنة ثلاث ومائتين قلت عاش اربعا وثمانين سنه

عبدالله بن صالح

العجلى الكوفى المقرى ابو احمد من كبار المقريين قرا على حمزه وحدث عنه وعن ابى بكر النهشلى وعبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان وفضيل بن مرزوق وحماد بن سلمة واسباط بن نصر وزهير ابن معاويه وسبيب بن شيبة والحسن ابن صالح بن حى وطايفه وسكن بغدادفى اخرايامه واقرابها تلا عليه ابوحمدون الطيب بن اسماعيل وابراهيم بن نصر الرازى وجماعه وسمع منه ولده العلامة ابو صالح احمد بن عبدالله العجلى نزيل المغرب وابو زرعة الرازى وبشر بن موسى ومحمد بن غالب تمتام وابراهيم الحربى واحمد بن يحيي البلاذرى وطايفه سواهم قال ابو حاتم صدوق وقال ابن حيان مستقيم الحديث توفى قبل العشرين وماتين وقيل ان البخارى روى عنه وماصح ذلك

يحيي بن ادم بن سليمان

الامام ابو ذكريا القرشى مولى ال ابى معيط الكوفى الاحول الحافظ المقرى صاحب ابى بكر بن عياش قال ابو عمر والدانى وغيره روى حروف عاصم سماعا من غير تلاوة عن ابى قلت وحدث عن قطر بن خليفه وعيسى بن طهمان ويونس بن ابى اسحاق وفضيل بن مرزوق ومسعر بن كدام ومفضل بن مهلهل وسفيان الثورى واسرايل وورقا وخلق اخذ عنه القراءة اسحاق ابن راهويه واحمد بن عمر الوكيعى وابو حمدون الطيب وخلف بن هشام وشعيب بن ايوب الصريفى وموسى بن حزام الترمذى وعبدالله بن محمد بن شاكر واخرون وحدث عنه هؤلاء بها وبعضهم اقرأ بالروايه عنه وروى عنه ايضا احمد بن حنبل ويحيي بن معين وابو كرب وهارون الحمال وعبد بن حميد والحسن بن على بن عفان وخلق كثير وثقه ابن معين والنسائى وسئل عنه ابو داود فقال ذاك واحد الناس وقال على بن المدينى يرحم الله يحيي بن ادم اى علم كان عنده وجعل يطريه وقال ابو اسامة ما رايت يحيي بن ادم الا ذكرت الشعبي يعنى انه كان جامعا للعلم عمر فى زمان رأس الناس وكان بعده ابن عياش ثم كان بعده الشعبي فى زمانه وكان بعد الثورى يحيي بن ادم قلت اتيت

الجزء الثامن		السنة الرابعة

الهداية

تصدر فى الاستانة • شعبان سنة ١٣٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

عود الى تفسير قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير الذين آتيناهم يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)

ابانت هذه الآيات الكريمة ان اهل الكتاب من اليهود والنصارى لا يرضون عن الرسول الامين ولا عن اهل دينه ما داموا على الاسلام ولقد صدق الله وكذبت ظنون السذج الاغرار من المسلمين فان لنا

فى كل يوم آية على ان المسلمين لا يرضى النصارى واليهود عنهم ماداموا يقولون بتوحيد الله وان المساجد لله فلا يبتغون معه أحدا .

جهل المسلمون كتاب ربهم وغفلوا عن آياته البينة وحكمه البالغة فجعلوا يتخذون من اهل الكتاب اولياء يلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءهم من الحق .

اتخذ المسلمون من اهل الكتاب الاصدقاء والخلصاء والنواميس وكتاب السر والحجاب ورءس الدواوين والحساب والمستشارين والعمال والولاة والوزراء بل رأيناهم فوق هذا كله يرجحونهم على اخوانهم من المسلمين فى حاجاتهم الضرورية واعمالهم الخاصة فيتخذون منهم الطهاة والجباة والاطباء والمحامين وأشباههم . ولو علموا ان من وراء اسنانهم الضاحكة لهم صدورا تتأجج فيها نيران الاحقاد وقلوبا تتدفق بمداد العداوة والبغضاء لاحبوهم هونا ما ولايقنوا ان مصافاتهم خدعه ومخادنتهم رياء . وكفى بكتاب الله شاهدا وبالحوادث والنوازل مؤيدا .

سبحانك اللهم ما اصدق كتابك واحكم عظاتك ! لقد نكب المسلمون لعهدنا هذا فى بلاد الروملى شرقا وفى مراكش غربا فلم تكد تدخل الجنود المغيرة هنا وهناك حتى رأينا من آخاهم المسلمون من اهل الكتاب انقلبوا عرفاء للمغيرين يدلونهم على اموالهم ودفائنهم ويغرونهم ببناتهم الابكار بل رأيناهم يبدأون بهتك حرمات المسلمات ونهب الاسباب والاموال وسفك دماء الاحداث الصغار والضعفاء من الرجال والنساء فلم يرقبوا فى مؤمن الا ولا ذمة .

ولقد رأينا من المسلمين الاغرار من كانوا يعجبون لوقوع هذه النوازل وصدور العدوان والخيانة من أولئكم الذين كانوا يفضون اليهم باسرارهم ، ويأمنونهم على انفسهم واموالهم ، ويرجحونهم فى سائر المعاملات على اخوانهم فى الدين ، وماكان اجدرهم ان يعجبوا من غفلتهم عن التاريخ وجهلهم بما انزل الله فى قرآنه ممالا يزال يتلى عليهم فيمر بآذانهم منطلقا كان لم يستمعوه وينفر عن قلوبهم مسرعا كان لم يعوه ولم يدركوه . تلك آيات الله تتلى عليهم بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟

ومما دلت عليه هذه الآيات الكريمة انه لامعذرة لاحد فيما يأتيه من الاقتداء لغيره بعد اذ يتبين له الحق ويتم له العلم . وقد استدل بهذا القوم على انه ليس لاحد ان يقلد غيره فى شئ من امور الدين الا مالم يعرف وجهه ودليله .

واظهر من هذه الآية فى الدلالة على هذا الحكم قوله تعالى (١) « وماكان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون » اذ معنى ذلك (والله اعلم) وماكان الله ليجد (٢) قوما ضالين عن الجادة القويمة والصراط السوى حتى يبين لهم مايجب ان يتقوه من الطرق المعوجة والسبل الضالة . فالانسان على هذا لايكون ضالا عن هدى الله تعالى الا بعد ان يتبين له الحق فيمتازله الخبيث من الطيب والرشد من الغى .

---

(١) سورة التوبة (٢) من قولهم أضل فلان بعيره اذا وجده ضالا لايدرى ابن هو وأضل فلان الشئ اذا تفقده فوجده مفقودا غائبا

فهؤلاء كما اسلفنا آنفا فى مبحث الردة ليسوا من المرتدين ولا بالمجرمين مادامو لم يفرطوا فى البحث ولم يقعدوا عن الحجج والادلة عمدا وعنادا أما اذا نصبت لهم الادلة وتجلت لاعينهم الآيات المقنعة فانهم لاجرم مؤاخذون اذذاك باصرارهم على الكفر والتزامهم العناد والفسوق.

هذا وعلى ذكرى قوله تعالى «قل ان هدى الله هو الهدى» يجمل ان نذكر هنا ان كثيرا من القائلين بوجوب الاجتهاد على كل مسلم ومسلمة يستمسكون بهذه الآية اذيتاً ولونها بانه ليس لأحد بعد ان ارسل الله رسوله بالهدى ودين الحق واوحى اليه بكتابه الكريم والسنة المطهرة ان يعمد الى احد من اصحاب الرأى والمذاهب فيأخذ بقوله مادامت آيات الله تتلى وسنة رسوله تروى. ولكثرة ما كتب القوم فى هذا الباب لاسبيل لنا الى استقصاء أقوالهم واستيعاب حججهم فلنذكر نبذة لكل فريق ثم لنردف ذلك بما نراه ممانرجو التوفق فيه.

قال ابن القيم (١) ذكر تفصيل القول فى التقليد وانقسامه الى مايحرم القول فيه والافتاء به والى مايجب المصير اليه والى مايسوغ من غير ايجاب. فاما النوع الاول فثلاثة اقسام احدها الاعراض عما انزل الله اكتفاء بتقليد الآباء. الثانى تقليد من لايعلم المقلد انه اهل للاخذ بقوله. الثالث التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد. والفرق بين هذا وبين النوع الاول ان الاول قلد قبل تمكنه من العلم والحجة وهذا بعد ظهور الحجة له فهو اولى بالذم ومعصية الله رسوله وقد ذم الله

(١) اعلام الموقعين. جزء ثان. صفحه ٢٩٢ من النسخة المطبوعة بمصر فى ثلاثة جلود

هذه الانواع الثلاثة من التقليد فى غير موضع من كتابه كما فى قوله تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ماانزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا . أولوكان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولايهتدون) وقال تعالى (وكذلك ماارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها اناوجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون . قال أولوجئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟) وقال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) وهذا فى القرآن كثير يذم به من اعرض ونأى بجانبه عما انزله الله تعالى قناعة بتقليد الآباء والاسلاف . وهذا القدر من التقليد هو مااتفق السلف والأئمة الاربعة على تحريمه وذمه. واما تقليد من بذل جهده فى اتباع ماانزل الله وخفى عليه بعضه فقلدفيه من هو أعلم منه فهذا محمود غير مذموم ومأجورغير مأزور . وذلك عملا بقوله تعالى « فاسألوا اهل الذكران كنتم لاتعلمون » فان هذه الآية امر لمن لايعلم بتقليد من يعلم (انتهى بتصرف)

فانت ترى من هذا ان التقليد الذى هو وزرو ثم بين انما هو التقليد فيما قديدرك المقلد من القرآن اوالسنة غيره من الاحكام فان فى ذلك اعراضا عن جانب الله تعالى واطراحا لماجاءت به السنة وكلام الله من لاحكام اعتمادا على مايتلقفه المقلد من اقوال من قلده . وكيف يسوغ احد شيئا من ذلك والله عزشأنه يقول « اتبعوا ماانزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه اولياء » روى ابن القيم بسنده عن السائب بن يزيد ابن اخت

عمر انه سمع عمر بن الخطاب يقول ان حديثكم شر الحديث وان كلامكم شر الكلام فانكم قد حدثتم الناس حتى قيل قال فلان وقال فلان ويترك كتاب الله . من كان منكم قائما فليقم بكتاب الله والا فليجلس . وذكر ابو عمر من طريق يونس بن عبد الاعلى حدثنا سفيان بن عيينة قال اضطجع ربيعة مقنعا رأسه وبكى فقيل له مايبكيك ؟ فقال رياء ظاهر وشهوة خفية والناس عند علمائهم كالصبيان فى امامهم مانهوهم عنه انتهوا وماأمروهم به ائتمروا .

وقد يلتبس على الناس الامر فى بيان معنى لتقليد فنقول قد روى ابن القيم عن عبد الله بن خوازمنداد البصرى المالكى ان التقليد معناه شرعا الرجوع الى قول لا حجة لصاحبه عليه وذلك فى الشريعة ممنوع منه قطعا واما الاتباع فهو فيما ثبت بالحجة . وقال فى موضع آخر من كتابه كل من اوجب الدليل عليك اتباع قوله فانت متبعه والاتباع فى الدين جائز وقد نهى الائمة الاربعة عن تقليدهم وذموا من اخذ اقوالهم بغير حجة . ورويت عنهم فى هذا الباب قصص كثيرة فمن ذلك ماروى عن احمد بن حنبل ان قد سمعه ابو داود يقول له لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الثورى ولا الاوزاعى وخذ من حيث أخذوا .

وكيف لا يأثم من المقلدين من اذا وجدوا آية من كتاب الله تعالى توافق آراء اصحابهم أخذوا بها واذا رأوا من الآيات مايخالف اقوال هؤلاء لم يأخذوا بها وتطلبوا لها وجوه التأويل واخرجوها عن ظواهرها

حتى يحملوها على آراء من يقلدونهم . وكذلك يفعلون فى السنة المطهرة فاذا وجدوا من الأحاديث الصحيحة مالا يوافق آراء من قلدوهم لم يلتفتوا اليها بالغة من درجات الصحة مابلغت . واذا وجدوا من الاحاديث المرسلة اوالضعيفة مايطابق اقوالهم استمسكوا بها ولم يبالوا ان يوردوها فى سبيل الاستشهاد والاحتجاج .

على ان القائلين بالتقليد هم انفسهم يصرحون فى كتبهم احيانا ببطلان التقليد وتحريمه وانه لايحل القول به فى دين الله ، ولو اشترط الامام على الحاكم ان يحكم بمذهب معين لم يصح شرطه ولا توليته ومنهم من صحح التولية وابطال الشرط . ثم مع هذا كله نجدهم يعرفون من انفسهم انهم مقلدون لمتبوعيهم لايفارقون اقوالهم بل يتركون لها مالا يخالفها من الكتاب او السنة اواقوال الصحابة اوغيرهم ممن هم اعلم ممن اتبعوهم .

قال ابن القيم وانا نعلم بالضرورة انه لم يكن فى عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلا منهم يقلده فى جميع اقواله فلم يسقط منها شيئا اواسقط اقوال غيره فلم يأخذ منها شيئا ونعلم بالضرورة ان هذا لم يكن فى عصر التابعين ولا تابعى التابعين وانما حدثت هذه البدعة فى القرن الرابع المذموم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومما قاله فى مناقشة المقلدين انهم حكموا على الله قدرا وشرعا بالحكم الباطل المخالف لما اخبر به رسوله فاخلوا الارض من القائمين لله بحججه وقالوا لم يبق عالم منذ الاعصار المتقدمة فقالت طائفة ليس

لاحد ان يختار بعد ابى حنيفة وابى يوسف وزفر بن الهـذيل ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد اللؤلؤى وهذا قول كثير من الحنفية . وقال بكر ابن العلاء القشيرى المالكى ليس لاحد ان يختار بعد المائتين من الهجرة وقال آخرون ليس لاحد ان يختار بعد الاوزاعى وسفين الثورى ووكيع بن الجراح وعبدالله بن المبارك . وقالت طائفة ليس لاحد ان يختار بعد الشافعى . واختلف المقلدون من اتباعه فيمن يؤخذ بقوله من المنتسبين اليه ويكون له وجه يفتى ويحكم به من ليس كذلك وجعلوهم ثلاث مراتب . واختلفوا متى انسدباب الاجتهـاد على اقوال كثيرة ما انزل الله بها من سلطان . وعند هؤلاء ان الارض قد خلت من قائم لله بحجة ولم يبق فيها من يتكلم بالعلم ولا يحل لاحد بعـد ان ينظر فى كتـاب الله ولا سنة رسوله لاخذ الاحكام منها ولا يقضى ولا يفتى بمـا فيهـا حتى يعرضه على اقوال مقلده ومتبوعه فان وافقها حكم به وافتى والا رده ولم يقبله . وهذه اقوال كما ترى قد بلغت من الفسـاد والبطـلان والتناقض والقول على الله بلا علم وابطال حججه والزهد فى كتابه وسنة رسوله وتلقى الاحكام منهـا مبلغها ويأبى الله الا ان يتم نوره ويصدق قول رسوله انه لا تخلو الارض من قائم لله بحججه ولن تزال طائفة من امته على محض الحق الذى بعثه به وانه لا يزال يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الامة من يجدد لها دينها (انتهى)

ومن البين انه لا يجوز الافتاء والحكم فى دين لله بما يخالف النصوص

وانه لا سبيل الى الاجتهاد او التقليد مع وجود النص فاذا قام النص من كتاب اوسنة فليس لاحد ان يعدل به غيره ولا ان يجتهد فى فهمه فيتأوله او يذهب من دونه الى رأى اومذهب.ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى (وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقدضل ضلالا مبينا) وقوله (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا وأولئك هم المفلحون) وقوله (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقوله (ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) وقوله (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب) وقوله (هذا بلاغ للناس ولينذروا به ليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولو الالباب)

واما ادلة ذلك من السنة فقد استشهد صاحب اعلام الموقعين (١) بكثير من الاحاديث والآثار الصحيحة مما يمكن الرجوع اليه ولا يسع المقام هنا استيعابه وحسبنا من ذلك ما رواه عن عمر بن عبدالعزيز من قوله لا رأى لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومارواه عن الشافعى اذ يقول اجمع الناس على ان من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول احد من الناس ، وما تواتر عنه من قوله اذا صح الحديث فاضربوا بقولى الحائط

---

(١) راجع صفحة ٣٦٠ ومايليها من الجزء الثانى من النسخة المطبوعة بمصر سنه

فاهل الرأى والصواب هم أولئك الذين يعرضون ما يجدون من اقوال الائمة رضى الله عنهم على كتاب الله وسنة رسوله حتى اذا وجدوا منها ما يخالف شيئا منهما عدلوا عنه اليهما . اما الذين يتقيدون باقوال متبوعهم وان وجدوا فى الكتاب او السنة ما يخالفها فأولئك الذين لا يعتد بهم ولا تسلم من العطب سبيلهم . ذكر محمد بن حارث فى اخبار سمنون بن سعيد عنه قال كان مالك وعبد العزيز بن ابى سلمة ومحمد بن ابراهيم بن دينار وغيرهم يختلفون الى ابن هرمز فكان اذا سأله مالك وعبدالعزيز اجابهما واذا سأله ابن دينار وذووه لا يجيبهم فتعرض له ابن دينار يوما فقال له يا ابا بكر لم تستحل منى مالا يحل لك ياابن اخى وما ذاك ؟ قال يسألك مالك وعبدالعزيز فتجيبهما راسألك انا وذوى فلاتجيبنا فقال اوقع ذلك يا ابن اخى فى قلبك ؟ قال نعم قال انى كبرت سنى ودن عظمى وانى اخاف ان يكون خالطنى فى عقلى مثل الذى خالطنى فى بدنى ومالك وعبدالعزيز عالمان فقيهان اذا سمعا منى حقا قبلاه وان سمعا خطا تركاه وانت وذودك ما اجبتكم به قبلتموه . قال ابن حارث هذا والله الدين الكامل والعقل الراجح لاكن يأتى بالهذيان ويريد ان ينزل قوله من القلوب منزلة القرآن .

ولقد يسرا الله القرآن للذكر وجعله كتابا عربنا مبينا وانزله على رسوله الامين تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة . فما كان لاحد ان يعدل عما يبلغه ادراكه من معانيه واحكامه الى شئ من غيره الا سنة توضح

مجملة او تقيد مطلقه او تطلق مقيده

وليس المراد من هذا ان على كل انسان التفرغ للنظر والبحث فى الكتاب والسنة والانقطاع للتدبر والاجتهاد فان ذلك مالا تستقيم معه شئون العباد ولا يطابق الحكمة والسداد اذلو كلف الناس كلهم الاجتهاد وان يكونوا علماء فضلاء لضاعت المصالح وتعطلت الصنائع والمتاجر وكان الناس كلهم علماء مجتهدين وهذا مالا سبيل اليه .

وانما المراد ان كل ما يتيسر للانسان فهمه من الاحكام القرآن والاحاديث الصحيحة لا يجوز له مخالفته الى رأى اى الانسان كائنا من كان . اما ما يخفى على بعض المدارك ويحتاج فى فهمه الى تنقيب ونظر فذلك ما ليس من من موسوعات كل انسان فان فى تكليف العامة بذلك عنتا ومشقة وتعطيلا للمصالح الحيوية العامة . فهذا مما يقلد فيه العامة بعض اهل الرأى والنظر حتى اذا تيسر لاحدهم يوما ما فيه وجه ما وجب عليه الاستمساك به وأثم بتقليد غيره فيما يخالفه . ذلك مصاق قوله تعالى « ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير » فاذا تبين العلم فى آية مسألة لاحد من الناس أثم بمخالفة ما وضح له واستبان وحرم من دون ذلك تقليد اى انسان .

ولا مرية ان قوله تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فألئك هم الخاسرون » من اوضح

الادلة وادفع الحجج فى هذا الباب ذلك ان هذا يقتضى بنصه اوظاهره ان المؤمنين بكتاب الله هم أولئك الذين يتلونه حق تلاوته اى يتبعونه حق اتباعه فلا يتجاوزون حدوده ولا يعدلون بدلا باحكامه بل يقيمون ما يحتويه من الاحكام والعظات مبلغ طاقتهم واما الخاسرون فهم أولئك الذين يستمعون آياته فلا يتدبرونها ولا يأخذون بشئ منها بل يكفرونها كان لم تنزل لهدايتهم او كان لم تكن من السهولة اليسر بحت تتلغ المدارك البشرية مرامبها ومقاصدها .

ان كتاب الله وحديث رسوله كلام سهل ميسور تريب المأخذ بالغ غايات البيان وقد نصب الله الادلة الظاهرة على الحق وبين لعباده ما يتقون فكيف لاحد ان يدعى العجز عن فهم ما نصب الله عليه الادلة وتولى بنفسه بيانه وامرنا ان يتمسك بو فى قوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ان على كل عبد ان يعرف ما يخصه من الاحكام وما تدعو الحاجة الى معرفته وليس فى ذلك اضاعة لمصالح العباد. ولا تعطيل لاسباب معاشهم فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم قائمين بمصالح انفسهم ومعاشهم وعمارة حروشهم والقيام على مواشيهما والضرب فى الارض لمتاجرهم والصفق بالاسواق وماصدهم عن شئ من ذلك اخذهم الميسور من احكام القرآن والسنة النبوية مما دعتهم الحاجة الى معرفه ولم يكن من مقدرات الاذهان ومسائل الاحاجى والالغاز .

ولولا ان الفقهاء اشتغلوا بما شجر بينهم وصرفوا الناس عن الاخذ

بميسور الاحكام من الكتاب والسنة لوجد هؤلاء من القرآن الكريم وسنة الرسول ما لا ينبوا عن عقولهم ولا يحتاجون من دونه الى شئ كثير.

اما آيا فى الاحكام فانها مبثوثة منتثرة فى القرآن الكريم تتلى فى كل مكان وتقرع سائر آذان المسلمين وليس منها بحمد الله ما يحتاج فى تدبره الى عناء وجهد نفس بل جلها اوكلها واضح جلى لا يستعصى ادراكه على عارف فى اللغة العربية ولو كانوا الله العامة .

واما سنة الرسول عليه السلام فهى كذلك مضبوطة محفوظة الاحكام ولا تكاد تتجاوز أمهات بآخذ الاحكام من الحديث خمسمائة حديث .

(قال ابن القيم) وفرشها وتفاصيلها نحو اربعة آلاف حديث فهل فى تحصيل هذا القدر من آيات القرآن واحاديث الرسول ما يعطل مصالح العباد ومعاشهم اويبدد لياليهم وايامهم .

اما كان خير العلماء الاسلام ان يعنوا بجمع آيات الاحكام واحاديث العبادات والضرورى من المعاملات فى كتاب ثم ينشروه بين الناس عامتهم وخاصتهم كبارهم وصغارهم ؟ اذاً لاحيوا معالم الاسلام واقاموا عهد السلف الصالح ومحوا آثار الاختلاف المذهبية التى مزقت شمل المسلمين واوهنت اركانهم واذهبت ريحهم ومكنت الامم الاخرى من رقابهم .

قال ابن القيم نحن لا ندعى ان الله فرض على جميع خلقه معرفة الحق بدليله فى كل مسألة من مسائل الدين دقه وجله وانما انكرنا ما انكره الائمة الاربعة ومن تقدمهم من الصحابة والتابعين وماحدث فى الاسلام

بعدانقضاء القرون الفاضلة فى القرن الرابع المذموم على لسان رسول الله من نصب رجل واحد وجعل فتاويه بمنزلة نصوص الشريعة بل تقديمها عليها وتقديم قوله على اقوال من بعد الرسول من جميع علماء أمته والاكتفاء بتقليده عن تلقى الاحكام عن كتاب الله وسنة رسوله واقوال الصحابة . ثم حكى ابن القيم عن اصحاب التقليد قولهم ان اصحاب الرسول فتحوا البلاد وكان الناس حديثى عهد بالاسلام وكانوا يفتونهم ولم يقولوا لاحد منهم عليك ان تطلب معرفة الحق فى هذه الفتوى بالدليل . ثم عقب ذلك بقوله فى مناقشتهم (جوابه) انهم لم يفتوهم بآرائهم وانما بلغوهم ماقاله نبيهم ومافعله وأمر به فكان ماافتوهم به هو الحكم وهو الحجة فان كلام الرسول هو الحكم وهو دليل الحكم وكذلك القرآن وكان الناس اذذاك انما يحرصون على معرفة ماقاله نبيهم وفعله وأمر به وانما تبلغهم الصحابة ذلك . فاين هذا من زمان انما يحرص اشباه الناس فيه على ماقاله الآخر فالآخر . وكلما تأخر الرجل اخذوا كلامه وهجروا اوكادوا يهجرون كلام من فوقه حتى تجد اتباع الائمة اشد الناس هجر الكلامهم واهل كل عصر انما يقضون ويفتون بقول الادنى فالادنى اليهم وكلما بعد العهد ازداد كلام المتقدم هجرا ورغبة عنه حتى ان كتبه لاتكاد يوجد عندهم منها شيء بحسب تقدم زمانه . ولكن اين قال اصحاب رسول الله للتابعين لاتتلقوا الاحكام من الكتاب والسنة بل من تقليد الرجال فاذا جاءكم عن عبد الله ورسوله شيء وعمن نصبتموه اماما تقلدونه فخذوا بقوله

ودعوا مابلغكم عن الله ورسوله ؟ انتهى بتصرف وخلاصة القول ان التقليد على النحو الذى شرحنا آنفا لايجوز شرعا وان على كل مسلم ومسلمة ان يأخذ من احكام القرآن والسنة النبوية السهل الميسور مماتبلغه طاقته دون جهد ولا نصب ولا تعطيل للمصالح المعاشية فاذا بلغ الانسان شيء من تلك الاحكام كان عليه العمل بما فهم وأثم بانتباذها الى غيرها من اقوال العلماء . وليس على كل أحد استيعاب المغاليط والالغاز واستقصاء المسائل الفرعية فان ذلك مالم توجبه الشريعة المطهرة النبويه . وكذلك اذا رويت عن الرسول عليه السلام احاديث مختلفة فى باب واحد فليس على غير الخاصة من المحصلين اتباع شيء منها فان الأخذ باحدها لايزال يجوز حتى يرجح احدها الآخر عند الآخذ به . ولا ريب ان هذا ليس من موضوعات عامة الناس فان الوصول الى الترجيح يحتاج الى البحث فى الرجال والاسباب والازمنة التى رويت فيها تلك الاحاديث عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم ولكن من بلغ من الناس تلك المنزلة كان حقا عليه ان يستمسك بما علم وفقه والا يعدل عن شيء منه الى قول غيره من الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم فان ذلك كما اسلفنا لك مما نهوا عنه ونفروا الناس منه قال ابن القيم فى سبيل مناقشة المقلدين الحساب لقولهم ان الائمة رضوان الله عليهم كانوا يقلدون غيرهم قال ان الائمة لم يقلدوا تقليدكم ولا سوغوه البتة بل غاية مانقل عنهم من التقليد فى مسائل يسيرة لم يظفروا فيها بنص عن الله ولا عن رسوله ولم يجدوا فيها سوى قول من هو اعلم منهم فقلدوه

وهذا فعل اهل العلم وهو الواجب فان التقليد انما يباح للمضطر واما من عدل عن الكتاب والسنة واقوال الصحابة وعن معرفة الحق بالدليل مع تمكنه منه الى التقليد فهو كمن عدل الى الميتة مع قدرته على المذكى فان الاصل الا يقبل قول الغير الا بدليل الا عند الضرورة فجعلتم انتم حال الضرورة رأس اموالكم .

وهذا كلام حسن جدا يوضح لك متى يباح التقليد ومتى يتعين الاجتهاد فالتقليد كما ترى ليس من المحذورات الا على من تمكون من الادلة ويجدون من أوقاتهم مايساعدهم على الاستنباط والا على من تيسرت لمداركهم وتقدمت لابصارهم ومسامعهم مآخذ الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة فعدلوا عنها الى غيرها من اقوال العلماء اوتحرجوا عن الاخذ بشيء منها حتى يعرضوه على آراء الفقهاء فان ذلك خرق فى الدين وسفه فى الرأى ونقض لامر الله تعالى فى قوله (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا)

وفى ذم الاختلاف والحث على الاستمساك بالكتاب والسنة ورد قوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه (١) عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا . وجلى ان هذا ذم للمختلفين وتحذير من سلوك سبيلهم قال ابن

(١) اعلام الموقعين جزء ثان — صفحه ٣٢٢

القيم وانما كثر الاختلاف وتفاقم امره بسبب التقليد واهله فهم الذين فرقوا الدين وصيروا اهله شيعا كل فرقة تنصر متبوعها وتدعو اليه وتذم من خالفها ولا يرون العمل بقولهم حتى كأنهم ملة اخرى سواهم يدأبون ويكدحون في الرد عليهم ويقولون كتبنا وكتبهم ومذهبنا ومذهبهم هذا والنبي واحد والقرآن واحد والدين واحد والرب واحد فالواجب على الجميع ان ينقادوا الى كلمة سواء بينهم كلهم والا يطيعوا الا الرسول ولا يجعلوا من يكون اقواله كنصوصه ولا يتخذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله . فلو اتفقت كلمتهم على ذلك وانقاد كل واحد منهم الى من دعاه الى الله ورسوله وتحاكموا كلهم الى السنة وآثار الصحابة لقل الاختلاف وان لم يعدم من الارض ولهذا نجدا قل الناس اختلافا اهل السنة والحديث فليس على وجه الارض طائفة اكثر اتفاقا واقل اختلافا منهم لما بنوا على هذا الاصل وكلما كانت الفرقة عن الحديث ابعد كان اختلافهم في انفسهم اشد واكثر فان من رد الحق مرج عليه امره واختلط والتبس عليه وجه الصواب فلا يدرى اين يذهب .

لقد اوصانا سيد الكائنات فيما رأيت باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده أما سنة الرسول فقد تقدم لك منها الشئ الكثير واما سنة خلفائه المهديين فاليك ما كتبه امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى شريح القاضي ان اقض بما في كتاب الله تعالى فان لم يكن في كتاب الله فبما في سنة رسوله فان لم يكن في سنة رسول الله فبما قضى به الصالحون .

وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون (النحل)

«ان هذا القرآن يهتدي للتي هي اقوم» «وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون» (الانعام)

قد اطلنا القول في هذا الباب وحسب القارئ بعد الذي اسلفنا ان يتدبر مليا وان يرجع البصر مرة اخرى في قوله عز شأنه (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون) قال النيسابوري في تفسيره «وفي الآية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى لا يكون هناك اتباع للهوى . وفيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمأمور به لقوله «بعد الذي جاءك من العلم»

ونحن نقول ان الله تعالى قد سمى كل ماليس بهدى الله هوى وتوعد كل من عدل عن هداية الله الى غيرها من الاهواء بعد اذ جيء بها العلم الا يجد من دون الله وليا ولا نصيرا . ثم أبانت تلك الآيات الكريمة ان الذين يؤمنون بهدى الله الذي ليس من ورائه هدى هم أولئك الذين آتاهم كتابه فاتبعوه حق اتباعه واقاموا عظاته واحكامه . اما الذين كفروا به ونبذوه وراء ظهورهم عنادا واستكبارا فلم يقيموا آياته ولم يتبعوا سبيله فانهم يفضلون القول بالاهواء على القول بهدى المولى عز شأنه ويتخذون من احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله يقفون عند حدود فتاويهم وتعاليمهم وان خالفت آيات الله واحكامه ، وأولئك هم الخاسرون .

هذا ولما كانت الآيات التي نحن بصددها تدل على ما كان يأتيه اهل

الكتاب من أذى المسلمين وافراطهم فى تشهياتهم وحرصهم على ترويج اهوائهم وغلوهم فى صرف المسلمين عن هدى الله الذى هو الهدى بعد اذ كفروا به ولم يؤمنوا بما احتواه من آيات الله والذكر جاء فى مقام تذكيرهم بنعمة الله وتحذيرهم يوم يفرغ لهم فيحاسبهم على ماجنت ايديهم قوله تعالى

« يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم »
« على العالمين واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها »
« شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون »

ذكرهم الله فى صدر الآية بما اغدق على بنى اسرائيل من جليل نعمه اذجعل فيهم انبياء وجعلهم ملوكا وآتاهم مالم يؤت احدا من العالمين ثم حذرهم فى عجزها اليوم الآخر وامرهم ان يتقوا شديد اهواله ودقيق حسابه وعدل عذابه بطاعة الله واتباع هديه والتمسك بكتابه ثم اراد تهويل الامر عليهم وجمع قلوبهم على هدايته وتخطئتهم فيما قدروا فى انفسهم من قياس احوال الآخرة على الشئون الدنيوية وزعمهم ان ستنفعهم يوم القيامة شفاعة الشافعين او المفاداة بالاموال او مظاهرة الاحلاف والانصار على نحو مايشاهدون فى الدنيا وماكانوا يقولون اذا سئلوا كيف يعبدون مالايضرهم ولاينفعهم (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله)

واعلم ان القرآن الكريم قدجاءنا بآيات فى نفى الشفاعة يوم القيامة وآيات

اخرى فى أثباتها وكذلك نجد الشأن فى الاحاديث الصحيحة .

ولقد يتوهم الجاهلون باساليب الكتاب الكريم فى مناقشاته والذين لم يعلموا ماذا كان يقول اهل الكتاب وماذا يفعلون ويمرج عليهم الامر فيتوهمون ان بين تلك الآيات تضاربا واختلافا . اما العالمون فانهم يرون فى آيات الكتاب مالا ينافر العقل ولا ينافى العدل ولا يتصادم بعضه ببعض .

اتخذ اهل الكتاب وغيرهم من المشركين من دون الله آلهة عنت وجوههم اليها وتعلقت آمالهم بها ونبذوا كتب الله وآياته فى جانبها . فلما نزلت آيات القرآن فى مجادلتهم والنعى عليهم ولم يجدوا مفرا من الاذعان بربوبية الله عز شأنه وتوحيده بالعبادة لم يجدوا الهم من دون ذلك وليجة سوى ان يقولوا انهم شفعاؤنا عند الله (١) (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) استمسك طوائف من اهل الكتاب بما احل لهم رهبانهم واحبارهم وان عارض ذلك احكام كتبهم السماوية وحرموا على انفسهم ماحرم عليهم أولئك الزعماء وان أحلتها ملتهم فهم بما نبذوا من كتاب الله واعتصموا باقوال علمائهم قد اتخذوا منهم لاجرم دون الله شركاء يحبونهم كحب الله (٢) « ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » واصرح من هذه الآية قوله تعالى (٣) « ومن الناس

(١) سورة يونس (٢) سورة شورى (٣) سورة البقره

من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله » بل ان منهم من افرط فى حب أولئك الابدال حتى لقد اختصوهم بحبهم وغلوا فى عبادتهم ووقفوا عند حدود اوامرهم ونواهيهم(١) « اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله »

والذى يفهم من قصص القرآن الكريم ومن مراسم الكنائس والبيع والصوامع ان ارباب تلك الملل كانوا حقيقة يتخذون من قبور انبيائهم وتماثيل الميتين من احبارهم ورهبانهم آلهة لا يذكرون الله فى جانبها ولا يعلمون بشئ من احكامه فى جانب ما يؤثر عنها . أولئك هم الشفعاء الذين جاءت فى محاورة اهل الكتاب يوم القيامة آية (٢) « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » ومما جاء فى هذا المعنى ما نزل على لسان الرسول عليه السلام فى محاجة اهل الكتاب والنعى عليهم فيما اعتقدوا وزعموا من آية (٣) « أأتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون » وان من اهل الكتاب من زعموا ان شفاعة البشر والاجرام العلوية والتماثيل والاصنام لا تغنى عنهم شيئا فعمدوا الى الملائكة لطهارتها واقترابها من حظيرة القدس ومباينتها للعوالم المادية فاتخذوا منها شفعاء افرطوا فى الاتكال عليهم والاعتماد على محض شفاعتهم موقنين ان على الله تعالى قبول شفاعاتهم والنزول على احكامهم . ولما كانت قالتهم هذه

(١) سورة التوبة (٢) سورة الانعام (٣) سورة يس

افكامبيناوكفرا صريحاوجهلابالله تعالى شـأنه نزلت آيات كثيرة فى مجادلتهم والنبى عليهم وبيان ان ليس لاحدان يشـفع عندالله لاحد الاباذنه ورضاه. فمن ذلك آية (١)« وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الامن بعدان يأذن الله لمن يشاءويرضى » وآية(٢)« ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع » وآية (٣) « وقالوا اتخذالله ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون . يعلم مابين ايديهم وماخلفهم ولايشفعون الالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين » تدلك هاتان الآيتان على ان الناس كانوا يعبدون الملائكة بعد اذ زعموا انهم ابناء الله فلهم عليه من الدالة والسلطان ما يجعل قبول الله لشفاعتهم ضربة لازب وحتما مقضيا فانظر ما ابدع وما ادمغ ما سردت الآية الثانية من الحجج والبينات فى مجادلتهم اذ بينت ان الملائكة انما هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فهم لمكانتهم من الله وفرط طاعتهم له ما كان لهم ان يشفعوا لغير من يرتضيه من عباده. ثم جاء فى بيان ان الملائكة على منزلتهم من الله وفرط طهارتهم وعصمتهم ليسوا فى التكاليف الشرعية الا كغيرهم من الخلائق فاذا فسق احدهم عن امر ربه اويطغى على الله فينحل نفسه صفات الربوبية ويريد ان يختص بالعبادة من دونه فانما جزاؤه جهنم التى هى جزاء الظالمين . تريدالآية الكريمة بذلك ان تأخذ جميع المسالك على أولئك المجرمين الجاهلين وان تصدهم عن الترسل

(١) سورةالمؤمن (٢) سورةالمؤمن (٣) سورةالبقره

مع اهوائهم بعد الذى ابانت لهم من العلم .

اتخذ الناس كما علمت لله شركاء ثم زعموا انهم ماعبدوهم الا ليزدلفوا بهم الى الله وليحرزوا فى الآخرة شفاعتهم فمنهم من اشرك بالله الملائكة لانهم كما رأيت تمثلوهم ابناء الله المدللين ومنهم من اتخذ من عزير الله ندا احبه كحب الله ومنهم من اتخذوا من الاصنام الهة لا تشكف ضرا ولا تمسك دون الله رحمة بل انها لا تملك ولا تعقل ثم جعلوا يخوفون الرسول عليه السلام بأسها وبطشها ظانين ان الله العزيز المنتقم غير كاف عبده . ولقد كان من آيات هؤلاء انه اذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون كما جاء مبسوطا فى آية « اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل اليس الله بعزيز ذى انتقام ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره اوارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ..... ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولوكانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون. قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذ اذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » (الزمر)

قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين . وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون (الانعام)

مما اسلفنا يتجلى للبصير ان الشفاعة التى جاءت الآيات الكريمة بانكارها انما هى الشفاعة التى يكون فيها الشفيع ذا سلطان على المشفوع عنده . ولا يخفى ان ذلك أصل من اصول الاسلام بل من اقوى اركانه وامتن قواعده اذ ان الاتكال على الاغيار يفضى الى تعطيل احكام الله تعالى ويصرف النفوس عن الأخذ بالسنن الكونية والنواميس الالهية. ومن شاء فان من آثار ذلك فى امم النصرانية ومبتدعة الاسلام ما اجهد المصلحين ودسى بهجة الدين وجعلهم سلفا ومثلا للآخرين . وماذا يرتجى لقوم يقولون بالغفران (١) ويبنون دينهم على مثل خرافات عجائز النسوان اولقوم يلتمسون البركة والوسيلة عند الله بمن لا يسمعون ولا يبصرون ولا يغنون من الله شيئا. كم من هؤلاء من يقضون الليالى فى تلاوة اسماء وعبارات لم يرد بها كتاب ولم تثبتها سنة . يقطع الليل فى تلاوتها اما فى طلب مال اواستظهار على عدو اوظفر بخصم له فى محكمة اوفى التماس الشفاء لمريض يعز عليه وماهو فى ذلك الا معطل لسنة الله التى ليس لها تبديل وجاحد لما جاءت به آيات التنزيل اما الشفاعة التى يمنحها الله المصطفين الاخيار من خليقته ومن ارتضاهم من عباده فانها ثابتة فى القرآن الكريم والسنة المصطفويه ففى سورة طه « لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى

(١) ان يغفر القسيس ذنوب من يعترفون بها بين يديه

له قولا » وفى سورة الزخرف « ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق » وفى سورة سبأ « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له » اما المجرمون الكافرون الذين جاءهم البلاغ المبين فابوا الا الاصرار على الكفر بغيا وعدوا ثم ماتوا على ذلك « فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين » ففى الروم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) كذلك ما كان لأحد من عباده الاطهار ان يسأل الله فى احد من عباده المذنبين الا اذا اذن الله له فى ذلك « ما من شفيع الا من بعد اذنه » (سورة يونس)

فالشافع والمشفوع لديه فى الحقيقة انما هو الله تعالى « قل لله الشفاعة جميعا » ولا يخفى ان الشفاعة بهذا المعنى ليست سوى منحة من منح الله تعالى ونعمة من نعمه يأذن بها لمن يرتضى من عباده وليس لاحد عليه سلطان ولا فوق يده يد لانسان .

وكل ماورد فى نفى الشفاعة فانما هى شفاعة الشركاء والابناء المسيطرين كما علم مما اسلفناه لا هى بشفاعة عباد الله المكرمين أولئك الذين لا يشفعون الا لمن ارتضى الله ان يشفعوا له وهم من خشيته مشفقون .

على هذا تحمل آية « لا يؤخذ منها عدل ولا تنفعها شفاعة » وآية « وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع » وآية « وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع » وآية « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا » وآية « ليس لهم

من دونه من ولي ولا شفيع » وآية «مالكم من دون الله من ولي ولا شفيع» الى نحو ذلك من الآيات .

واعلم ان المشفوع لهم هم من شاء الله تعالى من المؤمنين اهل المعاصي. فالشفاعة اذ ذاك اما لابعادهم عن العذاب واما لتخفيف العذاب وتقصير أمده عليهم (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وفي كتب السنة النبوية من الامثلة الشيء الكثير .

ومما يجب التنبه له ان الشفاعة كما رأيت يأذن بها الله تعالى يوم القيامة من شاء لمن شاء فلا يعلم احد أيكون من حظه يوم القيامة شفاعة الشافعين ام ان عليه ان يستوفي جزاء ما كسبت يده من السيئات . اذا فمن الجهل البين تفريط الانسان في طاعة الله واستهانته بمحارمه اتكالا على انه سيشفع له نبيه اوجاره اواحد من الملائكة فانه لا يدري لعله يستوفي حسابه غير ميسور ويستكمل جزاءه غير منقوص. ومامثل من يفعل ذلك من المسلمين الا كعباد المسيح يسرحون ويمرحون ولا يتركون رذيلة حتى يأتوها اعتدادا منهم بما يزعمون من ان المسيح قدافتداهم بروحه ومكث في النار ثلاثة ايام ليغني ذلك عن سائر سيئاتهم فترى من يقولون بذلك من النصارى لا يذرون سيئة الا ارتكبوها ولا فاحشة الا اتوها وحسب احدهم في الفرار من العقاب ان يعترف لاحد القساقسة بما فعل « قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله مالا تعلمون »

وحسب المسلمين ان يعتبروا بما كان يفعل رسولهم والسلف الصالح.

من أئمتهم فقد عرفناهم على منزلتهم السامية ومكانهم الذى لا يبلغ اخوف الناس من الله واشدهم التزاما لطاعته واكثرهم محاسبة لانفسهم على مافعلوا واسرعهم الى التوبة عما اجترحوا اوهفوا ولوان لاحد ان يتكل على مجرد فضل الله واحسانه لكان سيد الكائنات ومنزلته من الله منزلته ان يفعل ماشاء بعد اذ غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر

الكلام فى قوله تعالى « واذابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن . قال انى جاعلك للناس اماما . قال ومن ذريتى . قال لا ينال عهدى الظالمين. واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى . وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود. واذقال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربناواجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة ابراهيم الامن سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذقال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء

اذحضر يعقوب الموت اذقال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبدالهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون . تلك امة قدخلت لها ماكسبت ولكم ما كسبتم ولاتسألون عما كانوا يعملون . وقالوا كونوا هودا اونصارى تهتدوا.قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وماانزل الينا وماانزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وماأوتى موسى وعيسى وماأوتى النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ماآمنتم به فقداهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون . قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون . ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا اونصارى قل أأنتم اعلم ام الله . ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وماالله بغافل عما تعملون . تلك امة قدخلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولاتسألون عما كانوا يعملون »

تقدم آنفا بعض ماقص الله علينا من امر اهل الكتاب ومازعموا من انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا اونصارى وتبين لنا كيف اسرفوا فى مجافاة الرسول عليه السلام وايذائه لما كان يدعوهم اليه من توحيد الله تعالى واختصاصه بالعبادة دون سواه من الاحبار والرهبان والانبياء

ولما كان اهل الكتاب هودهم ونصاراهم قدزعموا انهم على دين ابراهيم وان لهذا الرسول وابنائه الانبياء فى نفوسهم من المنزلة والمكانة مالا يسعهم معه كفران أديانهم وتعاليمهم جاءت هذه الآيات الكريمة فى بيان ماكان يعتقده ابراهيم ومن تبعه من الانبياء وما كانوا يقولونه فى مناجاة رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الذى كفر به أولئك الضالون من اهل الكتاب واستنكروا عليه ان يوحى برسالته لمن يشاء من عباده كانهم يريدون بذلك ان يقسموا رحمة الله فى العالم وتكون لهم الكبرياء فى الارض فلا يأمنوا الا من تبع دينهم ولا يؤمنوا الا بما طابق اهواءهم .

لقد بلغ الجحود والكبر باهل الكتاب حدا استهجنوا فيه دعوة الرسول عليه السلام الى توحيد الله واستقبال كعبته وتحريم حرمته واتمام مناسكه الى نحو ذلك مما جاء به ابراهيم الخليل واولاده من بعده ولم يكن رسولنا فى شئ منه بدعا من الرسل وانما دعا الى مادعوا وحذر ماحذروا وبشر بما بشروا .

وما استقباله صلى الله عليه وسلم للكعبة بحدث لم يسبق اليه ولا تطهيره لبيت الله من الاوثان والاصنام بالذى يلام عليه فقد فعل ذلك ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وكم دعا ابراهيم ربه ان يثبته على كلمة التوحيد هو وذريته من بعده وكم ابتهل اليه ان يحنو عليه ويشمله باحسانه وبره وان يوفقه الى التوبة وان يبصره بالمناسك والعبادات .

وخلاصة القول ان الآيات الكريمة المذكورة آنفا قد احتوت المباحث الآتية .

(١) ان ابراهيم عليه السلام قد ابتلاه الله وكلفه بشرائع وتكاليف قام بها واقام تأديتها ولذلك جعله الله اماما يقتدى به ونبراسا يهتدى بنوره

(٢) ان الله تعالى قد عهد الى ابراهيم ان يختار للامامة والنبوة من ذريته من لا يكون ظالما . اما هؤلاء فقد ابى ان يشملهم عهده الذى اعطاه ابراهيم ولو كانوا من ذريته وسلالته (وماذا تغنى هؤلاء قرابتهم من ابراهيم اوانه نسبهم بعد اذ عصوا الله وحاربوه بغيا وعدوا . ثم هل لهم ان يلوموا فى ذلك احدا وهم الظالمون لانفسهم الملقون الى التهلكة بايديهم . وفى هذا بلاغ بين لمن تبعوا سنة اهل الكتاب من المسلمين الذين ينتسبون الى العترة الطاهرة المحمدية ثم انهم لجهلهم بشريعة جدهم صلى الله عليه وسلم يزعمون ان مجرد تولدهم من تلك الشجرة المصطفوية يكفيهم فى المباهاة والمفاخرة ويضمن لهم ما اشتهت انفسهم من سعادة الدنيا والآخرة ولو اضاعوا القرآن وأتوا الفاحشة وانتهكوا حرمات دينهم واعرضوا بجانبهم عن ربهم . ولو عقل هؤلاء لكان لهم فى اصل تلك الشجرة المباركة خير قدوة واحسن امام فلقد كان صلى الله عليه وسلم على منزلته من الله ووفرة حظه من رحمته ومحبته اخوف الناس من الله واشدهم التزاما لطاعته وابعدهم عن كل مايسخطه من الآثام وأنزههم حتى عن خفيف الهفوات .

لقد نقرأ القرآن الكريم فكم نجد فى مخاطبة المصطفى من ضروب العتاب والتهديد والانذار الشديد. قال تعالى «ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) وقال « عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين وقال « عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى » وامثال هذا فى القرآن كثير جدا ذلك ان الانسان كلما اقترب من سيده منزلة اشتد خوفه منه حتى لقد يعد ما يأتيه غيره من الحسنات سيئات له اذا ما أتى شيئا منها وهذا سر ما يقولون (حسنات الابرار سيئات المقربين) فمن العجز وحمق الرأى ان يحارب انسان الهه العظيم ويخالف اوامره ويتعدى حدوده ثم يتكل بعد ذلك على نسب او مصاهرة او احد من البشر كائنا من كان . وكيف يرضى رسول الله عن احد من اولاده اذا ما خالفوا وحيه واستطابوا عقوقه واستمرأوا مغاضبته . أيزعم أولئك ان الرسول الذى قضى حياته مجاهدا فى سبيل الله واعلاء كلمته واقامة حدوده يرضى عن احد من عترته اذا حاد عن سبيله الحق وخالف سنته القويمة ؟ وهل لاحد من أولئك المسرفين حجة على الله ورسوله بعد اذ جاءنا القرآن الكريم يقص علينا عن الله قوله « لا ينال عهدى الظالمين »

(٣) ان البيت العتيق الذى تنكر له اهل الكتاب وكفروا بما جاء به الاسلام من استقباله فى الصلاة وقصده للطواف وتطهيره من الاصنام

والاوثان هو ذلك البيت الذى بناه ابراهيم واسماعيل وعهد الله اليهما ان يطهراه من الاوثان والاصنام حتى يخلو البيت الكريم للطائفين والقائمين والركع السجود. فدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الى اقامة المناسك الشرعية وحملاته على ما كان منصوبا على الكعبة من الاوثان والتماثيل ما كان شئ من ذلك حدثا وبدعة باغت بها العالم البشرى وانما هى ملة ابراهيم واسماعيل سبقاه بها ودعوا الناس اليها ووصيا ابناءهما بها.

(٤) ان نعمة الله فى الدنيا لا تخص المطيعين لامره المقيمين لشريعته فان فضل الله تعالى يشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر والصاغر والكابر وما كان لاحد ان يحجر على فضل الله او يحاول ان يتصرف فى رحمته ولا ان يدعوه الا ان يمسك احسانه عن احد من خليقته. يدلك على ذلك ما اجاب الله به ابراهيم ساعة طفق يناجيه بقوله (رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) فقد علمه العليم الحكيم ان رحمته وسعت كل شى وانه يمد كلا بعطائه «كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محذورا» ولهذا اجابه مفيض الاحسان بقوله «قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير» فعصيان العبد لربه ليس من شأنه ان يحرمه احسانه ومتعته بل ان كل انسان وحيوان ونبات ومعدن مغمور فى نعمته مشمول برحمته حتى اذا كان يوم الدين وحشر الناس لرب العالمين ووضعت موازين القسط هنالك توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

(٥) روى المفسرون فى تأويل قوله تعالى (واذجعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) جلة من الاحاديث وأسرفوا فاعاقام الله فى بيان من حرم البيت اهو ابراهيم ام الله تعالى ثم اخذوا يوردون احاديث فى ان رسولنا الاكرم قد حرم المدينة كما حرم ابراهيم مكة او البيت لايحمل فيها سلاح ولا يقطع منها شجر الا لعلف بعير .

ونحن نرى كما جرت عادتنا الا نخوض فى هذه المباحث بل ولا نلم بشئ منها لاسيما ان جل احاديث هذا الباب مروية بطرق غريبة (١) اومقصود منها غير ظاهر لفظها فلنجتزئ هنا برواية ماجاء للبخارى وابن ماجه بسنده عن صفية بنت شيبة قالت سمعت رسول الله (ص) يخطب عام الفتح فقال ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى يوم القيامة لايعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يأخذ لقطتها الا منشد (الحديث)

واعلم ان ليس المراد بتحريم مكة وجعل الله اياها حرما آمنا انها تكون ملاذا للعاصى اوالفار بدم اونحوهما فعن ابى شريح العدوى انه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لى ياامير المؤمنين ان احدثك قولا قام به رسول الله الغد من يوم الفتح سمعته أذناى ووعاه قلبي وابصرته عيناى حين تكلم به . انه حمد الله واثنى عليه ثم قال ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم

(١) جزء اول . صفحه ٣٠٠ من تفسير ابن كثير .

الآخر ان يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فان احد ترخص بقتال رسول الله فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما اذن لى فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب. فقيل لابى شريح ماقال لك عمرو ؟ فقال « انا اعلم بذلك منك يا أباشريح. ان الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربة (١) رواه البخارى ومسلم.

اما الكلام فى تحريم المدينة والمفاضلة بينها وبين مكة فان له مقاما آخر.

(٦) افاض المفسرون فى تأويل قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » واوردوا من الاحاديث مالا يعتد بكثير من رجالها ولا يسلم العقل السليم باكثر متونها . فمن ذلك ماهو متعلق بامر الحجر الاسود وكيف جاء به جبريل من الجنة اذ كان ياقوتة بيضاء مثل الثغامة يوم هبط به آدم من الجنة فاسود من خطايا الناس . ومن ذلك ماروى عن قتادة قال وضع الله البيت مع آدم . اهبط آدم الى الارض وكان مهبطه بارض الهند وكان رأسه فى السماء ورجلاه فى الارض فكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا فحزن آدم اذ فقد اصوات الملائكة وتسبيحهم فشكا ذلك الى الله عز وجل فقال الله يا آدم انى قد اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى فانطلق اليه آدم فخرج ومدله فى خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة فلم تزل تلك المفاوز بعد ذلك فاتى آدم البيت فطاف به

(١) صفحه ٢ ، ٣ جزء اول تفسير النيسابورى .

ومن بعده من الانبياء .

هذه نماذج من القصص والخرافات التى ملأ بها المفسرون كتبهم وشوهوا بسردها القرآن الكريم الذى تصدوا للتأويله وبيان حكمه واسراره ولاحول ولاقوة الا بالله . وسنأتى على جميع ذلك فيما ننشره من الاحاديث الموضوعة فى مجلة الهداية حتى يحذرها الناس فلايفتنوا بها فى دينهم .

وحسب المسلمين ان يفهموا ماورد به كتاب الله وان يفقهوه حق علمه وهل هو الاان قص علينا ان ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل كانا يبنيان البيت الحرام ويضرعان الى الحق سبحانه وتعالى ان يتقبله منهما وان يجعلهما وذريتهما مسلمين له مطيعين لاوامره سائليه ان يبين لهم من الشرائع والقرابين مايبتغون الى الله به الوسيلة ويحرزون باقامته توبة الله عليهم ورحمته بهم .

«نبذة فيما كان من تجديد قريش الكعبة بعد ابراهيم»

لما بلغ محمد بن عبدالله من العمر خمسا وثلاثين اجتمعت قريش لبناء الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها وانما كان رضيما فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قدرمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لتسقيفها فلما اجمعوا امرهم فى هدمها وبنيانها تجزأت قريش الكعبة فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة وكان مابين الركن الاسود والركن اليمانى لبنى

مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظاهر الكعبة لبني جمح وسهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني عدى بن كعب بن لؤى وهو الحطيم. ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقال الوليد ابن المغيرة انا ابدأكم فى هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها فهدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس اساس ابراهيم افضوا الى حجارة خضر كالاسنة آخذ بعضها بعضا. ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن اى الحجر الاسود فاختصموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوروا وتحالفوا واعدوا للقتال فقربت بنو عبد مناف جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت وادخلوا ايديهم فى تلك الجفنة فمكثت قريش على ذلك اربع ليال او خمسا ثم انهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا وتناصفوا ثم قال لهم ابو امية بن المغيرة يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون اول من يدخل هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا فكان اول داخل رسولنا الاكرم فلما رأوه قالوا هذا الامين (وكانوا يسمونه فى الجاهلية بذلك) فلما انتهى اليهم محمد واخبروه الخبر قال هلم الى ثوبا فاتى به فاخذ الركن يعنى الحجر الاسود فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم

ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه . قال ابن اسحاق وكانت الكعبة على عهد النبي ثمانى عشرة ذراعا وكانت تكسى القباطى ثم كسيت بعد ذلك البرود واول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف .

قال النيسابورى فى تفسيره (١) ولم تزل الكعبة على بناء قريش حتى احترقت فى اول امارة عبد الله بن الزبير بعد سنة ستين وفى آخر ولاية يزيد بن معاوية لما حاصروا ابن الزبير فحينئذ نقضها ابن الزبير الى الارض وبناها على قواعد ابراهيم وادخل فيها الحجر وجعل لها بابا شرقيا وبابا غربيا ملصقين بالارض كما سمع ذلك من خالته عائشة ام المؤمنين .

ولم تزل الكعبة كذلك حتى قتله الحجاج فردها الى ما كانت عليه بامر عبد الملك ابن مروان له بذلك كما قال مسلم بن الحجاج فى صحيحه اخبرنا هناد بن السرى اخبرنا ابن ابى زائدة اخبرنا ابن ابى سليمان عن عطاء قال لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها اهل الشام فكان من امره ما كان تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد ان يجرئهم او يحربهم على اهل الشام فلما صدر الناس قال يا ايها الناس اشيروا على فى الكعبة أنقضها ثم ابنى بناءها او اصلح ما وهى منها قال ابن عباس انه قد خرق لى رأى فيها أرى ان تصلح ما وهى منها وتدع بيتا اسلم الناس عليه واحجارا اسلم الناس عليها وبعث عليها النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير لو كان احدهم احترق بيته ما رضى حتى

(١) صفحه ٣١٥ جزء اول .

يجدده فكيف بيت ربكم عز وجل انى مستخير ربى ثلاثا ثم عازم على امرى فلما مضت ثلاث اجمع رأيه على ان ينقضها فتحاماها الناس ان ينزل باول الناس يصعد فيه امر من السماء حتى صعده رجل فالقى منه حجارة فلما لم يره الناس اصابه شىء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الارض فجعل ابن الزبير اعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه . وقال ابن الزبير انى سمعت عائشة تقول ان النبى (ص) قال لولا ان الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة مايقوينى على بنائه لكنت ادخلت فيه من الحجر خمسة اذرع ولجعلت له بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه قال فانا اجد ماانفق ولست اخاف الناس قال فزاد فيه خمسة اذرع من الحجر حتى ابدى له أسا نظر الناس اليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا فلما زاد فيه استقصره فزاد فى طوله عشرة اذرع وجعل له بابين احدهما يدخل منه والاخر يخرج منه فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج الى عبد الملك يستجيزه بذلك ويخبره ان ابن الزبير قد وضع البناء على اس نظر اليه العدول من اهل مكة فكتب اليه عبد الملك انا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شىء . اما مازاده فى طوله فاقره واما مازاد فيه من الحجر فرده الى بنائه وقد رواه النسائى فى سننه عن هناد عن يحى بن ابى زائدة عن عبد الملك بن ابى سليمان عن عطاء عن ابن الزبير عن عائشة بالمرفوع منه ولم يذكر القصه . قال النيسابورى، وقد كانت السنة اقرار مافعله عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما لانه هو

الذى وده الرسول ولكن خشى ان تنكره قلوب الناس لحداثة عهدهم بالاسلام وقرب عهدهم من الكفر ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك ابن مروان ولهذا لما تحقق ذلك عن عائشة أنها روت ذلك عن الرسول قال وددنا انا تركناه وماتولى . فدل هذا على صواب مافعله ابن الزبير وان كره بعض العلماء ان يغير الآن عن حاله التى تركه عليها الحجاج فقد ذكر عن امير المؤمنين هرون الرشيد اوابيه المهدى انه سأل الامام مالكا عن هدم الكعبة وردها الى مافعله ابن الزبير فقال له مالك ياامير المؤمنين لاتجعل كعبة الله ملعبة للملوك لايشاء احد هدمها الاهدمها فترك ذلك الرشيد

هذا وقد ورد فى الصحيحين ومسند احمد عن ابى هريرة وابن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاصى ان الكعبة سيخربها ذوالسويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها قال صلى الله عليه وسلم كانى به اسود افحج يقلعها حجرا حجرا وقال ولكأنى انظر اليه اصيلع افيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله . والله سبحانه وتعالى اعلم بغيبه .

هذا وقد وردت آثار كثيرة فى بيان معنى المناسك وخير مايجمل تأويلها به ماورد فى نفس القرآن الكريم مما اسلفناه هنا فقد جاءت المناسك فى سورة الحج لمعنيين احدهما القربان والذبائح فى آية « ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام » فان سياق الآية الكريمة فى شعائر الله وهى البدن تستحسن وتستسمن ثم تهدى الى

الحرم لتذبح به « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق »

اما فى آية « لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر» فان المنسك هنا الشريعة واحكام الله تعالى عامة

وبالجملة فالنسك والمنسك كل ما تقرب به الى الله تعالى من الشرائع أو الذبائح .

اما ما روى عن قتادة وغيره فى هذا الباب فهو مالم تقم عليه حجة ولم تصح به رواية

(٧) بعد ان بينت الآيات الكريمة ان ملة ابراهيم عليه السلام هى توحيد الله بالعبادة وتطهير بيته من آثار الشرك والكفر واختصاص الحق تعالى شأنه بالاستعانة والدعاء حسن ان يردف هذا كله بتوكيد استهجان ما كان عليه اهل الكتاب من زعمهم الاقتداء بابراهيم والتمسك بدينه وشرائعه ثم رغبتهم مع هذا كله عن توحيد الله واقامة مناسكه واختصاصه بالاستعانة والدعاء يراد بذلك بيان ما هم عليه من التناقض وتسفيه احلامهم بعد اذ اعماهم العناد والتعصب حتى انقلبوا يخبطون ويرتطمون ويحسبون انهم على شئ وانهم هم الكاذبون .

وهل من آية على تخبطهم وضلالهم وفرط جهالتهم اظهر من ان زعموا انه لا يهتدى الا من كان هودا او نصارى وان ينتهى بهم فرط تعصبهم وعمى بصيرتهم الى ذلك الحد الذى يجترأون فيه على القول بان ابراهيم

ومن وليه من الانبياء كانوا هودا يعنون انهم من أمة موسى اونصارى اى على ملة عيسى بن مريم . فهل هم فيما قالوا اعلم من الله تعالى ؟ بل انهم يعلمون غير ما يقولون ويكتمون مالديهم من الشهادة وهم يعلمون «ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وماالله بغافل عما تعملون» فاليهودية والنصرانية ماجاءتا الا بعد زمان بعيد من أولئك الرسل واما الاسلام الذى هو دين الفطرة ودين الله الذى ليس له سواه فقد كان دين ابراهيم وذريته بل ومن كان قبلهم من الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

(٨) ان قاعدة الاسلام ان يؤمن الانسان بكل ماجاء من الله تعالى فلاينكر وحيا ولايجحد نبيا (لانفرق بين احد منهم) اذ ما كان لاحد ان يبطل حقا اويحق باطلا اوينكر صالحا اويستقبح حسنا . فاذا جاء عن الله شئ لم يكن لبشر ان يرده اويصد عنه سواء فى ذلك ان يرد على لسان ابراهيم اوموسى او عيسى او من بعدهم اومن سبقهم . تلك هى قاعدة الاسلام الذى هو دين الفطرة وملة ابراهيم التى جاء بها الرسول الامين .

اما نبذ الحق لالسبب فى نفسه بل لان مبلغه فلان اوفلان فان ذلك سفه فى الرأى وكفر بالعلم وضلال مبين . فما عيسى ولا موسى الا كثيرها

من عباد الله الذين اصطفاهم الله لتبليغ وحيه وبيان احكامه واخلاقه . على هذه القاعدة اقيم الاسلام ورفعت منائر دعوة النبي الامى الفطرى «قولوا آمنا بالله

وماانزل الينا وماانزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وماأوتى موسى وعيسى وماأوتى النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ماآمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن احسن من الله صبغه »

العالم الاسلامي

فى سبيل الاقتصاد

تأسست جمعية تجارية اسلامية فى قرية فيزان التابعه ولاية ازدرهان فى روسيا بهمة مؤذن القرية المذكورة يعقوب افندى وصدق مساعيه وقد تأسست شركات اقتصادية اخرى فى هذه القرية الصغيره مما دلنا على تنبه المسلمين فى تلك الاصقاع وسعيهم فى سبيل الحياة ومنافسة الامم الراقيه

سجن بعض التركمان

اتصل بجريدة تركستانسكى قوريير ان الحكومة الروسية وقفت اكابر ورؤساء بعض التركمان ومن جملتهم المحامى خان يموسكى ورفقاؤه وقد وقفت ايضا فى الوقت ذاته محمد على اتاباييف مدير المكتب الاعدادى الاسلامى فى (مرو) والمذكور من اقدر النابتة الاسلامية واعلمهم فى قطعة روسيا والسبب الحقيقى لهذه الحوادث الفجائية لم يعلم بعد

وقد قالت جريدة (روسقويه اسلاوو) ان حبس خان يموسكى ناشئ عن سعيه وراء جمع الاعانات للهلال الاحمر العثمانى فى المحاربة الاخيرة وبارساله ماتجمع الى الاستانة وقد كان سجنه هو ورفقائه على يد البوليس السرى فى (عشق آباد) وقد وقف ذلك الرجل العظيم فى مجلس الضباط لانه كان ضابطاً برتبة ميرالاى وهو منسوب الى اسرة كبيرة ذات نفوس عظيم بين عشائر التركمان وهذه الاسرة تدعى (كيان) وقد امتاز خان يموسكى عن رفقائه بمدافعته عن حقوق امته المهضومة وهذا هو الذى جعل معظم الروسيين اعداء له لاسيما قائد البوليس السياسى السابق وقد أثر هذا السجن تأثيراً مسيئاً عند كافة المسلمين القاطنين فى روسيا

المسلمون والانتخابات

ان التشكيلات الاساسية فى حكومة روسيا واعطاءها الاهالى حرية تامة فى المعاملات

والادارة امور معلومة لدنيا فبكل ولاية اولواء ادارة تسمى (زيمستول) تنتخب من قبل الاهالى وقد تمكن اخواننا المسلمون فى لواء (تتوس) التابعة لولاية قزان من انتخاب خمسة اعضاء مسلمين وانتخب الروس روسيا واحدا فيكون مجموع عدد الاعضاء لمجلس (زيمستول) ستة وهذا برهان ساطع على تيقظ المسلمين فى امر الانتخاب .

الدروس الخاصة بالسيدات المسلمات

تأسس فى ولاية آزدرهان نواد خصوصية بتعليم النساء المتقدمات فى السن نوعاما وسيدرس بهذه النوادى الكتابة والقراءة ومبادئ الأحكام الشرعية والصنائع اليدوية كل ذلك بهمة جمعية النساء الخيرية الاسلامية .

جامع جديد فى ولاية آزدرهان

قرر اهالى ولاية آزدرهان المسلمون تأسيس جامع كبير يناسب الشرف الاسلامى بمناسبة افتتاح الشارع الخامس عشر فى ولاية ازدرهان المذكورة وقد تبرعت البلدية بعرصة كبيرة لانشاء الجامع المذكور وستكون مصاريف الجامع ٥٠,٠٠٠ روبلة .

المؤسسات الاسلامية فى قزان

نشرت رصيفتنا (قوياش) الروسيه عدد المؤسسات الاسلامية الموجودة فى قزان فاحببنا نشرها ليطلع عليها القراء

قزان : مجموع النفوس (١٨٢ ٠٠٠)، روس (١٤٨ ٢٧٧) ، تاتار (٣٠ ٧٨١)، يهود (١ ٠٣٩) ، جواش (٨١٥) المان (٢٦٨) ، ارمن (٤٩) ، والبقية امم مختلفة

المؤسسات العلميه : الجوامع (١٧) ، الذكور الذين يحصلون فى المكاتب (٨ ٤٠٦) ، الاناث (٥ ٢٨٩)

روسيا

العسكرية فى مسلمى تركستان

روت جريدة (سمرقند) انقدم والى توركستان لائحة الى المجلس تتضمن اخذ البدل العسكرى من اهالى الولاية المذكورة ولكن النافع لنا ان يتشكل عندنا فرقة من الفرسان لتتمكن من دفع الغارات والسلب والنهب ونحوهـا حتى نتمكن من ان ندافع عن حقوقنا المهضومة امام العالم بأسره

مسلمو افريقية الجنوبية

اطلعنا فى جريدة (ذى ناتال مركورى) ان مسلمى افريقية الجنوبية اجتمعوا تحت رياسة الحاج ابراهيم وقرأوا التحرير الوارد من السيد عبدالقادر رئيس الهلال الاحمر العثمانى الذى يتضمن تقديم الاعانة الى مركز الجمعية فى الاستانة . ثم بعد ذلك قرروا الاحتجاج على المظالم التى ارتكبها البلغاريون فى المسلمين بالبلقان وكذلك الاستمرار فى جمع الاعانة للدولة العثمانية بصورة دائمة وقد انتخبوا لجنة ادارية للمباشرة والسعى وراء ذلك

عدد الطلبة المسلمين بالروسيا

نشرت دائرة المعارف فى قافقاسيا بيانا لعدد المسلمين فى المكاتب المختلفه فى سنه ١٩١٢ فكان كالآتى .

(١) الطلبة الذين يدرسون فى المكتب السلطانى بقافقاسيا (١٢٤٦٦) منهم ـ ٥٨٩٠ ـ من الروس و ـ ٢١٧٠ ـ من الكورو ـ ٣٤٣٧ ـ ارمن و ـ ٥٩٠ ـ من المسلمين والباقى من ملل مختلفه .

(٢) الطلبة الذين يدرسون بالقسم الثانوى فى مدارس مختلفه يبلغ عددهم ٨٠٤٥ ـ ٤٤٦٤ ـ روس ـ (٧٣٨) كور ـ (١٠٦٣) ارمنى ـ ٥٥٨ ـ مسلم والباقى من الامم الآخرى .

(٣) ثم ان الاناث الذين يقرأون فى المكاتب السلطانية يبلغ مقدارهم (٢٠٥٣٩) منهم ـ ١١٦٤٠ ـ من الروس ٢٤٢٨ ـ كور (٤١٠٢) ارمنى (١٥٤) من المسلمات والباقى من امم اخرى .

(٤) دار المعلمين بها — ٨٩٤ — منها — ٥٩٦ — من الروس — ١٠٠ — كور — ٥٣ — ارمنى — ٧٦ — من المسلمين والباقى من الملل السائره ثم ان عدد الطلبة المسلمين فى دار الصناعه تقدر بنحو — ١٩١ — طالبا .

ان محبى المعارف فى (عشق اباد) من الشبان سيقيمون مكتبا مخصوصا لبنات الاتراك وان المحل اللازم للمكتب قد اشترى وان البنات تدرس مع العلوم الرشديه التركية والفارسيه والروسيه .

الاعضاء فى البلديه المسلمون

فى السنين الماضية فى جهة (كنج) قد ابدى المسلمون غيرة عظيمة فى انتخابات البلدية وقد انتخب خمسون من اصحاب الفنون والصنائع المختلفة .

ان جرائد العالم الاسلامى كلها تدل على ان المسلمين لم ينامو ولم يغفلوا عن مسألة الانتخابات كسابق عهدهم ولاجرم ان هذا امر يستقبله العالم الاسلامى بالابتهاج والسرور .

هدم جزء من جامع

فى يوم ١٣ اغستوس الجارى اجتمع نحو عشرين الف مسلم بمدينة كونبور للاحتجاج على هدم جزء من الجامع المسمى جامع السوقه وبعد الاجتماع ذهب مأت من المسلمين الى الجامع حفاة الاقدام عراة الرؤس حاملين اعلاما سوداء ثم ابتداؤا فى جمع حجارة الجامع المهدوم ووضعوها بعضها فوق بعض بقرب الحائط ولما سمع قومندان البوليس بالاجتماع حضر الى المجتمع بقوة عظيم مشاة وفرسانا امر بارهاب المجتمعين ببنادق العساكر فرات ان تطلق عليهم قراطيس الخرطوش ولكن بدون رصاص فلهم يؤثر هذا الارهاب قطعا فى الجمع المتهيج بل ابتدا بقذف البوليس بالحجاره قام القومندان بضرب الاهالى بالرصاص الذى اشهر مدة عشر دقائق فتفرقت الاهالى وقد قتل ١٧ نفسا وجرح ٣٣ منهم من حالتهم تنذر بالخطر وقد ذهب الحاكم الى مدينة كونبور لعمل التحقيق لان قومندان البويس لم يستعمل الحكمة فى تفريق الاهالى وقد ارسلت الجمعية الاسلامية الهندية احتجاجها للحكومة وكذلك جميع المسلمين الهنود وان الاستياء هناك عظيم جدا .

حول جامع كنبور

اجتمع بمدينه كالكتا اكثر من ١٥ الف مسلم فى يوم٣ اغسطس سنه١٩١٣ وذلك احتجاجاً على اعمال الحكومة الانكليزية . واقفلت جميع الحوانيت وكانت الاهالى فى هياج عظيم وبعد القاء الخطب قرروا ما يأتى .

اولا الاحتجاج على الحكومة لهدمها قسما من جامع فى كانبور .

ثانيا الاعتراض على اقتراحات الحكومة المختصة باجبار الاهالى الذى يريدون الذهاب للحج على اشتراء تذاكر ذهاب واياب قبل سفرهم واختصاصهم شركة واحدة بنقل الحجاج .

ثالثا الاحتجاج على الحكومة الانكليزية فى سياستها الشديدة غير العادلة ضد دولة الخلافة التى لها السيادة الكبرى على جميع المسلمين وطلبها من الحكومة ان تغير سياستها مع الدولة فتساعدها اوتكون معها على الحيدة التامة

وقد قال بعض الحضور ان اليوم الذى يعرف فيه ان الحكومة الانكليزية لاتنظر الى حساس المسلمين فانه سيكون يوم وبال وخطر عليها لأن المسلمين جميعهم يعاهدون نفسهم على الدفاع عن الخلافة .

وقال خطيب آخر ان دماء الاتراك ليست مخلوطة بدماء الهنود من الاصل ولكن الهنود سيخلطونه بدماء اخوانهم الاتراك فى ميدان القتال ضد اعداء الاسلام .

واجتمع المسلمون فى اكثر بلاد الهند لجمع اموال لمساعدة عيلات القتلى والجرحى فى مدينة كانبور .

وايضا احتمع فى دلهى اكثر من ٢٠ الف نفس لهذا الغرض ايضا .

الجامعة الاسلامية بالهند

ان روح التقدم والفلاح دبت فى نفوس المسلمين بالهند ولذلك قرروا اقامة جامعة اسلامية فى أول الامر كانت هذه الفكرة صعبة التحقيق اذ كانت الحكومه الهندية لم تعلم مقاصد الهنود المسلمين من هذ الجامعة ولذلك كانت تعرقل مساعيهم ولكن بعد اطلاعها على افكارهم وعلمها بحسن سريرتهم قد ظهر انهم رجال جاهدوا فى سبيل اظهار الجامعة من عالم الفكر الى عالم الحقائق

فاهتم الاهالى بمستقبل هذه الجامعة ولذلك اجتمع بعض الاعيان والاشراف فى يومى ٢٦ و٢٧ يوليو وقرروا تشكيل لجنة منهم لوضع قوانين هذه الجامعة الاسلاميه.

لجنة تأسيس الجامعة الاسلاميه

اجتمعت لجنة الجامعة التأسيسيه فى يوم ٢٧ يوليو سنه ١٩٢٣ وقرروا ماياتى .

اولا ان الاعانات تحفظ فقط للجامعة الاسلامية وتحفظ كرأس مال لها ولا يصرف منها اصلا بل الفائدة المتحصلة من رأس مال الجمعية هى التى تصرف

ثانيا الجامعة الاسلامية يكون لها الحق فى انشاء مكاتب ومدارس اخرى

ثالثا ان حقوق الحاكم العام الذى انتخب رئيسا لاتكون اكثر مما تخوله القوانين والانظمة المعطاة للوكيل الحاكم الذى انتخب ويسمى مساعدا

رابعا ان يكون اسم الجامعة «الجامعة الاسلامية عليكره »

خامسا يلزم ان ينتخب نواب عن المسلمين تكون وظيفتهم ان يطلبوا من الحكومه الهنديه المساعدة ويكون عددهم خمسين

سادسا يلزم ان تعمل اللجنه التأسيسه قرارا عن مساعيها لدى الحكومه حتى تمكن من البت فيما عسى ان تعمل

سابعا يلزم الابتداء فى العمل بكل سرعه وأداء كل مايلزم ولو تحويل مدرسة عليكره جامعه

ثامنا يكون عدد اعضاء لجنه الجامعه مركبا من ٢٠٠ عضو

تاسعا ينتخب ٧ اعضاء لوضع قوانين الجامعه ويلزمهم تقديم تقرير واف بعد ثلاثه اشهر من يوم اجتماعهم حتى ينشر ويعلن للجمهور

عاشرا تستمر هذه اللجنه متمتعه بما خولته من السلطة عاملة بالقوانين الحاضرة لحين ظهور الجامعه وفتحها

الحادى عشر للجنه الحق ان تبدل القوانين اذا ظهر لهـا ذلك بدون انتظار حضور الحاكم العام

الثانى عشر هذه اللجنه لها الحق فى انتخاب لجنه اخرى مؤلفه من ٤٠ عضوا وهذه اللجنه تكون وظيفتها اعلام الشعب بالاعمال التى عملتها اللجنه ويكون ذلك بواسطه النشر فى الجرائد

قانون الطلاق بانجلترا

(سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم)

كان دعاة النصرانية ومبشروها و خصوصا جماعات الجزويت يتخذون من اباحة الاسلام للطلاق سلاحا يطعنون به قلوب المسلمين ويشنون الغارة به على نفس الدين راميه بالوحشية والسقوط وخلوه من المرحمة والاحكام العالية ولا ابالغ ان قلت ان هذه المسالة هى مثار اشد المطاعن على الشريعة الغراء بعد مسألة تعدد الزوجات ومن الغريب ان القوم لايفقهون ضرورة ملاءمة الشرائع للطبائع البشرية اذ الاديان ماجاءت للملائكة مقربين ولاللانبياء المطهرين بل شرعها المولى لهداية جميع الناس واغرب من هذا انهم يغضون الطرف عن الشرائط الدقيقة التى جاءت فى الشريعة الغراء فى هذا الباب ويصمون اذانهم عن الحديث القائل (ابغض الحلال الى الله الطلاق)

كان هذا حالهم الى اوائل القرن الماضى استغفر الله بل ولاتزال جماعات الجزويت الى اليوم يحرمون الطلاق بدعوى انه لايصح لاى انسان تفريق بين من جمع شملهم المولى جل وعلا ولكن ابت الطبيعة البشرية الا ان تتغلب على هذه الدعاوى والاحكام المخالفة لنواميسها ورأى عقلاء الرب وكبار مشرعيه ان لامعنى للتضييق على الحرية الشخصية حتى فى الصق المسائل بحياته (الزوجية) او انه من البلاهة اغماض العين عن المفاسد الناجمة عن ذلك من اختلاط الانساب وتفشى الزنا واضطراب حبل الحياة العالية اذهم بذلك اشبه الاشياء بالنعامة اذا خبأت رأسها تحت جناحيها حتى لاترى الصياد ظنا منها انه بذلك لايراها فقرروا الخروج عن حظيرة دينهم وقرروا العمل بسنن الطبيعة اى باحكام دين الفطرة الشريعة الاسلامية الغراء فاقتبسوا من اقوال الفقهاء وآراء المجتهدين ماناسب اراءهم واحتياجاتهم واتخذوه نبراسا يهتدون بنوره فى تشريع قوانينهم الخاصة بالطلاق واصبحت الحكومات تعمل بها رسميا وخصوصا بين البروتستانت بيدان بعض

هذه القوانين لم يستنبط واضعوهــا جميع احكامها من الشريعة الحنيفية الغراء بل ابقوا بها كثيرا من القيود المستخرجة من عوائدهم القومية وطقوس عبـاداتهم الكنائسية فلم يلبثوا غير نحو نصف قرن من الزمان حتى تبين لهم قصور هذه القوانين بسبب هذه الطقوس فقرروا تنقيحها وادخال مايلزمها من الاصـلاحات مما استمدوه من شريعة احمد البيضاء ولهذا الفت انجلترا لجنة فنية لوضع اصول قانون جديد للطلاق فاتمت اعمالها وقدمته للبرلمان وبالنظر لوفرة اعمال المجلس ارتأى تأخير البت النهائي في هذا القانون الى فصل الجلسات القادمة فرأينا بعض الشكوى تتردد على صفحات الجرائد السيارة معتبرة هذا التأخير ضارا لمصالح العباد لدرجة لاتحتمل طويلا . ملحة بطلب سرعة تقرير هذا القانون فيا سبحان الله كيف ضج الامر المحرم في دينهم الذى طالما عابوا الاسلام من اجله من الزم حوائجهم الحياتية التى لايستطيعون احتمال تأخرها لمدة قدلا تتجـاوز ستة اشهر من الزمان !!! ماأسمح الاسلام وما احكمه من دين . انى ارى ان اتى بنبذة من تاريخ قوانين الطلاق فى انجلترا وغيرها بكل ايجاز قبل البدء بمقارنة القانون الجديد بالاحكام الشرعية ليرى القارىء الى اى حد يقترب الغرب من الاسلام بينما رجالنا الجهلاء وعلماؤنا الجامدون ومتعلمونا السطحيون يبتعدون عنه ويرون رجوعهم الى اراء المجتهدين والنصوص الشرعية سبة او علامة الجهل والجمود والتقهقر . الا اننا ان لم نصلح شؤوننا ونتمسك بنصوص شريعتنا السمحة اخشى ان يأتى علينا يوم تكون اوربا فيه مسلمة تماما بيدانه ينقصها اسم مسلم ونكون لاقدر الله اباحيين وليس لنا من الاسلام الا مجرد الاسم فقط

كان الطلاق فى انجلترا حتى سنه ١٨٥٨ لايمكن حصوله الا بصـدور قانون مصدق عليه من البرلمان لكل حالة شخصية ومن المعقول ان معنى هذا هو التحريم التام الا للملوك ومن عظمت مكانتهم لدرجة تحمل البرلمان على اصدار قانون خاص لاجله وناهيك بما كان يصحب ذلك من اللغط وسوء الاحدوثة وشديد معارضة رجال الدين وجماعة الكاثوليك لذلك ومن الغريب ان هذه القاعدة لاتزال متبعة حتى اليوم بيرلندا .

فى اواخر سنه ١٨٥٧ اصدر البرلمـان قانونا يبيح الطلاق بشروط وجعل حق الفصل فى هذه المسائل يرجع لقسم الطلاق والبحرية من المحكمة العليا فقط ولقد اباح هذا القـانون للزوج مراجعة المحكمة للتفريق بينه وبين زوجه اذا

اثبت عليها الخيانة والزنا وكان له حق طلب تعويض مالى ممن زنى بزوجه بيد ان للمحكمة حرمانه من هذا الحق اذا ارتأت ذلك (بالطبع هذا الحرمان كان يقصد به صيانة كرامة واسم من يسفل الى الخنا فى الملوك والامراء والحكام) اما الزوجة فلم يكن لها حق طلب التفريق لمجرد اثباتها خيانة زوجها وارتكابه جريمة الزنا الا اذا اثبتت فوق هذا (١) انه ارتكب الزنا مع احد محارمه (٢) تعدد الزوجات والزنا (٣) انه افتض بكارة عذراء قسرا (٤) اواتى فاحشة اللواط او مواقعة بعض الحيوانات (٥) او انه فضلا عن خيانته وزناه عامل زوجته بالقسوة (بشروطها القانونية) اوهجرها سنتين فازيد بيد ان للمرأة ان تثبت ان الزوج المشتكى كان قصد ان يغض الطرف عن هفواتها (جناياتها) او يغفر لها جريمة زناها او يتفق معها سرا على احتراف مهنة البغايا والفحش لارتزاقهما منها وهنالك ترفض المحكمة طلبه ولا تفرق بينه وبين زوجته وفى حالة عجز الزوجة عن اثبات شئ من ذلك وتدليل الرجل على خيانتها تصدر المحكمة قرارا مبدئيا يصبح نهائيا بالحكم الذى تصدره المحكمة بالتفريق بعد مضى ستة شهور من صدور الحكم المبدئى بيد ان للنائب العمومى ان يجعل المحكمة ترفض اصدار الحكم النهائى بالتفريق رغم صدور القرار المبدئى اذا بدت له حقائق جديدة لم تكن قدمت للمحكمة عند صدور الحكم المبدئى او اذا ثبت له ان الزوج اتى الفاحشة ابان الزمن الواقع بين القرار المبدئى والحكم النهائى. وللقاضى ان يعين مسكن وكيفية تربية ومصاريف اولاد الزوجين اللذين تفرق بينهما والمتأمل يرى ان هذا القانون على مافيه من النقص يعتبر خطوة واسعة فى سبيل تحرير حقوق الانسان الطبيعية وحريته الشخصية

اما فى بلاد ايكوسيا (اسكوتلاندا) فقانون الطلاق جعل الزوجين متساويين واباح لكل منهما حق طلب التفريق بيد انه وضع لذلك شرطين اساسيين (١) ارتكاب احد الزوجين جريمة الخيانة والزنا (٢) هجران احدهما الاخر مدة اربع سنوات متوالية وهذا القانون اعدل واحكم من سابقه وهو اقرب الاشياء بامثاله فى كندا والنمسا واوستراليا والمانيا اما فى امريكا فلكل مقاطعة من الولايات المتحدة قوانين للطلاق تختلف عن غيرها حتى ان بعضها يجعل مجرد عدم رغبة احد الزوجين فى معاشرة الاخر اوعدم استحسانه لخلقته اوعشقه لغيره اسبابا مبررة للطلاق اما الممالك العريقة فى الكاثليكية كاسبانيا وايطاليا فليس بها قوانين للطلاق

بينما فرانسا اصدرت قانون الطلاق الواسع الحرية فى سنه ١٨٨٤ ومما تقدم يرى القارئ ان هذه السنة الطبيعية قدصرحت رجال الكنيسة فى اكثر ممالك الغرب الا فى النزر اليسير وعماقريب نراها قدعمت العالم باسره حتى تقل الخيانات السرية والزنا الرسمى الذى يعرفه كل من الزوجين ويرضى به عملا بحكم الاكليروس المستبدين .

فى السنوات الاخيرة رأينا بعض علماء الغرب يعدلون ويخففون لهجة طعنهم فى الاسلام بسبب اباحة الطلاق فاخذوا يقولون ان الخطأ ليس فى تقرير هذا المبدأ بل فى نقطتين (١) الطلاق بدون اى قيد اوشرط حتى ادى بالكثير الى استعمال هذا الحق بسبب قصور التشريع الاسلامى (٢) قصره هذا الحق على الرجل دون المرأة لاعتبار الاسلام الانثى مجرد متاع للرجل بلاروح ولاشعور يحترم وانى مع اعترافى باساءة الجهلاء استعمال هذا الحق اصرح بان جرم هذا الخطا يرجع للقضاة لا للشريعة كما سابينه فيما يلى واقول لاولئك المعترضين ان الطلاق مع حداثة عهده باوروبا ومع عدم تعدد الزوجات بها اراه متفشيا لدرجة تبز كثيرا من الممالك الاسلامية كما يرى القارئ من الاحصائية الاتية وانى قبل ان اذكرها الفت نظرك الى نقطة وهى ان هذه الاحصائية قديمة العهد مع ان الطلاق قدتفشى بنسبة مزعجة فى الغرب فى السنوات الاخيرة وزيادة عما تقدم يجب ملاحظة ان هذه النسبة اقل من الواقع اذ الكاثوليك لاطلاق رسمى عندهم ولذا نرى الطرق الغير القانونية منتشرة بكثرة بينهم لدرجة انها لواضيفت الى هذه الارقام لجعلتها مثل اشد الممالك الاسلامية افراطا فى الطلاق واليك هذه الاحصائيات الرسمية .

اسم المملكة	عن سنة	عدد الزوجات	عدد الطلاق	نسبة الطلاق لكل الف زواج
النمسا	١٩٠٠	٢١٤٢١٤ (منها ١٦٠٠٠٠ كاثوليك والباقى ٥٤٢١٤ بروتستان)	١٣١٣ (من البروتستان)	٢٤,٣
بلجيكا	١٩٠٢	٥٦١٥٧	٧٠٣	١٢,٥
دانمارك	١٩٠٣	١٧٩٢٤	٤٤٩	٢٥
انجلترا وويلس	١٩٠٣	٢٦١١٠٣	٦٦٠	٢,٥
فرنسا	١٩٠٣	٢٩٥٩٩٦	٨٩١٩	٣٠

المانيا	١٨٩٩	٤٧١٥١٩	١٤١٤٢	٣٠
ايرلندا	١٩٠٣	٢٢٢٩٢ (اكثرهم كاثوليك)	٢بروتستان	٠,٠٩
هولاندا	١٩٠١	٤٠٢٦١	٥٦١	١٤
الروسيا	٠٠	٠٠	٠٠	٨,٤
ايكوسيا	١٩٠٣	٣٢٣٢٠	٢٢٠	٦,٧
اسوج	١٨٩٩	٢١٧١٠	٣٨٧	١٢,٢
نروج	١٨٩٩	١٥٥٣٠	١٢١	٨,٧
سويسرا	١٩٠٣	٢٥٣٨٣	١١٠٥	٤٣
الولايات المتحدة	١٨٨٦	٠٠	٢٥٥٣٥	٦١,٢
موسوزويلس	١٩٠٠	٩٩٩٦ عنها كاثوليك	٢١٦	٢٧
اوستراليا	١٩٠٠	٢٢٩٥٧ عنها كاثوليك	٢٢٩ بروتستان	٨,٢

هذا فى احصائيات حوادث الطلاق الرسمية اى التى صدرت فيها احكام قانونية وكم هنالك من عشرات أمثالها لم تصدر فيها احكام قانونية اما لعدم سماح الكنيسة بذلك واما لعدم استطاعة الطرفين اثبات جميع الشرائط القانونية الموجبة للتفريق القانونى اولانصراف كل من الزوجين عن الاخر الى غيره بصورة غير شرعية ورضا كل من الطرفين بذلك وتفضيله هذا عن تكبد النفقات وعظيم المشقات التى تستلزمها الدعوى القانونية ببلادهم .

اما القانون الجديد الذى سيقرره البرلمان الانجليزى فى فصل جلساته الآتية فأساسه التقرير المقدم من اللجنة البرلمانية المعينة لهذا الغرض واهم الاصلاحات المراد ادخالها تنحصر فى بابين (١) الطلاق (٢) بطلان عقد الزواج الشرعى واعتباره لغوا كان لم يكن وجعل لكل منهما شرائط مخصوصة تذكرها بايجاز وتقارنها بالاحكام الشرعية .

اولا قررت اللجنة جعل المساواة بين الزوجين اساسا لقانونها الجديد تشبها بقوانين ايكوسيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة والنمسا بيد ان هذا الاساس به افراط اذ التفاوت الخلقى بين المرأة والرجل والادلة التشريحية والفسيولوجية والروحية كلها تنافى هذا الاساس وتجعل الميزة للرجل على المرأة وستكون هذه المسألة مثار مناقشات شديدة فى البرلمان وسنرى اى الفريقين يظفر الفريق المدعم

براهينه على دعائم طبية روحية طبيعية اوالفريق الذى يجرى خلف هوى النفس وليس له من حجة الامجرد وجود هذا الاساس ببعض الممالك الاخرى وان تكن الحوادث بها لاتؤيد دعوى انصار هذا القانون اما الشريعة الغراء فقد فضلت الرجل فى هذا الباب بيد انها منحت المرأة الفاضلة مثل هذا الحق بل ولكل امراة اذ اشترطت حفظ عصمتها بيدها. ومعنى ذلك ان لكل من الرجل والمرأة الحق فى طلاق الآخر بدون حاجة الى نشر المساوىء وطويل الدعاوى وعظيم النفقات ثانيا — جعلت اللجنة للطلاق اسبابا اولها لزنا والخيانة وينطوى تحت الزنا اللواط واتيان الحيوانات واتيان المحارم وهذا السبب كان موجودا بالنسبة للرجل فى القانون القديم فمنحته المرأة ايضا فى القانون الجديد والمتأمل يرى ان هذا السبب سيكون من دواعى تفشى الطلاق بانجلترا مع انه لايحول دون انتشار الزنا بشكل مريع اما الشريعة الغراء فقد جعلت لرجم عقابا للزانى والزانية ومعنى هذا اجتثاث هذه الشجرة الضارة من جذورها بدل مجرد الاكتفاء بالطلاق لان هذا قد يحمل البعض يرتكبه قصدا للتخلص من زوجته فكان القانون الجديد مما يساعد على انتشار الفاحشة. ثانيها هجران احد الزوجين الآخر لمدة اربعة سنوات هجرانا مقصودا. اما هذه المسألة فمأخوذة من الشريعة الاسلامية مع بعض تحريف فقد جاء فى الموطأ ان عمر بن الخطاب قال : أيما امرأة فقدت زوجها فلم تدر اين هو فانها تنتظر اربع سنين ثم تعتد اربعة اشهر وعشرا ثم تحل للازواج . وروى نحوه عن عثمان وعلى. وقال مالك فان تزوجت ثم ظهر زوجها الاول فلا سبيل له عليها وان ادرك زوجها الاول قبل التزوج فهو احق بها. والقارىء يرى ان الشريعة هنا حكمت فيمن فقدت زوجها ولم تعرف مكانه وربما كان غيابه بسبب اسر اوحرب او انقطاع مواصلات وكلها اسباب قسرية اما القانون الانجليزى فيجعل هذا موعدا لمن يهجر الاخر من الزوجين قصدا وكان الاولى بواضعى هذا القانون تطبيق القاعدة الاتية وروى مالك عن ابن شهاب انه كان يقول من تزوج امرأة فلم يستطع ان يمسها لاعتراض اونحوه فانه يضرب له أجل سنة فان مسها والافرق بينهما دفعا للضرر. اقول اذا كان هذا الحكم الشرعى فيمن به علة طبيعية اونحوها فما اجدر تطبيقه فيمن يدخل نفسه فى دائرة العلة الطبيعية استغفرالله بل فيمن يريد سجن زوجته بانصرافته عنها قصدا الى مصاحبة غيرها اولماذا لم يلاحظ واضعو هذا القانون القاعدة الشرعية الاخرى القائلة (اذا لم يجد الرجل ماينفقه على امرأته فرق

بينهما منعا للضرر) (قال مالك) ان للقاضي استعمال هذه القاعدة تخليصا للزوجة من استبداد زوجها بهاوله تطبيقها اذا تيقن ان غيبة الزوج عن زوجته لمجرد الاعنات وكانت حالتها المالية لا تمكنها من الاصطبار والمتأمل يرى مقدار الرحمة الواضحة في هذه الاحكام الشرعية هذا عدا الحرية الممنوحة للزوجة من طلاق زوجة اوطلبها الى طاعة بقوة القضاء كما ان لها مطالبته بالمسكن والنفقات . وهنالك قاعدة شرعية مهمة في هذا الباب جاء بها القرآن واشرحها ذكرت في الموطأ ايضا مآلها (اذا حلف الرجل الا يقرب امرأته اكثر من اربعة اشهر تربص به اربعة اشهر فقط فان فاء والا طلقها الحاكم عليه) هذا الحكم الشرعي فيمن هجر امرأته مع قيامه بجميع نفقاتها ومسكنها أفلم يكن الاجدربهم تطبيقه فيمن هجرها ولم يقم بشئ من واجبات الزوجية ؟ الا ما اعظم الفرق بين مرحمة شريعة نبي أمي ارسل للعالمين في القرن السابع وبين قانون تصنعه اكبر الرءوس في ارقى ممالك الغرب في القرن العشرين المسمى بعصر العلم والنور ؟!!!

ثالثا — القسوة بشرائطها القانونية وهذا الشرط كان موجودا في القانون القديم بيد انه كان اسخف الاسباب واكثرها مثارا للخلافات ومدعاة لاباحة جميع اسرار البيوتات في المحاكم حتى ان كبار المشرعين بانجلترا صاروا ضد وجود هذا القيد وربما رأينا أكثر النواب يخالفون رأي اللجنة ويصرون على الغاء هذا الشرط اما الشريعة الغراء فقد وضعت لهذا الداء علاجا يلائم الطبائع البشرية ومصلحة الزوجين اولا بتحتيمها عليهما الاقامة مع آخرين في دار واحدة فان ذلك مما يجعل احد الزوجين يستحي من جيرانه في المسكن ولا يمكنه من ايذاء زوجه ان هم بذلك لسرعة تداركهم الامر وباطفاء سورة الغضب والتوفيق بين الاثنين تفاديا من التفرقة بينهما فاذا لم ينجع هذا العلاج وبلغ تباين امزجة الزوجين درجة يصعب معها بقاؤهما معا فلهما الرجوع الى القاعدة الشرعية العامة القائلة (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) قال مالك عن علي بن ابي طالب ان للحكمين الفرقة بينهما والاجتماع فيمضي على الزوجين ما اتفقا عليه بغير توقف على توكيل ولا اذن من الزوجين والقارئ يرى ان هذه الطريقة اضمن واسطة لدوام عقد الزوجية والتوفيق بين الزوجين ان امكن على انها استر واعدل وسيلة لحسم الخلاف او التفريق بينهما مع بقاء اسرار العائلات مصونة مكتومة عن ان تلوكها الالسنة او يطلع عليها كل انسان ويظهر ان اللجنة الانجليزية ارادت الوصول الى مثل هذه الغاية بجعلها حق الحكم في مسائل الطلاق من اختصاص قاض واحد

يرجع الى رأى طبيب بدل عرض المسألة امام مجلس المحلفين ولكن الطريقة الشرعية اوفق من ذلك اولا لبقاء اسرار العائلات مكتومة وثانيا لان لكل من الزوجين جرأة وحرية على الاباحة بجميع اسباب الخلاف السرية لقريبه الحكم اكثر منها للقاضى ومشيره الطبي

رابعا — اذا اصيب احد الزوجين بعته اوجنون وعولج لمدة خمس سنوات بدون جدوى . وهذا الشرط معقول مقبول بيد انه قاس وكان الاحرى نقص الزمن الى سنتين اوثلاث سنوات رحمة بالزوج الآخر ومحافظة على مستقبل حياته خصوصا المرأة لان عهد الجمال قصير وبعده قلما وجدت الراغبين

خامسا — ادمان احد الزوجين المسكرات بعد نهيه عن ذلك رسميا لمدة ثلاث سنوات وهذا قيد معقول لأن هذه هى المدة الطبيعية الكافية لجعل اى سكير يمتنع عن تناول الخمور ان شاء بدون اقل عناء او مضرة . والقارىء يرى انه من علاجات الهيئة الاجتماعية من بلاء الخمور ومن وسائل الاقتراب من احكام شريعتنا الغراء التى حرمت الخمر ووضعت صارم القصاص لشاربها فلا عجب اذا لم يجد القارىء مثل هذا الشرط فى باب الطلاق عندنا لان الشريعة ازالت دعائمه الاساسية

سادسا — الحكم النهائى على احد الزوجين بالسجن المؤبد اذ معنى ذلك دخوله فى اعتبار الاموات فلا عجب ان رأينا ذلك يستدعى الطلاق وهذا الشرط مقتبس من الاحكام الاسلامية

سابعا — منح المحاكم الابتدائية حق التفريق بين الزوجين لمدة لا تجاوز السنتين وللمحكمة العليا هذا الحق فى التفريق بين الزوجين لمدة لا تجاوز الثلاث سنوات وهذه المنحة اقتراب كبير من نظاماتنا التى تعطى حق قيد الطلاق الرسمى والتفريق بين الزوجين للحاكم الشرعى بيد انى لا ارى حكمة فى هذا التفريق المؤقت ولا سر تعيين هاتين المدتين ! ! وكيف تصبح رابطة الزوجين ابان هذا التفريق ؟ وكيف يعيشان ؟

اما الباب الثانى فى القانون الجديد (بطلان عقد الزواج الشرعى واعتباره كان لم يكن قط) فهو خطوة واسعة جدا فى الخروج عن حظيرة احكام الكنيسة بل وانسلاخ تام عن التعاليم المسيحية واقتراب من الاحكام الشرعية الاسلامية وقد وضعت اللجنة له شرائط مهمة نأتى عليها هنا اتماما للفائدة (اولا) اذا

كان احد الزوجين مصابا بمرض عقلي ولم يكن الاخر يعرفه عند عقد القران وظهرت اعراضه وقدم الاخر شكواه فى ظرف ستة اشهر من تاريخ العقد والمتأمل يرى ان هذا التعديل طبيعى يلائم الاحكام الشرعية التى تعتبر تصرفات المعتوه والمجنون والسكير بل والمغلق (الذى اشتدت سورة غضبه حتى استغلق) لغوا والقارىء يرى مقدار الحرية العظيمة المدعمة عليها الاحكام الشرعيه (ثانيا) اذا كان احد الزوجين عند القران مصابا بصرع او بجنون منقطع ولم يكن الزوج الاخر يعلم ذلك عند العقد وهذا بالطبع يدخل فى حكم سابقه اذ هو توسع فيه واقتراب كبير من الاحكام الشرعية السالفة الذكر وقد لوحظ فيه قانون الوراثة وانتظام حياة العائلة الدائميه (ثالثا) اذا كان احد الزوجين مصابا باحد الامراض المعدية كالزهرى والسيلان والسل وتلين الاعصاب الخ ولم يكن الآخر عند الزواج عالما بذلك وقد قال كثير من مجتهدى الفقهاء بذلك منذ القدم وبالطبع ان واضعى هذا القانون قد لاحظوا ان المقصود من الزواج ايجاد شركة حيوية لتتم السعادة الشخصية وتخفف ويلات الحياة الدنيا لا ايجاد داء عضال وبلاء دائم للزوج الاخر ولنسله من بعده (رابعا) اذا وجدت الزوجة عند العقد اوعقبه مباشرة حاملا وتبين ان حملها من اثر مواقعة غير بعلها الجديد !!!! الله اكبر هل هنالك من برهان قاطع اوضح من هذا الاعتراف الرسمى المبين لفساد نظام الخطبة والزواج عندهم ؟ (اولا) كيف لا يعتبر هذا العمل سفاحا يعاقب عليه كما هو حكم شريعتنا الغراء ؟ (ثانيا) كيف يتبين ان هذا الحمل نتيجة مباضعة بعلها الجديد لها ؟ ان الانثى اذا مازيلت بكارتها تصبح مطية لكل راكب واناء لكل صاب ما لم يكن لها دين يعصمها وشرف يزجرها ووجدان يحكمها وبالطبع ان من تخون عائلتها وتستهين بشرف اهلها وتفرط فى عنوان عفتها (البكارة) وتهمل صوت ضميرها من اجل اى رجل لجديرة بعدم التصديق والاعتماد حرية بالازدراء والاجتناب اهل لارتكاب كل موبقة وليعلم بعلها انها كما فرطت فى شرفها وناموس اهلها من اجله ستفرط فى شرفه من اجل غيره فكيف يرضى من لديه ذرة من الشرف والنخوة بزواج من اباحته عرضها بغير مسوغ شرعى ؟ ان قلنا ان اوربا لا تفهم هذه الفلسفه الشرقية او الحقائق الطبيعية فكيف يتسنى للزوج لتحقق من ان هذه المرأة حملت منه ؟ كلنا نعلم ان مجرد المواقعة قد لا تكفى للتلقيح بل ربما احتاجت الى التكرار الكثير ونعرف ان مجرد التماس فى بعض الاعيان حتى حول الشفرين مع حصول الافراغ

حق فى العذارى قد يكفى للحمل وبناءعليه اذا فرضنا ان هذا الخاطب واقع خطيبته مرارا وجاء غيره وواقعها مرة فحملت من هذا الآخرفكيف يستطيع الخاطب التحقق من انها لم تحمل الا منه ؟ الا ان القوم فى ضلال الجاهلية الاولى يوم كانت تبيح العرب زواج المتعة فمن ظهر على المرأة الحمل وهى فى داره صار ولدها منسوبا اليه اوصيرته ابنا لمن تهوى من ازواجه . ابن النسبة بين الخطبة فى الاسلام ورؤية الزوجين احدهما الآخر بحضور احد المحارم كاب البنت او اخيها بعد ان تتثبت الطرفان ويتعرف احدهما الآخر بواسطة ابحاث اقاربهما هل تمكن مع هذه القيود المعقولة وقوع مثل هذه المخازى الفاشية فى اوربا لدرجة ان الكثير من رجال المغرب يملأون من الفحش بيوتهم وتختلط انسابهم وهم راضون . ان هذا القيد الغريب ليس له بداهة اى محل فى الشريعة الغراء بعد وضعها شديد الجزاء للزانين والزانيات وما هذا العمل الاسفاح وزنا رسمى

خامسا — اذا رفض احد الطرفين قصدا وبدون سبب معقول تمكينا لآخر من المواقعة ولم تحدث المواقعة فعلا وهذا القيد معقول الى حد معين وقد وضعت الشريعة فى هذا الباب قيودا مهمة استخلص منها ثلاثة واترك الباقى مخافة التطويل (١) اذا كان الامتناع لمرض او اعتراض او ما فى حكمه امهل الزوج سنة فان لم يقم بواجبه فرق الحاكم بينهما (٢) اذا كان المقصود مجرد الاعنات وصدر من الزوج يمين تصبر اربعة اشهر فان لم ينته فرق القاضى بين الزوجين (٣) جاءت احد النساء الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت يا حبيب الله ان من شأن زوجى ان يمضى النهار صائما والليل قائما وليس لى منه شئ فارسل اليه فلما حضر سأله احق ماقالت؟ قال بلى قال هذا ليس منا الا ان الاسلام ان تعمل لدينك ودنياك صم وصل اعمل واترك ان لجسمك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا ومعنى هذا انه اذا لم يوجد احد السببين السابقين صح لكل من الزوجين مطالبة الآخر بتمتيعه بهذا الحق الطبيعى الشرعى وللقاضى الحق فى الفصل بالعدل بينهما

وخلاصة ماتقدم ان القانون الجديد يعتبر خطوة واسعة فى سبيل الاقتراب من الصراط المستقيم وما هو الا احد الادلة على مصداق تجلى الوعد الذى يشبرنا به المولى (سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم) بيد انه على ما فيه من حرية واحكام لايزال دون الشريعة الغراء بكثير وليت فلاسفة الغرب يهتدون الى حقيقة الاسلام وعلو تعاليمه ودقة احكامه المنيفة حتى يكفوا عن مطاعنهم الساقطة ويعترفوا

ان هذا الدين الذى اتى به خاتم الرسل (رحمة العـالمين) ان الشريعة منحت الرجل حق الطلاق بيد انها قيدته وجعلت للقاضى تعزيره اى عقابه ان اسـاء فى استعمال هذا الحق وهل هنالك من دليل على ذلك اكثر من وجود باب الملاعنة فى الاسلام وهذه آية حكمه (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) وبناء عليه اذا التعن الرجل الملاعن هكذا فرق الحاكم بينهما كما فعل ذلك رسول الله (صلعم) ماذا يضطر الرجل لهذا ان كان حرا فى الطلاق يسيء استعماله كما يفهم السفهاء ؟ الا ان عدم استعمال قضاتنا حق التعزير لمن اساء استعمال الطلاق لا يدل على قاض فى الشريعة بل هو دليل على قصور القائمين بها فقط

منحت الشريعة الغراء حق استبقائها عصمتها بيدها ان شاءت وجعلت لها حق تحكيم رجل من اهلها وآخر من اقارب زوجها واعطتها حق الفصل بينهما ولها حق مراجعة القاضى ايضا للفصل بينها وبين زوجها هذا فوق حقوق الزوجية المكلف بها الرجل من اجور مسكن وخدم وثمن مأكل وملبس الخ

ان الشريعة الغراء لم تقف عند هذا الحد بل منحت المرأة حق استبقاء اسم عائلتها واستثمار اموالها وحفظها لنفسها ولها ان تتوكل فى استثمارها حق غير زوجها وهى حقوق لا تتمتع بها المرأة فى الغرب قط ولم تقف الشريعة عند هـذا الحد بالنسبة للمرأة فى مسألة الطلاق بل منحتها حرية اوسع من الحرية الموجودة فى نفس امريكا واليك الدليل الحكاية الاتيـة (قال ابن عباس اول خلع كان فى الاسلام امرأة ثابت بن قيس اتت النبى فقالت يا رسول الله لا يجتمع رأسى ورأس ثابت ابدا انى رفعت خبائى فرأيته أقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقـال اتردين عليه حديقته قالت نعم وان شاء زدته فقـال الرسول لثابت خذ منها وجلست فى بيت اهلها) فهل بعد هذه الحرية يتشدق من له مسكة من العقل بالطعن على الاسلام بدعوى اعتباره النساء فى منزلة العجماوات وحرمانهن من جميع الحقوق الطبيعيه الا ان الشريعة السمحة ترى ان الزواج يقصد منه العشرة الحسنه ورغد العيش والمحبة المتبادلة والاشتراك مع التسـاوى فى خير الحياة وبؤسها وقد وضعت القيود الملائمة للطبائع البشرية والعقل الصحيح وهذه ميزة الاسلام على باقى الاديان فالحمد لله ان هدانا بفرقانه المبين

الدكتور احمد فؤاد المصرى

عزيز على المصرى

قومندان برقه

اعـوذ بالله من داء حب الرئاسـه اذا لم يكن مصحوبا بوازع ووجـدان رادع وغيرة وطنية تجعل صاحبها يفضل المصلحة العامة على مصالحه الخاصة واعوذ بالله ممن يعمل بقاعدة الاباحيين القائلة (الغاية تبرر الواسطة) واعوذ بالله من كل حقود وشر كل حسود واعوذ بالله ممن ران هوى المطامع على قلبه فاعماه وجعله يتخذ فى كل يوم كعبة لهواه واعوذ بالله ممن نضب ماء الحياء من وجهه لدرجة تبيح له المجاهرة بالشقاق والطعن فى المؤمنين القائمين بحدود الله لانهم خالفوه فى جريمته تمسكا بطـاعة الله واعوذ بالله ممن تبلغ السماجة به الى حد تشكله كل يوم بجنسية واخراجه مخالفيه من جنسياتهم واعوذ بالله من يتجرا على محاربة دينه واهلاك اخوانه فى الاسلام وبيعهم للاعداء تقاء دراهم معدوده واعوذ بالله ممن ينهب اموال الضعفـاء والمرابطين والفقراء وابناء السبيل من غير حق واعوذ بالله فوق ذلك ممن جمع كل هذه النقائص وبات اقنوم الرذيلة ومعمل الشيطان

وابدا باسم الله المنتقم من المجرمين المعز لخدام دينه وبيته الامين الجبار فى قصاص الكافرين الناصر لمن نصره من المؤمنين واصلى على رسوله جد الاتقياء السيد الامين الامر بالعدل المؤاخى بين اتباعه من جاءنا من عند ربه باقوم دين وبعـد فانى اسطر اليوم للقراء الحقـائق النـاصعة البعيدة عن الاغراض وتأثير النقود بشأن اكبر جريمة ارتكبت فى العالم الاسلامى ضد اخواننا المجاهدين ببرقه وانى اعاهد القراء على ان لن اسفل قلمى بذكر الشخصيـات والرذائل الاخلاقية التى يتصف بها بعض من لعبوا اكبر دور فى هذه الرواية المخربة المحزنه ولن اذكر لهم الا كل ماله علاقة بالمسائل العموميه حتى يصدروا حكمهم على كل مجرم مهما عظم قدره بدون تأثر بعصبية جنسية او خشية عظمة الاقارب او بيع الذمه باموال ستكوى بها جباههم يوم القيامه وسأتى بعد بيان الحقيقة على ما كتبه او استكتبه عزيز على وافنـده بكل انصـاف والله اسـأل السلامة من الزلل والهداية الى اقوم سبيل

عزيز على او عبدالعزيز على رجل عصبي المزاج حاد الطبع كثير المطـامع حقود مصرى المولد شركسى الاصل مات والده وهو لا يحسن الكلام حتى ولا بالعربية الدراجة تربى بمدارس الاستانه العسكريه وما قرأت اسمه بالجرائد الافى رسائل سعادة محمد فريد بك ابان ثورة ١٣ ابريل ودخول جيش الحرية الاستانة ظافرا وكان عزيز من بين ضباطه فأخذت اتنسم اخباره لازداد سرورا بوجود بعض مواطنى فى جيش الحرية والاسلام فسمعت من يطريه ومن يهجوه ومازلت احبه بعد حتى عرفت من دخيـلة سره ما جعلنى ابغضــه من كل قلبى مع مزيد الاسف

وقد عرف عزيز على بذهابه الى القطر المصرى داعيا خفية الى تكوين مملكة عربية تنسلخ عن الحكومة العثمانية وتضم بين جناحيها شمال افريقيا وآسيا الشرقية وقد زار مصر لهذا الغرض بعد بضعة اشهر من اعلان الدستور العثمانى وطلب من بعض اصدقائه هناك ان تجتمع بزعماء الحركة الوطنية وقادتها فتم له ما اراد من اللقاء ولكن لما تكشفت للجماعة مآرب هذه الدعوة واستبانه ما تحققها من المقاصد السيئة انصرفوا عنه بقلوبهم وآلوا على انفسهم ان يحبطوا اعمــال هــذه الدعوة الفسادية بكل الطرق الممكنة وان لم يعلموا من امرهـا بعد سوى ان اكثر اعضائها من السوريين والمصريين وان مركزا عمالها وادى النيل

ولقد ظهرت بعدئذ ثورات اليمن واعسير وحوران فشك البعض فى هل للجمعية المذكورة ضلع فى تحريكها ام لا وبالرغم من ظهور علاقة الشيخ على يوسف الصحافى المصرى بثوار اليمن كما نشرت جريدة المــاتان ابان التحقيق فى مسألة ميمون ومن سفر احد المحامين الشرعيين بمصر الى الادريس بقيت اشك فى علاقة عزيز بهذه الحركات مباشرة خصوصا بعد سفره الى اليمن وسـفارته بين القائد الهمام احمد عزت باشا وبين الامام يحيي وعقده الاتفاق الاخير الذى يعتبره البعض خطوة واسعة فى سـبيل انفصال اليمن ويعتبره البعض مجحفا بحقوق الدولة واعتبره بالرغم مـا حواه من الغلطـات مفيـدا لحقن دماء المسـلمين واصـلاحه ذات البين ولكن جاءت الحوادث الاخيرة تقوى الشـبهة جدا ضـد ذلك وتسـتدعى لفت نظر اولى الامر الى فحص هذه المسألة وكشف حقيقتها حتى تقف على مصدر الدسائس المخربة لبلادنا كى نعمل على صيانتها خصوصا وان فى وجود احد ضـباط جيشـنا

واطلاعه على اسرارنا الحربية ونقلها الى اعدائنا (لوثبت شيء في ذلك في التحقيق) مما يساعد عدونا ويحرج مركزنا ويحبط تدبيرنا

اعلنت ايطاليا حربها القرصانية على طرابلس بدون اى مسوغ الا القوة الغشوم والجشع الاشعبي والتعصب الذميم الدافع لاوربا الى تذليل ممالك الاسلام واستعباد اهلها فذعر العالم الاسلامي وتجاوبت جنباته بمر الشكوى والتألم وانقطع كل امل من خلاص طرابلس وبرقة بيدان لله معجزات تحير الافكار وله سبحانه رجال مع ندرتهم يغيرون مجرى حوادث التاريخ ويكونون مظهر بعض حكم القدرة الالهية لعظمى فبينما حنادس اليأس قدعمت القلوب ظهرت اقمار انور وفتحى ونشأت واخوانهم المجاهدين تبدد هذه الدياجير وسارت شموس اسادة السنوسية تعيد للقلوب نور الامل وتبين ان الثقة بالله اساس القوى المعنوية وهى العامل الحقيقي للظفر في الحروب ومعترك الحياة. اجتمعت عوامل التأثير الديني وحصافة الرأى وحسن التدبير العسكرى والشجاعة والاخلاص فسرى منها تيار كهربائي شديد انشر الاهالى من موتهم وحرك هممهم ووحد غاياتهم وبث الشجاعة في القلوب البعيدة والقريبة فرأت ايطاليا امامها خصما لا ينازل وحصنا امنع من عقاب الجو وعرين اساد الموت دون افتحامه فوقفت مقيدة، الموت امامها والسقوط والعار خلفها واعدم على محاربتها كل رعديد واستهان بجندها كل مخلوق وبعد مضى شهرين من مجيء انور بك الى برقه حضر من الخطة اليمانية عزيز على الى درنه فكان اول ماعمله ان خطب عربها قائلا (ايها الناس ان كنتم مسلمين حقيقة ولديكم ذرة من الشهامة والشرف فحاربوا العدو الى اخر قطرة من دمائكم) امتعض العرب منه وقالوا ماله يشك في ديننا وشهامتنا الم يرنا نهزأ بالموت ونذود عن بيضة الاسلام من قبله وها نحن نبلى في الطليان خير البلاء رغم نيران مدافعهم المتهاطلة كوابل المطر. اراد انور بك بعد تذترك قيادة درنه في يد عزيز والذهاب بنفسه الى بنغازى فتألبت العرب وابوا الخضوع لعزيز والحوا على انور بك في البقاء وارسال عزيز اين شاء فلم يربدا من ارساله الى بنغازى .

ماوصل عزيز الى مقر وظيفته الجديد حتى بدا بحملات مطاعنه العلنية على انور بك خاصة والاتراك عامه واخذ يسعى فى تكوين حزب قوى له ويثير نار الخلافات العنصرية فكان يبعد من معه من الاتراك ويسيء معاملتهم ويقرب اليه الضباط العرب ودائما يردد ماهذا الظلم والاجحاف ماهذا البلاء المسلط على

رؤسنا الى متى نخضع الاتراك ان كنا بالروملى اوالاناضول اوسوريا واليمن نجد قائدنا تركيا فهل نقبل هذا ايضا فى طرابلس العربية التى باعوها ؟ واخذ يحاول مخابرة نظارة الحربية رأسا بدون وساطة انور بك فرفضت فحول مخابرته الى طرابلس بدل درنه حتى يكون تابعا لشوكت دون انور فجاءته الا وامر المشددة بالخضوع لقائده انور بك فرضى على مضض منه. كان يزدلف الى شيوخ الزوايا السنوسية ويتظاهر بالاحترام الشديد لمشايخ العرب ويضرب دائما على نغمة العصبية والطعن فى انور بالقذر واسفل انواع السباب وماعلم ان من كان بيته من زجاج ليس له ان يقذف الناس بالحجارة وبلغ من افراطه فى الاشتغال بحركته العربية الى حد ان نحو ثلث الاموال الواردة اليه انفقه فى هذا السبيل وكان يسفر بينه وبين العرب بعض الاطباء المصريين واستخدم فى اذاعة صيته مكاتبى بعض الجرائد المصرية والمبالغة فى تقاريره. كانت اخبار مطاعنه وحركاته تترامى الى انور فلايعيرها اقل اهتمام قائلا (اننا فى مسائل عامة تذيب الاضغان الشخصية فليستمر فى دفاعه عن البلاد. ولو اصبح رئيسها لكنت عن طيب خاطر من اتباعه مادام ذلك فى مصلحة الاسلام واهله) وماقابله الاباشا فى وجهه معانقا اياه .

جاءت وزارة الشيوخ فعقدت الصلح مع ايطاليا بصورة لاتخطر على غير فكر لرب الدهاء فى اضاعة الممالك العثمانية كامل باشا الذى عقد صلحا يعطى طرابلس وبرقة لايطاليا وصادق السلطان على ذلك وفى الوقت عينه منح الجهتين استقلالا اداريا وعين لهما حاكما لقبوه بنائب السلطان وهذه الوظيفة اعجوبة فى تاريخ الادارة. عندئذ اشتدت حركة عزيز فاخذ يقول للعرب اما انا واما انور لقد كنتم تخضعون له يوم كانت البلاد تابعة لتركيا اما اليوم فقد تركتها فتخيروا لكم قائدا وانالن ابقى بين قوم لا يعرفون قدرى تستمر على هذه النغمة الى ان جاءت الى انور بك اوامر مستعجلة بالحضور الى دار الخلافة ورأى انه بعد ان نظم الادارة والدفاع ومادام شجعان العرب وخيرة الضباط موجودة فلابأس على البلاد من غيبة قد يخدمها اثناءها ولما صمم على ذلك توجه صوب سيد المجاهدين ورئيس هذه الامصار السيد احمد السنوسى وشرح له المسألة بحذافيرها فراى ان سفر انور ضرورى لاستمرار الدفاع والمحافظة على طرابلس وبرقه فاذن له بكل ارتياح وودعه على بركة الله تعالى. عاد انور بك الى درنه فعين سليمان عسكر بك قوماندانا لدرنه ورشيد بك حاكما ومديرا لامورها العسكرية وفوض القيادة العامة لعزيز بك وسافر سرا وكل القلوب حزينة لفراقه طالبة له التوفيق

والسلامة فى حله وترحاله وهنا تحركت الاسلاك البرقية من بنغازى فحركت ثعبان المؤيد بالقاهرة فقام بحملته المعلومة ضد انوربك والاتراك عموما ومن الغريب ان صاحب هذه الحملات البذيئة ضد رجل لم يعمل الا ان انسحب بنفسه بعد ان نظم جميع وسائل الدفاع قام يدافع عن رجل سحب نفسه والجند والسلاح واباد جميع الذخائر وقطع الاسلاك البرقيه واباح مكتوم الاسرار وقتل العربان واستباح عرض رئيسهم بعد بضعة ايام من سفر انوربك حضر عزيزبك الى درنه فجمع العرب والجنود وخطبهم فكان مدار خطبته الطعن المرفى انور بك وادارته واتهامه بالسرقة وتبديد الاموال فيما لا ينفع واخذ يقدح فى الاتراك ويهجوهم راميا اياهم بكل نقيصة فاستاء العرب منه حتى ان الضابط الطرابلسى الهمام محمود نديم بك لم يسعه الان يصيح فى وجه عزيز قائلا انى والله اول من يغمد رصاصه فى صدر كل من يتعرض للطعن على الاتراك . انهم اخواننا فى الدين اخواننا فى الوطن اخواننا فى السراء والضراء فكظم عزيز غيظه وسكت وهمت العرب بقتله لولا وجوده فى خيمة انور بك المحترمة لديهم وعلمهم ان انور هو الذى عينه فى القيادة لحقوه فى دقيقة. بعد سفر انور بك خلا الجو لعزيز الا من مزاحم واحد الا وهو السيد احمد السنوسى واتباعه فقلب لهم ظهر المجن واخذ يخشن فى معاملتهم ويعمل على تقليل منزلتهم لدى العرب فاخذ يرميهم بالجهل والشرك ويغمز فى الشيخ الكبير واتباعه ولكنه ابصر ان ذلك لم يزد العرب الا حقدا عليه وازدراء له وبعد ثلاثة ايام من حضوره الى درنه قرر سحب جميع مدافعها وفعلا اصدر اوامره الى الجند سرا فسحبوها ليلا بيد ان العرب شعروا بالامر فاسرعوا واسترجعوا الجنود والمدافع واشتد حقدهم على عزيز واتهموه علنا بالخيانة وهموا بقتله ولولا وجود البطل المقدام الشيخ عمر المختار احد المشائخ السنوسية الذى تدارك الامر بحكمة وهدأ ثائرة العرب لبات عزيز بك فى خبر كان. هدأ الشيخ عمر هذه الفتنة واخذه وذهب به الى طبروق فالقى بها عزيز نفس اشمئزاز عرب درنه منه وتيقن انه ان لم يحصل على اذن تولية ممن ظنه مزاحمه السيد احمد الشريف فلن يستطيع البقاء ببرقة ولا اخضاع العرب لاوامره واجبارهم على احترامه ولم يربدا من الذهاب اليه فى جغبوب فتوجه واستحصل منه على امر التولية وخطابات لرؤساء الزوايا والقبائل بالخضوع له ومعاونته على الدفاع عن بيضة الاسلام وذمار الوطن وعند مارجع امر فاجتمعت

القبائل ومشائخ الزوايا وغيرهم ثم قرئ امر التولية المرسل من السيد احمد الشريف فتقبله العرب على العين

بقي عزيز بك على عزمه الاول من ازالة سلطة مشايخ الزوايا والقبائل ونفوذ السنوسيين تدريجيا فعمد الى خطة جذب العرب اليه بواسطة المال ولتفصيل ذلك اقول انه عقب قراءة امر التوليه ضرب للعرب موعدا يحضرون فيه لتوزع عليهم مرتباتهم التي لم يأخذوا منها شيئا منذ سافر انور بك الى مصر. حضر العرب في الموعد المضروب فامر بكتابة اسم وعنوان كل واحد منهم ونوع سلاحه ثم اعطى كل واحد منهم مرتب اسبوعين مباشرة ولم يوزع عليهم الارزاق كما كان يفعل انور بك وبينما كان عزيز بك ينفذ خطته فطن لعمله احد مشائخ العرب الحضور وهو الشيخ عبد الرزاق ابو اللطيف عمدة قبائل غيث فخاطبه قائلا ياسعادة البك ان سعادة انور بك كان عند ما يريد توزيع المرتبات والارزاق يأمر فتحضر القبائل المجاهدة ورؤساؤها فيسلم المشائخ امام قبائلهم حقوق الجميع فيفرقها المشائخ على افراد قبائلهم حتى يحفظ للشيوخ سلطتهم وتبقى القبائل مطيعة لمشايخهم فيسهل على الحاكم ادارة البلاد ولكن عملك هذا يدل على انك تريد قطع العلائق بين القبائل وشيوخهم والقاء الجفاء بينهم حتى لايعرفون فيما بعد احدا سواك وهذا العمل مخل بقوانين العرب القاضية بان لايعرف العربي الحكومة الا بواسطة شيخه ولكنه اذا ماعلم ان ليس للشيخ اقل احترام او حيثية لدى الحكومة تفسد اخلاقه فلايوقر احدا

ولايعمل لصالح نفسه ولالصالح شيخه ولالصالح قبيلته وزاويته ولالصالح حكومته ووطنه) فما كان من عزيز بك الا ان لطمه على وجهه بكل شدة امام جميع القبائل وجعل دمه يتقاطر من انفه فهمت قبيلته بقتل عزيز بك لولا ان حالت دون ذلك قبيلة مريم لثارات قديمة بينها وبين قبيلة غيث وكادت المعارك تنشب بين الطرفين لولا توسط العقلاء بينهما وتهدئة الخواطر . اما عزيز بك فدخل خيمته وهو يرتعد من تهييج اعصابه واما الشيخ عبدالرزاق فركب جواده وتوجه نحو النجع وامر رجاله بهدم بيوتهم الشعرية والسفر الى داخل الصحراء والنكول عن الجهاد مادام القائد على هذه الصفة ولولا ان لحق به كاتب هذه الاسطر وطيب خاطره وتمهدله بالحق على سنة العرب واخذ يحرك حميته الدينية لتسرب الفشل

بين القبائل ولانصرف اكثرها عن القتال بسبب سوء سياسة عزيز بك وشراسة اخلاقه ومادرى ان

الرأى قبل شجاعة الشجعان

هو اول وهى المحل الثانى

تأكد عزيز بعد كل ذلك ان سعيه فى تضليل وانه لن يكون الامير المطلق التصرف فى هذه الانحاء كما جعل احمد عبدالرحمن يسطر على صفحات جريدته ورأى انه يخدم غير مصلحته الشخصية بل يخدم مزاحمه العظيم الجديد (السيد احمد الشريف قدس الله سره) فلم يرقه ذلك ولوان فى ذلك خدمة الاسلام فاراد جر مغنم شخصى والنكاية بمنافسه وبينما هو فى تفكيره اذ تحركت الاسلاك البرقية من مقر المفاسد ومنبع الدسائس ضد الدولة والاسلام ومجمع عباد المصلحة الشخصية والجنايات المتعددة زمرة الخونة بالقاهرة فحملت لعزيز نبأ قدوم احد المحامين الشرعيين (حسن حماده) رسولا اليه يحمل خبر مشروع ذى بال يعود على الجميع بمنفعة عظيمة وسيلعب عزيز فيه الدور المهم ويكون له من ورائه النصيب الاوفر فسرى عنه الهم واخذ ينتظر على احر من الجمر الى ان حضر الرسول المخلص لدينه ودولته !!

حضر المحامى المذكور فاحتفل به القائد العام واحسن وفادته واذاع بين العرب ان هذا الباشا الكبير هو شقيق المحسن المخلص والمسلم العامل عمر طوسن باشا وانه من اقرب الرجال لدى عزيز مصر وماقصده من جميع ذلك الا اجبار العرب الذين لايحترمون من اهل مصر اكثر من هذين الاسمين على احترامه وينفى عنه كل سوء مظنه

اما هذه الرسالة فصادرة عن جمعية الدسائس فى البلاد الاسلامية المشتغلة فى الظاهر باسم الخلافة العربية وفى الباطن لتمكين الاجانب من رقاب سكان هذه الجهات مقابل حصول اعضائها على معبودهم الاكبر الخيال الاصفر وكانت مهمة هذا المحامى تحصر فى اقناع عزيز بك بالرجوع وتخويفه من المستقبل وتشويقه بوافر الربح انهو قبل تنفيذ خططهم الجهنمية القاضية ببيع برقة للطليان مقابل مقدار عظيم من المال قدره البعض بمليون واخرون بنصف المليون من الجنيهات

بينما هذه المؤامرة كانت فى التنفيذ للتأثير فى عزيز واستمالته كانت العصابة المذكورة مع شريكها المعروف منصور الكخيا اكبر خادم للطليان تدبر دسيسة

اخرى لاستهواء سيدى هلال السنوسى واستعماله كآلة لكسر شوكة السنوسيين واستمالة شيخهم المفضال الكبير سيدى احمد الشريف فارسلوا الى هذا الشاب الذى لايزال فى ريعان شبابه زمرة من البرانس المفضضة والاسلحة كالخناجر والسيوف المرصعة وصورته الملونة بالزيت بحجم مكبر وبعض اشياء اخرى ارسلت هذه الاشياء على احدى بواخر خفر السواحل المصرية فى صندوق كبير وشفعوها بكتاب كله المدح والثناء وتحبيب السيادة الانجليزية او الطليانية والوعود بالمرتبات الكبيرة لسيدى احمد الشريف واعتراف هذه الحكومات بسلطته ان قبل مطالبها كتب هذا الخطاب شيطان عصابة السوء ومهرم الكخيا فلما وصلت الاشياء اليه كان سيدى احمد قد بلغه خبرها فامر بارجاعها من حيث أتت على رواية وحفظها باحدى الزوايا موقتا على رواية اخرى وما استلم سيدى هلال خطاب الكخيا حتى استشاط غيظا واشتد حنقه على الطليان فكتب لقائدهم خطابا يعيره بالجبن والتسفل الى استعمال الدسائس والاموال للتغلب على خصومه ويسمحه ان كان لديه ذرة من الشجاعة اوكانت دولته تريد التهام طرابلس وبرقه ان يبرز هو وجنوده الى الميدان حتى يحكم بينهما السيف والمدفع ويتوعدهم بالموت الزؤام وبمحاربتهم الى اخر نقطة من دماء المجاهدين وقع هذا الخطاب فى يد عزيز بك على رواية وارسله اليه قائد الطليان على رواية اخرى فغضب لسببين اولا كون هذا العمل قد يحبط سياسة العصابة المعلومة ويعرقل مخابراته مع الطليان وثانيا ان هذا العمل فيه غمط لحق عزيز واعتداء على كرامة مقامه باعتباره القائد العام اوالامير المطلق لهذه الارجاء كما كان يلقب نفسه فامر بسيدى هلال فسجن وبعد قليل من الزمن احس بتذمر العرب وقرب تألبهم عليه فاطلق سراحه وامره بالرجوع من حيث اتى واشاع بين العرب ان سيدى هلال كان يخابر الطليان على التسليم وانه قد ضبط الرسائل المثبتة خيانته للاسلام وجماعات المجاهدين وانه لولا احترامه لمقام شقيقه السيد احمد الشريف لقتله ومن الغريب ان عزيز بك حتى الساعة لم يطلع احدا حتى اصدق المقربين اليه على هذه الرساله حتى يتبينوا صدقه من كذبه لان فى تلاعبه بكتاب رشيد بك مايدعو الى الاشتباه فى جميع دعاويه التى من هذا القبيل .

ثم استقدم عزيز اليه احمد صوان القائمقام المعروف بميله الى الطليان وبعثه الى قائد الطليان ليخابره بالنيابة عنه وبعد بضعة ايام اراد عزيز تأكيد صدق وعوده الطليان فاتى بزمرة ممن عرفوا بالرغبة عن الحرب والقول بمصالحة الطليان

والرضاء لحكمهم من مشائخ الزوايا السنوسية ورؤساء القبائل وهم السيد ابو رضوه والسيد الكليلي من مشايخ السنوسية ومحمد ابوجادالله وصالح ابومضنى وصبره ابو مرايف وجادالله ابى اللافى وادم ابى سرايه ومحمود ابو يحيي رؤساء قبائل ابى جازيه ومنصور وبعث بهم الى قائدالطليان فاحسن استقبالهم ومنح كل واحد منهم خمسمائة جنيه عندما تعهدوا بتسليم جميع قبائلهم بسلاحها للطليان وتعهدوا بالسعى لاخضاع واستمالة القبائل الاخرى للطليان . ابان سير هذه المخابرات وصل السيد احمد الشريف الى جوار درنه وكأنه رأى بعين بصيرته ان الجنود والمرابطين سيهرعون لاستقباله والحفاوة به وان العدو سينتهز هذه الفرصة بناء على اتفاقة مع الخونه للاستحواذ على مراكزهم فارسل اليهم الاوامر المشددة بلزوم اماكنهم والمثابرة على جهادهم وعدم الحضور لاستقباله لان عملهم يرضى الولى وجهادهم فيه صيانة لمصالح المسلمين وهذا يسره اضعاف اضعاف رؤية مظاهر الابهة الكاذبة ومراسم الاستقبال الفخيمة التى تفرح بها النفوس الصغيرة وفعلا قدكان ماتوقعه وخرجت الطليان آمنة مطمئنة بناء على معلومات الخونة الواصلة اليهم فطبق عليهم المجاهدون الآفاق واسخنوهم جراحا واشبعوهم طعنا وقتلا فأبادوا اغلبهم ورأى الباقون السلامة فى الفرار فسلموا ارجلهم للهواء وفروا يسابقون الظليم وكتب الله النصر للاسلام واستبشر كل انسان بمقدم شيخنا السعيد وتضاعف سرور المجاهدين ففزع الطليان من هذا الاندحار الغير المنتظر وهموا بقطع المخابرات بيد ان الكخيا نصح لهم باستحثاث عزيز بك بالاسراع باتمام المخابرات والتأثير على السيد السنوسى ووعدوه بقبول جميع شرائطه . حضر عزيز الى الاستاذ المبارك واخذ يصور له حالة الجنود والمجاهدين بصورة مفزعه تدعو الى القنوط ويبين له استحالة المقاومة وضررها ونفاد الميرة والذخيرة والاموال واقترح عليه الصلح على شرائط اهمها ضم قطعة الارض الواقعة بين بومبا والجغبوب وبين الحدود المصريه وترك بقية برقة للطليان على شرط ان تدفع روما ولوندرا وباريس مرتبات وبايليق بمقام السيد احمد الشريف وكرامته وان تكف فرنسا عن محاربته فى الصحراء والسودان وبين لفضيلته ان اكثر العرب من هذا الرأى فامتعض الاستاذ وقال اسمع ياولدى انى كنت اقبل عن طيب خاطر التنازل عن القطعة المذكورة واضمها الى مصر لو كانت حكومة اسلامية حرة اتركها لها و انتقل انا ورجالى الى الغرب لمحاربة الطليان على بقية برقة حتى ازيل ظلمهم الثقيل عنها دفاعا عن بيضة الاسلام

اما ومصر فى قبضة انجلترا فلا معنى لهذا العمل وانى ساقاوم الكافرين حتى النهاية ورجائى منك ان تسرع فترسل قوة الى قبقب التى احتلها العدو لطرده منها اما الميرة والذخيرة فموفورتان باذن الله ولا يخلع فؤادك هلعا فان من نصرنا على الطليان فى بداية الحرب يوم لم يكن لدينا جند اوسلاح او ذخيرة او خلافه لن يتخلى عن نصرتنا اليوم الا ان لهذا الدين الها يحميه وان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وان ينصركم الله فلا غالب لكم .

لم يسع عزيز امام هذه البراهين القاطعة المفحمة والصلابة الدينية وقوة الثقة بالله التى لا تزعزع سوى ان راوغ وبدل مجرى الحديث متظاهرا بالموافقة وذهب وفى القلب ما فيه يفكر فى طريقة تمكنه من التوفيق بين الطرفين والخروج من هذا المازق الحرج خصوصا وانه بعد مخابرته لرسل الطليان اصبح فى حيرة شديدة لا سيما بعد ان علم السيد السنوسى بتلك المخابره وانتقم من المشايخ الذين ارسلهم عزيز الى الطليان باحراق بيوتهم وذبح اغنامهم ونهب اموالهم وجمالهم وحشده الالوف واستقدامه اليه رشيد بك ورمزى بك وبقائهما عنده ليلة كل هذا جعل عزيز يشعر باقتراب ساعة سقوطه وخيبة مسعاه فتمادى فى مخابراته مع الطليان واخذ يلح عليهم باسراع انفاذها واخفى القنابل وافسد اكثر الذخيرة واثر فى الجنود والضباط بحيله وما كان يزينه لهم حتى تم ما اتفق عليه مع الطليان

شعر سيدى احمد الشريف بحركاته وخصوصا مسألة الذخيرة ورأى ان العدو قد ينتهز الفرصة قبل قدوم الذخيرة من الجغبوب فركن الى الحيلة اذ الحرب خدعه فكلف عزيز بك بان يسأل الطليان ارسال منصور الكخيا اليه لانه يريد مخابرتهم على الصلح وعقد هدنة ابان المخابرات ففرح الطليان وارادوا ارسال الكخيا عن طريق القبقب بيد ان عزيز نصح لهم بارساله عن طريق دونه حتى يبين له نقط الضعف من الاستاذ وصرح لهم بانه لا يصدق هذه الدعوه قط وما هى الاحيلة من مكر السيد السنوسى وفعلا قد صحت فراسة عزيز فيما بعد اذ عند ما حضر الكخيا الى سيدى احمد الشريف وكانت الذخيرة قد وصلته واراد ترغيبه فى التسليم للطليان انتهره ووبخه على عمله وقال له كيف تدعونى لتسليم اهل البلاد الاسلاميه لاعداء دينهم الا انى اقسم امام جميع المجاهدين على هذا المصحف والبخارى انى لن انفك اذود عن حياض الاسلام ومجاهدة اعدائه الى النفس الاخير مادام معى نفر واحد من المجاهدين واذا خاننى الجميع وسلموا للعدو

اهاجر الى المدينة لأعيش بجوار جدى الاعلى شاكيا الى الله من خيانة الخونة مستنزلا لعنته عليهم الى يوم الدين فرجع هذا الخائن الى اسياده الطليان بعد ان نفذ كيد الشيخ فى نحورهم وحفظ الاسلام من غدرهم .

قلنا ان عزيز لم يصدق هذا الطلب وانه استمر فى مخابراته مع الطليان وقبل جميع شرائطهم كما انهم قبلوا تسليمه ثلاثين الف جنيه بناء على طلبه ولما ارسل اليه السيد احمد الشريف ان ابعث الى بمدفعين حتى اطرد الطليان من القبقب لم يجب طلبه بل بالعكس ارسل المدفعين مع قوة كبيرة من الجند الى زاوية العزيات حيث كان الاسرى الطليان بغية احضارهم لكى يسلمهم الى الطليان حسب اتفاقه معهم . حضرت هذه القوة وطلبت تسليم الاسرى بحجة وجوب نقلهم الى مكان اخر لعدم وجود الماء بالعزيات كأن اولئك الاسرى اغلى لدى عزيز بك من المجاهدين او كأنه لم يدرك ندرة الماء هنالك الا فى هذه الساعة او كأن الاسرى ارسلوا اليه شكوى بذلك اما العرب فقد رفضوا تسليمهم ما لم يأذن السيد السنوى بذلك فلم تفهم الجنود جواب العرب و أصرت على اخذهم عنوة بناء على الاوامر الشديدة الصادرة اليهم بذلك من القائد القام فما نعهم العرب وتشبث معركة بين الطرفين اسفرت عن قتل خمسه من الجنود ودحر الباقين واستيلاء العرب على المدفعين حبط عزيز فى مسعاه ولكن تيقن سوء العاقبة واطلاع العرب والجنود على دخيلة امره ان لم يسرع بالسفر فحرض الجند وضلل الضباط بنفاد الذخيرة والميرة وانقطاع المدد المالى من مصر وتأمير السنوسيين عليهم وكانت الطليان هاجمت دورنه فاحرقت المتاجر وانفجرت القنابل المطمورة فقضت على البقية الباقية وجملت التجار والاهالى تفر هائمة على وجوهها لا تملك شروى نقير .

ارسل سيدى احمد الشريف الى عزيز امر اقالته او فصله من لقيادة العامة وتعيين قومندان طوبروق قائدا مكانه فكان ذلك من الدواعى المحرضة لعزيز على الاسراف فى انتقامه فاثر فى جميع الجنود والضباط حتى تابور المحافظين الذى كونه انور بك من اهالى طرابلس استهواهم عزيز اليه ومناهم بجزيل العطاء وباراضى واسعة خصبة وبتزويجهم بمصر بينما هم ان بقوا سيلقون من الطليان نكالا ومن المسغبة آلاما ومن الفاقة اهوالا ومازال بهم حتى اخذهم معه وبالجملة فانه اعد الرحيل بجميع الجنود وضباطهم واسلحتهم ومابقى من الذخيره بعد الذى افسده او طمره نكاية بالمجاهدين وبعد ساعه تحرك الركب بعد ان احرق العنابر الموجود بها الارزاق والاجزاخانة

الموجودة بدرنه وطبرق فاصبحت طعمة للنار مع انها اشتريت بالاموال المتقطرة من جبين فقراء المسلمين لامن جيب عزيز لاجل اخوانهم المجاهدين . وليته وقف عند هذا الحد بل انه امر بالاسلاك البرقية فقطعت و كذلك فعل باسلاك صدى البرق (التلفون) حتى لايجعل للمجاهدين و سيلة للمخابرة كما انه جردهم من جميع وسائل الدفاع باخذه السلاح .

سافر عزيز ورجاله فخرج الطليان على ماقلنا بها جمون درنه ويطلقون قنابلهم على الاماكن المطمورة بها القنابل فتفرقها وتبدد كل ماهو بجوارها من نفوس واموال وارزاق ومتأجر حتى لحق اتجاه من الخسائر ماقضى على مستقبل اكثرهم . انسحب المجاهدون الى الداخل لعدم وجود الذخائر ولكن الله ابى الا نصره لعباده اذ في هذا الوقت الذى تقدم فيه الطليان فخرين معجبين بقوتهم و ردت الذخائر من الجغبوب فرقها سيدى احمد الشريف على المجاهدين واستمرت معركة دموية ردت العدو على اعقابه محملا بفادح الخسائر .

كان قد وصل الى عزيز قبيل قيامه من درنه رسالة برقية منبئة بورود مبلغ تسعة آلاف من الجنيهات ارسلتها اللجنه العليا فما كان منه الان امر تابعية الخصوصيين مصطفى عهدى وعمر شنيب الذين كانا قد وصلا الى السلوم بملابسه واشيائه ان يستلما من الماس افندى مبلغ ستة الاف جنيه وحملها الى بيته بالاسكندرية طلبا ذلك وجاء الماس افندى الامر تلغرافيا من عزيز بفحوى ماتقدم فرفض ان يسلم شيئا لان هذه الاموال ليست ملكا لعزيز وانما هى اعانة مرسلة

لجميع المجاهدين للتعيش منها والاستعانة بها على الجدب الذى اصاب بلادهم منذ بضع سنين هنا عمد عزيز الى الحيل فارسل تلفونيا يأمر الماظ افندى بالقيام حالا بمن معه من الجند صوب دفنه حيث العدو يريد انزال قوة بها وعين مؤقتا مكانه مصطفى الفيتورى افندى ففعل الماظ افندى ذلك لحسن نيته ولكنه ذهب وانتظر ثم عاد بدون ان يقف للطليان على أثر فتيقن ان الامر كان حيلة من عزيز بك لانه عندما قام الماظ افندى اصدر امره الى مصطفى افندى الفيتورى بتسليم عهدى مبلغ ثلاثة آلاف جنيه ففعل وحملها ياوره المذكور متوجها بها الى الاسكندريه

سافر عزيز بك ورجاله وهم فرحون يظهرون الحبور شماتة بالعرب واستمروا فى سيرهم حتى وصلوا الى جوار طبرق ليلا فظنهم محافظوها انهم قوة ايطالية خرجت لتدهمهم ليلا فاطلقت عليهم النار فبدل ان يشكرهم على انتباههم اوبدل

لن يعطيهم اشارة تبين لهم الحقيقة امر باطلاق النار صوبهم فقتل احدهم وجرح الآخر واستمرت قوة عزيز بك فى سيرهـا وكان قد اتصل الخبر بمسامع السيد احمد الشريف فارسل اليه جماعة من كبار المشايخ يرجون عزيز بك ورجاله ويطلبون منهم باسم الاخاء الاسلامى والغيرة الدينية (١) البقاء كما كانوا لمدة شهر او اكثر حتى يتمرن العرب على القيام بالاعمال بمفردهم ويعلمهم الضباط ذلك وربما فى بحر هذه المده يحضر بعض الضبـاط المتطوعين للجهاد فى سبيـل الله (٢) واذا لم يمكن البقاء فلتنسحب القوى تدريجيا حتى لا يطمع العدو ولا يقع الارتباك فى صفوف المجاهدين وتبقى لديهم قوة المحافظين المحلية التى اخذها عزيز معه (٣) اذا لم يكن شئ مما تقدم فلتترك الاسلحة والذخائر لان هذه البلاد عثمانية بناء على الامر السلطانى المانح لها الاستقلال الادارى (مختـاريت) استرحموا عزيز بكل خضوع فلم يجدوا منه غير قلب اكله الحقد على السيد الشريف ورجاله المجاهدين وانطوى فى (السيد السنوسى الكبير)

خرج شيوخ العرب من عنده كاسفى البال مكسورى القلب منفطرة افئدتهم من سماع هذه الشتائم البذيئه فى رجل من كبار ائمة الاسـلام وسمع منهم افراد القبائل المجاورة كل ماجرى فهاجت اعصابهم ورأوا انهم كالواقف بين جفنى الموت عزيز يجردهم من السلاح والجنود والعدو يتربص به المنون فقرروا مهاجمة عزيز اظنهم انه واخوانه المسلمين قد يفقهون فى الساعة الاخيرة ضرورة حقن دماء المسلمين وتحرك قلوبهم شفقة على اولئك الذين لا ذنب لهم الا الدفاع عن دينهم ووطنهم . جاء نحو المائه والخمسين منهم يركضون بخيولهم مطلقين بنادقهم فى الهواء فما كان من عزيز بك الا ان عبأ قوته وجعل جناحيه من السوارى والقلب من البيادة وامطر على أولئك البؤساء اخوانه فى الدين نارا حامية من مدافعه وبنادقه فقتل منهم خمسين وجرح اكثر واسر ثمانية عشر وفر الباقون فامر باخذ اسلاب الموتى وحرق بعضهم وكانت خسائر الجنود موت الضابط المسمى عارف وتسعة عشر نفرا وجرح سبعة فما كان من عزيز الا ان يجدد فظائع القرون الوسطى ويمثل بالمسلمين اشنع تمثيل فاحرق من الاسرى ستة اشخاص وذبح اثنين كالاغنام على قبر الضابط الذى ذهب ضحية امر قائده عزيز ابالبقية الاسرى فكان مقررا اعدامهم بالسلوم لولا ان ترجيته ومعى الشيخ كريم والملازم افندى فى اطلاق سراحهم فاجاب بالقبول بعد عناء عظيم لانه كان قد اقسم ان يذبحهم

عندما وصل الى السلوم ظافرا يختال تيها بانتصاره اصدر امره الى احمد شاهين بك مدير الادارة بان يكتب امرا الى الماظ افندى بتسليم جميع ما لديه من نقود وارزاق والسلاح فلما قرأ الماظ افندى هذا الامر رفض الخضوع لما حواه وقال ان هذه امانات باسم المجاهدين وكان للقائد حق توزيعها مادام يقود المجاهدين اما بعد تخليه عن القيادة وانسحابه من ميدان القتال فليس له اى حق فيها لانها ليست ملكا شخصياله . عندما علم عزيز بذلك امر الجند بعمل نطاق عسكرى حول خيمة الماظ افندى وعنابر الارزاق والذخيرة وبعدئذ توجه بنفسه الى الماظ افندى وطلب منه تسليم النقديه حالا فلم يسعه الآن سلم اليه الالفى جنيه التى كانت موجودة لديه فتبرع منها لالماظ افندى بمائة جنيه ثم امر ببيع جميع الخيل والبغال والجمال التى كان اشتراها انور بك فبيعت بابخس الاثمان ثم اراد ان يسلم الاسرى الطليان بنفسه الى مندوب ايطاليا حتى تكون له لدى الطليان يد تشكر فرفض انضباط ذلك وتجمهروا وقرروا تسليمهم للضابط الانجليزى الموجود بخدمة الحكومة المصرية بالسلوم ثم عين رشيد بك قائدا للجنود لان عزيز الامير كان سيذهب فى المقدمة فقرر رشيد بك اعطاء جميع السلاح والذخيرة للعرب فرفض بقية انضباط مخافة ان يضبطهم الطليان فى البحر اصر رشيد على رايه واستقال فتولى مكانه طاهر بك واكتفى برد الاسلحة عدا بنادق الموزر ومدفع المترليوز وكان عزيز بك قد امر ببيع سيارات انور بك بثمن زهيد لولا ان ضبطها البعض وخلصها من هذا الضياع المقصود .

وصل عزيز الى القطر المصرى وتيقن ان الجرائد والرأى العام تنتظر على احر من الجمر معرفة الاسباب الداعية لهذه الحركات الغريبة التى فرقت بين صفوف جماعات المسلمين والتى يقصد منها القضاء الاخير على برقة ومقاومة العدو فيها فاخذ يقدح فكره ويرتب من مخيلته مايخفف وزره ويلقى المسئولية على السيد احمد الشريف واملى عليه حقده على السيد من آيات السب والمطاعن ماجمل جريدة الشعب تخشى نشره وتنصحه بالتزام السكوت عندئذ تحقق عزيز انه سيصبح عرضة لشديد المطاعن وتكشف الصحافة سره فلجأ الى بعض اربابها واشترى اقلامهم بمدرات الاموال من النقود .

المجموعة لمساعدة المهاجرين والتى اخذها عزيز من غير حق ومن العجيب ان عزيز لم يكتف بكل مافعله بل باح بجميع الاسرار الحربيه ثم قام خطيبا فى احد

فنادق القاهرة يقدح فى السنوسيين ويرميهم بالكفر وكل موبقة فى الارض فوجد من عباد دراهمه من يؤمن عليه بل ويتجرأ على نشر سخائم قلبه على صفحات وريقاتهم وقد برت الاهالى غيرها فى هذا المضمار فواسفاه على ماوصلت اليه الصحافة فى الشرق عموما ومصر خصوصا .

مختصر اقوال عزيز فى (١) مدح نفسه وجعله مرجع كل فضل اونصر (٢) دعواه نفاد الذخيرة والمال (٣) انقضاض السنوسيين عنهم (٤) مطاعنه فى السيد السنوسى وطريقته (٥) قدحه فى رشيد بك واخوانه (٦) تناقضاته المدهشة ولنتكلم فى كل نقطة بايجاز

(١) اما عن النقطة الاولى فاقول ان مقاله وتصريحاته ليس بها غير مدح نفسه لدرجة ترفعه فوق نابليون وتجعل الضباط والعرب اخوانه كلاشى مع ان العالم يشهد انه لولا بسالة العرب واصرارهم على الحرب لما استطاع عزيز اوالف عزيز منازلة الطليان (٢) دعواه نفاد الذخيره مع انه هو الذى افسدها وصرح بانه اطلق اخر رصاصة فى جبهة جنوده و يناقضه محاربته للعرب فى الطريق واطلاقه المتراليوز عند عينى التميمى والسلوم و دوام المجاهدين على الحرب حتى الساعه كل هذا يكذب دعوى نفاد الذخيرة اما عن الميرة فاحراقه العنابر بدرنه وطبروق والسلوم ونكايته بالتجار يفند هذه الدعوى واما القول بانقطاع المدد المالى فكذب صراح فالمبلغ الوارد اليه من اللجنة العليا الذى اخذ منه عهدى مبلغ الثلاثه الاف جنيه يفند ذلك وادعاء عزيز بانه اعطى عند السلوم السلاح للعرب ومنح كل رجل منهم جنيها يبين كذب دعواه ولقد صرح لى كثير من الضباط بانهم لو علموا هذه الحقائق ما تحركوا معه ولا ساعدوه على الاضرار باخوانهم المجاهدين و من الغريب ان عزيزا يدعى انقطاع المعاونه الماليه و بمصر اللجنه العليا تدحض اقواله وان فى تصريح عزيز للضباط بالسلوم بانه اخذ مبلغ ستة الاف جنيه لتوزيعها عليهم بالاسكندريه بعد دفع اجور نقلهم ما يزيد افتضاحا ويجعل السبب الذى بنى عليه رجوعه تنقض من اساسه (٣) اما مطاعنه فى السيد السنوسى وطريقته فهى مالا يصدر من ضابط كبير عربى شهم وانى اقدم للقارئ بعض جمل منها ليرى الدرر الغاليه التى قلدبها عزيز

جيد من عينه للقيادة العامه وجعله رئيس مملكة واسعة (١) اتهامه السيد هلال بالخيانه بدون ان يثبت ذلك وها نحن نتحداه بنشر خطاب السيد المذكور لتسود وجوه وتبيض وجوه ولكن لا بد من نشره بالزنكو غراف حتى لاياتى عزيز

بمثل مادعى على رشيد بك فى جوابه المفتعل (٢) ادعى عبادة السنوسين للمال وعدم اشتغالهم الالاجله واليك بعض اقواله (لما كان انور موجودا قبل الحرب البلقانيه وكان المال يرد علينا من مصر وتركيا وكل مكان كان السنوسيون من اعز اصدقائنا وكان الشيخ الكبير يعدنا كل يوم بانتقاله الينا للانتظام فى صفوفنا وقد ابثنا ننتظر تنفيذه اكثر من ثمانية شهور الى ان حضر الشيخ اخيرا بالقرب منا فلم يفعل الامعاكسة ودس الدسائس لنا وربما كان يظن أننا اغنيا فلما خابت اماله غضب علينا) الله الله ياعزيز اذ كان .قصده المال فلماذا لم يقبل ضخم المرتبات نظير سكوته فقط عن مناوأة الاعداء ولماذا نراه يحارب اليوم ويحرز النصر الباهر فى الوقائع الاخيرة الان قولك لايضر الشيخ بشئ (٣) (ان السنوسيين كقساقسه الروس يميشون ليأكلوا وكان قسم منهم قدعقد الصلح مع الطليان منذزمن انور بك والجزء الآخر عدل عن الحرب منذزمن) اما ان السنوسيين كقساقسه الروس فقول ما كان ليصدر عن قلب ذاق حلاوة الاسلام فى حق اكبر رجاله العاملين القوم الذين هدوا الملايين المديدة الى الشريعة الغراء وعلموا الناس حقيقة دينهم وارشدوهم الى حياة الجد والعمل ما كان لاحد ان ينطق فى حقهم بمثل هذه الالفاظ واما انهم يميشون ليأكلوا فان لم نرد ابصر حقيقة مجهوداتهم المباركة ولولم يكونوا اهل تقشف وتقوى لركنوا الى الرفاهية ولقبلوا مدنية الغرب ولاصبحوا فى الرقاعة مثل اغلب المستحضرين. اما ان قسما سلم منهم فى زمن انور فيكذبه قول عزيز انهم كانوا يومئذ من اصدق اصدقائنا واما ان القسم الباقى سلم اخيرا فيكذبه اولا حروبهم المستمرة حتى الساعة وثانيا اعتراف عزيز على صفحات جرائد مصر ان السنوسيين هم اصحاب النفوذ العظيم من شاطئ البحر حتى انهاء الصحراء واواسط افريقية فلو انهم سلموا لمابقيت هنالك حروب . ولووجد الف عزيز وعزيز ويكذبه تصريحات عزيز لمرخص الطليان كاسيرى القارئ فيمايلى (٤) (ان السنوسيين ليسوا عربا بل هم جماعة نزحوا الى طرابلس من تونس والجزائر) لقد جهل عزيز انهم من اشراف المدينة المنورة ورؤساء قبائل اليمن وهم بالطبع ليسوا عربا مثل قبائل الجركس المتجولة بالقوقاز (٥) (اما الشيخ السنوسى الكبير فهو عندى ان لم يكن خائنا فهو لايدرك شيئا فى السياسة فقط وليس له اقل خبرة بالمسائل الحربيه) ما اجمل صدور هذه الاقوال ممن كان فى مخابرات مع الطليان على تسليم برقه لهم وممن صرح انه

عند ماجاء رسل الطليان ليخبروا بمجيء منصور الكخيا شرح لهم حقيقة احواله وبين لهم انقضاء مهمته!!!

اما الشيخ السنوسى فاشهدالله انه لايدرك شيئا من سياسة بيع ممالك الاسلام لاعداءالدين واصرح بانه لايعرف من سياسة ارغام الناس على تقديسه ونهب اموال المسلمين وهدر دمائهم شيئا واعترف بانه لم يتخرج فى اى مكتب حربى ولكنه حتى الساعه يحارب فرنسا فى الصحراء وودای وتشاد وايطاليا فى برقة وطرابلس واحرز انتصارات باهره بحسن ثقته بالله ومهارته وجميل تدبيره ونفس عزيز بك فى مخابراته مع الطليان اعترف للاستاذ بالدهاء العالى الذى لاتحيط به سياسة الطليان عندالكلام فى مسألة ارسال الكخيا فكيف يأتى بمثل هذا التصريح الغريب ؟

(٤) اما مطاعنه فى رشيد بك ورمزى بك فلا يهمنا تفنيدها لان هذا يرجع لاحياء يستطيعون الدفاع عن انفسهم ولكنى اقول انهما كانا اقرب الناس الى عزيز حتى تعارفا بالسيد السنوسى وباتا عنده ليلة ثم اعترض رشيد على ما كتب عزيز على صفحات الجرائد المصرية ضد السيد السنوسى اما عبدالعزيز كرم فماقال له عزيز مالك وهذه الحياة القاسية تعال ارسلك الى المسير لتشتغل فيه لمدة ثلاثه اشهر تصبح بعدها من كبار الاغنياء فلم يقبل الرجل فامر عزيز به فى الصباح ان يقتل حتى لاينفضح سره فهربه رئيس الادارة لعلمه ببراءة الرجل وتعمد عزيز قتله ظلما. هذه هى الحقيقة المجردة عن الاغراض .

(٥) اما تناقضاته المدهشة فقدمر بالقارئ بعضها والان نأتيه ببعض منها ونعترف باستحالة المامنا بجميع تصرفاته المتضاربة المتناقضة .

. قال عبدالعزيز ان رشيد بك ورمزى بك كانا السبب فى احتلال الطليان القبقب بسبب تباطئهما فى الطريق وان العرب سجنوهما لاتهامهما بالخيانة والحقيقة ان عزيز ارسل مدفعين اليهما وتركهما وانهما لم يسجنا بل كانا ليلة ضيوفا على السيد السنوسى فارتاع عزيز من هذه الرابطة. ومن العجيب ان عزيزا يقول انه بعد ان رتب خطة الهجوم على العدو فى القبقب تركها لرشيد بك فكيف ولاه القيادة اذا كان خائنا ولماذا ولاه القيادة بالسلوم عند سفره الى الاسكندرية مادام رعديدا تكرهه الجند ؟ ثم دعوى اطلاقه اخر رصاصة فى جبهة جنوده ثم قوله فى تصريح آخر ولم يبق عندى سوى ١٤ قنبله من قنابل المدافع الكبيرة ثم قوله بتسليم العرب السلاح والذخيرة وكذلك دعوى اطلاعه رسل الطليان على الحقيقة ومطالبتهم

باحضار بأخرة لحمله وجنوده ثم خطابه الذى نشرته له صحف مصر مدعية انه ارسله الى الطليان عند اقترابه من الحدود المصرية متوعدالهم بالحرب والانتقام والخ ودعوى صداقة العرب وشجاعتهم مع اتهامه السنوسين اصحاب النفوذ على العرب بالخيانة وتصريحه بكسره حملة طليانية فى الفج بدون ان يشترك فيها احد من العرب ودعوى نفاد الذخيرة والمال واستحالة البقاء وتصريحه انه رسم خطة للقتال يستطيع بها الدفاع مدة سنتين تماما فرفضها السيد السنوسى ودعوى تسليم بشارة والبراعصه للطليان مع تصريحه بصداقة العرب واعترافه باقامة رشيد بك وغيره حول قبقب اى ببلاد البشارة كل ذلك دعاوى متباينة واقاويل متقاربه اماقوله سلمت البشارة وذهبت فوجدت الشيخ السنوسى بينهم فرح مما يفعل الخ فاذا كانت سلمت البشارة للطليان فكيف لم يقبضوا على السيد احمد الشريف ؟ وكيف لم يقبضوا على عزيز عنده مادامت القبيلة مناصرة لهم ؟ هل حفظ نفسه القائد الهمام بقوة سحره اومعجزته ؟ ومن المتناقضات دعوى فرح السيد احمد بعمل القبيلة وتصريحه فى مكان آخر عند الكلام على استدعائه الكخيا (فظننته صادقا فى اقواله نظرا للحالة) ودعوى استعمال السيد السنوسى الدسائس للتخلص منه مع تصريحه بتجرده عن ادراك اى شئ من السياسة ودعوى بكاء الجنود والعرب عند المفارقة وتصريحه بمقاتلة العرب فى الطريق خمس مرات الى غير ذلك من المتناقضات التى لايمكن حصرها

من كل ماتقدم يتبين للقارئ ان عزيز بك لم يلتزم الصدق فيما قال وحسبه انه اخذ اموال المجاهدين بغير حق وخرب التلغراف والتلفون والعنابر والاجزاخانات مع ان برقة لها استقلالها الادارى الممنوح لها بفرمان شاهانى وهذا العمل خرق له من جهة واهانة موجهة ضد العالم الاسلامى من رجل يدعى تمثيله لجلالة السلطان خليفة المسلمين وقائد جيش الاسلام العام. كل هذه مسائل تستحق العناية والمحاكمة بعد التحقيق والتدقيق فنلفت نظر الحكومه لذلك ليتبين الحق وها نحن ننشر خطابات السيد السنوسى ومنها مانشر على صفحات جرائد مصر بالزنكوجراف والبعض ننشره اليوم وسنطبعه فى العدد الآتى بالزنكوجراف وكذلك تصريحات رشيد بك وصورة مخابرة عزيز بك مع مرخص الطليان اكمالا للموضوع هدانا الله الى سواء السبيل واخذ بناصر العاملين

احمد جاويش

صورة مكاتيب السيد

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

من عبد ربه سبحانه احمد ابن السيد محمد الشريف ابن السيد محمد الشريف ابن السيد محمد بن على بن السنوسى الخطابى الحسنى الادريسى

الى الاجل الافضل الابن الامثل غاية الوداد ونهاية السداد اخينا محمد افندى الاصمع صانه الله وابقاه وادام وجوده وعلاه امين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته وبعد بموجب السؤال عنكم وعن كلية احوالكم اجرى الله الصالحات على وفق امالكم والذى وجب به الاعلام اليكم اوصيكم بتقوى الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واحذركم من عزيز على واتباعه فان امرهم قد اتضح وبانت اعمالهم للخاص والعام عيانا وباعوا هذه البلاد بجميع من فيها وارادوا اتلاف جملة الاسلحة والجبخانة التى عندكم وارادوا تخريبها لا بلغهم الله شيئا من مقاصدهم .

وانتم بارك الله فيكم ردوا بالكم وجملة الجبخانه التى عندكم اخفوها واحفظوا المدافع لعلهم يأخذون من براريمها وكذلك الاسلحة والمتراليوز وكل من يلحقكم فيه شك فباعدوه منكم ولا تتركوه يشاهد احوالكم وعرفوا الخاص والعام بذلك وبينوا له ان يحافظ على ماعنده ولا يصلح لاحد من هؤلاء شيئا والله تعالى يحفظكم ويرعاكم ويكون لناولكم وليا ونصيرا ولازال دعاؤنا الصالح لكم الخ الخ .

كتاب العزل

الحمد لله وحده والسلام على من لا نبى بعده

انه من عبد ربه سبحانه احمد الشريف السنوسى الى الاخ عزيز على سلمه الله

بعد مزيد السلام فاننا فى السابق فوضنا لك الامور وجعلناك أمينا وقدمناك على انفسنا ولم نسالك عن جليل ولا صغير واعلنا فى جميع الامصار بعزتك

ورفعتك وسرنا معك بنية صادقة وبعد جميع ذلك خنت جميع المسلمين وخنتنا فانا نبرأ منك لست منا ولا نحن منك فارفع يدك من جميع الامور لان الوطن سلمه لنا مولانا السلطان وانت اذهب اين اردت وانا اعلن بذلك الخاص والعام الخ الامضاء

مكتوب من السيد الى رجل عظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

انه من عبد ربه سبحانه احمد بن السيد محمد الشريف بن السيد محمد بن السنوسى الخطابى الحسنى الادريسى الى حضرة الهمام الاسعد والودود الخلاصة الارشد ذى المآثر الباهرة والمناصب العلية الفاخرة المحب الاكرم والصفى الاود الافخم . . . . بلغه الله من الخيرات ماشاء واسعد ايامه الزاهرة ومتعه بسعادة الدنيا والاخرة امين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته وبعد فموجب السؤال عن احوالكم الميمونة وذاتكم العليه المصونه حفظها الله وصانها واعلى فى الدارين مقامها وان سألتم عنا فانا بحمد الله تعالى وجميع المجاهدين فى خير وعافية ونعم متوالية لازلتم ان شاء الله كذلك جارين فى جميع اموركم اقوم المسالك وقد من الله علينا بالحلول بدور درنه يوم الجمعه الموافق ٩ من شهر تاريخه وصادف قدومنا خروج العدو على الدور بعدة وعدد هائلين فخذله الله تعالى وحصل النصر العظيم وقتلو امنهم واسروا وغنموا مايخبركم به ولدنا عبدالعزيز بن عبدالغنى شفاها ان شاءالله لازال المسلمون مصحوبين بالعز والنصر والعدو فى دوام الذل والقهر ولما حللنا بالوطن وجدنا بعض فتور عندالاهالى من فساد آراء بعض الضباط والان ولله الحمد حصل لهم تمام النشاط وكمال الارتباط والفقير ومن اطاعه لايفترون عن مدافعة العدو والجهاد حتى يخيب أمل الكافرين ويرتحلوا من جميع هذه البلاد والله تعالى هو المعين بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الصالحين وغير خاف على شريف علمكم

معاش هذا الوطن خصوصا حيث اشتغل اهله عن اصل معاشهم الذى هو الحرث فالمأمول من جزيل كرمكم ان تبادروا المجاهدين بما يقاومون به الاعداء من الجهاد وتجعلوا ذلك باسم العاجز ليسلم من التغيير والفساد ويكون تسليم ماحضر منه لولدنا عبدالعزيز عبدالغنى . هذا والقومندان العام كنا نؤمل منه حسن القيام بالوظيفة والنصر للاسلام فلما حضرنا وتأملنا وجدناه على خلاف الظن حتى انه بعد هذه الوقعه كاتب العدو بما لايليق من غير مشورتنا وصار العدو بجميع جيوشه للهجوم على الادوار فاوجبنا ذلك الى عمل سياسة يمكننا بها جمع الجيوش ووصول الخبر اليكم فكاتبنا العدو على هدنة ايام قليلة وطلبنا مندوب دولتهم منصور كخيا ومع هذا فلانعطى العدو راحة ولانترك محاربته مابقى فينا رمق وحيث انا قومندان بدامنه سوء المعاملة وعدم النصح للمسلمين فاردنا ابداله برجال مخلصين مقتدرين ليحصل بهم الاطمئنان ويقوموا بالجيوش وتتم بهم مصلحة المجاهدين ونحن لانبغى مع العدو شيئا غير الحرب ومالنا قصد غير اعلاء كلمة لله وابقاء دولتنا العلية ايدها الله ونصرها وادام عزها وشوكتها ولازال الدعاء الصالح منا ومن المجاهدين لجميع اخواننا المسلمين فى ٢٧ رجب سنه ١٣٣١

الخاتم

صورة مكتوب ورد من الحضرة السنوسية الى صاحب مجلة الهداية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

انه من عبد ربه سبحانه احمد بن السيد محمد الشريف ابن السيد محمد ابن على بن السنوسى الخطابى الحسنى الادريسى الى عمدة الافاضل ونخبة النجباء الاماثل ذى الهمم السنيه والشيم الفائقة المرضيه غاية الآمال ونهاية المجد والكمال اخينا الشيخ عبد لعزيز جاويش لازال من الله فى خيرات وعز دائم مدى الاوقات امين

السلام الاسنى والتحية المباركة الحسنى عليكم ورحمة الله وبركاته وتحياته ومرضاته وبعد فانه وصلنا كتابكم واعظم ما استفدنا منه سلامتكم وعافيتكم اوصلكم الله الى أتم رضوانه وغمركم بوابل فضله وامتنانه وان سألتم عنا فانا بحمدالله وكافة من معنا بخير وعافيه والآء ضافية وافيه. المامول منه تعالى الاتزالوا كذلك سالكين فى جميع اموركم اقوم المسالك انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير . واحوال الطرف سارة قارة لولا الافسادات التى اجراها الذليل المسمى بعزيز فانه سحب جميع القوه وساقها . وجميع المهمات الحربية افسدها ولم يترك منها شيئا بلاخراب ومن جملة افساده انه جعل ساقية ووضع فيها الجبخان وصار يسقى فيها بالماء حتى افسدها وما غرضه الا ان يملكنا ومن معنا الى العدو فخيب آماله ومسعاه ولانفاذ وعده اجرى ما اجراه ويخبركم حامله صنوكم عبداللطيف جاويش بجميع ذلك تفصيلا وقدصارت بعد الذليل وقائع وغنم المسلمون فيها اسلحة ومدافع وجبخانة وامتعة كثيرة لاتحصى وصارت فى العدو تلفات كبيرة من النفوس لاتستقصى . . . . وحثوا كل من فيه مروءة على اعانة اخوانهم ومساعدتهم نرجوه تبارك وتعالى ان يكون فى عون الجميع على مايحبه ويرضاه بحرمة النبى الشفيع صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ولازال دعاؤنا الصالح لكم مبذولا والله يتولى اجابة وقبولا وسلموا لنا على كافة الاخوان والمحبين ومن عندنا يسلم عليكم كافة الاخوان تاريخ ٤ شعبان سنه ١٣٣١

الختم

تصريحات رشيد بك

جاءتنا النشرة الآتية من حضرة محمد شكرى بك مدير مدرسة الاتحاد والترقى للبنات بالاسكندرية ومكاتب رصيفتنا الغراء تصوير افكار هناك فاحببنا نشرها حرفيا اتماما للفائدة وهذه الترجمة :

عند ماخلت الجنود والعساكر العثمانية درنه وبنغازى وانسحبت من درنه اردت ان اعرف اسباب الانسحاب الحقيقى وقداسترعى نظرى امرمهم وهورؤيتى

الجرائد المصرية تنشر المقالات المطولة مدحا ودفاعا عن عزيز على بك القومندان العمومى بينما هى ترفض نشر شىء ما لرشيد بك دفاعا عن نفسه وعن الحقيقة ولقد تبين لى ان عزيز بك رأى من منفعته الحقيقية أغلاق صفحات الجرائد فى وجه رشيد بك حتى لا يفضح اسراره ويناقشه الحساب وقد اردت ان اظهر للقراء الفرق الهائل بين ادارة القومندانين انور بك ومحبته لوطنه وخدماته لدينه وعزيز بك والطعنة النجلاء التى صوبها لقلب الوطن والاسلام وانى لاستحلف ارباب الصحف بحق الوطن ان ينشروا هذه المحادثة برمتها تنويرا للرأى العام وخدمة للحقيقة

س ١ — مامقدار مدة وجودك بميدان القتال مع عزيز على بك قومندان درنه وبنغازى العام وماذا كانت وظيفتك ؟

ج ١ — حوالى الثمانية شهور كنت فيها قومندانا لدرنه

س ٢ — كيف تولى عزيز بك القيادة بعد سفر انور بك . وهل صحيح ماقيل من انه كان دائم الطعن فى الترك والمحاباة للعرب وطالما سعى لالقاء بذور الشقاق بين العنصرين لدرجة حملت احد الضباط الذين استشهدوا اخيرا وهو من اهالى برقة على ان يصيح به قائلا الا فليعلم كل انسان انى اول من يغمد رصاص مسدسه فى صدر كل من يهجو الترك او يصفهم بنقيصة ومن هو هذا الضابط المذكور ؟

ج ٢ — عندما سافر انور بك حضر عزيز بك الى درنه ومكث بها اربعة اوخمسة ايام سافر بعدها الى الجغبوب حيث استحصل على توكيل من السيد احمد الشريف صانه من اعتراضات العرب اما الحركة العربية فقد لقيت من جرائها بسبب قلة الاموال اعظم المشكلات مدة شهرين كان عزيز بك بانهما فى السلوم وثم يأت الى درنه لانه وجد فى ذلك راحة من هذا العناء اما الضابط الذى تجهمه عند طعنه فى الاتراك وقال له انى اول من يغمد رصاص مسدسه فى جوف هاجى الاتراك فهو المرحوم محمود نديم افندى الضابط الذى استشهد فى الموقعة الاخيرة بعد ان ابدى من الشجاعة ماجعله فى مصاف الابطال

س ٣ — ماهو سبب انسحاب الضباط وجنودهم من ميدان الحرب ببرقه ؟

ج ٣ — انسحبنا بسبب الاشاعة التى اذاعها عزيز بك من ان مصر لن تعاوننا بعد اليوم

س ٤ — اصحيح ماقيل من عدم وجود اثر للذخيرة لديكم فى موقعة ٣ مايس سنه ١٣٢٩ ؟

ج ٤ — ان ذخائرنا لم تكن قط اقل مما كانت عليه فى عهد انور بك

س ٥ — اصحيح ماقيل من ان عزيز بك اعطى الطليان مقادير وافرة من الذخيرة؟ وكيف كان ذلك اذ يقال انه قد ثبت امكان تهريب الذخيرة من قبل ؟

ج — ٥ ان الذخيرة ضاعت لوضعها فى مقر معسكر بنغازى ولعدم نقلها فى الوقت الملائم الى مكان منيع بعيد عن خط النار

س ٦ — اصحيح ماقيل من ان السيد احمد الشريف السنوسى صادر الذخيرة وارسلها الى الجغبوب ؟

ج ٦ — ان هذه الاقوال افتراء بحت ولا اصل لها بتاتا

س ٧ — لقد سمعنا بعض صغار الضباط الذين فى معية عزيز بك يقولون انه ماترك معسكرى درنة وبنغازى الا لنفاد الميرة والذخيرة ولكن كتابات السيد احمد الشريف السنوسى التى نشرتها جريدة البورص اجيبسيان الفرنسية بالزنكو جراف تفيد ان السيد الشريف طرد عزيزا لاشتباهه فى سيره فاى القولين هو الحقيقة ؟ وهل لم يكن من الممكن تدارك الميرة مادامت النقود موجودة ؟

ج ٧ — ان انسحابنا من برقة على اثر ورود مبلغ تسعة آلاف جنيه كان نتيجة دسيسة مؤامرة دبرها عزيز بك الذى عند ماتيقن طرده باستلامه الكتب التى رأيتموها فى البورص صرح للضباط بان مصر لن تمدنا بعد اليوم بشئ قط وان ليس لدينا من المال سوى ألف وخمسمائة جنيه فى السلوم وهى تكفى نفقاتنا اذا تحركنا من هنا الى ان نصل الى السلوم فنحن والحالة هذه ليس لنا من طريقة سوى الانسحاب من ميدان القتال. هذه الاقوال أثرت فى نفوس الضباط والجنود واوهنت قوتهم المعنوية ثم ان ارسال عزيز قوة من الجند لاحضار اسرى الطليان أدى الى انتشاب معركة بين الجند والعرب انجلت عن استشهاد نفر وجرح ثلاثة واشتداد النفور والبغضاء بين الجند والعرب وهذا مما جعلنا نسرع بانسحابنا مع انه لو بعث فى هذه المهمة بدل الجنود التركية زمرة من بلوك المحافظين ماحدث شئ من ذلك قط ولتعلم انه لم تكن هنالك من حاجة ابدا لاستقدام اولئك الاسرى اليه .

س ٨ — من ذا الذى سبب المعركة التى وقعت اثناء مجيئكم من درنه واسفرت

عن قتل نيف ومائة من المسلمين ؟ الم يكن في الاستطاعة تجنب هذه الحرب لو سار عزيز بحكمة وتدبير ؟

ج ٨ — لقد استشهد في هذه المصادمة زيادة عمن ذكرت من العرب الضابط المسمى عارف افندي ولقد كان رحمه الله من خيرة اخواننا القادرين اما منع هذه المصادمة لي هذه الاونة فلم يكن ممكنا ولكني لو علمت من قبل حقيقة وجود المال الذي كان بالسلوم والذي كان يكفي لادارة شئوننا زمنا طويلا لفعلت كما اراد السيد احمد الشريف واخرجت عزيز علي بك من ميدان الحرب كما ذهب الذين من قبله ولاستطعت تسريح الجند وارسالهم الى بلادهم بكمال الرفاهية والسعادة ولامكنني بكل نجاح تسريح افراد قرعة سنه ٢٤ عن آخرهم

س ٩ — هل هنالك من صحة لما قيل من ان السيد السنوسي اراد جعل العسكر في جهة فيضيه وفات بينما عزيز اراد ابقاءه في جهة السيد رافع وان تداخل الشيخ السنوسي في الشؤن العسكرية لم يقبله عزيز وكان ذلك من اسباب النفور والشقاق

ج ٩ — ان تداخل الشيخ احمد الشريف في الشئون العسكرية ليس بذي اهمية اذ لم يكن بدرجة تجعل المسلم لايحتملها وان هذا العمل يرجع الى انا اكثر من عزيز لانني كنت حينئذ دائما في اختلاط وتماس مع السيد احمد الشريف

س ١٠ — أصحيح ماقيل من ان عزيز بك طلب اموالا من الطليان

ج ١٠ — نعم هذا قول صحيح

س ١١ — كم مرة تخابر عزيز مع الطليان وعلى اى شيء تخابر وما هي اسماء مفوضي الطليان . هل لك التكرم باخباري عنها

ج ١١ — انه تخابر سبع او ثماني دفعات وكان مدار المخابرة استحصاله على اموال وتعهده بترك ميدان القتال اما رسل الطليان فيوز باشي اركان حرب ويوز باشي استحكامات ومترجم واحد المامورين الملكيين واما اسماؤهم فلااعرفها

س ١٢ — كم مرة وردت اموال الى عزيز مدة مأموريته وما مقدارها وكيف صرفت

ج ١٢ — بعد انعقاد الصلح اتى لنا سبعة الاف فاربعة الاف فعشرة الاف فثمانية الاف وآخر دفعة تسعة الاف جنيه هذا عدا واردات السلوم العظيمة وزيادة عن ان انور بك ترك مقادير عظيمة من الارزاق اما عزيز بك فقد كان يرى

إن خزينته الخصوصية آمن من هيئة الادارة المسئولة اما هذه فكان صرفها فى سبيل اجتذاب السنوسيين وجعلهم طوع اشارته والقبض على امارة برقة وحفظها لنفسه وتأسيس حزب قوى وبالجملة فقد صرف هذه الاموال فى امور غير معينة وغير نافعة اجلها كان استمالة مشايخ العربان

س ١٣ — اصحيح ان عزيزا اخذ من الطليان مليون فرنك على ان يذهب الى اليمن ويثيربه فتنة وما هى معلوماتك فى هذا

ج — ١٣ سمعت ذلك وهو امر شائع ولكنى لا اعرف حقيقته ومع هذا فالسيد السنوسى كتب الى الادريس والامام يحيى بعدم الجفاوة به

س ١٤ — هل ارسل عزيز بك مع الضابط عهدى افندى مبلغ ثلاثة آلاف جنيه ومن اموال من ؟ وهل صحيح انه ارسل قبل الآن اشياء تعد ببضعة آلاف من الجنيهات

ج ١٤ — ان الثلاثة آلاف جنيه التى اخذها عهدى افندى لايصالها لمنزل عزيز بك اخذت من الاموال المرسلة الى المجاهدين من تسعة الآلاف التى ارسلت اليهم اخيرا بدون ان يكون لدى هيئة الاداره اولدى ادنى معلومات ولقد اضطر ان يعترف امام الضباط بهذه الحقيقة بعظمه وشمخة بانه اخذ هذه الاموال وكان هذا الاعتراف سببا لخلاصه على ما اعتقد أما ارساله اموالا اخرى الى بيته فلا علم لى بها

س ١٥ — قيل ان عزيزبك ارسل الى الاستانة احد الضباط المسمى عبدالله افندى لكى يقف على الاحوال العمومية والرأى العام ويكتب له متصلا فهل هذا الشخص ضابط ومن اى الاى هو وماذا كانت احواله مدة وجوده فى درنه

ج ١٥ — ان عزيز بك لايمكنه ارغام عبدالله افندى المذكور على قبول ذلك اما الافندى المذكور فقدكان طالبا بالسنة الثالثة من القسم النهائى بالمدرسة الحربية واخرج ظلما لسبب مسئلة سياسية والحق بالآلاى وهو كفء لان يكون ضابطا قديرا وهو ليس ممن يقبلون امثال هذه الاشياء

ش ١٦ — من هم الافندية احمد شاهين . ولطفى وقدرى وعزيز الذين يطعنون عليك ويدافعون عن عزيز بك ؟ هل هم ضباط ؟ وما ذا كانت وظائفهم بدرنه وماذا كانت مرتباتهم وان كل واحد منهم ليصرف كل ليلة على . . . . . وبقهاوى الرقص اربع اوخمس جنيهات فمن اين لهم كل هذه الاموال ؟

ج ١٦ — ان عزيز وقدرى افندى كل منهما عسكرى حائز رتبة جاويش اما احمد شاهين فرحل كان طرد من سفن خفر السواحل المصرية واما لطفى فلا اريد تعريفك به اذفى استطاعتك ان اردت معرفته ان تسأل ممن عرفوا اقامته بالاسكندرية واما مرتب كل واحد منهم فكان عبارة عن اربعمائه غرش واما مصدر النقود التى يبذرونها ذات اليمين وذات الشمال فيمكنك معرفته من الاهالى وماهو بسر مكتوم

س ١٧ — هل لديك معلومات عن الوليمة التى قام بها البعض بالاموال المدفوعة اكراما لعزيز على بك ومن ذا الذى دفع الاموال ؟

ج ١٧ — ان هذه الوليمة عملت باموال عزيز بل استغفر الله من الثلاثة الاف جنيه التى سلمها من السلوم وبعث بها لمنزله ولقد سمعت ان القائمين بها هم مدير وجريدة المقطم ومحررو امثالها من الجرائد (المعروفة)

س ١٨ — اصحيح ان الجرائد رفضت نشر دفاعك عن الحقيقة وان عزيزا قد اغراها بعمل ذلك ؟

ج ١٨ — نعم ان دفاعى الذى سطرته لم تنشره الجرائد حتى انى ذهبت بنفسى الى مصر ومررت بجميع ادارات الجرائد فلم اجد منها مناصرا للحق فاضطررت ان التجئ الى جريدة البورص الفرنسية

س ١٩ — قيل ان عزيز على بك فى طريقه الى السلوم كان معه اسيران من الطليان وانه رفض تسليمهما لحكومة مصرا ولا ولكنه لما رآه من شديد التضييق سلمهما فمن اين اتى بهما ؟ وهل هذه الرواية حقيقيه ؟

ج ١٩ — ان تسليم الاسيرين للحكومة كان من جراء اتحاد الضباط على ذلك واجبارهم عزيزا على انفاذه لاننا تأكدنا ان عزيز بك كان يريد تسليمهما بيده لقنصل ايطاليا ليظهر لهم وده ويكون قد قدم لهما جميلا ففعلنا ذلك احباطا لمسعاه

س ٢٠ — أصحيح ماقيل من ان عزيز على بك اخذ بعد سفر انور يتصدى من والاه من الضباط ويرهقهم ويحقرهم حتى يرغمهم على مفارقة ميدان القتال وانه طالما طعن وشهر بانور بك ؟

ج ٢٠ — انه ما كان ليجرأ على تحقير وارهاق الضباط لان الضباط الذين بقوا بعد سفر انور بك كانوا موضع احترامهم الاخوى اما طعنه فى انور بك كلما سنحت له الفرصه فكان يعتبره كشرف عظيم

س ٢١ — هل تعلم ان عزيز على بك دفع لحامد افندى المليجى ستين جنيها على دفعتين ليجعل جريدة الافكار تتغنى بمدحه وتنشر اعلانات الثناء عليه ؟

ج ٢١ — نعم سمعت ذلك من أفواه الكثير

س ٢٢ — يقولون ان عزيز على بك شركسى الاصل فهل لذلك القول من صحه ؟

ج ٢٢ — انى ما كنت اعلم ذلك من قبل بل كنت اراه عربيا مفرطا ولكن سحنته كانت دائما تريبنى فى جنسيته وتدعونى للبحث عن حقيقته ولذلك لما جئت الى مصر حادثت بعض شركس المصريين فسمعت ما ادهشنى لانى عرفت ان ذلك المفرط فى حركته العربية لدرجة تجرئه على تشويش اعمال الحكومة ذلك الرجل الذى قام بحركته المعروفة ببنغازى والده من قبيلة اوبوخ من عائلة شحيه وكان اسمه شحيه زكريا نسبة الى هذه العائلة ومات وهو لا يحسن غير لسان قومه الشركسى . هذا ما اكده له الثقات العارفون

س ٢٣ — ماذا عمل عزيز فى حركته العربية الان وجود انوربك فى برقه؟

ج ٢٣ — يمكنك الوقوف على ذلك جيدا من ياوره الملازم رمزى افندى

س ٢٤ — اصحيح ما كتبه لطفى افندى عن لسان عزيز بك من انك طردت من السلك العسكرى وانك الانملكى وانك فى الدور السابق فتحت دكانا فى ايلبصان وانك هاجمت دار الحكومة وقائمقام لوشنه ؟

ج ٢٤ — انى اشرح لك الحقيقة. انا لست بمطرود من العسكرية بل مستقيل وفى الدور السابق فتحت دكانا فى ايلبصان تحقيرا للحكومة الحميدية وان عزيزبك لم يعط لطفى افندى الاجزاجى الذى استكتبه هذه الدعاوى حقيقة ترجمة حياتى او لم يشأ اعطاءها قصدا ولما لم اتمكن من ايلام الحكومة الحميدية بهذا العمل كنت وبرفقتى الشهيد المحترم مصطفى نجيب بك وبعض الرفاق احتل ادارات تلغراف ايلبصان فتيران فدبره فلوشنه مدة من الزمن ثم نقلت الى ازمير وهنالك اخذت كتيبة من الجند المكلف بمطاردة الاشقياء معها مقادير وافرة من الذخيرة وبنادق موزر واعلنت عصيانى للحكومة الحميدية فازعجت عبدالحميد وحرمته طعم المنام عدة اشهر وعقب اعلان الدستور استقلت . هذه صحيفة جهادى الذى اعتبره شرفالى يقلبها عزيز على بك ويسعى فى اضلال الرأى العام واجتذابه اليه مرتكنا

على اغلاقه ابواب الجرائد فى وجهى ولكن الحقيقة لا يمكن اخفاؤها خلف سجف التضليل طويلا

س ٢٥ — هل كان انور بك زمن قيادته يضع الاموال الآتية اليه فى خزانته الخصوصيه اوكان يسلمها لهيئة الاداره ؟

ج ٢٥ — ان انور بك لم يكن من عادته حفظ خزانة خصوصيه له بل كان شديد العناية بجعل الاموال تحفظ فى جهة الاختصاص ولا يصرف شيئا الا بعد استيفائه جميع المعاملات الرسمية اللازمة

س ٢٦ — هل كان التصرف فى الاموال فى عهد انور بك حسب ارادته الشخصيه ام طبق المضابط الرسمية التى تنظمها هيئة الاداره ؟

ج ٢٦ — ان انور بك ماكان يصرف شيئا قط الا ماتأمر به الادارة العسكرية وتقرره دائرة المحاسبة

س ٢٧ — قيل ان عزيز بك وصله كتاب من احد الضباط الذين سافروا من السلوم الى ازمير مباشرة يقول فيه ان الحكومة العثمانية اجرت بعض التحقيق بشأن الحيوانات التى كانت بمعسكر برقة وانه اجابه بان هذه الحيوانات قد تركها للشيخ السنوسى فهل تعرف من هو هذا الضابط ؟

ج ٢٧ — انى لا اعرف من هو هذا الضابط المذكور

س ٢٨ — اصحيح ان بغال المدافع والمتراليوز وسروجها بيعت فى السلوم

ج ٢٨ — نعم هذه حقيقة اذ قد بيع هنالك خمسون اوستون بغلا

س ٢٩ — اصحيح مايقال من انك عزمت على العودة مع بعض اخوانك الضباط الى ميدان القتال برقه ؟

ج ٢٩ — كلا فانى قد قررت نهائيا الالتحاق بالجيش العثمانى المرابط فى ادرنه

س ٣٠ — اصحيح انك اشتركت مع احد اخوانك اشرف بك الشركسى فى التجارة بميدان القتال وانك ماخضت هذه الحرب الاسعيا فى استرجاع رتبتك ؟

ج ٣٠ — ان تسفل عزيز بك من درجة القائد العام الى هذه المجادلات الشخصية واحالته المدافعة عن اعماله ابان قيادته على غيره لاكبر دليل على عجزه ولو فرضنا جدلا انا اشتركت مع اشرف بك فهذا ليس بنقيصة وانى لا اصرح بانه لو اتيح لعزيز ان يوفق لعمل عشر خدمات صديقى اشرف بك الحسنة لارتفع

ذكره وحسنت سيرته بهذه النسبة اما اجتهادي لاسترجاع رتبق ومسلكي العسكري فليس بعار وليت شعري لو كنت تركته عقب الصلح فهل كان يستطيع منع اعادة رتبق الي ؟

س ٣١ — مامقدار الارزاق التي تركها انور بك عند سفره ؟ وكذلك ما مقدار ماارسل من الاسكندرية بعد ذلك ؟

ج ٣١ — لقد كان في منزل مخيله وحده مائة الف اقة من الارز اما مقدار الارزاق التي وردت من الاسكندرية فلا اعلمه

س ٣٢ — لقد تفضلت فقلت ان قدكان للسلوم واردات عظيمة فما مقدارها تقريبا وكم شهرا استغلت ؟

ج ٣٢ — كانت شهريا نيفا والفي جنيه واستغلت ثمانية اشهر تماما

س ٣٣ — هل تصدق على اجوبة هذه الاسئلة وتمضيها

ج ٣٣ — نعم اصدق واعترف بان هذه هي اقوالي

٢٥ تموز سنه ١٣٢٩ قومندان درنه سابقا

رشيد



الوحشية البلغارية

لم يسمع العالمون بافظع وابشع مما ارتكبه البلقانيون ولاسيما البلغاريون من ضروب الوحشية التى تقشعر منها الابدان وتستك لهولها الآذان . وفى كل يوم تسفر المشاهدات عن حوادث جديدة يسطرها التاريخ بمداد من دماء الآماق المنهمرة حزناً وحسرة على تلك النفوس البريئة التى اودت بها ايدى قصابى الانسانية وعلى ذلك الشرف الطاهر الذى عبثت به تلك الضوارى الكاسرة ، هذا فضلاً عن المساجد المهدومة والبيوت المخربة والمخازن المنهوبة والقرى المحرقة مما يطول شرحه . ولوكانت الحرب لاتزال مشبوبة لالتمسنا لأولئك ابرابرة الهمجيين سفاكى الدماء شيئاً من العذر اما والحرب واضعة اوزارها ومعسكرا الدولتين متجاوران وقد رفع الجند البلغارى اعلاماً بيضاء وطلب بنفسه السلام وحقن الدماء اثر احتلال جيشنا الظافر خط الحدود القديم فلامعنى للاستمرار على تلك المجازر البشرية التى لم ينفك وحوش البلغار يقترفونها بلا رحمة ولاحساب للعواقب .

وانا لننشر فى هذا المقام ماورد علينا من احد الاطباء المرافقين لجيشنا المرابط على حدود تراقيا اظهاراً لقساوة البلغاريين وغلظ اكبادهم وافهاماً للعالم الاسلامى بما يقع على اخواننا المسلمين واخواتنا المسلمات من المظالم والاهوال دون ان تحرك الانسانية الاوربية يداً أو ترفع صوتاً .

قال الطبيب الفاضل : « كل يوم تصلنا اخبار تفتت القلوب الحجرية وتصهر الافئدة الحديدية . ومن ذلك ان قد وصل الينا يوم الخميس الماضى ستة اسرى فارون فاخبرونا بقتل ثمانية آلاف اسير بجهة اسكى زغره وماجاورها . ولئن كان من نصيب أوربا العمى والصمم فهل من نصيبنا الشلل والبكم . البلغار يهلكون الحرث والنسل ويقتلون الاسرى ويهتكون الاعراض ولامن معترض بل نجبر نحن على النكوص الى خط ميديا واينوز بلاذنب اجترحناه ؟ سؤال جوابه سهل : ان ذنبنا العظيم هو ديننا الحكيم !

من يوم ان تحركنا من شتالجه الى يوم استيلائنا على الحدود الاصلية ونحن نمر على القرى الاسلامية فنراها خالية متداعية الاركان تجاوب الرياح فى جنباتها فالمساكن استطالت عليها السنة النيران ومافلت منها من الحريق لم يعده التدمير والتخريب وكذلك المساجد تداعت جوانبها فهى أطلال عافية الامسجدان استؤصلت منائرها وقبابهما فقط وتحولا مربطين للخيول ومراحيض لعساكر البلغار ! فاذا كانت اوربا لاتزال فيها ذرة من العدل والانصاف فلماذا لاتوفد من قبلها معتمدين يرودون البلاد المبتلاة بهذه المصائب ليروا مافعلته يد المسيحية « دين السلام » فى اناس لم يعمدوا الى امتشاق الحسام ولا آذوا احداً من الانام ؟ والا فسلاماً على الانسانية فى القرن العشرين ! ان هذه الفظائع ولاسيما قتل الاسرى لادعى سبب الى اشهار الحرب على بلغاريا التى استفحل شرها .

وقد نشرت جريدة طنين قائمة حاوية اسماء القرى والمدن التى ارتكب فيها البلغاريون انواع الظلم فآثرنا تعريبها . قالت الرصيفة :

هدم فى قرية كسيكى (٢٠٠) بيت ، وقتل (٣٥٠) رجل وقد اعدم هناك كل من حافظ الخبار يقجى واخوه صالح وطاهر جاويش امين صندوق اكرى دره السابق وامام القرية وهدم فى قرية طوسية بالا (٢٠) بيتاً وقتل (١٠٠) شخص وتخلص الباقون بواسطة الرشوة . وهاهى اسماء القرى التى خرب البلغاريون بيوتها وقتلوا قاطنيها

ناحية كوجكويران

اسامى القرى	البيوت	النفوس المقتولة	الجناس
طوسية زير	٣٠	١٣٠	اسلام
كوجكويران	٢٥٠	١٣٠٠	»
كيرسللى	١٢٠	٦٠٠	»
القاتللى	٢٠٠	١١٥٠	»
بزيركان	١٥٠	٨٠٠	»
اتيارجيلر	٢٠٠	١١٠٠	»
قيا اغاج	١٨٠	٩٥٠	»

ان بيوت هذه القرى هدمت جميعها وقتل اهاليها بالسلاح الابيض وقدرمى البلغاريون ٣٠ عائلة فى بئر من كلس واحرقوهم بما فى البئر من الكلس .

ناحيتا طولاشدير وداود

انعدد القرى الموجودة فىمديريه طولاشدير يبلغ ثمانيه ونفوسها تتراوج بين (٥٠٠٠و٦٠٠٠) وبلغ عدد نفوس مديريه داود (٨٠٠٠) وجميع اهاليهما مسلمين وقدباشرالبلغاريون اولاً قتلامامهما ووجهائهما ثم اهاليهما وعقب ذلك حولوا جوامعها كنائس واجبروا البقيه الباقيه من الاهالى على التنصرو تغييراسمائهم وقدارتكبوا اثناء ذلك من الفظائع مايكل اللسان عن تصويره فكم اذان قطعت وكم انوف بترت

مديرية حوطهلى

انالاعداء لم يتجاسروا على الدخول الى هذه المديريه نظراً لشدة يأس رجالها وموقعها الطبيعى المحاط بالجبال الشاهقه

قضاء آخى چلبى

القرى	البيوت	النفوس
باشماقلى	١٥٠	١٢٠٠
رايقوه	١٠٠	٧٠٠
طرسين	٢٠٠	١٥٠٠
قنديجق	١٥٠	٨٠٠

كوپری باشی	٨٠	٢٠٠
اودا باشی	١٠٠	٦٠٠
چامایجه	١٥٠	٩٠٠

وان قسماً من بيوت هذه القرى هدم وقتل قسم عظيم من اهاليها والباقون اجبروا على التنصر وهذه اسماء القرى التي احرق البلغاريون بيوتها واجبروا سكانها على التنصر .

القرى	البيوت	النفوس	الجنس
بالاس الكبيره	٣٥٠	١٨٠٠	اسلام
« الصغيرة	١٥٠	٩٠٠	«
طوپوقلی	٢٠٠	١١٠٠	«
چانقردره	٣٠٠	١٦٠٠	«
دميرجك	١٢٠	٦٥٠	«
فوزليجه	٨٠	٤٥٠	«
وولقان	٨٠	٤٠٠	« وپوماق
باشويك	٩٠	٥٠٠	«
كوكجه پيكار	١٥٠	٩٠٠	«
مصطقجوه	٤٠٠	٢٥٠٠	«
كتانلك	٢٥٠	١٥٠٠	«
الياسجه	٢٠٠	١٣٠٠	«

وقد قتل البلغاريون المشايخ والاشراف ومن جملتهم صادق اغا واولاد الحاج طاهر من سراة بالاس الكبيرة اما القرى التي فر اهاليها الى كوملجنه خوفاً من اغتيال حياتهم فهى :

القرى	الاسرات	نفوس	جنس
خواجه‌لر	٦٠	٣٠٠	اسلام وسائره
جان بشه‌لو	١٥٠	٧٨٠	«

قبا اغاج	٢٠٠	١٢٠٠	»
حصارجق	١٥٠	٧٠٠	»
دكرمنجيلر	١٥٠	٧٠٠	»
قباباشى	٨٠	٤٥٠	»
قشله احمد دره	٢٠٠	١٢٠٠	»
يلبانلى	١٥٠	٧٠٠	»
تپه آلتى	١٠٠	٥٠٠	»
قاياراق	٦٠	٣٠٠	»
احمد سياهى	١٢٠	٧٠٠	»
بخشيلر	٥٠	٣٠٠	»
سمرجيلر	٤٠	٢٠٠	»
اوزبك	١٨٠	٩٠٠	»
ماجقلر	١٢٠	٧٠٠	»
خروسلر	٦٠	٣٠٠	»
اميدلر	١٨٠	١٢٠٠	»
جبر اوغللرى	٢٠٠	١٣٠٠	»
كولجيلر	١٠٠	٧٠٠	»
حصار التى	٨٠	٤٠٠	»
صافرلر	٦٠	٣٠٠	»

وقداحرق البلغاريون جميع هذه القرى وقتلوا الاهالى الذين لم يقدروا على الفرار الى كوملجنة

مديرية كيرلى

ان هذه المديرية تتركب من (٢٥) قرية وعدد سكانها يتجاوز (١٢٠٠٠) وقدمثل البغاريون بها افظع التمثيل

مديرية چقال

قرى	بيت	نفوس	جنس
جقال كوى	٣٠٠	١٧٠٠	اسلام
عربه‌جى	١٠٠	٥٠٠	»
اورتاقچى	٧٠	٣٥٠	»
كيرقوه	٢٥٠	١٢٠٠	»
آتلق	٦٠	٣٠٠	»
يكى محله	٢٠٠	١٢٠٠	»
قنديجق	١٥٠	٧٠٠	»
عيسى كوى	٢٠٠	١٠٠٠	»
بيوك ايبدره	٢٥٠	١٣٠٠	»
كوچك ايبدره	١٥٠	٧٥٠	»
شهبانلو	١٥٠	٨٠٠	»
حريندره	١٠٠	٥٠٠	»
يكى كوى	٩٠	٤٥٠	»
طلاجقه	٥٠	٢٥٠	»
طورقالى محلاتلى	٣٠٠	١٦٠٠	»

ان البيوت والحوانيت فى هذه القرى لم تزل باقية وقد التجأ سكانها الى كوملجنه ونهب البلغاريون جميع ماوجدوه داخلها بعد قتلهم المشايخ والاشراف واجبارهم البقية الباقية على التنصر .

قضاء سلطان يرى

ان هذا القضاء شغل قسماً منه البلغاريون والآخر الصربيون ولكن شستان

مابين معـاملة الاثنين فالاول احرقوا البيوت وقتلوا النفوس والآخرون ابقوا كل شيء على حاله حتى ان الاهالى الذين فروا فى ابتداء الحرب ورجعوا ثانيـاً الى بيوتهم وجدوا جميع ماتركوه على حاله .

قضاء قرجه على

احترق جميعه ماعدا بيتين أو ثلاثة وقتل من اهاليه (٩٠) والباقى التجأ الى كوملجنة .

اعتراف مخابر المانى

ولقد ذهب مخابر جريدة فرانقفورت جايتونغ الى ادرنة وقرق كليسا وشاهد بأم عينيه ماارتكبه البلغاريون من الفظائع والجنايات فكتب لجريدته مايأتى .

لايوجد اليوم بين خطوط شتالجه الدفاعية وبين ادرنة قرى مسلمة فالبلغاريون احرقوا وقتلوا جميع ماصادفوه بين هذين الخطين من القرى المسلمة حتى ان القرى التى اهاليها مسلمون ومسيحيون لم تخلص من مظالمهم فتراهم احرقوا وهدموا جميع المساجد الكائنة بين ادرنة وشتالجة واتخذوا اغلبها مساكن لحيواناتهم ولوثوا جميع مقابر المسلمين وخربوا مزاراتهم واغرب من هـذا كله ان الجيش العثمانى لمادخل قرية انجكز واسترجعها من البلغار الذين ارتكبوا افظع الجنـايات بهذه القرية بارشاد بعض سكانها البلغار لم ينتقم من احد منهم ولافاتحهم فى هذا الشـان بل انه امر جميع العسكر بعدم التعدى على احد ولااتيان شيء يخالف الشرف العثمانى

امافى قرق كليسا فان المحلات التى يقطنها المسلمون اصبحت قاعاً صفصفاً وجميع ذلك شاهدته بنفسى فهل بعد ذلك تسكت اوروبا وتحمل اعمال البلغار الشنيعة ؟

وقد علمنا ان البلغار اخذوا من ولاية ادرنة انعاما وبهائم وارزاقا ونقودا بلغ مجموعها اثنى عشر مليونا ونصف مليون من الجنيهات وهذا المقدار هو قيمة ماوجد بايدى الاهالى من الاوراق المالية والسندات التى اعطاها البلغاريون خلال قيامهم بها

خريطة البلقان الجديدة

حسب معاهدة بخارست

رومانيا ، اليونان ، البلغار ، الصرب الالبان ، الجبل الاسود

ان معاهدة بخارست قد قررت وعينت بصورة قطعية الاراضى التى سيأخذها المتحاربون من الولايات التى اغتصبتمنا والتى تبلغ مساحتها السطحية (١٧١,٠٠٠) كيلو مترمربع ومجموع نفوسها (٦,٣٧٥,٠٠٠) وعلى فرض ان الدولة العثمانية جعلت حدودها ابتداء من نهر المريج فيكون لها (٢٠,٠٠٠) كيلومتر مربع والباقى اى (١٥٠,٠٠٠) كيلومترتقسم بين البلقانين مع الاراضى التى تكون حكومة الالبان وتبلغ مساحتها (٢٠,٠٠٠) كيلومترفعلى ذلك يكون المغتصب من الاراضى فى بقعة اوروبا العثمانية هى عبارة عن (١٣٠,٠٠٠) كيلومتر تقسم على الوجه الآتى

	المساحة القديمة	مقدار الاراضى الجديدة
الصرب	٤٨,٠٠٠	٤٧,٠٠٠
اليونان	٥٥,٠٠٠	٤٥,٠٠٠
البلغار	٩٦,٠٠٠	٣١,٠٠٠
الجبل الاسود	٩,٠٠٠	٧,٠٠٠

اما مقدار نفوس الدول المذكورة سابقاً ولاحقاً فكما يلى

	تعداد النفوس سابقا	تعداد النفوس المستجدة
الصرب	٢ ٨٥٠ ٠٠٠	١ ٩٣٠ ٠٠٠
اليونان	٢ ٥٠٠ ٠٠٠	١ ٤٥٠ ٠٠٠
البلغار	٤ ١٠٠ ٠٠٠	١ ٣٣٠ ٠٠٠
الجبل الاسود	٢٥٠ ٠٠٩	١٨٠ ٠٠٠

واذا اردنا ان تكون هذه المقارنة صحيحة يجب علينا ان نعرف مقدار نفوس رومانيا ومساحتها القديمة والجديدة .

ان اراضى رومانيا تبلغ مساحتها قديما (٠٠٠ ١٣١) كيلومتر مربع ونفوسها (٠٠٠ ٠٠٠ ٦) وقدانضم الى اراضيها بعدمعاهدة بخارست مقدار (٠٠٠ ٨) كيلومتر مربع و(٠٠٠ ٢٥٠) نفس فيكون مجموع مساحة رومانيا (٠٠٠ ١٣٩) ومقدار نفوسها (٠٠٠ ١٥٠ ٦) وبالطبع ان هذا العدد ينزل من مساحة ونفوس بلغاريا على الحساب الذى تقدم فتكون اعظم دولة الآن بين المتحاربين هى رومانيا ثم بلغاريا ويليها اليونان ثم الصرب ثم الألبان ثم الجبل الأسود ومع هذا فأن الاراضى والنفوس التى ستأخذها اليونان من الجزر ومن كريد غير داخلة فى الحساب وعلى ذلك فتكون اليونان اعظم واكبر من البلغار .

الى القطب الجنوبى

قصة الكابتين سكوت

منقولة من مذكراته اليوميه

(ترجمت عن مجلة استراند)

(١)

اعظم سياحه قطبيه دونت — ان السير كليمنتس ماركهام بماله من القدرة فى المباحث القطبية اعجب بما حصل فى رحلة سكوت الاخيرة واقر بماله من الشجاعة فى مقابلة الخطوب والتغلب عليها واكثر حوادث هذه الرحلة المدهشة مذكورة فى تلك المقالات بتفصيل وتوضيح ننشرها للعالم هنا تباعا قبل ان تنشر القصة بتمامها فى شكل كتاب ابتداء من هذا الخريف .

الغاية من هذه الرحله

كان القصد من هذه الرحلة الحصول على الاسبقية والتقدم على مناظرى المستر

سكوت من مكتشفى القطب مع أن الأمل فى الحصول على تلك الورقة الشوكية من تاج المخاطر كان مهمازا (حاثا) للحصول على المطامع النفسية الطبيعية وسواء حصلت الجمعية الجنوبية على مرغوبها أم لا فلابد من حصولها على نتائج علميه عظيمه . ان اعضاءها وان سعوا كثيرا الا انه كان ينقصهم السعى للتحقق من طبيعة الجبال العربية وتاريخها بالنسبة لعلم طبقات الارض والمسائل المتعلقة بالمساحات البركانية (مساحات جبال النار) وكتل الثلج فى الزمن السابق والحاضر وللحصول على علم تام من الحرارة والبرودة وضغط الهواء والتيارات والكهرباء الجوية والمغناطيس وكيفية تكون الثلج وتحركه فى هذه المنطقة التى يظهر أنها مسقط رأس الزوابع والكتل العظيمة الثلجية — انه وأن كانت الحياه فى تلك المنطقة محدودة على مايظهر الا انه توجد اعمال جديدة مسلية لعلماء علم الحياة فى تاريخ الحيوانات السفليه التى تكثر فى الاسماك . كتب سكوت انه فى اثناء السياحة الشتوية للدكتور ويلسون للبحث عن بيض الطائر المسمى الامبراطور بجن للتحقق من كيفية تكون الاجنة الفكاهية ليقرأها جيلنا (جيل سكوت) ممالا رجوا لا تضيع فى اثناء القصص

أن مافى جمعية سكوت العظيمة الكثيرة الآمال من النظام عجيب جدا ومدهش للغاية لان اعضاءها فكروا حتى فى الحصول على كل مايلزم من المؤونة مهما كان دقيقا قبل الشروع فى السفر ووضعوا نصب اعينهم كل حادثة عرضية ممكن تصورها وفى ليتلين بزيلاندا الجديدة لما اصلحت الثغرة (الفتحه) التى فى السفينة تيرانوفا أعد الضابط بوارس بهمة لاتعرف الملل كل شئ . ثم خزن المؤونه وقد ظهر للكابتن سكوت ان الرجال الموجودين فى القلعة الامامية ضيقوا على انفسهم فى محلاتهم على صغرها وضيقها جدا ليتمكنوا من الحصول على مؤونة اكثر كما قيل فى المثل (لا بأس من التخلى عن بضعة اقدام مكعبة ليسع المكان خنازير اكثر عددا)

على انه قد بقيت منقولات ثقيلة للسفينة وهى ثلاثون طنا من الفحم واثنان ونصف من زيت البترول وطرود من العلف ولحم مثلج وثلاث عربات للانزلاق محفوظة فى صناديق حجمها ١٦ قدما طولا فى ٥ عرضا فى ٤ ارتفاعا ومغطاة بنوع من القماش كالمشمع ليسهل اخراجها بعد السياحات الزوبعية وفضلا عن ذلك ثلاثة وثلاثون كلبا وتسعة عشر مهرا من سيبيريا على سطح المركب لان التجارب اظهرت قيمتها العظيمة فى رفع الاثقال على ثلوج باريز وقد كان هناك آمال عظيم فى مجموعة الكلاب الجيدة . وبعد تبادل المناقشات الجدية واختلاف الجماعات اتفقت الجمعية الجنوبية

على ان لا تأخذ الكلاب معها على اسطحة الجبال الثلجية والمرتفعات العظيمة لانه ظهر بعد التجربة والمقارنة ان الفرق عظيم بين الرجال والكلاب ذلك ان الكلاب كان يلوح عليها ضعف الاستعداد للميل للتنقل والاستلذاذ اكثر من الميل للكد والجهد وبذلك تهبط عزائم الكلاب بسبب تأثير النهار عليها بخلاف الرجال فانها تحمل ويظهر ان هذا كان احد الاسباب للتصديق على ان سحب الرجال للمراكب فى المراحل الاخيرة فى السياحات الطويلة أحسن ولذا يذبحون الحيوانات على كره منهم فى العوده .

مصايب الاستهلال

عند البدء ناب الارسالية شئ عظيم من سوء الحظ فى ٢٦ نوفمبر سنه ٩١٠ اقلعت سفينة الترانوفا من مرفأ ليتلتون فى وسط الحماسة العظيمة والكرم الذى قام به الزيلانديون وقد اعيد المظر السار بعد ثلاثه أيام فى مرفأ كالمريس محل مانزل سكوت فى سفينته وقد كانت البحار الجنوبية فى العواصف المزمجره عنيفة جدا ثم ابتدأ الطقس القذر فى اليوم الثالث بأن ثارت عليهم زوبعة القت الركاب الى اسفل السفينة ولم يبق من الوقت مايسع الضحك مما كان يبذله هؤلاء الرجال من الجهاد ضد دوار البحار او من المصور التمسوى الجرئ اذ كان فى احدى يديه طبق ابراز الصور وفى الاخرى طشت عادى .

تحطمت السفينة تقريبا لوجود ريح عاصف

فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم الاول من ديسمبر هبت زوبعة فكتب سكوت « غاصت سفينتنا واخذت ماء وابتدأت صناديق البترول والجين تتفكك بعضها من بعض فوق سطح السفينة الاعلى ولكن المكدر الاعظم نشأ من أن اكياس الفحم المفتوحة التى رفعتها المياه وأعامتها على الصناديق المتلاطمة كانت كانها فى حركتها المنجنيقات وكان من الصعب نقل تلك الاكياس الى محلات اضمن واحسن فجاء الليل والبحر والريح هائجان والسفينة اشدما تقابل من الصد وهى غائصة نقصرنا

القلع الى منتصف السارى وعطلنا الآلات وعرقلنا سير السفينة ولكن بقليل من الجدوى ثم ان حكايات كثيرة قيلت فى الحيل الموجودة فى عناية اوتس وأتكنسن اللذين كانا يشتغلان حتى فى جوف الليل وقد حصلت أشياء مكروهة جدا وهى انه ورد أعلان من غرفة الآلات تدل على ان مضخات المياه سدت والمياه ارتفعت وفى نحو الساعة ٤ قبل الظهر ارتفع الماء جدا رغما مما كان يبذل لأزالته من المجهودات بواسطة الالات الماصة

خيبة المضخات

وكان المنظر هائلا جدا اذ استوت المياه والمراجل فصارت حارة وصعب على اى انسان الاشتغال فى الآلات الماصة وقد خاضت السفينة لجة المياه الزرقاء حتى أن قطعة كبيرة من المتاريس ذهبت مع المياه ولاستعمال المضخة التى فى المؤخر كان من الضرورى التقدم وسط المياه وقد كدت اسقط وانا واقف على القضبان التى فى منتهى السفينة وقد قسم الضابط ايفانس الاربعة والعشرين ضابطا الى جمعيتين لتفريغ المياه بالدلاء فأثمر شغلهم بعد اربع ساعات شيئا قليلا جدا بأن قل الماء بعض الشيء وكنا نفكر فى طريقة للوصول الى الآلة الماصة وقد فتحت كوة فى غرفة الآلات وأزيل الفحم الذى بينهما وبين البئر غير ان المياه كانت كثيرة فلم يمكن الوصول الى فم البئر كل ذلك ولم اقطع الامل فى النجاح لما رأيته من خدمة رفقائى المدهشة وقد كانوا يتغنون بأناشيد تشير الى صعوبة الشغل الذى يتولونه. وويليم كان يشتغل فى الحرارة المهلكة خلف المرجل ولم يفقد اى واحد منهم همته وقوته

وقد هبطت العاصفة قليلا مع ان البحر لازال عاليا كالجبال ولما كانت الساعة عشرا بعد الظهر عمل خرق فى غرفة الآلات ثم تدحرج الضابط ايفانس آخذا طريقه الى مضخة البئر واصلح الآلة الماصة ولحسن حظ الجميع انحدر الماء لاول مرة ولو ان الآلة الماصة سدت عدة مرات فان الشك فى صلاحها قد زال ولعدم وجود عاصفة اخرى فى الوقت نفسه اقلعت السفينة بعد ما تبين ان الخسارة هى مهران وكلب وخمسة وستون جالونا من البترول فأخذوا طريقهم الى الجنوب فى امواج كالجبال هائلة وعواصف اخرى متعاقبة حتى لاح لهم الثلج فى ٩ ديسمبر وفى

عشرة قربوا منه وقد كان الصبر علاجهم الوحيد فى تلك الحالة الرديئة وكان فى امكان الرجال التروض باللعب فى الميـادين الثلجية الا أن طول مدة الحجر كان شـؤما على الخيل .

يغنون للطيور

اخذوا يشغلون انفسهم فى ميادين الثلج بامر الطائر الكبير المسمى بخن وآخر مظهر من مظاهر ابتهاجهم هو غناؤهم لتلك الطيور ببعض اناشيد فقد تمثلوا كأن الموسيقا تصدح لهم فكانوا دائما مسرورين مهمـا كانت حالتهم سـواء فى هدوء وسكون أو وفى عواصف وزوابع وتلك طبيعة العيشـة البحرية كلها حركات مختلفة فبينا تذهب الزوبعة الشديدة تعقبها فترة يمحى فيهـا جميع ماحدثته تلك الزوبعة ولا تزال كذلك حتى تجيء الاخرى وقدرأوا جبل صابين على بعد مائة وعشرة اميال وقداستهل عام ١٩١١ بيوم جميل حتى لقد كان يمكن الانسـان القراءة على نور الشمس فى الساعة ١١ بعد الظهر وفى اليوم الثانى من يناير ظهر لهم جبل اريبس على بعد مائة وخمسة عشر ميلا وكانوا متخذيه حدالهم وأن الجزيرة التى فيها جبل اريبس وجبل ترور ثلاثية الشـكل تقريبا طول كل ضلع من اضلاعها من اربعين الى خمسة واربعين ميلا تقريبـا ومتجهة للشمال الشرقى والجنوب والغرب واعلى قمة وصلوا اليها اولا هى رأس الطير وبالاتجاه نحو الغرب أو الجنوب الشرقى تجد أن النهاية الشرقية للجزيرة هى رأس كروزيير حيث تمتد جبال الثلج للاختلاط بالبحر ومبدؤها يبعد بخوار بعمائة متر من الجهة الشرقية ثم تدخل السفينة متجهة الى الغرب فى مكمارد وبين الجزيرة والجبـال الغربية فى الارض المقابلة وفى النهاية الجنوبية من جانب الجزيرة توجد رأس ارميتاج الطويلة مع رأس هوط التى اكتشفت فى سنه ١٩٠٢

الموقف عند رأس ايفانس

المواقف الشتوية القديمة كانت غير مقبولة لتعرضها للاهوية التى اكتسحت

باريز الى جنوب الجزيرة ورأس كروزيرور واحدثت فوائد كثيرة غير ان النزول اليها استغرق اسابيع

واجمل مركز كان منتصف الشاطئ الغربى الذى هو فى حمى من العواصف المهلكة وقدتم النزول من السفينة فى ظرف ٨ ايام وانتعشت الكلاب والخيل حتى ان القوى منها كان يلقى سائقه واحماله خائضة فى الثلج اوجارية على الشواطئ وبعض الجماعة كان يقطع خمسة وعشرين ميلا فى اليوم وان السرعة التى أتاها الجميع كانت نتيجة الاستعدادات فى الشهور الماضيه غيران ذوبان الثلج بسرعة غريبة عرقل اتمام العمل واغرق احدى المركبات بدون فقد أى حى :

حادثة مقلقة

اعظم حادثة غريبة حصلت فى اليوم الثانى من نزولهم فلقد رأى سكوت الذى لم ينم مدة ٤٨ ساعة ستة من الحيتان الكبيرة و الصغيرة تؤم السفينة ثم غاصت بسرعة وظهرت فجأة عند مؤخر السفينة ثم رفعت خراطيمها امام الماء . قال سكوت انى سمعت حكايات مخيفة عن تلك الحيتان غيرانه لم يتطرق الى فكرنا تلك الاخطار الجديدة وقدكان كلبان من كلاب الاسكيمو مربوطين بجوار حبل المركب المؤخر وكان بونتيخ بالقرب من السفينة فناديته عاجلا فأخذ آلته التصويرية وذهب الى محل لبأ خذصورة الحيتان غيرانها اختفت فجأة وبعد قليل كان الموقف الثلجى الذى يقف عليه هو والكلاب متهشما ونزلت الحيتان تحت الثلج واحدة بعد الاخرى وهزته بقوة وحشية وقدكان يمكن للانسان ان يسمع صوت الحيتان وهى تضرب الثلج بظهورها ولحسن الحظ اثبت بنتيج اقدامه وكان فى امكانه انقاذ نفسه بالفرار و قد حصل ايضا ان الشقوق كانت حول الكلاب وقد كانت الحيتان على بعد عشرين قدما تطل برؤوسها لترى ماحدث لبونتنخ والكلاب وقدكانت الكلاب فى رعب شديد ويظهر ان احد الكلاب لمح احد الحيتان على بعد خمسة اقدام منه ولم نفهم هل ظنت تلك الوحوش ان دعابتها هذه غير مهمة اوانها يئست من اصابة بونتيج فذهبت للبحث عن صيد اخر :

تنظيم مخازن الذخيره

وبمجرد وصولهم الى الشاطئ جميعا أخذوا يستعدون لخزن ذخيرتهم ليسافروا فى آخر الشهر اذا تحسنت حالة الخيول وقد وجد سكوت ان ضابط سفينته يشتغل بكتابة تفاصيل الدقائق الحسابية ويحاول تطبيقها على رحلتهم ووجد انه محاط بفئة من الشجعان اصحاب الحمية والتمرن كما وجد ان اتقان من حوله اعمالهم الجأه الى ان يردد جملة واحدة لكل منهم وهى انه من الصعب على ان اوفى كلا منكم حقه من المدح لان كلا منكم كان يشتغل بدون كلال ولا تعب فكل منكم كنز فى نفسه

ثم ان الجمعية التى يرأسها جريفيث تايلو قضت ثلاثة اشهر الخريف فى الاستكشاف والبحث فى علم طبقات الارض فاكتسبوا بذلك تجارب كثيرة بين الجبال الغربية وعلى بعد أميال قليلة نزل جبل ثلجى من جبل اريبرس وانحدر فى البوغاز وبينما كان بعض الرجال ينقلون المؤونة والمركبات بواسطة السفينه كانت الخيول تنقل بعض الاحمال على الثلج حتى امنت خطر جبل الثلج المتحدر غير ان احدى الافراس زلقت فانهارت فى شق من الثلج ولكنها اخرجت بالحبال

مكان السلامة

أجتمعت الجمعيه فى مسطح ثلجى بعيد وعلائم النشاط بادية على اعضائها وكان امام هؤلاء الاثنى عشر رجلا والثمانية خيول والستة والعشرين كلبا من الاعمال نقل ثمانية اطنان من المؤونه من السفينة الى محل أمين ثابت فى البارير سمى بعد ذلك مكان السلامة وهو يبعد بمقدار ستة اميال فى الشرق من الجنوب الشرقى من هوت بوينت وعلى اربعة عشر ميلا من السفينة وواحد وعشرين من الموقف الذى اتخذ قبل ان يتحطم الثلج ويمكن ايضا عمل مخزن فى جنوب ذلك المكان وبذلك يكون هذا المكان الامين هو المعسكر الثالث لهم ابتداء من موقف السفينة وقد اخذت الدواب تختلف بينها ثلاث كرات لتنتقل المؤونه من معسكر لاخر وقد اتت الكلاب بحركات عنيفة مختلفة كاتى عملتها فى بدء المسير أذ كان الثلج يابسا والاحمال خفيفة ولم يكن

أمامها من المصـاعب مايعوق سيرها ولايذللها .فرمت جميع احمالها الى الارض وداستها بأرجلها حتى كادت تقضى على سائقيها ويشـبه ذلك ايضا ماعملته اذ كان سكوت عائدا الى السفينة فلاح لهاحوت فى ماء ممتد ثلاثين قدما ومعترض طريقها ثم يممها ذلك الحوت من فوره :

الخيول

وقد برهنت الخيـل على انها أصيلة جدا فقد تحملت الشغل بثبات عظيم وقد كانت اليفة جدا. كانت تشتغل بهدوء وتسير بنشاط وسرور تابعا بعضها أثر البعض ولم يكن فى هذه الرحلة من نقص سوى ان تلك الحيوانات كانت تغوص اقدامها بسهولة فى ذلك الثلج النـاعم المتراكم ولا ريب انه حينما انقلبت حالة الخيـل رديئة جدا على حين بغتة تأكدنا انه خير لنـا اطلاقهـا وتسريحهـا وعدم استخدامها وتكليف الكلاب بنقل بقايا الاحمال على قدر استطاعتها وترك مايبقى من العلف فى مكانه على البـارير على نحو ميل ونصف من المكان الأمين وقد وجد بعد ذلك طريق لمعالجتها وهو اتخاذ النعـال المخصصة للثلج وعلى كل حال فان الخيل كانت يلوح عليها اما النصب والعناء واما الهدوء والسكون وفى الصباح عند البدء فى السير رفع الجماح رأس مهرفتى حساس متوقد ممتلئ حياة فانطلق فى الخيمة ثم ذهب حرا طليقا غير مردود وقد كان هناك مهر آخر يسوقه شـاب من الجمعية فطفق يسير باعتدال اذ كان السائق يسير فى جانبه فلما اخذ يسير من خلفه فزع من صوت رسكى (النعال الثلجيه) وانطلق يعدو ذاهبا بما عليه من الاحمال بسرعة تعجز الجارى بتلك النعال الذى اخذ يقفو اثره وفى ٣١ يناير قد احضرت مؤونة اربعة عشر شهرا للرجال والحيوانات وكانت فكرة سكوت التى عرضها عليهم هى انهم يأخذون معهم ذخيرة خمسة اسابيع وبعد السياحة يعودون الى معسكرهم الأمين وبعد ظهر ذلك اليوم كان الجميع على استعداد للرحيل ولكن عملت تجربة قبل ذلك وهى انهم البسوا المهر المسمى ويرى ويلى زوج النعال الحديديه المخصص للسير على الثلج وكان من الصعب التصديق بأن أحدا أمهر مثل ويرى ويلى تحمل لبسها قبل التمرين الكافى عليها فقد صار يجول بها كأنه ماشى على ارض يابسة فى اماكن كان يخاف الدـير

فيها لو لم يكن لابسا ذلك النعل . لذلك كانت الفرصة سانحة لهم بمضاعفة مدة السياحة ولذلك ذهب ويلدون وميرس الى المحطه التى تبعد عشرين ميلا عن محلهم على أمل أحضار شكال للدواب الارلكنهما رجعا فى اليوم الثانى خالى الايدى منها فعزموا على الرحيل عاقدين النية على الاستراحة خلال ساعات النهار الشديدة الحرارة رحمة بالخيل فساروا فى سكون مستمر لم يكدره الا صوت مشيتهم

ثم البسنا المهر الكبير النعل فخف اولا ثم سار فى طريقه بسهولة وبينما نحن سائرون كانت تعترضنا بعض العراقيل وفى بعض الاوقات تزول عنا فقطعنا خمس عشرة مرحالة من ابتداء سيرنا من المحل الامين وفى الثلاثة مراحل الاول اتجهنا نحو شرق من الجنوب الشرقى بالقرب من كورزكامب لنصل الى الجبال الموجودة هناك ثم اتجهنا صوب الجنوب بالقرب من تونكامب على خط الطول ١ تقسيم ٢ ٧٩ وقد كنا مكثنا ثلاثة ايام فى كورزكامب بسبب المطر والعواصف والثلج حتى ان الخيول ابتدأت تشعر بالبرودة والا نقباض ذلك لان شعورها لم تكن طويلة فتحفظها من البرد ايضا بسبب حجزها فى السفينه نحو اربعين يوما

الكلاب

وقد عملنا ترتيبنا الحاضر على ان الكلاب تتبعنا بعد ساعة والدواب تسير بقوة خصوصا دابة حيرس وقد توحشت الكلاب قليلا حتى صار الكلبان اللذان مع حيرس يفتكان بكل غريب مع انهما كانا فى غاية الهدوء لما كانا فى السفينه وقد كادا يفتكان بى عندما كنت اعرف حيرس وعثمان (صاحبى القديم) عن محل وقوفنا ثم ان الجوع قد يكون سببا فى جعل الكلاب وحشية ضاريه ومن الغريب ان الكلاب كانت يستنكر بعضها بعضا فبينما تجدها برهة مؤتلفة تبصبص بذيولها وتلعب بها تجدها فى برهة اخرى انقلبت متناكرة مستوحشه وصارت فى حرب عوان. وذات يوم أبطأ الحصان المسمى ورى ويلى من التعب الذى لحقه فزلقت رجله وسقط وفى تلك الاثناء اتفق وصول الكلاب فهمت عليه فدافع ورى ويلى بشجاعة وصار يعض ويهز بعض الكلاب باسنانه الا انه تعب واخيرا أتت الرجال وضربت الكلاب الا ان الكلاب كانت قاسية فذهبت دون ان يصيبها أدنى ضرر .

وصف السير

بعد اليوم العاشر من شهر فبراير تيقظنا من نومنا فى الساعة ٩ مساء تقريبا وناديت على العسكرى المدعو أوتس فى الساعه ١ تقسيم ٢ ١١ تقريبا وسألته كيف تسير الامور فكان جوابه بأنه على استعداد فسقطت الجلال عن ظهور الخيل ووضعت السروج وقد ربطت الخيام وملحقاتها بالمراكب الثلجية

الامتيازات الاجنبية

فى

القطر المصرى

قام السير ادوارد جراى ناظر خارجية انجلترا فى البرلمان الانجليزى خلال الشهر الماضى فقال ان بريطانيا عازمة على أن تذاكر الدول الاروبية فى امر الامتيازات الاجنبية بالقطر المصرى .

قال مكاتب جريدة الشرق الادنى بالقاهرة ان هذا التصريح الذى ابداه ناظر خارجية انجلترا قد احدث سرورا عاما فى القطر المصرى ذلك ان هذه البلاد ستنقذ بهذا من قيود ضيقة وثيقة كانت تمنعها من السير فى سبيل الرقى والصعود فى مدارج المعالى . ومن الاغلاط المتفشية بين رجال الغرب ان هذه الامتيازات من الخصائص التى كانت احرزتها ممالك اروبا فى بلاد الشرق لاسيما الاسلامية منها لامنة ومحض منحة وانما احرزتها لما كان لها من الغلب والظهور وقوة السلطان .

وانما كان ذلك خطأ محضا لان الحقيقه ان منشأ نظام الامتيازات فى الممالك الشرقية .

كان اعتبار ان الاجانب فيها غير مساوية للوطنيين فى الاستمتاع بالحقوق العامة القانونية بل كانوا دائما اهل حرب اينما ثقفوا لاينالون ذمة ولايستأمنون.

واقد كان هذا النظام بالطبع منفرا لاهل الغرب من الشرق قديما حتى كانت علائق هذين العالمين دائما واهنة ضعيفة ولازالت كذلك حتى شعرت الممالك الشرقية بشديد حاجتها الى المستبضعين والتجار من اهل الغرب فكان لابدلهم من تشجيع هؤلاء التجار واجتذابهم الى بلادهم بما فى وسعهم من الطرق والوسائل وما كانت فى تلك الاعصر سوى تأمينهم خلال اسفارهم فى الشرق على ارواحهم واسبابهم وما بايديهم من عروض التجاره .

فالاسلام ليس هو اول من وهب الامم الغربية تلك الامتيازات كما رأيت بل لقد نجد ان ما ناله امراء الغرب من الاسلام قد نالته قبلا من امراء بيت المقدس حكومات فنيس وجنوه وبيزه . ونظام الامتيازات الذى منحته هذه الجمهوريات الثلاث هو بعينه الذى منحه السلطان سليمان الثانى سنه ١٥٣٥ فرنسيز الاول ملك فرنسا على ان كثيرا من المؤرخين يعتقدون ان اول امتيازات نالها الغربيون من الاسلام هى التى منحها امير المؤمنين هرون الرشيد الملك شرلمان فى القرن التاسع من الميلاد .

وعلى كل فرض فقد قضت الشئون السياسية ان تكون هذه الامتيازات ضربة لازب وان تتشدد الدول الغربية فى الاستزادة منها رويدا رويدا حتى بلغت ماهى عليه اليوم فى القطر المصرى والممالك العثمانيه .

ومن المعلوم انه ليس لدولة من الدول اليوم فى امتيازات القطر المصرى فضل ولاميزة على اخرى بل جميعهن سواء فى الاستمتاع بسائر انواعها . فهن سواء فى ان ليس للحكومة المصرية الحق فى الا تأخذ من رعايا هن بعض انواع الضرائب والا تقف احدا منهم مهما كانت جريمته والا تنظر فيما بينهم ولافيما بينهم وبين الوطنيين من الشئون المدنية اوالجنائيه بل الذى يفصل فى الشئون المدنية هو المحاكم المختلطة والذى يقضى فى الجنايات والجنح هى المحاكم القنصليه وحدها وتقول جريدة الشرق الادنى ان الامتيازات الاجنبية منحتها الاجانب بمصر وتركيا فى وقت كان لابد فيه من حماية الاجانب لما كان بها من الانظمة الاستبدادية والملوك

والامراء المستبدين : أما اليوم وقد تبدل ذلك النظام وصب فى قالب من الاصلاح التام أصبحت الامتيازات لامعنى لها ولا فائدة فى وجودها بل اننا فوق ذلك نجدها مبعث كثير من المتاعب والارتباك . واذا اريد يوما ما تقرير قانون من القوانين التشريعية قامت تلك الامتيازات فى اوجهها وحالت دون تقررها وشمولها كما ان توقف تطبيقها على رضا القناصل الاجنبية او مشاركتهم فى العمل كان عقبة فى سبيل الاستفادة منها

ومن المعلوم ان مجلس المحاكم المختلطة العام قد اعطى حديثا حق وضع القوانين اللازمة وتبديل الموجود منها فيما يتعلق بالقضايا المدنية التى تقع بين الاجانب بعضهم وبعض او بينهم وبين اهل الوطن ولكن المستشار القضائى فى مصر لايرى الاكتفاء بهذا بل يعتبر تلك الحركة مجرد خطوة انتقالية تجاه الغاء الامتيازات فان ذلك لايفيد فى غير الحقوق المدنية اما المسائل الجنائية جميعها فانها لاتزال فى أيدى القنصليات الاجنبية ويقول اللورد كرومر فى احد تقاريره القديمة ان مركز مصر من الشئون الادارية لايشابهه غيره من البلاد الشرقية فهى غاصة بالغربيين وعلى ان احكامها ونظامها قائمان على قواعد اوربية ليس بها مافى شئ من البلاد الغربية من الانظمة التشريعية .

ومن غريب امر المكاتب هذا انه بعد اذ اتى بتلك المقدمة التى اسلفنا هنا خلاصتها قال

« لاريب ان الغاء الامتيازات الاجنبية من مصر يعد خسارة كبيرة للامم الغربية فانها لاتزال من الضمانات التى لايستغنى عنها فى حماية مصالحهم وحفظ حقوقهم ولو ان الامة المصرية ومحاكمها بلغت تلك المنزلة التى بلغتها امم الغرب ماكان هناك حاجة الى تلك الامتيازات ولكن (يقول ذلك المكاتب) بالرغم مما بذلته الامم الاوربية فى سبيل اصلاحهم لاتزال تراهم فى حاجة الى كثير من الاصلاح » ثم استنبط المكاتب من ذلك انه قد اصبح لابد من وضع نظام يوحد التشريع فى البلاد ويجمع بين الوطنين والاجانب فى المعاملات ويكون ضامنا لجميع الكفالات التى احتوتها الامتيازات الاجنبية لسائر الاجانب مع البساطة التامة والضبط الكامل ولم يكن ذلك المكاتب بدعا فيما رمى به المصريين فقد نشر اللورد كرومر حديثا فى مجلة القرن التاسع عشر نحوا من ذلك فقد قال .

ان الامتيازات الاجنبية على مالها من المضار وحمايتها للاشرار من الاوروبيين قد

كانت ولا تزال حصناحصينا وسلاحاقويايذادبه عن مصالح الأمم الأوربية والنزالات الاجنبية ولذلك يقول انه ليس من الحكمة والحزم الغاؤها تماما

ان العميد الانجليزى فى اقطار المصرى ينظر بتلهف الى الساعة التى تمحى فيها جميع المصاعب التى تعترضه فى سبيل عمله ولكن كل ما يراد ادخاله على نظام الامتيازات من التعديل يجب ان يكون مقطوع الفائدة

ان الدول المستمتعة بنظام الامتيازات اربع عشرة دولة وهى على رجحان المصالح الانجليزية على ما لهن جميعا من المصالح تجدهن كثيرات التشدد فى التمسك بحقوقهن الامتيازية والذى لامراء فيه ان نظام الامتيازات عقبة لا تتسنم فى سبيل ترقى القطر المصرى ونجاحه وانها قداعجزت انجلترا عن تحديد مركزها وتعيين ماهية وجودها فى القطر المصرى(؟) وان كان الاحتلال فى اول وجوده بمصر ما اريد منه الا ان يكون مؤقتا الا ان السيرا دوارد جراى قد اصدر بلاغارسميا سنة ١٩٠٧ يصرح فيه بأنه لا شبهة فى ان الاحتلال الانجليزى فى مصر سيكون دائما

تقول جريدة القرن التاسع عشر ان بعض الامم الاوربية لاتزال تشك فى استمرار الاحتلال الانجليزى ودوامه فاذا لم ترباعينها حقيقة ما صرح به السير جراى فانها ستتباطأ فى الرضا بالتنازل عن حقوقها الامتيازية

وهناك صعوبة اخرى فى سبيل الامتيازات وهى تعسر اقناع الدول الاوروبية ان التعديل المراد ادخاله فى الامتيازات لرعاياهن فى القطر المصرى اصبح من الضروريات

وروت جريدة التيمس ان من الصعب اتمام القضاء على الامتيازات الا بعد اقناع الدول الاوروبية بأن بقاءها لا يناسب التطور الجديد الذى تطورته مصر فاذا نجحت انجلترا فى مناقشاتها مع جيرانها واقنعتهن بذلك كان من الميسور المفيد الرجوع الى المشروع الذى رسمه اللورد كرومر

(الهدايه) تلك اقوال الجرائد الانجليزية فى مستقبل الامتيازات الاجنبية والذى عرفناه حديثا ان قد كادت تتم تلك المناقشات على قاعدة ان يكون قضاة المحاكم مؤلفين بحيث تكون الاكثرية للاروبيين ثم تكون النسبة بينهم بنسبة صالحهم فى القطر المصرى اماما يختص بمحل التشريع وهل يراد اقامة مجلس تشريعى مختلط او تبقى بالمجالس المحلية فهذا مالم يعلم من امر شىء بعد . وعلى كل حال فسنوفى

هذا الموضوع حقه متى تم شئ فى ذلك المسعى الذى سيجعل المصريين على كل فرض غرباء فى بلادهم حقراء على عزتهم قلالا على كثرتهم والامر لله من قبل ومن بعد

مؤتمر الاديان

انعقد فى باريس بتاريخ شهر يوليه من سنة ١٩١٣ الافرنجية الحاضرة المؤتمر السادس للاديان . بحث الخطباء فى هذا المؤتمر فى اى الاديان مطابق للعقل وجدير ان يهدى الناس الى الائتلاف والاتفاق وحقيق ان يعيش الآخذون به سعداء فى اطوارهم واحوالهم .

والمظهر الجديد الذى امتاز به هذا المؤتمر عن سوابقه اشتراك المسلمين فيه مع النصارى حتى لقد دعى خواجه كمال الدين الهندى صاحب مجلة الهند الاسلامية للتكلم فى امر الاسلام بذلك المؤتمر

وقد احدثت المناقشة فى كيف السبيل الى ايجاد دين عام لسائر العالم يشتركون فيه انتعاشا شديدا وتنبها فى اعصاب اعضاء المؤتمر فقد تمثلت كل ديانة لاتباعها كأنها الحائزة لصفات الجمال والرفعة والكمال مما قد يعلم امم الغرب كثيرا من الدروس

وعند البحث فى اعمال المبشرين وخطتهم التى يسيرون عليها فى تبشيرهم تقرر اعلان استقباح سلوكهم واعمالهم وانه لابد من اصلاحها وقد دافع الاستاذ رودلف اوتو الالمانى طويلا عن فكرة ان كل دين يمكن بل يجب ان يترك وشأنه يسير فى سبيل الرقى والاصلاح اللائقين بطبيعته وماهيته وانه لايجوز الزام الشرقيين بملة الامم الغربية (النصرانية) وقد اعلن اعضاء المؤتمر رغبتهم فى ان الامم المسيحية الحرة يجب ان تتقدم بين يدى الاديان الاخرى بالاجلال والاحترام والاستفادة مما حوته من الحقائق والقصد الى تعلم مسائلها الدينية

اما الاستاذ مونت السويسرى فقد اتى خطابة طويلة عنوانها واجباتنا تجاه العوالم الاسلامية وقد اتى فى هذا المقال بما جعل عامة المسلمين مدينين له ابد الآباد وما كان الاستاذ مونت فى موقفه بالمعتذر او المتأول لشئ غير معقول فى الاسلام

ولكنه وقف موقف المحامى الصادق عن هذا الدين الصحيح وطالما انحى باللائمة على ماتفشى فى اوروبا من تشويه صورة الاسلام كأنه اخذ يهدم بحججه الدامغة جميع مارمى به الاسلام من التهم والشبهات التى لم تنبعث الا عن جهل اوفساد رواية ثم تبعه الاستاذ خواجه كمال الدين الهندى فأتى بما استرعى اسماع الحضور وملك قلوبهم ولاجرم فأن الاسلام متى برز فى لباسه الحقيقى كان جديرا ان يجتذب اليه كل من كان له قلب سليم وفكر صحيح ووجدان طاهر ولقد اقتضى قصر الازمنة التى منحها كل خطيب الا يتمكن احد منهم من ايفاء ماكلف به حقه ولكن المرجو ان الشواهد القرآنية التى ايدت بها قضايا الخطباء فى الاسلام فى ذلك المؤتمر ستأتى بالفائدة المطلوبة منها متى نشرت مشفوعة بالبيان الكافى والتفسير الصحيح

قال خواجه كمال الدين ان هذا التطور الجديد لمؤتمر الاديان حقيق بعناية جميع محبى الانسانية ومساعدتها ونحن لابد ان نتقدم لانهاض همم اخواننا المسلمين فى اطراف الارض ونحثهم على اجابة هذه الدعوة الشريفة. ان الله تعالى قد خلق لنا فرصا ستفضى الى وحدة عامة للعالم البشرى ولقد اصبح لابد للامم البشرية من دين واحد يجمع شتاتها ويؤلف قلوبها فاذا قدر لدين الاسلام ان يحرز هذه المنزلة كما يعتقد القائلون به فاننا سنجد من اعضاء هذا المؤتمر وهم ألاف مؤلفة من كبار الرجال من لاتحمل صدورهم شيئا من الضغن والعدوان له

نحن لانريد ان نتبع السياسة المدمرة التى قد يتبعها بعض المسلمين مقابلة لما يأتيه مبشرو المسيحية فقد آن الوقت ان تتخذ سبيل اخرى تكون مبنية على قواعد التأليف لاالتفريق والتعمير لا التخريب وهل نحن فيما نسعى اليه نريد ان نحيط المؤتمرين علما باكثر مما ابرزوه واعترفوا به خلال جلسات المؤتمر تجاه الاسلام. لقيد والله رأينا من اعضاء مؤتمر الاحرار المنصفين من الترحيب بالاسلام واحترامه مالم يخطر لأحد على بال واذا كان مارأيناه من انصافهم دليلا على مافى قلوبهم فلا ريب ان السبيل امام مقصدنا الشريف قد تمهدت فما على المسلمين فى جنى مايريدون من الثمرات الا ان يمدوا ايديهم للاقتطاف والله نصير العالمين

هذا وسنأتى فى العدد الآتى بشىء مما القى فى هذا المؤتمر من الموضوعات

ادرنه

اسباب السقوط . فواجع الحصار . تسليم شكري باشا . فواجع الاسر . فظائع البلغار . كيف اخذناها . احساس اهلها . احوال المدينة اليوم

بعد ان استرد جيشنا مدينة ادرنه اول عاصمة لملكنا باوربا قبيل عيد الحرية بهمة بطل الاسلام المجاهد العظيم انوربك شددت الرحال اليها لارى احوالها واقف على حقيقة الامور بها واقوم بخدمة اخواني المسلمين باى عمل انساني طي اذا مااحتاجوا اليه . غادرت فاروق مع زمرة من خيرة الرفاق تكاد قلوبنا تطير بنا الى ادرنه لكي نصلها قبل سليل البخار وقد بلغ السرور والشوق والنشوة بالظفر الغير المنتظر الذى ساقه الله الينا بمعجزة سماوية درجة انستنا سوء ادارة السكة الحديد ورثيث اثاث عرباتها وضيقها وقذارتها . عند ماوصلنا بخشايش كوى تبدت لنا الحصون المنيعة والخنادق المديدة الشبيهة بدروب النحل في اوكاره وابصرنا الاماكن خالية من الجنود الاعدة مئات من الخيام البيضاء كرمز الحياة وعنوان الامل في مستقبل زاهر قائمة في وسط هاتيك الفدافد . تقدم القطار بنا فرأينا خنادق البلغار وحصونهم الترابية وقد نظفها الله من رجسهم واراح الناس من ارواحهم الشريرة فسررنا وطمعنا في ان نرى بقية البلاد المشهورة منذ قدم بالخصب والغنى وقد طهرت من اولئك الابالسة وعاودتها الحياة ورجع اليها اهلوها فزادوها جمالا على حسنها الطبيعي ولكن فاتنا ان القوم كالوباء الحاصد وانهم برابرة القرن العشرين اشد فتكا وتخريبا من تيمورلنك واتيلا بل وجميع القبائل المتوحشة التي نزحت من اسيا فاكتسحت اوربا في العصور القديمة نعم ان اولئك البلغار الذين اعلنوا الحرب باسم المسيح وادعوا نصرة المدنية والعدل قد اهلكوا الحرث والنسل وخربوا القرى والدساكر وجعلوا العامر غامرا والغنى فقيرا وصيروا الاخضر يابسا بل ابادوا كل شئ . تصورا يها القارئ بلاقع وفدافد ملؤها الاطلال والرمم وقد تعرت من الاشجار وخلت من كل ذى روح غير الوحوش وزرافات المهاجرين بعرباتهم ينهبون الطرق ببيوتهم السيارة ومن خلفها الاولاد والرجال والنساء

فى اطمار بالية وفقر مدقع وكآبة مشوبة بالسرور من عودتهم الى اوطانهم وان تكن قدباتت خرابا . تصور عربات السكة الحديد وقد القيت بعيدا عن الخط ولم يبق منها غير هيكلها الحديدى بعد ان اكلت النار جميع اجزائها الخشبية كأن البلغار ابوا الا الانتقام من كل شخص حق من الشركة التى اعادت تمثيل فصلها المعروف فى الحرب الروسية بتركها اغلب قطاراتها بالاراضى البلغارية والصربية ولم تترك ببلادنا غير النزر اليسير . تصور المساجد وقد هدمت الاحيطانها والمآذن وقد اطيحت ارضا او تحولت الى بروج للنواقيس الكنائسية . تصور الكبارى وقد نسفت او خربت . تصور اسم المحطات وقد محيت كتابتها التركية ولم يبق غير الخط الفرنسى . تصور انك فى قطار يسير بك بضع ساعات لاترى فيها غير آثار الحرائق المخربة وعلائم بقايا القصبات العامرة وهنالك يقرب لمخيلتك بعض ما رأيناه فى سفرتنا حتى چار كوى . وهنا انتهى القسم الاول فى عرف البلغار وقد محقوا كل شىء به لتوقعهم اعادته الينا اما القسم الثانى فيستمر حتى آليوللى وبه نرى عين الفظائع بصورة مصغرة فاحياء المسلمين وقراهم مثل سابقتها بينما املاك النصارى والمسلمين الذين ارغموا على التنصر تركت على حالها وهذا القسم كان البلغار يشكون فى رجوع بعضه الينا وينتظر مرور لجنة تحديد الحدود الدولية به والقسم الثالث يستمر الى ادرنه وقد بقى سليما الامن بعض الحوادث الغروبة ومن غارات النهب والسلب وهتك الاعراض الخ من الاعمال الفظيعة التى امتازبها جيش بلغاريا الصليبى . بعد رؤية هذه المناظر الفظيعة استولى الحزن على قلوبنا وكاد الغم على حالة اخواننا المهاجرين المساكين يقتلنا وكدت اتمنى الرجوع دون احتمال هذه المناظر المروعة المفتته للافئدة ولكننا كنا نخفف الامنا اولا بسرورنا وشوقنا لرؤية ادرنه بعد استرجاعها من ايدى الاعداء وثانيا بان شقاء اخواننا المهاجرين اليوم سيكون اخف مما كانوا ملاقيه اذهم على لاقل يرجعون لارض واماكن اعتادوها وان فقدوا الثراء والمأوى بينما هم كانوا سيرسلون الى اماكن لم يعرفوها وارض لم تفلح ومناخ ربما ضربهم وثالثا لان جميع هذه الجهات كانت قد فقدت منا تماما فاستردادها ولو عارية من اثر العمران فيه بعض السلوى اذ بعض الشىء خير من لاشىء ورابعا انى كنت ارى فى هذه المناظر مايقنع اخواننا العثمانيين بحقيقة مقاصد اوربا تجاهنا ويبين لهم ماهية مدنيتها فلايغتر احد بعد اليوم بعذب اقوالها وخامسا لان هذه الفظائع تعتبر مثالا حيا للفرق بين حقيقة السياسة الاسلامية والمسيحية واكبر وصمة عار فى صحيفة

الغرب تحذر الشرق منها وسادسا لان هذه الجنايات تمثل تعصب النصارى ومعيار لعدل اوربا التى طالما اتهمتنا بالتعصب وسوء الادارة وتمشدقت بانها لاتعتدى علينا ولاتبلغ بلدا شرقيا الا لاعماره وترقيته وانها المصلحة ونحن المدمرون وسابعا لان استرجاعنا هذه الولاية يعتبر هدما لصرح قاعدة التعصب الاوربى القائله (ان مايأخذه الصليب لايرد الى الهلال قط) وهو عمل يعتبر فأل خير ومبدأ حياة جديدة للشرق اساسها الاستبسال اليائس وتفضيل الموت الشريف على حياة الذلة والهوان

بعد اربع وعشرين ساعة وصلنا الى ادرنه فحمدنا الله لنجاتنا من اسر شركة السكة الحديد الذى كان يهددنا بعذاب يومين لولا لطف ومساعدة بعض اخواننا الضباط. حللنا بعد هذه الرحلة المتعبة بادرنه بلد العثمانيين ومحط امال المسلمين بعد الاستانة لانها قلعتها واساس خط دفاعها الطبيعى فالفيناها فوق ماتصورناها بلدة اسلامية بحتة جميلة الموقع بديعة المناظر واسعة الارجاء مترامية الاطراف تخترقها الانهار الجارية وقد احاطتها الطبيعة بسور منيع فكأنها درة منظومة بهذه الانهار فى جيد الدولة العثمانية وقد ارتفع جامع السلطان سليم فوق جميع ابنية المدينة كأنه خطيب مفوه يدحض مزاعم الغرب مبرهنا على ان لاحق للبلغار فى هذه البلد الاسلامية البحتة اوكأنه من المدينة بمنزلة صاحبه من بقية ملوك العثمانيين فى السياسة وبعد النظر وقوة البأس وسعة الاطلاع .

توجهنا بعد ملاقاة بعض كبار اخواننا المخلصين ثم لزيارة هذا المسجد الذى يعتبر من ابدع وادق المبانى الاسلامية فاذا به فوق ماسمعت ولم يصب من رذالة البلغارى الابقنبلتين احداهما خرقت حائطه الخارجى من الجهة الغربية واخرى هدمت احد العمد المحيطة بحديقته تهديما قليلا وبسرقته جميع سجاجيده وابسطته الاثرية الثمينه هذا عدا استباحتهم ذماره ودخولهم فيه بخيولهم اوباحذيتهم القذرة وقد حطموا زجاج بعض نوافذه البالغ عددها تسعمائة وتسعا وتسعين ثم ذهبنا الى مسجد السلطان مراد (اوچ شرفلى) فاذا بالبلغار قد احرقوه وهدموا الجزء الاعلى من احدى مناراته الاثرية البديعة ثم زرنا الجامع القديم وبه اجمل الخطوط من خط كوفى وثلث وكذا جامع بايزيد وغيرهما فاذا الجميع قد سرقت طنافسها الثمينه وكادت تبقى عارية لولا ما ارسلته اليها نظارة الاوقاف بعد وقد احرق البلغار جامعا قديما عن اخره عند ما احرقوا الميرة التى كانت به

زرنا دار الحكومة فالفينا بها بعض التخريبات وقابلنا الوالى الجديد الحاج

عادل بك مهنئيه فكان خير نبأزفه الينا قوله (انى قداتفقت مع قائد المدينة الهمام محمد على باشا على لبقاء فيها دائما ولتعلم الحكومة العثمانية والعالم باسره اننا سنموت هنا عن اخرنا ولا نترك ادرنه للاعداء وان شاء الباب لعالى فلينسحب اما نحن فباقون هنا والسلام) فشكرته على هذه البشرى وسرنا صوب دائرة المشير فاذبهاقدنجت من فظائع البلغار وقدغصت بكبار قوادنا فقصدنا البطل الهمام بطل الحرية والاسلام انور بك فالفيناه على وداعته وبساطته وبشاشته وخفره اوحيائه الشديد فهناناه على ماوفقه الله له من خدمة الاسلام واحراز فخر لايبلى ثم قصدنا القائد الباسل محمد على باشا لنحظى بلذيذ احاديثه التى اعتدناها منه اثن وجودنا فى جناق قلعه فاعادلنا ماقاله الحاج عادل بك بحماسة عسكرية وزادعليه خبر مباشرته تعمير الحصون واستعداداته المهمة للدفاع عن المدينة ضداى قوة وقال وهويبتسم انى هنا اليوم اقوم بوظيفة شكرى باشا ولى وطيدالامل ان عاقبتى لاتشابه نتيجة جهاده لاننا ولاشك نستفيد من تجربة غيرنا ولانكرر خطيئاتهم فشكرناه على هذه التصريحات واستأذناه فى طوافنا بجميع الحصون والقلاع فاذن بكل سرور وقداخبرنا انور بك انناقدغنمنا من البلغار خمسين الف بندقية و مائتين وستين مدفعا منها ثلاثون خربت واغلب الباقى من عيار خمسة عشر سنتى مترأماالميره فتكفى جيوشنا بضعة شهور والذخيرة فوافرة واما البقر فبضع الاف كان العدو الباغى قدنهبها قسرا من الاهالى ومن غريب امرهذا البطل انه لم يثمل بنشوة الظفر بل قال هذه بعض بضاعتنا ردت الينا فنشكرالله على نعمائه .

زرنا حديقة رشادية واذبها اهلة بالضباط والاعيان وجوقة موسيقاها تشنف الاسماع بجميل نغمات الاناشيد الوطنية فسالت احد الجلوس ماذا كان حال هذه الحديقة فى عهد احتلال البلغار قال كانت دائما طافحة بسكارى ضباطهم ولايقربها احدمن الاهالى خوفا على ماله اوروحه اللهم الا بعض الارمن والاروام المتطوعين للتجسس لهذا العدوالوحشى اوممن يشتغلون بالسمرجة لهم

دخلنا بناءالبلدية الجميل واذا بالبلغار قدبلغت بضباطهم اللصوصية الى درجة سرقة ابوابه البديعة الصنع بل وحجارته الملونه ولولاالسرعةالزائدة التى ابدتها الحكومة فى تعميرها لما امكن سمو ولى العهد النزول بهاقط .

تفقدنا جميع القلاع والحصون وخطوط الدفاع فاذبها سالمة من التخريب اللهم الاحصن ايوازبابا الذى ساتكلم عنه فيمايلى هذا البند. زرنا المبانى العسكرية من

ثكنات ومخازن فاذبهاقدخربها رجالنا جميعها الا النزر اليسير عبثت يد البلغاريين باكثر من نصفه عندفرارهم ولكن من حسن الحظ ان هذه المبانى كلها حجرية فالنار لم تلتهم منها غيرالاجزاء الخشبية كالسقف والنوافذ والابواب فيمكننا اعادتها سورتها الاولى بعدحين قصير وبصرف قليل من المال والعناية. تفقدت بناء محطة السكه الحديد فاذبه اصبح اثرابعد عين لانهم نسفوه بمافيه من الارزاق وحاولوا احراق خمسين روميا فيه لولا فرارهم من احد النوافذ ليلاقوا عذاب الهون والموت الشنيع طعن ببيض الصفاح وتكبيل رباع رباع ثم القاء فى نهرى الاردا والميرتزا ولولا فرار واحد منهم بفضل ذعر البلغار من دخولنا ادرنه ظافرين وتركهم هذا الرومى وشأنه سعيا منهم فى النجاة لبتيت هذه الجناية الفظيعة مكتومة اولا لصقت ظلما بالمسلمين الابرياء .

اخذت ابحث عن بعض الرفاق ممن قضوا زمن الحصار بادرنه من الاجناس المختلفة والاديان المتفرقة حتى اعرف الحقائق كما هى واقف على شعورهم نحو العثمانيين والبلغاريين واسمع بعض تفاصيل جرائم اولئك المتعصبين المتوحشين فعثرت على جملة صالحة استقيت منها كل ما اريده من الانباء الصحيحة وهاهى خلاصتها بكل ايجاز .

من اهم اسباب سقوط ادرنه قلة المؤن بسبب سوءالتدبير عند بداية الحرب اذ اراد جميع اهالى القرى المجاوره الهجرة الى ادرنه بجميع محصولاتهم وضرعهم واموالهم فابى عليهم شكرى باشا ذلك بتاتا ولما ان داهمهم العدو فرواتاركين كل اموالهم بايديه وكان خط السكة الحديد الموصل الى الاستانة قدسقط فى يدالجيش الزاحف من جهة قرق كليسا فاصبح اولئك المساكين بين نارين فى حالة يرثى لها واخيرا صاروا يتراءون على الحوائط السلكية فاخذت شكرى باشا الرأفة بهم فسمح بدخولهم المدينة ليزيدوا فاقتها مع انهم لودخلوها اولا بذخائرهم ومحصولاتهم لكانوا من اسباب نجاتها فما سر هذا التناقض العجيب ؟ هذا ماسيجيب عليه شكرى باشا يوماما . ومن عجيب تصرفاته انه امر بابقاء كل من استطاع من سكان المدينة ادخار مؤنته شهرين مع ان الواجب كان يحتم جعل هذه المدةستة شهور احتياطا وخصوصا وان بقاء اكثر سكان المدينة لم يكن بنافع من جهة عسكرية بل كان عبئا ثقيلا على مخازنها اما الاغلاط العسكرية التى ادت الى سقوط ادرنه فكثيرة اذكر منها جملة اجمع عليها اهل الخبرة الفنيه من اجانب ووطنيين .

اولا لم ننسف جسر مصطفى باشا لنعيق حركات العدو وهجماته ثانيا لم نهاجم جناح العدو الايمن عندماكان يحاول الاحاطة بادرنه مع انه كان منفردا وقتئذ وكان لدينا قوة عظيمة (٧٠ الفا) تكفى لتشتيت شمله وتغيير مجرى الحرب تماما ثالثا جعلنا خطوط الاسوار السلكية قريبة متلاصقة لدرجة أن البلغاريين استفادوا من ذلك وانشأوا من ارديتهم (بلاطيهم) بالقائهم اياها فوق الاسلاك جسرا فوقه اجتازوا هذا السور بواسطته بكل سهولة رابعا ان شكرى باشا الذى كان يجب اعتباره روح الدفاع من اول ساعة اعلنت فيها الحرب اوصد عليه وعلى الوالى واركان حربه ابواب البناء المنيع المسمى بخضرلك حتى نهاية الحرب ولم يخرج قط لتفقد القلاع اوتحريض الجنود وتحريك هممهم وابداء شجاعة تؤثر فى نفوسهم وتجعل كل واحد منهم يحاول التشبه بها وبالجملة فالعامل المعنوى كان فى هذه الحرب مفقودا وقدرأينا اهميته فى الحرب الطرابلسية خصوصا ببرقة خامسا عدم مراقبته حركات العدو بكل دقة والعمل على احباطها واكبر برهان على ذلك ان العدو فى المدة الاخيرة من الهدنة الاولى كان يجر مدافع الحصار ليلا ويغطيها بالطين نهارا حتى تمكن من وضعها خلف الروابى القريبه المشرفة على استحكام ايواز بابا دون ان يكون لشكرى باشا بذلك ادنى علم مع ان هذه الغلطة هى السبب المباشر لسقوط ادرنه سادسا ان نفس خطوط دفاع المدينة قد اخطأ الثقات الالمانيون فى وضعها اذ بدل ان يجعلوا للمدينة خطين للدفاع اكتفوا بواحد وفوق هذا لم يعيروا ملاحظة احد نبهاء اركان حربنا اذنا لهم الخطر على قلعة آيواز بابا اذا تمكن العدو من احتلال الروابى المشرفة عليها والح فى تحصين هذه الروابى وجعلها خط الدفاع الاول فلم يعمل برأيه بدعوى ان احتمال زحف العدو فى الجنوب بعيد وانه من المستحيل عليه وضع مدافعه اوضبط هذه الروابى تحت نيران استحكام آيواز بابا وكلا الطرفين محق بيد ان الحيطة كانت اولى وقد حدث ماتوقعه ضابطنا وكان السبب الحقيقى لسقوط ادرنه سابعا عدم خروج شكرى باشا بخمسين الفا من جنوده المدربين وترك الدفاع عن ادرنه للعشرين الفا الباقية لمهاجمة البلغاريين من خلفهم عندما كانوا على وشك الانكسار امام جيوشنا فى مرقعة ويزة ولولوبورغاس. انه لوفعل ذلك وقتئذ لحصر الجيش البلغارى بين نارين ولقضى عليه شر القضاء ولغير سير الحرب تماما ومن الغريب انه لم يفعل ذلك رغما من الاوامر الصادرة اليه من ناظم باشا بذلك على ما اكدلى بعض العارفين

بحقائق الامور ثامنا مضار الهدنه العظيمة المعنوية والمادية والعسكرية مما لاتحتاج الى شرح او اسهاب تاسعا ارتباع شكرى باشا واصداره الاوامر بالتسليم حالا عقد سقوط استحكام ايواز بابا مع انه قدكان فى استطاعته المحاربة طويلا بعد ذلك بل وارغام العدو على تخليته كما حدث فى استحكام مرعش قبل الهدنة الاولى وفوق ذلك المحاربة بالسلاح الابيض حتى فى الازقة كانت مما يكبد العدو فادح الخسائر لامتياز رجالنا منذ القدم فى هذا النوع من المحاربة ولقدكان لدنيا من الذخائر والارز قوما يكفى لمدد اخرى اذ بالرغم من احراق المخازن ونسف الاكثر وجدنا بادرنه ذخائر عثمانية كماهى عند دخولنا اياها والميرة وزع منها البلغارى على جيوشه وسكان المدينة واسرانا لمدة اثنين وعشرين يوما وقد كان رجالنا متحرقين للحرب بدليل الدفاع الشديد الذى ابدته جميع استحكاماتنا حتى اللحظة الاخيرة ولكن لعل السبب لاسراع شكرى باشا بالتسليم هو رؤيته ان موقع خضرلك الذى كان يقيم به والذى لم تسقط ولاقنبلة بالقرب منه منذ بداية الحرب سيصبح لدرجة معرضة لنيران العدو اى كبقية القلاع عاشرا (مالااريد تصديقه رغم تأكيد الثقات) تأثره بافكار اركان حربه الذين ادخلوا المسائل الحربية فى الشئون السياسية وارادوا النكاية بوزارة شوكت باشا واسقاط الاتحاديين انتقاما لناظم باشا واستعادة وزارة كامل باشا .

وقدكان التسليم يوم الاربعا ١٣ مارت (١٧ ربيع الاخر) الساعة الثامنه قبل الزوال وكان اول من حضر الى خضرلك قائد الجيوش الصربية فاصطحب معه شكرى باشا وذهب به الى مقر الجيش البلغارى وعاد شكرى باشا الى مقره فى المساء ثم ذهب اليهم فى الصباح وكذلك فعل فى اليوم الثالث حين حضر فرديناند قيصر البلغار وقابله وسمح له باستبقائه سيفه ومدح شجاعته وقدرته ثم ارسله مع اركان حربه الى صوفيا مباشرة وهو مقيم بها حتى الساعة كما يعلم القارئ .

وانى لاتمنى ان لاتكون عاقبته كعاقبة بطل بورث ارثور القائد استوسل وارجوان يوفق لاثبات براءته اوتخفيف مسئوليته بادلة معقوله مقبوله .

اما فظاعة ايام الحصار فكل مااقوله انها بلغت مثل ماحل بالفرنسيين ابان حصار باريس سنه ١٨٧٠ ويكفى القارئ ان يعرف ان كل عائلة مكونة من ستة انفس كان يعطى لها يوميا رغيف من الخبز يبلغ وزنه ثلاثة ارباع الاقة يوميا وماهو الاخليط القمح الذى نخره السوس والخشكار مع قاذورات تعافها النفس وانجوالق

الدقيق الذى من هذا القبيل كان يباع سرا بكل رجاء للاخصاء بعشره جنيهات وان اقة الملح بلغت ليرا فرنسية والجبن نصف جنيه انجليزى وماء الابار الشديدة الملوحه بلغ ثمن اقته خمسة قروش وقدا كل الناس سرا لحم الخول والقطط ومن لؤم البلغار انهم ماكانوا يشددون اطلاق مدافعهم على المدينة الاليلا لكى يروعوا الاهالى ويقلقوا راحتهم بيدان سكان المدينة اعتادوا هذه الامور حتى انهم كانوا مثابرين على اعمالهم نهارا وينامون ملئ عيونهم ليلا كأن لاحصار ولاحروب وقد سمعت الكثير من اهل الأديان المختلفة يصرحون انهم كانوا يفضلون تحمل الام الحصار اشد مما كانت عليه مدة سنة اخرى عن ان يروا ادرنه تسقط فى يد العدو الذى ساءهم الخسف واستباح اموالهم واعراضهم . سمعت ذلك من جميع العناصر وخصوصا المسلمين واليهود .

دخل البلغار المدينة بعد طول الحصار وشديد المقاومه خصوصا من جهة قلعة ايواز بابا التى اصبحت جميع الاراضى المحيطة بها عبارة عن جملة الاف من الحفر التى سببتها قنابل المدافع الكبيرة والتى امست مقبرة لاجسام ابطالنا المجاهدين الذين استهانوا بهذه النيران، استهانوا بالموت الزؤام. استهانوا بارواحهم فقد موها فى الدفاع عن الاوطان وفى سبيل الملك الديان ولقد ارانا اليوزباشى محمد على بك الهمام الاف الاجسام المتخذة مختلف الاوضاع العسكريه وارانا كيف انتثرت عظام الاف الشهداء فى هذا المكان الجدير بالتقديس وهو فى اشد حالات التأثر وكأن لسان حاله يقول (اخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى) وكأنى به يردد اقوال فيلسوف الاسلام الكبير ابى العلاء المعرى .

صاح هذى قبورنا تملأ الرحب فاين القبور من عهد عاد

سران اسطعت فى الهواء رويد الا اختيالا على رفات العباد

فقبيح بنا وان قدم العهد هوان الاباء والاجداد .

دخل البلغار والصرب المدينة بعد طول حصارها اما الصرب فبرهنوا على شريف اخلاقهم ومدنيتهم بعدم تعرضهم لاعراض الناس ولا استباحتهم املاكهم بل انهم كانوا يقتسمون مع ضباطنا مالديهم من المآكل فيقدمونه لرجالنا ويقدمون لهم السجاير والعلاج وكانوا يشترون الشئ باكثر من قيمته ويدفعون ثمنه فورا فخلفوا لهم سيرة حسنة بين اهليها بالنسبه للبلغار اما برابرة وحوش البلغار فقد استباحوا الاعراض والاموال واستحلوا النهب والقتل وارتكبوا كل موبقة فى الارض بدون

حياء اوتألم ومن الغريب ان الاروام والارمن العثمانيين كانوا عيونهم واعوانهم بل وفي بعض المواقف المحرضين لهم على ارتكاب هذه الجرائم الاولون لمجرد اتفاق اليونان مع البلغار والاخرون لمجرد حب الانتقام حتى بلغت القحة ببعضهم حد التصريح باعلى صوته هانحن تنتقم لمن قتل منا باطنة .

اطلق البلغار سراح غير المسلمين من الجنود واما اخواننا المسلمون فقد حشروهم في الجزيرة المسماة (سراى ايجنده) وكانوا نيفا وخمسين الفا فتركهم في العراء تحت مطر كافواه القرب وفي برد يقتل من تعرض له مقرورا وبدون اكل لمدة اربعة ايام كان يموت فيها حوالى الثمانمائة شهيدا بالمسغبة بعد معاناة آلام القر والجوع وكان من مات يترك مكانه فاما تأكله الكلاب امام اعين اخوانه البؤساء واما يتعفن ويتفسخ ويزيد الحالة الصحية رداءة والاسرى عذابا وكل من استغاث منهم اشبعه الحرس البلغارى ضربا بمؤخرات بنادقهم وكل من اراد من مسلمى المدينة تقديم شئ من الطعام نهب وضرب اوقتل . ومن لؤم اولئك الوحوش البلغارية انهم اعلنوا ان الكوليرا تفتك بالاسرى ولهذا وضعوا الجزيرة تحت الحجر الصحى وماكان الفتك الانتيجة المسغبة اوالسفالة الفسيولوجيه وانما هى حيلة ارادبها البلغار منع قناصل الدول من تفقد احوال الاسرى المساكين ولكن القناصل فقهوا الحقيقة بعد ان فقدنا حوالى الاربعة الاف نسمة من زهرة شباننا الذين لاجرم لهم الا الدفاع عن الاوطان وبيضة الاسلام .

جاء القناصل وراوا هذه الاحوال المروعة التى يتعوذ من فظاعتها حتى برابرة القرون الاولى فالحوا على قائد الجيش البلغارى بان يخرجهم من هذا المكان الرطب الضار بالصحة وان يرحمهم فيوزع عليهم الطعام فنقل الجزء الاعظم الى شاطئ نهر الاردار وارسل الباقين الى جهات اخرى سواء من سابقتها وتركهم بجوار الماء في الشتاء القارص غطاؤهم السماء وفراشهم الغبراء وكان يصرف لهم الاكل في الاربعة ايام مرة واحدة ومن قسوة البرد كانوا يحفرون في الشاطئ الكهوف لتقيهم عواصف الرياح وتساقط الثلج وكان يموت منهم يوميا نيف واربعمائة شهيد واخيرا ارسلهم الى القرى المجاورة ومن ثم الى بلغاريا لاجل استخدامهم في اعمال الطرق وفلاحة الغيطان وبالجملة جميع الاشغال الشاقة وكذا للتسلى بقتل الوفهم كما حصل اخيرا في يكى زغره وسيمينلى .

اخذ العسكرى البلغارى يسلب الضباط والعساكر العثمانية ساعاتهم واموالهم

امافى مقابل بعض لقيات واما بقتال من قاوم اوعارض. نهبوا كثيرا من الحوانيت والدور وهتكوا الاعراض، ويكفى ان اقول للقارئ انهم استباحوا عرض اكثر من ثلاثمائة مخدره اسلامية بمدينة ادرنه ولم يتركوا ولاروميه بجهة قرهاغاج الا استباحوها ولم يتركوا ولابنتا من سن السابعة ومافوق بقرية باولى كوى الاسلامية وانهم اخذوا بضع مئات من المسلمات بجهة معلقره وارغموهن على الفحش وقتلوا كل من عارضهم وعلقوا رؤسهن مصلوبة بالمسامير فى الجامع تسيل منها الدماء شاكية الى الله وحشية اولئك الكلاب سبة البشر وعار المسيحية الابدى. اماقتل الرجال والاطفال وحرق المساكن والجوامع فاترك تفاصيله للجرائد ولقد قال لى احد شيوخ مسلمى جهة باولى كوى ان النهب والسرقة واحراق المساكن امر قد يحتمل واما التنصير قسرا فمن الممكن ايضا قبوله حتى تحين الفرص للهجرة والعودة الى دينى واما قتل الابرياء فمع شدة وقعه نجد بعض السلوى فى اعتقادنا ان كل حى سيموت الا الله ولكن هنالك امرا لايمكن احتماله والموت احب الينا منه الا وهو هتك اعراض نسائنا وافتراع بناتنا فوالله لوانا قتلنا جميع البلغاريين لما انتقمنا لانفسنا عن هذه الجريمة الشنعاء فكيف نغسل هذا العار الاليتنى ذهبت مع من استشهد ولم ابق لاحتمال هذه الكارثة المدمرة التى مانزلها بالمسلمين الاتقاطعهم وتخالفهم واغترارهم بعدل اوربا .

ومن غريب التصادف ان جيشنا المظفر دخل ادرنه فى الساعة الثامنة قبل ظهر يوم الثلاثاء ٩ تموز الموافق ١٧ شعبان اى ان البلغار لم يمكثوا بى سوى اربعة اشهر قرية تماما ثم اراح الله المدينة من رجسهم وشرورهم وليست هذه اول مرة اخذت منا ادرنه ثم استرجعناها فلقد اخذها الروس منا فى سنه ١٨٢٩ ثم استرجعناها ثم دخلوها فى سنه ١٨٧٧ واخيرا اخذناها فكان دخول بلغاريا لها ثالثة الاثافى وقطع الله دابر القوم الفاسقين اما تفصيل دخولنا المدينة فقد اسهبت فى بيانه الصحف اليومية بيدانى اريد ان اوجز فى ذكر هذه القصة ولااتركها لاهميتها العظيمة

عندما بدأ جيشنا بالتقدم ارتاع البلغار وهرع اكثرهم للفرار حتى ان حامية ادرنه فرت وتركتها خالية فتسلح شبان الارمن واخذوا يهينون كل من قال ان الجيش العثمانى قادم وكانوا يطلقون بنادقهم فى الهواء ليلا وقد بلغ الجزع بالاهالى ان حبسوا انفسهم فى بيوتهم ثلاثة ايام بلياليها وفى اليوم الرابع اى عقب توقف جيشنا فى كيشان ظن البلغار اننا لن نتقدم فرجعت جنودهم من جسر مصطفى باشا واخذوا يطوفون

بموسيقاهم الشوارع واطلقوا المدافع فى المدينة ونشر قائدهم بيانا رسميا يؤكدان ادرنه ستبقى بلغارية وان الصلح قدعقد منذحين مع تركيا وان بعض من لا اخلاق لهم من الخونة يشيعون قصدا زحف الجيش العثمانى على ادرنه وحذر الاهالى من تصديق اقوالهم ونصح لهم بتبليغ الحكومة عن كل من تجرأ على ترديد هذه الاشاعة الكاذبة واحضروا حوالى الثلاثة الاف من رجال عصاباتهم المتوحشين يريدون تكليفهم بذبح المسلمين واليهود واحراق المدينة عند مايتأكدون من اقتراب جيشنا من المدينة . تألم الاهالى من خيبة آمالهم اذ صدقوا اكاذيب قائد جيش برابرة البلغار ولكن العقلاء منهم راوا ان فرار البلغار لم يكن بدون سبب وتأكدوا ان الجيش العثمانى المظفر قادم اليهم بعد حين قصير . اراد البلغار فوق ذلك ايجاد فتنة دموية وارهاب النصارى فاشاعوا ان الجيش العثمانى سيقتل جميع النصارى ويذبح اطفالهم ويهتك اعراض نسائهم (كأنهم ظنوا ان جيش الاسلام مثلهم عريق فى الوحشية) استمروا يدبرون المكائد ويستعدون لانفاذها الى ان داهمهم البطل ابراهيم بك والمقدام انوربك وجنودهما واقتحموا المدينة بعد اسر حاميتها داخلين من جهة آيواز بابا وكان اول من دخل المدينة فى الساعة ثمانية صباحا ستة من الفرسان ثم بلغ عددهم الثلاثين عند الساعة التاسعة وفى الساعة العاشرة وصل انور بك وجنوده وكان فرساننا قد احتلوا محال تقاطع الازقة وعند مارآهم الاهالى هرعوا افواجا وقد تقدم الجميع المفتى وحاخام باشى اليهود فى عربته خلفها جوقة موسيقى ثم عشرات الالوف من الاهالى يذرفون دموع السرور ويرقصون فرحا ويشكرون الله على ان خلصهم من مخالب كلاب البلغار الضارية التى فرت كحمر مستنفره لاتلوى على شئ بصورة مخجلة ضابط بلا حذاء ومريض بغير ملابس ورجال العصابات بلا اسلحه. امامنظر تعانق جنودنا مع اهالى المدينة فحدث عنه ولا حرج فلقد يقصر ابلغ الكتاب عن وصفه اذ يستحيل على الماديات تصوير حقيقة الوجدان والشعور الروحانى اماشبان الارمن والبلغار فقد فروا الى الروملى الشرقى مع البلغاريين مخافة انتقام الاهالى منهم وبقى سكان المدينة فى اعياد اولها وصول الجيش العثمانى وثانيها عيد الحرية وثالثها يوم تشريف الوالى ورجال الجندرمة وجميع الموظفين الملكيين ورابعها تشريف صاحب السمو الملكى ولى العهد يوسف عزالدين افندى والامير ضياء الدين وخامسها المناورة البديعة التى قام بها جنود انور بك التى قطعت ثمانين كيلومتر فى اليوم

وقد شاركهم فى هذه المناورة طيارة عثمانية كانت تحلق فوق جميع ارجاء المدينة فتحييها الاهالى بالتصفيق والتهليل خصوصا الجموع المحتشدة بالميدان القريب من دائرة المشير وبرج البلدية حيث كانت عشرات الالوف من الاهالى قد اجتمعوا للاحتجاج على حكومات الغرب واصرارها على اعادة ادرنه الى البلغار وقد خطب نواب كل العناصر حتى رئيس قساقسة البلغار والجميع يشرحون فظائع البلغار وهول مالاقوه منهم ويثنون على الجيش العثمانى وعدل حكومته ويتطلبون بقاهم مستظلين بعلم الانصاف والرحمة علم العدل والاخاء العثمانى علم التوحيد الاسلامى ويصرحون بانهم يفضلون الموت فى سبيل الدفاع دون سقوطهم مرة اخرى فى قبضة بلغاريا وقد قال كل من الخطيب اليهودى والرومى اذا كانت اوربا سيبلغ بها التعصب لدرجة تعميها عن رؤية فظائع البلغار وتصمها عن سماع شكوانا وانين اخواننا الشهداء وتصر على اعادة ادرنه الى البلغار فنحن نعلنها باننا قد صممنا على هدم واحراق كل المدن والقرى والهجرة الى الاملاك العثمانية تاركين هذه الربوع قاعا صفصفا ونذهب ونعيش فى ظل العثمانيين امين على انفسنا واموالنا واعراضنا وحريتنا الدينية وقرروا ايفاد نوابهم الى قناصل الدول وبعدئذ ارسال هيئة الى عواصم اوربا لابلاغها رغبات اهالى تراكيا وسكان ادرنه عموما وفعلا طافوا على القناصل. اماوكيل قنصل انجلترا فقد رفض دون غيره قبول هذا الاحتجاج فارسلته الهيئة على لسان البرق الى السفارة بالعاصمة واماقنصل روسيا فاراد الاستفسار من القس البلغارى والنائب الرومى عما اذا كانت هذه حقيقة ميول النصارى فاجابه القس البلغارى انى اول من يقر ذلك ويرفض عودة الحكم البلغارى باى صورة كانت فدهش القنصل ووعد بارسال قرارهم الى حكومته اماقنصل فرنسا فقد اخبرهم انه قد ارسل تلغرافيا بتفصيل مارآه واثنى على الجيش العثمانى ولماشكر واله صنعه وجميل دفاع الصحف الفرنسية عن حقوقنا قال انى باعث بقراراتكم الان واما جرائدنا فهى تسعى فى التكفير عن خطيئاتها السابقة اذاغترت بظواهر البلغار وصدقت مفترياتهم ضد الحكومة العثمانية واماقنصل المانيا فكان يشارك العثمانيين السرور والعواطف وابدى من اللطف وجميل الوعود مادخل الفرح على قلوب رجال الوفد واماقنصل النمسا فوعدهم بالمساعدة ثم ذكر نبذة من فظائع البلغار وقال نعم انه ليحق لكم التمسك باذيال الحكومة العثمانية العادلة التى (رأينا اول نفر من جيشها اكثر مرحمة واشرف سيرا واشد عدلا من اكبر قائد بلغارى) .

قلقت خواطر الاهالى نوعاما من خطة اوربا. ولولاتصريحات كل من القائد العام احمد عزت باشا وقائد ادرنه محمد على باشا والبطل انور وفتحى بك وشوكت طورغود باشا التى تلخص فى ان ادرنه تؤخذ لاتعطى واننا ستحميها لآخر نسمة من رجالنا وان صدور امر حكومتنا باخلائها (وهو المحال) سيكون معناه التوغل فى البلاد البلغارية ومعاملتهم بمثل مافعلوه ببلادنا اقول ان هذه التصريحات اعادت السكينة والطمانينة الى قلوب الاهالى وحمدوا الله على خلاصهم من ربقة ظلم البلغاريين المتوحشين .

ان اهم مالفت نظرى فى هذه الرحلة اولا مبلغ مدنية اوربا وتشدق دعاة المسيحية بالعدل والرحمة مع انهم جميعهم مثل البلغار اذا ماخلا لهم الجو من المعارض وانهم ابعد اهل الارض عن العمل باوامر عيسى عليه السلام العادلة ثانيا حالة جيشنا المعنوية والنشاط الزائد واستكماله جميع المعدات ورغبة جنوده فى الحرب انتقاما من اعدائه اللئام ثالثا ان الحدود الطبيعية بيننا وبين البلغار هى ادرنه ان لم تكن جبال البلقان اسوداء الفاصلة بين بلغاريا والروم ايلى الشرقى الذى اضاعه منا كامل باشا بخرق سياسته رابعا غنى هذه الربوع الطبيعى واهمالنا استثمارها واكمال البلغار على ما كان بها من اثار المدنية والحياة خامسا سوء ادارة السكة الحديد وسقوطها دون اللحاق بسكة حديد الاناضول فى النظام وكمال المعدات وغلظة اخلاق مأمور يها سادسا ان العناصر المسيحية التى خدعتها الدول البلقانية وتشويق اوربا فجعلتها تكفر بنعمتنا وتخرج علينا قد ادركت الفرق بين الاقوال والاعمال وفقهت الحقائق المرة وعلمت ان اعدل الحكومات وارأفها برعاياها هى دولة الخلافة وكل حكومة اسلامية سابعا اجمل منظر اثر فى قلبى هو رؤيتى الاطفال جالسين عند منعرج الطرق بكل سكون وطمانينة وقد ملأ كل واحد منهم اناء من الماء اواخذ بيده قدحا يملأه ويقدمه لاخواننا الجنود يشربونه ليطفئوا به حرارة القيظ وكثرة العمل غير طالب منهم اجرا ولا شكورا بل بمجرد السرور لقيامه بخدمة صغيرة لجيش الاسلام المجاهد فى سبيل الله الذى خلصهم من ظلم البلغار. ان هذا المنظر البسيط مثال الحنو الاسلامى والاخاء الصحيح وعنوان المحبة القلبية المتبادلة بين هؤلاء الاطفال وابائهم المجاهدين وقد زاد تأثرى من هذا المنظر مقارنتى له بما كان عليه اولئك الاطفال من الهلع والاختفاء فى عقر بيوتهم ابان وجود الجيش البلغارى ثامنا افراط البلغاريين فى شعورهم الوطنى واعتقادهم الدينى لدرجة يجب

علينا التمثل بها نوعا مافلقد رأيتهم يغيرون جميع الكتابة التركية بالبلغـارية حتى على عربات السكة الحديد ويرغمون الناس على التكلم بالبلغارية واعتناق النصرانية بينما نحن قدضيعنا لغتنا واهملنا الدعوة الى ديننا تاسما ازددت اعتقادا بان الحكومة العثمانية لم تكن بالبلقان الاحرد حارس للسـلام العام يؤبدالنظـام به ويحول دون تطاحن عناصره المختلفة وان اوربا ستندم وخصوصا النمسا على اخراجه من مكانه وتمكين هذه العنـاصر من رقاب بعضها عاشرا اصـبحت اعتقد من كل قلبى ان لاخلاص للدولة الابهمة شبانها وانه لاخير من شيوخها كاقال خورشيد باشاوان سبب سقوط الشرق واضمحلال الاسلام اختلاف اقوامه وانخداعهم بوعود اوربا الكاذبة وهاهى البانيا كانت السبب فى هذه المصيبة التى ذهبت بحوالى المليون من نفوس المسلمين واضاعت هذه الاقطار الواسعة الغنية منا وستجر على نفس الالبانيين كل بلاء وشقاء جزاء خروجهم عن جامعة الدين ومسـاعدتهم اعداءه وفى هذا الدرس عبرة لجميع الطوائف الاسلامية هدانا الله سواء السـبيل واتم نعمته علينا وعفا عن سالف سيئاتنا برحمته وكرمه امين .

الدكتور

احمد فؤاد المصرى

جملة من المترجم

الى حضرة عبدى بك ساير يوزباشى باكلاى قاسم باشا اشاوة
الى وشكرى ثنائى على مكارم اخلاقه لاحتقائه واكرامه

ان راى العالم فى الجيش العثمانى ، هذا الرأى الذى انتجته دراسة تاريخ هذا الجيش المجيد وشهرة مزايا الجنود الاسلاميه والعلم بما بذله المرحوم محمود شوكت باشا ، والحكومات الدستورية التى اشترك فيها ، من الجهد العظيم لجعل تشكيلات القوى العثمانية ووسائل قتالها فى الدرجة اللازمة . هذا الراى الذى أيده المنطق والحكم السليم والتجارب واذعن لقبوله والشهادة به اعداء هذه الامة التى انكروا اكثر فضائلها . — كاد ان ينقضه انحلال ذلك الجيش فى وقائع تراقية الاولى لولم تثبت الحوادث التى تلت معارك قرق كليسا ولوله برغوس ، وثبات ادرنة واشقودرة ويانيا ان الجيش العثمانى لايزال نعم الجيش كما كان فى كل زمان وكل مكان ، ولولم يشهد العدول بانه برئ من جريمة الفشل التى جناها عليه اولو امره بما لم يكن فى الحسبان .

وقد كنت من اقوى الناس اعتقادا بحتم فوز العثمانيين فوزا مبينا فهالنى هذا الخطب الذى تجاوز اقصى ما كان يمكن ان يتطرف فى احتماله المتشائمون ولذلك لم اتردد فى اقتحام كل الموانع والانضمام الى الجيش العثمانى لابحث بنفسى عن سر تلك الخيبة المدهشة و جدت بالطريقة التى سأشرحها فيما بعد ما كان لى ان الجنود وضباط الصفوف والضباط لاتزال فيهم تلك السجايا العالية التى ذللت النجاح لآبائهم واجدادهم . واستنتجت من ذلك ضرورة البحث فى جهة اخرى عن علة تقصيرهم فى المهمة التى لازم التوفيق آباءهم واخوانهم فى اصعب منها .

ومن بين الشهود الثقات الذين وجدت من الواجب الاخذ بقولهم البكباشى

ج . فن . هخوختر الذى اقدم اليوم لقراء العربية مذكراته الثمينة التى كتبها ، تحت تأثير الظروف والحوادث مباشرة فانهذا القائد الذكى النشيط بالرغم من الانفعالات المتضاربة والمواقف الحرجة وفىّ مارآه اونقله عن العدول حقه من الوصف والتعبير ولاينبؤك مثل خبير .

ولولم يقتصر على ذكر الدواعى الفنية — التى تكاد تغنى عن استتباع البحث فى غيرها — لمازدت على ما كتب حرفا ولكن الاعتبارات التى جعلته يقف قلمه لدى عيوب سوق الجيش وتعبئته لاتمنعنى عن اظهار اسباب تلك العيوب حتى يبرأ الجيش منها نهائيا ولنتقى فى الاستقبال .

وبما ان جميع المذاكرات التى دونها مسيو فن هوخوختر — حتى التى تظهر بادئ بدء تافهة — ذات اهمية كبيرة فانى اوصى بتمام العناية بها ليسهل تبيين تلك الاسباب وتوضيحها .

القائد الرشدى

الاستانه العلية ١٢ رمضان سنه ١٣٣١

مقدمة

المؤلف



لقد سمح لى اتفاق الظروف الحسنة بان اتبع منذاول الحرب البلقانية سير العمليات فى اركان حرب الفيلق الثالث الذى يرأسه محمود مختار باشا وهو من خيار القواد العثمانيين .

وقد تمكنت بفضل هذه المكانة الحسنة من ان اشاهد عيانا كل العمليات التى اشترك فيها هذا الفيلق من ابتداء الحرب الى وقت الهدنة .

واذ كنت قد اوجبت على نفسى فى اثناء نشوب المحاربة ان اقيد فى كل ليلة ما كان فى كل نهار يؤثر فى من المناظر وما كان يجول فى جنانى من الخواطر فاذا عقدت النية على ان انشر اليوم مذكراتى الوجيزه فذلك لانى اعتقد انى اقدم بها بعض مايستعان به على كتابة تاريخ كامل مستوفى لهذه الحرب .

وانى لأريد ايضا بعملى هذا ان اظهر الاسباب التى انتجت اختلال الجيش العثمانى وانحلاله السريعين وان ابين انها لاعلاقة لها بقيمة الجندى التركى العسكرية ولا بالطريقة الالمانية التى تتبع فى تعليمه وتدريبه .

غير ان الحالة السياسية الحاضرة تضطرنى الى بعض اقتضابات لاتسمح لى بتوضيح جميع النقط توضيحا تاما . وان ما لقيته من الحفاوة والمودة فى الفيلق الثالث يجعلنى ارى من الواجب على ان اعبر هنا عن شكرى الجزيل لقائده القدير وللضباط الذين تتشكل منهم هيئة اركان حربه .

الاستانة وفيسبادن — فى ديسمبر سنه ١٩١٢

المؤلف

مع الاتراك فى الحرب



حصلت فى شهر سبتمبر من سنة ١٩١٢ على رخصة فبارحت حاميتى فى دمشق الشام لاتمتع بتمضية الاجازة فى المانيا ـ وقد كانت الحالة السياسية منذ ذلك الحين مهددة منذرة والناس فى كل موطن يرون امكان نشوب الحرب بين الدولة العثمانية والممالك البلقانية الا انه مع ذلك كان يخيل ان السياسيين يحاولون تاخير ابان المصادمة وان الدول الكبيرة تبذل جهدها لافهام الحكومة العثمانية انها لا ينبغى لها ان تنتظر شيأ من اوروبا التى لا تسمح بتغير حالة البلقان الحاضرة .

ومما يؤسف له ان الوزارة العثمانية انطلت عليها هذه التصريحات التى بنت عليها علالى الثقة وقصور الاطمئنان ولم تظن ان الحالة من الخطورة على جانب عظيم ولكنها مع ذلك اتخذت بعضا من وسائل الحيطة استدراكا لما عساه ان يطرأ من القتال .

وقد استدعى الخطر الجديد الذى ستتعرض له الدولة ان تخرج هذه نفسها من ورطة الحرب الطرابلسية فعقد الباب العالى الصلح مع ايطاليا ليخلوله البحر فيتمكن من استحضار جنوده الاحتياطية الاسيوية ـ ولقد كان متاكدا لدىّ قرب انتشاب الحرب وكنت عالما بان الدوائر العليا تتوق الى اظهار مزايا الجيش المصلحة شؤونه حديثا وان الحكومة العثمانية كان يسرها ان تبارز ايطاليا وتناجزها وبالرغم من ان الترتيبات العسكرية لم يتم افراغها فى قالب التحسين المرتضى فان الضباط الاتراك كانوا مقتنعين بعلو كعبهم على اخصامهم ـ كما ان فى المانيا نفسها كان كثير من المطلعين يقدرون ارجحية الفوز للدولة العثمانية ـ اذا استطاعت ان يستقر رايها على ان تنهى فى السكون والطمأنينة وضع جيوشها على قدم الحرب وان تبقى على المدافعة الى نهاية العمليات الابتدائية الا انه كان ايضا من اللازم ان تراعى الملاحظات التى ابداها المشير فون در كولتز عقب مناورات سنة ١٩١٠ .

واما انا فقد بترت مدة اجازتى وحصلت عند مرورى ببرلين على كتاب توصية من المشير فن درگولتز باشا الى عبدالله باشا الذى يحتمل تعيينه قائدا عاما وسافرت من طريق كونستنزة الى الاستانة حيث أملت ان انضم الى الجيش العثمانى وادخل معه فى ميدان القتال .

*
* *

يوم السبت ١٢ اكتوبر — حماسة عظيمة سائدة فى الاستانة والطرق مائجة بجماهير مختلفة الازياء والاشكال والالوان. وانفار كثيرون يمرون مثنى مثنى متعاقدين الخناصر ومتغنين وميممين ثكنة (قشلة) تقسيم (بك اوغلى) لتسلم الملابس والاسلحة — وفى استامبول امام وزارة الحرب ضربت خيام معسكر لترسل الجنود منه الى محطة الطريق الحديدية التى ستوصلهم الى خط الحرب .

اركان الحرب العام تشتغل بنشاط وقد اعلنت حالة الحصار واشهرت الاحكام العرفية. لايجوز السير فى الطرق بعد الساعة الحادية عشرة مساء — وصارت العجلات وعربات الترام نادرة وذلك لان الخيل اخذت لسد حاجات الجيش .

لايتحدث القوم فى كل مكان الا بالحرب وقد تطوع الناس حتى الاجانب للدفاع عن الحق وزاحمت النساء والاطباء فى الهمة والنشاط لتأسيس الخدمة الصحية وتشكيلها ووضع المعلمون الالمانيون انفسهم تحت تصرف وزير الحرب ولكن خدمتهم لم تقبل الى الآن وذلك لانه يقتضى ان يتنازلوا عن مراكزهم بالجيش الالمانى والى الآن لم يرخص بالاشتراك مع العثمانيين فى القتال الا للقائممقام فن لوسوف وللميرالاى فيث اللذين رتبا شؤنهما على الطريقة التى ترضاها السلطة العسكرية التركية وكذلك لى .

جعل الجيش على قدم الحرب مشتغل فيه الا ان تمامه لايزال بعيدا ويقال انه تلزم ثمانية ايام اوعشرة للتمكن من الانتقال الى خطة المهاجمة وان البلغار ايضا لفى هذه الحالة نفسها. الطرق الحديدية تشتغل عن النهاية القصوى من كفاءتها النقلية فطريق الاناطول تستطيع ان تنقل يوميا من ١٦٠٠٠ الى ١٧٠٠٠ رجل واما طريق الاستانة الى ادرنة فلا تسفر الا ١٢٠٠٠ رجل فقط وقد سخرت بواخر يونانية عديدة لنقل الجنود من اسيا الصغرى .

استعرض السلطان اليوم الجنود المحتشدين فى اياستفانوس (سان استفانو) وهم الذين سيقومون غدا الى خط الحرب. شكل الجيش العثمانى على الوجه الآتى :

المركز العام الاكبر لايزال فى الاستانة والقائد العام الاكبر وزير الحرب ناظم باشا ورئيسا اركان حربه هادى باشا وبرتو بك .

الجحفل الاول — المسمى بجيش تراقية — وهو مكون من التفتيش الاول (برنجى مفتشلك) يشمل الفيالق الاول والثانى والثالث والرابع . وقائد هذا الجحفل عبدالله باشا ومحور عملياته خط ديموتيقه ـ قرق كليسا .

الجحفل الثانى — المدعو جيش مقدونية — قائده العام على رضا باشا فى سلانيك وهو يشتمل على ثلاثة اجزاء مستقلة :

الجزء الاول — وهو يتركب من ثلاثة فيالق مقواة بفرق من الرديف قائده ذكى باشا ومكانه على خط اشتيپ ـ اسكوب ومواجهته نحو الحدود الصربية البلغارية .

الجزء الثانى — وهو مركب من فرقة من الجيش العامل وفرقتين من الرديف وقائده محمود باشا وهذا الجزء معد لمحاربة الجبل الاسود .

الجزء الثالث — ويتركب من فيلقين اوبعبارة اخرى من فرقتين عاملتين كل واحدة منهما مقواة بفرقة من الرديف . وقداختص هذا الجزء بمقاتلة اليونان ومواضع القسم الاول منه فى ابيروس فى منطقة يانيا . ومراكز القسم الثانى منه فى تساليا فى منطقة قوجانه .

عبدالله باشا رجل ذو كفاءة وهو يتكلم اللغة الفرنسية بطلاقة تامة. وانهم ليعرفون فيه صفات الاستقلال الشخصى فى العمل والارادة المتينة وسعة الاطلاع فى المعارف الحربية ورئيس اركان حربه الميرالاى جواد بك وهو ايضا رجل نشاط وعمل

***

يوم الثلاثا ١٥ اكتوبر — أنهيت ترتيب شوؤنى وحصلت من وزير الحرب على امر اللحاق بالمركز العام الكبير للجيش الشرقى ووجودى تحت اوامر الفريق عبدالله باشا

انطلقت فورا الى اقلام الحربية الموضوعة فى بناء صغير موجود فى الميدان الكبير امام وزارة الحرب وقدمت نفسى الى هيئة اركان حرب عبدالله باشا التى تستعد للسفر . وكان الفريق نفسه يريد ان يسافر فى مساء اليوم وان ينقل اركان حربه الى لوله بورغاز حيث التحق به بعد يومين .

عين لوسوف ايضا فى اركان حرب عبدالله باشا وقد اتفقنا على ان نسافر سواء.

⁂

يوم الخميس ١٧ اكتوبر — كانت الساعة ٦,٥٨ موعد قيام قطارنا ولكن ازدحام الطريق الحديدية حال دون سفر القطار

القطارات الذاهبة الى سلانيك تتوالى سراعا متوجهة اليها فى حين انه لا يوجد قطار واحد يمم جهة الشمال .

سنسافر مع فصيلة استحكام غير اننا يجب علينا ان نسدد قيمة التذاكر من لدناوانى نظار المعجلة التى اتبعتها فى سعيى للسفر لم استحضر لاخيلا ولا نفر الخدمق الا ان حوائجى مرتبة وها نحن فى الساعة التاسعة مساء ولا نزال لا نعرف فى اى وقت يستطيع قطارنا السفر وقد اكلنا مما يباع فى المحطة احتفاظا بزاد الطريق .

الميرالاى بوسلت والكونت بلسن معنا يجالساننا ويؤانساننا وفى الساعة ٩,٣٠ وضع حصان لوسوف فى عربة الطريق الحديدية

القطارات يتوالى سفرها بين التهليل والتكبير الحماسيين اللذين يصيح بهما الجنود المنتظرون دورهم فى السفر .

طال الانتظار وتعمق الليل وقد اقفلوا فى الساعة ١ قاعة الانتظار فاخذنا مجلسنا على المقعد الخشبى الخارجى ننظر الى القطارات المسافرة .

اختفى وفاض زادى ولكنى آمل ان اجده فى احدى العربات ان شاء الله .

نرى الرديف يمرون وابصارهم خاشعة لا ينظرون لغير الارض وانهم ليجرون ارجلهم زارحين تحت اعباء المراحل الطوال التى ابعدتهم عن ديارهم ذات الطقس الدافئ . يمكن تشبيه هولاء العساكر بجنودنا المدعوة « لاندوهر » لولا ان هولاء الرديف لم يحصلوا فى شبيبتهم على التعليم العسكرى المتين الذى حصلت عليه جنودنا الاكالية .

اعطيت اشارة بالبوق (البورى) فاندفع جميع الجنود الى العربات بدون نظام ولم يسمعوا من الضباط امرا ولا رأيا وفى الساعة ١,١٥ وصلت فصيلة الاستحكام. وان منظر هؤلاء العساكر الذين يدربهم ضابط المانى وهو البيكباشى جوتشالك ليؤثر فى النفس تأثيرا حسنا وقد ركبوا القطار من محطة البضائع فتبعناهم ووجدنا مكانا من اماكن الدرجة الاولى فحملناه على الرحب والراحة وقد اوجدت مى حوائجى

الاوفاض الزاد الذى لم اجده ثم احسست بالبرد فخلعت ملابسى والبست الكرك وعندالساعة ٢ تحرك القطار فاسترسلنا الى المنام .

*
* *

يوم الجمعة ١٨ اكتوبر — الساعة ٧،٣٠ صباحا الشمس ساطعة ولكننا لم نسر الا ببطء ولم نصل للآن الا الى منتصف الطريق

اخذنا فى دراسة الخريطة والارض تمضية للزمن .

لوان الارض وشكلها مستمران على وتيرة واحدة وهى ذات هضاب ووهاد ووديان عميقة. الحقول والمزارع تركها اصحابها ولا يوجد فيها الآن الا بعض الرعاة الذين لم يفارقوا قطعانهم واننا لنرى كثيرا من مزارع الطباق (الدخان) ثم اراضى تغطيها الغضى والسدرات .

مررنا بسينكلى واخبرنا باننا سنصل الى چركس كوبى فى الساعة ١١

اشتدبنا الجوع ولكن لايوجد مايؤكل فى چركس كوبى .

خرج القطار من هذه المحطة الى سهل شاسع ولم تعد تجر قطارنا الاقاطرة واحدة ولكن التعب انهك قوى المستخدمين وقد نام الوقاد فى اثناء الشغل ولكن الله سلم وان المستخدمين كلهم ليتكلمون الفرنسوية اوالالمانية .

سألت فى اثناء السفر عن اسلحة الجيش فعلمت ان المشاة يستعملون بندقيتين : الموزر والمرتينى التى غيرت جعبتها (ماسورتها) فصارت كلتاهما تطلقان خرطوشا واحدا وهو ذو الرصاص المدبب (سيورى ماوزر فشنكى) وان ذلك يسهل الامداد بالذخيرة وان الخيالة كلهم يستعملون قرابينتنا (بندقية الخيالة القصيرة) و ان منهم الايا واحدا يستعمل المزاريق .

لقد قاربنا جنود الميدان ورأينا فى چورلى معسكرا كبيرا . وصلنا فى الساعه ٢ الى مرادلى حيث توجد عساكر من الفيلق الثانى (الدردنيل) وقد ركبوا القطار قاصدين خط الحرب .

الاشغال العسكرية سائرة بنشاط فى كل هذه الارجاء وقداقيمت جنود الرديف على طول الخط فى مآو وقتية اما الجنود المسافرون فانهم يؤثرون فى النفس تأثيرا حسنا وذلك لانهم يتغنون وينشدون ويدخنون وذلك ممايدل على تاثير التربية الالمانية .

واخيرا وصلنا الى لوله بوغاز فى الساعه ٣ ووجدت لحسن الحظ عربتين فى المحطة

التى يبعد عنها المركز العام مقدار نصف ساعة . وان الالاى الثالث وفصيلة الاستحكام ليقفان هنا ايضا . وقد ازل حصان لوسوف المعروف وركب معى خادم الميرالاى وهو ابراهيم افندى الارنؤودى فى عجلة كصندوق السكائر فى الصغر ثم انطلقنا نقصد المركز العام .

المركز العام مقيم فى البناء الجديد الوحيد الذى كان من قبل مدرسة وهو محاط بكثير من عربات قوافل التموين التى تجرها الثيران وهذه المدرسة تشتمل على اربعة غرف تستعمل ايضا لنوم الضباط .

وقد سهل لنا الشاب اللطيف حسن بك الملحق باركان الحرب والذى يحسن التكلم بالالمانية — الحلول فى غرفة طيبة جدا من غرف فندق « بالاس أوتيل لوله بورغاز » وقابلت عددا من الرفاق القدماء ومنهم صلاح الدين بك من ضباط اركان حرب سامى باشا سابقا ومن الذين اشتركوا فى حملة حوران . وكل هؤلاء الضباط من الظرف على جانب عظيم الا انهم مع ذلك لايفتحون خزانة اسرارهم ويظهر انهم اتفقوا على ان لايبوحوا بشئ للمعلمين الالمان .

واخيرا بعد مضى ساعة حضر عبدالله باشا الذى رحب بى وامرنى ان اكون فى صباح الغد مستعدا للحاق بفرقة الخيالة فأخذت افكر كيف انفذ هذا الامر وانا لاخيل عندى فرايت ذلك مسألة غير هينة الحل . وفى الساعه ٦ اخذنا الى التكنة القديمة حيث سنتعشى وهذه القشلة انموذج للمبانى العسكرية العثمانية القديمة وان شكلها ليستدعى الالتفات ولاسيما مسجدها الظريف واما فى المانيا فان امثال هذه التكنة يكون قد هجر وهدم منذ زمان طويل . وقد وضعت المأكولات فى اطباق من الالومنيوم على منضدات طويلة وقتية . ويتركب الطعام من نوع من الكولاش ومن فاصولية بالزيت .. ولكن اذا لم يكن مايحب فما يكن يحب وان ذلك لمقبول للمعدة الجائعه .

قد اخذت الموسيقى المؤلفة من ثمانية موسيقيين تشنف اسماعنا بضجيج يجد الانسان فيه اذا راض نفسه على ان يستمع باذن الرضى بعض قطع من « كارمين »

وبعد انتهاء الطعام عدنا الى الفندق حيث نصب ابرهيم افندى اسرتنا السفرية وقد راينا سيقان الاسرة موضوعة فى اوان ممتلئة ماء وذلك لحفظنا مما عساه ان يتطفل علينا من الهوام والحشرات — ثم نمنا نومة خالى البال بعد ان

شربنا كاسين من الشاى اضيف اليهما كثير من الروم . وانى لراض عن كركى الذى تزملت به عند النوم فأدفأنى .

*
* *

يوم السبت ١٩ اكتوبر — الشمس ساطعة ولكن الهواء بارد قارس — تنظيف عام ساعدنى عليه الوعاء الكاوتشى ثم افطار مشبع من البيض وخبز التموين الغض ومن بعض سنتيمترات من السجق ولكن حتى متى سيبقى لدى هذا الاخير؟

وفى الساعة ١٠ — استلمت الترخيص بالسفر الى ادرنه ووجهنى القومندان نحو فرقة الخيالة التى الحقت بها وقد علمت من المركز العام ان حالتها كمايلى :

هذه الفرقة التى يقودها صالح باشا مولفة من ٤ الوية (٨ الايات) و ٣ بطاريات خيالة و ٦ فصائل من البنادق الآلية (المترايوزات) وهى توجد فى ارجاء وايصال بالقرب من حدود البلغار .

ويقال ان هذه الفرقة قد قامت الى الآن بواجبها فى الاستكشاف خير قيام وان الاخبار التى اوصلها لواء ابرهيم باشا المشتغل فى ارجاء ادرنة — تستدعى الاهتمام .

الجيش الشرقى آخذ فى التجمع والاحتشاد خلف خط دمورتيقه قرق كليسا جاعلا ادرنة امامه الا ان الفيالق المكونة لهذا الجحفل يجب عليها ان تميل فى حركتها الى الشمال الشرقى على طريقة تجعل الجناح الايسر من الجيش خلف قلعه لى بورغاز ونحو طريق باباسكى الى ادرنة وسيشمل مجموع القوى الاربعة فيالق على هذا الوضع :

الفيلق الثالث — تحت قيادة محمود مختار باشا — فى قرق كليسا
« الاول — « « ياور « — بين قواقلى ويكيجه (ينيجه)
« الثانى — « « شوكت طورغود « — فى قرجه على
« الرابع — « « احمد عبوق « — « قلعه لى بورغاز ماداء مقدمته وطلائعه الى حونة وارجائها .

ومن جهة اخرى يراد تشكيل الفيالق ١٥ و١٦ و١٧ و١٨ التى لم تعين وجه استخدامها . ولكن توجد فى ادرنة مع الفرقة النظامية العاشرة فرقتان من الرديف وهن موضوعات تحت قيادة اسماعيل باشا .

ولكل فيلق ثلاث قوافل نقل مركبة من عربات تجرهــا الثيران وتوجد احداها هنا وان حيواناتها الجميلة قوية — غير انه لا توجد مخابز الميدان وقد اخترع

خريطة أوضاع القوى المحاربة ابان الاحتشاد

القائمقام فن لوسوف ان تجمع من الفيالق الجنود الذين يعرفون صنعة الجنازة فتؤلف منهم فصائل خبازين وان تشكل بواسطتهم مخابز فى القرى ولكنى اشك فى قبول السلطات العسكرية لهذا الاقتراح وعلى كل حال فانى ارى كلما يتعلق بالتموين دائرا على اسوأ وجه .

الحالة التكتيكية (اوضاع المحاربة) لم تتوضح الى الآن وانى ليبدو لى ان اركان الحرب لايستمسكون بالخطة التى تقضى بان ينتظر الجيش العثمانى وهو مستجمع قواه خلف ادرنة الى ان يتم وضع قوة الدولة على قدم الحرب بل يظهر انهم عازمون على المهاجمة وذلك ماأراه غير خال من الخطر نظرا لصعوبات التموين ولنسبة الرديف الجسيمة فى الوحدات العسكرية

صدر الامر الى فرقة الخيالة بالتعرض لجانب جناح العدو بالقرب من وايصال وكشف قواه المتحركة وقد اشتبكت معه اليوم فى القتال وأرجعت بعض قوى منه الى داخل الحدود البلغارية . وسيقوم اليوم الاى الرماة الرابع (٤ جى نشانجى الايى) لتقوية الفرقة التى ستسترها المدفعية والخيالة الآتيتان من يدرا .

جناح العدو الايسر يظهر انه فى دربند وقد اخبر بوجود قوى كبيرة فى وادى الطونجه وفى قيزل اغاج وفى جنوب يانبولى وقوى اخرى فى وادى مارتيزا فى غرب مصطفى باشا واخبر ايضا بوجود قولات منه سائرة فى قاضى كليسا واخرى ابعد منها فى جهة الغرب مجتازة مضيق اوج تپه .

الساعة ٣ — وها انا للمرة الثانية فى عربتى الصغيرة متوجها الى المحطة — وارى وانا ذاهب جنودا قادمة وهذه الجنود هى التى كانت فى الايام الماضية مقيمة فى المعسكرات وانى لاجد بينها جنود الاستحكام وفصائل البنادق الآلية (المترابوز) نظام هذه العساكر فاسد ولاسيما عربات النقل التى ازحمت الطريق . وقد انتظرت فى المحطة وانا اكتب هذه المذكرات قدوم قطار وانه ليظهر لى مستحيلا ان اتمكن وانا منفرد هكذا من اللحاق بفرقة الخيالة ولكنى عاقد العزيمة على محاولة التغلب على الصعوبات وبذل كل جهدى .

قدم قطار بضاعة فنقلت حوائجى الى عربة منه وجلست فوق صندوق لان المهم التقدم الى الامام .

***

يوم الاحد ٢٠ اكتوبر — لقد كنت تعبا لدرجة جعلتنى انام بالرغم من

هذه الحالة . ووصل القطار الى محطة لوله بورغاز وقام منها فى منتصف الليل ونحن الآن فى الساعة ٦ صباحا ولانزال سائرين .

فى اثناء الطريق صدمتنا قاطرة كانت فى مناورات على الخط صدمة عنيفة فاضطر موظفو السكة الى تغيير قاطرتنا وقد سلم الله فان الحادث لم ينتج ضررا آخر

كانت الساعة ٨ عندما اقتربنا من قلاع ادرنة واننا لانرى فى اية جهة الا العسس (الديدبانات — النوبتجيه) وفى كل المواضع يشتغل فى التحكيمات بحفر الخنادق ووضع خطوط الاسلاك الحديدية . والثكنات القريبة من المحطة مكتظة بالجنود وبالقرب منها خيام معسكرات كثيرة جدا — وفى كثير من الاماكن لايزالون يسكبون البتون

انطلقت اقصد فندقا فى جوار المحطة فلم يقبل صاحبه بادئ بدء ان يؤينى وذلك لان احد الضباط قتل غلام الفندق ولكنى توفقت اخيرا الى الحصول على غرفة ثم استحضرت عربة لاذهب الى محافظ المدينة التى تبعد نصف ساعة .

اكد لى محافظ المدينة شكرى باشا وهو رجل متقدم فى السن — انى لااستطيع وانا منفرد السير بعيدا عن المدينة دون ان اتعرض للخطر — ومن جهة اخرى لاتوجد وسيلة للحصول على خيل وقد سافرت سيارة عسكرية منذ هنيهة الى حوضة .

يجب على ان ابحث عن عجلة اجملها نؤخذ بالسخرة (لابالطلبة) وذلك وفاقا للترخيص الذى حصلت عليه .

عدت الى الفندق فاخذت حوائجى وقمت قاصدا حوضة باحثا عن الفيلق الرابع .

يظهر ان الفريق شكرى باشا غير متمكن تماما من معرفة حالة الاوضاع الحربية ولذلك لايستطيع ان يخبرنى عن مكان فرقة الخيالة التى ابحث عنها وان معرفته بحالة العدو هى ايضا غير تامة .

يرجح بل يحتم ان تكون مصطفى باشا قد غادرها الاتراك واستولى عليها العدو .

الطريق الموصلة الى حوضة سيئة جدا فان بين كل فترة واخرى من الزمن تنغرس عجلتى فى الاوحال حتى لانعود نستطيع اخراجها الا بمساعدة العساكر وقد وقفت قافلة قناطر لدى سفح عقبة بالرغم من ان عرباتها يجر الواحدة منها عشرة او اثنا عشر ثورا فان دواليبها انغرست فى الطين الى محاورها ولكن اخيرا

بفضل الجهد الشديد الذى بذله الجنود فى تخليصها تمكنت القافلة من استتباع سيرها ببطء

قدامكننى عند مرورى انعام النظر فى تحكيمات ادرنة الثابتة وانها لتدل على انها اتبعت فى عملها طريقة مرضية وان حالتها لحسنة . وقد اجيد سترعدة بطاريات من المدافع الضخمة .

كانت الساعة ٤ تقريبا عند ماوصلت الى حوضة التى اقابل فيها احمد عبوق باشا . وقد كان المركز العام على وشك الانتقال . انهم ليقولون ان جيش البلغار يتقدم ولذلك يريدون هنا ان يتقهقروا . والواقع انه لا يوجد من يعرف شيئاً محققا

الفريق ذهب ليستكشف بنفسه فأعطيت حصانا وأرفقت بضابط من اركان الحرب وسرت ابحث عنه تحت المطر المنهمر واخيرا بعد رواح وغدو ما اصعبهما قابلنا الباشا الذى ظهر لى انه رجل ذوعزم وجد وعمل ثم رجعنا سوية الى حوضة ولكن لم يستطع احد ان يقول لى شيأً عن مستقرى

عقدت جلسة حربية سرية كانت نتيجة مناقشاتها ان يبقى المركز العام موقتا فى حوضة . وقد عثرت على غرفة خالية لم اجد فيها غير بيكباشى هرم جالس على فراش موضوع على الارض فوضعت سريرى السفرى فى الغرفة والمطر مستمر فى الخارج بدون اقل انقطاع

واما عربتى فقد بقيت فى القرية ، وبما انى يجب على ان اذهب الى بابا اسكى فقد رزمت حوائجى واتفقت مع السائق على اجر مقداره ثلاث ليرات عثمانية ولكن الليل حالك الظلمة الى درجة جعلت الفارس الذى يرافقنى يضل عن الطريق وسائق العربة يرفض التقدم فاضطرنى ذلك الى انتظار النهار والى الاستسلام للمنام

الليلة ممتلئة هرجا ومرجا باستمرار قدوم الجنود الذين كانوا فى رواح ومجئ مستمرين ولكنهم ما كانوا يستطيعون الذهاب بعيدا اذ الطرق كانت ممتلئة بالمدافع والاثقال

الجنود لا يجدون ما يأكلون وانهم ليبقون واقفين تحت المطر المنهمر والبرد القارص ساعات طوالا بغير ان يلتفت اليهم احد وبالرغم من كل ذلك لم اسمع اقل تذمر

***

يوم الاثنين ٢١ اكتوبر — افقت فى الساعة ٤,٣٠ فوجدت المطر لا يزال شديد الهطول . فماذا سيكون من الامر يا ترى ؟ . ان من المستحيل فى وسط هذه الفوضى ان اتمكن من الاهتداء الى عربتى ولكنها جاءتنى فى الساعه ٧ وان معى امرا الى قومندان موقع بابا اسكى باعطائى خيلا

رجال المركز العام كلهم ركبوا فى نفس الوقت الذى علوت فيه عجلتى وهم سيذهبون الى بابا اسكى تمكنت فى اثناء الطريق من تعيين حالة اوضاع الجيش وهى :

فرقة الخيالة مستمرة على اعطاء الاخبار الصحيحة المفيدة عن العدو . ويعلم من ذلك ان قوى بلغارية ضعيفة رؤيت متحركة فى طريق ملاحى — دوالتلى اغاج . واخرى تسير متجهة نحو الجنوب آتيـة من قره بيكار وقاصدة چشمه كوبى . واخرى تنحدر الى الجنوب مارة بوايصال

واما جيشنا فهذه اوضاعه :

الفيلق الثالث تحت قيادة محمود مختار باشا فى قرق كليسا وهو يشتمل على الفرق ٧, ٨, ٩ مقواة ببعض توابير من الرديف ، والفرقة السابعة وقائدها حلمى بك مؤلفة على الاكثر من جنود نظاميين ومعها قليل من توابير الرديف . ولكن الفرقة التاسعة وقائدها حسن عزت باشا والفرقة الثامنة وقائدها شكرى بك تكاد ان يكون كل جنودها من الرديف

ان هذا الوضع لسيء لاسيما للجنـاح الايمن المعرض اكثر من غيره لحملات العدو

واما الفيالق الاخرى فانها موضوعة على الاوجه ولكن المواجهات قصرت فصارت الجنود بذلك اكثر تجمعا

ان رحلتى هذه — والحق يقال — ليست بهينة فان القناطر الموضوعة على الانهار والجداول التى تسيل من الشمال الى الجنوب فى وديان متعرجة ذات حافات وعرة نجدها على احدى الحالتين اما قد غطاها السيل واما لم يتم انشاؤها الآن مما لا يغتفر ان تبقى القناطر فى مثل هذه الطريق المهمة بغير قوائم متينه وحالة صالحة للمرور

لقد ساعدنى الجنود على التخلص من هذه الورطات . ركبت حصان احد الجنود المنوطة بهم مرافقتى واستأذنت لمداومة السير — من هيئة اركان حرب

الفيلق الرابع التى تنوى البقاء فى قلولى بورغاز ثم وصلت فى الساعه ١٫١٥ الى بابا اسكى

لم تعد قطارات الطريق الحديدية تسير الى قرق كليسا وسبب ذلك ان فراش القضبان الترابى استطرقت اليه المياه المرتشحة من الامطار فاضعفته عن الحمل

قابلت الفريق حقى باشا وانه ليحسن التكلم باللغة الفرنسية وقد اظهرلى اهتماما بأمرى واخبرنى بان فرقة الخيالة لا شك فى وجودها بقواقلى فى جنوب قرق كليسا — ولكن ذلك يظهرلى غيرمحتمل لانها تكون حينئذفى وسط الفيلق الاول . والفريق يقصد الجهة نفسها ليستلم قيادة القوى التى لم يرهسا قبل الآن ولذلك نسيرمعا راكبين فى عربتى نقل وان الطريق لحسنة وقد جاوزنا قافلة مهمات الفرقة الخامسة .

ما اراه من الرديف لا يجعلنى أتفاءل خيرا فان نظامهم فاسد وملابسهم ومهماتهم ناقصه والتعليم والتدريب لا اثر لهما عندهم وضباطهم سيئو الادارة فلا يمكننى تشبيه هؤلاء الجنود فى سيرهم الا بالمهاجرين فى ارتحالهم . ولكن المدفعيين وحدهم قد يؤثرون على الناظر اليهم تأثيرا حسنا

قد جاوزتنا سيارة عبدالله باشا فاستفدنا من الطريق الذى فتحته فى وسط هذه الجماهير ووصلت اخيرا فى الساعة ٨ الى قرق كليسا بعد ان تركنى حقى باشا عند قواقلى

درت البحث فى كل مكان عن عبدالله باشا وهو جالس يتمشى مع محمود مختار باشا فشرحت له حالتى واوضحت له اننى استعجال لدى الوصول الى فرقة الخيالة وبالرغم من انى كنت مبتلاً بالمطر دعانى مختار باشا الى العشاء

فرقة الخيالة ارسلت الى الجناح الايسر فى جهة ادرنة اى الى الجهة التى اتت منها . وانهم لينتظرون حدوث مصادمة قوية فى القريب العاجل .

سابقى اذن هنا ضمن اركان حرب محمود مختار باشا الذى تفضل بقبولى بكيفية تستوجب له منى جزيل الامتنان والشكر .

هذا القائد الكبير معروف ومشهور فى المانيا . وان هدوءه وطمأنينته واطواره الدالة على العزيمة الصادقة لشواهد على صفاته العالية . وقد سرنى الآن ان عرفت مستقرى بعد ان بقيت مدة طويلة اضرب فى عرض البلاد وطولها كانى موكل بفضاء الارض اذرعه بل اراني سعيد الحظ اذ ستكون خدمتى تحت انظار رئيس مثله . وانى بذلك ساكون ايضا فى اوفق مكان لرؤية الكثير من الشؤون المهمه .

نصبت سريرى السفرى فى مكتب وذلك موقتا ، لتمضية الليلة فقط .
وقد بقى عبدالله باشا فى قرق كليسا .

صدر الى مختار باشا الامر بان يقدم ميمنة لتغطية جانب البلغار الذين لم تتضح مقاصدهم الى الآن وبان يثبت ثباتا شديدا لان مما لاشك فيه ان الخطر فى حالة الاخفاق يكون فى جهة ميمنتنا اذ يكون خط رجعتنا مهددا تهديدا عظيما .

يظهر لى ان الحالة الادبية السائدة فى المركز العام للفيلق الثالث حسنة . هيئة اركان الحرب مشكلة من ضيا بك رئيسا وعبدالرووف بك ونهاد بك و نصوحى بك رؤساء اقسام ورفيق بك ضابط الاستخبار وطاهر بك معاون وناظم بك ياور .

يوم الثلاثا : ٢٢ اكتوبر — ايقظت فى الساعة ٦ باستعجال لانه يجب الركوب حالا . وقد اعطيت حصانا سنجابيا صغيرا كنت بالامس قد اخترته بين خيل الفرسان الذين يرافقوننا واما صاحبه فسيسير مع حوائجى . امتطينا جيادنا فى الساعة ٨ وقد ركب مختار باشا جوادا اشقر جميلا . الطقس زاه رائع.

عندما شرعنا فى السير وصل خبر فحواه ان الاسطول العثمانى استولى على وارنه (مرسى بلغاريه) وان الجنود ستنزل فيها وانى لا أجد الخبر لايظهر تقريبا من الصحة ولكنه مع ذلك اثار هنا سرورا وحماسة عظيمين وعلى كل حال فان الحالة الادبية تظهر حسنة . وقد وصلت اخبار حسنة من ادرنه جاء بها لواء ابراهيم باشا .

فى اثناء الليل صدر الى الفيلق الثالث الامر بالزحف على اريكلر — پترا ومهاجمة العدو الذى اخبر بوجوده فى تلك الجهة فقويت الفرقة السابعة وهى المكونة لميمنتنا واخذت فى التقدم متجهة نحو اريكلر . وقامت الفرقة الثامنة وهى التى سرنا معها من طابية قرق كليسا زاحفة على پترا — اسكى بولوس . واما الفرقة التاسعة فكانت فى جهة الجنوب .

خطة المهاجمة هذه امر بها عبدالله باشا نفسه وذلك بالرغم من ان محمود مختار باشا اوضح له ان حالة جنوده لاتسمح له الآن باتخاذ الخطة التعرضية . وقد كان شرع بجد وهمة فى تحكيم موقع جيد حول قرق كليسا لانه كان لينوى ان ينتظر فيه قدوم العدو اليه وذلك الى ان يتم تحسين تشكيل كل فرقه فتصل كلها على السواء الى الدرجة الحسنة اللازمة . ولذلك لم ينفذ محمود مختار باشا امر التقدم الى الامام الا مكرها آسفا .

وقدكانت خطة القائد العام انيترك العدو يتقدم كثيرا الى الجنوب ثم يدفعه نحو ادرنة باطباق الفيلق الثالث آتيا من جهة الشمال الشرقى وضغطه الشديد .

اعاد محمود مختار باشا ، عند مروره ، نظره الى المواقع التى بحث فى تحكيمها بالقرب من البرج المستحكم . وهذا البرج قديم ولكن الموقع اجيد اختياره والخنادق حسن وضعها . واخترقت الجنود قرق كليسا فى الساعة ٨ . وفى الجهة الجنوبية قوى اخرى تتجه نحو راقليجه . اتجهنا نحن نحو القوى السائرة عن يسارنا .

فى كل موضع يمر فيه الباشا بجنود يحييه هؤلاء بحماس . وانه ليتداخل حيث يجد النظام مختلا فيصلحه بنفسه . انى لا احد ظنى بهذه الجماهير من الرديف فانى لا ارى للنظام فيهم اثرا وانهم لمنهوكو القوى من التعب والجوع . ولا يوجد قط ترتيب للتامين ولا لتوزيع القوى والاسلحة والضباط وهم على الا كثر من الموظفين لاسلطة لهم على الجنود .

تتجه نحو اريكلر باختراق الاراضى وانها ذات غضون ووديان وصخور فى بعض النقط . الى الآن لم تصلنا اخبار صحيحة عن العدو .

القوة اليمنى متأخرة عن موعدها ساعتين تقريبا والقوة اليسرى ثلاث ساعات نظراً لتأخر الوقت الذى وصلت فيه الاوامر اليها . وقفنا نحن بالقرب من مطحنة .

فى الساعة ١١،١٥ سمعنا بعض طلقات مدافع فى الجهة اليمنى وفى الساعه ١١،٤٥ وصلنا الى مرتفعات يترا . وعند الظهر تقريبا بلغ الينا خبر وجود جزء من مشاة العدو يقدر عدده ب ٢٠٠٠ مقاتل فى قرة حمزة فى الشمال الغربى من اسكى بولوز وفى الساعة ١٢،٤٠ صدر امر الشروع فى المهاجمة وللفرقة التاسعة بان تقترب من الفرقة الثامنة وان تكون متصله بها مماسة لها

المنظر الذى يراه الانسان من اسكى بولوز جميل جدا . واننا لنسمع منذ الساعة ١١،١٠ دوى المدافع عن يسارنا وذلك دليل على ان الفيلق الاول مشتبك مع العدو فى القتال اندلع دخان ولهيب حريق هائل فى اتجاه ادرنة وفى الوقت نفسه يظهر ان محاربة المدفعية نسبت فى الجهة اليمنى .

بدأت الحالة تدخل فى طور الخطورة . وطفقت الجنود تحتشد وراء الرابية الجنوبية الشرقية لاسكى بولوز وشرعت المدفعية تاخذ مواضعها للقتال وانى لا ارى شيأ يدل على همة رؤساء القوى . وذلك مما يجعل محمود مختار ينتقل ويشتغل

الروايات عن ابى بكر رواية يحيي ابن ادم وماذكر صاحب التيسير غيرها وهى كما
قال سماع لاتلاوة قال جماعة حدثنا هشام الرفاعى حدثنا يحيي بن ادم قال سالت ابابكر
عن حروف عاصم التى فى هذه الكراسة اربعين سنة فحدثنى بها كلها وقراها على حرفا
توفى يحيي بقسم الطع فى ربيع الاول سنة ثلاث وماتين وهو فى عشر السبعين رحمه الله تعالى .

عبدالله بن موسى

العبسى مولاهم الكوفى ابو محمد المقرى الحافظ الشيعى شيخ البخارى ولد بعد العشرين ومائة وقرأ القرآن وجوده على عيسى بن عمر الهمدانى وعلى بن صالح بن حى واخذ الحروف عن حمزة والكسائى وسنان النحوى وجلس للاقرأ وحدث عن هشام بن عروة والاعمش واسماعيل بن ابى خالد وذكريا بن ابى زايدة وابن جريج والاوزاعى وشيبان وخلق قرأ عليه احمد بن جبير الانطاكى وايوب بن على وابراهيم بن سليمان ومحمد بن عبدالرحمن وطائفة وحدث عنه احمد بن حنبل قليلا واحمد بن ابى غرزة العقارى ويحيي بن معين وعبد بن حميد وابن نمير وعباس الدورى وخلق كثير وعمر دهرا وثقه ابو حاتم وغيره وكان ثبتا فى اسرايل قال احمد بن عبدالله العجلى عالم بالقرآن رأس فيه ما رايته رافعا راسه وما رئى ضاحكا قط وقال ابو داود كان شيعيا متحرفا قلت حديثه فى الكتب السته بواسطة وعند البخارى بلا واسطة وكان صاحب عبادة وتهجد وزهد صحب حمزة الزيات وتخلق بسيرته الا فى التستن قال احمد بن حنبل حدث احاديث سوء فاخرج تلك البلايا فحدث بها قال ابن سعد توفى فى ذى القعدة سنه ثلاث عشرة وماتين

ــــ الطبقة الســادسه ــــ

—{ القاسم ابو عبيد }—

ابن سلام ابو عبيد الانصــارى مولاهم البغدادى الامام احد الاعلام وذو التصــانيف الكثيرة فى القرات والفقه واللغة والشعر قال ابو عمرو الدانى اخذ القراءة عرضا وسماعا عن الكسائى وشجاع بن ابى نصر واسماعيل بن جعفروعن حجاج بن محمدو عن ابى مسهر وهشام بن عمار قلت وسمع من شريك واسماعيل بن عياش وهشيم وابن المبارك وابى بكر بن عياش وجرير بن عبدالحميدوسفيان بن عيينه وعباد ابن عباد وخلق كثير قال الدانى امام اهل دهره فى جميع العلوم صاحب سنة ثقة مامون روى عنه القراءة احمد بن ابراهيم وراق خلف واحمد بن يوسف التغلبى وعلى ابن عبدالعزيز ونصر بن داود وثابت ابن ابى ثابت قلت وحدث عنه ابو محمد الدارمى وابو بكر بن ابى الدنيا وعباس الدورى والحارث بن ابى اســامة ومحمد بن يحيى الرازى واحمد بن يحيى البــلاذرى واخرون ولى قضاء طرسوس ايام ثابت بن نصر الخزاعى ولم يزل معه ومع ولده وكان يجتهدولا يقلد احدا ويذكر فى طبقة الشافعى واحمد واسحاق وكان هو اعلمهم بلغات العرب ومن جلالته قال احمد بن سلمة سمعت اسحــاق ابن راهويه يقول الحق يحب لله ابو عبيدافقه منى واعلم وقال الحسن بن سفيان سمعت ابن راهويه يقول نحن نحتاج الى ابى عبيد استاذ وسئل ابن معين عنه فقال مثلى يسئل عن ابى عبيد ابوعبيد يسئل عن الناس وقال الدارقطنى ثقة امام جبل وسلام ابوه رومى وقال ابن يونس هو مروزى سكن بغداد وقال الحــاكم المقبول عند الكل ابو عبيد وقال ابراهيم الحربى ما مثلت ابا عبيد الا بجبل نفخ فيه الروح واجل كتبه غريب المصنف ولابى عبيد كتاب فى القراات ليس لاحد من الكوفيين قبله مثله وقال ابن الانبارى كان ابو عبيد يقسم الليل فيصلى ثلثه وينام ثلثه ويصنف ثلثه وفضايل ابى عبيد كثيرة ومناقبه شهيره قال عباس الدورى سمعته يقول عاشرت الناس وكلمت اهل الكلام فمارايت قوما اوسخ

وسخاولا اضعف جهة من الرافضة ولا احمق منهم قال عبدالله بن طـاهر الامير الناس اربعة ابن عباس فى زمانه والشعبى فى زمانه والقاسم بن معن المسعودى فى زمانه وابو عبيد فى زمانه وقال اسحاق بن ابراهيم المنجنيق حدثنـا القاسم بن محمد المؤدب عن محمد بن ابى بشر قال اتيت احمد بن حنبل فى مسئلة فقال لى ايت ابا عبيد فان له بيانا لا تسمعه من غيرة فاتيته فشفانى جوابه واخبرته بقول احمد فقال يا ابن اخى ذاك رجل من عمال الله وانه لكما قيل

يزنيك اما غاب عنك وان دنا
رايت له زينـا يسرك مقبـلا
يعلم هـذا الخلق ماشـذ عنهم
من الادب المعهود كهفا ومعقلا
ويخشن فى ذات الاله اذارای
مضيما لاهل الحق لا يسئم البلا
واخوانه الادنون كل موفق
بصير بامر الله يسمو الى العلا
توفى ابو عبيد سنة اربع وعشرين ومائتين

احمد بن محمد

ابن عبدالله بن القاسم بن نافع بن ابى بزة ابوالحسن البزى المكى المقرى قارئ مكة ومؤذن المسجدالحرام ومولى بنى مخزوم قال البخـارى اسم ابى بزة بشار مولى عبدالله بن السايب المخزومى وابو بزة فارسى وقيل همذانى اسلم على يد السايب بن صيفى المخزومى ولد البزى سنة سبعين ومائة وقراالقرآن على عكرمة بن سليمان وابى الاخريط وهب بن واضح وعبدالله بن زياد مولى عبيد ابن عمير الليثى عن احدهم عن اسماعيل ابن عبدالله القسط وقد ذكرنا اسناد القسط فى ترجمته قال ابوعمرو الدانى اتفق الناقلون عن البزى على ان اسماعيل القسط قرأ على ابن كثير نفسه الا ما

كان من الاختلاف عن ابى الا خريط فان البزى حكى عنه الموافقه للجماعة من ان اسماعيل قرأ على ابن كثير وحكى عنه القواس انه قرأ على القسط وانه قرأ على شبل بن عباد ومعروف وقرأ على ابن كثير قال ابو الاخريط ولقيت شبلا ومعروفا فقرأت عليهما القراءة التى قرأتها على اسماعيل القسط وقد تقدم هذا قرأ على البزى ابو ربيعة محمد بن اسحاق الربعى واسحاق الخزاعى وابو جعفر اللهبى وموسى بن هارون وطايفة وقد حدث البزى عن مؤمل بن اسماعيل ومالك ابن سعير بن الحسن وابى عبدالرحمن المقرى وسليم بن حرب وغيرهم روى عنه البخارى فى تاريخه والحسن بن حباب ابن مخلد ومحمد بن يوسف ابن موسى والحسن بن العباس الرازى ويحيى بن محمد بن صاعد ومضر بن محمد الاسدى واخرون فاذن فى المسجد الحرام اربعين سنة واقرأ الناس بالتكبير من والضحى وروى فى ذلك خبرا غريبا رواه عنه جماعة وقراته على عبدالحافظ بن بدران ويوسف ابن احمدان موسى الشيخ عبدالقادر الجيلى اخبرهما قال لنا سعيد بن احمد ابن البنا اخبرنا على بن احمد بن البسرى حدثنا وقرأت على عمر بن غدير سنه ثلاث وتسعين وستمايه اخبركم ابو اليمن الكندى اجازة اخبرنا الحسين بن على السبط اخبرنا ابو الحسين بن النقور قالا اخبرنا ابو طاهر المخلص حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا احمد بن محمد بن القاسم ابن ابى بزة البزى قال سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال كبر عند خاتمة كل سورة فانى قرأت على عبدالله بن كثير فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم واخبره ابن كثير انه قرأ على مجاهد فأمره بذلك واخبره مجاهد ان ابن عباس امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابى بن كعب امره بذلك واخبره ابى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم امره بذلك قال الحاكم هذا صحيح الاسناد ولم يخرجه البخارى ولا مسلم

وقال ابو عمرو الدانى حدثنا فارس بن احمد بن عبدالله بن الحسين قال قرأت على محمد بن عبدالعزيز بن الصباح حدثنى موسى بن هارون بن احمد بن محمد بن ابى بزة قال قرأت على عكرمة بن سليمان فلما بلغت والضحى قال كبر قرأت على شبل بن عباد واسماعيل بن قسطنطين فقالا كبر فقرأنا على عبدالله بن كثير فقال لنا كبيرا فانى قرأت على مجاهد فقال لى كبر قرأت على ابن عباس فقال لى كبر قرأت على ابى فقال لى كبر قرأت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى كبر وبه

قال موسى بن هارون قال لى بن ابى بزة حدثت محمد بن ادريس الشافعى فقال لى ان تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن نبيك صلى الله عليه وسلم وقال عبدالباقى ابن الحسن قال لى ابوالحسن على بن محمد قال لى ابوعبدالله محمد بن الصباح قال موسى بن هارون قال ابن ابى بزة قال لى الشافعى رضى الله عنه مثله قال عبدالباقى بن الحسن بن احمد بن صالح واحمد بن سلم قالا حدثنا الحسن بن الحباب بن البزى قال قرأت على عكرمة بن سليمان قال قرأت على اسماعيل بن عبدالله فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فانى قرأت على ابن كثير وساق الحديث اخبرنا يوسف بن الحسن المعدل بالاسكندريه اخبرنا جعفر بن على انا ابوعبدالرحمن بن عطيه اخبرنا ابوالقاسم عبدالرحمن بن ابى بكر الصقلى حدثنى ابو الحسن عبدالباقى بن فارس بن احمد بن عبدالله الحسين السامرى اخبرنا ابو الحسين بن الرقى وابى قالا حدثنا ابو يحيى عبدالله بو زكريا ابن الحارث بن ابى سبرة قال اخبرنى ابى والحميدى قالا اخبرنا ابراهيم بن يحيى بن ابى حية قال قرأت على حميد الاعرج الطويل فلما بلغت الى والضحى قال كبر اذا ختمت كل سورة حتى تختم فانى قرأت على مجاهد بن خبير فامرنى بذلك قال مجاهد وقرأت على ابن عباس فامرنى بذلك وقال يعقوب الفسوى حدثنا الحميدى بن سفيان بن عيينة قال رأيت حميد الاعرج يقرأ والناس حوله فاذا بلغ والضحى كبر اذا ختم كل سورة حتى تختم قال وحدثنا الحميدى حدثنا غير واحد عن ابن جريج عن حميد عن مجاهد انه كان يكبر من والضحى قال واخبرنا الحميدى قال سألت ابن عيينة قلت يا ابا محمد رأيت شيئا ربما فعله الناس عندنا يكبر القارئ فى شهر رمضان اذا ختم فقال رأيت صدقة بن عبدالله بن كثير يؤم الناس منذ اكثر من سبعين سنة فكان اذا ختم القرآن كبر وقال الحسن بن الحباب سألت البزى كيف التكبير فقال لااله الاالله والله اكبر وقال الاجرى بن عبدالله بن محمد بن عبدالحميد ابن احمد بن محمد بن ابى بزة سمعت المؤمل بن اسماعيل يقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق وقال ابن ابى بزة فمن قال هو مخلوق فهو على غير دين الله تعالى ودين رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يتوب توفى البزى سنة خمسين ومأتين رحمه الله تعالى

احمد بن محمد بن علقمه

بن نافع بن عمر بن صبيح بن عون أبوالحسن المكى المقرى النبال المعروف بالقواس قرأ على ابى الاخريط وهب بن واضح وحدث عن سلم بن خالدالزنجى وغيره وجلس للاقراء مدة قرأ عليه احمد بن يزيد الحلوانى وقنبل وعبدالله بن جبير الهاشمى وقيل انالبزى قرأ عليهالقرآن ايضا وحدث عنه تقى بن مخلد ومحمد بن على الصائغ ومطين وعلى بن احمد بن بسطام وغيرهم قال ابن مجاهد قالى قنبل قالى القواس فى سنة سبع وثلاثين ومأتين الق هذا الرجل يعنى البزى فقلله هذا الحرف ليس من قراءتنا يعنى وماهو بميت مخففا وانما يخفف منالميت من قدمات ومالم يمت فهو مشدد فلقيت البزى فاخبرته فقال قد رجعت عنه ثم اتى الىالقواس منالغد فقال قد جاءنى ابوعمر سألتك فىهذا الحرف وكان معه حرفان آخران رددتهما عليه وقد كان عكرمة بن سليمان اقرأنيها وقدرجعت عنها الى قولك قال ابوعمرو الدانى توفى القواس بمكة سنة اربعين ومائتين وقال غيره سنة خمس واربعين ومائتين والله اعلم .

عبدالوهاب بن فليح

المكى ابو اسحاق المقرئ مولى عبدالله بن عامر بن كريز قرا القرآن على داود بن شبل بن عباد ومحمد بن بزيع ومحمد بن سبعون وسعيد ابن ابى مرة وسمع من سفيان بن عيينة ومروان بن معاوية الفزارى وعبد الله بن ميمون القداح وغيرهم قرأ عليه اسحاق بن احمد الخزاعى ومحمد بن عمران الدينورى والحسن بن احمد الحداد وعباس بن احمد وغيرهم وروى عنه محمد بن احمد الشطوى ومحمد بن هارون الازدى ويحيى بن محمد بن صاعد وقع لنا حديثه عاليا قال النقاش بن محمد بن عمران سمعت عبدالله بن فليح يقول قرأت على

اكثر من ثمانين نفسا منهم من قرأت عليه ومنهم من سألته عن الحروف المكية وقال ابن ابى حاتم عبدالوهاب روى عنه ابى وقال هو صدوق قلت توفى فى حدود الخميس ومائتين وهو بعيد .

ابو يعقوب الازرق

يوسف بن عمرو بن يسار المدنى ثم المصرى لزم ورشا مدة طويلة واتقن عنه الاداء وجلس للاقراء انفرد عن ورش بتغليظ اللامات وترقيق الراءات قرأ عليه اسماعيل بن عبدالله النحاس ومواس بن سهل المعافرى ومحمد بن سعيد الانماطى وجماعة آخرهم موتا ابوبكر بن يوسف قال ابوعدى عبدالعزيز سمعت ابابكر بن يوسف يقول حدثنا يعقوب الازرق يقول ان ورشا لما تعمق فى النحو اتخذ لنفسه مقرأ يسمى مقرأ ورش فلما جئت لاقرأ عليه قلت له يا ابا سعيد انى احب ان تقرئنى مقرأ نافع خالصا وتدعنى مما استحسنت لنفسك قال فقلدته مقرأ نافع وكنت نازلا مع ورش فى الدار فقرأت عليه عشرين ختمة بين حدر وتحقيق فاما التحقيق فكنت اقرأ عليه فى الدار التى كنا نسكنها فى مسجد عبدالله و اما الحدر فكنت اقرأ عليه اذا رابطت معه بالاسكندرية قال ابوالفضل الخزاعى ادركت اهل مصر والمغرب على رواية ابى يعقوب عن ورش لايعرفون غيرها قلت وقد عرض ابو يعقوب على سقلاب وغيره وهو الذى خلف ورشا فى الاقراء بالديار المصرية توفى فى حدود الاربعين ومائتين

عبدالصمد بن عبدالرحمن

ابن القاسم العتقى ابوالازهر المصرى احد الائمة الاعلام كوالده حدث عن ابيه وعن سفيان بن عينة وابن وهب وقرأ القرآن وجوده على ورش قرأ عليه محمد بن سعيد الانماطى وحبيب بن اسحاق والفضل بن يعقوب الحمراوى واسماعيل بن عبدالله النحاس وعبدالجبار بن محمد ومحمد بن وضاح القرطبى لكن

لم يختم عليه النحاس ولمكان ابى الازهر اعتمد الاندلسيون على قراءة ورش وهو اخو الفقيه موسى بن عبدالرحمن توفى ابوالازهر فى سنة احدى وثلاثين ومائتين

داود بن ابى طيبة المصرى

ابوسليم بن هارون بن يزيد مولى آل عمر بن الخطاب قرأ على ورش وتحقق بالاداء ثم عرض على بن كيسه صاحب سليم قرأ عليه ابنه عبدالرحمن ومواس بن سهل والحسين بن على بن زياد وعبيد بن محمد البزاز والفضل بن يعقوب الحمراوى وغيرهم وقد رآه بعض الناس فى النوم فقال له الام صرت قال رحمنى الله بتعليم القرآن قال ابو سعيد بن يونس فى تاريخه توفى فى شوال سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

سليمان بن داود

ابن حماد بن سعد الرشدينى ابو الربيع المهرى المصرى المقرئ ويقال له ابن اخى الرشدينى لان جده اخو رشدين بن سعيد المحدث كان من جلة القراء وعبادهم قرأ على ورش وروى عن ابن وهب واشهب وعبد الملك الماجشون وجماعة قرأ عليه محمد بن عبدالرحيم الاصبهانى وغيره وحدث عنه ابو داود والنسائى فى السنن وعمر بن محمد بن بجير ومحمد ابن زبان المصرى واخرون قال ابو سعيد بن يونس كان فقيها على مذهب مالك وكان رجلا زاهدا وقال ابو داود السجستانى قل من رأيت فى فضله قال ابن يونس ولد سنة ثمان وسبعين ومائة وتوفى فى اول ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

احمد بن صالح ابو جعفر

المصرى الحافظ المقرئ احد الاعلام قال ابن يونس فى تاريخه كان ابوه من

اجناد طبرستان فولد له احمد بمصر سنة سبعين ومائة قلت وسمع من سفيان بن عيينة وعبدالله بن وهب وابن ابى فديك وعبدالرزاق وحرمى بن عمارة وخلق سواهم وقال ابو عمرو الدانى اخذ القرأة عرضا وسماعا عن ورش وقالون واسماعيل ابن ابى اويس واخيه ابى بكر عن نافع وروى حرف عاصم عن حرمى بن عمارة روى عنه القراءة احمد بن محمد بن حجاج الرشدينى والحسن بن ابى مهران والحسن ابن ابى مهران والحسن بن على بن مالك الاشنانى والحسن بن القاسم وغيرهم قال البخارى ثقة مأمون مارأيت احدا يتكلم فيه بحجة كان احمد وابن المدينى وابن نمير يثنون عليه وكان يقول سلوه فانه ثبت وقال ابن مجاهد فى كتاب السبعة له حدثنا الحسن بن على بن احمد بن صالح عن ورش وقالون وابى بكر واسماعيل عن نافع بالحروف قلت وحدث عنه البخارى وابو داود وابو محمد بن يحيى الذهلى وصالح بن محمد جزره ومحمد بن اسماعيل الترمذى وابو بكر بن ابى داود وخلق كثير وهو من كهول شيخة البخارى ومع هذا فقد روى فى الصحيح عن رجل عنه وقد رحل فى الكهولة الى بغداد وذاكر احمد ابن حنبل كتبت عن ابن وهب خمسين الف حديث وقال صالح بن محمد الحافظ لم يكن بمصر احد يحسن الحديث غير احمد بن صالح كان رجلا جامعا يعرف الفقه والحديث والنحو ويتكلم فى حديث الثورى وشعبة وغيرهما يعنى يذاكر به قال وكان يحفظ حديث الزهرى وقال ابن نمير اذا جاوزت الفرات فليس احد مثل احمد بن صالح وقال يعقوب الفسوى الحافظ كتبت عن اكثر من الف شيخ حجتى فيما بين وبين الله رجلان احمد بن حنبل واحمد بن صالح وقال ابن داره هؤلاء ان كان الدين (كذا) احمد بن حنبل وابن نمير والنفيلى واحمد بن صالح قال ابن عدى لم يكن لاحمد بن صالح آفة غير الكبر وهو من حفاظ الحديث وقال ابو عمرو الدانى قال مسلمة بن القاسم الاندلسى الناس مجتمعون على ثقة احمد بن صالح لعلمه وخيره وفضله فان احمد بن حنبل وغيره كتبوا عنه ووثقوه وقال احمد بن عبدالله العجلى احمد بن صالح ثقة صاحب سنة وقال ابو داود سألت احمد بن حنبل عمن قال القرآن كلام الله ولا يقول مخلوق ولا غير مخلوق فقال هذا شاك والشاك كافر وقال القاسم بن أحمد الاصبهانى الحافظ اخبرنا ابو بكر ابن موسى المصرى وجماعة قال سألت احمد بن صالح قلت ان قوما يقولون ان لفظنا بالقرآن هو الملفوظ والحكاية هو المحكى والدراسة هى المدروس وهو كلام الله

غير مخلوق ومن قال لفظي به مخلوق فهو كافر قلت اللفظ يطلق على الفاظ القرآن وكلماته وحروفه التي بلغها جبريل عن الله تعالى الى نبيه صلى الله عليه وسلم فليس لجبريل ولا للنبي صلى الله عليه وسلم في القران الا مجرد البلاغ ومحض الاداء من غير زيادة حرف فيه ولا نقصان ولا تصرف ويطلق اللفظ ايضا على تلفظ القارئ ونطقه وتلاوته للملفوظ المتلو المسموع تقول فلان حسن التلفظ وعذب التلاوة ومليح القراءة ورديء الاداء وبشع القراءة ولا تقول فلان حسن الملفوظ ولا المقروء ولان التلاوة والتلفظ والقراءة من فعل القارئ وافعاله مخلوقة قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون ولا يوصف المقروء ولا الملفوظ من كتاب الله تعالى الا بما وصفه الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم من العظمة والهدى والاعجاز والحق في نفسه شيء واحد من حديث النعوت الكاملة سواء اقرأه خير الناس او شر الناس لكن الصوت الحسن واللفظ العذب يزيده حلاوة وطلاوة وبراعة في الاسماع والقلوب لاسيما اذا سمع كذلك من قارئ مجود صاحب قلب منيب وخوف شديد قال النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم وقال لما سمع قراءة ابي موسى لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود وقال من احب ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد وقال ابوموسى يارسول الله لوا علمك تستمع لحبرته تحبيرا يعني لحسنت صوتي وتلاوتي تحسينا يطربك ويسرك قال الله تعالى فهم في روضة يحبرون جاء في التفسير قال هو السماع فالصوت وتحسنه والتلاوة وتجويدها والتلفظ وتحريره ونحو ذلك جميعه من كسب العبد والقرآن الملفوظ المتلو المسموع المكتوب كلام الله تعالى وقوله غير مخلوق فمن زعم انه كلام البشر فقد ضل وكفر واضل منه من زعم ان صوت العبد اوتلفظه وتلاوته وكتابته غير مخلوقة ولم يرد احمد بن صالح هذا قط وان كان ظاهر عبارته يدل عليه والشأن في صحة ذلك عنه لان راويها لا اعرفه وقد غلط غير واحد من الكبار في هذه المسألة وماذ كرته لك فيها فهو فصل الخطاب والله اعلم وهي من أدق المسائل التي يعذر الله فيها العباد بالجهل انشاءالله فقد جهل بعض الناس وقال صوت العبد قديم كما جهل بعض الناس وقالوا ليس لله كلام يسمع . مات احمد بن صالح سنة ثمان وأربعين ومائتين في ذي القعده رحمه الله تعالى .

يونس بن عبدالاعلى

ابن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان ابوموسى الصدفى المصرى المقرئ الفقيه ولد سنة سبع ومائه وقرأ القرآن على ورش ومعلى بن وجه واقرأ القرآن وحدث سفيان بن عيينة وابن وهب والوليد بن مسلم ومعن بن عيسى وابى ضمرة والشافعى رضى الله عنه وتفقه عليه قال الدانى قرأ عليه مواس بن سهل واحمد بن محمد الواسطى وروى عنه القرآن محمد بن عبدالرحيم الاصبهانى واسامة بن احمد التجيبى ومحمد بن الربيع وابن خزيمه ومحمد بن جرير قلت وحدث عنه مسلم والنسائى فى كتابيهما وابوبكر ابن زياد النيسابورى وابو عوانة الاسفراينى وابو الطاهر احمد بن محمد المدينى وبشر كثير من المشارقة والمغاربة وانتهت اليه رياسة العلم وعلو الاسناد فى الكتاب والسنة وكان كبير الشهود بمصر قال ابن ابى حاتم سمعت ابى يوثق يونس بن عبدالاعلى ويرفع من شأنه وقال يحيى بن حسان التنيسى يونسكم هذا ركن من اركان الاسلام وقال النسائى ثقة قلت توفى فى ربيع الآخر سنة اربع وستين ومائتين وله اربع وتسعون سنة .

عامر بن سعيد الحرشى

نزيل المصيصة قرأ على ورش. قرأ عليه محمد بن عبدالرحمن الاصبهانى وكناه ابوالاشعث .

ابو عمر الدورى

حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن مهبان وقال صهيب الازدى المقرى النحوى البغدادى الضرير نزيل سامرا مقرئ الاسلام وشيخ العراق فى وقته قرأ على اسماعيل ابن جعفر وعلى الكسائى وعلى يحيى اليزيدى وعلى سليم وسمع الحروف من ابن بكر

ويقال انه اول من جمع القراآت والفها وروى ايضا عن ابى اسماعيل المؤدب ابراهيم ابن سليمان واسماعيل بن عباس وسفيان بن عيينه وابى معونة الضرير ومحمد بن مروان السدى وعثمان بن عبدالرحمن الوقاصى ويزيد بن هارون وقدروى عن احمد بن حنبل وهو من اقرانه وطال عمره وقصد من الافاق وازدحم عليه الحذاق لعلو سنده وسعة علمه قرأ عليه احمد بن يزيد الحلوانى وابوالزعرا عبدالرحمن بن عبدوس واحمد بن فرح والحسن بن بشار بن العلاف وعمر بن محمد الكاغدى والقاسم بن زكريا المطران وابو عثمان سعيد بن عبدالرحيم الضرير وعلى بن سليم وجعفر بن اسدالنصيبى وقاسم بن عبدالوارث واحمد بن مسعودالسراج ومحمد بن محمد بن النفاح الباهلى ومحمد بن حمدون المنقى والحسن بن عبدالوهاب الوراق والحسن بن الحسين الصواف واحمد بن حرب شيخ المطوعى وخلق سواهم وحدث عنه ابن ماجه فى سننه وابو زرعة الرازى وحاجب بن اركين ومحمد بن حامد خال ولد السنى وخلق كثير قال ابن النفاخ سمعت الدورى يقول قرأت على اسماعيل بن جعفر بقراءة اهل المدينة ختمه وادركت حياة نافع ولوكان عندى عشرة دراهم لرحلت اليه وقال ابو حاتم هو صدوق وقال ابو على الاهوازى رحل الدورى فى طلب القراآت وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ وجمع من ذلك شيا كثيرا وهو ثقة فى جميع ماير ويه وعاش دهرا وذهب بصره فى اخر عمره وكان ذادين وخير وقال ابوداود رايت احمد بن حنبل يكتب عن ابى عمر الدورى وقال احمد بن فرح الضرير سألت الدورى ماتقول فى القرآن قال كلام الله غير مخلوق وتوفى فى شوال سنة ست واربعين ومائتين وغلط من قال سنة ثمان واربعين والدور المنسوب اليها الدورى محلة معروفة بالجانب الشرقى من بغداد .

ابو شعيب السوسى

صالح بن زياد بن عبدالله بن ابراهيم بن الجارود بن مسرح الرسبق الرقى المقرى قرأ القرآن على اليزيدى وسمع بالكوفة من عبدالله بن نمير واسباط

بن محمد وبمكة من سفيان بن عيينة قرأ عليه ابنه ابو معصوم وموسى ابن جرير النمرى وعلى بن الحسين وابو الحارث محمد بن احمد وابو عثمان النحوى الرقيون وابوعلى محمد بن سعيدالحرانى واخذ عنه الحروف ابو عبدالرحمن النسائى وجعفر بن سليمان المشحلاى وحدث عنه ابوبكر بن ابى عاصم وابو عروبة الحرانى وابو على محمد بن سعيد الرقى وقال ابو حاتم صدوق قلت مات فى اول سنة احدى وستين ومائتين وقدقارب تسعين سنة رحمه الله تعالى .

ابو ايوب الخياط

سليم بن الحكم البغدادى المقرى من جلة المقرئين قرأ على يحيى اليزيدى قرأ عليه احمد بن حرب المعدل واسحاق بن مخلد الدقاق وابوبكر بن احمد السراويلى والسمرى بن مكرم .

سليمان بن خلاد

السامرى المؤدب المقرى اخذ القراة عن ابى محمد اليزيدى وذكر على بن مروان بن نفيس انه قرأ وانه قرا على اليزيدى واخر من روى عنه القراة ابو عيسى محمد بن احمد بن قطر وهذه الرواية فى التيسير عن محمد بن احمد الكاتب عن ابى قطن سماعا وقدحدث هذا الشيخ عن يزيد بن هارون وشبابة ووهب بن جريد حدث عنه ابو بكر بن ابى داود ومحمد بن مخلد وعبدالرحمن بن ابى حاتم وقال صدوق يكنى اباخلاد قلت توفى سنه احدى وستين .

هشام بن عمار

ابو نصير بن ميسرة ابو الوليد السلمى ويقال الظفرى الدمشقى شيخ اهل

دمشق ومفتيهم وخطيبهم ومقريهم ومحدثهم ولد سنة ثلاث وخمسين ومائه وقرأ
القران على عراك بن خالد وايوب بن تميم وغيرهم من اصحاب يحي الذمارى
وسمع من مالك بن انس ومسلم بن خالد الزنجى واسماعيل بن عياش ويحي بن
حمزة والهيثم بن حميد والهقل بن زياد والحكم بن هشام الثقفى وعبدالعزيز بن
ابى حازم وصدقة بن خالد وخلق كثير قرأ عليه ابو عبيدة مع تقدمه واحمد بن
يزيد الحلوانى وهارون بن موسى الاخفشى وابو على اسماعيل بن الحويرس واحمد
بن محمد بن ماموبه وطائفة وحدث عنه الوليد بن مسلم ومحمد بن شعيب وهما من
شيوخه والبخارى فى صحيحه وابو داود والنسائى وابن ماجه فى سننهم وحدث
الترمذى عن رجل عنه وممن حدث عنه محمد بن سعد كاتب الواقدى وبقى بن مخلد
وابو بكر بن ابى عاصم وجعفر الفريابى وعبدان الاهوازى وابن قتيبة العسقلانى
ومحمد بن محمد الباغندى ومحمد بن خزيم العقيل وعبدالله بن عتاب الرفقى وخلق
لايحصون وثقه يحي بن معين وقال النسائى لابأس به وقال الدار قطنى صدوق
الجل وقدروى هشام عن ابن لهيعه بالاجازة وكان طلابة للعلم واسع الرواية متبحرا
فى العلوم روى عنه عبدان الاهوازى قال مااعدت خطبة منذ عشرين سنة قال
عبدان ماكان فى الدنيا مثل هشام وقال محمد بن خريم سمعت هشاما يقول فى خطبة
قولوا الحق ينزلكم الحق منازل اهل الحق يوم لايقضى الا بالحق قال وكان هشام
فصيحا مفوها وقال محمد بن الفيض الغسانى سمعت هشاما يقول باع ابى بيتا بعشرين
دينارا وجهزنى للحج فلما صرت الى المدينة اتيت مجلس مالك ومعى مسائل فاتيته
وهو جالس فى هيئة الملوك وغلمان قيام والناس يسئلونه وهو يجيبهم فقلت ماتقول
فى كذا فقال حصلنا على الصبيان. ياغلام احمله فحملنى كما يحمل الصبى وانا يومئذ
مدرك فضربنى بدرة مثل درة المعلمين سبع عشرة درة فوقفت ابكى فقال ما
يبكيك اوجعتك هذه قلت ان ابى باع منزله ووجه بى اتشرف بك وبالسماع
منك فضربتنى فقال اكتب سبعة عشر حديثا واجابنى على المسائل وقال
صالح جزره سمعت هشام بن عمار يقول دخلت على مالك فقلت حدثنى
فقال اقرأ فقلت لا بل حدثنى فقال اقرأ فلما راددته قال للغلام اضربه
فضربنى خمس عشرة دره فقلت ظلمتنى لا اجعلك فى حل فقال ما كفارته
قلت ان تحدثنى خمسة عشر حديثا فحدثنى فقلت زد من الضرب وزد فى الحديث

فضحك وقال اذهب قال ابن الفيض كان هشام يربع بعلى وقال ابو زرعة الرازى من فاته هشام يحتاج ان ينزل فى عشرة الاف حديث وقال ابو عبدالله الحميدى اخبرنى بعض اهل الحديث ان هشام بن عمار قال سالت الله سبع حوايج سالته ان يغفرلى ولوالدى فما ادرى ما اصنع فى هذه وسالته الستة فقضاهن لى وهى الحج وان يعمرنى تحو المايه وان يجعلنى مصدقا على حديث نبيه صلى الله عليه وسلم وان اخطب على منبر دمشق وان يرزقنى الف دينار حلالا وان يغدو الناس الى فى طلب العلم فقيل له من اين لك الذهب قال وجه المتوكل بولده ليكتب منى لما قدم الينا فجلست فانكشف ذكرى فقال الغلام ياعم استتر فقلت رايته امالك لن ترمد فلما دخل على المتوكل ضحك فنساله فاخبره فقال له قال حسن الشيخ احملوا له الف دينار فحملت الى من غير مسئلة ولا استشراف نفس قال البخارى وغيره ومات فى آخر المحرم سنه خمس واربعين ومائتين وعندى لهشام اخبار طويلة اختصرتها

عبدالله بن احمد

ابن بشير ذكران ابو عمرو وابو محمد النهرانى مولاهم الدمشقى المقرى مقرى دمشق وامام الجامع قرأ على ايوب بن تميم وغيره وقيل ان الكسائى قدم دمشق فقرأ عليه بن ذكوان وانا استبعد ذلك قرأ على ابن ذكوان هارون بن موسى الاخفش ومحمد بن موسى الصورى ومحمد بن القاسم الاسكندرانى واحمد بن يوسف التغلبى واخرون وقد حدث عن بقية بن الوليد وعراك بن خالد وسويد بن عبدالعزيز والوليد بن مسلم ووكيع بن الجراح وطائفة روى عنه ابو داود وابن ماجه فى سننهما وولده ابو عبيدة احمد بن عبدالله واسماعيل بن قيراط وعبدالله بن محمد بن مسلم المقدسى ومحمد بن اسحاق بن الحريص وخلق قال ابو حاتم صدوق قلت كان ابن ذكوان اقرأ من هشام كثير وكان هشام اوسع علما من ابن ذكون بكثير قال ابوزرعة الدمشقى لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان فى ابن ذكوان اقرأ عندى منه وقال الوليد

ابن عتبه الدمشقى ما بالعراق اقرأ من ابن ذكوان قلت بلى ابو عمر الدورى اقرأ اهل زمانه قال ابن ذكوان ولدت يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين وقال محمد بن الفيض الغسانى جاء رجل من الحرجله يطلب لاخيه لمّا يبن لعرسه فوجدولى الا مرقد منعهم فجايطلب المغبرين فلقيه صوفى ماجن فارشده الى ابن ذكوان وهو خلف المنبر فجاء وقال ان السلطان قدمنع المخنثين فقال حسن والله فقال نعمل العرس بالمغبرين وقد ارشدت اليك فقال لنا رئيس فان جاءمعك جيت وهو ذاك واشار الى هشام بن عمار فقال هشام للرجل ابو من فرد عليه ردا ضعيفا وقال ابو الوليد قال يااباالوليد انا من الحرجله قال لا ابالى من اين كنت قال ان اخى يعمل عرسه قال فماذا اصنع قال قد ارسلنى اطلب لهم المخنثين يعنى المغانى قال لا بارك الله فيهم ولا فيك قال وقد طلب المغبرين فارشدت اليك قال ومن ارشدك قال ذاك الرجل فرفع هشام رجله ورفسه وقال قم ثم صاح يا ابن ذكوان قد تفرغت لهذا قال اى والله انت رئيسنا لومضيت لمضيا قال محمد بن الفيض وانى هشام بعصا لابن ذكوان وقد ذهب ليتوضا فقال ما هذه العصا قالوا لابن ذكوان قال انا اكبر من ابيه وماا حمل عصا وقيل ان هشاما كان الخطيب وكان ابن ذكوان يؤم فى الصلوات اولعله كان نايب هشام قال غير واحد توفى ابن ذكوان يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين واربعين ومائتين وغلط من قال سنه ثلاث

الوليد بن عتبه الاشجعى

ابو العباس الدمشقى المقرى قرأ على ايوب بن تميم التميمى وروى عن الوليد بن مسلم وبقيه بن الوليد وحمزة بن ربيعة قرأ عليه احمد بن نصر ابن شاكر وحمل عنه القراة سماعا احمد الحلوانى وفضل بن محمد الانطاكى وحدث عنه ابو داود فى سننه ومحمد بن الحسن بن قتيبة العسلانى وجعفر الفريابى وعمر بن سعد المنبجى قال ابو زرعة الدمشقى كان القراء بدمشق الذين يحكمون القراة الشامية العثمانية ويضبطونها هشام وابن ذكوان والوليد بن عتبة وقال محمد بن عوف هو اوثق من صفوان ابن صالح ولد سنة ست وسبعين ومائة وقال ابو زرعة فى جمادى الاولى سنة اربعين ومائتين رحمه الله .

الجزء العاشر السنة الرابعة

الهداية

§ تصدر فى الاستانة . شهر شوال سنة ١٣٣١ §

اسرار القران

بسم الله الرحمن الرحيم

(٩) دل تكرار قوله تعالى «تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم» مرتين فى هذا الموضع على ان كل نفس بما كسبت رهينة فلا تزر وازرة وزر اخرى . وهذه القاعدة من امتن الآساس الاسلامية وارسخها وكيف لا وقد طابق الاسلام فى ذلك الفطرة والعقل وقضى بهذه القاعدة على سخافات المسيحية وضلالتها اذ هدم بها ركن مسألة الغفران التى اقامت فى الارض من القساقسة والرهبان زمرة من الآلهة يقسمون الرحمة ويقطعون الناس ما شاؤا من ارض الجنة ويخرجون من العذاب من يملؤن من النضار الوهاج خزائنهم وبالالوان اللذيذة بطونهم .

افسدت قاعدة الغفران فى المسيحية نفوس من يقولون بها من اهل الصليب ولوثت بالآثام قلوبهم وجوارحهم وسلبتهم مكارم الاخلاق والصفات البشرية حتى رأيناهم يستحلون كل حرام ويستبيحون كل منكر ويجمعون المال من كل سبيل ثم لا تصفولهم نفس على مسلم ولا يهودى ولا يرضى منهم فرد على احد من غير المسيحيين. ولا يرون حرجا فى ذلك بعد اذ أيقنوا بما علمهم قسوسهم وخدعهم رهبانهم. فحسب جناة المسيحية ومجرميها ان يتكلوا فى تكفير سيئاتهم والخلاص من قبيح جناياتهم على الاعتراف لاحد الرهبان بما اكتسبت ايديهم فهنالك يزعم ان ذنوبه تحات عنه وان جرائمه قد غسلت عنه بذنوب من الرحمة الآلهية . وهل يكلفه ذلك سوى بعض دريهمات ينفح بها القسيس اوعدات حسنة تسارع الى اعماق قلبه وتأخذ بمجامع لبه وتقع من صدره موقع الماء المثلوج من ذى الغلة الصادى . ومن ذا الذى تقام اعماله على امثال هذه العقيدة وتوزن تصرفاته بمثل هذا الميزان ثم تأمن رجله الزلل اويستقيم له قول اوعمل ؟ ثم كيف تجامع هذه القاعدة احكام العقول السليمة ام تطابق مقتضيات الفطرة القويمة وها نحن أولئك نجد الامم تفرض العقوبات للجناة وتقيم السجون وتنصب المشانق للاقتصاص من اهل الفساد . وهل كانت ثمة حاجة الى الشرطة والمحاكم والسجون لوكفى فى تكفير السيئات وغفران الذنوب مجرد الاعتراف بها بين يدى انسان من

البشر قد يكون فى اطواره وشئونه أضل من المعترف واكثر منه محاربة لربه ؟

على ان فى الآية الكريمة اشارة الى انه لايحتمل احد من ابناء آدم شيئا من آثار خطيئته على مايتأولونها اذ كل يعمل على شاكلته ولكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت . ولاريب انهذا وحده كاف فى هدم صروح العقائد التى اقامها الصليبيون على هذه الهاوية فلا انسان مسئول عن آدم ولا عما عمله ولا فائدة لاحد من وراء ما يزعمون من صلب مسيحهم وقضائه بعدالموت ثلاثة ايام يعذب فى نارجهنم ليفتدى كما يقولون بذلك اتباعه واشياعه ويحط عنهم من السيئات ماحملهم ابوهم آدم قبل ان يكونوا شيئا مذكورا .

مباحث لفظيه

(١) الابتلاء فى قوله « واذ ابتلى ابراهيم ربه » واشباهه معناه الإمتحان والاختبار وليس المراد ماهو معروف شائع بين العامة وبعض الخاصة من ان الابتلاء هو التكليف بما يشق على النفس من الاعمال فان الله تعالى لايكلف نفسا الا وسعها ولايحملها الا ما آتاها . اما حكمة التكليف وثمرته وهى مجرد امتحان البشر ليعلم الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين وليميز الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم فيكفى فى هذا القدر التكليف بما فى

موسوعات البشر وطاقتهم فان الشئ لاتزال النفس ترغب فيه وتحرص على عمله حتى تلزم به فاذا الزمت به يوما ما اصبحت لاتفعله الا تكلفا وكرها. وكذلك الشأن فى الانسان يكره الشئ وينفر من عمله حتى اذا حيل بين الشئ وبينه اوصدته عنه بعض القوانين الوضعية اوالسماوية انقلب احب الاشياء الى نفسه. فيكفى فى الحصول على المقصود من التكليف ان يمنع الشئ اويفرض فان فى المنع منه مايحببه الى النفس وفى فرضيتهماينفرها منه. وقدنأتى على تفصيل اوفى بهذا البحث فى مواطن أخرى من هذا التفسير.

(٢) الحكمة فى قوله تعالى «يعلمهم الكتاب والحكمة» هى معاهد الحزم ومظاهر الاستقامة من كل قول وشرع

(٣) أحد فى قوله « لانفرق بين احد منهم » تطلق عربية على الفرد والجماعة قال فى الكشاف واحد فى معنى الجماعة ولذاصح دخول بين عليه. والذى يظهر لى ان احدا لاتستعمل الافى الفرد وان هذه العبارة من صنوف الايجاز وقدسهله هنا ذكر عبارة «منهم» اذهى تشعر بان المعنى لانفرق بين أحد وبين الباقين منهم »

(٤) القواعد جمع قاعدة وهى الاساس والاصل لمافوقه ورفع الاساس البناء عليه لان القاعدة اذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذى يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها

بالبناء لانه اذا وضع سافاً فوق ساف فقد رفع السافات. انتهى من الكشاف ويرشح ما نقلناه هنا ما جرى به العرف ومصطلح الناس فى مخاطباتهم فلا حاجة للاطالة والخوض فيما افاض فيه المفسرون. هذا وليس فى الآية مايدل على ان البيت كان قبل ابراهيم عليه السلام اذ لا يقتضى قوله «يرفع ابراهيم القواعد» انها كانت موجودة قبل ابراهيم وان البيت سبق لغيره بناؤه.

(٥) الامام فى «انى جاعلك للناس اماما» مراد به القدوة والمتبوع فى سبيل الهداية والرشد. اما الامام المعروف فى عهدنا وفى عرف الفقهاء والسياسيين الشرعيين فليس بالذى تشمله الآية الكريمة فان هذا من المعانى المحدثة فى الاسلام كما يدل عليه التاريخ.

﴿ تنبيه ﴾

الى هنا انتهى القول فى تفسير الجزء الاول من سورة البقرة وسنردفه فى الاعداد الآتية ان شاء الله بتفسير الاجزاء التالية مبتدئين بتأويل قوله تعالى «سيقول السفهاء من الناس» بيد اننا نقدم هنا لقراء الهداية صورة المقدمة التى صدرنا بها تفسيرنا لما فيها من الفوائد والمباحث ذات البال وهى كما يلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله. والصلاة والسلام على النبي الامىّ والرسول الفطرى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم الذى نزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. ورضوان الله على صحابته واتباعهم الذين اقاموا منار الاسلام واستمسكوا بكتاب الله الكريم واهتدوا بسنة رسوله الامين فلم يقدموا انفسهم بين يدى الله ورسوله ولم يتخذوا من الاحبار والرهبان اربابا من دون الله يستحلون ما احلوا ويحرمون ما حرموا

اما بعد فقد مضى السلف الصالح بمآثرهم المحموده وسننهم القويمه ثم خلف من بعدهم خلف اكثروا من الابتداع اوجمدوا على الاتباع فساروا بالعامة من المسلمين فى تيهاء مطموسة الآثار دارسة المعالم لا يهتدى سالكها ولا تؤمن مهالكها

ومما زاد تلك المسالك تشعبا وتفرقا ان عمدت كل طائفة الى تأييد مذهبها بشئ من آيات القرآن الكريم وان اضطرهم التعصب لآرائهم ونحلهم أن يصرفوا كتاب الله عن سبيله ووجوهه ويحمّلوه من التأويل والتحويل مالا يطابق بلاغته ولا يلائم مكانته حتى ليجدن المتصفح لكتب التفسير من التناقض والتضارب مايقف المتدبر له امام ميزان لا يدرى كيف

يكون القرآن المبين الذى جمع شرائط الفصاحة وبلغ اقصى مراتب البلاغة مجمع المناقضات أوآية على صحة تلك التهافتات

استمرأ المفسرون مرعى النقد والنقض واستطابوا مافى المعارك الخلافية من الطعن والضرب واللكز والوكز والغمز واللمز واستهانوا بأمر القرآن الكريم فخف عليهم ان يعدلوا عن اساليبه ومفاهيمه فحملوه على غيرما دلت عليه عباراته وآياته وطفقوا يصرفونه الى نحلة التزموها او بدعة استحدثوها اوخرافة توارثوها نابذين بذلك قول الرسول الاعظم فيماروى البخارى واتفق عليه المحدثون «اقرأوا القرآن ماأيتلفت عليه قلوبكم فاذا اختلفتم فقوموا عنه»

ولقدكان من الهين ان يكون لكل مفسر سبيل يسلكه فى كتابه لوان الامر وقف عند الحدود المعقولة والمناقشات المقبوله ولكنا رأينا من القوم من اذا قال احدهم هذا ابيض قال له الآخر كذبت فهذا اسود .

لقد يغفر لمفسرى القرآن ان يكون من بينهم من يعنى بكشف اسرار بلاغته ومن يتولى امر اعرابه ومن يقوم بسرد اسباب تنزيله ومن يفيض فى بيان احكامه ومن يتصدى لاستيعاب حروفه وآداب تلاوته ولكن هل يجمل الصفح عن أولئك الذين انزلوه على احكامهم وأحالوه بهواهم الى مذاهبهم أم هل يجوز السكوت عن قوم جهلوا لغة القرآن وعيّوا عن درك اسراره فتخبطوا فيه تخبط العشواء فى الصحراء وانحلوه من المقاصد والالفاظ ماتنافره اساليبه البالغة حدالاعجاز. ثم كيف يغفر لمن

فسروا كتاب الله بضلالات اليهود واحجبوا جمال آياته بما تلقفوا من تأويلات المتصوفة واقوال المتفلسفة بعداذ انزله الله قرآنا عربيا مبينا ليدّبروا آياته وليذكر به من ينيب الى ربه

ثم كيف يغفر الله لذلك الذى لقبوه (الشيخ الامام الكامل السالك الناسك المحقق المجتهد بدر الملة والدين حجة الاسلام والمسلمين وارث الانبياء والمرسلين امام الائمة قدوة الامة ناصر السنة قامع البدعه معين الشريعة سيد المفسرين ملك المحدثين . . . . .) كيف يغفر الله لهذا الذى ظفر من جهلة المسلمين وغوغائهم بهذه الالقاب السامية وناء كاهله بما حمّله من هذه الخلع السنية بعداذ وضع كتابه ذلك الذى يمثل القرآن لقارئه كانما هو آيات متضاربه وقضايا متناقضه. يعمد الى المذاهب المختلفة على كثرتها واستحالة التئامها وتناسبها فيستدل على كل مذهب منها بشئ من آيات القرآن الكريم . ولوأن ذلك الرجل عرف كيف نزل القرآن ودرس اسباب نزول الآيات وعلم تاريخ الدعوة المحمديه وكيف كان الرسول يخاطب الناس على قدر عقولهم ويدعوهم الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة لعرف كيف يفهم الكتاب الكريم ويتدبر اسرار اساليبه وضروب بلاغته.

ولا بدلنا يوماما ان نتعرض لذلك الكتاب فنبين كيف يندس فى زمرة علماء الاسلام من لا يريدون غير الكيدله والتغرير بالعامة من اهله ثم نتناول ماتضمنته ابوابه من المكايد الشيطانية والمكر السئ فنكشف

عنها حتى يحذرها المسلمون ولا يبتهج لرؤيتها المضللون من دعاة الملل الاخرى

هذا وقد مضت قرون كان فيها المسلمون بمعزل عن كثير من الامم الاخرى وكانوا لسيادتهم وعظيم سلطانهم فى الارض مهيبي الجناب محمي الذمار لا يعدو احد على ديارهم ولا يجرأ جبّار على كشف شيء من سوءآتهم وعوراتهم. ولكن الزمن قد تبدل وامتدت ايدي الكفرة الى بلاد الاسلام واهلوها غافلون جاهلون فمزقت شملها الملموم وبسطت كلمتها على كثير منها فذلت بذلك رقاب الامم الاسلامية ووهنت جموعهم فما نرى فيهم اليوم من يذب عن دينه اومن يهم بدرء شيء من المناهى والمناكير التى تفشت بين الامم الاسلامية وفى عقر دورهم

اشتدت وطأة الامم الصليبية فى المسلمين حتى جعلوا لا يبالون ماذا يقولون لهم اويفعلون بدينهم .

لا يكاد يمر احدنا بطريق فى اية مملكة اسلامية حتى يرى دعاة النصرانية منبثين فى الارض كالجراد ينشرون بين الناس مطاعنهم فى الاسلام وسبهم لرسوله . ولقد يسرت لهم المطابع الامر كما وجدوا من سخاء الصليبيين وفرط جودهم ما مكنهم من التجول فى الاقطار وارتكاب امواج البحار وقطع الفيافى والقفار والوصول الى العامة والخاصة والعيش بين انواع الامم البشرية فى كل قارة. ذلك والمسلمون ساكنون هامدون اواموات لا يدرون متى يبعثون. جمد المسلمون على قديمهم وعكفوا على ما ابلته القرون المتوالية

من آثار متصوفتهم ومباحث متفلسفتهم . وانقطعوا عن تدبر كتاب الله بعداذ صدتهم عنه فتيا الجاهلين من ادعياء علمائهم تلك التي حرمت عليهم التفكر في آيات ربهم والأخذ بما جاء به كتابه المقدس من الاخلاق الكريمة والآداب السامية القويمة والاحكام الربانية التي ماجاءت الالنظام الانسان في دنياه وسعادته في أخراه

انتهز دعاة المسيحية هذه الفرصة التي ارتهم كيف انقلب عامة المسلمين وكثير من خاصتهم جاهلين لقرآنهم غافلين عن اسرار دينهم فاخذوا يرمونهم وهم عزل من سلاح الحجج غفل من دروع البراهين بالشبهات والمشككات ويقتلمون بفؤس تضليلاتهم ماورثوه عن آبائهم من العقائد التقليدية .

ولامراء ان اولئك الدعاة (المبشرين) وان لم ينجحوا كما يشتهون ولم يفوزوا بتنصير كثير من المسلمين قد تمكنوا من زلزلة اقدام النابتة الاسلامية بما يلقون اليهم من الشبهات والقصص التي يخترعونها ويتقولونها على سيدنا الرسول صلوات الله عليه مما قصر المسلمون عن رده ونقضه . ولكم ابصرنا النابتة الاسلامية تضيق ذرعا بما يوسوس لها أولئك المضللون الكافرون في مدارسهم ومنتدياتهم حتى اذا قصدوا بعض شيوخ المسلمين ليلتمسوا لديهم مخرجا منها انقلبوا عنهم يائسين بائسين وخرجوا من حضرتهم مسبوبين ملعونين . ولاعجب فان شيوخ المسلمين لعهدنا هذا قلما وجد بينهم من درس احوال الامم الحية اوعرف بماذا يطعنون في الاسلام وكيف يسوئون سمعة النبي عليه السلام. ولو كان من بين علماء

الاسلام من يعرفون لغات الامم النصرانية لقرأوا من كتبهم التي يدرسها ابناؤنا في مدارسهم من الشبهات والشكوك والاكاذيب مايجب على المسلمين ان يعكفوا على توهينه وتنقيضه حتى يبصر واالطلاب بسقيمه وعليله. ولكن أولئك الشيوخ عافاهم الله قد استخفوا بكل شيء وعادوا كل ماجهلوا فلا نكاد نجد فيهم من يفكر في تحصيل الفنون المادية والمباحث المستحدثة واللغات المنتشرة والاديان التي تنفق في ترويجها على ضلالها وفساد نظامها ملايين الجنيهات .

ولامراء انه مادام شيوخ الاسلام مستمسكين باهداب هذا الجمود فلا رجاء ان تسلم الاجيال الاسلامية المقبلة من الارتداد عن دينهم او التشكك في احكامه واركانه وتعاليمه وتاريخه .

فالعلماء هم المسئولون عن العامة امام الله وامام التاريخ فان لم ينفضوا عن هممهم غبار المقابر ويدرأوا عن نفوسهم سلطان الشهوات وحب متاع الدنيا فليأتين يوم لايعبد فيه بالارض غير اعواد الصليب وليرتفعن القرآن من الصدور والايمان من القلوب حتى اذا بقيت في الارض باقية ممن يدعون بالمسلمين الفيتهم كالتماثيل ترى فيها سائر خواص الانسان وصفاته الا الحياة

ولقد ألجاني ماشاهده من تعس المسلمين وحذرى ان يسوء منقلبهم الى ان اخوض غمرات من المجهودات الشاقة وأحتمل من التكاليف والاعباء ما كنت لولا التوكل والاعتماد على صاحب القدرة البالغة والقوة

المتناهية لا أقدم على شئ منها لاسيما وانا فذ ليس لى من الناس من اتكل بعدالله عليه ولا من المال مايقدرنى على متابعة العمل ومداومة الجهاد فى سبيل الله القويم ودينه الحنيف .

فكان فى جملة ماحملته نفسى على شدة نصبي وكثرة همومى وارتباك شئونى تفسير القرآن الكريم تفسيراً يمثل للمستهدين مافى هذا الكتاب من الكنوز والدفائن التى حجبتها عن ابصار المسلمين وغيرهم عدة قرون تلك الحجب الكثيفة التى اقامتها دونه جلود التفاسير وخرافات القصاصين وضلالات المبتدعين

وقدامتاز هذا التفسير بابتعاده عن المماحكات الكلامية والمجادلات اللفظية وتجافيه عن الالمام بشئ من الضلالات الاسرائيليه والموضوعات الأثريه. بل اكتفينافيه بالاسهاب فى بيان اسرار كتاب الله واستخراج مافى بطون آياته من كنوز الاخلاق الالهية والآداب الساميه القدسيه

ولقد ندحض اقوال المبطلين بما نسرد من القول المبين دون تصريح باسم من نجادله ولا ذكر للشبهات التى ننقضها ولكننا نشفع بياننا باشارات يفهم منها الحاذق اللبق اومن سبق لهم مدارسة الكتب الاخرى ماذا عنينا بما نأتيه فى تلك المواطن من الاطناب .

ذلك وقبل البدء بتفسير الذكر الحكيم يجب ان نختم هذه المقدمة ببيان واف فى مسائل كانت ولا تزال فى كل يوم مجالا لطعن الطاعنين فى القرآن الكريم ومرتعا خصيبا لمن يريدون التضليل بالمسلمين من اهل الصليب.

ولقد تصدى المفسرون لبيان تلك المسائل واسرفوا فيما كتبوا ولكن قلما نجد من بينهم قديما اوحديثا من شفى العله او نقع الغله فان جلهم على كثرة ما كتبوا وجاهدوا لم يأتوا بما يرد كيد الماكرين بالاسلام اويحمى الدين من المطاعن التى تسدد اليه فى كل آن

فاما تلك المباحث فهى

كيفية نزول القرآن ـ كيفية جمع القرآن كتابة وتلاوه ـ معنى نزول القرآن على سبعة أحرف ـ الغرض الفطرى من القرآن ـ اساليب القرآن وعباراته ـ المحكم والمتشابه والتأويل ـ مبحث النسخ

وسنتكلم على كل منها مفصلا فيما يلى حتى اذا أصبح الطالب على بينة من الصواب فيما سهل عليه تفهم الكتاب الكريم وتدبر اسراره

ويجمل بالقراء اذا ما اقتنعو بما سنسطره فيها من القول ان ينشروه فى اطراف الارض ويترجموه الى كل لسان حتى يكبتوا به القساقسة المضللين ويثبتوا بمباحثه اقدام نابتة المسلمين وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

كيف انزل الله القرآن الكريم على رسوله ؟

اعلم ان هنالك مباحث واسعة متشعبة للباحثين فى امر نزول القرآن الكريم وهل هو من كلام الرسول وماحكمة تكرار قصصه وهكذا من المباحث التى اغرق السلف

والخلف فى استيعابها وخاضوا مالا ينتهى من لججها اللهم الا رجال الصدر الاول من الاسلام . ومازال أولئك يختلفون فيما يسطرون حتى يومنا هذا (وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد)

واعلم ان آيات القرآن نفسها جاءت مبينة مفصلة كيف نزل الكتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان من الآيات مايشعر بان القرآن هو كلام الرسول عليه السلام كآية (انه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر. قليلا ماتؤمنون . ولا بقول كاهن . قليلا ماتذكّرون) ولكن هذه الآية كما ترى نزلت فى الرد على من زعموا ان القرآن من الشعر او الكهانة وان محمد بن عبدالله انقلب منذ بدء رسالته مجنونا شاعرا اوسجاعا كاهنا. هنالك رد الله عليهم مزاعمهم واباطيلهم بقوله انه لقول رسول كريم (١) يعنى محمدا الذى ماعرف قبل النبوة بشئ مما زعموا . ومن هذا الباب آية (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وماصاحبكم بمجنون)

وهنالك آيات أخرى تدل على ان القرآن انما هو وحى من لدن الله انزله على رسوله تنزيلا كقوله « انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا » وقوله « قل نزله روح القدس من ربك بالحق » وقوله « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علّمه شديد القوى » اذاً حق علينا ان نبين بكل

(١) ومن المفسرين من يؤول الرسول بجبريل

وضوح كيف نزل القرآن على الرسول وكيف كانت تتنزل الكتب على من سبقه من الانبياء والمرسلين فان من الآيات الاخرى ما يرينا جليا كيف كان يفعل الله فى وحيه كآية « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين »

تدل هذه الآية على ان وحى الله انما يتنزل على قلوب الانبياء وعقولهم فهو الهام من الله تعالى لهم بما يريدهم الى ان يبلغوه الناس من رسالاته واحكامه وعظاته كما فى آية « قل من كان عدوا لجبريل فانه نزّله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه

ولا ريب ان النقوش التى تحتويها المصاحف محدثة غير قديمة وكذلك شأن جميع ما يتلى من الآيات بالالسن سواء جرت على لسان المصطفى عليه السلام او غيره من الخلائق

وقد سمى القرآن الكريم نفسه بالذكر المحدث فى آية « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون » وآية « ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين »

ولا يستنبط من هذا ان القرآن كلام النبى على انه هو الناسج لبردته والمبدع لسبكه وصياغته اوانه هو المؤلف لعباراته والمحكم لبديع آياته اوانه هو المخترع لقصصه الواضع لاحكامه فقد كان صلى الله عليه وسلم قبل البعثة أميّا لا يقرأ ولا يكتب « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون »

لبث النبي فى قومه اربعين عاما كاملة لم يعرف فيها بشيء مما كانت تتنافس فيه العرب وتتفاخر به من ضروب الشعر والخطابة. وكذلك لم يكن بالكاهن الذى تلتمس لديه أسجاع الكهانة ولا بالحبر الذى درس اساطير الاولين والواحهم ولا بالمؤرخ الذى استوعب أنباء السابقين من الملوك والانبياء واحاط بقصصهم وشئونهم

نشأ النبي وعاش فى امة امية لا تعرف سوى الجهالة والوثنيه والحياة الهمجيه. عاش فيها ذلك العمر فلم يعرف بينها الا بالصدق ومكارم الاخلاق والوفاء والامانه واشباههامن الصفات النبيله. والسجايا الكريمه. عاش فيها ذلك العمر فلم يعرف فيها بشيء من العلم او الدرس او الحكمه، ولا الم بشيء مما كان لدى الامم الاخرى من القوانين والانظمة والاحكام التعاملية . فلما بلغ الاربعين من عمره فتق الله لسانه بالفصاحة المعجزة وملأ قلبه بالعلم والحكمه « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم »

ثم امره تعالى بتبليغ رسالاته وبث احكامه والهدى الى صراطه المستقيم ودينه القويم فكان للناس كافة بشيرا ونذيرا « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »

فكان صلى الله عليه وسلم منذ جاءته النبوة تلقى فى روعه الآية والآيات من القرآن الكريم بصورتها العربية وترتيبها وتنسيقها الذى نتلوه اليوم ونرتله . فهنالك يجرى بها لسانه الذى هو ترجمان القلب والمعرب عما فيه « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم »

ولم يكن قيام آيات القرآن بنفس الرسول وانطباعها فى قلبه على النحو الذى يشعر به احدنا اذا أخذ يضع رسالة او يقصّد قصيدة فاننا لنؤلف المعانى تأليفا وننسق العبارات تنسيقا مستعينين فى الوضع والترتيب وحسن السبك والصياغة بما سبق لنا تحصيله من العلوم والمعارف والمسائل الاجتماعية والموازين المنطقية . فلا نزال نفكر ونقدر ونثبت ونمحوا حتى نحكم ما يقوم بأفئدتنا من الصور الذهنية والعبارات النفسية وهنالك نقوم فنترجم عنها بعباراتنا اللسانية التى لابدان تأتى مطابقة لتلك العبارات القلبية معنى وترتيبا ووضعا

ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وغنى عن البيان ان الأشياء لاتقوم بالاذهان الا اذا تمثلت بصور مطابقة لصورها الخارجية او مقاربة لها فاذا سمع انسان كلمة الاسكندرية مثلا فان سبق له زيارتها والطواف فيها وشهود اجزائها فان ذهنه اذ ذاك يذكر تلك الصور القديمة التى كانت مخزونة فى القوة الحافظة فتتمثل له الشوارع والحوانيت والازقة والمساجد والمتنزهات واشباهها على النحو الذى سبقت رؤيته

واذا سمع هذه اللفظة من لم يسبق له عهد بشئ من ذلك فان كل مايقوم بذهنه

هو صور اجزاء تلك المدينة وشئونها طبقا لما كان يسمعه من اقوال الوصافين والزائرين لها . فان لم يكن روى له شيء من وصفها وبيان شئونها واحوالها فان كل ما يتمثل له لا يتجاوز حدود صور للشوارع والازقة والسابلة والحيوان والمباني مما يخترعه الفكر مشابها لما سبقت رؤيته بالفعل في بعض البلاد التي دخلها السامع

ولذلك ترى الانسان قد يسمع باحدى البلاد او توصف له حتى اذا جاءها وجدها اما قريبة من الصورة التي كانت تتمثل له كلما ذكر اسمها واما مباينة لها كل المباينة . يعرف ذلك من يسيحون في الارض من الناس . ومن شاء فحسبه ان يعمد الى بعض البلاد التي لم يزرها وليمتحن مبلغ ادراكه لها ثم ليذهب اليها فان في ذلك ما سيكفيه في ادراك ذلك البيان الذي قدمنا

ولقد يظهر ذلك جليا لمن يقرأون كتب النبات والحيوان والجغرافيا والتاريخ فان ما اكتفى منها بذكر الاوصاف والنعوت والشكل لا يترك في اذهان قرائه سوى صور تقريبية غير حقيقية ولا مطابقة للواقع وانما هي معان ذهنية تميز بها الاشياء بعضها عن بعض على نوع من التميز . ولطالما قرأنا من صفات النبات او الحيوان ومميزاته الشيء الكثير حتى اذا ألم به البصر تشكك لا يدري أهو ذلك الذي كان يقرأ نعوته وخواصه ام هو شيء آخر .

ولهذا المعنى الذي قدمنا نجد علماء النبات والحيوان والكيميا والطبيعة

والتاريخ والجغرافيا وغيرهم لا يكتفون اليوم بما كان يكتفي به اسلافهم بل تراهم يكثرون من الصور المطابقة للواقع مشفوعة بخواص الاجسام التي يشرحون خواصها وصفاتها. ذلك كيلا تقوم صور تلك الكائنات بالاذهان مجملة مبهمة ليس لها صورة معينة ولا حدود محصورة

هذا كله فيما له صورة في الخارج من الاجسام اما الامور المعنوية البحتة التي ليست مادة ولا من الاعراض المحسوسة القائمة بالمادة كالبنوة والابوة وكالنفي والاثبات واشباه ذلك فانه لا سبيل الى احضارها في الذهن وتمثيلها للفكر الا بما يدل عليها من النقوش الاصطلاحية كالالفاظ والاشارات والرموز. فليس في الاستطاعة ان يتمثل الذهن شيئا من تلك المعاني النسبية الا بعبارة تدل عليه او رمز يشير اليه اذا تبين هذا نقول ان الله تعالى اذا أوحى الى احد من عباده بشيء من آياته وشرائعه فانه يلقي في روع ذلك الموحى اليه من العبارات التي لا يجهل معناها ولا صورتها ما يحتوي اوامر الله ونواهيه ويشتمل آدابه وشرائعه ثم يأمره فيترجم للناس بعباراته اللسانية كل ماقام بعقله من عبارات الوحي الذهنية التي لم يكن تأليفها ونظمها من صنع الرسول الذي هبط به الوحي . وانما هي عبارات باغتته ذات شرائع محكمة وآيات مفصلة ثم امر بتبليغها كما نزلت به دون تفسير ولا تبديل ولا زيادة ولا كتمان « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » ومن هذا الوادي قوله تعالى « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم »

واوضح آيات القرآن فى هذا المعنى قوله تعالى فى سورة القيامة « لاتحرك به (١) لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه (٢) فاذاقرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه (٣) وآية «ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه» فقد ابانت هاتان الآيتان الكريمتان ان الله تعالى هو الذى يؤلف القرآن ويجمعه فى صدر الرسول وانه هو الذى يجرى به لسانه ويتولى تفهيمه وبيانه فماذا عسى ان يلتمس المشككون من الشبهات والضلالات بعداذجاءتهم الآيات « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعدالله وآياته يؤمنون »

قضى الرسول حياته الاولى امياجاهلا كما علم بالتواتر واجمع عليه اتباعه والكافرون به فكيف يكون حصول العبارات القرآنية فى قلبه على النحو الذى نجده فى انفسنا ممالايقع الا للمحصلين الدارسين وهو صلى الله عليه وسلم لم يسبق له عهد بعلم ولاحكمة ولا كتابة ولا قراءة

والخلاصة ان العبارات القرآنية بنصها وفصها المألوف اليوم كانت تلقى فى قلبه عليه السلام دون كسب ولا اختيار ولكن وحيا يوحى والهاما يلقى اليه كما نتلوه الآن اسلوبا ومعنى فكان عليه السلام يترجمها بلسانه فتنقلب عبارات لفظية بعداذكانت عبارات نفسية

وعلى هذا يصح اعتبارها منزلة من لدن الله تعالى ، وانها قول رسول

---

(١) اى بالقرآن لسانك قبل فراغ الوحى منه خوف ان ينفلت منك (٢) اى ان علينا جمعه فى صدرك واجراءه على لسانك (٣) اى ثم ان علينا بعد ذلك تفهيمه إياك وبيانه لك

امين، وانها ذكر من الرحمن محدث، الى نحو ذلك من النعوت التى وردت بها الآيات الكريمة على نحو ما رأيت آنفا

كيفية جمع القرآن كتابة وتلاوة

من اوهى الشبهات واوهنها على كثرة شيوعها منذ اليوم بين النابتة الصغيرة شبهة ان القرآن الكريم وقع فيه تحريف وتغيير ونقص وزيادة بينما كان يجمع من قحوف النخل والواح العظام.

ولقد تصدى للافاضة فى هذا الباب كثير من المجرمين الافاكين الذين انقطعوا للدعوة الى المسيحية واستمع الى مفترياتهم واكاذيبهم العامة من المسلمين السذّج الذين جهلوا السيرة النبوية ولم يعنوا بتحصيل تاريخ اصول الاسلام ووجود القرآن الكريم

وقد حركت النعرة الدينية بعض علماء الازهر لعهدنا هذا فوضع رسالة قصرها على مناقشة أولئك المضللين ولكننا تصفحناها فالفيناها غير وافية بالمطلب المنشود ولا كافية فى اقناع اهل الجحود. واذ كانت تلك الرسالة هى مبلغ جهد واضعها حق علينا ان نوفيه حقه من الثناء غير منقوص كما ان علينا ان نقيدهنا بعض ماعثرنا عليه فى هذا الباب من الشوارد التى تصيدناها على تفرقها فى عديد من كتب السلف الصالح رضى الله عنهم

اعلم ان الكلام فى جمع القرآن الكريم ينحصر فى بابين جمعه تلاوة وجمعه كتابة

اما جمعه تلاوة فمن الثابت الذى لا امراء فيه ان رسول الله ماقبضه

الله اليه حتى كان القرآن برمته محفوظا فى صـدور جماعة من جلة اصحابه عليه السلام ثم جاء من بعدهم طبقة من التابعين حفظوا عنهم الكتاب الكريم ومازالت طبقات الحفاظ تتعاقب وتتوالى حتى وقتنا هذا

اما كيفية ترتيب الآيات ووضعها فى مواطنها من السور فقد كان عليه السلام اذا انزلت عليه الآية اوالآيات أمر أن تلحق بسورة كذا من القرآن مبينا موقعها من آيات تلك السورة . كذلك كان يفعل كلما اوحى اليه بشئ من القرآن الكريم . هنالك كان الحفاظ من الصحابة رضوان الله عليهم يصدعون بما يأمرهم فيضعون الوحى الجديد حيث ارشدهم

وقدكانت الآيات تأتى لاسباب مختلفة فى اغراض متنوعة ومقاصد متغايرة فكانت تلحق بمواطنها من الكتاب الكريم دون تقيد بترتيبه المعروف اليوم فى التلاوة . ومن المعلوم ان آخر الآيات نزولا قوله تعالى « ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون وان كان ذوعسرة فنظرة الى ميسرة وان « تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون » ومعلوم ان علماء القرآن اختلفوا فى عدد الايام التى عاشها الرسول عليه السلام بعد نزول هذه الآيات من التسعة الى الواحد والثمانين وارجح الاقوال فيما يروى انه عاش تسع

ليال. ولايخفى ان زمنا كهذا لا يسع الاشتغال بترتيب سور القرآن وترتيب آياته جميعا لاسيما انه لم يرد فى الاحاديث الصحيحة ولا شئ من المأثورات انه حصل اختلاف لعهد الرسول فى ترتيب الآيات والسور بل اننا نعلم فوق ذلك من الاحاديث الصحيحة المواترة ان الرسول قدمات وجملة من صحابته عليه السلام مستظهرون للكتاب كله يتلونه حق تلاوته كما سترى فيما بعد . فالقرآن كان قبل وفاة المصطفى محفوظا جميعه فى الصدور متلوا بالالسن ولم يعرف انه وقع فيه خلاف ماخلال حياته الشريفة بين احد من الصحابة بل روى القرآن عن النبي وسمع من فيه ثم تناولته الاتباع واتباعهم بالرواية الصحيحة والاسانيد الموثقة حتى لامراء فى بلوغ رواية القرآن عن النبي مبلغ التواتر القطعى. روى عن ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى فى آية « للفقراء المهاجرين الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا » انها قد نزلت فى اهل الصفة وهم اربعمائة ارصدوا انفسهم لحفظ القرآن الكريم والخروج مع السرايا . والصفة مكان مظلل من المسجد النبوى اقام فيه هؤلاء حابسين انفسهم على حفظ القرآن الكريم وقد عرف من اسماء اهل الصفة نحو من مائة

وقد اعتنى العلماء منذ القدم بأمر القرآن ووصف حفاظه وبيان طبقاتهم وكلهم مجمعون على أن القرآن الكريم كان محفوظا فى الصدور لعهد الرسول ولم يختلفوا فى عدّة ممن نسب اليهم حفظه وتلاوته وعرضه على الرسول

عليه السلام من أوله الى آخره ومن اشهر من كتبوا فى القراء الامام شمس الدين ابوعبدالله محمد بن احمد عثمان بن الذهبي المتوفى عام ٧٤٨ من الهجرة النبويه فان له كتابا سماه «طبقات القراء» وهذا مأخوذ من كتاب له يسمى التاريخ الكبير ومما جاء له فى خطبة طبقات القراء قوله «امابعد فهذا كتاب فيه معرفة المشهورين من القراء والاعيان اولى الاسناد والاتقان والتقدم فى البلدان على الطبقات والازمان» ثم بدأ الكتاب بذكر الطبقة الاولى وهى التى عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاها وروت عنه القرآن سماعا . ومن رجال هذه الطبقة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

قال الذهبي (١) عثمان احد من جمع القرآن على عهد الرسول. قرأ عليه المغيرة بن ابى شهاب المجزوى

ومن فطاحل قراء الطبقة الاولى ابىّ بن كعب ابن قيس الانصارى فقد كان اقرأ هذه الامة . قال الذهبي (٢) عرض القرآن على النبى عليه السلام واخذ عنه القراءة ابن عباس وابو هريرة وعبدالله بن السائب وعبدالله بن عياش بن ابى ربيعة وابو عبدالرحمن السلمى .

وقال ايوب سمعت اباقلابة عن ابى المهلب كان ابىّ يختم القرآن فى ثمان . قال الذهبي واسناده صحيح)

ومن حفاظ الصحابة ايضا عبدالله بن مسعود فانه احد من جمعوا القرآن

(١) صفحة ٦٢٧ من الجلد الرابع من مجلة الهداية (٢) ٦٢٩ من ذلك الجلد

واقرأوه على عهد رسول الله ولقد كان يقول حفظت من فم رسول الله سبعين سورة من القرآن. وقرأ عليه جماعة منهم علقمة ومسروق والاسود وغيرهم. وقد روى عن رسول الله انه قال من احب ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأ قراءة ابن ام عبد (يعنى) عبدالله بن مسعود

وقال ابو مسعود (١) والله لا اعلم احدا تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بكتاب الله من هذا واشار الى ابن مسعود (رواه مسلم فى صحيحه)

ومن جلة حفاظ الصحابة زيد بن ثابت الانصارى الخزرجى المقرى الفرضى كاتب النبي وامينه على الوحى. قال الذهبي جمع القرآن على عهد الرسول وجمعه فى صحف لابى بكر الصديق ثم تولى كتابة مصحف عثمان الذى بعث عثمان منه نسخا الى الامصار .

ومن قرأ عليه ابو هريرة وابن عباس قال ابو عبدالرحمن السلمى قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى العام الذى توفاه الله فيه مرتين وانما سمعت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت لانه كتبها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرأها عليه وشهد العرضة الاخيرة وكان يقرئ الناس بها حتى مات ولذلك اعتمدها ابو بكر وعمر فى جمعه وولاه عثمان كتابة المصاحف

وقال انس بن مالك جمع القرآن على عهد رسول الله زيد بن ثابت وابى بن

(١) ٦٣١ من ذلك الجلد من الهداية

كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد الانصارى .

ومن حفاظ الطبقة الاولى ابوموسى الاشعرى فقدقدم على الرسول عندفتح خيبر وحفظ القرآن والعلم. وقرأعليه ابورجاء المطاردى وحطان الرقاشى ومنهم ابوالدرداء الخزرجى الانصارى رضى الله عنه حكيم هذه الامة . قال الذهبي قرأ القرآن فى عهد النبى عليه السلام .

قال سويد بن عبدالعزيز (١) كان ابوالدرداء اذاصلى الغداة فى جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه فكان يجعلهم عشرة عشرة وعلى كل عشرة عريفا ويقف هو فى المحراب يرمقهم ببصره فاذا غلط احدهم يرجع الى عريفه فاذاغلط عريفهم رجع الى ابى الدرداء يسأله عن ذلك وكان بن عامر عريفا على عشرة فلمامات ابوالدرداء خلفه ابن عامر. وعن سام بن مشكم قال قال لى ابو الدرداء اجمع من يقرأ عندى القرآن فعددتهم الفاوستمائة ونيفا وكان لكل عشرة منهم مقرئ . وكان ابوالدرداء يكون عليهم قائما. واذااحكم الرجل منهم تحول الى ابى الدرداء وقدروى الذهبي خلافا فى على ابى طالب رضى الله عنهم هل حفظ القرآن جميعه فروى عن على بن رماح ان عليا كان ممن جمعوا القرآن فى حياة الرسول ونقل عن يحيي بن آدم قال قلت لابى بكر بن عياش تقولون ان عليا رضى الله عنه لم يقرأ القرآن قال ابطل من قال هذا. وبعدان استوعب الذهبي الكلام فى ترجمة رجال الطبقة الاولى ختم الباب بقوله فهؤلاء الذين بلغنا انهم حفظوا القرآن فى حياة النبي وأخذ

(١) صفحة ٦٣٣ من الجلد الرابع من الهداية

عنهم عرضا وعليهم دارت اسانيد قراءة الائمة العشرة وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة كمعاذ بن جبل وابى زيد وسالم مولى حذيفة وعبد الله بن عمر وعتبة بن عامر ولكن لم تتصل بنا قرائتهم فلهذا اقتصرت على هؤلاء السبعة رضى الله عنهم »

وقد اختص الذهبي باسم الطبقة الثانية طائفة من التابعين الصحابة لم يسمعوا من المصطفى عليه السلام ولا عرضوا عليه وأنما أقرأهم القرآن رجال الطبقة الاولى

ومن اشهر رجال هذه الطبقة الثانية ابو هريرة وعبد الله بن عباس وعبدالله بن السائب والمغيرة بن شهاب وعلقمة بن قيس الذى كان يقول قرأت القرآن فى سنتين وقد قام بالقرآن فى ليلة عند البيت الحرام . قرأ القرآن على ابن مسعود وسمع من عمر وعلىّ وابى الدرداء وعائشة رضى الله عنهم وقرأ عليه يحي بن وثاب وعبيد بن نضيلة واسحاق وغيرهم

ومن اعظم رجال هذه الطبقة ابو عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب مقرئ الكوفة وهو من التابعين . قرأ القرآن وجوّده وبرع فى حفظه وكان يقرئ الناس فى المسجد الاعظم اربعين سنة . وروى أبان ابن يزيد عن عاصم عن ابى عبد الرحمن انه قال اخذت القراءة عن على ومنصور بن المعتمر

وقال عطاء بن السائب فيما حدث به حماد بن زيد وغيره ان ابا عبد الرحمن السلمى قال لنا اخذنا القرآن عن قوم اخبرونا انهم كانوا اذا تعلموا عشر

آيات لم يجاوزوهن الى العشر الأخر حتى يعلموا مافيهن فكنا نتعلم القرآن والعمل به وانه سيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لايجاوز تراقيهم بل لا يجاوزها هٰهنا ووضع يده على حلقه

وقال اسماعيل بن ابى خالد كان ابو عبدالرحمن السلمى يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات

قال ابو عبدالرحمن كنت القى عليا فأسأله فيقول عليك زيد بن ثابت فأقبلت على زيد فقرأت عليه القرآن ثلاث عشرة سنة

وعن عطاء بن السائب عن ابى عبدالرحمن حدثنى الذين كانوا يقرئوننا عثمان وابن مسعود وابى بن كعب رضى الله عنهم ان رسول الله كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها الى عشر حتى يعلموا مافيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .

واشتهر من رجال هذه الطبقة ايضا عبدالله بن عياش المكى وابو رجاء العطاردى وابو الاسود الدؤلى وابو العالية الرياحى البصرى .

بهاتين الطبقتين من القراء والحفاظ سلم القرآن الكريم وحفظه منزله من التحريف والتبديل. وبهاتين الطبقتين ثبت تواتر رواية القرآن كما انزله الله تعالى .

ولقد علمت مما اسلفناه هنا ان القرآن كان جميعه محفوظا فى عهد الرسالة متلوا كما نتلوه اليوم. ولم تكن الحروف (القراءات) التى يقرأ بها اليوم من المستحدثات المبتدعة ولكنها قد رويت بالاسانيد الصحيحة عن النبي معتمدا فيها على

رجال تينكم الطبقتين كما سترى عند الكلام في باب « نزول القرآن على سبعة احرف » ذلك قولنا في جمع القرآن الكريم تلاوة . اما في جمعه كتابة فنقول :

ان كتابة القرآن لم تكن من المستحدثات في عهد الخلفاء الراشدين فقد كان صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابة الوحي فوراً كلما نزلت طائفة من الآيات . وكتاب الوحي النبوي معروفون مشهورون منهم

عثمان بن عفان وعلى بن طالب (احيانا) وخالد بن سعيد وابان بن سعيد والعلاء ابن الحضرمي واول من كتب له ابي بن كعب وكتب له زيد بن ثابت وعبدالله بن سعيد بن ابي سرح ومعاوية بن ابي سفيان وحنظلة الاسيدى

ولقد توفي الرسول والقرآن كله مكتوب الا انه متفرق في الرقاع والاكتاف والعسب واللخاف (١) فلما جاء ابو بكر رضي الله عنه خيف ان يموت الحفاظ او ان يفقد شيء مما كتب منه في تلك الالواح فامر فجمع ما تفرق منه فتألف منه المصحف الشريف

قال الخطابي (٢) وانما لم يجمع النبي القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض احكامه او تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته الهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الامة

(١) اللخاف جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء الحجارة الدقاق وقيل صفائح الحجارة . والعسب جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض (٢) صفحه ٧١ من الجزء الاول من الاتقان للسيوطي

فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر .... وقد كان القرآن كتب كله فى عهد الرسول لكن غير مجموع ولا مرتب السور

وروى البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت قال ارسل الى ابو بكر فى مقتل اهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال ابو بكر ان عمراً تانى فقال ان القتل قد استمر بقراء القرآن وانى اخشى ان يستمر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن وانى ارى ان تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر نفعل شيئا لم يفعله رسول الله قال هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح به صدر ابى بكر وعمر فتتبعت القرآن اجمعه من العسب والقحاف وصدور الرجال ووجدت آخر سورة التوبة مع ابى خزيمة الانصارى لم اجدها مع غيره « لقد جاءكم رسول من انفسكم .... حتى خاتمة براءة» فكانت الصحف عند ابى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر .

وفى موطأ ابن وهب عن الامام مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله ابن عمر قال جمع ابو بكر القرآن فى قراطيس وكان سأل زيد بن ثابت فى ذلك فابى حتى استعان عليه بعمر ففعل .

وفى مغازى موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال لما اصيب المسلمون فى اليمامة . فزع ابو بكر وخاف ان يذهب من القرآن طائفة فاقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع على عهد ابى بكر فى الورق فكان ابو بكر اول من جمع القرآن فى المصحف

ذلك هو الجمع الاول فى المصحف اما الجمع الثانى فهو الذى وقع فى عهد عثمان رضى الله عنه. ولم يكن هذا فى الحقيقة جمعا لشئ متفرق فقد علمت مما اسلفنا ان ابابكر هو اول من جمع القرآن الكريم .

روى البخارى عن انس بن مالك ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى اهل الشام فى فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال لعثمان ادرك الامة قبل ان يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى بنته حفصة ان ارسلى الينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك فأرسلت بها حفصة الى عثمان فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه انما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة او مصحف فاحرق »

فانت ترى من الروايات الصحيحة ان عثمان لم يكن الجامع للقرآن من الالواح والعسب والكاغد واشباهها ولكن لم يفعل سوى ان جمع ما كتبته عامة العرب فى الآفاق بلهجاتها ولغياتها وامر باحراقه حتى لا تتبلبل الالسنة بكتاب الله ذلك بعد ان امر فنسخت المصاحف عن مصحف ابى بكر الذى

جمعه ثم ورثه عنه خليفه عمر ثم حفصة بنت عمر على نحو ما رأيت آنفا . وقد يستمسك المضللون فى شبهاتهم بنحو ماوردهنا من قول عثمان للرهط من قريش اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت ..... فانهم يستنبطون من ذلك ان قد وقع فى القرآن الكريم اختلاف بين اصحاب الرسول . ولو انهم فقهوا الادركوا ان الاختلاف كان مظنة ان يقع فى رسم الحروف لا فى تأليف الآيات وتركيب الجمل فان ذلك كما علمت كان مفروغا منه على عهد الرسول متفقا عليه بين جميع الحفاظ ولم يعرف فى التاريخ ان خلافا وقع بين احد من الصحابة فى شئ من هذا . ويدل على ماقلنا هنا قول عثمان فى ذلك الحديث الذى رواه البخارى اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن « فاكتبوه » بلسان قريش فانما نزل بلسانهم

واعلم ان ترتيب الآيات الكريمة فى السور كان بتوقيف من النبى عليه السلام حتى انه لم يمت الا وقد كان كل آية فى موقعها الذى نشاهده اليوم من السور . اما ترتيب السور وتعاقبها بعضها من بعض فان ذلك لم يكن من توقيف الرسول ولكنه من اجتهاد الصحابة على عهد ابى بكر . نعم ان طوائف من سور القرآن كانت مرتبة بعضها من بعض فى عهد الرسول على النحو الذى نجده اليوم فى المصاحف. قال ابن عطية ان كثيرا من السور قد علم ترتيبها فى حياته عليه السلام كالسبع الطوال والحواميم والمفصل. وقد وردت فى هذا الباب احاديث وآثار كثيرة ليس هذا موضعها

افلاس المخالفة

ظهر فى عالم المطبوعات العثمانية كتاب صغير الحجم وافر المادة كبير الفائدة من نفثات يراع احمد حلمى صاحب جريدة حكمت وقد كشف فيه الستار عن فضائح اعمال المعارضين التى ادت الى كارثة البلقان وسببت انسلاخ تلك الولايات الواسعة عن جسم الدولة وثلم شرف الجيش العثمانى باندحاراته المخزية امام جموع اعدائه الذين كانوا يحفزون للوثبة ويحينون الفرصة حتى اوجدها لهم جماعة المعارضين عباد المصالح الشخصية. والكاتب اشتهر بعدائه الشديد للاتحاديين حتى انه كان من رؤساء المتطرفين فى المعارضة ويكفى القارئ ان يذكر ان حلمى بك سجن ونفى زمنا طويلا فى عهد الاتحاديين فالرجل لا يمالئهم ولكنه رأى ماحل بوطنه من النكبات وعرف حقيقة اسبابها فود بسطها للامة حتى لا تضل سواء السبيل وحتى يكفر بعض سيئات جناها عن غير قصد. وقد اردنا تعريب هذا الاثر حتى يقف قراء الهداية على حقائق الامور ويدركون اسباب هذه الرزايا التى حلت بدولة الخلافة ويذكرون ماطالما كررناه من ان سبب زوال جميع الممالك الاسلامية تفرق كلمة اهلها وانخداعهم بدسائس الاجانب وان السبيل الوحيد لاسترجاع مجد المسلمين واستقلال ممالكهم وعزها التليد فى اتحاد اهلها وجمع كلمتهم على ما فيه خير العموم والتمسك باهداب الجامعة الاسلامية فهى ركن السلامة المكين وحصن الامان المنيع لكل الموحدين وهو اقرب اليهم من حبل الوريد فما عليهم الا ان ينقوا قلوبهم من الادران ويجلوها بفضائل دينهم الحنيف ويعملوا باحكامه والى القارئ ترجمة الكتاب المذكور

اخطار ورجاء

انهذا الكتاب مع صغره ليس فيه كلمة واحدة خلاف للحقيقة فهو تاريخ يدون الوقائع كما هي وانى لم يخالجنى حال تسطير هذا الاثر اى فكر سوى السعى فى ايقاظ الامة والقيام بخدمة صغيرة لهذا الوطن الاسيف

انفرقة الحرية والائتلاف وعدت وتعهدت علنا للامة بانها اذا تسرب اليها اهل الحرص وارباب المطامع الاشعبية وعبثوا بالقانون ولم تستطع ردعهم تعلم الرأى العام بالحقيقة وتكل اليه الامر

وبما انه لم يقم منها من يبر بهذا الوعد ويقوم بهذه الوظيفة وجدت نفسى ملزما بتسطير هذا الكتاب

وانى لارجو رؤساء المخالفين الذين ورد اسمهم فى هذا الكتاب ومن استشهدت بهم نوعاما انهم اذا وجدوا اقل خطأ اوتحريف فى الوقائع التى ذكرتهم فيها يتفضلون بتنبيهنا واعلان الحقيقة للرأى العام

الا اننا نمنح حق الكلام لكل من له علاقة بوقائع هذا الكتاب ولكننا اذا رأينا من يتصدى لانكار الحقيقة فهنالك نترك الحيطة ونرى انفسنا مجبورين على نشر كل معلوماتنا المتممة

المحرر

المقدمة

لقد كتب حتى الان اشياء كثيرة فى حق من تولى ادارة الحكومة من الرجال والفرقة وكانت عرضة لانتقادات محقة وغير محقة وانى لااقصد بكتابى هذا انتقاد هذه الانتقادات وتفريق حقها من باطلها بل اردت منه القيام بوظيفة وجدانية بحتة .

لقد كنت فى طليعة من صوبوا سهام الانتقاد الحاد الى رجال الحكومة وتطرفت فى تجريح سياستها الى حد لايطاق ولذا كنت اعتبر من اساطين المخالفين الى اقصى الدرجات

ولكن ماذا كان قصدنا من هذه المعارضة ؟ وفى اى شكل تطورت المعارضة واى سبيل سلكت والى اى غاية وصلت ؟ ان شرح هذه المسائل للرأى العام يعتبر فى عقيدتنا قياما بواجب وجدانى مقدس

لقد طالما قلنا وصحنا ان رجال الحكومة غير اكفاء للقيام بوظائفهم وكنا نقصد من ذلك اماحتهم على مضاعفة مساعيهم وتحسين اعمالهم او ترك مراكزهم لمن يستطيع اتقان الاعمال ومن هم اكثر منهم كفاءة

ولقد كنا مثل غيرنا نسبح يومئذ فى بحار النظريات ولم نكن واقفين على حقيقة احوال المملكة ومركزها الدولى تماما ولذا كانت لنا احلام واماني كثيرة . كنا نعرف ان المملكة مصابة بقحط الرجال ولكننا كنا نعتقد بوجود من يستطيع تحسين ادارة المملكة عما هى عليه بين صفوف المخالفين من رجال الدورين القديم والحديث المقتدرين

وكنا نؤمل ان رؤساء المخالفين لايسقطون الى هوة الاشكال الفكرية التى كانوا ينعتون بها مخالفيهم وانهم لايضحون منافع المملكة الحيوية فى سبيل المطامع الشخصية الاشعبية

ولكن التجارب والوقائع المرة اثبتت لنا ان هذه الامانى والامال كانت عبارة عن احلام نائم او صروح فى الخيال

ان الالاعيب السياسية اخطر انواع الالاعيب وان الخطأ فى الحركات السياسية قد يجر على الامة افجع العواقب وارهب المصائب وان الكتاب المتقدين الذين سيدونون تاريخ حكومتنا الدستورية وصفحات اضمحلالنا ومصائبنا الاخيرة سيلقون المسئولية العظيمة على عاتق المخالفين

نعم ان الحقيقة المرة ان المعارضة تطورت فى اشكال كان اخرها تقسيم افراد الامة . التى لم تزل حياتها السياسية فى دور الطفولة والاجتماعية فى حالة المبادىء الفطرية — الى فريقين متعادين كل يسعى فى محق الاخر وازالة معالم وجوده

فكان التشيع للحكومة اومناصرتها فى نظر المعارضين من الجنايات الكبرى والرذائل العظمى وكان المخالفون يصورون للامة رجال الحكومة كأنهم عصابة اشقياء جديرة بالشنق فكان من جراء هذه التلقينات ان السواد الاعظم من العوام الذين لم يستطيعوا هضم الانقلاب تماما ولم يفقهوا حقيقة الحياة الدستورية تفرقوا احزابا متعاديه وفرقا متشاكسه وانضم القسم المهم من افراد الرديف الى جماعات المخالفين وانخرط قسم فى نوادى المعارضين كاعضاء عاملين وسرت سموم هذه المفاسد حتى سويداء قلب الجيش

كان الامل عظيما فى ان تأخذ المعارضة شكلا دستوريا كاملا بعد ان توحدت جميع قوى المخالفين فى شخصية حزب الحرية والائتلاف ولكن هذا الامل خاب تماما اذ ان احتراصات رؤساء حزب المخالفة الشخصية ومطامعهم الاشعبية مع التأسف تجلت للناظرين قبيل تمكن حزبهم من القبض على مقاليد الحكومة

انى لااقصد تبرئة حزب الاتحاديين من المعاب ولااخفاء خطيئاته المسلم بها ولكنى اقول كما ان خطيئات اى حزب لايبررها وقوع الحزب المنافس له فى خطيئات اعظم كذلك هو لايتحمل مسئولية اعمال غيره

ان حزب المخالفة قام بوظيفة مهمة عندما كان يعمل فى دائرة السياسة المشروعة ولكنه عندما اخذ يعمل بقاعدة (يجب اسقاط المنافسين باى صورة وعلى كل حال) اعطى الحزب المنافس له حق العمل بقاعدة (يجب تمسكنا بمراكزنا وعدم السقوط باى صورة)

ومما يجب ملاحظته هنا بدقة ان رؤساء حزب المعارضة الذين استولوا عليه اخيرا واخرجوه من دائرة الاحزاب الدستورية وحولوه الى (جمعية انتقام سرية) كانوا يحرمون على حزب الحكومة (حق الحياة) فكان فى رأيهم ان اشرف سياسة

هي عبارة عن الغاء بل محو جمعية الاتحاد والترقي وجميع اعضائها قاطبة فماذا كان. الاتحـاديون يعمـلون ازاء هذه الخطة هل كانوا يقولون (نعم انكم محقون نحن جناة خونة وهـا نحن قد وضعنا حبـال المشانق بايدينا حول رقابنا فتفضـلوا واصلبونا) ؟

الا ان الافراط مدعاة لمقابلته بافراط مثله . ولقد رأينا رؤساء حزب المخـالفين ثملين بخمرة الامل في الظفر وخصوصا عندما تربعوا في دست الحكومة تحت اسم مسـتعار فكانوا يصرحون جهـارا بعزمهم على الغـاء ومحو حزب الاكثرية (الاتحاديين) وفعلا حاولوا تحقيق ذلك مرارا

فلقد رأينا وزارة مختار باشا تتخذ منشور صادق بك الآمر (بتعطيل اعمال نوادي حزب الحرية والائتلاف) وسيلة لاغلاق نوادي الاتحاديين

وكانت الاوامر قد ارسلت الى جميع الولايات قبل هجوم الاتحاديين على الباب العالي ببضع ايام باغلاق جميع نواديهم وتفتيشها وارسـال جميع الاوراق التي تضبط الى العاصمة على قدم السرعة

وتناقش مجلس الوكلاء قبل الهجوم على الباب العـالي بيوم واحد في شأن تعطيل والغاء جميع نوادي الاتحاديين الموجودة بالاستانه والقاء القبض على جميع اعضائها المهمين ولولا ان شيخ الاسلام يومئذ طالب على ماسمعت (الانتظار حتى ورود الاوراق والوثائق من الولايات) لنفذ هذا الامر

ولقد صرح كامل باشـا على صفحات الجرائد مرارا عديدة (بان الجمعية قد ماتت) فسـكون الاتحاديين ورضـاهم بهذه الافكار والاستعدادات والمؤامرات الموجهة ضد حياتها لايكون قط (الا في حالة عجزهـا وعدم استطاعتها عمل شيء)

ومما اود عرضه هنا على انظار ذوي الوجدان الطـاهر وجماعات المنصـفين حقيقة من محبي اوطانهم الحقيقة الاتية (انه نظرا لعدم الاسراع في التنكيل بحزب الاتحاديين ورجاله ونظرا لعدم تلطيف الائتلافيين بالوزارات وكبار الوظـائف والمأموريات العاليه) قررت جمعية الائتلاف السرية اسـقاط وزارة كامل باشـا وتأليف وزارة تخلفها تحت رئاسة ناظم باشا واهم اسـاطينها كوملجنه لي بصري وخواجه صبري وضربت موعد الاسقاط وزارة كامل باشا يوم السـبت ومعنى ذلك انه لو لم يهاجم الاتحاديون يوم الخميس ويسـقطوا وزارة كامل باشـا لرأينـا الائتلافيين يهاجمونها يوم السبت ويسقطونها عنوة

ولقد سمعت من اوثق المنابع ان ممدوح باشا محافظ الاستانة يومئذ رأى ضرورة اتخاذ بعض التدابير التحفظية فراجع ناظم باشا فى ذلك فكان جوابه له .(انى بعد بضعة ايام ساكون صدرا اعظم وهنالك لاتبقى اى حاجة لاتخاذ هذه التدابير التحفظية قط)

مما تقدم تتجلى الحقيقة الآتية وهى ان حزب المخالفة فى الزمن الاخير خرج من دائرة الاحزاب بالمرة وانقلب الى جمعية ثورة وانتقام سرية مكونة من جماعة من ذوى المطامع الاشعبية والحرص الشديد تحت الرئاسة الاسمية اوتحت ذقن صادق بك البسيط القلب العديم الاقتدار ولقد رأينا رئيس الحزب فؤاد باشا ولطفى فكرى ومن على مشاكلتهما وشميان افندى ومن ماثله ممن ليس لهم اغراض شخصية ينفصلون من الحزب بسبب تحكم الكوملجنه لى وبصرى وزمرة اخوانهم الثوريين اصحاب المطامع والحرص وبالجملة فان ميدان السياسة اصبح مكتظا باهل الدسائس ورجال الجمعيات الثورية السرية وذوى المطامع بعد انكان آهلا بصناديد الفكر والمنطق واصحاب المبادئ والبرامج . فياليت شعرى هلا يصيب من قلبوا حزب المعارضة الى هذا الشكل قسم من مسئولية الحوادث الاخيرة؟ وماذا يقول باترى من يستحسنون مبادئ جمعية الاتحاد وبرنامجها ثم فارقوها لعدم استحسانهم لبعض افكار وحركات رؤسائها اذا ماراوا انهم وهم الاغلبية العظمى من المخالفين كانوا مسيرين لخدمة مطامع شخصين اوثلاثة اشخاص من اهل الحرص الساعين للحصول على الوزارة بكل الطرق ؟ وماذا يفكرون ؟ ان لسان حالهم جميعا ولاشك يقول: واسفاه لقد كوينا بنار مطامع اولئك القوم ايضا

ولكن اذا حولنا نظر التنقيد عن هذه الصفحات القبيحة الى العن الصفحات واسودها واعنى بها صفحات الحرب الاخيرة فواعجبى هل نجد هنالك مايمكن ان ينجى وزارتى مختار باشا وكامل باشا من المسئولية ؟ اللهم كلا

انا اذا دققنا البحث عن اسباب انهزامنا فى الحرب المشئومة التى اودت بجميع الروم للى من ايدينا نجد ان هنالك اسبابا تاريخية واخرى ترجع الى اشتغال الضباط بالسياسة ودخول العناصر الغير المسلمة فى الجيش اوالاحوال الناجمة عن تعمم فساد الاخلاق بيدان السبب الحقيقى الموجب لهذه الكارثة يرجع الى الوزارتين المذكورتين وخصوصا الى غفلة اساطين رجالهما وخطاهم الفظيع .

ان الحكومة كانت مخدوعة بسياسة اوربا وان بعض الدول المعظمه وخصوصا

انجلترا اكدت ان دول البلقان لن تستطيع مهاجمة الدولة العثمانية قط . لمن اعطيت هذه التأكيدات فصدقها ؟ انها اعطيت بلا ريب لمن رفعه اشياعه الى قبة الفلك بدعوى قدرته السياسية وحصافته وكياسته مع انه امضى طول عمره فى فشل يعقبه فشل : أعطيت الى كامل باشا !!!

وكان من جراء تصديق هذه التأمينات ان سرح مائة وثلاثين الفا من خيرة جنودنا المعلمة التى كانت محتشدة بالروملى وفى الحدود البلقانية الا ان هذا العدد العظيم حتى لو كان مكونا من حراس القرى (الخفراء) لترددت الحكومة العاقلة عن ارتكاب خطأ تسريحهم فى مثل هذا الوقت ولكن الجرأة على اعلان الحرب بعد هذا التسريح يمكن اعتباره ايضا جناية وطنية علنيه

ان الحكومة كانت تعلم انها بحالة لا تمكنها من خوض غمار الحرب نعم ان هذه الحقيقة كانت معلومة بتمامها لدى الاعضاء الاساسيين فى الوزارة فلما ذا اعلنت الحرب مادامت متأكدة من الاندحار فيها؟ السبب: السعى فى محافظة رجالها على مراكزهم. نعم ان عشق هذه الكراسى المنحوسة والعمل على عدم تمكين المنافسين من الوصول الى القبض على مقاليد السلطنة جعل اولئك الوزراء مع تيقنهم من عدم استعدادهم لخوض غمار القتال يعلنون الحرب الا ان الوزارة كان يحتم سقوطها اذا لم تكن راغبة فى الحرب فالامة كانت تركن وتثق بقوة جيشها وما كانت لتعلم بتسريح مائه وثلاثين الفا من خيرة جنودنا بالبلقان ولا كانت تعرف ان تدرك أن فى عدم تلافى هذا العدد بسرعة عظيمة مصيبة محققة وما كانت الامة لتفقه ان سوق قواتنا الى الحدود لرد هجمات الجيوش البالغ عددها اربعمائه وخمسين الفا التى تستطيع حكومات البلقان حشدها يلزمه بضع شهور فبناء على هذه الحقائق المعروفة لدى الوزارة كان يحتم على الحكومة الراغبة عن الحرب ان تستقيل ازاء غليان الرأى العام الوطنى انها لو فعلت ذلك لكانت استقالتها من جهة وظيفة شرف ودراية ومن جهة اخرى جزاء طبيعيا على خطأ تسريحها هذا المبلغ العظيم من الجند ولكن الوزارة فضلت المحافظة على مركزها على كل شئ اخر وبناء عليه اعلنت الحرب التى لم تكن حربا بل انتحارا

اما الادلة المثبتة ان الوزارة كانت عارفة عدم استطاعتها خوض الحرب يومئذ فكثيرة خصوصا تصريحات دانش بك ناظر الداخلية المعروف بثرثرته وحماقته القريبة من البلاهة الذى كان يبين لكل من قابله مركز الحكومة حتى انى ذهبت

ذات يوم مع بعض الرفاق لزيارة احد اصدقائنا .(انى لاارى الان لزوما للاباحة باسمه) فقال لنا اثناء احاديثنا العبارة الآتية : لقد كنت قبل الان بساعتين لدى دانش بك ناظر الداخلية فقال لى الاقوال الاتية بنصهـا : لو ان حكومة انجلترا عجزت عن تصيير حكومة البلغار وتأجيل حركاتها اسـبوعا اخروا علنت علينا الحرب اليوم اوغدا لوصلت جيوشها بلامقاومة الى چتالجه والاستانه

ومعنى ذلك ان الوزارة كانت متيقنة من عجزها عن الحرب بسبب تسريحها العدد المذكور من الجند : ان الحكومة بعد اعترافات دانش بك هذه بمدة خمسة عشر يوما لم تكن مستعدة للحرب بعد . ولقد استولت على قطارات السكة الحديدية من الشركة وسلمت ادارتها للضباط الذين لم يتمرنوا على هذه الاعمال فكانت النتيجة انهم لم يستطيعوا سوق سوى نصف عدد القطارات التى كان يمكن الشركة تسييرها وبلغ الارتباك وسوء النظام فى السوقيات حدا يبكى العروس وممايؤلم ويصح الاعتبار به انه عندما اعيدت ادارة القطارات للشركة وجد رجالها كثيرا من العربات الممتلئة بالمهمـات الحربية متروكة فى نقط متعـددة بدون ان يكون للادارة العسكرية اى علم بها

ولكن اجلى مظهر لسوء نية الوزارة يتمركز فى النقطتين الآتيتين

اولا : بينما الواجب كان يحتم على الحكومة ابان هذه الحرب التى تعتبر مسأله مهمة يتوقف عليها حياة الوطن اومماته ان تطلق الافكار الحزبية جانبا وتعمل على عدم ترك الجزء الاعظم من الجيش معطلا رأيناها تضع اهم الوظائف واخطرها فى عهدة الضباط المخالفين فقط بدون نظر الى رتبهم واقتدارهم وكانت تعـامل كل ضابط منسوب للاتحاديين بعدم الثقة وسوء المعاملة حتى كأنهم افـف من الاعداء فى الجيش فثبطت عزيمتهم وكسرت قواهم المنوية مع ان ادارة الجيش وسوقياته منذ اربع سنوات هى من اثار مجهودات المرحوم محمود شوكت باشا ومن التف حوله من الضباط الاتحاديين العاملين خصوصا امر حسن ادارة جهة اللوازم فانه لم يتيسر لغيرهم قط. ومع هذا رأينا الحكومة ترجح ضباط حزبها لادارة اعمال السوقيات واللوازم فرأينا الجيش بالرغم عن كميات الارزاق الوافرة المدخرة تفتك به المسغبة وبالرغم عن وجود مقادير من المهمات الحربية تكفى لامداد عدة جيوش اخرى رأينا اكثر قطعنا العسكرية تترك بلا مهمات اوذخائر ويكفى ان تذكر ماشاهده مكاتبو الصحف الاجنبية واعترفوا به من ان البلغار قدغنموا فى محاربتى قرق كليسا

ولوله برغوس كميــات عظيمة من الميرة والذخيرة هذا عدا مدافع المتراليوز التي لم تخرج من صناديقها بعد وعدا العقاقير الطبية البالغ ثمنها خمسين الف فرنك !!!

لنعرف حالة السوقيات

انه لم يكن هنالك من امر طبيعي تقضي به البداهة اكثر من الاستفادة ابان هذه الحرب المهمة بمعلومات وتجارب محمود شوكت باشا الذي ادار شئون الحربية مدة اربع سنوات فتعيينه على الاقل قائدا لاحد الجيوش كان بالطبع من وظائف الحمية الوطنيــة الضرورية ولكن الوزارة لم تكن تفكر في الحرب بل في المحــافظة على مركزها فلم تعين محمود شوكت باشا بل انه بلغ الامر بوزارة كامل باشا ان منعت التفوه باسمه والجرائد ان تذكره !!!

ومن الفجائع التي تحمل العيــون تذرف الدم : ان حصون ادرنه التي بداهة ستكون غرضا لاشد هجمات العدو لم تفكر الحربية في امر أعمدة الكربون المضغوط اللازمة لمصابيح استكشاف الحصون بها الاقبل بدأ المحاصرة ببضعة ايام فبحثت عنها بالاستانه فالفت منها كمية دون الكفاية لدى احد تجار الالمان فاشترتها وبعثت بها قبيل الحصار بقليل

ثانيا : اتبع في انتخاب القواد اسقم الطرق واضرها فمين عزيز باشــا المصري الذي يعجز عن القيام بوظيفة ملازم قائدا لاحدى الفرق واليك مثالا اخر: رجل ارتقى من نفر ضبط بسيط مثل تحسين باشا يعين القائد للحدود اليونانية . ان هذا الاثر (الكتاب) الصغير الحجم يضيق عن تعداد جميع الخطــايا وتفصيل كل الفجائع المخزية وبناء عليه اقول بكل ايجاز : ان الذين علقوا امالهم على مهــارة كامل باشا السياسية وجمعيته والذين املوا من استلامه مقاليد الامور خيرا للوطن واهله قد خدعوا انفســهم بصورة مؤلمة لانهم غفلوا عن انه الة تحركه عوامل كثيرة اهمها اولاده الكبار والصغار وخدامهم وخصوصا المصارع قدري المشهور بتربية الديكة وتدريبها على العراك ذلك الرجل الذي ارتقى من وظيفة مخبر الى درجة السياسي كان كامل باشا لعبة في يده يحركه كيف شاءله الهوى

الافلنذكر ان كامل باشــا الذي عهدت اليه مهمة حسن ادارة امور الامة العثمانية العظيمة والمحافظة على اموال وارواح افرادهــا كان يعتقد ان حكومته عاجزة حتى عن حماية نفسه ولذا استأجر امثال الجاني المفترس شيفليلي مصطفى للمحافظة على شخصه فكان يدفع له مرتبــا شهريا ويبيته بمنزله (بمنزل كامل

باشا) لحراسته اما الرشوة وسوء استعمال السلطنة الاداريه فلايمكن تعدادها بل يمكن ان اجهر بالحقيقة وهى ان بيع الوظائف لم يبلغ حتى فى الدور الحميدى هذه الدرجة الرذيلة الشنيعه

هذه اعمال الوزارتين اللتين تسلمتا مقاليد السلطنة باسم المخالفين وتلك اثارها فى زمن حكمهما القصير والان ننتقل بالقارئ من قسم اعمال المخالفين الرسميه الى القسم السياسى والخصوصى وهو سبب تسطير هذا الكتاب

ماذا عملت جمعية الائتلاف السرية على اثر انقضاض حزب الائتلاف كما ذكرنا؟ وماذا جرى ابان وجود الحزب المذكور؟ وهل يوجد اليوم حزب مخالفة؟ واذا وجد فمن هم ممثلوه؟ وهل مركز البلاد الان يمكن ايجاد حركة معارضة بواسطة الاشخاص والشرائط الموجودة اليوم؟ وهل هذا امر موافق؟ هذه هى الحقائق التى اردنا ان نعرضها على انظار الرأى العام

ان القول بان جميع المخالفين مجردون من الوجدان والعقل والاذعان امر ليس من الانصاف فى شئ اذلاشك من وجود كثير من المخلصين والاغلبية العظمى منهم لايشك فى حسن نواياهم احد ولكن عامة المخالفين غير اهل لتقدير نتائج معارضتهم ولايعرفون الالاعيب التى قام بها بعض ذوى الاغراض فى الخفاء مع ان الواجب يقتضى باظهار كل حقيقة للعيان ومن الفروض المكلف بها كل من يريد البقاء فى صفوف المعارضة بعد اليوم المحافظة التامة على استقلالهم الوجدانى والايصبحوا كما حدث الان فى مضرة الوطن واهله فى سبيل حصول شريف على بدلة الصدارة واثراء احد الامراء (البرنس) المفلسين والكوملجنه لى على النظارة وبصرى على وظيفة الباشكاتب من المقاصد الشخصية السافلة

ان المخالفة بالصورة السالفة والمعارضة تحت ادارة اولئك الاشخاص قد ثبت افلاسها فى سوق الشرف والكرامة تماما وانا نعتقد اننا بجهرنا بهذه الحقيقة قد اجبنا وازع ضميرنا وقمنا بخدمة وجدانية لان دوام امثال هذه المعارضة وامثال هذه المطامع وامثال اولئك الاشخاص العجزة المحرومين من مسكة العقل السليم يؤدى بكل تحقيق الى ضياع الجزء الباقى من هذا الوطن الاسيف

قد يقال لنا : ان الحكومة الدستورية لا يمكن ان ترقى بدون وجود حزب معارضة فما الدستور الا الموازنة بين تصادم افكار الاحزاب المختلفه واراثها العديدة

ونحن نجيب هذا المعترض بقولنا : ان نظامنا الدستورى باحزابه المخالفه

المتعارضة المتصادمة كان الباعث على افساد الجيش وتفرقة كلمة افراد الامة وجعلهم فريقين متعاديين متطاحنين واثارة المطامع فى قلوب عباد المصالح الشخصية وجعلهم يأتون الف حيلة لنيل مطامعهم مع الاضرار بجميع الامة واخيرا اودى بضياع الروملى الواسعة الارجاء من ايدينا فاذا كنا سنداوم العمل بهذه التحزبات وبامثال هذه المعارضات والمصادمات فبعد قليل من الزمن نرى الاناضول يخرج من ايدينا والوطن يضيع منا واذا ما اضحت هذه الامة النجيبة محكومة لاقدر الله فهنالك نصبح جميعنا مرغمين على الانتساب لحزب واحد هو حزب الاذلاء المغلوبين على امرهم المتعبدين فهل هذا هو ماينتظر من النظام الدستورى المدعم على المعارضات والاحزاب والمصادمات ؟ ومن من الوطنيين المخلصين لبلادهم يرضى بهذه النتيجة ؟

الا اننا ما دمنا مصابين بقحط الرجال ومادام من يصلح منا لادارة الحزب المعارض اندر من الكبريت الاحمر او مفقودين بالمرة فمن الفرائض الوطنية العمل دون الانتساب الى فرقه واتباع الاستقلال الوجدانى حتى يحين وقت ظهور الرجال القادرين على ادارة الاحزاب المذكورة

نعم ان هذا من الفرائض الوطنية اما المعارضة الاخرى معارضة شريف باشا ومن على شاكلته فنحن نجهر بوجدان مطمئن بدون ان نخشى فى الحق لومة لائم بان هذه المخالفة ان لم تكن من اثر الحرص الشديد المشوب بالحماقة والبلاهة فهى جناية وطنية والا فما هى نتيجة الطعن المر والتحقير المستمر للحكومة العثمانية عند احتساء كئوس الشمبانيا بباريس على مرآى ومسمع من اعداء الوطن والدين ؟ وماذا يرجى للوطن من الفوائد من امثال هذه الاعمال ؟

انه لا يوجد الان مجلس مبعوثان منعقد لان وزارتى مختار باشا وكامل باشا لم تجريا انتخابات المبعوثين وبناء عليه فليس هنالك من طريقة قانونية لاسقاط الحكومة الحاضرة . اما محاولة اسقاطها بالطرق الثورية الاختلالية فنقول بصدده : اذا كانت وزارة كامل باشا وحزب المخالفين قد اظهروا من العجز والغفلة حتى فى الامر السهل امر المحافظة على مراكزهم يوم كانت الحكومة وجميع وسائط بطشها وتدميرها بيدهم ما ادى الى فشلهم فالاعتقاد بان امثال اولئك العاجزين الغافلين يستطيعون تدبير الامور واحضار حركة اختلالية لقلب خصومهم هو منتهى السذاجة والامعان فى الخيالات الوهمية ومع هذا فليس معنى ذلك انه لم يركن قسم

من المخالفين الى هذه الوسائل كلا بل انهم استعملوا هذه الطريقة ولااظنني بحاجة الى شرح نتيجة سعيهم

ان الانقلابات هي الحركات التي يقوم بها الحائزون لحق العمل باسم الامة مع مشاركة الامة لهم اما الحركات التي يقوم بها قوم مأجورون لفظهم محافل الامة السياسية وهم اجانب عن الشبيبة المتنورة قوم عادتهم ارتكاب حوادث القتل الجنائي غدرا من حين لاخر أحق ماتسمى به انها شقاوة وسادام من المستحيل اسقاط الحكومة الحاضرة بالطرق القانونية ولا بالطرق الثورية فمن الضروري تسمية امثال المعارضة التي يقوم بها شريف باشا (بانها جنايات ترتكب بدافع الحرص والحسد في سبيل الانتقام وامل جر المنفعة الشخصية) وياليت شعري ماذا يعود على هذا الوطن من الفوائد من اظهار الحكومة التي نحن مضطرون للخضوع لها امام الاوروبيين في صورة فئة ظالمة ذليلة محتقره ؟ هاهي جميع المسائل اليوم في حالة معلقة وامام الحكومة زيادة عن مخابرات الصلح مسألة الولايات الشرقية ومسألة سوريا وامثالها من الامور التي يتخذها دهاة الساسة الاجانب الدساسين ثلمات للتغلغل في احشائنا ومسائلنا الداخلية الحيوية . ان الحكومة هي التي ستحل هذه المسائل ومادامت هذه الحكومة المكلفة بحل جميع هذه المسائل الاساسية لايمكن اسقاطها كما قلنا لا بالطرق القانونية ولا الثورية فالعمل على تحقيرها وتذليلها ليس له من ثمرة ولا نتيجة سوى مضاعفة مطامع الاجانب فينا وزيادة مطالبهم منا ودفع العناصر الداخلية الى الاختلافات والثورات فاذا كانت المخالفة عبارة عن ذلك فكل ذي وجدان حي لايسعه الا الاعتراف بان هذه جناية وطنية لامخالفة سياسية

الا انه لوكان لدى هؤلاء القوم وجدان حي يشعر بمرارة هذه الحقائق ويحس بما تخلل هذه الاسطر من الاخلاص لقلنا لشريف باشا (ومن ماثله في الفكر وشاركه في العمل) ايها الباشا ان المخالفة التي اوجدتها انت وامثالك والتي ادرتم شئونها قد اعلنت افلاسها في معمعان العجز المطلق والخطايا المتكرره ودور القمار ومواخير الخمور وضروب الشقاوات والجنايات فلو ان لديك مثقال ذرة من الانصاف والانصياع للحق وكان في قلبك مسكة من حب الوطن والوجدان الحي لوجب عليك الاعتراف بهذه الحقيقة والسكوت بعد اليوم)

ولكني ارجو الا يكون الباشا وامثاله قد بلغوا في التسفل الى هذا الحد نسال الله ان يكذب حدسنا هذا فيهم ومع هذا فنحن لم نسطر هذا الكتاب لاجل هذا الباشا وامثاله

بل اننا عندما وضعنا اساس حزب المعارضة جاهدنا عن حسن قصد ونية وحاولنا استمالة الامة الى هذا الطرف ولكن حزب المخالفة فى الوقت الذى اصبح فيه قوة اعترته استحالات وتطورات جعلتنا نبصر خيبة امالنــا وهدم صروح امانينا وجعلتنا نعتقد من كل قلبنا انه من المستحيل ايجاد حزب مخالفة مؤسس على نفس هذا وتحت قيادة رؤسائه الســالفين وهذا الاعتقاد رفعنا الى عرض هذه الحقائق على انظار الرأى العام فقمت بايفاء وظيفتى وانى لارجوالله ان يوفقنى الى تنبيه الامة الى واجباتها بنشر هذا الكتاب الصغير

الملتزم الحيده العارف بوظيفة الوطنيه
شهبندار زاده فلبه‌لى احمد حلمى

القسم الاول

الفرق المخالفة — مسالة انقسام الحزب والائتلاف — بيانات — طرق المجادلة — فتنة الالبانيين — حركة الخلاصكار — الانقلاب العسكرى — وزارة الغازى مختار باشا وكامل باشا — مطلب الاروام ودانش بك — فكرة الملاقاة بين كامل باشا والبطريرك — الحرب — وزارة الغازى مختارباشا فى نظر الدستور — وزارة المخالفين



كل انسان سمع وعرف ان الحكومة الدستورية تدار باحزاب سياسية متعددة قد دعمت على اسس اختلاف افكار فلسفية واجتماعية فى الادارة السياسية

ولقد كان من الطبعي وجود احزاب فى مجلس المبعوثين العثمانى وكان من البديهى وجود حزب معارض به كما هو الحال فى مجالس النواب امثاله

ان العناصر المكونة منها الامبراطورية العثمانية قد كانوا غرباء بعضهم عن بعض بالنظر الى الحياة الاجتماعية فهم مجموعة عناصر تباينت عاداتهم لتاريخية والسنتهم ودياناتهم فنواب كل عنصرهم فى الحقيقة عبارة عن فرقة ملية وبناء على ذلك كان المجلس بالضرورة منقسما الى فرقتين اساسيتين الاسلامية والمسيحية بيد ان الفرقة الاسلامية كانت مكونة من طوائف وعناصر تختلف فيها الافكار وكان فى الامكان التحاق الفرق الدينية والملية بفرق الافكار والمبادئ وبذلك كان يؤمن التوازن بين فرق المجلس ولقد تم لنا تأمين موازنة المجلس الظاهرية اذ تألف به ازاء حزب الاتحاد والترقى الذى قام بالانقلاب الدستورى حزب الاحرار وهذا الحزب انخرط فى سلكه بعض النواب من غير المسلمين وجعلوه حزب معارض ازاء حزب الاغلبية العظمى الاتحادى

قلنا انه من اللازم تأسيس الاحزاب على مبادئ وافكار اجتماعية وفلسفية

ولقد تأسست احزابنا فى الظاهر على هذه الدعائم ولكن الحقيقة ان العوامل المهمة فى تكوينها لم تكن الافكار بل الاشخاص

ان هذه هى الحقيقة المختصره بيدان صفحات تاريخ حياتنا الدستورية قد اثبتتها بشكل جلى . اننا اذا نظرنا الى براج الاحزاب نرى ان برنامج حزب الاحرار وهو اول حزب معارض كان اشد افراطا من الاتحاديين فى الحرية وكان من اللازم ان نرى اشد المتطرفين من الاحرار فى المملكة ينخرطون فى سلكه

ولكن جاءت فتنة ١٣ ابريل فبرهنت على ان مقاصد هذا الحزب كانت ترمى الى اشياء ضد برنامجه على خط مستقيم وبناء على بحثنا نحكم ان بعض الاحزاب تكونت اتباعا للاشخاص دون المبادئ والافكار

عندما انفرط عقد حزب الاحرار تكون بالمجلس حزبان آخران احدهما حزب (محبى الحرية المعتدلين) وهو عبارة عن بعض بقايا حزب الاحرار وبعض انصار السياسة العنصرية وبعض من خرج على الاتحاديين لعلة ما

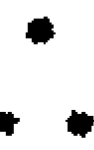
، ثانيهما حزب الاهالى وقد كان وسطا بين حزب محبى الحرية المعتدلين وبين الاتحاديين بيدانه كان فى بعض المسائل اقرب الى الاتحاديين منه الى محبى الحرية المعتدلين وخلاصة القول ان حزب الاهالى فى مبادئه وطريقة تكوينه كان (حزب محافظة) وكان الاتحاديون والحالة هذه يعتبرون من انصار الحرية والترقى امازمر نواب الروم والارمن والبلغار فقد كانوا موزعين انفسهم بين هذه الاحزاب وكانوا يقومون بهذه المناورات خدمة لمصالحهم المخصوصة ومحافظة عليها

ولقد كان هنالك بعض التجانس بين اعضاء هذه الاحزاب فمثلا حزب الاهالى كان اغلب اعضائه من العلماء (الشيوخ) فهو اشبه بحزب الرهبان بمجالس نواب اوربا اما حزب محبى الحرية المعتدلين فبالرغم من عدم تجانس اعضائه قد كانت له مبادئ توصل الى هدف معين بينما حزب الاكثرية كان اقل الاحزاب تجانسا بين رجاله

انه لم يغب عن الاذهان بعد ان جميع النواب تقريبا فى المرة الاولى كانوا ممن رشحتهم جمعية الاتحاد والترقى فبعضهم انسلخ منها وشكل حزب المعارضة بيدانه لم يزل بحزب الاغلبية عناصر مستعدة للانسلاخ

ولقد رأينا كلا من حزب الحكومة وحزب المعارضة يومئذ يقومان باعمالهما بشكل نظامى وسياسى الى درجة ما فكان حزب الاكثرية فى هذا الدور يعامل

الاقلية بالعدل والانصاف كان حزب الاقلية كان يجتهد في ان لا تتجاوز انتقاداته لاعمال حزب الاكثرية الحد السياسي ولو ان احزاب المجلس سعت في اتباع سبيل التكامل السياسي الطبيعي ولم تعمل على الاخلال بهذا النظام المحمود لما حدثت الوقائع المحزنة التي وقعت اخيرا ولاستطاع حزب المعارضة بقوة انتقاداته المحقة ان يحرز الاغلبية او لامكنه جعل حزب الاغلبية يقبل كثيرا من ارائه وبذلك تزداد اهميته ودرجة نفوذه ولكن حركة تقسيم حزب الاغلبية بتشكيل صادق بك للحزب الجديد بدل مركز الاحزاب وعلائقها تماما .



ان هذا الكتاب الصغير لا يستوعب تفاصيل هذه الحركة التي كان لها في حياتنا الدستورية آثار مهمة والتي تحتاج من اجل ذلك لسفر تاريخي ضخم خاص بها ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله فنحن والحالة هذه مجبورون على ذكر هذه المسألة بايجاز واليكه :
ان الميرالاي صادق بك احد اركان جمعية الاتحاد والترقي القديمة كان يعترض على المبادئ التي اتبعها اركان الجمعية المديرين لامورهـا الذين اشتهروا بعد الدستور فعندما انتخب مرخصا للجمعية كان قد عرض على المركز العمومي بعض الشرائط التي ارتآها ضرورية لقبوله هذه الوظيفة واهم هذه الشرائط طرد بعض اركان الجمعية فمع ان الجمعية لم تقبل شرائط صادق مازالت علائقها الرسمية باقية كما كانت فبعد زمن توجه كل من صادق بك وشعبان افندي وبعض اعضاء الجمعية المهمين الى سلانيك وناقشوا اعضاء المركز العمومي طويلا فظن الكثير ان قد تم الوفاق بين الطرفين واشيع يومئذ ان المركز قد قبل مطالب صادق بك التي عرفها كل انسان واهمها اخراج اهم اركان الجمعية الشبان من النظارات وعدم المداخلة في امور الحكومة والاعلان في الصحف بان لا علاقة قط بين جمعية الاتحاد والترقي وبين جمعية البنائين الاحرار (الماسونيين) ومحاربة الجمعية الاخيرة فبعد هذه الحوادث بزمن رأينـا جريدة طنين تهاجم صادق بك بشدة وتنتقد اعماله فصدق الناس ما اشيع يومئذ عن تأليف الحزب الجديد وتفصيل ذلك ان صادق بك دعا مائه وعشرة من المائة والستين مبعوثا التابعين لحزب الاتحاد الى بيته سرا وحلفهم الاقسام وشكل (حزبا جديدا) وبذلك انقسم حزب الاتحاد الى قسمين وكان وقتئذ اغلبية عظمى بين الضباط تناصر افكار صادق بك كما ان العدد المهم الاعظم من اعضاء الجمعية كان يميل لارائه

اصبحت قوة صادق بك ورفقائه بفضل تشـكيل الحزب الجديد رهيبة مهيبة

فاولا بما انه كان قدسى فى تنسيق واصلاح الاتحاد والترقى غدت الاعضاء المحافظون والاعضاء الغير الراضين عن المركز من انصاره وثانيا ان الوفود المرسلة من الجيش كانت معينة له وثالثا ان ١١٠ عضو من حزب الجمعية بالهيئة التشريعية البالغ عددهم ١٦٠ اصبحوا من المبشرين بمبادئه الناصرين لافكاره اى ان جميع القوى اللازمة للظفر كانت وقتئذ موفورة لدى صادق بك وزيادة ولكنه بالرغم عن هذه القوة المهيبة خرج من المعمعة ذليلا مقهورا ورأينا منافسيه الذين لم يكن قد بقى لهم من الانصار سوى حوالى العشرين او الثلاثين مبعوثا يصبحون الابطال الظافرين وكلمتهم هى العليا بفضل هجمات جريدة طنين الرصينة الثلاثة ايام المتوالية اما اسباب اندحار صادق بك فعديدة اهمها يمكن تلخيصه فيما يلى :

١ — تجرده من الجراءة والشجاعة وبطاءته فى اعماله وقراراته

٢ — عدم تجانس القوى التى جمعها حوله وتباين مشاربها

اما اسباب فوز منافسيه فكانت

١ — جرأتهم وسرعتهم فى اعمالهم

٢ — تجانسهم واتحادهم فى الراى والاعمال

لو كان لدى ابناء وطنى البارزين فى ميدان السياسة اثر من الفلسفة السياسية لاستفادوا من هذه الحركة دروسا مهمة ولعلموا ان صادق بك فى حركته هذه كان مدبرا تكوين جمعية سرية وبما ان سر النجاح فى هذه الاعمال الجرأة والسرعة وبما ان صادق بك مجرد منهما فلن يستطيع قط ان يزن منافسيه كما ثبت فى هذه المسألة عمليا. واكبر نقطة يصح الاعتبار بها فى مسألة تكوين الحزب الجديد ان بعض من استحلفهم صادق بك فى منزله ذهبوا بعد اداء اليمين الى اعضاء الحزب المنافس وخبروهم بجميع ما حدث

بعد ان اجتمع كل من اعضاء الحزب الجديد والحزب العتيق وتناقشوا بضعة ايام اتحدوا كما كانوا من قبل ولم تثمر جميع هذه الحركات الا استقالة بعض الكبراء من النظارات ولم يبق بين الجمعية وصادق بك ومن بقى يناصره اى علاقة ما . ان هذه التجربة التى قام بها صادق بك فى حركة الحزب الجديد كانت خير درس عبرة لصادق بك يريد حقيقة استقباله وكان خير اله بعد هذه التجربة ان يخرج من ميدان السياسة ما دام ليس من ابطاله لانه لن يستطيع فى اى وقت ان يجمع مثل القوة الرهيبة المهيبة التى جمعها ابان تشكيله الحزب الجديد وعلى انه مع كل هذا اندحر امام خصومه فمحاولة

٦٠

جم قوى اقل ومنازلة الاقران بها معناه الاندحار المحقق وهنالك نقطة مهمة يجب ملاحظتها فى هذه المسألة الاوهى ان صادق بك كان قدنازل منافسيه فى ميدان الشخصيات لاالمبادئ وبلغت شدة المجادلة الشخصية حدا يحتم محو احد الطرفين فمحاولة العودة الى المبارزة مرة ثانية معناه دفع المعارضة الى ميادين محفوفة بالمهالك والاخطار ولكن ماالحيلة فيمن رأوا ان فى انضمام صادق بك وانصاره الى صفوف المعارضين مايقوى ساعدها ويقرب ساعة فوزها فكبر الامل فى رؤسهم فلم يتركوا الرجل وحاله بل رأينا كلامنهم يضع مشروعا لتوحيد احزاب المعارضة وضم صادق بك ورجاله اليها وخيرا جمعت هذه المشاريع ووفق بين واضعيها واستخلص منها برنامج حزب جديد هو حزب الحرية والائتلاف

⁂

من اغرب الامور المحيرة للعقول ان قادة السياسة فى بلادنا كأنهم ليسوا من اهالى هذه المملكة لانهم اتبعوا خطة من ليس لهم اقل معرفة باحوال تركيا فبينما تراهم جميعا يدعون ان معلومات العثمانيين السياسية وتربيتهم الاجتماعية لاتزال الان فى دور الطفولة ومبادى النشو تراهم فى كل حركة من اعمالهم يغفلون هذه الحقيقة ويسيرون كما لوكانوا فى ارقى الممالك واشد الامم تجانسا فى بنيتها ولقد اقترفت جمعية الاتحاد والترقى فى هذا الباب كثيرا من الخطايا

مثلا : اغفالها الحقيقة البديهية القاضية بان الامة التى تخلص من ربقة استبداد شديد لاتحتمل الحرية المفرطة دفعة واحدة واعطاءها دستورا بالشكل البرلمانى وهو اكمل انواع الحكومات الدستورية ونهايتها فكان من الواجب على الاحزاب التى كانت ستشكل حديثا الانتباه لاجتناب الاضرار التى نجمت من افراط الاتحاديين فى حسن ظنونهم وكبير آمالهم وكذلك كان من الواجب على الاحزاب الجديدة الاعتبار بالمشكلات والاختلاسات التى حدثت فى اداره النوادى الاتحادية المكونة من الاعضاء المختلفه تحت مراقبة قوة خفية

ان حزب الائتلاف لم يعر هذه النقط اقل التفات قط وكان كل انسان يمكنه الانخراط به تقريبا بدون اى قيد اوشرط فانزج فيه عدا من لم يرض عن مديرى امور الاتحاد والترقى وحكومتها الحاضرة اعضاءهم اكبر اعداء للرقى والحرية الفكرية والتكامل العلمى واصبحت نوادى الحرية والائتلاف بذلك تذكرنا بحكاية برج بابل اذكنت ترى به جماعات اشدارتجاعا وحبا للاستبداد من رجال القرون الوسطى مع جماعات

من الاحرار المتطرفين مع جماعات من المسيحيين فلا يسعك الا الحيرة والتساؤل عن كيف يحصل اتفاق فى الراى بين اناس هذا مقدار البون الشاسع بين درجاتهم الفكرية وارائهم السياسية وتحكم ان (عامل الالتصاق والتوحيد بينهم) هو مجرد (الطمع وحب الانتقام)

سمعت العبارة الآتية من احد الكبار الذى ذهب الى احدى الولايات ليرشح نفسه عن حزب الحرية والائتلاف ليكون مبعوثا وهى اقوال قد حوت عبرا كثيرة يمكن احزابنا الحاضرة اوالتى ستتشكل فى المستقبل الاستفادة منها قال (عندما دخلت النادى استقبلنى احد اخوانى الذين اعرف عنه الافراط فى حب الحرية ولما ارتقينا السلم كنا نتبادل عبارات التحيات وفروض المجامله وماوصلت الى رأس السلم حتى رأيت صديقى هذا يرجونى ازاخلع نعلى فتعجبت من هذا الطلب وسألته عن السبب فاجابنى انا نقيم الصلاة بالنادى ولهذا لا يصلح دخولك بحذائيك فيه وبما انى كنت قد ابصرت ازاء النادى مسجدا كبيرا سألته ولماذا تصلون بالنادى دون الجسامع فاجابنى هذه طريقة ابتكرها النادى لاستجلاب القلوب خصوصا وان اغلبية هيئة ادارته من العلماء فلم يسعنى امام هذا الرياء المكروه والحيل المنفورة الا ان اخلع نعلى كارها وماتوسطت بهو النادى حتى رأيت فى صدره حوالى الثلاثين معمما جالسين وقد اعطوا للنادى شكل احدى المدارس الدينية فقرأتهم السلام واندمجت فى مجلسهم فقوبلت ببرود وبكبر فلما افهمتهم انى المرشح للنيابه عن الحزب من هذه الجهة اجابنى احد الجالسين عن يسارى على احدى المراتب وكان لونه فى صفرة الليمون بعدان رفع حاجبيه: ان كنت ترغب ان تكون مبعوثا فلترخ العنان للحيتك لان من لا لحية له لا عقل له ومن لا عقل له كيف يصير مبعوثا

عندما سمعت هذه النظرية دهشت جدا لانى ماخطر ببالى قط ان للحية اهمية تكسب صاحبها الحق فى ان يصبح مبعوثا وظننت انى جئت لا رشح نفسى لاكون امام احد الاقسام لامبعوثا . . . .)

(وعندما ذهبت الى ملحقات الولاية لارغب الناس فى انتخابى واحبب اليهم مبادىء حزبى كان قد سبقنى لزيارة النوادى اثنان من الشيوخ المعممين وبهاعلى الاعضاء بان لا ينتخبوا مبعوثا عنهم الا من كان معمما ورشحا انفسهما لذلك . . . . .)

انه مما لاشك فيه ان فى سلك اعضاء الحرية والائتلاف كثيرا من المخلصين اصحاب النوايا الحسنة بيدان مجالس ادارة نواديها وكثيرا من اعضائها كانوا من زمرة من طردوا

من حزب الاتحاد والترقي اوممن لم يجدوا الفرصة للانخراط في سلك الاتحاديين لاسباب معلومه اوممن اشتهروا بالطمع واحكام الدسائس وابى عليهم جشمهم ان يبقوا مرؤوسين في نوادى الاتحاديين خصوصا وازفى انخراط من طردوا من الجمعية او الحانقين عليها في سلك عضوية نوادى الائتلافيين كان من الدواعى التى ستغير خطة المعارضة وتدفعها في طريق اخر

والان اعرض على القارئ صورة تشكيل هذا الحزب وغايته ومنشوراته وبرنامجه فاقول ان حزب الحرية والائتلاف تشكل من اتحاد حزبى الاهالى ومحبى الحرية المعتدلين ومن احزاب البلغار والروم والارمن الملية (خادمى عناصرهم) ومن المعزولين من حزب الاتحاد والترقى ومن مدارس المعاهد الدينية وطلبتها الداخلين في ميدان السياسة حديثا ومن رجال العسكرية المتقاعدين الذين لم يكونوا قد انتسبوا لاى حزب سياسى بعد ومن المأمورين المعزولين والذين اخرجوا من سلك هيئة العمال

فلو تأملنا في مبادئ هذه الجماعات نرى ان هذا الحزب كان مركبا من صادق بك وانصاره اى زمرة دعاة السياسة الاسلامية ومن جماعة الاحرار المتطرفين امثال لطفى فكرى وماهر سعيد ورضا نور ورضا توفيق ومن مروجى الافكار الرجعية من رجال سياسة المعاهد الدينية ومن اناس اشتهروا بالالحاد ومن انصار السياسة المنصرية المعتدلين والمتطرفين فاجتماع ارباب هذه الافكار المختلفة والغايات المتباينة كان بالطبع مما يستدعى وجود تيارات سياسة متضادة فهل كان لدى صادق بك من الكفاءه والدربة ما يمكنه من ضبط وادارة هذه التيارات المتباينة ؟ اوان هذا الحزب العجيب كان سيمضى اوقاته في مناقشات لاطائل تحتها قط ؟ ان البصير المدقق ما كان ليصعب عليه ادراك ان حزبا هذه حقيقة بنيته لن يستطيع عمل شئ وانه بعد حين لابد ان يتحلل الى زمر وطوائف طبيعية مختلفة بدرجة تباين مبادئها ان الرابطة الوحيدة بين جميع ارباب هذه الافكار والمبادئ المختلفة لم تكن الا الامل في الغلبة ففى اليوم الذى يحبط فيه هذا الامل تماما اويتم فيه تحقيق هذه الامانى يصبح هذا الحزب محكوما عليه بالتفرق والانقسام بيد ان هذه لم تكن الاسباب الوحيدة الداعية لانحلال الحزب بل ان هنالك بعض المواد التى جعلت سببا لتكوين هذا الحزب فمنشورات صادق بك العديدة التى شرح بها سبب استقالته

من حزب الاتحاد وبين علة تكوينه الحزب الجديد كانت كتعهد من الحزب امام الامة يجب عليه القيام بنصوصه بحذافيرها

كان يتهم جمعية الاتحاد والترقي باجمعها بالمعائب الآتية ويدعى ان حزبه الجديد ماتألف الا ليصلح هذه الخطايا ويتجرد من هذه المعايب

١ — ان الاتحاد والترقي تتداخل في امور الحكومة
٢ — تمنح الوظائف العمومية لرجالها
٣ — ان رؤساءها مبتلون بحب النظارات
٤ — انها تعمل كيفما يوحيه اليها هواها لا بما تحتمه القوانين والنظامات
٥ — ان بعض اصحب النفوذ من اعضاء الجمعية جعلوها كشركة احتكار لهم
٦ — ان الجمعية لاتبحث عن الكفاءه والاستحقاق في منحها المناصب والوظائف
٧ — انها بدل استعمالها سلاح القانون والمنطق تتخذ من الجيش وقوة الحكومة القاهرة سلاحا وتتبع طرق الجمعيات السرية . اننا لن نناقش هذه التهم ولسنا في مقام تنقيدها بل كل مانقصده ان نبين للقارئ ان هذه المعائب المزعومه كانت العلة الموجبة لتأليف حزب المخالفة كما قال منشئه

ومعنى ذلك ان حزب المخالفة بناء على اتهامه لحزب الاتحاديين وبناء على تعهداته العلنية امام الامة قد آلى على نفسه ان

١ — لايتداخل في امور الحكومه
٢ — لايمنح الوظائف العموميه لرجاله
٣ — رؤساءه لن يصابوا بمرض حب النظارت ولن يطلبوها
٤ — يراعى القوانين ويحترمها ولايعمل بما يوحيه اليه هواه
٥ — لايكون الحزب شركة احتكار في يد جماعة من اعضائه اصحاب النفوذ
٦ — يتخذ سلاح القانون والمنطق وسيلة لادارة حكومته ولن يلجأ الى استعمال قوة الجيش والحكومه اوطرق الجمعيات السريه في نيل غاياته وبالجملة فالحزب كان قد تألف على ان لاتشوبه ادنى شائبة من المطامع الشخصية وتحكم الافراد حتى ان صادق بك قال في احدى منشوراته متعهدا امام الامه (انى اذا وجدت بين اخوانى من يجرى خلف مطامعه الشخصية وحاولت تقويمه فلم استطع ساعلن ذلك على ملأ الناس حتى يعرف الرأى العام الحقيقه) في الحقيقه ان حزب المخالفه وفريقا من الرأى العام كان يعترض على بعض المواد التى هى

من الامور الطبيعية في تشكيل الاحزاب فنفى الممالك الدستورية نرى ان المناصب التشريعية والاجرائية المهمة يشغلها اعضاء كل حزب احرز الاغلبية اذلا يعقل وجود اى حزب استلم مقاليد الامور واصبحت المسئولية ملقاة على عاتقه يرضى بتسليم ادارة الامور المهمة لمنافسيه السياسيين. ان التحزب هو روح تشكيل الاحزاب ولكن بما ان الرأى العام العثمانى لم يألف بعد الحياة الدستورية ونظاماتها كان كلما رأى نقصا فى الادارة لا يبحث عن الاسباب الحقيقية بل يحكم بان منشأها التحزب (ميل اعضاء الحزب لبعضهم وتفضيلهم على غيرهم) فتعهدات حزب الائتلاف صادفت هوى الرأى العام وبذلك اكتسبت قوة بيد ان هذه التعهدات كان من اخطر المهالك المهدودة لحياة الحزب لان التهم التى الصقوها بحزب الاتحاديين طبيعية ولم يكن فى استطاعة حزبهم اجتنابها وبذلك زالت الاسباب الموجبة لتشكيل هذا الحزب الجديد والحقيقة ان حزب الائتلاف وجميع رءوساء المعارضين قد اختنقوا بهذه الصورة

يتبع

الدفاع الملى

والاستعداد له بتربية النابتة على صفات الرجولية وتدريبها على مشاق الحروب



ان مارآه الانكليز فى الترنسفال والاورانج فى خلال تلك الحرب ، التى لاتزال ذكراها حاضرة فى جميع الاذهان ، من استعداد كافة افراد امة البوير والاورانج للدفاع عن بلادهم واستطاعتهم تحمل مشاق المحاربة وتجشم مصاعبها واقتحام اهوالها ، جعل الجنرال «بادن بويل» ـ الذى دافع عن مدينة مافكينج وابلى فى الذود عنها بلاء حسنا امتاز به على كثير من قواد الانكليز الآخرين ـ يفكر فى سر تمكن تلك الفئة القليلة من مقاومة الجيوش البريطانية الجرارة مقاومة مدهشة حيرت رجال انكلترا، وانتصادها عليها ولاسيما فى الوقائع الاولى انتصارا استدعى اعجاب العالم واكباره فوجد هذا الجنرال ان لتربية هذه الامة على الاخشيشان كل الفضل فيما قامت به من جليل الاعمال

ولذلك جد واجتهد عند رجوعه الى بلاده فى سنة ١٩٠٨ فى استنبط طريقة تجعل الامة التى ارخت همتها لمدينة بالترف والتنعم يستعيد افرادها مزايا الرجولية وقوة الباس والصبر على المتاعب وثبات الجأش فى مواقف الاخطار والجرأة والاقدام على عظائم الامور . فتوفق الى غرضه بتشكيل جماعة اله « بوى سكاوتس » : «الاولاد الكشافين» التى يزيد عدد المنضمين الى فروعها فى انكلترا عن ٠٠٠ ٨٠٠ طفل استعرضهم الملك جورج الخامس فى وندسور يوم ٤ يوليو سنه ١٩١١ . ورأس الدوق اوف كونوت (ولى العهد) بعد ذلك فى پيرى هول بارك ، بالقرب من بوكنهام ، فى ٥ يوليو من السنة الحاضرة اجتماعا فخيما ضم ٠٠٠ ٣٠ منهم

وقد قدرت الامم الاخرى مزايا هذا المشروع الجليلة حق قدرها . فاسست فى الحكومات المتحدة الاميريكية جمعيات « للاولاد الكشافين » تشتمل الآن على اكثر من ٢٥٠٠٠٠ ، وشكلت فى بلاد الشيلى موسسات مثلها تزيد عدد اعضائها عن ٧٠٠٠٠ . وفى الجمهورية الفضية ايضا حيث صار عدد الكشافين يربو على ٣٠٠٠ وكذلك فى الروسيا التى بلغ عددهم فيها ١٠٠٠٠

وشكلت فى اسبانيا وهولاندا وفرنسا جمعيات تتألف من عدد كبير . ويعدون فى المانيا طبقة ضباط الصفوف حملة السيوف (الضباط الاصاغر) بهذه الطريقة تقريبا ويعتنون بتربيتهم العسكرية اعتناء عظيما

ولم تشأ الجمهورية الصينية حديثة العهد ان تتأخر عن مجاراة الامم الاوروبية فاسست فيها جمعية عدد اعضائها غير قليل

*
* *

ونظر الجسامة فائدة امثال هذه الجمعيات وشدة لزومها خصوصا للبلاد المهددة باغارة الاجانب عليها قد عقدنا النية على توضيح كيفية تشكيلها وادارتها وشرح برامجها واعمالها ولكننا سنقتصر فى هذا العدد على هذه الجملة التى نستخلصها من موضوع وقفنا عليه فى احدى المجلات الفرنسية والتى تصف اعمال جمعية « كشافى فرنسا » وذلك تمهيدا لابحاثنا التالية :

للالتحاق بجمعية « كشافى فرنسا » يكفى ان يكون سن الطفل احد عشر عاما وهو عند حضوره الى النادى الذى يريد الانضمام اليه يؤدى امتحانا يثبت فيه المامه بقانون « الكشافين » وهو قانون حقيقى للشرف وهذه هى اهم مواده :

المادة الاولى : كلمة الكشاف مقدسة فانه يجعل شرفه فوق كل شئ بل يفضله على حياته نفسها

المادة الثانية : الكشاف يحسن الطاعة ويعتقد ان نظام الامتثال ضرورى للمصلحة العامة

المادة الثالثة : الكشاف رجل همام مقدام مستقل النفس حازم

المادة الرابعة : الكشاف يأخذ على نفسه فى كل الاحوال مسئولية اعماله

المادة السابع : الكشاف كريم الاخلاق والطوية جرئ شجاع وهو مستعد دائما للاخذ بيد الضعفاء حتى ولو كان فى ذلك خطر على حياته

المادة العاشر : الكشاف منشرح الخاطر دائما ومتحمس وهو يلتمس من كل شيء احسن مافيه

المادة الحادي عشر : الكشاف مقتصد فى انفاق ماله ومحترم لمال غيره

المادة الثاني عشر : الكشاف يهتم دائما بالمحافظة على كرامته ولايفتر قط عن احترامه لنفسه

وبعد ان يثبت ذكاءه وكفاءته فى بعض الاعمال البسيطة الخفيفة يقبل حينئذ لتأدية يمين الكشاف وهو هذا :

اقسم بشرفي : ان اعمل فى كل الظروف عمل الرجل العليم بواجباته الصادق الامين الكريم

وان احب وطني واخدمه خدمة المخلص الوفى فى السلم وفى الحرب

وان اطيع قانون الكشافين

وان هذه اليمين التي ينطق بها الطفل امام اخوانه بصوت عال جهوري لاتلبث ان تجعله رجلا « صغيرا » متطبعا بصفات الرجولية والجد والشهامة

وعند تأدية اليمين يصير مبتدئاً ويخول له حق التحلى دائما بالشارة وهى صورة قوس موتورة ذات سهم موشك ان ينطلق. وفى ايام الاجتماع ، بالملابس الرسمية وهى القبعة الخاكية ذات الحوافى العريضة المستوية التي تثبت بشريط رقيق من الجلد يمر تحت الذقن، وقميص خاكى من الفلانيلا ذوجيبين على الصدر ، وسروال قصير ودلاق (شريط من الصوف يلف على الساق) ثم رباط رقبة ذولون خاص بالجماعة التي ينتمى اليها المبتدى

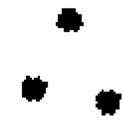
ومهمات الكشاف الاخرى حقيبة الظهر وهى من التيل القوى وبرنس قصير (حرملة) تحمل فى غير ايام المطر ملفوفة ومحمولة فوق الكتف من جهة وتحت الابط من جهة اخرى . ثم العكاز الطويل وهو من الخشب المتين يبلغ طوله ١،٨٠ متر ومدرج بديسيمترات وانصاف ديسيمترات وينتفع بهذا العكاز فى السير بالليل وفى اجتياز الانهار

∴

فاذا شاء المبتدئ ان يرقى الى درجة « الكشاف الثانى » فانه يؤدى حينئذ امتحانا ثانيا يقطع فيه كيلومترين فى خمس عشرة دقيقة ويجمع ويشمل احطابا

بسرعة وفى اثناء هبوب الريح ، ويظهر المامه باستعمال البوصلة « بيت الابرة » ومعرفته بالاستدلال على الشمال بواسطة الشمس والنجمة القطبية ، ومقدرته على وصف مشتملات قناء عزبة بعد دقيقة واحده فقط من نظره اليها ، وخبرته بعقد انواع عقد الحبال

وللارتقاء الى درجة « الكشاف الاول » يؤدى امتحانا مماثلا للسابق ولكنه اكثر صعوبة . والكشاف الاول يستطيع بعد ذلك الارتقاء الى درجة «حامل الشهادة» ثم الى درجة « الممتـاز » اذا مهر فى فن اوعدة فنون اختصـاصية : الطيارة ، الاسعاف ، علم الجو ، الملاحه ، الفروسية ، النجاة ، الطباخه ، ركوب الدراجه ، علم الكهرباء ، الحدادة، اوغير ذلك



الخدمة السفرية

خروج الكشافين الى الميـدان يكون عادة فى الفصول المعتدلة وعلى اكثر مايمكن من المرار وهم يتعلمون فى السهل الاستفادة من الارض (للسير وحركات الرماة) ويتمرنون على قياس المسافات وتقديرها ويتدربون على المخاطبة بالاشارات وفى الجبل والاراضى ذات الحذون حركات الرياضة البدنية : القفز والتسلق وغيرهما وفى الغابات وهى احسن مواطن التعليم يتمرنون على تمييز الآثار واقتفائهـا وفتح الطريق بالفأس وتخابر اجزاء القوة فيما بينها بالاشارات المتفق عليهـا للدلالة على احسن الطرق

وانهم بكل هذه التمرينات التى تجعلهم يستعملون كل قواهم البدنية والعقلية وعلى الاخص الادراك والتصور والاستنتاج وسرعة الحكم والتحايل يستعدون للمستقبل استعدادا عظيما

وقد قال الجنرال بويل : « ان حياة الاطفال الكشـافين فى المعسـكرات فى ايام المسـامحات (العطلات المدرسية) هى التى يستفيدون فيها اعظم الفوائد . وازهذه السفريات لتمزج الدراسة بالتنزه مزجا نافعا ولذيذا »

ولوصف هذه الحياة بعض الوصف ذكرت المجلة :

متى اجتمع الاطفال الكشافون في نقطة مثل « باريبردورليان » وهي بالقرب من باريس، مثلا، يقفون صفا صفا فيعدهم الرئيس ثم يصفر لهم فيسيرون وعندذلك يأمر الرئيس الكشافين ١و٢ : « استكشفا المنزل المنعزل في وسط هذه الطرق بدون ان يراكما احد ، اذهبا ! » والكشافين ٣و٤ : « انتما طليعتنا ـ فاخبرانا بكل ماتستكشفانه ـ باشارات اوعلامات على الجدران ـ هلما ! »

ثم يأتون الى المكان لذى اختير فيضربون خيامهم ويشعلون نيرانهم ويهيئون طعامهم بانفسهم

وبعدذلك ينقسمون الى قسمين كل واحد منهما خصم للآخر وتبتدئ حينئذ مناورات المحاربة فترى افراد كل فريق منها يبحثون عن الفريق الثاني فاذا التقوا تدور رحى الموقعه وفي اثناء ذلك تشتغل كل القوى البدنية والعقلية للوصول الى هذه النتيجة المهمة وهي جعل قسم من القوة تتوصل الى اتمام حركة التفافية للاطباق على الخصم واذهاله ورض جاشه

ولم يعد « كشافو فرنسا » يكتفون بالعمليات الصغيرة بل صارت لهم الآن مناورات كبيرة اعطيت لها صفة رسمية وقد رأس الجنرال ميشل حاكم باريس الحربي والجنرال رقيوا قائد حامية مديرية السين تمرينات الكشافين في شهر افريل من هذه السنة

وقد احتفل بالعاب الكشافين ومناوراتهم في جهات مختلفة احتفالات عديدة كان يرأسها ويحضرها نخبة عظماء : الحكومة والجيش

∴

جمعيات الكشافين

مدارس للفضائل

يستفيد العقل والجسم من هذه التمرينات فوائد جليلة واهم المزايا التي تكسب منها : مكارم الاخلاق والشجاعة واسعاف المحتاج الى المساعدة. ودوام هذه التدريبات يثمر اعمالا من اسمى ماينتجه الاقدام والاخلاص

فقداوقف طفل من جمعية الكشافين فى دبتفورد بانكلترا جوادين كانا قد جرا نا وجمحا جموحا شديد الخطر على الناس

وكان الاطفال الكشافون هم اول من رتبوا الاسعاف الاول عند ما وقعت حادثة الطريق الحديدية فى كرابتون على طريق برايتون الى لوندره

وفى باريس طرأ اختلال على آلة سيارة فغشى على سائقها من الفزع فقفزا احد الاطفال الكشافين على العربة وتوصل الى ضبط سيرها ثم اوقفها وانسل لكيلا يعرفه احد ولكن دفتر جيبه الذى سقط منه عند قفزه جعل الناس يعرفون ان هذا الطفل البطل هو هنرى بلن احد « الكشافين »

وقد احصى عدد الذين انقذهم الاطفال الكشافون فى انكلترا فبلغ عددهم فى سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ ثلاثمائة نفس !

فانعم بمثل هذه الجمعيات التى تحضر للمستقبل رجالا من خيار الرجال

وانعم بهذه الالعاب التى تربى عواطف الشهامة والمروءة فى قلوب الاحداث وتجعل للملة من اطفالها حماة ترفعهم عزائمهم وهممهم الى مكانة الابطال

*
* *

وان من ينعم الفكر فى طريقة معيشة القبائل الطرابلسية والمراكشية وغيرها يرى انها ممـا يساعدها الآن على مقاومة الجحافل الايطالية والفرنسية والاسبانية اللجبة التى تقف الآن مغلولة اليدامام جرأة هذه القبائل ومتانة صبرها . وذلك مما يحتم على البلاد الباقية المهددة اوالتى تؤمل استرجاع حريتها التشبه بهذه القبائل القوية البأس بتربية النابتة على هذه الطريقة التى استنبطها الجنرال باون پوويل مظهرا بها اسمو حكمة الحديث الشريف « اخشوشنوا فان النعم لاتدوم »

وسنوفى الموضوع فيما بعد حقه من الشرح والتوضيح كما وعدنا من قبل ان شاء الله

« ق . ر . »

نص معاهدة الصلح

ان الحرب قد وضعت اوزارها بين الدولة العلية والبلغار احدى الحكومات المحاربة وزال عن قلوب الامة ما كانت تتوقعه من الخطر على فرض ان تستمر ادرنة في يد الحكومة البلغارية وهذا من منن الله تعالى حيث امد الدولة العلية بنصر من عنده ووفقها لاسترجاعها ورفع العلم العثمانى على ربوعها حتى انعقد الصلح على وجه يلائم شرف الدولة وترتاح له خواطر العثمانيين خصوصا والمسلمين عموما ولما كانت هذه المعاهدة من الاهمية بمكان يبعث فى نفوس القراء داعية الاطلاع على تفاصيلها عمدنا الى نشرها بمجلتنا تباعاً من هذا العدد على قدر ماتسمح به موادها :

رغب كل من جلالة الخليفة الاعظم وحضرة صاحب الحشمة ملك بلغاريا عقد معاهدة صلحية على اساس دائمى محكم واعادة روابط الولاء وعلاقات الجوار الحسنة استكمالاً لاسباب راحة الملتين وسعادتهما وذلك لما نشأ من الحوادث منذ ابرام عهدة لوندره فقرروا ابرام المعاهدة الآتية ولذلك اناب جلالة الخليفة الافخم عن سموه :

حضرات طلعت بك ناظر الداخلية ومحمود باشا ناظر البحرية وخليل بك رئيس شورى الدولة وحشمة ملك بلغاريا القائد صاووف وموسيو ناچوويچ من النظار السابقين وموسيو طوشهف بصفة مرخصين فقرر المرخصون المشار اليهم المواد الآتية بعد تعاطى وثائق الصلاحية المخولة لهم

المادة الاولى — تبتدئ الحدود التى بين المملكتين من (سن يوان) بالبحر السود ومصب نهر (رەزوايا) بجنوب مناسترى وتسير متابعة للنهر المذكور الى ملتقى نهرى (پيروغ) و (دەليوا) الواقعين فى غرب (كامل آغا كوى) ومنه تتجه نحو الجنوب الغربى مع المصب ونهر (رەزوايا) بين الملتقى المذكور اعلاه وتبقى

(يلاقا) الى تركيا وتكون منعرجا منه تتجه اولاً نحو الشمال الغربى وثانيا نحو الجنوب الغربى فتبقى قريتا (مازورا) و (ييرغوپلو) فى جملة الاراضى العثمانية وبعدان يوازى نهر (رەزوايا) الجنوب على استقامة نحو خمسة كيلومترات تقريبا من (ييرغوپلو) يكون منعرجا متوجها نحو الشمال الغربى وبعده يستمر مستقيما نحو الغرب ومنحنيا قليلا نحو الشمال . وفى هذا القسم تكون قريتا (ليكودى) و (قلادار) ملحقة بارض البلغار وتبقى قرى (سيقنيفورى) و (ماوروديبو) و (لاوفا) لتركيا . ثم تمضى الحدود حذاء نهر (رەزوايا) ذاهبة نحو الشرق فتضم (طورفو جفتلك) الى البلغار وتوصل قرية (رادوسلاوس) بالاراضى العثمانية وبعد ٨٠٠ مترو تقريبا من هذه القرية ينحنى الخط الى الجنوب الغربى مبقيا (كامل آغا كوى) فى الارض العثمانية ويصل الى ملتقى انهار (رەزوايا) و (ييروغ) و (دەليوا) فى الجهة الغربية على بعد ٤٠٠ متر تقريبا من الناحية المذكوره

ويمتد خط الحدود من ملتقى نهرى ييروغ ودەليوا على طريق رەزوايا مستقيما الى الشمال الغربى فتبقى قرى (پاسپالا) و (قنديلجق) و (دەلى) الى تركيا حتى ينتهى فى شرق (صوغوق صو) فتنحاز هذه القرية الاخيرة لتركيا وتضاف قرية (سەومليغ) الى البلغار .

وبعدان يمر خط الحدود بين (صوغوق صو) و (سەومليغ) تتبع الاكمة المارة على ارقام ٦٨٧ و ٦١٩ و ٥٦٣ على استقامة الشمال الغربى تاركا قرية (قاغلاييق — قايراق) التى بعد رقم ٥٦٣ فى الارض العثمانية فيصل الى وادى (قولەما) دائراً بالقرية المذكورة على مسافة ٣ كيلو متر من الشرق والشمال وبعد ان تحاذى الحدود وادى (قولەما) كيلو مترين تقريبا تصل الى ملتقى الجانب الآخر للوادى المذكور من جهة (قاره باغلى) الجنوبية ومن هذا الملتقى تنتهى الحدود العثمانية البلغارية القديمة مارةً بالاكمات الشمالية من نهر (تورك آلانلى)

ثم تحدث ملتقى الحدود الجديدة والقديمة منعرجاً فى شرق (تورك آلانلى) على مسافة ٤ كيلو مترو فى استقامة (آيفيرى پول) من الحدود العثمانية البلغارية متوجها الى الشمال باستقامة

ثم تحاذى الحدود القديمة من هذه النقطة الى قرية (بالابان باشى) الواقعة غرب (طونجه) وشمال قرية (دروشيقا — موغ)

ثم تنفصل الحدود الجديدة عن الحدود القديمة بازاء (بالابان باشى) وتنحدر

باستقامة الى (دكرمن دره) ثم تلتقى الحدود الجديدة بالقديمة فى مسافة ٢ كيلو متر من كنيسة قرية (درويشقا ـ موغ) وبعدان تبقى الحدود هذه القرية ضمن الارض العثمانية تمضى الى قرية (بولغار لفكه) موازية لمجرى دكرمن دره وتلحق القرية المذكورة الى البلغار

ثم تتوجه من جانبى شرق وجنوب قرية بلغار بلفكه الى الغرب باستقامة تاركة مجرى (دكرمن دره) فتضم قريتا (مسلم لفكه) و (ديمترى كوى) الى الارض العثمانية وبعد ان تمضى محاذية لمنقسم خط المياه الذى بين (بيوك دره) و (دمير خان دره) يصل منعرجها الحادث نحو الشمال وشرق (مريج) و (مصطفى پاشا) الى ارفع نقطة شمالية

ثم تحاذى الحدود القسم الغربى من منعرج (مريج) الى (دكرمن) وتصل باستقامة الى (چرمن دره) الواقع فى شمال جسر السكة الحديدية

(چرمن دره هو الوادى الذى فى شرق قرية چرمن على مسافة ٣ كيلومتر ويصب فى نهر مريج) وبعده تدور الحدود بچرمن من الشمال وتمضى الى اكمة (تازى)

وتبقى الحدود (چرمن) الى تركيا وتقطع خط السكة الحديدى الذى فى الشمال الغربى من چرمن معقبة مجرى (چرمن دره) وتصعد الى اكمة (تازى) رقم ٦١٣ محاذية دائما النهر المذكور .

ثم ان نقطة وادى چرمن التى تقطع خط السكة الحديدية فى الشمال الغربى من (چرمن) واقعة على بعد خمسة كيلومترات عن مركز قرية چرمن و٣ كيلو مترات و ٣٠٠ متر عن المخرج الغربى من جسر مصطفى پاشا فتبقى الحدود ارفع نقطة من اكمة طازى فى الارض العثمانية وتمر من هذه النقطة على قريتى (يايلاجق) و (كوجك) الباقيتين فى الارض العثمانية موازية لخط تقسيم المياه الذى بين آردا ومريج ثم تمضى الحدود اعتباراً من (كوجك) برقم ٤٤٩ منحدرة الى رقم ٣٦٧ ومنه تتجه مستقيمة الى نهر آردا الممتد نحو الجنوب باستقامة تقريبا . ويمر هذا الخط المستقيم بغرب (بكتاشلى) الباقية فى التراب العثمانى على بعد كيلومتر واحد .

وبعدان يصل خط الحدود من رقم ٦٣٧ الى نهر آردا يحاذى يمين ساحلها مستقيما الى الشرق ويصل الى دكرمن التى بجنوب قرية چنغرلى على بعد كيلومتر واحد ومنه يعقب خط تقسيم المياه الذى فى شرق (غايد وخور دره) و (طايد

وخور) ويمر بشرق المحلين المذكورين على مسافة كيلو متر تاركا قريتي (دراييشته) و (دراشته) في بلغاريا ويمضي من شرق هذه القرية على مسافة كيلو متر تقريبا وينحدر الى وادي (آنه رن) في جنوب القرية المذكورة على مسافة كيلو متر ومنه يحاذي استقامة الجنوب الغربي ويسير على اقصر طريق الى منبع المياه الجارية بين قريتي (آيين آلان) و(قيلقلي كوبي) ويعقب هذا المنبع وينحدر الى وادي (قيزيل درهلي) ومنها تبقى (كوكجه بيكاري) في بلغاريا وتأخذ مجرى وادي (قيزيل درهلي) ومنه ايضا يسير معقبا مركد المياه المنفصلة نحو الجنوب باستقامة في النقطة الواقعة في جنوب (ماندريجه) على ٤ كيلو متر وشرق (صوغانلق بالا) على ٣ كيلو متر وينطلق الى منبع الماء وبعده ينحدر ماراً باقصر طريق الى منبع ماء (قياجق) و (ماندرا) ومنه يحاذي مركد ماء المحلين المذكورين الى ان يصل مرنج الواقع في غرب (ماندريجه) فتبقى قرية (قرانتو) التي في هذا القسم في ارض البلغار وترجع قرى (باش كليسا) و (اخيريان بيكار) و(ماندرا) للدولة العلية

ومن هذه النقطة تحاذي الحدود مركد مرنج جنوب النهر على بعد ٣ كيلومتر من قرية (قالديرقوز) الى ان تنفصل الى جهتين ومنها تعقب مركد الجانب الايمن المار بجوار (قره جك) الى ان تنتهي الى بحر الارخبيل وتبقى في هذا القسم منطقة (آق صو) وحوضا (كنه لي) وقازيقلي للدولة العلية وترجع (حوضا) (طوزله) و (درانا) الى البلغار .

المادة الثانية ــ تنسحب جنود الطرفين بعد عشرة ايام من توقيع المرخصين المذكورين لهذه المعاهدة ــ عن الاراضي المحتلة لها العائدة للطرف الثاني وتبادر بتسليمها الى مأموري الطرف الآخر اطبق الاصول والقواعد الجارية وذلك في ظرف خمسة عشر يوماً بعد المدة السابقة

ومن المقرر ايضا ترخيص كل من الحكومتين لجنودها في بحر ثلاثة اسابيع من تاريخ هذه المعاهدة

المادة الثالثة ـــ تعود المناسبات السياسية ومناقلات البريد والتلغراف والسكة الحديدية بين المتعاقدين بمجرد التوقيع على المعاهدة الحاضرة وتراعى الاتفاقية المتعلقة بالمفتين المشكلة للملحق رقم ٢ من هذه المعاهدة في جميع ممالك البلغار

تتبع

بنفسه فى كل مكان ليجعلهم يصنعون ما كان يجب عليهم ان يقوموا به من تلقاء انفسهم. واما الرديف فانهم يزحفون الى القتال كمن يمشون الى تنزه وتروض ويتأخر منهم كثيرون . ان تأثير الحالة العامة فى النفس سوء .

لا يوجد لدينا الى الآن خبر عن العدو . وانما نسمع من كل الجهات دوى المدافع متباطئاً ولكنها فتحت فجاءة نارا عنيفة على خطوط رماة العدو الرقيقة ويظهر ان مدفعيتنا عينوا الهدف تعيينا جيدا فاننا نرى مقذوفاتهم تنفجر على موقع البلغار .

توقف قتال المدافع فى الساعة ٣,٤٠ وقد ابدى الباشا تمام رباطة الجأش والطمأنينة وشجاعة كادت تتعدى كل حد . ليس من شان القائد العام ان يسدد خطى الالايات والتوابير ومع ذلك فانه لو لم يفعل لما وصلت الجنود الى المواقع اللائقة خمس جنود التوابير من النظاميين وخمساها من انفار القرعة والخمسان الباقيان من الرديف

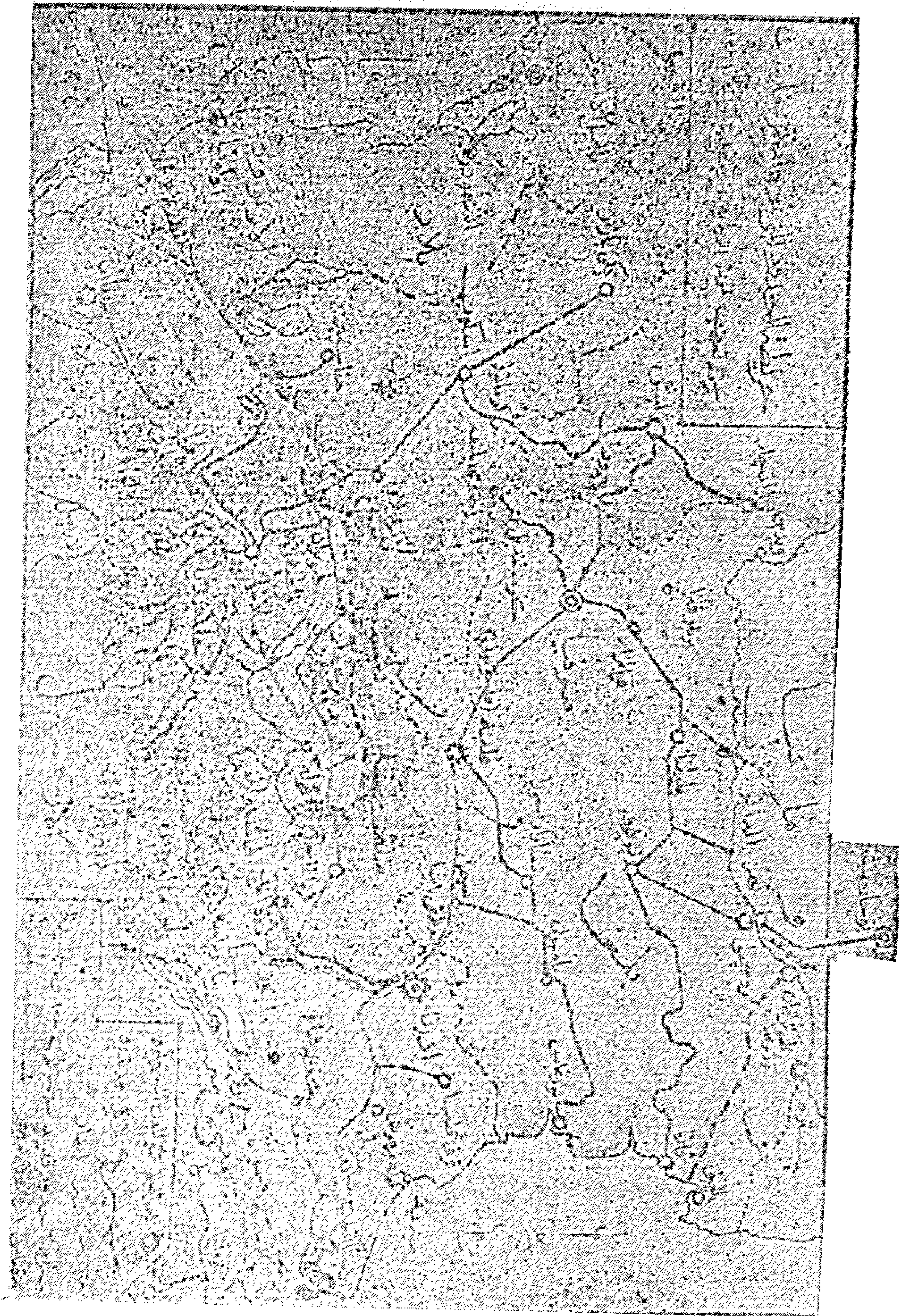
الساعة ١,٥٣ — سمعنا عن اليسار اطلاق بنادق وذلك من اشتباك الفرقة التاسعة وفرقة البرنس عزيز فى القتال مع العدو عن قرب

الساعة ٤,٠٨ — وصل الينا الاى من الفرسان وهو خيالة فرقتنا فصدر اليه الامر بان يشكل سلسلة مواصلة مع الفرقة السابعة واخرج القائد العام ثلاث سريات كشافة بقيادة ضباط . الاتصال بالفيلق الاول سيوطد حينئذ . ان منظر الفرسان لحسن وان الخيل ليظهر انها مهذبة تهذيبا جيدا

يبدو لنا ان مشاة العدو لا يريدون ان يدار حولهم فانهم يسعون ليندسوا بيننا وبين الفرقة السابعة ولكن هل هنالك قوة اخرى فى جهة الشمال ؟

صدر الامر الى الفرقة السابعة ان تقرب فى يوم ٢٣ من زميلتيها

اننا ننتظر ان يهاجم العدو ميمنتنا بشدة فى يوم ٢٤٠ ولذلك اصدر محمود مختار باشا فى الساعة ٥,٤٠ امره بالتقدم بحزم وقوة . وستقوى الفرقة السابعة بامداد يؤخذ من التاسعة . واننا لننوى الاستبشاق من ضبط موقع اليوم بقوة قليلة وجعل الباقى تحت تصرف القائد العام ولذلك بات الجنود فى مواضعهم واقام المركز العام فى كوخ حقير فى بترا حيث لم يجد ما يأكله الا بعض بيضات وقليلا من الخبز . وقد اصدر محمود باشا عند عودته التعليمات اللازمة لاستحضار عربات الذخائر والمؤن ولكن الارض موحلة لدرجة تمنع وصول هذه الاثقال. نمنا الى الساعة ٥



يوم الاربعاء ٢٣ اكتوبر — عاد المطر الي الانهمار في اثناء الليل ولم تاتنا الخيالة بخبر جديد ، فيحتمل ان يكون خط المراسلات متوقفا عن العمل . — وانما يظهر ان كل الفيالق التي اشتبكت في القتال مع العدو فازت عليه

استمرت مداولات اركان الحرب الى الساعة ٦ وفي الساعة ٧ بدأ القتال امامنا وبالقرب منا فركبنا في الساعة ٧،٣٠ وماتقدمنا ٦٠٠ مترا حتى راينا جماعات من الرديف يركضون نحونا وهم يصيحون ويصرخون

لزمتنا بعض دقائق لفهم الحالة ثم راينا الباشا يسل سيفه ويضرب في الرديف المحيطين به ضربا دراكا فصنعنا مثله واطلقنا غداراتنا على الفارين

وقد تمكنا بعد ان بقينا مدة نركض حول هذه الجماهير المختلط فيها الحابل بالنابل من اعادة تكوين بعض جماعات . فصارت البنادق تطلق من كل جهة وماذلك الا لأن الرديف الذين فقدوا صوابهم ، جعلوا يطلقون رصاصهم في الهواء على غير شئ واخذ الباشا يدور في كل الانحاء يصدر الاوامر ويدفع الجنود الى الامام . وانا لنجد خلف كل الصخور والاشجار جنودا من الرديف مختفين

هؤلاء الجنود تعساء الحظ الذين انهك المطر والبرد والجوع قواهم والذين البسوا لباسا لايقيهم غوائل الطقس واحذية لاتصلح لأن يحتذى بها والذين وضعوا تحت قيادة رؤساء لا كفاءة لهم ولم يوجد بينهم في كل تابور الا ٢٠٠ من الجنود القديمة — ان هؤلاء المساكين اسرفوا باطلاق نار مختلة النظام في تبذير ذخيرتهم في اويقات القتال الاولى . وبما ان الامداد بالذخائر والمؤن لم يحدث منذ الامس فقد اضطر الجنود الذين صاروا عزلا الى التقهقر وجروا في هزيمتهم القوى التي قابلوها في طريقهم

ولكن لم نخسر شيأ بعد فان العدو يظهر انه لم يعرف حالتنا ومدفعيته التي هي ايضا عطلت سيرها الامطار والاوحال لم تشتبك الى الآن في المحاربة . ان خطوط سيرنا مزدحمة مسدودة بالعربات المحطمة وبصناديق ذخائر مكتوب عليها اسم « كروب »

وفي الساعة ١٠ كانت حالة القتال متراوحة وقد دخلت المدفعية البلغارية في القتال

ان رؤساء قوانا لايعرفون مايجب عليهم ان يصنعوه ولا اين يجب ان يذهبوا والباشا يصنع بنفسه كل مايمكنه عمله الا انه لا يستطيع ان يكون في كل مكان ولا ان يحل

محل كل انسان . ان سؤ الحالة لظاهر ومن جهة اخرى لم يقدم العدو للقتال الاقوى قليله

حالة الفرقة السابعة عن يميننا حسنة فان قائدها حلمى بك جمع فى مساء الامس رجاله وهو يتقدم الآن بعزم وشدة

تغير مواضع المدافع يدل على خطورة الحالة

ان خسائرنا قليلة ومدفعيتنا تعمل برباطة جأش واتقان غير ان الذخائر بدأت تعوزنا فاقترحت ان يسخر لنقل الصناديق ـ الموجودة فى العربات المنغرسة فى الاوحال ـ الى خط القتال جنود من المقاتلين ولكن هذه الصناديق عندما كان يؤتى بها كان يتعذر فتحها وذلك لان الرطوبة نفخت اغطيتها فاشتد استمساكها بالمسامير

الرديف عادوا الى الانهزام وفى الساعة ١١ امر الباشا بنقل قسم من المدافع الى منحدر خلف يميننا . وقد جاء ذلك فى وقته فان القهقرى اشتدت وآلت الى اطلاق السيقان للريح . الا ان العدو لا يظهر ان يميل الى المجازفة بالتقدم وانى اظن انه ايضا ارسل نجدة الى ميسرته المشتبكة مع فرقتنا السابعة فى القتال فصارت بذلك القوة الموجودة اما منا قليلة

وان الحالة عن يميننا لحسنة لحسن الحظ .

من كل جهة نرى القرى ملتهبة وعلى طول المواجهة تدوى المدافع

ان منظر الجرحى المساكين الذين اجمدهم المطر والبرد لفظيع شنيع . لا يوجد اقل اثر للخدمة الصحية فى خط القتال بل لا يوجد ماء ليغسل الجرحى كلومهم

تمكنا من جعل الرديف يقفون لدى التحكيمات التى صنعت . وان العدو لمتراخ فى التعقب والتتبع

بترا اشتعلت نارا والطرق مزدحمة بالاثقال وذلك بالرغم من الامر الصادر القاضى بجعل الطرق من ابتداء الفجر خالية من العوائق . يظهر ان الامر لم يصل

الظهر — وصلت التوابير الثلاثة التى طلبها القائد العام من الفرقة السابعة وفى الساعة ٢ حللنا فى الموقع المستحكم ولم يتابع العدو تقدمه

فى الساعة ٢,٣٠ ظهر مشاة فجاءة فى شمال الموقع وهم ميسرة الفرقة السابعة وبذلك امكن لمدفعيتنا ان تضرب العدو ضربا جانبيا فردت العدو على اعقابه وفى الساعة ٣ وصل ضابط اركان حرب الفرقة السابعة واخبر بفوزها

و مما يسران يرى الانسان النظاميين يتقدمون بالرغم من نيران البلغار العنيفة وقد تبع المدفعيون المشاة مغيرين مواضعهم . وقصدنا نحن المدينة بعد ان اعطى الباشا كل التعليمات اللازمة للدفاع عن الموقع

بينما كان الباشا مشتغلا بارسال الاوامر بواسطة التلغراف عاد ضابط اركان حرب الفرقة السابعة واخبر بان الجنود تركت فى الساعة ٥ اما كنهما وان القهقرة عامة، وذلك مع أن البلغار لم يتقدموا . وان رعبا وفرارا طرأ بدون ان يعرف لهما سبب ولا أن يستطيع الضباط التغلب عليهما

دارت هذه المحادثة باللغة الالمانية لانه يخشى من وجود جواسيس للعدو بين عمال التلغراف

لم نستطع الوصول الى فهم كيفية ماحدث . ألم يضع القائد العام بنفسه القطع فى المواضع المناسبة لها ؟

إندفع الباشا الى الخارج وانطلق عدوا لا يتبعه الا بعض الجنود الخيالة نحو الطابية (البرج المستحكم) وبما ان الظلام حالك لم اتوصل الى الحصول على جوادى . وقد اخذت اركض انا والضباط الآخرون الى المركز العام فقابلت ياورا ثم عبد الرؤوف ثم عثرت على حصانى واخذنا ندور باحثين عن الباشا فى كل مكان ولكن بلا جدوى

كل الاماكن مزدحمة بالجنود والطرق والشوارع غاصة بالمدافع والعربات والسكان الذين هم نصارى يطلقون علينا من النوافذ نارا حامية — الهرج والاختلاط لا يمكن وصفهما

الساعة ٧ — عدنا الى الطابية فلم نجد فيها جنودا ثم ذهبنا الى المحطة حيث رأينا العساكر قد هاجموا القطارات واستولوا عليها والفينا هم يجبرون المستخدمين على تسييرها بالرغم من الاخطار التى قد تحدث . ولكننا لم نجد للقائد العام اثرا

الفيلق الثالث باسره وقسم من الفيلق الاول فى انهزام لم يستطع احد ان يعرف كيف حدث ولماذا حدث ونحن خمسة عشر فارسا لم نترك المدينة الا بعد ان غادرها الجنود كافة . ولكن الى اين نذهب ؟

استقر رأينا على ان ننطلق الى لوله بورغوس التى اتجهت نحوها المدافع واكثر الهاربين . ميازيب السماء تسكب علينا مطرا مدرارا وقد انهك التعب والجوع قوانا

وصلنا الى حسن بكلى سائرين فى الحقول والاراضى على موازاة الطريق والظلمة تجعلنا لانستطيع التقدم

وصلنا الى قواقلى فوجدنا طريق قرق كليسا الى بابا اسكى فاستتبعنا فيها السير ولكن على مهل

كل حوائج الفيلق وذخائره ومؤنته صارت فى حيز الضياع وان نظر الانسان لايقع الا على عجلات مغروسة فى الاوحال وعلى صناديق ذخائر ملقاة فى الطين .

انواع الاختلاط والاختلال والاختبال كاملة . وفى كل جهة فارون هاربون

الساعة ٧٫٣٠ صباحا وصلنا الى باباأسكى وماطول مثل هذه الليلة . لاخبر عن الباشا

تمكنت من وضع يدى على قاطرة وعربتين ستوصلنا مع خيلنا الى لوله بورغوس فى هذه الليلة وان الفضل فى حصولنا على هذه الغنيمة لعائد الى عناية المستخدمين الذين اريتهم كتاب توصية من المدير العام المسيو مولار

ارسلت ابحث عن ضباط اركان الحرب الذين ذهبوا بالخيل الى المدينة ولم يبق الارؤوف بك وانا . ونحن الاثنين لاخيل معنا ولاحوائج فماذا يكون مصير خيلنا ياترى ؟

لابد من ان نجد محمود باشا فانه يجب ان يجمع الجنود فى نقطة ما

هل يذكر التاريخ حالة مثل هذه ؟

هاهوجيش تبدد شذر مذر بلاقتال قام به ولاخسائر فادحة لحقته على ان قسما منه فازفوزا مبينا :

يقولون ان كثيرا من الجنود العثمانيين اغراهم السكان اليونانيون والبلغاريون ولكن هذا القول ليس الاخرافة . ان اسباب الفشل اعظم خطورة واهمية وانها ستعرف فيما بعد ولاشك

الساعة ٦ انتشر خبر انتصار الفيالق الاخرى كلها على العدو

وصل الى باباأسكى الا ن عثمان باشا قائد الفرقة الثالثة فجمعنا كل من قدرنا على جمعهم من الجنود لاحضارهم اليه . وقدقام ناظر المحطة بكل ماامكنه لتيسير راحتنا ولكن لايجد احد مايأكله فانه لايوجد فى باباأسكى قطعة من الخبز

ركبنا قاطرة يسوقها مهندس المانى فقال لنا ان المستخدمين لم يناموا قط منذ ايام . وسرنا على مهل لان القضبان مغمورة الى ان وصلنا الى الخط الرئيسى .

فى البوللى يجب الركوب فى قطـار آخر لايسافر الا بعد سـاعة وذلك لان لوله بورغاس مزدحمة بالقطارات وفى المحطة مناظر فظيعة بشعة . فان جميع السكان هجروا ديارهم وحملوا على عربات الثيران نسـاءهم واولادهم وأثمن شئ لديهم وهـاجروا متخـذين طريق الخط الحديدى اومتجهين قطـارات طويلة نحو تكفورطاغ (رودوستو)

القرى ملتهبة والاختبال والاختلاط مجزعان ولايرى الانسان الا اطفالا عرايا ونساء يركضن فى الاوحال حافيات الاقدام والضباط والجنود يفعلون فعل الوحوش فانهم يشهرون اسلحتهم ويطلبون مايشاءون وقد كنا مؤملين ان نتمكن من الاسترسال الى النوم فى مقصورة القطار ولكننا اضطررنا الى اشهار السلاح دفاعا عن مكاننا من سطو الجنود عليه . وانهم ليركبون على سطح العربات ايضا

بلغاريان قبض عليهما بتهمة التجسس فاعدما حالا . وقد حاول ثالثهما الفرار فاطلق عليه الرصاص وقتل ايضا

لايفكر الناس الا فى الهرب والنجاة ــ تحرك القطار فى الساعة ١ تقريبا

يوم الجمعة ٢٥ اكتوبر ـــ يخبرون بوقوع حوادث فى الطرق الحديدية . وقد بلغ تعب المستخدمين اقصى حده و تراكمت عليهم الاشغال حتى صاروا لايعرفون مايصنعون

كانت الساعة ٤ عندما وصلنا الى لوله بورغاز ولكن محمود مختار باشا غير موجود فيها ايضا ــ قيل لنا ان المركز العام يجب ان يكون فى چورلى اوفى مكان آخر أبعد منها نحو الغرب الا ان الطريق خرجت عنها عربتان فصرنا بذلك لانستطيع الذهاب الى تلك الجهة

انى الآن مع ناظر المحطة الذى اعرفه وبفضل كتاب التوصية ايضا حصلت على قاطرة توصلنا الى مكان الحادث على بعد ٥ كيلومترات من چورلى

قمنا فى الساعة ٧،٣٠ ـــ خروج العربات عن القضبان نتج عن دوس القاطرة لثلاثين خروفا من قطيع اعترض القطار. الجنود يتنازعون قطع اللحم الباقى فى الدواليب (العجلات). وقد خرجت القاطرتان عن الخط وتحطمت العربات وهو ماسيجعل استخدام الطريق معطلا يومين .

مصطفى ناطق باشا جريح ولكنه ذاهب للحاق بفرقته

نزلنا لنذهب مشيا على الاقدام الى محطة سيدلر فاضطررنا الى اجتياز القنطرة

التي وقع عليها الحادث مارين بين دماء الخراف المدوسة وامعائها وانه لمنظر شنيع. ولا يمكن متابعة السير الى ابعد من ذلك فسالت بواسطة التليفون من چورلى عما اذا كان محمود باشا هنالك فاجيبت سلبا وانما قيل لى انه فى لوله بورغاس فركبنا عجلة تجرها الثيران وعدنا ادراجنا. ثم قابلنا نور الدين بك ولورا نجل الصدر سابقا ورئيس الاعيان حالا فاخبرنى ان محمود باشا غير موجود فى لوله بورغاس فعولنا على الرجوع الى چورلى. اعطانى هذا البيك حصانا منهك القوى وهو كل ما بقى لديه فذهبت الى المحطة وجملتهم يعدون قاطرة للسفر فاعطى نور الدين الحصان حينئذ لمصطفى باشا ليتمكن به من الذهاب الى فرقته وبقينا نحن الاثنين سوية. مجيء الفارين مستمر وقد غادر عمال الطرق الحديدية المحطات الكائنة فى جهة الغرب فنشأ عن ذلك ان قطع عن الجنود طريق الاستانة وان القطارات انحصرت على خط منفرد. وان الطقس لاحسن نوعاما ولكن الرطوبة افسدت احذيتى. الجوع والبؤس سابغان وقد هددنا جنود يطلبون ما يأكلون ولكننا لا نستطيع ان نصنع لهم شيئاً وقد سرق معمر (شارجور) غدارة رؤوف بك

اوقف الفارون فى چورلى ولكن منهم من عادوا على أعقابهم. لا يعرف احد شيئاً حقيقيا عن الحالة وما اسوأها؟ فقد استنتجت مما سمعت ان هذا الرزء الفادح الجلل عم جميع الارجاء

انهزمت امس فرقة البرنس عزيز وهى من فرق الفيلق الاول وموجودة على يمين الجيش وكان فرار جنودها مما ساعد على محوقوة الفيلق الثالث المعنوية. وقد اضاعت هذه الهزيمة العامة اهمية الانتصارات التى فازت بها الفيالق الاخرى فى يوم ٢٣ فان هذه الفيالق اضطرت الى رجوع القهقرى الى لوله بورغاز وباباالسكى خوفا من انعزالها

ان منظر الجرحى لمما يشق المرائر فانهم اجبروا على المشى على اقدامهم من قرق كليسا الى چورلى عن طريق باباالسكى قبل ان يجدوا وسيلة لترحيلهم

مقرر ان النتيجة يوم ٢٤ كانت غير مستقرة لدى احد الطرفين ولكنها اذا لم تكن ماحقة للاتراك فما ذلك الا لان البلغار كانوا يجهلون مدى فوزهم ولانهم لم يعرفوا كيف يستفيدون منه بل انهم — وذلك اعجب واغرب — لم يفكروا فى ان يحتلوا المواقع المتروكة

الساعة ٢،٣٠ استلزم وصولنا الى چورلى ثمانى ساعات فقد بلغناها فى

الساعة ١١،٣٠ مساء اذوجدنا فى المحطة هيئة اركان حرب المركز العام الكبير فقصصنا عليهم رحلتنا ووجدت خادم محمود مختار باشا لايزال محتفظا بآلتى الفتوغرافية ولكن بقية حوائجنا فقدت وقد حكى لى ان الجنود حلوا الخيل من العربات واستعانوا بها على الفرار . الجيش كله فى انهزام

سيذهب جواد بك الى وزير الحربية فى چركس كوبى

يظن ان محمود مختار باشا فى ويزه حيث جمع جنودا على طريق قرق كليسا الى الاستانه. وأعدم اليوم عشرة رجال رميا بالرصاص. قداعلنت هنا حالة الحصار وأشهرت الاحكام العرفية . وذهبت الى التكنة حيث لوسوف مريض ، لأراه

لايوجد فى المركز العام مايؤكل وقد نهب الجنود مستودعات المؤن الموضوعة على طول الخط فصارت لاتوجد فى هذه الارجاء قطعة خبز. وقدخفتت اصوات القوم حتى صار كلامهم تهامسا . الايمكننا فى هذه الليلة ان نأكل او ننام ؟ قدانحطت قواى

استقر رأينـا انا ونور الدين على ان نركب اول قطار يمر بنـا للذهاب الى چركس كوبى فانه يقال انه لايزال هناك مايؤكل. يجب على كل حال ان آكل والافانى امرض

سيذهب المركز العام غداً الى چركس كوبى وانى بعد ذلك اقوم الى ويزة فى عربة . ان هذه الحال لايمكن دوامها على هذا المنوال. اختفى عبدالرؤوف ايضا. ركبنا مع جواد بك قاطرة ستوصلنا الى چركس كوبى . ولكن فى هذا البلد ايضا لايوجد مايؤكل . نمت على كرسى ثلاث ساعات

*
* *

يوم السبت ٢٦ اكتوبر — واخيرا قابلت الساعة ٦ صباحا توفيق بك ضابط اوامر ناظر الحربية وضباط اركان الحرب

قابلت وزير الحرب فاوجب على ان اذكر بالتفصيل كل ماعرفه — اشتددت فى تأكيد ضرورة اعطاء المؤن والذخائر للعساكر وجوابا على السؤال الموجه الىّ قلت انه لايمكن وضع الثقة فى انفـار الرديف وذلك بالرغم من انهم حيوا الوزير عندما استعرضهم بتهليلهم وتكبيرهم وبالرغم من انفاذ حكم الاعدام فى بعضهم فى هذه الايام الاخيرة لجعلهم عبرة للآخرين

لم استطع ايفاء محمود مختار باشا حقه من الاطراء ولوانى يسرنى ان امدحه أعطيت رغيفا كبيرا من مؤن القطار الخاص بالوزير وقليلا من القهوة . ظهرت

خيالة فرقتنا وسأعطى جوادا من خيلها لاتمكن من الذهاب الى ويزة . وقد امكننى وذلك للمرة الاولى منذ خمسة ايام ، ان انظف جسمى فى مغسل العربة الخاصة تنظيفا عاما . الاتساخ سوّد ملابسى

قيل لى ان العدو لم يتتبع وانه لم يحتل قرق كليسا الى اليوم . الا أن هذا لعجيب غريب ! فهل يقال بعد ذلك اننا استعجلنا فى تركها الى درجة جعلتنا نترك العدد الكبير من المدافع ؟

انلى على الاقل تعويضا عما لقيته من البؤس والعناء وهو اننى تمكنت من ان اقول لاصحاب الحل والعقد كل ما كان يملأ قلبى وفكرى . ولكن اى فائدة ستعود علينا من ذلك ؟

الساعة ٩ وجدت كأسا من الكنياك فشربته

الساعة ١٠ دعيت الى قطار الوزير الخاص لاشرح حوادث يترا وقرق كليسا . الا ان الحالة خير مما اظن والبلغار يظهر انهم انهكت قواهم فانهم لم يستتبعوا خطتهم التعرضية فى جهة ما وان جركس كويى ميدان لاعمال كثيرة يشتغل فيها بهمة عظيمة ونشاط هائل وان النجدات بالجنود الجديدة والامدادات بالمؤن والذخائر التى يتوالى ارسالها من الاستانة يبعث بها الى جركس كويى بطريقة مستمرة والضباط يحرقون الأرم اشتياقا الى اخذ الثار ورفع العار . ودعيت الى الغذاء فى عربة الاكل الخاصة بالوزير . كل ماسمعت يجعلنى ينطبع فى خاطرى مايلى :

طرأ على العمليات تعطيل ناتج عن فرار فرقة البرنس عزيز وهى من الفيلق الاول ومن هرب الفيلق الثالث كله وهو مااضطر قوى الجيش الاخرى الى التقهقر . قوة الجيش الادبية محيت فانه لايعطى له مايأكله والقرى المحترقة لم تعد تؤويه من غائلة البرد ، ولاحطب يستدفئ به . الا ان العدو لحسن الحظ لم يعرف كيف يستفيد من الحالة ولم يتبع . وان العمليات الواقعة الآن لااهمية لها وان الفلاحين من العنصرين اليونانى والبلغارى الذين يقطنون القرى الكائنة فى غرب ويزه وشمالها مسلحون ومؤلفون عصابات لمساعدة العدو . وانما يظهر ان العثمانيين كانوا احسن حظا فى حوالى ادرنة فان من الخبر التلغرافى الوارد امس الى وزير الحرب يعلم ان ١٢٠٠٠ بلغارى لقوا حتفهم امام تحكيمات المدينة .ولكن هذا العدد يبدو لى انه مبالغ فيه . النجدات والامدادات مستمر

ارسالها من الاستانة الى الجيش العامل وذلك مما يجعل الوزير وبطانته يصرحون برضاهم وامتنانهم

يلخص القائد العام مقاصده هكذا :

الفيلق الثالث يعاد تشكيله في غرب ويزه

« الاول « « في قواق دره في شرق قره على

« الثاني « « والرابع في باباسكي، محمود باشا خاصكوى

وبهذه الكيفية يثنى الجناحان على ويزه وباباسكى

والفيلق السادس عشر موجود في ادرنة التي لم تتم احاطة العدو بها

« الثامن عشر يحتشد في قره تپه على بعد ١٤ كيلومترا من سراى ليشكل فيها موقعا دفاعيا

واني لاظن ان هذا الموقع اختير لانه يحكم على الطريق الوحيدة التي يمكن قوى العدو الكبيرة ومدافعه انتهاجها اذا ارادت ان تدور حول ميمنة العثمانيين

المركز العام موجود في چورلى وبما انه لايثق بالرديف المحيطين به فقد جعل انفار مدرسة الرمي يحرسونه وكان احضرهم لهذا الغرض وبقي وزير الحرب في چركس كويي حيث توجد أهم مؤن الجيش ومنه ترسل امدادات للمأكولات

الطقس شديد البرودة وقد هبط الترمومتر في الايام الاخيرة في ارجاء ويزه الى ماتحت الصفر وانهم ليستعدون لمحاربة شتوية

ينوى القائد العام ان يجعل زحف قواه من مواجهة ويزه ــ لوله بورغاز على الترتيب الآتي : الفليق الثالث فالاول فالثاني فالرابع وهو ترتيبها الحالى بطريقة تسمح بامالة المواجهة الى الغرب قليلا ثم الزحف نحو الشمال على قرق كليسا ثم طرد العدو الى ماوراء حدوده

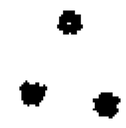
ويريد ايضا اعادة تشكيل المشاة بجعل الالايات مركبة من ثلاثة توابير احدها وهو احتياطيها يكون من جنود الرديف .

والقائد العام يؤمل ان يمنع بذلك حدوث هزائم مثل التي وقعت في پترا واسكي بولوز . ولكني اخشى كثيرا من ان فقدان القوة المعنوية الحالي الذي نشأ عن قلة الامدادات بالمؤن والحالة المادية الوخيمة والافتقار الى الذخائر ، وذلك نتيجة حالة الطرق السيئة ، ــ لايسمح بالانتقال الى خطة المهاجمة

وانه لميكن فرض ان البلغار ليسوا باحسن حالة من الاتراك فاذا تمكن هؤلاء الاخيرون من استدراك ماذكرته فلا يكون حينئذ مستحيلا ان يستطيعوا اخيرا احراز انتصار على اعلامهم

وجدت عجلة صغيرة محملة با كياس دقيق فركبناها انا و نورالدين بك وسرنا عندالساعة ٣,٣٠ مخترقين حقولا جميلة وكثيرا من مزارع الطباق (الدخان) ممتدة الى سراى . وفى دار شرطة (جاندرمة) سراى رايت رفاقا عديدين فتبادلنا التحيات والمصافحات والمعانقات ثم كنياكا وحماسة حربية ثم حساء بدجاج ثم نوما ــ لانه لايمكن التعلل باستطاعة مداومة السير مع هذا الظلام الحالك فى بلاد كل فلاحيها مسلحون

وقدقضيناالليلة فى سرور وجذل بالرغم من كل ماعانيناه وكابدناه . وان العواطف لتتغير بسرعة فى اثناء الحرب . وقدرسم كثير من الصور المضحكة . المطر شديد الانسكاب



يوم الاحد ٢٧ اكتوبر — اخذنا الطريق فى الساعة ٨ وقد استمر المطر طول الليل واحترق نصف القريه عندالصباح . الطريق موحلة لدرجة تقف العجلات عن السير . وقابلنا جرحى يقرب عددهم من ١٥٠ ممزقى الاثواب وقداجبروا على السير على اقدامهم سيرا طويلا الى ان وصلوا الى المحطة . وهم يقولون انه حدثت وقائع حامية بين قوى صغيرة . وصلنا الى ويزا فى الساعة ١,٣٠ . وجدت محمود باشا فى القصر العتيق وهو مقر الحكومة فاستقبلنى استقبالا جميلا وسمح لى ان اخبره بكل ماعلم . ان ويزا ملأى بالجنود ولكنها فى بادئ الامر لم يكن فيها ولا فى ضواحيها الا ٨٠٠٠ رجل . وصل فى المساء رؤوف وغيره من الضباط الكبار

جميع العساكر والضباط الذين انزلوا فى مساكن الاهالى فى احدى القرى قتلهم سكانها وهم من اليونان والبلغار غيلة وغدرا . ولم يعثر من هؤلاء الجنود الاعلى اعضاء مقطعة واجساد ممثل بها اقبح تمثيل و بعض قطع من الملابس والاسلحة . فاصدر الباشا امره باعدام كل رجال تلك القرية واحراقها بعدابعاد النساء والاطفال منها

البرد شديد هنا . وكل ماسمعه يجعلنى استخلص انهذه الحرب ستكون

حربا شتوية. واننا ليلزمنا ملابس اخرى — نويت الذهاب غدا الى المحطة مصحوبا بخيالة لاسافر الى الاستانة فاشترى مايحتاج اليه اركان الحرب وانى ليمكننى ذلك لاسيما انى مستمدوانه لاينتظر حدوث وقائع كبيرة قبل ان يتم احتشاد الجنود فان محمود مختار باشا يريد اولا ان يستجمع الجند لتكون فى قبضته جيدا

* * *

يوم الاثنين ٢٨ اكتوبر — كنت اريد ان اقوم فى الساعة ٦ صباحا مع قافلة جرحى ولكنها لاتزال هنا فى الساعة ١٠ فاخذت حينئذ الطريق ممتطيا جوادا ومصحوبا بسائق عربة رؤوف بك وذلك بالرغم من انهم حاولوا صرف نيتى عن ذلك ووصلنا بدون ان نجد عائقا يذكر الى سراى حيث وجدت معارف لى

قابلت فى الطريق جنودا كثيرين وقوافل ذاهبين الى ويزه ورايت ايضا قوة من الفيلق الثامن عشر قاصدة قرمتيه

استتبعت سيرى فى الساعة ١,٣٠ وقد اطلق الرصاص علينا ثلاث مرات ونحن سائرون غير ان كثافة غصون اشجار البلوط الخضراء منعتنى عن معرفة الجهة التى اطلقت منها علينا العيارات النارية . وفقد حصانى مسمارا من نعله فاستلزم اصلاح هذا الحادث ساعتين .

جركس كوى طافحة بالقطارات والعجلات المحملة . وسيقوم قطار منها الى الاستانة فى الساعة ٩ ولكنه سيقطع المسافة فى ٢٠ ساعة . اخبرنا بوصول قطار جرحى آت من جورلى. ويرجح لدى انهم جرحى الوقائع التى حدثت فى الصباح وسمعت فى اثناء سيرى دوى مدافعها . البرد شديد جدا وقد تجلدت الارض اذ تساقط الثلج فى اثناء الليل . واخيرا امكننى السفر فى الساعة ٩ فاختليت فى مقصورة من مقاصير القطار ونمت نوما جيدا

* * *

يوم الثلاثاء ٢٩ اكتوبر — افقت فى الساعة ٧,٣٠ وقد وصلنا الى سان استفانو (أيا استفانوس) ثم رايت بعد ذلك منائر الاستانة ومآذنها لامعة بالشمس المشرقة . واخذت اتمتع بمرآى منظر البحر المتألق البهج . والآن وقد صرت بعيدا عن كل مشاهد الويل والثبور التى تألمت من مرآها فى الايام الماضيه جعلت اقدر قيمة هذا المنظر الفتان باكثر مما كنت اقدرها به من قبل ، واتلذذ بالحياة

وافكر فى ذوى قرباى واقول فى نفسى انه لحسن على كل حال ان يكون الانسان انسانا

واذ دخلت بيرابالاس أوتيل خلعت ملابس رجل الحرب. ومع انى كنت آسفاً على قصر الوقت الذى استطيع قضاءه هنا فقد سررت برعاية الاحباء وعنايتهم وحفاوة المعارف واكرامهم

المندوبون العسكريون ومراسلو الصحف لم يسافروا الى الآن ولكن ذلك لم يمنع هؤلاء الاخيرين من ان يرسلوا المقالات الى جرائدهم

اوصلنى زورق بخارى للمسيو كونتر الى مودة حيث قابلت حرم محمود مختار باشا وهى اميرة مصرية وقد استقبلتنى احسن استقبال فى قصرها المرمرى الجميل . وسرها ما ذكرت لها من شجاعة زوجها الهمام المقدام وقد وعدتنى ان تكون ملابس هذا القائد الكبير معدة فى الغد لان ترسل اليه

*
* *

يوم الاربعاء ٣٠ اكتوبر — امضيت صبيحة اليوم فى شراء الحوائج . والآن وقد قضيت ما اتيت لاجله ، يسرنى ان اسافر فقد حدثت وقائع جديدة واريد ان لا يفوتنى شيء

ما ابعد الجرائد عن معرفة حقيقة الحالة ولكن من المعلوم ان للحكومة مصلحة فى اخفاء الحقيقة

ان كان حقا انتصار محمود مختار باشا فى ويزه فان ورود هذا الخبر يسر الراى العام كثيرا . ولكن كيف يكون مثل هذا الانتصار ممكنا اذا كان محمود باشا يريد قبل كل شيء ان يتجنب القتال

الكونت بليسن يريد ان يسافر معى وقد اعد كل اللوازم الا انه لما آن وقت الرحيل غير رأيه ولكنه رافقنى الى المحطة . تحرك القطار فى الساعة ٥،٤٠ مساء

سرنا على سرعة اكبر من سرعة الايام الماضية وذلك لانهم لم يرسلوا اليوم قطارات على خط ادرنة تسهيلا لتصريف القطارات المخزونة على طول الطريق وقد قيل لى انهم يرسلون كل يوم جنودا الى خط الحرب

يوجد فى قطارنا بطاريات كانوا قد اضطروا الى ابقائها فى الاستانة لقلة الخيل . وتوجد فيه ايضا بطارية من مدافع المهاريس « الهوانات »

اخذت احسب مالنا وماعلينا فى هذه الحالة رغبة فى معرفة مابقى لدى الاتراك من اسباب النجاح :

ان الخط الكائن عليه جيش الشرق لقوى طبيعيا وميمنة هذا الجحفل موضوعة على متن السهل العالى الذى تسيل عنه نهيرات نهر اركنه . ومدينة ويزه موجودة تحت جبل استراتجه طاغ على ارتفاع ٨٠٠ متر عن ظهر البحر وهى مركز مهم لعدة أطرق ذات شأن ويحتمل ان يكون اركان حرب الفيلق الثالث قد بقوا فيها .

اما الارض المجاورة لساحل البحر فانها كثيرة الجبال والحزون وممتلئة بالعصابات المسلحة المعاونة للعدو

وتجه جبهة الجيش العثمانى من ويزه الى لوله بورغاز فى الجنوب الغربى على طول ٧٠ كيلو مترا تقريبا والجانب الايسر لهذا الجيش يحول عنه نهرا ماريتزة واركنة وبذلك تكون عمليات الاحاطة التى يقوم بها العدو مما يشك فى نتيجتها . وان البلغار مع ذلك لاقل عددا من ان يستطيعوا ان يقوموا فى آن واحد بمحاربة مواجهة ، واحاطة بادرنة، ومهاجمة لأجناب الجيش العثمانى . وانه ليوجد وراء ميمنتنا فى قرة تبه فيلق مشكل حديثا ومعد لاتقاء احاطة العدو بالجحفل الشرقى الذى يجب عليه ان يمنعها اذا شاء ان يحفظ خط رجعته

الساعه ٦,٣٠ تجاوزنا الى الآن ثلاث محطات وقد راينا تلامذة المدارس واعيان المدن على الارصفة يحيون الجند المار بهم ذاهبا الى ميادين القتال

*
* *

يوم الجمعة اول نوفمبر — تاتى الرياح بما لم يكن منتظرا . فان الآن الساعة ٨ ولا نزال فى سينكاى ويلزمنا فوق ذلك اربع ساعات لنصل الى جركس كوى . قابلنا قطارا يحمل ١٠٠٠ جريح اتوا من ارجاء مرعش حيث قاتلوا فى يوم الثلاثاء وهم من جنود الفيلق الثانى

ويقول هؤلاء الجرحى ان الاتراك لم يخسروا من القتلى الا قليلا ولكن جرحاهم كثيرون . وانهم جاءوا من مرعش الى چورلى مشيا على اقدامهم . وان الفوز فى هذه الموقعة كان للعثمانيين

مرعش موجودة بالقرب من اسكودار فى غرب ادرنة وعلى ذلك تكون قد حدثت موقعة بين الحامية وبين العدو فى يوم الثلاثاء . وان مجئ الجرحى مشيا على الاقدام

الى چورلى يثبت ان العدو استولى على الطريق الحديدية ولكن لم يحكم حلقة الاحاطة بادرنة والالما امكن الجنود اجتيازها الى چورلى

الساعة ٨,٣٠ — لانزال واقفين . وانه ليمر الآن قطار ثان للجرحى لانهاية له

قمنا فى الساعة ٨,٤٥ — الجرحى الآخرون آتون من ويزه ويقال ان البلغار فقدوا جندا كثيرا، اكثرهم قتلى، انهذا الانتظار ليتعبنى جدا . خاطبت بواسطة التليفون من فى چركس كويى . حصلت على اذن بركوب قاطرة ولكن اتى قطار بضاعة فركبته . وصلنا اخيرا فى الساعه ١,٣٠

علمت ان موت (فيت) لاشئ يؤكده بل بعكس ذلك يقال انه فى صحة جيدة . وقد وجد الميرالاى فيت فرقة الخيالة وبقى فى اركان حرب صالح باشا قائدها

حقيقة ان محمود مختار باشا انتصر ووصل الى بونار حصار ولكن فى مقابل ذلك تقهقر الاتراك امام لوله بورغاز

مركز عبدالله العام لايزال فى چورلى التى وصل اليها المندوبون العسكريون . اخبرت انه شكل هنا فى چركس كويى فيلق جديد سيرسل الى خط القتال

اما كان خيرالهم وابقى ان ينتظروا الى ان تم الاستعداد قبل ان يلقوا بانفسهم الى الامام ؟

يوجدهنا جرحى كثيرون والمحطة مزدحمة بالقطارات ساقوم بعد ساعة الى ويزة مؤملا ان يكون محمود مختار باشا باقيا فيها وقد وصل منه خطاب تلغرافى يخبر بان وقائع جديدة ناشبة وان سير القتال الآن حسن. تكلمت مع برتو باشا الذى سيقوم الى ويزة فى سيارة . وقد اعطى وزير الحرب بنفسه الاوامر ليكون مايلزم من العربات والحيوانات حاضرة حالا وانى لذلك اظن ان الامر سيسير وفق ماامليه وانى لاتقد رغبة فى الوصول الى خط القتال .

انضم الى يوزباشى سيلحق باركان حرب مختار باشا وهو يحسن التكلم باللغة الافرنسية.ووضع تحت تصرفنا ثلاث عجلات تجرها الثيران مع اربعة جنود وثلاثة سائقين . وقد وجدت حصانا ايضا . ولكن كل ذلك يقضى ببطء

لقينا كثيرا من الجرحى فى اول قرية رايناها على طريقنا ولقينا موتى ايضا متروكين على الطريق لايلتفت احد اليهم

وقد كانت الساعة التاسعة عندما وصلنا الى دار شرطة سراى التى عرفناها

عبدالحميد بن صالح البرجمى

الكوفى المقرى ابوصالح قرأعلى ابى بكر بن عياش ثم على ابن يوسف الاعشى قرأ عليه جعفر بن عنبسة واسماعيل بن على الخياط وغير واحد وقد روى عن زهير ابن معاويه وابى بكر النهشلى وعاصم بن محمد العمرى وقيس بن الربيع وجماعة حدث عنه عباس الدورى ومطين ومحمد بن عثمان بن ابى شيبه والحسين بن اسحاق التسترى وموسى بن اسحاق الانصارى واخرون وقال ابو حاتم صدوق قال مطين مات سنة ثلاثين ومائتين

يحي العليمى

هو يحي بن محمد بن قيس الانصارى الكوفى مقرى الكوفة فى وقته قرأ القرآن على ابى بكر بن عياش وحماد بن شعيب صاحبى عاصم قرأ عليه يوسف بن يعقوب الواسطى وغيره توفى سنة ثلاث واربعين ومائتين وله ثلاث وتسعون سنه وكانت قراءته على ابى بكر بن عياش فى سنة سبعين ومايه وقد وقعت لنا هذه الطريقة عالية من كتاب المبهج وغيره والله اعلم

عمر بن الصباح

ابو حفص الكوفى المقرئ الضرير قرأ على حفص وكان احذق من قرأ عليه وابصرهم بحرفه وروى الحروف عن ابى يوسف الاعشى عن ابى بكر قرأ عليه على بن سعيد البزار والحسن بن المبارك وعلى بن محصن ومحمد بن عبدالرحمن الخياط وابو جعفر احمد بن محمد بن حميد الملقب بالفيل وبعضهم يقول لم يقرأ على حفص بل اخذ القراءة عنه سماعا وقد صرح الفيل وغيره بانه قرأ على حفص توفى سنة احدى وعشرين ومائتين واما محمد بن عبدالرحمن الخياط فروى عنه ابن شنبوذ ومحمد بن ابى امية انه قال عمر وقرأت على حفص الى التوبة وعرضت عليه باقى الحروف

عبيد بن الصباح

بن صبيح ابو محمد الكوفى اخو عمر بن الصباح قال ابو عمرو الدانى اخذ القراءة عرضا

عن حفص وهو من اجل اصحابه واضبطهم روى عنه القراءة عرضا احمد بن سهل الاشناني وقال على بن محمد الهاشمي شيخ ابن غلبون بن الاشناني قال قرأت على عبيد وكان على ماعلمت من الورعين المتقين

ابو شعيب القواس

صالح بن محمد الكوفي وقيل البغدادي المقرئ قرأ على حفص بن سليمان قرأ عليه احمد بن يزيد الحلواني واحمد بن الحسين المالحاني واحمد بن موسى الصفار وعبد الله بن الهذيل قال غلام الهراس قرأت على أبي العباس بن نفيس قال قرأت على عبد الله بن الحسين قال قرأت على ابي العباس حسين المالحاني قال قرات على أبي شعيب قال قرأت على حفص

هبيرة بن محمد التمار

أبو عمر الأبرش بن بغدادي مشهور بالاقراء والمعرفة قرأ على حفص وروى عن هشيم والكسائي اخذ عنه احمد بن على الخزاز وحسنون بن الهيثم الدويرى تلاوة

أبو جعفر الشموني

المقرى محمد بن حبيب الكوفي قرأ على ابي يوسف الأعشى وكان اقرا اصحاب الاعشى قرأ عليه القاسم بن محمد الخياط وادريس بن عبد الكريم الحداد ومحمد بن عبد الله الحربي وكان يلقن القرآن بالكوفة

شعيب بن ايوب بن الأزرق

ابو بكر الصريفيني صرفين واسط لا صرفين بغداد اخذ القراءة عن يحيي بن آدم عرضا ومنهم من يقول سماعا فقط قرأ عليه ابو يوسف يعقوب القاضي وابو بكر احمد بن يوسف القافلاني واحمد بن سعيد الضرير وكان رأسا في قراءة عاصم وثقه الدار قطني وغيره وتوقف فيه ابوداود روى الحديث عن يحيي القطان وحسين بن على الجعفي روى عنه ابوداود حديثا واحدا في سننه وعبد الله الاهوازي وابو بكر

ابن ابی داود ومحمد بن مخلد وعبدالله بن عمر بن شوذب الواسطی وآخرون. توفی بواسط سنة احدی وستین ومائتین وكان فقيها محدثا مقرئاً قاضيا ماضيا

احمد بن جبير بن محمد

ابن جبير ابو جعفر الكوفى نزيل انطاكيه كان من كبار القراء وحذاقهم ومعمريهم عنى بلقى القراء من الصغر بافادة والده فقرأ على والده قال ابو عمرو والدانى اخذ القراءة عرضا وسماعا عن الكسائى وعن سليم وعبيدالله بن موسى واليزيدى واسحاق المسيبى وابى يوسف الاعشى وكردم المزنى وغير هؤلاء وسمع بعض قراءة عاصم من ابى بكر بن عياش ثم قال الدانى امام جليل ثقة ضابط اقرأ الناس بانطاكيه الى ان مات روى القراءة عنه عرضا خلق كثير ومنهم عبدالله بن صدقه ومحمد بن العباس بن شعبه امام انطاكيه ومحمد بن علان وشهاب بن طالب والفضل بن زكريا الجرجرائى والحسين بن ابراهيم بن ابى عجرم وحمدان المغربل وموسى بن جمهور واحمد بن محمد بن صدقه وعبدالرزاق بن الحسن قال احمد بن يعقوب النائب ادركته وانا ابن عشرين سنة اودونها وكان فصيحا عالما وكان اذا قرأ تخاله لفخامة صوته وجهوريته بدويا روى عبدالباقى بن فارس عن عبيدالله بن على بن الحسين بن ابراهيم قال قرأت على احمد بن جبير الكوفى المعروف بالانطاكى اطول مقامه بها واخبرنى انه قرأ على الكسائى بالحروف التى عرضها على ابى بكر بن عياش وقال ابو طاهر بن ابى هاشم بن محمد بن يونس بن احمد بن صدقة بن احمد بن جبير بانطاكيه قال سمعت ابابكر بن عياش وكنت اقول له فلان يقرأ عندنا كذا وكذا فيقول كذب كان عاصم يقرأ كذا وكذا توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين قاله الهذلى

خلف بن هشام

بن ثعلب وقيل ابن طالب بن غراب ابو محمد البغدادى المقرى البزار احد الاعلام وله اختيار اقرأ به وخالف فيه حمزة قرأ على سليم عن حمزة وسمع مالكا واباعوانه وحماد بن زيد وابا شهاب عبدربه الخياط وابا الاحوص وشريكا وحماد بن يحيى الابح وطائفة قرأ ايضا على ابى يوسف الاعشى لعاصم واخذ حروف نافع عن اسحاق المسيبى وقراءة ابى بكر عن يحيى بن ادم. قرأ عليه

احمد بن يزيد الحلوانى واحمد بن ابراهيم وراقه ومحمد بن يحيي الكسائى الصغير وادريس بن عبدالكريم الحداد ومحمد بن الجهم ومسلمة بن عاصم وخلق سواهم وحدث عنه مسلم فى صحيحه وابوداود فى سننه واحمد بن حنبل وابو زرعة الرازى واحمد بن ابى خيثمه و محمد بن ابراهيم بن ابان البراج وابو يعلى الموصلى وابو القاسم البغوى وعدد كثير وثقه ابن معين والنسائى وقال الدار قطنى كان عابدا فاضلا وقال حمدان بن هانى المقرى سمعت خلف بن هشام يقول اشكل على باب من النحو فانفقت ثمانين الف درهم حتى حذقته وعن خلف قال اعدت الصلاة اربعين سنة كنت اتناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين وقال الحسن بن فهم مارأيت انبل من خلف بن هشام كان يبدأ باهل القرأن ثم ياذن للمحدثين وكان يقرأ علينا من حديث ابى عوانه خمسين حديثا وورد ان خلفا كان يصوم الدهر وقال احمد بن ابراهيم وراق خلف سمعته يقول قدمت الكوفة فصرت الى سليم فقال ما اقدمك قلت اقرأ على ابى بكر بن عياش فقال تريده قلت بلى فدعا ابنه وكتب معه ورقة الى ابى بكر لم ادرما كتب فيها فاتيناه فقرأ الورقة وصعد النظر ثم قال انت خلف قلت نعم قال انت لم تخلف ببغداد احدا اقرأ منك فسكت فقال لى اقعد هات اقرأ تلت عليك قال نعم قلت لا والله لاافرا على من يستصغر رجلا من حملة القرءان ثم خرجت فوجه الى سليم يسئله أن يردنى فابيت ثم ندمت واحتجت فكتبت قراءة عاصم عن يحيى بن ادم عنه توفى فى جمادى الاخرة سنة تسع وعشرين ومائتين وكان مولده سنة خمسين ومايه

خلاد بن خالد

وقيل ابن عيسى ابو عيسى وقيل ابو عبدالله الشيبانى مولاهم الصيرفى الكوفى الاحول المقرىء صاحب سليم اقرأ الناس مدة وحدث عن زهير بن معاوية والحسن بن صالح بن حي قرأ عليه محمد بن شاذان الجوهرى ومحمد بن الهيثم قاضى عكبرا ومحمد بن يحيي الحسينى والقاسم بن يزيد الوزان وهو انبل اصحابه وحدث عنه ابو زرعة وابو حاتم وكان صدوقا توفى سنة عشرين ومائتين

الليث بن خالد

ابو الحارث البغدادى المقرىء صاحب الكسائى والمقدم من بين اصحابه قرأ عليه

وسمع الحروف من حمزة بن قاسم الاحول وابى محمد اليزيدى قال ابو عمرو الدانى وقد غلط احمد بن نصر فى نسبته فقال الليث بن خالد المروزى وذاك رجل آخر من اصحاب الحديث سمع من مالك بن انس وجماعة يكنى ابا بكر قرأ على ابى الحارث سلمة بن عاصم ومحمد بن يحيى الكسائى الصغير توفى سنة اربعين ومائتين

الطيب بن اسماعيل

ابو حمدون الذهلى البغدادى اللؤلوى المقرئ العبد الصالح قرأ على اليزيدى والكسائى وسليم واسحاق المسيبى صاحب نافع ويعقوب الحضرمى وحدث عن سفيان بن عيينه وغير واحد وجلس للاقرأ وقصده الطلبة لدينه وورعه واتقانه وحذقه بالاداء قرأ عليه ابو الحسن بن الحسين الصواف والفضل بن مخلد الدقاق والحسين بن شريك وحدث عنه اسحاق بن سنين الختلى وسلمان بن يحيى الضبى وابو القاسم بن احمد المعشرى وابو العباس بن مسروق وغيرهم وكان على قدم عظيم من التقلل والقناعه والعبادة. بلغنا انه كان يلتقط المنبوذ ويتقوت به وذكر الخطيب فى تاريخه ان ابا حمدون كانت له صحيفة فيها اسما ثلثمائة نفس من اصحابه يدعو لهم كل ليلة فنام عنهم ليلة فقيل له فى النوم لم تسرج مصابيحك قال فقعد ودعا لهم

قتيبة بن مهران

الافرادانى الاصبهانى المقرى صاحب الامالة قرأ على الكسائى وصحبه اربعين سنة حتى قيل ان الكسائى قرأ ايضا عليه حدث عن شعبة والليث بن سعد وابى معشر السندى وجماعة قرأ عليه العباس بن الوليد بن مرداس واحمد بن محمد بن حوتره الاصم وزهير بن احمد الزهرانى وبشر بن ابراهيم الثقفى وطائفة من الاصبهانيين وقيل ان ادريس عبد الكريم الحداد قرأ عليه واليه انتهت رئاسة الاقراء باصبهان وله امالات من عجبه معروفه وورد ايضا انه اخذ القراءة عن اسماعيل بن جعفر وسليمان بن مسلم بن جماز. روى عنه يونس بن حبيب وعقيل بن يحيى واسماعيل بن يزيد القطان الاصبهانيون واثنى عليه يونس وقال كان من خيار الناس. كان مقرى اصبهان فى وقته

روى العباس بن الوليد عن قتيبة بن مهران انه قرأ وماانزل على الملكين بالكسر جعلهما من ملوك الدنيا

نصير بن يوسف

ابن ابى نصر الرازى المقرى النحوى ابوالمنذر صاحب الكسائى كان من الائمة الحذاق لاسيما فى رسم المصحف وله فيه مصنف قرأ عليه محمد بن عيسى الاصبهانى وعلى بن ابى نصر النحوى ومحمد بن ادريس الدندانى وآخر من بقى ممن قرأ عليه احمد بن محمد بن رستم الطبرى شيخ عبدالواحد بن ابى هاشم وقد روى الحديث عن اسحاق بن سليمان الرازى وغيره

روح بن عبدالمؤمن

أبو الحسن البصرى المقرى صاحب يعقوب الحضرى كان متقنا مجودا روى ايضا عن ابى عوانة وحماد بن زيد وحفص بن سليمان الضبى قرأ عليه احمد بن يزيد الحلوانى وابو الطيب بن حمدان وابو بكر محمد بن وهب الثقفى واحمد بن يحيى الوكيل وروى عنه البخارى فى صحيحه وعبدالله بن احمد ومطين وابوخليفه وابراهيم بن محمد بن نائله الاصبهانى وابو يعلى الموصلى ذكره ابن حبان فى الثقات وقال مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

رويم بن يزيد

ابوالحسن البصرى المقرئ قرأ على سليم صاحب حمزه وعلى ميمون القناد وحدث عن سلام بن سليمان الطويل والليث بن سعد قرأ عليه محمد بن شاذان الجوهرى وحدث عنه محمد بن عبدالرحيم ومحمد بن ابى عتاب الاعين وجعفر بن محمد بن شاكر وكان ثقة كبير القدر كان يقرئ بمسجده ببغداد بنهر الفلابين وكان ابوه مولى العوام بن حوشب توفى رويم سنة احدى عشرة ومائة

روح بن قره

المقرئ قرأ القران على سلام ابى المنذر ويعقوب الحضرى وسمع

من ابن عيينة قرأ عليه ابو عبدالله الزبيرى فقيه البصره وسمع منه احمد بن الصقر ابن ثوبان

محمد المتوكل

ابو عبدالله اللؤلوى رويس المقرئ قرأ على يعقوب وتصدر للاقراء وقرأ عليه محمد بن هارون التمار وابو عبدالله الزبيرى والفقيه الشافعى توفى بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين

محمد بن اسحاق

ابن محمد بن عبدالرحمن المسيبى المدنى قرأ على والده واقرأ وحدث عن سفيان بن عيينة ومحمد بن فليح وممن الفرآن وجماعة روى عنه مسلم وابوداود فى كتابيهما وابو زرعة الرازى وابراهيم الحربى وابويعلى الموصلى وعبدالله بن الصقر السكرى واخرون من الكبار وكان من العلماء العاملين قال صالح جزوة ثقة وقال مصعب الزبيرى لااعلم فى قريش احدا افضل من المسيبى توفى فى ربيع الاول سنة ست وثلاثين ومائتين

محمد بن سعدان الكوفى

النحوى المقرئ الضرير ابو جعفر قرأ على سليم ويحيى اليزيدى واسحاق المسيبى وحدث عن ابى معاوية وابى ادريس الاودى وجماعة قرأ عليه محمد بن احمد ابن واصل وهو اجل اصحابه وجعفر بن محمد الادى وسليمان بن يحيى الضبى ومحمد بن يحيى المروزى وحدث عنه عبدالله بن احمد بن حنبل وجماعة وصنف فى العربيه والقران وثقه الخطيب وغيره توفى سنة احدى وثلاثين ومائتين

محمد بن غالب الانماطى

ابو جعفر البغدادى قرأ على شجاع بن ابى نصر وهو اجل اصحابه قرأ عليه الحسن بن الحباب وعبدالله بن سهلان والحسن بن الحسين الصواف واحمد بن ابراهيم

القضبانى ونصر بن القاسم الفرايضى ومحمد بن معلى الشونيزى وكان اميا لايكتب وصالحا ورعا خيارا مسنا توفى سنه اربع وخمسين ومائتين

محمد بن غالب الصيرفى

ابو جعفر قرأ على ابى يوسف الاعشى قرا عليه على بن الحسن التيمى. لا اعلم احدا قرا عليه غيره

احمد بن ابى سريح

الصباح وقيل احمد بن عمر الصباح النهشلى الرازى ابو جعفر المقرئ قرأ على الكسائى قرأ عليه العباس بن الفضل الرازى وغيره وروى عن شعيب بن حرب وابى معاوية الضرير وجماعة حدث عنه البخارى وابو داود والنسائى فى كتبهم وابو بكر بن ابى داود وابو حاتم وقال صدوق

أبو حاتم السجستانى

سهل ابن محمد بن عثمان نحوى البصرة ومقرئها فى زمانه وامام جامعها قرأ القران على يعقوب الحضرى وغيره واخذ العربية عن ابى عبيدة وابى زيد والاصمعى ووهب بن جرير والحديث عنهم وعن يزيد بن هارون وابى عامر العقدى وطبقتهم وصنف التصانيف روى عنه ابو داود والنسائى فى كتابيهما والبزار فى مسنده والمبرد وابن دريد وابن خزيمة ويحي بن صاعد وخلق آخرهم موتا ابو روق الهزانى وكان يتجر فى الكتب ويعنى بجمعها وله يد طولى فى اللغات والشعر والاخبار والعروض واستخراج المعمى ولم يكن فى النحو بذلك الماهر وقد قرا كتاب سيبويه مرتين على الاخفش توفى سنة خمسين وقيل سنة خمس وخمسين ومائتين

عامر بن عمر

ابو الفتح الموصلى اوقيه المقرى صاحب اليزيدى والعباس بن الفضل الانصارى

قاضي الموصل وسمع من وكيع وأبي اسامه قرأ عليه احمد بن سمعويه وعيسى ابن رصاص واحمد بن مسعود السراج وموسى بن جمهور واخرون توفى سنة خمسين ومائتين

محمد بن الهيثم الكوفى

صاحب خلاد بل أجل اصحابه عرض أيضا على حسين الجعفى وعبدالرحمن ابن ابي حماد وحذق في قراءة حمزة قرأ عليه القاسم بن نصر المازنى وعبدالله بن ثابت وحدث عنه ابن ابي الدنيا وسليمان بن يحيى الضبي وغيرهم يقال توفى سنة تسع واربعين ومائتين

احمد بن يزيد

الحلوانى ابوالحسن المقرى من كبار الحذاق المجودين قرأ على قالون وعلى خلف البزار وعلى هشام بن عمار وجماعة وحدث عن ابى نعيم وابى حذيفة الهندى وعبدالله بن صالح وغيرهم وكان كثير الترحال اقرأ بالرى فقرأ عليه الحسن ابن العباس بن ابى مهران والفضل بن شاذان وجعفر بن محمد بن الهيثم ومحمد بن عمر وابن عون الواسطي ومحمد بن بسام وحيون المزوق واخرون وسئل عنه ابو حاتم فلم يرضه فى الحديث ويقال انه رحل الى هشام ابن عمار ثلاث مرات وكان ثبتا فى قالون وهشام قيل انه توفى سنة خمسين ومائتين . ورخه ابوعبدالله القصاع

ابو نشيط محمد بن هارون

المروزى قرأ على قالون وكان من اجل اصحابه قرأ عليه ابوحسان احمد بن محمد بن الاشعث العنزى وغيره وعلى رواية اعتمده الدانى فى التيسير وهو محمد بن هارون الربعى المروزى ثم البغدادى ويكنى ايضا ابا جعفر وكان من حفاظ الحديث والرحالين فيه سمع الغريابى وابا المغيرة الحمامى ويحيى بن ابى بكر وطبقتهم روى عنه ابن ماجه فى تفسيره وابو بكر بن ابى الدنيا وابن صاعد وابن ابى حاتم والمحاملى واخرون قال ابن ابى حاتم صدوق قلت توفى سنة ثمان وخمسين ووهم ابوعمرو

الدانى فقال توفى سنة ثلاث وستين وانما ذاك محمد بن احمد بن هارون شيطا توفى سنة ثلاث وستين

محمد بن عيسى بن رزين الهيثمى

الرازى ثم الاصبهانى المقرى احد الحذاق قرأ القرآن على نصير وخلاد صاحبى الكسائى وسمع الحروف من عبدالله بن موسى واسحاق بن سليمان وصنف كتاب الجامع فى القراآت وكتابا فى العدد وفى الرسم وكان رأسا فى النحو قال ابونعيم الاصبهانى ما اعلم احدا اعلم منه فى وقته فى فنه يعنى القراءآت اخذ عنه الفضل بن شاذان والحسن ابن العباس وابو سهل حمدان وجماعة قال ابو حاتم صدوق قلت توفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وممن قرأ عليه من الاصبهانيين جعفر بن عبدالله بن الصباح مقرى اصبهان

احمد بن قالون

المدنى خلف اباه فى الاقراء بالمدينة قرأ عليه الحسن بن ابى مهران وحده فيما علمت

محمد بن يزيد بن رفاعه

أبو هشام الرفاعى الكوفى القاضى أحد العلماء المشهورين قرأ على سليم وسمع الحروف من حسين الجعفى ويحيى بن ادم وابى يوسف الاعشى والكسائى وضبط حروفا عن ابى بكر بن عياش فانه سمع عليه ختمة بقراءة ابى يوسف الاعشى قال ابو عمرو الدانى وله عن هؤلاء شذوذ كثير فارق فيه سائر اصحابه وله كتاب جامع فى القراءآت روى عنه القراءة موسى بن اسحاق القاضى وعلى بن الحسن القطيعى واحمد بن سعيد المروزى والقاسم بن داود وعمار بن خرزاز وعلى بن احمد بن قربة وجماعه قلت وروى عن ابى بكر بن عياش وحفص بن غياث والمطلب بن زياد وابن فضيل وطايفة روى عنه مسلم والترمذى وابن ماجه فى كتبهم واحمد بن ابى خيثمه وامام الائمة بن خزيمة وابن صاعد وابو عبدالله المحاملى واخرون وقع لنا حديثه عاليا قال احمد بن عبدالله العجلى لاباس

به صاحب قراءة قرأ على مسلم وولى قضا المداين وقال ابن جرير ولى قضاء المدائن حتى مات قال محمد بن عبدالله بن نمير كان اضعفنا طلبا واكثرنا غرائب وقال البخارى رايتهم مجمعين على ضعفه وقال ابو العباس السراج مات فى آخر يوم من شعبان ببغداد وكان قاضيا عليها سنة ثمان واربعين ومائتين قالت هو محمد بن يزيد بن محمد بن كثير بن رفاعه بن سماعة العجلى رحمه الله تعالى

الطبقة السابعة

اسحاق بن احمد

ابن اسحاق بن نافع ابو محمد الخزاعى المكى الامام المقرئ بالمسجد الحرام قرأ على البزى وعبدالوهاب بن فليح وحدث عن محمد بن يحيي العدنى ومحمد بن زنبور وابى الوليد محمد بن عبدالله الازرقى وغيرهم فاكثر وكان ثقة حجة رفيع الذكر قرأ عليه ابن شنبوذ والحسن بن سعيد المطوعى ومحمد بن موسى الرمى وابراهيم بن احمد بن ابراهيم واخذ عنه الحروف ابوبكر بن مجاهد وابراهيم بن عبدالرزاق واحمد بن يعقوب ومحمد بن عيسى بن بندار وطائفة وحدث عنه ابو بكر بن المقرئ بمسند العدنى قال ابن مجاهد بن ابى محمد اسحاق ابن اسحاق بن نافع بن ابى بكر بن يوسف بن امير مكة نافع بن عبدالحارث الذى استخلفه عمر رضى الله عنه على مكة وقال عبدالباقى بن الحسن قرأت على ابراهيم بن احمد قال قرأت على اسحاق الخزاعى واخبرنى انه قرأ على ابى الحسن البزى المؤذن قال الخزاعى وقرأت على عبدالوهاب بن فليح وختمت عليه نحوا من عشرين ومائة ختمة قال ابو عمرو الدانى اخذ اسحاق القراءة عرضا عن عبدالوهاب وابى الحسن وهو من اثبت الناس فهما وروى الحروف عن عبدالله بن جبير وقنبل وهو امام فى قراءة المكيين مضطلع ضابط ثقة مامون له كتاب حسن جمعه فى اختلاف المكيين واتفاقهم. توفى فى يوم الجمعة ثامن رمضان سنه ثمان وثلثمائه بمكه

محمد بن اسحاق بن وهب

ابن اعين بن ربيعة الربعى المكى المقرئ مؤذن المسجد الحرام قرأ على البزى وعرض على قنبل وصنف قراءة ابن كثير واقرأ فى حياة شيخه قرأ عليه محمد بن الصباح ومحمد بن عيسى بن بندار وعبدالله بن احمد البلخى وابراهيم بن عبدالرزاق وابو بكر النقاش وهبة الله بن جعفر توفى فى رمضان سنه اربع وتسعين وهو اجل اصحاب البزى فى زمانه

الحسن بن الحباب

ابن مخلد ابو على البغدادى الدقاق المقرى من حذاق اهل الاداء عن على البزى وعلى محمد بن غالب الاغاطى اخذ عنه ابن مجاهد والنقاش وابن الانبارى وعبدالواحد ابن ابى هاشم واحمد بن عبدالرحمن الولى واخرون من البغداديين وقد حدث عن لوين ومحمد بن ابى سمينة روى عنه ابو على الصواف ومحمد بن عمر الجعابى وكان ثقة وهو الذى انفرد بزيادة لااله الاالله مع التكبير عن البزى توفى سنه احدى وثلثمائه

قنبل

مقرى اهل مكة وهو ابو عمر محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جبرخة المخزوى مولاهم المكى ولد سنة خمس وتسعين ومايه وجود القراة على ابى الحسن القواس واخذ القراة عن البزى ايضا وانتهت اليه رياسة الاقراء بالحجاز قرأ عليه خلق كثير منهم ابوبكر ابن مجاهد وابوالحسن بن شنبوذ ومحمد بن عيسى الجصاص وابراهيم بن عبدالرزاق الانطاكى سمع منه الحروف فقط لانه لم يجاور عنده وممن رحل اليه وقرأ عليه ابوبكر بن محمد موسى الزينبى ومحمد بن عبدالعزيز بن الصباح وقيل انه كان يستعمل دايسى للبقر يسمى قنبيل فلما اكثر من استعماله عرف به ثم خفف وقيل قنبل وقيل بل هو من قوم يقال لهم القنابله وكان قنبل قد ولى الشرطة بمكة فى وسط عمره فحمدت سيرته ثم انه طعن فى السن وشاخ وقطع الاقرا قبل موته بسبع سنين توفى سنة احدى وتسعين ومائتين

اسماعيل بن عبدالله

بن عمر بن سعيد بن عبدالله ابو الحسن النحاس مقرى الديار المصرية جود القرآن على ابى يعقوب الازرق صاحب ورش وتصدر للاقراء مدة فقرأ عليه خلق لاتقانه وتحريره وبصره بمقرأ ورش وكان قد قرا على الازرق سبع عشرة ختمة قرأ على عبد القوى بن كمونه ختمتين وعلى عبدالصمد بن عبدالرحمن الى سورة طه وهما من اصحاب ورش وكان يقرى بمكتبه وبجامع عمرو بن العاص وكف بصره بأخرته قرا عليه ابو جعفر احمد بن عبدالله بن هلال الازدى وحمدان بن عون الخولانى ومحمد بن خيرون الاندلسى وابو الحسن بن شنبوذ واحمد بن ابراهيم الخياط وابو جعفر احمد بن اسامة التجيبى وابو بكر احمد بن ابى الرخا توفى سنة بضع وثمانين ومائتين

ابو بكر بن عبدالله بن مالك

ابن عبدالله بن يوسف التجيبى المقرى شيخ الاقليم فى القراآت فى زمانه المصرى قرا القرآن على ابى يعقوب الازرق وعمر دهرا طويلا وحدث عن محمد ابن ربيع صاحب الليث بن سعد وغيره وقرأ عليه ابراهيم بن محمد بن مروان ومحمد بن عبدالرحمن الطهرازى وابو بكر محمد بن عبدالله بن القاسم الحربى شيخ ابى على الاهوازى وابو عدى عبدالعزيز بن على بن محمد بن اسحاق بن الامام وغيرهم قرا القراآت على ابى القاسم المالكى بالاسكندرية لورش عن قراءته على ابى القاسم الصفراوى عن ابن عطية عن ابن الغمام عن احمد بن نفيس عن ابى عدى عن ابى سيف عن ابى يعقوب عن ورش وقدساوى شيخنا فى هذه الرواية علم الدين السخاوى وطبقته توفى ابن سيف فى جمادى الآخرة سنة سبع وثلثماية ورخه ابو سعيد بن يونس وحدث عنه فى تاريخه

محمد بن عبدالرحيم

ابن ابراهيم بن شبيب ابو بكر الاصبهانى المقرى شيخ القراء فى زمانه قرأ

لورش على عامر الحرشي وسليمان بن اخى الرشدينى وعبدالرحمن بن داود بن ابى طيبة وسمع القرآءة على يونس بن عبدالاعلى صاحب ورش وحذق فى معرفة حرف نافع وحدث عن عثمان بن ابى شيبة وداود بن رشيد واسحاق بن ابى اسرائيل وابى همام السكونى وعبدالله بن عمر مشكدانه قرأ عليه طائفة منهم هبة الله بن جعفر وعبدالله بن احمد المطرز ومحمد بن يونس وابراهيم بن جعفر واخذ عنه ابن مجاهد وحدث عنه ابواحمد العسال وابو الشيخ بن حباب ومحمد بن احمد بن عبدالله المقرئ واخرون وقال عبدالباقى بن حسن بن السقاء قال محمد بن عبدالرحيم الاصبهانى رحلت الى مصر ومعى ثمانون الفا فانفقتها على ثمانين ختمة توفى ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين ولقد بالغ ابو عمرو فى تعظيمه وقال هو امام عصره فى رواية ورش لم ينازعه فى ذلك احد من نظرائه قال ابوالفتح فارس قرأت على عبدالباقى بن الحسن قال قرات على ابراهيم بن عبدالعزيز الفارسى واخبرنى انه لقى ابا بكر محمد بن عبدالرحيم وابراهيم بن شبيب بن يزيد ابن خالد بن قرة مولى بنى اسد مولى بنى عامر المعروف بالاصبهانى وقرا عليه القرأن واخبرنى انه قرا على موسى بن سهل قال الاصبهانى فسالته الى من تسند قراءتك فقال لى قرأت على يونس بن عبد الاعلى وغيره وقال عبدالواحد بن ابى هاشم حدثنا محمد بن احمد الدقاق بن محمد محمد بن عبدالرحيم قال قرات القرءان على ابى الربيع بن اخى الرشدينى وختمت عليه احدى وثلاثين ختمة قلت له الى من تسند قراءتك قال الى ورش قال محمد بن عبدالرحيم وصار جماعة من القراء الى يونس بن عبدالاعلى وانا حاضر فسالوه ان يقرئهم القرءان فامتنع وقال احضروا مواساليقرأ فاسمعوا قراءته علىّ وهى لكم اجازه فقرأ عليه القرءان كله فى ايام كثيره وسمعت قراته عليه

الفضل بن شاذان

ابوالعباس الرازى المقرى احد الاعلام وشيخ الاقراء بالرى قرا على احمد بن يزيد الحلوانى ومحمد بن عيسى الاصبهانى وسمع من اسماعيل من ابى اويس اخر من قرأ القران على نافع ومن سعيد بن منصور واحمد بن يونس ومهدى بن جعفر وطبقتهم روى عنه ابوحاتم الرازى مع تقدمه وابنه عبدالرحمن بن ابى حاتم وقال ثقة

وقرأعليه محمد بن عبدالله بن الحسن بن سعيد واحمد بن محمد بن عبدالله واحمد بن محمد بن عثمان ابن شبيب وابن العباس بن الفضل الرازيون قال ابو عمرو الدانى لم يكن فى دهره مثله فى علمه وفهمه وعدالته وحسن اطلاعه قلت وهو قديم الموت ،

الحسن بن العباس

ابن ابى مهران الرازى الجمال ابو على المقرى روى عن سهل بن عثمان وعبدالمؤمن بن على الزعفرانى ويعقوب بن حميد بن كاسب وعنى بالقرا آت فقرأ على الاحمدين بن قالون والحلوانى ومحمد بن عيسى الاصبهانى واحمد بن صالح المصرى وكان اليه المنتهى فى الضبط والتحرير أ قرأ ببغداد وغيرها قرأ عليه ابن مجاهد وابن شنبوذ والنقاش واحمد بن حماد صاحب المشطاح وحدث عنه ابن السماك وابن قانع وعبدالملك الطستى وابو سهل القطان وابو القاسم الطبرانى قال الخطيب ثقة توفى فى رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين

العباس بن الفضل بن تازان

ابن عيسى الرازى المقرئ امام محقق جودكان يقرئ مع ولده بالرى قرأ على ابيه واخذ قرأة الكسائى عن احمد بن ابى سريج عن الكسائى وسمع من جماعة وعاش الى بعد الثلثمائة اخذ عنه القراءة ابو بكر محمد بن احمد الداجونى واحمد بن عملان وابو بكر النقاش وابن مجاهد واخر من روى عنه ابو على ابن حبش الدينورى وقد روى الحديث عن محمد بن حميد الرازى ومحمد بن على بن سفيان قال الخليلى ادركت بقزوين ثمانية من اصحابه قلت وممن روى عنه ابو عمرو بن حمدان الحيرى وبقى الى سنة عشر وثلاثمائه

الحسين بن على بن حماد

ابن مهران الرازى الجمال الازرق المقرئ رفيق الحسن بن العباس بن ابى مهران فى القراءة على الحلوانى وعمرو اقرأ الناس وسكن قزوين كنيته ابو عبدالله وقد قرأ

ايضا على محمد بن ادريس الرندانى صاحب نضير قرأ عليه جماعة منهم ابن شنبوذ واحمد بن محمد الرازى نزيل الاهواز وابوبكر النقاش والحسن بن سعيد المطوعى وكان محققا اقراءة ابن عامر توفى فى حدود ثلثمايه

احمد بن محمد

ابن يزيد بن الاشعث ابوحسان الغزى البغدادى القاضى المقرى قرأ القران على ابى نشيطه واحمد بن زراره صاحب سليم وحذق فى قراة قالون وتصدر للاقراء عليه ابن شنبوذ وعلى بن معبد بن ذؤابه وابوالحسين احمد بن ثوبان وغيرهم وله كنيه اخرى وهى ابوبكر توفى قبل الثلثمائه فيما احسب

عبدالرحمن بن عبدون

ابوالزعرا البغدادى من جلة اهل الاداء وحذاقهم وارفع اصحاب ابى عمر الدورى قرأ عليه بعده روايات وتصدر للاقراء قرأ عليه ابن مجاهد وهو ابتل اصحابه وعلى بن الحسن الرقى ومحمد بن مسلى الشونيزى ومحمد بن يعقوب المعدل وعمر بن عجلان قال ابن مجاهد قرات لنافع على ابى الزعرا نحوا من عشرين ختمه وقرأت عليه لابى عمرو وللكسائى وحمزه

احمد بن فرح

ابن جبريل ابوجعفر البغدادى الضرير المقرى المفسر قرأ على الدورى والبزى وحدث عن على بن المدينى وابى بكر بن شعيبة وابى الربيع الزهرانى وطائفة وتصدر للافادة زمانا وبعد صيته واشتهر اسمه لسعة علمه وعلو سنده قرا عليه زيد بن على بن ابى بلال وعبدالله بن محرز وعلى بن سعيد القرار وابوبكر النقاش وعبدالواحد بن ابى هاشم واحمد بن عبدالرحمن الولى والحسن بن سعيد المطوعى واخرون وحدث عنه احمد بن جعفر الختلى وابن سمعان الرزاز سكن الكوفة مدة وحمل اهلها عنه علما جما وكان ثقة ماموناتوفى فى ذى الحجة سنه ثلاث وثلثماية وقدقارب التسعين

الجزء الحادي عشر السنة الرابعة

الهداية

§ تصدر فى الاستانة . شهر ذى القعدة سنة ١٣٣١ §

أسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

(تابع المقدمه)

باستقصاء (١) وختم السيوطى فى الاتقان هذا المبحث بقوله «والذى ينشرح له الصدر ما ذهب اليه البيهقى وهو ان جمع السور وترتيبها توقيفى الا براءة والانفال»

والخلاصة أن قد انعقد الاجماع والتواتر على ان القرآن فى عهد الرسول كان مرتب الآيات جميعها فلم يقبض الرسول الا وجميع الآيات مرتبة فى سورها محفوظة فى صدور الحفاظ من الصحابة على النحو الذى نتلوه اليوم . ونقل فى البرهان (جزء أول صفحة ٨٩) عن القرطبي انه قتل

(١) راجع الجزء الاول من الاتقان صفحة ٧٨ ق ٧٩

فى عهدالرسول ا ببئرمعونة سبعون من الحفاظ ومما هو صريح فى هذا الباب ماروى عن زيد بن ثابت قال فقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخت المصحف (اى على عهد ابى بكر) قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى «من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه» فالحقناها فى سورتها من المصحف. وعن البخارى ومسلم والنسائى عن مسروق قال قال عبدالله (ابن مسعود) والذى لا اله غيره ماانزلت سورة من كتاب الله الا انا اعلم اين نزلت ولا نزلت آية من كتاب الله الا انا اعلم فيم انزلت. وفى رواية عنه قرأت على رسول الله بضعا وسبعين سورة

اما ترتيب السور بعضها على بعض ولاء فان منه ماكان معروفا على عهد الرسول ومنه ماانعقد عليه اجماع الصحابة بعد

وقد تبين مما اسلفنا ان ابابكر قد جمع القرآن بعد التفرق فى مكان واحد وهذا هو الجمع الاول وان عثمان لم يفعل سوى ان نسخ عدة مصاحف من مصحف ابى بكر الذى كان محفوظا عند حفصة وأرسل بها الى الآفاق وعددها فى المشهور خمسة وقيل اربعة وقيل سبعة فارسل بواحد الى كل من الشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة وفى رواية ارسل الى مكة بواحد وحبس واحدا فى المدينة

روى عن عثمان بن غفلة (١) قال سمعت على بن ابى طالب يقول «اتقوا الله ايها الناس اياكم والغلو فى عثمان وقولكم حرّاق المصاحف فوالله ما حرّقها الا عن ملأ منا اصحاب محمد فقال ماتقولون فى هذه القراءات التى اختلف الناس فيها يلقى الرجل الرجل فيقول قراءتى خير من قراءتك وقراءتى افضل من قراءتك وهذا شبيه بالكفر فقلنا ماالرأى يا أمير المؤمنين قال فانى ارى ان اجمع الناس على مصحف واحد فانكم ان اختلفتم اليوم كان من بعدكم اشد اختلافا فقلنا نعم مارأيت فارسل الى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص فقال ليكتب احدكم وليمل الآخر . فاذا اختلفتم فى شئ فارفعاه الىّ فما اختلفا فى شئ من كتاب الله الا فى حرف من سورة البقرة قال سعيد « التابوت » بالتاء وقال زيد « التابوه » بالهاء فرفعا الامر الى عثمان فقال اكتبوه التابوت (بالتاء)

هذا وقد علمت مما اسلفنا ان الاختلاف الذى جاء فى عبارة عثمان ابن عفان لزيد بن ثابت وسعيد بن العاص لم يكن المراد منه الاختلاف فى السور او الآيات او شئ من الكلمات القرآنية وانما هو الاختلاف فى مرسوم الخط والكتابة

ويدل على فرط احتفاظ السلف الصالح برسم المصحف الامام مارواه السيوطى فى الاتقان (٢) عن اشهب ان قد سئل الامام مالك هل

(١) راجع كتاب المعتمد لابى القاسم اسماعيل بن محمد الاصفهانى المتوفى سنة ٥٣٥

(٢) جزء اول صفحة ١٩٦

يكتب المصحف على ما احدثه النـاس من الهجاء فقال لا وسـئل مالك ايضا عن الحروف تزاد فى القرآن مثل الواو والالف (اى فى نحو أولوا) اترى ان تغير من المصحف اذا وجدت فيه قال لا .

وقال البيهقى فى شعب الايمـان من يكتب مصحفا ينبغى ان يحـافظ على الهجـاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ولا يخـالفهم فيه ولا يغير مما كتبوا شيئا

وليعلم انه لم تكن مخالفة كتابة المصحف لمـا وضع بعد من قواعد الرسم الا لمعان قصدت منها . قال السيوطى فى البرهان ان ابا العبـاس المراكشى الف كتابا سماه عنوان الدليل فى مرسوم التنزيل بين فيه ان هذه الاحرف انما اختلف حالها فى الخط بحسب اختلاف احوال معانى كلماتها . وقد تصدى السـيوطى فى الاتقان فاشـار الى بعض المقـاصد التى اريدت من تلك الاحرف عند سردهـا واسـتيعابه الكلام فى قواعـد رسم المصحف

ومما خاض فيه طائفة من جهلة المسلمين وروجه من بعدهم المضللون من طوائف المبشرين ماورد من المأثورات ان المصحف الكريم وقع فى كتابته لحن وان أحدا لم يصلحه اتكالا على ان العرب ستقيمه بالسنتها . وقد روى فى ذلك حديث عن عكرمة قال لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفا من اللحن فقال لا تغيروها فان العرب ستغيرها

اوقال ستعربها بالسنتها . قال ابن الأنبارى فى كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان (١) فى الأحاديث المروية عن عثمان فى ذلك لاتقوم بها حجة لانها منقطعة غير متصلة ومايشهد عقل بان عثمان الذى هو امام الامة وامام الناس فى زمنه وقدوتهم يطلع على المصحف الامام فيتبين فيها خللا ويشاهد فى خطها زللا فلا يصلحه. ولا يعتقد انه اخر الخطأ فى الكتاب ليصلحه من بعده (الى ان قال) ولم يكن عثمان ليؤخر فسادا فى هجاء الفاظ القرآن من جهة كتب ولا نطق . ومعلوم انه كان مواصلا لدرس القرآن متقنا لالفاظه موافقا على مارسم فى المصاحف المنفذة الى الامصار والنواحى ثم ايد ذلك بما اخرجه ابو عبيدة قال حدثنا عبدالرحمن عن هانئ البربرى مولى عثمان قال كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف. فارسلنى بكتف شاة الى ابى بن كعب فيها « لم يتسن » وفيها « لا تبديل للخلق » وفيها « فامهل الكافرين » قال فدعا الدواة فمحا احدى اللامين فكتب « لخلق الله » ومحا « فأمهل » وكتب « فمهل » وكتب « لم يتسنه » بالهاء . ويدل على ان عثمان رضى الله عنه قد اصلح ماوقع للكتاب من بعض التحريف فى الرسم ماوراه ابن اشتة بسنده عن عبدالاعلى بن عبدالله بن عامر قال فلما فرغ المصحف اتى به عثمان فنظر فيه فقال احسنتم واجملتم ارى شيئا سنقيمه بالسنتنا . قال السيوطى فهذا الاثر لا اشكال فيه وبه يتضح معنى ماتقدم فكأنه عرض عليه المصحف بعد الفراغ من كتابته فرأى فيه شيئا كتب

(١) راجع صفحة ٢٢٦ من الجزء الاول من الاتقان

على غير لسان قريش كما وقع لهم فى التابوه والتابوت فوعد بانه سيقيمه على لسان قريش ثم وفى بذلك عند العرض والتقديم

قال السيوطى وكيف يظن بالصحابة اولا انهم يلحنون فى الكلام فضلا عن القرآن وهم الفصحاء ثم كيف يظن بهم ذلك ثانيا فى القرآن الذى تلقوه من النبى كما انزل وحفظوه وضبطوه واتقنوه ثم كيف يظن بهم بعد ذلك اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته ثم كيف يظن بهم رابعا عدم تنبههم ورجوعهم عنه وان عثمان ينهى عن تغييره اوان القراءة استمرت على مقتضى ذلك وهو مروّى بالتواتر خلفا عن سلف. هذا مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة .

هذا ويكاد يجمع رجال الحديث على ان جميع ماروى عن عثمان فى وقوع اللحن فى رسم القرآن ضعيف الاسناد مضطرب منقطع لا يعتد به ولم يبق من الآثار مايحتاج الى تدبر وتوجيه سوى ماروى عن عائشة باسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم . قال ابو عبيد (١) حدفى فضائل القرآن حدثنا ابومعاوية عن هشام بن عروة عن ابيه قال سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى « ان هذان لساحران» وعن قوله « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » وعن قوله « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون » فقالت يا ابن اخى هذا عمل الكتاب

(١) الاتقان جزء أول صفحة ٢٢٥

اخطأوا فى الكتاب . قال فى الاتقان وهذا اسناده صحيح على شرط الشيخين ثم اخذ يسرد اوجها عديدة فى سبيل تأويل هذه الآيات . والذى يظهر لنا نحن ان اكثر تلك التوجيهات لاتنهض ولاتقوى على دفع عبارة عائشة ان ذلك عنها . وانما قلنا ان صحت رواية هذه العبارة عنها لاسباب عديدة منها ان هذا الحديث بعبارته هذه لم يرد فيما نعلم فى شيء من المسانيد الصحيحة اصلا ومنها انه اذا اعتقدت عائشة خطأ الكتاب فيما رسموا به تلك الآيات الثلاث فماذا صدها عن صلاح هذا الخطأ وكتب المصحف بما رأته صوابا؟ ومن أغير من عائشة على كتاب الله وأحرص منها على اصلاح خطأ الكتاب فيه؟ واين كانت عائشة يوم امر ابوها ابو بكر الصديق بجمع القرآن من العظام والسعف واللخاف؟ ثم كيف اقر ابو بكر الكتاب على ماعسى ان يكونوا اتوا من الخطأ فى الكتاب وهو على حفظه للقرآن لعهد الرسول عليه السلام لم يكن اميا بل كان من الكاتبين العارفين برسم الخط ومشقه

وكيف تقول عائشة ان تلك الاحرف من خطأ الكتاب وهى تعلم ان القرآن كان يتلى عليها فى عهد الرسالة وان كثيرا من الحفاظ على عهدها هى كانوا كذلك يقرأون بتلك الاحرف فماذا عسى ان يقول من عزوا لعائشة ذلك الأثر فى امر التلاوة وهى مطابقة للرسم والكتابة؟ وماذا عسى ان يسموا تلاوة القرآن بتلك الاحرف أيقولون انها لحن وانه نزل

بها الوحى على لسان عربى بلغ اقصى مراتب الفصاحة وعجز سائر فصحاء العرب وبلغاؤهم عن معارضته على كثرة ما تحداهم واستحثهم قال صاحب الكشاف (١) فى اعراب قوله تعالى « والمقيمين الصلاة » نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا فى خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر فى الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان وخفى عليه ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة فى الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا فى كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم .

فهذه عدة اوجه كما رأيت لا تبيح لنا التهجم على ام المؤمنين بنسبة ذلك الاثر واشباهه اليها فان ذلك من الجناية عليها وعلى الاسلام والقرآن الكريم. اما زعم ان هذا السند صحيح فان هذا مالا نعرفه الا من رواية فذة انفرد بها ابو عبيد وقد رأيت من الاوجه التى ذكرناها آنفا ان هذا القول مدافع للرأى السديد منافر للذوق السليم . اما توجيه تلك الاحرف التى جاءت فى القرآن مخالفة لقواعد مرسوم الخط اومغايرة فى ظاهرها للقواعد العربية فان لها اسرارا لا يعرفها الا من كان متضلعا فى الادب عليما باساليب العرب ولما كان استقصاء تفاصيل ذلك واستيعاب اطرافه مما يخرج هذه المقدمة عن الايجاز الذى اردناه لها كان علينا ان نجتزىء هنا

(١) جزء اول صفحة ٣٩٧

بذكر طائفة من الامهات التى ستكون للطلاب مناويل ينسجون عليها ومعاين جمة يستقون ماشاءوا منها

اعلم ان القرآن الكريم كان يقرأ على عهد الرسالة بعدة احرف فلما نسخت الصحف المتفرقة فى مصحف ابى بكر رضى الله عنه كتبت كما هو معلوم خالية من النقط والشكل وكذلك كان المصحف الامام العثمانى الذى نسخ كما اسلفنا عن هذا المصحف . لذلك جاء مرسوم التنزيل محتملا للقراءات الصحيحة مطابقا لها ولو تقديرا . وقد قرر الامام ابن الجزرى فى كتابه النشر (١) ان القراءة اذا لم توافق الرسم المجمع عليه تعتبر شاذة لا صحيحة . فمن شرائط صحة القراءات الا تكون مخالفة لشئ من قواعد الرسم المجمع عليها .

ومن هنا يتبين ان قراءة «تعلمون» بالتاء وبالياء صحيحة و«يغفر» لكم بالياء والنون صحيحة ولا يعتبر مخالفة احدى هذه القراءات للمصاحف المنقوطة المشكولة التى بايدينا تحريفا اولحنا اذ المصحف العثمانى كتب اول الامر خاليا من النقط والشكل محتملا لهذه الاحرف المختلفة

ومن احرف المصحف العثمانى المحتملة للقراءات المختلفة ما قد يطابق احدى القراءات تحقيقا وغيرها تقديرا نحو «ملك يوم الدين» فانها تحتمل القراءة باثبات الالف وقراءة الحذف أيضا اما الثانية فظاهرة واما الأولى فلان العرب كثيرا ما تحذف الاحرف الكثيرة الدوران والفشو فى الاستعمال كما حذفوا الالف فى « ذلك » و « هؤلاء » وهلم جرا

(١) الاتقان جزء اول . صفحة ٩٤ — ٩٥

ومن مشمولات هذه القاعدة ان بعض الحروف يكون بدلا عن آخر ويكون القرآن قد قرئ بهما جميعا فيأتى الرسم بصورة البدل لا بصورة الاصل اتكالا على ان القراءات بالحرف الاصلى قد أتت على الاصل وان خالفت مرسوم الخط . قال ابن الجزرى فى بيان فضل الصحابة رضوان الله عليهم فى علم الهجاء وغيره وانظر كيف كتبوا الصراط بالصاد المبدلة من السين وعدلوا عن السين التى هى الاصل لتكون قراءة السين وان خالفت الرسم من وجه قد اتت على الاصل فتعتدلان وتكون قراءة الاشمام محتملة ايضا. ولو كتب ذلك بالسين على الاصل لفات ذلك وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والاصل . ولذلك اختلفت القراءة فى « بسطة » فى سورة الاعراف دون « بسطة » فى سورة البقرة وذلك لان حرف البقرة كتب بالسين وحرف الاعراف بالصاد. على ان مخالف صريح الرسم فى حرف مدغم اومبدل اوثابت اومحذوف اونحو ذلك لا يعد مخالفاً اذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفيضة واجبة الاتباع اما الذى لا تجوز مخالفة الرسم فيه مطلقا فهو مايتعلق بالكلمات فلا يخالف الرسم بزيادة كلمة اونقصها اوتقديم كلمة او تأخيرها ولو كانت حرفا من حروف المعانى فان حكمه فى حكم الكلمة لا تسوغ مخالفة الرسم فيه وهذا هو الحد الفاصل فى حقيقة اتباع الرسم ومخالفته .

هذا مايتعلق برسم الكتاب . اما امر الاعراب ومطابقة القرآن لقواعده فان هذا مما يعد من اعاجيب المباحث فان القرآن الذى جاء والعرب

على مانعلم من الفصاحة والبلاغة فى منثورها ومنظومها ومرسلها ومسجوعها كيف يحمق انسان فيزعم ان فيه لحنا ومخالفة للأساليب العربية وهو الذى طالما تحدى فطاحل العرب الى معارضته فانقطعت دون ذلك اعناقهم

معلوم ان قواعد العربية ماوضعت الا بعد نزول القرآن ولقد كانت فى أول أمرها غضة ميسورة قريبة فى ابوابها من الذوق السليم العربى بعيدة عن الجفاء والاعتساف . ولقد نتتبع ابواب كتاب سيبويه فنجد خلال ابوابه كيف يكشف لنا عن اسرار اللغة العربية وكيف يبين لنا حكم مايختلف من اساليبها فى التعبير . يشير الى ذلك مانقلناه آنفا عن الزمخشرى فى الكشاف .

ولا ريب ان النحاة بعد ذلك العهد جهلوا أساليب العرب لافتنانها فى التعبير اوقصروا عن درك ماوراء ذلك من مقاصدهم البلاغية ومعانيهم الاشارية مما يرمون اليه بالزيادة والحذف والمغايرة بين الحركات الاعرابية. قال فى الاتقان (١) ومثل هذا يستشهد عليه بالاسناد البيانى الذى خالط كلام الفصحاء وعرف مواقع استعمالهم وذاق حلاوة الفاظهم. وأما النحوى الجافى فعن ذلك بمنقطع الثرى ولتقريب هذا المبحث من أذهان الطلاب يكفى ان نبين الوجه فى الآيات التى يزعم ابو عبيد فيما روى ان عائشة قد سئلت عنها فأجابت انها من خطأ الكتاب لتعلم كيف يتقولون على

(١) جزء اول — صفحة ٢٢٥

عائشة رضى الله عنها وكيف يصورونها للملأ جاهلة باسرار لغة القرآن غافلة عن مآربه ومعانيه البلاغية وهى التى روى عنها اكثر الدين ولم يشب عربيتها شئ من العجمة بل نبتت فى افصح العرب من قريش واقترنت بالرسول عليه السلام فكملها الله أدبا وعلما وفصاحة ورأيا .

اما توجيه قوله تعالى « ان هذان لساحران » فاعلم انّ (أن) قرئت فى رواية بتخفيف النون وفى رواية بالتشديد . ومن المعلوم ان المخففة تتبع بالاسم مبتدأ مرفوعا غالبا لكثرة اهمالها ويتلو هذا المبتدأ خبر مرفوع مقرون باللام للتمييز بين ان المخففة وان النافية التى بمعنى ما . ولا يخفى ان المصحف العثمانى كما اسلفنا لم يكن مشكولاً ولا منقوطا واسلفنا ايضا انه اذا جاء بصورتين اصلية وبدلية رسم فى المصحف بالصورة البدلية لان الاصلية مطابقة للاصل ويحتملها الكلام وان خالف صورة الرسم .

اذا تمهد هذا نقول ان «ان» جاءت فى إحدى القراءات مخففة على خلاف الاصل فالاسم بعدها على صورة المرفوع ثم انها جاءت ايضا مشددة على الاصل وجاء كلمة «هذان» بعدها تارة بالالف وهو لاكثر قراء الامصار وتارة بالياء وهو قراءة عائشة فاما قراءة الياء فلا غبار عليها واما الالف فقد قال بعض نحويى الكوفة (١) انها لغة بنى الحرث بن كعب ومن جاورهم يجعلون الاثنين فى رفعهما ونصبهما وخفضهما بالالف قال وذلك وان كان قليلا اقيس لان العرب قالوا مسلمون فجعلوا الواو وتابعة للضمة ثم قالوا

(١) راجع الجزء السادس عشر من تفسير الطبرى

رأيت المسلمين فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم . قالوا فلمارأوا الياء من الاثنين لا يمكنهم كسرماقبلها وثبت مفتوحا تركوا الالف تتبعه فقالوا رجلان فى كل حال . قال وقد اجتمعت العرب على اثبات الالف فى كلا الرجلين فى الرفع والنصب والخفض فمن هنا ترى ان لاثبات الف هذان مع « انّ » المشددة وجها مقبولا فقد قرئت بحرف الالف فى رواية اكثر قراء الامصار استصحابا لذلك الاصل الذى فشابين العرب غيره اذعلمت ان الشائع بين اكثر العرب نصب الاسم الذى بعد انّ بالياء اذا كان مثنى . فبقاء الف هذان يوافق قراءة تخفيف النون واحدى قراءات تشديدها التى هى القياس كمارأيت . امااذا رسمت هذين بالياء فاتت مطابقة رسم المصحف لقراءة التخفيف والاصل المهجور فى انّ المشددة وهذا واضح جلى لمن يعرفون اسرار التنزيل ووجوه قراءته. والنحاة عفاالله عنهم قدجمدوا على ماوضعوا من القواعد الجافة الجافية فباعدوا بين القرآن وبين رونقه البلاغى ومقاصده البالغة غاية درجات الذوق والكياسة

اماتوجيه المخالفة بين المعطوفات فى آية « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » وآية « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون » فاعلم ان للعرب مقاصد متغايرة فى وضع اجزاء الكلام على وتيرة واحدة او المخالفة بينها فى الاعراب والصياغة والاساليب البيانية ومن اظهر امثلة ذلك وشواهده فى لسانهم ابواب الاختصاص وتأكيد المدح بمايشبه الذم وعكسه وزيادة

بعض الحروف التى لم يقصد منها معنى وضعى مطابق وهلم جرا

ذلك ان المخاطب قد تسرد له الاشياء على نظام واحد فيقيس لاحقها بسابقها ويسوى فى حكمه بين تابعها ومتبوعها فاذا اريد تنبيه الذهن الى ان تلك الاشياء متفاوتة فى مراتبها من العناية مختلفة فى خصائصها ومزاياها وان اشتركت جميعها فى الحكم العام يجمل اتخاذ احدى الوسائل الموقظة للنفس الدافعة لها الى الشعور بما بين تلك الاشياء من التفاوت فى الخصائص والمزايا الذى هو من المقاصد البلاغية التى تتفاضل بها مراتب الكلام العربى وتتفاوت فيها اساليبه مما لو ترك واهمل لانقلب الكلام ابتر ناقصا خاليا من الرونق والجمال

وقد أرانا العرب فى مأثوراتهم كثيرا من الفنون والاساليب التى بها ينهضون الافكار وينبهون العقول الى مايرمون اليه من المآرب الدقيقة والنكت الرقيقة وان خالفت مايسمى بالقواعد الصناعية. فاهل الصناعة اللفظية لايستطيعون سوى ان يخرّجوا مايأتى به البلغاء من ضروب البيان واساليب البلاغة طبقاً لمقتضيات الاحوال وليس لأحد من النحاة المحرومين من ادراك أسرار البلاغة المنقطعين بأعرابهم عن مراتب الفصحاء ان يجعل مارسموه من القواعد والقوانين ميزانا تقدر به مراتب الكلام ويحكم على شئ منه بانه خطأ اوصواب دون ان يرجع الى مقاصد واضعه ويتدبر ماعناه باساليبه وافتنانه فى سبكه .

ولنضرب لك مثلا قوله تعالى « ان الذين آمنوا والذين هادوا

والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون » قصدت هذه الآية الرد على من قالوا « نحن ابناءالله واحباؤه » ومن قالوا « لن يدخل الجنة الامن كان هودا اونصارى » ومن قالوا « كونوا هودا اونصارى تهتدوا » ذلك ان اهل الكتاب من اليهود والنصارى لايرون نجاة احد من عذاب القيامة واستمتاعه بشئ من نعيم الجنة ولوآمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا حتى يكون يهوديا اونصرانيا ولما كان هذا مخالفا لدين الله القويم وحكمته العلية وانماهو من موضوعاتهم وقواعدهم التي رسمها لهم عنادهم وكفرهم وفرط تعصبهم لما نحلوه انفسهم من المذاهب الباطله ثم عموا أنه دين الله نزل به وحيه وبلغتهم اياه رسله نزلت تلك الآية في نقض مزاعمهم وتسفيه احلامهم مبينة ان رحمة الله وسعت كل شئ وانه ما كان لقوم ان يقسموا رحمة ربهم ولكن الله هو الوهاب لما يشاء المختص برحمته واحسانه من شاء من عباده ممن آمنوا به وصدقوا باليوم الآخر واقاموا الصالحات من الاعمال ولو كانوا من غير اليهود والنصارى . ولما كان الصابئون موضع توهم ان الله لايتوب على أحد منهم لانهم عبدوا النجوم ولم يعهد من امرهم أنهم كانوا يتأولون كما كان يتأول بعض مشركي العرب الذين كانوا يقولون في عبادة الاوثان والاصنام انهم ماعبدوها الا لتقربهم الى الله زلفى ، لهذا كله جاءت الآية لتوكيد الرد على أهل الكتاب والمبالغة في تسفيه مذاهبهم وتقبيح مقالاتهم فاقتضى ذلك لتنبيه

افكارهم وافكار من ساروا على سنتهم ان يخالف بين المعطوفات فى الاعراب لانهم اذا ماسمعوا هذا الاسلوب اجمعوا افكارهم ليبحثوا عن سر هذه المخالفة اللفظية حتى اذا انتهوا الى خاتمة الآية تبينوا أنهم خاطئون فيما زعموه وعرف الناس قاطبة ان رحمة الله ليست مما يقسمه اهل الكتاب وان جنته وناره ليسا معقودين بارادة احد من البشر ولا مقصورتين على طائفة من الناس دون أخرى . وزاد تلك الحجة توثقا وتأكيدا ان الصابئين الذين ماكان يتوهم اهل الكتاب شمول رحمة الله اياهم ولا خطر ببالهم ان الله يتوب على من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا قد ذكرتهم الآية الكريمة واسترعت اليهم اسماع اهل الكتاب وغيرهم بما خالفت بينهم وبين من سبقهم ومن وليهم فى الأحكام اللفظية التى كانت تقتضيها الصناعة اللفظية . فرفع « الصابئين » مع نصب سابقه وتاليه مدعاة الى تنبيه السامعين وتذكيرهم بان رحمة الله تشمل حتى الصابئين. وهذا الوضع من وجوه البلاغة ومطابقة الكلام لمقتضيات الاحوال وان خالف ذلك مقتضيات مايراه الجامدون من واجبات الصناعة اللفظية بل ان هذه المخالفة من مقتضيات الاحوال ومظاهر البلاغة وحسن البيان . اما عمل النحوى بعد صوغ الكلام مطابقا لمقتضيات الاحوال ومستوفيا شرائط حسن البيان فهو ان يعرب الكلمات اعرابا ويقدر لكل موضع ماقد يحذفه المتكلم او الكاتب للعلم به اولظهوره اونحو ذلك من الاسباب .

ففى آية « الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون » يقدر المحذوف

خبر الكلمة « الصابئون » المرفوعة على الابتداء بعد انقطاعها عن سلسلة المعطوفات . وفى آية « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » يكون كلمة « المقيمين » منصوبا بفعل محذوف تقديره أمدح مثلا وهلم جرا

ومما اسلفنا لك من البيان تعلم ان كتاب الله اجل وارفع من ان يتهجم عليه الجاهلون بأساليب العربية المحرومون من الذوق السليم والملكة الصحيحة فيقولوا ان فى القرآن لحناً ومخالفةً لقواعد اللغة. وتا لله لو فقهوا لما شغلوا انفسهم وقراطيسهم بكثير من السخافات ولا عرضوا افصح الكلام واحسن الحديث لمطاعن الكفار واهل الالحاد والعناد

هذا وقد عقد صاحب الاتقان (١) بابا خاصا مستوعبا جميع ما يتعلق برسوم الخط والكتابة طبقاً لما ورد فى المصحف الامام من القواعد العامة المطردة فى رسم المصحف وكذلك ما ورد غير تابع لقاعدة عامة من الحذف والزيادة ونحوهما . وقد افاض السيوطى فى هذا الباب وأتى فى كل موضع منه بالصواب

هذا وقد نقل السيوطى فى ذلك الباب عن الكرمانى فى العجائب ان صورة الفتحة فى الخطوط كانت قبل الخط العربى الفا وصورة الضمة واوا وصورة الكسرة ياء فكتب «لااوضعوا» ونحوه بالألف مكان الفتحة وايتاىء ذى القربى بالياء مكان الكسرة واؤلئك ونحوه بالواو مكان الضمة لقرب عهدهم بالخط الأول .

(١) جزء ثانى ، صفحة ١٩٦

ومن هنا ترى انه ليس فى القرآن شئ من التحريف حتى فى رسمه الخطى وانما هى أشياء قصدها الكتاب اماالمعان مقصودة منها اولأنها كانت متبعة فى بعض انواع النقش المعهود عند الكاتبين من العرب أيام نزل التنزيل على الرسول صلى الله عليه وسلم. ولعل فى هذا القدرغنى لمن يريدون ان يقولوا الحق والله يهدى السبيل

مما اسلفنا هنا يتبين كيف كان يخطئ الناس فى علوم القرآن ويتنكبون عن اجادة القويمة فى تقرير تاريخه ·ويكاد ينحصر منشأ خطأهم فى الاعتماد على المأثورات والاحاديث المروية المنتشرة على الالسن دون أن يكلفوا انفسهم عناء البحث فى أسانيدها ورجالها ولا النظر والتفكر فى متونها ومعانيها أمطابقة هى للمعقولات المسلمة ام منافرة لها . فتراهم اذا ارتأوا فى رجال الحديث مااصطلحوا عليه من شرائط الصحة قيدوا أنفسهم بذلك الحديث ووقفوا عند حدود حروفه وان خالف متنه المعقولات ونافر معناه الواقع . وحسب الطالب مثالا لذلك الحديث الذى زعم ابو عبيد انه مروى عن عائشة بسند صحيح على شرط الشيخين البخارى ومسلم فانه على مايقول ابو عبيد حديث صحيح لاعيب فى احد من رجاله ولكن متنه كما بينا آنفا غير صحيح ولا معقول

مبحث نزول القرآن على سبعة احرف كثر الكلام فيما يروى من الآثار فى امر نزول القرآن على سبعة احرف واطال شراح الحديث والكاتبون فى علوم القرآن فى بيان الاحرف وكيف نزل القرآن بها وهل

كلها منزلة بتوقيف من الله عزشأنه اوانها لهجات العرب ابيح لهم قراءة القرآن بها تيسيرا عليهم وتخفيفا عنهم ثم اختلفوا ايضا فى هل المراد بالاحرف القراءات المعروفة المروية عن أئمة القراءات المعروفين ؟ وقبل الخوض فى هذه التفاصيل يجمل ان نبين للقراء ماهو متن الحديث الذى ورد فى ذلك فنقول : قال الألوسى فى تفسيره (١) روى احدوعشرون صحابيا حديث نزول القرآن على سبعة أحرف حتى نص ابوعبيدة على تواتره ونقول نحن ورد فى البخارى عن ابن عباس ان النبي عليه السلام قال «اقرأنى جبريل القرآن على حرف فلم ازل استزيده حتى انتهى الى سبعة احرف »

تلك هى الآثار الصحيحة الواردة فى امر نزول القرآن على احرف سبعة وهناك مأثورات اخرى تدل على نزوله على ستة أحرف اوخمسة اوثلاثة .وليعلم معنى هذه الآثار يجب ان تنكشف للطالب معانى «حرف» الوارد فى عباراتها فاما الحرف فى اللغة فهو اما اللغة واما الجانب واما احد الحروف المعروفة وقد يفسر تجوزا بمعنى الوجه والكيفية.ومن ثمة كثر تأويل المتصدين لتفسير هذه الاحاديث فمن قائل انها القراءات السبع ومن قائل انها المحكم والمتشابه والعموم والخصوص والناسخ والمنسوخ والقصص ومن قائل انها الأمر والنهى والوعدوالوعيد والاباحة والارشاد وهناك من فسرها بانها كيفيات القراءات واساليبها من ادغام واظهار

(١) صفحة ٧ من الجزء الاول

وتفخيم وترقيق ومن قصر وتشديد وتخفيف وتليين وتحقيق وقيل المراد أشهر لغات العرب الى نحو ذلك من الآراء والتأويلات التى ليس لاكثرها وجه ولادليل سوى ان لفظ «حرف» الوارد فى تلك الاحاديث يحتملها بأصل وضعه. والذى نراه ان لفظ حرف وان احتمل جميع هذه المعانى من حيث وضعه اللغوى واستعمالاته العرفية قد جاء حديث البخارى فى بيان معناه بما ليس معه شك ولا مراء.

ان قول الرسول أقرأنى جبريل القرآن على حرف فلم ازل استزيده حتى انتهى الى سبعة أحرف ظاهر فى ان المراد منه اما اللغات المنتشرة فى العرب اذ ذاك واما الأوجه التى يقرأ بها القرآن الكريم ولكل وجه. اما التأويلات الاخرى التى ذهب الناس فيها تلك المذاهب واشباهها فليست مما يحتمله حديث البخارى وما جاء على شاكلته. يدلك على ذلك ما رواه الجماعة الا ابن ماجة والدارمى عن عمر بن الخطاب (١) قال سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة الرسول فاستمعت لقرأته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها الرسول فكدت اساوره فى الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأها قال اقرأنيها رسول الله فقلت كذبت فان الرسول اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به الى الرسول فقلت يارسول الله انى سمعت هذا يقرأ

(١) من كتاب المعتمد لابى القاسم اسماعيل بن محمد الاصفهانى المتوفى سنة ٥٣٥ هجرية

سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله أرسله . اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ فقال الرسول هكذا انزلت ثم قال النبي اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التى اقرأنى فقال رسول الله هكذا انزلت . ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منه .

فانظر كيف ينطق هذا الحديث بان المراد هو الاوجه التى قرئ بها القرآن مما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وجاء به الوحى تيسيرا على الناس وترويجا للكتاب الكريم حتى يعم سائر الاقطار العربية ولا يحرج الناس عن تلاوته الا بلغة قريش فقط فان ذلك يضيق من دائرة انتشاره ويقلل من عدد حفاظه ويصد غير قريش عن روايته الا اذا ارصدوا انفسهم على استظهاره وانقطعوا لتجويد تلاوته واتقان ادائه. لذلك اقتضت حكمة الحكيم العليم ان ينزل القرآن بلغة قريش ثم أباح لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يتصرف ويقرأه بالاوجه المختلفة التى يتيسر بها على المسلمين استظهاره ويتعمم فى الامم نشره ونفعه

وليعلم انه ليس المراد ما زعمته طائفة من ان معنى الاحاديث ان القرآن تجوز تلاوته بشئ من لغات العرب وان لم تثبت روايتها عن النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك ما لم يقل به احد من المحصلين اهل العلم فان الكتاب الكريم انما ثبت بالروايات الصحيحة الثابتة آياته وسوره وكلماته وحروفه فليس لاحد ان يقرأه بشئ من الاوجه والطرق الا بعد ثبوته عن الرسول عليه السلام فالمدار فى صحة تلاوة القرآن وتجويز أدائه باية كيفية انما هو على الرواية

الصحيحة عن الرسول والا فما كان لاحد ان يعدل عما ثبت صحيحا الامر اءفيه الى قراءة القرآن بشيء من لغات العرب ولو كانت من اللغات الفصيحة .

ومما يجب التنبه له هنا انه قد يلتبس الامر على أناس فيحسبون ان المراد بالاحرف السبعة الواردة فى تلك الاحاديث هى القراءات السبعة المشهورة وقد خطأ هذا الظن كثير من علماء القرآن قال ابو شامة ظن قوم ان القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت بالحديث وهو خلاف اجماع اهل العلم قاطبة وانما يظن ذلك بعض اهل الجهل . وقال ابو بكر بن العربى وغيره ليست هذه السبعة متعينة للجواز حتى لايجوز غيرها . وقال مكى من ظن ان قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هى من الاحرف السبعة التى فى الحديث فقد غلط غلطا عظيما قال ويلزم من هذا ايضا ان ماخرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الائمة غيرهم ووافق خط المصحف الايكون قرآنا وهذا غلط عظيم فان الذين صنفوا القراءات من الائمة المتقدمين كابى عبيد القاسم بن سلام وابى هاشم السجستانى وابى جعفر الطبرى واسماعيل القاضى قد ذكروا اضعاف هؤلاء وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة ابى عمرو يعقوب وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم وبالشام على قراءة ابن عامر وبمكة على قراءة ابن كثير وبالمدينة على قراءة نافع واستمروا على ذلك فلما كان رأس الثلثمائة اثبت ابن مجاهد اسم الكسائى وحذف يعقوب قال والسبب فى الاقتصار على السبعة مع ان فى أئمة القراء من هو اجل منهم قدرا

اوبثلاثم اكثر من عددهم. ان الرواة عن الائمة كثيرون جدا فلما تقاصرت الهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به فنظروا الى من اشتهر بالثقة والامانة وطول العمر فى ملازمة القراءة به والاتقان على الأخذ عنه فافردوا من كل مصر اماما واحدا ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به كقراءة يعقوب وابى جعفر وشيبة وغيرهم .

وقال القراب فى الشافى التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه اثر ولا سنة وانما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر وأوهم انه لا تجوز الزيادة على ذلك وذلك لم يقل به احد

ونقل فى الاتقان عن الامام ابن الجزرى ان كل قراءة وافقت العربية ووافقت احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هى من الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الائمة السبعة ام عن العشرة ام عن غيرهم من الأئمة المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الاركان الثلاثة اطلق عليها ضعيفة اوشاذة اوباطلة (الى ان قال) وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن احد منهم خلافه .

قال السيوطى فى الاتقان اتقن ابن الجزرى هذا الفصل جدا وتحرر لى منه ان القراءات انواع (الاول) المتواتر وهو ما نقله جمع لا

يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم الى منتهاه وغالب القراءة كذلك (الثانى) المشهور وهو ماصح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر ووافق العربية والرسم واشتهر عند القراء فلم يعد من الغلط ولا من الشذوذ ومثاله مااختلفت الطرق فى نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض (الثالث) الآحاد وهو ماصح سنده وخالف الرسم او العربية اولم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به (الرابع) الشاذ وهو مالم يصح سنده (الخامس) الموضوع اى المكذوب كقراءات الخزاعى ثم قال وظهر لى سادس وهو مازيد فى القراءات على وجه التفسير كقراءة ابن الزبير ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما اصابهم وكقراءة ابن عباس ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج ثم روى عن ابن الجزرى فى آخر كلامه قوله وربما كانوا يدخلون التفسير فى القراءات ايضاحا وبيانا لانهم محققون لما تلقوه عن النبي قرآنا فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه. ونقل بعد ذلك (١) عن الزركشى فى البرهان ان القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والاعجاز والقراءات اختلاف الفاظ الوحى المذكور فى الحروف او كيفيتها من تشديد وتخفيف وغيرها .

(١) الاتقان . جزء اول صفحه ١٠٠

ومما اسلفنا يظهر لك انه ليس المراد بنزول القرآن على سبعة احرف ما زعمه بعضهم من ان المراد بها القراءات السبع المشهورة المروية عن نافع وابن كثير وابى عمرو البصرى وابن عامر الدمشـق وعاصم وحمزة والكسائى فان هنالك قراءات اخرى لا تقل عن قراءة هؤلاء صحة وفصاحة على انه لم يتم الاجماع على ان القراءات السبع هى المعزوة الى أولئك الرجال دون غيرهم فان من علمـاء القراءات من اغفل الكسائى ووضع يعقوب بدله

على اننا نجد أولئك السبعة قد روى عنهم تلاميذهم حروفا تختلف فى الجملة بعضها عن بعض فمنهم من روى عنه اثنان ومنهم من روى عنه اكثر من اثنين . وقد احصت كتب القراءات مواطن الخلاف بين القراءات السبع وكذا ما بين الروايات المختلفة التى رويت عن رجالها المتقدمى الذكر وتوارثتها الطبقات التالية لهم .

فالقراءات السـبع كما رأيت وان عزيت الى أولئك الرجال لا نزال نجد القراءة الواحدة يرويها عن صاحبها تلاميذه فلا تسـلم رواياتهم عنه من وقوع شئ من الاختلاف بينها ولنضرب لذلك مثلا حفصا وشعبة تلميذى عاصم فاننا نجد شعبة يميل الالف فى اكثر مواضعها من القرآن بخلاف قرينه حفص فانه لا يميلها الا فى كلمـة « مجراها » من آية « وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها »

ولقد تتفق طائفة من القراءات السـبع دون غيرها فى كلمة تماصم

وحمزة والكسائى من الكوفيين يقرأون « تساءلون» بتخفيف السين دون غيرهم من رجال السبع فانهم يقرأونها مشددة وكما يقرأ حمزة والكسائى كلمة الرشد (اعراف) بفتح الراء والشين بخلاف غيرهما وكانفراد ابى عمرو البصرى فى قراءة «الرشد» فى الكهف بفتحتين والخلاصة ان القراءات المروية عن أئمة القرآن الكريم ليست متباينة ولا متفقة من كل الوجوه بل بينها مواضع اتفاق ومواطن اختلاف وقد تختلف حروف تلاميذ الشيخ الواحد بعض الشئ حتى ان حرف تلميذ من تلاميذ احد الشيوخ السبعة قد يطابق حرف غير شيخه الذى روى عنه كما طابق حفص الدورى فى الامالة حمزة احد السبعة على انه من تلاميذ الكسائى قرين حمزة

وخاتمة القول ان القراء سواء كانوا رجال السبع المذكورين اوغيرهم ممن استقصى علماء القراءات احكامهم وحروفهم قد اختلفوا فى مواطن من القرآن وقد علمت مما ذكرنا آنفا انه قد يقع الاختلاف بين القراء فى حروف معدودة اوهيئات محدودة

وقد حصر علماء القراءات الابواب التى وقع فيها الاختلاف بين القراء فيما يلى :

(١) التشديد والتخفيف

(٢) المد والقصر

(٣) الادغام والاظهار

(٤) النقل والترك

(٥) التحقيق والتسهيل

(٦) تناوب الحركات كالفتح والكسر وكالخفض والنصب وكالجزم والرفع وكالضم والفتح

(٧) الأمالة والتقليل والفتح

فهذه كما رأيت هي الأوجه السبعة التي هي مظاهر اختلاف القراءات ومناشئها فبينا يقرأ حرف بالتشديد نجده ورد ايضا بالتخفيف وقد يقرأه أحد الشيوخ بالتشديد في موطن وبالتخفيف في موضع آخر. وكذلك القول في المد والقصر والأدغام والاظهار وهلم جرا. ومن ثم لم تحصر القراءات في السبع المشهورة بل ولم يقتصر على كل شيخ من شيوخ السبع رواية واحدة كما رأيت آنفا بل كثر الرواة وتعددت الروايات بيد أنها على كثرتها ووفرتها لا تخرج وجوه الاختلاف بينها عن الأبواب السبعة التي اسلفنا

ولو كان المراد بالاحرف السبع هي القراءات السبع للزم كما قال مكى الا يكون من القرآن ما خالف السبع مما ثبت عن غيرهم ووافق خط المصحف وهذا خطأ عظيم فان الذين صنفوا في القراءات من الأئمة المتقدمين (١) كابى عبيد وابى حاتم السجستاني وابى جعفر الطبري واسماعيل القاضي قد ذكروا اضعاف هؤلاء .

---

(١) راجع صفحة ١٠١ من الجزء الاول من الاتقان

هذا ماهدانا الله اليه فى فهم احاديث هذا الباب والله ولى الصواب

واعلم ان من الخطأ الذى لا يليق بمقام الرسالة، والهذيان الذى لا يلائم المنزلة البلاغية التى اختص الله بها محمد بن عبدالله الذى نبت من قريش وتربى فى بنى سعد اقوالا وردت لمن بحثوا فى احاديث هذا الباب وأصروا على ماحملوها من التأويلات الحمقاء التى لو فطنوا قليلا لادركوا مبلغ منافرتها للصواب وايذائها لسيد من نطق بالضاد من العرب وان شئت ان نلمع الى شىء منها فمنهم من زعم ان العدد فى نزول القرآن على سبعة أحرف ليس له مفهوم. وفات هؤلاء ان حديث البخارى الذى رويناه آنفا (١) صريح فى ارادة العدد . ومنهم من زعم ان هذه الاحاديث من المتشابه الذى نؤمن به وان لم ندرك معناه . وهلم جرا فتدبر ماقلنا واحذر ان يصيبك مس من تلك المنكرات

خاتمة فى تناسب الآيات

كتب كثير من كتاب اروبا فى أمر القرآن الكريم وترتيب سوره وآياته ومثلوه للابصار كأنه مجموعة حقائق ومواعظ واحكام وامثال غير متناسبة فى الوضع ولا متجاذبة فى الترتيب ومما زاد هذه الاراجيف انتشارا ورسوخا بين العامة من الناس ان طائفة من اهل اروبا (المستشرقين) ممن يزعمون انهم احاطوا علما بأسرار اللغة العربية ودرسوا ماالف بها من الكتب الشرعية وغيرها قد يضللون العقول بما يرجفون ويفترون على الله الكذب وهم يعلمون .

---

(١) راجع صفحة ١٠١١

ولما لهذه الطائفة فى اوروبا وغيرها من المنزلة الرفيعة والمكانة السامية باستحقاق اوبغير استحقاق انقاداليهم العامة بل وزمرة من الخاصة فاعتقدوا اراجيفهم وصدقوا اوهامهم حتى اننا لنراهم يروونها متبجحين وينشرونها ولو طعنا فى القرآن والدين . ولو ان هؤلاء عرفوا ضيق عطن أولئك المستشرقين وضآلة علمهم بلغة القرآن وابتعادهم عن مراتب العلماء القديرين على استنباط أسرار القرآن الكريم وتعرف محاسنه اولو عرفوا ان أولئك المستشرقين اعجز من ان يعثروا على ما فى كلام عامة العرب من مواطن الزلل فضلا عن كلام الله الذى نزل بافصح لغة على افصح لسان من قريش ثم تلقته بالاجلال والخضوع فطاحل الشعراء والخطباء الذين سجلت لهم اسواق العرب السبق والتبريز ودانت الأمم العربية فى البلاغة لاحكامهم ورويت فى مشارق الارض ومغاربها اشعارهم وحكمهم وأمثالهم وأشباهها من سائر مأثوراتهم ، لو عرفوا شيئا من ذلك لما تلقوا أوهامهم بالتسليم ولا اقتفوا آثارهم عميا مقلدين ولا يقنوا ان الكتاب الذى عجز عن محاكاته أعظم خطباء العرب وشعرائهم فى زمن لم تفسد فيه الملكة اللسانية ولم يقصر فيه عن درجة الكمال ذلك الذوق الفطرى السليم لأبعد من ان يشخص اليه بابصارهم أولئك الاعاجم من المستشرقين ثم من حذا حذوهم من مستعجمة المولدين

هذا ورغبة فى تبصرة الطلاب وهدايتهم يجمل ان نقتطف هنا كلمات

جاءت لمن كتب فى هذا الباب من فطاحل العلماء وعسى ان نوفق فى غير هذا الموضع الوجيز لاستيعاب توجيه جميع مازعم أولئك الجاهلون انه جاء على غير تنسيق مقبول ولا ترتيب معقول فان هذه العجالة لاتحتمل استقصاء اطراف هذا الباب فنقول

نص السيوطى فى الاتقان على ان الاستاذ ابا جعفر بن الزبير قد وضع فى مناسبة الآيات والسور كتابا سماه البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن ثم قال ان الشيخ برهان الدين البقاعى وضع فى ذلك كتابا سماه نظم الدرر فى تناسب الآى والسور

وممن ألف فى هذا الموضوع الشيخ السيوطى فله كتاب اسرار التنزيل ولخصه فى مختصر سماه تناسق الدرر فى تناسب السور ومعلوم ان اولئك الافاضل قد أبانوا جميع مابين آى كل سورة من المناسبة والارتباط ولم يكادوا يغفلون شيئا منها . ومن اطلع على كتبهم وماأودعوها من التوجيهات وعقد الاتصال بين الآيات سهل عليه ان يدرك كيف ضل أولئك المحرومون من الذوق العربى المطبوعون على العجمة المنقطعون عن مواطن البلاغة ومآرب البلغاء . قال الشيخ ولى الدين الملوى « قد وهم من قال لايطلب للآى الكريمة مناسبة لانها على حسب الوقائع المتفرقه . وفصل الخطاب انها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا »

وقد سبق لنا آنفا فى بيان كيفية ترتيب الآيات ووضعها فى مواطنها من السور ان الرسول كان اذا انزلت عليه الآية أمر ان تلحق بسورة كذا

من القرآن مبينا موقعها من آيات تلك السورة. فلم يكن نزول الآيات الا للمقتضيات المعروفة بأسباب التنزيل فهى كانت تنزل لاسباب مختلفة فى اغراض متنوعة ومقاصد متغايرة ولكنها كانت تلحق بمواطنها من الكتاب الكريم على النحو المعروف اليوم فى التلاوه (١)

قال الشيخ ولى الدين الملوى « والذين ينبغى فى كل آية ان يبحث اول كل شئ عن كونها مكملة لماقبلها اومستقلة ثم المستقلة ماوجه مناسبتها لماقبلها ففى ذلك علم جم »

وقال السيوطى المناسبة فى اللغة المشاكلة و المقاربة ومرجعها فى الآيات ونحوها الى معنى رابط بينها عام اوخاص عقلى اوحسى اوخيالى اوغير ذلك من انواع العلاقات او التلازم الذهنى كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه . وفائدته جعل اجزاء الكلام بعضها آخذا باعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التآلف حاله حال البناء المحكم المتلائم الاجزاء فنقول ذكر الآية بعد الأخرى اماان يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالاولى فواضح. وكذلك اذا كانت الثانية للاولى على وجه التأكيد او التفسير او الاعتراض او البدل. وهذا القسم لاكلام فيه. واما الا يظهر الارتباط بل يظهر ان كل جملة مستقلة عن الاخرى وانها خلاف النوع المبدوء به فا ماان تكون معطوفة على الاولى بحرف من

(١) وقع فى العبارة المذكورة فى باب كيفية نزول القرآن تحريف يمكن فهمه مقرونا بما ذكرناه هنا

حروف العطف المشتركة فى الحكم اولا فان كانت معطوفة فلا بد ان يكون بينها جهة جامعة (كالتضاد وشبه التضاد) وقد جرت عادة القرآن اذا ذكر احكاما ذكر بعدها وعدا اووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهى . فان لم تكن الآية معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهى قرائن معنوية تؤذن بالربط وله اسباب احدها التنظير فان الحاق النظير بالنظير من الشئون المعقولة كقوله « كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون » بعد قوله « أولئك هم المؤمنون حقا » فانه تعالى امر رسوله ان يمضى لامره فى الغنائم على كره من اصحابه كما مضى لامره فى خروجه من بيته لطلب العير او للقتال وهم له كارهون . والغرض ان كراهتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج وقد تبين فى الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الاسلام فكذا يكونون فيما فعله فى القسمة فليطيعوا ما امروا به ويتركوا هوى انفسهم .

ومن اوجه الارتباط بين الجمل او القصص ما يسمى بالجامع الوهمى لانه ليس فى الواقع بجامع حقيقى ناجم عن تناسب وتلاحم بينها وانما هو التضاد او شبه التضاد يجمع فى الذهن بين الاشياء المتضادة كالسواد والبياض والموت والحياة أو الاشياء المتقابلة كالسماء والارض بمقدار ما بينها من التباعد فى الخارج . ولا جرم ان حضور شىء فى الذهن اذ ذاك حتى عند علماء الذهن من اسباب رسوخ المعنى فى نفس الطالب ذكره

الى العرب

بيان

للأمة العربية

عن

حزب اللامركزية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على النبي العربيّ الكريم

وبعد فانه مازال التنافس من شأن النفوس البشرية ينافس الاخ اخاه وكلاهما ابن عمه والبطن الواحد من العشيرة البطن الآخر والقبيلة الواحدة القبيلة الثانية وهما من شعب واحد وارومة فردة وعلى مذهب جامع والى غاية غير مختلفة وقد امتازت الامة العربية وهي امة واحدة بين جميع الامم بالغلوّ في العصبيّات والتمسك بالكلالات فهي تجعل هذا الامر فوق كل امر وتجد من غضبها لانسابها وحميتها لاصولها مالا تجده في امة اخرى من الامم الشرقية ولا الغربية وماتجد الغارات لاجلهم متصلة والثارات غير نائمة لحظة الى يومنا هذا فهذه سنة الله في خلقه على تفاوت في درجات التمكن غلب سلطانها على الامم البادية ولم تخلص من تأثيرها الامم الحاضرة بل المتمدنة الراقية فترى في اوربا اشدّ المناظرات بين اقسام الشعب الواحد الذى تجمعه جامعة وحيدة ويظلّله لواء فرد نظير الممالك الالمانية ونظير النمسا والمجر ونظير غيرها من الممالك التي تنطوى احشاؤها على نزاع كثير ولا يأخذ بحجزاتها عن اعلان الانفصال سوى الخوف من شر اعظم والاستهداف لسهم انفذ بل تجد الدول العظام التي بينها من الاحن القديمة العصور والحزازات المتراكمة في الصدور مالا يكاد يسعه التاريخ قد سيقت الى الاتحاد من جهة حفظا للتوازن الذى هو اقوى شرط للسلام ودفعاً لتسلط الراجح على المرجوح وهي في الواقع ماشية في ذلك على حد قول القائل من شعراء الحماسة

وذوى ضباب مضمرين عداوة	قرحى القلوب معاودى الافناد
ناسيتهم بغضاءهم وتركتهم	وهم اذا ذكر الصديق اعادى
كيما اعدّهم لابعد منهم	ولقد يجاء الى ذوى الاحقاد

ولقد وجدت السلطنة العثمانية اكثر الممالك اجناساً واحصاها طوائف واغربها عناصر وفيها العرب والترك والكرد واللاز والارناووط والروم والارمن واليهود وغيرها وكل من هذه الشعوب قائم بنفسه مستقل بلغته حافظ لقديمه متمسك باحاديثه وتواريخه لم تكن الدولة العلية ايدها الله لترجحه فى شئ من جهة قوميته ولم يعهد ان دولة بلغت مدى هذه الدولة من جهة اعطا الحرية للاديان والالسنة حتى جعل كثير من علماء الاجتماع ذلك هو السبب فى كثرة مشكلاتها وتوالى فتوقها ومانهك قواها من مصائبها .

وبديهى ان اختلاف الاديان واللغات وافتراق الاصول والاجناس هما مما يورث المناظرات والمنافسات ويقف حائلاً دون الالتحام التام والالتئام الذى يكمل به النظام ومما يوجد الوحشة بين القلوب ويمنع أنسة الاجناس بعضها ببعض فلذلك طرا على عصبية الدولة العثمانية من الوهن وداخلها من الاسترسال ماتظهر لنا آثاره يوماً بعد يوم وما لو كان فى مملكة اخرى لانحل نظامها وانتثر سلكها ودخلت فى خبر كان منذ ازمان ولكن الذى نسأ فى اجل الدولة العثمانية مع ماهى مصابة به من امراض الداخل ومحاطة به من دسائس الخارج هو كون مادتها الكبرى هى الاسلام وان المسلمين مهما افترقت اجناسهم وتباينت لهجاتهم يجمعهم الدين جمعاً لايجمع امة غيرهم ويزيل من الفروق العميقة والأبعاد السحيقة بينهم مالايزيله شئ سواه وان المسلم العربى يرى المسلم التركى والمسلم الارناووطى اخاًله نظير اخيه العربى بدون فرق عملاً بحكم الكتاب الذى نزل فيه (انما المؤمنون اخوة) واقتداء بسنة الشارع الاعظم صلى الله عليه وسلم القائل: ترى المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كالجسم الواحد اذا تألم منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . .

وكذلك غلبت العصبية الدينية فى الاسلام على كل عصبية سواها وطمستها فلا تكاد تجد لغيرها اثراً بين المسلمين لأن هذه الشريعة السماوية وان جاء بها اعرب العرب ونزل كتابها بافصح لغات العرب هى شريعة عامة مبنية على المساواة التامة وبعيدة عن الاثرة الجنسية وصاحبها يقول : ليس منا من دعا الى عصبية . ويقول ايضا : انما بعثت الى الاحمر والاسود . ولو كان فى الاسلام ادنى اثر للاثرة الجنسية ماانتشرت شريعته فى الارض ولا اتبعها الاحمر والاسود ولاضربت من المشرق الى المغرب حتى ولا اجتمع عليها العرب انفسهم الذين هم قبيلان كبيران متناظران متنافسان قحطان وعدنان فان الاثرة الجنسية كان يمكن ان تلقى العداوة لقحطان على

عدنان بمكان هذه من قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وكونه من سرة بطحاء قريش والعرب اشد الناس حمية للعصبيات فلا يعقل ان تطيعه العرب باجمعها لو لم يكن نبياً مرسلاً الى الكافة ناشراً دعوة المساوات صادعاً بآية (انا كرمكم عندالله اتقاكم) ولو لم يكن نزل عليه من ربه (ماكان محمد اباحد من رجالكم ولكن رسول الله)

فكون الشريعة المحمدية السمحاء شريعة عامة للبشر مبنية على اتم المساواة سائرة في امور الدنيا على قاعدة العدل الذى يوفر لكل احد حقه بدون نظر الى اصله وفصله وللآخرة على قاعدة تقوى الله تعالى الذى يحاسبهم باعمالهم يوم لا انساب بينهم ولا يتساآلون هو الخصلة الكبرى التي نشرت هذه الشريعة في مشارق الارض ومغاربها حتى دان بها الى يومنا هذا اكثر من ثلاثمائه مليون نسمة من بنى آدم لا يعلم الواحد منهم نفسه مسلماً حتى يرى نفسه متحققاً باخوة محكمة متينة العرى تربطه بهؤلاء الثلاثمائة مليون من اصناف السلائل البيضاء والسوداء والصفراء يشعر شعورهم في السراء والضراء ويشاطرهم وجدانهم في الشدة والرخاء وهذا المبدأ المقدس هو الذى في صدر الاسلام جمع هذه الامة العربية مع اغراقها في تقديس عصبياتها واطاعتها دواعى احقادها على كلمة واحدة خرجوا بها من هاتيك الجزيرة القاحلة ففتحوا الاقطار ودوخوا الامصار وملكوا ماوراء البحار ووطئوا مناكب الملوك الكبار وثلوا عروش كسرى وخاقان وقيصر وورثوا اراضى العجم والعرب والزنج والبربر ولولم تتلاش العصبية الجنسية بالعصبية الدينية لبقى العرب محصورين في جزيرتهم لا تعلم بهم الامم ولا يذكرهم التاريخ الالماماً ولكانوا الى يومنا طرائق بدداً خضعاً رقابهم لعدو يأتيهم من طرف العراق باسم كسرى ومن طرف الشام باسم قيصر فقد ذكر المؤرخون ومن جملتهم ابن الاثير الجزرى ان العرب لما قصدوا بلاد الفرس بعد الاسلام مازالت الفرس تقول لهم عند محاوراتهم ومراسلاتهم في حروبهم كنتم اقل الامم واذلها واحقرها ثم انه لما ملكت الحبشة اليمن وهزموا اذانواس ملكها قتلوا ثلث رجالها وارسلوا ثلث سباياهم الى النجاشى ولما اختلف ارياط قائد جيس الحبشة مع ابرهة الاشرم الحبشى وتبارزا وحمل عتودة غلام ابرهة على ارياط فقتله قال له ابرهة احتكم فقال لاتدخل عروس على زوجها من اليمن حتى اصيبها قبله قال ابن الاثير فبقى يفعل بهم هذا الفعل حينا ثم عدا عليه انسان من اليمن فقتله واخيراً لما لم يقدر العرب على دفع الحبشة عن اليمن وفدوا على كسرى انوشروان

يستنصرونه على الاحباش ويطمعونه فى ملك اليمن وكثرة مالها فاعتذر لهم بصعوبة المسالك ولما وفد النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند ودارت المفاخرة بين الامم قال كسرى يا نعمان لقد فكرت فى امر العرب وغيرهم من الامم فوجدت الروم لها حظ فى اجتماع الفتها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها وان لها ديناً يبين حلالها وحرامها ويرد سفيهها ورأيت الهند نحواً من ذلك فى حكمتها وطبها مع كثرة انهار بلادها وثمارها وعجيب صناعاتها وكذلك الصين فى اجتماعها وكثرة صناعات ايديها وفروسيتها وهمتها فى آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها ملكاً يجمعها والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال فى المعاش وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيهم وتدبر امرهم ولم ار للعرب شيئاً (الى ان يقول) ماخلا هذه التنوفية التى اسس جدى اجتماعها ومنعها من عدوها وان لها مع ذلك آثاراً ولبوساً وقرى وحصوناً تشبه بعض امور الناس يعنى اليمن الى آخر ما قال فاجابه النعمان عن كل ذلك وقال له عن مسئلة تحارب العرب واكل بعضها بعضاً انه يكون فى المملكة العظيمة اهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون امورهم وينقادون لهم بازمتهم واما العرب فان ذلك كثر فيهم حتى لقد حاولوا ان يكونوا ملوكاً اجمعين مع انفتهم من اداء الخراج واما اليمن التى وصفها الملك فلما اتى الى جد الملك من اتاه من اليمن عند غلبة الحبشة له على ملك متسق وامر مجتمع فاتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً ولولا ماوتر به من يليه من العرب لمال الى مجال ولوجد من يجيد الطعان ويغضب للاحرار من غلبة العبيد الاشرار انتهى. ومن مثل هذا يظهر ماكان من تفرق امر العرب قبل الاسلام وتغلب الامم عليهم ولم يكن مقصدنا من نقل هذه الامور تصغير شأن العرب الذين نفتخر بكوننا منهم ونعتقد انهم خير امة أخرجت للناس نسباً وحسباً وصفاء قريحة ووفاء سجية وعلو همة ولكن قصدنا ان نظهر درجة ما ابرز الاسلام من معادنهم النجيبة التى كانت محجوبة بظلمات الجاهلية وانه نقلهم من الحضيض الاوهد الى السنام الامجد وانه لولا الاسلام لبقوا ممزقين كل ممزّق وحقاً لولا اتساع فلواتهم الضاربة فى شمالى جزيرتهم بالمفاوز والسباسب والمتصلة الى باطن بلادهم بالمعاطش والمجادب لكانوا قد اصبحوا تحت استيلاء الامم المجاورة لهم وكانوا ضربوا عليهم الذل والمسكنة كما ملك الحبشة السود اليمن وهو اعمر اقليم لهم واقدمه ملكاً واحصن بلادهم موقعاً واصعبها مرتقى فبعد ان كان مثل الاحابش من سود افريقية يغزون العرب فى عقر

دارهم ويقوّمون في وسط اوطانهم من صعارهم ويهدّدون كعبتهم بفيلتهم ذلك بعدم انتظام كلمتهم وبتفرق اهوائهم جاء الاسلام فجعلهم بوحدته الدينية وبنهيه عن العصبية امّةً واحدة وكتلةً فردةً اندمج فيها المصريّ باليمانيّ وامتزج القحطانيّ بالعدنانيّ فكانت اعراف السعد ذالةً لهم ومناكب المجد موطّأة لاقدامهم وابواب الفتوح مشرعةً امامهم وصارت الامم الحاكمة عليهم خولاً لهم واتباعاً واصبح الحبش لهم عبيداً ولما ضعفت فيهم الملكة الدينية وبعد عهدهم بعصر النبوة وبخلافة الراشدين عادت تحيي فيهم عصبيات الجاهلية وتجدد مناظرات القيسية مع اليمانية حتى عاد بدرهم عرجوناً ورجع كوكبهم نوراً ضئيلاً ومع هذا فان الاسلام كان اثر تأثيره في العالمين ودخلت فيه الامم افواجاً ووجدوا في شريعته من آثار عدم الايثار مازادهم فيه رغبة وعليه اقبالاً فلما ضعف العرب بتشظي عصاهم عن الاستقلال بحمايته قام مقامهم الترك والديلم والجركس والعجم وغيرهم من الامم فلم يكن لعربي ان يعترض على خضوع المسلمين حتى العرب منهم لسلطان من غيرهم مادام قائماً بامر الاسلام حافظاً لحدود شريعة سيد الانام وكانت في الاسلام منذ القرون الاولى دول في الشرق كالدولة البويهية والدولة السامانية والدولة الغزنوية والدولة السلجوقية والدولة الايوبية قد فتحوا الفتوحات ونشروا كلمة التوحيد في قاصية الارض ووقف كثير منهم مواقف الخلفاء الراشدين والائمة والمهديين وكذلك في الغرب قامت دولة المرابطين العريقة في البربرية فكان لها من الاثر في الذب عن بيضة الملة والنشر لكلمة الاسلام في المغرب والاندلس مالا يحتاج الى بيان في مثل هذه العجالة ولولم تكن عصبية العرب الدينية هي الغالبة ولوكان قد قام العرب ينافسون ابن سلجوق لكونه تركياً وابن ايوب لكونه كردياً وابن تاشفين لكونه بربرياً واوصى علماؤهم بخلع طاعة هؤلاء الملوك لمخالفتهم لهم في الجنس اوسمحوا بنقض بيعتهم اوقيل لاهالي مصر والشام مالكم تطيعون هذا الكرديّ وانتم عرب وهو ليس منكم ولا ممن يفتخر بقحطان بل ممن يعتز بالاسلام لكان وقع الخلف وتفرقت الكلمة ولكان الافرنج اخذوا جميع بلاد الاسلام وغير الافرنج اخذ الباقي وصيروا المسلمين خولاً وطمسوا معالم الاسلام من كل بقاع الارض، وصارت هذه الامة اثراً بعد عين وربما قال بعض اولئك الذين نعلم ماهي مبادئهم وماذا هناك من المصيبة بزوال الاسلام وسيبقى لنا قحطان وما اشبه ذلك من الاقاويل فعندها نقول لهؤلاء نحن انما نتكلم مع من يريد ان يبقى مسلماً فاما الذين يقولون علناً اننا نحن نفضل عربيتنا

على الاسلام واننا نحن عرب فى الدرجة الاولى ومسلمون فى الدرجة الثانية كما اخذ يشيع ويذيع الآن ولوكان ذلك القول خلافاً للشرع فلاكلام لنا معهم حينئذ وان اردنا ان نجود عليهم بجواب قلنا لهم انه لولا اولئك الملوك الذين اسلموا من الترك وسائر الاعاجم لم يكن فقط سقط الاسلام بل لسقط قحطان نفسه الذى تفتخرون به واصبح من ينتمى اليه اذل من النقد نقول لهم ذلك ولوثقل عليهم الامر لأن الحقيقة مقدّمة على كل شئ والحق من ربك فلاتكونن من الممترين

لوقال عرب الاندلس اصح العرب الطارئين على الآفاق نسباً للمعتمد بن عباد صاحب اشبيلة مالك تستصرخ ذلك البربرىّ الذى لايفقه من العربية حديثاً وهو اذا ملك الاندلس انتزع من يدك ملكك واطاعهم ابن عباد فى هذا القول لما كان ظهر المسلمون فى وقعة الزلاقة ذلك الظهور الهائل ولما تأخر اخراج المسلمين من الاندلس مئات من السنين ولكن ابن عباد العربىّ القحطانىّ اللخمىّ اليمانىّ آثر دينه على دنياه وفضل ان يأخذ بلاده البربر وهم مسلمون على ان يبقى هو تحت سيطرة الافرنج ولوملكاً وقال : فان كنت مأ كولاً فكن انت اكلى . وروى عنه تلك الجملة السائرة عندما نبهوه الى مايخشى عليه من ذهاب ملكه لو استصرخ افريقية وهى: رعى الجمال خير من رعى الخنازير

بلغت الوحدة الدينية بالمسلمين ان التتار الذين خربوا جميع بلاد الاسلام فى المشرق عندما دخلت ملوكهم فى الاسلام اطاعوهم حالاً اطاعتهم للائمة من قريش بناءً على كون الاسلام يجب ماقبله كما لايخفى وانه كان يأتى المملوك الذى اصله جركسى بل رومىّ اوارمنىّ فينشأ فى الاسلام ويقربه مولاه ويقدمه حتى يصير وزيراً ثم اذا مات مولاه بدون عقب بويع مكانه سلطاناً فكان من هؤلاء المماليك دول عظيمة ونبغ منهم اعاظم الرجال ولاسيما فى مصر كالظاهر بيبرس وابن قلاوون وغيرهما ممن لهم الآثار الباهرة فى احياء المدنية والمواقف الجليلة فى دفع الاعداء عن بلاد الاسلام وحسبك انهم رضوا بامارة كافور الاخشيدىّ وهو خصىّ اسود من ابناء حام ولم تثقل عليهم امارته مادام قائماً بامر الدين ذلك عملاً بمبدأ المساواة المطلقة الذى وضعه القرآن الكريم واقتضاءً لسياسة نبينا صلى الله عليه وسلم : اطيعوا من وُلّىَ عليكم ولو عبداً حبشياً رأسه زبيبة وبالجملة فلم يدر فى خلد احد ان يخلع بيعة هؤلاء الملوك الذين كانوا مماليك والذين اصل كثير منهم اما من الروم اومن الارمن ماداموا قد نشأوا فى حجر الايمان وشبوا على خدمة هذه الدعوة فكانت العرب

تنقـادلهم انقيادها لساداتها وامرائها وتحوطبهم شملها وتصـل حبلها لالجهلها بانسـابهم و اصولهم بل لأن الاسـلام محا كل عصبية جنسـية من اهله وقام هو مقامها

اذا كان هذا شأن الملوك من ابناء المماليك الذين لايعرف لهم اصل ولامنبت اسـلة فما قولك بأسرة آل عثمان اقدم اسرة مالكة فى هذا العصر وهى التى حاطت الاسلام منذ ستمائة سنة وقامت بدفع دول اوربا عن المشرق باسره منفردةً بنفسها قد اتفق عليها دول النصرانية تسعاً واربعين مرةً مثنى وثلاث ورباع وخماس وكان العجم فى ايام الدولة الصفوية ومن بعدهم يهاجمونها من الوراء عند كل حرب صليبية تصليها عليها اوربا وهى تقوم فى وقت واحد بدفع اعداء الاسلام من الامام ودفع العجم من الوراء وقمع الفتن الداخليه من الوسـط وتوغل فى الفتوحات حتى تبلغ عاصمة النمسا وحتى تنزل جنودها فى سواحل ايطاليا وفى نيس من فرنسا فلاجرم ان دولةً هذه آثارها فى حفظ البيضة المحمدية لاتكون الا محمودةً بل مقدّسـة عند العرب الذين درج هذا الدين من وكرهم وترعرع فى حجرهم فاحب الملوك الى العرب من نصر هذه الدولة التى اصلها من العرب ومرجع قوتها الى العرب والى من دانوا بدين العرب ومن قرأ تاريخ آل عثمان علم ان لهم من تعظيم شعائر الدين ومن التمسك بحبال الدعوة المحمدية مالم يفتهم فيه احد من ملوك العرب انفسـهم بل مافاتواهم فيه الجميع حاشا الخلفاء الراشـدين . ومن شاء ان يعلم درجة خدمتهم للحرمين الشريفين وبرهم باهل الحجاز فليقرأ تواريخ علماء العرب كتـاريخ الفتوحات الاسلامية لخاتمة المحققين لسان الصدق السـيد احمد دحلان المكى الذى لايجسر احد ان يتهمه بالملق ولابالمبالغة ولهذا حامت حول بنى عثمان قلوب جميع المسلمين عرباً وعجماً والتفت عليهم وشائج القلوب والافئدة وتوسموا فى دولتهم مجد الاسلام وسعادته منذ كانوا بعد فى الروملى والاناضول وكان الغورى سلطان مصر يقول انا لايهمنى الافرنج لأنهم اذا زحفوا الى بلادى كان الاسلام كله معى ولكن اخوف ماأخاف هو من ابن عثمان الذى لو قصد بلادى مال اليه المسلمون ولم اقدر ان استعديهم عليه وقد كان الغورى عند خوفه من ابن عثمان لأنه لما سار السلطان سليم لفتح البلاد العربية التى اهلها اليه بالمقاليد وتلقوه براً وترحيباً ونزل له الخليفة العباسى الباقى الذى كان بمصر عن الخلافة الكبرى واتفقت الامة الاسلامية على مبايعته بالامر الاعلى

الذى لايقوم الا بمثل عصبية ابن عثمان فى وقته ولاتزال هذه العصبية الى يومنا هى العصبية الوحيدة التى يمكن اسناد هذا الامر العظيم اليها

طالما نفخ المفرقون فى نفير العصبية الجنسية وحاولوا اثارة العرب على الدولة بحجة انها دولة تركية واتخذوا من حوادث الزمان اسباباً ومن غلطة بعض اخواننا الاتراك اوتاداً وارادوا تغليب العصبية الجنسية على العصبية الدينية وان يوقدوا هذه الفتنة بين ذينك الشعبين الكبيرين اللذين هما قوام الدولة الاسلامية فصدهم عن ذلك لاحب العرب لسواد عيون الترك ولاذلهم لسلطانهم وهم اقل الامم قراراً على الضيم واسرعهم الى السيف ولكن حبهم ببقاء الخلافة الاسلامية وخوفهم من تسلط الاجانب عليهم يمحون استقلالهم ويعارضونهم فى اعز شيء لديهم وهو دينهم ويسومونهم سوء العذاب ويبتزونهم اراضيهم ومرافق بلادهم بالطرق المتنوعة والحيل المتعددة فآزروا الترك الذين لاتجمعهم معهم الارابطة الدين على الاور بيين الذين لا تجمعهم واياهم رابطة والذين يخشى منهم على الدين والدنيا معاً وما اكثر الشواهد على ذلك بين ايدينا

وعلى فرض لوكان هناك مهانئ من العيش البهيمى تحت سلطة الاجانب وهو مالايزال يمنى به سماسرة الدعوة الاجنبية اهالى البلاد العربية منذ قديم فان الاستقلال مع الفقر خير من الاستذلال مع الثروة وان الاستقلال هو الحياة الحقيقية وهو مصدر العز والقوة ومنجم المال والثروة واصل الصدق والفضيلة وان الامر لكما قال السيد جمال الدين الافغانى غفر الله له وهو ان شرف النفس يقودها لاختيار الموت الفاضل على الحياة تحت سلطة اجنبية وان اقترنت برغد العيش وطيب المطعم والمشرب

ولنجتزئ من الشواهد كلها بمثل طرابلس الغرب التى يعلم كل احد انها كانت اشد ولايات الدولة فقراً واعظمها اهمالاً وطالما استغاث اهلها بالباب العالى طالبين تحكيم اسباب دفاعهم وتحصين ثغور بلادهم وامدادهم بالسلاح والعدة وتدريب شبانهم على الحركات الحربية وطالما كتب عمال الدولة انفسهم الى الاستانة بوجوب تأسيس معامل للخرطوش فى نفس البلاد خوف ان تسطو عليها دولة بحرية فتحول دونها ودون الدولة المتبوعة لضعف الاسطول العثمانى اليوم فذهب كل هذا الصريخ صرخة فى واد ونفخة فى رماد فكان اهل طرابلس الغرب احق

رعية الدولة بالنفور منها والحقد عليها وكانت احوال بعض عمال الحكومة العثمانية مما تزيد لها البغضاء ويوجب الجفاء ورأى الطليان هذه الحالة هناك فتوهموا انهم يستثمرونها لفائدتهم وانهم يوقدون نارها لهداهم وانفقوا الاموال واشتروا ذمم الرجال وسعى بعض سماسرتهم من ابناء ذلك الوطن باخذ تواقيع بعض الروساء والمشايخ بقبول سيادة ايطاليا كما يسعى الآن وياللاسف ويالِلخجل بعض سماسرة سورية لاستجلاب قلوب المسلمين الى جهة فرنسا ويسعى آخرون باستمالتهم الى انكلتره وكل فئة لها جواسيس ورواد وسماسرة على البلاد

فماذا ظهر بعض ذلك لايطاليا وغير ايطاليا ؟ ظهر انه لما اجلبت ايطاليا على طرابلس ووصل اهلها الى حيز العمل ونظروا فرأوا علم الهلال قدغاب عن ابصارهم وحل العلم الايطالى محله بكى منهم حتى النساء ونهضوا بدون زاد ولا سلاح وقالوا مهما بلغ من بغضنا للاتراك فانهم اخواننا فى الاسلام ومهما اهملتنا الدولة بغرور بعض رجالها فلن يحملنا ذلك على ترك وطننا للاجنبى انتقاماً من الدولة ومازالوا يكافحون الطليان فى اقليمى طرابلس وبرقة منذ ٢٦ شهراً ولم يسكنوا فى اقليم طرابلس نوعاً الا من نفاد العدة والذخيرة كما انهم فى برقة لايزالون الا ساعتنا هذه يجاهدون فى عدوهم الذى يربى عدد عسكره على ثمانين الفاً وهم فى اشد حال من الجوع والحاجة الى كل شئ وذلك كله بفضل السيد السنوسى الكبير الذى أبى ان يسلم وطنه الى العدو المعتدى وفيه وفى العصابة السنوسية الفاضلة رمق من الحياة

كم حاول الطليان فى اثناء هاتين السنتين ان يستميلوا عرب طرابلس وبرقة وان يخدعوهم بالامانى والمواعيد وان يستلوا حقودهم بالعطايا والالطاف فلم يقدروا ان يملكوا قلوبهم ولا ان ينزعوا مافيها من غل عليهم حتى ولا ان يسلوهم محبة الدولة العثمانية التى سلطانها يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ويتولى القبلة الشريفة كما يقول ويتولى عرب طرابلس وسائر العرب

جميع السادة السنوسية يروون عن مؤسس طريقتهم العالية سيدى محمد بن على السنوسى جد سيدى احمد الشريف الاستاذ الحالى انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له ماقولك يارسول الله فى بنى عثمان فرفع رسول الله بيده الشريفة بساطاً ظهر من تحته باب جهنم باهوالها فقال له هذا مقعد من يريد بالدولة العثمانية سوأ والذى نفس محمد بيده مارأيت لهذه الامة ارحم من بنى عثمان

سيقول اولئك الجماعة من المفرقين المكذبين المستهزئين بالدين و آياته كما تدل عليه كتاباتهم وتنم حركاتهم واقوالهم أفنبنى احكامنا على المنامات ونحن الآن فى عصر الحقائق فنجاوبهم على هذا بأنهم ان لم يكونوا مؤمنين بصحة الرؤيا مثل رؤيا ذلك الولى الصالح لجده المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه لابد لهم من التسليم بان تناقل هذا القول بين السنوسيين وعملهم به الظاهر المحسوس الى اليوم والى ماشاء الله دليل واضح على كون افتراق غرب افريقية عن الدولة العثمانية بالجنسية لم يكن له تأثير فى شدة ارتباطهم بها وانهم يرون هم بهذه العين مباءة من يكره هذه الدولة ويعدون مقعده جهنم وساءت مصيرا

فالشيخ السنوسى الذى يسمح له رفيق بك العظم وغانم وفرزينيه واضرابهم من عرب هذا الزمان بان يكون عربيا والذى نظنهم يحكمون لقومه بالاهمية مع استقلالهم وحدهم بدفع دولة قاعدة فى صف الدول السبع العظام هو الذى يدعو جميع عرب افريقية الى تفدية الدولة العثمانية بانفسهم واموالهم وايطاليا قد عرفت ذلك وعلمت انها عندما صدقت بان العرب يكرهون الترك لم تكن الافى غرور وفرنسا نفسها تقر بان جميع تبعتها من المسلمين يسؤهم مايسؤ الدولة العثمانية ويسرهم مايسرها وانه لاشئ يفك عروة حبها من قلوبهم مع ان عرب شمالي افريقية اليوم ومن جاورهم من البربر المستعربين لايقلون عن ٢٠ مليوناً وهم جميعاً بهذه الدرجة من الارتباط بالدولة العثمانية فهل يسمح لنا السادة المصلحون دعاة اللامركزية وورثة علوم حمورابي بان نعد هذه العشرين مليوناً عرباً ام يسقطونهم من عداد العرب كما اسقط بنو العباس نسب زياد بن ابيه من دفتر قريش ولايبقى معدوداً فى العرب الا بعض من اصلهم ترك اوجركس وروم او ارمن وهم لوكانو اعرباً مع هذا لا همة لهم الا فى صدع البيضة السلامية التى اذا انصدعت لم يبق هناك عرب ولاعجم واخنى على الجميع الذى اخنى على لبد

مازالت اوربا منذ قرون تقاتل الدولة العثمانية من امامها ومن عن يمينها وعن شمالها وتناجزها الحروب صليبية وسياسية وتجارية وتهاجمها منفردة ومجتمعة فكان للدولة فى البداية الكرة على اوربا والريح الهابة فى البحر المتوسط وكان الاعداء يكافحونها كفاح الضعفاء الذين عدا تماسك بعضهم ببعض للمقاومة كانوا يلجأون الى اثارة الفتن فى داخل بلادعدوهم ليشغلوه عنهم فكانوا يدسون الدسائس تارة فى البلقان وطوراً فى سورية واحياناً فى بلاد العرب ويمدون ايدى

المصافحه الى العجم وكانت الحروب داخلاً وخارجاً تتوالى على هذه الدولة الفريدة الغريبة فى اوربا الى ان افقرت دمها وانهكت مع تتابع الاعصر على هذه الحال قوتها واستغرقت اموالها فى الاعدادات الحربية وحالت دون ترقيها فى العلوم والصناعات واخذ السيف حصة القلم فغلب على الاهالى الجهل وخبا نور العلم فضعفت التربية العامة وانقرض الاعلام الذين يحثون على الفضائل والمكارم فنزلت الهمم وفترت العزائم وعم فساد الاخلاق وصار الضعف يجلب بعضه بعضاً وكلما آنست اوربا فينا ضعفاً من جانب حملت علينا حملةً شعواء خلال الضعف واتخذت قاعدة سارت عليها ولاسيما امة السلاف وهى عدم امهالنا ان نلم شعثنا ونرأب صدعنا ابداً لئلا نرتاش ونقوى وتصعب ازالتنا من الوجود فيقال ان بطرس الاكبر عاهل الروسية اوصى بحربنا كل مدة ٢٠ سنة وقد قام السلاف بهذه الوصية تماماً فضلاً عما قام به غيرهم من اصناف الاوربيين فكان ضعفنا بهذه الوسيلة متصلاً وسكوننا محالاً وتوفرنا على نشر المعارف فى بلادنا كما هى فى بلاد غيرنا متعذراً وصارت بلادنا ميداناً للفتن والهزاهز وصار الاوربيون يسمون هذه الحالة بالمسئلة الشرقية والحقيقة انها هى مسئلة محمد عليه الصلاة والسلام فاتباعه اخذوا الشام ومصر وافريقية والاناضول والقسطنطينية العظمى والبلقان من اتباع عيسى عليه الصلاة والسلام فهؤلاء يريدون ان يسترجعوها ويتمكنوا فيها الااكثر ولااقل ويلقون على هذه المقاصد بعد ان اصطبغوا ظاهراً بصبغة التمدين استاراً من السياسة تخفى على الغبى اسرار مساعيهم ويتجافون عن استعمال الالفاظ المثيرة للعواطف المحركة للحفائظ ففى الاعصر الغابره عندما كانوا اصدق لهجةً واصرح ضميراً كانوا يسمون هذه الحروب المتواصلة مع الدولة العلية حروباً صليبية وفى هذا العصر صاروا يسمونها بالمسئلة الشرقية لكن الصغار منهم مثل ملوك البلغار واليونان والصرب والجبل قد صرحوا فى الحرب الاخيرة بما كان يصرح به ملوك اوربا سابقاً وابوا هذا الرياء كله وسموا الاشياء باسمائها وفعلوا الافعال التى حققت الاسماء واوربا تصفق لهم من ورائهم وناهيك ان ملك رومانيا الذى مملكته صديقة موالية للدولة العثمانية ومشهورة باعتدالها مع المسلمين قد صرح اخيراً لبعض مراسلى الصحف ان سكوت رومانيا فى اول الحرب البلقانية مع الاتراك لم يكن من مصلحتها ولكنها اضطرت اليه خدمةً للنصرانية لأن الدول الاربع اللائى كن يحاربن الدولة العثمانية كان مقصدهن انقاذ النصارى من سلطة المسلمين فلم يكن يليق بدولة نصرانية كرومانيا ان

تشاغلهم عن اتمام هذا الامر ولو خالف ذلك مصلحتها الخاصة فاذا كان هذا اعلان الملك الصاحب فماذا نقول عن المحارب

ولقد تمكنت اوربا بعد مصارعة ستة قرون من استرجاع جزء كبير مما كان اخذه المسلمون من ممالكها وتقدم الصليب وتأخر الهلال وهكذا حال الدنيا يوم عليك ويوم لك والله تعالى يقول وتلك الايام نداولها بين الناس .

ولم يكن تأخر الدولة العلية اخيراً ونكوصها امام دول اوربا عن ضعف في المنعه اوسقوط في الهمة اوفقر في معادن النجابة والشجاعة بل جاء باجمعه من انفرادها وحدها مع شدة اختلاف سكانها وتخاذلهم عنها وتألبهم هم اى الاوربيين عليها لبداً واذا اختلفوا فيما بينهم تراضوا فيما بعد من املاكها وتقسطوا من حقوقها

وقد جاء في المثل ضعيفان يغلبان قوياً فما قولك اذا كان ثمة عدة اقوياء وكل منهم يحارب بسلاح والساكت منهم ردء للمتحرك رابض للوثبة عند الحاجة والجميع يمشون نحو غاية واحدة

فلو انتصرت الدولة على البلقانيين في هذه الحرب لكان قصارى ماتمكنت منه حمل البلقانيين على جزء من نفقات الحرب فلما ادال الله لهم علينا اسرعت اوربا باعلان تمكينهم من اجتناء ثمرات انتصارهم واباحتهم الولايات الست التي كانت لنا في الروملي مع ولايتين في جزر البحر الابيض وذلك خلافاً لاعلان كانت اعلنته في اول الحرب بأن ليس للمنتصر ان يضم الى ملكه اراضي جديدة اياً كان . ثم اعترفت اوربا ان اعلانها الاول وقع منها على ظن ان النصر سيكون للدولة العثمانية فاى حرب تكون اظلم واعق من هذه الحرب واى حياد حفظته الدول وهن لا يلزمن الحياد الا اذا كنا نحن المغلوبين

وهذا ماتذكره من جهة الحرب المادية التي هي عبارة عن طعن وضرب وفتك وهتك وتجريد جيوش وسوق اساطيل

وهناك حرب اخرى تثيرها علينا اوربا ليست باقل تأثيراً من الاولى الا وهي الحرب السياسية والعلمية والاقتصادية اى الحرب المعنوية .

فمن جهة الحرب العلمية فمدارسها ومكاتبها حتى ومستشفياتها في الشرق كلها مواقد اثارة على الدولة ومنافخ نار يخرج منها التلاميذ كارهين كل شئ عثماني بل كل شئ اسلامي وماشذ عن ذلك فيكون من متانة تربية الاولاد وتأثير والديهم بهم في البيت لامن توقى اساتذة تلك المدارس الطعن لهم في دينهم ودولتهم بل هم

يطعنون مايطعنون فى اهل الاسلام ويشوهون مايشوهون من محاسنه ويغمطون مايغمطون من اياديه البيض على الانسانية ويقلبون الحقائق التاريخية و العلمية واذا عاتبتهم على صنيعهم هذا قالوا لك انما نريد لنعلم الناشئة « الحقائق » فكيف تريد ان يخرج من تخرج فى هاتيك المدارس لاجرم انه يخرج حرباً لدولته وملته بل ولوالديه اللذين ولداه وربياه صغيراً .

واما الحرب الاقتصادية فهى آلان اهم حربٍ عندهم وامضى سيفٍ فى ايديهم فان الشرقى فى اكثر البضائع لايقدر ان يباريهم ولا ان يزاحمهم والشرقيون عيال عليهم فى استمداد النقود فهم لايستطيعون معهم قبضاً ولابسطاً وتراهم يقتلون كل مزاحمة لهم فى اية صناعة وفى اية تجارة الا النادر الذى لايعتدبه وعداهذه الحرب الاقتصادية التى هم مصلوها امم الشرق فانهم يثيرونها احياناً على الدولة نفسها ولولا شدة تزاحمهم فيما بينهم ومايفضى من ذلك الى خلافهم وسباقهم الى المرافق لكانوايسدون على الدولة كل باب اقتصادى ويخنقونها فى ارضها ولكن وجدوا دون ذلك عوائق جمة كما حصل فى مسئلة ادرنه اخيراً ولقد قطعت الدول عنها كل مدد مالى هذه المدة كلها وعاشت الدولة بواردها الخاص واعاشت الجيش الذى كان مرابطاً امام البلقانيين بدون ان تعقد قرضاً حتى لقدقال كاتب ايطالى عظيم فى جريدة (استامبا) ان تركيا ذات حياة قوية لم يستطع شئ ما ان يتغلب عليها وهى لاتعرف الفناء وتتعود ضنك العيش وتحمل الظروف القاتلة فتهديد الدول لها بقطع المال عنها لم يخف احداً وفضل عدول الدول عن التضييق المالى لايرجع للدول فان هذه تعمل جهد استطاعتها على فناء الدولة ودمارها وقدرأت تركيا حتى اليوم انها مغبونة من الدول المسيحية لأنها لاتعاملها معاملة الكفء للكفء بل تعاملها بعدم المساواة والظلم انتهى كلام الكاتب الايطالى واما الحرب السياسية فانها على شقين منها مواطأتهم بعضهم مع بعض علينا فى الخارج ومنها دسائسهم علينا فى داخل بلادنا فاما المواضعات والمواطئات على ابتلاع بلداننا فكاتفاق فرنسا وانكلتره على مصر ومراكش والسودان واتفاقهما مع ايطاليا على مسئلة طرابلس واتفاق النمسا والمانيا وايطاليا فى مسئلة بوسنه واتفاق دول البلقان الاربع بارشاد دولة روسية على اقتسام ولايات الروميلى وكاتفاق انكلترة والروسية على فارس وهلم جراً

ومنها دسائسهم فى داخل بلادنا وذلك كدسائس السلاف فى الروميلى منذ اعصر ودسائسهم مع الارمن فى الاناضول وتحريك ايطاليا للادريسى فى عسير وماكانت

تدســه فى طرابلس قبل دخولها اليها ومنها تحريكات النمســا وايطاليا فى البلقان ومداخلات فرنسا فى سورية وهذا فى سورية امر قديم يبتدى منذ ايام الصليبين وقد كانت اصــابع الاكثرين منهم تلعب فى سورية بسبب كثرة المسيحيين فيها واتخاذ اوربا مسئلة المسيحية متسلقاً لمداخلاتها ولو لم يطالبها المسيحيون بذلك وفى ايام الامير فخر الدين المعنى عقدوا معه حلفاً وسافر هو الى توسكانا فى ايطاليا وكذلك كانت كاترينا امبراطورة الروس تداخل ظاهر العمر الزيدانى فى عكا ولسنا هنا فى تعداد الدسائس الاجنبية فى بلاد الدولة وسائر اصقاع الشرق فانه يطول جداً ولكننا نريد من هنا الوصول الى مسئلة الحركة اللامركزية التى قامت فى ابان حرب البلقان فانها من بعض الدسائس الاجنبية ايضاً ومن جملة الحرب السياسية المثارة على الاسلام والاشراك الموضوعة لســقوط الشرقيين الاخير والغاية من هذه الحركة مشاغلة الدولة عند ماتكون مدهوشة بحرب البلقان منصرفة الى الدفاع عن عاصمتها حتى تضطر الى اعطاء الولايات العربية الادارة اللامركزية رغم انفهــا خوف انتقــاض العرب عليها فتكون اللامركزية هى الخطوة الاولى نحو الانفصــال ثم تحدث حوادث اخرى وتثور مشاكل جديدة والمشاكل الى الدولة العثمانية بفضل اوربا اسرع من الماء الى الحدور فتعطى الاشارة الى اولئك الدعاة انفسهم باعلان الاستقلال تماماً فى اثناء ذلك البحران التى تكون حكومة الاستانة قد وقعت فيه وتكون هذه هى الخطوة الثانية بان يخدع اولئك السماسرة قسماً من الاهالى كما هم خادعوهم الآن بالفاظ الاصلاح والفلاح والنجاح وما اشبه ذلك ويكون الميدان يومئذٍ اصبح اوسع للجولان لانه مما لامشاححة فيه ان نفوذ الحكومة المركزية يكون اضعف فى الولايات المستقلة بادارتها اعتبر ذلك فى جبل لبنان وقســه ببقية الولايات فتعرف الفرق فهذا ماينى الاجانب وخدمة الاجانب انفسهم به من اللامركزية ببلاد العرب العثمانية لتكون الحرية اوسع والمقاومة اسهل وتصــير الاساليب اطلى وافتن والالفــاظ اعظم واضخم ويقــال حينئذٍ الخلافة العربية والدولة القحطانية والاستقلال القومى والتحرير الوطنى وخلع الربقة ورفع العبودية وغير ذلك من الالفاظ الطنانة والكلمات المستعذبة خصوصاً عند الشبان فيتحمس لها بعض من لا يعلمون عواقب الامور ويرفعون لواء الثورة ويتبعون مثل البلغار عند استقلالهم عنا فتقع بينهم وبين الحكومة المتبوعة الواقعات وتسيل الدماء وينتصر للحكومة فريق الاهالى الذين يعلمون ماوراء الاكمة فتموج الامة العربية بعضها فى بعض ويفجر الدماء بعضها بعضــاً ويعاد فى بلادنا والعيــاذ

بالله تمثيل رواية الرومل ولا يتمارى اثنان فى كون انقلاب كهذا فى بلاد العرب لايمكن ان يحصل بدون حرب داخلية دموية تكون هى القاضية على استقلال العرب بدلاً من ان تكون هى مبدأ استقلالهم فتأتى الدول الاستعمارية باساطيلها وتدعى كل منها وقاية مرافقها وينتهى الامر فيما بينها بانزال عساكرها كل عسكر فى منطقة ليتم التراضى بينهن فيكون نزول عساكر الانكليز فى يافا لمحافظة الامن فى فلسطين والفرنسيس فى بيروت لمحافظة سورية ولبنان والالمان فى مرسين واسكندرونة ارضاء لهم وثمناً لسكوتهم

هذه نتيجة حركات اللامركزيين الذين يزعمون انهم هم قائمون لاجل تقوية الوطن ضد الغارة الاجنبية وهم يمهدون سبل الغارة الاجنبية ويداوون العلة بالتى كانت هى الداء

والخصال التى دعت هؤلاء الجماعة الى هذا العمل عديدة والاسباب متنوعة ولكن المرجع الاصلى هو طمع الاجانب فى بلادنا والتحريك والمتواصل سراً فيها والمبالغ السرية التى تتسرب من صناديق وزارات الخارجيات الى جيوب الصحافيين والمكاتبين مما لاينكره الا كل من على بصره غشاوة اوفى قلبه مرض

وان فريقاً من الذين قاموا بهذه الحركة ان لم يكونوا يأكلون من مال الاجانب فانهم ناقمون على الاتحاديين اهمالهم اياهم بعد اعلان الحرية مع انهم كانوا من انصارهم على عبد الحميد فى ايام الاستبداد فلا يريدون ان يغفروا لهم زلة تكبرهم وتجبرهم عليهم بعد الفوز وعدم تذكرهم من كان يألفهم فى المنزل الخشن وان آخرين وعدوا باشياء لم تجز لهم وآخرين تطاولوا الى مناصب عالية فضن الاتحاديون بها عليهم فشمخوا بانوفهم وصاحوا باللانتقام وصاروا يتربصون بالدولة الدوائر ويتوقعون الفرص الملائمة للقيام فاقصت الدولة بعضهم وعزلت بعضهم واسقط الاتحاديون ترشيح بعضهم لمجلس الأمة فهناك اشتد الحنق وغلت مراجل الحقد وتنازعت الريح مع السفينة فدارت الدائرة على البحرية كما يقال ونحن فى هذه البلاد التاعسة لم نقدر الى الآن ان نفصل بين المسائل العمومية والمسائل الشخصية كما هو فى البلاد الاخرى فعندنا مثلاً اسماعيل كمال بك الارناووطى مواطئ اليونان منذ مدة طويلة على دولته ووطنه ومعلوم انه لم يكن يدع فرصة حتى يتوردها لاجل اثارة بنى جلدته على الدولة وسفك الدماء فكل من غضب من طلعت بك اوجاويد بك اوغيرهما من روساء جمعية الاتحاد والترقى تراه ينضم الى اسماعيل كمال ويصفق لعمله طرباً

ويستزيده مما هو فيه بدلاً من ان يقول انى ولو كرهت طلعت اوجاويد اواى رئيس كان من رؤساء الجمعية فلا ينبغي ان استحسن الحركات الموجهة ضد دولتي وبلادى ولا ان اصافح الايدى العاملة فى خراب بيتى وبيوت اخوانى ويمكننى انا اكون عدواً للاتحاديين مع بقائى عثمانياً صادقاً عدواً لكل من يمس العثمانية بسوء

وعندنا صادق بك الذى طالما وضعه اعداء الاتحاديين فى صف اعاظم العثمانيين قد تكررت منه مؤخراً التلغرافات الى قيصر الروس فى معنى دعوته للتدخل فى شؤون الدولة العثمانية ولو كان فى ذلك من فقد الحقوق ومس الاستقلال مافيه

وعندنا شريف باشا سفير الدولة السابق فى استوكهولم بعد سقوط وزارة كامل باشا كتب فى الجرائد طالباً من فرنسا وانكلترا ارسال اساطيلهما لاسقاط محمود شوكت باشا من الباب العالى بالقوة فى وسط الاستانة فانظروا الى درجة صدق هذا العثمانى ومبلغ وطنيته وتأملوا واحكموا. واغرب من هذا انه كتب الى صديق له فى مجلس نواب فرنسا كتاباً يعاتب فيه الحكومة الفرنسية على تساهلها مع ضباط الاتحاديين فى المرور من تونس الى طرابلس وقد قام ذلك النائب يتلو كتابه هذا فى بهوة المجلس حتى تحير من عمله انفس الفرنسيس الذين يقدرون قدر الوطنية فانظروا الى هذا العثمانى الذى لايهمه الدفاع عن طرابلس وعن الشرف العثمانى بل يهمه سرعة استيلاء الطليان على طرابلس غيظاً بالاتحادين ويغرى الفرنسيس بالمجاهدين

ويقال ان كبيراً من الحزب المعارض للاتحاد والترقى ورد مصر فى اثناء حرب طرابلس فعذل الحكومة الانكليزية على اغضاء الطرف على ذهاب الضباط العثمانيين الى الجبل الاخضر وشددهم فى قضية منع الامدادات عن مجاهدى العرب ليسقط فى يد الاتحاديين من جهة طرابلس وينكسر نفوذهم واستدل الناس على ذلك بكون الانكليز شددوا المراقبة جداً على الحدود من بعد مجيء ذلك الكبير الى مصر ومن اجل هذا وامثاله نفر كثيره من الحزب المعارض للاتحاد وا ترقى وا كبروا خلط الاحقاد الحزبية بالمصالح الوطنية العمومية وعادوا يثنون على الاتحاديين جميلاً حتى لقد الف احد هؤلاء المعارضين فى هذه المدة كتاباً سماه « افلاس المخالفة » بين فيه بهذه الشواهد ان الحزب المعارض اسقطته اعماله المخالفة للعثمانيين عامة لا للاتحاديين خاصة وهناك امور اخرى لاتعد ولاتحصى من هذا القبيل فهل يظن القارئ ان دعاة اللامركزية الذين يدعون الآن الاخلاص للدولة العلية

والقيام لمجرد الاصلاح فقط ينكرون شيئاً من هذه الاعمال او يقبحون هذه الحركات التي لا يمكن ان ينطبق عليها الا اسم الخيانة او يتبرأون من هؤلاء المعارضين يوماً كلا والله ان اكثر من نعرف من رؤساء هذه الحركة هم يد واحدة مع هؤلاء وانهم يلتمسون لهم الاعذار ويقيمون على صحة مبادئهم الادلة وان قبح منهم احد افعالهم فيكون ذلك رياءً وسمعة وخوفاً من غضب الامة فقط

وهل يوجد دليل على كون هذه الاحساسات الخبيثة في صدورهم اوضح مما ظهر منهم اثناء الحرب وما بدر على السنتهم واقلامهم يوم استردادنا ادرنه فقد كان ذلك اليوم عند الامة عيداً وعند بعض اولئك المجانين مأتماً شق فيه عليهم دخول العثمانيين الى ادرنه لو يزيد مما شق على البلغار الذين خسروا عليها ٢٠ الف رجل وذلك خوفاً من فوز الاتحاديين وارتفاع شأن الدولة بعد ان انخفض في عيون الامة الاسلامية ولم ينس الناس ما كانت تكتب في هذا الصدد جرائدهم التي بقيت تأمل ان اوربا تطرد العثمانيين من ادرنه الى ان اتى سفراء البلغار الى الاستانة يطلبون الصلح فايقنوا بفوز الدولة وكان ذلك لهم خذلاناً عظيماً

ولقد بلغ بعضهم من التهور في البغض والانحطاط في الاخلاق الى ان كانوا يشمتون بانهزام العسكر العثماني الذي بانهزامه اهين كل عثماني بل كل مسلم على وجه الارض وكانت تبدو عليهم لوائح السرور باخبار البلقان حتى في ايام الوزارة الكاملية مما يدل على ان عداوتهم هذه لم تكن للاتحاديين وحدهم بل للاتراك بل للمسلمين اجمع . ولاشك انهم ينكرون كل هذه المسائل ولكن انكارهم هذا لا يفيدهم اصلاً لأنه مما نمت عليه خوائن الاعين وخوا في الصدور وهم يخطئون جداً ان كانوا يظنون ان حقائق امورهم مجهولة عند الناس

ومهما يكن عند امرئ من خليقة

وان خالها تخفى على الناس تعلم

والحاصل ان عدوة الحزب تنقلب عند كثير من ابناء هذا الوطن التاعس الى عداوة الدولة نفسها وبغض الاتراك يتحول الى بغض الخلافة والاسلام حتى لقد سجلوا على العرب عار الاجحاف بالدولة والمقاومة للخلافة في ابان الشدة التي يأبى العدو ان يشاغب فيها فضلاً عن الصديق مع ان العرب هم اولى الامم كلها بالالتفاف حول الخلافة وان الاتراك هم تلاميذ للعرب بالاسلام

وعليه فهذه الفئة من العثمانيين هي التي وجدها ولا يزال يجدها الاجانب احسن

آلة في ايديهم لقضاء اوطارهم الاستعمارية ويتقدمون اليها في نقض بنيان الجامعة العثمانية وفك عرى الرابطة الاسلامية فمنهم من يستعدونه على الدولة بتحريك الجنسية ومنهم من يستميلونه بالمال ومنهم من يؤكدون له مصير هذه البلاد اليهم فهو يريد ان يزرع منذ اليوم عندهم مودةً تحفظ عليه مكانته ومصالحه عندما يصيرون اصحاب البلاد لاسمح الله ومنهم يائس قانط من رحمة ربه نظر في وجوه الوسائل لنهوض الاسلام فوجد الفرق عظيماً في القوة فلم يقدر على حل هذا المشكل بعقله وعلمه وبايمانه فاستسلم الى اليأس وذهب به الخوف الى ان يظن ان الاوربي لو شاء ان يمنعنا ورود الماء على الفرات ونحن معطشون لخمس لامكنه ذلك بمجرد الفكر فرمي بنفسه في حضن هذه الفئة ومنهم ناقم على الاتحاديين اوعلى الاتراك اموراً شخصية ومنهم معتقد ان تعين المأمورين من الاستانة مانع من تقدمه فاللامركزية في الولايات هي التي تكفل له رقيه وصعوده ومنهم طائفة لم يبلغ بهم سوء الظن ان يعتقدوا في اولئك الدعاة التغرير بالوطن فحملوا حركتهم هذه على مجرد الاصلاح واستبدال شكل الادارة الذى لاشك في وجوب تبديله وحفظوا محبتهم للدولة وحميتهم على الوطن وهؤلاء هم الفئة الوحيدة الصادقة من اصحاب هذه الحركة وهم في حقيقة الامر متفقون ومتقابل مع الباب العالي نفسه على اكثر النقط وان كان ثمة اختلاف في الانظار فيكون على اعراض غير ذات بال وتكون الطرق كلها الى وجهةٍ واحدة هي تمكين الدولة ووقاية الاستقلال العثماني

نعم عند هذه الفئة بعض اغلاط في القياس مثل تجويزهم اعطاء سورية في حالتها الحاضرة والعراق ادارة لامركزيةً بناءً على كون المانيا مثلاً هي ذات امارات وادارات متعددات ولم يمنع ذلك من وحدتها الالمانية ولا اوهى مابينها من الرابطة العامة اوان استراليا مع استقلالها الداخلي لاتزال شديدة الارتباط بأمها انكلترة وغير ذلك مما يلقيه اولئك المغالطون فيلقفه هؤلاء بدون روية ولايفكرون ان بين المانيا ولبلاد العربية بوناً شاسعاً من جملة وجوه وانه كلما كانت الرابطة المادية قوية ضعيفة لزم ان تكون الرابطة المادية قوية فمتى تقوت الرابطة المعنوية وقامت المعاني التي في الصدور مقام الاوامر والقوانين فعندذلك لايبقى مانع من الاستقلال الادارى لأنه يسرع بحركة التقدم دون ان يضر بالوحدة الضرورية لبقاء الدولة ونجاة الوطن

ومما ينزع اليه الصادقون من طلاب الاصلاح ولايخالفهم فيه احد يحب الحق ويتوخى المصلحة العامة هو المساواة في الحقوق بين الاجناس واعطاء الولايات

اقساطها من الاصلاحات على نسبة واحدة فهذا مطلب حق لايقدر ان ينازع فيه تركى ولاعربى ولايجوز للدولة العلية ان تنحرف عنه قليلاً ولا كثيراً ولاسيما بازاء امة نجيبة كالعرب قد آتاها الله من معادن الفضل ومدارج النبل ومطالع الذكاء ومنابت الشجاعة ومقاطع الكرم مالم يؤته غيرها من امم البسيطة فالدولة العثمانية خليقة بان تستورى زناد العرب الاذكياء فى ادارة امورها وان تنتثل لحياطة هذا الوطن العثمانى كنائن القرائح القحطانية والعزائم العدنانية وهى هى الملومة على اهمال هذا الامر دون غيرها ولكن هناك امور لابد لنا ان نستوقف عندها انظار المعارضين والمعترضين سواء كانوا من الفئة الصادقة المعتقدة صحة مذهبها اومن الفئة المفسدة الرائدة للاجانب اوالفرقة الضالة على علم ليعلم الجميع مالنا وماعلينا!

ان هؤلاء جميعاً يقولون ان العرب غير متمتعين بنعمة المساواة مع اخوانهم الاتراك غير مشاركين لسائر الامة العثمانية فى ادارة المملكة وان الولايات العربية مهملات تمام الاهمال عاطلات من حلى الاصلاح تأخذ الدولة ريعها وتصرفه فى تنظيم الولايات التركية جزافاً وان اكثر عمال الدولة هم من الترك والجركس والارمن وغيرهم وان اكثر الوظائف هى لهم وان اكثر الارزاق هى دارّة عليهم الى غير ذلك مما يكرره هؤلاء الناس بكرةً واصيلاً ولم يبق عثمانى ولااجنبى الا وقد سمع به

فالجواب على ذلك ان المملكة العثمانية هى على مستوى واحد وان حاجتها الى الاصلاح هى فى كل الولايات بدون استثناء وذلك كماقلنا بسبب الحروب والفتن والمشاكل الداخلية والخارجية التى نزفت ثروتها وافرغت خزائنها والتى مصدرها مطامع اوربا المتكالبة عليها من كل جهة ومناصبتها اياها منذ ٦٠٠ سنة

واذا نظرنا الى ولاية ولاية من ولايات الدولة رأينا الولايات العربية مع فقرها اسعد حالاً وارقى فى درجة المدنية من ولايات الاناضول التى هى عش الاتراك ومضرب عسلتهم ورأينا الاناضول احط المملكة فى كل ضرب من ضروب المدنية مع انه فى الحقيقة هو مادة الدولة التى يستمد منه الحياة وهو القلب الذى يدفع دم القوة الى الاطراف وهوالذى عليه المعول فى النائبات فكيف بعد هذا يقال ان الدولة تؤثر الاناضول على بلاد العرب وتستأثر بريع الولايات العربية لتصرفه فى الولايات التركية وهل يجوز رمى الكلام بدون تحقيق وتضليل الافكار على علم واغضاب العامة بدون اساس صدق والمشى بالخلف

بين هاتين الامتين اللتين اذا افترقنا سقطنا جميعاً وهل يسامحنا الله فى آن نزعم كون الترك ينظمون ولاياتهم من اربع ولاياتنا ولن نهيج بالزور والبهتان حفائظ العرب وتكون بلاد الترك وهى بالنسبة الى بلادنا فى العمارة كما هى بلادنا بالنسبة الى اوربا واميركا ومن شاء الاطلاع على ذلك فما عليه الا بالسير والنظر فى البلادين كذلك طالما سمعنا من جملة اوضاعهم ان نظارة الاوقاف تأخذ ريع اوقاف العرب لتصرفها فى الاستانة والاناضول وهى فرية مازالوا يغيرون بها قلوب العرب على دولتهم ولا يرقبون وجه الله فيما يقولون ولا مصلحة الامة فيما يغيرون و يوغرون. والحال ان الحقيقة هى خلاف ذلك وهاك واردات ومصروفات اوقاف ولايات بر الشام بموجب جدول رسمى مصدق من نظارة الاوقاف

مصاريف السنة الحاليه		الواردات بحسب اجالات سنة ١٣٢٧ المالية		التحصيلات من اجالات سنة ١٣٢٧ المالية		ولايه	ايضاحات
باره	غروش	باره	غروش	باره	غروش		
	١١٢٧٤٨٥	٢٥	١١٧٢١٦٦	١١	١٠١١٤١٩	بيروت	مع الملحقات
٢٤	٢٠٢٩٦٧٥	١٦	١٥٧٩٣٦١	٠٨	١٤١١٢١٦	حلب	«
٣٧	١٦٥٢٦٦٩	٢١	١٢٤٣٣٢٨	٣٤	١١٣٢٠٢٩	سوريه	«
٢٦	١٥١٢١٨٥	٠٧	٢٢٥٦٣٩١	٣٠	١٣١٤٤٠٦	قدس شريف	«
٠٧	٦٣٢٢٠١٦	٢٩	٦٢٥١٢٤٧	٠٣	٤٨٦٩٠٧٢		

بقيت هناك مسئلة العمال والمأمورين والوظائف والمعاشات وهذه لاينكر ان الترك مستأثرون فيها بالشق الاوفر وانهم قلما يتعاطون التجارة والصناعة والزراعة بل جل معولهم لسوء الحظ على وظائف الدولة وهى بلية من بلايا المملكة العثمانية ومرض من اعضل امراضها نرجو الله ان يصححه منها ولو تدريجاً لأن انصراف الترك الى الوظائف ودوران معايشهم على محور الاستخدام جعل جميع متاجر الاستانة واخذها وعطائها وحرفها وصناعاتها فى ايدى الارمن والروم والافرنج ولم يكن منه فى ايدى الترك الاسداد من عوز فاموال الدولة تدخل على الاستانة والجانب الاكبر

منها يدخل على الارمن والروم والاوربيين ولكن هذه الحالة هي في الحقيقة خاصة باتراك الاستانة نظراً لمجاورتهم للباب العالي، ولاعتيادهم الوظائف والعيش من خدمة الحكومة فاما اتراك الاناضول فان نصيبهم من الوظائف نصيب سائر الاالمملكة ونصيب العرب انفسهم اذاً فليس استئثار الترك بالوظائف هو لمجرد بغضهم العرب اولكونهم لايريدون ان يستخدموا الابناء جلدتهم ولوكان ذلك كذلك لوجب ان يتساوى أهل الاناضول مع اهل الاستانة في هذا الامر لأن جميعهم اتراك واىما غلب على الوظائف اتراك العاصمة بسبب الجوار والالفة كما قلنا ونحن نعلم ان سكان مركز الولاية في كل الولايات يكون منهم عدد المستخدمين والمأمورين اكثر من سائر الولاية باسرها فاذا نظرت الى ولاية الشام مثلاً وجدت اكثر مأموريهاهم من نفس دمشق اوولاية حلب كان اكثر مأموريها من نفس حاضرة الشهباء وكذلك الالوية اكثر مأموري اللواء يكونون من نفس مركز اللواء لملازمتهم باب الحكومة وكونهم اقرب الى الدوائر الرسمية من اهل القصبات والقرى فاذاقلنا ان العرب مظلومون اومهضومون من هذه الجهة فلايكونون مظلومين اكثر من اهالي الاناضول مع مراعاة النسبة في عدد الولايات واذا اخذنا حاضرة الشام اوحاضرة بغداد اوحاضرة حلب وقسنا من له اتصال فيها بخدمة الحكومة الى امثالهم من مركز ولاية سيواس اوازمير اواطنه مثلاً لم نجد اهل هذه المراكز اكثر مأمورين اواوفر رواتب من اهالي دمشق والزوراء والشهباء وقس عليه البواقي نعم المزية في الاستكثار والاستئثار لاهل الاستانة نظراً للمجاورة والمعاشرة ولدينا مثل اوضح واجلى وهو ان اهالي جبل لبنان يناهزون خمسمائة الف نسمة واهالي قصبة دير القمر مصيف المتصرفية وقرية بعبدا مشتاها لايكادون يبلغون خمسة الاف نسمة ومع هذا فان ثلث مأموري لبنان هو من هاتين القصبتين فان قلنا انه يجب توزيع الوظائف على نسبة العدد فان الخمسة الالاف لايمكن ان تكون ثلث الخمسمائة الف وما الاصل في ذلك هوامتيازهم على بقية اهل الجبل فاهل الجبل متساوون في كل الحقوق ولكن الاصل فيه قربهم من مركز الحكومة واعتيادهم خدمتها ومن الامور البديهية ان الاقرب داراً الى النهر يكون اقرب وروداً وايسر ماءً ومع هذا فليس منا من يجادل اويكابر في وجوب توفير حقوق العرب وعدم بخسهم ميزانهم لاننا اذا كنا ناقمين على بعض العرب التكلم في الجنسية والدعوة الى ايثار انفسنا على الاتراك بكونهم اخواننا في الاسلام والعثمانية فنحن بالاولى ننقم على الاتراك

ايثار انفسهم على ابناء جلدتنا مع كونهم لايفضلون العرب في شيء لااصلاً ولافصلاً ولا كفاية ولافضلاً

وهناك امر آخر لابدان نسترعي له اسماع ابناء السلالة العربية وهو ان العرب الى يومنا هذا لم يقفوا في جانب الدولة موقف الاتراك ولارضوا ان يستأنسوا بالحكم والنظام جميعاً بل اذا عددنا العرب العثمانيين اثنى عشر مليوناً اوخمسة عشر مليوناً من الانفس مثلاً لزم ان نقسمهم الى ثلاث طبقات الاولى البوادي وهم اكثر من ثلث هذا العدد وربما ناهزوا نصفه والدولة لا تستفيد منهم سوى شن الغارات وافساد السابلة واقلاق راحة المعمورة وهي لا تأخذ منهم عسكراً ولا خراجاً واذا استوفت بعض رسوم على مواشيهم فبالمقدار الزهيد الذي لايوازي الوظائف والجعائل المعينة لمشايخهم والخلاصة ان هؤلاء خارجون عن الدائرة التي الكلام فيها فليس لهم الاالفائدة المعنوية من اطاعتهم للخلافة وكونهم من جملة الرعية نعم هم سياج المملكة الذي لاتخترق نواحيه وعضد الدولة الذي لايفت فيه اذا وقعت لاسمح الله غارة اجنبية الطبقة. الثانية حضر جزيرة العرب كاليمن والحجاز ونجد والبحرين وماماثلها فانه لايقدر ان يقول احد ان الدولة تستفيد من هؤلاء فائدة مادية اصلاً بل هي تخسر على تأمين بلادهم وادارة امورهم اموالاً طائلة كل سنة فاضلة على ما تأخذه من خراجهم ومعلوم ان الحجاز معيشته من الدولة العلية والعالم الاسلامي وهذه طبقة لاتقل عن اربعة ملايين ليس منها للدولة سوى الدعاء لمولانا السلطان والتأييد المعنوي الذي لاشك فيه. الطبقة الثالثة الحضر الذين في بر الشام وفي العراق والجزيرة وهؤلاء هم الذين تجند منهم الدولة العساكر وتأخذ الجبايات كسائر اهل السلطنة لكنهم لايزيدون على ثلاثة ملايين ولذلك كانت دعوى بعض اخواننا العرب بأنهم هم اكثر من نصف المملكة صحيحة من جهة العدد وغير صحيحة من جهة التكاليف الاميرية وكان على العرب قبل تعريض هذه الدعوى ان يشمروا عن ساق الجد ويدخلوا في المدنية وينشروا العلم في طبقاتهم ويتقربوا الى الدولة باحصاء نفوسهم وبقبول الخدمة العسكرية بعد ذلك يصير لهم الحق بالمطالبة والمحاسبة حسبما يقولون الآن وينتخب لهم نواب في مجلس الامة بنسبة عددهم

ولنفرض ان كل هذه الدعاوى صحيحة وكل هاتيك الاعتبارات وهمية فامعنى القيام للمطالبة بالحقوق بهذه النعرة الجنسية المشعرة بالمقت والانشقاق والازورار ومافائدة فك رابطة الاسلام لاقامة رابطة الجنس مقامها وما مدخل العصبية القومية

فى قضية فتح مدرسة اوعقد قنطرة اومدسكة اواتمام اصلاح ما الاان يكون هناك سبب هو غير داعى الاصلاحات ودسيسة خارجية هى عبارة افساد لا اصلاح فعلى الامة العربية ان تحذر من الحركات الماشية بين ظهرانيها وتنتبه الى السم المدسوس فى طعامها ان الاوربيين مع مابلغ بالاسلام من الضعف والتلاشى ومع سقوط اكثر الحكومات الاسلامية المستقلة لايزالون ينظرون الى الاسلام نظرهم الى القرن المضارع ويتذكرون ماضى الاسلام ويخشون كراته وربما وضع بعض مؤلفيهم الكتب فى التحذير من مستقبل الاسلام والتنبيه الى اتقاء خطر الجامعة الاسلامية اوالاتحاد الاسلامى المسمى عندهم بالبانيسلاميسم والذى اذا تمثل طائفه فى النوم لاحد قياصرتهم اورجال سياستهم هب مذعوراً .

وقداصبح عند انكلترة مائة مليون مسلم وعند فرنسا نحو اربعين وعند الروسية ثلاثون وعند هولندة نحو خمسة وعشرين هذا عداماعند النمسا فى البوسنه والمانيا فى افريقية وماتحاول ايطاليا اخذه فى طرابلس واسبانيا فى شمالى المغرب الاقصى وعدا مسلمى البلقان وان الطف الدول المسيحية معاملة للمسلمين هى اميركا فى الفيلبين والحبشة فى بلادها

فهذه الدول لاسيما الاربع اللاتى عندهن القسم الاكبر منهم لاتخشى من شئ كخوفهن من الرابطة الدينية التى تربط جميع المسلمين بعضهم ببعض كانها تربطهم جميعا بالدولة العلية . ولاترين يوماً اسعد من اليوم الذى تجدن فيه خطباً حل بالدولة العثمانية ولم يكرث هؤلاء المسلمين الذين تحت سلطتها ولااقام قيامتهم ولقد استعملت ضروب الحيل فى ابعاد هذه الامم عن الدولة واقامة الحواجز والسدود ودخلت عليهم من ابواب عديدة واجتهدت فى تقطيع آمالهم من الدولة فلم تستفد من كل مساعيها فائدة تذكر ولم يفتأ اولئك المسلمون يذكرون الدولة العثمانية ويدعون للسلطان العثمانى على منابرهم وان منعوهم من الدعاء له جهراً دعوا له سراً واوربا ترى ان هذه الحركة بدلاً من ان تضعف بضعف الاسلام قداخذت تزداد وتنمو وان المسلمين قدابتدأوا يشعرون وشعورا عاماً وشرعوا يستيقظون من سباتهم العميق وصارت تبدو منهم امائر النزوع الى وحدة تجمع شملهم وتمنع ذلهم وتقيهم خطر السقوط التام الذى يتهددهم فكان لهذه الحركة الروحية التى تختلج بالمسلمين مايقيم اوربا ويقعدها ويحفزها على تدارك عواقبها فهى ترى المسلم

الصينى يتلاقى بالمسلم المراكشى والمسلم الفلبى يتصافح مع المسلم الهندى كأنهما شقيقان ولدهما اب واحد وام واحدة ولاتجد هذه الاخوة حية فى حى من الاحياء اوشعب من الشعوب كما تجدها بين المسلمين ولاتعلم لها سبباً سوى جامعة الدين اذكانت عناصر هذه الامم متباعدة فيما بينها تباعد الارض عن السماء فاوربا بعد انحاربت الدولة العلية بجميع انواع الحروب جاءت تحاربها الآن بحرب جديدة هى احياء الجامعة الجنسية بين الامم الاسلامية لاجل ان تتفكك بها اوصال الاسلام ولايبقى محل لحنين المسلم الصينى الى الهندى والى التركى والى العربى ولهذا لاتكون كتلة واحدة ولما وجدت بعض العرب مستعدين لقبول هذا الفساد وكانت ترى انهم هم الذين يقدرون على مشاغلة الدولة اكثر من سواهم وانهم هم الذين يمكنهم احياء العصبية الجنسية ومهاجمة الدولة بها فتصير الدولة مشغولة فى بلادها بالمسئلة العربية كما ان تلك الدول مشغولة فى مستعمراتها بالمسئلة الاسلامية فاخذت تدس الى بعض الصحافيين فى المشرق بان يتكلموا فى الجامعة القومية ويحيوها فى صدور العرب وشرع رجال السياسة الاوربية ومن يبث دعوتهم من الشرقيين يضربون على هذا الوتر فى عرض النصيحة قائلين ان المسلمين لايبلغون من النجاح غاية يبنون بها حتى يضارعوا الاوربيين فى ترك الدين والتمسك بالجنس وان الامم المتمدنة الراقية اليوم لاتقيم للدين وزناً وعلى فرض انها احترمت الاديان ظاهراً فانها لاتعمل بها ولاتبنى سياستها عليها وآمن كثير من الاغبياء باقوال الاجانب هذه وتمويهات سماسرتهم وذلك لقصور اطلاعهم وركاكة عقولهم واخذوا يقلدون اولئك النفر فى الكلام تقليد اعمى ويقولون لا امل بالرقى بواسطة الدين الاسلامى فما علينا الا ان نعود الى الرابطة القومية بدون نظر الى العقيدة الدينية اقتداء باوربا التى اصبحت الرابطة الدينية عندها نسياً منسياً

ولوكان اولئك المساكين على اثارة من علم لكانوا علموا انه لم يأت يوم واحد نبذت فيه اوربا الرابطة الدينية اوقصرت فى حرمتها وان الانكليز الذين يحسبهم الشرقيون مثال التمدن والارتقاء هم اشد الامم تمسكا بالدين المسيحى وان كان تمسكهم مقروناً باللطف والاعتدال لاكنصرانية الامم السلافية التى افعالها ظاهرة للعيان ومن الغريب ان نكون نحن قاصدين الاقتداء باوربا قائلين حسبنا من الرقى نصف مابلغته منه وعند مانصل الى مسئلة الدين نحسب انفسنا ارقى من اوربا ونطالب اقوامنا باطراح الجامعة الاسلامية عند مالاتكون امة من امم اوربا رضيت سراً

اوعلناً باطراح الجامعة المسيحية التى لاتزال هى مدار سياسة اوربا الى يومنا هذا

ومن اوهى الاعتراضات على وجود الجامعة المسيحية بينهم قول المغالطين المضللين ان الدول لاتستنكف عند اقتضاء سياستها من ان تعاضد دولة اسلامية على دولة نصرانية كما حصل فى حرب القريم مثلاً والجواب ان الجامعة الدينية لاتنفى وقوع الخلاف بين ابنائها فالنصارى يتشاجرون والمسلمون ايضاً يتشاجرون والصحابة الكرام رضى الله عنهم تشاجروا وهم اساتذة الاسلام وكلهم مجتهدون وان البابوات المعصومين من الخطأ فى الكنيسة الرومانية كانوا يختصمون فيقوم اثنان فيدعى كل منهما انه هو البابا الحقيقى وكل هذا لايمنع من ان تكون بين المتشاجرين جامعة تجمعهم على من هو خارج عنهم ولايصح ان يقال ان اوربا اصبحت غير ذاهبة مع التعصب الدينى وانها لاتعرف امامها الا الانسانية الاتى صارت تنظر الى المسلمين نظرها الى المسيحيين بالتمام ومتى ابطلت صحفها الشهيرة ورجال سياستها القول بدول النصرانية ومصالح النصرانية الى غير ذلك واثبتت بالدليل تلو الدليل على ان المسلم والمسيحى واليهودى عندها شرع لافرق بينهم عند ذلك نقول بطلت الجامعة الدينية من بينهم هذا بدون نظر الى مسئلة ماذا كان جائزاً ترك الرابطة الدينية مع الاعتقاد بالدين

فاوربا لم تترك من النصرانية الا المبادىء الانجيلية الشريفة المبنية على محبة القريب وترك الطمع والزهد فى الدنيا والصدق فى المعاملة ولم تعرف النصرانية الا فى الشكل الذى اتى به بطرس الناسك اى شكل ابادة المسلمين مع ان النصرانية الصحيحة هى الشق الاول الذى تركته اوربا واما الشق الثانى فهو مناقض من جميع الوجوه لتعليم المسيح عليه السلام وان كثيراً من فضلاء النصرانيه فى الشرق والغرب يقرون بكون افعال اوربا منافية للنصرانية رأساً ولقد تألف كتب كثيرة فى اوربا تشهد عليها بظلمها للمسلمين ومؤخراً صدر كتاب باسم «الحرب الصليبية البلقانية» لبعض افاضل الفرنسيس من الحزب الاشتراكى وفيه مقدمة لاحد نواب الامة الفرنسية ورد فيه من هذا الباب مافيه مقنع لمن يريد ان يكون ريان من هذا الموضوع وقد جاء فى كتاب وارد من رئيس نقابة المحامين فى جنيف الى لجنة المحامين فى اثينا الجمل الآتية

« اننا تتبعنا بالمشديد حوادث القسوة والتوحش البربرى التى جرت فى البلقان

أثناء الحرب وقدرمى المتحاربون بعضهم بعضاً بها واظهر كل منهم وثائق وادلى بحجج مما اصبحنا لانقدر معه على تعيين درجة" المسؤوليه" ولكننا نقول على وجه الاجمال اننا شهدنا مشهداً هو من الفظاعه" فى عصرنا ومن المخالفه" لدين المسيح الذى باسمه اريد طرد الاتراك من املاكهم التى فى ايديهم منذمئات من السنين بحيث يمكننا ان نتسآل عما اذا لم يكن المغلوبون هم الذين ساروا فى اثناء هذه المجازر الفاجعه" باحسن سيرة انسانيه" جديرة بان تستميل عواطف العالم المتمدن »

اماظن هذا الفاضل بأن سيرة الاتراك جديرة بان تعطف عليهم العالم المتمدن فالحقيقه" انها لا تعطف منه سوى نفر من الاحرار المتحققين بالفضل وفئة من الاشتراكيين الكارهين لهيئه" اوربا الاجتماعيه" الحاضرة ومابقى فانهم لا يبالون باى شكل قتلوا الاتراك ولا على اى" شكل صلبوهم وكذلك ليسوا اعطف على العرب مماهم على الاتراك وهذه حروب افريقية الحاضرة لدينا فالحرب الصليبية لسوء البخت لاتزال قائمة من اوربا واذا قام من كتابنا من يستغيث منها ويلتمس الانصاف ويدعو قومه إلى التماسك والتعاضد ويقول مادام هذا التحامل واقعا فى كل بقعة على المسلمين فأحر بهم ان يتعارفوا وان ينهضوا يداواحدة لوقف هذا الاعتداء عند حد" قام بعض رواد الافرنجة من الشرقيين يسلقونه بالسنة حداد ويرمونه بالتعصب الدينى" ويتهمونه بالتفريق بين المسيحيين والنصارى وقام بعض المسلمين يجارونهم فى هذا الافتراء ويوافقونهم على هذا القول ليثبتوا لهم انهم قوم متمدنون متهذبون وانهم والحمدلله من الطبقة الراقية وانهم من العلماء الاجتماعيين

فكانه من الواجب ان تأخذ ايطاليا طرابلس وترتكب فيهاما ارتكبت وان تغزو فرنسا مراكش وتقتل القوم فى وسط ديارهم وتزحف الروسية الى العجم وتقتل كبار مجتهديهم فى اوائل المحرم وتضع خيولها فى مساجدهم المقدسة وان يستأصل البلقانيون مسلمى الروملى قتلاً واسرا ويهتكوا استارهم ويسبوا الوفاً من نسائهم ويحملوا منهم نحو ١٥٠ الفاً على النصرانية بالسيف ويقلبوا مساجدهم كنائس ويستبيحوا فيهم كل محرم ولايجوز ان يرفع مسلم اوانسان مطلقاً صوته بشكوى ولاان يتلفظ بذكر هذه الفظائع حتى يقام عليه النكير وينسب اليه التعصب الدينى" الذميم وهذه لعمرى نهاية النهايات فى احتقار عقول الناس واحلامها والهزؤ بحقوقها

ولقد شاهدنا بعد الجرائد المأجورة للاجانب من الجرائد العربية قدسكتت

سكوتاً تاماً عن فظائع البلقان مع تواترها حتى فى صحف اوربا ورأينا جريدة المقطم احياناً تحاول انكارها لأن ثبوت هذه الافعال الوحشية مع سكوت الدول العظام عنها عبارة عن اعلان الافلاس الادبى وسقوط الاوربيين العالين فى نظر اهل الشرق من جهة الاخلاق كما هم ساقطون فى نظر اهل الصين فلا ينتظم ذلك مع مبدأ الصحف التى تدعو الى قبول السيطرة الاوربية والتى لا تزال تترنم بمنازع العدل الاوربى ولكن افتضح هذا الامر رغم سكوتها وظهر للناس عدم تحرى هذه الجرائد الحق وانما ذكرنا المقطم فى هذا الباب دون غيره لأنه يستحق الذكر ويصح ان يوجه اليه الملام

ولقائل ان يقول ما مدخل هذا البحث الذى هو اثبات تحامل اوربا علينا فى قضية طلب الاصلاحات من الدولة العثمانية على قاعدة اللامركزية واننا مسلمون مؤمنون بوقوع هذه الحرب الصليبية علنا ولذلك نحن نطلب الاصلاحات ابتغاء تحصين الوطن فى وجه العدو الطامع اليه والجواب سترون ان البحث واحد وانه سلسلة آخذ بعضها برقاب بعض ولسنا نقبل منكم المغالطة فانتم لم تقوموا فقط لطلب اصلاحات واستفتاح مدارس واستثمار مزارع واستخراج كنوز واستنباط عيون بل قمتم من اول ما قمتم بالعصبية العربية الجنسية وصحتم بالنعرة القومية ودعوتم الى حمية الجاهلية المنهى عنها فى الشرع الاسلامى واخذتم تشدون وتلحمون فى موضوع تنفير العرب من اخوانهم الترك مما لم تخل منه كتابة من كتاباتكم وكذلك كنتم تشيرون من طرف خفى الى وجوب اطراح الجامعة الدينية الاسلامية والعروج الى المعالى بمدارج الجامعة العربية فقط وهذا قد نمت عليه كثير من اقوالكم وحركاتكم وان كنتم لم تصرحوا به الى غاية ما فى نفوسكم فانما هو مداراة للعامة وخوفاً من سخط الدهماء التى لا تزالون تخدعونها بزخرف الاصلاحات وتنكرون عليها حقيقة مقاصدكم من جهة الدين ومع هذا فاى تصريح تريدون اعظم من استشهاد رفيق بك العظم رئيس حزب اللامركزية بقصيدة اليازجى السينية التى اختار هاله من بين جميع قصائده فى حفلة تشييع رفاته بمحطة مصر وهى القصيدة التى يقول اليازجى فيها

دع مجلس الغيد الاوانس وهوى لواحظها النواعس
واسل الكؤوس يديرها رشأ كغصن البان مائس
وذر التنعم بالمطاعم والمشارب والملابس

اين النعيم لمن يبيت على بساط الذل جالس
ولمن تراه بائساً ابداً لذيل الترك بائس

الى ان يقول

فاليكم ياقوم فاطرحوا المدالس والموالس
وتشبهوا بفعال غيركم من القوم الاحامس
بعصائب جآءوا فجادوا بالنفوس وبالنفائس
هبت طلائعهم يليها كل صنديدٍ ممارس
تركوا جميع الترك تعصف حولها النكبُ الرواًمس
ملأوا البطاح بهم فداس على الجماجم كل دائس

يشير الى حرب الروس للعثمانيين سنة ١٨٧٧

فاستوقدوا لقتالهم ناراً تشب لكل قابس
وعليهم اتحدوا فكلكم لكلكم مجانس
اولستم العرب الكرام ومنهم الشم المعاطس
ودعوا مقال ذوي الشقاق من المشايخ والقمامس
يمشون بين ظهوركم تحت الطيالس والاطالس
فهم رجال الله فيكم بل هم القوم الا بالس
فا الشر كل الشر ما بين العمائم والقلانس

فنحن نوافق على مضمون قول اليازجي

اين النعيم لمن يبيت على بساط الذل جالس
ولمن تراه بائساً ابدا لذيل الترك بائس
ولمن يرى اوطانه دمناً واطلالاً دوارس
كسبت شحوب الثا كلات وكن قبلاً كالعرائس
عج بي فديتك نادباً ما بين ارسمها الطوامس
واستنطق الآثار عما بين هاتيك البسابس
عن عزة كانت تذل لها الجبابرة الاشاوس
ومدائن غناء قد كانت تحف بها الفرادس
اين المكاتب والمصانع والمدارس والمغارس
بل اين هاتيك الالوف بها فسيح البرآنس

ونرفض الذل ونطلب المساواة وننشد الاصلاح ونبتغي عمران الاوطان ولكننا لانجعل السبب في انحطاط هذه الاوطان سوى صليبيات اوربا وتحاملها الى يومنا هذا على الاسلام وعدم امهالها الدولة العثمانية فواقاً ان تنهض اوتتنفس وعدّها عليها انفاسها ذنوباً وحسناتها عيوباً وزحف امثال اولئك الذين جاء وجادوا بالنفوس وبالنفائس وداس منهم على جماجمنا كل دائس كل مدة بضع سنين مرّة بحيث لم تقدر هذه الدولة ان ترم شيئاً من ذلك الخراب الواسع الابشق الانفس

ولكننا لانوافق على مضمون الشماتة بالترك الذين هم اخواننا في الدين والتابعية والذين نذل بذلهم ونعتز بعزهم شئنا او أبينا فامارفيق بك استاذ اللامركزية فقد اقرّ بأنه قال ان هذه القصيدة ماقرئت على ملأ الا وجمعت بين الشتيتين يشير بذلك الى مسلمي العرب والنصارى منهم

وهنا ايضاً موقف آخر مهم وهو اننا لانفكر ابداً في الانفصال عن نصارى العرب بدون نظر الى قضية كونهم عرباً اومستعربين اواصلهم من امم مختلفة اوكون جزء يسير منهم عرباً والباقي قد استعرب بكرور الايام فاننا نحن نعلم ان كل النصارى الذين يتكلمون بالعربية عرباً ونريد ان يبقى الاتحاد بيننا وبينهم وان تكون المساواة شاملة لنا ولهم وان لايمتاز المسلمون عنهم بشيء من الحقوق ولكن على شرط ان لايدعونا ذلك الى ترك رابطتنا الدينيه بالاتراك وسائر مسلمي المعمور وان لانزعم كوننا نحل الجامعة الجنسية العربية محل الجامعة الاسلامية وانا اصبحنا لانعرف المسلم التركيّ ولا الفارسيّ فليصبه ماصابه فلاشأن لنا به ولتهتك اعراض مسلمي الروملي فأيّ علاقة لنا معهم هم ترك وبلغار وبشناق ونحن عرب ولينصرهم البلقانيون فلايعنينا من هذا الامر شيء فان هذه الامور لانقدر ان نسلم بها طرفة عين وليست هي شرطاً لازماً للاخاء نصارى العرب فقد كان العرب نصرانيهم ويهوديهم ووثنيهم قبل الاسلام يجتمعون على قتال الاعاجم كما حصل في وقعة ذي قار والى اليوم يمكن ان نكون يداً واحدة مع نصارى البلاد العربية لاجل الدفاع عن اوطان هي لنا ولهم معاً ولكن لما كانت اوربا نفسها لم تنكر الى اليوم الرابطة الدينية وكانت فرنسا ام التمدن تدعي حماية الكاثوليك في الشرق بحجة اجتماعهم معها في كنيسة واحدة مع اننا لو نظرنا الى العنصر لوجدناهم اقرب الى المسلمين نسباً وامس رحماً مماهم الى الفرنسيس اذ كانوا والعرب من السلالة السامية كما ان الاتراك اقرب الى المجار

والبلغار نسباً ومحتداً وهم مع ذلك اعداء لهؤلاء واخوان للعرب بالرابطة الدينية فاننا لا نريد ان ننكر هذه الرابطة ولا ان نعمل على توهينها ويا ليت شعرى لو لم تكن الدولة العثمانية فى الوجود فمن ذا الذى كان يضطر البلغار الى ترك البوماق المتنصرين جبراً يرجعون الى الاسلام ومن يقسر البلغار على اعادة الالوف من السبايا الى والديهن كما اشترطت الدولة ذلك فى عقد الصلح مع البلغار اخيراً ومن ذا الذى كان يجبر البلغار على انزال مئات من النواقيس من رؤوس المآزن واعادتها للنداء بكلمة لا اله الا الله كما كانت وان قال أولئك القائلون بالجنسية دون غيرها وماذا يهمنا من امر البوماق والبوشناق والترك مادام هذا الامر لم يقع مع العرب اجبناهم فلو خطر فى بال فرنسا او ايطاليا ان تنصر العرب فى افريقية جبراً كما فعل البلغار مثلاً فهل يوجد مانع يمنع هذه الدول من ذلك غير الدولة العثمانية التركية افلا ترون ان اهم شروط معاهدات الصلح بينها وبين ايطاليا هو حفظ الحريه الدينية الاسلامية والاوقاف ومع البلغار كان المحافظة على الجماعات الاسلامية فى بلاد البلغار وعلى اوقافهم ومساجدهم وتأمين حريتهم الدينية باوسع مايتصور العقل وان الذى يؤخر عقد الصلح بينها وبين اليونان ماهو الا طمع اليونان فى اعتراض المسلمين الذين عندها فى امورهم الدينية بل محاولتها الاحتفاظ ببعض شؤون تخالف الوجه الشرعى وان ظن بعض سفهاء الاحلام كون الدولة العليه لا تقدر على حمايه دين الاسلام لو تألبت اوربا عليه وان ترك اوربا للاسلام حريته الدينيه هو من بعض مظاهر العدل الاوربى فهو وهم باطل فان اوربا تفهم انه مهما بلغ الضعف من المسلمين فاذا امدت يدها الى دينهم وعرضهم نهضوا نهضة رجل واحد واستماتوا لا يلوون على شئ وجعلوا مستعمرات اوربا فى خطر الضياع وكان لهم من الدولة العثمانيه رأس تنتظم به كلمتهم وتتحد حركتهم فهى تهدأ عن هذا الامر مادامت الدولة العثمانيه فى الوجود لأن قطع الاعضاء مع بقاء الرأس لا يمنع وجود الجسم وحياته ولقد شهدنا ان رجلاً كسيدى احمد الشريف السنوسى صفته مشيخة طريقة من طرق الاسلام قاوم دولة عظيمة كايطاليا ٢٦ شهراً ولا يزال يقاومها ويوالى على جيوشها الهزائم وذلك بسبب كونه رأساً مطاعاً فى بلاده تجتمع عليه كلمة العرب هناك فكيف يكون شأن السلطان العثمانى اذا اشتد بالمسلمين الخناق والتفوا حوله لاجرم ان وجود الدولة هو الذى وقف بمظالم اوربا للاسلام عند هذا الحد فقط وقد يعترض حزب المتمدنين المتهذبين والذين ليسوا نظيرنا من المتعصبين بأنه ماشأننا بالدين ودعوته وماذا يهمنا من حفظه وعدمه ونحن دعاة مدنيه لا دعاة

دين فنحاورهم هل يسلمون بان دول اوربا دول مدنية ام لا فان كانوا ولا شك لا يسلمون بكون دعوتها للمدنية فقط قلنا لهم هل اذا قامت الدولة العثمانية تحمل نصارى اقل قرية من قرى الشام على الاسلام قسراً تسكت اوربا عن هذا العمل ام تتوسط الامر بالنصيحة اولاً وان لم تنجع النصيحة فبالسيف ثانياً

نعم ان وجود الدولة العثمانية هو الحافظ الوحيد للمسلمين فى المعمور كله دينهم وعرضهم واذا تأذن الله بزيالها لاقدر الله ذلك رفعت دول الاستعمار القرآن حالاً من ايدى المسلمين وحملتهم على النصرانية قسراً وانشأت لهم برنامجاً خاصاً للتعليم ينشأ نشئهم الجديد عليه حتى ينسوا معنى الاسلام بالكلية وتذهب منهم روح المقاومة وتأمن اوربا على مستعمراتها وتنتهى مصارعة الهلال للصليب بعدان استمرت بضعة عشر قرناً هذا ماستبادر اليه اوربا اذا زالت دولة ابن عثمان لاسمح الله وهذا ماتتوخاه كل دولة منها بمفردها وينوب المسلمين من كل دولة يومئذ مانابهم فى الروملى من البلغار واليونان والصرب والجبل الاسود فى الكائنة الاخيرة التى لم يقع فى تاريخ الاسلام مايضاهيها سوى ثلاث مصائب طامة الاولى الحرب الصليبية التى اخذ بها بيت المقدس واكثر الشام واصبح الحجاز تحت الخطر الثانية الحرب التاتارية التى خربت بها جميع بلاد المسلمين ماخلا مصر وافريقية وسقطت بها خلافة بغداد وبقى بعدها الناس ثلاث سنين بدون خليفة الثالثة المصيبة الاندلسية التى زال بها ملك الاسلام فى تلك الجزيرة بعدان استمر فيها نحو ٨٢٠ سنة وهذه الفادحة البلقانية هى الرابعة اذا كانت صدور الامور مؤذنات باعجازها فهذا ماستفعله اوربا فى ذلك اليوم لااراهاالله اياه ولاينكر ذلك الامن سفه نفسه وكذب حسه وكابر فى المحسوس وتناكر مطالع الشموس فان تحامل اوربا على الاسلام والدولة العثمانية قائمة والدول المتناظرة تتشطر اضرعها فى طلب المرفق وينافس بعضها بعضاً عليه هو ماتراه وماتحسه فى كل نبأة فاظنك به وقد فقد الاسلام حاميه وراعيه واصبح ابناؤه هملاً وانقلبوا لغيرهم خولاً والعياذ بالله هل تنفعنا يومئذ اللجنة المليا لحزب اللامركزية فى كشف تلك الغمة ام نلجأ الى عمون وزينيه وغانم ونجار وخيرالله ومن شاكلهم مناشدين اياهم باللحمة العربية العزيزة عليهم ان يشفعوا لنا لدى

افلاس المخالفه

تابع ماقبله

ان توحيد عموم احزاب المعارضة تحت اسم حزب الحرية والائتلاف قدجعل لها قوة مهمة وصير مركز حزب الاغلبية مزلزلا اكثر من قبل واصبحت اراء المبعوثين التابعين لكل من الحزبين تكاد تتساوى وبذلك بانت اداره دفة الهيئة التشريعيه بيدالفئه القليله التي يسمى اعضاؤها انفسهم بالمستقلين المحافظين على الحيدة فاى فريق من الطرفين انضمت اليه هذه الفئة احرز الاغلبية فلم يكن من حزب المعارضة بعدأن رأى من نفسه هذه القوة الا ان اصيب بمرض الشرق المهلك مرض الغرور والغفلة فلما انس من نفسه امكان فوزه لم يعد يرى من اللازم استعمال اداب المخاطبة وحسن المعاملة والحيطة ازاء حزب الحكومه ولم ير بأسا فى اتهام اساطين الاتحاديين خصوصا بكل جناية ورميهم بكل رزيلة

اخذ الجدال من هذا الحين شكلا ذميما للغاية فبدل ان نرى الحقائق تجلى من اختلاف الافكار ومصلحة الوطن تصان بفضل رقابة الاحزاب رأينا حزبينا قدسلكا فى الجدال طريقا غاية كل واحد منهما منه اسقاط الاخر من دست القوة والحلول مكانه واتخذت المنافسة بين الحزبين شكل معاركة خطرة لاتنتهى الا بمحو وهلاك احد القرنين وسلك حزب المعارضة فى استمالة الرأى العام لمناصرته خطة مجرده عن كل حيطة وحكمة واصبحت هجماته شديدة لدرجة جعلت حزب الاغلبية يعتقدانه لواتيح الفوز لحزب المعارضة فلن يبقى عليهم ولن يترك لهم اثرا وتجلى للانظار عزم جماعة المعارضين على الانتقام من حزب الحكومة وجمعية الاتحاد واخذ المعارضون يصورون للامة اركان جمعية الاتحاديين وحكومتهم كعصابة اشقياء ويتهمونهم بالجنايات الخصوصية والعمومية فهذه الخطة لم يترك لحزب الحكومة من باب سوى التخير بين واحد من اثنين اما التمسك باسباب السلطة اوالموت واتسعت دائره هذا الجدال فشملت السواد الاعظم من الامة ولم يفطن رءوساء المخالفين الى ان الهجوم بهذه الصفة يستدعى دفاعا من نوعه تماما ولذلك ادت حركاتهم الى

انقسام افراد الامة الى فريقين بلغت عداوة كل منهما للاخر اشدها وجاء فوز مرشح المخالفين مبعوثا عن الاستانة ليحل مكان رفعت باشا ناظر الخارجية الذى تعين سفيرا للدولة بباريس يبين غلبة حزب المعارضة المعنوية

اذ بينما مرشح الاتحاديين ممدوح بك تحلى بالفضائل الاخلاقيه والمزايا العلمية وكان ارجح من منافسه فى كل شئ رأينا رقيبه يحرز قصب السبق . ان اجتهاد حزب المعارضة فى احراز هذا الفوز وتأمينه كان عملا بعيدا عن المهارة السياسية لان حزب الاغلبية كان سيفقه انه بتساهله فى معامله اقرانه سيغلب على امره وهنالك يعمد الى اتخاذ جميع انواع التدابير الكافلة لسلامته وفعلا حدث ذلك

ان جمعية الاتحاد وحزبها كان يلقيان بسورة مؤلمه للغاية جزاء افراطهما وغفلتهما اذ ان منح امة حديثة العهد بنيل دستورها شكل الحكومه البرلمانيه على ارقى انواعها يعتبر من جهة قصورا عن ادراك حاجة المملكه ومستوى الامة العلمى ومن جهه اخرى انكار الناموس الرقى والتكامل فلا عجب ان رأينا حزب الاغلبية يشعر بلزوم رجوعه خطوة الى الوراء ويسعى لجعل نظام حكومته اشبه الاشياء بنظام الدستور الانجليزى ولكنه وقتئذ كانت اغلبيته ضعيفة الى حد قد يصح اهمالها اذ انها لم تكن كافيه لاداره الحكومه كما يجب وبناء عليه رأينا حزب الاغلبية يعمل على تعديل الماده (٣٥) ويحل المجلس بسبب ذلك ثم رأيناه فى الانتخابات الجديدة يخرج عن دائره العدل والمهاره ويظهر شدة لا لزوم لها واتبع سياسة من لم يقنع باغلبية عاديه ورأينا الحكومه تستعمل كل حولها وقوتها فى التضييق على المخالفين واحباط مساعيهم فى الانتخابات وكان من جراء ذلك انه بعد ان كان بمجلس المبعوثين السابق نيف ومائه مبعوث من المخالفين لم يوجد بالمجلس الجديد الا خمسة مبعوثين

ان نتيجة هذا الافراط كانت فى الظاهر قضاء على المخالفين وفى الحقيقه توسيعا لنطاق حركتهم وتقوية لمبادئهم بصورة خفية اى ان فوز حزب الاتحاديين العظيم فى هذه الدفعه كان فى الحقيقه اخفاقا وانكسارا

ان الشدة التى ظهرت فى الانتخابات اتخذت وسيلة لثورة الالبان مع ان سببها كانت خطأ نظريات الحكومة من جهة ومطامع رؤساء الارناؤوط الاشميه وحرصهم الشخصى اما خطأ نظريات الحكومه فمنشأه ان رجالها كانوا يطمحون فى ايجاد امة عثمانيه قويه متجانسة المشارب والعادات متحده الامانى والغايات بينما اعلان الدستور قد ايقظ فى جميع عناصر الامة النعرة الجنسية والعنصريه فاصبح كل عنصر يروم

ان يرى لسانه وعاداته سائدة في منطقته اي ان يكون في الحكومه العثمانيه مراكز ادارية ودينيه وسياسيه بقدر عدد عناصر الامة وفكرة ربط هذه المراكز بمركز رئيسي توركي يوحد الجميع ويقودها فكرة وان تكن مشروعه فهي مستحيلة ان جمعية الاتحاد والترقي وحزبها مهما عملت فلن يغيب عنها صفة انها حزب تركي وجمعية تركيه وبناء عليه ستبقى دائما عرضة لمخالفة العناصر الغير تركيه لها ومعارضتها دائما وهذه نتيجيه طبيعيه لخطأ الاتراك التاريخي. ان نصوص القانون الاساس صريحة في ان اللغه التركيه هي اللسان الرسمي للملكه وانها لغة التدريس في جميع المدارس الثانوية والعاليه ومع هذا رأينا العناصر تعتبر ذلك من تحكم الاتراك ويقولون ان المراد من ذلك هو تتريك العناصر وبينما الارناءوط لم يكن لهم لسان وادبيات قوميه راقيه رأينا رءوساءهم يتوقون لجعل اللغة الالبانيه في بلادهم ومصالحهم اللغة الرسمية وما ذلك الا لعلمهم ان تكامل اللغة التركيه ورقيها العظيم عن اللغة الالبانيه ربما حصر الاخيره في دائره العوام وصبغ اجيال الالبان الاتيه بالصبغه التركيه

ان الارناءوط هم قوم لايزالون في حياتهم الاجتماعيه اشبه الناس بالبدو ولا يزال تقسيم القبائل والبطون والافخاذ موجود بينهم ولذلك ترى رءوساء كملوك الطوائف يجبون لانفسهم من الاهالي الضرائب فلاعجب ان يشتقوا من ان معنى تأسس حكومه قوية الشكيمه وتأييد نفوذها هو القضاء على أولئك البكوات الشبه مستقلين فهذا من جهة وضرب الحكومه الدستوريه بيد من حديد ابان تأديب ثوار الالبان الذين الفوا النزوع للفتن منذ زمان من جهة اخرى واهم على مانعلم لاينسون ثارات دمائهم حتى ولو بعد مضي عصر من الزمان اعتبروا هذا التأديب دعوة دم يجب الثأر له فاعدوا الجميع هذه الاسباب وسائل الثوره سرا واتخذوا من مساله الانتخابات وسيله لرفع لواء العصيان فارادت الحكومه ان تبعث بجيوشها الى البانيا بيد ان روح المعارضة كانت قد تغلغلت في الجيش فعصت بعض التوابير وتشكلت فرقه مخالفه من الضباط هي جماعة الخلاصكار

مسكينة ايتها المملكة قد احاطت بك المصائب من كل جانب بيد ان افدح المهالك المهددة لك كانت من اثار تفرق كله القوه المدافعه عنك وانقسام جيشك على نفسه. ان هذه المصيبه كانت منتظره لان الجيش بعد لعبه الدور المهم في الانقلاب الدستور مافتأ يشتغل بالسياسه مستمرئا مرعاها ولقد كان ضباطه في مبدأ الامر فريقين

حزبا يناصر الجمعيه والاخر يلزم الحيدة ولكن تمادى الضباط فى السياسه خول لبعضهم الانخراط فى سلك الاحزاب السياسيه وكان للضباط التابعين لحزب الحكومه نفوذا عظم من امثالهم وجاء استخدام بعض الضباط فى الوظائف الملكيه الراقيه فاثار حسد الغير وحرك فيهم روح المنافسه والمناجزه

ثم ان التشكيلات الجديده للجيش قد كان لها اسوأ وقع بين الضباط لان تقليد النظام المتبع فى الجيش الالمانى المانح لاركان حرب الجيش نفوذا عظيما على اقرانهم والقاضى بانه لا يمكن لاى ضابط ان يصل درجة الاماره والرئاسه الا اذا كان من ضباط اركان حرب الجيش ضاعف استياء الضباط وزاد فى استعدادهم للانضمام الى صفوف المعارضين

لقد كان بين ضباط الجيش عدد عظيم يقدر المهالك الناجمة عن اشتغال الجيش بالسياسه فارادوا تلافى الخطر قبل وقوعه فالفوا فى جهات كثيره جماعات غرضها منع الجيش عن الاشتغال بالسياسه ومنع استخدام الضباط بالوظائف الملكيه وجعل اساس الخدمه العسكرية مدعما على قواعد العدل والمساواه والكفاءه وعندما ارسلت هذه الجماعات المختلفه مندوبيها للاستانه لتوحيد قواها وترويج مطالبها رأينا جمعيتهم العموميه وقد خرجت عن شكل المطالب العسكريه الى التشكل فى صورة حزب سياسى معارض وانا فى هذا المقام نعرض على انظار الرأى امام هاتين الحقيقتين ان جميع اعضاء حزب المعارضه لم يتبعوا سياسة واحدة ولم يتحدوا فكرا ازاء حركات الخلاصكار وثورة البانيا

ان رءوساء ثورة البانيا لم تكن لهم علاقة رسميه مع حزب الائتلاف اقول علاقة رسميه لان زمرة من رءوساء الثوار الالبانيين كانوا من اعضاء حزب الائتلاف ولذلك اتفقوا مع رءوساء الارناءوط على ايفاد هيئة لتتفق مع حزب الائتلافيين على توحيد مساعيهم معهم ولما جاء الوفد المذكور رفض مجلس اداره حزب الائتلاف الاتفاق معهم لانهم رسل حركة البانيا العصيانيه والفضل فى اصدار هذا القرار المصيب يرجع الى رئيس الحزب فؤاد باشا والى لطفى فكرى بك وغيرهما من الذوات الذين رأوا انه لا يليق بحزب سياسى الخروج عن دائره السياسه المشروعة

كذلك لم يكن لحزب الائتلاف مع جماعة الخلاصكار علاقة رسميه اقول رسميه لانه من المعلوم ان بعض الضباط التابعين لحزب الائتلاف كانوا منخرطين فى سلك

جماعة الخلاصكار وبناء عليه لا يصح الادعاء بان بعض اساطين حزب الائتلاف لم يكونوا مطلعين على جميع اعمال جماعه الخلاصكار ويرجع ايضا الفضل فى ملازمة حزب الائتلاف الحيده الرسميه لمساعى لطفى فكرى بك

والحقيقة التى لا شك فيها ان كل من البرنس صباح الدين وشريف باشا قد لعب دورامهما فى ثوره البانيا ويؤيد ذلك تصريحات كوملجنه لى اسماعيل بك يومئذ فى مجلس اداره الحزب حيث اكد للاعضاء ان البرنس صباح الدين قد عقد اتفاقا مع رءوساء الثوره بصفته ممثلا لحزب الحرية والائتلاف وكان واسطة التخابر بين البرنس وياقوه لى رضا بك هو امين بك نجل جلال باشا احد حراس عبد الحميد قديما فكان هذا الرسول فى ذهاب واياب كل اسبوع ما بين اسكوب والاستانه

ولقد اتهم كل من البكوات كوملجنه لى اسماعيل وماهر سعيد ورضا نور بانهم اتفقوا مع الثوار باسم حزب الائتلاف وانهم اخذوا اموالا طائله بهذه الواسطه ولكن جلية الامر هى: لما كان رضا نور فى منفاه تعرف بياقوه لى رضا بك فلما عرض على رءوساء الثوار وخصوصا رضا بك المذكور فكرة الاتفاق مع حزب الائتلاف وتوحيد اعمالهم قبيل اشتعال نار الثوره سأل رضا عمن هم رءوساء الحزب المذكور فذكروا له من بينهم رفيقه فى منفاه رضا نور بك ومن ثم بدأت المخابرات بينهما فى هذا الشان

ولقد سمعنا كوملجنه لى اسماعيل بك يصرح وقتئذ بان البرنس صباح الدين البس بعض الناس ملابس الضباط وقدمهم لرءوساء الالبانيين زاعما انهم قادة جماعة الخلاصكار ومهما كانت حقيقة هذه الرواية فانا على يقين من ان البرنس المذكور كانت له علاقات وثيقه مخصوصه برءوساء الثوار الالبانيين وجماعة الخلاصكار

اما ما كان من امر رضا نور بك وماهر سعيد بك فانهما طلبا اجتماع هيئة ادارة حزب الحرية والائتلاف ولما اجتمعت قاما وقالا (يجب على من ادعى من هذه الهيئة بانهما قد عقدا باسم الحزب اتفاقا سريا مع رءوساء الارناءوط واخذا اموالا طائله من جراء ذلك ان يبرهن على صدق دعواه والا كان وغدا لئيما فى نظرهما) وصرحا بانه من المستحيل خدمة المملكة بحزب هذه حالة اعضائه وهما بالاستقالة بيد ان شعبان افندى قدم لهما باسم الحزب الترضيه اللازمه فبذلك وبحسن ادارة الباشا الرئيس صين كيان الحزب من الانفراط والانحلال الى حين اخر

*
* *

عندما بلغت احوالنا الداخليه هذه الدرجة من التذبذب والتقاطع رأينا اوربا والسلافيين اعتقدا ان مقصدهما المشترك الذى سعيا لاحرازه منذ قرنين من الزمان قد حان وقت تحقيقه نعم ان جميع العالم الانافد تيقن ان الحملة لاخراج الترك من قارة اوربا قد بدئت ولكن عداواتنا السياسيه واحقادنا الشخصيه اعمت عيوننا الى حد ان اصبح مبدأ كل واحد منا ان يهلك الرقيب المنافس باى صورة وبيد اى كائن فالارناءوط قاموا بحركتهم باسم عنصرهم ولم يبالوا قط بما قد يصيب الدولة العثمانيه من وراء ذلك

ان وزارة سعيد باشا عندما رأت جماعة الخلاصكار يحاولون ايجاد انقلاب وتشكيل حكومة عسكريه وثوار البانيا يشعلون نار الفتنة فضلت الاستقاله عن تعريض البلاد للمهالك ففعلت ومعنى استقالتها سقوط الحكومه الاتحاديه فاعقبتها وزارة الغازى مختار باشا وكامل باشا التى استلمت مقاليد الحكم بفضل اصرار جماعة الخلاصكار ورءوساء الثورة على المطالب الاتيه (سقوط الحكومة الاتحاديه وحل مجلس المبعوثين واعادة الانتخابات الخ)

عندما ابصرت النمسا ان حركات السلافيين على وشك البدء ارتاعت وخشيت نجاحها المتوقع وطمعت فى ايجاد دائره نفوذ جديدلها بالبلقان فاسرعت وقدمت مشروع برختولد القاضى بجعل اساس اداره الولايات مدعما على اللامركزيه واستقلاله الادارى فهذ العمل ضاعف همم السلافيين وعجل حركاتهم فرأينا الاتفاق البلقانى الذى لم يكن خافيا الاعنا وقد برز فى الميدان فطالبتنا اوربا بحسم المسأله بمنح الروملى استقلالا اداريا تحت اشراف الدول العظمى وهذا الطلب هو نتيجه طبيعية لثورة البانيا والانقلاب العسكرى الذى قامت به جماعة الخلاصكار اذان وزاره الغازى مختار باشا كان مبدأها اللامركزيه تقريبا وتأسيس ضرب من العثمانيه على غير اساس التركيه نقول تقريبا لان وزاره الغازى مختار باشا لم تكن متجانسه الاعضاء ولا واضحة السياسه

اما جواب الوزاره على مذكرة الدوله فكان عباره عن اعلانها قبول جميع مطالبها عدا حق الاشراف على الادارة ومع هذا فالوزاره قد ابدت فى هذا الباب من عدم المهاره والدربه شيئا اذ اعلنت فى الصحف انها ستطبق الاصلاحات على الاساسات المخصوصة التى وضعت فى معاهدة برلين فاهاجت بذلك اعصاب الامة ان الامة لم تكن عارفة بحقيقة موقف الحكومه من جهة وكانت امالها وثقتها

بالجيش وثيقه كبيرة ولذلك استقبلت نوايا الحكومة التي اعلنت على عزمها على تطليقها بالتهيج والاستهجان وهنا ابدت الحكومة من وهن القوى وضعف الارادة ماجعلها تعلن عدولها عن نواياها خوفا ممارأته من هياج الامة وظنت ان في استطاعتها مداراة اوربا وارضاء البلقانيين بفارغ الوعود وعذب القول

وبناء على عملها هذا اصبح بيد دول البلقان السلاح الذي تتخذه وسيله لاعلان الحرب علينا . وعندما تحقق هجوم الدول البلقانيه الاربعة رأينا رءوساء جماعة الاروام الملتحقه بحزب الائتلاف يباحثون رءوساء الحزب وخصوصا شعبان افندى في امكان فصل اليونان عن حكومات السلاف في هذه الحرب من عدمه وتعهد الاروام بعدم اشتراك اليونان اذاقبلت الحكومة تقريرهم الذى قدموه لها قبيل حين

وبناء على ذلك رجا شعبان افندى ناظر الداخليه دانش بك ان يقابل رءوساء الاروام ويناقشهم في هذا الصدد ليتمم هذه المسأله المهمه سريعا فقبل دانش بك الرجاء وضرب موعدا للملاقاه بيدانه اخذ يراوغ ويلاعب ويدعى ان لديه اعمالا مهمه تحول دون انجازه وعده بالمقابله

فلما تحقق شعبان افندى من ان دانش بك لم يقدر اهمية هذه المسأله لم يسعه الا ان يأخذ بوشو افندى ويذهبا الى كامل باشا وهنالك عرض عليه بوشو مطالبه فاستحسنها ووعده بتعجيل النظر في التقرير والبت في امره وفعلا فحصت التقارير وانبئ بوشو افندى بانها وجدت جديرة بالقبول اماهذه التقارير فمائده لتجنيد الاروام وغير ذلك من المسائل الداخليه التي كان في الاستطاعة قبولها ولذلك تقررت مقابلة كامل باشا لبطريرك الروم يواكيم افندى للبت النهائي في هذه المسألة ولكن مع التأسف قدنفد الوقت بسبب الزمن الطويل الذى اضاعه دانش بك من حين اعطائه وعده الاول والزمن الذى استغرقه درس كامل باشا للتقارير وقبولها اضاع الفرصه اذا اصبحت الحرب محققه وبدأ الجبل الاسود باجتياز حدودنا محاربا ولما قابل بوشو افندى كامل باشا مستنجزا اياه ملاقاته مع البطريرك الموعوده قال له انى بدون حاجة نشرح الاسباب اصرح لك بعدم امكان هذه الملاقاه فاستشاط بوشو افندى غيظا وقال له (هل انت تمازحنا ام تعبث بمستقبل هذه الدوله !!!) وخرج محتدا ولما قابل شعبان افندى كامل باشا مستفسرا عن سر نكوله عن الوفاء بوعده اجابه ان مهاجمة الجبل الاسود لحدودنا قدجعل الحرب ضربة لازب فلا فائدة من ملاقاتي للبطريرك

ان وزاره الغازى مختار باشا كانت عالمة بان جيشها ليس فى حالة تمكنه من خوض غمار الحرب فى هذا الحين ولذلك أجابت الدول العظمى بانها ستتبع برنامج الذى رسمه مؤتمر برلين فى نصوص المعاهده ولقدكان هذا الجواب يؤمن سلامة المملكة تماما

لان الخلافات السياسيه والمطاحنات الحزبيه كانت قدعمت جميع طبقات الامه ولان الضباط الجيش كانوا منقسمين الى فريقين الاتحاديين وخلاصكار كل منهما خصم لدود وعدو شديد للاخر ولان هذه الانقسامات والتفرقه سرت الى الجنود ولان الاصلاحات الجديده التى كان قدشرع فى تطبيقها بالجيش لم تكن قدتمت وهذا طبعا اوجد بعض الارتباكات الاداريه ولان مقاليد ادارة الجيش وقتئذ القيت فى ايدى لامراء العسكريين والضباط العارين عن حلية التجربه والخبره ولان الاموال اللازمة لنفقات الحرب لم تكن وافره كل هذه الاسباب والعوامل الداخلية وعدة من امثالها كانت تحتم عدم خوض حرب مشكوكة العواقب

اما اذا نظرنا الى العوامل الخارجية فنرى : ان تعليق الامل على مداخلة الدول العظمى اصالحنا ماهو الابلاهة عظمى كان اعتقادنا اننا بتعييننا كامل باشا رئيسا لمجلس شورى الدولة سنجعل انجلترا تضحى صداقة الروسيا وتسرع لشد ازرنا والدفاع عن مصالحنا شطط وجنون بلامراء والسبب الذى كان جاعلا الدول العظمى تتردد نوعاما هو احتمال ظفرنا باعدائنا فى هذه الحرب لان صحائف ماضى الجيش العثمانى المجيده كانت اذا ماعرضت امام ابصار مفكرى الغرب تجعلهم يعتقدون انتصارنا بالرغم عما لحق به من التذبذب والانشقاق وهذا كان الرأى الغالب فى دوائر اوربا العسكرية ايضا ولكن الواجب كان يحتم على الوزارة بان لاتكون كالاجانب بل تعرف حقيقة الواقع بحذافيرها ودقائقها ولهذا كانت قراراتها بشأن الاصلاح معقولة وموافقة ولكن اعلانها على رءوس الملأ انها ستمنح ماقدونيا استقلالا اداريا حسب مانص عنه فى مؤتمر برلين كان منا اكبر ضروب الغفلة وخرف الرأى لانه جرح الاحساس الوطنى وعزت النفس القومية

ان عوام الامة ماكانوا يعرفون ان الحكومة فى موقف يمكنها من خوض غمرات الحرب اولا وكانت امال الامة العظيمة معقودة بثقتها بجيشها ثانيا ولذلك كانت تفضل ان ترى وزارة حربية عن وزاره مسالمة ترضى بمنح مقدونيا استقلالا اداريا تحت مراقبة اوربا فبناء على ذلك كان الواجب يحتم على وزاره الغازى مختار باشا اختيار

خطة من اثنتين امامقاومة صوت الرأى العام والاصرار على خطة المسالمة والتوقى من الحرب واماان تستقيل بدل ان تخوض حرب قانعة بضررها .

انه مما لاشك فيه قط ان الحكومة المختارية كانت متيقنه تماما من عدم استطاعتها خوض هذه الحرب مكللة اعلامها بالظفر والدليل على ذلك انى قبل اعلان الحرب باسبوعين ذهبت لزيارة احد اصدقائى ممن اعلن اسمه عند الايجاب فوجدته عائدا ساعتئذ من لدن ناظر الداخلية دانش بك فكان مدار سمرنا الحرب فقال صديقى (لقد قال ناظر الداخلية قبيل ساعة من الزمن العبارة الآتية اذا لم تمكن الدول المتحابة معنا وخصوصا انجلترا من تأجيل الحرب اعنى من تأجيل مهاجمات جيوش البلغار والصرب واليونان لحدودنا اسبوعا فستر لاقدر الله الجيش البلغارى على ابواب الاستانة اذلا بدلنا من اسبوع لنحشد اقل قوة تستطيع مقاومة هجمات الاعداء)

بالرغم عن تصريحات الناظر هذه لما اعلنت الحرب بعد اسبوعين لا اسبوع كما تمنى رأينا القوى المبارزه لجيوش الاعداء وخصوصا الحاشدة على حدود البلغار غير كافية ولقد سمعنا ان ناظر الخارجية يومئذ نورادونكيان افندى قال قبل اعلان الحرب بيومين (اذا كنا لم نستعد بعد استطيع تأجيل الحرب اسبوعا اخر) . والمتأمل الى اعلان الحرب لايسعه الا الحكم بان الحكومة قد اقتنعت تماما فى ظرف خمسة عشر يوما بانها اصبحت فى حالة تمكنها من خوض غمار الحرب !! وان المرأ لتعتريه الحيرة من رؤية هذا التحول القطعى الذى طرأ على فكر الحكومة وفى رأينا انه كان من الواجب على الحكومة ان تكون ابعد نظرا واشد حرصا عن الاخذ بما تقدمه لها بعض الدوائر من التأمينات

ان الذين يتصيدون الاعذار للدفاع عن الوزارة يدعون ان المظاهره التى قام بها طلبة دار الفنون من صنع الاتحاديين وانهم اثاروا ساكن الامة وحببوها فى المطالبه بالحرب . انى اقبل ذلك جدلا واسائل مافائدة هذه الدعوى ؟ ان حزب الاتحاديين قد يكون من انصار الحرب وقد يكون قانعا باننا كنا نظفر فى الحرب لو احسنت ادارة شئون الجيش وقيادته وبما ان كل حزب يسأل عن اعماله فقط فاجتهاد الاتحاديين هذا ليس مبررا لاعمال وزارة الغازى مختار باشا بل كان الواجب على الوزارة اما ان تحمل مسئولية الحرب واما ان تستقيل وهى قد اختارت الشق الاول فمن الطبيعى ان المسئولية ملقاة على عاتقها

ان الوزارات فى الحكومات الدستورية تسقط بناء على رأى وقرار نواب الامة اما اذا كان هذا السقوط نتيجة تداخل الامة مباشرة واجبار هذه الحكومة على السقوط فهنالك تكون قواعد الانقلابات القومية قد طبقت تماما ولكن السقوط الناجم عن ترتيبات وقواعد مدبره فيسمى تغلب عسكرى او انقلاب عسكرى وهذا الانقلاب الناجم عن التغلب العسكرى ليس من النظامات الدستورية ولا من القوانين السياسيه ولا حقوق الثورات القومية فى شىء قط والحكومة التى تتسلم مقاليد السلطة بواسطة هذا التغلب لا تكون حكومة مشروعة وقانونية الا اذا اقترع نواب الامة على الثقة بها واحرزت الاغلبية كل هذه المبادىء لا يمكن لاحد الاعتراض عليها لانها عبارة عن القوانين المعمول بها لدى جميع الامم المتمدينة

ووزاره الغازى مختار باشا التى استلمت مقاليد الحكم عقب استقاله وزاره سعيد باشا ماهى الا الوزاره المتشكلة بقوة تغلب جماعة الخلاصكار العسكرى الذى انضمت اليه ثورة البايتا بينما مجلس المبعوثين الذى تقدمت اليه كانت فى الحقيقة ثمانية اعشار اعضائه تقريباً اتحاديين

لو ان القوة التى اسقطت الاتحاديين كانت ثورة قومية لحلت فى الوقت عينه مجلس النواب الذى اغلبيته منهم ولانتخبت من يخلفهم حالا من النواب الذين يمثلون الامة حقيقة ولكن الواقع ان الوزاره الاتحادية سقطت بسبب مجرد تغلب عسكرى بحت وبناء عليه كانت وزاره الغازى مختار باشا مضطرة لاختيار طريق من اثنين اما ان تحل المجلس واما ان تتقدم اليه طالبة الثقة بها وبما ان الوزاره لم تكن مالكة للاسباب والوسائل القانونيه التى تمكنها من اختيار الشق الاول اذ المواد الموجوده فى القانون الاساسى لم تكن لتسمح لها بحل المجلس مباشره بدون سبب بل اشترطت لذلك ضرورة وقوع خلاف بين الوزاره والمجلس لذلك اضطرت الوزاره ان تطالب المجلس بمنحها ثقة اى انها لم تتبع طريقة وزارة الثورات وجاء المجلس فعمل بخلاف ماتوقعه العموم بمصادقته على اعتماد الوزاره ومعنى ذلك ان الحكومة والمجلس كل صدق فعلا على ان الاخر مشروع وذو صيغة قانونية تامة

ان الوزاره بعملها هذا اصبحت كمن بقى بين جامعين بدون صلاة ولا شك ان وزارة مختار باشا كانت فى بابها غلطة سياسيه حقيقيه فهى لم تكن بوزاره اتحاديه ولا بوزاره ثورة وكذلك ليست بوزارة ائتلافيه فقط لان الحزب الذى ليس له من النواب اغلبية بمجلس الامة لا تكون له وزارة مشروعة بل ويكفى القول بان هذه لوزارة التى

استلمت مقاليد السلطة بواسطة تغلب جماعة الخلاصكار العسكرية لم تكن بوزارة خلاصكار ايضا لان تكوينها لم يرض اعضاء هذه الجماعة قط ولكن بما ان كلمة الجماعة المذكورة كانت يومئذ هى العليا التى لاتعارض وبما انها لم تسقط الوزارة بتغلب عسكرى اخر فلايصح لاحد ان يشك فى ان عماد الوزارة وظهيرها هى جماعة الخلاصكار

اما اذا نظرنا الى صورة تكوين الوزارة المذكورة فنرى : ان الغازى مختار باشا لم يكن مقبولا اومعتمد الدى اى حزب من الاحزاب اوالجماعات الموجودة اما كامل باشا فانسان عين حزب الأئتلاف والمرحوم ناظم باشا من اصفيائهم المقربين اما دانش بك فلا الى هؤلاء ولاالى اولئك انتسب بل هو رجل لاصفة مميزه له بينما حسين حلمى باشا ومحمود مختار باشا كانا متهمين بالميل الى الاتحاديين

فهذه الوزارة المجردة من التجانس العارية عن اى برنامج معين المشكلة لحكومة غريبة فى معناها ومبناها ارتكبت طائفة من الاغلاط البعيدة عن العقل فادت الى اضمحلال هذا الوطن الاسيف وجرت عليه البلايا

ان الوزارة ما كانت لتستطيع عمل شئ بواسطة مجلس نواب اغلبيته من الاتحاديين ولكنها ماكانت لتجسر على الهم بحل هذا المجلس مع انها كانت تشعر بتضييق خارجي شديد يدفعها لحل المجلس فارادت ان تمنع المجلس عن الانعقاد لترضى المخالفين من جهة بدعوى ان هذا الدور اكال لماقبله حتى لاتغضب الاتحاديين وفعلا حلت المجلس بهذه الحجة

ان بعض المخالفين كانوا يرتكبون خطأ باردا بتلقيبهم وزارة مختار باشا وكامل باشا بالوزارة العظيمة وابرد واغرب منهم من كانوا يدعون ان هذه الوزارة بعيدة عن الاحزاب ملازمة للحيدة . الا ان هذه الوزارة كانت عظيمة جدا الابالمعنى الذى قصدوه بل بمعنى رديئا منفورا اذ فى الحقيقة انه لم توجد وزارة اعظم منها فى اختيار الخطايا والاتيان بالمتناقضات . ولقد فهمت امم البلقان عظمة هذه الوزارة جيدا فهيهات ان تخدع العالم بمدحها

ان السلافيين الذين اشتغلوا بهمة لايعتورها ملل منذ خمس وثلاثين سنة لمهمة اخراج الترك من شبه جزيرة البلقان ادركوا أتماما ان وقت اجراء هذه العملية قدحل اذ بينما حكومات البلقان قد اعدت كل مايلزمهن لمحاربتنا كما يجب كان الناظر الينا لايرى غير تفرق الكلمة ونضوب معين الخزينة وعدم الدربه والمهارة والغفلة

المجسمة فاعمال انصار الحكومة واعمال مخالفيها وصورة ادارتنا وافكارنا فى طرق الادارة كلها حبطت وكللت بالفشل ومن المصائب التى لا يماثلها مصيبة ان ازمة الحكومة الموكلة بالتصرف فى مستقبل الامة كانت فى هذا الوقت الخطر فى قبضة هيئة اجرائية غير متجانسة الاعضاء محرومة من بعد النظر مجردة عن القوة على العمل بهمة، ليس لها غاية تجد فى سبيل تحقيقها

قلنا فيما سبق ان وزارة الغازى مختار باشا وكامل باشا لم تكن ممثلة لاى حزب من الاحزاب السياسية والان اصرح فوق ذلك بان هذه الوزارة لم تكن محبوبة لدى سواد الامة الاعظم ولا كان لها اهمية لدى الشعب وكل ما فى الامر ان هذه الوزارة التى استلمت منصة الاحكام عقب سقوط وزارة الاتحاديين استقبلت بواسطة بعض متملقى الصحافيين وفريق من المخالفين بالتحبيذ ومنحها عنوان (لوزارة العظمى) الغريب بيد انه لم يمر على وجودها غير ردح قصير من الزمن حتى رأينا اكبر المخالفين لهذه الوزارة العظيمة نفس المخالفين للحكومة السابقة قديما

ان شريف باشا كان يسمى هذه الوزارة بحكومة الاب وابنه وغضب على هذه الوزارة الكبيره!!! التى لم تعامله كصديق تعرف له جميله فلم تعطه حتى ولا احقر النظارات واصغرها فسافر الى باريس وادار دفة سفينة حملاته البذيئه ضد الوزارة الجديدة بكل شدة

اما كون علائق البرنس صباح الدين بك مع هذه الوزارة لم تكن ودايه فامر مسلم به. بينما مضى بضع ايام كفى لاقناع حزب الائتلاف بانه غريب عن وزارة الاب وابنه والاصهار نعم ان وجود كامل باشا فى الوزارة احيا امال حزب الائتلافين فيها بضع ايام بيد انه ماكان يستطيع جعل الوزارة تقبل كل افكاره كما يودون وكذلك جماعة الخلاصكار لم تكن ممنونة من الوزارة لان كون هذه الوزارة مجردة عن الصيغة الحزبية المعروفة امر لم يرض جميع احزاب المخالفة وجماعاتها اصلا فاصر رؤساء ثورة البانيا على تسليم الصدارة لكامل باشا واخيرا اتحدت جميع قوى المخالفين على اسقاط الغازى مختار باشا وارتقى كامل باشا مرة اخرى الى دست الوزارة فى وقت مثل سوابقة من احرج الاوقات والعنها فهل كل هذا من طالع كامل باشا المشئوم وسوء حظه؟ اومن نتائج مطامعه الاشعبية التى لا حد لها؟ هذا ما لا نعلمه بل كل ما يقال انه كلما احرز الوزارة رأينا عين النتيجة تتكرر والمتأمل فى صفحات التاريخ العثمانى فى الربع عصر الاخير لا يسعه الا الاعتراف بانه كلما تولى

كامل باشا الصدارة كان هذا انذارا للامة بمصيبة ستحل بها فمصر والروملي الشرقي والبوسنه والهرسك واستقلال بلغاريا وطرابلس ... كلها وقائع حدثت في عهد صدارته انتزعت من جرائها هذه الاقطار الواسعة من جسم الدولة العثمانية نعم اننا اذا لم نقل ان كامل باشا كان مرتب هذه المصائب ومسببها فلا يسعنا الا الجهر بقولنا ياله من سوء طالع جعل جميع مصائبنا تحل وتتحقق في عهد ادارته دون غيره

وهاهي صدارته الاخيرة انجلت عن مصيبة لم يسبقها مثلها حتى الساعة مصيبة جائحه اترك تفاصيل شرح حقيقتها لقضاء التاريخ العادل فربما برأ كامل باشا من وزرها وربما دانه باجترامها

لقد كان رؤساء ثورة البانيا يريدون حلول كامل باشا بالصدارة ولقد اتحدت جميع قوى المخالفة لاصعاده الى هذا المكان الرفيع ولكن الغريب في هذه المسألة ان ارادة الارناءوط ومطالبة حزب المخالفة بتسليم مقاليد الحكم لكامل باشا صورة طبق الاصل من حركات مطالب الانكشارية قديما فلقد كانت جنود الانكشارية تطالب بالشيء وهم لا يفقهون حقيقة ما يرغبون ولا لماذا يطالبون به وكذلك المخالفين مع جهلهم بحقيقة كامل باشا كانوا يريدون رؤيته في الصدارة

ان المخالفين كانوا يرون ان في صدارة كامل باشا نيل مطالبهم وتحقيق امالهم وخيالاتهم ولكن بما انه شتان ما بين الحقيقة والخيال جاء تولى كامل باشا الصدارة فخيب امالهم وهدم صروح خيالاتهم واظهر الحقيقة للعيان وفي اعتقادي بناء على ما تقدم ان اكبر اعداء لكامل باشا هم المخالفون الذين كان اقصى امانيهم توليته الصدارة

انتهى القسم الاول

القسم الثانى

موقع صادق بك المشكل ـ مقدمة تطورات حزب الائتلاف الاستحاليه ـ منشور صادق بك ومبادى الانحلال ـ مطالب صادق بك من كامل باشا ـ وزاره كامل باشا ـ التهانى والمطالب الجديده ـ المذاكرات وانحلال الحزب ـ الجمعيات السريه الجديده والمحتكرون الجدد ـ مهاجمة رشيد بك واسبابها ـ ماالذى كان سيحدث فى يوم السبت ؟

اننا نعتقد استحالة اداره حزب تشكل من مجموعة اضداد وزمر متباينة الاغراض والمبادىء كحزب الحرية والائتلاف . ان السبب الذى كان يؤالف فى الظاهر بين اغراض اقسام الحزب المتباينة ويظهر بعض التجانس بينها هو الامل المشترك بين هذه الاقسام وجميع افراد الحزب القاضى بالعمل على اسقاط الحزب المنافس لهم اذ بمجرد نيل هذا الامل لدرجة ماكان سيجعل كل فريق يعمل لنيل اماله وتطبيق مبادئه وذلك يجر بالضرورة الى تمزيق شمل هذا الحزب. لقد كان عدد عظيم من اهم اركان الحزب يعتقدون ان رئيس الحزب ومؤسسه الحقيقى هو رئيسه الثانى صادق بك ؟!!! وكان هو يريد ان لايسير كرئيس حزب سياسى بل ان يعمل كرئيس جمعية سرية ولكم صرح صادق بك على ملأ الاشهاد بقوله (الحزب انا وانا الحزب وان شئت الغيته فى اى وقت) فهذه الاقوال وامثالها النازله باهم اركان الحزب وبمجلس ادارته الى دركة العدم كسرت عزة نفس الكثيرين

ان مسألة انقسام حزب الاتحاديين الى فرقتين قد اثبتت جليا ان صادق بك ليس برئيس الجمعية السريه الماهر الجسور السريع فى اعماله وكذلك رئاسته لحزب الائتلاف برهنت على انه ليس بالسياسى الماهر او المدير الحاذق وان شئنا تقرير الحقيقه يلزم ان نقول ان صادق بك فقد رشده وحار فى امره بين التيارات المختلفه والطلبات التى لاتحصى والرجاوات التى لاتعد ومن اغرب الغرائب ان صادق بك شكل حزبا اكثر اعضائه لايرضون بمزج السياسه بالدين ولا بجعل المبادىء الاسلاميه اساسا لخطة ادارة المملكة السياسية فلو اتيح لهذه الاكثرية الحرة احراز اغلبية بنسبة عددها فى مجلس الادارة لزال عن الحزب صبغته الاسلامية تماما

لمانال حزب المخالفه مبادئ فوزه بسقوط حزب الحكومة الاتحاديه لم يعد فى الامكان الرضا بشرائط الحزب القديمه ومبادئه المعلومه فاصبح مركز صادق بك من جراء ذلك من احرج المواقف خصوصا وان عددمن قدموا العرائض طالبين منحهم الوظائف امابدعوى انهم قدظلموافى عهد الحكومات السابقة وامابدعوى انهم تدقاموا فى خدمة الحزب ببعض التضحية كان يربو على جيش جرار فجماعات ممن ليس لهم قدرة على القيام بالاعمال كمايجب لم تقبل جمعية الاتحاد انخراطهم فى سلك نواديها واناس ممن لم يجدوا الوقت الملائم للانتساب لحزب من الاحزاب وبالجمله فزمرمن العاطلين لايحصى عددهم اختلفت اسباب التفافهم حول راية الائتلافيين ولكنهم مادخلوا هذا الحزب جميعهم الاوهم صياد ووظائف لتعينهم على ضمان اسباب معيشتهم وبالطبع ان مثل هذا الجيش العرمرم لايمكن اطعامه من (زبالات) النوادى ومايتكرم به بعض الاعضاء

انه لايوجد من طبقات الامة العثمانية الاجتماعية من يضحى بضع غروش فى سبيل مبدأ سياسى اوفكر شريف سوى موظفو الحكومة والتجار وكلاالفريقين كانا محدودين العدد جدا فى حزب الائتلاف فكل من كان يدفع بعض المال للمعاونة بين الاعضاء هم جماعة من الضباط المتقاعدين والعدد الصغير من المأمورين وزمرة من الوجوه والاثرياء ومن عداهم ماكان يعطى شيئا وكثير من نوادى الحزب فى الجهات ماكانت تستطيع دفع ايجار محالها والمركز العمومى للحزب كان فى نفس هذه الضائقة المالية نعم ان كثيرا من التبرعات ارسلت للحزب فى مبدأ تشكيله ولكن هذه المبالغ سرعان مانفدت بسبب النفقات العظيمة اللازمة للانتخابات .

ولقد سمعت مرارا من صادق بك ان العسر المالى لم يقف دون دفع المركز العمومى للحزب ايجار داره بل انه عجز عن دفع اثمان اثاثاته فاضطر صادق بك لدفعها من ماله ومن كل ماتقدم يتجلى للقارئ ان كل امل للحزب تركز فى فوزه على منافسيه واستلامه مقاليد الحكم فى البلاد ولم يكن الحالمون بهذه الامانى اللذيذه عبارة عن الاشخاص الراغبون فى وظائف تعطيهم مرتبا شهريا قدره ثلاثمائة اوخمسمائة غرش ابل ان عدد من كان يطمع باحراز مراكز النيابة والافتاء والتصرف والولاية والنظارة كان عظيما مخيفا

فجميع افراد هذا الجيش الطامع فى الوظائف كانوا يطالبون صادق بك ويضيقون عليه الخناق وخصوصا عندما احرز كامل باشا الصدارة اصبحت اكثرية

حزب الائتلاف تعتقد ان حزبهم هو القابض على مقاليد السلطة فى البلاد انـا مجردون من التربية السياسية، والمطامع الشخصية والاغراض هما المتحكمان فينا ولذا كان اعضاء حزب الائتلاف عامة يعتقدون انه عندما يستولى حزبهم على مقاليد الحكم يأخذ بتلابيب كل موظف ليس بائتلافى فيطرده من مركزه وهنالك طبعـا تقسم الاف الوظائف الخـالية بهذه الطريقة بين البكوات اعضـاء حزب الائتلاف

ولقد كان من بين اولئك الملحين فى طلب الوظائف من يلحف لدرجة محرجه لصادق بك وكل يدلى بعذر يبرر به افضليته عمن عداه فهذا حجته ماابداه من المجهودات ايان الانتخابات وهذا لانه انفق بعض الاموال وثالث لان اطفاله وعائلته قد كاد يفتك بهم الجوع وهلم جرا فكل هذه الامور كانت تؤثر على عقل صـادق بك وتثير اعصـابه وكان دائما لايجد طريقة عادية تمكنه من اجابة الطالب وارضـاء اعضاء حزبه ولذلك بدأت اعمال الحزب تخرج من يده الى قبضة من لايرون مانعا يحول دون استعمالهم طرقا فوق العاده ان هذه الطرق سميناها فوق العاده لانها لاتخطر على عقل احد بل لازمن له وجدان لايقبلهـا ولا يبررها ومن هذا بدأت تطورات الحزب الاستحاليه ولابد طبعا ان يعقب ذلك اما انقسام الحزب او انحلاله وانفراط عقد اعضائه

***

عقب اعلان الحرب بقليل اى فى عهد وزارة الغازى مختار باشا نشر صادق بك على الناس منشورا باسم حزبه وخلاصة هذا المنشور هى هذه :

انه نظرا لوجود الحرب يجب ان تقف المجادلات الحزبية وتحد كل ابناء الوطن يدا واحده فى سـبيل الدفاع عن حوزة هذا الوطن ولذلك قد قرر حزب الحرية والائتلاف تعطيل اعماله السياسية واغلاق ابواب نواديه

ان صادق بك لم يأخذ رأى مجلس ادارة الحزب فى شأن اصدار هذا المنشـور بل كل ما فى الامر انه عرض المسـأله على كامل باشـا فاستحسن الفكره فسرعان ما نشرها صادق بك ولذلك كتب لطفى فكرى بك فى جريدته منتقد اعمل صادق بك لاقدامه على نشر هذا المنشور باسم الحزب بدون اخذ رأى مجلس الادارة وكتبت احدى الجرائد المعـارضة ما مؤداه ان حزب الائتلاف قد القى بهذا المنشور ان هذا المنشور اصبح كسيف مرهف الحدين اذ بينما الحكومة اتخذت منه سـلاحا يبرر

اغلاقها نوادى الاتحاديين وفعلا اغلقتها كان فى الوقت عينه سببا لجعل قيمة حزب الائتلاف كالصفر على شمال العدد وفى الواقع ان مؤسسيه بعد هذا المنشــور انقطعوا عن الدوام ليأسهم من عمل اى شئ ولما دب بالحزب من التفرق والانشــقاق الناجم عن عدم تجانس الاعضاء وتباين مشاربهم

ولكن قسما من اعضاء مجلس الادارة بالرغم عن هذا المنشور اخذوا يجتمعون يوميا بمركز الحزب يتناقشون فى عدة شئون اى ان مجلس الادارة انقسم الى طائفتين احداها صدقت ما جاء فى المنشــور واعتبرته مبدأ انحلال الحزب وثانيهما لم يعره التفاتا واستمرت على اجتماعاتهــا موجدة مقدمة تطور اسـتحالى للحزب وكان من جراء هذا الانقســام ان جماعتى الاحرار ومحبي الحرية المعتدلين المكونين اكثرية اعضاء الحزب انفصلتا عنه تماما بينما اعضاء فرقة الاهالى بقوافيه واطلقوا اسمه على فرقتهم وحدها

ان هذه الفرصة مكنت رئيس فرقة الاهالى كوملجنه لى اسماعيل بك تقريبــا من نيل ما كان يطمع فيه من الامانى منذ من ولذلك قرر هو ورفاقه اخراج كل عضو له من الشهرة والروية وصائب الرأى ما قد يجعل اسماعيل بك فى الدرجة الثانية لانهم ان بقوا بها لم يتمكن اسماعيل بك من التحكم فى الفرقة كما يشاء ويهوى ولا من اظهار ما خفى من مطامعه الاشـعبية وبناء على ذلك اعتبر اسماعيل حقى باشا ورضا نور بك لانخراطهما بالجيش منفصلين من الحزب ولم يقبل كل من البرنس صـباح الدين بك وشريف باشا حتى لا يكونان عقبة فى طريقه اما ماهر سعيد بك ولطفى فكرى بك فانهما انفصلا عن الحزب بسبب منشــور صادق بك وتقرر اخراج كل من الرئيس المشير فؤاد باشا والملازم شـعبان افندى من الحزب فى اول فرصة تسنح لهم اى ان الحزب خرج من عداد الاحزاب واصبح عبارة عن جمعية سرية ولما ارتدى المشير فؤاد باشا ملابسه العسكرية وتوجه الى جتالجه اعتبر اسماعيل بك ذلك سببا لطى اسمه من سجل الاعضاء وطلب ذلك من الهيئة بيد ان شعبان افندى اعترض قائلا (ان المشير فؤاد باشا من الاعيان فهو بالرغم عن كونه عسكريا مكلف بالاشتغال بالسياسة) وبذلك حال دون بغية اسماعيل بك وسيرى القارى مما يلى ان كلا من فؤاد باشا وشعبان افندى انفصلا عن حزب الائتلاف الذى نسى عهوده وخرج من عداد الاحزاب ولم يبق له من اثر

ان صادق بك زار كامل باشا قبيل تربعه فى الصدارة اى بعد ان تحقق من انه نائلها فساله منذا الذى ستعينه ناظر للداخلية يوم تصبح صدرا اعظما ؟ فاجابه سانتخب لها رشيد بك فرجاه صادق بك ان يجعل كوملجنه لى اسماعيل ناظرا للعدليه وبصرى بك اما للمعارف او البريد والبرق

ان الانسان لتعتريه الحيرة عندما يتحقق من امر هذا الرجاء الوثيق من صادق بك لان هذا العمل معناه نسيانه مبادئه التى عاهد الامة على العمل بها وانى لا اجد تعليلا لهذا العمل القريب الآن صادق بك قد عيل صبره من الحاف الاعضاء فى مطالبهم وانه اصبح آلة فى يد البعض ينطق بالسنتهم والا فانى لا اجد معنى اخر لنسيانه تعهداته التى لا تزال تطن فى الاذان ؟ !

ترى ماذا كان جواب كامل باشا على رجاء صادق بك؟ هذا مالم يصل اليه اطلاعنا بيد ان دوام ارتباط صادق بك بكامل باشا واعتماده عليه بعد ذلك يستفاد منه ان الجواب كان بالصيغة المخصوصة برجال الباب العالى اى من الجمل ذات المعانى المختلفه التى من نوع العهود التى لا توفى اى انها خدعت صادق بك ولم تغضبه

اما تأثير هذا الطلب على كامل باشا فيمكن القارئ ادراكه بسهولة اذا مالاحظ ان كامل باشا مضى عمره الطويل فى ترقى الوظائف تدريجيا وتسيير الامور حسب ذلك وان مسألة التشريفات واحترام المناصب قد اصبحت من سجاياه الطبيعية وعرف ان هذا الوزير الشيخ له من الاستبداد والاستقلال الشخصى ما كانا سببا فى عدم قبوله كل مايريده منه الملك المستبد فلا عجب ان كان لهذا الطلب اسوأ وقع فى فؤاده

ولكن من يعلم ان اكبر مزية لرجال الباب العالى القدماء هى فى ايجادهم اضخم الجمل الخلابة كثيرة المعانى فى الظاهر الخالية من اى معنى فى الحقيقة وفى النكول عن الوفاء بالوعود بقلب معنى عهودهم واعتبار ذلك منتهى النبوغ فى الحيل السياسية فكامل باشا الفذ بينهم استطاع اخفاء ماحل به من سوء تأثير هذا الطلب وجاوب صادق بك الذى تبلغ به البساطة لدرجة البلاهة بجملة بديعه ظن منها ان طلبة قد راق كامل باشا وحاز لديه كل قبول

ان اهم مايجب ملاحظته فى هذه المسأله ان صادق بك وجميع حزب الائتلاف قد نسوا جميع مدعياتهم وانهم اخذوا يطبقون الشكل الادارى الذى طالما شهروا بحزب الاتحاديين من اجله ومعنى هذا الطلب وخصوصا اخراجه الى حين الوجود افلاس حزب الائتلاف وحبوطة التام

ان اكبر التهم التى طالما عيربها حزب الاتحادمنحه الوزارات اعضائه الشبان وانه لايعير فى انتقائهم اهمية الصفات اللازمة كالاقتدار والتجربة والمهارة الفنيه فياليت شعرى هل الذين كانوا يرون ان اسماعيل حقى بابان زاده ليس اهلالتولى نظارة المعارف يرون ان بصرى اهلالها وانه اقدرمنه علما وعرفانا وتجربة ؟ فباى المؤلفات اثبت بصرى بك علمه وعرفانه؟وفى اى الوظائف اكتسب تجاربه؟ ومن اكبر الاعتراضات التى طالما وجهت لحزب الاتحاد انه كان يرشح للوزارات من شاء ويجعل الصدور العظام يتقبلونهم ولايترك للصدر حق انتخاب زملائه ولكن ها هوحزب الائتلاف قدارتكب عين هذاالخطأ على لسان صادق بك رئيسه ومؤسسه

انما ينفطر القلب حزنامنه ان رجالنا السياسيين واحزابنا لايعيرون اداره الحكومة الاهمية التى تعطى عادة لاحدور التجارة الكبرى فكل من فى استطاعته القاء بعض الجمل بفصاحه اوتسطير بعض الالفاظ بتنميق يصبح فى عرفهم اهلا لعمل كل شئ ومن الغريب ان حزبا سياسيا يوافق على هذا الظن . انه بالنسبة لحداثة عهد الدستور ببلادنا وعدم بيان حقيقة استعداد واقتدار رجالنا ولسبب ندره من تدربوا على الاعمال السياسية واحرزوا تربية سياسية حقيقية خصوصا وان عدد من احرزوا التربية العالية من بينهم اندر من الكبريت الاحمر فلهذا الفى شباننا الجسوريين ذوالمطامع الميدان رحبالاظهار مدعياتهم العلمية والسياسية ولاننس قحط رجالنا لم تكن لدينا من الرجال ذوى التجارب والحنكة من تقدمهم كمثال مسكت لاولئك الادعياء وان اكبر دليل على تجرد بلادنا من كبار الرجال ان نرى كلا من سعيد باشا وكامل باشا يشغلان رأس الحكومة ثلاثة ارباع زمن الدور الحميدى ودورالدستور بأجمه تقريبا

ان الخطة المثلى فى مثل هذه الحالة كانت تحتم على الحكومة اتباع طريق من اثنين اما ان تلقى مقاليد الامور بيد الشيوخ المجربين ولاتمكن شابا من التربع فى كبار المناصب حتى يخرج من بينهم من اكسبتهم التجربة حنكةواقتدار اواما ان ننتخب من الشبان المقتدرين من لهم من علمه ومواهبه الفطرية ماير جحه على غيره بيدان احد المبعوثين المخالفين قال ان ادارة شئون الامة ليست لوحه تجارب ولا يجب ان تكون فهذه الجملة التاريخية اصبحت المبدأ الاساسى الذى تدورحوله اعتراضات المخالفين وانتقاداتهم . ولقدرأينا فى حادثه الحزب الجديد والحزب

العتيق كلها تدور حول عدم تعيين المبعوثين نظارا وحول عدم تعيين الشبان لادارة الامة بحجة جهلهم وعدم تجربتهم ومعنى ذلك القضاء على آمال ومطامع اولئك الشبان

والآن نرى حزب الحرية والائتلاف ينسى مبادئه هذه ويعمد الى طلب تعيين شاب اواثنين ممن من لم يسبق له اشغال اى وظيفة مهمه وممن من يغلب على الظن عدم اقتدارهما على القيام بواجب اعمال الناظر ذلك المنصب الذى يلعب الجالس فيه بمستقبل الامة ومعنى ذلك ان البرامج والمبادئ والمنشورات كلها كانت اشياء مدبرة لاستجلاب الرأى العام وان معنى مبادئ الاحزاب الاساسية تنطوى تحت كلمات حرص . طمع وتحكم

ان فى نسيان حزب الحرية والائتلاف مبادئه الاساسية تماما بهذه الدرجة مما يدعو الى الحيره ولكن سيرى القارئ مما يلى من التفاصيل والاطوار التى تمثل بها الحرب عقب حركة الخلاصكار حتى اصبح عبارة عن جمعية سرية حديثة اضطرت بطبيعة الحال ان تتبع القوانين التى هى اساس الجمعيات وروحها . نعم ان هذا الحزب بعد تطوراته الاخيرة قد محى من الوجود تماما

لما تشكلت وزاره كامل باشا لم يكن من بين اسمائها اسماعيل بك وبصرى بك مع ان فى هذه الخيبة انهيار مؤلم لصرح اما لهما كان كوملجنلى اسماعيل ورفقاؤه لم يزل لديهم بعض الامل وفى صباح اليوم الثانى توجه صادق بك وكوملجنه لى اسماعيل وآخرون ليهنئوا كامل باشا بمركزه قياما باداء مراسم التبريك اختلا صادق بك بكامل باشا ورجاه تعيين اسماعيل بك واليا للاستانه وبصرى بك رئيسا للمابين السلطانى فاجابه كامل باشا بانه ليس هنالك من سبب يبرر عزل رئيس المابين ان هذا الجواب لم يقض على امالهم بعداذ سنحت فرصة عزل المابينجى الثانى فتوجه صادق بك صوب كامل باشا راجيا اياه تعيين بصرى بك مكانه ووسط رشيد بك لمتابعة السعى فى اجابة هذا الرجاء بيد ان كامل باشا عين رشيد بك بحل رشاد افندى مابينجيا مشربا هذا التعيين بمعنى انه لن يجيب اى طلب ما لبقايا حزب الائتلاف

ياليت شعرى هل بقايا الحزب المذكور فقهت تماما مغزى هذا التعيين ؟ انا لا نظن ذلك . نعم ان كامل باشا الذى كان حتى هذا اليوم يسمى بداهية السياسية والوزير المحترم وغير ذلك من عناوين التبجيل والاحترام قد اصبح فى عداد

المخالفين الذين يجب محاربتهم بيدان بقايا الحزب المذكور لم يقنط بعد ولذا تشكل وفد من الشيخ عاصم افندى وشكرى بك مبعوث سيواس السابق واخرين ذهب لمقابلة رشيد بك ناظر الداخليه وطلب الاعضاء منه ان يشاور مركز الحزب العمومى فى ادارة شئون المملكة لانه ناظر الداخلية المنتخب بحزب الائتلاف فاجابهم انى ناظر داخلية الدولة العثمانية ولا اعترف بوجود حزبكم بعد هذا الجواب المر المذاق اخذ الناس يترددون راجين ملحين من رشيد بك تعيين بصرى بك فى اى وظيفة كانت حتى تنازل من طلب رئاسه المابين الى وظيفة متصرف ولكنه اخفق وتحقق الحزب انه لن يستطيع تحقيق شيئا من مطامع اعضائه حتى ولا فى وزارة كامل باشا

ان المتأمل فى ثنايا الخطاب الآتى المرسل من كوملجنه لى اسماعيل الى رشيد بك ناظر الداخلية يرى حقيقة توتر العلائق يومئذ بين وزاره كامل باشا التى اصبحت قذا فى عيون المخالفين واصبحت وخصوصا ناظر داخليتها رشيد بك موضع اشنع تحقير واسفه سباب تجود به قرائح المخالفين وهاهو تعريب الخطاب المذكور الذى نشره صاحب هذا الكتاب بالزنجفراف فى آخر كتابه هذا :

الى الناشئ من بين كتاب يلديز سابقا متصرف القدس الاسبق رشيد بك (ناظر الداخلية اليوم).

لقد سمعت من هذياناتك وتخاريفك انك قلت اخير السامى بك العضو بحزب الحرية والائتلاف لاادرى باى مناسبة ما (ان هنالك جمعية ثورية سرية اسمها عدل وانتقام وان مؤسسها اسماعيل بك ؟ . انى بهذه الواسطة قد عرفت الحقيقة اذ انى منذ خمسة اوستة ايام رأيت حول المنزل الذى كنت انزل به ضيفا من آن لآخر والذى اتخذته سكنا لى اخيرا جهة بك وغلى بحارة كنيسة الارمن اشخاصا عجيبى الاحوال جهلاء جديدى العهد بمهنة التجسس والاستخبار يمرون ببابى جيئه ورواحا متسائلين هل اسماعيل بك يقيم هنا ويمضون الساعات الطوال امام الابواب ويتجولون حولها بشكل مكروه جعل كل انسان من سكان الجهة يعرف انى تحت الترصد مع ان هذا امر يجب ان يبقى خفيا مصونا عن اى انسان ولما سمعت بذلك حرت كثيرا وضحكت اكثر ولكنى الآن فقهت الحقيقة فاقول : ان ناظر الداخلية سليل اصول يلديز الذى تبلغ به جهله بالقانون ان اصبح موضع سخرية العالم بأسره اذ استباح توقيف رؤساء الاتحاديين وجعل اقل حركة خفيفة مبررا

لاعدامهم وكانت جهالته سببا لتسجيل الخزى الرسمى عليه ولله درى ناظم باشا الذى حتم على ديوان الحرب العرفى معامله القوم بطرق معقولة قانونية فازال عنهم الضيم وبين ان ناظر الداخلية تلميذ عبدالحميد لاينتظر منه احترام القانون وتعزيز اصوله باكثر مما فعل انه من الواجب عليك اولا انك ان كنت قد تفوهت بهذه الهذيانات على سبيل التهديد فلقد اخطأت خطأ يورثك الخزى والعمل كما هى عادتك فى كل عمل

اذا لم تكن تعلم فتعلم ممن يعلم : انك عند ما كنت منهمكا بين اوغاد مفسدى يلديز كنت انا فى اقصى نقط الروملى المهجورة اشتغل بلا خوف بتشكيل الجمعية الثورية انك فى وقت ماسعيا فى الحصول على وظيفة والوصول لاغراضك عند اشتداد وطأة الاتحاديين فررت واعتزلت من حزب الائتلافيين واعلنت على الملأ ملازمتك الحيدة ولما لم تنل المرام ورايت انك لن تحصل على فائدة ماواخذت تتذلل على ابواب اصحاب النفوذ واشياعهم كنت انا اعدفتنة للقيام فى وجه حكومة الاتحاد والترقى القوية الشديدة وكنت مجدا فى عملى غير متهيب اوخائف من سيوف الجمعية ومدافعها وتعذيباتها

اما وهذه الحقيقة معلومة بتمامها لديك وانا الذى لم ارتاع من هذه القوة المدهشة فان وجدت من يعتقد انى سأخشى من ناظر عاجز عديم الاقتدار جبان مثلك تكسب حق السرور والفرح وحق التربع فى الوزارة . انه لوكان هنالك من مرض لم يصبنى فى حياتى فهو الخوف . ثانيا ان كنت تفوهت بهذه الهذيانات على سبيل ذكر الحقيقة الواقعة فلقد خنت وظيفتك ولم توفها حقها اذ رجل الحكومة العامل الشريف ينفذ فى الحال بدون تهويش اوغوغاء . اذا كنت حقيقة تعتقد وجود جمعية ثورية ومقتنعا بانها توالى اجتماعاتها بمنزلى فواجب وظيفتك يحتم عليك استعمال الطرق القانونية فى القاء القبض على حالا واثبات هذه التهمة امامى بشكل قانونى والا فان فى اعلانك هذا اهانة للحكومة من جهة وسقوطا وخيانة بافشاء اسرار البوليس يالك من رجل احمق معتوه تبلغ بك البلاهة درجة اخبار من تظنه مرتكبا جرما بما لديك من الاخبار بشأنه . و أسفاه على مملكة مدير شئونها رجل مثلك وانى اقول لك فى خاتمة كلامى انى مشغول الآن

باعمال مهمه جدا منها مسالة القدس والاشاعات المتواتره هنالك اجمع الوثائق الخاصة بها واعمل على تداركها بكافه الوسائل فليس لى الآن من وقت مايسمح لى

فى الاشتغال بجمعية سرية حتى انى بعدان سمعت بسلامه عائلتى ووالدتى واقاربى الموجودين ببلادى التى سقطت بيد الاعداء مضطر للسفر الى القدس لاتمام هذه الاعمال وان شاء قريبا سانشر تحت امضائى بالصحف السيارة ماستسفر عنه مجهوداتى من المعلومات الموثوقه وهنالك تدرك اهمية مشغوليتى وحقيقتها وتسلم بصدق اقوالى هذه

رئيس الثانى لحزب الحرية والائتلاف

كوملجنه‌لى اسماعيل

عنوانى

بجهة السركجى الدور الثانى من خان ارضروم نمرة ١٥ الى ١٦ بدائره المركز العمومى لحزب الحرية والائتلاف بالشهزاده باشا ، بمنزل مادام اورانى بحارة كنيسه الارمن بجهة بك اوغلى بالقرب من توقاتليان

* * *

ان وزارة كامل باشا كانها لم تعر بقا يا حزب الائتلاف اقل اهمية لم تمنح كلا من البرنس صباح الدين وشريف باشا اى وظيفة مع انهما من اساطين المخالفين وبناء عليه حشدت جموع المخالفين قواها فى هذه المرة ضد وزاره كامل باشا التى اغضبت بقايا الائتلافيين الى درجة جملت كوملجنه‌لى اسماعيل بك وبصرى بك يدعون صادق بك والمشير فؤاد باشا وشعبان افندى وبعض كبار المخالفين على لسان البرق لعقد اجتماع خصوصى وعندما انعقد الجمع اراد اسماعيل بك ان يتناقش الاعضاء فى الاحوال الجارية يومئذ

فاعترضه شعبان افندى قائلا : (١) بما ان اغلبية اعضاء مجلس الاداره لم يحضروا هذا الاجتماع فهو غير قانونى . (٢) ان اعمال الحزب بناء على منشور صادق بك معطلة فهذه المناقشة لايمكن ان تكون رسمية فبناء على ذلك عدل المجتمع عن المذاكرة الرسمية الى جعلها مناقشة ومسامرة خصوصية بيد ان سباب اسماعيل بك بافظع التهم واسفل الالفاظ فى حق احد الاعضاء الحاضرين جعل كلا من المشير فؤاد باشا وشعبان افندى يقول انا لا نسمح بخرق حرمة الادب بهجو احد الغائبين وبذلك انتقلت المناقشات من وادى الشخصيات الى وادى البحث فى الوزارة وطلب

اسماعيل بك وزملاؤه من الحضور تبليغ الوزارة المادتين الآتيتين باسم الحزب على شرط اسقاطها اذا لم تقبلهما

المادة الاولى : يحتم على وزارة كامل باشا الا تعمل عملا فى ادارة شئون المملكة الا بعد استشارة المركز العمومى لحزب الائتلاف

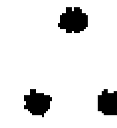
المادة الثانية : ادخال بعض من رؤساء حزب الائتلاف اعضاء فى الوزارة

ان هذين الطلبين جعلا كل من فؤاد باشا وشعبان بك فى حيره واستغراب لدرجة ان شعبان بك تجهمهم قائلا ان الحزب ليس له الحق فى مطالبه الوزارة بمثل هذه المطالب ومع هذا فاننا لو سلمنا جدلا بعمل ذلك نكون قد اثبتنا للامة اننا خنا مبادئنا ونانكثنا عهودنا العلنية التى عاهدنا الامة بها وان فى منشورات صادق بك المتعددة وتعهداته المتكررة باسم الحزب مافيه الجواب المقنع للمطالبين بهذا التكليف فأصر المشير فؤاد باشا على هذه الاقوال وهنا قال شعبان افندى متسائلا بينوالى ماهى الواسطة التى تملكونها لاسقاط الوزارة بها الآن فاجابه كوملجنه لى اسماعيل الجواب الآتى :ــ (ان مركز الوزارة اصبح واهنا وضعيفا الى حد انى استطيع بصفعه من يدى ان ابيدها) كم من عبر تجلى للرائى من ثنايا هذه الاحوال. لقد كانت جميع مساعى الحزب المخالف فى اول الاول تشكيل وزارة محايدة لاقصد لها ثم بعد ئذ رأينا القصد تحول الى تشكيل وزارة يكون فى رأسها اسماعيل بك وزملاؤه مع انه كان من الواجب ان تذكر جيدا ان الوزارة التى يراد اسقاطها بصفعه كانت خارجة من حرب مع اربع اعداء منهزمه فى وقت يلزمها ادارة شئون الصلح وتدبير مستقبل الامة والمملكة وآسفاه عليك ايها الوطن ما آلم هذه المناظر المفجعه ولكن كل هذا ما كان ليؤثر على اسماعيل بك ورفقاؤه الذين اصروا على ابلاغ هذين الطلبين للوزارة حتى ان فؤاد باشا لم يسعه الا ان قال انى لن اكون آلة لتحقيق هذه المطامع الشخصية ولذا فانى استقيل من الرئاسه فتبعه شعبان افندى بالاستقاله ومن هذا الحين لم يطا قط المركز العمومى

ان الحزب يعتبر من هذا التاريخ منحلا بالضرورة ولكن يجب علينا الا ننسى انه قد قامت مكانه جمعية سرية ثورية اوشركة احتكار جديدة اعضاؤها فرقة الاهالى القديمة ورؤساؤها الحقيقيون كل من كوملجنه لى اسماعيل وبصرى بك والخواجه صبرى افندى وصادق بك الذى اصبح بعد هذه الحادثه آله صماء تحركها هذه العصابة الجديدة وانا لانرى ضرورة لذكر اعضاء هذه العصابه التى بقيت تسمى

نفسها بالقوة باسم حزب الائتلاف بيد انالايسعنا الا ان نعجب من ان اكثر اولئك الاعضاء الموجودين فى هذه العصابه ما انضموا الى صفوف المخالفين ولا خرجوا من زمرة الاتحاديين الابدعوى ان الاتحاديين يعينون رؤسائهم الشبان الوزارة ويضطرون الوزارة على استشارة مركزهم واهمالهم القانون اتباعا لاصول الجمعيات السرية كما يدعون فالهم اليوم يبررون اجبار وزارة كامل باشا على استشارة مركزهم وتعيين عدة من اصغر شبانهم نظارا ويرون اهمال ومبادئ وبرامج حزبهم من الامور الضرورية اللازمة

ان المتؤمل فى هذه الاحوال تجلى له حقيقة مطامعنا السياسية وخلافاتنا الحزبية الناشئة عن مطامع حزبية اشعبية ويقنع بان اساس الحالة الروحية عندنا الشدة والاستبداد



ان انحلال الحزب بالصورة التى ذكرناها وتطوره فى صورة عصابه ثوريه لم يكن معلوما لدى اعضاء نوادى الائتلافيين الموجودة بالعاصمة وبالجهات ان العصابة الجديدة المذكورة كانت تصرف كل وقتها مجهوداتها فى تسوئ سمعه وزارة كامل باشا وتبغيضها للناس والتشهير باخوانهم القدماء وهجوهم فى كل ناد وواد وكانت اشد هجماتهم موجهة ضد رشيدبك وصالح باشا لان اسماعيل بك ورفقاءه كانوا يعتقدون ان رشيدبك لم يحرز منصب وزارة الداخلية الابهمتهم وكانت هذه العصابة تقول ان رشيد بك هوالذى سطر برنامج الحزب فيما سلف فعدم خضوعه اليوم لاوامره معانه يعتبر عضوا منه ماهى الااهانة وخيانة لنا

انه بالنظر لصدق المودة والاخاء المتبادل بين كل من صالح باشا ورشيد بك جعل اعضاء العصابة يكلفون صالح باشا ورشيدبك بقبول مطالبهم المعلومة التى لانرى لزوما للتصريح بذكرها بل نكتفى بالقول بانها عبارة عن اثبات رسمى باهمال اولئك القوم لمبادئهم الاساسية ونقضا لعهودهم وتعهداتهم العلنية . اما رشيدبك فانه لم يقبل هذه المطالب وقيل ان صالح باشا قال لمن ذهبوا ليرجوه فى هذا الصدد اذا لم ينق الحزب من ادران بعض المتقلبين من ذوى المطامع الشخصية فانى لن اقبل الوساطة

لم يسع العصابة المذكورة بعد جميع هذه التجارب وطرق جميع الابواب الممكنة الا ان تقرر اسقاط وزارة كامل باشا بالطبع ان هذا القرار لايعتبر قرار حزب

لان اى حزب لايمكنه اسقاط اى وزارة الا بالوسائل القانونية وبما ان حزب الائتلاف لم يكن له وجود يومئذ ولوفرض وجوده فانه لم يكن لديه أى وسيلة قانونية لاسقاط الوزارة فماهى ياترى والحالة هذه الطرق التى ستتخذها العصابة الجديدة والحالة هذه لاسقاط الوزارة ؟

ان الايضاحات الذى سنذكرها فيمايلى تبين للقارىء ان هذه العصابة انكرت اخيراً مبادئها فقررت حرب الحكومة بالقيام بحركة ثورية للوصول الى غايتها

ان وزارة كامل باشا لم تكن كما كان يظن متجانسة الاعضاء اذان عقارب الخلاف دبت مابين ناظم باشا من جهة وكامل باشا ورشيد بك من جهة اخرى وجاءت انكساراتنا بقرق كليسا ولولوبورغاس فجعلت مركز الوزارة فى عين الامة مبغوضا محقوراً انه كما لا يوجد انسان معصوم من الخطأ لا يوجد جيش لايغلب بيدان انكساراتنا هذه كانت بصورة فوق العادة وتبين لكل انسان من افراد الامة ان اهم اسباب هذا الانكسار ترجع الى سوء الادارة فى قلم اللوازمات والسوقيات. ان الوزارة المذكورة لم تستفد من انقلاب الافكار بسبب حسن المقاومة التى أبداها الجيش فى الدفاع عن خطوط شطالجه بل رأينا كامل باشا يهدم صروح عظمة السياسة العثمانية من اساساتها واعلن للعالم عجزه وانكساره واكتفى بتسليم مقاليد التصرف فى مستقبل الامة لمروءة سياسة اوروبا . هذا من جهة ومن جهة فان ترك ادرنة بدون ذخيرة اوميره فى الهدنة التى عقدت بين المتحاربين جعل استياء الناس من الوزارة يتضاعف آلاف المرات وبالجملة فى كل صريح من حركات الوزارة كان اليأس مجسما ولكم رأينا كامل باشا يهم باخراج ناظم باشا من الوزارة بناء على تأثيرات رشيد بك المهمة لدى كامل باشا وتضييقات ابنه سعيد باشا من جهة اخرى

ان ناظم باشا علم مايدبره ضده طبعا ولايمكن ان يتصور انه يرضخ لهذا الامر بدون مقاومة . ان المسئولية الناشئة عن اعلان الحرب وادارتها واسبابها ان لم تكن محصورة فى اشخاص معينه فان الرأى العام ولاشك سيكون قاسى الحكم على كل من تثبت عليه الخيانة اوالتقصير .

ان حزب الائتلاف اراد الاستفادة من هذه الاحوال فقرر بكل تحقيق اسقاط وزارة كامل باشا وتشكيل اخرى تحت رئاسة ناظم باشا

انا مع تيقننا الاكيد من هذه الحقيقة لم نطلع على تفاصيل الخطة التى رسمت

لاسقاط الوزارة بيدان هنالك من الامارات والدلائل مايثبت انها عبارة عن انقلاب عسكرى

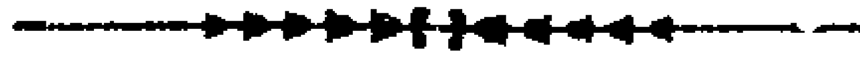
ان كامل باشا كان يريد تضحية ناظر الحربية تسكينا لهياج الرأى العام المنفعل من ضياع قطعة الروملى ولكن ناظم باشا احباطا لهذا المشروع قبل مطالب حزب الائتلاف وجاءت الاشاعات المتواترة بشأنه فى المدة الاخيرة تزيد تهيج اعصابه ومخاوفة ولذا اشيع يومئذ ان قد اتفق ايضا مع حزب الاتحاديين وكان القائلون لذلك يبرهنون على صحة زعمهم بجملة ادلة

ان النتيجة المشئومة التى تقشعت عنها الحرب البلقانية والطريقة المذمومة التى اتبعتها الوزارة فى مخابرات الصلح وتعيين الاقارب (والمحاسيب) المقربين من غير استحقاق الى آخر ذلك من سوء التصرفات جعل مركز الوزارة فى اعين الامة ساقطا مبغوضا وحرك الراى العام عليها فهذه الظروف كانت موافقه جدا للحزب الاتحادى الذى سقط بانقلاب عسكرى ولذا شاع يومئذ ان رؤساء الاتحاديين المشهورين بسرعة الحركات والجد فى العمل يفكرون فى انتهاز الفرص فاصدرت وزارة كامل باشا اوامرها الى الاويات بايصاد نوادى الاتحاديين ومصادرة اوراقهم واجراء التحقيقات اللازمة فمند مابدئ تنفيذ هذه الاوامر وجاءت بعض اخبار من الولايات تثبت مؤامره الاتحاديين على اسقاط الحكومة تناقش المجلس الوكلاء فى امر القاء القبض على رؤساء الاتحاديين . ان الوزارة تناقشت فى امر القاء القبض عليهم يوم الثلاثاء او الاربعاء لكن اشيع يومئذ ان قد تقرر تأجيل العمل الى مجئ الاوراق ومن ذلك يفهم ان الوزارة باتت فى مركز مهدد من الحزبين وبناء على الاخبار المستقاه من المنابع المختلفة علم ان حزب الائتلاف قرر القيام بحركة انقلابه العسكرى لاسقاط وزارة كامل باشا واصعاد ناظم باشا الى الصدارة يوم السبت التالى لهذا القرار . ان حزب الاتحاد والحالة هذه كان محاطا بخطرين الاول قرار وزارة كامل باشا بالقاء القبض على رؤسائه والغاء الحزب بتاتا والثانى محقه المحقق اذا تم للائتلافين تشكيل وزارتهم . ان عين التاريخ لايمكن اخفاء اى حادثة اجتماعية عن نظرها ولهذا لابد ان يأتى يوم يظهر للملأ فيه جميع مادار بين ناظم باشا والائتلافيين من الاتفاقات والمخابرات بيد اننا نذكر الآن مادار بين محافظ الاستانه يومئذ ممدوح باشا وبين ناظم باشا من المحاورات التى تثبت للقارئ صدق اقوالنا هذه

فى ذات يوم توجه ممدوح باشا الى ناظم باشا ليخبره حسب واجب وظيفة انه

يخشى من وقوع حركة ثورية بالعاصمة ولهذا يجب اتخاذ بعض التدابير العسكرية فاجاب ناظم باشا منوها بانه ليس هنالك من خطر داهم ولا من حركة يخشى منهـا وماهى الابضع ايام حتى يتربع فى دست الصدارة بفضل هذه الحركات التى يقصد القيام بها . ان حزب الاتحاديين رأى انه لم يبق له من العمر سوى ثلاثة اوخمسة ايام فقرر الاسراع بالقيام بحركة تجيه من الهلاك فهاجم البـاب العالى يوم الخميس وصدرت الارادة السنية يومئد باسقاط وزارة كامل باشا

انتهى القسم الثانى



الفصل الثالث

ان الامم العثمانية وبالاخص عناصرها الاسلامية كانت محرومة بسبب الادوار التاريخية التي مرت في الدولة وصور ادارتها من الاوصاف السياسية اللازمة لكل امة ستخوض غمار المناقشات السياسية والانتخابات حيث تقدر كل انسان حقة كما هو الواجب في كل امة دستورية

ان منح شبابنا الامة دستورا نهائيا لم يكن نتيجة لاحوال حياتنا الطبيعيه الحقيقيه" بل من اثر خيالات الشبان الواسـعه" وكان عملهم هذا سببا لظهور نقصنا الاجتماعي والسياسي باجلى مظاهره . مسكينه" ايتها الامه" لقد كانت تعيش بفضل الاستبداد في حالة استعباد وشكل خطأ تاريخي فكان واجب الاخذ بيدها الى الرقي والسعادة في دور الدستور الحديث ملقى على عاتق الشبان المعتبرين من الطبقه" المتنورة ولكن اولئك الشبان لم يفقهوا انه من الواجب لتربيه" اخلاق الامه" ونيلها نعمه الترنع في اوج العز الاكمل لايكون الا بالتضحيه" في خدمه" الوطن والتخلي عن السفاهه" والخلاعه" وبالتفاني في سبيل الله ولذا رأينا هذا الفريق المعتبر متنورا من اكبره الى اصغرة ينهكون في اللهو والسفاهه" والعمل على الاثراء بكل الطرق ولو كانت غير شريفة ولقد اجمع اولئك القوم على طريقة واحدة تنيلهم هذا الغرض هي نفس الطريقة القديمة اى استدرار اموال الخزينة العامة والواسطة لنيل هذا هي السياسـة فمناصره الحكومة ومخـالفتها اذا ما محصهما الانسـان منتقدا احوالها لايجد نتيجة لهذه الحركات الا الحرص والطمع واذا ما وجد عدد قيل منزة عن المطامع والاغراض اكتسحه سيل اصحاب المطامع في تياره . انك لترى الرجل يتدفق من لسانه جمل خلابة وعبارات وطنية ولكنك اذا اصغيت لصوت ضميره وجدته ينادى المال واللهو بينما افراد الامة البسطاء الذين اعتادوا الطاعة والخضوع يعتقدون سلامتهم ونجاتهم من فقرهم وفلاكتهم في اتباع مايشوقهم اليه اولئك المغررون بدون بحث او تنقيب وان هذا الفرد البسيط لايفرق بين الافراد المختلفة ولا بين الافكار المتباينة ومادام ليس للاشخاص ولا للافكار من

قيمة لدى السواد الاعظم من الامة فليس للشعب من طريق سوى اتباع النظريات السياسية التي يعرضها عليه المتنافسون

لقد كانت الحاجة عامة والفقر ضاربا اطنابه وكان من الواجب السعي والجد واتحاد افراد الشعب وتآخية ولكن رأينا بدل ذلك كلا ينـاصر حزبه وقد تفشى الطمع والحرص بدرجة لم يسلم منها حتى ولا سكان القرى . بينما الطبقة المتنورة قد نسيت تاريخنا الماضي وغفلت عن مطامع دول البلقان التي هي طلائع جيش اوروبا ضدنا . نسينا ان هنالك حرباه لاتزال بيتناوين اوروبا منذ ستة قرون وان النصر لا يكون حليفنا الا اذا تحلينا باحسن الاخلاق والفضائل واتحدنا. ان رجال الحكومة قد اخطأوا كثيراً وهذه امور لا يمكن نكرانها ولكنهم مازالوا ابدا يحثون عن احسن الطرق لاصلاح وخدمة هذه المملكة ولكن ماذا العمل جماعة المخالفين اتراهم تنزهوا عن الخطايا التي طالما رموا بها خصومهم السياسيين ام تراهم قاموا بواجبهم حق القيام ؟ اناحبا في سلامة الوطن نضطر بالاعتراف بان المخالفين قد ارتكبوا نفس خطايا خصومهم فرأينا المخالفة في زمن قصير قد اتخذت شكل عداوة واصبحت الامة منقسمة الى قسمين متنافرين يتهم كل واحد منهم الآخر بأشنع الفضائح ومن الاسف ان هذه الحالة السيئة سرت الى الجيش واخيرا اتخذت المخالفة شكلا يقضي بمحو خصومهم باي صورة كانت فهذا طبعا جعل حزب الحكومة يعمل للمحافظة على مركزه باي صورة كانت ومن هذا تستخلص نقطتين جديرتين بالامعان:

اولا : ان المخالفة السياسية بدل ان تكون غايتها ايقاظ رجال الحكومة وارشادهم بصالح الاعتراض لاقوم السبل وتنبيه الرأى العام لحقائق الاحوال باتت دبدن اربابها العمل للقبض على مقاليد الحكومة بأي صورة كانت

ثانيا : انه في الممالك الدستورية اذا بقي حزب من الاحزاب في دست الحكومة وبقي الحزب المخالف يجاهد ضده طويلا يستطيع اخيرا ان يكسب الرأى العام لجانبه

الواجب على حزب المخالفة لاجل ان تكون مخالفته مشروعة ان يبقى في الدائرة القانونية للخلافات الفكرية لان في اليوم الذي يخرج فيه عن دائرة اسباب هذه الخلافات الفكرية يفقد قوته الشرعية . واما الطرق التي لا يمكنه استعمالها فهي من المعلوم ان طرق المخالفة او المعارضة في الممالك الدستورية معينة فاي حزب خرج عن هذه الوسائط متبعا شكل الفوضى يخرج من شكل الاحزاب الى طور الجمعيات

السياسية فحزب المعارضين هنا بتشويقه وتحريضة على ثورة البابنا قدخرج عن شكل الحزب السياسى المصلح واصبح فى زى جمعية ثورية

وبما انه اسقط حزب الحكومة بانقلاب عسكرى فقد اعلن اتباعه وقبوله قاعدة الحق لمن غلب فبناءعليه اصبح لكل جمعية ثورية شديدة البأس قوية الحول ان تتربع فى دست الحكومة

ياليت شعرى هل يمكن ادارة الحكومة مع اتباع هذه القاعدة كلا والف مرة كلا . إنه من المحقق استحالة ادارة ايةحكومة فى حالتها الطبيعية باتباع هذه القاعدة

فبالاولى ممالكنا المحوطة بمنافسين اقوياء من كل جانب والتى سقطت حالتها الاقتصادية الى الحضيض والتى حالتها الاجتماعية على اسوأ مايكون لايمكن ادارتها بالاولى بهذه القاعدة

انه من الواجب اعتبار سقوط الحكومة الاتحادية فوزا وغاية لحزب المعارضة ولكن رأينا اولئك المخالفين يعادون الحكومة التى تألفت باسمهم اشدالعداء فالسياسة التى غايتها القصوى الانتقام والمحافظة على الشخصية لايكون نتيجتها الا الاضمحلال

لقد كان من نتائج مساعى المخالفين ان رأينا الحكومة فى ايدى وزارات لاتمثل اى حزب ماوليس لها اقل دعامة دستورية ترتكن عليها فكان الواجب يحتم على حزب المعارضة فى هذه الحالة ان لايعترف بهذه الوزارة وان يعارضها بكل قوته بالطرق المشروعة وفى دائرة القانون ولكن الحزب لم يعمل ذلك وكانت الوزارة فى نظر العموم وزارة ائتلافية ورأينا الحزب الذى تدهور من درجة الحزبية الى صورة الجمعيات الثورية السريه بدل ان يرشد الامة ويخالف الوزارة بالطرق الرسمية يعمد لاسقاطها بالطرق الثورية والدسائس الخفيه فنجح فى اسقاط وزارة وكان من المحتمل نجاحه فى اسقاط الثانية بعد ان خابت اماله فيها وقنط من تحقيق مطامعه بواسطتها ولكن الحوادث لم تسمح له باتمام مابيته فى الخفاء

وكانت نتيجة جميع هذه التقلبات والدسائس ان ضاعت اقطار الروملى العظيمة من ايدينا فعلى من تلقى مسئولية سوء السياسة التى ادت لهذا الاضمحلال ياترى ؟

فى الحقيقة ان السبب فى هذا الاضمحلال ليس بعامل واحد بل عدة فبعضها من المركز التاريخى الذى باتت فيه الدولة وبعضها من وهن عرى الجامعه العثمانية

وبعضها من سوء الادارة ولكن السبب النهائى الذى يعتبر بداهة اهم هذه العوامل هو سوء ادارة الوزارة التى كانت تدير شئون البلاد يومئذ بخطل سياستها . ويصح للاتحاديين بناء على ذلك ان يقولوا لو ان ادارة دفة الحكومة والجيش كانت بيدنا اما اننا كنا لانحارب واما اننا ما كنا لنغلب بمثل هذه الصورة الفظيعة لاننا كنا ندير هذه الدفه منذ اربع سنوات فنحن اعرف بمنافع هذه الدفة ونقائصها وبالطبع ما ان هذه الدعوة من المحتملات الممكنة فلا يمكن احد تكذيبهم فيها

انى اكرر التصريح من جديد بانى لااقصد القول بان حزب الحكومة لم يخطئ قط ولا ان كل ما عمله كان قرينه الصواب والنجاح بل الحقيقة ان هذه الخطايا سببها الطريقة التى اتبعها حزب المعارضة اذا لحزب الذى يخير الموت وبين البقاء فى ذروة سطوته طبعا يختار الحياة وحزب المخالفة كان يحرم على حزب الحكومة حق الحياة وكان السبب فى اقلاق راحة كثير من مواطنيه فضلا عن انه لم ينجح فى عمل من اعماله واخيرا افلست سياسته فتطور فى شكل شركة احتكار

ان هذه الحقيقة كان من الواجب على من يدعون الكلام باسم الحزب من اركانه ادراكها تماما ولكن المشاهد ضد ذلك

انا نعتقد انه قد يمكن وجود بعض مواطنينا المخالفين لطرق ادارة الحكومة الاتحادية ولكن ليس هنالك من اثر لحزب الائتلاف لانه تفرق ايدى سبا بعد ان اخفق فى عمله وافلست سياسته ومن الغريب ان بعض رجاله السابقين يأتون من ضروب العجائب ادوارا بارسالهم البرقيات الى القياصرة والامبراطوره باسم الحزب فواعجبا هل لهم الحق فى عمل ذلك باسم حزبهم البائد ؟

ان جميع اعضاء مجلس ادارة الحزب وعلى رأسهم فؤاد باشا الرئيس الاول قد استقالوا فلا يصح لاولئك القوم الكلام باسم الحزب ما لم تعقد جمعية عمومية وينتخب مجلس جديد اللهم الا اذا كان الحزب فى عرفهم هو احتكار او مزرعة خصوصية لبعض مؤسسيه يتصرفون فيه كيف شاءوا فلا ننافسهم . الا انه لا يوجد اليوم حزب حرية وائتلاف وان سياسة المخالفين اخفقت وافلست تماما وها هو حزب الحكومة يسعى جهده فى انتهاج مسلك اصلاح وعدل عن ذى قبل فمن الواجب ان يسلك حزب المعارضه سبيلا يلائم الاحوال الوطنية الحاضرة ومن الواجب على الترك والمسلمين خصوصا الانتباه جيدا لان انقلاب المعارضة الى عداوة ذهب بنصف المملكة واذا

ما داومت احزابنا على خطها القديمه واستمرت مطاحناتها وعداوتها فسيذهب نصف الباقى بل ربما ذهب الوطن باسره من يدنا

هاهى فرقة العنصر العربى بدأت اعمالها بعد ان رأينا آثار حركات فرق عناصر الالبان والبلغار والروم. نعم ان الفرقه العربية تمسك اليوم بالوحدة العثمانيه وتطالب بالاصلاحات وبتطبيق طريقة اللامركزية ولكننا نحن الاتراك لودا ومنا على اتهام بعضنا البعض باشنع الصفات وناوأنا بعضنا البعض العداء ولم نعمل على اصلاح اعمالنا وتوحيد امالنا فسنرى دعوى الفرقة العربية ونظريتها وقد تبدل تماما ودخلت فى شكل جديد

انا نريد من حزب الحكومة ان يعطف نظرا دقيقا الى ماضيه وان يمعن التدقيق فى الشئون الحاضره ويتحلى بالعفو والمرءوة والانصاف والعدل ونطالب المخالفين بان يفقهوا حقائق الاحوال وان يجعلوا معارضتهم سياسية فنيه وان لا ينسوا حقيقة مستوى الامة وان لا ينسون بل يضعون دائما نصب اعينهم خطورة الوقت الحاضر وان اقصى امالهم ورائدهم فى جميع اعمالهم سلامة هذا الوطن العزيز

لكن المسألة المهمة التى نريد عرضها على انظار جميع مواطنينا هى لزوم عقد هدنه وطنيه عامة لاناان كنا نفضل المصلحه العامة على المصلحه الخاصه فمن الواجب علينا ان نضع حدا لهذه الخلافات المفرقة المخربة وان نوحد جميع قوانا ونبذل قصارى جهدنا لتامين مستقبلنا والعمل على انقاذ بلادنا والابقيت تركيا فى اضمحلال وسقوط وكان قتل هذا الوطن بيد ابنائه

ان وظيفة الترك بنوع خاص الان كبيرة جدا اذ مدار البحث اليوم تقرير الخطه التى يتوقف عليها مستقبل هذا العنصر بل هى مسأله موته اوحياته

ان الترك منذ ستمائه سنة يدافعون عن بيضة الاسلام ويزودون عن حياضه وحدوده ضد اوربا مجتمعه ولو تصفحنا التاريخ نجد نور الاسلام وبطله الشهير صلاح الدين الايوبى ردمئات الوف متوحشى اوربا المتعصبين وبدد شملهم ونجى بلاد الاسلام من سيل تعصبهم المدمر وردهم الى بلادهم خاسئين

وبعده بحين من الزمن القيت هذه الوظيفة على عاتق الترك فقاموا بواجب الدفاع تماما بل وفتحوا الامصار وثلوا العروش ووسعوا الممالك الاسلامية واذاقوا اوربا عذاب الهون عذاب الانكسار امام سطوة اعلام الاسلام بضع عصور وهاهى تريد الانتقام منا اليوم باسم النصرانية ولقد ابان رئيس بلدية فينا فى احد خطاباته

نوايا الصليبين ضد الاتراك بصورة جهرية وتفصيلية ولقدرأينـا جميع اهل اوربا تقريبـا يعلنون سرورهم من انهزام الاتراك فى الحرب المشئومة التى بدأت فى عهد وزارة الغازى مختار باشا واستمرت فى عهد وزارة كامل باشا ورأيناهم يضحون مبادئ المدينة وقواعد الانسانية فى سبيل التعصب والعداء والانتقام والوحشية ورأيناهم يصفقون فرحا واستحسانا لرؤية ملايين الاتراك تمزقهم وحوش البلغار بمخالبها الدمويه بصور فظيعة.

لقدكان وحل الخطب وانتهت المسألة ولكن التاريخ سيسجل فى صفحاته ان سبب اضمحلال الترك ودمارهم فقد انهم فضائل اخلاقهم القومية وتجردهم من روح الاخوة ومزايا الاتحاد والتعاون وانقسـامهم على انفسهم وعمل كل فريق منهم على النكاية باخية وتمكينهم عوامل التفرقة الاجنبية والدسـائس الدموية من القضاء على وطنهم

ويجب على الترك ان يذكروا ايضا ان كل عنصر من العناصر العثمانية له من الدول المعظمة لحكم واسباب معلومه اصدقاء وحماة وهاهى الحوادث امامنا فالنمسا وايطاليا حمتا الالبانيين وبالرغم عن احتلال الصرب واليونان لالبانيا اصرت النمسا وايطاليا على اخراجهما وفعلاتم لهما ماارادناه وهاهم الفرنسـيون فى سـوريا والانجليز فى العراق والروسيون فى الاناضول الشرقى يدعون امثال هذه الحمايات

ان العنصر الذى ليس له من الدول من يحمى مصالحه هم الترك فهاهى ولاية ادرنه التى اكثر من ثلثى سـكانها اتراكا وحـوالى الثلث من الروم نرى بعض الدول العظمى تصر على تسـليمها للبلغـار لاسـباب وادلة غريبة . ان التركى ليس له من صديق يشد ازره كما ان كلمات والانسانية المساواة ليس لهـا من معنى فى اوربا بالنسبة للاتراك

قد نجد من عناصر المملكة اخوانالنـا مخلصين ولكن هل يوجد اصدقاء لمن لايحب نفسـه ولايحترمها ؟ واذا كنا نحن الاتراك يصف بعضنا البعض الاخر باقبح الصـفات واشنع الرزائل فكيف ننتظر من غيرنا معاملتنا باحسن من ذلك ؟ الاانه قدثبت للعيان ان جميع ماعملناه فى الاربع السنوات الماضية قدحلت نتـائجه السيئة بنا

اننا كالم نثبت فى ادارة الحكومة مهارة وعدلا اتخذ مخالفونا الذين وظيفتهم تنبيه الحكومة لهفواتها وتقديم معوجها خطة سيئة وطريقا ضارا من المحتمل قبول عذر

الترك قبل تجلى هذه الحقائق المرة لاعينهم ولكن اليوم وقد ادرك اصغر رجالنا هذه الحقائق ان لم نتعظ بها ونتجنب اسبابها فلا عذر لنا قط الا اننا اليوم فى حاجة شديدة للاخاء والاتحاد فى سبيل المحافظة على وجودنا الوطنى والدفاع عن بيضته وقيام بعضنا للممارضة حبا فى فلان بك وانتصارا لفلان افندى والوطن يكاد يلفظ نفسه الاخير اكبر جناية نتصورها هى البانيا استقلت وانفصلت عنا وهاهى مكدونيا خرجت من ايدينا ايضا وذهبت طعمة لغيرنا فان ثابرنا على حركاتنا القديمة فستذهب سوريا والعراق وولايات شرقى الاناضول ايضا

*
* *

ان حزب الاتحاديين كان مبدأه ادارة البلاد بحكومة اساسها قاعدة المركزية وكان له الطراز مخصوص يتبعة فى سياسته ولكن الحوادث الاخيرة اوجبت تبديل هذا الطراز اى اننا نرى رجال الحكومة وحزبها يقدرون هذه المسأله حق تقديرها ولذلك لنا وطيد الامل فى رؤية سياستنا العمومية وادارتنا تتخذ ان صورة تناسب احتياج الزمن

ولكن مما يؤسف له اننا لا نزال نرى المخالفين يتبعون خطتهم السياسية القديمة المستهجنه ولذلك نريد ايقاظ مواطنينا لهذه المسألة المهمة لقد اثبتت الحوادث الاخيره استحالة الحصول على فائدة ما من حزب مكون من اشخاص غير متجانسى الطباع متباينى الافكار لا يجمعهم مبدأ عام ومن الاسف انه بالرغم عن الفجائع المؤلمه والتجارب القاسية نرى نفس الخطايا القديمه تتكرر فبقايا المخالفين المقيمين بباريس قد الفوا حزبا سموه حزب الائتلاف رئيسه الاول شريف باشا ووكلاؤه كوملجنه لى اسماعيل بك وصادق بك ولقد كان اول اعمال هذا الحزب الجديد ارسال البرقيات الى قيصر الروس وملك الانجليز ورئيس الجمهورية الفرنسية يطلبون منهم التداخل فى شئون الدولة العثمانيه وتأديب حكومتها الحاضره وارسلوا منشورا الى الجرائد الاوربيه يقولون فيه انه نظر الظلم والاستبداد الضارب اطنابه بتركيا الحائل دون وجود حركات المعارضه قد اسس حزب الائتلاف مركزه بباريس وجمع حوله ضحايا ظلم الحكومة العثمانية الحاضرة فياليت شعرى هل هذه المعاملة والحركات المراد بها القضاء على كرامة الحكومة الحاضره فى وقت تجاهد فيه ضد تحكم الغرب ومحاولة اذلالها وفى وقت تبذل قصارى جهدها فى استرجاع جزء من الوطن المغصوب (ادرنه) تعتبر من الحمية والسياسة فى شئ ؟ الا اننا

بصنفتنا ممن جاهدوا فى صفوف المخالفين وناصروهم نحتج بكل قوانا باسم الدين والوطن على هذه الاعمال المرذولة المحقورة ونعتقد ان كل من لديه ذرة من الوطنيه من المخالفين يؤازرنا ويوافقنا على احتجاجنا هذا اذا الشئون الحاضره ومركزنا الدولى والسياسى اليوم يحتم على كل فردمنا اعتبار الوزارة الحاضر وزارة وطنيه وزارة الامة باسرها

وربما وجد من له حساب يريد تصفيته مع بعض رجال الوزارة الحاضرة ولكن الاحوال الحاضرة لاتسمح باستيفاء حسابه من الحكومة والعمل على اخطار مركز الوزارة الدقيق امام اوربا وتزييد الحزاب الداخلى والفاقة الحاضرة اذا الواجب على ما نعتقد تقديم مصلحة الوطن على الاغراض والمطامع الشخصيه

انا نضرب للقارئ مثلا يريه التأثير السئ الذى تحدثه امثال هذه الحركات: قرأت فى الصحف العربيه انتقادات الامير شكيب ارسلان نصير الوحدة العثمانيه الصميم التى وجهها لمن عقدوا مؤتمر باريس من وجوه سوريا واستهجن مطاعنهم ضد الحكومه خصوصا مفندا اياها بالادلة المنطقيه والتاريخيه فقام احد رءوساء اولئك المؤتمرين يجاوب الامير شكيب ارسلان بقوله :

(اليس مرادبك الذى كان من زعماء الاحرار فى زمن عهد عبدالحميد هو الذى كتب سنة ١٣١٤ هجريه فى جريدة المؤيد بلزوم انشاء مجلس للامة برأسه بطريرك الارمن اوالروم ويكون تحت سيطرة سفراء الدول وحمايتهم فى الاستانه وقد ناقشه صاحب المؤيد فى هذا الرأى وكان اول من انشق عن جمعيته بسبب هذا التصريح هم اعضاؤها من العرب فى دمشق وانا منهم

فاقول حضرة الامير العربى الغيور على دولة الترك اكثر من الاتراك انفسهم بهذا التصريح الصريح الذى لم يكن لعربى من اللامركزين ان يقوله قط ماقول حضرته فيما نشرته جريدتنا طنين وتصوير افكار فى الاسبوع الماضى تعليقا على تلغراف لاحد زعماء الاتراك ارسله الى دول اوربا بالمعنى نفسه اسيقول ان هؤلاء الاتراك كلهم من الخائنين لدولتهم التركيه؟ واذا قال ذلك لماذا هو يطلب من العرب اخلاصا اكثر من اخلاص الترك ؟) (نقلا عن جريدة الاهرام عدد ١٧٦٠)

اذا كان البعض ممن قد يعدون من اصدقائنا يتمسكون باقوال بعض رءوساء الترك واعمالهم المحقره للحكومه الهازئه بسياستها فبالاولى سنرى اعداءنا يتمسكون بنفس هذه الحجه

اننااذالم ننج هذا الوطن من الزوال والاضمحلال فلامعنى لاحزاب الحكومة ولا لاحزاب معارضيها واذا استولى العدو على المملكة فلن يبقى هنالك من امل لتحقيق امانى من يطعمون فى الوزاره ورتبة المابينجى فبناء عليه نعتقد انه يلزمنا الا باسم الوطن فقط بل وباسم مطامعنا ومنافعنا الشخصية ايضا ان نتدبر ونفكر وان لا نظن السياسة من عبث الولدان

ومن الله التوفيق

الختام



خلاصة سياسية

اهم ماتمثل في مسرح الاطلاع من حوادث الشهر الماضي هو مسئلة الصلح مع البلغار واستقرار اكثر ولاية ادرنه في يد الدولة

وتحرير المسئلة ان الوزارة السابقة الائتلافية بغرورها من جهة وعجزها من جهة اخرى وبتأثير اعداء الاتحاديين من العناصر الاجنبية كانت هي المسؤولة حقيقة عن ضياع طرابلس وضياع الروملي وضياع الشرف العثماني وفقد الاسم الكبير العسكري الذي كانت الدولة حفظت حياتها به وهذا امر يقربه كل منصف وقد اخذ يتضح حتى للاجانب انفسهم ولاتزيده الايام الاوضوحاً

فلما سقطت الوزارة الكاملية وخلفتها وزارة المرحوم محمود شوكت حاولت بجهدها ونشاطها وسهرها ان تعمر ماخربته ايدي الوزارة السابقة بغرورها واهمالها واتباع مجاري اهوائها والتزامها قضية قهر الاتحاديين قبل كل شيء فلم يتهيأ لها تعمير ذلك الخراب الواسع ولا توفقت في اثناء هاتيك اللازمة مع ضيق الوقت ونفاد المال الى سد هاتيك الهوة العميقة فصرفت مجهودها كله في استكمال اسباب الدفاع عن الاستانة من جهتي شتالجه وجناق قلعه وهذا امر قد توفقت له بحوله تعالى ولوكان في وسع البلغار والصرب ان يجتازوا خطوط جتالجه او في وسع البلغار واليونان ان يخرقوا الدردنيل لما تأخروا طرفة عين عن ذلك بالغة مابلغت خسائرهم ولكنهم وقفوا عن التقدم عجزاً ورأوا كل محاولة هناك محالاً

الان وزارة محمود شوكت وان كانت اعادت للجيش العثماني اكثر نشاطه ونظامه وهيأت له اكثر اسباب دفاعه وصدامه وابتاعت مقادير كبيرة من الاسلحة والمدافع والذخائر فلم تقدر ان تمنع سقوط يانيا ثم ادرنه ثم اشقودره اللاتي اصبحت بعيدة عن كل مدد وقد احاطت بكل منها قوى هائلة تفوق القوى التي في ضمنها اضعافاً مضاعفة فقد هاجم يانيا ثمانون الف يوناني والحامية التي فيها لاتزيد على ١٥ الفاً نصفهم مرضى وجرحى والجوع قد عضهم بنابه والرصاص في الآخر فقد من عندهم تماماً وقد احاط بادرنة نحو ١٨٠ الف بلغاري وصربي وبقية المقاتلة التي فيها نحو

٣٠ الفاً يعطى لهم الزاد بمقدار اكثر من خمسة اشهر الى ان خارت قواهم فاقتحم الاعداء عورةً من بين الجهات الضعيفة من حصون ادرنة واغتنموا ثمرة غلطات مهمة فى التحصين فاستولوا على البلدة وكان امر الله قدراً مقدوراً وكذلك بعد دفاع من امجد ماروى التاريخ تلف فيه من الصرب والجبليين اعداد وافرة اضطر اسعد باشا الارناؤوطى قائد موقع اشقودره بسبب المجاعة الى الجلاء عن اشقودره ساحباً معه مدافعه .

وبعد سقوط هذه المواقع كلها صار اصرار الدولة على مواصلة الحرب عقيماً فمالت الدولة الى قبول الصلح بتوسط مؤتمر السفراء فى لندرة وقرر ذلك المؤتمر نزولها عن جميع املاكها فى اوربا وظن انه بذلك يجد حلاً للمسئلة البلقانية احدى امهات المسائل الشرقية وانما لما كانت الدول تتجافى عن فتح مسئلة الاستانة نفسها فلم يجد مؤتمر السفراء مندوحة عن تحديد المنطقة المجاورة للاستانة وابقائها للحكومة العثمانية وقرر لهـا زاوية محدودة من الشمال والغرب بخط يمتد من خليج اينوس وراء الدردنيل الى ميديا على ساحل البحر الاسود فكأنه بقى بذلك للدولة من جميع املاكها باوربا بدلاً عن الولايات الست التى كانت لها قطعة هى نحو ثلث ولاية ادرنه فقط . وكان مؤتمر السفراء قرر ارسال لجنة لمباشرة التحديد واذا بالحلفاء البلقانيين عندما امنوا جانب الدولة وقعوا فى النزاع بعضهم مع بعض بشدة مابينهم من المنافسة وعادت بينهم العداوة العنصرية القديمة التى كان اخفاها موقتاً الاتحـاد على الاتراك والحرب باسم الصـليب ضد الهلال فتزاحفت جيوش الصرب واليونان من جهة والبلغار من جهة واستؤنفت فى الروملى حرب تكاد تكون كحربهم مع تركيا وبينما البلغار يدافعون العدوين المتحدين عليهم اذ برزت الى الميدان رومانيا بغتةً واجتاحت مملكة البلغار من الوراء ودخلت الى قلبها وكادت تستولى على صوفيا وهذه الغـارة الرومانية مبنية على مطالبة رومانيا لبلغاريا بارض تتاخمها وتراها ضرورية لتأمين حدودها والحقيقة انها رأت تلك الممالك الصغيرة قد شبعت من الغنائم والمكاسـب من بلاد الدولة العثمانية فاحبت ان تلقى دلوها فى الدلاء وان تأخذ تعويضاً من جهتها فكانت بلغاريا فى الاول قد رفضت بتاتاً النزول لها عن شبر من الارض ثم رضـيت بواسطة روسية ان تتخلى عن بقعة صغيرة تجـاورها ولكن بقى فى نفس رومانيا امر عظيم من تصلب بلغاريا هذا فلما شغل بلغاريا ماشغلها من حرب الصرب واليونان تورّدت هذه الفرجة فوضعت يدها على قسم كبير من مملكة البلغـار ولم يبد هؤلاء

ادنى مقـاومة لتفرغهم الى حرب الصرب واليونان والجبل الاسود الذى انجد الصرب ايضاً ولكن بلغاريا راجمت اوربا محتجةً على عمل رومانيا هذا المخـالف للمعاهدات و اوربا سـكتت عن عمل رومانيـا كأنها لم تقدر على منع الحرب بين الحلفاء البلقانيين رغم انذارات قيصر الروسية ونصائح انكلترة وفرنسـا وفي هذه الاثناء كانت الوزارة الاتحادية قدقوت الجيش تقويةً عظيمة بواسـطة معـارف القائد عزت باشا ونشاط انوربك واقرانه من ابطال الاتحاديين ومع مصيبة الدولة بفقد الصـدر الاعظم وناظر الحربية محمود شوكت باشا الذى قتله فى تلك الاثناء بعض الاشقياء غدراً بدسـيسة حزب الائتلاف فقدجاء الصـدر الجديد البرنس سعيد حليم باشا اشد حزماً واقوى ارادةً من الصدر المرحوم نفسه مع ما كان عليه المرحوم من السبق فى ميدان الحزم والعزم فلذلك قررت وزارة البرنس سـعيد الخروج عن خط اينوس ـ ميديا المقرر فى مؤتمر السفراء وازحفت الجيش من چتالجه نحو ادرنه وزعمت فى الابتداء انها تريد طرد البلغـار من تكفور طاغ وسـلورى وساحل بحر مرمره الى ماوراء خط اينوس ـ ميديا واوهمت اوربا ذلك وعاملت الدول بالمعاملة التى طالما عاملت هذه بها الباب العالى ودفعت لها من المسكوك نفسـه فانهزم البلغار امام العساكر العثمانية الى ماوراء ذلك الخط الا انهم لم يلبثوا ان علموا كون المقصد هو استرداد ادرنه وقرق كليسـه ومايلزم لحفظها لأن الجيش العثمانى وصل الى ادرنه فى يومين اوثلاثة فقط وكان يقطع فى اليوم نحو ٧٠ كيلو متراً واول من دخل ادرنه هم المتطوعون من فرسان الاكراد ووصل على اثرهم انوربك وساقوا وراء البلغار الذين فروا هاربين تاركين من المدافع والذخائر مالا يأخذه الاحصـاء واوغل وراء شرذمة منهم سباقاً المرحوم رشيد بك نجل المشير فؤاد باشـا ومعه ثلاثة اواربعة جنود فقط فوقع شهيداً على مسافة ثلاث ساعات من ادرنه الى الشمال ثم استولى الجيش العثمانى على قرق كليسه ووصل الى حدود البلغار الاصـلية ثم قطع نهر المريج الى مصطفى باشا واورته كوى وديمتوقه وطرد البلغار من جميع تلك الجهات واسر منهم من لم يقدر على الفرار وقتل العثمانيون خصوصاً المتطوعون بمن حاول من البلغار المقاومةً وفر جميع البلغار الذين فى ادرنه وقرق كليسه وفى ديمتوقه وفى مصطفى باشا وفى سائر ولاية ادرنه بقضهم وقضيضهم ودخلوا حدود البلغار الاصلية وسـاق العثمانيون وراء البلغار الى داخل مملكتهم وابعدوا فيها نحو ٢٠ كيلو متراً والبلغاريون ينهزمون امامهم الى فلبه وصوفيا وكل ذلك فى ايام معدودات فلما وصلت

هذه الاخبار الى اوربا قامت قيامة الصحف على الدولة كما هي عادة الاوربيين في معاملة الشرقيين لاسيما المسلمين بغير معاملة بعضهم بعضاً ورأوا ذلك امراً اداً وعدوه حوباً كبيراً وقام رئيس وزراء انكلترة ينعت عمل تركيا هذا بالجنون وصرح ناظر خارجية انكلترة بوجوب حمل تركيا على احترام معاهدة لندرة وانذر كثير من رجال السياسة لاسيما في روسية وانكلترة الباب العالى بالخطر وسوء العاقبة ان اصر على خرق خطاينوس ـ ميديا وكتب ملك رومانيا الى جلالة السلطان بان التقدم لاخذ ادرنه لايفيد شيئاً مادام الرجوع عنها ممالابد منه وكأن جميع ماتخرقه اوربا من المعاهدات يومياً لاغبار عليه ولاهو ممنوع ولافيه خطر على السلم ولكن الضرر كل الضرر والخطر كل الخطر في اقدام تركيا وحدها على خرق ادنى معاهدة معها مهما كانت مجحفة بها ولوكانت تلك المعاهدة لم تدخل في حيز الاجراء

وقد طالما استعملت اوربا هذه الطريقة مع الدولة في ايام السلطان السابق وفازت بها في ايام وزارة كامل باشا وامثاله من الرجال الذين عندهم غاية السياسة والكياسة ان يأتمروا باوامر سفير لاحدى الدول العظام ولكن هذه المرة بلغ من استخفاف اوربا بمعاهداتها ان الباب العالى نفسه لم ير نفسه مكلفاً بان يرعاها وحده ورأى هذا الذل الى تلك الدرجة غير لائق بامة تريد ان تبقى حية وكان في الوزارة رجال مثل طلعت بك جمعوا بين الوطنية البالغة حد الفداء والسياسة المقرونة بمنتهى الدهاء فلم ترهبهم انذارات وزارات اوربا ولا اكترثوا بصحفها ووجهوا قوتهم الى تعزيز الجيش العثماني هناك حتى ابلغوه ٣٠٠ الف مقاتل على قدم الحرب ومن جهة السياسة اجابوا الدول التي راجعتهم مراراً بأن معاهدة لندرة وان كانت الدولة امضتها فانها لم تقع موقع الاجراء وكان البلغار اول من اخل بها بعدم جلائهم عن ساحل مرمره المقرر للدولة فلما كانت هذه المعاهدة لم تنفذ من الجهة الواحدة جاز ان لا تنفذ من الجهه الثانية وقالوا لهم ان اوربا تحرص على عدم فتح مسئلة الاستانة وهذا بالاتفاق والحال ان مسئلة الاستانة لاتؤمن عواقبها الا بحسن احاطة الاستانة بالمواقع الدفاعية اللازمة لها وادرنه هي في مقدمة هذه المواقع وقالوا من وجه ثالث ان البلغار في جميع تراقيا يسومون المسلمين الذين هناك من الخسف والقتل وهتك الاعراض ونهب الاموال ماصبح فوق طاقة المسلمين احتماله حتى انهم ليسومون الاروام ايضاً مثل ذلك فالانسانية فضلاً عن الاسلامية تقضي بكشف

هذه الغمة عنهم وتأديب امة ترتكب مثل هذا التوحش في الاهالي الوادعين ولا تليق بالحكم عليهم وبالاختصار فقد دعا الباب العالي اوربا وبلغاريا الى معرفة الامر الواقع نظير اعمالهم هم معنا ولم تخل اوربا من صوت ضعيف ينادي بانه لا يعلم السبب الموجب لقيام هذه القيامة على تركيا وحدها حينما يكون الجميع استباحوا لانفسهم خرق المعاهدات وكذلك رأت اوربا استحالة تجريد جيش على تركيا وحدها لاجبارها على احترام المعاهدة وقامت قيامة مسلمي الهند بالاجتماع على انكلترة حتى لزم رجالها الصمت فتكلم رجال السياسة في ضغط آخر على تركيا بغير صورة الحرب وقالوا اولاً انهم يرسلون بوارجهم لعمل حركة بحريه تهديدية لكنهم وجدوا ان الدولة لا تذعن لهذه الحركة وان الامة العثمانية تزداد بها هيجاناً فقرروا عدم قرض الدولة شيئاً من المال وسموا ذلك تضييقاً مالياً والحقيقة ان اوربا لم تقرض الدولة شيئاً منذ اوائل حرب البلقان وانها عاملتها بالتضييق المالي منذ البداية ولم تمت تركيا بذلك

(وبالجملة فقد سقط في يد اوربا بهذه المسئلة ولم ترامكاناً للاتفاق على عمل تقسر به تركيا على ترك ادرنه ويقال ان الروسية استأذنت الدول في الضغط بنفسها على تركيا فلم تأذن اوربا لها بذلك خوف اتساع الخرق وان تجر المسائل مسائل الى ان ينفتح رتاج المسئلة الشرقية بحذافيرها ويدنو خطر الحرب العامة فكان سفراء الدول في الاستانة يكررون النصيحة للباب العالي باحترام معاهدة لندرة وقد وعدوه بتعديل خط ميديا الى اينوس واضافة اراض خارجة عنه بشرط ان يعدل عن ادرنه نفسها فاجابهم بأنه ان كان المقصد هو حفظ نص معاهدة لندرة فلماذا يجوز الاخلال بها في القليل ولا يجوز في الكثير وافهمهم انه غير مفارق ادرنه الا بالقوة وان الجيش لا يذعن لاى امر صدر بترك هذه المدينة المقدسة في نظر العثمانيين ولكن يعد الباب العالي بعدم التعرض للاراضي التي غربي نهر المريج وعلى هذا بقيت ددهاغاج وكوملجنه واسكجه وغيرها من مغارب تراقيا خارجة عن دائره الاحتلال العثماني وانما تقدم الجيش الى مصطفى باشا وديمتوقه واورته كوى ولو كانت في العدوة الغربية من النهر وذلك لاسباب عسكرية صرفة وتجنب الباب العالي التجاوز على حدود البلغار الاصلية خوفاً من غوائل الروسية ولكنه اعلن انه ان كان البلغار لا يزالون على سوم المسلمين العذاب وعلى الفتك بضعفائهم وتخريب ديارهم واجبارهم على التنصر فانه يضطر الى محاربة البلغار والدخول في بلادهم كما ان مسامى غربي تراقيا

مع الاروام الذين هناك قاموا فطردوا البلغار الذين هناك جميعاً واسسوا حكومة مستقلة وجندوا نحو ٣٠ الف مقاتل لحماية بلادهم وحصلت بينهم وبين البلغار بعض معارك فتأخر البلغار عن مقاتلتهم خشية اتصال الحرب بالدولة العثمانية نفسها وعند ذلك تقدمت الدول الى البلغار بالنصح ان يفاوضوا الباب العالى فى امر الصلح رأساً فلما قطع هؤلاء الامل من ان تجبر اوربا الباب العالى على ترك ادرنه انفذوا الجنرال صافوف وبعض رجالهم الى الاستانة يخاطبون الدولة رأساً فى الصلح فبعد مفاوضات دامت نحو ١٥ يوماً تقررت الصلح بين الدولة وبلغاريا على شروط سربها جميع العثمانيين وجميع المسلمين وجاءت فوق حساب الحاسبين وكانت بمثابة نصر عزيز وفتح مبين فبقيت ادرنه وقرقكليسه التى لاتقل اهميتها الحربية عن ادرنه للدولة وكذلك ديمتوقه ووصلت حدودنا الى نفس مصطفى باشا وعوضت بلغاريا من الذى اخذناه غربى وشمالى المريج ببعض قرى اهلها بلغار فى سيف البحر الاسود وتقررت اعادة الاسرى العثمانيين بدون ان تدفع الدولة نفقات اقامتهم عند البلغار ونالت الدولة لجميع المسلمين الذين فى بلاد البلغار سواء الاصلية ام الملحقة بموجب معاهدة بخارست امتيازات مساوية تماماً لامتيازات المسيحيين فى تركيا فالجماعات الاسلامية فى البلغار صارت مستقله بامورها الدينية وبامور اوقافها ومدارسها كما هم المسيحيون مستقلون باوقافهم ومدارسهم فى بلاد الدولة وتقرر نصب المفتين من جانب السلطنة العثمانية فى بلاد البلغار وكذلك تم الاتفاق بتخير الناس فى امر الدين فمن كان من البلغار اواليونان مسلماً قد تنصر جبراً يرجع الى دينه بدون اذنى معارضة وتعاد المساجد التى تحولت كنائس الى حالتها الاصلية ويجرى الفحص المدقق عن جميع البنات اللائى اخذهن البلغار قهراً من اهاهن وتزوجوا بهن ويرجعن الى اهلهن وقد علمنا ان المسلمين الذين حملهم البلغار على النصرانية قهراً وقسراً هم طائفة البوماق الذين اكثر كلامهم باللغة البلغارية وهم نحو مائة الف نسمة اويزيدون وسبب اختصاصهم هؤلاء بالتنصير اعتقادهم كون اصل هؤلاء نصارى وانما اسلموا لاوائل الفتح العثمانى فالدولة ابت الصلح مع البلغار الاعلى شريطة رجوع هؤلاء للاسلام واما قضية البنات المأخوذات من آبائهن قسراً فهى من الاهمية بمكان اذبلغنا من روحى افندى صاحب جريدة « بلقان » الاسلامية المطبوعة فى فلبه ان عدد البنات اللائى سباهن البلغار من حريم الاسلام باطلاعه هو وحده يبلغ الف بنت وقد مضى على بعضهن اشهر عديدة فى السبى ولكن الدولة

التى هى ملجأ الاسلام اجمع والمحافظة لدين اهله وعرضهم ابت الاعادة هذه السبايا الى اهلهن وقد تم عقد معاهدة الصلح وقدم ملك البلغار لمولانا السلطان على اثر عقد المقاولة تلغرافا يؤكد فيه سروره بزوال العداوة بين الامة العثمانية والامة البلغارية وآماله فى دوام الصفاء بينهما واجابه مولانا السلطان جواباً لطيفاً مناسباً وشاع ان بين الدولة وبين البلغار اتفاقاً خفياً على اليونان والحقيقة ان الدولة لا تميل الى الحرب الى الآن حباً بحقن الدماء وتوفراً على اصلاحات ولاياتها فى آسية واجماما لعساكرها الذين مضى عليهم نحو الحول وهم فى الحرب ولكن الدولة لا يمكن ان تجارى اليونان فى قضية الاوقاف الاسلامية والتابعية العثمانية فى الولايات التى استولى عليها اليونان جديداً بل تتمسك بعقد الشروط التى عقدت مثلها مع البلغار فى هاتين المسألتين كما انها قد افهمت الدول انها لا تقبل بالتخلى عن مدللى وصاقز والجزر اللازمة لصيانة الدردنيل وسواحلى الاناضول واما دولة اليونان فانها بخروجها فائزة من الحرب الاولى والثانية بالاشتراك مع من عاونها اولاً وثانياً قد سكرت بخمرة العز فنسيت الظروف التى مكنتها من ذلك الفوز وصارت تجر ذيل الخيلاء وتباهى بجيشها واسطولها وترعد وتبرق ولكن الباب العالى قابل تجهيزاتها بالترخيص لقسم من عساكره بالانصراف ليؤكد ميله الى السلم ويبين من جهة اخرى انه غير حافل بمطاولة اليونان هذه والآمال راجحة بان ينعقد الصلح مع اليونان على الوجوه التى ترضى العثمانيين ايضا وان تسترجع الدولة القسم الاكبر من شرفها الذى اخسرها اياه الشقاق والفتنة الداخلية وتطاحن الاحزاب واهمال الوزارة الكاملية مما كان للعثمانيين عبرةً وتأديباً فعسى ان تستيقظ الامة من سباتها وتنتهى عن سماع وساوس المفسدين المغرقين الذين يدخلون على الامة باسم مصلحين وماهم بمصلحين بل هم ناقضون لبنيان الاتحاد ناثرون لعقد الاجتماع مشاغبون بين العناصر التى لا يمكن حفظ استقلالها الا بالوحدة والعصبة وقد سبق غيرهم من زعماء الارناووط مثل اسماعيل كمال بك ورفاقه وكانوا لا يدعون شيئاً سوى ما يدعيه الآن بعض المطالبين بالاصلاحات فى البلاد العربية وعلى النغمة نفسها فمازالوا يفتنون باسم الاصلاحات حتى اوقعوا فتنة الارناووط الاخيرة التى آلت الى صلح ايطاليا وضياع طرابلس ثم الى ضياع الروملى ونزول اعظم المصائب بالارناؤوط انفسهم وتقسيم بلادهم بين الصرب واليونان والجبل الاسود وبقاء الباقى تحت تحكم اوستريا وايتاليا هذا عدا سفك دمائهم واستباحة حرمهم وخراب ديارهم مما لا يزال متصلا الى ساعتنا هذه ولا يعلم غير الله متى ينتهى

ولكن الامة العربية النجيبة هي غير الارناؤوط المستولى عليهم الجهل ورؤساء العرب يرباؤن بالاسلام عن ان يجعلوه على شفا جرف هار بدسائس بعض مفسدين منهم من هو مأجور للاجانب ومنهم من هو ناقم على الاتحاديين لمآرب شخصية والعرب اجمع الا افراداً لا يؤبه لهم يعلمون جهاد الدولة في سبيل ضم شعثها واصلاح داخليتها ويرفضون كل الحركات التي يراد منها توهين الدولة وادخال مسئلة الاصلاحات في قالب مسئلة سياسية مع الاجانب كما سعى بعض ادعياء الاصلاح ويالاسف بينما الدولة تكافح اعداءها عن ابواب دار الخلافة في اشد ساعة وقعت على العثمانية والاسلام والعرب انفسهم

واما الارناؤوط فانهم من شدة ما نالهم اولاً وآخراً من اذى الصربيين ومما وقر في نفوسهم من الحقود المتراكمة لم يصبروا ان يتم تحديد بلادهم وتشأل حكومتهم بل هبوا للاخذ بالثار وزحفت منهم جموع وافرة منذ ثلاثة اسابيع الى دبره ودياكوفا وبعض البلاد الارناؤوطية التي اضافتها الدول الى الصرب وقد فتك الارناؤوط بالصربيين الذين صادفوهم واحتلوا كثيراً من المواقع التي كانت في يد الصرب واجلوهم عن مواقع اخرى الاان دولة الصرب عادت فجهزت جيشاً عرمرماً زحف على الارناؤوط الذين دخلوا حدودها وبعد قتال شديد اضطرتهم الى ترك الاراضي التي كانوا احتلوها والرجوع القهقرى الى داخل الحدود التي عينتها لهم الدول فساق الصربيون ورآءهم الى داخل تلك الحدود واستقروا هناك فقامت دولة اوستريا ـ والمجر وابلغت دولة الصرب وجوب الرجوع من حيث اتت فاظهرت الصرب التباطؤ في الرجوع زاعمة بانها تريد تأمين حدودها فاكدت اوستريا البلاغ بصورة انذار شديد وضعت فيه الصرب بين الامتثال لو قبول الحرب مع اوستريا والمجر فاضطرت حينئذ الصرب الى الاجابة وسحبت عساكرها الى داخل الحدود المقررة لها بمؤتمر لندرة الا انها لا تزال تحسب حساب غارات الارناؤوط على اطرافها كما ان هؤلاء تقدم منهم جموع من جهة الجبل الاسود واستلحموا عساكر الجبل التي على الحدود ودارت بين الفريقين رحى الحرب وارسلت حكومة الجبل نجدات لابنائها ولا تزال الحرب بينهما سجالاً واما ارناؤوط الجنوب فانهم في المقيم المقعد مع اليونان نظراً لاختلاط الفريقين في البانيا الجنوبية والى الآن لم تفصل الدول بتاتاً حدود الجنوب ولا يظن ان الارناؤوط يلتزمون السكون ولا من جهة من الجهات كما ان جيرانهم سيبقون معهم

فى عذاب واصب وقد حصلت مخادنة بينهم وبين البلغار بسبب عداوة الصرب واليونان لكل من الفريقين اذ لا يخفى ان البلغار لا يفتأون يطلبون مناستر من الصرب وينازعون اليونان على سلانيك ولابد ان تستأنف حرب بلقانية ثالثة من اجل مناستر وسلانيك بين دول البلقان هذه ولن يمكن الدول العظام منعها لأن الموقع السياسى الذى فيه اوربا يمنع من ان تنفرد احدى الدول العظام بالعمل كما انه بعد ان قضت رومانيا اربها من جهة شمالى البلغار واخذت سيليستره وروسجق لم يعد معقولاً ان تتداخل هذه الدولة بين دول البلقان فى حرب لمنع حرب بينهن تعود بضعفهن جميعاً مما هو موافق لمصلحتها فاذا فتحت البلغار حرباً على الصرب واليونان فالمقرر ان هاتين الدولتين تكونان يداً واحدة لدفع البلغار اذ كانت الواحدة منها لا تستقل وحدها بكفاحها كما انه منتظر ايضاً ان يكون الارناؤوط فى جانب البلغار انتقاماً لانفسهم من الصرب واليونان والجبل الاسود

بقى ما تقوله الجرائد الاوربية من عقد محالفة عثمانية بلغارية يكون المقصد منها ضم غربى تراقيا الى حد قواله الى الدولة العلية عوداً على بدء وتخليص لواء كوملجنه ولواء دده اغاج اللذين اكثر اهلهما مسلمون من حكومة اجنبية واخذ البلغار لسلانيك ومناستر وسائر مكدونية وكل من الدولة العلية والدولة البلغارية تنفى وجود محالفة كهذه بينهما لكن الكلام فى اوربا يدور كثيراً على وجودها او امكان عقدها والبلغار يصرحون بكونه لا لزوم لعقد محالفة ما دامت المصالح متحدة بين الدولتين وبالفعل قد استدل الساسة على التقارب بين العثمانيين والبلغار بشواهد كثيرة منها السهولة التى انعقدت بها المقاولة الاخيرة بشان ادرنه وتم الصلح بين الباب العالى والبلغار ومنها كون الشروط التى رضيت بها حكومة البلغار من جهة معاملات المسلمين التى فى بلادها هى احسن ما رضيت به حكومة مسيحية من جهة تبعة مسلمة ومنها اقامة الجنرال صافوف فى الاستانة كل هذه المدة بعد عقد المعاهدة واهم من هذا كله كون اهالى كوملجنه ودده اغاج اعلنوا استقلالهم وكتبوا كتائب بقيادة ضباط عثمانيين حتى صار عندهم جيش عدده ٣٠ الف مقاتل وطردوا البلغار من جميع بلادهم واخذوا بثأر انفسهم مما فعله البلغار معهم قبلاً من هدم مساجدهم وتحويل بعضها كنائس ووضع النواقيس فوق المآذن ومن قتل شبانهم وهتك اعراضهم الى غير ذلك فاحتملت حكومة البلغار منهم كل ذلك وصبرت عن سوق العساكر الى محاربتهم وما زالت حكومة كوملجنه هذه مستقلة وقد جاء

الاستانة" وفد مؤلف من عده رجال من اعيان غربى تراقيا فعرضوا ظلامتهم للباب العالى وللدول العظام فبعد ان انعقد الصلح بين الباب العالى والبلغار اقنع طلمت بك اهالى كوملجنه بالاتفاق مع البلغار على شروط معلومة" وهى عادتنا استقلالهم باوقافهم ومساجدهم ومدارسهم المضمون بالمعاهدة مع الباب العالى تعيين المتصرفين وقوام المقامات فى غربى تراقيا من المسلمين وعدم ادخال شرطه" غيروطنيه" الى تلك البلاد وعلى هذا زحفت عساكر البلغار واحتلت البلاد الى ددهاغاج بدون اقل حادث بعدان كان غليان الاهالى شديداً والجميع واقفين على قدم الحرب واما البلاد التى تقرر الحاقها الى البلغار من اطراف ولاية ادرنه الشمالية" فان مسلميها ارتحلوا الى ادرنه وتفرقوا فى الاراضى العثمانية والدولة العلية ملجأ الاسلام الوحيد معتنية الان بامر اعاشتهم وايوائهم ومما يذكر ان المسيحيين فى هاتيك البلاد حتى البلغار منهم تجدهم آسفين على فراق الحكم العثمانى يودون لورجع علم الهلال خافقاً فوقهم وذلك من تذكارهم لطف الدولة العلية التى لم تتعود الاتضميد جروح رعيتها بمراهم المراحم وعليه فالبلغار فى الآونة الحاضرة اكثر امم البلقان تقرباً منا كما ان اليونان هم اليوم اشد جيراننا احتراساً منا وكيدا لنا وتجدهم فى دأب مستمر لتقوية اسطولهم وتعزيز جيشهم البرى وترى ملكهم يتردد بين سلانيك وقواله وينفخ فى بوق اليونانية ويستعرض الجيوش ويلفظ الخطب وحكومتهم توصى بشراء قطع بحرية جديدة منها دريدنوط يضاهى رشاديه التى يرجى ان يتسلمها الباب العالى فى شهر فبراير وكل الناس يتوقعون نشوب حرب بيننا وبين اليونان فى البحر ولذلك كان ينبغى ان تبذل الامة العثمانية كل نفيس لاجل تعزيز بحريتها وان لا تضن بشئ فى هذا السبيل الالزم ولا تقع فى الاهمال الماضى بعدان رأت باعينها ان التفوق القليل الذى كان لليونان فى البحر ضمن لها اخذ الجزر وسلانيك ويانيا وقواله وبالاختصار قد استولت اليونان على بلدان فيها بقدر سكانها الاصليين اى مليونان ونصف مليون نسمة بواسطه دارعة واحدة جديدة اسمها افيروف فان لم يكن لدى العثمانيين عبرة سوى هذه لاجل تعزيز اسطولهم لكفى

من لم تفده عبراً اياه ... كان العمى اولى به من الهدى

اما مفاوضات الصلح بيننا وبين اليونان فهى سائرة فى طريق النجاح والدولة لاتنوى الحرب وقد اخذت تصرف جنودها المرابطة على حدود البلغار ولكنها لاترجع عن مطالبها بشأن التابعية العثمانية والاوقاف الاسلامية مع اليونان وبشأن

المفتين وقدسلمت اليونان بمطلب الدولة من جهة التابعية لكنها ادخلت تعديلات مهمة على مطلبه من جهة الاوقاف والاراضى السلطانية التى فى داخل الولايات التى اخذتها فرفض الباب العالى اكثر هذه التعديلات

وآخر ماقر عليه القرار الى حداليوم من جهة الاوقاف ان حكومة اليونان ترضى بجباية الاعشار الوقفية لجهة الجوامع التى هى داخل البلاد التابعة لليونان ولكن الباب العالى مصر على طلبه بجباية اعشار الاوقاف التى داخل تلك البلاد لاى جهة كانت طبقاً لشرط الواقف وكذلك لايزال الباب العالى متمسكاً باستبقاء الاراضى السنية السلطانية تحت ادارة مأمور من قبله يديرها الى ان يكون تيسرله بيعها مع عدم اكراهه على البيع ولامضايقته منذالآن الى وقت البيع وكذلك يطلب الباب العالى اعادة اسرى الحرب بدون انتظار حكم محكمة لاهاى بشأن نفقات وجودهم ايام الاسر واما مسئلة المفتين فقد انحلت على وجه ان المفتين والمفتى الاكبر تنتخبهم الجماعات الاسلامية ولكن الباش مفتى يعد مأموراً يونانياً يأخذ معاشه من حكومة اليونان انما الابد لمأموريته من تصديق المشيخة الاسلامية فى الاستانة ولانعلم هل ترضى حكومة اليونان بسائر مطالب الباب العالى ولكن نعلم ان الباب العالى لايعقد الصلح الاعلى هذه الشروط واذا انعقدت المعاهدة عليها ايضاً فلايزال خوف نشوب الحرب بحراً مع اليونان من اجل الجزر التى ان بقيت فى يد اليونان كانت خطراً دائماً على الاناضول فعلى العثمانيين ان يبذلوا ماعزوهان من اجل تقوية الاسطول العثمانى على الاسطول اليونانى ولايهملوا الاهمال الماضى ولايرضوا بخيبة ثانية وفشل آخر تجاه دولة لايوازى عددها بعد فتوحاتها الجديدة الا خمس بلادهم ولم يبق لهم الاملاكهم فى آسية مركز قوتهم ومن العار فضلاً عن الدماران تبقى تحت تهديد دولة صغيرة كدولة اليونان والى الله ترجع الامور



مع الاتراك فى الحرب

تابع العدد الماضى من رقم ٩٦١ الى ٩٦٧

. . وهى الآن تحتوى المندوبين العسكريين وساقضى الليلة فيها . ما اسعد الانسان حينما يجد كل ما يلزمه !

أخبرت بان مختار باشا ذهب الى بونار حصار ويغلب على الظن انه لايزال فيها وانه بقرب قلب فيلقه من ميمنته وعلى كل حال وبأية طريقة كانت عزمت على القيام مبكرا جدا . عاد المطر فى اثناء الليل الى الانهمار بشدة

. . .

يوم السبت ٢ نوفمبر — السفر فى الساعة ٧ . اختفى جنديان بدون ان يتركا اثرا . ووعدت السائقين بمكافأة جيدة اذا وصلنا بسرعة وبدون انزعاج

اكثر المندوبين لايزالون نائمين وقد اديت خدمة الى فن استمبل الذى نهض قبلهم وذلك بان احضرت له ماياً كل . لم تصل حوائج حضرات هؤلاء الضباط وانا لننتظر موقعة تنشب اليوم . قد اخذت الريح من الساعة ٧ تأتينا بدوى المدافع

مشينا وئيدا لان الارض موحلة جدا ولان الجداول والنهيرات كلها طافحة بالماء . وقد تجاوزنا المندوبون العسكريون الذين يسيرون بخيلهم سيرا حثيثا يتبعهم من ارفقوا بهم من الخيالة

وقفت لدى كوخ امتلأ جندا وجرحى وفسد هواؤه فقال لى بعض من به انهم لم يأكلوا منذ ايام طوال فاعطيتهم نصف خبزى . ولكن كيف يكفى هذا المقدار القليل هذا العدد الكثير . ان المكلفين بتموين الجيش هم الذين يجب عليهم ان يفكروا فى هذه المصائب

يجب استتباع السير تحت الامطار المنهمرة غير انه يزداد بطأ ما ازددنا شوقا للوصول الى ويزة التى لم يجعلنا نمشى خمس ساعات الا مرأى عن بعد منها ومن صرحها العتيق

غمرتنا افواج صائحة تتبعها عربات وخيالة وعجلات ذخائر وعربة صحية تحمل كثيرا من الاطباء وكلهم يعدون ويركضون ومن خلفهم بعض منعزلون ثم فصائل تامة آتية وهي تنظر الى ورائها قلقا وذعرا ثم ظهرت على بعد ١٠٠٠ مترمنا جموع سوداء تتقدم . فلم يقبل سائقو العربات حينئذان يزيدوا خطوة الى الامام

واما انا فلاحصان عندي لاني اعطيت جوادي لشرطي ارسلته في الليل الى جركس كوبي يستعجل ارسال ذخائر المدفعية وذلك بناء على رجاء محمود مختار باشا في بواسطة التليفون

لاشك في انه حدث شيء خارق للعادة . لااحصل عندما اسأل القوم الاعلى جوبة مبهمة

قداختفى الجنديان اللذان يرافقاننا وولى السائقون الادبار . وازذلك لخير ما يجب عمله في الحقيقة لانه مع هذه الاوحال لايجوز للانسان ان يفكر في محاولة معارضة هذا السيل الانساني الجارف

جرنا التيار ساعة تقريبا وتجاوزنا الوف من الفارين ثم رأيت احد السائقين يطلق ساقيه للريح فجأة ولكن رفيقي اليوزباشي لم يره ولم يسمع ندائي وصياحي اللذين تغطيهما الغوغاء العامة . وفر سائقي ايضا . جمل الجنود يضعون وهم صامتون ، بنادقهم في عربتي ليكون سيرهم اقل تعبا . هؤلاء على الاقل لايرمون باسلحتهم على الارض .

جرت الثيران من تلقاء نفسها العجلات واخرجتها من الاوحال . ووصلنا الى نهير انسدت قنطرته الصغيرة بازدحام الجنود الذين يريدون ان يمروا كلهم منها في وقت واحد . الاختلال والاختبال لا يمكن وصفهما

اتجهت ثيراني نحو النهير رأسا ولم استطع ان ادير سيرها فقفزت الى الارض ولكن سبق السيف العذل فان العربة انقلبت وتبعتها العربات الاخرى فانقلبت مثلها ولى اليوزباشي هاربا يتلمس مأمناً وامرته ان يبقى معي فقال ولم توؤل حالتي ؟..

هاانا قد بقيت منفردا وحيدا في هذا البحر الفائض اوحالا وفي وسط هذه الجماهير التي انقلبت الى الحيوانية . اخذت استحلف الضباط والجنود لينفذوا لوازم قائدهم ولكن هيهات من يسمع

ورايت جنديا يحل حصانا هزيلا ليهرب عليه فخطرت لى فكرة فقلت له ان يعطينى الحصان فضربنى فى صدرى عندما امسكت باللجام . فافهمته انى ذاهب لاستحضر جنودا لتخليص الحوائج ولكن عاطفة المحافظة على النفس كانت لديه متسلطة على كل عاطفة اخرى. فعرضت عليه مجيديا فليرة فليرتين عثمانيتين فترك لى حينئذ الحصان وقد كنت مبتلاً الى درجة لم استطع فيها امتطاء الحصان الا بكل صعوبة. مشيت على هذه الحالة نصف ساعة تقريبا ثم حاول جندى ان يسقطنى ليأخذ الدابة وان يأخذ سيفى . وقد سرقت غدارتى من قبل ايضا. وصلت بعد ساعة الى سراى وكنت آمل ان اجد من استنجد به فى ثكنة الشرطة ولكنى لم الق فيها احدا لا يمكن عمل شئ الآن فان سيل المنهزمين قد بلغ الزبى وانقطع الرجاء

وان بين المنهزمين جنودا من الفيلق الاول ايضا

قد اتى الليل فيجب اخيرا ان افكر فى نفسى. استتبعت سيرى بلا اسرع الى طريق چركس كوى

لقد علمت الآن بعد الرؤية بشاعة الحرب وشناعتها . ومارأى كمن سمع. نظرت جنديا يقفز امامى كمن يريد ان يدور فى الهواء ثم قتل وسقط ميتا وشاهدتهم يلقون على الارض الموتى الذين يزاحمون العجلات ويضايقون الاحياء . الجداول المفعمة لا يستطيع الانسان اجتيازها الا اذا غاص فى مائها الى الحزام . ومما يرى دائما بلا انقطاع تلك القوافل المهاجرة الباكية النائحة المولولة. وقد استمرت هذه المناظر ساعات كثيرة ثم اتى الليل والامطار تنسكب غزيرة

لقد بردت عظامى داخل الجسد واوهى التعب قواى لان طول السفر على حصان لا يكسوه غير وبره لمما يزعج الراكب وينهكه

قابلت قبل چركس كوى بقليل جماعة المندوبين العسكريين مقيمين على الرحب والراحة فى عربتين من ذوات الاسرة . وذهبت الى المحطة حيث وجدت بعض المعارف من المستخدمين استقبلونى اجمل استقبال واكرمونى احسن اكرام وبذلوا جهدهم فى اعادة قواى

ربطت الى شجرة حصانى الصغير — وانعم به من حصان فقد نفعنى نفعا عظيما — واخذت اجتهد فى اعادة الدم الى مجاريه فى اعضائى التى اضربها البرد . وان الاربع عشرة ساعة التى قضيتها تحت المطر قد ايبست جسمى وصيرته كعود من حطب

اعطانى مسيوكالدر سريره وحساءوسمنا. ولم استطع ان اكتب هذه المذكرات الابعد ساعتين

***

يوم الاحد ٣ نوفمبر — لقد نمت نوم اهل الكهف ، ولم افكر فى الاستخبار الا الآن

خرج فى هذه الليلة قطار عن الخط وبقيت الطريق الحديدية مقطوعة الى الساعة ١٠ حدث ان احد الضباط اجبر — والغدارة فى يده — سائقا على تسيير قطار ركب على سقوف عرباته مئات من النساء والاطفال والجرحى وبما ان القناطر هنالها عوارض حديديه لاترتفع عن سقوف العربات الاعشرة او خمسة عشر سنتيمترا فقد حصد من على السقوف حصدا ومسحت مسحا

المحطة فى اشد مايكون من الازدحام والاختلاط وقد اخذت العربات عنوة وبما انها ممتلئة بالذخائر التى يراد ارسالها الى مؤخر الجيش فقد لزمت الاستعانة ثانية بالعساكر لاخلائها

عزل عبدالله باشا من القيادة العامة ثم اعيد اليها بعد قليل اذ الغى امر عزله . سيسافر وزير الحرب عندما تخلو الطريق. تبادلت بعض كلمات مع احد ضباط اركان حربه فقال لى : « قد فقدنا كل شئ حتى الشرف ! »

سيقتصر على الاعتراض فى موقع جتالجة اذ كان الدفاع فيه لايزال ممكنا !

يقولون ان الفيلق الثالث دار العدو حول جانبيه فى بونار حصار وان محمود مختار باشا اضطره ذلك الى الارتداد تجنبا لاستحكام حركة الاحاطة بفيلقه فلعل الله يكون قد يسر له وسائل التخلص

الاخبار الصحيحة نادرة هنا . كلما تسمعه خلط وخبط . من الآن الى المساء لانظن اننا نعرف شيئاً صحيحاً عن الحالة ولكن هلايزال يؤمل محاولة شئ بهؤلاء المنعزلين الذين انهكت قواهم الادبية واوهى الجوع ابدانهم ؟ لقد صرت من زمن طويل لااعتقد ذلك

ان من الصعب ان يستقر راى الانسان هنا على شئ الا ان البقاء لافائدة فيه . سأسعى فى الوصول الى جتالجة والانضمام الى اية قوة مالاتبع الجنود العثمانيين سيئى الحظ الى نهاية طريق عذابهم

ان مارأه كان يستدعى الضحك لولا انه محزن — وشر المصائب مايضحك — ينقلون

سيارة ناظم باشا الى القطار ويحرسون بالقرب منى اسرى بلغاريين من جنود الالاى الخامس ولهم شارات حمراء وقبعات على الطرز الروسى وانه ليوجد عدد كبير من المتطوعين الروسيين فى صفوف البلغاريين وقد عثر على بنادق روسية كثيرة

الخط مقطوع فى الكيلومترال ١٨٠ ، وان ذهاب القطارات الى چورلى وقيامها منها لايزالان ممكنين ولكن صارت لايمكن الوصول اليها ومستخدمو الطريق الحديدية هنا يستعدون لمغادرة المحطة

وصل الآن اركان حرب عبدالله باشا وان الجميع لواجمون تعلو وجوههم الكآبة والقنوط

عقدت العزيمة الآن على التقهقر الى خطوط چتالجه

قابلت الميرالاى توبشوسكى وقد اشترك فى موقعة ويزه بحضرة محمود مختار باشا وهو الآن مريض وعائد الى الاستانة وقد انطبع فى خاطرى مما حكاه لى هذا الميرالاى ومما قاله مختار باشا ونورالدين بك ولورا عن يومى القتال مايلى :

بالرغم من ان محمود مختار باشا كان يريد — كما قلت من قبل — ان ينتظر الى ان تتم اعادة تشكيل قواه وان تحضر اليه النجدات — قد اجبر على التعرض بالمهاجمة لايقاف تتبع البلغار للجيش العثمانى ولذلك لم ينفذ امر المهاجمة الا مكرها آسفا

ففى يوم الاربعاء ٣٠ اكتوبر وقعت مناجزة طفيفة بين المدفعيتين على بعد ١٠ كيلو متر من شرقى بونار حصار وفى الساعة ٢ بعد الظهر تبارز المشاة واوقف تعرض العثمانيين زحف البلغار على ويزة وصار فى استطاعة جنودنا ان يقضوا الليلة فى الاماكن التى احتلوها فى النهار . ولم يعد محمود مختار باشا الى ويزه ليأخذ بعض الراحة الا بعد ان تعمق الليل .. وقد كان ينوى ان يتقدم بقوة عند الصباح مستجمعا كل قواه والنجدات التى وصلت اليه وذلك ليوطد النجاح الجزئى الذى حصل عليه فى الامس

وعند بزوغ النهار قام قاصدا ساحة الصدام حيث البنادق كانت قد نشبت نارها والمشاة العثمانيون قد زحفوا بشدة واستحوذوا على مقدار من ميدان القتال وانزل ١٠ فعيوهم بالبلغار خسائر فادحة

وقد كان موقع المدافع على المرتفعات فى غرب يوكسك دره والميمنة منثنية

قليلا نحو اورت سكز والفيلق متصلا بالسابع عشر الذى يوجد معظم قواه فى ارجاء قره آغاج . وكان الفيلق الاول آخذا فى الاشباك مع العدو فى جنوب السابع عشر .

وافتتح المدفعيون نارهم من مسافة ٣٨٠٠ متر وكانت بطارية العدو شاغلة مركز الخط على المرتفعات الجنوبية الشرقية من بونار حصار

غير ان الميمنة الشركسية لم تتقدم الا ببطء حتى امكنها الشروع فى حركة تغطى بها جناح البلغار الذى لم يكن فيه الاقوى قليلة

وقد طالت الموقعة على غير جدوى وانما كان البلغار يرتدون شيئاً فشيئاً تاركين موتى عديدين والاتراك يظهرون الثبات وقد تقدموا فى المساء الى النهر الثانى وهو قره آغاج دره ولكن الموتى لم يرفعوا

وقد كان رمى المدفعيين العثمانيين سديدا واما البطاريات البلغارية فكانت تكثر من الضرب الاعتراضى العريض وقد اسرفت فى الاطلاق بين غروب الشمس ودخول الليل بدون ان يعرف الغرض من هذا التبذير (١) وانه لا يمكن ان يكون مقصودا به غير التاثير الادبى .

وعند المساء حفظت الجنود اماكنها واستحكمت فيها الا انه هنا وقع مثلما وقع فى قرقكليسا اذ لم توضع مفرزات العسس الامامية واذ سمح القائد العام بان تشعل نيران المبيت على ذرى الهضاب !

وقد اظهر مختار باشا فى هذه المرة ايضا انه روح الثبات وامكن القوى بتداخله الشخصى مباشرة من الفوز فى قتال اليوم وقد رجا منه المحيطون به ان يقلل من جرأته ولكنه لم يشأ ان ينصت لهذا الرجاء وقد بات المركز العام ايضا على خط القتال . ويظهر ان البلغاريين لم يكونوا باكثر اطمئنانا على مواقعهم لانهم كانوا كالاتراك يستحكمون

وفى يوم الجمعة اول نوفمبر اصدر محمود مختار باشا امره بعدم الشروع حالا فى التعرض وذلك لان الامداد بالذخائر لم يكونوا قد دبروا ترتيبه على الطريقة اللائقة فلم يشرع فى حركة التعرض الا فى نحو الساعة ١ عندما وصلت الذخائر . وقد كان البلغار لم يتحركوا فى متاريسهم

وفى هذا الوقت بلغ محمود مختار باشا امر تعيينه قائدا عاما لجميع القوى الشمالية من الجيش الشرقى

---

(١) منع العثمانين من مهاجمة البلغار بعد ذلك النجاح الجزئى

واما فى الجهة اليسرى فقد كانت الحالة سيئة وتقهقر الفيلقان فى الليل واضطر الفيلق السابع عشر الى ان يطلب بعد ظهر يوم الجمعة مساعدة الفيلق الثالث فكان فيلق محمود مختار باشا .معرضا لان ينفصل عن الجيش ويدفع الى جهة الشمال

وقد اتى برتو باشا فى الساعة ٢ من الصباح فى سيارة ليهنئ مختار باشا على قوة عزيمته وشدة ثباته وليخبره بان القائد العام الكبير يعلق به آماله. ولكنهم اضطروا فيما بعد الى احراق السيارة اذ لم يستطع برتو باشا ان يبعد بها عن ويزه ولم يشأ ان يتركها للعدو

واشتد وطيس القتال عند الظهر وكسب الاتراك قليلا من الميدان ولكن بدون ان يحصلوا على نتيجة قطعية وفى الساعة ٩ تقريبا هجم العدو على وسط فيلقنا الذى كانت فيه فرقة قونية واضطرها الى التقهقر وكانت ميمنتنا ايضا قد تقهقرت عند غروب الشمس

وقد ظن جمال بك قائد الفرقة عندما سمع صياح الهجوم (الله! الله!) ان جنوده يتقدمون ولكنه لم يلبث طويلا حتى عرف انهم يتقهقرون فى ظلمة الليل

الا انهم مع ذلك تمكنوا من ايقاف العساكر فى مواضع الصباح ولكن الاخبار السيئة التى وصلت عن الفيلق السابع عشر والمطر مستمر الانهمار والافتقار الى الذخائر والمؤن اضطرت مختار باشا الى اصدار امره فى الساعة ٣ صباحا بالارتداد العام الى ويزه

وقد اخذ فى الارتداد بنظام حسن فى بادئ الامر وسلم محمود مختار باشا قيادة الفيلق الثالث ولكن اركان حربه بقوا فى وظائفهم وذهب محمود باشا على جواده مستصحبا ضابطين الى چونغرا ليقابل عثمان باشا

وفى يوم السبت ٢ نوفمبر كانت الموقعة لاتزال مستمرة فى هذه الجهة الى الساعة ٨ صباحا ولكن الاحتياطيين كانوا قد شرعوا فى حركة القهقرى وفى اثناء هذا الارتداد اطلق مدفعيو الفيلق الثالث النار على بعض قطع من الجنود الاتراك فازداد بذلك الاختلال والاختباط وفقد الضباط كل سلطة على جنودهم وساعد المطر والبرد والجوع الانهزام فانقلب فى الساعة ١١ صباحا الى هروب كهروب قرق كليسا ودفع بالفيالق مختلطة الى خط ويزا — سراى

وعندما ذهب محمود مختار باشا بالمساء الى ويزه لم يجد فيها الا المتاخرين من

الجنود المنهزمة فعادهوالى سراى . يرتد جيش الشرق الآن منهزما على شطرين احدهما مؤلف من الفيالق الرابع والثانى والاول وسالك فى رجوعه الاراضى الكائنة فى جنوب الخط الحديدى الموصل من چورلى الى چتالجه وثانيهما مركب من الفيالق الثالث والسابع عشر والثامن ومنحدر عن استرانجة فى شمال الطريق الحديدية

وان الخسارة من المدافع الجسيمة فادحة ويقدرونها الآن باربعين بطارية على الاقل وقد استشهد عدد عظيم من الضباط وهو مايجعل قوى كثيرة محرومة من الرؤساء

الجروح بصفة عامة خفيفة وتقتصر على اليد اليسرى اوالذراع الايسر وسبب ذلك كيفية اطلاق البنادق فى خنادق المتاريس

وان الحرمان من الماء لآفة جديدة وقداقفلت الموارد التى لم تعد بسبب غزارة الامطار تسيل الاوحالا وهم يريدون باقفالها منع انفجار الاوبئة

اندسست فى قطار المندوبين العسكريين وماأعظم التناقص بين النعيم الذى يتمتعون به وبين الشقاء والعناء اللذين يكابدهما الجيش

ويشغل حضرات المندوبين عربتين من عربات الاسرة مكتوب عليهما بالخط العريض — القسطنطينية — لوندره ويلبس المكلفون باطعامهم ملابس الشركة السمراء

وجميع هؤلاء الضباط من الجنرال هولمش الميرالاى بوميانتوسكى والميرالاى تيريل الى اصغر معاونيهم لم يغيروا ملابسهم منذ الامس فتراها لاتزال موحلة مبتلة وذلك لان حوائجهم لاتصل اليهم الا فى چورلى . حصلت على قليل من الخبز وبعض بيضات اتيت بها الى مندوبنا فن استميل فطبخت تلك البيضات وتقوسمت قسمة اخوية

وانه ليوجد آخرون يريدون أن يسافروا معنا ومن هؤلاء البرنس عزيز وهو مريض ونورالدين بك ولورا صديقى الوفى وهو آت من اركان حرب مختار باشا حيث قام بعمله فى القتال احسن قيام .

وقد اخرج محمود مختار باشا سريات للبحث عنى خشية انيكون قد اصابنى مكروه فجزاه الله خير الجزاء

الساعة ٢ — هاهم مراسلو الجرائد المختلفة وقد كانوا قداوجب عليهم لبقاء

تحت ملاحظة ضابط تركى والامتناع عن عمل اى شئ بدون اذن منه . ولذلك لم يروا شيئاً تقريبا ولكن يجب على كل حال ان يكتبوا الى جرائدهم . وانه ليوجد بينهم اناس معروفون مثل ليكباشي شفنجر وفن ولانيسكا وفتن نسمنشتين ورين وبومبلر وغيرهم . وبما ان السلطة الحربية لم تعرف كيف تصرفهم الى الوراء فقد شحنتهم معنا ووجب بذلك على المندوبين العسكريين ان يفسحوا لهم فى امكنتهم .

سافر ناظر الحربية وقائم عبد الله باشا اركان حربه فى القرية

لا يفتأ الفارون يقصدون چركس كوى متبعين الطريق الحديدية وقد ازدحمت العربات جندا وان منهم من علوا سقوف العربات ومن اخذوا مكانا على درجاتها

اخبرنا بوصول القطار المقل للحوائج آتيا من چورلى ولكنه وقف بعيدا عن المحطة ولذلك يجب علينا ان نسير ١,٥ كيلومتر لاخذ تلك الحوائج وقد اشتركت فى السخرة مع انه لا شئ لى فيها ولكن آملا ان يسقط صنديق طعام محفوظ فالتقطه وقد حدث ما يقرب من ذلك ... وكافة الضباط مشتغلون بتهيئة الطعام فى مقاصير كل واحد منهم مشتغلا لنفسه . الا ان ' اظهروا نحوى مودة واكراما جديرين بالذكر والشكر وقد كان الطعام يأتينى من اليمين . . شمال ولكنه لم يكن وياللاسف مما يشتد به ازر المعدة ويستمد منه الجسم حقه من التغذية

ان تكوين هذه الجمعية لمما يسلى ومجاورة هولاء الممثلين للدول العسكرية الكبيرة وآراؤهم لمما يستدعى الاهتمام به ولكنهم كلهم تقريبا مجمعون على ان الحرب لا يمكن ان تدوم بعد ذلك طويلا وان تركية سترى تغيرا فى الحالة عظيما

كل ذلك يجرى ونحن لا نزال واقفين فى المحطة .

* *

يوم الاثنين ٤ نوفمبر — لقد قضيت يوما فاخرا فى عربة الاسرة وقد حدث فى قاطرتنا خلل ولذلك لم نتجاوز سينكلى مع ان الساعة الآن ٩ صباحا . انما لم يبق للقطار من العربات الا خمس تغطت سقوفها بالراكبين عليها . ترى دائما زرافات وجماعات كثيرة من المنهزمين وقد اضطر ازدحام الناس على الطريق القاطرة الى تقليل سرعتها . لم يبق فى القطار ماء . الساعة ١٠ — وصلنا الى قورسالى وعاانه يوجد هنا مورد فقد ملئ كلما امكن وضع الماء فيه

واخيرا قد اشرق ايضا شعاع حار جديد

نسير الآن نحو چتالجه . الطريق الحديدية تدول حول ميسرة الموقع ونسير

وراءه على مسافة ٨ كيلومتر الى خادم كوى . القلاع القديمة كلها لا تزال باقية على حالها

وان هذا الموقع ليكاد يكون متروكا وقد ارسلت كل مدافعه الكبيرة تقريبا الى ادرنه ونؤمل ان يكون غيرها قد احضر الى هنا من البوسفور او الدردنيل . يشتغلون بهمة عظيمة فى حفر خنادق التحكيمات ولكنهم يضعونها على الذرى وان ذلك للعجب العجاب !

لا ينبغى ان يوضع فى القلاع القديمة ولا فى المرتفعات المتقدمة الا قليل من المدافع مستورة عن انظار العدو كما انه يجب خدع العدو باشعال النار ايلا على الذرى فى حين ان المتاريس الحقيقية تكون فى منتصف انحدار السفح واشغال هذه المتاريس بحاميات وافرة الذخيرة والميرة تفهم شدة الخطر الذى ينتج من ارتداد يعرضها للنيران .

فاذا روعى ذلك وعمل به فانه يصير فى الامكان حينئذ ليس فقط مقاومة البلغار فى هذا الموقع القوى الذى لا يزيد طوله عن ٢٥ او ٣٠ كيلومترا وانما ايضاً ردهم على ادبارهم منهزمين دامى الطلا اذا هاجموا

ولو كان الاتراك لم يتعجلوا ولو كانوا رضوا ان يقاوموا هنا او على خط ميديه — چورلى الى الامام قليلا لكانوا تجنبوا خسائر هذين الاسبوعين الاخيرين ولكن اصلاح تلك الغلطات لا يزال مستطاعا ولقد كان وللخبثون فى مثل هذه الحالة بازاء ماسينا وامكنه ان يفوز على خصمه ولاسيما ان تفوق البلغار قد ذهبت به الخسائر التى لحقت بهم

ولكن من الرجل القدير الذى سيستطيع القيام خلف هذا الموقع باعباء هذا العمل الجسيم وهو اعادة تنظيم هذا الجيش المبدد

الساعة ٤ — لا نزال فى بخشايش كويى على ميسرة الموقع فان الطريق امامنا مسدودة بقطارات الجرحى .

الساعة ٤,٣٠ — اتى بميت الى امام عربتنا وحثوا عليه التراب حثوا . ان الكلاب ستعرف كيف تخرجه من تحت هذا التراب عما قليل

الساعة ٧ ولا نزال موقفين . قد استقر رأيى على ان احاول فى الغد الذهاب الى الاستانة ممتطيا حصانا آخذه من احد مراسلى الصحف . وانى بذلك اصل الى العاصمة بعد ٦ او ٧ ساعات

*
* *

يوم الثلاثاء ٥ نوفمبر — الساعة ٧ صباحا — بقينا الى الآن فى المحطة بدون ان نستطيع التزحزح — ستا وثلاثين ساعة لقطع مسافة ٥٠ كيلو مترا تقريبا !!

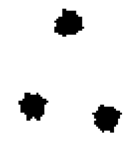
عاد الطقس الى التغير والامطار الى الانهمار . وانه لينسقط من الماء كلما يمكن انصبابه ومع هذا فاننا فى القطار مفتقرون الى الماء

وجدت دابة وانها لبئس المطية ولكن لابد من ركوبها على كل حال وقمت مع مسيوفن تيسزا ونجله ليتيسرلى الوصول فى النهار الى العاصمة بعد روحات وغدوات فى الاراضى الموحلة — اذان الطرق المرسومة على الخريطة حفيرات ومهاو .

وصلنا فى الساعة ٤ الى مدرسة الزراعة على بعد ساعة من اياستفانوس (سان استفانو). سقط حصانى ثانية من التعب ولكن يجب ان يستتبع الطريق. ساذهب الى اياستفانوس واركب منها باخرة تقلنى الى القسطنطينية وسيبقى الحصان فى اياستفانوس الى ان اجعله ينقل منها

قابلت فى الطريق لواء مشاة قاصدا خادم كوبى وقد اوجد لدى نظام سيره تأثيرا حسنا

دعانى الفريق عزت فؤاد باشا الذى سمع بانى موجود فى اياستفانوس ليعرف ماانطبع فى نفسى من تأثير الاحوال فقضيت ساعة طيبة مع هذا الرجل الظريف الذى يتكلم باللغة الفرنسية بسلاسة وراحة كاملتين وانه لمعروف بكتاب نشره فى سنة ١٩٠٧ بعنوان الفرصة الضائعة احدث تأثيرا عظيما وقد كان هذا القائد الكبير سفيرا ومفتشا للخيالة وسيتولى قريبا قيادة فيلق . وهو يقوم الآن بتوجيه الجنود التى تنزل هنا الى خطوط جتالجة



يوم الاربعاء ٦ نوفمبر — الزيارة الاولى للسفارة . حدث فى الايام الاخيرة هنا فزع نشأ عن الخوف من حدوث المذابح وقد نقل سفير اوستريا النزاله النمسويين الى البواخر . واستقر راى نواب الدول على استحضار بواخر حربية يرون فى قدومها الى مياه الاستانة فائدة . أجد المدينة هادئة ولم يحدث فيها شئ فى هذه الايام. انهم يخافون من اعتداء العساكر بالسلب والنهب ولكن هذا الخوف خوف حماقة

الفارون من قرق كليسا ومن سراى ارسلوا من زمان طويل الى ازمير والى مراسى

اسيا الصغرى الاخرى ومن لم يرسلوا اعيدبهم لتنظيم قوى جديدة وارجعوا الى ميدان العمليات . وقد اعاد عبدالله باشا عشرة آلاف رديف كانوا قد وصلوا الى جورلى واعتقد فيهم عدم صلاحيتهم للخدمة — الى بلادهم . ولم تستحضر فرقة دمشق بسبب انتشار الوباء فى الشام .

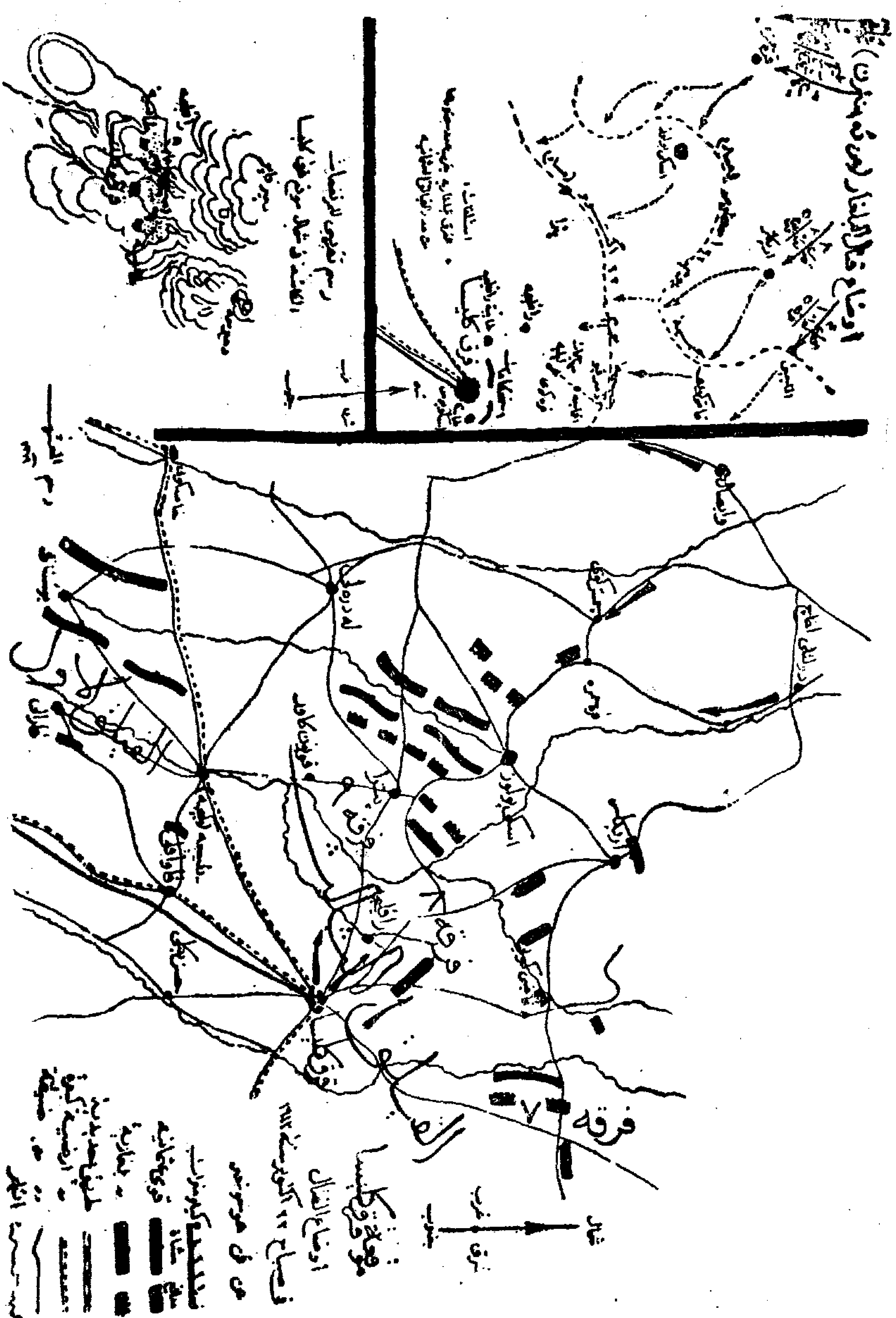
يوجد فى الاستانة عدد كبير من الجرحى وقد كرست العمارات الاوربية نفسها لايوائهم ورفعت على جدرانها اعلام الهلال الاحمر وقد جعل بهو السفارة الالمانية الكبير مستشفى تعتنى فيه السيدات تحت رئاسة قرينة السفير بمعالجة الجرحى من الضباط . وان هؤلاء المساكين ليجدون من حسن العناية مايحبب لهم البقاء فى السفارة

الجروح بصفة عامة خفيفة والمرميات الحديثة تقتصر على اختراق الجسم اللهم الا اذا صادفت عظما اومست القلب وقد رايت رجالا اخترقت رئتهم اواصابت صدورهم رصاصات يتحملون بارتياح نقلهم الى عربات القطار المفتوحة وينتظرون ارسالهم الى المستشفيات وذلك بعد ان يكونوا قد مشوا على اقدامهم اياما طوالا وقطعوا كيلومترات كثيرة . الا ان هنالك ايضا عددا كثيرا من الجرحى قضوا نحبهم بسبب قلة العناية بهم وتأثير البرد وتقلبات الطقس عليهم اونشوب الزمان مخالبه فيهم وقد رايت جنودا يضمدون جراحهم الخطيرة التى احدثتها شظيات القنابل بخرقه قذرة اوقطعة من اطمار بالية تستحيل بعد ذلك بما تتشرب به من الدم قشوراً حمرا سمراء سميكة متينة وكانوا عندما يصلون الى المحطة ويطلبون طبيبا ليراهم لايجد المعالجون من الماء ما يستطيعون به رفع تلك الضمادات التى اتجهها حسن تدبير الجنود ولذلك كانوا يضطرون الى رفعها قسرا ليضعوا مكانها خيرا منها

ان التصريف الى الخلف قد انتهى الآن وبذلك صارت الطريق الحديدية خالية ميسرا السير فيها. مما يمكن قبول اعتقاده ان الاتراك رأوا الآن نهاية الدور الاول من القتال ويظهر انهم لايستطيعون بعد الآن التعرض بالمهاجمة

وانا لنرى ان مما يستدعى الاهتمام ان يبحث عن الاسباب التى انتجت اضمحلال هذا الجيش الجميل وانحلاله قبل الاوان وعلى من تقع مسئولية هذه المصيبة الفادحة وهذا الرزء الجلل اللذان لم يرهنلهما قط .

***



لقد جعلت منطقة تجمع قوى جيش الشرق فى جهة الغرب على اكثر ممايلزم بكثير وجعلت جبهة الجيش اكبر ماتستدعيه مواجهة مثله وقدكان الواجب البقاء فى خطوط چتالجة الى حين انتهاء حشدالقوى على الاقل

وان الاتراك كانوا يعلمون ان ايقاف قوة كبيرة مثل هذا الجيش على قدم الحرب يستلزم زمنا طويلا وقدشرح ناظر الحربية فى مجلس الوزراء ان الجيش غير مستعد

ولكن الخطأ الجسيم الاهم هو التعرض بالمهاجمة قبل ان يتم حشد الجنود . ولم يفتح انهزام قرق كليسا فى هذا الشأن اعين القيادة العليا مع ان محمود مختار باشا لم يهمل شيئاً فى سبيل اعلام ناظم باشا وتحذيره وطالما كتب اليه من ويزا و بين له انه لا يعتقد امكان الزحف والتقدم مادامت قواه لم يتم جمع شملها ولم شعثها واحكام زمامها فى قبضته ولم يكمل تزويدها بالذخيرة والميرة الضرورية وما بقيت ادارة التموين خلف الجيش لم توضع على قدم الاستعداد للقيام بوظائفها . ولكنهم لم يشاؤا ان يعيروا هذا الرجاء اهتماما وابقوا امر الزحف والتقدم فاطاع محمود باشا ولكن الفشل الذى حاق بالفيالق الاخرى لم يلبث ان اضطره الى الارتداد محاولة لانقاذ مالايزال تخليصه ممكنا

والحكومة التى لم تكن تجهل ان الحرب مع البلغار تحدث فى ارجاء ادرنة لم تصنع مع ذلك شيئاً لزيادة عدد الخطوط الحديدية ولاصلاح الطرق العادية . ولاقامة القناطر على الانهار والجداول . وقدبقيت الحرب غير محتملة لديها والدليل على ذلك صرف الجنود الاحتياطية قبل نشوب القتال بقليل فصار الجيش ناقصا لدرجة كان فيها كثير من الطوابير لايصل عدد جنودها الا الى ٢٥٠ رجلا.فكانت للعدو بذلك عندما صدر امر وضع الجيش على حالة الحرب — اسبقية من الصعب ادراكها

ولقدكانت عمليات ايقاف الجيش على قدم القتال مبحوثا فيها ومدروسة من قبل ولكن القيام بها اشتغل فيه ببطء لايستطيع العقل قبول اعتقاده .

وقدكانت اقلام نظارة الحربية منحلة مختلة فزادها الشغل الكثير الذى استدعاه الاستعداد للحرب — ضغثاً على ابالة

وان مما يمكن السوال عنه والتفكير فيه هو ماذا لم تكن القيادة العليا المثناة المكونة من عبدالله باشا القائد العام وناظم باشا وزير الحرب — شؤما ووبالا فقد اضرت

كثرة الرؤساء بتأثير الاوامر المرسلة لم يكن خط — الاطرق الحديدية الشرقية — الاطريقا واحدة ليس لها سوى أطرقة تخزين . ولاعدد الارصفة كافيا وقداشتغل المستخدمون باخلاص تام وهمة كاملة ولكنهم لم يلبثوا ان سقطوا تحت اعباء التعب . والآلات والقاطرات التى لم تكن تنظف صارت بعدفترة من الزمن لا يمكن استعمالها ولم يكن مقدار الماء على الخط كافيا وقداحدثت كثرة توافد السكان والجنود احتلالا واختبالا جعلا الخط مسدودا بالعدد الكبير من القطارات التى كانت تمضى عدة ايام لقطع مسافة ٥٠ او ٦٠ كيلومترا

ا ن الجنود — واقصد النظاميين — طيبون وقد احسن تجهيزهم وتدريبهم وبالرغم من الصعوبات الكبيرة التى اعترضت المعلمين الالمان — ومن فقدان مالهم من الحق فى طلبه من عون يشدازرهم — فقدقام هولاء المعلمون بواجبهم خيرقيام

وبسبب قلة الجنود الاحتياطيين المتعلمين الذين فقداكثرهم فى حروب اليمن التى لاتنتهى وحرب طرابلس الغرب وحوران وبلاد الارنؤود اضطروا الى ان يستدعوا تحت السلاح رجالا لم يروا تدريبا ولا تعليما فاضر ذلك بنظام الجيش اضرارا بالغة

وقد يمكن انلا تكون الحالة على هذه الدرجة من الخطورة لوكان يوجد العدد اللازم من الضباط المتعلمين ولكن الجيش لايزال حديث العهد بالاصلاح فلم يمكن ايجاد العدد الكافى من الرؤساء الحقيقيين ولذلك لايكاد يوجد منهم فى الدرجات العليا التى لايستطيع الضباط الشبان الرقى اليها الآن

وقدكانت هيئة جنود الرديف حسنة عندما اتوا ولكنهم كانوا قداتعبهم طول المسافات التى قطعوها مشيا اوركوبا فى القطارات وكانت تغذيتهم سيئة وادارتهم مختلة . وقد وجد بينهم كثيرون من العميان وذوى العاهات الاخرى . والجنود القدماء وهم جنود عبدالحميد لم يطلقوا النار ولامرة واحدة !

وقد ابقيت هذه الارهاط مدة فى القسطنطينية وشكلت منها جماعات قبل ارسالها الى ميدان العمليات وان رؤية هولاء الجنود لكافية لان تجعل الانسان لايتفاءل خيرا من استعمالهم

ولقد كانت هذه الجموع التى لاتشابه ولاتجانس بين افرادها — ينقصها الضباط فان ضباطها قد عينوا من طبقة المستخدمين — ضعاف لاينقدون من المرتبات مايسدعوزهم وذلك مايجعلهم قليلى اللياقة للوظيفة العسكرية التى انيطت بهم . فكان تأثيرهم على جنودهم ضعيفا ولم يكونوا ليستطيعوا ان يعلموهم شيئا

وان كثيرا من هولاء الجنود الذين ليس لهم من الجندية الا اسمها والذين لم يعرفوا الا البنـادق التي تملا من افواهها كانوا يجهلون كيف تدار آلة (ميكانيسهم) البنادق الحديثة . ولم يكن لديهم استعداد ولا قابلية للمشى .

واما المدفعية فلقد كانت حسنة وانها عندما كانت تمر بمدافع كروب سريعة الاطلاق كانت توجد فى النفوس تأثيرا حسنا . الا ان الخيل الجسيمة الضرورية لجر المدافع كانت غير موجودة والخيل التى الجأت الضرورة الى التعجيل باستخدامها كانت ضعيفة وفى حالة سيئة .

وقد كان عدد الخيالة والبنادق الآلية (الميترااليوز) كافيا وقد شكلت بسرعة فرقة خيالة فأدت خدمات فى الاستكشاف

عربات القوافل التى رايتها كانت تظهر لائقة. ولكن عددها كان قليلا وعربات الثيران غير متينة

انهم لم يفكروا قط فى اتخاذ مايضمن انتظام توريد الذخيرة والمئونة ولم تكن توجد لا مطابخ سيارة ولا مخابز ميدان وقد كان يجب قبل كل شئ تشكيل مستودعات الميرة فى منطقة العمليات

وان استحضار الذخائر كما نعرفه نحن — لم يؤمن ايضا مع انه كان يجب ان ينتظر ان تكون الاطرق سيئة وان من اللازم وجود عربات متينة تجر بشئ آخر غير الثيران .

وقد كان يجب جعل طواقم توزيع الذخائر والمؤن تحت ادارة رؤساء مسئولة عن حسن قيامها بواجباتها

وقد امكننى ان اتحقق من نضـوب ذخائر الطوبجية فى كل الوقائع فى حين ان الذخائر كانت موجودة فى مكان ماوراء القوى المحاربة وقد كان العساكر يطلقون النار بسرعة اكثر من اللازمة بكثير فكانوا يستهلكون بذلك قبل الاوان الذخائر الموجودة تحت تصرفهم وكان امدادهم فى الغد بالذخائر لا يمكن اجراؤه بصفة تامة وعند المصادمات الاولى لم تحجم المدفعية التركية قط فى اتخاذ هدف واحد معين تسلط عليه مرمياتها فتدمره وهذا هو السـبب الذى انتج ان المشـاة البلغاريين بالرغم من انهمار المقذوفات عليهم لم يتمكن من ايقافهم ومنعهم عن التقدم

وسأتكلم على السبب الآخر عندما افيض القول فى وسائل التأمين ومفرزات العسس الامامية

(يتبع)

طبقات القراء

تابع العدد الماضى

عمر بن محمد بن نصر

ابو حفص الكاغدى القاضى بغدادى كبير القدر قرأ على الدورى وحدث عن ابى حفص المفلاس ومحمود بن خداش وجماعة. قرأ عليه احمد بن نصر الشذاء وجماعة وحدث عنه عبدالعزيز الخرقى وابو حفص الزيات وابو محمد السبيعى توفى سنة خمس وثلثماية

القاسم بن زكريا

ابو بكر البغدادى المطرز قرأ على الدورى وابى حمدون وبرع فى الاداء والمعرفة وسمع من سويد بن سعيد ومحمد بن الصباح الجرجراى وعباد بن يعقوب الاسدى وطبقتهم قرأ عليه احمد بن عبدالرحمن بن الفضل وعلى بن الحسين الفضايرى شيخ الاهوازى واخذ عنه الحروف ابن مجاهد وابن ابى هاشم وحدث عنه محمد بن المظفر وعبدالعزيز الجزقى وابو حفص بن الزيات وآخرون وكان ثقة حجة اماما مصنفا. اثنى عليه الدار قطنى وغيره توفى فى صفر سنه خمس وثلثماية

هارون بن على بن الحكم

ابو موسى المزوق بغدادى مقرى نبيل يعرف بحيون المزوق اخذ القراءة عن احمد بن يزيد الحلوانى وابى عمر الدورى وروى عن ابراهيم بن سعيد الجوهرى وزياد بن ايوب روى عنه محمد بن حميد المحرى وعثمان المجاشى وعمر بن احمد الوكيل وكان ثقة توفى سنة خمس وثلثمايه

الحسن بن الحسين بن على الصواف

بغدادی مقری كبير القدر عارف بالفن متصدر للاقراء متصدر للافادة قرا على الدوری وعلى محمد بن غالب صاحب شجاع البلخى وعلى ابى حمدون الطيب ابن اسماعيل وسمع ابا سعيد الاشجع وجماعة قرأ عليه بكار بن احمد وعبدالواحد ابن ابى هاشم وابو العباس المطوعى وعلى بن الحسين الفضايرى وجماعة وحدث عنه ابن المظفر وابو الفضل الزهرى واحمد بن جعفر الشعيرى توفى سنة عشر وثلثمايه

جعفر بن محمد

ابن اسد النصيبى الضرير ابو الفضل قرأ على الدورى وكان من جلة اصحابه قرأ عليه محمد بن على الجلندى ومحمد بن على بن حسن المطرفى وجماعة بنصيبين توفى سنة ثلثمايه

سعيد بن عبدالرحيم

ابو عثمان البغدادى المقرى المؤدب الضرير صاحب الدورى من جملة القراء قرأ عليه ابو الفتح بن بدهن وعبدالواحد بن ابى هاشم وابو بكر الشذاء والحسن بن سعيد المطوعى وعلى بن الحسين الفضايرى توفى بعد سنة عشر وثلثمايه رحمه الله تعالى

الحسن بن على

ابن احمد بن بشار العلاف ابوبكر البغدادى المقرى الاديب قرأ على الدورى وسمع منه ومن حميد بن مسعدة ونصر بن على الجهضمى وقال الشعر الرايق وهو صاحب مرثية الهر وكان ضريرا قرأ عليه ابو الفرج الشنبوذى واحمد بن نصر الشذاء وحدث عنه ابو عمر بن حيوة وابو حفص بن شاهين وجماعة عمر دهرا طويلا واظنه آخر من قرأ القرآن على الدورى توفى سنة ثمان عشرة وثلثمايه

جعفر بن عبدالله

ابن الصباح بن نهشل الانصارى الاصبهانى المقرى امام جامع اصبهان قرأعلى الدورى وسمع من اسماعيل بن موسى بن بنت السدى وابراهيم بن عبدالله الهروى وجماعة وقرأ باصبهان على محمد بن عيسى التيمى وكان رأسا فى علوم القرآن والتجويد وعليه قرأ محمد بن احمد الكسائى ومحمد بن احمد بن عبدالوهاب وغيرهما وحدث عنه ابو احمد الغسانى وابو القاسم الطبرانى وابو الشيخ توفى سنة اربع وتسعين ومائتين

محمد بن محمد

ابن عبدالله بن النفاح بن بدر الباهلى ابوالحسن البغدادى المقرى نزيل مصر اخذ القراءة عن الدورى وقيل انه قرأ عليه الحسن ابن سعيد المطوعى وقد حدث عن اسحاق بن ابى اسرائيل واحمد بن ابراهيم الدورى ومحمود ابن خالد الدمشقى وطبقتهم روى عنه حمزة الكسائى ومحمد بن اسحاق الصفار وابو بكر بن المقرى وعبدالله بن ابراهيم الآبندونى واحمد بن محمد المهندس وعبيدالله بن محمد بن خلف البزاز وابو سعيد بن يونس وقال كان ثقة ثبتا صاحب حديث متقللا من الدنيا توفى فى ربيع الاخر سنة اربع عشرة وثلثمايه

موسى بن جرير

ابن عمران الرقى المقرئ النحوى الضرير اجل اصحاب السوسى كان بصيرا بالادغام ماهرا فى العربية وافر الحرمة كثير الاصحاب قرأ على نظيف بن عبدالله والحسين بن محمد بن حسين الدينورى والحسن بن سعيد المطوعى ومسلم بن عبدالعزيز وعبدالله بن الحسين السامرى وعبدالله بن اليسع الانطاكى قال ابو الحسين بن المنادى لما مات ابو شعيب السوسى خلفه ابنه ابو معصوم وابو عمران موسى بن جرير توفى ابو عمران فى حدود سنة عشر وثلثمايه

على بن الحسين

ابو الحسن بن الرقى الوزان قال ابوعمرو الدانى شيخ بغدادثقة اخذ القراءة عرضا عن ابى شعيب السوسى وقنبل وعبدالرحمن ابن عبدوس واحمد بن على الخزاز واسحاق الخزاعى روى عنه القراءة عرضا عبدالله ابن الحسين السامرى يشبهلنا فارس بن احمد عنه قلت هذا شـيخ مجهول ماذكره الا السـامرى والعهدة عليه

ابوالحارث الرقى

محمد بن احمد نزيل طرسوس قرأ على ابى شعيب السـوسى وهو من جلة اصحابه واوثقهم قرأ عليه نظيف بن عبدالله وابو بكر النقاش

محمد بن اسماعيل

ابوبكر القرشى قرأعلى السوسى قال الدانى هوجليل فى اصحابه قرأعليه محمدبن على بن الجلندى

هارون بن موسى

ابن شريك الاخفش الدمشقى ابو عبدالله التغلبي شيخ المقرئين بدمشق فى زمانه قرأعلى ابن ذكوان واخذ الحروف عن هشام بن عمار وحدث عن ابى مسهر بشىء يسيروعن سلام بن سليمان المدائنى قرأعليه خلق كثير ورحل اليه الطلبة من الاقطار لاتقانه وتجره منهم جعفر بن ابى داود وابراهيم ابن عبدالرزاق ومحمدبن النضر الاحزم وابوعلى الحسن بن حبيب الحصايرى وابو الحسن بن شنبوذ وعبدالله ابن احمد بن ابراهيم البلخى ومحمد بن سليمان بن ذكوان البعلبكى وحدث عنه ابوالقاسم الطبرانى وابواحمد بن الناصح المفسر وجماعة وقيل انه صنف كتبا فى القراءات والعربية وكان ثقة معمرا قال ابن الناصح توفى فى صفرسنه اثنين وتسعين ومائتين وله اثنتان وتسعون سنة وقدراى اباعبيد بدمشق وسأله مسألة فى اللغة قال ابو على

الاصبهانى كان هارون الاخفش من اهل الفضــل صنف كتبا كثيرة فى القراءات والعربية واليه رجعت الامامة فى قراءة ابن ذكوان

احمد بن سهل بن فيرزان

الشيخ الاشنانى ابو العباس المقرى بقية المسندين فى القراءة قرأ على عبيد بن الصباح صاحب حفص ثم قرأ بعده على جماعة من اصحــاب اخيه عمرو بن الصباح حتى برع فى القراءة قال ابن غلبون بن على بن محمد بن احمد بن سهل الاشنانى قال قرأت على عبيد بن الصباح وكان على ماعلمت من الورعين المتقين قال قرأت القرآن كله على حفص بن سليمان ليس بينى وبينه احد قلت وسمع الاشنانى من بشر بن الوليد الكندى وعبد الاعلى بن حماد النيرى وطال عمره وطال ذكره قرأ عليه ابو طاهر بن ابى هاشم والحســن ابن سعيد المطوعى وعلى بن محمد بن صالح الهاشمى البصرى وابراهيم بن احمد الحرقى وابو بكر النقاش وعلى بن الحسين الفضايرى شيخ الاهوازى ابو احمد الســامرى وحدث عنه عبد العزيز الحربى ومحمد على بن سويد المؤدب وثقه الدار قطنى وتوفى فى اواسط سنة سبع وثلثماية ببغداد

محمد بن حمدون

ابو الحســن الواسطى الحذاء سمع الحروف من شعيب بن ايوب الصريفينى وقرا القرآن على قنبل وعلى ابى عون محمد بن عمر وروى عنه القراءة ابن مجاهد وعلى بن سعيد بن ذؤابة وابو احمد عبد الله بن الحسين وقال ابو طاهر ابن ابى هاشم كان من اهل الثقة والاتقان

يوسف بن يعقوب الواسطى

ابو بكر الاصم امام جامع واسط ومقريها ومن انتهى اليه علو رواية عاصم قرأ القرآن على يحيى بن محمد العليمى عن ابى بكر وحماد بن شعيب عن عاصم وقرأ ايضا على شعيب بن ايوب الصريفينى وسمع من محمد بن خالد بن عبد الله الطحان وغيره قرأ عليه ابو الحسن على بن محمد بن خليع القلانسى وابو القاسم يوسف بن محمد الضرير وعثمان بن احمد بن سمعان المجاشى والحسن بن سعيد المطوعى وابو بكر النقاش

وابراهيم بن‌عبدالرحمن البغدادى وابو احمد السامرى وآخرون وحدث عنه ابو احمد الحاكم وابو بكر المقرى قال‌ابن‌خليع كان‌شيخنا حسن‌الاخذ قرأت عليه‌وله نيف وتسعون سنة وقال القصاص ولد سنة ثمان عشرة ومائتين قرأ على العليمى سنة اربعين وبعد توفى فى‌ذى‌القعدة سنة ثلاث عشرة وثلثمايه

القاسم بن‌احمد الخياط

ابومحمد التميمى الكوفى المقرى احد الحذاق قرأعلى ابى‌جعفر محمد بن حبيب الشمونى ختما عديدة واقرأ الناس‌دهراقرأ عليه الحسن بن‌داود النقار وسعيد بن احمد الضحاك وآخرون قال‌النقار قرأت عليه اربعين ختمة وسمعت اجماع الناس على‌تفضيل قاسم فى‌قراءة عاصم قال الدانى توفى بعد التسعين ومائتين

حسنون بن الهيثم

ابو على‌الدورى‌المقرى قرأعلى هبيرة التمارصاحب حفص وحدث عن محمد ابن‌كثير الفهرى وداود بن‌رشيد قرأعليه ابوبكر الدبيلى شيخ ابى العلا الواسطى وابو بكر النقاش ومحمد بن احمد بن هارون وسمع منه ابن مجاهد وابو بحر البربهارى وعبدالرحمن بن العباس المخلص توفى سنة تسعين

الخضر بن الهيثم

ابن جابر ابوالقاسم الطوسى المقرى قرا على ابى‌حمدون الطيب ابن اسماعيل وابى شعيب السوسى وابى عمر بن شيبة النميرى وهبيرة بن محمد التمار وعمردهرا طويلا وكان حيا فى‌سنة عشر وثلثمايه قرأعليه احمد بن‌عبدالله الحبي واحمدبن محمد العجلى شيخا الاهوازى

عبدالله بن‌هاشم

ابومحمد الزعفرانى المقرى زعم انه قرأ على خلف ابن هشام وعلى رحيم

الدمشقى وعلى الدورى وعلى ابى هشام الرفاعى قرأ عليه على بن الحسين الفضايرى وهو مجهول لم يأت به احد الا الاهوازى عن الفضايرى

محمد بن موسى

ابن عبد الرحمن ابو العباس الصورى المقرى قرأ على ابن ذكوان وعلى عبد الرزاق ابن حسن الامام عن ايوب بن تميم قرأ عليه ابوبكر محمد بن احمد الداجونى والحسن ابن سعيد المطوعى و آخرون قال ابو الفضل الخزاعى توفى سنة سبع وثلثمايه

ادريس

ابن عبد الكريم الحداد المقرى ابو الحسن البغدادى قرأ على خلف البزاز وروى عن عاصم بن على واحمد بن حنبل ويحيى بن معين ومصعب بن عبد الله وطائفة واقرأ الناس ورحل اليه من البلاد لاتقانه وعلو سنده قرأ عليه ابو الحسين احمد بن ثوبان وابن شنبوذ وابو بكر بن مقسم وابو على احمد بن عبد الله بن حمدان والحسن ابن سعيد المطوعى كذا زعم المطوعى انه لقيه وقرأ عليه وماذلك بمستحيل لان المطوعى ذكر انه قارب المائة وحدث عنه ابن مجاهد وابو بكر النجاد و اسماعيل الخطبى وابوبكر بن حمدان القطعى وابو القاسم الطبرانى و آخرون سئل عنه الدارقطنى فقال ثقة وفوق الثقة بدرجة توفى ادريس يوم الاضحى سنة اثنين وتسعين ومائتين وله ثلاثه وتسعون سنة

محمد بن شاذان

ابو بكر الجوهرى المقرى قرأ على خلاد بن خالد صاحب سليم وحدث عن هوذة ابن خليفه وزكريا بن عدى قرأ عليه ابو الحسن بن شنبوذ وغيره وحدث عنه قاسم ابن اصبغ القرطبى وابو بكر النجاد وعبد الباقى بن قانع وثقه الدار قطنى ومات سنة ست وثمانين ومائتين وقد نيف على التسعين

محمد بن يحيي

الكسائى الصغير ابوعبدالله بغدادى مقرى مجود على الليث بن خالد صاحب الكسائى وهواجل اصحابه قرأ عليه احمد بن الحسين السبطى وابو بكر بن مجاهد ومحمد بن خلف وكيع وابراهيم بن زياد واحمد بن على السمسار توفى سنة ثمان وثمانين ومائتين

السرى بن مكرم

البغدادى المقرى صاحب ابى ايوب الخياط تلميذ اليزيدى قرأ عليه ابن شنبوذ واحمد بن يوسف الاهوازى وعلى بن احمد السامرى وغيرهم

سليمان بن يحيي

الضبى ابوايوب البغدادى المقرى من كبار المقرئين وعلمائهم قرأ عليه الدورى ورجا بن عيسى وترك الحذا وروى عن خلف بن هشام وابى حمدون الطيب بن اسماعيل روى عنه ابن الانبارى وعبد الباقى بن قانع وابوالقاسم الطبرانى وطبقتهم وقرأ عليه ابوبكر النقاش واحمد بن محمد الادى وكان موثقا مصدقا مات سنة احدى وتسعين ومائتين

عبدالرزاق بن الحسن

ابن عبدالرزاق الانطاكى المقرى الوراق والد ابراهيم اخذ الحروف عن احمد ابن جبير الانطاكى سمع منه ابنه واحمد بن يعقوب التائب وابو بكر النقاش وابو بكر الدجونى وقيل انه قرأ على ابن ذكوان

محمد بن وهب

ابن يحيي الثقفى ابوبكر البصرى سمع من يعقوب الحضرى الحروف وعرض

القرآن على صاحبه روح وهو اجل اصحابه واحذقهم قرأ عليه محمد بن يعقوب المعدل ومحمد بن المومل الصيرفى ومحمد بن جامع الحلوانى وحدث عنه ابوسعيد ابن الاعرابى وبعضهم نسبه الفزارى

احمد بن على

ابن الفضيل ابوجعفر الخراز بغدادى مشهور صاحب قرآن وحديث قرأ على هبيرة التمار صاحب حفص وسمع الحروف من محمد بن يحيى القطعى وابى هشام الرفاعى وروى عن هوذة بن خليفة وعاصم بن على وجماعة اخذ عنه ابن مجاهد وابن شنبوذ وعلى بن الرقى واحمد بن عجلان وآخر من روى عنه الحديث احمد ابن يوسف بن خلاد النصيبى وثقه الخطيب وتوفى فى المحرم سنة ست وثمانين ومائتين

احمد بن حفص

المصيصى الخشاب قرأ على السوسى اخذ عنه ابراهيم ابن عبدالرزاق واحمد ابن يعقوب التائب وغيرهما

احمد بن محمد

ابن حميد الملقب بالفيل لعظم خلقه قرأ على يحيى ابن هاشم السمسار عن قراءته على حمزة الزيات وقرأ على عمرو بن الصباح فى سنة تسع عشرة ومائتين قرا عليه احمد بن عبدالرحمن الولى واخذ الحروف عنه ابن مجاهد ومحمد بن خلف وكيع

احمد بن موسى

الصفار ابو جعفر البغدادى المعدل قرأ على عمرو بن الصباح وابى شعيب القواس البغدادى صاحبى حفص اخذ عنه ابن شنبوذ ومحمد بن جعفر ابن ابى امية ومحمد بن عمران القار

محمد بن سنان

ابن سرح الشيرزى القاضى ابو جعفر قرأ القرآن على عيسى بن سليمان الشيرازى صاحب الكسائى وسمع من عبدالوهاب بن عهدة وهشام بن عمار وابى نعيم الحلبى وطائفة قرأ عليه ابوالحسن بن شنبوذ وابراهيم بن عبدالرزاق وابو العباس الضرير ومحمد بن عبدالله الرازى وحدث عنه ولده اسماعيل وابو جعفر الطحاوى وابو على بن هارون وابو القاسم الطبرانى واحمد بن ابراهيم بن جامع السكرى واحمد بن الحسن بن عتبة الرازى وكان ضريرا توفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين

محمد بن المعلى

الشونيزى البغدادى ابو عبدالله مقرى مجود قرأ على محمد بن غالب ومحمد ابن عمرو بن عون وعبدالرحمن بن عبدوس قرأ عليه احمد بن نصر الشذاء وعبدالغفار المضيفى

الفضل بن مخلد

ابن عبدالله البغدادى الدقاق الاعرج المقرى المعروف بفضلان قرأ على ابى حمدون الطيب وهو من اجل اصحابه قرأ عليه ابوالحسين بن المنادى وابو الحسن ابن شنبوذ وسمع منه ابن مجاهد

محمد بن سعيد

ابو عبدالله الانماطى المصرى المقرى قرأ على ابى يعقوب الازرق وعبدالصمد ابن عبدالرحمن بن القاسم قال ابو عمرو الدانى هو من كبار اصحابهما ومن جلة المصريين اخذ القراءة عنه عرضا عبدالمجيد بن مسكين ومحمد بن خيرون المغربى

محمد بن سعيد

ابو جعفر الكوفى البزاز قرأ على خلف وخلاد وبرع فى القراءة وله اختيار

معروف قرأ عليه أحمد بن سهلان ومحمد بن ابراهيم السواق والسماق بن احمد النحوى وغيرهم وهو قديم الوفاة ذكره ابو عمرو الدانى

محمد بن احمد واصل

ابو العباس البغدادى المقرى قرأ القرآن على محمد بن سعدان المقرى صاحب سليم قال ابو عمرو الدانى وهو اجل اصحابه قلت وسمع من خلف بن هشام واحمد بن حنبل وسلمة بن عاصم وغيرهم قال الدانى روى القراءة عنه عرضا وسماعا احمد بن ثوبان ومحمد بن احمد الرامى وابن مجاهد وموسى بن عبد الله الخاقانى والحسن بن السرى بن سهل وعبدالله بن محمد الطوسى الكاتب وغيرهم قال الرامى قرات على ابن واصل وقرأ على محمد بن سعدان النحوى وقرأ على سليم ووجدت فى تاريخى انه توفى فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ومائتين

عبدالصمد بن محمد

ابن عمران ابو محمد العينونى المقرى قرأ على عمرو بن الصباح صاحب حفص قرأ عليه نظيف بن عبدالله الحلبى وابو بكر النقاش وابراهيم بن عبدالرزاق وصالح بن احمد وغيرهم توفى بعينون سنة اربع وتسعين ومائتين

محمد بن احمد بن البرا

العبدى القاضى ابوالحسن البغدادى قرأ على خلف البزاز ختمات وسمع منه ومن على بن المدنى والمعافا بن سليمان وطائفة قرأ عليه محمد بن احمد الديباجى وعلى بن سعيد القزاز وعثمان بن السماك وابن زياد النقاش وروى عنه ابن قانع ومحمد بن اسحاق بن ايوب ومحمد بن على بن سهل الاصبهانيان وابو القاسم الطبرانى وطائفه سواهم وثقه الخطيب وغيره ومات فى شوال سنة احدى وتسعين ومائتين

محمد بن جرير الطبرى

الامام ابو جعفر صاحب المصنفات والتفسير والتاريخ ولد بآمد طبرستان سنة

اربع وعشرين ومائتين ودخل فى العلم وله عشرون سنة قرأ القرآن على سليمان ابن عبدالرحمن الطلحى صاحب خلاد وسمع حرف نافع من يونس بن عبدالاعلى وسمع الحديث من ابن ابى الشوارب واسحاق بن ابى اسرائيل واسماعيل بن موسى الفزارى واحمد بن منيع ومحمد بن حميد الرازى وابى كريب وهناد وخلق كثير وصنف كتابا حسنا فى القراآت اخذ عنه ابن مجاهد ومحمد بن احمد الداجونى وابو الطاهر بن ابى هاشم وغيرهم وتفقه عليه خلق كثير وحدث عنه ابو شعيب الحرانى مع تقدمه واحمد بن كامل القاضى وابو القاسم الطبرانى وعبدالغفار الحصينى وابو عمرو بن حمدان ومخلد الباقرصى والجعابى وآخرون قال ابو بكر الخطيب محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى ثم سرد ترجمته وقال ابن عساكر قرأ القرآن ببيروت على العباس بن الوليد بن زيد بن مزيد قال الخطيب كان احد ائمة العلم يحكم بقوله ويرجع الى رايه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه احد من اهل عصره فكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراآت بصيرا بالمعانى فقيها فى احكام القرآن عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عارفا باقوال الصحابة والتابعين عارفا بايام الناس واخبارهم وله كتاب تهذيب الآثار لم ار مثله فى معناه لكن لم يتمه وله فى اصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من اقاويل الفقهاء وتفرد بمسائل حفظت فيه وقال ابو محمد الفرغانى صاحب ابن جرير ان قوما من تلامذة محمد بن جرير حسبوا له منذ بلغ الحلم الى ان مات ثم قسموا على تلك المدة اوراق مصنفاته فصار لكل يوم اربع عشرة ورقة وقال ابو حامد الاسفرايينى شيخ الشافعية لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرا قلت قد سقنا اخبار محمد بن جرير فى تاريخ الاسلام وفى مختصر تاريخ دمشق وتوفى فى شوال سنة عشر وثلثمايه ببغداد ولم يخلف مثله

الحسين بن ابراهيم

ابن ابى عجرم ابو عيسى الانطاكى قرأ على احمد بن جبير قرأ عليه عبدالله بن اليسع الانطاكى وعلى بن الحسين الفضايرى وغيرهما

محمد بن هارون

ابن نافع ابو بكر التمار مقرى اهل البصرة وابصرهم بحرف يعقوب قرأ على محمد بن المتوكل رويس وهو احد اصحاب رويس قرأ عليه القرآن ابو بكر بن الانبارى • ابو بكر النقاش وابو الفرج الشنبوذى وابو القاهر بن ابى هاشم واحمد ابن محمد اليقطنى وعبد الله بن سليمان النحاس وابو احمد السامرى وابو بكر محمد بن على الجلندى وذكر الجلندى انه عرض عليه ختمة واعطاه ثمانية عشر درهما وتوفى بعد سنة وعشر وثلثماية

الطبقة الثامنة

ابو بكر الداجونى

محمد بن احمد بن عمر الرملى الضرير المقرى وهو الداجونى الكبير احد من عنى بهذا الشان ورحل الى الشيوخ وجمع القراءات قرأ على هارون الاخفش الدمشقى ومحمد بن موسى الصورى والعباس ابن الفضل الرازى واحمد بن محمد ابن عبدالله البياتى واسماعيل بن الحويرى البزاز وجماعة قرأ عليه ابو بكر بن مجاهد وعبدالله بن محمد القناب الاصبهانى وزيد بن ابى بلال الكوفى والعباس بن محمد الداجونى الصغير واحمد العجلى شيخ ابى على الاهوازى واظنه صنف كتابا فى القراءات توفى بعد العشرين وثلثماية فقيل مات سنة اربع وعشرين وثلثماية

احمد بن محمد بن عثمان

ابن شعيب ابو بكر الرازى نزيل مصر عرض القرآن على احمد بن ابى سريج والفضل بن شاذان وموسى بن محمد بن هارون صاحب البزى ويمكن ان يدخل فى الطبقة الماضية لانه كبير روى عنه الحروف الداجونى واحمد بن محمد ابن اسماعيل المهندى والحسين بن رشيق توفى بمصر سنة اثنتى عشرة وثلثماية وممن قرأ عليه

ابوالفرج الشنبوذى وابو العباس احمد بن محمد العجل شيخ الاهوازى ولكن بعضهم يقول احمد بن محمد بن عبدالله الرازى وبعضهم يقول احمد بن محمد بن عبد الصمد الرازى وبعضهم يقول احمد بن محمد بن يزيد الرازى فما ادرى هل الكل واحد او اثنان فصاعدا ولم يختلفوا فى ان شيخه الفضل بن شاذان

احمد بن موسى بن العباس

ابن مجاهد شيخ العصر ابو بكر البغدادى العطشى المقرى الاستاذ مصنف كتاب القراءات السبعة ولد سنة خمس واربعين ومائتين بسوق العطش من بغداد وسمع الحديث من سعدان بن نصر واحمد بن منصور الرمادى ومحمد بن عبدالله المخرمى وابى بكر الصغانى وعباس الدورى وخلق وقرأ القرآن على ابى الزعراء بن عبدوس وقنبل المكى وسمع القراءات من طائفة كبيرة مذكورين فى صدر كتابه وتصدر للاقراء وازدحم عليه اهل الاداء ورحل اليه من الاقطار وبعد مدة قرأ عليه ابو الطاهر عبدالواحد بن ابى هاشم وصالح بن ادريس وابو عيسى بكار بن احمد وابو بكر الشذاء وابو الفرج الشنبوذى وابو الحسين عبدالله بن البواب وعبدالله ابن الحسين السامرى واحمد بن محمد العجلى وابو على بن حسن الدينورى وابو الفتح ابن برهن وعلى بن الحسين الفضايرى وطلحة بن محمد بن جعفر ومنصور بن محمد ابن منصور القزاز وابو على الحسين بن عثمان المجاهدى وحدث عنه ابو حفص عمر بن شاهين وعمر بن ابراهيم الكتانى وابو بكر بن شاذان وابو الحسن الدارقطنى وابو مسلم محمد بن احمد الكاتب وكان ثقة حجة قال ابو عمرو الدانى فاق ابن مجاهد فى عصره سائر نظائره من اهل صناعته مع اتساع علمه وبراعته فهمه وصدق لهجته وظهور نسكه تصدر للاقراء فى حياة محمد بن يحيى الكسائى الصغير وقال عبدالواحد ابن هاشم سال رجل ابن مجاهد لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفا يحمل عليه فقال نحن احوج الى ان نعمل انفسنا فى حفظ مامضى عليه ائمتنا احوج منا الى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا وقال فارس بن احمد انفرد ابن مجاهد عن قنبل بعشرة احرف لم يتابع عليها وقال على بن عمرو المقرى كان ابن مجاهد له حلقة بها اربعة وثمانون

خليفة يأخذون على الناس وقال عبدالباقي بن الحسن كان في حلقة ابن مجاهد خمسة عشر رجلا اخر يتلقون لعاصم قلت آخر من روى السبعة لابن مجاهد ابو اليمن الكندى تفرد بروايته الكتاب عن ابن توبة عن الصيريفيني عن ابى جعفر الكتانى عنه قرأت الكتاب كله على عمر بن عبدالمنعم الطائى عن الكندى اجازة توفى فى شعبان سنة اربع وعشرين وثلثمايه

احمد بن عبدالله بن محمد

ابن هلال ابو جعفر الازدى المصرى احد الائمة القراء بمصر قرأ على ابيه وعلى اسماعيل ابن عبدالله النحاس وسمع الحروف من بكر بن سهل الدمياطى وتصدر للاقراء قرأ على المظهر بن احمد ابو غانم ومحمد بن احمد ابن ابى الاصبغ وحمدان بن عون وسعيد بن جابر الاندلسى وعتيق بن ماشاءالله المصرى و آخرون قال سعيد بن يونس فى تاريخه توفى ذى القعدة سنة عشر وثلثماية

احمد بن على بن على

البغدادى السمسار تلقن القرآن وجوده على احمد بن يحيى الكسائى الصغير وهو انبل اصحابه وروى عن محمد بن الجهم السمرى روى عنه القراءة بكار ابن احمد وعبدالواحد بن ابى هاشم وزيد بن ابى بلال واحمد بن عبدالرحمن الولى وغيرهم وتصدر للاقراء

ابراهيم بن محمد بن عرفة

ابو عبدالله العتكى الواسطى نفطويه النحوى صاحب التصانيف روى عن اسحاق ابن وهب العلاف وشعيب بن ايوب الصريفينى واحمد بن عبدالجبار العطارى ومحمد ابن عبدالملك الدقيقى وخلق قرأ على محمد بن عمرو بن عون بواسطة وغيره واخذ الحروف عن شعيب بن ايوب وعن محمد بن الجهم قرأ عليه على بن سعيد القزاز

ابن ذؤابة واحمد بن محمد الشنبوذى واحمد بن نصر الشذاء وسمع منه عبدالواحد
ابن ابى هاشم وابو بكر بن شاذان والمعافا الجريرى و ابوحفص الكتـانى وابوبكر
ابن المقرى وطائفة وكان ممن ينكر الاشتقاق ويحيله ومن محفوظاته نقائض جرير
والفرزدق وشعراوى الرمة اخذ النحو عن ثعلب والمبرد ومحمد بن الجهم وخلط
نحوالكوفيين بنحو البصريين وكان من اذكياء العـالم رأسا فى مذهب داود بن على
صنف تاريخ الخلفاء فى سفرين وكتاب غريب القرآن وكتاب البارع وكتاب المقنع
فى النحو وكان صاحب سنة وجماعة توفى فى صـفر سنة ثلاث وعشرين وثلثماية
ببغداد

موسى بن عبدالله

ابن يحيى بن خاقان الامام ابو مزاحم الخاقانى المقرى المحدث من اولاد الوزراء
سمع من عباس الدورى وابى بكر المروزى وابى قلابة الرقاشى وغيرهم وجود
القرآن على الحسن بن عبدالوهاب صـاحب الدورى وبرع فى قراءة الكسـائى
واقرأ الناس ونظم العقيدة المشهورة فى التجويد فاجاد قرأ عليه احمد بن نصر الشذاء
وابوالفرج الشنبوذى وحدث عنه ابوبكر الاجرى المحاور وابو طاهر بن ابى هاشم
وابوعمرو بن حيويه وابو حفص بن شـاهين وجمـاعة وكان من جلة العلماء قال
الخطيب كان ثقة من اهل السنة مات فى ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثلثماية

احمد بن محمد

ابن اسماعيل المقرى ابو بكر الادى بالمعروف الحمزى لانه كان عارفا بحرف حمزة
اقرأ الناس ببغداد فى جامع المدينة مدة وحمل الناس عنه لزهده واتقانه وهو اجل
اصحاب سليمان بن يحيى الضبى قرأ عليه محمد بن عبدالله بن اشتة الاصبهانى ومحمد بن احمد
الشنبوذى وعبدالله بن الحسين السامرى وقد حدث عن الحسن بن عرفة والفضـل
ابن سهل الاعرج وروى عنه مثل الدارقطنى وابن شـاهين وكان ثقة فى الحديث
والقراءة توفى سنة سبع وعشرين وثلثماية

اخر الاخبار

تشرف المثول بين يدى جلالة الخليفة الاعظم كل من صاحب هذه المجلة فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالعزيز جاويش والاما العثمانى الكبير شكيب بك ارسلان فامرها جلالته بالسفر الى المدينة فى خدمة دينية علمية اجتماعية عظيمة هى وضع الحجر الاساسى من الجامعة المحمدية واصدر الارادة الشاهانية بانابة الشيخ عبدالعزيز جاويش عن جلالة السلطان فى هذا الاحتفال الدينى الفخيم فسافرت الهيئة فى اليوم الاول من عيد الاضحى وكانت تؤسس شعبة لجمع الاعانات لهذا المشروع المهم فى كل بلد نزلوا به وفى اليوم الاول من السنة الهجرية الجديدة غرة محرم الحرام وضع الاستاذ الشيخ عبدالعزيز جاويش الحجر الاساسى بين الاحتفالات الرسمية المفرحة والقيت الخطب الرنانة المناسبة للمقام وذبحت القرابين ووزعت لحومها على الفقراء وفى اليوم الثانى وصل المحمل الشامى الى مكان الاحتفال (بئر سيدنا عثمان) وتجددت الافراح وبلغ البشر والسرور من اهالى المدينة والقبائل المجاورة وزوار روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم حدا لم يسبق له مثيل وكان الكل يعتقد ان هذا خير مشروع نافع اخرج للناس لانقاذ العالم الاسلامى من غياهب الجهاله وارجاع شمس معارفة القديمة وادابه العالية صورتها الاولى من الدوران حقق الله هذه الامال فى ظل جلالة الخليفة الاعظم وفى عهد الرجال حكومته العاملين ومن ازرهم من المخلصين على اخراج هذه الفكرة من حيز من الخيال الى حيز الوجود

توفى الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد ومؤسسها بعد جهاد وطنى شريف فى مبدأ حياته واشتغال بالكيد والدسائس ضد مصر والدولة العلية وطرابلس واصبح فى اخريات ايامه مركز دائره العاملين على خدمة المطامع الغربية فى العالم الاسلامى حبا فى نوالهم وبعد ان بات ركنا مهما بين حزب المخالفين الكائدين للحكومة الدستورية العثمانية وبعد ان استنفد كل حيله فى اسقاط سيد المجاهدين بطل الاسلام فى هذا الزمان السيد احمد الشريف السنوسى فى احابيله ليجعله يرضخ لحكم الطليان فلاغرابة ان قلت انه ذهب ولم يخلف عينا تبكيه الا بضع افراد من رفقائه فى هذه الاعمال فلنترك البحث المطول لصفحات التاريخ العادل وقد خلفه فى ادارة

المؤيد ورئاسة تحريره انبغ تلاميذه ووريثه فى اخلاقه ومكره وهو اوسع من الشيخ على علما وتحصيلا واقدر منه فى التكتم والمراوغات وكظم الغيظ ومطاولة الاخصام

وقد لحق بالشيخ على اثره حبيبه وقرة عينه كامل باشا الصدر الاسبق الذى لايذكر اسمه الامقرونا بحوادث بقاء انجلترا بمصر وضياع الصومال واريتريا واستقلال بلغاريا وبلعها الروملى الشرقى وبيعه البوسنة والهرسك وايقاده مع رفاقة المعلومين ثورة البانيا الاخيرة وتشكيله مع ناظم باشا وجمال الدين افندى ومؤازرة ترجمان اول احدى السفارات جماعة الخلاصكار لاسقاط الاتحاديين ثم لعب الدور الذى ذهب بجميع الروملى واسقطته الامة رغم استبداده وجيوش جواسيسه الذين ذكروا العالم بالعهد الحميدى المشئوم عندما كان يمضى قبوله تسليم ادرنه للبلغار بسبب الخطأ الذى ارتكبه بتسريحه الجيش المعلم قبيل اعلان الحرب ببضع ايام ارتكانا على تأمينات سفراء بعض الدول خصوصا انجلترا فالروسيا والاخيره كما ظهر فيما بعد بفضل نشر المانان نصوص المعاهدات السرية التى كانت موجوده بين البلغار والصرب فاليونان هى التى كانت تحفر للدولة قبرها وتحضر لاتباعها حكومات البلقان غنيمتها بفضل غفلة اوخيانة وزارة الشيوخ المخرفين وهو الذى حضر الى الاستانة من مصر قبيل مقتل المغفورله محمود شوكت باشا ببضع ايام فجعل الناس يعتقدون انه هو ورجاله هم الذين دبروا هذه المؤامره وانه حضر لكى يستلم مقاليد الحكومة حالا عند انفاذ المؤامره ولكنه ارغم على مفارقة العاصمة فذهب الى ازمير ونزل ضيفا على قنصل انجلترا ثم فارقها الى قبرص مسقط رأسه فما وصله حتى اخبره قبطان احدى المدرعات الانجليزية التى كانت راسية بالمينا بهذا النبأ المفجع الذى وصله ساعتئذ بالبرق اللاسلكى فبقى بالجزيرة تحت محافظة البوليس خوف بطش الاهالى به ولما زحف الجيش واسترد ادرنه ذهب احد اعضاء مجلس شورى الجزيرة فسأل كامل باشا رأيه فى هذا العمل فوصفه بانه جنون وحماقة لن تثمر غير ضياع المال والرجال بل وربما نفس العاصمة فيظهر لى انه مات بحسرة عندما ابصر خصومة السياسيين افلحوا فى استرجاع العاصمة الثانية للدولة وعقد صلح بالشروط المفيده التى تعتبر فتحا مبينا مات كامل باشا ولكن ذكرى تقريره السرى لعبد الحميد الذى يؤكد له فيه ان الامة ليست اهلا للدستور حتى ولا بعد قرن ونصف وتقريره الى مولاه بعد الدستور ضد الاحرار ومظاهراتهم والكيدلهم وعزله ناظرى الحربية والبحرية بدون استشارة رفقائه واخيرا

تصرفاته لاستبداديه في مدة وزارته الاخيرة ستبقى حية في الاذهان فلا عجب ان استبشر كل عثماني بطالع سعيد للدولة بعد هذه الحوادث المهمة ولقد نشرت الطان نقلا عن مجلة لاروس المكملة لقاموسه تاريخ حياة كامل باشا فذكرت انه كان يهوديا اسلم في اوائل ايامه وقالت صحف الاسكندرية الرومية انه رومي الاصل ولكن الحقيقة انه تركي الاصل من اولاد احد البكباشية الذين كانوا في جزيرة قبرص ولا تزال عائلته بها حتى اليوم وقد دفن يوم وفاته بالجزيرة ونعته صحف اوربا معددة محاسنه وآيات اقتداره ونحن نتركه بين يدى ربه داعين المولى ليتجاوز له عن سيئاته ويتغمده برحمته التي وسعت كل شيء انه غفور رحيم

انعقد الصلح رسميا بيننا وبين اليونان بتسليم حكومة اثينا باغلب مطالب الدولة ففي مسألة الجنسية تنازلت عن فكرها السقيم الذي ادلت به تريد اعتبار كل من ولد في الاراضي التي فتحتها من رعاياها امااليوم ففضلا عن عدولها عن هذه النظرية الغريبة فقد سلمت بعدم تجنيد سكان الاراضي المفتوحة واعتبارهم عثمانيين لمدة ثلاث سنوات يخير الشخص منهم ابانها بين التبعية العثمانية واليونانية واما الارقاف فقد بقيت حرة تديرها الجماعات الاسلامية ولنظارة الاوقاف حق الاشراف عليها اما اوقاف الاعشار فستأخذها حكومة اثينا ومسألة المفتى حلت بمنح الاهالي المسلمين حق انتخابهم وحكومة اليونان تنقدهم مرتباتهم والمشيخة الاسلامية تأذنهم باجراء الاحكام الشرعية امامس نفقات الاسرى فالباب العالى قبل نفقات الضباط ورفض دفع نفقات الجنود مرتكنا على معاهدة لاهاى وعلى اتفاقنا مع البلغار وتقرر احالة المسألة على محكمة لاهاى للفصل فيها ومن المؤكد ان حكمها سيكون لصالحنا امامسألة اعادة اسلحة وذخائر وارزاق حامية سلونيك بناء على شروط التسليم المعقودة بين الخائن حسن تحسين وبين قائد جيوش اليونان فقد انكرتها اليونان وابت العمل بهذه الشروط فاحيلت المسألة ايضا على محكمة لاهاى وبالجملة فهذه الاتفاقية الموقته تعتبر انتصارا سياسيا احرزه الباب العالى ولذلك قامت جرائد اليونان واحزاب المعارضة تسلق فينزلوس بالسنة حداد معتبرة ان هذه الشروط ماكانت لتقبل حتى ولو كانت الدولة العثمانية هي الظافرة واليونان هي المغلوبة مستدلين بشروط صلح سنة ١٨٩٧ ولاتزال هجماتها الشديدة موجهة ضد رئيس وزارتها الذى مارجع الفهقرى ولاتمسك بالحقيقة بعد افراطه في الخيالات الا عندما ايقن من الخطر المحيق بدولته ان هي نازلت الجيش العثماني

فى عهد الوزارة الحالية ولتاكده من ضياع جميع ما اكسبتهم اياه المصادفات من جهة وسوء تدبير حكومة الشيوخ المخرفين من جهة اخرى

قلنا ان هذه الاتفاقية موقته والان تذكر سر ذلك اولا هذه التيمس تؤكد ان احوال البلقان المزلزلة ستجر الى حرب طاحنه فى الربيع الآتى لان البلغار لن ترضى بالتزام السكينة مالم تحل مسألة مقدونيا لصالحها والصرب تطمع فى الوصول الى بحر سفيد وها هى عقارب الخلاف قددبت بينها وبين اليونان بسبب طلبها ايجاد شقه حره لمتاجرها بسلونيك تكون تحت ادارتها مباشرة فلما رفضت اليونان ذلك قامت الصرب تصرح بانها لاتحتمل رؤية الظلم الشديد الذى تعامل به اليونان بلغار مقدونيا لانهم سلافيين وعلى حكومة بلغراد صيانة مصالحهم وحمايتهم ثانيا ان الالبانيين لن يصبروا على استبداد الصرب من جهة ومطامع اليونان من جهة ثانية وها هم قد اتحدوا مع البلغار فى تشكيل العصابات للفتك بخصومهم وثالثا لان اليونان تريد ابتلاع قسما كبيرا من جنوب البانيا وحكومة ايطاليا ترفض ذلك وتتوعد حكومة اتينا بطردها عنوة من الاماكن التى تحتلها جيوشها اليوم حول دوريجا وقد وافقت جميع الدول على مشروع انجلترا الموافق لمطالب ايطاليا فسخطت اليونان على انجلترا وقامت جرائدها حتى ابان استقبال اسطولى انجلترا وفرنسا بمياه بيريا ذلك الاستقبال الذى اريد صبغه فى صورة تهديد لايطاليا وانتصار لليونان فجاء المشروع الانجليزى يكذب ذلك علنا فقامت الجرائد تعاتب انجلترا بل وتنتقدها مر الانتقاد واخذت فينزلوس العزة بالاثم فقام يدعى استحالة اخلاء جيوشه للاراضى المختلف عليها وسنرى اليونان ترجع القهقرى كما فعلت معنا رابعا ان مسألة الجزر لم تحل بعد وهى مسألة حيوية لمستقبل الدولة بالاناضول والباب العالى مصمم على خوض غمرات اى حرب فى الدفاع عن حوزة املاكه خصوصا الاسيويه وها هى الحكومة العثمانية تبذل قصارى جهدها فى احضار المدرعة رشادية ومشترى مدرعيتين من طراز اعلى من الدرينوت كانت قد صنعتا للبرازيل على رواية والشيلى وثلاثة مدرعات ايطاليه على رواية ثانية واليونان تسعى من جهتها لتقوية اسطولها ولكن الضائقة المالية وفقرها الطبيعى يحولان دون ذلك ولكن حمية اهلها قد اشتدت وقامت منهم هيئة تريد مشترى مدرعة من طراز اعلى من الدرينوت باسم ملكهم قسطنطين وتعتقد هذه الهيئته امكان جمع ثانى الثمن من اروام الدولة وتجار اليونان المقيمين بين ظهر انينا فقامت الجرائد العثمانية تحذر المسلمين من تمكينهم من ذلك بمعاملتهم اياهم واخذت تحرك نخوتهم لمسابقتهم فى هذا المضمار

الشريف الذى غايته حماية الوطن وخدمة الدين وسنرى نتيجة هذه الدعوة المبرورة

اما الحكومة العثمانية فلم تكتف بمساعيها لتقوية العمارة البحرية من حيث القطع فقط بل عقدت مقاولة مع معامل ارمسترونغ وفيكر على اصلاح الترسانة الموجودة بالخليج على احدث طراز وعلى انشاء حوض عوام بايزميت يستوعب اى مدرعة حمولتها ٣٢٠٠٠ طنا وايجاد دار الصناعه السفن التجارية والحربية بالجهة الثانية من اى طراز تريده الحكومة على شرط ان تكون مواد البنا والايدى العاملة كلها عثمانيه الفنية وللحكومة ثلثى اسهم هذه الشركة وللبحرية حق وضع اليد على هذه المعامل ابان الحرب كما ان لها حق البناء فى غير معامل هذه الشركة ومدة هذا الامتياز ثلاثين سنة ثم تصبح المعامل ملكا حرا للحكومة وقد وضعت من الشرائط الدقيقة ما يحفظ مصالح العمال تماما وبالجملة فهذا اول عمل نافع اساسى من نوعه عملناه فى سبيل ترويج والصنائع الداخلية وتقوية العمارة البحرية تجارية كانت او حربية مع استبقاء اموالنا بيد الامة ومن يعرف شهرة معامل ارمسترونغ وفيكر وانقانها اعمالها لا يسعه الا تهنئة الحكومة على هذه الاتفاقية النافعة

ان فضل اتمام عقد الصلح بيننا وبين اليونان يرجع الى همه ناظر خارجية رومانيا الذى ضيق على حكومة اتينا وجعلها تتراجع الى الخلف بوضعه الصورة الحقيقية للبلقان امام عينى فينزلوس وافهامه استحالة مساعدة رومانيا لليونان ان تشبث الحرب بينها وبين الدولة العثمانية وقد عرج الناظر المذكور على دار السعادة عند عودته وكانت له مقابلات واتفاقات مهمة مع ناظر داخليتنا الهمام طلعت بك الذى وعد ناظر داخلية رومانيا بزيارة بخارست قريبا للاتفاق النهائى على مستقبل البلقان ويقال ان رومانيا قد وعدت بعدم التداخل فى الحرب اذا نشبت فى الربيع الاتى مادامت الحكومة العثمانية تعدها بمنح الرومان المقيمين بمقدونيا امتيازات واسعة ان بقيت بيدنا او بمنح مقدونيا استقلالا تاما وجعل عاصمتها سلونيك اذا لم تسمح الدول العظمى باسترجاعنا لها ويقول العارفون ان هذا الاتفاق يعتبر متمما للاتفاق المظنون عقده بيننا وبين البلغار وقد قامت جرائد رومانيا ترحب بطلعت بك وحضر مدير الضبط برومانيا الى الاستانة وتفقد الاحوال هنا وكان له مع اقرانه عندنا عدة اجتماعات مهمة ومن كل ما تقدم يرى القارئ الدور السياسى المهم الذى يلعبه الباب العالى الان هذا الدور الذى غير مركزنا تماما واعادلنا بعض سطوتنا السالفة

كان قد اتصل بالبوليس العثمانى عزم قواقلى مصطفى احد قتلة المرحوم شوكت باشا على

السفر من اثينا صوب الروسيا على احدى بواخر الشركة الروسيه فتربص للقبض عليه عند قدومه فلما وصلت الباخرة ترصد البوليس سراً عسى ان يخرج فيقبض عليه بيد ان هذا الجانى الحريص لم يخرج من مكمنه قط فاستعمل عزمى بك مدير بوليسنا السابق كل دهائه ومهارته فى اقناع المسيودى جيرس سفير الروسيا بوجوب تسليم هذا الجانى واكبر له تأثير هذا العمل الودى على علاقة البلدين فانخدع السفير وارسل ترجمانه مع البوليس ليسلم الجانى له من الباخرة فلما حاول البوليس القبض على الجانى مصطفى المذكور الذى كان مختفيا باحدى غرف خدمة الباخرة اطلق النار على رجال الشرطه ليثبت جنايته من جديد ولكنه لم يصب احد بسوء وتمكن البوليس من القبض عليه وسوقه الى ديوان الحرب العرفى حيث تجدد الحكم عليه بالاعدام وبقى ينتظر يوم التنفيذ ولكن ابت عليه نفسه الامارة بالسوء ان يمكن رجال الحكومة من اعدامه ولتأكده من موته قال بيدى لا بيد عمرو فاسرع وانتحر فاراح واستراح ولما شعرت جماعته بالقبض عليه تحركت اسلاك البرق بالاستغاثه والاستنجاد من النازلين بباريس واثينا واودسا بل ونقس الاستانه من الخونه ينعون على صديقتهم الروسيا النكاية بهم ومساونة اعداءهم المشتركين رجال الحكومة الاتحادية ملحين فى طلب انقاذ القاتل قواقلى مصطفى مصورين المسألة كاهانة للعلم الروسى المقدس عندهم نصير الحرية العثمانية فى رأيهم فارسلت الروسيا تلوم سفيرها بالاستانة وتؤنبه وتكلفه بالتشدد فى المطالبة بتسليم هذا الجانى اليها فرفض الباب العالى طلبه وبقيت المسألة فى اخذ ورد وبينما الاشاعات تتردد بين الروسيا قد قررت عزل المسيودى جيرس والمسيوماندلستام جزاء تسليمهما فى هذا المجرم وبان عزمى بك الذى عين واليا لاطنه عزل من البوليس بسبب هذا الحادث وان الروسيا تصر على عزله من وظيفته الجديدة الى غير ذلك من الاراء الافنه والاشاعات الكاذبة انتحر قواقلى مصطفى الجبان فاراح واستراح كما قلنا وانتهت المسألة بسلام وفاز البوليس العثمانى برغبته وبرهن على يقظته ومهارته رغم الدسائس الداخليه والخارجيه وارغم الروس وابراقهم فله منا خالص التهنئه

يظهر ان تعصب اوربا لن يقف عند حد معقول ويأبى الا أن يدفع اربابه للقضاء على دولة الخلافة ظلما وعدوانا فلذلك نرى اوربا وفى طليعتها عدوتنا التاريخيه الروسيا قائده دول الائتلاف الثلاثى دائما تعمل على الكيد لنا والتأمر علينا ونصب الشراك المهددة لكياننا فكانها لم تكتف بما عملته ضدنا فى البلقان ولم تبال بما نشرته جريدة الماتان من الاسرار المخزيه باذاعتها نصوص المعاهدات السريه التى كانت معقودة بين البلغار والصرب واليونان للنكاية بنا تلك النصوص التى ارتجت لها دوائر اوربا السياسيه فى القرن العشرين والتى اثبتت بهتان دعاوى دول البلقان

من جهة وتسخير الروسيا لساسة دولة الائتلاف الثلاثي من جهة وبرهنت للعالم ان بو انقاريه وغراي واسكيث وغيرهم كانوا يتحركون في الظاهر باختيارهم وفي الحقيقة باوامر سنت بطرسبرج وكأن حكومة القيصر لم تستح من الاسرار التي اذاعتها جرائد روسيا الشبيهة بالرسمية عند تقريعها البلغار واتهامها بنكران جميل حامية السلاف التي ارسلت لها من الضباط والاموال والسلاح والطيارات والذخائر ماادهشنا عدده من جهة واثبت لنا معنى الحيدة في نظر اوربا المتعصبة ضدنا من جهة اخرى فقامت تطالب الباب العالي باصلاح الولايات الشرقية تحت مراقبة اوربا مشترطة تقسيم الولايات الست المذكورة الى منطقتين تعين لكل منهما والي مسيحي واسع السلطة لمدة معينة ويكون انتخابهما بواسطة دول اوربا وقالت جرائد الغرب ان كل من دول الائتلاف الثلاثي قد انات عنها الروسيا كان دول التحالف الثلاثي قد وكلت المانيا في الاشراف على هذه الاصلاحات وارغام الباب العالي على قبولها اهاجت هذه الحركات ثائرة الصحف العثمانية وخصوصا الاتحادية منها فانذرت اوربا باستحالة قبول هذا الظلم القاضي على استقلال الدولة مادامت في رأس الحكومة وزارة اتحادية تفضل الموت مع الشرف عن حياة الاستعباد والذلة فغيرت صحف اوربا الشبيهة بالرسمية لهجتها قائلة لابأس من تعيين الواليين من العثمانيين بعد موافقة الدول مادام سيشترط وجود مستشارين من اجانب تعينهم الدول ولايحق للوالي عمل شيء الا بموافقتهم كأن محرري هذه الصحف لا يزالون يعتقدون ان الوزارة الحالية من طراز وزارتي مختار باشا وخلفه كامل باشا تخدع بمثل هذه الالاعيب وتروج عندها هذه الخرافات ومادرت ان اليوم غير امس وان اسد الشرى الرابضين بالباب العالي بالرغم عن حرج مركزهم سيكيلون لاوربا بكيلها ويقابلون مكائدها بامهر منها ولكن قد جاء جواب الباب العالي على المذكره الشفوية التي ابلغها اياه سفراء الدول برهانا قاطعا على كذب افكار هذه الصحف هادما لخيالاتها مقرا لاعين العثمانيين شارحا لصدورهم ان الباب العالي اجابهم بصورة غير رسمية جوابا حوى النقط الآتيه (١) انه لاحق للدول في هذه المطالبة المجحفة بحقوق الشعب المتمتع بحريته الذي لنوابه الحق في المطالبة بكل مايرونه مفيدا (٢) ان هذا الطلب ثالم لشرف الحكومة العثمانية وهو وان صح في زمن ملك مستبد كان يعارض في كل اصلاح لايصح توجيهه لحكومة طالبت اوربا منذ بضعة اشهر في معاونتها على الاصلاح بانتقاء الرجال الاختصاصيين فرفضت اوربا طلبها حتى الساعة بيد ان ذلك لم يقعد بالحكومة العثمانية عن تنظيم الجندرمة والبوليس وتوطيد الامن ونشر المعارف (٣) ان هذا الطلب مجرد من روح المساواة ويشم منه رائحة التعصب الذميم والا فما معنى تخصيص الاصلاح بهذه الولايات الست

دون بقية الممالك العثمانية التي يريد الباب العالى اصلاحها جميعها ان قيل ان ذلك من اجل الارمن فعددهم حسب الاحصاء الرسمي يتراوح بين اثنين في المائة في بعض الولايات وعشرين في المائة في البعض الآخر فلا معنى لتمييز هذه الاقلية الضئيلة على الاغلبية المسلمة العظيمة (٤) ان الرعايا العثمانيين ممتعين جميعا سواء في ذلك المسلمة والمسيحى بجميع الحقوق المدينة والسياسية والدينية بينما رعايا بعض الدول المتشدده في طلب الاصلاح يحرم على مجلس نوابة المناقشة في قانون منح غير المسيحيين الحقوق المدنية (المراد بذلك رفض مجلس الدوما الروسي اللائحة المقدمة من حزب الكاديت بشأن منح غير المسيحين السلافيين الحقوق المدنية باغلبية ١٩٤ صوتا ضد ٣٦ فيالله من هذا التناقض امة ترفض مجرد المناقشة فضلا عن منح الحقوق المدنية لقسم عن رعاياها تقوم تطالب بما هو فوق الحقوق المدنية والسياسية والدينية من حكومتنا الاقاتل الله الغرض فانه اكبر مرض) فعدل الدول يقدر الى اين يحق توجيه مثل هذا الطلب (٥) ان هذا الطلب فيه مساس باستقلال الدولة اولا بتداخل الدول في شئونها الداخلية البحته بمطالبهم هذه وثانيا بوضع الحكومة تحت مراقبة اجنبية ودون ذلك خرط القتاد ودق الرقاب واهراق الدماء والباب العالى يرفض اى مناقشة في هذا الباب مهما كانت العواقب (٦) اذا كانت الدول العظمى ستبصر على مثال هذه المطالب وترفض مساعدة الباب العالى باعطائه الاختصاصيين الاكفاء فهو سيضطر للاستعانة ببعض الدول الغربية الصغرى المجرده عن الاغراض الاستعمارية وان رفضت هذه ايضا يستعين برجاله دون غيرهم محافظة على استقلال بلاده الذى يفديه بكل مرتخص وغال (٧) انه مصمم بكل همته على تطبيق الاصلاح في كل جهة وقد بدأ فعلا فهو يرجو الدول ان لا تعرقل مساعية بامثال هذه المطالب التى يستحيل قبولها بتاتا ويرجوهن مؤازرته باجابة مطالبه عندما يراجعهن في امر من الامور الضرورية

جاء هذا الجواب الحاسم الصريح ختاما لهذه المناورة التى كان يرادفها ايجاد مقدونية جديدة في شرق الاناضول وتمكين الدول من التصرف في شئوننا الداخلى حسب اهوائها ومالبثنا الاقليلا حتى سمعنا مستشار الامبراطورية الالمانية وناظر خارجية ايطاليا وناظر خارجية النمسا كل يصرح بتمتع الباب العالى باستقلاله التام في اعماله الاصلاحيه وجاء تصريح مستشار المانيا بنقطة مهمة فحواها ان المستر اسكويث من رأيه تماما في هذه المسألة اى ان الباب العالى قد خرج ظافرا من هذه المكيدة ولم يكتب مؤازرة دول الاتحاد الثلاثى وحدها بل وركن من اهم اركان الائتلاف الثلاثى ايضا ورجعت روسيا من هذه الحركة بخفى حنين بفضل ثبات الباب العالى وشجاعة الرجال الوزارة

ولكن لله ماأعجب جماعات الاصلاحيين ببلادنا فانهم دوما يكونون عونا للعدد الخارجي ويعملون على الاستفادة من منشا كل الدولة وخطورة مركزها فامس رأينا مؤتمر جماعة الاصلاح السوريين يجتمع بباريس لمضايقه الدولة في وقت اخذت دول الغرب بتلابيبها وهدد العدو عاصمتها بل وجميع الوطن واليوم رأينا مؤتمر الارمن يجتمع بباريس وانصارهم بلونده للمطالبه بوضع الاصلاحات تحت المراقبة الاجنبية مبرهنين بذلك على صدق وطنيتهم ولكن كل هذا مع قبحه قد يحتمل اما قيام مجلس بطريركية الارمن بالاجتماع وتقريرها تقديم لائحة بواسطة وكيل البطريك الى الحكومة ابان هذه الزعازع المروعه بطلب اتباع النسبة العنصريه في الانتخابات مكلفين الحكومة بواسطة هذا التقرير بخرق حرمة القانون الاساسى المفدى بالارواح ونشر نظامات لايمكن تطبيقها وشرها اعظم من نفعها فلم يسع نظارة العدليه امام هذه الجرآة الغريبة وهذه الحركات المنفوره الا ان تتشدد في الرد على وكيل البطريرك معتبرة ان تقريره هذا يعتبر طعنه موجهة ضد الدستور ويحمل على سوء الظن بمبادىء البطريرك الدستورية اولا مبرهنة على استحاله اجابة هذا الطلب الا بعد اجتماع مجلس المبعوثين ومصادقته على هذه المسألة العويصة التطبيق المسببة للمشاكل ثانيا مبينة ان هذا العمل خروج من البطريرك عن دائره حدوده وواجب وظيفته الدينية البحتة وتداخل في شئون الحكومة الادارية مع ان نفس الممالك المسيحيه قد فصلت الكنيسه عن الحكومة واوقفتها عند حدها ثالثا منذرة اياهم بعدم الرد على مثل هذا التقرير المجرد عن اى صبغة قانونيه العدائى اللهجة البعيد عن الذوق السليم فلما رأوا هذه الصلابة والحزم قام البطريرك يقول انى لم اخرج عن دائره وظيفتى اذ من حقوقى تمثيل امتى والنيابه عنها كما فعلت ذلك مرارا كأنه نسى انه شتان مابين زمن الاستبداد وزمن الدستور وكأنه يريد ان تكون دولة الخلافه مسيحيه اكثر من الدول المسيحيه التى اوقفت القساقسه عند حدودهم الدينيه ومن العجيب ان بطريركية الفنار الروميه اقتفت اثر صديقتها ولكن الحكومة تمسكت بالحزم ولم تعدل عن خطتها ولا يزال المركز العمومى لجمعية الاتحاد والترقى يخابر الفريقين ويضع الشرائط الضرورية التى ستحبط اعمال اصحاب الاغراض الشخصية الذين يرتدون بزى المصلحين للوصول الى نيل مطامعهم اما مثير حركة الانتخابات النسبيه فيقال انه زهراب افندى وانه عرضها على بعض اعضاء وفودسوريا فقبلها جماعة الوفد الاول المعروفين ورفضها اعضاء الوفد الثانى والمثل يقول ان الطيور على اشكالها تقع

تم الاتفاق المبدأى بيننا وبين حكومة الصرب بشان نصوص معاهدة الصلح وهى فى نصوصها اقرب الاشياء بمعاهدة صلحنا مع اليونان بيد انها خالية من المسائل المعلقة

وقد بدأت المخابرات الرسمية وهي على وشك الانتهاء وربما تم ذلك في بحر هذا الاسبوع

اجريت عملية استئصال الاعور المعوى يوم الاربعاء الماضي لبطل الاسلام انور بك في المستشفى الالماني بواسطة كل من جميل باشا واورخان بك وعاقل مختار بك وسليمان نعمان بك وجراح المستشفى الالماني فتمت العملية بنجاح في ظرف نصف ساعه من الزمان وقد اخذ البطل المذكور يسرع خطواته الى الشفاء والعافية اتم الله عليه الصحه وحفظه زخرا للدفاع عن بيضة الدولة والاسلام انه السميع المجيب

بعد الحرب المشئومة السالفة اراد الباب العالي وضع الجيش في مصاف انظم جيوش اوربا وقرر الاخذ باسباب الاصلاح الحقيقي لانه رأى ان عبد الحميد لم يمكن المشير فوندر غولتز باشا من عمل شيء نافع ولولا الزمن القصير الذي بدأت فيه الجنود منذ اعلان الدستور بالتدرب والتعليم العملي والقيام بالمناورات لكان جيشنا اذل واضعف جيوش العالم ولتمكن الاعداء من فتح الاستانة والقضاء على الدولة لذلك اراد الباب العالي ان يستقدم احد مشاهير قواد الجيش الالماني وبرفقته حوالي الخمسين ضابط المختلفي الدرجات والمسالك ويفوض اليه قيادة فيلق الاستانة وجعله نموزج للتشبه به الفيالق الاخرى وكذلك اصلاح المدارس الحربية وزياده معلومات ضباطنا وعمل امتحانات علمية وعملية في بحر سنة حتى يمنح كل ضابط الدرجة اللائقة بمعارفه وحتى يحال على المعاش كل ضابط اوامير عسكري كبير العنوان فقير المادة وبالجملة اصلاح الجيش تماما وعلى احدث وانفع طريقة حتى يسترجع سطوته القديمة ويصبح قادرا على الزود عن حياض الوطن ضد اى عدو طامع او جشع مغير

قرر الباب العالي ذلك فهبت جرائد الروسيا الشبيهة بالرسمية تبرق وترعد واخذت تعتبر ان الباب العالي قد وضع الدولة العثمانية تحت حماية المانيا وهو مالا ترضى به دول الائتلاف الثلاثي وادعت ان البوغازات قد اصبحت في قبضة المانيا بينما روسيا لاترضى برؤية هذه المضايق المهمة في يد اى دولة عدا الدولة العثمانية واعتبرت ان هذه الاعمال اسوأ وقعا واشد ضررا لمصالحها من معاهدة باريس التي رضيت بها وهي مغلوبة على امرها واستنجدت بفرنسا وانجلترا واخذت تخابر المانيا لترفض ارسال قائدها وضباطها للاستانة واحتجت سفراء دول الائتلاف الثلاثي بصورة شبيهة بالرسمية بصيغة ودية لدى الباب العالي في وقت اخذت تهددنا فيه صحفها بالمقاطعة المالية وبمنع فرنسا عن عقد القرض العثماني ببلادها وبعزم روسيا على احتلال النقط المهمة لسوق الجيش بارمينا وبالمظاهرات البحرية امام البوغازين فاجابهم الباب العالي بكل سكون وبصورة غير رسمية منكرا عليهم حق التداخل في مسائل الدولة الداخلية مبينا ان البوغازين خارج اعمال هذه البعثه

وانه لاخطر قطعنها على استقلال الدولة لان افرادها منهم الاموظفين عثمانيين يمكن رفتهم فى اى وقت شاء وانهم قدانفصلوا عن الجيش الالمانى نهائيـا وان ادارة الاحكام العرفية خارج اعمالها ايضالانها تتعلق بشئون الادارة الداخلية السياسية وقامت الجرائد العثمانية تفند دعاوى الجرائد الروسية والفرنسية وتعجب من تخوف هذه الدول على استقلالنا من موظف عثمانى بحث مع انها تطالبنا بقبول ولاة ومستشارين اجانب مطلقا الحرية وتابعى لدولهم مباشرة وقالت ان للدولة الحق فى محالفه اى دولة محالفة دفاعية هجومية فضلا عن استخدام المصلحين منها وقام ليمبوس باشا مصلح الاسطول العثمانى ينكر على دول الائتلاف الثلاثى وصحفهـا هذه المغالطات مستغربا دعواها الكاذبة قائلا ان القائد الالمانى سيتمتع فى البر بنفس الحقوق التى اتمع بها انا الانجليزى فى البحر ولم اجد من ادعى ان وجودى فيه خطر على الدولة اوفيه وضع لها تحت حماية انجلترا كانت كل هذه الاجوبة المقنعة وثبات الباب العالى النادر صدمة لامال اصحاب الاغراض المخصوصه ولكن الروسيا لم تقتنع وارسلت المسيود لكاسيه سفير فرنسا من سانت بطرسبرج الى باريس ليقنع حكومته بمنع القرض العثمانى من التداول فى بورصه فرنسا وقامت الطان تعيب خطة روسيا لمخابرتها المانيا وصبغها المسألة بصورة روسيه المانيه بدل افراغها فى قالب روسى عثمانى وكانت الدولة قدباعت مصرف بايير الفرنسى اسهم الخزينه بمقدار اربعة ملايين جنيهـا فاعتبرت الروسيا ذلك خيانة من فرنسـا فاسرعت هذه بمنح سـفيرها بالاستانه اجازة غـير معينة عقاباله على اهماله فى هذه المسألة ولكن كل هذا المناورات والتهديدات لم تثن الباب العـالى عن همته وادت الى اشتداد روح الخلاف ودبيب عقـارب البغضـاء والتحاسـد بين دول التحالف الثلاثى ودول الائتلاف الثلاثى وتهديد السلام العام الاوربى وهذا طبعا من صالحنا كثيرا بيدان انجلترا قامت تقترح منح جزر الارخبيل ماعدا اميروزو بوزجه لليونان ومنح استقلالا اداريا تحت سيادة الباب العالى للجزر التى تحتلها ايطاليا وقام ناظر خارجيه فرنسا يصرح بان مشاكل الحرب البلقانيه لم تنته وان من الواجب على فرنسا الاستفاده من حمايتها للكاثوليك فى الشرق وانفاق الاموال لمساعدة معاهدتها العلميه (اقرأ السياسية) فى بلاد الدولة وخصوصا سوريا واخذت جرائد الروسيا تتوعد بالغارة على بلادنا فى الربيع الاتى اما الباب العالى فعازم على اخذ الجزر القريبة من السواحل الاسيويه والدردنيل ولو خاض من اجل ذلك عدة حروب ومصر على محاربة كل نفوذ اجنبى بنشر المدارس وتنشيط الوطنيين المخلصين وقد احاجت هذه الحركات غضب طنين فهددت روسيا قائله ان رأس الذى سيسعى فى هدم الجبل ستكون اول ما يتهشم رأسه بصخوره وقامت تصوير افكار تنذر الدول الائتلافيه بهياج العالم الاسلامى وثورته فى وجه هذه الدول الظالمه وبالجمله فالمستقبل غامض ولا يعلم العواقب الا الله والسلام

استرداد ادرنة

فدا ًلحمانا كل من يمنع الحمى ومن ليس يرضى حوضه متهدما
فما العيش الا أن نموت أعزة وما الموت الا أن نعيش ونسلما
تأملت فى صرف الزمان فلم أجد سوى الصارم البتار للسلم سلما
ولم أر انأى عن سلام من الذى تأخر يعتد الاسلامة مغنما
يقولون وجه السيف ابيض دائما وماابيض الاوهو أحمر بالدما
وان كان دفع الشر بالسلم حازما فمال دفع الشر بالشر أحزما
لذاك هززنا الجيش نحو أدرنة بكل فتى يستعذب الموت مطعما
يكاد يبارى الطير سيراً الى الوغى فبينا تراه ضيغما صار قشعما
يرى الشهد ان يمسى شهيداولا يرى سوى الذل فى الاحياء صاباوعلقما
زحفنا وقلنا لليالى تنكرى فمافاز الامن اصر وصمما
فقد سئمت هضم الحقوق نفوسنا وحق لصخر أن يمل ونسأما
يسومو ننا فى كل يوم قطيعة علينا بهايغدو الحلال محرما
وكابر قوم ينظرون باعين ألاعمه الالباب اعمى من العمى
تجاهل أهل الغرب كل قضية اذا لم يكن فيها الحسام مترجما
أدرنه ياأم الحصون ومن غدت لدار بنى عثمان سورا ومعصما
فديناك ربعاً ماأبر باهله وماعلينا ماأعز واكرما

رجعناك رجع المستميت ذماره ... ونشر الذى قد صار فى الرمس اعظما
وكنت على دار الخلافة عورة ... فعدت لها الركن الشديد المحكما
عمرناك أحقابا طوالا فلم تنزل ... باهلك من أهل البسيطة جمهما
أدرتنا لو كان الصخر السن ... بها يوم عاد لراجعوها تكاما
فامن فتى الا وأقبل مجهشاً ... ولا من جواد عادالا وحمحما
ولا غادة الا وكفكف دمعها ... مكر حماه العرض كالسيل مفعما
ولا منبر الا واورق بهجة ... وقام عليه ساجع مترنما
وقرت عيون المصطفى فى ضريحه ... وهناه فى الفردوس عيسى ابن مريما
وكم من صلى بها سر قلبه ... طلوع هلال أفقها منه اظلما
لقد جهدوا ان يلقوها فلم نزل ... عليهم كحرف اليم فى فم أعلما
كررنا عليها بعد غيبة أشهر ... فلم نعرف الاطلال الا توهما
فسرعان ماعثت عصائبهم بها ... وما غادروا فيها يتيما وأيما
كانهم قد ادركوا ان كونهم ... بها عارض لابد ان يتصرما
ألا قل لفرديناد أسرفت عاديا ... واكثرت فى وادى الضلالة مزعما
وهاجت والاحلاف غدرا وغيلة ... رجالا غدوا هما تكيدون نوما
رجالا لها بعض ببعض تشاجرا ... فكان قضاء الله فيهم محتما
ولولا الذى من بأسهم حل فيهم ... لقصر عنهم بأسكم وتحطما
تعرض هذا الملك منكم ومنهم ... لسهمين كل منهما انقض أسهما
فان تفجأونا بالهجوم فلم تكن ... سوى السيف من طول الضراب تثلما

ولم نبرح الدنيا طوالع قلنـا وما زالت الايام بوسى وانعما
كأنكم لم توجدوا غير أمة لسفك الدما أوهتك محضة الدمى
فان أخذتكم فى الرجوع سيوفنا فقد طـالما كنتم اعق وأظلما
ومازال قرع النبع بالنبع مانعا حقوق الورى ان تستباح وتهضما
تعجلتم منا ثغورا شـواغرا فهلا وقد صـار الخميس عرمرما
خميس اذا النيات صحت رأيته يخيم معه نصره حيث خيما
تأمل أهاضيب الجبال وقد رست وحدث عن البحر المحيط وقد طمى
تضئ نواحبه بغرة عزة مشيع ماتحت الضـلوع غشمشما
لديه من الابطال كل غضنفر اذا عبس الموت الزؤام تبسما
تراهم نمورا فى الوغى وضياغما وفى المجـلس الزاهى بدورا وأنجما
فمن مبلغ البلغار انا الى الوغى واخوتنـا الاتراك نزحف تؤاما
وان جميع العرب والترك اخوة عليهم اليهم بتبغون تقدما
وليس يزال العرب والترك امة حنفية بيضـاء لن تتقسما
وان بنى عثمان للناس دولة يسـاوى لواها عيسويا ومسلما
وقولوا الهم بانت سعاد فمن يشا فؤادكم يبقى عليهـا متيما
رأيتم مناما فيه مرت ادرنة عليكم كما مر الخيال فسلما
ستلبث عثمانية رغم انفكم وانف الاعلى منا يصيحون لوما
فلا يطمعنكم فى ادرنة مطمع ولا تفتحوا فى شأنها ابدا فما
ادرنة صارت عندنا تلو مكة وماء المريج اليوم يشبه زمزمـا

ادرنة حتى الحشر لا زلت عقلة لنا ينثني عنك العدو مهزما
سرينا من الشام الشريف جريدة نعاني بمسرانا جبالا وخضرما
نؤديك عن ابناء يعرب قبلة يبيت بها عقد الاخوة محكما
ونهديك عن نجد تحية شيق عن العرب العرباء ليس باعجما
وعن جيرة البيت الحرام وطيبة ومن طاف في تلك البقاع ويمما
وعن كل قيسي يبر نزاره وكل يمان في التبابعة انتمى
اولئك اصحاب الحقيقة والاولى يراعون عهدا للشريعة مبرما
فيالك من فتح اتى في خطوبنا كشادخة غراء في وجه ادهما
هو الفتح في الاسلام جاء حديثه وقوع غير الماء من قلب اهيما
فلا وجه الا قد تدنر ضاحكا على قدر ماقد كان قبل تجهما
وكانت بقايا السيف تبكي فاصبحت تضاحكم طرا ملائكة السما
واهنأ فوز بعد يأس وترحة واعذب وردما شربت على الظما
فلله يوم في ادرنة صالح تحول عرسا بعد ما كان مأتما
عسى كل يوم بعد يوم ادرنة يعرد على الاسلام عيدا وموسما
تفالت للاسلام خير وكرة وقد بدأ الاسلام ان يتألما
وليس على المولى عسير بان نرى هناء محاذاك العزاء المقدما

ادرنه في ٣ شوال سنة ١٣٣١ شكيب ارسلان

دعوة عامة

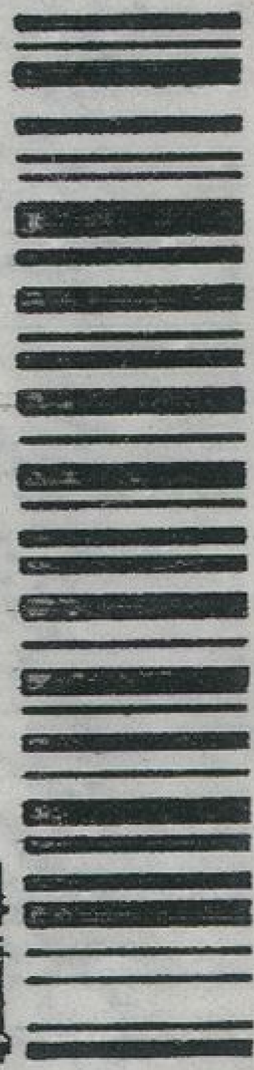
من

صحيفة « التيمس الافريقية ومجلة الشرق »

الى كتاب مصر

جريدة « التيمس الافريقية ومجلة الشرق » الانكليزية التي تديرها شركة دولية وتصدر في مدينة لوندرة (لخدمة صوالح الشعوب الملونة عامة ولخدمة السلام العام) تدعو جميع كتاب مصر المقتدرين في اللغة الانكليزيه المطلعين على دقائق « المسألة المصرية » بلا فرق بين الأديان أو الاحزاب الى موافاتها برسائلهم في المباحث التي يكون من صالح « المسألة المصريه » نشرها وهي ترحب بكل ما يكتب دفاعاً عن كرامة المصريين سواء من الوجهة السياسية او الاجتماعية بالبرهنة على احقية مطالب الحركة الوطنية المصرية وباظهار حسنات المجتمع المصري ومكارم الاخلاق والعادات المصرية التي يعمل أهل الاغراض على تصويرها في الصحف الاوربية (وعلى الأخص في الصحف الانكليزية) بما يزيد مسافة الخلف وسوء التفاهم بين الغرب والشرق .

والمجلة تحترم حرية النشر ولا تعترض على لهجة اي كاتب وان كانت تفضل اللهجة المعتدلة التي يقصد بها اجتناب الخصم بدل معاندته) ولكنها تشترط الابتعاد الكلي عن الشخصيات ومراعاة التحقيق والايجاز . وهي تقبل أيضاً ما هو مكتوب بغير الانكليزية من اللغات الاوربية ويقوم قلم الترجمة فيها بنقله الى لغة المجلة . هذا والمجلة تصدر في منتصف كل شهر وعنوانها كالآتي :—



Bibliotheca Alexandrina
0531311